

المجلة دورية تصدر أربع مرات في العام  
بالتعاون مع جامعة الكويت  
بالتعاون مع جامعة الكويت

السنة ١٥

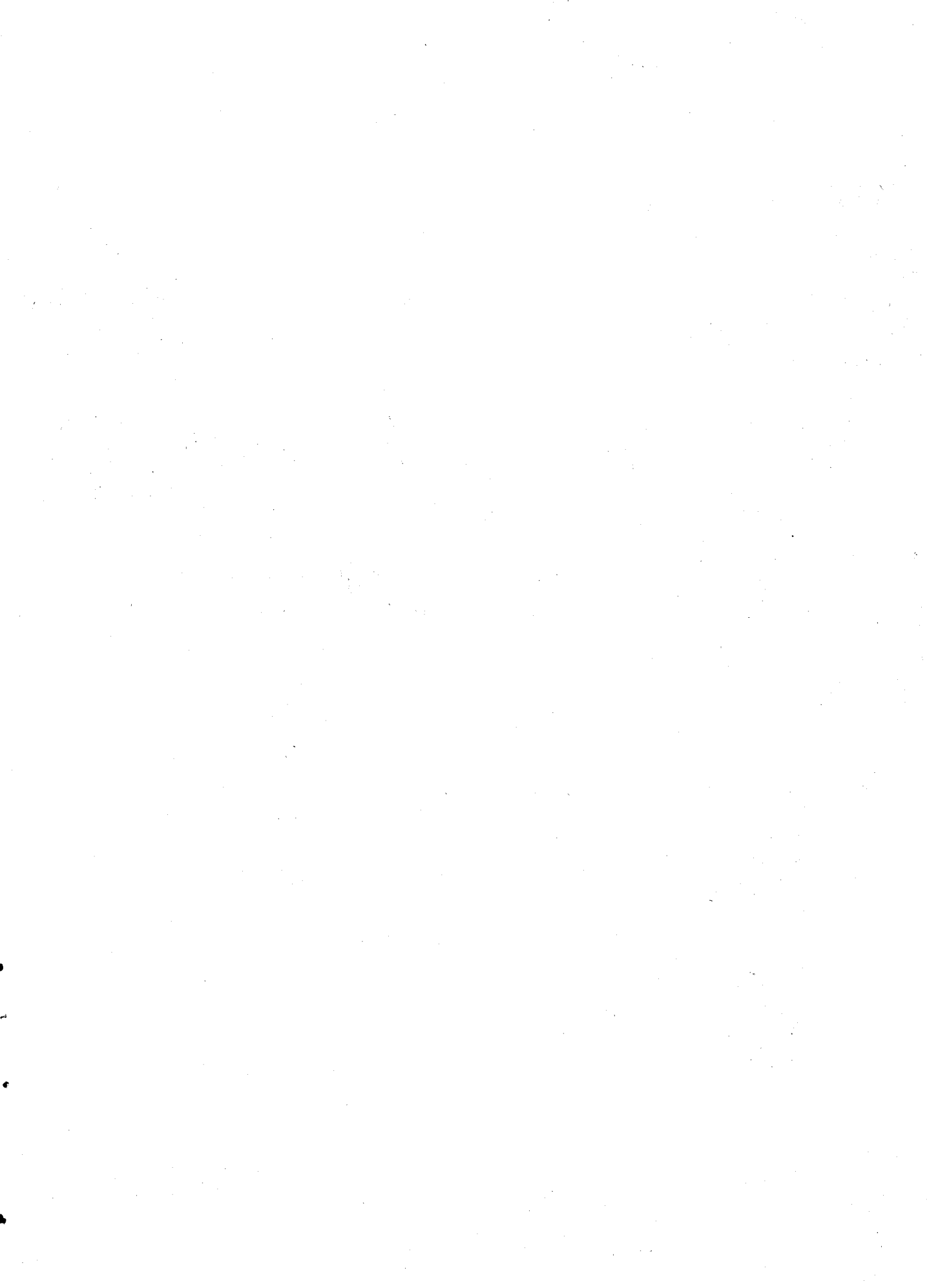
العدد

٥٨

ربيع الآخر - جمادى الأولى - جمادى الآخرة - ربيع الأول



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

الأعضاء

د. أحمد عطية الغامري

د. جمعة علي الطولي

د. محمد السيد الوكيل

الشيخ محمد الحزوب

رئيس التحرير

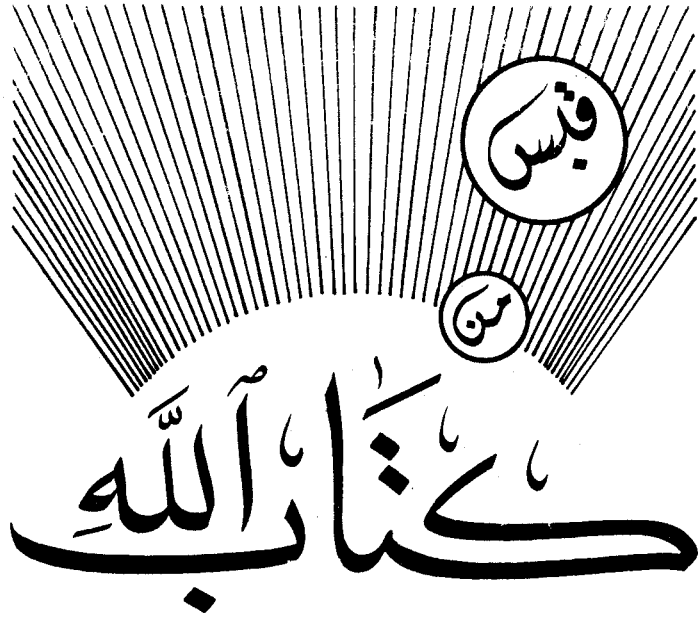
د. علي بن محمد ناصر الفقيهي

مدير التحرير

الشيخ سعد نزار

الإسلام: تريل بايم مدير التحرير. الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة





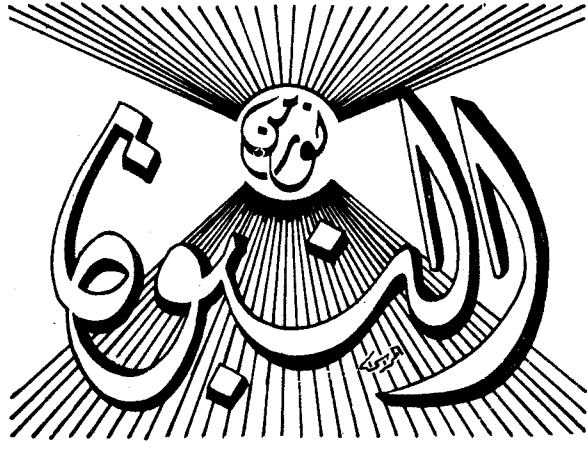
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ  
الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾

من سورة النساء





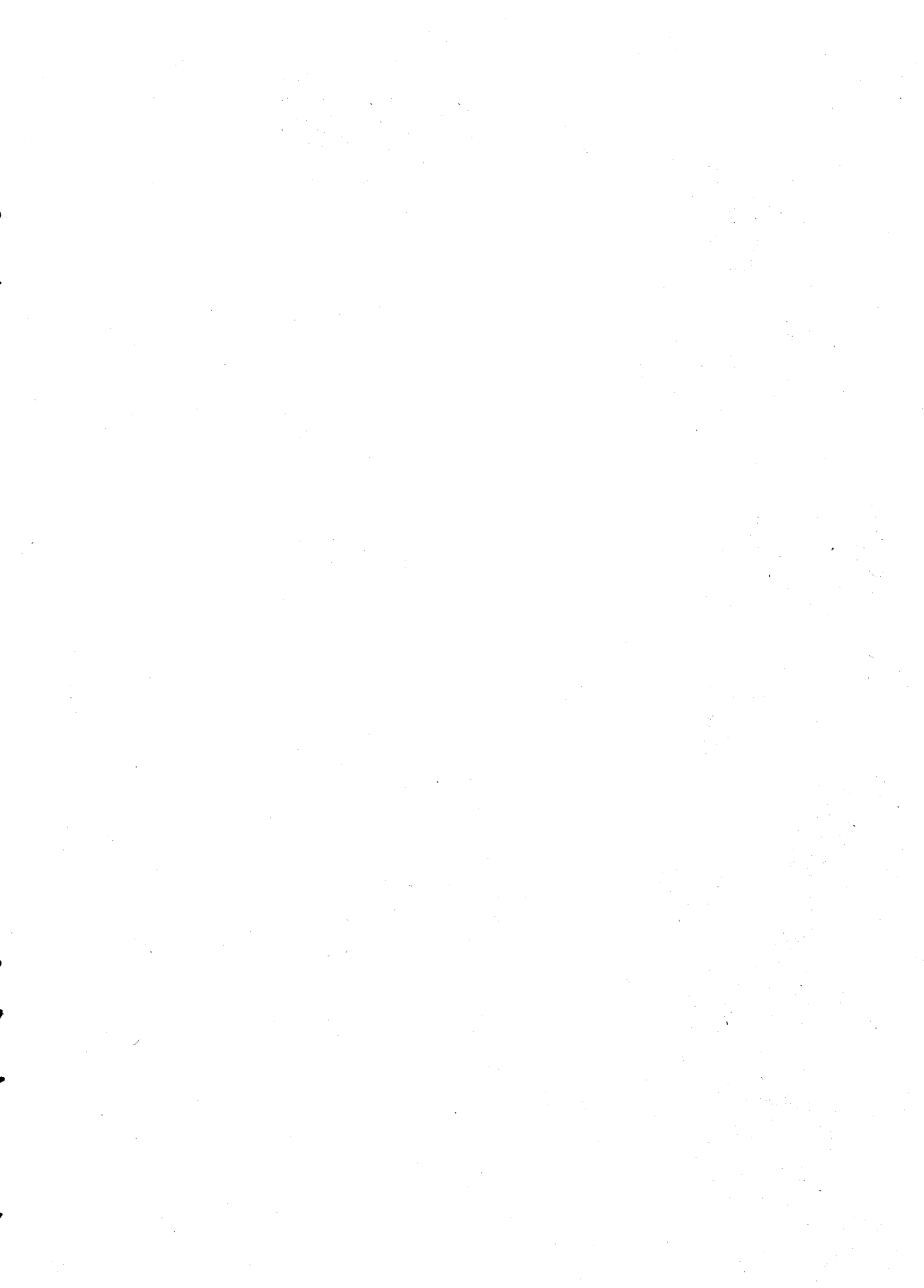


عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ :

« بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنَاكَ قَطْعَ اللَّيْلِ  
الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا،  
أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ  
بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا. »

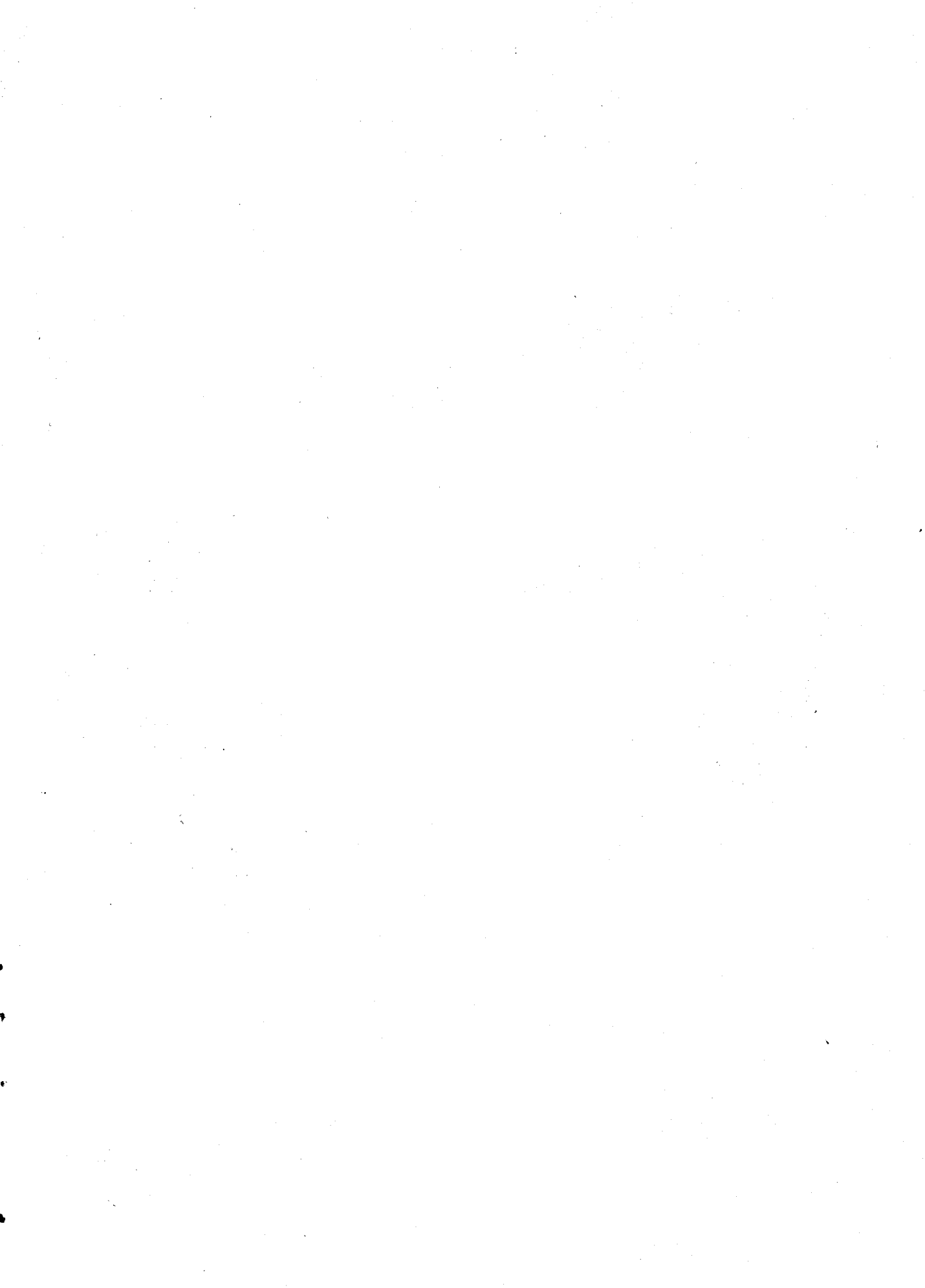
أَخْرَجَهُ مُسَامٌ فِي صَحِيحِهِ



# حكمة العبد

«كَثِيرٌ مِنَ الْجُهَّالِ اعْتَمَدُوا عَلَى  
رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ وَكَرَمِهِ، فَضَيَّعُوا  
أَمْرَهُ وَنَهَيْهِ، وَنَسُوا أَنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ  
وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ بَأْسَهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.»

«الإمام ابن القيم الجوزية»



”وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا“

كلمة  
التحرير

وَهَذِهِ كَلِمَةٌ لَهَا طَرِيقُ الْخُلَاصِ

لِلدُّكْتُورِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ نَهْرٍ الْفَيْهَاءِ

رئيس التحرير

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .  
أما بعد :

فإن من أهداف الشريعة الإسلامية ، والدعوة المحمدية جمع كلمة الأمة وتوحيد صفوفها . وهذا ما توحى به عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى البشرية كافة ، فقد كان الأنبياء قبله يبعثون إلى أقوامهم خاصة ، فكل نبي خاطب قومه بقوله : ( يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ » ( هود : ٦١ ) .

أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد أرسل إلى الناس جميعاً كما بين الله عز وجل ذلك في قوله : ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ) ( سبأ : ٢٨ ) .  
- وقد خاطب صلى الله عليه وسلم الناس بدعوته قائلاً :

« يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » .

كما بين لنا صلى الله عليه وسلم بعض خصائصه بقوله : « وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » .

وقد بعث صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين جميعاً في وقت كانت البشرية في أشد الحاجة إلى من يأخذ بيدها وينتزعها مما حل بها من ذل وهوان إذ أصبحت تتخبط في أمواج من ظلمات الجهل والفساد في العقيدة والأخلاق والسلوك ، فتداركها الله سبحانه بهذا النبي الكريم الرؤوف الرحيم ، إذ بعثه على حين فترة من الرسل ، وأنزل عليه خير الكتب ، وطلب منا الإيمان به تعالى وبرسوله وبالنور الذي أنزله على رسوله فقال تعالى : « فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » . ( التباين / ٨ ) .

وقد جاء في هذا النور الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليستضيء به العالم كله قوله تعالى : « **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا** » ( آل عمران : ١٠٣ ) فكان من أهداف الدين الإسلامي جمع كلمة الأمة والحفاظ على وحدتها وسلامة كيانها .

وقد بعث رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في مجتمع كان من صفاته :

- ١ - لا تربطه عقيدة ، فكل واحد يتبع هواه فيسجد للحجر والشجر .
- ٢ - وتغير فيه القبيلة القوية على القبيلة الضعيفة فتقتل رجالها وتنهب أموالها .
- ٣ - ولا قيمة فيه للقيم والأخلاق ، وإنما المقياس هو المال والجاه .

وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بعلاج حاسم لمشكلات هذا المجتمع بما يجب أن يسلكه كل مصلح ، فقد نظر للداء ووضع له الدواء . فبدأ بإصلاح القلوب أولاً ، لأن في القلب مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهي القلب ، فبدأ بالعقيدة الصحيحة أولاً .

يقول أبو الحسن الندوي في كتابه القيم : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . تحت عنوان : « **قُفْل الطبيعة البشرية ومفتاحها** » :

يقول : ( لم يكن صلى الله عليه وسلم من عامة المصلحين الذين يأتون البيوت من ظهورها ، أو يتسللون إليها من نوافذها ، ويكافحون بعض الأدواء الاجتماعية والعيوب الخلقية فحسب ، فمنهم من يوفق لإزالة بعضها مؤقتاً في بعض نواحي البلاد . ومنهم من يموت ولم ينجح في مهمته .

أتى النبي صلى الله عليه وسلم بيت الدعوة والإصلاح من بابه ، ووضع على قُفْل الطبيعة البشرية مفتاحه ، ذلك القُفْل الذي أعيا فتحه جميع المصلحين في هذه الفترة ، وكل من حاول فتحه من بعده بغير مفتاحه .

دعا الناس إلى الإيمان بالله وحده ، ورفض الأوثان والعبادات ، والكفر بالطاغوت بكل معاني الكلمة ، وقام في القوم ينادي : « **يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا** » . ودعا إلى الإيمان برسالته ، والإيمان بالآخرة ) . أه .

أقول : فلما صفت عقيدتهم وتوجهت قلوبهم إلى الله تبارك وتعالى وحده ، محققة حكمته تعالى من خلقه لعباده كما في قوله تعالى : « **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** » ( الذاريات : ٥٦ ) .

وقوله : « **قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** » ( الأنعام : ١٦٢ ) .

وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم القواعد والأسس التي تقوم عليها الوحدة الإسلامية بتشريع وتوجيه من الله تبارك وتعالى . ومن تلك القواعد والأسس :

أولاً : ربط الأمة بأعمال وأقوال وتشعرهم بوحدهم لا فرق بين شخص وآخر في ذلك مثل الشهادة لله بالوحدانية ولحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة .

فلا يدخل أحد الإسلام إلا بهما ، ففي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه في صحيح البخارى ومسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة .. الحديث . فجميع المسلمين على اختلاف أجناسهم وأوطانهم ينطقون بهذه الكلمة وهذا يدل على وحدة الأمة الإسلامية في القول والمعتقد .

ثانياً : يتجهون جميعاً بصلاتهم ودعائهم إلى قبلة واحدة هي الكعبة المشرفة .

ثالثاً : سن لهم صلاة الجمعة والجماعة خلف إمام واحد لا يختلفون عليه .

رابعاً : فرض الله على الأمة صوم شهر واحد في السنة يصومونه جميعاً امتثالاً لأمر الله تعالى .

خامساً : فرض عليهم حج بيته الحرام وساوى بينهم في شعائره .

هذه التشريعات وغيرها من شعائر الإسلام شرعت بهذه الكيفيات لتشعر الأمة الإسلامية بوحدها وجمع كلمتها ، وبذلك يستقيم أمرها ويشتد ساعدها أمام أعدائها .

وقد بين صلى الله عليه وسلم لأمة معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما جاء في كتاب الله تعالى وفي سنته صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : ( وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ) . ( الجن : ١٨ ) .

والإسلام بتعاليمه السمحة ووحدة متكاملة ، عقيدة ، وعبادة ومعاملة ، ولم تفلح الأمة في وقت من أوقاتها إلا حين أخذت بتعاليم هذا الدين كاملة . نسأله تعالى أن يعيد الأمة الإسلامية إلى رشدها لتأخذ تعاليم دينها من كتاب ربها وسنة نبيه الصحيحة الشارحة والموضحة لكتاب الله تعالى الذي شرع للناس ما يصلح لهم في الدنيا والآخرة . والحمد لله رب العالمين .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

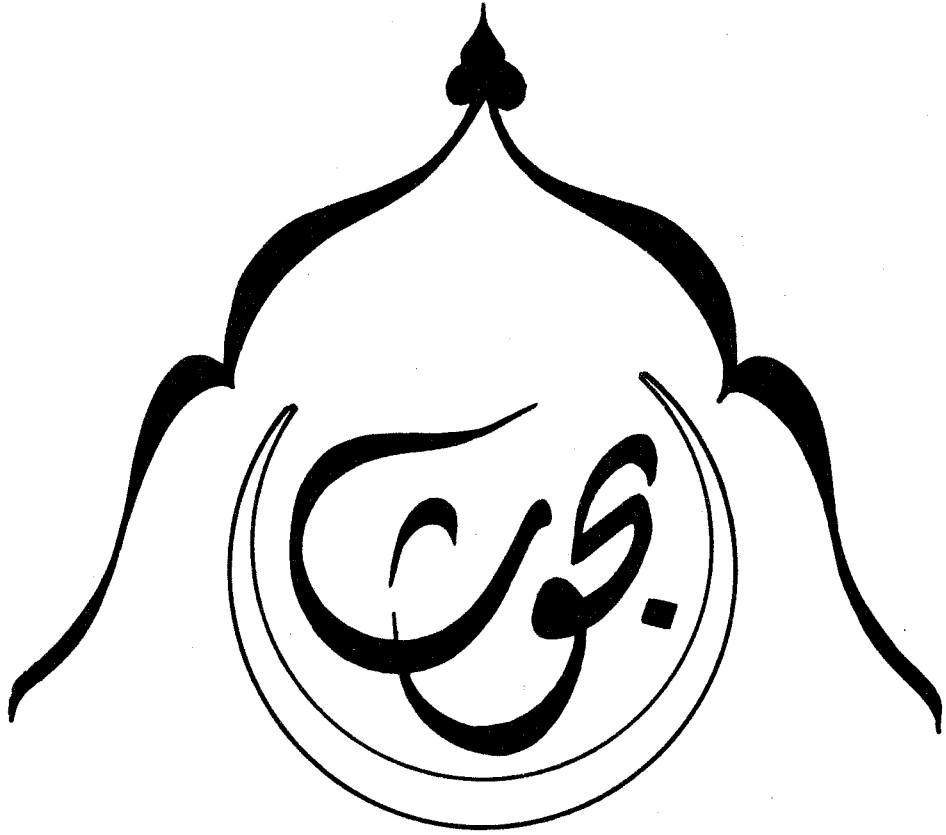
فَتَابَ الْكَرِيمُ

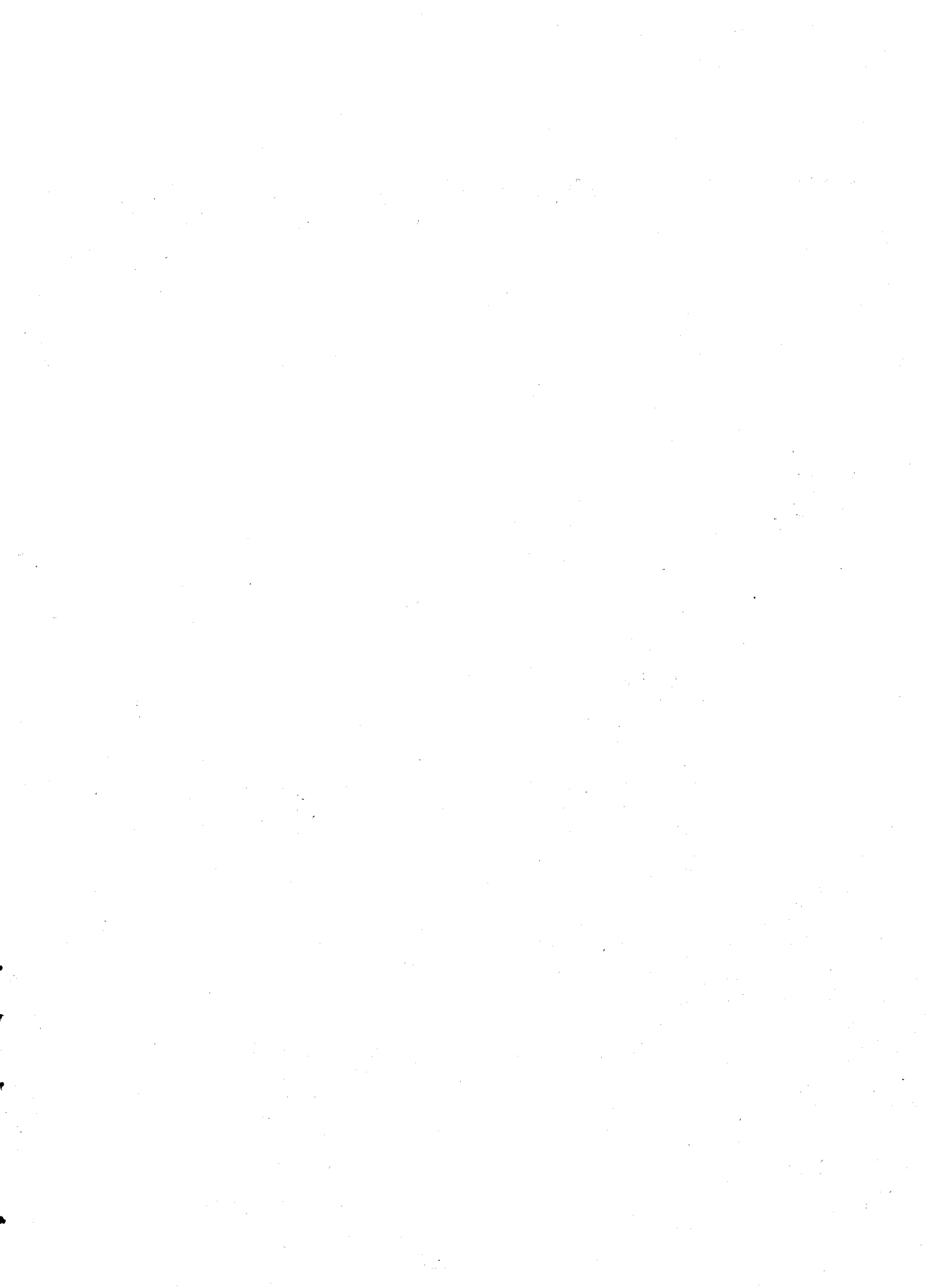
# الْحَبِيبِ وَأَوْلِيَا وَلْتَضْمُوا جَمِيعًا

وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ  
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ  
فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾  
وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا  
وَأَخْلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

مِنْ سُورَةِ الْعَمْرَانَ







التفسير



صوته



# أُصُولُ الْمَفَاسِدِ فِي الْأَرْضِ

لِلشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ الْبُخَارِيِّ  
رئيس قسم التفسير بالجامعة

قال تعالى :

( قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون )

بسم الله والحمد لله . وبعد فإن أصول المفاسد في الأرض الستة المذكورة في هذه الآية الكريمة وهي :

- ١ - الفواحش الظاهرة ، والباطنة .
- ٢ - الإثم .
- ٣ - البغي بغير الحق .
- ٤ - الشرك بالله تعالى .
- ٥ - القول على الله تعالى بدون علم .

إن الفساد في الأرض عامته ناشىء عن هذه المفاسد الستة التي تضمنتها هذه الآية المباركة الكريمة ، ومن هنا كان على المصلحين أن يبتدئوا دعوتهم الإصلاحية بمحاربة هذه المفاسد الستة والقضاء عليها ، فإن هم نجحوا في ذلك فقد نجحوا فيما عداه والله المستعان .

شرح الآية :

بين يدي تفسير هذه الآية ينبغي أن يُعلم أمران الأول أن التشريع بمعنى وضع قوانين يكمل بها الإنسان ويسعد عليها في بدنه وروحه وفي كلتا حياتيه الأولى والآخرة هذا التشريع خاص بالله تبارك وتعالى وحق له دون غيره ؛ لأنه رب الإنسان والعليم بما يضره وما ينفعه . ويدخل ضمن التشريع التحليل والتحريم فليس من حق أحد غير الله تعالى أن يحرم على الإنسان أو يحلل له ؛ إذ هذا من شأن الرب المربي ، ومن مقتضيات التربية الشاملة للروح والجسد .

ومن هنا أنكر الله تعالى على المشركين ما حللوا أو حرموا من الأنعام ركوباً وأكلًا وانتفاعاً والزينة من اللباس وغيرها لبساً وتجملاً . فقال تعالى منكرأ عليهم : قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ وهو الأمر الثاني وقد تضمن سبب نزول هذه الآية فساعد على فهم معناها والحمد لله .

إنه لما انكر تعالى على أهل الجاهلية ما حرموه بدون علم وهو نافع غير ضار أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم ما حرمه تعالى على عباده لما فيه من الضرر والفساد ، فقال : إنما حرم ربي الفواحش الخ ... لا ما حرمتموه أنتم بأهوائكم بدون علم .

وصيغة القصر الدال عليها حرف « إنما » لا تعنى أن الله تعالى لم يحرم غير ما ذكر بعدها وإنما تعنى أن ما حرمه المشركون ليس حراماً وإنما الحرام ما حرمه الله تعالى ، كما أنه بالنظر إلى أن ما حرمه تعالى فى هذه الآية يعتبر أصولاً للمفاسد يدخل تحتها كل فساد وشر كان كأنما المحرم كله محصور فى هذه المحرمات الستة ، فهذا وجه القصر فى الآية .

## شرح الكلمات :

- **حرم** : يقال حرم الشيء يحرمه إذا حضره ومنعه فلم يأذن فيه .
- **الفواحش** : جمع فاحشة وهو الفعل أو الخصلة الذميمة القبيحة التى اشتد فحشها وقبح . وأعظم الفواحش : فاحشة الزنى واللواط . وقريب منها البخل ، وسؤال غير المحتاج للتكثف .
- **ما ظهر منها وما بطن** : أى فهى محرمة سواء ما فعل منها ، سراً ، أو جهراً ، خفية أو علانية .
- **الإثم** : كل ضار فاسد من اعتقاد أو قول أو عمل فمتى وجدت فى الشيء صفة الضر أو الفساد فهو إثم ، وقد يكون الشيء ضاراً غير فاسد كالإسراف فى الأكل والشرب ، وقد يكون فاسداً غير ضار كالتبذير للمال ، وقد يكون ضاراً وفاسداً فى آن واحد كالغيبة والنميمة وكثير من المحرمات كالسرقة والخيانة وخلف الوعد والغش والحسد والرياء والكبر مثلاً .
- **البغي بغير الحق** : الاعتداء على الغير ، وذلك بمجاوزة المرء حقه إلى حق غيره ، أو ما هو له إلى ما هو لغيره من سائر الحقوق والأمتعة والمنافع . وهو بمعنى الظلم ؛ إذ الظلم وضع الشيء فى غير موضعه والبغي منه ، إلا أن الظلم لا يقيد بلفظ ( بغير حق ) كما قيد البغي بها ؛ إذ لا ظلم يكون بحق بخلاف الاعتداء فقد يكون بحق كمن اعتدى على إنسان بأخذ ماله فإن له أن يعتدى عليه بأخذ ما أخذ منه قال تعالى : ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ) .

● وأن تشركوا بالله : أى جعلوا له شركاء من الخلق تعبدونهم معه أو دونه وذلك بدعائهم والذبح والنذر لهم ، وتعظيمهم بالحلف بهم ، والرغبة فيهم والرغبة منهم ، أو بطاعتهم بقبول ما يشرعون لكم من تحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرم .

● ما لم ينزل به سلطاناً : السلطان الحجة والبرهان التى يدعى لها الإنسان ويسلم بالحق من أجلها .

ولا يدل هذا القيد فى تحريم الشرك أن الله تعالى قد يأذن فى الشرك به أو بأمر به فينزل بذلك قرآناً يتلى فيشرك به عندئذ . لا ، لا ، وإنما هذا من باب فرض المحال ، لأن الشرك من أبطل الباطل وأمحل المحال . فكيف ينزل الله تعالى حجة تبيحه ، أو سلطاناً يجيزه به ، وإنما هو من باب التنزل مع الخصم فقط أى لو كان الله تعالى قد أذن فى الشرك لما عبنا عليكم شرككم ولما أنكرناه عليكم . وعلى سبيل المثال نقول : إنه لما أذن الله تعالى فى تقبيل الحجر الأسود بالكعبة قبله الموحدون ولم ينكر عليهم ؛ لأن الله تعالى أذن فيه ، وهذا سر الإتيان بقيد : ما لم ينزل به سلطاناً ، إذ العبادات أغلبها غير معقولة المعنى ، وإنما تفعل بأمر الله تعالى بها وإذنه فيها فإذا كان هناك حجة من كتاب أو سنة على قول أو عمل صح قوله أو عمله وإن تصور بصورة الشرك لوجود الإذن فيه ، وقيام الحجة عليه .

● وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون : القول على الله هو الكذب عليه عز وجل بنسبة شىء إليه هو برىء منه ، فكل من قال : قال الله تعالى كذا ، أو حرم كذا ، أو لله تعالى كذا ، أو صفة الله تعالى كذا ، أو كره الله كذا أو أحب كذا ، والله عز وجل لم يقل ولم يحرم ، ولم يكن له ذلك ولم تكن تلك صفته ، ولم يكره ولم يحب ما نسب إليه كرهه أو محبته ، فقد قال على الله تعالى ما لم يعلم ، وكذب على أمر عز وجل . ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ؟

### معنى الآية الكريمة :

لما ادعى المشركون تحريم بعض ما أحل الله عز وجل لعباده من الزينة ، والطيبات من الرزق أنكر الله تعالى ذلك عليهم . وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم مبيناً ما حرم الله تعالى على عباده من المعتقدات والأفعال والأقوال لضررها وفسادها ، وهى سائر الفواحش وهى كل ما قبح واشتد قبحه من اعتقاد الباطل وقوله وفعله كالكفر ، والكذب ، والزنى ، وكل قبيح فاحش القبح . وسواء فى ذلك ما أعلنه فاعله ، أوستره وأخفاه . والإثم وهو كل ما كان فاسداً ضاراً من اعتقاد أو قول أو عمل فيندرج تحته كل ما حرم الله تعالى

من المعتقدات الباطلة والأقوال السيئة والأعمال الفاسدة . والبغى هو الاعتداء على الناس في أجسامهم أو أعراضهم ، أو أموالهم ، بغير حق يسوغ ذلك الاعتداء ويجوزة .

**والشرك بالله تعالى :** وهو اعتقاد وجود من يكون مثل الله تعالى ، أو يشبهه في ذاته أو صفاته أو أفعاله . كما هو أى الشرك بالله تعالى عبادة غير الله تعالى معه بأن يدعو من يعتقد أنه يجلب له نفعاً أو يدفع عنه شراً ، أو يستغيث به عند الشدة ، أو يستعيز به عند الخوف ، أو يتقرب إليه بذبح ، أو نذر ، أو ركوع أو سجود ، أو يعظمه بحلف ، أو بطاعة في غير طاعة الله تعالى بأن يحل له الحرام فيحله ، أو يحرم عليه الحلال فيحرمه إلى غير ذلك من صرف العبادات له .

**والقول على الله تعالى بدون علم بأن ينسب إلى الله تعالى ما نفاه عن نفسه من الزوجة والولد والشريك ، أو ينسب إلى الله تعالى قولاً لم يقله ، أو عمل لم يعمله أو يصفه بصفة لم يكن تعالى متصفاً بها ، ومن ذلك أن ينسب إليه شرعا لم يشرعه ، أو تحريم شر لم يحرمه ، أو تحريم شيء لم يحرمه ، أو تحليل شيء وهو لم يحلله .**  
وكل هذا يدخل تحت الكذب على الله تعالى ومن أكبر أنواع الظلم حتى إنه لا يوجد أظلم ممن يفترى الكذب على الله . قال تعالى في غير آية : **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ؟ والاستفهام هنا للإنكار والنفي معاً أى ينكر تعالى نافية أن يكون هناك بين الناس من هو أشد ظلماً ممن يكذب على الله عز وجل .**

### هداية الآية :

إن لكل آية من كتاب الله تعالى وإن قصرت هداية خاصة بها تحملها لأهل الإيمان والتقوى وهداية هذه الآية المباركة الكريمة تتلخص فيما يلي :

١ - التحريم والتحليل ووضع الشرائع التى يكمل بها الإنسان ويسعد عليها من حق الله تعالى وليس من حق أى أحد ، والرسول وإن حرم أو حلل فإنما يحرم ويحلل بإذن ربه تعالى .

٢ - بيان أصول المفاسد وأمهاة الذنوب هي الكذب على الله تعالى ، والشرك به عز وجل ، والبغى بغير الحق ، والإثم وعلى رأسه الخمر وسائر المخدرات ، والفواحش وعلى رأسها فاحشتي الزنى واللواط .

والدعوة إلى ترك هذه المفاسد ومقاومتها ، وتطهير المجتمع الإسلامى والإنسانى منها إذ لا فلاح معها ولا فوز فى الدنيا ولا فى الآخرة والعياذ بالله تعالى .



٣ - الدعوة إلى أن تحل محل هذه المفاصد أصول الإصلاح المضادة لها وهي التوحيد بعبادة الله تعالى وحده بحيث لا يبقى أى مظهر من مظاهر الشرك بين الناس فتتحد القلوب وتتحد الأعمال والغايات والأهداف وتسير البشرية إلى كمالها التي خلقت مستعدة له ، وإلى سعادتها التي ما برحت تنشد لها طوال الحياة .

كما هي الاستقامة على طاعة الله ورسوله فعلاً وتركاً ، أداءً للواجبات والسنن واجتناباً للمحرمات والمكروهات . إلى جانب إقامة الحدود ، ورفع علم الجهاد زخراً عالياً ، وغاوية تخرج وأخرى تعود إلى أن يعبد الله وحده دون من سواه ، ويتم تحرير الناس كل الناس من جور السلطان وعسف الطغيان . وعبادة الشيطان . وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله !!

ما فى الآية من أحكام :

لقد تضمنت الآية الكريمة حكماً شريعياً واحداً وهو تحريم الفواحش ، والإثم ، والبغى بغير الحق والشرك بالله تعالى ، والقول على الله بدون علم . وهي أصول المفاصد كلها .

هذا - وإن واجب المسلم كى تتم استقامته على منهاج الله فيكمل ويسعد : أن يتعلم ويُعلم ويدعو إلى ذلك بقوله وعمله وهذا هو جهاد النفس ، الذى هو فرض عين على كل فرد من أفراد أمة الإسلام ، وليس فى استطاعة الفرد المسلم أن يبلغ الكمال إلا عليه ، كما ليس فى إمكان أمة الإسلام أن تنهض من كبوتها ، وتتخلص من محتتها إلا بالالتزام هذا المبدأ : مبدأ جهاد النفس بالعلم والتعلم والدعوة إلى ذلك .

وأنت أيها القارئ الكريم وقد عرفت ضرورة الالتزام بمبدأ العلم والتعليم والدعوة ، فهل يراك ربك تعالى بعد علمك هذا ناهضاً بهذا الواجب قائماً بهذا الجهاد ازاء نفسك ؟ اللهم حقق لى وله ذلك إنك على كل شىء قدير .



عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
« لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ ، وَلَا اللَّعَّانِ  
وَلَا الْفَاحِشِ ، وَلَا الْبَذِيءِ »

« رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ »

الْحَدِيثُ

صَوْنُهُ



# الرِّوَاةُ الَّذِينَ كُنُوا بِأَبِي زُرْعَةَ

للدكتور سعدى الهاشمي  
أستاذ مساعد بالدراسات العليا

المقدمة :

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً ، وبعد :

فقد صنف أئمة الحديث وحفاظه في علوم الحديث المختلفة ، ولم يتركوا فنا من فنونه ، ولا نوعاً من أنواعه ، إلا وأبدعوا في تصنيفهم فيه وأكثروا ، ومن هذه الأنواع ، والفنون التي صنفوا فيها هو معرفة الكنى والأسماء ، وذلك لأهميته .

قال أبو عبد الله الحاكم ( ت ٤٠٥ هـ ) عن تصنيف الحفاظ في الكنى : « وقد صنف المحدثون فيه كتباً كثيرة ، وربما يشذ عنهم الشيء بعد الشيء » (١) .

ونوه بأهميته ابن الصلاح ( ت ٦٤٣ هـ ) فقال : « وهذا فن مطلوب لم يزل أهل العلم بالحديث يعنون به ويتحفظونه ، ويتطرحونه فيما بينهم ، وينتقصون من جهله » (٢) .

وبين الحافظ العراقي ( ت ٨٠٦ هـ ) سبب معرفتهم لهذا الفن وضرب لذلك الأمثال فقال : « من فنون أصحاب الحديث معرفة أسماء ذوى الكنى ومعرفة كنى ذوى الأسماء ، وتنبغى العناية بذلك ، فربما ورد ذكر الراوى مرة بكنيته ، ومرة باسمه ، فيظنها من لا معرفة له بذلك رجلين ، وربما ذكر الراوى باسمه وكنيته معا ، فتوهمه بعضهم رجلين ، كالحديث الذى رواه الحاكم من رواية ابن يوسف ، عن أبي حنيفة ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن عبد الله بن شداد ، عن أبي الوليد ، عن جابر مرفوعاً : من صلى خلف الإمام فإن قراءته له قراءة .

(١) أنظر : معرفة علوم الحديث ص ١٨٣ .

(٢) أنظر : التقييد والايضاح ص ٣٦٨ .

قال الحاكم : عبد الله بن شداد هو بنفسه أبو الوليد بينه على بن المديني ، قال الحاكم : ومن تهاون بمعرفة الأسماء أورثه مثل هذا الوهم» ( \* ) .

ولقد رغبت قبل سنوات أن أجمع الرواة الذين كانوا بـ ( أبي زرعة ) ففتبعت كتب الكنى المطبوعة والمخطوطة ، وكتب الطبقات ، والرجال ، والتواريخ المحلية ، وكتب الجرح والتعديل ، فكان حصيلة ذلك التتبع مجموعة كبيرة من الرواة ، تفوق في عددها أضعاف أضعاف ما ذكره صاحب كل كتاب على حدة ، ومهدت لهذا البحث بفوائد تتعلق به ، منها أنواع الكنى ، وأهم المصنفات في الكنى ، وتمييز بعض المحدثين بين أشهر من تكنى - ( أبي زرعة ، وهما الرازي ، والدمشقي ، مساهمة بسيطة مني ، وخدمة لرجال السنة النبوية وحملة الآثار ، أرجو أن ينال استحسان المشتغلين بالسنة النبوية .

### ( كتب الكسني )

- ١ - الكنى لهشام بن محمد بن السائب بن بشر ( ابن الكلبي ت ٢٠٤ هـ ) ( ١ ) .
- ٢ - كنى الأشرف للهيشم بن عدى ( ت ٢٠٧ هـ ) ( ٢ ) .
- ٣ - الأسماء والكنى - ليحيى بن معين ( ت ٢٣٣ هـ ) ( ٣ ) .

( \* ) انظر : شرح ألفية العراقي ج ٣ ص ١١٦ .

والحديث رواه أبو جعفر الطحاوي في شرح معاني الآثار ج ١ / ٢١٧ من طريق سفیان الثوري ، عن موسى بن أبي عائشة . عن عبد الله بن شداد . عن النبي صلى الله عليه وسلم . ولم يذكر جابر . وكذا من طريق إسرائيل . عن موسى بن أبي عائشة . عن عبد الله بن شداد . عن رجل من أهل البصرة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر غيرهما . وانظر : ص ٢٧٨ منه . ومتن الحديث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كان له إمام . فقرأه الإمام له قراءة . وفي رواية : أن رجلاً قرأ خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الظهر والعصر . وأومأ إليه رجل فنهاه . فلما انصرف قال : أنتهاني أن أقرأ خلف النبي صلى الله عليه وسلم . فتذكرا ذلك . حتى سمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى خلف الإمام . فان قراءة الإمام له قراءة . وفي رواية قال : قرأ رجل خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي رواية : قال صلى الله عليه وسلم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس . فقرأ رجل خلفه . فلما قضى الصلاة قال : أيكم قرأ خلفي . ثلاث مرات . فقال رجل : أنا يا رسول الله . قال : من صلى خلف الإمام فان قراءة الإمام له قراءة .

وانظر : روايات الحديث . وأقوال الأئمة عن الحديث . وطرقه في : مسند الإمام أبي خنيفة للحصكفي ص ٥٧ - ٥٨ . ونصب الراية ج ٢ / ٧ - ١٠ . الدراية ج ١ / ١٦٣ - ١٦٤ . كتاب القراءة خلف الإمام للبيهقي ط إدارة أحياء السنة من ص ١٢٤ - ١٣٢ . غيث الغمام لعبد الحي اللكنوي ط إدارة أحياء السنة ص ١٨٧ - ١٩١ . عقود الجواهر المنيفة للزيدي ج ١ / ٧٢ - ٧٣ .

( ١ ) انظر : سير أعلام النبلاء ج ١ / ١١١ .

( ٢ ) انظر : وفيات الأعيان ج ٦ / ١٠٧ .

( ٣ ) انظر : فتح المغيبي ج ٣ / ٢٠٠ .

- ٤ - الكنى - لعلي بن المديني ( ت ٢٣٤ هـ ) ( ١ ) .
- ٥ - الأسماء والكنى - لأبي بكر بن أبي شيبة ( ت ٢٣٥ هـ ) ( ٢ ) .
- ٦ - الأسماء والكنى - لشباب العصفري خليفة بن خياط ( ت ٢٤٠ هـ ) ( ٣ ) .
- ٧ - الأسماء والكنى - لأحمد بن حنبل ( ت ٢٤١ هـ ) ( ٤ ) .
- ٨ - الكنى - لمحمد بن إسماعيل البخارى ( ت ٢٥٦ هـ ) ( ٥ ) ، وهو جزء من التاريخ الكبير ، ومعظمه فيمن عرف بكنيته ، ولم يعرف اسمه ، وقد رتب الكنى على حروف المعجم ( ٦ ) .
- ٩ - الكنى والأسماء - لمسلم بن الحجاج النيسابوري ( ت ٢٦١ هـ ) ( ٧ ) ، ومعظمه فيمن عرف كنيته واسمه ، ويرى أبو أحمد الكرايىسي ( ت ٣٧٨ هـ ) أنه منقول من كتاب الكنى للبخارى ( ٨ ) .
- ١٠ - الكنى - لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ( ت ٢٧٥ هـ ) ( ٩ ) .
- ١١ - الأسماء والكنى - لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي ( ت ٢٧٩ هـ ) ( ١٠ ) .
- ١٢ - أسماء المحدثين وكناهم - لأبي عبد الله محمد بن أحمد المقدمي ( ت ٣٠١ هـ ) ( ١١ ) .
- ١٣ - الكنى - لجعفر بن محمد بن الحسن الفريابي ( ت ٣٠١ هـ ) ( ١٢ ) .
- ١٤ - الكنى - لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ( ت ٣٠٣ هـ ) ( ١٣ ) .
- 
- ( ١ ) انظر : فتح المغيث ج ٣ / ٣٠٠ ، التقييد والايضاح ص ٣٦٨ ، الرسالة المستطرفة ص ١٣١ .
- ( ٢ ) انظر : فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٠ .
- ( ٣ ) انظر : فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٠ .
- ( ٤ ) انظر : برنامج ابن جابر الوادي أشي ص ٢٥٦ ، حيث رواه بسنده الى الإمام أحمد ، وانظر : الرسالة المستطرفة ص ١٣٠ .
- ( ٥ ) طبع في حيدرآباد الدكن عام ١٣٦٠ هـ .
- ( ٦ ) انظر : بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ١٢٦ .
- ( ٧ ) حققه الشيخ عبد الرحيم القشقرى لنيل درجة الماجستير في الجامعة الاسلامية ، وهو تحت الطبع .
- ( ٨ ) انظر : تهذيب التهذيب ج ٥ / ٣٥٨ .
- ( ٩ ) انظر : موارد ابن حجر - الرسالة التي قدمها الدكتور شاكر محمود عبد المنعم لجامعة بغداد لنيل شهادة الدكتوراه ج ٣ / ٦٧٢ .
- ( ١٠ ) انظر : تهذيب التهذيب ج ٩ / ٣٨٩ .
- ( ١١ ) مخطوط في المتحف البريطاني ثاني ( ٧٧ ) ، انظر : تاريخ التراث العربي ج ١ / ٤٩٩ .
- ( ١٢ ) انظر : موارد ابن حجر ج ٤ / ٦٧٢ .
- ( ١٣ ) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٦٨ ، فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٠ ، فهرست ابن خير ص ٢١٤ ، وذكره باسم الأسماء والكنى تبويب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مفرج القاضي .

- ١٥ - الكنى - لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي الحافظ  
( ت ٣١٧ هـ ) ( ١ ) .
- ١٦ - الأسامي والكنى - لأبي عروبة الحسين بن محمد الحراني ( ت ٣١٨ هـ ) ( ٢ ) .
- ١٧ - الأسماء والكنى - لأبي محمد بن عبد الله بن علي بن الجارود ( ت ٣٢٠ هـ )  
في ستة عشر جزءاً ( ٣ ) .
- ١٨ - الكنى والأسماء - لأبي بشر الدولابي محمد بن أحمد بن حماد الرازي  
( ت ٣١٠ هـ ، وقيل : ٣٢٠ هـ ) ( ٤ ) . وقد رتبته على حروف المعجم ، وفصل الصحابة عن  
التابعين ( ٥ ) .
- ١٩ - الكنى - لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الرازي  
( ت ٣٢٧ هـ ) ( ٦ ) .
- ٢٠ - الكنى - للحافظ أبي علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي  
( ت ٣٥٣ هـ ) ( ٧ ) .
- ٢١ - أسامي من يعرف بالكنى - لأبي حاتم محمد بن حيان البستي ( ت ٣٥٤ هـ )  
ويقع في ثلاثة أجزاء ( ٨ ) .
- ٢٢ - كنى من يعرف بالأسماء - قال ابن الصلاح في معرفة كنى المعروفين بالأسماء  
دون الكنى : وبلغنا أن لأبي حيان البستي فيه كتابا ( ٩ ) .
- ٢٣ - الكنى - لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني  
( ت ٣٦٠ هـ ) ( ١٠ ) .

- 
- ( ١ ) انظر : موارد ابن حجر ج ٢ / ٦٧٣ .  
( ٢ ) انظر : بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ١٢٧ .  
( ٣ ) انظر : فهرست ابن خير ص ٢١٣ . وفتح المغيث ج ٣٠٠/٣ .  
( ٤ ) طبع في حيدر اباد الدكن - الهند عام ١٣٢٢ هـ في مجلدين .  
( ٥ ) انظر : بحوث في تاريخ السنة ص ١٢٧ .  
( ٦ ) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٦٩ - ٣٧٠ . فتح المغيث ج ٤٠٠/٣ . الرسالة المستطرفة ص ١٣١ . وطبع ضمن كتابه الجرح والتعديل  
في حيدر اباد الدكن عام ١٣٧٣ هـ .  
( ٧ ) انظر : موارد ابن حجر ج ٢ / ٦٧٣ .  
( ٨ ) انظر : الرسالة المستطرفة ص ١٣١ .  
( ٩ ) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٧٤ . وهو مخطوط كما ذكر الدكتور أكرم العمري في بحوث في تاريخ السنة ص ١٢٧ .  
( ١٠ ) انظر : موارد ابن حجر ج ٢ / ٦٧٣ .



٢٤ - من وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة - لأبي الحسن محمد بن عبد الله زكريا بن حيوة ( ت ٣٦٦ هـ ) ، ويقع في ١٩ ورقة ، ويذكر كنية الصحابي ، ويعرف باسمه ، ثم يخرج من طريقه حديثا باسناده اليه ، ثم يذكر كنية زوجته ، ويعرف باسمها ، ويخرج من طريقها حديثا ، وربما اكتفى بالتعريف باسمها دون تخريج حديث عنها (١) .

٢٥ - الكنى - لأبي أحمد محمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الكرايسي ( ت ٣٧٨ هـ ) (٢) .

قال عنه الحافظ العراقي ، وكتاب أبي أحمد أجل تصانيف هذا النوع ، فانه يذكر فيه من عرف اسمه ولم يعرف ، وكتاب مسلم ، والنسائي لم يذكر فيه الا من عرف اسمه (٣) .

وقال حاجي خليفة (٤) ، انه من أحسنها ترتيبا - أي كتب الكنى - ويقع كتابه في أربعة عشر سفرا (٥) ، حرر فيه وأجاد وزاد على غيره وأفاد ، ولم يرتبه على المعجم ، فرتبه .

٢٦ - الحافظ الذهبي ( ت ٧٤٨ هـ ) واختصره ، وزاد عليه - جزءا في كنى النساء - وسماه المقتني في سرد الكنى (٦) .

٢٧ - الأسماء والكنى - لأبي عبد الله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة الأصبهاني ( ت ٣٩٦ هـ ) (٧) .

٢٨ - الكنى والألقاب - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ( ت ٤٠٤ هـ ) (٨) .

(١) انظر ، بحوث في تاريخ السنة ص ١٢٨ ، وذكر أن محمد حسني آل ياسين نشرها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مجلد ٤٧ الجزء الرابع سنة ١٩٧٢ م .

(٢) انظر ، التقييد والايضاح ص ٣٦٨ ، فتح المغيث ج ٢٠٠٣ ، الرسالة المستطرفة ص ١٣١ ، موارد ابن حجر ج ٦٧٣/٢ .

(٣) انظر ، تدريب الراوي ج ٢٧٩/٢ .

(٤) انظر ، كشف الظنون ج ٨٧٨ .

(٥) يوجد منه مجلد في مكتبة الجامع الأزهر ، يشتمل على عدة أجزاء تبتدىء من أثناء الجزء الثاني ، وتنتهي بأول الجزء الثامن عشر ، وتقي في ٣١١ ورقة ، وتوجد نسخة مصورة منه - في مكتبتني - كما يوجد منه الجزء الثاني يقع في ٤٢ ورقة في المكتبة الظاهرية ، وقد سجل كتاب الكنى الشيخ يوسف الدخيل لنيل رسالة الدكتوراه في الجامعة الاسلامية ، وفقه الله وأعانه على اخراجه .

(٦) انظر ، الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام ص ٢٥٤ ، وقد حققه الشيخ صالح المراد لنيل رسالة الماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود .

(٧) انظر ، موارد ابن حجر ج ٦٧٣/٢ ، الرسالة المستطرفة ص ١٣١ .

(٨) انظر ، المصدرين السابقين .

٢٩ - الألقاب والكنى - لأبي بكر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الفارسي الشيرازي (ت ٤١١ هـ) ، وهو في مجلد مفيد ، كثير النفع ، بل هو أجل كتاب ألف في هذا الباب قبل ظهور تأليف ابن حجر ، واختصره - أي كتاب الشيرازي - أبو الفضل بن طاهر (١) .

٣٠ - الكنى - لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) (٢) .

٣١ - من وافقت كنيته اسم أبيه مما لا يؤمن وقوع الخطأ فيه - لأبي بكر أحمد ابن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) وهو في ثلاثة أجزاء (٣) .

٣٢ - الاستغناء في أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى - لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) (٤) ، وهو كتاب ضخمة (٥) ، وله أيضا .

٣٣ - من عرف من الصحابة بالكنية ، ولم يوقف له على اسم أو اختلف فيه (٦) .

٣٤ - أسماء المعروفين بالكنية من التابعين ، ومن بعدهم (٧) .

٣٥ - من لم يوقف له منهم على اسم ولا عرف بغير كنية (٨) .

٣٦ - فتح الباب في الكنى والألقاب - لأبي القاسم عبد الرحمن بن مندة (ت ٤٧٠ هـ) (٩) .

٣٧ - الكنى - لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (١٠) .

٣٨ - الأسماء والكنى - لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفي الحنبلي (ت ٦٤١ هـ) (١١) .

(١) انظر ، تذكرة الحفاظ ١٠٦٦/٣ ، الرسالة المستطرفة ص ١٣١ .

(٢) انظر ، موارد ابن حجر ج ٦٧٣/٢ .

(٣) انظر ، موارد الخطيب في تاريخ بغداد ص ٧٣ ، تدريب الراوي ج ٣٨٩/٢ .

(٤) انظر ، فهرست ابن خير ص ٢١٤ ، التقييد والايضاح ص ٣٦٨ ، الرسالة المستطرفة ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٥) انظر ، موارد ابن حجر ج ٦٧٣/٢ ، الرسالة المستطرفة ص ١٣٢ .

(٦) (٨٠٧٠٦) ذكر هذه الكتب الثلاثة الدكتور أكرم العمري في بحوث في تاريخ السنة ص ١٢٩ ، وذكر أنها توجد مخطوطة في مكتبة

جامعة القرويين بفاس ، وهو من النوادر ألفها بعد الاستيعاب لأنه يحيل عليه ، وهي تحت رقم ٢٨٧ (ق ١٤٣) .

(٩) انظر ، الرسالة المستطرفة ص ١٣١ ، وهو مخطوط في برلين رقم ٩٩١٧ ، وقد اطلعت عليه في عام ١٤٠١ هـ ، وقد نشر قسم منه

(S. Dederling) أويالا عام ١٩٢٧ م .

(١٠) انظر ، موارد ابن حجر ج ٦٧٣/٢ ، وموضوعه توافق كنية الراوي لكنية زوجته . انظر ، تدريب الراوي ج ٣٩٠/٢ .

(١١) انظر ، فتح المغيث ج ٢٠٠/٣ .

- ٣٩ - المرتجل في الكنى - للحافظ الذهبي ( ت ٧٤١ هـ ) ( ١ ) ، وله أيضا :
- ٤٠ - ذكر من اشتهر بكنيته من الأعيان ( ٢ ) .
- ٤١ - الأسماء والكنى - لأبي عبد الله بن مخلد ( ٣ ) .
- ٤٢ - تجريد الأسماء والكنى - لأبي القاسم بن الفراء ( ٤ ) .
- ٤٣ - الكنى - لثابت بن الحسن بن علي اللخمي بن الصيرفي ( ٥ ) .
- ٤٤ - الكنى - لإبراهيم بن عبد الله الخزاعي ( ٦ ) .
- ٤٥ - الكنى - لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ( ت ٩٠٢ هـ ) ( ٧ ) .
- ٤٦ - كتاب أسماء المكين من رجال الصحيحين لمحمد بن هارون المغربي ( ٨ ) .

## أنواع الكنى

- ١ - أن يكون الاسم هو الكنية ، ولا كنية له غيره :
- مثاله : أبو بلال الأشعري ، من ولد أبي موسى الأشعري ، وهو أبو بلال بن محمد ابن الحارث بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، روى عن شريك ، وغيره .  
وعنه أبو حاتم الرازي ، وخلق ، قال لأبي حاتم : ليس لي اسم ، اسمي وكنيتي واحد ( ٩ ) .
- ٢ - أن يكون الاسم هو الكنية ، وله كنية أخرى :
- مثاله : ( ع ) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، المدني . قيل : اسمه محمد ، وقيل : المغيرة ، وقيل : أبو بكر اسمه ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، وقيل : اسمه كنيته ، ثقة ، فقيه ، عابد ، من الثالثة ، توفي سنة أربع وتسعين ومائة ( ١٠ ) .

- ( ١ ) انظر ، الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الاسلام ص ١٨٢ .
- ( ٢ ) انظر : المصدر السابق ص ١٦٨ .
- ( ٣ ) انظر : فتح المغيث ج ٢٠٠٣ .
- ( ٤ ) نسخة مخطوطة منه في المكتبة الأزهرية رقم خاص ( ١٣٤ ) عام ( ٩٠٧ ) .
- ( ٥ ) انظر : فتح المغيث ج ٢٠٠٣ .
- ( ٦ ) انظر : موارد ابن حجر ج ١٧٣/٢ .
- ( ٧ ) قال السخاوي في فتح المغيث ج ٢٠١٣ : ولي فيها أيضا - أي الكنى - تصنيف لم أبيضه الى الآن .
- ( ٨ ) توجد نسخة منه مصورة في المكتبة المركزية بالجامعة .
- ( ٩ ) انظر : الجرح والتعديل ج ٤ / ق ٣٥٠/٢ ، التقييد والايضاح ص ٣٦٨ - ٣٦٩ ، فتح المغيث ج ٢ / ٣٠١ .
- ( ١٠ ) انظر : تقريب التهذيب ج ٣٩٨/٢ ، التقييد والايضاح ص ٣٦٨ ، الجرح والتعديل ج ٤ / ق ٣٣٦/٢ .

٢ - أن تكون له كنية معروفة بين الناس ولا يدرون أي اسم له سواها :  
مثاله : أبو أناس - بضم الهمزة وتخفيف النون - ابن زنيم الكنايني ، ويقال :  
الدلي (١) .

٤ - أن تتعد الكنى ، اثنان أو أكثر :

مثاله : ( ع ) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح الأموي مولاهم المكي ، يكنى  
بـ أبي الوليد ، أبي خالد ، ثقة ، فقيه ، فاضل ، وكان يدلس ، ويرسل ، من السادسة ، توفي  
١٥٠ هـ (٢) .

٥ - أن تكون الكنية بحسب الظاهر لقبا في الحقيقة ، وأن تكون له كنية أخرى  
واسم :

مثاله : ( ع ) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي ،  
ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج ابنته ، استشهد في رمضان سنة أربعين ، يلقب  
أبا تراب ، وهو في الظاهر كنية ، وكنيته أبو الحسن (٣) .

٦ - من اختلف العلماء في كنيته بعد اتفاقهم على اسمه :

مثاله : ( ع ) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحبيل ، الكلبي الصحابي المشهور ،  
اختلفوا في كنيته ، قيل : أبو زيد ، وقيل : أبو محمد ، وقيل : أبو عبد الله ، وقيل : أبو  
خارجة . توفي سنة أربع وخمسين (٤) .

٧ - أن تكون له كنية متفق عليها بين العلماء ، ولكنهم اختلفوا في اسمه :

مثاله : ( ع ) أبو هريرة الدوس ، الصحابي ، الجليل ، حافظ الصحابة اختلف في  
اسمه ، واسم أبيه على نحو ثلاثين أو أربعين وجها ، توفي سنة تسع وخمسين (٥) .

(١) انظر : الاصابة ج ١٧/٤ ، والتقييد والايضاح ص ٣٦٩ .

(٢) انظر : تهذيب التهذيب ج ٤٠٢/٦ ، تقريب التهذيب ج ٥٢٠/٢ ، التقييد والايضاح ص ٣٧١ .

(٣) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٧١ ، فتح المغيث ج ٢٠٢/٢ ، تقريب التهذيب ج ٣٩/٢ ، الاصابة ج .

(٤) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٧١ ، فتح المغيث ج ٣٠٤/٢ ، تقريب التهذيب ج ٥٢٨ ، الاصابة ج ٣٧١ .

(٥) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٧٢ ، فتح المغيث ج ١٠٣/٢ ، تقريب التهذيب ج ٤٨٤/٢ ، الاصابة ج ٢١١٢٠٢/٤ .

٨ - أن تكون كنيته واسمه جميعا موضع خلاف :

مثاله : ( م ع ) سفينة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان هذا لقب لقبه به النبي ، وقد اختلفوا في اسمه ، فقليل : أبو عبد الرحمن ، وقيل : أبو البخري ، وقيل : غير ذلك (١) .

٩ - أن تكون له كنية معروفة واسم معروف ، واشتهر بهما جميعا ، ولم يختلفوا في واحد منهما :

مثاله : ( ع ) عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب التيمي ، أبو بكر بن قحافة ، الصديق الأكبر ، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة (٢) .

١٠ - أن يكون له اسم وكنية معروفان ، ولا خلاف في أحدهما ، ولكن شهرته بالكنية دون الاسم :

مثاله : ( ع ) أبو ادريس ، عائذ الله - بتحتانية ومعجمة - ابن عبد الله الخولاني ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، وسمع كبار الصحابة ، توفي سنة ثمانين (٣) .

١١ - أن تكون له كنية معروفة ، واسم معروف ، ولا خلاف في أحدهما ، ولكن شهرته بالاسم دون الكنية :

مثاله : ( ع ) أبو عبد الله ، عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث القرشي ، الزهري ، أحد العشرة ، أسلم قديما ، ومناقبه شهيرة ، توفي سنة اثنتين وثلاثين (٤) .

١٢ - أن تكون للراوى كنية معروفة ، واسم معروف ، وكنيته موافقة لاسمه :

مثاله : أبو القاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن الطيلسان الأوسي ، حافظ الأندلس ، واسمه القاسم (٥) .

(١) انظر : التقييد والايضاح ص ٣٧٢ . فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٥ . تقريب التهذيب ج ٣١٢٨ . الاصابة ج ٥٨٢ .

(٢) انظر : فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٥ . تقريب التهذيب ج ٤٣٢٨ . الاصابة ج ٣٤٤٣٤١٢ .

(٣) انظر : تقريب التهذيب ج ٣٩٠٨ . شرح ألفية العراقي ج ١٢٣٨ . فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٥ . التقييد والايضاح ص ٣٧٢ .

(٤) انظر : تقريب التهذيب ج ٤٩٤٨ . شرح ألفية العراقي ج ١٢٣٨ . فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٥ . الاصابة ج ٤١٧٤١٦٢ .

(٥) انظر : تدريب الراوى ج ٢ / ٣٩٣ . منهج ذوى النظر ص ٢٥١ .

١٣ - أن تكون للراوى كنية ، واسم ، معروفان ، وتكون كنيته موافقة لاسم أبيه :  
مثاله : ( بخ م ع ) أبو مسلم ، الأغر بن مسلم المدني ، نزيل الكوفة ، ثقة ، من  
الثالثة (١) .

١٤ - أن يكون للراوى اسم معروف ، ولأبيه كنية ، واسمه يوافق كنية أبيه :  
مثاله : ( خ م ت س ) سنان بن أبي سنان يزيد بن أبي أمية ، ويقال : ربيعة  
الديلي ، المدني ، ثقة ، من الثالثة ، توفي سنة خمس ومائة (٢) .

١٥ - أن تكون للراوى كنية ، ولزوجته كنية ، وتوافق كنيته كنية زوجته :  
مثاله : ( ع ) أبو ذر الغفاري ، الصحابي المشهور ، اسمه جندب بن جنادة على  
الأصح ، تقدم اسلامه ، وتأخرت هجرته ، فلم يشهد بدرأ ، ومناقبه كثيرة جدا ، توفي سنة  
اثنتين وثلاثين (٣) .

وزوجته ( أم ذر ) أسلمت مع أبي ذر في أول الإسلام (٤) .

سبب تكنى عبيد الله بن عبد الكريم الرازي بكنية أبي زرعة :

لقد غطت كنية أبي زرعة لعبيد الله بن عبد الكريم الرازي ( ت ٢٦٤ هـ ) على  
غيره ، فاذا ذكرت مجردة من غير نسبة ، فالمقصود بها هو .

ولقد حصل أبو زرعة كنيته ، عن طريق الرازيين الذين زاروا دمشق ، والتقوا بأبي  
زرعة الدمشقي ، فكنوه بنفس الكنية تيمنا ، ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق ، حيث  
روى بإسناده إلى أبي زرعة الدمشقي أنه قال : « وبكيتي كني أبا زرعة الرازي ، وذلك أن  
جماعة من أهل الرى قدموا علينا بدمشق قديماً منهم أبو يحيى مزحويه ، فلما انصرفوا إلى  
الرى فيما أخبرني غير واحد ، منهم أبو حاتم ، رأوا هذا الفتى قد كانوا يعنون أبا زرعة

(١) انظر : تقريب التهذيب ج ٨٢٨ ، تهذيب التهذيب ج ٣٦٥٨ ، فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٥ ، منهج ذوى النظر ص ٢٥٢ .  
(٢) انظر : تقريب التهذيب ج ٣٣٤٨ ، تهذيب التهذيب ج ٢٤٢٤ ، تدريب الراوى ج ٢ / ٣٩٠ ، منهج ذوى النظر ص ٢٥٢ .  
(٣) انظر : تقريب التهذيب ج ٤٢٠٣ ، فتح المغيث ج ٣ / ٢٠٥ ، الاصابة ج ٦٤٦٢/٤ .  
(٤) انظر ، الاصابة ج ٤٤٨/٤ .

الرازي فقالوا له : نكنيك بكنية أبي زرعة الدمشقي ، ثم لقبني أبو زرعة الرازي فجالسني بدمشق ، وكان يذكر لي هذا الحديث ، وقال لي : تكتيت بكنيتك « (١) .

### تمييز الأئمة والحفاظ بين أبي زرعة الرازي ، والدمشقي :

اشترك أبو زرعة الرازي مع أبي زرعة الدمشقي في الكنية والرواية عن بعض الشيوخ ، وهما من الأقران ، لهذه الأسباب احتاط أئمة الحديث والمصنفون فميزوا بينهما ، وضبطوا أسماء الشيوخ لكل منهما ، وذلك تجنباً لوقوع اللبس والوهم .

فقد تنبه عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ( ت ٣٢٧ هـ ) لهذا الأمر فميز في كتابه الجرح والتعديل بين أبي زرعة الرازي ، والدمشقي .

فهو لا يصرح بنسبة أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم قريب أبيه الذي لا تكاد تخلو صفحة من صفحات كتابه - الجرح والتعديل - من ذكره - وكذا بقية كتبه - لأنه لا لبس في أمره .

أما إذا لم يؤمن اللبس فينسبه ، فمثلاً في ترجمة عبد الحميد بن بكار الدمشقي ، حينما ذكر الرواة عنه ، ذكر أبا زرعة الرازي بنسبته (٢) ، وكذلك إذا روى عن أبي زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي أو يذكره ضمن شيوخ أو تلاميذ أحد الرواة (٣) .

وكذلك إذا اشترك أبو زرعة الرازي ، والدمشقي في الرواية عن أحد من الشيوخ ، فمثلاً صرح ابن أبي حاتم في ترجمة أبيه ، حيث ذكر طائفة من الرواة عنه ، وذكر منهم أبا زرعة الرازي ، والدمشقي (٤) .

ولقد تنبه لذلك أيضاً الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان ( ت ٣٥٤ هـ ) فإذا ذكر أبا زرعة عبيد الله بن عبد الكريم ، أو إذا روى عنه رأياً أو قولاً ، فإنه ينسبه بالرازي كي يميزه عن أبي زرعة الدمشقي (٥) .

(١) انظر : تاريخ دمشق ٢٥٠٧ ب النسخة المصورة المحفوظة في مكتبة الأوقاف ببغداد ، ترجمة أبي زرعة الرازي ، وكذا سير أعلام النبلاء في ترجمته أيضاً ، نسخة معهد المخطوطات بالقاهرة ، مصورة عن نسخة أحمد الثالث .

(٢) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ ق ٩٨ .

(٣) انظر مثلاً : المواضع التالية : ج ٨ ق ٤٩٨ ، ج ٣ ق ٢٣٦٨ ، ج ٢ ق ٢٧٣٨ ، ج ٢ ق ٤٠٥٢ ، ج ٣ ق ٢٩٨ ، ج ٣ ق ١٩٢ ، ج ٣ ق ٢٠٩٢ ، ج ٣ ق ٢١٢٢ ، ج ٤ ق ٢٥٨ ، ج ٤ ق ١٠٤٨ ، ج ٤ ق ١٩٢ ، ج ٤ ق ١٥٨٢ ، ج ٤ ق ٤٦١٢ .

(٤) انظر : الجرح والتعديل ج ٣ ق ٢٠٤٢ .

(٥) انظر : المجروحين ج ٣٨١ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٥٤ ، ج ٢٣٦٢ ، ج ٢٦٢ .

هذا في معظم المواضع من كتابه - المجروحين - لأنه ينقل أقوال أئمة الجرح والتعديل في الرواة .

وإذا أمن اللبس فيذكره من غير أن ينسبه ، فقد ذكره في حادثة لقاء أبي زرعة الرازي ، ومحمد بن مسلم بن وارة ، وهو رازي أيضاً ، مشهور مع الإمام أحمد بن حنبل ، وتحذيرهما له من الرواية عن محمد بن حميد الرازي (١) .

إلا أنه ذكر في موضع واحد في ترجمة معلى بن هلال الطحان (٢) من طريق أبي نعيم - الفضل بن دكين ( ت ٢١٩ هـ ) - وقد روى عنه كل من أبي زرعة الرازي ، والدمشقي ، وهو يريد في الغالب فيه أبا زرعة الدمشقي ، فقد ذكر ابن حجر هذا الخبر وصرح بنسبته أبي زرعة راوي الخبر عن ابن عيينة .

وروى ابن حبان في موضع آخر قولاً عن أبي مسهر - عبد الأعلى بن مسهر الدمشقي ( ت ٢١٨ هـ ) ، وهو شيخ لأبي زرعة الدمشقي (٣) ، ولقد أخطأ محقق كتاب المجروحين ، حيث كتب في الحاشية ترجمة لأبي زرعة الرازي ظناً منه أن هذا هو الرازي ، وهو في الحقيقة الدمشقي .

### أسماء الرواة الذين كانوا ب أبي زرعة :

( ١ ) أبو زرعة : أحمد بن بندار بن محمد بن عبد الله بن مهران العبسي القاضي (٤) ( ت ٣٨٢ هـ ) .

روى عن حفص بن عمر ، الملقب نزيلة الحافظ بأردبيل (٥) .  
روى عن أحمد بن محمد بن موسى الفارسي (٦) ( كنيته أبو زرعة ) ، ( ت بعد ٣٤٠ هـ ) .

(١) انظر : المجروحين ج ٣/٣٠٤-٣٠٣ .

(٢) انظر : المجروحين ج ١٧٣ .

(٣) انظر : الجرح والتعديل ج ٣/٢٩٨ . تهذيب التهذيب ج ١٠١-٩٨٦ .

(٤) انظر : تاريخ جرجان ، تذكرة الحفاظ ١٠١٣ . تبصير المنتبه بتحريр المشتبه ٩٨٧٣ .

(٥) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٩٩ . وأردبيل - بالفتح ثم السكون ، فتح وفتح الدال ، وكسر الباء ، وياء ساكنة ، ولام - من أشهر مدن أذربيجان .

انظر : معجم البلدان ، مادة أردبيل ، وتقع الآن في الاتحاد السوفيتي .

(٦) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٩٧ .



واسحق بن ابراهيم بن بوكود الاستراباذي أبو القاسم ، يعرف بأخي محمد  
كالبيريات (١) .

الفضل بن نعيم الاستراباذي أبو العباس يعرف بفضلان (٢) .

( ٢ ) أبو زرعة : أحمد بن حميد الصيدلاني الجرجاني ، مات بمكة .

قال عنه حمزة السهمي : كان حافظا ، يعرف علل الحديث (٣) .

روى عن محمد بن عبد الأعلى ، ويحيى بن سعيد القطان ، وعمرو بن علي ، روى

عنه موسى بن هارون الحمال ، والحسن بن أحمد الصنعاني .

قال أبو عمران بن هانيء : كان أبو زرعة الجرجاني أحفظ من أبي زرعة الرازي ،

قد صحب يحيى بن سعيد القطان ، وسلم يحيى بن سعيد ابنه اليه ليفيده الحديث (٤) .

قال إبراهيم بن محمد بن عيسى : كان موسى بن هارون يأخذ علل الحديث ، عن

أبي زرعة الجرجاني ، ويدخلها في كتابه (٥) .

( ٣ ) أبو زرعة : محمد بن الحسن بن حمدان المذكر الاستراباذي (٦) .

روى عن محمد بن يزداد بن سالم الاستراباذي ، وهميم بن همام .

( ٤ ) أبو زرعة : أحمد بن محمد بن هارون الاستراباذي ، ابن أخي هارون بن

أحمد .

انتقل إلى مكة ، وتأهل بها ، ثم خرج من مكة على طريق البصرة قبل الثمانين

وثلاثمائة (٧) .

روى عن أبي نعيم ، وجعفر بن شريك (٨) .

( ٥ ) أبو زرعة : أحمد بن محمد بن موسى الفارسي القاضي ، مات باستراباذ بعد

الأربعين وثلاثمائة (٩) .

(١) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٠٤ .

(٢) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٢٦ .

(٣) انظر : تاريخ جرجان ص ٢٤ ، تذكرة الحفاظ ٤٢٤/٢ .

(٤) انظر : تاريخ جرجان ص ٢٤ .

(٥) انظر : تاريخ جرجان ص ٢٥ .

(٦) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٢٧ .

(٧) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٩٨ .

(٨) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٩٨ .

(٩) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٩٧ .

روى عن عمران بن موسى السخيتاني ، ومعروف بن محمد بن زياد ، ومحمد بن حشمر الجرجانيين ، وغيرهم .

روى عنه أبو زرعة أحمد بن بندار العيشي (١) .

وعنه أبو نعيم عبد الملك بن أحمد بن نعيم بن عبد الملك الاسترابادي (٢) .

(٦) أبو زرعة الرازي الصغير: أحمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم بن الحكم بن عبد الله (ت ٣٧٥ هـ) (٣) .

روى عن أبي القاسم عبد الله بن محمد بن خربان الخرباني البغدادي (٤) .

سمع محمد بن إبراهيم بن مورد ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، وعلي بن إبراهيم القطان القزويني ، وعبد الله بن محمد الحارثي «شيخ البخاري» ، وبكر بن عبد الله المحتسب البخاري ، والحسين بن اسماعيل المحاملي ، ومحمد بن مخلد الدوري .

ومن شيوخه محمد بن أحمد بن عيسى ، أبو حرب البلخي الحافظ وسمع من أبي حامد بن بلال ، وعلي بن أحمد الفارسي ، نزيل بلخ ، وأبي عباس الأصم ، وأبي الفوارس السندي المصري ، وأبي الحسين محمد بن عبد الله الرازي والد تمام .

وحامد بن حماد بن المبارك بنصيبين (٥) .

روى عنه أبو زرعة أحمد بن الحسين الرازي (٦) .

وعنه تمام الرازي ، والحسين بن محمد الفلاكي ، وعبد الغني بن سعيد الأزدي ، وحمزة بن يوسف السهمي ، وأبو الفضل محمد بن أحمد الجارودي ، وأبو العلاء محمد بن علي الواسطي ، وعلي بن المحسن التنوخي ، وأبو الطيب أحمد بن علي الجعفري (٧) .

قال الخطيب: حدث ببغداد ، ثنا عنه القاضيان أبو علي الواسطي وأبو القاسم التنوخي ، وأبو زرعة روح بن محمد الرازي .

قال عنه الخطيب: كان حافظاً متقناً ثقة ، رحل في الحديث ، وسافر الكثير ، وجالس الحفاظ ، وجمع التراجم والأبواب .

(١) انظر: تاريخ جرجان ص ٥٩٧ .

(٢) انظر: تاريخ جرجان ص ٣٩٠ .

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ ١٠٠٠/٣ ، الأنساب للسمعاني ج ٧٧/٥ ، تاريخ بغداد ج ١٣٥/١٠ .

(٤) انظر: اللباب ٤٣٠/٨ ، الاكمال ٢٤/٨ ، تاريخ بغداد ١٠٩/٤ .

(٥) انظر: تذكرة الحفاظ ١٠٠٠/٣ .

ونصيبين - بالفتح ثم الكسر ، ثم ياء - علامة الجمع الصحيح ، من مدن الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام ، بينها وبين سنجار (وهي تقع في العراق) تسعة فراسخ .

وانظر: معجم البلدان . مادة نصيبين .

(٦) انظر: الاكمال لابن ماكولا ٢٤/٨ .

(٧) انظر: تذكرة الحفاظ ١٠٠٠/٣ .

قال الخطيب : أخبرنا علي بن الحسن قال : سألتنا أبا زرعة الرازي عن مولده ؟ فقال : لست أحفظه ، ولكنني خرجت إلى العراق أول دفعة لطلب الحديث سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، وكان لي اذ ذلك أربع عشرة سنة أو نحوها .

( فقد في طريق مكة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ) .

قال عنه الذهبي : له تصانيف كثيرة ، يروى فيها المناكير كغيره من الحفاظ ، ولا يبين حالها ، وذلك مما يزرى بالحافظ .

وقد سأله حمزة السهمي عن أحوال الرواة ( ١ ) .

وقال عنه الذهبي : من علماء الحديث والراجلين في علوه ( ٢ ) .

( ٧ ) أبو زرعة بن عبد الله بن عدى ، أبو محمد الحافظ ( ٣ ) .

( ٨ ) أبو زرعة : عمر بن القاسم بن محمد بن بندار السباك الجرجاني ( ٤ ) .

روى عن الربيع بن سليمان المرادي .

وعنه إبراهيم بن موسى ، جد حمزة السهمي .

( ٩ ) أبو زرعة المؤذن المعلم ، يعرف باليميني - نسبة إلى اليمن : ( ٥ ) محمد بن

إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن بندار بن سهل بن إسحق بن سعيد بن عبد الواحد

الاستراباذي ، ت باستراباذ ( ٦ ) .

قيل له ذلك لأنه أقام باليمن وتزوج وولد بها ابنه إبراهيم .

ويقال له العطارى ، لأنه جاور محمد بن بندار العطار .

كتب الكثير ، ورحل إلى خراسان والشام والجزيرة ، وسمع الكثير من أبي العباس

السراج ، وأبي الحسن بن جوصا الدمشقي ، وأبي عروبة الحراني ، وأبي بكر بن أبي داود

وغيرهم .

كتب بالشام عن أبي جوصا ، وبالجزيرة عن أبي عروبة ، وبمصر والعراقين عن

البنغوي ، وابن أبي داود ، وابن صاعد ، وعن عبد الكريم التمار ، وبفارس عن علي بن

الحسين بن معدان ، مات باستراباذ ( ٧ ) .

( ١ ) انظر : تذكرة الحفاظ ١٠٠٠/٣ .

( ٢ ) انظر : تذكرة الحفاظ ٩٩٩/٣ .

( ٣ ) انظر : تاريخ جرجان ص ٢٨٨ .

( ٤ ) انظر : تاريخ جرجان ص ٣٢٧ .

( ٥ ) نسب إليها بسبب المقام بها ... الباب ٤١٨/٣ .

( ٦ ) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٣٢ ، تذكرة الحفاظ ٩٩٨/٣ .

( ٧ ) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٣٣ .

روى عن محمد بن عبد الملك بن محمد بن عبد الملك الشيباني الكاتب الاسترابادي أبو أحمد (١) .

وروى عن محمد بن أحمد بن بندار ، أبو الحسين البزار الاسترابادي (٢) وروى عنه أبو الحسن ، علي بن الحسن الابريمي ، توفي باستراباد سنة ثلاث عشرة وأربعمائة (٣) .

روى عنه أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن أحمد بن نعيم بن عبد الملك النعيمي الاسترابادي الفقيه (٤) .

روت عنه تميم بنت أبي شجاع ، محمد بن إبراهيم الاسترابادية أم أبي حاجب محمد بن إسماعيل بن محمد الاسترابادي (٥) .

روى عن شهريار بن يزداد ( ٦ )

( ١٠ ) أبو زرعة : محمد بن الحداد ، ت باستراباد سنة ٤١٢ هـ (٧) .

روى عن ابن شاهين (٨) ، ومن في طبقتة .

( ١١ ) أبو زرعة : محمد بن عبد الله بن إدريس بن الحسن السوراني الاسترابادي

( ت ٣٤٢ هـ ) (٩) .

روى عن هميم بن همام وغيره .

روى عنه ابنه أبو عبد الله محمد بن محمد والد أبي سعد الادريسي توفي بسمرقند

سنة ٣٧٧ هـ (١٠) .

وأبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس صاحب « تاريخ

سمرقند » ، توفي سلخ ذى الحجة سنة خمس وأربعمائة بسمرقند (١١) .

(١) انظر : تاريخ جرجان ص ٤٦٧ .

(٢) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٠٢ .

(٣) انظر : تاريخ جرجان ص ٣٥٥ .

(٤) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٣١ .

(٥) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٩٠ .

(٦) انظر : تاريخ جرجان ص ٦١٤ .

(٧) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٢٧ .

(٨) هو أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي الواعظ . المعروف بابن شاهين ( ت ٣٨٥ هـ ) . انظر : تذكرة الحفاظ

٩٨٧ - ٩٩٠ . المنتظم ج ١٨٢٧-١٨٣٠ . والبداية والنهاية ٣١٦٨١-٣١٧٠ .

(٩) انظر : تاريخ جرجان ص ٥١٢ .

(١٠) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٨ .

(١١) انظر : اللباب ٣٧٨ .

( ١٢ ) أبو زرعة : محمد بن عبد الوهاب بن هشام بن الوليد الأنصاري الحافظ الششي الجرجاني (١) .

قال السهمي : سكن باب الخندق في سكة شش ، ومسجده معروف به الششي سكة بجرجان (٢) .

روى عن عبد الله بن محمد بن مسعود الزهري (٣) .  
روى عنه أبو بكر الإسماعيلي ، ونعيم بن عبد الملك ، وأبو أحمد بن عدى ، وإسماعيل بن سعيد ، وابن أبي عمران الجرجاني ، وأبو جعفر محمد بن أحمد القاضي (٤) ، وأبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن أحمد السهمي الجرجاني (٥) .  
قال عنه ختنه أبو بكر الإسماعيلي : كان فقيها حافظا (٦) .  
وقال عنه أبو سعد السمعاني : كان فقيها ، إماما فاضلا ، عارفا بالفقه والحديث (٧) .  
توفي في ذى الحجة سنة أربع وثلاثمائة (٨) .

( ١٣ ) أبو زرعة : محمد بن محمد بن أحمد الاسترابادي ، ختن أبي عبد الله بن السرى على ابنته (٩) .

روى عن يوسف بن أحمد بن عبد الرحيم .  
روى عنه محمد بن عبد الله بن يحيى المذكر .

( ١٤ ) أبو زرعة : محمد بن محمد بن سهل بن عبد الرحمن بن أحمد الاسترابادي العنابي (١٠) ، توفي بسمرقند قبل ٣٦٠ هـ أيام الطبراني .  
سكن سمرقند وحدث بها إلى أن مات قبل الستين والثلاثمائة (١١) .

---

(١) انظر : تاريخ جرجان ص ٤٣٨ ، والأنساب ٩٨/٨ .  
(٢) انظر : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ج ٨٠٦/٣ ، وفي الأنساب ج ٩٨/٨ قال أبو سعد السمعاني عن السكة ، وهي سكة بجرجان بباب الطاق . وفي الحاشية أشار المحقق - رحمه الله - الى أنه ورد في نسختين خطيتين من الأنساب ( باب الخندق ) .  
(٣) وفي الأنساب ج ٩٨/٨ ( مسرور ) .  
(٤) انظر : تاريخ جرجان ص ٤٣٩ .  
(٥) انظر تاريخ جرجان ص ١١٩ .  
(٦) انظر : تاريخ جرجان ص ٤٣٩ .  
(٧) انظر : الأنساب ج ٩٨/٨ .  
(٨) انظر : اللباب ج ١٩٦/٢ .  
(٩) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٣٦ .  
(١٠) العنابي : هذه النسبة إلى العناب ، وهي شيء أحمر ، من الفواكه .  
انظر : الأنساب ج ٣٨٢-٣٨١/٩ .  
(١١) انظر : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٩٩١/٣ . اللباب ٣٦٠/٢ ، تاريخ جرجان ص ٦٣٦-٦٣٧ . وانظر : الأنساب ج ٣٨٢/٩ .

- روى عن أبي عمرو زيد بن محمد المصري .
- روى عنه أبو سعد الادريسي .

( ١٥ ) أبو زرعة : محمد بن محمد بن الحسين الاسترأباذي - يعرف بأبن أبي الخطيب .

- سكن سمرقند سنين كثيرة ، وخرج منها قبل ٣٨٠ هـ (١) .
- روى عن علي بن محمد بن مهرويه القزويني ، ومعبد بن جمعة الروياني ، ومحمد ابن الحسن بن علي الخياطبي الجرجاني .
- روى عنه أبو سعد الادريسي ، وغيره .

( ١٦ ) أبو زرعة : محمد بن يوسف بن محمد بن الجنيد بن عبد العزيز الكشي الجرجاني ( ت ٣٩٠ هـ ) ( ٢ ) ، كان صدوقاً حافظاً .

سمع بجرجان من أبي نعيم الاسترأباذي ، وموسى بن العباس الازدياري وعبد الله ابن محمد بن مسلم ، ختن بديل ، وجماعة ، ثم رحل إلى خراسان ، وكتب بخراسان عن أبي حاتم مكبي بن عبدان ، والشرقي ، وبسرخس عن الدغولي ، وبالري عن ابن أبي حاتم ، ومن في طبقتة ، وبهمذان وببغداد وبمكة عن جماعة ، وجمع الأبواب والمشايخ ، وكان يفهم ويحفظ ، روى بجرجان شيئاً يسيراً بعد الجهد ، ثم دخل بغداد وحدث بها ، ثم دخل البصرة وأملى في جامع البصرة ثم انتقل الى مكة وحدث بها سنين الى أن توفي بها في سنة تسعين وثلاثمائة (٣) .

- حدث بالبصرة في شعبان ٣٧٤ هـ ، وحدث بمكة سنة ٣٨٥ هـ .
- روى عن أحمد بن عبد الله بن زكريا بن عبد الكريم الفقيه الجرجاني (٤) .
- روى عنه حماد بن زيدك الجرجاني (٥) .
- قال في أحمد بن محمد بن رميح النسوي الجوال : ضعيف ( ٦ ) .
- روى عن عبد الله بن السري أبو محمد الاسترأباذي ( ت ٣٢٥ هـ ) ( ٧ ) .

---

( ١ ) انظر ، تاريخ جرجان ص ٦٣٦ .  
 ( ٢ ) انظر ، تاريخ جرجان ص ٥٢٥ ، ٥٢٤ ، تذكرة الحفاظ ٩٩٧/٣ ، ٦٨٥ ، ميزان الاعتدال ٤١٣٨ ، ٤١٦ ، تاريخ بغداد ٤٠٨٣ .  
 ( ٣ ) انظر ، تاريخ جرجان ص ٥٢٤ .  
 ( ٤ ) انظر ، تاريخ جرجان ص ٧٣ .  
 ( ٥ ) انظر ، تاريخ جرجان ص ٣٠١ .  
 ( ٦ ) انظر ، تاريخ جرجان ص ١٠٠ .  
 ( ٧ ) انظر ، تاريخ جرجان ص ٧٨٦ .

قال أبو زرعة محمد بن يوسف : خرج ابن خراش (١) مثالب الشيخين وكان رافضياً (٢) .

قال أبو زرعة الكشي في أحمد بن الحسن الجرجاني أبي الحسين : ليس بشيء (٣) .  
روى عنه حماد بن زيدك الجرجاني (٤) .

ومن نقده لبعض رواة الآثار ما نقله الذهبي ، عن حمزة السهمي عنه في ترجمة جعفر ابن علي بن سهل الحافظ أبو محمد الدوري الدقاق ، قال حمزة السهمي : سمعت أبا زرعة محمد بن يوسف الجرجاني يقول : ليس بمرضي في الحديث ولا في دينه ، كان فاسقاً كذاباً (٥) .

ونقل السهمي عنه أيضاً في ترجمة جعفر بن محمد بن الفضل الدقاق ( ت ٣٨٧ هـ )  
« جعفر الدقاق الحافظ ليس بمرضي في الحديث ولا في دينه ، وكان فاسقاً كذاباً .

قال الخطيب : قدم بغداد حاجاً ، وكان صدوقاً حافظاً (٦) .  
وقال عنه الذهبي : الحافظ الإمام .

روى عن أبي العباس محمد بن عبد الله الدغولي ، ومكي بن عبدان النيسابوري ، وأبي نعيم بن عدي ، ومحمد بن عبدك الشعراني ، وعبد الرحمن بن أبي حاتم .  
رحل إلى العراق والحرمين (٧) .

روى عنه القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي ، وأبو القاسم الأزهرى وعبد العزيز بن علي الأزجي ، وعبد الغني بن سعيد الحافظ (٨) .

نقل الذهبي عن حمزة بن يوسف السهمي أنه قال عنه : جمع أبو زرعة هذا الأبواب والمشايخ ، وكان يحفظ ويفهم ، أملى علينا بالبصرة ، ثم انه جاور بمكة الى أن توفي بها في سنة تسعين وثلاثمائة (٩) .

---

(١) ابن خراش : الحافظ البارع الناقد أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف المروزي البغدادي ، الذي قال عنه الذهبي : مات الى غير رحمة الله سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

وقال عنه : فأما أنت أيها الحافظ البارع الذي شربت بولك ان صدقت في الترحال - كان يقول : شربت بولي في هذا الشأن خمس مرات - فما عذرك عند الله ؟ مع خبرتك بالأمور ، فأنت زنديق معاند للحق . فلا رضي الله عنك .

تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٨٤ - ٦٨٥ .

(٢) انظر : تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٨٥ .

(٣) انظر : تاريخ جرجان ص ٩٩ .

(٤) انظر : تاريخ جرجان ص ٢٠١ .

(٥) ميزان الاعتدال ٤١٣٨ .

(٦) انظر : تاريخ بغداد ٤٠٨٣ .

(٧) انظر : تذكرة الحفاظ ٩٩٨٣ .

(٨) انظر : تذكرة الحفاظ ٩٩٨٣ .

(٩) انظر : تذكرة الحفاظ ٩٩٨٣ .

روى عنه أبو معمر الفضل بن اسماعيل بن أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن العباس الاسماعيلي الإمام (١) .

روى عنه أبو عمران موسى بن العباس الازدبادي ( ت ٣٢٤ هـ ) (٢) .

روى عن محمد بن أحمد بن محمد بن علي الاسترأبادي (٣) .

قال أبو زرعة الكشي في أبي شافع اسمه واسم أبيه واسم جده غير ما ذكر هو حاميه ، وكان ثقة في الحديث إلا أنه كان يشرب المسكر (٤) .

روى عن يوسف بن يعقوب بن حماد الاسترأبادي ( ت ٣٢٣ هـ ) (٥) .

قال الخطيب : حدثني الأزهري ، قال : مضيت إلى أبي زرعة الجرجاني لما قدم بغداد ، فسألته أن يحدثني عن الدغولي حديث الثوري عن زائدة ، فأبى فألححت عليه المسألة ، فحلف بالطلاق أن لا يحدثني به ببغداد ، فانتظرت حتى كان اليوم الذي رحل فيه الحجاج ، فخرجت معه ولم أفارقه حتى خرج من البلد ، فلما صار وراء مقبرة باب الكناس قال لي : قد عزمت أن أحدثك حديث الدغولي ، ثم قال : حدثنا أبو العباس محمد بن عبد الله الدغولي بعد جهد جهيد ، قال : روى لنا محمد بن مشكان قال : حدثنا يزيد بن أبي حكيم ، حدثنا سفيان الثوري حدثنا زائدة بن قدامة ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عبد الله ابن أبي أوفى ، قال : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد . قال الخطيب : ثنا أبو بكر البرقاني قال : قال الدارقطني : لم يحدث به إلا ابن مشكان عن العدني .

وحدثنا البرقاني ، ثنا الحسين بن علي التميمي ، ثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ ، ثنا أبو زكريا يحيى بن زكريا الأعرج ، ثنا محمد بن مشكان ، ثنا يزيد ابن أبي حكيم العدني ، ثنا سفيان عن زائدة بنحوه .

قال البرقاني : كان أصحابنا يقولون : تفرد به الدغولي حتى ظهر لنا هذا .

ورواه الذهبي في تذكرة الحفاظ (٦) ، من طريق عبد الغني بن سعيد الحافظ قال : أي عبد الغني : حدثني أبو زرعة محمد بن يوسف الجرجاني بمكة بعد جهد وعناء وذكر

(١) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٣٥ .

(٢) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٤٣ .

(٣) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٣٠ .

(٤) انظر : تاريخ جرجان ص ٥٥٠ .

(٥) انظر : تاريخ جرجان ص ٦٣٧ .

(٦) انظر : تذكرة الحفاظ ٩٩٨٣ .



الحديث ، ثم قال الذهبي : غريب ، والمشهور حديث الثوري عن أبي يعفور العبدي ، عن ابن أبي أوفى ، وأما حديثه عن زائدة ففرد .  
ورواه الذهبي من طريق شعبة ، عن أبي يعفور .

( ١٧ ) أبو زرعة الرازي الأصغر : روح بن محمد البديحي القاضي الفقيه الشافعي ( ت ٤٢٣ هـ ) - سبط الحافظ أبي بكر بن السني - ولى قضاء أصبهان مدة ، وسمع الحديث ورواه ، كتب عنه الخطيب أبو بكر البغدادي (١) .

قال عنه السمعاني : سمع الحديث ورواه ، كتب عنه الخطيب أبو بكر البغدادي .  
« سمع أبا زرعة أحمد بن محمد بن جمان ، وأبا الفضل العباس بن الحسين الصغار ، وجعفر بن عبد الله بن يعقوب بن فناكي ، وأحمد بن فارس اللغوي ، وعلي بن محمد بن القصار الرازي ، وأبا زرعة أحمد بن الحسين الرازي ، والحسين بن علي التميمي النيسابوري ، وإسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان النسوي ، وأبا الهيثم أحمد بن عمر بن شويه المروزي ، وأبا حامد أحمد بن الحسين المروزي ، وأبا منصور محمد بن أحمد بن شويه الأبيوردي » (٢) .

قال عنه الخطيب : قدم علينا بغداد حاجاً ، وحدث بها فكتبنا عنه في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ، ولقيته بالكرج في سنة احدى وعشرين فكتبنا عنه هناك ، وكان صدوقاً فهما أدبياً يتفقه على مذهب الشافعي وولى قضاء أصبهان ، وبلغنى أنه مات بالكرج في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .  
سمع السلفي من أصحابه (٣) .

( ١٨ ) أبو زرعة ، الدمشقي الصغير ، محمد بن عبد الله بن عبد الله بن أبي دجاجة ، عمرو بن عبد الله بن صفران النصري ، وهو ابن أخي الحافظ أبي زرعة الدمشقي ( ت قبل ٣٦٠ هـ ) (٤) .

حدث عن الحسين بن محمد بن جمعة ، وإبراهيم بن دحيم وطائفة .  
روى عنه تمام الرازي ، وأبو علي بن مهنا .

( ١٩ ) أبو زرعة المصري الفقيه الزاهد ، شيخ الديار المصرية - حيوة بن شريح بن صفوان بن مالك التجيبي ( ت ١٥٨ هـ ) .

(١) انظر ، اللباب ١٢٨٨ ، الكفاية للخطيب ص ١٢٢ ، ٣٩٥ ، تذكرة الحفاظ ١٠٠٣ ، تبصير المنتبه بتحريр المشتبه ٧٥٦/٢ ، تاريخ بغداد ٤١٠/٨ .

(٢) انظر : تاريخ بغداد ٤١٠/٨ .

(٣) انظر : تذكرة الحفاظ ١٠٠٣ ، وانظر ، الأنساب ج ١١٥/٢ .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ ١٠٠٣ .

روى عنه الليث ، وابن المبارك (١) .

( ٢٠ ) ( خ ٤ ) أبو زرعة ، المغيرة الثقفي مولاهم الكوفي ، وهو والد المحدث عثمان ابن المغيرة ، الأعشى الذى قال عنه أحمد بن حنبل ، عثمان بن المغيرة هو عثمان بن أبي زرعة ، وهو عثمان الأعشى ، وهو عثمان الثقفي الكوفي ، ثقة ليس أحداً روى عنه من شريك (٢) .

( ٢١ ) أبو زرعة ، عقبة بن يزيد بن سعيد بن قتادة بن جبلة بن نمر بن نمير بن الحارث النسائي ، منسوب الى بني نسي ، وهو بطن من الصدف ، وهو مصري ( ت ٢٩٤ هـ ) ( ٣ ) وفى الانساب قال توفى فى ذى الحجة ٢٧٤ هـ .

( ٢٢ ) أبو زرعة ، محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زرعة ، من موالي ثقيف ( ت ٣٠٢ هـ ) ، قاض رفيع القدر من أهل دمشق ، ولى قضاء مصر سنة ٢٨٤ هـ ( ٤ ) .

( ٢٣ ) القاضي أبو زرعة ، غير الذى مر ذكره وهو فى عصره ( ٥ ) .

( ٢٤ ) أبو زرعة الطبري المقرئ ، ولده أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن أبي زرعة المحدث الفقيه الحنبلي ، من أهل آمل طبرستان ( ت ٥٢٨ هـ ) ( ٦ ) .

( ٢٥ ) أبو زرعة ، وهب الله بن راشد المصري ، مؤذن القسطنطينية .

روى عن يونس الأيلي ، وحيوة بن شريح .

روى عنه عبد الرحمن ، ومحمد ، وسعد بنو عبد الله بن عبد الحكم وربيعة بن سليمان الجيزي المصري .

غمزه سعيد بن أبي مريم وغيره .

قال أبو حاتم ، محله الصدق ، وفضل ابن وارة عليه غنبة بن خالد .

وقال عنه أبو زرعة الرازي - وقد سأله ابن أبي حاتم - : ليس لي به علم لأنني لم

أكتب عن أحد عنه (٧) .

(١) انظر ، تذكرة الحفاظ ١٨٥٨ ، تهذيب التهذيب ٦٩٣ ، ٦٩٣ ، الكنى والأسماء لمسلم (لوحه - ٤١) ، الجرح والتعديل ج ٨ ق ٣٠٦٢ ، فتح الباب ص ١٢٤ - ب .

(٢) انظر : تهذيب التهذيب ١٥٥٧ ، ميزان الاعتدال ٣٤٣ وكذا ٥٠٣ ، الجرح والتعديل ج ٣ ق ١٦٧٨ .

(٣) انظر ، اللباب ٣٠٨٣ ، انظر ، الأنساب ورقة ٥٦٠ / أ واللباب ٣ / ٣٠٨ .

(٤) انظر ، شذرات الذهب ٢٣٩٣ ، طبقات السبكي ١٩٦٣ ، الأعلام للزركلي ١٤٢٧ ، الولاة والقضاة ص ٥١٨ .

(٥) انظر ، طبقات الشافعية ١٩٧٣ .

(٦) انظر ، طبقات الشافعية ٨٦٤ .

(٧) انظر ، ميزان الاعتدال ج ٣٥٢/٤ ، وتبصير المنتبه بتحريр المشتبه ج ١٨٤/٣ ، وفتح الباب ورقة (١٢٥ - أ) ، والجرح والتعديل ج ٤ ق ٢٧٢ ، ج ٨ ق ٤٦٤/٢ ، ج ٨ ق ٩٢٨ .

( ٢٦ ) أبو زرعة ، عبد الأحد بن الليث ( أبو زرارة ) بن عاصم بن كليب القتباني .

• روى عن عثمان بن الحكم الجذامي المصري من بني نضرة .

• وروى عن حيوة بن شريح ، ومالك بن أنس ، ويحيى بن أيوب وغيرهم .

• وسمع من جده ، وهو صدوق في الحديث .

• توفي سنة ٢٢٨ هـ ( ١ ) .

( ٢٧ ) أبو زرعة السنجي ، صاحب تاريخ مروالزو القنجي ( ٢ ) .

( ٢٨ ) أبو زرعة : عبد الرحمن مولى المقداد بن الأسود ، سمع منه أبو هلال ( ٣ ) .

• روى عنه أبو هلال مرسل - قاله البخاري .

( ٢٩ ) أبو زرعة ابراهيم ، وكان من مسلمة أهل الكتاب .

• روى عنه إسماعيل بن عبيد الله ( ٤ ) .

( ٣٠ ) أبو زرعة : عبد الله بن أبي زكريا الشامي ، واسم أبي زكريا الشامي : اياس

• ابن يزيد بن خزاعة الدمشقي ( ٥ ) .

( ٣١ ) أبو زرعة : عبيد الله بن أبي بكر اللفتواني .

قال ابن النجار في تاريخه ( ٦ ) : كتب إلي أبو زرعة عبيد الله بن أبي بكر

• اللفتواني ، أنبأنا أبو الخير شعبة بن أبي شكر بن عمر الصباغ ( ٧ ) .

• اللفتواني : نسبة إلى لفتوان ، إحدى قرى أصبهان ( ٨ ) .

( ٣٢ ) قال ابن الجوزي : حدثنا أبو زرعة أحمد بن محمد بن عبد الله بن سعيد

قال : حدثني جدي لأبي سعيد بن الحسن بن جعفر ( ٩ ) .

( ١ ) انظر : تهذيب التهذيب ج ١١١-١١٠٧ . والأنساب ج ٣٣٩-٣٣٨٠ .

( ٢ ) انظر : الأنساب ج ٣٤١٣٤٠/٦ ، واللباب ٨٠/٢ . ج ٢٢٣ .

( ٣ ) انظر : الكنى والأسماء لمسلم « لوحة - ٤١ - » . الجرح والتعديل ج ٣/٢٣٥ . فتح الباب في الكنى والألقاب « ١٢٥ - أ » .

( ٤ ) انظر : الكنى والأسماء لمسلم « لوحة - ٤١ - » .

( ٥ ) انظر : الجرح والتعديل ج ٣/٧٢ .

( ٦ ) انظر : تاريخ ابن النجار : هو ذيل تاريخ بغداد . ألفه الحافظ محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف

بأبن النجار ( ت ٦٤٣ هـ ) . طبع المجلد الأول منه ١٩٧٨/١٣٩٨ م في حيدرآباد الدكن - الهند .

( ٧ ) انظر : اللآلئ المصنوعة ٣٤٢٨ . المناقب ٤ .

( ٨ ) انظر : اللباب ٣ / ١٣٢ .

( ٩ ) انظر : الموضوعات ١٢٤٨ .

( ٢٣ ) أبو زرعة : أحمد بن نفيس المصيبي ، كتب عنه أبو بكر الأبهري بحلب (١) .

حدث عن محمد بن عمرو بن حنان .

روى عنه أبو بكر الأبهري ، وقال : سمعت منه بحلب وهو ثقة (٢) .

المصيبي : نسبة الى المصيصة ، مدينة على ساحل البحر (٣) الأبيض المتوسط .

( ٢٤ ) أبو زرعة المقدسي ، أبو إسحق إبراهيم بن عمر بن علي بن سماقة الاسعدي (ت ٦١٣ هـ) .

حدث بمصر بمسند الشافعي عن أبي زرعة المقدسي (٤) .

( ٢٥ ) أبو زرعة : محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي زرعة القزويني ، ولد ٣٢٤ - ٣٩٨ هـ (٥) .

سمع ابن صالح ، ومحمد بن الحسن بن الفتح ، وأقرانهما من شيوخ قزوين ، وبالعراق الدارقطني ، وابن هشام وأقرانهما .

وبالأهواز ابن عبدان الحافظ ، سمع منه تاريخ البخاري ، واستشهد في سنة ثمان وأربعمائة ، وقد انقطع نسله (٦) .

( ٢٦ ) أبو زرعة ، عبد الله بن الحسين بن أحمد .

ذكره القزويني في ترجمة أخيه أحمد بن الحسين بن أحمد أبو علي ، الفقيه المتوفى سنة ٣٨٢ هـ (٧) .

( ٢٧ ) أحمد بن الحسين بن علي الرازي الصوفي ، سمع بقزوين من أبي داود سليمان بن يزيد الفامي (٨) .

الفامي : بفتح الفاء ، وسكون الألف ، وفي آخرها ميم - نسبة الى بيع الفواكه اليابسة ، أو نسبة الى قرية من قرى واسط من ناحية فم الصلح (٩) .

(١) انظر : تبصير المنتبه بتحريير المشتبه ١٤٣٥/٤ .

(٢) انظر : الاكمال لابن ماكولا ٣٦٢/٧ .

(٣) انظر : اللباب ٢٢١/٣ .

(٤) انظر : تبصير المنتبه بتحريير المشتبه ٦٩٢/٣ .

(٥) انظر : تاريخ قزوين ورقة « ٢٥٩ - أ » ، نسخة وقف سلطان سليم خان - تركيا .

(٦) انظر : ج ٧ الارشاد - علماء قزوين .

(٧) انظر : تاريخ قزوين ورقة « ١٣٥ - أ » .

(٨) انظر : تاريخ قزوين ورقة « ١٣٥ - ب » .

(٩) انظر : اللباب ج ٤١٠/٣ .

( ٣٨ ) أبو زرعة ، الحسن بن عبد الكريم بن الحسن بن علي الكرجي (١) ، قتله  
الملاحدة بأبهر سنة ٥٢٩ هـ (٢) .

الحسن بن عبد الكريم بن الحسن بن عبد الكريم أبو زرعة الكرجي ، سبط الأول ،  
قتل ٥٥٩ هـ .

( ٣٩ ) أبو زرعة الماكي - ذكره في ترجمة ابنه ، أبو الطيب بن أبي زرعة الماكي .  
سمع عبد الرزاق بن همام ، من أبي عبد الله أبي طاهر بن فضلان بن حامد  
الكرجي ، سمع الأستاذ أبا اسحاق السماذي بقزوين سنة ٥٢٩ هـ ، وسمع أبا منصور عبد  
الكريم بن محمد بن حامد الخيام في داره سنة ٥٢٧ هـ (٣) .

( ٤٠ ) عبد الكريم بن أبي زرعة الحداد ، سمع الخليل بن عبد الله الحافظ سنة  
٤٤٣ هـ (٤) .

( ٤١ ) أبو زرعة ، عبد الكريم بن اسحق بن سهلويه ( أجاز لعبد الله بن أحمد بن  
حسنه بن حاجي أبو بكر الزبيري من أقران الرافعي ) (٥) .  
سمع من السيد أبي حرب الهمداني سنة ٥٨٣ هـ (٦) .

( ٤٢ ) أبو زرعة ، عبيد الله بن الحسين ، سمع أبا الحسن القطان - علي بن ابراهيم  
ابن سلمة القزويني ( ٢٥٤ - ٣٤٥ هـ ) (٧) .

( ٤٣ ) أبو زرعة ، عبيد الله بن ميسرة بن علي بن الحسن بن ادريس  
( ت ٣٧٩ هـ ) (٨) .

( ٤٤ ) أبو زرعة بن مالك ، ذكره في ترجمة عثمان بن الحسين بن أحمد بن  
إبراهيم بن أحمد الكسائي أو الكيسانبي ( أخو أبي زرعة بن مالك ) (٩) .

---

(١) الكرجي - بفتح الكاف والراء والجيم ، في آخرها - هذه النسبة إلى الكرج وهي بلدة من بلاد الجبل بين أصبهان وهمدان .  
انظر ، الأنساب ج ٦٦٨١ ، وفي معجم البلدان ج ٤٤٦/٤ بين همدان ونهاوند ، بين الكرج وبين كل واحدة منهما سبعة فراسخ . وتقع  
الآن في الوقت الحاضر في إيران .

(٢) انظر ، تاريخ قزوين ( ١٨٨ - أ ) .

(٣) انظر ، تاريخ قزوين - ورقة « ٢٢٩ - ب » .

(٤) انظر ، تاريخ قزوين - ورقة « ٢٥٢ - أ » .

(٥) انظر ، هو أبو القاسم ، إمام الدين عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي ( ت ٦٢٣ هـ ) انظر : .....

(٦) انظر ، تاريخ قزوين - ورقة « ٢٥٤ - أ » .

(٧) انظر ، تاريخ قزوين - ورقة « ٢٧٠ - أ » ، انظر ، ترجمة القطان في تذكرة الحفاظ ج ٨٥٧٨٥٦٣ .

(٨) انظر ، تاريخ قزوين - ورقة « ٢٧٢ » .

(٩) انظر ، تاريخ قزوين - ورقة « ٢٧٤ - ب » .

( ٤٥ ) أبو زرعة الماكي ، عبد الله بن الحسين بن أحمد الفقيه ، كبير ، فقيه مفت ، حافظ ، كثير السنن والسماع ( ت ٤٠٦ هـ ) .

• سمع بقزوين ، وبيفداد ، والبصرة ، ونيسابور ، واسفراين ، وجرجان والدينور (١) .  
• سمع بيفداد أحمد بن جعفر القطيعي ، وعبد الله بن ماس وبالبصرة الفاروق بن عبد الكريم الخطابي ، ويوسف بن يعقوب الخيرصي ، وبجرجان عبد الله بن عدى الحافظ ، وأبا بكر الاسماعيلي .

• ونيسابور إسماعيل بن نجيد ، وباسفراين شافع بن أبي عوانة ( ت ٤٠٦ هـ ) (٢) .

( ٤٦ ) أبو زرعة بن متويه : محمد بن أحمد بن محمد بن الفرج بن فروخ أبو زرعة بن أبي بكر ، يعرف بابن متويه القزويني ، من المشهورين الكثيرين .  
قال الخليل الحافظ ، كان عالما بهذا الشأن وارتحل الى أبي خليفة سنة ثلاثمائة ، وسمع بقزوين على بن أبي طاهر ، ومحمد بن مسعود ، وغيرهما ، ودخل الشام ومصر سنة ثلاثين ، فمات عند رجوعه بقوميسين وهو في حد الكهولة « (٣) .

قال الخليل : أبو زرعة محمد بن أحمد بن الفرج بن متويه ثقة عارف بهذا الشأن ، سمع بقزوين محمد بن مسعود الأسدي ، ويوسف بن حمدان ، وبالعراق أبا خليفة ، وزكريا الساجي ، ثم ارتحل في ثمان وعشرين إلى الشام ، وكتب الكثير ، فمات عند رجوعه في الطريق قريبا من قوميسين سنة ثلاثين وثلاثمائة وهو كهل .  
روى عنه ابن لال الهمداني - أحمد بن علي بن أحمد ( ت ٣٩٨ هـ ) وغيره ، وحدثنا عنه ابنه بحدِيثين (٤) .

( ٤٧ ) الجنيد بن أبي زرعة ، أبو القاسم ، سمع ابن خالويه الدربندي في خانقاه سهر هيزة سنة ٤٩٣ هـ (٥) .

( ٤٨ ) حيدر بن أبي زرعة ، أبو القاسم ، سمع من أبي القاسم علي بن الحسن بن بلكونة سنة ٢٩١ هـ ، لعلها ٤٩١ هـ (٦) .

( ٤٩ ) أبو زرعة : طلحة بن محمد بن العباس ، روى عن أبي محمد بن سعيد بن محمد بن نوح .

(١) انظر : تاريخ قزوين - ورقة « ٢٥٦ - أ - ب » .

(٢) انظر : الارشاد للخليبي في علماء قزوين .

(٣) انظر : التدوين في أخبار قزوين « ٤٢ - أ » .

(٤) انظر : الارشاد في علماء قزوين للخليبي .

(٥) انظر : التدوين « ورقة ١٨٣ - أ » .

(٦) انظر : التدوين « ورقة ١٨٤ - ب » .

قال عنه الخطيب البغدادي : « أحسبه من أهل خراسان » .

روى عنه محمد بن المظفر (١) .

( ٥٠ ) أبو زرعة : عبيد الله بن عثمان بن علي بن محمد أبو زرعة البناء

الصيدلاني (٢) .

سمع القاضي المحاملي ، وعثمان بن جعفر بن اللبان ، ويوسف بن يعقوب بن

إسحاق بن البهلول ، وأبا القاسم بن داود الكاتب (٣) .

قال الخطيب : حدثنا عنه الأزهري ، والخلال ، والعتيقي ، وأبو الفرج الطنجايري .

وغيرهم (٤) .

وروى عنه أيضا أحمد بن علي بن يحيى بن العباس ، أبو منصور الاسداباذي (٥)

( ٣٦٦ - ٤٦١ هـ )

قال الأزهري (٦) : ثقة (٧) .

قال العتيقي (٨) : ثقة مأمون (٩) .

ولد أبو زرعة سنة سبع عشرة وثلاثمائة (١٠) .

ومات في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة (١١) .

( ٥١ ) أبو زرعة : روى عن أبي أدريس ، عن ثوبان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه لعن الراشي .

روى عنه أبو الخطاب .

قال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يقول ذلك وسألته عنه ، فقلت : من أبو زرعة هذا ؟

فقال : مجهول (١٢) .

(١) انظر : تاريخ بغداد ٣٤٩/٩ .

(٢) انظر : تاريخ بغداد ج ٣٧٩/٨٠ .

(٣) و (٤) انظر : تاريخ بغداد ج ٣٧٩/٨٠ .

(٥) انظر : تاريخ بغداد ج ٣٣٥/٤ .

(٦) الأزهري . من أشهر شيوخ الخطيب البغدادي . أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عثمان الأزهري .

(٧) انظر : تاريخ بغداد ج ٣٧٩/٨٠ .

(٨) العتيقي : أحد الثقات الكثيرين . أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد العتيقي ( ٣٦٧ - ٤٤١ هـ ) .

انظر : الأنساب ج ٣٣٣/٨ . واللباب ٣٣٣/٣ .

(٩) انظر : تاريخ بغداد ج ٣٧٩/٨٠ .

(١٠) و (١١) المصدر السابق .

(١٢) انظر : الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج ٤/٣٧٤/٣ . وفتح الباب - ورقة « ١٣٥ - أ » والتاريخ الكبير ج ٣٢٢/٩ .

( ٥٢ ) أبو زرعة الافريقي ، حدث عن بكر بن سواد ، عداة في أهل مصر ، قاله لي أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس (١) .

( ٥٣ ) زرعة بن أبي زرعة العقيلي ، روى عن ربيعة بن زكار - الذى روى عن أبيه ، عن علي رضي الله عنه (٢) .

( ٥٤ ) أبو زرعة : أحمد بن محمد بن جمان ، ذكره الخطيب البغدادي ضمن شيخ أبي زرعة روح بن محمد بن أحمد الرازي ، الذى توفي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة (٣) .

( ٥٥ ) أبو زرعة : أحمد بن علي بن الحسين الرازي ، روى عن جماعة ، وعنه جماعة ، ومن مروياته ، ما رواه متصلاً إلى ابن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بلالاً ينادى بليل ، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم ، وإنما كان بينهما قدر ما ينزل هذا ويرقى هذا (٤) .

( ٥٦ ) أبو زرعة الصيرفي : محمد بن العباس بن أحمد بن محمد بن الحارث ، سمع أبا القاسم البغوي ، حدث عنه أبو بكر البرقاني ، والقاضي أبو العلاء - الواسطي . روى عنه عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ، حدث في جامع المدينة ببغداد (٥) .

( ٥٧ ) أحمد بن شبيب ، أبو زرعة الصوري ، حدث عن أحمد بن خليل الحلبي روى عنه عبد الله بن عدى الجرجاني (٦) .

( ٥٨ ) أبو زرعة المكي : أحمد بن موسى بن يونس بن حرب بن شبيب بن زيد ابن ابراهيم التميمي ، روى عن أحمد بن أبي روح ، والحسن بن أبي سعيد الشيباني . روى عنه أبو الطيب محمد بن جعفر بن عيسى بن الكدوش الوراق ، وعبد الله بن محمد بن السقا الواسطي ، وأبو بكر بن المقرئ الأصبهاني (٧) .

- 
- (١) انظر : فتح الباب - ورقة « ١٢٥ - أ » .
  - (٢) انظر : الجرح والتعديل ج ٨ ق ٤٧٨/٢ .
  - (٣) انظر : تاريخ بغداد ج ٤١٠/٨ .
  - (٤) انظر : تهذيب تاريخ دمشق ج ٤٠٥/٨ .  
والحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما .
  - انظر : صحيح البخاري بشرح فتح الباري ج ٩٩/٢ .
  - (٥) انظر : تاريخ بغداد ج ١١٩/٣ .
  - (٦) انظر : تاريخ بغداد ج ١٩٤/٤ .
  - (٧) انظر : تاريخ بغداد ج ١٤٨/٥ .



( ٥٩ ) أبو زرعة المكي ، كان مقيماً بالشام بصور ، حدث عنه أبو حاتم - أحسبه

الرازي (١) .

( ٦٠ ) أبو زرعة الحراني ، ذكره عبد الرحمن بن عائشة الحضرمي (٢) .

( ٦١ ) أبو زرعة الجرجاني ، وبالأصل ( الجرجكاني ) ، كان بمكة ، حدث عن

البغداديين والبصريين ، روى عنه موسى بن هارون البغدادي (٣) .

( ٦٢ ) عمر بن أبي زرعة بن عبد العزيز ، أبو حفص الأملئ الشجاعي (٤)

( ٦٣ ) أبو زرعة مولى المقداد بن الأسود .

قال أبو عمر : اسمه عبد الرحمن ، وهو تابعي ، وحدثه مرسل .

قال البخاري : حديثه منقطع .

روى عنه أبو هلال الراسبي الذي يروى عن قتادة وطبقته (٥) .

( ٦٤ ) أبو زرعة : بلال بن سعد التجيبي البرنيلي (٦) ، وهو مولى بني سوم بن

عدى ، حدث وروى عنه إبراهيم بن نشيط ، قيل : أنه قتل في فتنة القراء بمصر سنة سبع

عشرة ومائتين (٧) .

( ٦٥ ) ( قد ت ق ) الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب ، ويقال : عرزم الأشعري

أبو عبد الرحمن ، ويقال : أبو زرعة الأردني الطبراني .

روى عن أبيه ، وأبي موسى الأشعري ، وأبي هريرة ، وعبد الرحمن بن غنم

الأشعري ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

وعنه عبد الله بن علي بن زيد ، وعيسى بن سنان ، ومكحول ، والزيبر بن سليم ،

وعبد الله بن نعيم الأردني ، وأبو طلحة الخولاني ، والأوزاعي .

قال العجلي : تابعي ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات .

قال أبو مسهر : كان ولي دمشق مرتين ، وكان عمر بن عبد العزيز مات وهو والي

عليها .

( ١ ) انظر : فتح الباب ( ١٢٥ - أ ) .

( ٢ ) انظر : الاصابة ج ٤ / ٣٢٠ .

( ٣ ) انظر : فتح الباب ( ١٣٥ - أ ) .

( ٤ ) ورقة ٤٣٠ - ب .

( ٥ ) انظر : الاصابة ج ٤ / ٨٣ .

( ٦ ) قال أبو سعد السمعاني : البرنيلي - بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الراء ، وكسر النون ، وسكون الياء المنقوطة . باثنتين

من تحتها ، وفي آخرها اللام . هذه النسبة إلى أبرنيل . وهي كورة بشرقي أرض مصر .

( ٧ ) انظر : الكنى والأسماء لمسلم « لوحة ٤١ » ، وفتح الباب « ورقة ١٢٥ - أ » .

قال خليفة في الطبقات : مات سنة خمس ومائة (١) .

( ٦٦ ) أبو زرعة : طاهر بن طاهر بن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي الهمداني ، انتقل به أبوه الى همدان فاستوطنها الى أن مات .

أسمعه أبوه بالرى من محمد بن الحسن المقومي ، وبالرون من عبد الرحمن بن محمد الروني كتاب السنن لأبي عبد الرحمن النسائي ، وبالكرج مسند الإمام أبي عبد الله الشافعي ، وسمع سنن ابن ماجه من أبي منصور المقومي ، ورواها عنه الكثير من المحدثين . ولد بالرى سنة احدى وثمانين وأربعمائة ، وتوفي بهمدان يوم الأربعاء سابع ربيع الآخر من سنة ست وستين وخمسائة (٢) .

( ٦٧ ) أبو زرعة : سليمان بن إبراهيم القيرواني . روى عن عبد الرحمن بن أشرس (٣) ، وروى عنه يحيى بن محمد بن خشيش - أظنه مغربيا صاحب مناكير - ، روى عن أهل القيروان (٤) .

( ٦٨ ) أبو زرعة النوشجاني الشيرازي الخطيب بكارزون أحمد بن محمد (٥) . قرأ كتاب الكامل للهدلي في القراءات على أبي الحسن علي بن جعفر السعدي . وقرأ أبو القاسم الهدلي نفس الكتاب عليه - أي على أبي زرعة (٦) .

( ٦٩ ) أبو زرعة الموصلية : شريك بن مناس بن يعقوب (٧) . من شيوخه : يوسف بن زريق الموصلية . وهو - أي أبو زرعة شريك - أحد شيوخ أبي نعيم الأصفهاني .

( ٧٠ ) أبو زرعة : عبيد الله بن محمد بن أحمد بن راشد ، ت بعد ٣٤٠ هـ (٨) . حدث عن أبيه ، وأبي بكر بن النعمان .

(١) انظر : تهذيب التهذيب ج ٤٤٦/٤ . وتاريخ بغداد ج ٢٤٧/٧ .

(٢) انظر : ترجمته في التدوين في أخبار قزوين ورقة «٤٠ - أ» والتقييد في رواة السنن والأسانيد لابن نقطة . نسخة المتحف البريطاني . والبداية والنهاية ج ٢٦٤/٨٢ ، وشذرات الذهب ج ٢١٧/٤ .

وقد أفردنا له ترجمة خاصة في (طبقات الرواة لسنن ابن ماجه) ضمن كتابنا دراسات حول سنن ابن ماجه .

(٣) عبد الرحمن بن أشرس . قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ج ٥٤٨/٢ ، مجهول الحال .

وقال ابن الجنيدي : ليس به بأس . وضعفه الدارقطني .

(٤) انظر : ميزان الاعتدال ج ٤٠٨/٤ .

(٥) انظر : غاية النهاية للجزري ج ١٣٧/٨ . ٢١٤ . ٢٩٩ .

(٦) انظر : غاية النهاية ج ١٣٧/٨ .

(٧) انظر : تاريخ أصبهان ٢١٧/٣ .

(٨) انظر : أخبار أصبهان ١٠٤/٢ .

حدث عنه أحمد بن موسى قال : ثنا أبو زرعة عبید الله بن محمد بن أحمد سنة  
اثنين وأربعين وثلاثمائة .

( ٧١ ) أبو زرعة ، ويقال له : أبو بكر : محمد بن علي بن عبد الله (١) .

وقيل : أبو العباس الخطيب مقرئ ، مقبول ، ت سبع وثلاثمائة .

روى القراءة عرضا عن اسماعيل القاضي ، والبرزى ، والحلواني ، وداود بن أبي طيبة ،  
والشموني .

وروى عنه القراءة عرضا أبو العباس المطوعي ، قرأ عليه بصعيد مصر (٢) .

( ٧٢ ) ( د ) عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان بن عمرو النصرى ، أبو

زرعة الدمشقي ، شيخ الشام في وقته .

روى عن محمد بن المبارك الصوري ، وسليمان بن عبد الرحمن ، وأبي ثعيم وأحمد

ابن حنبل ، وغيرهم .

وعنه أبو داود ، ويعقوب بن سفيان ، وابن أبي حاتم ، وأبو العباس الأصم ، وغيرهم .

قال ابن أبي حاتم : كان رفيق أبي ، وكتب عنه ، وكتبنا عنه ، وكان صدوقا ،

ثقة ، سئل أبي عنه فقال : صدوق .

وقال الخليلي : كان من الحفاظ الأثبات .

قال الهروي وغيره : مات في جمادى الآخرة سنة ٢٨١ هـ (٣) .

من آثاره :

١ - التاريخ - يتضمن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتاريخ الخلفاء

الراشدين (٤) .

٢ - الأحاديث والحكايات والعلل والسؤلات (٥) .

وله مؤلفات عديدة في علوم الحديث المختلفة ، وخاصة في علم الرجال (٦) .

(١) انظر ، غاية النهاية - ترجمة رقم ٣٢٩٤ .

(٢) انظر ، غاية النهاية في طبقات القراء للجزري ٢١٣/٢ .

(٣) انظر ، تهذيب التهذيب ج ٢٣٦/١ ، طبقات الحنابلة ج ٢٠٥٨ - ٢٠٦ ، وشذرات الذهب ج ١٧٧/٢ ، وتذكرة الحفاظ ج ٦٢٤/٢ .

والجرح والتعديل ج ٦٧/٢ ، وفتح الباب ورقة « ١٢٥ - أ » ، وميزان الاعتدال ج ٥٨٢٨ .

وانظر ، ترجمته مفصلة في تاريخ أبي زرعة الدمشقي - تحقيق الأخ شكر الله قوجاني ، ونشره المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٨٠ م .

(٤) انظر ، المصدر السابق .

(٥) مخطوط في الظاهرية مجموع ٣٨٥ ( من ٤٢ أ - ٥٥ أ ، ٦٠٥ هـ ) فيض الله ٦٩ ( ٤/٢ الجزء الأول ٤٨ أ - ٦٠ ب ، ٦٠٥ أ ،

وانظر ، تاريخ التراث ج ٤٨٤٨ ط ١٩٧٧ م

(٦) انظر ، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ج ٤٨٨ - ٥٧ .

( ٧٣ ) أبو زرعة : روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي .

قال ابن حجر : ذكره بعضهم في الصحابة ، ولا يصح له صحبة ، بل يجوز أن يكون ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن لأبيه صحبة ورواية ، كما سيأتي ، ووقع في الكني لمسلم له صحبة ، وقال أبو أحمد الحاكم : يقال له صحبة ، وما أراه يصح . وقال ابن منده : أدرك النبي صلى الله عليه وسلم .

وذكره محمد بن أيوب في الصحابة ، ولا يصح له صحبة .

وكذا حكم بصحته أبو عروبة ، وحسين القباني .

وقال أبو عمر - ابن عبد البر - وأبو نعيم ، وابن مندة : لا يصح له صحبة .

وقال ابن أبي خيثمة : وممن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم روح بن زنباع .

وذكره أبو زرعة الدمشقي ، وابن سميع في الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام .

وقال أبو سعد السمعاني : من أهل فلسطين ، من خيار التابعين ، كان عابدا غزاء .

وكان عبد الملك بن مروان يقول : جمع روح طاعة أهل الشام ، ودهاء أهل العراق ،

وقفه أهل الحجاز .

قال أبو سليمان بن زبر : مات سنة أربع وثمانين (١) بالأردن .

( ٧٤ ) أبو زرعة : معبد بن خالد الجهني - توفي سنة اثنتين وسبعين ، وهو ابن بضع

وثمانين سنة .

أسلم قديما ، وكان أحد الأربعة الذين حملوا ألوية جهينة يوم فتح مكة وكان يلزم

البادية .

قال ابن أبي حاتم : وأبو أحمد الحاكم ، وابن حبان ، والعسكري : له صحبة ، وله

رواية عن أبي بكر ، وعمر (٢)

( ٧٥ ) أبو زرعة الفقيه الاسترأبادي : إبراهيم بن محمد - قدم بغداد ، وحدث بها

عن نعيم بن عبد الملك بن محمد بن عدى الجرجاني ، وعنه القاضي أبو عبد الله

الصيرفي (٣) .

(١) انظر ترجمته في : الاصابة ج ٥٢٤٨ ط دار الفكر ، الكنى والأسماء للدولابي ج ١٨٢٨ ، الكنى والأسماء لمسلم « لوحة - ٤١ - » .

وفتح الباب « ورقة - ١٢٤ - ب » ، والجرح والتعديل ج ٨ ق ٤٩٤/٣ . البداية والنهاية ج ٥٣/٩ ، وتاريخ الاسلام ج ٢٤٨/٣ ، الأنساب ج ٢٢٥/٣ ، ص ١٦٣ ، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لأبي سليمان محمد بن عبد الله الربيعي ت ٣٧٩ هـ - تحقيق الطالب عبد الله بن أحمد بن سليمان (رسالة ماجستير نوقشت عام ١٤٠١ هـ في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة) .

(٢) انظر ، تهذيب التهذيب ج ٢٢٢/٨ - ٢٢٣ ، والاصابة ج ٤٣٩/٣ ط دار الفكر .

(٣) انظر ، تاريخ بغداد ج ١٧٢/٨ .

( ٧٦ ) أبو زرعة بن عبد الحكم الافريقي ، روى عن بكر بن سودة بن ثمامة الجذامي ، ويكنى أبا ثمامة - فقيهاً كبيراً من التابعين (١) .

وعداه في أهل مصر - كذا قاله عنه أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس .

(٧٧) أبو زرعة : عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة - من علماء القرن الرابع -  
حضر قراءة كتاب ( الصاحبى ) في فقه اللغة على مؤلفه أحمد بن فارس في المحمدية

بمدينة الرى سنة ٣٨٢ هـ (٢) .

له : حجة القراءات .

شرف القراءة في الوقف والابتداء .

مجالس أملاها على طلابه .

( ٧٨ ) أبو زرعة القاضي المعروف بابن أبي عصمة محمد بن محمد بن عبد الوهاب

ابن عصام بن الحكم بن عيسى بن زياد بن عبد الرحمن ، من أهل عكبرا .

حدث عن أبي القاسم البغوى ، ومحمد بن عثمان العسكرى ، وجعفر بن محمد بن

العباس البزار ، ومحمد بن مخلد الدوري ( ٣ ) .

( ٧٩ ) ( ع ) أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله بن جابر ، وهو السليل بن

مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن خزيمة بن حرب بن علي بن مالك بن

سعد بن نذير بن قسر ، وهو مالك بن عبقر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث البجلي

الكوفي ، قيل اسمه هرم ، وقيل : عبد الله وقيل : عبد الرحمن ، وقيل : عمرو - قاله

النسائي - ، وقيل : جرير - قاله الواقدي - .

قال البخاري في تاريخه : هرم أبو زرعة ، سمع ثابت بن قيس ، وقال في الأوسط

( أى تاريخه ) : قال لي علي بن عبد الله : هرم أبو زرعة هذا ، ليس هو عمر بن جرير ،

انما هو أبو زرعة آخر .

قال بعضهم : إنه غلابي .

وقال ابن عساكر : فرق ابن المديني بين أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، وبين هرم

أبي زرعة صاحب أبي قيس .

( ١ ) انظر : نفع الطيب ج ٥٦٣ .

( ٢ ) انظر : مقدمة كتاب حجة القراءات للأستاذ سعيد الافغاني .

( ٣ ) انظر : تاريخ بغداد ج ٢٢٧٣ .

قال ابن حجر : وذكر ابن حبان في الثقات أبا زرعة بن عمرو بن جرير فيمن اسمه هرم ، ثم قال : ويقال : اسمه كنيته ( قلت ) : وبالرجوع للثقات لابن حبان تبين أنه ذكره فيمن اسمه ( هذيل ) .

رأى عليا ، وروى عن جده ، وأبي هريرة ، ومعاوية ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وثابت بن قيس النخعي ، وغيرهم .

وجرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي (١) كان من علماء التابعين ، وهو ثقة (٢)

وروى عنه جرير بن أيوب البجلي (٣) .

( ٨٠ ) ( ت ) أبو زرعة عن أبي أدريس الخولاني ، قيل : هو ابن عمرو بن جرير (٤) .

( ٨١ ) أبو زرعة هرم سمع ثابت بن قيس ، روى عن الحسن بن عبيد الله . قال البخاري : ليس هذا هو ابن جرير ، هذا آخر (٥) .

( ٨٢ ) أبو زرعة : عبد الرحمن بن عمرو بن جرير كوفي ، روى عن أبي هريرة وجرير بن عبد الله .

روى عنه عمارة بن عمير ، وإبراهيم النخعي ، وعمارة بن القعقاع ، والحسن بن عبيد الله ، وأبو فروة ، وجرير ، ويحيى أبناء أيوب البجلي ، وشمر بن عبد الرحمن ، وسلم ابن عبد الرحمن ، وعبد الله بن يزيد ، وي زيد بن زاذي . قال عنه يحيى بن معين : ثقة (٦) .

( ٨٣ ) ( بخ د س ق ) أبو زرعة : يحيى بن أبي عمرو السيباني - بفتح المهملة

( ١ ) انظر : الجرح والتعديل ج ٨ ق ٥٠٢٨ .

( ٢ ) انظر : تهذيب التهذيب ج ٨٧/٨٢ ، ٩٩ - ١٠٠ ، وج ١٣٨ ، وكتاب التاريخ للمقدمي ورقة « ٧ - أ » ، وميزان الاعتدال ج ٥٢٠/٤ ، والطبقات ص ١٥٨ ، وشرح العلل لابن رجب ج ١٦٢/٨ ، الكنى والأسماء لمسلم - لوحة ٤١ - وسماء هرم ، والثقات لابن حبان فيمن اسمه هرم ، وابن مندة في فتح الباب ورقة « ١٢٤ - ب » ، والتاريخ الكبير ج ٤ ق ٢٤٣٢ ، ج ٩٠/٩ الكنى . وانظر : تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي ص ٢٨٠ هـ عن يحيى بن معين ص ٢٣٩ حيث وثقه .

( ٣ ) انظر : الجرح والتعديل ج ٨ ق ٥٠٢٨ .

( ٤ ) انظر : تهذيب التهذيب ج ١٠٠/٨٢ .

( ٥ ) انظر : فتح الباب ( ١٢٤ - ب ) .

( ٦ ) انظر : الجرح والتعديل ج ٢ ق ٢٦٥/٢ - ٢٦٦ .

وسكون التحتانية (١) - الحمصي ، ابن عم الأوزاعي ، عداه في أهل الشام .  
روى عن أبيه ، وأبي مريم ، والوليد بن سفيان ، وروح بن زنباع ، وعبد الله بن  
الديلمي ، وعبد الله بن بجير ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعمرو بن عبد الله  
السيباني ، وغيرهم (٢) .

وروى عنه إبراهيم بن أبي عبلة ، وابن عمه عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ،  
وعبد الله بن المبارك ، ومحمد بن شعيب ، وغيرهم (٣) .

قال أحمد بن حنبل : شيخ ثقة ثقة (٤) .

وقال دحيم ، والعجلي ، ويعقوب بن سفيان : ثقة (٥) .

وقال ابن خراش : صدوق (٦) .

وقال أبو علي النيسابوري : أحد الثقات ، يجمع حديثه (٧) .

وذكره ابن حبان في الثقات .

وقال أبو حاتم ، وأبو زرعة الرازيان : لم يسمع من ذي مخبر بينهما عمرو بن

عبد الله الحضرمي (٨)

شهد غزاة القسطنطينية مع مسلمة بن عبد الملك ، وبقي بعد الخمسين ومائة .

وقال ابن زبر (٩) ، وضمرة بن ربيعة : مات سنة ثمان وأربعين ومائة (١٠) .

( ٨٤ ) عبد الحميد بن عبد الكريم بن عبد الحميد بن علي بن أبي الفتح بن

اسماعيل ، أبو شكر الحنفي ، ويقال : أبو زرعة ، كان أحد فقهاء أصحاب الرأي (١١)

( ٨٥ ) أبو زرعة بن سليمان السولوي القزويني : ذكره في ترجمة محمد بن محمود

ابن أبي زرعة السولوي القزويني الذي تفقه على والد الرافعي ، صاحب التدوين (١٢) .

( ١ ) انظر : الاكمال لابن ماكولا ج ١١٢/٥ ، والأنساب ج ٣٣٣/٧ وقال عنه : من أهل الرملة . وانظر : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه

ج ٨١٩/٢ .

( ٢ ) و ( ٣ ) انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٦٠/٨١ ، الجرح والتعديل ج ٤/١٧٧/٢ .

( ٤ ) انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٦٠/٨١ ، الجرح والتعديل ج ٤/١٧٧/٢ .

( ٥ ) و ( ٦ ) تهذيب التهذيب ج ٢٦٠/٨١ .

( ٧ ) انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٦٠/٨١ .

( ٨ ) انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٦١/٨١ ، والمراسيل لابن أبي حاتم ص ٢٤٦ .

( ٩ ) انظر : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم لابن زبر في وفيات ١٤٨ .

( ١٠ ) انظر : تهذيب التهذيب ج ٢٦١/٨١ .

وانظر مصادر في ترجمته في : التاريخ الكبير ج ٤/٢٩٣/٢ ، وميزان الاعتدال ج ٤/٣٩٩/٤ ، ونسبه بالسيباني ، والكنى لمسلم

( لوحة ٤١ ) ، والمعرفة والتاريخ ج ٥١٠/٢ ، وفتح الباب ( ورقة « ١٢٤ - ب » ) .

( ١١ ) تاريخ قزوين - ورقة ( ٢٣٦ - أ ) .

( ١٢ ) التدوين - ورقة ( ١٠٠ - ب ) .

( ٨٦ ) أبو زرعة أحمد بن عيسى بن حرب بن شيبة التميمي المكي أحد شيوخ أبي بكر محمد بن إبراهيم المقرئ الأصبهاني المتوفى سنة ٣٨١ هـ ( ١ ) .

( ٨٧ ) أبو زرعة : أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن إبراهيم الكردي الرازياني المصري الشافعي الحافظ ( ٧٦٢ - ٨٢٦ هـ ) .

أول ما طعن في الثالثة من عمره ، رحل به أبوه الى دمشق ( سنة خمس وستين ) فأحضره الكثير على الجرم الغفير من أصحاب الفخر بن البخاري ، وابن عساكر ، وغيرهما ، ثم عاد إلى القاهرة فأكثر عن مشايخ عصره ، ورحل ثانيا إلى دمشق بعد موت الطبقة الأولى ، ورحل إلى بيت المقدس ، والمدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، وسمع الكثير من شيوخ عصره .  
ظهرت نجابته ، واشتهرت نباهته ، وأجيز وهو شاب بالافتاء والتدريس ، وصار يزداد فضلا مع ذكائه وتواضعه وحسن شكله وشرف نفسه وسلامة باطنه ، فأقبل عليه الناس ، وساد بجميع ذلك في حياة والده واشتهر بالفضل مع الدين المتين .

صنف الكثير في الحديث وغيره ، ومن كتبه الحديثية :

١ - ( البيان والتوضيح لمن خرج له في الصحيح ، وقد مس بضرب من التجريح ) وهو أول ما صنف .

٢ - المستفاد من مبهمات المتن والاسناد .

٣ - تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل .

٤ - ذيل الكاشف - أضاف إليه رجال مسند الإمام أحمد .

٥ - الأطراف بأوهام الأطراف .

٦ - ترتيب المسانيد وتقريب الأسانيد .

٧ - كشف المدلسين .

٨ - شرح الصدر بذكر ليلة القدر .

٩ - الأربعون الجهادية .

١٠ - جمع طرق المهدي .

وهذا الإمام آخر من وقفنا عليه تكنى بـ ( أبي زرعة ) ( ٢ ) .

( ١ ) المعجم ورقة / ٦٥٠

( ٢ ) انظر : ذبول تذكرة الحفاظ ص ٢٨٤ - ٢٨٨ ، وص ٢٧٥ - ٢٧٦ . شذرات الذهب ج ١٣٢٧ .



## المصادر

أولاً : المخطوطات :

- ١ - تاريخ مواليد العلماء ووفياتهم : لابن زبير محمد بن عبد الله الربيعي الدمشقي ( ت ٣٧٩ هـ ) . نسخة المتحف البريطاني .
- ٢ - تاريخ دمشق : لعلي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ( ابن عساكر ) ( ت ٥٧١ هـ ) . النسخة المصورة في معهد المخطوطات في القاهرة .
- ٣ - التدوين في أخبار قزوين : لأبي القاسم إمام الدين عبد الكريم بن محمد القزويني ( ت ٦٢٣ هـ ) . نسخة تركيا - وقف سلطان سليم خان .
- ٤ - التقييد لرواة السنن والأسانيد : لأبي بكر محمد بن عبد الغني البغدادي ( ت ٦٢٩ هـ ) . نسخة المتحف البريطاني رقم ٤٥٨٦ شرقي .
- ٥ - سير أعلام النبلاء : لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ( ت ٧٤٨ هـ ) . نسخة مكتبة السلطان أحمد الثالث استانبول رقم ١ / ٢٩١٠ .
- ٦ - فتح الباب في الكنى والألقاب : لأبي عبد الله محمد بن اسحاق بن مندة الأصفهاني ( ت ٣٩٥ هـ ) نسخة مكتبة برلين رقم ٩٩١٧ .
- ٧ - كتاب التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم : لأبي بكر محمد بن أحمد بن محمد القاضي المقدمي ( ت ٣٠١ هـ ) . نسخة المتحف البريطاني رقم ٣٦١٩ شرقية .
- ٨ - الكنى والأسماء : لمسلم بن الحجاج النيسابوري ( ت ٢٦١ هـ ) . نسخة دار الكتب - الظاهرية - ضمن مجموع رقم ١ .
- ٩ - المنتخب من كتاب الارشاد إلى علماء البلاد : لأبي يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي ( ت ٤٤٦ هـ ) بانتخاب الحافظ السلفي نسخة تركيا - آيا صوفيا رقم ٢٩٥١ .

\*\*\*\*\*

## ثانياً : المطبوعات :

- ١٠ - اللباب في تهذيب الأنساب : لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري ( ت ٦٣٠ هـ ) ٣ أجزاء - نشر مكتبة القدس - مصر ١٣٥٧ هـ .
- ١١ - الأنساب : لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ( ت ٥٦٢ هـ ) طبعة دار المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن .
- ١٢ - الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف : لابن ماكولا أبي نصر علي بن هبة الله ( ت ٤٧٥ هـ ) طبعة دائرة المعارف العثمانية .
- ١٣ - الإصابة في تمييز الصحابة : لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ( ت ٨٥٢ هـ ) .
- ١٤ - إمام الكلام مع حاشية غيث الغمام : لعبد الحي اللكنوي . ط ادارة احياء السنة - باكستان .
- ١٥ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ( ت ٩١١ هـ ) . نشر المكتبة التجارية - القاهرة .
- ١٦ - البداية والنهاية : لعقاد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ( ت ٧٧٤ هـ ) . طبعة دار الفكر - بيروت ١٩٧٤ م .
- ١٧ - بحوث في تاريخ السنة المشرفة : للدكتور أكرم ضياء العمرى حفظه الله . ط الثالثة ١٩٧٥ م بيروت - مؤسسة الرسالة .
- ١٨ - تاريخ جرجان : لأبي القاسم حمزة بن يوسف بن ابراهيم ( ت ٤٢٧ هـ ) طبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٩ هـ .
- ١٩ - تاريخ أبي زرعة الدمشقي : للحافظ عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله النصري ( ت ٢٨١ هـ ) نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠ م .
- ٢٠ - التاريخ الكبير - لمحمد بن إسماعيل البخاري ( ٢٥٦ هـ ) طبعة المكتبة الإسلامية - ديار بكر - مصورة على طبعة حيدر آباد الهند .
- ٢١ - تاريخ عثمان بن سعيد الدرامي ( ت ٢٨٠ هـ ) عن يحيى بن معين طبعة دار المأمون للتراث - سوريا .

- ٢٢ - تاريخ بغداد - لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ( ت ٤٦٣ هـ )  
 مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٩ هـ .
- ٢٣ - تاريخ التراث العربي لفؤاد سركيس - طبعة الهيئة المصرية - القاهرة  
 ١٩٧٧ م .
- ٢٤ - تذكرة الحفاظ - لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي  
 ( ت ٧٤٨ هـ ) - طبعة دائرة المعارف العثمانية ١٩٥٥ م .
- ٢٥ - تبصير المنتبه بتحرير المشتبه - لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي  
 ابن حجر العسقلاني ( ت ٨٥٢ هـ ) طبعة القاهرة ١٩٦٤ م .
- ٢٦ - التقييد والايضاح - شرح مقدمة ابن الصلاح - للحافظ زين الدين عبد الرحيم  
 ابن الحسين العراقي ( ت ٨٠٦ هـ ) - طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- ٢٧ - تقريب التهذيب - لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر  
 العسقلاني ( ت ٨٥٢ هـ ) طبعة دار المعرفة - بيروت ١٣٩٥ هـ .
- ٢٨ - تهذيب تاريخ دمشق - لعبد القادر بن بدران الدمشقي - مطبعة الترقى -  
 دمشق ( ١٣٢٩ هـ / ١٣٣٢ هـ ) .
- ٢٩ - تهذيب التهذيب - لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر  
 العسقلاني ( ت ٨٥٢ هـ ) .
- ٣٠ - توضيح الأفكار لمعاني الآثار - لمحمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني  
 ( ت ١١٨٢ هـ ) مطبعة الخانجي - مصر - ١٣٦٦ هـ .
- ٣١ - الثقات - لمحمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ( ت ٣٥٤ هـ )  
 طبعة حيدرآباد الدكن .
- ٣٢ - الجرح والتعديل - لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاكم الرازي  
 ( ت ٣٢٧ هـ ) طبعة حيدرآباد ١٩٥٢ - ١٩٥٦ م .
- ٣٣ - حجة القراءات - لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة - مؤسسة  
 الرسالة - ط ١٣٩٩ هـ بيروت .
- ٣٤ - الدراية على تخريج أحاديث الهداية - لشهاب الدين أبي الفضل أحمد  
 ابن علي بن حجر العسقلاني ( ت ٨٥٢ هـ ) ط الفجالة الجديدة - مصر .

- ٣٥ - الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام - للدكتور بشار عواد - ط  
عيسى البابي الحلبي - القاهرة .
- ٣٦ - ذيل تذكرة الحفاظ - لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي  
( ت ٩١١ هـ ) طبعة حسام القدسي في القاهرة .
- ٣٧ - ذيل تاريخ بغداد - للحافظ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود  
ابن النجار ( ت ٦٤٣ هـ ) طبعة حيدرآباد ١٣٩٨ هـ .
- ٣٨ - ذكر أخبار أصبهان - لأحمد بن عبد الله الأصبهاني ( ت ٤٣٠ هـ ) طبعة  
ليدن ١٩٣١ م .
- ٣٩ - الرسالة المستطرفة في مشهور كتب السنة المشرفة - للسيد محمد بن  
جعفر الكتاني ( ت ١٣٤٥ هـ ) الطبعة الثالثة ١٣٨٣ هـ .
- ٤٠ - شرح ألفية الحديث - لزين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين  
العراقي ( ت ٨٠٦ هـ ) طبعة فاس - ١٣٥٤ هـ .
- ٤١ - شرح علل الترمذي - لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي  
( ت ٧٩٥ هـ ) طبعة دار الملاح للطباعة والنشر ١٣٩٨ هـ .
- ٤٢ - شرح معاني الآثار - لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي  
( ت ٣٢١ هـ ) مطبعة الأنوار - مصر .
- ٤٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلي ( ت ١١٣٨ هـ )  
طبعة القدسي - مصر .
- ٤٤ - الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع - لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي  
( ت ٩٠٢ هـ ) مصر .
- ٤٥ - طبقات الشافعية - لعبد الوهاب بن علي السبكي ( ت ٧٧١ هـ ) طبعة  
عيسى البابي الحلبي - ١٩٦٧ م .
- ٤٦ - الطبقات - لأبي عمرو خليفة بن خياط شباب العصري ( ت ٢٤٠ هـ )  
نشر دار طيبة ١٤٠٢ هـ .
- ٤٧ - عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب أبي حنيفة - لمحمد مرتضى  
الزبيدي ١٢٠٥ هـ ط القاهرة .

- ٤٨ - غاية النهاية في طبقات القراء - لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزرى ( ت ٨٣٣ هـ ) ط القاهرة - ١٩٣٢ م
- ٤٩ - فتح البارى بشرح صحيح البخاري - لشهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني ( ت ٨٥٢ هـ ) الطبعة السلفية مصر .
- ٥٠ - فهرست ما رواه عن شيوخه - لأبي بكر محمد بن خير بن عمر الاشبيلي ( ت ٥٧٥ هـ ) - دار الآفاق الجديدة - بيروت .
- ٥١ - الكفاية في علم الرواية - لأبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي ( ت ٤٦٣ هـ ) طبعة دار الكتب الحديثة - مصر .
- ٥٢ - الكنى والأسماء - لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي ( ت ٣٢٠ هـ ) حيدرآباد الدكن - ١٣٢٢ هـ .
- ٥٣ - كتاب القراءة خلف الإمام - لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ( ت ٤٥٨ هـ ) طبعة ادارة احياء السنة - باكستان .
- ٥٤ - المراسيل - لابن أبي حاتم الرازى ( ت ٣٢٧ هـ ) طبعة مؤسسة الرسالة ١٣٩٧ هـ .
- ٥٥ - مسند الإمام أبي حنيفة - لأبي حنيفة النعمان بن ثابت ( ت ١٥٠ هـ ) طبعة حلب .
- ٥٦ - المعرفة والتاريخ - ليعقوب بن سفيان ( ت ٢٧٧ هـ ) طبعة مؤسسة الرسالة - ١٤٠١ هـ .
- ٥٧ - معرفة علوم الحديث - لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ( ت ٤٠٥ هـ ) طبعة محمد بن سلطان النمكاني .
- ٥٨ - معجم البلدان - لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ( ت ٦٢٨ هـ ) طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت .
- ٥٩ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال - لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ( ت ٧٤٨ هـ ) طبعة دار احياء الكتب العربية - ١٣٨٢ هـ .
- ٦٠ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ( ت ٥٩٧ هـ ) - طبعة حيدرآباد ١٣٥٧ - ١٣٥٩ هـ .

- ٦١ - موارد ابن حجر العسقلاني في الاصابة - للدكتور شاکر محمود عبد المنعم - رسالة الدكتوراه التي تقدم بها لجامعة بغداد .
- ٦٢ - نصب الراية لأحاديث الهداية - لجمال الدين عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي ( ت ٧٦٢ هـ ) طبعة المكتب الاسلامي بيروت - ١٣٩٣ هـ .
- ٦٣ - معجم الشيوخ - لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ ت ٣٨١ هـ - مخطوط - نسخة دار الكتب المصرية مصطلح ٢٧ م .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
 « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ  
 وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ  
 عَرَضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، أَلْتَقَوْنَا هَاهُنَا بِحَسْبِ  
 أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ .

رواه الترمذی، وقال: حديث حسن

# صَلَاةُ الْمُسَافِرِ

للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي  
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

( المسألة الأولى ) حكم القصر والاتمام في السفر :

للعلماء فيه رأيان :

الرأي الأول : إن القصر هو الفرض المتعين على المسافر . لا يجوز إتمامه أبداً . وهو قول الإمام أبي حنيفة وأصحاب الرأي .

قال الشيخ الكاساني : إن فرض المسافر من ذوات الأربع ركعتان لا غير :

وقال الشافعي : أربع كفرض المقيم إلا أن للمسافر أن يقصر رخصة . ثم قال : من مشايخنا من لقب المسألة بأن القصر عندنا عزيمة ، والاكمال رخصة . وهذا التلقيب على أصلنا خطأ ، لأن الركعتين من ذوات الأربع في حق المسافر ليستا قصرأ حقيقة عندنا بل هما تمام فرض المسافر ، والاكمال ليس رخصة في حقه بل هو إساءة ومخالفة للسنة . هكذا روى عن أبي حنيفة أنه قال : من أتم الصلاة في السفر فقد أساء ، وخالف السنة « ( ١ ) .

وقالوا أيضاً : من صلى الفرض الرباعي أربعاً في السفر ، فإن قعد في الثانية بعد التشهد صحت صلاته مع الكراهة لتأخير السلام . وما زاد على الركعتين نفل ، وإن لم يقعد في الركعة الثانية لا يصح فرضه .

وقد بالغ حماد بن أبي سليمان فقال : من أتم صلاته في السفر فعليه أن يعيدها .

الرأي الثاني : إن القصر ليس بواجب متعين وهو رأي الجماهير من الفقهاء والمحدثين إلا أنهم اختلفوا في أفضلية القصر وإتمامه فعند أحمد ، القصر والإتمام سواء وإن المسافر إن شاء صلى ركعتين وإن شاء أتم . وروي عنه أيضاً التوقف في هذه المسألة . فقال : أنا أحب العافية من هذه المسألة .

وقال الشافعي : القصر أفضل وروي أنه قال : الاتمام قياساً على أفضلية الصوم في السفر والقصر

رخصة .

( ١ ) البدائع والصنائع : ١ / ٢٨٣ .

والقول الأول يرجحه ابن دقيق العيد والثاني يرجحه النووي عن الإمام الشافعي . وقال الإمام مالك : القصر سنة فمن فعل فقد أصاب ومن لم يفعل فليس عليه شيء .

بعض الأدلة للإمام أبي حنيفة ومن معه لوجوب القصر :

١ - حديث عائشة : أنها قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتين ، فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر . « قال الزهري : فقلت لعروة : ما بال عائشة تتم قال : تأولت كما تأول عثمان » (١) .

وقد أخرج ابن جرير في تفسير سورة النساء : أن عائشة كانت تصلي في السفر أربعاً ، فإذا احتجوا عليها تقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في حرب ، وكان يخاف ، فهل تخافون أنتم .

أخذ الإمام أبو حنيفة بظاهر قولها : « فرضت صلاة السفر ركعتين » وقال غيره : معنى قولها : فرضت ركعتين لمن أراد الاقتصار عليهما فزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحميم وأقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار وثبتت دلائل الاتمام فوجب المصير إليها (٢) .

ويقال أيضاً : إن عائشة لم تدرك تشريع الأحكام بمكة لأنها كانت صغيرة والحديث موقوف عليها لم تسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجب التأويل وقد قال بعض العلماء إن ذلك كان من فقهاء : منهم القاضي عياض . وقالوا : لو كان ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لتواتر نقله عن جملة من الصحابة لأن الصلاة من معالم الدين ولا يمكن أن تكون خافية على جمهور الناس .

ثم روي عن عائشة رضي الله عنها كما ذكره الترمذي في جامعه (٣) وغيره أنها كانت تتم الصلاة في السفر فلو كانت تعتقد أن الصلاة في السفر ركعتين لا زيادة عليهما وأنهما على سبيل الوجوب فما كان لها أن تخالف هذا . يقال إنها تأولت كما تأول عثمان وسوف يأتي هذا .

قال الحافظ : وقد جاء عنها سبب الاتمام صريحاً فيما أخرجه البيهقي (٤) من طريق هشام بن عروة عن أبيه أنها كانت تصلي في السفر أربعاً فقلت لها : لو صليت ركعتين ، فقالت : يا ابن أختي إنه لا يشق علي ، اسناده صحيح وهو دال على أن القصر رخصة . وأن الاتمام لمن لا يشق عليه أفضل . انتهى كلامه (٥) .

(١) رواه البخاري (٥٦٩ / ٢) مع الفتح ( ومسلم ( ٤٧٨ / ٢ ) وأبو داود ( ٥ / ٢ ) .

(٢) انظر شرح مسلم للنووي ( ١٩٥ / ٥ ) .

(٣) ٤٣٠ / ٢ .

(٤) ١٤٣ / ٣ .

(٥) الفتح ( ٥٧١ / ٢ ) .



٢ - حديث ابن عباس : قال « فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة (١) » .

يقال في هذا الحديث مثل القول في حديث عائشة لمن أراد الاقتصار على الركعتين في السفر .

وأما قوله : وفي الخوف ركعة واحدة فقد ذهب إلى ذلك جماعة من السلف وهو الذي فهمه أبو داود فبوب في سننه بقوله : يصلي بكل طائفة ركعة ولا يقضون . وممن قال بهذا الحسن والضحاك وإسحاق بن راهوية وقد روى عن الأخير أنه قال : أما عند الشدة فتجزيك ركعة واحدة توميء بها إيماء . فإن لم تقدر فسجدة واحدة . فإن لم تقدر فتكبيرة لأنها ذكر الله وأما غيره فقالوا بركعة واحدة .

والجمهور على أن صلاة الخوف كصلاة الأمان في عدد الركعات فإن كانت في الحضر وجب أربع ركعات . وإن كانت في السفر وجب ركعتان ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الأحوال . وبه قال من الجمهور : مالك وأبو حنيفة والشافعي هذا ملخص ما قاله الخطابي في معالم السنن (٢) : ولكن يصلي على حسب الامكان ركعتين . أى وجه يوجهون إليه رجلاً وركباً يوماً يوماً .

وقال أحمد : كل حديث روى في أبواب صلاة الخوف فالعمل به جائز انتهى .

وقد روى عن جماعة من الصحابة أنهم صلوا صلاة الخوف ركعة واحدة . منهم حذيفة . قال ثعلبة ابن زهدم : كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان فقال : أيكم صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فقال حذيفة : أنا فصلي بهؤلاء ركعة . وبهؤلاء ركعة ولم يقضوا (٣) .

وكذلك روى زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « فكانت للقوم ركعة وللنبي صلى الله عليه وسلم ركعتين » (٤) .

وأما الجمهور فتأولوا هذه الأحاديث : بأن المراد به ركعة مع الإمام وركعة أخرى يأتي بها كما

(١) رواه مسلم (٤٧٩/١) وأبو داود (٤٠/٢) والنسائي (١٦٩٣) وابن ماجه (٣٣٩/٨) وأبو عوانه (٣٣٥/٢) كل بطريق أبي عوانه عن بكير بن اخنس عن مجاهد . عن ابن عباس . إلا أن ابن ماجه لم يذكر قوله « وفي الخوف ركعة » .

(٢) هامش سنن أبي داود (٣٩/٢) .

(٣) رواه أبو داود (٣٨٢/٢) والنسائي (١٦٧٣) . قال أبو داود : وكذا رواه عبيد الله بن عبد الله . ومجاهد . عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم . وعبد الله بن شقيق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . ويزيد الفقير وأبو موسى (رجل من التابعين وليس بالأشعري) جميعاً عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقد قال بعضهم عن شعبة في حديث يزيد الفقير : إنهم قضوا ركعة أخرى . وكذلك رواه سماك الحنفي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم . وكذلك رواه زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فكانت للقوم ركعة . وللنبي صلى الله عليه وسلم ركعة انتهى .

يقول بعض العلماء : إنما ذلك عند شدة الخوف كما روى عن جابر بن عبد الله أنه كان يقول : الركعتان في السفر ليستا بقصر . إنما القصر واحدة عند القتال .

(٤) رواه النسائي (١٦٨/٢) وإسناده حسن .

جاءت الأحاديث الصحيحة في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الخوف وهذا التأويل لا بد منه للجمع بين الأدلة (١) .

قال الإمام الشافعي : وإنما تركناه لأن جميع الأحاديث في صلاة الخوف مجتمعة على أن على المأمومين من عدد الصلاة ما على الإمام . وكذلك أصل الفرض في الصلاة على الناس واحد في العدد .

وحديث ابن عباس من جملة الأحاديث التي ذكرها الشيخ ابن الهمام في معرض أدلة أبي حنيفة مع أنه لا يصلح أن يكون دليلاً له لأنه لا يقول بالشرط الأخير من الحديث وهو قوله : وفي الخوف ركعة .

٢ - حديث عمر بن الخطاب قال : صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الأضحى ركعتان ، وصلاة الفطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه النسائي وابن ماجه (٢) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عمر بن الخطاب قال النسائي : إن فيه انقطاعاً لأن ابن أبي ليلى لم يسمع من عمر . انتهى .

قال الشيخ ابن الهمام : « واعلاله بأن عبد الرحمن لم يسمع من عمر مرفوعاً بثبوت ذلك . حكم به مسلم في مقدمة كتابه (٣) انتهى .

يقصد به الشيخ ابن الهمام قول مسلم في مقدمة صحيحه وهو « وأسند عبد الرحمن بن أبي ليلى وحفظ عن عمر بن الخطاب .. وصحب علياً ، عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً » والقضية معروفة بين أهل العلم وهي رواية المنعن فذهب الإمام مسلم إلى أن روايته تحمل على الاتصال إذا ثبت التلاقي ، أو أمكن ولم يثبت بالتصريح مع احتمال الإرسال وذهب المحققون من أهل العلم كعلي بن المديني والبخاري وغيرهما إلى تضعيف رواية المنعن إذا لم يثبت لقاءه بمن روى عنه في عمره ولو مرة واحدة . وذلك كما قال النووي : « دليل هذا المذهب المختار أن المنعن عند ثبوت التلاقي إنما حمل على الاتصال لأن الظاهر ممن ليس بمدلس أنه لا يطلق ذلك إلا على السماع ، ثم الاستقراء يدل عليه فإن عادتهم أنهم لا يطلقون ذلك إلا فيما سمعوه إلا المدلس ولهذا رددنا رواية المدلس فإذا ثبت التلاقي غلب على الظن الاتصال ، والباب مبني على غلبة الظن فاكتفينا به وليس هذا المعنى موجوداً فيما إذا أمكن التلاقي ولم يثبت فإنه لا يغلب على الظن الاتصال فلا يجوز العمل على الاتصال ويصير كالمجهول . فإن روايته مردودة لا للقطع بكذبه أو ضعفه بل للشك في حاله » انتهى (٤) .

(١) انظر شرح مسلم للنووي : ١٩٧/٥ .

(٢) النسائي ( ١١٨/٣ ) وابن ماجه ( ٣٣٨٨ ) كما رواه أيضاً أحمد ( ٣٧٨ ) وابن حبان ( موارد الضمان ١٤٤ ) كل بطرق عن

عبد الرحمن بن أبي ليلى .

(٣) انظر شرح فتح القدير ( ٣٩٦٨ ) .

(٤) انظر شرح مقدمة مسلم للنووي ( ١٣٨٨ ) .

وأما سماع ابن أبي ليلى فقد اتفق يحيى بن معين وأبو حاتم والنسائي على أنه لم يسمع من عمر ابن الخطاب ولذا روى أبو يعلى الموصلي من طريق الثوري عن زييد اليامي عن عبد الرحمن عن الثقة عن عمر بن الخطاب . فإنه جعل بين عبد الرحمن بن أبي ليلى وبين عمر واسطاً (١) . ولا ندري من هو هذا الثقة .

٤ - حديث ابن عمر : قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا ونحن ضلال ، فعلمنا فكان فيما علمنا أن الله عز وجل أمرنا أن نصلّي ركعتين في السفر .

رواه النسائي . هكذا عزاه صاحب المنتقى به ولم يقل الشوكاني شيئاً في شرح المنتقى ولم أجده في السنن للنسائي وكذا قال أيضاً الزيلعي (٢) .

٥ - حديث ابن عمر أيضاً : قال : صحبت النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يزيد في السفر على ركعتين وأبا بكر وعمر وعثمان كذلك . متفق عليه .

وقول ابن عمر يقضي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتم في طول حياته في السفر .

وليس فيه دليل لمن ذهب إلى الوجوب لأن النبي صلى الله عليه وسلم عمل بالرخصة لبيان الجواز وكذلك ليس فيه حصر بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتم طول حياته لأن ابن عمر لم يلازمه في جمع أسفاره وسوف يأتي من عائشة ما يخالف هذا .

٦ - حديث أبي هريرة : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المتم للصلاة في السفر كالمقصر في الحضر » .

رواه الدارقطني (٣) عن شيخه أحمد بن محمد المغلس وهو كذاب . وفيه أيضاً بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعن عن أبي يحيى المديني .

أدلة الجمهور على أن المقصر ليس بواجب :

قال الإمام الشافعي : قال الله عز وجل : « وإذا ضربتُم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتُم أن يُفتنكم الذين كفروا ( النساء . الآية ١٠١ ) » . قال : فكان بيناً في كتاب الله تعالى أن قصر الصلاة في الضرب والخوف تخفيف من الله عز وجل عن خلقه . لا أن فرضاً عليهم أن يقصروا كما كان قوله تعالى : « لا جناح عليكم إن طَلَقْتُم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة » ( البقرة الآية : ٢٣٦ ) رخصة . لا أن حتماً عليهم أن يطلقوهن في هذه الحال .

(١) انظر تفسير ابن كثير (١ / ٣٥٠) .

(٢) انظر نصب الراية (٣ / ١٩٠) .

(٣) لم أجده في سنن الدارقطني في مظانه لكنه عزاه الزيلعي في نصب الراية (٣ / ١٩٠) إليه .

وكما كان قوله : « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ » ( البقرة . الاية ١٩٨ ) « يريد . والله تعالى أعلم : أن تتجروا في الحج . لا أن حتماً عليهم أن يتجروا . كما كان قوله « فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ » ( النور . الاية ٦٠ ) وكما كان قوله « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بَيْوتِكُمْ : » لا أن حتماً عليهم أن يأكلوا من بيوتهم . ولا بيوت غيرهم » .

ثم قال : والقصر في الخوف والسفر بالكتاب ثم بالسنة . والقصر في السفر بلا خوف سنة . والكتاب يدل على أن القصر في السفر بلا خوف رخصة من الله عز وجل لا أن حتماً عليهم أن يقصروا كما ذلك في الخوف والسفر « انتهى (١) » .

كأن الإمام الشافعي يشير إلى أن لفظة « جناح » تستعمل في المباحات والمرخصات دون العزائم والفرائض .

وإليكم بعض الأدلة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١ - عن يعلي بن أمية قال : قلت لعمر بن الخطاب إنما قال الله سبحانه وتعالى « إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاتِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا » النساء ( ١٠١ )

فقد أمن الناس قال عمر : عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » (٢) .

فقول النبي صلى الله عليه وسلم « صدقة » يدل صراحة بأنه ليس بعزائم . والمعروف أن المتصدق عليه يكون مختاراً في قبول الصدقة وردها . والأمر في قوله .

فاقبلوا صدقته . أمر ندب لا إيجاب . ولا تناقض بين هذا الحديث . والحديث المتقدم « صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر » أي غير ناقص في الأجر والثواب لمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم وأمره بذلك ما فيه من العلة .

قال الخطابي : وفي هذا حجة لمن ذهب إلى أن الإتمام هو الأصل . ألا ترى أنهما قد تعجبا من القصر مع عدم شروط الخوف . فلو كان أصل صلاة المسافر ركعتين لم يتعجبا من ذلك . انتهى .

قال الربيع : قال الشافعي : فدل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن القصر في السفر بلا خوف صدقة من الله . والصدقة رخصة لا حتم من الله أن يقصروا .

(١) الأم : ١٧٩٨ .

(٢) رواه مسلم ( ٤٧٨٨ ) وأبو داود ( ٧٢٣ ) وابن ماجه ( ٣٣٩٨ ) وأحمد ( ٢٥٨ - ٢٦ ) والشافعي في الأم ( ١٧٩٨ ) كلهم بطرق عن عبد الله بن عمار . عن عبد الله بن باباه . عن يعلي بن أمية . وعبد الله بن باباه : بموحدتين بينهما ألف ساكنة . ويقال : بابيه بتحتانية بدل الألف . ويقال بحذف الهاء وهو من الثقات .

ودل على أن يقصروا في السفر بلا خوف إن شاء المسافر ، وأن عائشة قالت : كل ذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . أتم في السفر وقصر » (١) .

وقد روى ابن مردويه عن ابن عمر أنه قال : الركعتين في السفر رخصة نزلت من السماء فإن شئتم فردوها (٢) .

وحديث عمر بن الخطاب هذا أولى بالقبول لأنه لا يحتمل كما يحتمل قول عائشة فإن فيه التصريح بأنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية الكريمة فقال : :

إن القصر في السفر رخصة وكان مشروطاً في بداية الإسلام بالسفر والخوف وبعد ذهاب الخوف هي هدية من الله فمن شاء قبلها ، ومن شاء ردها بينما يحتمل قول عائشة رضي الله عنها بأن يكون ذلك من فقهاء أو اجتهداها كما قال القاضي عياض وغيره . قال البغوي « قوله - صدقة تصدق الله بها عليكم - دليل على أن القصر رخصة وإباحة لا عزيمة (٣) .

٢ - حديث أنس بن مالك ( رجل من بني عبد الله بن كعب ) .

قال أغارت علينا خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يتعذى فقال : أدن فكل . فقلت أني صائم فقال : أدن أحدثك عن الصوم أو الصيام إن الله وضع عن المسافر شرط الصلاة . وعن الحامل والمرضع الصوم أو الصيام . والله لقد قالها النبي صلى الله عليه وسلم كليهما أو أحدهما .

فيا لهف نفسي أن لا أكون طعمت من طعام النبي صلى الله عليه وسلم (٤) .

قال الترمذي : حديث أنس بن مالك الكعبي حديث حسن ولا نعرف لأنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث الواحد . انتهى . نقل المنذرى تحسين الترمذى وأقره .

وأنس بن مالك هو القشيري الكعبي الأنصاري المشهور الذي خدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان أحد المكثرين من الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي الحديث دليل صريح لمن قال بأن الصلاة في السفر لم تفرض ركعتين وإلا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله وضع عن المسافر شرط الصلاة . فكان الأصل هو الاتمام والقصر رخصة من الله .

(١) انظر سنن البيهقي : ١٤١/٣ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير : ٣٤٨/٢ .

(٣) انظر شرح السنة (٤ / ١٦٩) .

(٤) رواه الترمذى (٨٥/٢) وأبو داود (٧٩٦/٢) والنسائي (١٧٨/٤) في سياق آخر عن التمرى ( وابن ماجه (٥٣٣/٨) وأحمد

( ٣٤٧ / ٤ ) .

٣ - حديث عائشة : أخرج النسائي في سننه عن العلاء بن زهير عن عبد الرحمن بن الأسود عن عائشة أنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة . قالت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت ، وأتممت وأفطرت وصمت فقال أحسنت يا عائشة « وما عاب علي (١) .

وقال الزيلعي (٢) : العلاء بن زهير قال فيه ابن حبان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات فبطل الاحتجاج به كذا قال في كتاب الضعفاء وذكره في كتاب الثقات أيضاً فتناقض كلامه فيه انتهى . وزهير بن العلاء ممن وثقه ابن معين وغيره فلم يأخذ العلماء فيه بقول ابن حبان . كما قال الذهبي : العبرة بتوثيق يحيى . و يقال أيضاً إن في متن هذا الحديث نكارة فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في رمضان قط كما أخرج الشيخان عن قتادة عن أنس قال : حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة واحدة واعتمر أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجه .

ويمكن أن يجمع بين هذا وذاك بأن خروجه من المدينة كان في أواخر رمضان ووصوله إلى مكة كان في أوائل ذي القعدة . إلا أنه بعيد لطول المدة .

أو يقال لعل عائشة كانت فيمن خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفره عام الفتح وكان سفره ذلك في رمضان ولم يرجع من سفره ذلك حتى اعتمر عمرة الجعرانة فأشارت بالقصر والاتمام والفطر والصيام .

إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال إن هذا كذب على عائشة رضي الله عنها فإنها لم تكن لتصلي بخلاف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الصحابة وهي تشاهدهم يقصرون . كيف والصحيح عنها أنها قالت : إن الله فرض الصلاة ركعتين ركعتين ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة زيد في صلاة الحضر ، وأقرت صلاة السفر . فكيف يظن بها مع ذلك أن تصلي بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه « (٣) .

ولكن الصحيح أنها أتمت ولو بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كما سبق ذكره .

(١) النسائي (١٢٢٣) وكذا رواه البيهقي (١٤٢٣) والدارقطني (١٨٨٣) .

قال البيهقي : عبد الرحمن بن الأسود قد أدرك عائشة فدخل عليها وهو مراهق . وروى بطريق آخر عن العلاء بن زهر ، عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة وقال : هذا متصل واسناده حسن .

(٢) انظر نصب الراية (١٩١٢) .

(٣) انظر زاد المعاد (٤٦٤٨) .

وقد روى الدارقطني (١) باسناد صحيح قال : ثنا الحاملي ، ثنا سعيد بن محمد بن ثواب ثنا أبو عاصم ، ثنا عمرو بن سعيد عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة أنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقصر في السفر ويتم ، ويفطر ويصوم » .

وبطريق الدارقطني رواه البيهقي (٢) ووافق على تصحيح الدارقطني وقال أيضاً : ولهذا شاهد من حديث دلهم بن صالح ، والمغيرة بن زياد وطلحة بن عمرو ، وكلهم ضعيف ، انتهى .

ونقل الزيلعي تصحيح الدارقطني والبيهقي وأقره أيضاً إلا أنه قال : وقد يعارض هذا بحديث ابن عمر أنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ... الخ . وقد أجيب عنه .

٥ - حديث ابن عمر : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته » .

رواه أحمد (٣) قال ثنا قتيبة بن سعيد ثنا عبد العزيز بن محمد عن عمارة بن غزية عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه أيضاً ابن خزيمة (٤) وابن حبان في صحيحهما إلا أنهما زادا حرب بن قيس بين عمارة ونافع وبهذا الوجه رواه الخطيب البغدادي (٥) إلا أن شيخ أحمد فيه علي بن عبد الله وهو الوجه الثاني عند أحمد وعلي بن عبد الله هو ابن المديني . يقال لعل الدراوردي حفظ الاسنادين وهو ما يسمى المزيد في متصل الأسانيد .

واسناد أحمد على شرط مسلم .

### وللحديث شواهد منها :

١ - حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » رواه الطبراني في الكبير والبخاري ورجال البزار ثقات وكذلك رجال الطبراني (٦) .

وأما شواهد أخرى فهي ضعيفة . مثل حديث عبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس بن مالك وأبي الدرداء وأبي أمامة ووائلة بن الأسقع وغيرهم . انظر مجمع الزوائد .

في هذا الحديث دليل على أن الاتيان بالرخص مثل العمل على العزائم فمداومة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على قصر الصلاة لا تدل على الوجوب بل كانت مداومة النبي صلى الله عليه وسلم

(١) الدارقطني (١٨٩/٢) .

(٢) سنن البيهقي ٢ : ١٤٢ .

(٣) أحمد في مسنده ٢ : ١٠٨ .

(٤) صحيح ابن خزيمة ٣ : ٢٥٩ .

(٥) تاريخ بغداد ١٠ : ٣٤٧ .

(٦) مجمع الزوائد ٣ : ١٦٢ .

على الرخص مثل عمله على العزائم . وأما الأحاديث التي استدل بها الإمام أبو حنيفة فهي أكثر ما تدل فتدل على أن القصر أفضل لمداومة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وأما قول عائشة رضي الله عنها وغيرها بأن الصلاة في السفر فرضت ركعتين فله عدة معاني :

منها : فرضت صلاة السفر ركعتين لمن أراد الاقتصار عليهما وزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم .

ومنها : وقيل معناه أقرت على ما كانت عليه من الوجوب ، ومعنى زيد في صلاة الحضر أي نسخ كونها ركعتين لأن زيادة الركعتين يمنع من الاكتفاء بالركعتين فوقه في صلاة الحضر .

ومنها : المنسوخ في السفر هو وجوب الركعتين وجعلهما سنة والمنسوخ في الحضر وجوب الركعتين إلى الأربع .

ومنها : فرضت بمعنى قدرت لأن الفرض بمعنى التقدير في اللغة . ومنها قول الطبري : المسافر إذا اختار القصر فهو فرضه . وكذلك اختلف الناس أيضاً في تأويل عثمان . وأصح تأويل في هذا ما ذكره النووي والمحققون وهو الصحيح إن شاء الله تعالى . بأن عثمان وعائشة رأيا القصر جائزاً والاتمام جائزاً فأخذا بأحد الجائزين وهو الاتمام (١) .

ويحمل على هذا قصة ابن مسعود التي رواها عبد الرحمن بن يزيد يقول : صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنى أربع ركعات ، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود فاسترجع ثم قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين . وصليت مع أبي بكر بمنى ركعتين وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان . ( متفق عليه ) .

فكان ابن مسعود أيضاً ممن يرى الجواز وإن كان الأولى عنده القصر وإلا لما كان له أن يصلي الركعات أكثر من الوجوب لأن زيادة الركعات على الوجوب لا تجوز بحال من الأحوال وأما أنه ترك الأولى فذلك لدفع الشر والفتنة فإن الخلاف شر ووقع التصريح في رواية البيهقي : أني لأكره الخلاف (٢) . وفي رواية أبي داود (٣) « الخلاف شر » وكذا ذكره الإمام الشافعي في الأم (٤) .

(١) ذكر النووي بعض هذه المعاني في شرحه لمسلم ٥ : ١٩٥ .

(٢) السنن ، ١٤٤/٣ .

(٣) لم أجده في مظانه في السنن ولكن عزاه الحافظ إليه في الفتح (٥٦٤/٢) وجاء في رواية البيهقي أيضاً .

(٤) انظر الأم ، ١٨٠/٨ .



وقد صرح الحافظ بأن ابن مسعود لم يكن - يعتقد بأن القصر واجب ولو كان اعتقد غير هذا لما  
تعمد ترك الفرص (١) وقد ذكر العلماء عدة تأويلات غير أنها كلها متقدمة (٢) .

وقد احتج الشافعي على عدم وجوب القصر بأن المسافر إذا دخل في صلاة المقيم صلى أربعاً  
باتفاقهم . ولو كان فرضه القصر لم يأتهم مسافر بمقيم (٣) .

### المسألة الثانية : مسافة القصر :

فيها عدة أقوال للعلماء جعلها ابن المنذر وغيره أكثر من عشرين قولاً ولكن أهمها كالآتي :

١ - **مذهب ابن حزم** : أقل مسافة القصر هو الميل لما رواه ابن أبي شيبه بإسناد صحيح عن  
ابن عمر . وأيضاً إطلاق قول الله عز وجل : « **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ** » . والسنة لم تخصص سفرأ دون  
سفر . وإنما لم يسم دون الميل قصرأ لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يخرج إلى البقيع  
لدفن الموتى . وإلى الفضاء لقضاء الحاجة وما كان يقصر الصلاة . قال رحمه الله تعالى بعد نقل الأخبار  
الكثيرة عن الصحابة : « وبه يقول أصحابنا في السفر إذا كان على ميل فصاعداً في حج أو عمرة أو جهاد  
وفي الفطر . في كل سفر » (٤) .

٢ - **مذهب الظاهرية** : مسافة القصر ثلاثة أميال لحديث أنس بن مالك قال : كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال . أو ثلاثة فراسخ ( شك شعبة ) صلى ركعتين (٥) .

وشك شعبة في هذا الحديث يبطل استدلال الظاهرية به فإن الفرسخ ثلاثة أميال . فإن قال ثلاثة  
فراسخ فيكون تسعة أميال . والمعروف الأخذ بالكثير أحوط لأن القليل يندرج تحت الكثير . إلا أن يقال  
أنهم أخذوا بالقليل واستأنسوا في ذلك بحديث أبي سعيد الخدري أنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم  
إذا سافر فرسخاً قصر الصلاة . رواه ابن أبي شيبه وعبد بن حميد وسعيد بن منصور (٦) .

(١) الفتح : ٥٦٤/٣ . ٥٦٥ .

(٢) انظر زاد المعاد : ٤٦٩/١٠ - ٤٧١ .

(٣) الام : ١٨٠/٨ .

(٤) المحلي : ١٣/٥ .

(٥) رواه مسلم ( ٤٨١/١ ) وأبو داود ( ٨/٣ ) عن محمد بن جعفر غندر . عن شعبة عن يحيى بن يزيد الهنائي قال سألت أنس بن  
مالك عن قصر الصلاة .

(٦) ذكره الحافظ في التلخيص ( ٤٧/٣ ) وعزاه لسعيد بن منصور فقط ولم يتكلم عليه بشيء . وفيه أبو هارون العبدوي وهو عمار  
بن جوين قال عنه في التقريب متروك . ومنهم من كذبه وكان شيعياً .

ولا دليل لهم في حديث أنس . قال : صليت الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أربعاً . وخرج يريد مكة فصلى بذي الحليفة العصر ركعتين (١) . لأنه يدل على ابتداء القصر . وجميع الأحاديث التي ذكروها تحمل على ذلك .

٣ - **وذهب الشافعي ومالك وفقها ، أصحاب الحديث وغيرهم : إلى أنهم أنه لا يجوز القصر إلا في مسيرة مرحلتين قاصدتين وهي ثمانية وأربعون ميلاً هاشمياً ، والميل ستة الاف ذراع . والذراع أربع وعشرون أصبغاً معترضة معتدلة . والاصبع ست شعيرات معتدلات (٢) .**

وروى مثل هذا ابن قدامة عن الإمام أحمد أيضاً ، وقدر هذه المسافة بمسيرة يومين وهو تقدير ابن عباس فإنه قدر مسيرة يومين من عسفان إلى مكة ومن الطائف إلى مكة ومن جدة إلى مكة (٣) .

أخرج عبد الرازق عن ابن جريج عن عطاء أنه قال : سألت ابن عباس فقلت أقصر الصلاة إلى عرفة أو إلى منى قال : لا . ولكن إلى الطائف وإلى جدة . ولا تقصروا الصلاة إلا في اليوم التام ولا تقصروا فيما دون اليوم . فإن ذهبت إلى الطائف أو إلى جدة أو إلى قدر ذلك من الأرض . إلى أرض لك أو ماشية فاقصر الصلاة فإذا قدمت فأوف (٤) .

ولكن هذه الرواية مخالفة لرواية مسيرة يومين التي أشار إليها ابن قدامة .

هذا هو مذهب المعروف عن الأئمة الثلاثة فإنهم جميعاً قالوا لا تقصر الصلاة إلا في مسيرة يومين كما نقله النووي والحافظ والبعثي . إلا أن صاحب الهداية نسب إلى الإمام الشافعي مسيرة يوم واحد بالسير الوسط وقدر بالفرسخ مثل تقدير اليومين وهو ستة عشر فرسخاً أو ثمانية وأربعون ميلاً . فالذي يظهر من هذا أن العبرة بالفرسخ لا بالأيام والله تعالى أعلم .

٤ - **وذهب الإمام أبو حنيفة : إلى أن مسافة القصر مسيرة ثلاثة أيام ولياليها سير الابل ومشى الأقدام لقوله صلى الله عليه وسلم « يمسح المقيم كمال يوم وليلة ، والمسافر ثلاثة أيام ولياليها » هكذا قال صاحب الهداية .**

---

(١) رواه البخاري (٥٦٩/٢ مع الفتح) ومسلم (٤٨٠٨ - ٤٨١) وأبو داود (٩/٢) والترمذي (٤٢٧/٢) كلهم عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن إبراهيم بن ميسرة عن أنس . ورواه النسائي (٢٣٧٨) بإسناد آخر .  
(٢) شرح مسلم للنووي (١٩٥/٥) .  
(٣) انظر المغني ، ٢١٠/٢ .  
(٤) المصنف ، ٥٢٤/٢ .

قال الشيخ ابن الهمام : أما تقدير إحدى وعشرين فرسخاً أو ثمانية أو خمسة عشر فهي على اعتقاد مسيرة ثلاثة أيام ولا تصح هذه التقديرات بل العبرة بثلاثة أيام (١) وقال الكاساني : ومن مشائخنا من قدر بخمسة عشر فرسخاً . وجعل لكل يوم خمس فراسخ ومنهم من قدر بثلاثة مراحل (٢) .

يقال إن في هذا لياناً لأكثر من مدة المسح وليس فيه ما يدل على أن المسافر لا يكون مسافراً إلا بعد ثلاثة أيام .

٥ - **وذهب الإمام البخاري :** إلى أن مسافة القصر مسيرة يوم وليلة . هكذا بوب في صحيحه إلا أنه ذكر تحت الباب حديثين أحدهما حديث ابن عمر ولفظه « لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا مع ذي محرم » (٣) .

والحديث الثاني حديث أبي هريرة ولفظه « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة . وهو موافق لترجمة الباب .

قال الحافظ : إن البخاري اختار أن أقل مسافة القصر يوم وليلة (٤) .

وأمام هذه الأقوال المتعارضة المختلفة نحا المحققون إلى بيان الراجح بعدة وجوهات . منها ما قاله الشيخ الكاساني الحنفي « ولنا ماروينا من الحديثين . ولأن وجوب الإكمال كان ثابتاً بدليل مقطوع به فلا يجوز رفعه إلا بمثله . وما دون الثلاث مختلف فيه . والثلاث مجمع عليه . فلا يجوز رفعه بما دون الثلاث » (٥) .

وقال الخرقى : « ولا أرى لما صار إليه الأئمة حجة . لأن أقوال الصحابة متعارضة مختلفة . ولا حجة فيها مع الاختلاف . وقد روى عن ابن عباس وابن عمر خلاف ما احتج به أصحابنا . ثم لو لم يوجد ذلك لم يكن في قولهم حجة مع قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله . وإذا لم تثبت أقوالهم امتنع المصير إلى التقدير الذي ذكره **بوجهين :**

**أحدهما :** أنه مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم التي رويها . ولظاهر القرآن . لأن ظاهره اباحة القصر لمن ضرب في الأرض لقوله تعالى : « **وإذا ضربتم في الأرض ، فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** » ولقد سقط شرط الخوف بالخبر المذكور عن يعلي بن أمية . فتبقى ظاهر الآية متناولاً كل ضرب الأرض .

(١) انظر شرح فتح القدير ١ : ٢٩٢

(٢) انظر البدائع والصنائع ١ : ٢٨٧ - ٢٨٨

(٣) البخاري - مع الفتح ٢ : ٥٦٦

(٤) انظر فتح الباري ٢ : ٥٦٦

(٥) البدائع والصنائع ١ : ٢٨٩

وقول النبي صلى الله عليه وسلم « يمسح المسافر ثلاثة أيام » جاء لبيان أكثر مدة المسح . فلا يصح الاحتجاج به هاهنا . وعلى أنه يمكنه قطع المسافة القصيرة في ثلاثة أيام وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم سفراً فقال : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم .

**والثاني :** أن التقدير بابه التوقيف . فلا يجوز المصير إليه برأي مجرد . سيما وليس له أصل يرد إليه ولا نظير يقاس عليه . والحجة مع من أباح القصر لكل مسافر إلا أن ينعقد الاجماع على خلافه « (١) » .

وبهذا يصح أن يقصر المسافر في كل سفر يسمى سفراً في العرف بدون قيد مسافة معينة وبدون نظر إلى نوعية السفر ووسائله كالطائرة والقطار والسيارة وغير ذلك والله تعالى أعلم بالصواب .

**وأما الموضوع الذي يقصر منه :** فقال ابن المنذر « أجمعوا على أن لمريد السفر أن يقصر إذا خرج عن جميع بيوت القرية التي يخرج منها (٢) » .

وهو رأي مالك والشافعي والأوزاعي وإسحاق وأبي ثور . وحكى ذلك عن جماعة من التابعين (٣) .

وحكى عن عطاء وسليمان بن موسى أنهما أباحا القصر في البلد لمن نوى السفر . وعن الحارث ابن أبي ربيعة أنه أراد سفراً فصلى بهم في منزله ركعتين . وفيهم الأسود بن يزيد . وغير واحد من أصحاب عبد الله (٤) .

وروى عبد الرزاق عن عطاء بطريق ابن جريج قولاً مثل الجمهور ولفظه : « إذا خرج الرجل حاجاً فلم يخرج من بيوت القرية حتى حضرت الصلاة فإن شاء قصر . وإن شاء أوفى . وما سمعت في ذلك من شيء » (٥) .

(١) انظر المغني . ٢١٢/٣

(٢) الاجماع ص ٤٣

(٣) للمغني ٢ : ٢١٤

(٤) المصدر السابق

(٥) مصنف عبد الرزاق ٢ : ٥٣١

## المسألة الثالثة : جمع تأخير دون تقديم :

حديث أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى عليه وسلم إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس آخر الظهر إلى وقت العصر . ثم نزل فجمع بينهما . فإن زاغت الشمس قبل أن يرتحل صلى الظهر . ثم « ك » ( ١ ) .

وفي الحديث جواز على جمع تأخير دون تقديم وهو رأى ابن حزم .

## جمع تقديم وتأخير :

حديث معاذ بن جبل . قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فكان يصلي الظهر والعصر جميعاً . والمغرب والعشاء جميعاً « .

رواه مسلم ( ٢ ) عن زهير وأبو داود ( ٣ ) والنسائي ( ٤ ) عن مالك . وابن ماجه ( ٥ ) عن سفيان الثوري كلهم عن أبي الكبير . عن أبي الطفيل عامر . عن معاذ .

ثم روى مسلم أيضاً بإسناده عن قره بن خالد : حدثنا أبو الزبير نحوه وفيه « فقلت ما حملة على ذلك قال : فقال : أراد أن لا يجرح أمته » .

وروى أبو داود ( ٦ ) فقال : حدثنا يزيد بن خالد الرملي الهمداني . حدثنا المفضل بن فضالة . والليث بن سعد . عن هشام بن سعد . عن أبي الزبير بهذا الإسناد . ولفظه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في غزوة تبوك . إذا زاغت الشمس قبل أن يرتحل جمع بين الظهر والعصر . وإن ارتحل قبل أن تزيغ الشمس آخر حتى ينزل للعصر . وفي المغرب مثل ذلك . إن غابت الشمس قبل أن يرتحل جمع بين المغرب والعشاء وأن يرتحل قبل أن تغيب الشمس آخر المغرب حتى ينزل للعشاء ثم جمع بينهما .

( ١ ) رواه البخاري ( ٥٨٢/٢ . ٥٨٣ ) ومسلم ( ٤٨٩٨ ) والنسائي ( ٢٨٤٨ ) كلهم عن قتيبة بن سعيد قال : حدثنا المفضل بن فضالة . عن عقيل . عن ابن شهاب عن أنس بن مالك . ثم روى البخاري أيضاً عن شيخه حسان الواسطي ( وهو ابن عبد الله بن سهيل الكندي المصري ) عن المفضل نحوه . ورواه أيضاً عن عمرة الناقد . حدثنا شباية بن سوار المديني . حدثنا ليث بن سعد . عن عقيل بن خالد . بإسناده ولفظه ( كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يجمع بين الصلاتين في السفر آخر الظهر حتى يدخل العصر . ثم يدخل وقت العصر . ثم يجمع بينهما ) وروى أيضاً عن أبي الطاهر . وعمرو بن سواد قال : أخبرنا ابن وهب . حدثني جابر بن إسماعيل عن عقيل بإسناده ولفظه « أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا عجل عليه السفر يؤخر الظهر إلى وقت العصر . فيجمع بينهما . ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء . حين يغيب الشفق » .

وروى أبو داود ( ١١٢ - ١٢ ) عن قتيبة وابن وهب قال : حدثنا مفضل بن عقيل ( كذا الصواب وفي نسخة أبي داود : مفضل بن عقيل ) بإسناده نحو رواية الشيخين .

ثم روى أيضاً فقال حدثنا سليمان بن داود المهري . حدثنا ابن وهب . أخبرني جابر بن إسماعيل عن عقيل بإسناده نحو رواية

مسلم « .

٤٩٠٨ ( ٢ )

١٠/٢ ( ٣ )

٢٨٥٨ : ٨ ( ٤ )

٣٤٠٨ ( ٥ )

١٢/٢ ( ٦ )

قال أبو داود : رواه هشام بن عروة . عن حسين بن عبد الله عن كريب عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو حديث المفضل والليث .

ثم روى أبو داود (١) والترمذى (٢) كلاهما عن قتيبة بن سعيد قال : أخبرنا الليث ، عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الطفيل بأسناده ولفظه « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة تبوك إذا ارتحل قبل أن تزيع الشمس أخر الظهر حتى يجمعها إلى العصر فيصليهما جميعاً ، وإذا ارتحل بعد زيع الشمس صلى الظهر والعصر جميعاً ثم سار ، وكان إذا ارتحل قبل المغرب أخر المغرب حتى يصليهما مع العشاء ، وإذا ارتحل بعد المغرب عجل العشاء فصلاها مع المغرب » .

قال أبو داود : ولم يرو هذا الحديث إلا قتيبة وحده . وقال الترمذى : حديث معاذ حديث حسن غريب ، تفرد به قتيبة . لا نعرف أحداً رواه عن الليث غيره . وحديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الطفيل عن معاذ حديث غريب . والمعروف عند أهل العلم حديث معاذ من حديث أبي الزبير ، عن أبي الطفيل عن معاذ « أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع في غزوة تبوك بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء » رواه قره بن خالد وسفيان الثوري ومالك ، وغير واحد عن أبي الزبير المكي . انتهى .

أقول : لقد زال تفرد قتيبة برواية أبي داود عن الرملي ، ومن طريق أبي داود رواه البيهقي (٣) لكنه قال : عن الليث بن سعد « فجعل الليث شيخ المفضل وإنما هو قرينه . ولم يتنبه الحافظ ابن القيم فقال : فهذا المفضل قد تابع قتيبة . وإن كان قتيبة أجل من المفضل وأحفظ . لكن زال تفرد قتيبة به ، ثم أن قتيبة صرح بالسماع فقال : حدثنا ولم يعنعن ، فكيف يقدح في سماعه ، مع أنه بالمكان الذي جعله الله به من الأمانة ، والحفظ ، والثقة ، والعدالة » انتهى (٤) .

والصواب : أن الذي تابع قتيبة إنما هو الرملي لكنه خالف في أسناده فقال : الليث عن هشام بن سعد ، عن أبي الزبير عن أبي الطفيل ، فيما أن يصار إلى الجمع فيقال الليث بن سعد فيه أسنادان عن أبي الطفيل روى أحدهما قتيبة والآخر الرملي ، وأما يصار إلى الترجيح فيقال : قتيبة أجل وأحفظ من الرملي فروايته أصح ، والجمع أولي (٥) .

(١) ١٧٢

(٢) ٤٣٨٢

(٣) البيهقي ، ١٦٢٣

(٤) زاد المعاد ، ٤٧٩٨

(٥) انظر ارواء الغليل ، ٣٠٣

وأما ما أشار إليه الترمذى من حديث قرّة بن خالد فرواه مسلم كما سبق ذكره . ورواه أيضاً الإمام أحمد في مسنده (١) وحديث مالك رواه أبو داود كما سبق ذكره ورواه مالك في موطنه أيضاً (٢) .

وقد أطال العلماء الكلام في رواية قتيبة بن سعيد وملخص هذه الأقوال كما ذكره الشوكاني هي خمسة :

أحدها : أنه حسن غريب كما قال الترمذى .

الثاني : أنه محفوظ صحيح قاله ابن حبان .

الثالث : أنه منكر قاله أبو داود .

الرابع : أنه منقطع قاله ابن حزم .

الخامس : أنه موضوع . قاله الحاكم . انتهى (٣) .

أقول : هذه الأقوال جميعاً تدور حول علتين . إحداهما تفرد قتيبة بن سعيد . والثانية عننة يزيد بن أبي حبيب ويجاب عن الأولى بأن قتيبة بن سعيد ثقة ثبت كما قال الحافظ . فلا يضر تفرده كما هو معلوم في علم الحديث وتخطئة الثقات بالظن أمر مرفوض لأنه يؤدي إلى الشك في جميع الثقات .

ويجاب عن الثانية بأن يزيد بن حبيب غير معروف بالتدليس . وقد أدرك أبا الطفيل حتماً . فإنه ولد سنة ٥٣ ومات سنة ١٢٨ . وتوفي أبو الطفيل سنة ١٠٠ أو بعدها وعمر يزيد حينئذ ٤٧ سنة (٤) .

وأما دعوى الحاكم (٥) بأنه موضوع فباطل قال الحافظ في التهذيب (٦) إن البخاري قال : قلت لقتيبة مع من كتبت عن الليث بن سعد حديث يزيد بن أبي حبيب عن أبي الطفيل . قال : مع خالد المدائني . قال محمد بن إسماعيل : وكان خالد المدائني هذا يدخل الأحاديث على الشيوخ . وقال أبو سعيد بن يونس لم يحدث به إلا قتيبة . ويقال إنه غلط وإن الصواب عن أبي الزبير . ثم قال الحافظ : وما اعتمده الحاكم من الحكم على ذلك بأنه موضوع فليس بشيء . فإن مقتضى ما استأنس به من الحكاية التي عن البخاري أن خالداً أدخل هذا الحديث عن الليث ففيه نسبة الليث مع إمامته . وجلالته .

(١) مسند أحمد : ٢٢٨/٥ - ٢٢٩

(٢) موطأ مالك : ١٢٢٨ - ١٢٣ مع التنوير .

(٣) انظر نيل الأوطار : ٢٦٢/٣

(٤) انظر إرواء الغليل : ٣٠٣ وقد أطال الشيخ الألباني في الرد على من يضعف هذا الحديث .

(٥) لقد أطال الحاكم الكلام على هذا الحديث في كتابه علوم الحديث وحكم عليه بأنه موضوع وعلل ذلك « بأنه شاذ الإسناد والمتن . ولا نعرف له علة نعلل بها » مع اعترافه بأن رواه أئمة ثقات . ص ١١٩ - ١٢١ والمعروف ليس الشاذ ما انفرد به الثقة بل إنما الشاذ أن يخالف الراوى غيره ممن هو أحفظ منه وأوثق .

(٦) ٣٦٠/٨

إلى الغفلة حتى يدخل عليه خالد ما ليس من حديثه . والصواب ما قاله أبو سعيد بن يونس أن يزيد ابن أبي حبيب غلط من قتيبة ، وأن الصحيح عن أبي الزبير . وكذلك رواه مالك وسفيان عن أبي الزبير عن أبي الطفيل لكن في متن الحديث الذي رواه قتيبة التصريح بجمع التقديم في وقت الأولى وليس في حديث مالك . إذا جاز أن يغلط في رجل من الاسناد فجاز أن يغلط في لفظه من المتن . والحكم عليه مع ذلك بالوضع بعيد جداً .

وهذه الغلطة التي نسبها الحافظ إلى قتيبة بن سعيد غير مسلم لأنه من الثقات .

فإذا زاد في روايته ولم ينكر عليها أحد من زملائه فلا يحكم عليه بالغلط . بل هو من قبيل زيادة الثقة وهي مقبولة .

ولحديث معاذ من طريق قتيبة بن سعيد في جمع تقديم شاهد من حديث ابن عباس . وهو الآتي :

٢ - حديث ابن عباس : قال : ألا أحدثكم عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر قال : قلنا بلى قال : : كان إذا زاغت الشمس في منزله جمع بين الظهر والعصر قبل أن يركب . وإذا لم ترغ له في منزله سار حتى إذا حانت العصر نزل فجمع بين الظهر والعصر . وإذا حانت المغرب في منزله جمع بينهما وبين العشاء . وإذا لم تحن في منزله ركب . حتى إذا حانت العشاء نزل فجمع بينهما « (١) .

**فقه الحديث :** هذا الحديث يدل على جواز الجمع مطلقاً بسبب السفر وهو اختيار الإمامين الشافعي وأحمد . وبه قال جماعة من الصحابة منهم : علي بن أبي طالب . وسعد بن أبي وقاص . وسعيد بن زيد . وأسامة بن زيد . ومعاذ بن جبل . وأبو موسى . وابن عمر وابن عباس وغيرهم . وهو رأى جماعة من التابعين منهم : عطاء بن أبي رباح . وطاوس . ومجاهد . وعكرمة . وجابر بن زيد . وربيعة . وأبو الزناد . ومحمد بن المنكدر . وصفوان بن سليم . وهو رأى الثوري . وإسحاق . وأبو ثور . وابن المنذر . ومن المالكية أشهب وغيرهم .

والنظر يشهد له ذلك فإن الله أباح للمسافر أن يقصر من الصلوات بسبب السفر الذي هو مظنة للمشقة . فالجمع أولى بالرخصة فإن أداء الصلوات في أوقاتها أعظم مشقة في السفر .

---

(١) رواه الشافعي (١١٦٨) وأحمد (٣٦٧٨ - ٣٦٨) والدارقطني (٣٨٨٨) والبيهقي (١٦٣/٣) من طرقهم عن ابن جريج عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة وكريب كلاهما عن ابن عباس .  
وحسين ضعيف . وقال إن الترمذي حسنه وكان باعتبار المتابعة . وغفل ابن العربي فصح اسناده لكن له طريق أخرى أخرجه يحيى ابن عبد الحميد الحماني في مسنده عن أبي خالد الأحمر . عن الحجاج . عن الحكم . عن مقسم . عن ابن عباس . وروى إسماعيل القاضي في الأحكام عن إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه عن سليمان بن بلال . عن هشام بن عروة عن كريب عن ابن عباس نحوه « انتهى » .  
قال الشيخ الألباني : فالحديث صحيح عن ابن عباس بهذه المتابعات والطرق . وقواه البيهقي بشواهدة فهو شاهد آخر لحديث معاذ من رواية قتيبة تدل على حفظه . وقوة حديثه . راجع إرواء الغليل (٣٢٣) .



## الجمع بين الصلاتين إذا جد به السير :

١ - حديث ابن عمر : قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أعجله السير في السفر يؤخر المغرب ، حتى يجمع بينها وبين العشاء (١) .

٢ - حديث أنس بن مالك : قال إن النبي صلى الله عليه وسلم : كان إذا عجل عليه السير يؤخر الظهر إلى أول وقت العصر ، فيجمع بينهما ، ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء حين يغيب الشفق (٢) .

فقه الحديث : والحديث يدل على الجمع بين الصلاتين لمن جد به السير . وهو قول مشهور عن مالك ، وبه قال أسامة بن زيد وابن عمر .

قال مالك : لا يجمع الرجل بين الصلاتين في السفر إلا أن يجده السير ، فإن جد به السير بين الظهر والعصر يؤخر الظهر حتى يكون في آخر وقتها ، ثم يصلها ، ثم يصلي العصر في أول وقتها ، ويؤخر المغرب حتى يكون في آخر وقتها قبل مغيب الشفق ، ثم يصلها في آخر وقتها قبل مغيب الشفق . ثم يصلي العشاء في أول وقتها بعد مغيب الشفق . ثم قال : والأمر عندنا في الجمع بين الصلاتين لمن جد به السير (٣) هذا هو رأي مالك في الجمع بين الصلاتين ، وأما ما نقله ابن قدامة بأن الجمع بين الصلاتين في السفر في وقت إحداهما جائز في قول أكثر أهل العلم ومنهم مالك (٤) فهو مخالف لمذهب المدونة . ولكن يبدو من أقوال الأئمة المالكيين المتأخرين أن الجمع يجوز مطلقاً . ففي حاشية الدسوقي : جواز الجمع مطلقاً سواء جد في السير أم لا ، كان جده لإدراك أمر أم لأجل قطع المسافة والذي حكي تشهيره هو الإمام ابن رشد (٥) ثم الصورة التي بينها الإمام مالك والأئمة المالكيون أنها جمع صوري ، لا جمعاً حقيقياً .

والقييد في حديث ابن عمر وأنس بن مالك لمن جد به السير للغالب وليس شرطاً للجمع لما نرى إطلاق الأمر في أحاديث الجمع .

وذهب الإمام أبو حنيفة وصاحباؤه إلى أن الجمع خاص بعرفة ومزدلفة . وهو قول الحسن وابن سيرين ، وبه قال ابن مسعود ، وسعد بن أبي وقاص .

---

(١) رواه البخاري (٥٧٢/٢ مع الفتح) ومسلم (٤٨٨٨) والنسائي (٢٦٧٨) كلهم عن ابن شهاب عن سالم ، عن ابن عمر ومالك (١٢٣٨) مع التنوير) عن نافع عن ابن عمر ، كما رواه مسلم أيضاً عن يحيى ، والترمذي (٤٤٧٢) عن عبدة بن سليمان ، كلاهما عن عبيد الله بن عمر عن نافع أن ابن عمر إذا كان جد به السير جمع بين المغرب والعشاء بعد أن يغيب الشفق « وكان يقول : هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الترمذي : حسن صحيح .

(٢) رواه مسلم (٤٨٩٨) والنسائي (٢٨٧٨) وأبو داود (١٧٢) كلهم عن جابر بن إسماعيل ، عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس .

إلا أن أبا داود لم يذكر قوله « إذا عجل عليه السير » .

(٣) انظر المدونة : ١١٦٨ - ١١٧

(٤) انظر المغني : ٢٢٣/٢

(٥) حاشية الدسوقي على الدردير : ٣٣٩٨

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً .

قال ابن عباس : أي مفروضاً (١) .

وقال ابن مسعود : إن الصلاة كوقت الحج (٢) .

ثم بجمع أحاديث المواقيت مثل أمامة جبرائيل وغيره .

وقالوا : لا يجوز أن نترك ما ثبت بالتواتر في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بخبر الأحاد .

وذكروا أيضاً تحذير النبي صلى الله عليه وسلم لمن يفرط في أداء الصلوات في أوقاتها مثل حديث رواه مسلم عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ليس في النوم تفريط إنما التفريط في اليقظة أن يؤخر صلاة حتى يدخل وقت صلاة أخرى .

وبحديث ابن عمر قال : ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء قط في السفر

إلا مرة (٣) .

وفي اسناده : عبد الله بن نافع وهو أبو محمد المخزومي مولاهم الصائغ يروي عن أبي مودود عن

سليمان بن أبي يحيى عن ابن عمر .

قال البخارى : يعرف حفظه وينكر وقال أبو حاتم : ليس بالحافظ وهو لين يعرف حفظه وينكر

ووثقه ابن معين .

وقال أبو داود بعد رواية الحديث : وهذا يروى عن أيوب عن نافع عن ابن عمر موقوفاً على ابن

عمر أنه لم ير ابن عمر جمع بينهما قط إلا تلك الليلة يعني ليلة استصرخ على صفة . وروى من حديث

مكحول عن نافع أنه رأى ابن عمر فعل ذلك مرة أو مرتين انتهى .

وقد حمل العلماء الحنفية هذا الحديث على تقدير صحته الجمع بين المغرب والعشاء في مزدلفة .

وأما الأحاديث التي مر ذكرها فقالوا إنها على ثلاثة أقسام : بعضها يدل على الجمع الفعلي .

وبعضها يوهم الجمع الوقتي . وبعضها يدل على مطلق الجمع .

وأول من أجاب عن هذه الأحاديث بعد تسليم صحتها هو الإمام أبو جعفر الطحاوى فقال : هو

تأخير الأولى . وتعجيل الآخرة (٤) . وهو المعروف بين الحنفية بجمع صوري . أو بجمع فعلي .

(١-٢) انظر تفسير ابن كثير سورة النساء ، ١٠٣

(٣) رواه أبو داود ، ٢ ، ١٣

(٤) شرح معاني الآثار ، ١٦٦/٨

وقد أجاب المحدثون عن هذه الاشكالات وأطالوا البحث فيها فقال الخطابي : الجمع رخصة فلو كان على ما ذكره لكان أعظم ضيقاً من الإتيان بكل صلاة في وقتها . لأن أوائل الأوقات وأواخرها مما لا يدركه الخاصة فضلاً عن العامة (١) .

وقال ابن قدامة : وهذا فاسد لوجهين : أحدهما أنه جاء الخبر صحيحاً في أنه كان يجمعهما في وقت إحداهما . والثاني : أن الجمع رخصة فلو كان على ما ذكره لكان أشد ضيقاً وأعظم حرجاً من الإتيان بكل صلاة في وقتها . لأن الإتيان بكل صلاة في وقتها أوسع من مراعاة طرفي الوقتين بحيث لا يبقى من وقت الأولى إلا قدر فعلها . ومن تدبر هذا وحده كما وصفنا . ولو كان الجمع هكذا لجاز الجمع بين العصر والمغرب . والعشاء والصبح . ولا خلاف بين الأمة في تحريم ذلك . والعمل بالخبر على الوجه السابق إلى الفهم منه أولى من هذا التكلف الذي يسان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمله عليه (٢) .

والدليل على أن الجمع رخصة قول ابن عباس « أراد أن لا يخرج أمته » رواه مسلم .

وأما من خص الجمع بمن جد به السير فيرد عليه بما وقع التصريح في حديث معاذ بن جبل : أن النبي صلى الله عليه وسلم أخر الصلاة في غزوة تبوك . ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ثم دخل . ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جمعاً (٣) .

قال الإمام الشافعي : قوله : دخل ثم خرج : لا يكون إلا هو نازل . فللمسافر أن يجمع نازلاً ومسافراً . وقال ابن عبد البر : في هذا أوضح دليل على الرد من قال :

لا يجمع إلا من جد به السير . وهو قاطع للالتباس (٤) .

وأما قول العلماء الحنفية : لا يجوز أن تترك ما ثبت بالتواتر في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر الأحاد .

فيجاب ليس هناك ترك لما في الكتاب والسنة وإنما هو تخصيص . وتخصيص المتواتر يجوز بالحديث الصحيح وهو معلوم من أصول الدين . ويبدو أن المحققين من العلماء الحنفية لما وجدوا صعوبة حمل الأحاديث الصحيحة على الجمع الصوري رجعوا عما كانوا عليه .

(٢) الفتح : ٥٨٠/٣ .

(٣) المغني : ٢٢٤/٨ .

(٣) رواه مالك في الموطأ : ١٢٣/٨ مع التنوير .

(٤) انظر فتح الباري : ٥٨٣/٢ .

فهذا الشيخ عبد الحي اللكنوي المحقق الحنفي يقول : « حمل أصحابنا يعني الحنفية الأحاديث الواردة في الجمع على الجمع الصوري . وقد بسط الطحاوي الكلام فيه في شرح معاني الآثار ولكن لا أدرى ماذا يفعل بالروايات التي وردت صريحا بأن الجمع كان بعد ذهاب الوقت . وهي مروية في صحيح البخارى وسنن أبي داود . وصحيح مسلم وغيرها من الكتب المعتمدة على ما لا يخفى على من نظر فيها . فإن حمل على أن الرواة لم يحصل التمييز لهم فظنوا قرب خروج الوقت فهذا بعيد عن الصحابة الناصين على ذلك . وأن اختيار ترك تلك الروايات بإبداء الخلل في الإسناد فهو أبعد مع إخراج الأئمة لها . وشهادتهم بتصحيحها . وإن عورض بالأحاديث التي صرحت بأن الجمع كان بالتأخير إلى آخر الوقت . والتقديم في أول الوقت فهو أعجب . فإن الجمع بينها بحملها على اختلاف الأحوال ممكن بل هو الظاهر » انتهى (١) .

وهذا هو الحق في هذا الموضوع والله تعالى أعلم .

عن أبي هريرة قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » ( أخرجه مسلم ) .

من أقوال الإمام الشافعي رحمه الله :

( من تعلم الفقه علا مقداره ، ومن تعلم الحديث قويت حجته ،  
ومن تعلم الحساب جزل رأيه ، ومن تعلم اللغة رق قلبه ، ومن لم يصن  
نفسه لم ينفعه علمه ) .

(١) التعليق المجد ، ١٢٩

العقيدة



# مَسَلِكُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

## فِي إِثْبَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ

د. عَلِيّ بن مُحَمَّد بن نُوَيْر الفهري  
عميد شؤون المكتبات بالجامعة



ج - تذكير المخاطبين بالنعم التي انعم الله بها عليهم :

من الأساليب التي سلكها القرآن الكريم لرد الفطرة الى طبيعتها التي فطر الله الناس عليها ، تذكيرهم بالنعم التي أسداها إليهم والتي يدركون بالحس أنهم لم يحدثوا منها شيئاً ، وانما الله هو الذي تفضل بها عليهم .

ثم يعقب ذلك بعرض بعض قصص الأنبياء في دعوتهم لاممهم لمثل ما دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلاص العبادة لله وحده . وبيان ما حل بأولئك الذين لم يستجيبوا لدعوة أنبيائهم من العذاب . تحذيراً للمخاطبين أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك المكذبين وقد عرض القرآن الكريم كثيراً من ذلك في سور متعددة نذكر من ذلك نموذجين :

الأول : قوله تعالى : ( ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين . وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون . فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ، وشجرة تخرج من طور سيناء وتنبت بالدهن وصبغ للأكلين . وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون ) ( المؤمنون : الآية ١٧ - ٢٢ ) .

وبعد أن عدد الله تبارك وتعالى هذه النعم ، وهي في نفس الوقت آيات واضحات ودلالات بينات على وحدانيته سبحانه وتعالى ، اتبع ذلك بذكر الأنبياء مع أممهم وبيان ما حل بالمكذبين منهم . قال : ( ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون فقال الملؤا الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر

مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في ابائنا  
الأولين ) إلى قوله : ( ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين . فأرسلنا فيهم رسولاً منهم  
أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون . وقال الملأ من قومه الذين كفروا  
وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما  
تأكلون منه ويشرب مما تشربون . ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون )  
( المؤمنون : الآية ٣١ ، ٣٢ ) .

إلى قوله : ( فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاءً فبعداً للقوم الظالمين .  
ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين . ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون . ثم  
أرسلنا رسلاً تنرا كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم  
أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون ) ( المؤمنون : الآية ٤١ - ٤٤ ) .

وهكذا يقص الله تبارك وتعالى على هذه الأمة ما حل بالأمم السابقة التي كذبت  
رسلاً فأهلكهم الله جميعاً فأصبحوا أحاديث وكأنهم لم يوجدوا . ( ولقد جاء آل فرعون  
النذر . كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر أكفاركم خير من أولئكم أم  
لكم براءة في الزبر ) ( القمر : الآية ٤١ - ٤٣ ) .

النموذج الثاني : قوله تعالى : ( أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى  
عما يشركون . ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن اندروا  
أنه لا إله إلا أنا فاتقون ) ( النحل : الآية ١ - ٣ ) .

ينزه الله تبارك وتعالى نفسه عن الشركاء فهو الواحد الأحد ، ليس له شريك في  
الملك ، ( ومن يشرك بالله فكأن ما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به  
الريح في مكانٍ سحيق ) ( الحج : الآية ٣١ ) .

ينزه الله تبارك وتعالى نفسه عن الشركاء فهو الواحد الأحد ، ليس له شريك في  
الملك ، ( ومن يشرك بالله فكأن ما خر السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في  
مكانٍ سحيق ) ( الحج : الآية ٣١ ) .

ويقرر أمر النبوة ، بانزال الملائكة بالوحي من السماء ، على من اختارهم واصطفاهم  
من عباده ( الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير ) ( الحج :  
الآية ٧٥ ) . ليندروا الناس ويبينوا لهم أن الإله المعبود هو الله وحده ، وأن هذه الآلهة المزعومة  
والشركاء المدعويين من دونه لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً . ( إن الذين تدعون من  
دون الله عباد أمثالكم .... ) .



ثم يتبع ذلك بالأدلة على من يستحق العبادة ، تلك الأدلة التي تخاطب العقل والوجدان معاً . أدلة ملموسة محسوسة يعيشها المخاطبون يشاهدونها بأبصارهم ، ويدركونها بعقولهم منها :

- ١ - خلق السموات التي يدرجون تحتها .
- ٢ - وخلق الأرض التي يعيشون عليها .
- ٣ - وخلق المخاطبين أنفسهم ، فهم الدليل والمستدل عليه ( وفي أنفسكم أفلا تبصرون ) .

٤ - وخلق ما به استقامة حياتهم وصلاح معاشهم .

يقول الله تعالى في ذلك : ( خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ) ( النحل : الآية ٢ - ٧ ) .

هكذا يبين الله تعالى الأدلة على وحدانيته فالموجد لجميع المخلوقات يجب أن يكون هو المعبود وحده ( يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ) .

ويخبر عن النقلة الهائلة بين خلق الإنسان من نطفة ضعيفة حقيرة مهينة لا تكاد تكون شيئاً مذكوراً ، وبين أن يصبح خصيماً مبيناً ، ومن يخاصم ، يخاصم خالقه الذي أوجده من العدم ، ( وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهي رميم ) ( يس : الآية ٧٨ ) .

ثم يذكر الإنسان بأن من نعم الله عليه هذه المركوبات التي سخرها له ، من الخيل والبغال والحمير ، والتي يتخذها زينة ، ويشير إلى ما سيخلقه مما لا يعلمه المخاطبون في عصرهم من أنواع المركوبات ، والحاملات للأثقال التي يشق عليهم حملها ، والأنواع المعدة للزينة ( ويخلق ما لا تعلمون ) .

ثم يتبع ذكر الآيات المحسوسة والمشاهدة التي هي جزء من حياة الإنسان ، ويطلب منه أن يتفكر ويتأمل هذه الآيات ، ثم يتذكر لعله بذلك يشكر الله الذي أوجد له هذه النعم

ويسرها له حتى يعبده وحده لأن الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة ، بخلاف الذى لا يستطيع الخلق والايجاد .

يقول الله تعالى فى ذلك ، ( هو الذى أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفاً ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . والقى فى الأرض رواسى أن تميد بهم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون ) ( النحل ، الآية ١٠ - ١٦ ) .

ثم يلفت أنظار المخاطبين الغافلين عن التعقل والتدبر فى هذه المشاهد ، ويذكرهم بأن موجد هذه الأشياء وخالقها ومسخرها لهم هو المستحق للعبادة وحده ، وينفى سبحانه التسوية بين المعبود الحق ، والمعبودات الباطلة التى لا تخلق شيئاً وذلك فى استفهام انكارى فىقول ،

( أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ) ( النحل : الآية ١٧ - ١٨ ) .

ويختتم هذا العرض لهذه الآيات ببيان علمه الشامل لما تكنه الصدور أو تظهره إذ لا فرق عنده سبحانه بين ما توسوس به الأنفس ، وبين ما تظهره فهو يعلم السر وأخفى ( والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ) .

ويعقب ذلك ببيان حال الآلهة المدعوة من دونه ، وأنهم عاجزون لا يخلقون شيئاً ، وهم يخلقون فكيف يسوغ دعاؤهم ، ومنهم أموات لا يشعرون بالوقت الذى فيه يبعثون .

( والذين تدعون من دونه لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ) ( النحل ، الآية ٢٠ - ٢١ ) .

أما الإله الحق فهو واحد ، لا تعدد فيه لأن تعدد الآلهة يحصل به الفساد فى الكون ولا ينكر الوحداية إلا المتكبرون الكافرون باليوم الآخر .

( إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ) ( النحل ، الآية ٢٢ ) .

فمن أسباب الاعراض عن الحق الكبر، والكبر غمط الحق، وقد بين تعالى في آيات كثيرة أن جزاء المتكبرين النار.

وبعد هذا العرض الموجز لهذه النماذج التي سلكها القرآن الكريم لاثبات الوحدانية في الالهية، تبين أن المشركين لم يدعوا لمعبوداتهم أنها تخلق أو ترزق أو تحي أو تميت، وإنما ذلك كله لله.

وكل الذي يطلبونه منها هو التوسط لهم عند الله، فهم يدعونها ويتقربون إليها بالنذور والقرايين لتقربهم إلى الله زلفى. ( ... ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ) (الزمر: الآية ٣).

فما عبادتهم تلك؟ أوضحت الآيات السابقة أن من عبادتهم لها:

١ - دعاؤها.

٢ - حبها والخوف منها - الاستشفاع بها.

والعبادة في الإسلام ليست محصورة في الصلاة والصوم وأركان الإسلام مثلاً؟ لأن الله يقول: ( وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ) ( الذاريات ، الآية ٥٦ ) .

فهل يستطيع البشر أن يصلوا فلا يفتروا، وان يصوموا الدهر فلا يفطروا، ليس ذلك في استطاعتهم ولم يهيئوا لذلك. فالإنسان مركب من روح وبدن ولكل مطالبه.

وإنما معنى العبادة أوسع من ذلك وقد بينت الآية التالية شمولها وهي قوله تعالى: ( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ) ( الأنعام : الآية ١٦٤ - ١٦٥ ) .

ومن هنا يتضح شمول العبادة لأنواع كثيرة من أفعال العباد يصرفها كثير من الناس لغير الله ظناً منهم أن ذلك من الأمور الجائزة وهي من صميم العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله ومن ذلك:

١ - الدعاء:

وقد نص الله تبارك وتعالى في كتابه أن الدعاء عبادة. قال تعالى: ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ) ( غافر : الآية ٦٠ ) .

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ( وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً . فلما أعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً ) ( مريم : الآية ٤٨ - ٤٩ ) .

فقد بين الله في الآيتين أن الدعاء عبادة ، ففي الآية الأولى ، قال : ادعوني ... إن الذين يستكبرون عن عبادتي ، فالعبادة هي الدعاء .

وقول إبراهيم : وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ... فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله . فدعاء غير الله عبادة والعبادة لا يجوز صرفها لغير الله .

وفي الحديث الدعاء مخ العبادة .

ولذلك فإن المشركين كانوا يخلصون الدعاء لله في وقت الشدة ، كما في قوله تعالى ، ( هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ) ( يونس : الآية ٢٢ ) .

يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه عقيدة المسلم ص ٦٤ تحت عنوان : توحيد العامة وما يعلوه من غبار . ( ينبغى لهذه الأمة أن تكون مثلاً عالياً في إسلام الوجه لله وافراده بالنية والعمل . بيد أننا نلاحظ - آسفين - أن هناك مسالك شائعة بين الجماهير الغفيرة من المسلمين ، لها دلالتها الخطرة على فساد التفكير ، وضلال الاتجاه واضطراب المقصد . ولا نحب أن نوارب في الكشف عن هذه العلة ، فإن أى خلل في دعائم التوحيد معناه الخبل الذى يدرك موطن القيادة الفكرية في هذا الدين الحنيف .

إذ التوحيد فى الإسلام حقيقة وعنوان ، وساحة وأركان ، وباعث وهدف ، ومبدأ ونهاية .

قال : ولسنا - كذلك - ممن يجب تصيد التهم للناس ، ورميهم بالشرك جزافاً ، واستباحة حقوقهم ظلماً وعدواناً .

ولكننا أمام تصرفات توجب علينا النظر الطويل ، والنصح الخالص والمصارحة بتعاليم الكتاب والسنة كلما وجد عنها أدنى انحراف .

ثم يضرب الأمثلة على هذا الانحراف من واقع الأمة المسلمة في هذا العصر فيقول :  
لقد اهتمت حكومة انجلترا - في سبيل مكافحة الشيوعية - بالحالة الدينية في مصر !  
فكان مما طمأنها على إيمان المصريين ( ! ) : أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي  
بطنطا هذا العام .

قال : والذين زاروا الضريح ليسوا مجهولين لدى ، فطالما أوفدت رسمياً لوعظهم ،  
فكنت أشهد من أعمالهم ما يستدعى الجلد بالسياط لا ما يستدعى الزجر بالكلام . ثم يبين  
حالهم ولماذا جاءوا الى صاحب الضريح ، فيقول : جاءوا للوفاء بالندور والابتهاج بالدعاء .

ولمن الندور ؟ ولمن الدعاء ؟ إنه أول الأمر للسيد .

فإذا جادلت القوم قالوا : إنه لله عن طريق السيد البدوي .

وأوضح بعد ذلك : ان من بدهيات الإسلام الأولى ، أن الطلب ووسيلته جميعاً يجب  
أن يكونا من الله

( إياك نعبد وإياك نستعين ) ( الفاتحة : الآية ٥ ) .

« إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » ( رواه أحمد والترمذي ) .

أقول : إن ما ذكره الشيخ محمد الغزالي عن حال أولئك الملايين عند ضريح السيد  
البدوي ، هو حال أكثر العالم الإسلامي في شرق الأرض وغربها ، وقد شاهدت بعيني وسمعت  
بأذني من يطلب من السيد الإدريسي - وهو متمسك بالحلة الخضراء المكسي بها الضريح  
داخل المسجد - الولد والشفاء من المرض ، ورد الغائب ، وكل ما لا يطلب إلا من الله الواحد  
الأحد .

إن هؤلاء إذا قلت لهم : قولوا : لا إله إلا الله . امتدت بها حناجرهم وارتفعت بها  
أصواتهم وقالوها أكثر من سبعين مرة . وهم مع ذلك سادرون في هذا العمل لأنهم لا يعرفون  
معناها ، وماذا تريد منهم أن يلتزموا به أمام خالقهم عبادة وحكماً وسلوكاً .

أما الذين قال لهم رسول الهدى صلى الله عليه وسلم : قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا .  
فمن وفقه الله ، قالها وعمل بمقتضاها فلم يدع غير الله ولم يتحاكم إلى سواه .

ومن لم يوفق قال : أجعل الألهة إلهاً واحداً . وسل سيفه فكان الأب يقتل ابنه والابن  
يقتل أباه . فهل إن ذلك لمجرد النطق بلفظ : لا إله إلا الله .. ! لا ..

لأن من كان في آخر لحظة من حياته كأبي طالب حين طلب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول : لا إله إلا الله ليحاج له بها عند الله ، لم يقلها ، فأبو جهل كان عنده يقول له : أترغب عن ملة عبد المطلب فكان آخر كلامه أن قال : هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فكان من أهل النار ، وأنزل الله فيه قوله : ( إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ) ( القصص : الآية ٥٦ ) .

ومن هنا نوجه نداءنا إلى الأساتذة الفضلاء ، وهم من قادة الفكر الإسلامي المهتمين بتوجيه شباب الأمة الإسلامية إلى الخير ، الشباب الذى تعلق عليه آمال الأمة في قيادتها إلى ما فيه عزها وفلاحها في الدنيا والآخرة ، أن يرجعوا أولاً لدراسة دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم في مكة وهى ثلاثة عشر عاماً قضاها رسول الله من عمر الدعوة ، إلى أى شىء كان يدعو الناس ، وما طريقته وأسلوبه في مخاطبة الأمة التى بعث فيها .

الواقع أنه مكث تلك الفترة لاصلاح قلوب الناس وتخليصها من الشركاء المتشاكسين ، دعاهم إلى كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » ووعدهم بأنهم إن قالوها دانت لهم العرب والعجم ، وكان المخاطبون يفهمون معناها ، وما تضمنته من نفى واثبات .

وقد تحقق ذلك الوعد لمن قال تلك الكلمة ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ) ( النور : الآية ٥٥ ) .

أولئك الذين رباهم رسول الهدى صلى الله عليه وسلم تلك التربية الفريدة في نوعها حتى عمرت قلوبهم بالإيمان ، تلقوا الأحكام عند نزولها بصدور رحبة وإيمان راسخ ، فلبوا داعى الله قدموا نفوسهم رخيصة في سبيله ، يرجون إحدى الحسنين وإلا فما الذى حمل الصحابي الجليل أن يرمى التمرات من يده ويتقدم للقتال حين علم أن ليس بينه وبين الجنة إلا الشهادة في سبيل الله . وما الذى حمل الغامدية أن تقدم نفسها للعقوبة حين ارتكبت معصية الزناء .

أولئك طبقوا قوله تبارك وتعالى : ( وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ) ( الأحزاب : الآية ٣٦ ) .

وقد استمر التمكين للمؤمنين حين بقوا على الشرط - يعبدونني لا يشركون بي شيئاً - إن تنصروا الله ينصركم .

أقول هذا لأعود إلى كلمة قالها الشيخ الغزالي ، عن حال هؤلاء الملايين من المسلمين الذين يتهافتون على زيارة الأضرحة مقدمين لها الذودر والقرايين ، يقول عن هؤلاء : « ولو دعوا لواجب ديني لفروا نافرين ، وإن كانوا أسرع إلى الخرافة من الفراش إلى النار » .  
لماذا كانوا كذلك ونحن نرى أن الذين رباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما دعوا للواجبات الدينية استجابوا لله ولرسوله ، والناس هم الناس .

**والجواب :** إن قلوب أولئك نقيت من شوائب الشرك بالله فأصبحت خالصة له ، لا يوجد بها شركاء متشاكسون .

**وفي الحديث :** إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب .

فبصلاح القلوب تنقاد الجوارح ، فالقلب ملكها ، وفي المثل الشائع : الناس على دين ملوكهم .

وقد بين الشيخ الغزالي في كتابه عقيدة المسلم ص ٦٦ - ٦٧ بأن القول بأن هؤلاء الذين يهرعون إلى هذه الأضرحة يعرفون الله ، ويعرفون أنه وحده مجيب كل سؤال ، وباعث كل فضل ، ومن دونه لا يملكون من ذلك شيئاً ، إن هذا الدفاع لا يغنى شيئاً ، لأن هذه المعرفة لا تصلح ولا تقبل إلا إذا صحبها أفراد الله بالدعاء والتوجه والاخلاص ، فإن المشركين القدماء كانوا يعرفون الله كذلك .

( قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ) ( يونس : الآية ٣١ - ٣٢ ) .

ومع أنهم يقولون « الله » بصراحة وجلاء فلم يحسبوا بهذا القول مؤمنين ، لأن الإيمان - إذا عرفت الله حقاً - ألا تعرف غيره فيما هو من شؤنه . ولذلك يستطرد القرآن في مخاطبة هؤلاء :

( ... فقل أفلا تتقون ، فذالكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون . كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ) ( يونس : الآية ٣١ - ٣٢ ) .

إن العامة عندما يشدون الرحال إلى قبور تضم رفات بعض الناس . وعندما يهرعون بالنذور والحاجات والأدعية إلى من يظنون أنهم أبواباً لله ، إنما يرتكبون في حق الإسلام مآثم شنيعة . ومهما قلبنا عملهم هذا من جميع وجوهه فلن نجد فيه ما يطمئن إليه ضمير المؤمن أبداً . ومحبة الصالحين وبغض الفاسدين من شعائر الإسلام حقاً .

ثم قال : ومظاهر الحب والبغض معروفة ... وهي مصادقة للأحياء أو منافرة ، واستغفار للموتى أو لعنة . وأين من عواطف الحب والبغض هذا الذى يصطنعه المسلمون اليوم ؟؟ إن الواحد منهم قد يصادق أفسق الناس ، وقد يقطع والديه - وهما أحياء - ثم تراه مشمراً مجدداً في الذهاب إلى قبر من قبور الصالحين ، لا ليدعوه له ويطلب من الله أن يرحم ساكن هذا القبر ، بل ليسأل صاحب القبر من حاجات الدنيا والآخرة ما هو مضطر إليه وذلك ضلال مبين . اه .

والإسلام بصفائه ونقاؤه ، ومنهجه الذى سلكه في المحافظة على سلامة فكر وسلوك اتباعه قطع دابر كل وسيلة تصل الإنسان بالشرك ، فالبناء على قبور الصالحين قباباً واتخاذ المساجد عليها الذى كان تقليداً قديماً قضى عليه الإسلام ، إذ أن ذلك من مظاهر الوثنية ، فقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأمره أن يسوى بالأرض كل قبر مشرف ، وأن يهدم كل صنم ، فجعل الأضرحة العالية والأصنام المنصوبة سواء في اضلال الناس .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر أمته عند وفاته مما صنعتها الأمم السابقة : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، ألا لا تتخذوا القبور مساجد أئني أنهاكم عن ذلك » .

وكان يرفع الخمرة عن وجهه في مرض الموت ويكرر هذا الدعاء : « اللهم لا تجعل قبرى من بعدى وثناً يعبد » .

يقول الشيخ الغزالي بعد ذكر هذه الأحاديث التى حذر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتباع اليهود والنصارى : « ومع هذا التحذير كله ومع كثرة الدلائل التى انتصبت في الإسلام دون الوقوع في هذا المحذور فقد أقبل المسلمون على بناء المساجد فوق قبور الصالحين ، وتنافسوا في تشييد الأضرحة حتى أصبحت تبين على أسماء لا مسميات لها بل قد بنيت على ألواح الخشب وجثث الحيوانات . ومع ذلك فهى مزارات مشهورة ومعجزة تقصد لتفريج الكرب وشفاء المرضى وتهوين الصعاب » (١) . اه

(١) عقيدة المسلم ص ٦٨ .



## ٢) أ - الحب القلبي :

حين نزل القرآن الكريم كان المخاطبون يتخذون أنداداً من دون الله ، حسية مثل الأصنام المتخذة من الأحجار والأخشاب وغيرها ، إذ كان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً . ومعنوية كالقبيلة وغيرها من أوثان الجاهلية التي لا يستطيع المرء الخروج عليها وإن تأكد له خطأ سلوكها ، فقد قال قائلهم في التمسك بما عليه قبيلته ولو كان ظلماً وعدواناً :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد  
هذه الأنداد يحبها المشركون حباً يجعلهم يقدمون محبتها على محبة الله . ( ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ... ) ( البقرة : الآية ١٦٥ ) . فتسويتهم محبتها بمحبة الله شرك أكبر ، فكيف إذا قدموا حبها على حبه .

( وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ) ( الأنعام : الآية ١٣٦ ) .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك .

وقد أخبر الله عن حال كثير من الناس الذين يتخذون مع الله الأنداد ، كيف تشمئز قلوبهم وتنقبض نفوسهم كلما دعوا إلى الله وحده إلهاً في العبادة ، وإلى شريعته وحدها قانوناً في الحكم ، وإلى منهج الله وحده نظاماً للحياة ، أما إذا ذكرت المناهج الأرضية نظاماً للحياة وشريعة في الحكم فرحوا واستبشروا يقول تعالى : ( وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ) ( الزمر : الآية ٤٥ ) .

أما المؤمنون بالله فقد وصفهم الله بأنهم أشد حباً لله ( والذين آمنوا أشد حباً لله ) أى المؤمنون بالله أشد حباً له من حب المشركين لآلهتهم (١) . لذلك فهم يقدمون أنفسهم رخيصة في سبيله فقد باعوها له ( إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ... ) ( التوبة ، الآية ١١١ ) .

ب - محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من صميم الدين ، ولا يؤمن أحد حتى يكون الرسول أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين .

(١) ابن جرير ٢ / ٦٦ ، طبعة ثانية ١٣٧٢ هـ .

ومن علامات حب المؤمن للرسول صلى الله عليه وسلم نصر دينه بالقول والفعل والذب عن سنته ، والتخلق بأخلاقه ، وتقديم ما شرعه وأمر به على هوى النفس وشهواتها ، وكذلك كثرة ذكره بالصلاة عليه فمن صلى عليه مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرين مرة .  
ثم أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تستلزم طاعته واتباعه وبذلك يستحق العبد حب الله له .

( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم )  
( آل عمران : الآية ٣١ ) .

فمن ادعى محبة الله وخالف سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فكتاب الله يكذبه .  
والمطلوب من العبد ديناً أن يحب الله ، وأن يحبه الله ، ولا يحب الله عبده إلا إذا اتبع نبيه ظاهراً وباطناً ، وصدقه خبراً ، وأطاعه أمراً ، وآثره طوعاً واختياراً .  
( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ... ) ( النساء ، الآية ٥٩ ) .

( ... وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ... ) ( الحشر ، الآية ٧ ) .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده .  
وفي رواية أنس رضى الله عنه : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين (١) .

وفي البخاري في كتاب الإيمان والندور .. من حديث عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لأنت يارسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي . فقال : لا . والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال عمر : فإنك الآن أحب إلي من نفسي . فقال : الآن يا عمر (٢) .

ولاشك أن حظ أصحابه الذين كانوا معه من هذا الحب كان اتم ، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة ، وهم بقدره ومنزلته أعلم من غيرهم ، والناس يتفاوتون في ذلك وقد عبر بعض الصحابة عن هذا الحب المكين بأقوالهم وأفعالهم .

(١) خ / الإيمان - فتح الباري ١ / ٥٨ ح ١٤ ، ١٥ .

(٢) خ / الإيمان والندور - فتح الباري ج / ١١ / ٥٢٣ ح ٦٣٢ .

يقول عمرو بن العاص رضى الله عنه : وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه . وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه اجلاً له . ولو سئلت أن أصفه ما أطقت . لأنى لم أكن أملاً عيني منه (١) .

هكذا كانت محبة الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحبونه أكثر من أنفسهم ، يقتدون به يطيعون وأوامره يجتنبون ما نهى عنه .

وما نشأت البدع إلا من تقديم هوى النفس على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتراء بسنته ولذلك سُمي منتحلوها بأهل الأهواء .

( فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ) ( القصص : الآية ٥٠ ) .

ولا يعصم من الهوى إلا طاعة الله والاقتراء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) .

يقول ابن القيم في النونية ص ٥٧٩ :

فهو المطاع وأمره العالى على أمر الورى وأوامر السلطان  
وهوالمقدم فى محبتنا على الـ أهلىن والأزواج والولـدان  
وعلى العباد جميعهم حتى على النفس التى قد ضمها الجنبان

فهل ما يعمله كثير من الناس بدعوى المحبة للرسول من أمور لم يعملها الصحابة الذين عرفنا اجلالهم وتقديرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من مديح واطراء يكون محبة .

ففي حديث عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله (٢) .

ولكن ما نهى عنه صلى الله عليه وسلم وخشيه على أمته وقع الناس فيه .

ففي نظم البوصيري قوله :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم  
إن لم تكن فى معادى أخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

(١) مسلم : كتاب الإيمان / ١ / ١١٣ ح ١٩٢ .

(٢) أخرجاه فى الصحيحين .

وقوله :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فاذا كانت الدنيا وضرتها من جود الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن بعض علومه علم اللوح والقلم لأن « من » للتبويض ، فماذا بقى للخالق جل وعلا ، والله يقول لنبيه :  
قل لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ... » . وقالت عائشة  
رضى الله عنها لمسروق كما فى صحيح مسلم ١ / ١٥٩ ح / ٧٨١ ( ومن قال إن محمداً صلى الله  
عليه وسلم يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول : « قل لا يعلم من فى  
السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون » ( النمل / ٦٥ ) .

فهذا الغلو والاطراء هو الذى حذر الرسول أمته صلى الله عليه وسلم منه . حيث قال :  
لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم . وقد صار حظ أكثر هؤلاء منه صلى الله  
عليه وسلم مدحه بالاشعار والقصائد والغلو الزائد ، مع عصيانهم له فى كثير من أمره ونهيه (١)

( ٣ ) الشفعاء :

لقد سلك المشركون فى اتصالهم بالله مسلك اتخاذ الوسطاء ليتشفعوا لهم عند الله .

( ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا  
عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما  
يشركون ) ( يونس : الآية ١٨ ) .

تبين الآية الكريمة أن هؤلاء يعبدون آلهة لا تنفعهم ولا تضرهم فى الدنيا حال عبادتهم  
إياها . فقولهم عنها إنها تشفع لهم فى المال عند الله جهل شنيع ، ولذلك أمر الله رسوله صلى  
الله عليه وسلم أن يخاطبهم خطاب المنكر عليهم .

( قل أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض ) كما بين لهم أن هذا  
زعم باطل فالشفاعة لا تكون عند الله إلا بأذنه .

( من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه ) ( البقرة : الآية ٢٥٥ ) .

إن اتخاذ شفعاء يخافون ويرجون ويطلب منهم أن يشفعوا لهم عند الله شرك بالله ،  
لأن الشفاعة لا تكون عند الله إلا بأذنه . والله لا يعلم لنفسه شريكاً ولا شافعاً .

(١) تيسير العزيز الحميد ص ١٨٦ - ١٨٧ .

وقد اتخذ كثير من الناس هذا العمل المنافي لتوحيد الله وسيلة إلى الله وأسموه توسلاً بالصالحين وقد لبس إبليس وأعوانه على كثير من الناس في هذا الباب وحرّمهم من حق تمتع هو به فقد قال لهم :

أ - إنكم عصاة والله إنما يتقبل من المتقين ، فلو ذهب الإنسان ليدعو ربه وهو متلبس بالسيئات لم يجب الله سؤاله - لذا فلا بد من واسطة مقبولة ولا تكون تلك الواسطة إلا الولي الصالح .

ب - إن هذا العمل ليس شركاً لأن النية هي معيار الحكم على الأعمال ، وأنتم لم تنووا شركاً .

ج - ثم إن مثل هذا العمل جائز فقد كان العلماء يتوسلون إلى الله بالأنبياء وغيرهم من الصالحين .

هذه بعض الشبه التي تلقى ليتقبل الناس مثل هذه الأعمال .

ونرى أن نبدأ أولاً بذكر التوسل المشروع ، ثم نبين بعد ذلك وجهة الرد على الشبه التي سبق ذكرها والتي لبس بها على كثير من الناس فنقول : إن التوسل المشروع هو :

١ - التوسل بالإيمان بذات الله - ( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ) . فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : ( اللهم اني أسألك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ) (١) .

٢ - التوسل بالعمل الصالح - كما في قصة الثلاثة الذين آواهم الغار ، فانطبقت عليهم صخرة ، فكل واحد منهم دعا الله بعمله الخالص الذي قدمه لله تعالى وطلب منه أن يفرج عنهم ما هم فيه وهكذا دعا الثلاثة حتى أزيحت الصخرة عنهم فخرجوا يمشون (٢) .

٣ - دعاء المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب ، ولا فرق في ذلك بين الفاضل والمفضول فقد طلب النبي صلى الله عليه وسلم من عمر بن الخطاب أن يدعو له ، بل والمسلمون يدعون له ويطلبون له الوسيلة دائماً .

٤ - إذا توسمت في شخص ما أنه من أهل الصلاح والتقوى ، وأحببت أن يدعو لك جاز لك ذلك فتطلب منه أن يدعو الله وأنت تؤمن على دعائه .

(١) حم ٤ / ٣٣٨ من حديث محجن بن الأذرع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وس / الدعاء ٣ / ٥٥ من حديث محجن .

(٢) متفق عليه . خ / م / كتاب الذكر والدعاء / باب قصة أصحاب الغار ٤ / ٩٩ ، ح ١٠٠ .

هذه الأنواع هي الأنواع المعروفة في هذا الباب وعمل بها سلفنا الصالح ، أما تليس إبليس وأعوانه على الناس بأنهم عصاة والله يتقبل من المتقين فلا بد من واسطة ، وهم يقولون هذا عند التوجه إلى الأضرحة والطلب من أصحابها ما لا يقدر عليه إلا الله فهذه مغالطة :

فالمشركون يدعو الله مباشرة بدون واسطة واستجاب الله دعاءهم . ( ... يدعو الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق ) ( يونس : الآية ٢٢ ، ٢٣ ) .

وإبليس نفسه دعا ربه مباشرة بدون واسطة جبريل أو غيره من الملائكة ممن لم يعص الله وأجيب .

( قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون . قال : فإنك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم ) ( الحجر : الآية ٣٦ - ٣٨ ) .

فكيف يجوز هذا الحق للمشركين ، وإبليس وهو رئيس العصاة وقائد الكفار إلى النار ، ولا يسوغ لجمهور المسلمين العصاة أن يلجؤا إلى ربهم والله يقول : ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ... ) ( غافر : الآية ٦٠ ) .

بل القرآن يدعو العصاة والذين ارتكبوا فواحش وظلموا أنفسهم ان يلجؤا إلى الله ويستغفروه مباشرة .

( ... والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ) ( آل عمران : الآية ١٣٥ ) .

( ... غافر الذنب وقابل التوب ... ) ( غافر : الآية ٣ ) .

وأما كون النية هي معيار الحكم على الأعمال .

فالجواب : إن العمل الصالح المقبول يشترط فيه شرطان :

١ - النية الخالصة ( ألا لله الدين الخالص ) ( إنما الأعمال بالنيات ) .

٢ - أن يكون موافقاً لما أمر به الله ورسوله . ودعاء الأموات والتقرب إليهم ممنوع شرعاً بل هو شرك بالله . ( ومن أضل ممن يدعو من دون الله ) ( الأحقاف : الآية ٥ ) .

والقول بأن العلماء كانوا يفعلون ذلك غير صحيح ، فالعلماء ما كانوا يتوسلون بالموتى إطلاقاً ، فإن الصحابة رضوان الله عليهم في زمن عمر بن الخطاب حين اجدبوا طلبوا منه أن

يستسقى لهم فلما فرغ من الصلاة قال : اللهم إنا كنا نستسقى بنبيك فتسقنا والآن نستسقى  
بعم نبيك (١) . قم يا عباس فادع الله لنا فقام ودعا لهم والمسلمون يؤمنون على دعائه ومن  
دعائه :

« اللهم لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولا يكشف إلا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك  
لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث » .  
ولم يثبت عن الصحابة ولا التابعين ومن سلك منهجهم أنهم توسلوا بذوات الأحياء ،  
إنما كان توسلهم بدعائهم ، كما في قصة عمر هذه مع العباس .

#### ٤ ( النية والقصد :

الأعمال الصالحة المقبولة عند الله تعالى : هي ما كانت خالصة لوجهه تعالى ، موافقة  
لشرعه .

قال تعالى : ( ألا لله الدين الخالص ) . ( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين  
له الدين )

وفي الحديث : « إنما الأعمال بالنيات » .

وقد شاع عند الكثير من الناس القول بأن العمل لا ينظر إليه وإنما تعتبر النية  
المصاحبة له .

وهذا القول غير صحيح في الشريعة الإسلامية . وإنما العمل المقبول المثاب عليه عند الله  
يشترطه فيه شرطان :

١ - النية الصالحة لقوله صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنيات . وهذا معنى  
قوله : ألا لله الدين الخالص . فإذا خالط هذه النية أمراً آخر بأن يعمل هذا العمل من أجل  
أن ينال دنيا ، أو يثني عليه من يشاهده كان مرئياً . وذلك يحبط عمله هذا الذي صار فيه  
الرياء .

٢ - أن تكون صورته موافقة للشرع ، وإلا كان مبتدعاً . وهذا معنى قول العلماء في  
العمل المقبول عند الله « أن يكون خالصاً صواباً » .

يقول الله تعالى في ذلك منبهاً عباده إلى أن تكون أعمالهم التي يتقربون بها إليه تعالى  
خالصة له .

(١) خ / الاستسقاء / باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا / فتح الباري ٢ / ٤٩٤ ح ١٠٠ .

( من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ) ( هود : الآية ١٥ ، ١٦ ) .

قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا وذلك أنهم لا يظلمون تقيراً ، فكل من التمس الدنيا بعمل الآخرة أوفى الذى التمس في الدنيا من المثابة ، وحبط عمله الذى كان يعمله ، وهكذا روى عن مجاهد والضحاك وغير واحد ، وقيل إن الآية نزلت في اليهود والنصارى ، ولكن حكمها عام لكل من اتصف بهذا الوصف (١) .

### ٥ ( حق التشريع :

قال الله تعالى : ( اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ) ( التوبة : الآية ٣١ ) .

١ - الاحبار جمع حبر وهم علماء اليهود .

٢ - الرهبان جمع راهب وهم علماء النصارى .

والرب هو الخالق المالك المتصرف في خلقه كيف يشاء . وهو المشرع لهم فهو أعلم بما يصلح حال عباده في حالهم ومآلهم ( الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ) . وقد وصف الله من تصدى لذلك بأنه مفتر على الله كذاب في تشريعه لأن نص التحليل والتحرير لله وحده . ( ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ) فهذا حق له تعالى لا يجوز لمخلوق أن يتقدم بين يدي الله فيشرع لعباده من دونه ، ان ذلك مشاركة الله فيما هو من خصائصه والذين يتقبلون هذا التشريع وتطمئن نفوسهم إليه ويعملون به هم مشركون بالله .

فاتخاذ الاحبار والرهبان أرباباً هو في التشريع إذ الاحبار والرهبان مخلوقون لله كغيرهم من البشر ، إلا أنهم شاركوا الله في تشريعهم لخلقهم بالتحليل والتحرير الذى هو من خصائص الخالق سبحانه وتعالى ، يفسر هذا حديث عدى بن حاتم رضى الله عنه الذى رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما حين جاء والرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية :

(١) ابن كثير ٢ / ٤٢٩



( اتخذوا أعبادهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ) الآية . قال : قلت إنهم لم يعبدوهم ، فقال : « بلى إنهم حرموا عليهم الحلال واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم » .

وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير « اتخذوا أعبادهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » ، إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا ، وقال السدى : استنصحو الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، ولهذا قال تعالى : ( وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ) أى الذى إذا حرم الشيء فهو الحرام وما حلله فهو الحلال وما شرعه اتبع وما حكم به نفذ ( لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ) ( ١ ) .

يقول سيد قطب في ظلال القرآن ج ٤ / ٢٠٣ بعد أن نقل كلام ابن كثير وغيره في تفسير الآية : ( ومن النص القرآنى الواضح الدلالة ، ومن تفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو فصل الخطاب ، ثم من مفهومات المفسرين الأوائل والمتأخرين ، تخلص لنا حقائق في العقيدة والدين ذات أهمية بالغة نشير إليها هنا بغاية الاختصار .

\* إن العبادة هى الاتباع فى الشرائع بنص القرآن وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فاليهود والنصارى لم يتخذوا الأعباد والرهبان أرباباً بمعنى الاعتقاد بألوهيتهم أو تقديم الشعائر التعبدية إليهم ... ومع هذا فقد حكم الله - سبحانه عليهم بالشرك فى هذه الآية - وبالكفر فى آية تالية السياق - لمجرد أنهم تلقوا منهم الشرائع فأطاعوها واتبعوها .. فهذا وحده - دون الاعتقاد والشعائر يكفى لاعتبار من يفعله مشركاً بالله الشرك الذى يخرج من عداد المؤمنين ويدخله فى عداد الكافرين .

\* إن النص القرآنى يسوى فى الوصف بالشرك واتخاذ الأرباب من دون الله بين اليهود الذين قبلوا التشريع من أعبادهم وأطاعوهم واتبعوهم ، وبين النصارى الذين قالوا بألوهية المسيح اعتقاداً وقدموا إليه الشعائر فى العبادة . فهذه كتلك سواء فى اعتبار فاعلها مشركاً بالله ، الشرك الذى يخرج من عداد المؤمنين ويدخله فى عداد الكافرين .

\* إن الشرك بالله يتحقق بمجرد اعطاء حق التشريع لغير الله من عبادة ولو لم يصحبه شرك فى الاعتقاد بألوهية ، ولا تقديم الشعائر التعبدية له .

ويخلص بعد ذلك الى القاعدة المعروفة عند المفسرين والأصوليين أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لأن القرآن تشريع عام للبشرية كلها فى كل زمان ومكان .

( ١ ) ابن كثير ج ٣ / ٣٤٨ - ٣٤٩ .

فيقول : « إن دين الحق الذي لا يقبل الله من الناس كلهم ديناً غيره هو ( الإسلام ) .. والإسلام لا يقوم إلا باتباع الله وحده في الشريعة - بعد الاعتقاد بألوهيته وحده وتقديم الشعائر التعبدية له وحده - فإذا اتبع الناس شريعة غير شريعة الله صح فيهم ما صح في اليهود والنصارى من أنهم مشركون لا يؤمنون بالله - مهما كانت دعواهم في الإيمان - لأن الوصف يلحقهم بمجرد اتباعهم لتشريع العباد لهم من دون الله بغير انكار منهم يثبت فيه أنهم لا يتبعون إلا عن إكراه واقع بهم لا طاقة لهم بدفعه وانهم لا يقرون هذا الافتتاح على الله » .

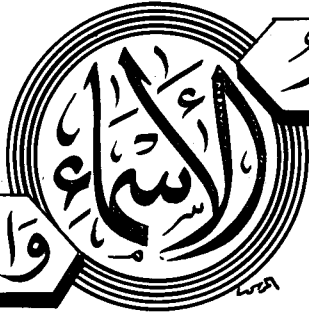
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً  
ويمسى كافراً ، أو يمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من  
الدنيا » .

( أخرجه مسلم ) .

عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله أين أبي ؟ قال : « في  
النار » ، فلما قُفي دعاه فقال : « إنَّ أبي وأباك في النار » .

( أخرجه مسلم ) .

١٠



مَفْهُومٌ

سَعْدٌ نَدَّر

مدرس بالجامعة الإسلامية

وَالصِّفَات

يقول الله عز وجل :

« هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ • هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ • هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »

( الحشر ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ) .

تشتمل هذه الآيات الكريمات على ستة عشر اسماً من أسماء الله الحسنى ، هي :

الله - العالم - الرحمن - الرحيم - الملك - القدوس - السلام - المؤمن - المهيمن - العزيز - الجبار - المتكبر - الخالق - الباري - المصور - الحكيم .

وقد أسلفت الكتابة في حلقات سابقة بما يسر الله لي من بعض معاني أسمائه :

الله - العالم - الرحمن - الرحيم - الملك - العزيز - الباري - الحكيم ..

وأحاول - بحول الله وقوته - أن أكتب في هذه الحلقة شيئاً مما يسر الله تعالى لي

فهمه من معاني باقي الأسماء في الآيات الشريفة المذكورات .

وقبل أن أدخل في هذا البحث أود أن أشير إلى أول كلمة في هذه الآيات وهي قوله

تعالى : ( هو ) ، ذلك أن بعض الذين شرحوا أسماء الله الحسنى ، ذكروا أن هذه الكلمة إنما

هي اسم من أسماء الله الحسنى ، - وهذا مسلوك عجبت له كثيراً ، لهذا أردت أن أبين خطأ

هذا الفهم لقيامه على غير دليل .

( هو ) ليس اسماً من أسماء الله الحسنى :

من الذين قالوا إن ( هو ) اسم من أسماء الله الحسنى أبو القاسم عبد الكريم القشيري ( ١ ) في كتابه ( شرح أسماء الله الحسنى ) ( ٢ ) ، وكان نص ما قاله ما يأتي :

( اعلم أن « هو » اسم موضوع للإشارة ، وهو عند الصوفية إخبار عند نهاية التحقيق ، وهو يحتاج عند أهل الظاهر ( ٣ ) إلى صلة تعيينه ليكون الكلام مفيداً ، لأنك إذا قلت : هو ثم سكت ، فلا يكون الكلام مفيداً حتى تقول : هو قائم أو قاعد ، أو هو حي أو ميت وما أشبه ذلك .

فأما عند القوم ( ٤ ) فإذا قلت هو ، فلا يسبق إلى قلوبهم غير ذكر الحق ، فيكتفون عن كل بيان يتلوه لاستهلاكهم في حقائق القرب باستيلاء ذكر الله على أسرارهم وانمحائهم عن شواهدهم فضلاً عن إحساسهم بمن سواه ( ٥ ) ، وكان الإمام أبو بكر بن فورك رضى الله عنه يقول : هو : حرفان : هاء وواو ، فالهاء تخرج من أقصى الحلق وهو آخر المخارج ، والواو تخرج من الشفة وهو أول المخارج ، فكأنه يشير إلى ابتداء كل حادث منه وانتهاء كل حادث إليه وليس له ابتداء ولا انتهاء ، وهو معنى قوله سبحانه ( هو الأول والآخر ) ، فقوله : ( هو الأول ) : إخبار عن قدمه ، وقوله ( الآخر ) إخبار عن استحالة عدمه ( ٦ ) .

( ١ ) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الملقب بجمال الدين . إمام التصوف في عصره المولود عام ٣٧٦ هـ والمتوفى عام

٤٦٥ هـ .

( ٢ ) حققه وشرحه الأستاذ عبد المنعم عبد السلام الحلواني .

( ٣ ) أقول : يشير القشيري بقوله : أهل الظاهر : إلى عقيدة أهل التصوف الذين يقولون إن الإسلام له وجهان : وجه ظاهر . ووجه باطن : فالوجه الظاهر هو النصوص ويسمونه الشريعة ، ويسمون الذين يتمسكون بالنصوص أهل الظاهر أو أهل الشريعة . والوجه الباطن هو المعاني البعيدة الخفية للنصوص التي لا يعلمها أهل الظاهر . ويسمون هذا الباطن الحقيقة . ويسمون الذين يعرفونها أهل الحقيقة وهم في نظرهم الصوفية وهذا كلام باطل لأن الإسلام ليس له ظاهر وباطن : بل إن ظاهره كباطنه . يشير إلى هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ( تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ) .

( ٤ ) أقول : يقصد بالقوم : الصوفية .

( ٥ ) أقول : يقصد أنهم يغيبون عن عالم الشهادة . وهذه هي عقيدة الفناء في الله . وهي من عقائد الصوفية الخبيثة الباطلة .

( ٦ ) أقول : هذا كلام خيط لا سند له . فكلم من الكلمات أولها يخرج من أقصى الحلق وأخرها يخرج من الشفتين ولا تشير إلى ابتداء ولا انتهاء مثل ( هَبْ ) ، و ( هَمْ ) ، و ( هَفْ ) وما شاكل ذلك ، فليس لمخارج الكلمات مَعُول في المعنى . إضافة إلى ذلك فإن كلمة ( هو ) إنما هي ضمير يدل على الغائب . وليس اسماً . فضلاً عن أن يكون اسماً لله تعالى - ويجب أن يعلم أن أسماء الله تعالى توقيفية يوقفت فيها عندما ورد النص به . ولا مجال للاجتهاد فيها - ولم يرد نص في الكتاب والسنة على أن ( هو ) اسم من أسماء الله تعالى ، وإنما ذلك من تلبسات إبليس التي أوحى بها إلى أعوانه فيما سول لهم وأملى لهم .

ثم قال القشيري : ( وقد حكى عن بعضهم أنه قال : رأيت بعض الوالهيين ، فقلت ما اسمك ؟ فقال : هو ، قلت : من أنت ؟ فقال : هو ، قلت : من أين جئت ؟ فقال : هو ، قلت : من تعنى بقولك : هو ؟ فقال : هو ، فما سألته عن شيء إلا قال : هو . فقلت : لعلك تريد الله ، قال : فصاح وخرجت روحة ) ( ١ ) .

ثم قال القشيري : ( وقال أهل الإشارة ( ٢ ) : إن الله تعالى كاشف الأسرار بقوله : هو ، وكاشف القلوب بما عداه من الأسماء ، وقيل كاشف المحبين بقوله : هو ، وكاشف المتيممين بقوله : الله ، وكاشف العلماء بقوله : أحد ، وكاشف العقلاء بقوله : الصمد ، وكاشف العوام بقوله : ( لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ) ، وقيل : كاشف الخواص بالهيته ، وكاشف خاصة الخاصة بهويته ... الخ ) ( ٣ ) .

هذا ما قاله القشيري في معنى ( هو ) ( ٤ ) .  
وأعجب مما كتبه القشيري ، ما كتبه محقق وشارح كتابه المذكور في هامشه ، إذ قال :

( هو : اسم من أسماء الله ، له هيبة وجلال عند أرباب الطريق والمكاشفات وأهل المشاهدة ( ٥ ) . ومخرجه من باطن القلب ، وله حرارة تزكي الجسد والروح ،

( ١ ) أقول : وهذه الحكاية - فضلاً عن نسبتها إلى مجهولين بدون إسناد . فإنها نوع من خيال المبتدعة المبطلين الذين يعيشون مع الأوهام التي تنسجها لهم الشياطين .

( ٢ ) أقول : يقصد بأهل الإشارة : الصوفية .

( ٣ ) أقول : قوله كاشف بقوله ( هو ) ليس دليلاً على أن اسمه سبحانه ( هو ) . بل إن ( هو ) ضمير يدل عليه سبحانه كما يقول تعالى : ( إني أنا ربك فأخضع نفسك لي ) ( هو ) بالوحد المقدس طوى • وأنا اخترتك فاستمع لنا يحيى • إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ) . فهل قال أحد بأن كلمة ( أنا ) اسم من أسماء الله تعالى ؟ ما قال بذلك أحد . بل قال الجميع : إن هذه الكلمة ضمير يدل على المتكلم - فما الفرق إذن بين الضمير المتكلم ( أنا ) والضمير الغائب ( هو ) ؟ لا فرق بينهما في كون كل منهما ضميراً . وليس واحد منهما اسماً من أسماء الله تعالى على الإطلاق . ودليلنا في هذا عدم ورود النص في الكتاب والسنة بشيء من ذلك . والله سبحانه أعلم .

( ٤ ) شرح أسماء الله الحسنى للقشيري ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

( ٥ ) أقول : يقصد المحقق الشارح بأرباب الطريق والمكاشفات وأهل المشاهدة : أهل الطرق الصوفية .

ذلك بأن عقيدة هؤلاء الضالة الباطلة أن غاية التصوف : إنما هو الكشف والمشاهدة . بمعنى أن يكشف لأحدهم اللوح المحفوظ فيقرأ فيه ما كان وما سيكون . وأن يشاهد الله تعالى فيراه رأى العين . ويقرر الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين جزء ٢ ص ١٦٦ أن المشاهدة تتم أثناء الخلوة إذ يقول : ( الخلوة لا تكون إلا في بيت مظلم . فإن لم يكن له مكان مظلم . فيلب رأسه بجيبه أو يدثر بكساء أو أزار . ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق . ويشاهد جلال الحضرة الربوبية ) - وعقيدة المشاهدة باطلة . والحق فيها ما اعتقده أهل السنة والجماعة من أن الله تعالى ادخر رؤيته سبحانه للمؤمنين في الجنة . فتكون هذه الرؤية لهم في وضوحها كما يرون القمر ليلة البدر . وتكون أعظم ما ينالون . بل أعظم من الجنة . وذلك في قوله تعالى : ( للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ) ( يونس آية ٢٦ ) . والحسنى هي الجنة . والزيادة هي النظر إلى وجه الله عز وجل . ومن ثم فرؤية الله في الدنيا لم يمكن عباده منها بل ادخرها للمؤمنين في الجنة . ومن هذا يتضح بطلان عقيدة الصوفية في المشاهدة في الدنيا .

ومعناه حاضر لا يغيب ، لا يشتمل عليه زمان ، ولا يحويه مكان ، منزه عن مشابهة الحوادث ، قريب من عبده في أي زمان ومكان ، الإله هو ، ولا إله إلا هو ، إلى أن قال : هو مصدر الجلال والجمال لأهل شهود النور الذاتى والمعنوي (١) - ثم قال : هو هو ، ولا مشهود غيره (٢) . ثم قال : وهو الضمير الدال على اسم الله ، تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام (٣) .

وهكذا يبين لنا مما كتب أولئك الصوفية ، أنهم يزعمون أن ضمير الغائب ( هو ) هو اسم من أسماء الله الحسنى ، ولذلك ينادونه سبحانه بقولهم :

( يا هو ) كقول قائلهم : ( فيا هو قل أنت أنا ويا أنا قل أنت هو )

كما تجد أولئك القوم يذكرون الله تعالى في أذكارهم وحضراتهم بهذا الضمير على أنه أحد أسمائه الحسنى سبحانه ، فنسمعهم يقولون : ( هُو - هُو - هُو - هُو ) ويرددون هذه الكلمة مئات المرات زاعمين أنهم يذكرون الله باسم من أسمائه الحسنى .

وقد كذبوا على الله تعالى ، وسمّوه بما لم يسمّ به نفسه ، وشرعوا له ما لم يشرعه سبحانه ، وقالوا عليه بغير علم ، والله تعالى حرم ذلك فقال جل وعلا : ( قل إنما حَرَّمَ رَبِّي الفواحش ما ظهرَ منها وما بطن ، والإثمَ والبغى بغير الحق ، وأن تُشركوا بالله ما لم يُنزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ) ( الأعراف آية ٣٣ ) .

(١) أقول : يقصد الشارح عقيدة المشاهدة الباطلة .

(٢) أقول : يشير الشارح إلى عقيدة أخرى من عقائد الصوفية الزائفة وهي عقيدة وحدة الوجود . ويعنون بها أن الله حل في كل شيء . فأصبحت الموجودات كلها لا حقيقة لوجودها غير الله . فكل شيء هو الله . وذلك يظهر من قول قائل الصوفية :

فيا هو قل أنت أنا      ويا أنا قل أنت هو  
ما فى الوجود غيرنا      أنا وهو وهو وهو  
وقوله :

وفى كل شيء له آية      تدل على أنه عينه

وقول الزنديق محيي الدين بن عربى :

الرب عبد والعبد رب      ياليت شعرى من المكلف ؟  
إن قلت عبد فذاك رب      أو قلت رب أتى يكلف ؟

وقوله كذلك :

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا      وما الله إلا راهب فى كنيسة

وهذا الهراء معناه أن الله حل في العبد . وفي الكلب . وفي الخنزير . وفي كل شيء . وصار كل شيء في الوجود هو الله ... تعالى الله عما يقول أولئك المجرمون علواً كبيراً .

(٣) المرجع السابق ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

وأهل السنة يؤمنون بأسماء الله الحسنى التي وردت بها نصوص الكتاب والسنة ،  
فهي توقيفية يُوقَفُ عند ما نُصَّ عليه ، وقد خلصت له الأسماء السنية ، فكانت واقعة في قديم  
الأزل بصدق الحقائق ، لم يستحدث تعالى صفةً كان منها خلياً ، ولا اسماً كان منه بريئاً ،  
تبارك وتعالى (١) .

ومن ثم فليس لأحد - كائناً من كان - أن يسمى الله تعالى بما لم يسمَّ به نفسه ، أو  
يشعر غير ما شرع الله .

بعد أن انتهيت من هذا البحث ، أدخل الآن في إتمام عرض ما ييسر الله تعالى لي  
من معاني باقي الأسماء في الآية التي صدرت بها هذه الحلقة ، وذلك فيما يلي :

### الْقُدُّوس :

هو اسم من أسماء الله عز وجل . وهو بضم القاف ( قُدُّوس ) على وزن ( فُعُول ) وهو  
صيغة مبالغة من ( القُدُّوس ) وهو الطهارة . ولكن سيويوه كان يرى أنه بالفتح ( قُدُّوس ) على  
وزن ( فُعُول ) لأنه ليس عنده في الكلام ( فُعُول ) أصلاً . وقال ثعلب : كل اسم على ( فُعُول )  
فهو مفتوح الأول مثل سَفُود وكَلُوب وسَمُور وشَبُوط وتَنُور إلا السُّبُوح والقُدُّوس فإن الضم فيهما  
أكثر ، وقد يُفتحان (٢) .

واسم ( القُدُّوس ) سبحانه متضمن لكمال طهارته من جميع صفات النقص والعيب .

● وقد ورد اسم ( القُدُّوس ) جل وعلا في القرآن الكريم مرتين فقط (٣) : مرة في قوله  
تعالى : ( هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القُدُّوس ... ) ( الحشر آية ٢٣ ) ، ومرة في قوله  
تعالى : « يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القُدُّوس العزيز الحكيم »  
( الجمعة آية ١ ) .

وقد ذكر الإمام ابن كثير في معنى ( القُدُّوس ) قوله : قال وهب بن منبه : الطاهر ،  
وقال مجاهد وقتادة : المبارك ، وقال ابن جريج : تَقَدَّسه الملائكة الكرام (٤) .

(١) الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤٢ .

(٢) مختار الصحاح في مادة ( ق د س ) .

(٣) المعجم المفهرس ص ٥٣٨ .

(٤) تفسير ابن كثير الجزء ٤ ص ٣٤٤ .

وقال صاحب جامع البيان في معنى ( القُدُوس ) : الطاهر البليغ في النزاهة عن كل نقصان (١) .

وقال الإمام الشوكاني في معنى ( القُدُوس ) : الطاهر من كل عيب المنزه عن كل نقص .

والقُدُوس بالتحريك في لغة أهل الحجاز السطل لأنه يتطهر به ، ومنه القادوس لواحد الأواني التي يُستخرج بها الماء ، وقرأ الجمهور ( القُدُوس ) بضم القاف ، وقرأ أبو ذر وأبو السماك بفتحها ، وكان سيبويه يقول ( سُبُوح قُدُوس ) بفتح أولهما (٢) .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في معنى ( القُدُوس ) : المقدس من كل عيب ونقص المعظم المجد ، لأن ( القُدُوس ) يدل على التنزيه من كل نقص والتعظيم لله في أوصافه وجلاله (٣) .

● أقول : واسم ( القُدُوس ) أفهم منه أنه اسم من أسماء الله الحسنى الذي يدل على أبلغ الطهارة المطلقة من كافة صفات النقص لله عز وجل ، إذ قد تنزه سبحانه عن جميع النقائص ونفاها عن نفسه ، فوجب على المؤمن أن ينزه خالقه جل وعلا عن كل عيب ونقص ، ولا سبيل له إلى ذلك إلا بأن يثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه وما أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى وصفات الكمال العليا ، دون تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ولا تشبيه ، وأن ينفي عن الله جل وعلا ما نفى عن نفسه ، وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات النقص ، كما أثبت السلف الصالح رضوان الله عليهم ونفوا ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، انطلاقاً من قوله تعالى : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » ( الشورى آية ١١ ) .

### السُّبُوح :

وهو اسم من أسماء الله عز وجل على صيغة ( فُعُول ) وهو صيغة مبالغة - ولم يرد ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم ، وإنما ورد في السنة المشرفة : فقد روى الإمام مسلم في صحيحه - بسنده - عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشَّخِير أن عائشة ( رضی الله عنها ) نبأته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده ( سُبُوحٌ قُدُوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ) -

(١) جامع البيان الجزء ٢ ص ٣٥٠ .

(٢) فتح القدير الجزء ٥ ص ٢٠٧ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن الجزء ٨ ص ١٠٧ .



وقد ذكر الإمام النووي أن قوله (سُبُوحٌ قُدُّوسٌ) بضم السين والقاف وبفتحهما والضم أفصح وأكثر . وأن المراد بالسُّبُوح القُدُّوس : المُسَبِّحُ المُقَدَّسُ فكأنه قال : مُسَبِّحٌ مُقَدَّسٌ ربُّ الملائكة والروح . ومعنى سُبُوح : المبرأ من النقائص والشريك وكل ما لا يليق ، وقُدُّوس : المُطَهَّرُ من كل ما لا يليق بالخالق .

وقال القاضي عياض أنه قيل فيه : سُبُوحاً قُدُّوساً على تقدير أُسَبِّحُ سُبُوحاً ، أو أذكر ، أو أعظم ، أو أعبد . وأن قوله : ربُّ الملائكة والرُّوح قيل : الروح ملك عظيم ، وقيل : يحتمل أن يكون جبريل عليه السلام ، وقيل : خلق لا تراهم الملائكة كما لا نرى نحن الملائكة ، والله سبحانه وتعالى أعلم (١) .

• أقول : واسم ( السبوح ) أفهم منه أن الله عز وجل هو المستحق وحده أن ينزهه عن جميع النقائص والعيوب ، إذ أنه تبارك وتعالى وحده صاحب صفات الكمال ونعوت الجلال المطلقة التي لا حدود لها . وعلى المؤمن أن يؤمن بذلك إيماناً كاملاً .

ولو أن المؤمن آمن بأن الله سبحانه هو ( السُّبُوحُ القُدُّوس ) واستقر ذلك الإيمان خالصاً في قلبه ، وبدا أثره على لسانه وجوارحه ، لما فتر عن تسبيح خالقه وتنزيهه تنزيهاً كاملاً عن النقائص جميعاً ، ولحرص على تطهير قلبه من الأرجاس والشركيات والدنايا ، والتزم توحيد الله عز وجل ، ولما صدر عن قلبه إلا العمل الخالص الطاهر ، لأن الإناء لا ينضح إلا بما فيه ، ومن ثم يقبل الله عمله ، ويدخله في رحمته ورضوانه .

السَّلَام :

هو اسم من أسماء الله تعالى ، وهو مصدر كالسلامة من سَلِمَ أى برىء من العيوب .

• وقد ورد اسم ( السَّلَام ) في القرآن الكريم مرة واحدة ، في قوله تعالى : « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام .. » ( الحشر آية ٢٣ ) .

وقد ذكر أبو إسحاق الزجاج في معنى ( السَّلَام ) : أنه هو الذي سلم من عذابه من لا يستحقه (٢) .

وذكر الإمام ابن كثير في معنى ( السَّلَام ) : أى من جميع العيوب والنقائص لكمالته في ذاته وصفاته وأفعاله (٣) .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - الجزء ٤ ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .

(٢) المعجم المفهرس ص ٢٥٦ .

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٣١ .

وذكر صاحب جامع البيان في معنى ( السَّلَام ) : أى ذو السلامة من كل نقص (١) .

وذكر الإمام الشوكاني في معنى ( السَّلَام ) : أى الذي سلم من كل نقص وعيب ، وقيل المسلم على عبادته في الجنة كما قال تعالى : ( سلام قولاً من رب رحيم ) ، وقيل : الذي سلم الخلق من ظلمه ، وبه قال الأكثر - وقيل : المسلم لعباده . وهو مصدر وصف به للمبالغة (٢) .

• أقول : واسم ( السَّلَام ) سبحانه أفهم منه أنه جل وعلا سالم من جميع صفات النقص ، ومتصف بجميع صفات الكمال - وقد سلم ( السلام ) عز وجل أوليائه من المرسلين وغيرهم من العيوب ، فسلم المرسلين منها في قوله ( وسلام على المرسلين ) أى أنه سبحانه سلم رسله في أقوالهم : فلا يقولون على الله إلا الحق ، ولا يُبَلِّغون أممهم إلا الحق ، وسلمهم كذلك في أعمالهم : فلا يشركون بالله شيئاً . وكذلك يسلم ( السَّلَام ) أوليائه غير المرسلين ، فقال تعالى : « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » . ( النمل آية ٥٩ ) ، فتسلم أقوالهم وأعمالهم من كل عيب وشرك ، ولهذا وصف الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم بما يعني ذلك : فقد أخرج الإمام مسلم بسنده - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المسلمين خير؟ قال : ( من سلم المسلمون من لسانه ويده ) (٣) ، وسلامة اللسان واليد آية على طهارة القلب ؛ إذ أن القلب هو المحرك ، وبصلاحه يصلح الجسد كله - كما أن ( السَّلَام ) سبحانه يهدى عباده المؤمنين سبل السلام ، فقال تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السَّلَام » ( المائدة آية ١٦ ) ، ويجعل تحيتهم يوم لقائه السَّلَام ، فقال تعالى : « تحيتهم يوم يلقونه سَلَام » ( الأحزاب آية ٤٤ ) ، ويدخلهم الجنة التي سماها دار السلام ، فقال تعالى : « لهم دار السلام عند ربهم » ( الأنعام آية ١٢٧ ) ، ويجعل دخولهم فيها بسَلَام ، فقال تعالى : « إن المتقين في جنات وعيون ، ادخلوها بسَلَام آمين » ( الحجر آية ٤٦ ) ، ويجعل تحيتهم فيها السَّلَام ، فقال تعالى : « دعواهم فيها سبحانهك اللهم وتحيتهم فيها سَلَام » ( يونس آية ١٠ ) ، وطيب لهم الإقامة فيها فلا يسمعون فيها إلا السَّلَام ، فقال تعالى : « لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً ، إلا قيلاً سَلَاماً سَلَاماً » ( الواقعة آية ٢٦ ) .

(١) تفسير ابن كثير - الجزء ٤ ص ٣٤٤ .

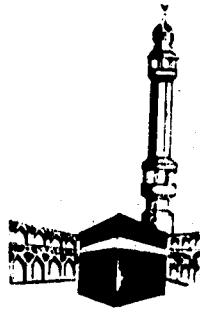
(٢) جامع البيان - الجزء ٢ ص ٣٥٠ .

(٣) صحيح مسلم .

ولا يبلغ أحد الجنة إلا إذا أسلم وجهه لله وحده . وأسلم قلبه لله دون غيره ، واستمر على ذلك حتى يلقاه سبحانه ، ونجد معنى ذلك في قوله تعالى : « ومن يُسَلِّم وجهه إلى الله وهو مُحسِنٌ فقد استمسك بالعروة الوثقى » ( لقمان آية ٢٢ ) ، وقوله : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » ( الشعراء آية ٨٩ ) ، وقوله : « فإلهكم إله واحد ، فله أسلموا ، وبشّر المُخبتين » « الحج آية ٣٤ ) ، وقوله : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون » ( آل عمران آية ١٠٢ ) .

وتحقيقاً لهذه السلامة - فوق ما تضمنته هذه الآيات الكريمات وغيرها - فقد جعلها الرسول صلى الله عليه وسلم من ذكره - المتضمن لطلبها من ربه سبحانه - دبر كل صلاة - فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه - بسنده - عن ثوبان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال : ( اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام ) وفي رواية : ( يا ذا الجلال والإكرام ) .

أسأل الله جل وعلا أن يخلص أعمالنا لوجهه ، وأن يسلم قلوبنا إليه ، وأن يُثبِّتها على دينه ، وأن يختم لنا بعقيدة التوحيد ختام الإيمان .  
( يتبع )



## خرافة يجب تكذيبها

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

اطلعت على ما نشرته جريدة عكاظ في عددها ( رقم : ٥٩٧٧ ) الصادر في يوم الاثنين الموافق ١٤٠٢/٢/٢٤ هـ ص ( ٢٠ ) نقلا من صحيفة السياسة الكويتية عن الرجل المدعو محمد المصري الذي يزعم أن أغمى عليه يوم الأربعاء وظن أنه ميت ودفن يوم الأربعاء وأخرج من قبره يوم الجمعة وما رأى من العجائب والغرائب .. الخ . ونظرا الى كون هذه الحكاية قد تروج على بعض الناس ويظن صحتها رأيت التنبيه على بطلانها وأنها خرافة لا تروج على عاقل بل هي كذب بحت زورها من سمى نفسه محمد المصري أو غيره لاغراض خسيصة حملته على ذلك ومن المعلوم ان من يسمع كلام أهله وكلام الطبيب وكلام المشيعين لجنازته لا تخفى حياته لا على الطبيب ولا على غيره ممن ينظر اليه ويقبله ثم كيف يكون مغمى عليه وهو يعي ويحفظ كل ما دار حوله ومن المعلوم أيضا أن سنة الله في عباده ان من جعل في محل مكتوم ضيق لا يعيش مثل هذه المدة ثم من المعلوم شرعا ان ملكى القبر لا يأتيان الى الحى اذا وضع فى القبر وانما يأتيان الى الميت والله سبحانه يعلم الأحياء والأموات وهو الذى يرسل الملكين الى الميت لسؤاله ثم هذا الرجل الكذاب وصف الملكين بما يدل على انهما رجلان لا ملكان ثم الملكان لا يخبران الميت لا بحسناته ولا بسيئاته وانما يسألانه عن ربه ودينه ونبيه فان أجاب جوابا صحيحا فاز بالنعيم وان أجاب بالشك عذب ثم ما ذكره بعد ذلك من المناظر الغريبة انما قصد بذلك ترويح باطله وإيهام الناس انه من الناجين حتى يعطفوا عليه ويساعدوه بما طلب منهم أو يعطفوا عليه بدون طلب وقد يكون من قصده الشهرة بين الناس حتى يطلب فى كل مكان ليسأل عما رأى ويحصل له بعض ما يريد ومن جهله قوله ( وتشاء الصدق أن كان أهلى قد جاؤا لزيارة قبري ) ومثل هذا الكلام لا يجوز والصواب أن يقال ( ويشاء الله ) لأن الصدق لا مشيئة لها . والخلاصة أن هذه الحكاية موضوعة مكذوبة لا أساس لها من الصحة كما يتضح ذلك من سياقها وواقعها ولا ينبغي لصحفنا ولا للصحف التى تحترم نفسها أن تنشر مثل هذه الخرافات ونسأل الله ان يطهر صحفنا وصحف المسلمين من كل باطل وان يكبت الخداعين والمماكرين ويفضحهم ويكفى المسلمين شرهم وان يوفق جميع المسلمين للفقه فى دينه والثبات عليه أنه سبحانه خير مسؤول . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ..

الفقه



أصوله



# رُخْصَةُ الْفِطْرِ فِي سَفَرِ رِضَانَ

## وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنَ الْأَشَارِ

— ٤ —

الدكتور أحمد طه مريان

أستاذ مساعد بجامعة الأزهر

انتهاء سريان الرخصة :

تنتهى رخصة الفطر بانقطاع صفة السفر عن المسافر ، وذلك بدخوله إلى المكان الذى يجمع الإقامة به مدة تقطع حكم السفر كما بينها سابقاً ، إذا كان دخوله إلى هذا المكان قبل طلوع الفجر ، فإذا تحقق هذان الشرطان - وهما : نية الإقامة والدخول قبل الفجر - وجب عليه انشاء نية الصوم لليوم الذى يشهد طلوع فجره مقيماً وهذا باتفاق أهل العلم ، لأنه شهد بعضاً من الشهر صحيحاً مقيماً وقد قال تعالى : ( فمن شهد منكم الشهر فليصمه ) .

فإن علم أنه سيدخل إلى محل الإقامة بعد الفجر فلا يجب عليه أن يبيت نية الصوم بل له أن يدخل إلى دار الإقامة بنية الفطر . وهذا أيضاً باتفاق أهل العلم ..

لكن الخلاف بين العلماء فيمن وصل بالفعل إلى دار الإقامة قبل الزوال وكان على نية الفطر ، فالمالكية والشافعية ، يجيزون له الاستمرار على الفطر بدون كراهة عند المالكية وعلى الأصح عند الشافعية .

ووجه هذا القول : أنه كان وقت إنشاء النية - وهو طلوع الفجر - مسافراً ، وقد عمل بالرخصة التى تبيح له الفطر ، ومادام قد انتهى وقت انشاء النية ، فمن حقه أن يستمر على فطره ، وله أن يفعل كل ما يفعله المفطر من أكل وجماع وغير ذلك ، إلا أن الشافعية استحبوا له ألا يظهر الفطر عند من يجهل عذره حتى لا يتهم ويعاقب ..

ورواية مرجوحة عند أحمد ؟ يمنع مثل هذا الشخص من الجماع أثناء فطره هذا ..  
أما الحنفية ؟ فقد أوجبوا على من وصل إلى دار إقامته قبل الزوال : أن يمسك بقية

يومه ؟

ووجهتهم على هذا القول؟ أن هذا الشخص قد انقطعت عنه الرخصة بوصوله إلى دار إقامته في وقت يصح فيه إنشاء نية الصوم وهو ما قبل الزوال، لذلك وجب عليه إنشاء نية الصوم (١) .

### مبنى كل من الرأيين :

اعتبار علماء الحنفية أن وقت إنشاء نية الصوم لا ينتهى بطلوع الفجر بل يستمر إلى ما قبل الزوال؟ إنما يرجع لحديث عائشة رضی الله عنها « دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شيء فقلت : لا . قال : فإني صائم ، ثم أتانا يوماً آخر ، فقلت يارسول الله أهدى لنا حيس ، فقال أرنيه فلقد أصبحت صائماً فأكل » (٢) .

لكن الفرق شاسع بين إنشاء النية في صوم واجب كرمضان وبين إنشائها في صوم التطوع ، فإن النية في صيام رمضان يجب أن تكون من طلوع الفجر وتستمر إلى غروب الشمس قال تعالى : ( حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ) ( البقرة : الآية ١٨٧ ) . فأوجب تعالى الإمساك للصوم من طلوع الفجر .

وبما أن صيام رمضان واجب فإن الإمساك من طلوع الفجر فيه واجب ..

وهذا بخلاف صوم التطوع؟ فإنه مبنى على المسامحة ، فقد سئل مجاهد عن المعنى المراد من حديث عائشة رضی الله عنها فقال : ذاك بمنزلة الرجل يخرج الصدقة من ماله فإن شاء أمضاها وإن شاء أمسكها رواه مسلم في صحيحه ، وقد جاء هذا القول مرفوعاً متصلاً بحديث عائشة المتقدم عند النسائي عن طريق مجاهد أيضاً (٣) ..

أما القول بأن النية في صيام رمضان لا بد أن تكون من طلوع الفجر فهو يتمشى مع صريح القرآن الكريم ( حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ) - ومع ما جاء في الحديث الشريف من رواية حفصة رضی الله عنها « من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له » (٤) قال صاحب التحفة : وقد صححه ابن خزيمة وابن حبان وقال الحاكم في الأربعين : صحيح على شرط الشيخين ، وقال في المستدرک : صحيح على شرط البخاري ، وقال الدارقطني : رواه كلهم ثقات ، وصحح البخاري والنسائي وقفه على ابن عمر (٥) .

(١) فتح القدير ج ٢ ص ٣٦٥ والمجموع ج ٦ ص ٣١٥ شرح الزرقاني على خليل ج ٢ ص ٢١٤ .

(٢) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٦ .

(٣) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥٩ والنسائي ج ٤ ص ١٩٣ طبعة احياء التراث بيروت .

(٤) سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذى ج ٣ ص ٤٢٦ .

(٥) تحفة الأحوذى ج ٣ ص ٤٢٦ .



لكن ما قاله صاحب التحفة عن موقف النسائي من هذا الحديث ؟ يحتاج الى وقفة : فقد أورد النسائي أربع روايات متصلة مرفوعة عن ابن عمر عن حفصة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أورد له ست روايات عن ابن عمر عن حفصة ، ثم رواية عن حفصة وعائشة برواية ابن شهاب عنهما ثم أورد له روايتين عن ابن عمر (١) فلا أدري لماذا اختار أن يعبر عن موقف النسائي من الحديث : بأنه اختار صحة الوقف على ابن عمر مع كل هذه الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن حفصة ؟

وقال الترمذي تعليقا على الحديث السابق ، وإنما معنى هذا عند بعض أهل العلم لا صيام لمن لم يجمع الصيام قبل طلوع الفجر في رمضان ، أو في صيام نذر ، إذا لم ينوه من الليل لم يجزه (٢) ..

لذلك كله أقول : إن المختار : هو رأى هذا الفريق الذى يرى ضرورة إجماع النية على الصيام من طلوع الفجر ، فإذا ما وصل المسافر بعد طلوع الفجر الى دار الإقامة فلا يجب عليه الإمساك بقية يومه ، بل له أن يستمر مفطرا حتى انتهاء هذا اليوم الذى وصل فيه ، كما أن له أن يفطر على ما شاء مما أحله الله له والله أعلم .

### بيان الآثار المترتبة على الأخذ بهذه الرخصة

اتفق أهل العلم على أن المسافر إذا اجتمعت لديه شروط الأخذ بالرخصة - حسب ما بيناه سابقا - وأفطر تبعا لذلك ، فإنه يجب عليه قضاء الأيام التى أفطر فيها ، إلا أنهم اختلفوا في عدد من المسائل المتعلقة بذلك ..

وفيما يلي بيان بأهم المسائل المختلف فيها وآرائهم حولها ومستند كل رأى ، بيان مدى قربه أو بعده من السنة المطهرة . ونعقد لذلك عدداً من المطالب نبدوها بالمطلب الأول فنقول :

**هل يجب التتابع في قضاء الأيام التى أفطرها في سفره :**

اختلف أهل العلم في وجوب التتابع في قضاء الأيام التى أفطرها المسلم أثناء سفره عملا بالرخصة . على فريقين :

(١) سنن نسائي ج ٢ ص ١٩٦ . ١٩٧ . ١٩٨ .

(٢) سنن الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذى ج ٣ ص ٤٢٧ .

الفريق الأول : يرى وجوب التتابع في القضاء . وقد حكى هذا الرأي ، عن ابن عمر وعائشة والحسن البصري وعروة ابن الزبير والنخعي وداود الظاهري ..

وقد نقل عن داود قوله : هو - أي التتابع - واجب غير شرط ، بمعنى أن تاركه يأثم لكن مع ذلك يعتد بما صامه شرعا (١) ..

وأهم الأدلة التي استدلت بها لهذا الفريق ما يلي :

١ - عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان عليه صوم رمضان فليسرده ولا يقطعه » (٢) ..

وقد نوقش هذا الاستدلال ، بما نقله البيهقي عن يحيى بن معين والنسائي والدارقطني من تضعيفهم لعبد الرحمن بن إبراهيم أحد رجال هذا الحديث (٣) ..

وقد رد على هذه المناقشة بما نقل عن بعض أصحاب الحديث من توثيقهم لعبد الرحمن هذا ، فقد وثقه البخاري في تاريخه كما وثقه ابن معين . ونقل عن أحمد بن حنبل ، أنه قال : لا بأس به ، وقال أبو زرعة : لا بأس به أحاديثه مستقيمة ، وعن الدارقطني ، أنه وثقه في هذا الحديث وقال ابن عدى : لم يتبين في حديثه ورواياته حديث منكر فأذكره به ، وقال ابن القطان : هو مختلف فيه والحديث من روايته حسن (٤) . وأخيرا قال فيه الحافظ ابن حجر : ثقة حافظ متقن (٥) ..

٢ - عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : نزلت ( فعدة من أيام أخر متتابعات ) فسقطت متتابعات (٦) ..

فهذا اللفظ ( متتابعات ) الذي نزل متعلقا بأيام أخر يوضح الحالة التي ينبغي أن يكون عليها قضاء هذه الأيام الأخر وهي : أن يكون القضاء متتابعا ..

(١) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٩ . المجموع ج ٦ ص ٣٣٦ . المغني ج ٣ ص ١٥٨ .

(٢) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٩ .

(٣) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٩ .

(٤) الجواهر النقي ج ٤ ص ٢٥٩ على هامش السنن الكبرى .

(٥) تفریب التهذیب ج ١ ص ٤٣ دار المعرفه - بيروت .

(٦) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٩ .

ولكن يناقش هذا الاستدلال بأن السند الذى روى به هذا القول عن عائشة رضى الله عنها ، وهو عبد الرزاق ، عن ابن جريح ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، روى به أيضا تأويل قولها « سقطت » : بأنها تريد : نسخت . لا يصح له تأويل غير ذلك (١) .

ويرد على هذه المناقشة ، بأن النسخ قد يكون نسخا للتلاوة مع بقاء الحكم ، وقد يكون النسخ للتلاوة والحكم معا ، وليس في هذه الرواية ما يدل على إرادة أحد هذين الأمرين .

٣ - ما روى من قول علي رضى الله عنه : من أن « قضاء رمضان متتابعا » (٢) .  
ويناقش هذا ، بأنه من رواية الحارث الأعور ، وهو ضعيف بل وروى عن طريقه أيضا عن علي رضى الله عنه « أنه كان لا يرى به متفرقا بأسا » (٣) .

٤ - مشابهة القضاء للأداء : أى بما أن الأداء لا يصح الا متتابعا ، فالقضاء كذلك ، اذ لا فرق بين الأداء والقضاء ، كما هو الأمر في قضاء الصلاة ..

ويناقش هذا الاستدلال ، بالفرق بين الأمر الصادر من المشروع بالأداء وبين الأمر الصادر بالقضاء ، حيث جاء الأمر بالأداء مقرونا ببيان تحديد الوقت الذى يجب فيه الصيام تحديدا واضحا . قال تعالى : ( شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهر فليصمه ) .

أما الأمر الصادر بالقضاء فقد جاء بصيغة النكرة الواقعة في سياق الإثبات قال تعالى : ( ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ) . وهذه الأيام الأخر مطلقة . فيجوز القضاء في أى وقت مفرقا أو متتابعا ..

كما أنه يفارق الصلاة ؟ لأن الصلاة ملاحظ فيها دائما ، في الأداء والقضاء قوله صلى الله عليه وسلم ( صلوا كما رأيتموني أصلي ) .

كما أن الصلاة اذا تركها المرء عددا قليلا من الأوقات كخمس أوقات فأقل فكثير من الفقهاء يوجب الترتيب بينها ، أما أكثر من ذلك فلا ، وهذا موضع مختلف فيه بين الفقهاء .

(١) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٨ .

(٢) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٩ .

(٣) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٦٠ .

## الفريق الثاني :

نقل عدم وجوب التتابع عن عدد كبير من الصحابة والتابعين والفقهاء . منهم علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وابن عباس وأنس وأبو هريرة والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة ومالك وأحمد وإسحاق وأبو ثور (١) .

أهم الأدلة التي استدل بها لهذا الفريق ما يلي :

١ - قال تعالى : ( ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ) .

وقد أوضحنا وجه الدلالة من هذه الآية قريبا ويتلخص في : أن الله سبحانه وتعالى قد أمر بقضاء أيام الفطر بسبب المرض والسفر في أيام أخر بعد انتهاء رمضان دون قيد ..

ويرد على هذا الاستدلال ، بما جاء من قول عائشة - رضی الله عنها - السابق من أن هذه الآية كانت ( فعدة من أيام أخر متتابعات ) فسقط لفظ متتابعات ..

ويجاب ، بأن السقوط ، قد فسر بالنسخ ، والنسخ محتمل لنسخ الحكم والتلاوة معا ولنسخ التلاوة دون الحكم ، ومعلوم أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال . وعلى ذلك فبقيت الآية محكمة ، وقد فهمها الصحابة على هذا النحو :

أ - فقد سئل أبو عبيدة بن الجراح رضی الله عنه عن قضاء رمضان ، فقال : ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد أن يشق عليكم في قضاؤه فأحصى العدة واصنع ما شئت (٢) ..

ب - وسئل معاذ بن جبل رضی الله عنه عن قضاء رمضان ، فقال : احصى العدة وصم كيف شئت . وقد نقل مثل هذا القول وبهذا اللفظ عن ابن محيريز (٣) ..

ج - وعن ابن عباس رضی الله عنهما : قال : يقضيه متفرقا ، فان الله قال : ( فعدة من أيام أخر ) (٤) ..

د - وعن أنس بن مالك ، أنه كان لا يرى به بأسا ويقول : انما قال الله فعدة من أيام أخر (٥) ونقل مثل هذا القول عن ابن عباس (٦) ..

(١) المغنى ج ٣ ص ١٥٨ والزرقاني على خليل ج ٢ ص ٢١٥ وفتح القدير ج ٢ ص ٣٥٤ . والمجموع ج ٦ ص ٣٢٦ .

(٢) السنن الكبرى ج ٤ ص ٣٥٨ .

(٣) السنن الكبرى ج ٤ ص ٣٥٨ والمصنف ج ٤ ص ٢٤٤ .

(٤) السنن الكبرى ج ٤ ص ٣٥٨ والمصنف ج ٤ ص ٢٤٣ .

(٥) السنن الكبرى ج ٤ ص ٣٥٨ والمصنف ج ٤ ص ٢٤٣ .

(٦) صحيح البخاري ج ١١ ص ٥٣ مع عمدة القاري .

قال تعالى : ( فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ) ..

حيث جاء أسلوب المطالبة بالأداء مغايرا لأسلوب المطالبة بالقضاء . فالأداء قد حدد فيه زمن الصوم تحديدا كاملا ، أما في جانب القضاء ، فاكتمى في الأمر به بذكر المماثلة في العدد بين الأيام التي أفطر فيها والأيام التي سيقضيها بدلا عنها . دون أن يحدد وقت معين لقضاء هذه الأيام ..

قد يقال : أن أمر القضاء وان جاء مطلقا في الآية . فان حديث أبي هريرة قد قيد هذا الاطلاق ..

فيجاب بأن ما قيل في سند هذا الحديث حتى مع ترجيح جانب الصحة فيه يجعله غير صالح لتقييد مطلق الكتاب ..

**المختار** : هو قول من يرى عدم وجوب التتابع . لأن الأمر في الرخص مبني على التخفيف والمسامحة ، ولأن فهم الصحابة للآية والذي اتضح من استدلالهم بها على عمومها ، أقوى من الاحتمالات الواردة في حديث عائشة رضی الله عنها الا أن الأفضل هو التتابع - كما يقول الجمهور - للجمع بين الأدلة من جهة ، وللمسارعة في إسقاط الواجب وإبراء الذمة من جهة أخرى .  
والله أعلم .

### هل يجوز للمسافر الصوم قضاء لرمضان سابق عليه ؟

يرى ابن حزم للمسافر في شهر رمضان جواز الصيام أثناء سفره قضاء لأيام كانت عليه من رمضان السابق (١) ..

وجهة ابن حزم في الجواز :

يقول ابن حزم : ان الله سبحانه وتعالى : منع المسلم المسافر من صيام رمضان أثناء سفره . ولكن لم يمنعه من أى صيام آخر غير هذا الشهر . سواء كان هذا الصيام - الآخر - ندرا أو تطوعا أو قضاء لرمضان سابق عليه . وعلى هذا فلا مانع من صيام رمضان السابق ، للمسافر خلال رمضان الذى يسافر فيه . لقوله تعالى ( فعدة من أيام أخر ) وهذه الأيام الأخر لم يحدد لها وقت فيجوز أداؤها في كل وقت (٢) ..

(١) المجموع ج ٦ ص ٢٦٠ المحلى ج ٦ ص ٣٩١ .

(٢) المحلى ج ٦ ص ٣٩١ .

من يرى عدم الجواز :

يرى أكثر الفقهاء عدم جواز قضاء رمضان السابق للمسافر خلال سفره في رمضان التالى له . وقد حكى ابن المنذر هذا الرأى عن سعيد بن المسيب وأحمد وإسحاق وأبي ثور ، كما أنه رأى مالك والشافعي وجمهور الفقهاء (١) ..

ولم يذكر مستند لأصحاب هذا الرأى لكنى وجدت أثرا منقولاً عن عطاء ، في رجل أفطر رمضان ثم أقام ولم يقضه حتى ألقاه رمضان المقبل مسافراً ، أي فطر ان شاء ، قال نعم ، ثم يطعم ثلاثين مسكيناً ثلاثين مداً (٢) ..

لكن من الواضح : أن عطاء هنا ، أجاز الفطر ولكنه لم يمنع عن صيامه قضاء عن رمضان السابق ، كما يقول المجيز فليس فيه ما يفيد المنع ..

إلا أننا حينما نلاحظ الحكمة من رخصة الفطر للمسافر ، وهى تخفيف المعاناة التى يجدها المسافر خلال سفره ، ثم نلاحظ أن الأخذ بهذه الرخصة ليس محتملاً - كما أوضحنا ذلك سابقاً - كانت النتيجة : أن من كانت لديه قدرة على تحمل مشقة السفر ، أو كانت ظروف سفره تساعد على تخفيف هذه المشقة الى القدر المحتمل عادة ، كان الأولى به ، هو صيام الفرض الحاضر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقد ثبت مما تقدم أنهم كانوا يصومون خلال شهر رمضان وأن هذا الصيام كان عن رمضان الحاضر الذى يكونون فيه ، وأما الادعاء بأنهم كانوا يصومون تطوعاً أو نذراً أو قضاء لرمضان سابق عليهم فهى دعوى جاءت على خلاف الأصل وعلى مدعيها اقامة الدليل على اثباتها ..

ومجمل القول في هذه المسألة ، أن القول بجواز قضاء رمضان السابق للمسافر خلال شهر رمضان التالى له في أثناء سفره فيه ، هذا القول قد يتفق مع مذهب ابن حزم الذى يمنع المسافر من الصيام خلال سفره في شهر رمضان ..

أما عند الجمهور الذين يجيزون الفطر والصوم للمسافر خلال شهر رمضان بل ويعتبرون الصيام أفضل لمن قوى عليه - لحديث أبي سعيد المتقدم وغيره مما أسلفنا - فهذا العمل فيه مخالفة عندهم لما كان عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه حيث لم يثبت ذلك عن أحد منهم بالرغم من كثرة أسفارهم . كما أن ابن حزم مع كثرة استيعابه وجمعه للسنن والآثار لم يستطع إيراد سنة واحدة أو أثر واحد يدل به على ما ذهب اليه ، كل ما في الأمر أنه بنى رأيه في هذه المسألة على الأصل الذى ثبت به من قبل وهو حرمة الصيام على المسافر

(١) المجموع ج ٦ ص ٣٣٧ ، شرح الزرقاني على مختصر خليل ج ٢ ص ٢١٥

(٢) المصنف ج ٤ ص ٢٤١

خلال شهر رمضان . ولما وجد كثرة النصوص التي تثبت صيام النبي صلى الله عليه وسلم وصيام أصحابه . قام بثنى عنان كل هذه النصوص ، على أن الصيام الثابت فيها لم يكن عن رمضان الحاضر بل كان عن غيره . من نذر أو تطوع أو قضاؤه لرمضان السابق وهكذا . غفر الله لنا وله ..

### هل يجب الاطعام على من فرط في قضاء رمضان حتى أدركه رمضان آخر ؟

أكثر أهل العلم على أن المسافر الذي أخذ بالرخصة فأفطر في سفره خلال شهر رمضان - كله أو بعضه - ثم استمر في سفره - أو شغل عنه بمرض ونحوه من الأعذار القاهرة - حتى أدركه رمضان الثاني . فانه لا يجب عليه الاطعام وانما يلزمه بعد انتهاء سفره أو الشفاء من مرضه أن يقضي رمضان السابق ثم التالى له بالترتيب .

وقد نقل هذا الراى عن طاوس والحسن البصرى والنخعى وحماد بن أبى سليمان والأوزاعى ومالك وإسحاق وأحمد وأبى حنيفة والمزنى ودواد ..

وقد اختار هذا الراى البيهقى واستدل له بقوله تعالى : ( فعدة من أيام آخر ) (١) ..

وقد حكى عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وقتادة ، أن مثل هذا الشخص : يصوم رمضان الحاضر عن الحاضر ويفدى عن الغائب باطعام كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه (٢) .

ولم أجد مستندا لهذا القول ، وعموم قوله تعالى ( فعدة من أيام آخر ) يرد عليه : اذ عموم الآية يوجب القضاء في أيام آخر ولم يعين وقتاً لهذه الأيام الأخر فهى تشمل العمر كله ..

أما من أقام بعد انتهاء سفره ولم يقض الأيام التي أفطرها خلال سفره حتى أدركه رمضان الآخر ، فجمهور الفقهاء على أنه يجب عليه حينما يقضى هذه الأيام - من رمضان السابق - أن يطعم مع كل يوم مسكينا وقد قال بذلك : ابن عباس وأبو هريرة وعطاء بن أبى رباح والقاسم بن محمد والزهرى والأوزاعى ومالك والثورى وأحمد وإسحاق الا أن الثورى : قال بوجوب مدين عن كل يوم . وقد نقلت بذلك نصوص كثيرة من الصحابة والتابعين في المصنف والسنن الكبرى (٣) ..

(١) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٣ . المجموع ج ٦ ص ٣٣٦ والمصنف ج ٤ ص ٣٣٤ . الزرقانى على مختصر خليل ج ٢

ص ٢١٦ .

(٢) المجموع ج ٦ ص ٣٣٦ . والمصنف ج ٤ ص ٣٣٥ .

(٣) المجموع ج ٦ ص ٣٣٦ . الزرقانى على خليل ج ٢ ص ٣١٦ . والمصنف ج ٤ ص ٣٣٤ . ٣٣٦ . ٣٣٧ . والسنن الكبرى ج ٤

ص ٢٥٣ .

والحكمة من القول بوجوب الاطعام ؟ أن مثل هذا الشخص يعتبر مفرطا في القضاء في الأيام التي يجب عليه القضاء فيها والتي تنتهى بنهاية شهر شعبان التالى له أو هي ما بين الرمضانين ، لذلك استحق أن يجازي باطعام كل يوم مسكينا مع القضاء بالصيام ..

ويرى الحسن البصري و ابراهيم النخعي وأبو حنيفة والمزني وداود : أن عليه القضاء بالصيام فقط ولا فدية عليه (١) .. وقد نقل عن داود قوله في هذا الصدد : من أوجب الفدية على كل من أخر القضاء حتى دخل رمضان أخر ليس معه حجة من كتاب ولا سنة ولا اجماع (٢) .

وهو كما قال : الا أنه يقال أيضا : أن من نفى وجوب الفدية عليه ليس له مستند من كتاب أو سنة أو اجماع ؟ .

أما العموم المستفاد من قوله تعالى : ( فعدة من أيام أخر ، ) فهو يفيد جواز القضاء في أى أيام أخر قبل رمضان التالى أو بعده ليس الا . أما الاطعام فهو أمر زائد على القضاء فلا تثبته الآية ولا تنفيه ..

وإذا تساوى القولان من هذه الناحية ؟ فانه ينظر الى الآثار المروية عن الصحابة رضى الله عنهم . اذ هم قريبو العهد بالتنزيل وأدرى بمواقع النصوص . فقد روى البيهقي بسنده الى ابن عباس رضى الله عنهما في رجل أدركه رمضان وعليه رمضان آخر ؟ قال يصوم هذا ويطعم عن ذاك كل يوم مسكينا ويقضيه ..

كما روى أيضا بسنده الى أبي هريرة : أنه قال : في رجل تتابع عليه رمضانان ففرط فيما بينهما . يصوم الذى حضر ويقضى الآخر ويطعم لكل يوم مسكينا (٣) ..

والواقع أن الموقف الذي اتخذه جمهور الفقهاء هنا بالترفة بين شخصين : أحدهما شغل عن القضاء بالسفر أو المرض حتى أدركه رمضان الآخر فجعلوه معذورا يكتفى منه بالقضاء فقط . والآخر الذى كانت لديه فسحة من الوقت ولم ينتهزها وفرط في القضاء ولم يهتم بالاسراع لأداء الواجب الذى شغلت به ذمته حتى وافاه رمضان الآخر ، فأوجبوا عليه الاطعام مع القضاء لرمضان الأول . هذا الموقف يتفق مع النصوص الشرعية ولا يتعارض معها ، وهو وإن لم يكن فيه نص صريح في الموضوع لكن نصوص الشريعة متوافرة في التفرقة بين المحسن

(١) صحيح البخاري ج ١١ ص ٥٤ مع عمدة القارىء . المجموع ج ٦ ص ٣٣٦ . فتح القدير ج ٢ ص ٣٥٤ . السنن الكبرى ج ٤

ص ٢٥٣ .

(٢) الجواهر النقي مع السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٢ .

(٣) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٣ .



والمسئء وقد قال صلى الله عليه وسلم فيمن منع زكاة ماله ( إنا أخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا عز وجل .. ) الحديث (١) .

### الحكم فيمن شغل عن القضاء حتى مات

من سافر وأخذ بالرخصة فأفطر ولم يقض ما عليه حتى مات : له حالتان :

الحالة الأولى : من اتصل عذره بالموت :

المسافر الذى أخذ بالرخصة فأفطر واستمر في سفره حتى مات أو عاد من سفره ولكن لم تتح له الفرصة للقضاء فاستمر مشغولا بالمرض أو غيره حتى مات ، فيرى أهل العلم بما يشبه الاجماع ، أنه لا شئ عليه ولا يصام عنه ولا يطعم ، لقوله تعالى : ( لا يكلف الله نفسا الا وسعها ) ( البقرة : الآية ٢٨٦ ) .

كما أنه شبيه بالحج ، فمن لم يستطع أداء الحج من وقت بلوغه حتى مات فلا شئ

عليه (٢) .

وقد نقل عن طاوس وقتادة ، أنه يطعم عنه عن كل يوم مسكين لأنه عاجز فأشبهه

الشيخ الهرم .

ولكن رد عليهما ، بأن الشيخ الهرم عامر الذمة بخلاف الميت الذى تنتهى ذمته بالموت عند أكثر الفقهاء ، كما أن الشيخ الهرم من أهل العبادات بخلاف الميت الذى تنقطع أهليته

بالموت (٣) .

الحالة الثانية : من فرط بترك القضاء حتى مات :

إذا عاد المسافر من سفره صحيحا واستمر كذلك ولم يحدث له مانع يمنعه من القضاء

حتى أدركه الموت ، فقد قال عدد كبير من الصحابة والتابعين والفقهاء ، أنه يطعم عنه عن كل

يوم مُدُّ من طعام من غالب قوت البلد ، وممن قال بذلك ، ابن عباس وابن عمر وعائشة وأبو

عبيد وابن عليّة والخزرجي ومالك وأبو حنيفة وأحمد والثوري والليث والأوزاعي والشافعي في

المشهور عنه .

( ١ ) سنن أبي داود مطبوعة مع شرحها عون المعبود ج ٤ ص ٤٥٣ والسنن الكبرى ج ٤ ص ١١٥ .

( ٢ ) المجموع ج ٦ ص ٣٤١ ، ٣٤٣ ، والزرقاني على مختصر خليل ج ٣ ص ٣١٦ .

( ٣ ) المجموع ج ٦ ص ٣٤٣ .

إلا أن الحنفية يشترطون أن يوصى بالإطعام عنه قبل موته ولم يشترط باقي الأئمة ذلك ، لأن الإطعام عنه يعتبر عبادة والعبادة لا بد فيها من النية ، ولذلك يخرج الإطعام عنه من ثلث ماله (١) .

أما بقية الفقهاء فيعتبرونه من الحقوق المالية المتعلقة بديون العباد فلذا جازت فيها النيابة .

وقد حكى ابن المنذر عن ابن عباس والثوري ، أنه يطعم عنه عن كل يوم مَدان (٢) .

وقد احتج لهذا الفريق الذي يرى الإطعام على من فرط حتى مات بما يلي :

١ - عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يموت وعليه رمضان ولم يقض : قال : يطعم عنه لكل يوم نصف صاع من بر « (٣) .

قال البيهقي - بعد سرده لهذا الحديث - هذا خطأ من وجهين :

أحدهما : رفعه الحديث للنبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو من قول ابن عمر .

والآخر : قوله نصف صاع وإنما قال ابن عمر : مدا من حنطة (٤) .

وقد نقل النووى كلام البيهقي هذا واحتج به (٥) .

لكن صاحب الجوهر النقي تعقب كلام البيهقي في تضعيف هذا الحديث وقال : ان البيهقي فهم : أن محمدا ، الذي روى عنه أشعث هو ابن أبي ليلى . وكذا صرح به الترمذي . وقد أخرج ابن ماجه هذا الحديث في سننه بسند صحيح عن أشعث عن محمد بن سيرين عن نافع عن ابن عمر مرفوعا . ثم قال : فإن صح هذا فقد تابع ابن سيرين ابن أبي ليلى ، فلنائل : أن يمنع الوقف ، أى أن يمنع الدعوى بوقف هذا الحديث على ابن عمر رضى الله عنهما (٦) .

ورواية ابن ماجه التى أشار إليها صاحب الجوهر النقي ، جاءت بلفظ « من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه مكان كل يوم مسكين » (٧) .

(١) فتح القدير للكمال ج ٢ ص ٣٥٨ .

(٢) المجموع ج ٦ ص ٣٤٣ ، والزرقاني على مختصر خليل ج ٢ ص ٣١٦ ، والسنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٤ .

(٣) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٠٤ ، وسنن الترمذي ، ولفظه عنده : من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه مكان كل يوم مسكينا .

ج ٣ ص ٤٥٥ مع شرحه تحفة الأحوذى .

(٤) السنن الكبرى ج ٤ ص ٣٥٤ .

(٥) المجموع ج ٦ ص ٣٤١ .

(٦) الجوهر النقي على السنن الكبرى ج ٤ ص ٣٦٥٤ .

(٧) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٣٤ .

وقد نقل السندي تعليقا للمزي في الأطراف جاء فيه : قوله - يشير الى ابن ماجه - عن محمد بن سيرين : وهم ، فإن الترمذي : رواه ولم ينسبه ثم قال الترمذي . وهو عندي محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى (١) .

ولا أدري هل المزي هو الواهم في نسبه ابن ماجه الى الوهم . حيث اعتمد على تصريح الترمذي . بأن روايته للحديث عن طريق محمد بن عبد الرحمن ، فاعتبر أن كل طريقه تدور عليه وأن من روى خلاف ذلك ، يعتبر واهما .

وقد يكون الأمر على خلاف ذلك . بأن يكون ابن ماجه رواه عن طريق محمد بن سيرين ، فيكون متابعا ، وقد يكون ابن ماجه قد وهم في نسبه الى محمد بن سيرين . والله أعلم بالصواب .

٢ - عن عبادة بن نسي رضى الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من مرض في رمضان فلم يزل مريضا حتى مات لم يطعم عنه وان صح فلم يقضه حتى مات أطعم عنه » (٢) .

هذا الحديث فى سنده ابن أرطاة وهو مدلس ، فلا يصلح للاحتجاج به .

٣ - عن ابن عباس رضى الله عنهما بسند صحيح قال فى الرجل المريض فى رمضان فلا يزال مريضا حتى يموت ، قال : ليس عليه شيء فان صح فلم يصم حتى مات أطعم عنه كل يوم نصف صاع من حنطة (٣) .

٤ - روى الاطعام بسند صحيح عن عمر بن الخطاب والزهري والحسن والنخعي وعطاء (٤) .

٥ - أن الشخص المفرط فى القضاء حتى مات مثله مثل الشيخ الفاني الذى عجز عن الصيام فى آخر عمره فانه يجب فى حقه الاطعام ويسقط عنه الصوم وإنما جازت المماثلة هنا

(١) حاشية السندي على ابن ماجه ج ١ ص ٥٣٤ . وسنن الترمذي ج ٣ ص ٤٠٧ مع شرحه تحفة الأحودي .

(٢) المصنف ج ٤ ص ٢٢٧ .

(٣) المصنف ج ٤ ص ٢٢٧ .

(٤) المصنف ج ٤ ص ٢٢٧ . ٢٢٩ .

لأن قضاء الصيام على التراخي باتفاق أكثر الفقهاء ما عدا داود . إلا أن بعضهم يوجب الفدية في حالة التفريط وبعضهم لا يوجبها (١) .

### مقدار الفدية :

الفدية عند أبي حنيفة والثوري - وتقل أيضا عن ابن عباس - : مدان من البر أو أربعة من الشعير أو التمر (٢) .

أما الفدية عند أكثر الفقهاء ، فهي مد من الطعام من غالب قوت أهل البلد ، وسواء كان التأخير لعام أو لعامين ، وهناك وجه عند الشافعية ، أنه يجب دفع مُدَّيْنِ عن كل يوم ، إذا كان قد مضى عليه رمضان ، وصححه المتأخرون منهم (٣) .

أما الفريق الثاني : فيرى : أن من فرط في قضاء الصيام ، فإنه يصام عنه سواء قام بذلك وليه عنه أو استأجر من يصوم عنه أو قام أجنيبي بالصيام عنه من تلقاء نفسه .

وقد قال بذلك : طاوس والحسن البصري والزهري وقتادة وأبو ثور وداود ، وهو قول الشافعي في مذهبه القديم ، وهو أصح القولين عنه عند محققي الشافعية (٤) .

وقد استدل لهذا الفريق بما يلي :

١ - حديث عائشة رضی الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من مات وعليه صيام ، صام عنه وليه » (٥) .

وقد ضعف بعض العلماء هذا الحديث بما روى عن عمارة بن عمير عن امرأة عن عائشة في امرأة ماتت وعليها الصوم ، قالت : يطعم عنها وروى عنها من وجه آخر عن عائشة أنها قالت : لا تصوموا عن موتاكم وأطعموا عنهم (٦) .

وقد أجاب البيهقي ، بأن ما ذكر لا يوجب ضعفا في الحديث ، فمن يجوز الصيام عن الميت يجوز الإطعام عنه ، وفيما روى عنها في النهي عن الصوم عن الميت نظر (٧) .

(١) فتح القدير ج ٢ ص ٣٥٤ .

(٢) فتح القدير ج ٢ ص ٣٥٧ .

(٣) المجموع ج ٦ ص ٣٤٢ .

(٤) المغنى ج ٣ ص ١٥٢ . المجموع ج ٦ ص ٣٤٣ . السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٥ . المصنف ج ٤ ص ٢٣٩ .

(٥) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥٥ ، صحيح البخاري ج ١١ ص ٥٨ مع شرحه عمدة القارىء .

(٦) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٧ .

(٧) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٧ .

وقد عقب صاحب الجوهر على دعوى البيهقي في قوله : وفيما روى عنها في النهي عن الصوم عن الميت نظر . فقال قد صح ذلك عنها . ثم ذكر ما جاء عند أبي جعفر الطحاوي بسنده الى عمرة بنت عبد الرحمن قالت : قلت لعائشة ان أمي توفيت وعليها صيام رمضان أ يصلح أن أقضي عنها ، فقالت : لا ولكن تصدقي عنها مكان كل يوم على مسكين خير من صيامك . ثم قال : هذا سند صحيح ( ١ ) .

وقد قال بعض أهل العلم اذا أفتى الصحابي بغير ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالعبرة بروايته لا بفتواه . وعلى ذلك فارشاد عائشة رضی الله عنها الى الإطعام بدلا عن الصيام أو نهيا عن الصيام وأمرها بالإطعام لا يؤثر على صحة الحديث . وعلى قوة الاحتجاج به .

٢ - عن ابن عباس رضی الله عنهما قال : « جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : يارسول الله ان أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها . فقال : لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها . قال : نعم . قال : فدين الله أحق أن يقضى » ( ٢ ) .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضی الله عنهما أيضا : « أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمي ماتت وعليها صوم شهر فقال أ رأيت لو كان عليها دين أ كنت تقضينه ؟ قالت : نعم . قال فدين الله أحق بالقضاء » ( ٣ ) .

وقد ضعف بعض العلماء هذا الحديث . بما رواه عطاء عن ابن عباس رضی الله عنهما أنه قال : لا يصوم أحد عن أحد ويطعم عنه ( ٤ ) .

وبما رواه البيهقي بسنده الى محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن ابن عباس في الإطعام عن مات وعليه صيام شهر رمضان وصيام شهر نذر . وفي رواية ميمون بن مهران عن ابن عباس ورواية أبي حصين عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس أنه قال في صيام شهر رمضان أطعم عنه وفي النذر قضى عنه وليه .

( ١ ) الجوهر النقي ج ٤ ص ٢٥٧ على السنن الكبرى . ومشكل الآثار للطحاوي ج ٣ ص ٤٢ : طبعة الهند .

( ٢ ) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥٦ . صحيح البخاري مع شرحه عمدة القاري ج ١١ ص ٦١ .

( ٣ ) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥٥ وأشار اليه البخاري ج ١١ ص ٦٤ مع شرحه عمدة القاري . الا انه قد جاء في هذه الرواية عند البخاري

وفي السنن الكبرى بلفظ « وعليها صوم نذر » السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٦ والبخاري ج ١١ ص ٦٤ مع شرحه عمدة القاري .

( ٤ ) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٧ .

ثم قال البيهقي : وفي نسبة ذلك الى ابن عباس نظر (١) .

وقد أجاب صاحب الجوهر . على تشكك البيهقي حول نسبة الإطعام الى ابن عباس بدلا من الصيام . بما رواه النسائي في سننه .. عن عطاء عن ابن عباس قال : لا يصلى أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد . ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مد من حنطة . ثم قال : وهذا سند صحيح على شرط الشيخين خلا ابن عبد الأعلى فإنه على شرط مسلم (٢) .

ومن جهة أخرى . فإن الشافعي . قد اعتذر عن العمل بحديث ابن عباس الوارد في القضاء بالصيام عن الميت . وقال : انه أشبه ألا يكون محفوظا . وذلك لأن الزهري قد حدث عن عبيد الله عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : نذرا ولم يسمه (٣) . مع حفظ الزهري وطول مجالسة عبيد الله لابن عباس . فلما جاء غيره عن رجل عن ابن عباس يغير ما ما في حديث عبيد الله . أشبه ألا يكون محفوظا . فان قيل أتعرف الذى جاء بهذا الحديث يغلط عن ابن عباس . قيل نعم (٤) ..

فقد أجيب عن ذلك بأن الظاهر تعدد القصة . أى أن القصة التى سئل فيها صلى الله عليه وسلم عن الصوم تصریحا . غير قصة سعد بن عبادة التى سأل فيها عن النذر مطلقا . ويتأيد ذلك بحديث عائشة فى الصحيحين والذى أوردنا فى صدر أدلة هذا الفريق .

٣ - عن بريدة قال : بينا أنا جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتته امرأة . فقالت : يا رسول الله : انى تصدقت على أبى بجارية . وأنها ماتت . فقال : وجب أجرك وردها عليك بالميراث . قالت : يا رسول الله . انه كان عليها صوم شهر أفصوم عنها ؟ قال : صومي عنها . قالت : انها لم تحج قط أفأحج عنها ؟ قال : حجي عنها « (٥) .

٤ - عن ابن عباس رضى الله عنهما : « ان امرأة ركبت البحر فنذرت ان نجاها الله أن تصوم شهرا فنجاها الله سبحانه وتعالى . فلم تصم حتى ماتت . فجاءت ابنتها أو أختها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تصوم عنها » ورجاله رجال الصحيح (٦) .

(١) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٧ .

(٢) الجوهر النقي ج ٤ ص ٢٥٧ على السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٧ . ومشكل الآثار للطحاوي ج ٣ ص ١٤١ .

(٣) يشير بذلك الى حديث ابن عباس « ان سعد بن عبادة استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان أمى ماتت وعليها نذر .

فقال : أقضه عنها . السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٦ .

(٤) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٦ . الام ج ٢ ص ٩٠ طبعة الشعب .

(٥) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥٦ .

(٦) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٦ . ومشكل الآثار للطحاوي ج ٣ ص ١٤٠ طبعة الهند .

أما الفريق الثالث : فيرى أن من مات وعليه صيام وقد فرط فيه ، فإنه يصام عنه النذر  
ويطعم عن صيام رمضان .  
وقد قال بهذا الرأي : أحمد وإسحاق ونقل عن ابن عباس (١) .

ومن أهم الأدلة التي استند اليها هذا الفريق :

١ - ما رواه أبو داود في سننه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » وقد أشرنا من قبل الى أنه مروى في  
الصحيحين . الا أن موضع الشاهد هنا : أن أبا داود بعد أن ذكر هذا الحديث في سننه عقبه  
بقوله : هذا في النذر وهو قول أحمد بن حنبل (٢) .

وهذا القول منه ، تخصيص : لعموم الحديث حتى يتفق مدلوله مع الأدلة الأخرى  
التي نص فيها على أن الميت ان كان عليه صيام نذر صام عنه وليه والأصل في النصوص  
الشرعية العامة أنها تبقى على عمومها حتى تقوم قرينة تفيد التخصيص .

٢ - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم  
فقال : يارسول الله ، ان أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ، فقال : لو كان على أمك  
دين أكنت قاضيه عنها ؟ قال : نعم . قال : فدين الله أحق أن يقضى » وقد أشرنا من قبل الى  
أن هذه الرواية متفق عليها بين الشيخين بنفس اللفظ .

أما رواية ابن عباس الثانية « أن امرأة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ان  
أمي ماتت وعليها صوم شهر ، فقال : رأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه ؟ قالت : نعم .  
قال : فدين الله أحق بالقضاء » .

وهذه الرواية جاءت في صحيح مسلم بهذا اللفظ الا أنها عند البخاري - تعليقا - « ان  
أمي ماتت وعليها صوم نذر » (٣) وفي السنن الكبرى للبيهقي : عن ابن عباس : أن سعد بن

(١) المغنى ج ٣ ص ١٥٢ . والمجموع ج ٦ ص ٢٤٣ . والسنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٥ .

(٢) سنن أبي داود ج ٧ ص ٤٠ . ٤١ مع شرحه عون المعبود .

(٣) صحيح البخاري ج ١١ ص ٦٤ مع شرحه عمدة القارىء .

عبادة استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أن أمي ماتت وعليها نذر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اقضه عنها « (١) . والشاهد هنا ، أن رواية البخاري ، جاءت مبنية لنوع الصوم الذى كان يسأل عنه : وقد أمر بقضائه ، وهو صوم النذر أى أن هذه الرواية بينت الإجمال الموجود في الرواية الأولى عند كل من البخاري ومسلم وأيضا الرواية الثانية عند مسلم .

٣ - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : اذا مرض الرجل في رمضان ثم مات ولم يصح ( ولم يصم ) أطعم عنه ولم يكن عليه قضاء ، وان نذر ( وان نذر ندرا ) ( وان كان عليه نذر ) قضى عنه وليه (٢) وقد أشرنا من قبل الى هذا القول المنسوب الى ابن عباس والى أن هذا النقل صحيح عنه ، وواضح أنه موقوف عليه .

**المختار :** هو رأى الفريق الثالث : الذى يرى ، أن من مات وعليه صيام من رمضان فإنه يطعم عنه . أما ان كان عليه صيام نذر فإنه يقضيه عنه وليه ، وذلك : لأن رواية البخاري التى نص فيها على النذر وكذلك الرواية التى أخرجها البيهقي في قصة سعد بن عبادة وهى صريحة في السؤال عن صيام النذر ، ثم ما روى عن ابن عباس وعائشة في هذا السبيل كل ذلك يعتبر مبينا للإجمال الموجود في حديث بريدة وغيره ، كما أنه بهذا الرأى يمكن الجمع بين كل الأدلة الواردة في الموضوع ، والجمع بين الأدلة والعمل بها كلها أولى من العمل ببعضها وإهدار بعضها الآخر . كما أنه بهذا القول ، يمكن تفادي ما يترتب على القول الثانى : من دخول النياحة في صيام شهر رمضان وهو عبادة بدنية محضة واجبة من الشارع بخلاف النذر فقد أوجبه العبد على نفسه فصار بمنزلة الدين الذى استدانه والدين تدخله النياحة . ولهذا قال ابن القيم عن هذا الرأى : وهذا أعدل الأقوال وعليه يدل كلام الصحابة وبهذا يزول الإشكال (٣) . والله أعلم .

## النتائج

- ١ - لكل مسافر حق الأخذ برخصة الفطر في السفر سواء شهد بداية الشهر مقيما أو حاضرا .
- ٢ - مقدار المسافة التى تتحقق بها رخصة الفطر هى أربعة برد وتقدر الآن بأربعة وثمانين كيلو مترا .

(١) السنن الكبرى ج ٤ ص ٢٥٦ .

(٢) سنن أبي داود مع شرحها عون المعبود ج ٧ ص ٣٦ .

(٣) من تعليقه على سنن أبي داود ج ٧ ص ٣٧ مع شرحها عون المعبود .



- ٣ - الفطر في السفر رخصة يجوز الأخذ بها ويجوز تركها والصيام عملاً بالعزيمة .
- ٤ - الأفضل الفطر لمن يشق عليه الصيام أما من لم يشق عليه فالأفضل في حقه الصيام .
- ٥ - تتحقق رخصة الفطر في كل سفر الا سفر المعصية ما لم يتب المسافر منها فان تاب تحققت في حقه .
- ٦ - يبدأ العمل بالرخصة متى تحقق وصف السفر بالشخص مريد السفر ، فمن حقه الفطر قبيل تحركه من دار اقامته اذا كان قد أخذ أهبته للسفر وان كان الأحوط أن يتم ذلك بعد مغادرة البيوت .
- ٧ - من أجمع على إقامة عشرة أيام وجب عليه تبييت نية الصوم وان كان الأحوط تبييت هذه النية لمن أجمع على اقامة أربعة أيام .
- ٨ - من أخذ بالعزيمة وصام في سفره ، فله حق الفطر أخذاً بالرخصة في أى وقت شاء .
- ٩ - تنتهى الرخصة اذا وصل المسافر الى دار اقامته قبيل طلوع الفجر حيث يجب عليه انشاء نية الصوم فان وصل بعد طلوع الفجر فانه يستمر على فطره الى نهاية اليوم .
- ١٠ - من أخذ بالرخصة وافطر فانه يجب عليه القضاء فيما بين رمضان الذي سافر فيه الى رمضان التالى سواء كان القضاء مفرقاً أو متتابعاً وان كان القضاء متتابعاً أفضل .
- ١١ - من أخذ بالرخصة وافطر في سفره فلا يحق له الصيام بنية القضاء عن أيام سابقة عليه من رمضان الفائت .
- ١٢ - من شغل عن قضاء ما عليه من رمضان حتى وافاه رمضان التالى ، فانه يقضيه بعد انتهاء رمضان الحاضر ولا فدية عليه أما من لم يشغل عن القضاء وفرط فيه حتى وافاه رمضان التالى له فانه يلزم بالفدية مع كل يوم يقضيه عن رمضان السابق .
- ١٣ - من شغل عن القضاء حتى مات فان اتصل عذره بالموت فلا شيء عليه ومن فرط في القضاء فان كان عليه صيام نذر صام عنه وليه وان كان عن رمضان أطعم عنه عن كل يوم مد من طعام .

# نظام الإثبات في الفقه الإسلامي

الدكتور عوض عبد الله أبو بكر  
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

- ١ -

دراسة مقارنة

القضاء من الأمور المعروفة والمقدرة عند الأمم . مهما تفاوتت هذه الأمم في درجات الحضارة رقياً وانحطاطاً . ذلك لأن الخصومة من لوازم الطبيعة البشرية ، فلو لم يكن هناك رادع للقوى عن الضيف لاختل النظام وعمت الفوضى ، وإلى هذا أشار المولى عز وجل في الآية الكريمة : ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ) ( الحج : ٤٠ ) ، وفي قوله تعالى : ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ) ( البقرة : ٢٥١ ) . فلا غرابة إذن أن تحترم الشريعة الإسلامية القضاء ، وتعنى به وترسى قواعده منذ أول نشأتها .

فبعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة ، ومع بداية إرساء قواعد الدولة الإسلامية ، وتأسيس أجهزتها وسلطاتها ، أخذ القضاء مكانه في صدارة الأجهزة التي عنى الرسول صلى الله عليه وسلم بتأسيسها ، فجاء في الحلف الذي عقده النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين وأهل المدينة من المسلمين وغيرهم ، « وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث واشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم » (١) فكان هذا صريحاً في أن كل خصومة أو نزاع يرد إلى القاضي الأول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

على أن بساطة ذلك المجتمع الناشئ لم تكن تستدعى في المدينة نفسها كثيراً من القضاة ، حيث لم تكن هناك خصومات كثيرة . ومع ذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم ينيب عنه بعض أصحابه حين يرسل بعضهم والياً إلى ناحية أعلنت خضوعها لحكومة الإسلام الأولى . فكان هؤلاء يحكمون بما علموه منه - صلى الله عليه وسلم - وبما استفادوه من صحبته .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٠ ط الباهي الحلبي سنة ١٣٧٥ هـ .

فلا غرابة إذن إذا نبع في القضاء عدد من الصحابة رضوان الله عليهم . أمثال علي رضي الله عنه ، الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً إلى اليمن قائلاً : « إذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول . فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء . قال علي : فما زلت قاضياً وما شككت في قضاء بعد » (١) .

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي جمعت رسالته إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أحدث النظريات في النظم القضائية (٢) . ومنهم عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت رضي الله عنهم . وغير هؤلاء كثيرون .

فجاء بذلك الفقه الإسلامي منذ فجره حاوياً لنظامه القضائي الذي يتسق مع عدله وشموله ، ومن يرجع إلى كتب الفقه الإسلامي يجد بحوث الفقهاء القيمة في مختلف فروع القضاء ، في ضبط الدعوى وشروطها ، ونظام قبولها وردّها ، وفي مراتب القضاء المطلق منه والمقيد كالحسبة وولاية المظالم . وفي أدب القاضي وما يجب أن يتصف به ، وإمكان تخصيصه بالزمان والمكان والدعوى ، وفي علاقة القاضي بالحاكم ، وغير ذلك من علوم القضاء .

ولعل أهم هذه العلوم ذلك الذي يتعلق بالإثبات . والإثبات كما يعرفه رجال القانون الوضعي هو : إقامة الدليل أمام القضاء بالطرق التي يحددها القانون على صحة واقعة قانونية يدعيها أحد طرفي الخصومة وينكرها الطرف الآخر » (٣) أو هو ما عرف عند فقهاء الشريعة الإسلامية بطرق القضاء .

وترجع أهمية الإثبات إلى أنه الأداة الضرورية التي يعول عليها القاضي في التحقيق من الوقائع المطروحة في الدعوى ، والوسيلة العملية التي يعتمد عليها الأفراد في صيانة حقوقهم المترتبة على تلك الوقائع ، حتى أنه ليصح القول بأن كل تنظيم قضائي يقتضي حتماً وجود نظام للإثبات . والواقع أن الغالبية العظمى من النظم القضائية نزلت على حكم هذه الضرورة وعنيت بالإثبات ، إلا أنها لم تلتزم في ذلك مذاهباً معيناً . وبالاستقراء والنظر في هذه النظم نجدتها قد سلكت ثلاثة مذاهب في الإثبات :

(١) سنن أبي داود ج ٣ ص ٣٢٨ ط هندية حديثة .

(٢) كتاب عمر إلى أبي موسى في القضاء أخرجه الدارقطني في سننه ج ٤ ص ٢٠٦ ط دار المحاسن للطباعة سنة ١٣٨٦ هـ وفي التعليق المغنى على الدارقطني لأبي الطيب العظيم أبادى قال : أخرجه البيهقي في المعرفة .

(٣) الدكتور عبد الودود يحيى : دروس في قانون الإثبات ص ٠٣ الدكتور أحمد أبو الوفا : التعليق على نصوص قانون الإثبات ص

**الأول :** مذهب الإثبات المطلق . ويرمى هذا المذهب إلى عدم تقييد القاضي بطرق معينة . بل يترك للقاضي الحرية الكاملة فى اتخاذ الدليل الذى يطمئن إليه . فله أن يستكمل ما نقص من الأدلة التى عجز عنها الخصم . وله أن يحكم بعلمه الشخصي . وله استدراج الخصوم ومباغتتهم لانتراع الحقيقة من أقوالهم . وإلى هذا المذهب تميل القوانين الوضعية الجنائية الحديثة بحجة تطور الجريمة وأساليبها وصعوبة إثباتها بالطرق المحددة .

غير أن هذا المذهب منتقد من حيث أنه يمنح القاضي سلطة واسعة قد تؤدى إلى اعتسافه وانحرافه عن جادة الصواب . فيتحكم فى تعيين طرق الإثبات وتحديد قيمتها بما يهوى دون رقابة . كما يؤدى إلى اضطراب العدالة . وفقدان الثقة بالقضاء لاختلاف التقدير من قاضٍ لآخر . كما يشجع الظالمين المماطلين على المنازعة فى الحق الثابت أملاً فى الإفادة من اختلاف القضاة فى التقدير .

**الثاني :** مذهب الإثبات المقيّد . ويقوم هذا المذهب بالحد من السلطة المطلقة الممنوحة للقاضي فى المذهب السابق . وذلك بتحديد طرق معينة للإثبات . فلا يستطيع الخصوم إثبات دعواهم إلا من خلالها . ولا يستطيع القاضي تكوين عقيدته إلا بهذا الدليل الذى حدده القانون . فلا يحكم بعلمه الشخصي . ولا يجعل للدليل قيمة أكثر مما هو محدد له بالقانون .

وعيب هذا المذهب - بالرغم مما يكفله للقضاء من ثقة واستقرار - أنه يجعل دور القاضي سلبياً . ووظيفته آلية . مما يؤدى إلى أن يصدر القاضي حكماً بغير ما ارتاح له ضميره . إذا نوى إلى اعتقاده أن الحقيقة الواقعة ظاهرة بدليل من غير الطرق التى حددها القانون .

**الثالث :** مذهب الإثبات المختلط : هو المذهب الذى يجمع بين المذهبين السابقين . فيحاول الجمع بين مميزاتهما . والتخفيف من مضارهما . فهو مع تحديده لطرق الإثبات إلا أنه يمنح القاضي سلطة فى تقدير الأدلة . فمثلاً : له أن يقضى بما أجمع عليه الشهود . أو أن يقضى بعكسه . وله سلطة تقدير القرائن . وهذا المذهب هو ما تأخذ به أغلب القوانين الوضعية المعاصرة . فتبلغ حدها الأقصى فى المواد الجنائية من جهة حرية القاضي فى تقدير الأدلة . وحدها الأدنى فى المواد المدنية حيث تكون سلطة القاضي فى تقدير الأدلة أقل كثيراً من سلطته فى المواد الجنائية (١) .

(١) محمد عبد اللطيف ، قانون الإثبات فى المواد المدنية ص ٦٠٦ . الدكتور سليمان مرقص : أصول الإثبات فى المواد المدنية ص ٧٠٧ .

## فإلى أى هذه المذاهب يتجه الفقه الإسلامى فى منهجه للإثبات ؟

يميل بعض الفقهاء وأبرزهم ابن قيم الجوزية إلى مذهب الإثبات المطلق الذى يعطى القاضى الحرية المطلقة فى تكوين عقيدته من أى دليل يعرض عليه ، ولا يتقيد بطريق إثبات معين ، ويتضح ميل ابن القيم إلى مذهب إطلاق الإثبات مما يأتى :

أولاً : تفسيره للبيئة حيث يجعلها كل ما يبين من الحق ، ولا يقصرها على شهادة الشهود كما قال غيره من الفقهاء . فيقول : « فالبيئة اسم لكل ما يبين من الحق ، ومن خصها بالشاهدين أو الأربعة أو الشاهد لم يوف مسماها حقه » (١) .

ثانياً : إجازته للقاضى أن يتوصل للحق بالتحايل على الخصم استدلالاً بما كان يفعلهُ إياس بن معاوية وشريح (٢) .

ثالثاً : إجازته للقاضى أن يقضى بالفراسة بالرغم من استتار خطوات الاستنتاج فيها ، وأن الدليل المأخوذ منها غير معروف لغير القاضى . وسنعرض رأى ابن القيم فى الحكم بالفراسة بشىء من التفصيل إن شاء الله .

رابعاً : يقول فى اعلام الموقعين : « فإذا ظهرت أمارات الحق ، وقامت أدلة العقل وأسفر صبحه بأى طريق كان ، فثم شرع الله ودينه ورضاه وأمره . والله تعالى لم يحصر طرق العدل وأدلته وأماراته فى نوع واحد وأبطل غيره . فأى طريق استخرج بها الحق ومعرفة العدل وجب الحكم بموجبها ومقتضاها . والطرق أسباب ووسائل لا تتراد لذواتها ، وإنما المراد غاياتها التى هي المقاصد » (٣) .

فأنت ترى صراحة نصه على عدم التقيد بطريق محدد للإثبات ، فأى سبيل يبين به وجه الحق يكون دليلاً معتبراً مادام قد كشف للقاضى وجه الدعوى .

وبناء على هذا القول الذى يقضى بعدم حصر أدلة الثبوت عنده ، فقد ذكر فى كتابه الطرق الحكمية كثيراً من طرق القضاء التى يخالفه فيها كثير من الفقهاء كالقرعة ، وشهادة الكفار ، والفراسة ، وغيرها .

(١) الطرق الحكيمة ص ٢٩ ط مطبعة مصر سنة ١٩٦٠ م .

(٢) إياس بن معاوية بن قرة المزنى ، قاضى البصرة ومضرب المثل فى الفطنة والذكاء والفراسة توفى سنة ١٢٢ هـ . الاعلام ج ١ ص ٢٧٦ ط مصورة بيروت . وشريح بن الحارث الكندي من أشهر القضاة فى صدر الإسلام . وى قضاء الكوفة فى زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية . توفى سنة ٧٨ هـ . الاعلام ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٣) اعلام الموقعين ج ٤ ص ٢٧٣ ط دار الجيل بيروت .

## مذهب جمهور الفقهاء :

أما بالنسبة لجمهور الفقهاء وما اتجهت إليه أنظارهم فى الإثبات ، فىرى بعض فقهاء القانون المصرى أنهم أخذوا بمذهب الإثبات المقيد نظراً لما رآه منهم فى تحديد الشهادة تحديداً دقيقاً ، وجعلها مراتب مترتبة ، والتزامهم بهذا التحديد (١) .

وفى نظري أن هذا القول ليس بصحيح ، فالفقهاء لم يأخذوا بمذهب تقييد الإثبات على ما هو عليه عند أصحابه ، إنما القول بأنهم أقرب إلى المذهب المختلط هو الصواب عندى ، علماً بأن نظرة الفقه الإسلامى للإثبات نظرة متميزة لم يكن ههما أن تكون ضمن أى من المذاهب المذكورة .

ونرى أن الفقه الإسلامى كان قريباً من المذهب المختلط للأسباب الآتية :

أولاً : إنهم حددوا طرق الإثبات وجعلها فى أدلة معينة ، ولكنهم لم يحدوا من سلطة القاضي فى تقدير الأدلة كما فعل أنصار المذهب المقيد . وبذلك لم يجعل الفقهاء وظيفة القاضي آلية لا أثر لها فى تقدير الأدلة ، فللقاضي عند جمهور الفقهاء أن يقضى بغير ما أجمع عليه الشهود إذا ظهر الحق من طريق غيرهم . ومن ذلك قالوا : لا تحد المرأة إذا شهد عليها أربعة بالزنا وظهر أنها بكر (٢) .

ثانياً : إنهم أعطوا القاضي سلطة تقدير القرائن . هذه السلطة وإن كانت تضيق فى مجال الحدود ، إلا أنها تتسع فى غيرها من الدعاوى الجنائية ، كما تتسع فى دعاوى المعاملات المالية . وسيوضح هذا القول عند كلامنا عن القرائن إن شاء الله . وسلطة تقدير القرائن هو ما تميز به المذهب المختلط .

ثالثاً : إنهم لم يجيزوا للقاضي أن يقضى بعلمه الشخصى ، وهذا ما تميز به المذهب المختلط .

رابعاً : قالوا : إنه لا يلزم من الأمر باستشهاد رجلين أو رجل وامرأتين فى الديون وقت التحمل ألا يحكم القاضي بذلك الدين . فإن ثبت من طريق آخر كالنكول ، أو شاهد ويمين المدعى قضى به (٣) .

(١) انظر ، أصول الإثبات فى المواد المدنية السابق ذكره . هـ مش ص ٤ .

(٢) تحفة المحتاج لابن حجر الهيئى الشافعى ج ٩ ص ١١٤ ط البياضى الحلبى سنة ١٣١٥ هـ . المعنى لابن قدامة الحنبلى ج ٨ ص ٢٠٧ ط دار المدار سنة ١٣٦٧ هـ . البحر الزخار فقه زيدى ج ٥ ص ١٨٠ ويقول بذلك الدسوقي المالكي وإن كان المذهب على خلاف هذا القول .

انظر الشرح الكبير وحاشية الدسوقي ج ٤ ص ٣١٩ ط مطبعة السعادة مصر سنة ١٣٢٩ هـ .

(٣) بداية المجتهد ج ٢ ص ٤٦٩ ط البياضى الحلبى سنة ١٣٧٩ هـ . الطرق الحكيمة ص ١٤ . طرق القضاء فى الشريعة الإسلامية .

أحمد الترابى ص ١٣ .

ولا شك أن هذا مزج بين تحديد الأدلة وحرية القاضي في تقديرها ، كما أنه تخفيف لمضار تقييد الإثبات ، وهو ما لجأ إليه أنصار المذهب المختلط .

خامساً : إنهم جعلوا الشهادة حجة فيما قامت عليه مهما كان المدعى به ، ولم يقيدها بقدر معين كما فعل بعض القانونيين من أنصار المذهب المختلط (١) .

وهذا يدل على أن بعض القوانين التي أخذت بالمذهب المختلط أشد تضييقاً من الفقه الإسلامي ، لأن القاضي في هذه القوانين لا يحكم بشهادة الشهود إذا جاوز الحق المدعى به القدر الذي حدده القانون ، ولو اعتقد القاضي صحتها وصدقها فيما قامت عليه .

كل هذه الأسباب تجعل نظرة جمهور الفقهاء أقرب إلى المذهب المختلط الذي يجمع بين مزايا المذهبين الآخرين المقيّد والمطلق ، ويخفف من مضارهما ، فهو يحدد أدلة الإثبات ولا يحد من سلطة القاضي في تقدير هذه الأدلة ، كما لا يطلق للقاضي الحرية ليتخذ دليلاً في الدعوى من أى دليل يراه أو يطمئن إليه . حتى لا يتعسف القضاة فتتمكّن تهمة استغلالهم لسلطة وظيفتهم ، فكان أن حدد الفقه الإسلامي طرقاً للإثبات لا يتجاوزها القاضي ، وليس للخصوم أن يثبتوا دعواهم بغيرها .

وبالرغم من قولنا أن الفقه الإسلامي كان قريباً من مذهب الإثبات المختلط ، إلا أنه قد حوى نظاماً للإثبات تفرد به وميزه عن القوانين التي أخذت بالمذهب المختلط . ذلك لأنه لم يكن متأثراً بمذهب معين ، إنما هو تشريع من لدن حكيم خبير .

فإذا كان مذهب الإثبات المختلط قد ترك للقاضي الحرية في استخلاص حكمه من أى دليل يعرض عليه في الدعوى الجنائية . فإن الفقه الإسلامي قد قسم الدعاوى الجنائية إلى ثلاث طوائف ، قيد الأدلة في طائفتين ، وهما الحدود والقصاص ، وترك له الحرية في طائفة التعزير ، وسنرى إيضاحاً أكثر لهذا القول عند كلامنا عن القرائن إن شاء الله تعالى .

كما أن القوانين التي أخذت بالمذهب المختلط قد سعت إلى تقييد الإثبات في الدعوى المدنية بقدر كبير ، فلم تأخذ بشهادة الشهود مثلاً إذا جاوز الحق المدعى به قدراً معيناً ، كما لم تقبل إثبات بعض الحقوق المدنية إلا بالكتابة ، بينما لا نجد هذه القيود في الفقه الإسلامي ، فالشريعة الإسلامية بما تغرسه في الفرد من إصلاح وتهذيب ، وبما تحثه عليه من مراقبة لله عز وجل تبعده عن تهمة الكذب والتزوير ، فهي بذلك تفترض أمانة الشخص

(١) يقيد القانون المصري الشهادة في الحقوق المدنية فلا يحكم بها إذا جاوز الحق المدعى به عشرين جنبها . مجموعة الأعمال

التحضيرية ج ٣ ص ٣٩٦ .

وصدقه فيما شهد به . ولذلك كانت هذه الشهادة حجة فيما قامت به . وللقاضي أن يستند عليها في حكمه مهما كان القدر المدعى به . وهذا لا يمنعه من مساءلة الشهود ومعرفة مدى صدقهم ومعرفتهم للواقعة المطروحة .

كما أن مبدأ الإثبات بالكتابة مع وجوده واحترام الفقه الإسلامي له وحثه عليه . إلا أن الفقهاء لم يجعلوه شرطاً لا يجوز الإثبات إلا به .

الآن . وبعد أن بينا تفرد الفقه الإسلامي في نظامه للإثبات . وتميزه عن نظم الإثبات الوضعية . بقى لنا أن نتناول سمات أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي . وأقسامها . وما تميز به كل دليل منها . ومصدره الأصولي . وليكن ذلك حديثنا في مقال قادم إن شاء الله تعالى .

### في البنجلاديش الحرب ضد الانفجار السكاني تبدأ بالمرأة

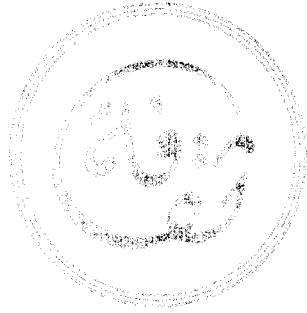
الحرب ضد الانفجار السكاني تبدأ بخفض عدد المواليد أي أنها تبدأ بالمرأة .. هذا هو الشعار الذي تسعى إليه (الجمعية الألمانية للتعاون الفني) إلى تطبيقه عملياً في البنجلاديش بمساعدة من صندوق التنمية الألماني الغربي ومنذ ١٨ شهراً شهدت مدينة موسيفانج البنغالية إنشاء أول ناد للأمومة ارتفع عددها الآن إلى ثمانية موزعة على عدد من المناطق ويضم كل منها في عضويته أكثر من ٣٠٠ سيدة .

وقد رصد لهذه الحملة التي تنتهي مبدئياً في العام القادم نحو ٨٥ مليون مارك ( ٣٥ مليون دولار ) .

وتشارك الحكومة البنغالية في الحملة مرددة شعارات مثل : ( طفل واحد يكفي ) و ( العائلة ذات الطفلين هي أسعد عائلة ) ..

المجلة : لم لا يكون ذلك التعقيم إلا في بلاد المسلمين . وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على الإكثار من النسل وعلل ذلك بقوله : ( فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة ) ؟





# الإسلامية



# تَغْرَاتُ فِي الْمَنْهَجِ الثَّانَوِيِّ

لِدَرَسِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ الشَّرِيفِ وَالْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ

مَدِينَةُ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ  
مَكْتَبَةُ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ

تَقْرِيرٌ رَفَعَ قَبْلَ رَجْعِ قُرْبَانَ الْإِسْلَامِيِّ  
الْمَدِينَةِ وَمَنْعِهِمْ فِي بَلَدِ عَرَبِيَّةِ

## ١ - القرآن الكريم :

إن دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف في هذه المرحلة يجب أن تستهدف ناحيتين هامتين :

أ - أثرهما في توحيد الفكر العربي والسمو به إلى الآفاق العليا من حيث النظر إلى الكون وانتهاج سبل البحث العلمي ، ثم أثر ذلك في بعث القوى النفسية والعقلية لبناء المجتمع الصالح ، وبالتالي أثره في انبثاق العلوم المختلفة بدافع من التطور الشامل .

ب - أثرهما في توجيه الأدب العربي وتركيز اللغة العربية على أصول ثابتة ، ثم في بروز علوم البلاغة ، وبخاصة أثر هذه في بناء النقد الأدبي ، وبذلك يتاح للطالب أن يدرك معنى ( الأدب الإسلامي ) الذي هو الصورة الجديدة لكل أدب عربي صحيح منذ البعثة النبوية حتى اليوم .

**قضية جمع القرآن :** لا بد عند الحديث عن القرآن العظيم من إعطاء القول الفصل في قضية جمعه ، ليكون الطالب على بصيرة من سلامة القرآن من كل زيادة أو نقصان ، على حين أن كل ما تستوعبه كتب الأدب المقررة لا ينطوي على الكلمة النهائية في الموضوع ، بل يفسح المجال للشك الخبيث في هذه الناحية . فالطالب لا يخرج فقط دون فهم صحيح لسبب الإقتصار على نسخة عثمان ، بل يزوده المؤلفون بأغاليط مشوشة ، وبخاصة ما يذكرونه من إحراق عثمان لمجموعة أبي بكر عقب جمع مصحفه ، ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يغادر الدنيا إلا بعد أن كان القرآن محفوظاً كله في صدور الألوفا الذين يستحيل تواطؤهم ، وفي صحف تؤلف مجموعات كاملة لدى عدد من الصحابة ، وإنما كتبت نسخة أبي

بكر خوفاً من فقدان الحُفَاط لكثرة ما قتل منهم في الحروب . وقد كتبت هذه في ( قطع الأدم وكسر الأكتاف والعصب ) بيد زيد بن ثابت كاتب الوحي . والحافظ الذي عرض مجموعه على رسول الله آخر حياته صلى الله عليه وسلم . فلما كان عهد عثمان تباعدت منازل القوم فاختلّفوا على القراءت باختلاف لهجاتهم . وحصل عن ذلك جدال ولجاج بين الناس . كل يؤيد قراءته . الأمر الذي حفز عثمان ومعه الصحابة رضوان الله عليهم أن يحملوا الناس على مصحف أبي بكر وحده منعاً للخلاف على القراءت . وهكذا كتب مصحف عثمان في نسخ وزعت على الأمصار . بعد الاستيثاق من ضبطه على صفح الصديق ومحفوظات الصحابة تماماً . وقد أعيدت صفح الخليفة الأول إلى أم المؤمنين حفصة سائلة . وحرقت الصفح الأخرى التي كانت في حوزة بعض الصحابة تجنباً لاختلاف القراءت . وهكذا اتفقت جميع النسخ مع المحفوظ في سلامة الضبط ولم يكن فيها من اختلاف قط إلا في ترتيب السور . فقد كانت في بعضها مرتبة حسب النزول . فاختر ترتيب زيد لأنه صاحب العرضة الأخيرة على الرسول . أما ترتيب الآيات في السور فهو توقيف عن الرسول عن جبريل ولا خلاف فيه .

وهذا الخبر هو الذي أجمع عليه الثقات . ومنه يتبين أن لو أمكن عرض هذه الحقائق على الطلاب لأدركوا بالبداهة سلامة الكتاب من كل اضطراب . وإنما دخل الوهم على مؤلفي كتب الأدب من اعتمادهم كلام ذوي الأغراض المنحرفة من المستشرقين وأتباعهم . وكان أحرى بهم أن يرجعوا إلى مصادر علماء الإسلام الذين استوعبوا تفصيل كل ذلك كالسيوطي في ( الاتقان ... ) والزرقاني في ( مناهل العرفان ... ) وشكيب أرسلان في ( حاضر العالم الإسلامي ... ) .

**مشكلة التقطع :** تحتل هذه المشكلة حيزاً هاماً - على صغره - في الكتاب المقرر للسنة الأولى . فقد أخذ المؤلف برأي المستشرقين في هذا الموضوع دون محاكمة .. والتقطع في تعريفهم هو الانتقال من غرض إلى غرض في السورة الواحدة دون مناسبة .. وإذا ذكرنا أن مثل هذا الاستطراد بنظر المؤلف نفسه يعد عيباً في الشعر الجاهلي مثلاً حيث تقوم الوحدة على البيت دون القصيدة . أدركنا سوء النتيجة التي تنبع في ذهن الطالب عن بلاغة القران . والواقع إن هذا الذي يسمونه تقطعاً إنما هو ميزة قرآنية لا علاقة لها بطريقة الجاهليين ذات الوحدات المتعددة . ذلك أن السورة الواحدة تدور دائماً حول محاور ذات وحدة موضوعية . هذا فضلاً عن أن لتلك الاستطرادات - إذا صح وجودها - أثراً فعالاً في إيقاظ ضمير القارئ للغايات العليا من أغراض السورة . وبخاصة إذا ذكرنا فرق ما بين القران بكونه نظام تربية وتوجيه إلهي . وبين المؤلفات الأخرى ذات الاختصاص الجزئي ..

**المكي والمدني :** لا خلاف على التمايز بين المكي والمدني في أسلوب القرآن . ولكن طريقة المؤلفين في عرض هذا الموضوع تلقي في خلد الطالب أن ذلك تابع للأثر المكاني والإجتماعي في نفس الرسول . كالفرق مثلاً بين أسلوب حسان الجاهلي والإسلامي . وهذا باب جديد للشك في وحي القرآن يمكن إغلاقه بإيضاح الحكمة الإلهية في هذا الاختلاف . الذي يعود إلى مراعاة حال المخاطب لا المتكلم . ومعلوم ما بين وسطي مكة والمدينة من فروق اجتماعية . تتطلب لكل منهما أسلوباً بلاغياً مطابقاً لمقتضى الحال . ويظهر أن المؤلفين اكتفوا هنا أيضاً بترديد آراء المستشرقين مثل ( نولدكه ) ومن لف لفه . فراحوا يعرضون ترهاتهم كمسلمات دون مناقشة .

ولو صحت نواياهم حقاً لم يفتهم أن يدركوا طوايا أولئك المرجفين . الذين حملوا كل أحقاد الصليبية الأولى على إخوان وأحفاد صلاح الدين . واحتضنوا كل ضغائن اليهودية التي ما تنفك في حربها للإسلام منذ قريظة والنضير وقينقاع . فشهادتهم في كل ما يتصل بالإسلام مردودة . لأنها تحمل بنفسها طابع تزويرها .. وإلا فكيف تجاهل هؤلاء المرددون لأقوايل أعدائهم طواع كل من المرحلتين المكية والمدنية !! ..

ألم يكن بوسعهم أن يتذكروا مسيرة الدعوة في عهدها الأول . حيث كان الخطاب موجهاً للفتة التي آمنت فعرضت نفسها لضروب البلاء وأفانين الأرزاء . فهم أحوج ما يكونون إلى التثبيت بذكر ما أعد الله للصابرين من ألوان النعيم المقيم في جنة عرضها السموات والأرض .. ثم لأولئك الطواغيت من المشركين وأعاونهم . الذين رفضوا تغيير واقعهم الموروث . وأصروا على مواجهة الدعوة الربانية بكل ما يملكون من أسباب الدفع والمنع . ولو أدى ذلك إلى القضاء على كل مخالف لهم بالقتل والتعذيب والحرمان .. فكان من تمام البلاغة المعجزة أن تعرض هذه الوقائع في قرآن يطمئن القلوب المؤمنة إلى حسن المصير من جانب . ويهز الأسماع والأفئدة بقوارع التحذير والوعيد في الجانب الآخر .

ولو هم قد فتحوا عقولهم لهذه البيئات لما فاتهم أن يدركوا كذلك ملامح العهد المدني . الذي تميز ببيروز القوى الإسلامية في ظل دولتها . التي علت فيها كلمة الله فوق كل نزعة مباينة . فجاءت هذه الملامح قرآناً توافرت خلاله كل عناصر الواقع الجديد . فرقت لهجته في خطاب المؤمنين . وتلونت عبارته في نقاش الكتائبين والمنافقين . وطالت فقراته كي تتسع لأحكام التشريع الخالد . الذي وضع الأسس الراسخة لحلول المشكلات التي تعترى حياة الإنسان . وذلك وهذا من ألوان الوقائع في كلا قسمي القرآن العظيم بارزة لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

**الحديث الشريف :** لعلوم الحديث رواية ونقدا أثرها البعيد في توجيه الأدب وإقامة قواعد النقد ، وهي ناحية لم تعرها المؤلفات المدرسية ما تستحق من عناية ، وبهذا الخصوص نلفت النظر إلى كتاب ( الإلماع في طرق السماع ) نشر أسد رستم ، للانتفاع من مقدمته في تبين أثر الحديث عند الكلام عن الحديث الشريف . وهناك دراسات أخرى في مؤلفات أسد رستم نفسه ، تنطوي على إيضاح وافٍ لتأثير علم الحديث في طرق النقد الأدبي يمكن الانتفاع بها في هذه الناحية .

### **الأدب والنصوص :**

إذا كان أدب الأمة صورة عقلها ونفسها ومخطط شخصيتها . فطبيعي أن تنصب مقدمات الأدب العربي على إيضاح هذه الصورة . ومن هنا كان لزاماً على المؤلف أن يقصد إلى تبين خصائص النفس العربية جاهلية وإسلامية من خلال أدبها . وهذا يقتضي أمرين :

أ - دراسة الأدب العربي على ضوء هذه الخصائص التي تعين مثلها العليا من الفضائل النفسية المكونة للشخصية العربية والإسلامية . ثم تبين مقومات الذكاء العربي وحساسيته الدقيقة في قدرة التعبير وطواعية اللغة .

ب - عرض مقارنة بين الأدب العربي وغيره مركزاً على هذا الأساس . بحيث يظهر الفرق بينهما فرقا بين نفس ونفس ، ومثل ومثل ، وبذلك وهذا يسلم المدرس والطالب من لوثة الوهم بنقص الأدب العربي بإزاء الأدب الغربي . ويتاح للطالب أن يرفع رأسه اعتزازاً بأدب هذا اللسان الذي لا يزال - على الرغم من كل عوامل التقهقر - يحتل المرتبة العليا بين لغات العالم جميعاً . شاء المتكبرون له أو أبوا .

ويحسن هنا أن نذكر أن الروح المسيطرة على مقدمات الأدب في المؤلفات المدرسية لا توفر للطالب شيئاً من هذا الاعتزاز . بل إنها لتبعثه على الشك في قيمة أدب أمته والإيمان بتفوق غيره عليه . ومثل هذا التوجيه من شأنه أن يرسخ في نفسه شعور الضعة بإزاء الآخرين ، ومن ثم شعور التبعية للآخرين . وهذا شر ما تمنى به أمة من ضروب الاستعمار .

٢ - في الشعر الجاهلي ألوان مختلفة باختلاف مؤثراته الطبيعية والاجتماعية ، بعضها يمثل وضعاً خاصاً ، وبعضها يمثل روحاً عاماً . وإذا كان للقارئ المثقف الحق في دراسة هذا وذاك ، فللطالب ظروفه الخاصة التي تتطلب دراسة فكرية موجهة تركز على روح أمته العامة . بصرف النظر عن كل شذوذ عارض . وعلى هذا يكون من الشطط طرح هاتيك النماذج الإباحية من شعر طرفة وامرئ القيس على عواهنها بين أيدي الطلاب ، على

حين أن الواجب يقتضي الاقتصار على النواحي النبيلة من شعرهما . تلك النواحي التي هي أشد تماساً بحياة العرب وتمثيلاً لروحهم .

وفي كتاب السنة الأولى أشياء من تلك التوافه لا ترتفع بالدنيا عن أن تكون ( سيكارة وكاس ) ولا جرم أن الجماعة العربية أحوج ما تكون إلى الإيمان بأن في الحياة مثلاً أسمى من هذه السخائف . إن هناك العزة والحرية والوفاء والايثار و ... و ... ومثل هذه المثل هي نقاط الانطلاق حتى في نفس طرفة وامرئ القيس . فلينصب التوجيه على هذا الروح الأصيل الجميل .

٣ - مثل هذا تماماً يقال في ابن أبي ربيعة ، فمن الجريمة في حق هذه الأمة أن يُعد شعره الفاجر صورة حقة لحياة مكة ومدن الحجاز الأخرى في صدر الإسلام ، صورة تجعل من بيت الله الحرام مباءة للداعرين والماجنين ، وتجعل من فتيات المسلمين كرقيعات هوليود وباريس ، وهن اللواتي يقول فيهن الشاعر :

بيض كواعب ما هممن بريية      كظباء مكة صيدهن حرام

وإذا كان ضروريا دراسة بعض شعره لإعطاء مثل عن تطور أساليب الغزل فليكن ذلك في مختارات أقرب إلى الذوق وإلى الأدب الحن وإلى الغاية العليا ، وإلا فليطرد هذا الفاجر من المنهاج الثانوي كما طرد أبو نواس من قبله ، وليس ابن أبي ربيعة خيراً من أبي نواس .

٤ - في كتاب السنة الأولى أيضاً نماذج من خطب الإمام علي بينها واحد لم يُردّ به إلى الخير ، وأعني به الخطبة الشقشقية . فهي فضلاً عن كونها موضع نظر عند المحققين ، من حيث نسبتها إلى أمير المؤمنين ، لا تخرج عن كونها إثارة خفية لفتنة نائمة . وأمام المؤلفين متسع في كلام الإمام . يجدون عنده الفضل والفائدة ، فما بالهم يعرضون عن « القاصعة » مثلاً وهي خير كلها ونموذج أعلى من البلاغة ، ليأخذوا ( الشقشقية ) وليس لها من أثر نافع !.. لعمري إن القوم لكأولئك الذين يجدون في القرآن الكريم المحكم والمتشابه ، فيعرضون عن المحكم ويأخذون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ...

٥ - وأخيراً فإن هناك ألواناً من روائع الأدب العربي لا يجوز للمنهاج الثانوي أن يهملها ، وأعني بها أدب الصعاليك سواء في الجاهلية أو الإسلام .. ففي شعر عروة بن الورد ، وسليك والشنفرى ، ثم مالك بن الريب واضرابهم صور من أدب البطولة ، لا غنى عن روحه لهذا الجيل المائع من شباب اليوم . إن في هذا الأدب حرية العربي وسخاءه وشجاعته ،

وفيه عزة المؤمن وشرفه وكرامته ، وفيه أخيراً الثورة النبيلة بالظلم والفقر والهوان ؛ فمن حق المنهاج المدرسي أن يحفل بأدب هؤلاء الفرسان الأعزة . وأن يحسن تحليل نفسياتهم التي كانت نموذجاً للطاقة العربية التي وجدت مجالها الصحيح في قيادة الإسلام فجعل منها القوة البناءة في حياة العرب والإنسانية . ولعل من الخير كل الخير لو استبدل هؤلاء الصعاليك الأباة بأصحاب النقائص السفهاء !

## السنة الثانية :

لعل منهاج هذا الفصل أقل مأخذ من سابقه . ذلك لأن منهاج الأول لا يعدو أن يكون مقدمة تأسيسية لهذا ، فعليه يقوم الكثير من عمل التوجيه الأدبي ، ولذلك سأقصر ملاحظاتي على ثلاثة من أدباء هذا الفصل كنموذج تحسن مراعاته في كل تعديل قد يطرأ على نصوص غيرهم من أدباء المنهاج ..

١ - المتنبي : لهذا الشاعر العبقرى جوانب نفسية متعددة تترأى في شعره جميعاً ، فهناك الطموح الغالب ، وهناك القوة الأصيلة ، وهناك الضعف الطارئ ، وهناك التعالي المنبثق عن الشعور بالعزة ، وهناك الاتضاع المصنوع من الحاجة . ثم هناك الأمل القوي الجارف إلى جانب التشاؤم المظلم اليأس .. ثم هناك مثل الإسلام العليا من جهاد للباغين وغيره على المسلمين أن يذلوا للظالمين ، إلى جانب نزوات من عبادة الذات تجعل نفسه غاية الغايات ، وتدفعه في غير وعي إلى الاستخفاف بالنبيين أو اصطناع أساليب الباطنيين في تجسيم رب العالمين والعياذ بالله .

فللمتنبي والحالة هذه عالم رحب الأفاق تتعذر الاحاطة به إلا على ذوي الاختصاص العالي ، ففيم تقحم الطالب المسكين في غمار أمواجه المضطربة دون تخير لما يناسب طاقته العقلية والنفسية ! .. فالتشاؤم المفرط ، والفردية المفرقة ، والخروج على مقاييس الدين الصحيح ، وما إلى ذلك من أمراض نفسية تنصب على الرجل من مختلف الينابيع القاهرة لإرادته ، أمور يجب إرجاء بحثها إلى الوسط الجامعي ، وحسبنا من المتنبي في هذا القسم بقية الجوانب التي تساعدنا على إحياء المناقب المثلى ، وتظهرنا على قدرة العقلية والذكاء العربيين .

٢ - المعري : وأمر المعري في هذا المنهاج أمرٌ من أمر صاحبه أبي الطيب ، فللمنهاج يفرض دراسة نماذج من رثائه وحكمته ونقده ونثره ، أما المؤلفون فكأنهم ملزمون أن لا يدعوا شيئاً من كفریات الرجل وضلالاته دون عرض وتوسيع ، وما أدري أي الفوائد يمكن لطالب عادي أن يجنيها من تناقضات أبي العلاء وهي التي تحير في أمرها أساطين الباحثين من



القمامى والمحدثين ! .. اللهم إلا إذا كان المقصود إليه من ذلك هو التمكين لهذه الحيرة في أذهان هذا النشء المسكين ، وهو في السن التي فتحتها الأقدار لهذه الأقدار ! ..

وخلص القول أن في المعري كسابقه جوانب أخرى فيها الكثير من الخير المحض البناء ، فمن الشطط لا الغلط أن نكب على استخراج المعاول الهادمة من أدب هذا القليل لنضعها في أيدي المراهقين من طلابنا المساكين ! .

٣ - أحمد شوقي : كثيراً ما يتيه المؤلفون في الحديث عن هذا الشاعر المعاصر ، وبخاصة عندما يتناولون شعره القومي والسياسي .. أهو شاعر عربي ؟ أهو شاعر مصري ؟ أهو شاعر إسلامي ؟ ! .. ومرد ذلك كله إلى النزعة القومية المتطرفة التي تستحوذ على ذهن المؤلف ، فهو مدفوع بهذه النزعة إلى اعتبار القومية العربية - منفصلة عن الإسلام - هي المقياس الخلقى والفكري الذي به تحدد شخصية الرجل . والأفضل من ذلك والأصح أن تدرس الفكرة القومية على أنها شذوذ عن طبيعة الروح الإسلامي ، الذي كان مسيطراً على توجيه الشعور الإجتماعي في سائر أنحاء الوطن المسلم حتى أواخر أيام شوقي ، وكما هي الحال الآن إذ انبعثت الروح الإسلامية من جديد تكافح لاستعادة سلطانها بعد اخفاق الفكرات القومية الغالية ، فعادت تطبع الأدب المعاصر في كثير من مظاهره البارزة .

ومن العبث الفصل في الدراسة بين شوقي المسلم وشوقي المصري وشوقي العربي ، فشوقي شاعر الإسلام لا شاعر القومية ، وشاعر المسلمين جميعاً لا شاعر العروبيين وحدهم ، وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن تفسير كل هذه التطورات التي تضي ألوانها على شعر شوقي ، بما في ذلك اللون الشرقي الذي يكثر ذكره في تضاعيف إنتاجه ، فليس الشرق في نظر شوقي إلا وطن الإسلام ، فإذا هو قال ،

نصحت ونحن مختلفون داراً ولكن كلنا في الهم شرق

وإذا قال : كان شعري الغناء في فرح الشرق ، وكان العزاء في أحزانة

فهو لا يريد بهذا الشرق سوى وطن الإسلام ....

وبعد فهذه ملاحظات سريعة استخلصتها من اختبارات طويلة في التربية والتعليم ، وهي في معظمها تتناول أدباء المنهاج .. على أن هناك ملاحظات أخرى لست أقل بها أيماناً ، وهي تتناول أدباء آخرين من حقهم أن يحتلوا مكانهم في المنهاج الإعدادي ، أذكر منهم : الشاعر الأبيوردي - من شعراء العصر الصليبي - وأحمد محرم وشكيب أرسلان ورشيد رضا

وإبراهيم طوقان - من أدباء العصر الحديث - ففي أدب كل من هؤلاء نقاط انطلاق لا تزال تعمل عملها في مسيرة الأدب العربي ..

والغريب أن شاعراً كالأبيوردي - وهو يكاد يكون الوحيد بين شعراء عصره الذي صور كفاح الإسلام بوجه الصليبية - يظل دائماً في ديوانه حتى الآن لا يكاد يعرفه أحد ، وهو العبقرى الذي يحفظ لعصره أجمل ما عرفه من بلاغة العرب وشعر النضال .

أما شكيب ورشيد ومحرم فحسبهم مجداً أنهم في طليعة القادة الفكريين للجيل الإسلامي خلال القرن الرابع عشر - الهجري - ومن كإبراهيم طوقان يسجل كفاح فلسطين السلبية . التي أوشكت مأساتها أن تنسى بعد أن جعلها الإستعمار والاستهتار مشكلة لاجئين ! ..

### قال المتنبي :

ومرادُ النفوس أصغرُ من أن تتعادي فيه أو تتفانى  
غير أن الفتى يلقى المنايا كالسحابة ولا يلقى الهوانا

\* \* \* \*

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل  
وربما فات قوماً بعض أمرهم من التأني وكان الحزم لو عجلوا

\* \* \* \*

وإذا النبوة لم ينلِكَ ضيأؤها فالعقل لا يهديك قط سبيلاً  
نور النبوة مثل نور الشمس للبعين البصيرة فاتخذه دليلاً

# تحريفات يسوعيين كتب التراث

للسيخ محمد شريف الزبيح  
الدرس في كلية الدعوة وأصول الدين

قد لا يخطر في البال أن يعمد إنسان عاقل ينتمي للدين والعلم إلى تشويه النصوص الأدبية والتاريخية ، ولكن ذلك وقع بالفعل ، ووقع كثيراً من « الآباء اليسوعيين » في بيروت ، وهم قساوسة من الطائفة الكاثوليكية ، أسسوا جامعة « القديس جوزيف » ولهم مطبعة تسمى « المطبعة الكاثوليكية » . وقد طبعوا منذ قرن من الزمان طائفة من كتب التراث الإسلامي ، وأحدثوا فيها تحريفات غريبة وعجيبة . تدل على شدة تعصبهم وحقدهم على الإسلام ، وفقدانهم نزاهة العلماء ، وأمانتهم في النقل ، وقد كشف عن بعض هذه التحريفات أفاضل الباحثين ، وقد رأيت أن أنبه لذلك ، وأذكر بعض نماذج من هذه التحريفات :

١ - فقه اللغة للإمام أبي منصور عبد الملك الثعالبي :

عندما طبع الآباء اليسوعيون هذا الكتاب استبدلوا عبارة المؤلف عند ذكر النصوص القرآنية : ( قال تعالى ) بعبارة : ( يقول القرآن ) ! وهذا منتهى التعصب ، فهم لا يريدون أن تمر أبصارهم أو تنطق ألسنتهم ، وألسنة قراء مطبوعتهم بعبارة تتضمن حقيقة أن القرآن كلام الله ، وأين هذا من تسامح علماء المسلمين الذين أدبهم القرآن الكريم على الأمانة في النقل والرواية لكلام المخالفين بنصه ، مهما كان محتواه مخالفاً للعقيدة الإسلامية ، حتى صارت لديهم قاعدة مشهورة : « ناقل الكفر ليس بكافر » .

٢ - كتاب ابن عبد البر الذي جمع فيه شعر أبي العتاهية في الزهد والحكم :

يمتاز أبو اسحق اسماعيل بن القاسم المشهور بأبي العتاهية بغزارة شعره الذي أنشده في الزهد في الدنيا ، وذكر الموت وما بعده من القبر والحساب في الآخرة والجزاء بالجنة أو النار ، سوى ما نظمه في الأغراض الشعرية الأخرى . وقد اتهمه حساده بالزندقة ، وحاولوا إثبات ذلك بإيراد روايات عن تهتكه في شبابه ، وما كان بينه وبين أمثاله من شعراء العصر العباسي كأبي نواس وغيره . هذا ما حدا بالحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر بالعناية

بجمع أشعاره الحكيمية والدفاع عنه ، وإثبات براءته مما وصم به ، في كتابه : الاهتبال بما في شعر أبي العتاهية من الحكم والأمثال (١) .

وكان القسيس الأب لويس شيخو اليسوعي قد طبع ديوان أبي العتاهية منذ ما يقرب من قرن في المطبعة اليسوعية في بيروت ، وأعيد طبعها عدة مرات ، وفيها تحريفات كثيرة ، لفتت نظر الشيخ المحقق أحمد محمد شاعر رحمه الله ، أثناء تحقيقه لكتاب : الشعر والشعراء لابن قتيبة . فعلق على ترجمة أبي العتاهية بقوله : « وديوانه معروف مطبوع ، طبعة الآباء اليسوعيون .. وهم قوم لا يوثق بنقلهم لتلاعبهم وتعصبهم وتحريفهم ، ولكن هذا الذي وجد بأيدي الناس » .

وقد لفت نظري مقال للدكتور آدم بيلو « حول الشعر التعليمي » المنشور في العدد ٥٢ من مجلة الجامعة الإسلامية ، وفيه يقول : إن جامع ديوان أبي العتاهية لويس شيخو قد أورد من أرجوزة أبي العتاهية المعروفة بذات الأمثال ما يقرب من الخمسين بيتاً ، وتذكرت أن الدكتور شكري فيصل قد أورد منها ثلاثمائة وعشرين بيتاً ، في كتابه : « أبو العتاهية : أخباره وأشعاره » المطبوع بجامعة دمشق سنة ١٣٨٤ ، وقد أخطأ مؤلف هذا الكتاب اللثام عن تحريفات الأب شيخو ، وقام بجهد مشكور في توثيق شعر أبي العتاهية معتمداً على مخطوطتين إحداهما في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، والأخرى في مكتبة توبنجن بألمانيا ، وهما نسختان مما جمعه ابن عبد البر ، ولما كان ابن عبد البر لم يقصد إلى جمع شعر أبي العتاهية كله ، فإن الدكتور شكري حرص على جمع أشعاره وأخباره من مختلف المصادر فجاء كتابه جامعاً موثقاً فيه الأمانة في النقل ، وإثبات الاختلاف في الرواية إن وجد .

وأما لويس شيخو فقد طمس عمل الحافظ ابن عبد البر ، فكتب عنوان الكتاب هكذا : ( الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية ) ، وكتب تحته : « نقلاً عن رواية النمري ، وكتب مشاهير الأدباء كالأصفهاني والمبرد وابن عبد ربه والمسعودي والماوردي والغزالي » .

وحين شرع الدكتور شكري يقابل بين مخطوطة الظاهرية وبين ما في مطبوعة الأب شيخو استرعى نظره أمر خطير ، يقول : « لفتني في شيء من عنف تحريفات غريبة وقعت عليها ، فلما مضيت أستقصي ، بدت لي هذه التحريفات وكأنها عمل مقصود » (٢) .

(١) منه نسخة مخطوطة جيدة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة . قمت بتصويرها سنة ١٣٩٠ . وفي نيتي نشرها محققة إن شاء الله .

(٢) بل هي مقصودة ، وجريمة تزوير صريحة .

وتبيّن للدكتور أن الأمر تجاوز التحريف إلى بتر بعض الآيات ذوات العدد من بعض القصائد ، يقول : « وذكرت حديث الشيخ شاكر رحمه الله وكنت أظن فيه بعض الحدة ، فإذا حديثه دون أن ينهض لهذا التضييل الذي انساقت إليه طبعة الأب شيخو . والتي أرادت أن تسوق إليه الناس في شيء كثير من الاستخفاف بكل أمانة العلم وخلق العلماء » (١) .

### نماذج من تحريفات الأب لويس شيخو :

ذكر الدكتور شكري فيصل عدة ملاحظات على مطبوعة شيخو : « الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية » ، ومنها :

١ - طمسه معالم عمل ابن عبد البر حين سكت عنه وأغفل التعريف به ، ولم يشر إلى ما أفاد منه ، وتعمد ألا يذكره بشهرته ابن عبد البر واكتفى بنسبته ( النمري ) ، والقارىء لا يدري أي نمري هو !

٢ - سكوته عن وصل الروايات والمقابلات بمصادرها ، مكثفياً بهذه المقالات الصماء ، روي له ، وفي رواية ، ويروي ، وفي مخطوطة من باريس .

٣ - طيه شعر أبي العتاهية الغزلي حيناً ، وتحريفه لبعضه حيناً آخر ، حذف القطعة خبر منه لأنه يجعل ( الحب ) ( ودأ ) ، والهوى نوى والجارية نديماً ، والوجه رأياً في مثل البيت التالي :

عزة الحب أرتيه ذلتي في هواه وله وجه حسن  
فيصبره إلى :

عزة الود أرتيه ذلتي في نواه وله رأي حسن

٤ - ولكن أعظم من ذلك إنما كان في هذه التحريفات التي تعمدتها وهي تتنوع : فتتناول الكلمة حيناً والجملة حيناً ، والشطر أو البيت كله مرة والآيات ذوات العدد في بعض الأحيان .

وهذه نماذج من كل نوع :

١ - في قول أبي العتاهية :

شهدنا لك اللهم أن لست والدأ ولكنك المولى ولست بمولود  
فقد حرف ( والدأ ) فجعلها ( محدثاً )

(١) أبو العتاهية ، أخباره وأشعاره ص ٧ .

٢ - وقوله :

ليت شعري كيف حالك يا نفس غدا بين سائق وشهيد  
فقد حرف التعبير القرآني سائق وشهيد إلى سابق وشهيد .

٣ - وقوله :

أسقام ثم موت نازل ثم قبر ونشور وجلب  
فقد حرف نشور إلى نزول .

٤ - وقوله :

إن العقول عن الجنان وحورهن لساهية  
وقد حرف حورهن إلى دورهن .

٥ - وقوله :

وإذا ذكرت محمدا ومصابه فاذكر مصابك بالنبي محمد  
فقد حرف البيت هكذا :

وإذا ذكرت العابدين وذلمهم فاجعل ملاذك بالإله الأوح  
فهو لا يطيق أن يرى لفظه ( محمد ) صلى الله عليه وسلم

٦ - وقوله :

الحمد لله الواحد الصمد هو الذي لم يولد ولم يلد  
فقد غير الشطر الثاني ليتسق مع عقيدته القائلة بأن المسيح ابن الله -  
إلى :

فهو الذي به رجائي وسندي

٧ - وإليك أيها القارئ الكريم تحريفاته في هذه القطعة :

يا بني آدم صونوا دينكم	ينبغي للدين ألا يطرح
واحمدوا الله الذي أكرمكم	بنبي قام فيكم فنصح
بنبي فتوح الله بسبه	كل خير نلتموه وشرح

مرسل لو يوزن الناس به	في التقى والخيرشالوا ورجح	غير مرسل إلى ابن من
فرسول الله أولى بالعلا	ورسول الله أولى بالمدح	

غير البيت هكذا :

## فنذير الخير أولى بالاعلا ونذير الخير أولى بالمدح (١)

٨ - وعندما لا يستقيم للأب لويس شيخو تغيير البيت يعمد إلى إسقاطه وحذفه ، ومما حذفه الأبيات التالية :

وهو الذى بعث النبى محمدا  
الحمد لله لا شريك له  
أين أين النبى صلى عليه الله  
بل هو يحذف الأبيات ذوات العدد ،  
هذه القصيدة التى يبلغ عدد أبياتها ٢٦ بيتاً :

صلى الإله على النبى المصطفى  
حاشا له أن يكون مشتركا  
من مهتد رشيد وهادى  
كصنيعه فى حذف الأبيات السبعة الأولى من  
ولا تنس قبراً بالمدينة ثاويها  
فقد كان مهدياً دليلاً وهادياً  
إذا كنت للبرّ المطهر ناسياً  
وأثاره بالمسجدين كما هيا  
وأكرمهم بيتاً وشعباً ووادياً  
عليه سلام الله ما كان صافياً  
ومن علم أمسى وأصبح عافياً

وبعد هذه الأبيات التى حذفها :

ركننا إلى الدنيا الدنية ضلة  
وإننا لنرمى كل يوم بعبرة  
نسرُّ بدارٍ أورثتنا تضاغنا  
إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى

وكشفت الأطماع منا المساويا  
نراها فما نزداد إلا تماديا  
عليها ، ودارٍ أورثتنا تعاديا  
تقلب عريانا وإن كان كاسيا

(١) انظر ص ١٠٠ من كتاب ( أبو العتاهية أخباره وأشعاره ) وقابلها بصحيفة ٦٧ من الطبعة المحرقة بعنوان ( شرح ديوان أبو العتاهية ) طبعة دار التراث بيروت وهي طبق الأصل من الأنوار الزاهية .

أخي كن على يأس من الناس كلهم      جميعاً وكن ما شئت لله راجياً  
ألم تر أن الله يكفى عباده      فحسب عباد الله بالله كافياً

والقصيدة رائعة يختتمها بقوله :

الإيها الباني لغير بلاغة (١)      الأ لخراب الدهر أصبحت بانياً  
الأ لزوال العمر أصبحت بانياً      وأصبحت مختالاً فخوراً مباحياً  
كأنك قد وليت عن كل ما ترى      وخلفت من خلفته عنك سالياً (٢)

اجل ، فالإنسان المغرور الغافل ، يدركه الموت ويترك ماله لوارثه الذي سرعان ما  
ينساه ويسلو عنه .

وأكتفي بهذه الأمثلة على تحريفات الأب لويس شيخو ، وهي نموذج لما يفعله متعصبو  
الصليبيين بالتراث الإسلامي .

### ٢ - المنجد في اللغة :

للأب يوسف معلوف وهو معجم مشهور متداول بين الناشئة . طبع للمرة الأولى سنة  
١٣٢٦ ( ١٩٠٨ م ) في ٧٣٧ ص بمطبعة الآباء اليسوعيين (٣) ثم تتابعت طبعاته ، وقد طبعت  
الطبعة السابعة عشرة سنة ١٣٧٦ ( ١٩٥٦ م ) بعنوان : ( المنجد في اللغة والأدب والعلوم ) ،  
وذكر في مقدمة هذه الطبعة ما أدخل عليه من التحسينات مثل طبع الكلمة ( الأم ) باللون  
الأحمر ، وإضافة المنجد في الأدب والعلوم للأب فرديناند تونل . وفي الطبعة الثالثة والعشرين  
سنة ١٣٩٨ ( ١٩٧٨ م ) عنون له : ( المنجد في اللغة والأعلام ) ، ومنذ الطبعة السابعة عشرة كان  
يراجعه عدد من الأساتذة منهم كرم البستاني ، والأب بولس موتراد ، وأنطوان نعمة وغيرهم .

وقد بلغت صفحات الطبعة الثالثة والعشرين للمنجد اللغوي ٩٦٦ ومع ( فرائد الأدب )  
تبلغ ١٠١٤ ( والمنجد في الأعلام ) ٨٠٠ صفحة مع ١٣٢ لوحة بالألوان و٦٨ خريطة جغرافية و٣٩  
خريطة بالألوان ، و٣٢ جدولاً و١٣٢٠ رسماً .

(١) أي حاجة كأنه ينظر لقوله صلى الله عليه وسلم ( عش في الدنيا كأنك غريب ) .

(٢) انظر القصيدة كاملة في ( أبو العتاهية أشعاره وأخباره ) ص ٤٣٣ - ٤٣٥ وقابل ذلك بـ ( شرح ديوان أبي العتاهية ) طبعة دار

التراث ببيروت بدون تاريخ وبلا ذكر المؤلف أو الشارح . وهي موافقة لطبعات ( الأنوار الراهية في ديوان أبي العتاهية ) الذي مسخه وحرفه

الأب لويس شيخو . وقد راج في لبنان في هذا العصر سرقة الطبعات بالتصوير . دون استئذان أصحاب الحق في الطبع والنشر والتأليف .

(٣) المعجمات العربية تأليف وجدي رزق غالي .



وتضمن المنجد في الأعلام ١٠٦٠٠ مادة ، منها ٥٩٤٠ عن العالم الإسلامي .

هذا هو ( المنجد ) المعجم الخطير بسبب حسن إخراجه وسهولة المراجعة فيه ، وما اتصف به من المزايا التي ذكرناها ، مما جعله يروج رواجاً عظيماً بين الدارسين من أبناء الأمة الإسلامية .

وترجع خطورته إلى ما تضمنه من أخطاء علمية وتاريخية متعمدة في كثير من الأحيان ، وفيه تحريفات ومطاعن في تاريخنا قد تخفى على الناشئة ، وقد تنبه لهذه الأخطاء طائفة من العلماء والباحثين .

أ ) فنشر العلامة عبد الله كنون الأمين العام لرابطة علماء المغرب سلسلة من المقالات في مجلة ( دعوة الحق ) المغربية انتقد فيها ٦٧٢ مادة .

ب ) وصدرت ثلاث مقالات للأستاذ منير العمادي في مجلة ( مجمع اللغة العربية ) و ( مجلة المعرفة ) بدمشق في نقده .

ج ) وفي سنة ١٣٨٩ صدر تقرير عن أضرار ( المنجد والمنجد الأبجدي ) للأستاذ سعيد الأفغاني رئيس قسم اللغة العربية بدمشق قدمه إلى رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر وكيل بجامعة دمشق ، بين فيه بعض عوراته ومثاله بأسلوب واضح وكلام مركز مبين .

د ) ونشر الأستاذ عبد الستار فرج السيد مقالين في مجلة ( العربي ) بين فيهما بعض نواقص المنجد وما فيه من عورات ومثالب ، وأورد أمثلة عديدة لما وقع فيه من تحريف للأسماء وتشويه للحقائق التاريخية ، وأخطاء بسبب الترجمة السيئة ، وعدم الرجوع إلى المصادر العربية ، وإهمال الكثير من الشخصيات العربية والإسلامية ، ومما قاله : « والمنجد في الأعلام المطبوع عام ١٩٦٩ ما هو إلا صورة للمنجد في الأدب والعلوم ، ولكنها صورة فيها أحياناً بتر وقبح ، أو مسخ كريبه ، أو صياغات أدت إلى خلل واضطراب .

هـ ) وتتبع العلامة الشيخ إبراهيم القطان في كتابه النفيس ( عشرات المنجد ) تحريفاته وأغاليطه حتى بلغت صفحات هذا الكتاب نيفاً وخمسين وستمائة صفحة ، وسار فيه على الخطة التالية :

ينقل نص ( المنجد ) أو يشير إليه مع ذكر رقم الصفحة ثم يذكر تعليقه عليه ، وإذا صحح الموضوع ، أو غير ، أو صحح بعضه في الطبعة الثانية من منجد الأعلام ، فإنه ينبه إلى ذلك ، وإذا بقي على خطئه لا يشير إليه إلا نادراً .

وكثيراً ما يشير في تصحيح الألفاظ اللغوية إلى ( المنجد ) حتى يعلم القارئ أن المصنف لم يراجع الكتب العربية مطلقاً بما في ذلك ( المنجد اللغوي ) .

وهذه نماذج من أخطاء المنجد وعثراته . في الطبعة الثانية التي أشرف عليها عدد من الأساتذة :

١ - قالوا في صفحة ٣٩٥ « الفضل بن الربيع عهد إليه الرشيد في بعض صلاحيات الوزارة بعد وفاة أمه . وزير للمأمون » .

فما هو المقصود بقولهم بعد وفاة أمه ؟ فهل كانت أمه تلي الوزارة . وعاد هو بعدها ؟ وأغرب من هذا وأعجب قولهم إنه وزير للمأمون . والمعروف بدون شك أن الفضل كان من أشد خصوم المأمون . وقد كان وزيراً للأمين . ولما استقر الملك للمأمون بعد مقتل الأمين استتر الفضل مدة . حتى عفا عنه المأمون وبقي مهملاً إلى أن مات .

٢ - تسمية الكتاب في الطبعتين الأوليتين ( المنجد في الأدب والعلوم ) تسمية خاطئة . لأن الكتاب معجم لبعض الأعلام والأماكن والكتب وليس فيه ذكر للأدب إلا عرضاً . وبعضها ذكر مشوهاً . كما عرّف علم الكلام بأنه ( علم القواعد الشرعية المكتسبة عن الأدلة ) وعرف علم الفقه بأنه ( علم تطبيق الأحكام الشرعية المستخرجة بالاجتهاد من القرآن والحديث على الأعمال البشرية والدينية ) . إلى غير ذلك من التشويه والتخليط دون الرجوع إلى المصادر الموثوق بها والنقل منها . لذلك عدل المشرفون على الطبعة الجديدة عن هذه التسمية وسموه ( المنجد في الأعلام ) .

٣ - وبالإضافة إلى الأخطاء والتحريف وتشويه الحقائق فإن في لغة المنجد عجمة ظاهرة أحياناً . وفيه عامية ولحن واضح في بعض المواد لا يقع فيها من كانت له أدنى معرفة باللغة العربية .

٤ - في الصفحة ٢٥٦ من حرف السين الطبعة الأولى « سفيان ( أبو ) ابن أمية القرشي . تاجر عادي النبي وحاربه في بدر وأحد . وقاد جناحاً من الجيش الكبير الذي ذهب لحصار المدينة في وقعة مؤتة . ثم اعتزل الحرب . وصالح محمداً في معاهدة الحديبية وسلمه مكة . توفي نحو ٦٥٢ » .

ويعلق مؤلف عثرات المنجد على هذه العبارة القليلة الأسطر مبيناً فيها الأخطاء التالية :

- أ ) إن أهم صفة تميز أبا سفيان أنه شيخ قريش وزعيمها في وقته لا أنه تاجر فقط .
- ب ) ومن المعروف بدهاءه أن أبا سفيان لم يشهد معركة بدر لأنه كان يقود العبر التي جاءت من الشام ونجاً بها إلى مكة .
- ج ) عندما جاء أبو سفيان لحصار المدينة كان هو قائد الجيش العام وكان ذلك في

غزوة الخندق سنة خمس من الهجرة . وهي غير غزوة مؤتة التي كانت سنة ثمان من الهجرة بين المسلمين والروم ، وشتان بين الخندق ومؤتة في الزمان والمكان .

( د ) لم يعتزل أبو سفيان الحرب مطلقاً ، وبقي معادياً للمسلمين إلى يوم فتح مكة حيث أسلم .

( هـ ) وفي صلح الحديبية لم يُذكر أبو سفيان مطلقاً ، وكانت المفاوضات بين سهيل بن عمرو العاصري عن المشركين وبين النبي صلى الله عليه وسلم .

٥ - ونختم هذه النماذج للتحريفات بما جاء في أول ( منجد الأعلام ) الطبعة التاسعة ( الثالثة والعشرين ) لمنجد اللغة :

« آدم : الإنسان الأول وأبو الجنس البشري . وعصى آدم وحواء أوامر الله فطردا من جنة الفردوس ، ولكنهما وعدا بمخلص هو المسيح » . ويعلق مؤلف ( عثرات المنجد ) بما يلي :

يجب أن يقال : هذا حسب اعتقاد المسيحيين ، وأما عند المسلمين فالأمر يختلف ، وذلك كما جاء في القرآن الكريم : ( وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ) إلى قوله : ( فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ) ( البقرة : ٣٥ - ٣٧ ) . فإن الخطيئة في اعتقاد المسلمين لا تورث ، وكل إنسان مسؤول عن عمله « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » النجم ٣٩ ، « ولا تزر وازرة زر أخرى » فاطر ١٨ ، « وكل نفس بما كسبت رهينة » المدثر ٣٨ . صدق الله العظيم .

هذا ولا يجوز أن يقتنى ( المنجد ) إلا ومعه ( عثرات المنجد ) حتى يتبين من يرجع إلى المنجد ما فيه من السموم والأخطاء .

وأخيراً فإني أهيب بأهل العلم ودارسي الأدب أن يقوموا بتمحيص الكتب التي وضعها أعداء الإسلام من اليسوعيين وأشباههم . مثل جورجى زيدان ، وخاصة الكتب التي تتناول بالبحث لغة القرآن ، وأدب العربية ، والتاريخ الإسلامى ، وتراجم أعلام المسلمين ، وينقدوها ويستخرجوا ما دسّه فيها مؤلفوها من سموم .

ومما يحزّ في النفس أن يُختار كتاب ( تاريخ الآداب العربية ) لجورجى زيدان الحاقده على الإسلام والمسلمين ، وكل آثاره شواهد على ذلك وخاصة سلسلة روايات تاريخ الإسلام ، يختار كتابه ، ويترك كتاب ( تاريخ آداب العرب ) في ثلاثة أجزاء للأديب المسلم النابغة مصطفى صادق الرافعي رحمه الله . وقد خصص الجزء الثاني لإعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، وكفانا انخداعاً بتملق بعض الأدباء والكتاب من النصارى ، فإن العربية أبت أن تتنصر كما قال العلامة الأديب محمد إسعاف النشاشيبي المقدسي - رحمه الله - .

## من لي بأخ ؟

من لي بأخ يبادلني الأخوة ؟

إذا لقيته سلم على ، وإذا دعوته أجابني ، وإن استنصرته نصرني ، وإن استقرضته أقرضني ، وإن افتقرت واساني ، وإن مرضت عادني ، فإن مت شهد جنازتي .

من لي بأخ إذا استنصحتني نصحتني ، وإذا نصحتني قبل مني فإذا تكرر نصحتني له لم تأخذ العزة بالإثم ، ولم يعاقبني بالاعراض عني وقطع علاقته معي .

من لي بأخ يقيّل عثرتي ، ويتجاوز عن خطيئتي ، وإذا قصرت في حقه لم يتنازل عن كريم أخلاقه فيقصر في حقي .  
من لي بأخ يتحسس ألامني ويتفقد أحوالي ، فيفهم مني بالتلميح فلا يضطرنني إلى التصريح .

من لي بأخ إذا أحسن إلى لم يستعبدني بإحسانه ، وإن بذل لم يكدر باظهار الفضل بذله ، ولم يبطل بالمن والأذى معروفه . وأشعرنني بتقصيره في حقي مواساة لي في عدم التحرج من الاستزادة من إحسانه .  
من لي بأخ إذا تفوقت عليه يشجعني وقدمني ، وافتخر بي ، فلم يحسدني .

من لي بأخ إذا لقيته استقبلني بالبشر والترحاب ، وإذا فارقته ودعني بالحفاوة والإكرام .

من لي بأخ يحب لي ما يحب لنفسه ، ويكرمني فيبلغ الإكرام منه أنه يؤثرني على نفسه .

أيها الأخ في الله . أين أجذك ؟ وكيف السبيل إليك ؟ فأنا واجد هائم ، شوقاً إلى مصاحبتك وتطلعاً إلى مؤاخذتك في دهر عز فيه الأخ المسلم الذي يعرف لأخيه حقوق الأخوة .

محمد طارق محمد صالح  
كلية القرآن الكريم

# الرَّسَائِلُ الحَرَبِيَّةُ في عَصْرِ الدَّوْلَةِ الأيوبيَّةِ للككتور محمد نغش

- ٣ - أستاذ مساعد بكلية الشريعة بالجامعة

ثلاث رسائل إلى الملك العادل عن انتصار الأسطول المصري في البحر الأحمر :  
أرسل السلطان صلاح الدين رسالة بقلم القاضي الفاضل إلى أخيه الملك العادل أبي بكر ، بشأن انتصار الأسطول المصري بقيادة أميره حسام الدين لؤلؤ على الأسطول الصليبي ، الذي جرؤ فعبّر مياه البحر الأحمر ، قاصدا مهاجمة مدينتي مكة والمدينة ، وذلك في شوال سنة ٥٧٨ هـ = فبراير ١١٨٣ م .

تبتدأ هذه الرسالة هكذا : « وصل كتابك المؤرخ بخامس ذى القعدة المسفر عن المسفر من الأخبار ، المتبسم عن المتبسم من الآثار ، وهي نعمة تضمنت نعمًا ، ونصرة جعلت الحرم حرما ، وكفاية ما كان الله ليؤخر معجزة نبيه - صلى الله عليه وسلم - بتأخيرها ، وعجبية من عجائب البحر التي يتحدث عن تسييرها وتسخيرها (١) » .

وقد راعى القاضي الفاضل في هذه المقدمة الالتزام بالجناس والسجع كعادته .

ثم يقول : « وما كان الحاجب لؤلؤ فيها إلا سهما أصاب وحمد مسدده ، وسيفا قطع وشكر مجرده ... ركب السبيلين : برا وبحرا ، وامتنطى السابقين : مركبا وظهرا ، وخطا فأوسع الخطو ، وغزا فأنجح الغزو (٢) » وهو يبدي إعجابه بالبسالة الحربية والتضحية المالية التي بذلها المسلمون .

ثم يحدثه عما يفعله مع الأسارى في هذه المعركة ، فيقول : « وأما هؤلاء الأسارى فقد ظهروا على عورة الإسلام وكشفوها ، وتطرقوا بلاد القبلة وتطوفوها ، ولا بد من تطهير الأرض

(١) أبو شامة ، الروضتين ج٢ ص ٣٦ .

(٢) أبو شامة ، الروضتين ج٢ ص ٣٦ .

من أرجاسهم ، والهواء من انفاسهم ، بحيث لا يعود منهم مخبر يدل الكفار على عورات المسلمين « (١) .

وفي نهاية الرسالة يحذر المسلمين بعد هذا الانتصار الباهر من مكر الصليبيين وغدرهم ، وهنا يحل حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .. ويقول : « ان اللدغة الأولى تكفى لمن له في النظر تفقه » .

ثم يرسل إليه كتاباً ثانياً والذي بين أيدينا منه قطعة فيها تهنئة بالظفر ، ثم يأمره بالاسراع بقتل الأسارى ، ليتعظ غيرهم بما نالهم ، فليس في قتل هؤلاء الكفار مراجعة ، ولا للشرع في إبقائهم فسحة ، ولا في استبقاء واحد منهم مصلحة (٢) . فالله قد أباح قتلهم لغدرهم ، وأن الغرض من ذلك تهديد غيرهم ، فالجرم الذي اقترفوه كبير ، لولا لطف الله العلى القدير .

ويلحق هذا الكتاب بثالث ، يستعجله فيه بضرورة القضاء عليهم ونصه : « قد تكرر القول في معنى أسارى بحر الحجاز ، فلا تذر على الأرض من الكافرين دياراً (٣) ، ولا توردهم بعد ماء البحر إلا نارا ، فأقلهم إذا بقى جنى الأمر الأصعب ، ومتى لم تعجل الراحة منهم ، وعدت العاقبة بالأشق الأتعب » (٤) .

وتنفيذا لأوامر السلطان صلاح الدين ، تولى الصوفية والفقهاء قتلهم (٥) جميعاً ، وهذه الرسائل الثلاث في قصرها تشبه البرقيات في عصرنا الحالي ، كما أنها تدل على حنكة عسكرية من السلطان صلاح الدين القائد المظفر ، إذ يرى ضرورة القضاء على هؤلاء الأسارى ، شارحاً في إيجاز الدواعى التى من أجلها يأمر بالقضاء عليهم ، وألا يستثنى من هذا الحكم أحداً منهم .

وقد اهتم المؤرخون بالاحتفاظ بالرسالة الأولى كاملة تقريباً ، أما الرسالتان التاليتان ، فقد احتفظوا بقطعتين منهما .

وكان لهذه السرعة وهذا الإيجاز أثرهما في أسلوب هذه الرسائل ، فالمقدمة في الكتاب الأول قصيرة ، وأرجح أن مقدمة الكتابين التالين كانت تنهج نفس السبيل ، ولم تسهب الرسالة الأولى في وصف سير المعركة ، وكذلك بالنسبة لوصف الأسارى والانتصار عليهم ، وطلب السلطان صلاح الدين القضاء عليهم .

(٤) أبو شامة ، الروضتين ج ٢ ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٥) أبو شامة ، الروضتين ج ٢ ص ٣٥ .

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) أبو شامة ، الروضتين ج ٢ ص ٣٦ .

(٣) سورة نوح آية ٢٦ .

وفي الكتابين التاليين في القطعتين الباقيتين عبارات قصيرة ، تنصب كلها على الهدف المباشر وهو التخلص من الأسارى في كلمات قليلة واضحة ، ولم يلجأ القاضي الفاضل فيها إلى استعارة أو كناية ، فالوقت لا يسمح بذلك ، هذا بخلاف ما سنجد في كتبه إلى الخليفة في هذا الموضوع .

### كتابان إلى الخليفة في بغداد بشأن الموقعة السابقة :

في كتاب الروضتين قطعتان من رسالتين ، أرسلهما السلطان صلاح الدين إلى الخليفة في بغداد ، بشأن انتصار الأسطول المصري في البحر الأحمر سنة ٥٧٨ هـ = ١١٨٣ م . والذي قد سبق أن كاتب أخاه الملك العادل عنه .

في القطعة الأولى : يذكر السلطان صلاح الدين للخليفة تفصيلات المعركة الحربية ، ويكشف عن مخططات العدو الغادر ، وما لحقه من هزيمة منكرة : « كان الفرنج قد ركبوا من الأمر نكرا ، وافتضوا من البحر بكرا ، وعمروا مراكب حربية شحنها بالمقاتلة والأسلحة والأزواد ، وضربوا بها سواحل اليمن والحجاز ، واثخنوا وأوغلوا في البلاد » (١) .

فقد قطع أرناط غابات إقليم الكرك وأكثر نخيل العريش ، وحمله إلى حصن الكرك ، وعهد إلى دير الرهبان بصنع بعض المراكب (٢) ، كما عهد إلى صليبي عسقلان بصنع البعض الآخر ، حتى توافر لديه خمس سفن حربية كبيرة ، وعدد كبير من المراكب الخفيفة ، ونقلها جميعها مفككة على جمال البدويين إلى الساحل بعد أن أغراهم بالمال (٣) ، ثم ركب المراكب ودهنها باللون الأسود وشحنها بالرجال وآلات القتال (٤) ، وأوقف منها مركبين على جزيرة قلعة أيلة ، تمنع أهلها استقاء الماء ومضى الباقون في مراكبهم إلى عيذاب (٥) ، وفي البر سير أرناط عسكريه إلى تبوك ليحول دون وصول أى مدد عسكري يطلبه نائب القلعة من الشام أو مصر .

واتخذ أرناط سبيله في البحر سلبا ونهبا حتى وصل إلى عيذاب ، وربما وصلت حملته جنوبا إلى باب المنذب حتى عدن (٦) .

(١) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٢٧ .

(٢) ابن فضل الله : التعريف ص ١٩٣ ، والمقريري : السلوك ج ٣ ص ٧٤ .

(٣) Lane- Poole : Saladin . P. 175 , Fuller : Decisive Battles . P.234 9

(٤) Lamb : The Flame of Islam . P. 59 .

(٥) Lamb : Op. cit. P. 59 .

(٦) المقريري : السلوك ج ١ ص ٨٨ .

واشتدت مخافة المسلمين على مقدساتهم الدينية، خاصة لما أحدثه الصليبيون في طريقهم من حوادث شنيعة .

فقد أحرق الصليبيون نحو ستة عشر مركبا للمسلمين ، وأخذوا عند عيذاب مركبا يأتي بالحجاج من جدة ، ومركبين آخرين كانا مقبلين بتجار وبضائع من اليمن ، وأحرقوا أطعمة كثيرة على ساحل عيذاب ، كانت معدة لمسيرة مكة والمدينة ، هذا فضلا عن حوادث القتل والأسر والتنكيل والإرهاب التي ارتكبوها في البر والبحر (١) .

وكان الأخ سيف الدين بمصر ، قد عمر مراكب ، وفرقها على الفرقتين ، وأمرها بأن تطوى وراءهم الشقيتين (٢) .

فقد بعث السلطان صلاح الدين إلى أخيه ونائبه بمصر الملك العادل أبي بكر بن أيوب بتعمير الأسطول في مصر والإسكندرية ، وقام العادل على تنفيذ تعليمات السلطان صلاح الدين خير قيام ، فسافر إلى السويس بعد أن عهد إلى قائد الأسطول الشيخ حسام الدين لؤلؤ بحمل المراكب مفككة على الجمال إلى تلك المدينة ، وهناك أشرف على تركيبها في رمضان ٥٧٨ هـ = يناير سنة ١١٨٣ م وتعميرها بالرجال ذوى التجربة في شؤون البحر وبخاصة المغاربة منهم .

ثم يأتي وصف المعركة ، فقد فرق لؤلؤ الأسطول إلى فرقتين ، فصارت الأولى إلى قلعة أيلة ، واستولت على مراكب العدو برمتها ، وقتلت أكثر مقاتلتها إلا من تعلق بهضبة من الهضاب ، أو دخل في شعب من الشعاب ، وأولئك اقتفى العربان آثارهم ، والتزموا إحضارهم ، فلم ينج منهم إلا القليل .

أما الفرقة الثانية فذهبت إلى عيذاب ، وأطلقت المأسورين من المسلمين ، وردت عليهم ما سلب منهم ، ولم تجد الصليبيين هناك ، ثم رجع لؤلؤ إلى رابع ، وأدرك بعض الصليبيين معتمسين بساحل الحوراء (٣) ، وكان عددهم ثلاثمائة ونيف رجل ، انضم إليهم عدة من العربان ، وعندما لحقهم لؤلؤ فرت العربان خوفاً من سطوته ، والتجأ الصليبيون إلى رأس جبل صعب المرتقى ، وركب عشرة من المسلمين ورائهم خيل العرب (٤) ، يقتنصونهم أسرى وقتلى .

(١) المقرئى : الخطط ج ٤ ص ١٣٩ ، والسلوك ج ١ ص ٧٨ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٣٧ .

(٣) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٣٥ ، ابن خلدون : ج ٥ ص ٣١٩ .

(٤) ابن أبيك ، درر التيجان تحت أحداث سنة ٥٧٨ هـ ، والخطط المقرئية ج ٣ ص ١١٨ .



وما زال لؤلؤ وأتباعه يتبعونهم ليل نهار ، حتى أدركهم بعد خمسة أيام على مسافة يوم من المدينة فأسلموا أنفسهم له ، وعاد بهم لؤلؤ إلى مصر وفي أرجلهم القيود (١) .

وتدور القطعة الثانية حول وصف سير المعركة الحربية ، وتنقلها من بلد إلى بلد ، وهي تتعقب الأسطول الصليبي ، موقعة به الهزيمة الواحدة تلو الأخرى .

تمتاز المكاتبات إلى الخليفة بالطول بخلاف مكاتباته في هذا الشأن لأخيه الملك العادل ، فالقطعتان اللتان بين أيدينا يجنح فيهما القاضى الفاضل إلى تفصيل الأمور ، ويلجأ إلى المحسنات البديعية وعلى قمتها الاستعارة والكناية .

ويحلل كذلك الناحية النفسية للمسلمين تجاه هذه الحملة الغادرة ، فيقول : « واشتدت مخافة أهل تلك الجوانب بل أهل القبلة لما أومض إليهم من خلل العواقب ، وما ظن المسلمون إلا أنها الساعة ، وقد نشر مطوى منشور بساطها . وانتظر غضب الله لفناء بيته المحرم ، ومقام خليله الأكرم ، وتراث أنبيائه الأقدم ، وضريح نبيه الأعظم -- صلى الله عليه وسلم -- ورجو أن تشهد البصائر آية كآية هذا البيت ، إذ قصده أصحاب الفيل ، ووكلوا إلى الله الأمر ، وكان حسبهم ونعم الوكيل » ( ٢ ) .

وهو كما نرى يلجأ إلى القرآن الكريم وإلى الصور الدينية ليرسم لنا انتصار المسلمين بعون الله في معاركهم الحربية ، وهاهو يختم هذه الفقرة بقوله تعالى : ( وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ) ( الزمر : آية ٧١ ) . يكنى بذلك عن قهر المسلمين لأعدائهم الصليبيين قتلا وأسراً .

### رسالة تهنئة بفتح مدينة عسقلان ( ٣ ) :

أرسل القاضى الفاضل هذه الرسالة إلى حسام الدين بن لاجين ( ٤ ) ، وهو يستهل الرسالة بآية يشكر فيها ربه ، على ما أنعم به من فتح هذه المدينة ، وعلى أنها خلت من شركيها وكفارها ، الذين كانوا يحتلونها ، فقد نصبت أعلام الإسلام على أبراجها وأسوارها ،

( ١ ) الخطط القريرية ج ٣ ص ١٣٩ .

( ٢ ) أبو شامة : الروضين ج ٢ ص ٣٧ .

( ٣ ) عسقلان مدينة واقعة على ساحل فلسطين جنوبا ( ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١٧٤ ) .

( ٤ ) حسام الدين بن لاجين ، محمد بن عمر بن لاجين ، توفي سنة ٥٨٧ هـ = ١١٩٢ م ، والدته ست الشام بنت الأمير ناصر الدين

محمد ، صاحب حمى ( ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٤٦ ) .

وكبر المكبرون والمؤذنون في أقطار أرجائها ، وزالت سمة الصليبان عن جهاتها وأنجائها ، ورحل الناقوس عن فنائها ، وعوض جامعها منها بمنبره ( ١ ) .

فقد اجتمع السلطان صلاح الدين بأخيه الملك العادل وولده العزيز عثمان على عسقلان في ١٦ جمادى الآخرة ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م ، وضرب عليها الحصار ، حتى سلمت يوم ٢٥ جمادى الآخر = ٧ سبتمبر ، وخرج أهلها بأموالهم سالمين إلى بيت المقدس ، بعد حصار دام أربعة عشر يوماً ( ٢ ) .

ويشبه القاضي الفاضل فتحها على يد السلطان صلاح الدين ، بفتحها على يد عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين ، فإنه لما دنت منها جيوش الإسلام الناصرية ، فر الصليبيون فرار النمل خوفاً وفزعاً ، ولجأوا إلى الانحصار خلف الجدار ، فماذا حدث ؟ يقول : نصبنا عليهم حينئذ آلات القتال ، وأذقناهم من طعم الطعن شديد الوبال ، وأنزلنا عليهم غاشية ( ٣ ) من عذاب الله لا تستدرك ولا تستقال ( ٤ ) .

ثم أخذت جنود المسلمين تثقب في عقبها حتى هدمت وانمحت ، وخربت الأبراج ، واستباح الحصن الذي كان حصينا ، وطالما أعجز الأيام والأنام قهره .

وهنا يلجأ الصليبيون إلى المصالحة وطلب الأمان ، ويقبل المسلمون الصلح صيانة للمدينة من تخريب الناهبين ، وحفظاً لأبناء المسلمين .

وكعادة القاضي الفاضل في رسائله عن الانتصارات الحربية يمدح الإسلام والمسلمين المنتصرين ، ويذم الكفر والصليبيين المنهزمين ، ويجنح إلى الاستعارة كقوله : « فمازالت سهامها ترcek ، وأحجارها تسجد » ( ٥ ) .

كما أنه يلجأ إلى إثبات تواريخ تحرك الجيش والانتصارات التي يحرزها مثل قوله : « وجملة الأمر أن النزول عليها كان عشية الأحد السادس عشرة جمادى الآخرة .

ونصبت الآلات يوم الثلاثاء ثامن عشرة ، ووقع تقوب الباشورة الكبرى يوم الأربعاء تاسع عشرة ، وتسلم المدينة ونصب الأعلام عليها يوم السبت التاسع والعشرين ( ٦ ) منها » . وهذا يضيف إلى الرسالة أهمية تاريخية ، ونلاحظ أنه تخلى عن السجع ليثبت هذه التواريخ .

( ١ ) من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٧٠ .

( ٢ ) الحنبلي : شفاء القلوب ص ٣٤ . King : The Knights Hospitalen P. 130 .

( ٣ ) الغاشية : العقوبة .

( ٤ ) من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٩١ .

( ٥ ) من ترسل القاضي الفاضل اللوحة ٩١ .

( ٦ ) نفس المرجع السابق .

وبعد هذا يقول: « هذا من فضل ربي ليبلونى أشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن ربي غنى كريم » ( ١ ) . وهو يقتبس من القرآن الكريم ليضفى على رسالته قوة الإيمان وجمال الأسلوب .

### الرسائل عن فتح القدس :

صدرت الرسائل عن فتح القدس ، سواء قبل الفتح أو بعده ، إذ أن المعركة التي خاضها المسلمون لفتح القدس ، والتي تعرف بموقعة حطين المشهورة ، تعد الموقعة الفاصلة ، التي انتصر فيها السلطان صلاح الدين على الصليبيين .

وقد أرسل السلطان صلاح الدين إلى بعض إخوانه ، وهو يجمع الجموع ، ويحشد الحشود في سنة ٥٨٢ هـ = ١١٨٧ م ، استعدادا لهذه الموقعة ، جاء فيها : « كتبت هذه المكاتبة من جسر الخشب ظاهر دمشق ، وقد زود السلطان أعز الله أنصاره للغزاة إلى بلاد الكفر ، في عسكر فيه عساكر ، وفي جمع البادى فيه كأنه حاضر ، وفي حشد يتجاوز أن يحمله الناظر ، إلى أن يحمله خاطر ، وقد نهضت به همة لا يرجى غير الله لانهاضها ، وحجبت به عزمة الله المسؤول في حسم عوارض اعتراضها ، وباع الله نفسا يستمتع أهل الإسلام بصفتها ، ويذهب الله الشرك بهيبتها » ( ٢ ) .

هذه الرسالة لم تصلنا كاملة ، وهذه القطعة التي بين أيدينا جاء في نهايتها دعاء للقاضي الفاضل بأن تكون موقعة القدس الفاصلة في المعارك الدائرة بين المسلمين والصليبيين ، وأن تستريح النفوس بهذا النصر .

ويرسل السلطان صلاح الدين في سنة ٥٨٣ هـ = ١١٨٨ م رسالة إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله يبشره بهذا الانتصار الرائع .

وهذه الرسالة تعد أهم الرسائل الديوانية في عصر الدولة الأيوبية ، لأنها تحمل البشرى إلى الخليفة العباسي بفتح القدس ، الذي كان لفتحه رنة فرح في العالم الإسلامي كله .

ولفتت هذه الرسالة نظر الباحثين في العصر الحديث ، فاستشهدوا بها في كتاباتهم عن العصر الأيوبي ، وعن أساليب الكتابة فيه ، فمنهم الدكتور شوقي ضيف الذي يصف هذه

( ١ ) سورة النمل آية ٤٠ .

( ٢ ) أبو شامة ، الروضتين ج ٢ ص ٧٥ .

الرسالة بأنها أروع أثر أدبي عنى القاضى الفاضل به وبتدبيره (١) . ومنهم الدكتور عبد اللطيف حمزة الذى تناول موضوع الرسالة بالتفصيل . وركز تحليله بأنها تشتمل على وصف الحرب وآلاته وخاصة المنجنقات . ثم ما ترتب عن هذه الواقعة من آثار . كما أنه اهتم بإظهار الصور البلاغية فيها (٢) . وكذلك ركز الأستاذ أنيس المقدسى على شرح أسلوب القاضى الفاضل من الناحية البلاغية (٣) .

يصف القاضى الفاضل العدو فى هذه الرسالة بأنه فى خوف وفزع . وسلاحه أصبح بلا جدوى . سيفه كالعصا . وصرعت عدده وكان الأكثر عددا وحصى . وكلت حملاته . وعثرت قدمه . والقاضى الفاضل يشخص ضعف أسلحته . فالسيف قد نام جفنه . والرماح جدعت أنوفها . فطهرت الأرض المقدسة من رجسهم . وأصبحت بيوت المشركين متهدمة . وأصبحت نيوبهم متكسرة . وقد أجمعت جيوشهم على تسليم البلاد . وأذعنوا لكل ما طمع المسلمون فيه من شروط . فلم تنجحهم سيوفهم . ولا وسعتهم دورهم وأفنيتهم . وضربت عليهم الذلة والمسكنة .

ويصف لقاء السلطان صلاح الدين الاعداء ونصر الله له . فقد أمكنه من تقتيلهم وأسر بعضهم . والاستيلاء على أسلحتهم . ففى هذه المعركة أصابت سيوف المسلمين التفلق . والرماح تكسرت . وانطلقت السهام من أقواسها لتنهش فرسان المشركين وشجعانهم . وأسر ملكهم ومعه صليب الصلبوت . الذى كانوا يقاتلون تحته أصلب قتال وأصدقه . ويرونه ميثاقا بينون عليه أشد عقد وأوثقه . وكذلك أسر المسلمون ساداتهم . ولم يفلت منهم إلا القومص بحيلته ومكره . ولكن أدركته المنية بعد أيام من هربه .

ثم يلى هذا اللقاء الذى انكسرت فيه شوكة الأعداء . أن تسقط البلاد فى يد السلطان صلاح الدين بلدا بلدا . وترتفع الراية العباسية خفاقة عالية . وتبدل المذابح منائر والكنائس مساجد .

ويبقى القدس وقد اجتمع فيه كل شريد من الأعداء وطريد . واعتصم بمنعتها كل قريب منهم وبعيد . وظنوا أنها من الله مانعتهم . وأن كنيستها إلى الله شافعتهم .

(١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى ص ٢٧١ .

(٢) الأدب المصرى ص ١٨١ . ١٨٥ .

(٣) تطور الأساليب النثرية ص ٢٩٣ . ٢٩٤ .

وبالرغم من استماتة الأعداء في القتال وتكاثرهم ، واتخاذهم الأسوار المنيعة والأبرجة المنيفة ، والأودية العميقة ، والأماكن الوعرة الحصينة ، فقد نفذ السلطان برجاله إليهم ، وأحاط بهم ، فأخذوا يرأسونه بقصد مراوضته حتى تصلهم النجدة ، ولكنه كشف حيلتهم ، وأنزل الهزيمة الساحقة بهم ، إذ أخذت المنجنيقات تضرب في جوانب السور ، كما انطلقت سهامها تتخلل شرفاته كما يتخلل السواك ثنايا الفم ، وكان المنجنيق في أثناء ذلك كله يعلو في السماء حيناً ، وينخفض إلى الأرض حيناً كأنه النسر ، واستطاع المنجنيق كذلك أن يشق فتحات الأبراج التي تتخلل الأسوار جميعها من الناس ، كما خلا ميدان القتال نفسه من الجند ، أما النقبون فقد استطاعوا أن يكشفوا النقب عن هذه الحرب الزبون ، وأن يدكوا هذه الحصون حتى عادت سيرتها الأولى من الطوب والحجارة ، ثم عاد المنجنيق إلى تلك الصخور التي أمامه بمعوله طحنا ، ومازال يضربها ضرباً حتى لم يعد لها أثر .

وسمعت الصخرة الشريفة لتلك الصخور أنينها واستغاثتها وحنينها ، فرقت لها ، وعجبت لخرابها ، وعاد النقبون ففتحوا أبواباً أخرى في السور أيأست العدو من النجاة ، وصاح الكاتب عندها : واحسرتاه ( ١ ) .

عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم :

« الطُّهُرُ شَطْرُ الإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالصَّلَاةُ نَوْرٌ ، وَالصَّدَقَةُ بَرَهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو ، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مَوْبِقُهَا » .

( أخرجہ مسلم )

( ١ ) الدكتور عبد اللطيف حمزة - الأدب المصرى ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

# الخبيرة أم الخبائث

للشيخ عبد الفناح عثماوى  
المدرس في كلية الشريعة

مما لا شك فيه أن سعادة الإنسان مرتبطة بعقله . والعقل من الإنسان كالقطب من الرحى أو الشمس من الكون أو الروح من الجسد .

به يعرف الخير من الشر والضرار من النافع والهدى من الضلال . وبه رفع الله شأن الإنسان . ففضله وكرمه على كثير من خلقه . خاطبه وكلفه واستخلفه في الأرض وجعله مسؤولاً أمامه عما يأتى : وعما يذر .

وحفظاً لهذه النعمة الكبرى حرم الله عليه أن يندفع مع شهوته الفاسدة إلى تناول ما يفسد تلك النعمة أو يضعفها . فيحرم من أثارها الطيبة وينزل عن المكانة السامية التي وضعه الله فيها .

ومن أجل ذلك حرم الله الخمر .

التدرج في تحريمها :

وقد كان الناس يشربون الخمر حتى هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة فكثير سؤال المسلمين عنها وعن لعب الميسر لما كانوا يرون من شرورهما ومفاسدهما . فأنزل الله عز وجل :

« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » سورة البقرة آية ٢١٩ .

أى أن في تعاطيهما ذنباً كبيراً . لما فيهما من الأضرار والمفاسد الجسدية والدينية . وأن فيهما كذلك منافع للناس . وهذه المنافع مادية وهى الربح بالاتجار في الخمر وكسب المال دون عناء في الميسر . ومع ذلك فإن الإثم أرجح من المنافع فيهما . وفي هذا ترجيح لجانب التحريم وليس تحريماً قاطعاً ، وتسابق الكثير إلى تركها اكتفاءً بترجيح المعنى للترك .

ثم نزل بعد ذلك التحريم القاطع أثناء الصلاة تدرجاً مع الناس الذين ألفوها وعدوها جزءاً من حياتهم قال الله ( سبحانه وتعالى ) :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ ( سورة النساء آية ٤٣ .

وكان سبب نزول هذه الآية أن رجلاً صلى وهو سكران فقراً : « قل يا أيها الكافرون . أعبد ما تعبدون .. » إلى آخر السورة بدون ذكر النفي . وكان ذلك تمهيداً للبت في أمرها ، ثم نزل حكم الله بتحريمها نهائياً . قال الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » سورة المائدة : آية ٩١ .

فقال عمر رضی الله عنه : انتهينا يا رب ، فقد كان هو صاحب هذه الدعوة المجابة .

وقد احتوت الآية على جملة من أساليب التحريم القوية القاطعة .

فأولاً : نظمت الخمر مع مظاهر الشرك في توحيد الله وعبادته وهى الأنصاب . والأزلام في سلك واحد .

« إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام » .

ثانياً : وصفت الجميع بأنه ( رجس ) واستخدمت كلمة ( إنما ) الدالة على أنه لا صفة لها سوى الرجسية . وبتتبع كلمة ( رجس ) في القرآن الكريم لم نجد لها إلا عنواناً على ما اشتد قبحه وعظم عند الله جرمه .

قال تعالى : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » .

« فزادهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون » .

« كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » .

« فأعرض عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون » .

« أو لحم خنزير فإنه رجس » .

وهكذا اندرج شرب الخمر مع الكفر والكافرين وعبادة الأوثان تحت كلمة ( رجس ) .

ثالثاً : وصفت الآية الخمر بأنها من عمل الشيطان وهو كناية في اللسان العربي وفي الأسلوب القرآني على غاية الفحش ونهاية الشر .

رابعاً : أمرت الآية باجتنابه ومعناه أن تكون الخمر في جانب والمؤمن في جانب ناء منها بحيث لا يقربها فضلاً عن أن يتصل بها فضلاً عن أن يتناولها .

خامساً : علقت الآية على اجتنابه رجاء الفلاح . والفلاح يتضمن السلامة من الخسران والحصول على خيري الدنيا والآخرة وأرشد ذلك إلى أن الاقتراب من الخمر يوقع في الخسران العام المطلق .

سادساً : أرشدت الآية إلى أثره السيء في علاقة الناس بعضهم مع بعض ، بقطع الصلات . ويعد لسفك الدماء . وانتهاك الحرمات التي عظمها الله .

« إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر » .

سابعاً : سجلت الآية أن من أثار الخمر بعد هذا الضرر الاجتماعي ضرراً آخر روحياً يقطع صلة الإنسان بربه . وينزع من نفسه تذكر عظمة الله عن طريق مراقبته بالصلاة الخاشعة . وتذكر جماله وجلاله ، وذلك بما يترك في القلب من قسوة وفي النفس من دنس .

« ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة » .

وأخيراً تختم الآية هذه الجهات كلها بهذا الاستفهام التقريري الدال على غاية التهديد .

« فهل أنتم منتهون » . أى انتهوا وإلا ، وإلا فعقاب ما حق لمن لم ينته ، تلك أساليب التحريم التي تضمنتها آية الخمر وانه لفي الواحد منها ما يملأ قلب المؤمن بربه رهبة من غضبه إذا ما حدثته نفسه أن يقترب من الخمر بما يلوث من نتنه ؛ وهذه الآية آخر ما نزل في حكم الخمر وهي قاضية بتحريمها تحريماً مُرهباً .

وأخرج عبد الله بن حميد عن عطاء قال :

أول ما نزل من تحريم الخمر : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » .

فقال بعض الناس : نشرها لمنافعها ، وقال الآخرون : لا خير في شيء فيه إثم .



ثم نزلت : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » .

فقال بعض الناس : نشربها ونجلس في بيوتنا . وقال آخرون : لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة مع المسلمين . فنزلت : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » . فهاهم فأنتهوا . وكان هذا التحريم بعد غزوة الأحزاب .

وعن قتادة : أن الله حرم الخمر في سورة المائدة بعد غزوة الأحزاب وكانت غزوة الأحزاب سنة أربع أو خمس هجرية .

وذكر ابن إسحاق أن التحريم كان في غزوة بني النضير وكانت سنة أربع هجرية على الراجح .

### تشديد الإسلام في تحريم الخمر :

وتحريم الخمر يتفق مع تعاليم الإسلام التي تستهدف إيجاد شخصية قوية في جسمها ونفسها وعقلها . وما من شك في أن الخمر تضعف الشخصية وتذهب بمقوماتها ولا سيما العقل .

وإذا ذهب العقل تحول المرء إلى حيوان شرير وصدر عنه من الشر والفساد ما لا حد له . فالقتل والعدوان والفحش وإفشاء الأسرار وخيانة الأوطان من آثاره . وهذا الشر يصل إلى نفس الإنسان وإلى أصدقائه وجيرانه وإلى كل من يسوقه حظه التمس إلى الاقتراب منه .

فعن علي كرم الله وجهه : أنه كان مع عمه حمزة وكان له شارفان ( ناقتان مستتان ) أراد أن يجمع عليهما الإذخر . وهو نبات طيب الرائحة . مع صائغ يهودى ويبيعه للصواغين ليستعين بشمنه على وليمة فاطمة رضی الله عنها . عند إرادة البناء بها .

وكان عمه حمزة يشرب الخمر مع بعض الأنصار ومعه قينة تغنيه فأنشدت شعراً حثته به على نحر الناقتين . وأخذ أطايبهما ليأكل منها . فثار حمزة وقطع أسنمتها وأخذ من كبديهما فلما رأى على ذلك تألم ولم يملك عينيه وشكا حمزة إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فدخل النبي صلى الله عليه وسلم . على حمزة ومعه على وزيد بن حارثة . فتغيظ عليه

وظفق يلومه - وكان حمزة ثملاً احمرت عيناه . فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ولمن معه : وهل أنتم إلا عبيد لأبي .

فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم أنه ثمل . نكص على عقبيه القهقري وخرج هو ومن معه .

هذه هي آثار الخمر حينما تلعب برأس شاربها وتفقده وعيه ولهذا أطلق عليها الشرع أم الخبائث .

ومما يروى من آثار الخمر . أن قيس بن عاصم المنقري كان شراباً لها في الجاهلية ثم حرمها على نفسه . وكان سبب ذلك أنه غمز عكنة ابنته وهو سكران . وسب أبويه ورأى القمر فتكلم بشيء وأعطى الخمار كثيراً من ماله فلما أفاق أخبر بذلك وحرمها على نفسه وفيها يقول :

رأيت الخمر سالحة وفيها	خصال تفسد الرجل الحليماً
فلا والله أشربها صحيحاً	ولأشقى بها أبداً سقيماً
ولا أعطى بها ثمناً حياتي	ولا أدعو لها أبداً نديماً
فإن الخمر تفضح شاربها	وتجنبهم بها الأمر العظيماً

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل :

« الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر . ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته » .

- رواه الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عمرو . وكذا من حديث ابن عباس بلفظ - « من شربها وقع على أمه » - .

وكما جعلها أم الخبائث أكد حرمتها ولعن بتعاطيها وكل من له صلة واعتبره خارجاً عن الإيمان .

فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« لعن في الخمر عشرة : عاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة إليه . وساقها ، وبائعها ، وأكل ثمنها ، والمشتري لها ، والمشتري له ) رواه ابن ماجه والترمذي . وقال حديث غريب .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
« لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ،  
ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .  
وجعل جزاء من يتناولها في الدنيا أن يحرم منها في الآخرة لأنه استعجل سيئاً فجوزي  
بالحرمان منه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب لم يشربها  
في الآخرة وإن دخل الجنة » .

### السنة والإجماع في تحريم الخمر :

جاء في السنة النبوية تأكيد تحريم الخمر عينا بأحاديث عديدة ثابتة .  
مثل قوله صلى الله عليه وسلم « حرمت الخمر بعينها والسُّكْرُ من كل شراب » ويروى  
« لعينها » ويروى ( بعينها قليلها وكثيرها » (١) .

وقوله عليه الصلاة والسلام « من شرب الخمر فاجلدوه » .  
ولقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم تحريم الخمر بأخبار تبلغ بمجموعها رتبة  
التواتر .

وأجمعت الأمة من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا على  
تحريمها . وبذلك استقرت الحرمة حكماً للإسلام وصارت حرمتها من المعلوم من  
الدين بالضرورة . ومن لوازم ذلك أن من استحلها وأنكر حرمتها يكون خارجاً من الإسلام .  
وإن من يتناولها طائعاً مختاراً مقرأً بحرمتها يكون فاسقاً عن أمر الله . خارجاً على حدوده  
عاصياً لأحكامه .

ولا خلاف في هذا لأحد من ذوى الفهم في النصوص والأحكام سواء أخذت شرباً أو  
بطريق آخر .

وبعد هذا كله ما ژلنا نجد بعض الناس يقولون بأنه لم يرد نص صريح في تحريم  
الخمر فلم يأت : حرمت عليكم الخمر . كما جاء في القرآن : « حرمت عليكم الميتة » .

(١) اللفظ الأول رواه العقيلي عن علي وأعله بمحمد بن القرات . ورواه النسائى والبخارى والدارقطنى وأبو نعيم عن ابن

عباس موقوفاً : ( مجمع الزوائد ٥ / ١٥٣ )

ونقول لهؤلاء : إن تحريم الخمر في القرآن تحريم قاطع لا شك فيه ولا يصح الجدل حوله بل إن قول الله سبحانه « فاجتنبوه » أقوى وأبلغ وأشد تحريماً مما لو قال سبحانه وتعالى : حرمت عليكم الخمر . بل إنه حرم حملها والجلوس على مائدة يتناول فيها الخمر . والجلوس مع من يتناولها . والاقتراب منها بأى شكل كان .

يلاحظ مثلاً ومنذ بدء الخليقة أن الحق سبحانه حين قال لآدم كل من كل شيء في الجنة ولا تأكل من هذه الشجرة .

قال لآدم وحواء وهو يأمرهما بالامتناع عن الأكل من الشجرة المحرمة « لا تقربا هذه الشجرة » لم يقل لهما : لا تأكلان من هذه الشجرة وإنما قال لا تقربا هذه الشجرة . ما الفرق بين أن يقول سبحانه وتعالى لا تأكل من هذه الشجرة . وأن يقول لا تقربا هذه الشجرة ؟

فكان محارم الله يجب أن يبتعد عنها وعن نطاقها . لا تقترب أبداً لأن القرب منها قد يغري الإنسان بها قد تفتح باب الشيطان في نفس الإنسان فيقع في المعصية .

إذن لا تقربا هذه الشجرة ( أبلغ وأشد في الإحتياط من . لا تأكلها منها ، لأنه ، إذا كان الله سبحانه وتعالى قد قال : لا تأكلها ، لكان من الممكن أن يذهب الإنسان إلى الشجرة ويجلس بجوارها ويتغزل في محاسنها وينظر إلى ثمارها بحسرة ولكنه لا يأكل منها وحينئذ لا يكون مخالفاً لأمر الله . ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجنب البشر ذلك الذي يقربهم من المعصية وتفتح في نفوسهم باب الشيطان ..

ومن هنا حين قال لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة كان يعني لا تقربا منها أبداً - لأن القرب منها بداية المعصية وفتح الباب أمام هوى النفس وإغراء الشيطان ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

ولذلك يلاحظ في القرآن أن كل شيء محرم يقول الله سبحانه وتعالى « تلك حدود الله فلا تقربوها » لكن في المحللات يقول : « فلا تعتدوها » تتجاوزوها .

وتقول لمن يردد أن الخمر لم يرد فيها نص تحريمي كما حرم الله الميتة والدم ولحم الخنزير نقول لهم : إنكم لم تفهموا مدلولات اللغة ولا مدلولات القرآن الكريم .

فالاجتنب أقوى من التحريم بدليل أن الاجتناب جاء في قمة العقيدة قال الله تعالى « فاجتنبوا الرجس من الأوثان » فكلمة اجتناب هنا في ماذا ؟

في قمة الإيمان وفي قمة العقيدة . فهل معنى ذلك أن عبادة الشيطان غير محرمة بل مكروهة ؟ .

وأن عبادة الأصنام غير محرمة بل مكروهة ؟ .

إن الاجتناب أقوى من التحريم . وإلا لم يكن الله سبحانه وتعالى ليستخدم هذا اللفظ في قمة العبادات وفي قمة الإيمان .

فقول الله تعالى : « فاجتنبوه » معناه أنه ممنوع على المسلم أن يوجد مع الخمر في أى مكان أو مع أناس يشربونه أو يحمله لمن يشربه . أو يتاجر فيه ويتخذه وسيلة للرزق .

فالذين يقولون إن الخمر لم تحرم في كتاب الله . قوم يجهلون أساليب التحريم في كتاب الله وفي سنة رسوله . بل هناك من يحاول طمس الحقائق عن طريق الخداع والباس الحق بالباطل كيداً للمسلمين . وانتزاعاً لهم من دينهم وطمساً لشعائرهم وتحريضاً لهم على اقتحام حرمان الله باسم الفهم والرأى . وما مقصدهم في الحقيقة إلا الكيد للإسلام وإلا الخديعة للمسلمين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه » رواه أحمد وابن ماجه وقال تشرب مكان ( تستحل ) .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب طائفة من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها » رواه ابن ماجه : نيل الأوطار ج ٨ ص ٢٠٣ .

فهؤلاء الذين تكلم عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم يستحلون أو يشربون الخمر باسم غير اسم الخمر فكأنهم يتحايلون على تحريم الخمر بتسميتها باسم آخر .

ما هي الخمر : سأعرض لتعريف الخمر في اللغة وتعريفها في الكيمياء وتعريفها في الفقه الإسلامي .

تعريفها اللغوي : الخمر في اللغة تذكر وتؤنث فيقال : هي الخمر وهو الخمر وأنكر بعضهم التذكير . وقال إن الخمر مؤنثة فقط .

والخمر هو ما أسكر من عصير العنب لأنها خامرت العقل والتخمير التغطية . يقال : خمر وجهه . وخمر إناءه أى غطاها .

والمخامرة أيضاً المخالطة . وقال ابن الأعرابي : وسميت الخمر خمراً لأنها تركت  
فاخمرت . واختمارها تغير ريحها .

وقيل سميت بذلك لمخامرتها العقل . ويقال : خمره وخمر وخمور . مثل : تمرة وتمر  
وتمور .

**تعريف الخمر في الكيمياء ( ١ ) :** الخمر هي الأشرطة التي بها كمية من الكحول  
- والكحول أو الغول في أصل اللغة العربية هو ما ينشأ عنه بعد شرب الخمر صداع وسكر لأنه  
يقتال العقل .

وقد نفى الله سبحانه وتعالى عن خمر الجنة هذه الصفة فقال تعالى : « لا فيها غول  
ولا هم عنها ينزفون » والغول ( الكحول ) هو اسم عام يطلق على جملة من المركبات  
الكيميائية لها خصائص متشابهة ومكونة من ذرات ( الهيدروجين ) و ( الكربون ) ( الفحم )  
وآخرها مجموعة ( هيدروكسيلية ) أي ذرتي ( أوكسجين ) و ( هايدروجين ) وهذه المركبات  
تدعى : « الغولات - أو ( الأغوال ) جمع غول . ومنها الكحول المثيلي .

ولما كان الكحول الأثيلي أكثرها شيوعاً واستعمالاً اصطلاح العلماء على تخصيصه باسم  
الكحول . وهو روح الخمر . والأسبرتو الذي يستخدم للوقود يحتوى في العادة على الكحول  
المثيلي السام ، إذ تضيفه الحكومات عمداً حتى لا يشرب ، ولذا كان شرب السبرتو مميتاً في  
أغلب الحالات على الفور . بينما شرب الخمر مميت على المدى الطويل .

وتتكون الكحول في الخمر بواسطة ( أنزيمات ) خمائر - تقوم بتحويل المواد السكرية  
الموجودة في الفواكه مثل العنب والرطب والتين .

والمواد النشوية الموجودة في الشعير والذرة والحنطة إلى كحول أثيلي وذلك بعمليات  
بطيئة متتابعة .

وقد كانت هذه الطريقة تستعمل منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا للحصول على  
الخمور . وبهذه الطريقة يمكن الحصول على جميع أنواع المشروبات المخمرة بمفهومها القديم  
مثل ( الجعة ) وغيرها .

أو بمفهومها الحديث مثل الشيلي والشامبانيا وغيرهما . وفي العصر الحاضر تزرع هذه  
الخميرة في المختبرات وتضاف إلى الفواكه بكميات ومقادير محسوبة وتوضع في درجة حرارة  
ملائمة حتى تسرع عملية التخمر الذاتي .

( ١ ) كتاب الخمر بين الطب والفقہ ص ١٦ .

وهكذا يتحول السكر إلى كحول أثملى وثاني أكسيد كربون وماء .

### تعريف الخمر في الفقه الإسلامي :

( هو كل ما أسكر سواء كان عصيراً أو نقيعاً من العنب أو ومن غيره مطبوخاً أو غير

مطبوخ ) .

والمعلوم أن كل ما من شأنه أن يسكر يعتبر خمرأ ، ولا عبرة بالمادة التي أخذت منه فما كان مسكراً من أى نوع من الأنواع فهو خمر شرعاً . ويأخذ حكمه . يستوى في ذلك ما كان من العنب أو التمر أو العسل أو الحنطة أو الشعير أو ما كان من غير هذه الأشياء إذ أن ذلك كله خمر محرم لضرره الخاص والعام . ولصده عن ذكر الله وعن الصلاة ولا يقاعه العداوة والبغضاء بين الناس .

والشارع لا يفرق بين شرايين كلاهما مسكر ولو اختلف أصلهما ، فيبيح القليل من صنف ويحرم القليل من صنف آخر ، بل يسوى بينهما - وإذا كان قد حرم القليل من أحدهما فإنه كذلك قد حرم القليل من الآخر ، وقد جاءت النصوص صريحة لا تحتمل التأويل .

فقد روى أحمد وأبو داود عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل مسكر خمر . وكل خمر حرام » .

وروى البخارى ومسلم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أما بعد . أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة أشياء :

العنب ، والتمر ، والعسل ، والحنطة ، والشعير . والخمر ما خامر العقل » .

هذا الذى قاله أمير المؤمنين . وهو القول الفصل لأنه أعرف باللغة وأعلم بالشرع . ولم ينقل أن أحداً من الصحابة خالفه فيما ذهب إليه .

وروى مسلم عن جابر : أن رجلاً من اليمن سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له ( المزر ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمسكر هو ؟ » قال نعم فقال صلى الله عليه وسلم :

« كل مسكر حرام ... إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال . قالوا يا رسول الله : وما طينة الخبال ؟

قال : « عرق أهل النار » أو قال : « عصارة أهل النار » .

وروى أحمد والبخارى ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال :

قلت يا رسول الله أفتنا في شرايين كنا نضعهما باليمن ( البتخ ) وهو من العسل حين يشدد - ( والمزر ) وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشدد . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوتى جوامع الكلم بخواتيمه . قال : « كل مسكر حرام » .

هذا هو رأى جمهور الفقهاء من الصحابة والتابعين .

وهذه أنواع الخمور التي كانت توجد أساساً فهل يقتصر التحريم على هذه الأنواع الخمسة فقط أم أن هناك أنواعاً مستحدثة وأسماء جديدة !!؟

أهم الأنواع التي استحدثت من الخمر : هناك مثلاً ( البراندي ) ( والوسكى ) ( والروم ) ( والليكير ) ، وغيرها . وتبلغ نسبة الكحول فيها من ٤٠ % إلى ٦٠ % وتبلغ النسبة في ( الجن ) و ( الهولاندي ) و ( الجنيفا ) من ٣٣ % إلى ٤٠ % وهناك أيضاً أصنافاً أخرى مثل ( البورت ) و ( الشرى ) و ( الماديرا ) وتحتوي على ١٥ % إلى ٢٥ % .

وتحتوى الخمور الخفيفة مثل ( الكلارت ) و ( الهوك ) و ( الشامبانيا ) و ( البرجاندى ) على ١٠ % إلى ١٥ % .

وأنواع البيرة الخفيفة على ٢ % إلى ٩ % مثل ( الأيل ) و ( البورتر ) و ( الاستوت ) و ( الميونخ ) وغيرها .

كما أن هناك أصنافاً أخرى تحتوى على نفس النسب الأخرى مثل ( البوظة ) والقصب المتخمر وغيرهما (١) .

**سر تحريم الخمر :** عندما قرر الإسلام حرمة الخمر وعقوبة شاربها لم ينظر إلى أنها سائل يشرب . وإنما نظر إلى الأثر الذي تحدثه في شاربها من زوال العقل الذي يفسد عليه إنسانيته ويسلبه مكانة التكريم التي منحها الله إياها . ويفسد عليه أيضاً ما يجب أن يكون بينه وبين الناس من صلوات المحبة والصفاء ويطوع له مع هذا انتهاك الأعراض وقتل النفس ويعكر عليه صفو المعرفة بالله الناشئة عن مراقبته وتذكر عظمته .

وذلك عنوان أضرارها الروحية والاجتماعية التي حرمت لأجلها كما تضمنها وأشار إليها بأساليب التحريم المتعددة القوية قوله تعالى من سورة المائدة :

(١) نقل هذا من تقرير طبي على .



« يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

وقد كشف الوحي الإنساني في ضوء هذا الوحي الإلهي الكريم أن للخمر مع هذه الأضرار أضراراً أخرى أجمع عليها الأطباء المتخصصون في أمراض الكبد والمعدة والقلب وسائر الأجهزة .

وقد ذكرت وكالة الأنباء الفرنسية من باريس في شهر مايو ١٩٥٦ م أن معهد الإحصاء الفرنسي أذاع في ٢٥ من مايو سنة ١٩٥٨ م أن الخمر بدأت تقتل من الفرنسيين أكثر مما يقتل مرض السل .

وقال المعهد إن ١٧,٤٠٠ فرنسي ماتوا في العام الماضي من الخمر بينما لم يميت سوى ١٢,٠٠٠ بالسل .

هذا التقرير رسمي عماده معهد الإحصاء القومي في فرنسا لضحايا كل من الخمر والسل .

وحسب الذين يميلون إلى الخمر أو يحاولون خديعة الناس عن حكمها في الإسلام أن يعرفوا ذلك ليتبين لهم كيف يرحمهم الله الحكيم بتحريم الخمر وكيف يصورها لهم بأنها « رجس من عمل الشيطان » وأي رجس بعد هذا !!؟ .

وهذا كله فوق ما يحدثه شربها من الأضرار الاقتصادية التي تذهب بأموال شاربها سفهاً بغير علم إلى خزائن الذين اصطنعوها وصدروها وتفننوا في سبيل الإعلان عنها والاغراء بها . وفوق ما تحدثه من الأضرار الأدبية في الذهاب بالحشمة والوقار واحترام الأهل والأبناء والأصدقاء . وفوق التوارث لرجسيتها بين الآباء والأبناء والأحفاد . ولهذا كله حرم الإسلام الخمر .

وقد نشرت مجلة التمدن الإسلامي ملخصاً لأضرار الخمر بقلم الدكتور عبد الوهاب خليل . يتحدث فيه عن أضرار الخمر النفسية والبدنية والخلقية وما يترتب عليها من آثار سيئة .

فقالت ... ( وإذا سألنا جميع العلماء سواء علماء الدين أو الطب أو الأخلاق أو الاجتماع أو الاقتصاد وأخذنا رأيهم في تعاطي المسكرات لكان جواب الكل واحداً :

وهو منع تعاطيها منعاً باتاً لأنها مضرّة ضرراً فادحاً ) .  
فعلماء الدين يقولون : إنها محرمة وما حرمت إلا لأنها أم الخبائث .  
وعلماء الطب يقولون : إنها من أعظم الأخطار التي تهدد نوع البشر لا بما تورثه  
مباشرة من الأضرار السامة فحسب بل بعواقبها الوخيمة أيضاً .  
إذ أنها تمهد السبيل لخطر لا يقل ضرراً عنها . ألا وهو السل .

والخمر توهن الجسم وتجعله أضعف مقاومة وجلداً في كثير من الأمراض مطلقاً . لأنها  
تؤثر في جميع أجهزة البدن وخاصة في الكبد .

وهي شديدة الفتك بالمجموعة العصبية لذلك لا يستغرب أن تكون من أهم الأسباب  
الموجبة لكثير من الأمراض العصبية ومن أعظم دواعي الجنون والشقاوة والإجرام لا لمستعملها  
فقط بل وفي أعقابها من بعده .

فهى إذن علة الشقاء والبؤس . وهى جرثومة الإفلاس والمسكنة والمذلة . وما نزلت بقوم  
إلا أودت بهم مادة ومعنى بدنأ وروحاً جسماً وعقلاً .

وعلماء الأخلاق يقولون : لكى يكون الإنسان محافظاً على الرزانة والعفة والشرف  
والنخوة والمروءة . يلزم عدم تناول شيء يضع به هذه الصفات الحميدة .

وعلماء الاجتماع يقولون : لكى يكون المجتمع الإنساني على غاية من النظام  
والترتيب يلزم عدم تعكيره بأعمال تخل بهذا النظام وعندها تصبح الفوضى سائدة . والفوضى  
تخلق التفرقة . والتفرقة تفيد الأعداء المتربصين .

وعلماء الاقتصاد يقولون : إن كل درهم نصرفه لمنفعتنا فهو قوة لنا وللوطن وكل  
درهم نصرفه لمضرتنا فهو خسارة علينا وعلى وطننا . فكيف بهذه الملايين من الأموال التي  
تذهب سدى على شرب المسكرات على اختلاف أنواعها وتؤخرنا مالياً وتذهب بمروءتنا وتدمر  
مجتمعنا .

فعلى هذا الأساس نرى أن العقل يأمرنا بعدم تعاطى الخمر . لأن العقل يجب أن  
يعي الخير الذي يأمر الله به . وإذا أرادت الحكومة أى حكومة أخذ رأى العلماء الخبيرين في  
هذا المضمار فقد كفيها مؤونة التعب في هذه السبيل وأتيناها بالجواب بدون أن تتكبد مشقة  
أو تصرف قرشاً واحداً . إذ جميع العقلاء متفقون على ضررها . والحكومات من الشعوب  
والشعوب تريد من حكوماتها رفع الضرر عنها والأذى فهى مسئولة عن رعيته .

و يمنع المسكرات يغدوا أفراد الأمة أقياء البنية صحيحي الجسم أقياء العزيمة ذوي عقل ناضج . وهذه من أهم الوسائل المؤدية إلى رفع المستوى الصحى في المجتمع كله . وكذلك هي الدعامة الأولى لصلابة البناء الاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي ، فتتعدم أو تقل الجرائم وكل ما يثير الاضطرابات .

وبعدها تصبح السجون خالية تتحول إلى دور يستفاد منها بشتى الإصلاحات الاجتماعية .

هذه هي الحضارة والمدنية . وهذا هو الرقى والوعي وهذا هو المعيار والميزان لرقى الأمم . أن تشترك وتتعاون على رفع الضرر والأذى ، وفتح باب العمل الجدى المنتج الواسع .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .. انتهى .

هذه الأضرار الأنفة ثبتت ثبوتاً لا مجال فيه لشك أو ارتياب مما حمل كثيراً من الدول الواعية على معاربة تعاطي الخمر وغيرها من المسكرات وكان في مقدمة من حاول ذلك من الدول أمريكا وروسيا أكبر دولتين ماديتين في العالم .

فقد نشر في كتاب : ( تنقيحات ) للسيد أبو الأعلى المودودي ما يلي :

( منعت حكومة أمريكا الخمر وطاردتها في بلادها واستعملت جميع وسائل المدنية الحاضرة . كالمجلات والمحاضرات والصور والسينما لتهجين شربها وبيان مضارها ومفاسدها وكذا روسيا ودولاً أخرى كثيرة ليست مسلمة .

ويقدرون ما أنفقت أمريكا في الدعاية ضد الخمر بما يزيد عن ٦٠ مليون دولار وأن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على ١٠ بلايين صفحة وما تحملته في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاماً لا يقل عن ٢٥٠ مليون دولار .

وقد أعدم فيها ٣٠٠ نفس وسجن ٥٣٢.٣٣٥ نفس وبلغت الغرامات إلى ١٦ مليون جنيهاً وصادرت من الأملاك ما يبلغ ٤٠٠ مليون وأربعة ملايين جنيهاً .

ولكن كل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراماً بالخمر وعناداً في تعاطيها حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣ م إلى سحب هذا القانون وإباحة الخمر في بلادها بإباحة مطلقة ) انتهى .

إن أمريكا قد عجزت عجزاً تاماً عن تحريم الخمر بالرغم من الجهود الضخمة التي بذلتها .

ولكن الإسلام الذي ربي الأمة على أساس من الدين وغرس في نفوس أفرادها غراس الإيمان الحق وأحيا ضميرها بالتعاليم الصالحة والأسوة الحسنة . لم يصنع شيئاً من ذلك ولم يتكلف مثل هذا الجهد ولكنها كلمة قيلت من الله سبحانه وتعالى استجابت لها النفوس استجابة مطلقة .

روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

« ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ . اني لقائم أسقي أبا طلحة وأبا أيوب ورجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : في بيتنا إذ جاء رجل فقال : هل بلغكم الخبر ؟ فقلنا : لا فقال : إن الخمر قد حرمت فقال : يا أنس أرق هذه القلال .

قال : فما سألوها عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل . » وهكذا يصنع الإيمان بأهله .

**تأثير الخمر على جسم الإنسان :** إن صحة الأجسام وجمالها ونضرتها من الأمور التى وجه الإسلام إليها عناية فائقة واعتبرها من صميم رسالته . ولن يكون الشخص راجحاً في ميزان الإسلام محترم الجانب إلا إذا حافظ على جسمه وعقله وصانه عن كل ما يفسده .

ويقظة العقل مرتبطة بسلامة الجسد . وقد قيل : العقل السليم في الجسم السليم . ولذلك نهانا الله سبحانه وتعالى عن الابتعاد عن كل ما فيه إفساد للجسم أو للعقل . قال تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » وقال سبحانه وتعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم » ومما لا شك فيه أن الخمر تؤدى بشاربها إلى الهلاك المؤكد الذي أثبتته وقائع الأيام .

فمن المعلوم أن جميع السوائل المسكرة تحتوي على نسبة معينة من الكحول كما أسلفنا ترتفع وتنخفض بالنسبة لنوع السائل . فمثلاً كأس البيرة الواحد نسبة الكحول فيه من ٣ - ٨ % وكأس الويسكى يحتوى على نسبة ٥٠ % من الكحول . وكأس الشمبانيا يحتوى على نسبة ٢٠ % من الكحول . وكأس الشيرى أو البيورت يحتوى على نسبة ٢٠ % من الكحول (١) .

ومن المعلوم كذلك أن نسبة الكحول كلما ارتفعت نسبتها في الشراب كلما كان تأثيره السيء على الأجهزة التى يحتويها الجسم أكثر ضرراً وأشد فتكاً .

ومن المعلوم كذلك أن الذى يؤثر في أجهزة جسم الإنسان هو الكحول لذا يسمى بروح الخمر . ولهذا كما سبق يسمى في اللغة العربية بالغول لأنه يغتال العقول بل ويفتك بها .

(١) كتاب الخمر بين الطب والفقه ص ٣٤

لذا فإن الله عز وجل لما ذكر عباده المخلصين الذين استثناهم من تذوق العذاب الأليم وصور لهم النعيم الذي سيتقبلون في إعطائه في الدار الآخرة كان من ضمن ما يتنعمون أن يطاف عليهم بخمر لذة للشاربين لأنها منقاة من الغول المجلب للصداع المنفص المكدر حقيقة للنفوس . قال تعالى :

« أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين . لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » . (١)

ومن الدراسات الكيميائية اتضح أنه يفتك كذلك بكثير من أجهزة الجسم ولكن تأثيره المباشر والفوري يظهر أول ما يظهر على العقول .

ولما كان الكحول هو روح الخمر كما ذكر وقد أجريت دراسات علمية معملية على مدى تأثير الكحول على أجهزة جسم الإنسان . وثبت يقيناً أن للكحول وبالتالي للخمور آثار فتاكة بكل أجزاء جسم الإنسان ، وإن كان نسبة الضرر التي تصيب كل جزء تتفاوت عن غيرها .

من أجل هذا سأحدث إجمالاً عن بعض الأضرار التي تلحق الإنسان من جراء تناوله هذه السموم .

#### تأثير الكحول على الجهاز العصبي للإنسان :

« أهم تأثير للكحول تخديره لخلايا المخ جميعاً . ولكن أهم الخلايا التي تصاب هي خلايا القشرة وهي الخلايا المتحكمة في الإرادة أو ما نعبر عنه بكلمة العقل » .

والعقل هو القوة التي خلقها الله للإنسان يستطيع بواسطتها أن يميز بين الأشياء لذا فإن الطفل تتكون عنده بالتدرج مجموعة من الموانع الأخلاقية بالتربية فالطفل يتبول ، ويتغوط دون أي مانع . فإذا بلغ سن التمييز ثم التكليف فإنه لا يمارس الأفعال التي كان يمارسها وهو صغير .

(١) الصفات ٤١ - ٤٧

ووظيفة الكحول هي التأثير على هذه القوة فيصبح مرة أخرى لا يتحرج من فعل ما كان يفعله صغيراً أو ما يماثله . ويفقد الإنسان قوة التحكم فيما يأتي من أفعال . وحتى فيما ينطق به من كلمات . إذا سكر هذى وإذا هذى افتري .

ويفقد القدرة على الأعمال التي تحتاج إلى دقة كالطباعة أو قيادة السيارات بل وتختل الموازين الزمنية والمكانية . فلا يستطيع السائق المخمور أن يتحكم في السرعة وتقادى الحوادث . لذا فإن جميع الدول تحرم قيادة السيارات تحت تأثير الخمر وتشدّد العقوبة حينئذ على المخمور .

وقد أثبتت الفحوص الكثيرة أن الكفاءة والمقدرة لدى الشخص المتعاطي تنخفض بمجرد شرب الكحول حتى ولو كان متعوداً عليها ولو كانت الكمية ضئيلة .

ويؤثر الكحول على دقة النظر والقدرة على السمع الجيد وعلى الشم والطعم وعلى توازن العضلات . وكذلك فإن الشخص المتعاطي لا يستطيع أن يتخذ القرار فضلاً عن القرار السريع والمناسب . ومهما كانت الكمية المتعاطاه ضئيلة ( ١ ) .

يقول الدكتور سيدني كاي . في كتابه ( علم السموم ) ( ٢ ) :

« إن الخمر هي السبب المباشر وغير المباشر في خمسين في المئة من مجموع حالات الوفاة التي يفحصها بمعمل الطب الشرعي بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة » .

« وقد أقيمت في مدينة مانشستر بانجلترا تجربة على أمر سائقي الاتوبيسات هناك وأعطى كل واحد منهم كمية قليلة من الخمر ثم سمح لهم بقيادة الاتوبيسات تحت الاختبار . ورغم الثقة الزائدة التي كانت تبدو على السائقين . إلا أن أخطاءهم كانت مروعة ومرعبة وستؤدى إلى كوارث خطيرة » ولا يوجد شك في أن الخمر هي السبب الأول في حوادث السيارات والطائرات .

وما لا يقل عن خمسين في المائة من جميع حوادث السيارات . وللأسف فإن تقارير البوليس أقل من هذه النسبة وذلك لأن إثبات حالة السكر البين ليست يسيرة وبخاصة إذا كانت الكمية المتعاطاة قليلة فلا تظهر آثارها كاملة ولا ترتفع نسبة الدم إلى الحد الذي يمنعه القانون .

( ١ ) كتاب الخمر بين الطب والفقہ . ص ٣٩ - ٤١

( ٢ ) نقلاً عن كتاب الخمر بين الطب والفقہ ص ٤٢

فالقوانين في أوروبا وأمريكا تعاقب على شرب الخمر وقيادة السيارات إذا كانت النسبة مئة مليجراماً في كل مئة سنتي من الدم (١) .

### الخمر والجلد :

يعتقد الناس المدمنين أن الخمر عامل من عوامل التدفئة وأنها كذلك تزيد من قوة الإنسان ونشاطه لذا فإن شارب الخمر تتورد خدوده ويكاد الدم المتدفق في وجهه أن يتدفق من وجنتيه ظل الناس على هذا الاعتقاد حتى الآن وكثير من الأطباء كذلك . أما القليل الذي يتابع الحركة العلمية للطب فقد زال عنه هذا الاعتقاد بناء على الاكتشافات الحديثة التي تقوم على التحاليل العلمية المعملية .

وقد ثبت أن الاحساس بالدفء إحساس كاذب حقيقة وذلك لأن تناول الكحول « يسبب توسعاً في الأوعية الدموية للجلد نتيجة شلل مؤقت بالمركز الدموي الحركي في النخاع المستطيل .

وتزداد كمية الماء في الدم مما يترتب عليه احتقان وجه الشارب وتحمر وجناته وتحترق الملتحمة في عينيه ، فيحس الشخص بالدفء بعد تناول الكحول .

وفي حقيقة الأمر قد فقد جسمه حرارته لذا فإن الشارب قد يموت فعلاً من البرد وهو شاعر بالدفء .

« ورغم أن الكحول تؤدي إلى تمدد الأوعية الدموية التي في الجلد وفي الجسم عامة إلا أنها لا توسع الأوعية التاجية التي تغذي القلب » .

وهذه حقيقة مجهولة كذلك حتى عند كثير من الأطباء إلى عهد قريب . ولكن منجزات الطب الحديثة قد كشفت عن زيف هذا الاعتقاد وأتضح الآن أن الأطباء الذين يصفون الخمر لمرضى ضيق الشرايين التاجية على أمل أن يحسن ذلك من الدورة التاجية . مخطئون بل إن الطب الحديث أثبت عكس ذلك فقد أثبت أن الخمر تتسبب في تصلب الشرايين التاجية للقلب ويؤدي هذا إلى الذبحات الصدرية وكذلك إلى جلطة القلب « (٢) فالخمر حقيقة داء وليست بدواء .

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق الله العظيم : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى » .

(١) نفس المصدر .

(٢) كتاب الخمر بين الطب والفقہ ص ٤٦

لذا فإن أهل اليمن حينما جاء وفد منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . واستفتوه في شرب الخمر في الشتاء لشدة البرودة آنذاك فلم يفتهم بذلك .

وكذلك فقد روى أحمد عن ديلم الحميري رضى الله عنه قال :

( سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إنا بأرض نعالج بها عفنًا شديدًا وإنا نتخذ شراباً من القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا فقال عليه الصلاة والسلام : هل يسكر ؟ قلت نعم ، قال : فاجتنبوه . قلت : الناس غير تاركيه . فقال : فإن لم يتركوه فاقتلوهم » (١) .

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يوافق على شرب الخمر مع دعوى أن شربها يستعان به على العمل وعلى البرد . وإن الطب الحديث يثبت للناس كافة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .. بعد مضي ألف عام وأربع مئة عام . وهو صلى الله عليه وسلم الصادق حقاً المصدق من أتباعه منذ بداية رسالته وحتى قيام الساعة .

ولسنا نحن المسلمين . في حاجة إلى أن يكون الطب الحديث أو القديم موافقاً أو مخالفاً . ولكن نقول ذلك لمن ران على قلوبهم ، أو علت أعينهم غشاوة فقول الرسول صلى الله عليه وسلم متى صح عنه فهو الحق فإذا خالفه قول أو بحث في زمن من الأزمنة فهو الجهل . وإذا وافقه علم أو بحث صدق البحث بقول الرسول ولم يصدق قول الرسول بالبحث . وهذه قاعدة يسير عليها أهل العلم والإيمان .

### الخمر والجنس :

يظن الكثير أن الخمر تزيد من القدرة الجنسية ، وهذا ظن خاطئ ، ولكن الخمر تخدر المناطق المخية العليا . ولهذا فإن الحياء والأخلاق الكريمة تذهب مع ذهاب انضباط عقل السكران ، وهي حقيقة تزيد الرغبة في الجنس وفي بداية الشرب تجعل الشارب يرتكب جرائم جنسية شاذة . فالوابع الأخلاقي غير موجود والتفكير في العواقب يصبح مشلولاً شللاً تاماً بعد تناول الخمر .

« والاستمرار في شرب الخمر يؤدي إلى ضعف بل فقدان القدرة على الوظيفة الجنسية تماماً . بل إن الإكثار من شرب الخمر غالباً ما يؤدي إلى العمى الكامل ، ويؤدي في كثير من الحالات التي لم يتمكن من إنقاذها إلى الموت الحقيقي . وتوجد كذلك في الخمور التي من نوع ( الإبنست ) مادة تسبب الصرع والتشنجات وهذه المادة تسمى ( الثوجون ) وما أكثر ما تسبب هذه الخمور من أمراض عواقبها وخيمة » .

(١) السياسة الشرعية لابن تيممة ص ٦٤ ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية ص ١١٧



وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « هى داء وليست بدواء » .

## الخمير والجنين :

أكد بحث الدكتور جيمس فرياس - من جامعة فلوريدا أذيع فى اليوم التاسع من شهر مارس ١٩٧٧ م أن إفراط السيدات فى تناول الخمور أثناء الحمل يؤدي فى ٥٠ ٪ من الحالات إلى ولادة طفل متخلف عقلياً . بينما يؤدي فى ٣٠ ٪ من الحالات إلى ولادة طفل مشوه .

وأكد الطبيب الأمريكى أن التجارب أثبتت أن هذه الشهوات تنجم عن عامل موجود فى المشروبات الكحولية نفسها .

ومن ناحية أخرى أثبتت آخر الاحصائيات أن عدد النساء الأمريكيات اللاتى يدمن الخمير بلغ نصف عدد المدمنين عموماً فى الولايات المتحدة الذى يبلغ ١٠ ملايين شخص ( ١ ) .

وقد نشرت مجلة لواء الإسلام الصادرة فى القاهرة فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ هـ ١٢ من مارس ١٩٤٨ م العدد التاسع .

نشرت مقالا علمياً لأحد الأطباء المسلمين المخلصين يتحدث فيه عن أضرار الخمير وآثارها وإتماماً للفائدة أنقل هذا المقال العلمى الرائع :

يقول الدكتور / محمد فخر الدين السبكي . صاحب البحث :

سأبدأ الآن بالتحدث عن أضرار الخمير الصحية وأقسمها إلى قسمين :

أولاً : تأثير جرعة واحدة .

وثانياً : تأثير الإدمان .

فأولاً : ماذا يحصل لمن يشرب جرعة واحدة من الخمير ؟

إن تأثير هذه الجرعة يختلف تبعاً لعوامل كثيرة ، منها سن الشخص ونوع الخمير . ودرجة نقاوتها من المواد الغريبة والكمية المشروبة ، وكون المعدة خالية أو مملوءة بالطعام ، وحالة الشخص الصحية ، ودرجة حرارة الجو ، وغير ذلك . كما أن التأثير أيضاً يختلف تبعاً لكون الشخص مدمناً أو غير مدمن .

( ١ ) - جريدة الأخبار المصرية الخميس ١٠ مارس ١٩٧٧ العدد ٧٧٦ السنة الخامسة والعشرون .

فالتأثير يزداد كلما كان الشارب صغير السن ، وتبعاً لدرجة تركيز الكحول في الخمر  
فجرعة من الويسكي الذي يحوى ٣٥ ٪ من الكحول يكون لها تأثير أقوى بالطبع من نفس  
الجرعة من النبيذ الذي يحوى نحو ١٥ ٪ من الكحول .

ويختلف التأثير أيضاً تبعاً لما تحتويه الخمر من مواد غريبة ، وأخصها الكحول الميثيلي  
الذي قد تسبب جرعة واحدة منه فقد البصر بالكلية .

كما يزداد تأثير الخمر سرعة وحدة إذا كانت المعدة خالية من الطعام ، كما أن تأثيرها  
يكون أسوأ إذا كان الشخص مصاباً بأمراض خاصة .

وكذا إذا كانت درجة حرارة الجو منخفضة أو كان الشخص غير متعود على الشرب .  
وأود أن أذكر هنا أن تأثير الخمر لا يتوقف على السكر ، إذ أن هذا التأثير يبدأ بمجرد  
وصول عشرة جرامات من الكحول إلى الدم للشخص البالغ ، وهذا القدر يوجد في كأس واحدة  
( من الويسكي أو الكنيك ) .

وقد لا يصل بالشخص إلى درجة السكر ، ولكن على كل حال له أثر ملموس في حالة  
الشخص الجسمية والعقلية .

ومما يذكر لهذه المناسبة أن الشخص إذا فحص في هذه الحالة نجد أن درجة إدراكه  
وتقديره قد تغيرت فعلاً ، فهو مثلاً إذا كتب على الآلة الكاتبة زادت أخطاؤه عن المعتاد ، وإذا  
قاد سيارة لم يتبع بالضبط قوانين المرور ، ومع ذلك فهو نفسه لا يدرك أن حالته قد تغيرت ،  
وهذا ليس غريباً بالنسبة له ، فقلما نجد سكراناً يعترف أن عقله قد اختل ، حتى وإن سار في  
الطريق عرياناً أمام الناس كما حدث كثيراً ، بل إن السكيرين المدمنين قلما يعترفون أن  
عقلهم غاب مرة واحدة ، حتى وإن كان غائباً فعلاً وهم يقولون ذلك .

وعند وصول الخمر إلى المعدة تحدث عند غير المعتود عليها احتقاناً فيها قد يسبب  
غثياناً أو قيئاً وإذا كانت الجرعة كبيرة سببت إتهاباً في المعدة وعسر هضم يمتد إلى بضعة  
أيام .

وبمجرد سريان الخمر في الجسم تسبب شعوراً بالامتلاء في المخ مع شيء من الدوار أو  
الصداع . كما يسبب الكحول إتساعاً في الأوعية الدموية التي بالجلد فيجري فيه دم أكثر من  
المعتاد مما يسبب شعوراً بالدفء ولو أن درجة حرارة الشخص تكون في الواقع أقل من المعتاد .

والجرعة الواحدة من الخمر تحدث شيئاً من الارتفاع في ضغط الدم وهذا الارتفاع  
وحده قد لا يكون له ضرر كبير ، ولكن الضرر يتضاعف إذا كان الشخص مرتفع الضغط من

نفسه ثم إذا كانت كمية الخمر كافية لأن تحدث هيجاناً يزيد في الضغط لدرجة ينفجر معها شريان في المخ يسبب شللاً قد ينجو منه الشخص جزئياً أو لا ينجو كلية - إذ من المعلوم أن الشخص الذي ضغطه الدموي مرتفع يجب أن يلتزم الهدوء في حياته لأن أي هيجان يزيد في ارتفاع الضغط يعرضه لانفجار شرياني . والسكران لا يمكنه أن يضبط عواطفه وبالتالي لا يمكنه لنفسه هذا الهدوء .

### ثانياً: تأثير الإدمان على الخمر :

من المعروف عن الخمر أن الذي يشرب كأساً واحدة منها يكون عنده ميل لشرب ثانية وثالثة حتى إذا تعود عليها بعض الشيء أصبح لا يمكنه أن يفارقها طويلاً فيحصل له تسمم من الكحول مزمن تنتج عنه حالة مرضية في جميع أعضاء الجسم المهمة .

وإن من يبحث كتب الطب يتولاه العجب عندما يقرأ باب مسببات الأمراض المختلفة . إذ يجد للخمر نصيب الأسد في ذلك . ولا عجب إذا كان لها الأثر الأكبر في ارتكاب الجرائم . وانتهاك الحرمات . وخراب البيوت وإفساد الأخلاق . فلماذا لا يكون لها الأثر أيضاً في إفساد أعضاء الجسم المختلفة وإصابتها بأمراض أو تعريضها للإصابة بأخرى .

يكفي أن نقول إن الإدمان على الخمر من أكبر أسباب تصلب الشرايين ونحن نعلم أن الشرايين هي التي يجري فيها الدم إلى خلايا الجسم المختلفة يحمل إليها عوامل الحياة .

فتصلب الشرايين ، أولاً يضيقها فيقل ما يجري فيها من الدم ويقل تبعاً لذلك ما يصل لأنسجة الجسم من غذاء . وتصبح الشرايين غير مطاطة كما يجب . فعند انقباض القلب أو عند زيادة الضغط الدموي لأي سبب كأنفعال نفسي أو إجهاد جسماني لا تلين الشرايين المتصلبة أمام الضغط المتزايد بل تقاوم . وكثيراً ما تؤدي هذه المقاومة إلى انفجار أحد الشرايين وكثيراً ما يكون الشريان في المخ فيحدث شللاً . إما أن يترك الشخص عليلاً بعد ذلك . وإما أن ينقله إلى الدار الآخرة فوراً .

ليشكو ظلم الإنسان لنفسه وكفرانه بأثمن نعم الله وهما الدين والصحة .

وإذا كان تصلب الشرايين يؤثر في تغذية أعضاء الجسم المختلفة فإن أهم هذه الأعضاء هو القلب . وفساد أوعيته يعرضه للذبحة الصدرية التي كثيراً ما تكون سبباً في تنغيص عيش صاحبها .

كما أن ضيق شرايين المخ يسبب ضعف الذاكرة ويقلل من مقدرة الشخص على الانتاج الذهني . ولا يقل كثيراً في الخطر عن تصلب الشرايين . تعرض خلايا الجسم المختلفة

للتشحم . والتشحم هنا معناه تحول المادة الزلالية الحيوية للخلايا إلى نقط دهنية وفي هذا فقدان لفائدتها الأصلية . وأهم الأعضاء التي تتأثر بذلك هو القلب أيضاً .

ونحن نعلم أن القلب عبارة عن عضلة تشتغل كطلمبة كابسة ماصة ينقبض فيخرج منه الدم . ثم يرتخي فيدخل فيه الدم . وهذا يستلزم قوة عضلاته ومئاتها .

فإذا تحولت الخلايا العضلية إلى دهن ضعف القلب وأصبح غير قابل لتحمل الجهود العادي وعرضة للهبوط مع ما يتبع ذلك من رشح عام في الجسم وجملة عوارض أخرى تنتهي بالشخص إلى الوفاة .

هناك عضو آخر ذو أهمية كبيرة وسريع التأثير بالكحول ، وهو الكبد : والكبد يقوم في الجسم بوظائف كثيرة .

فهو أولاً مخزن كبير تمر فيه الأوعية الدموية الآتية من الأمعاء وتحمل الغذاء بعد هضمه وامتصاصه فيأخذ منها الزائد عن استهلاك الجسم الوقتي من المواد النشوية ويخزنه ليخرج بعد ذلك تدريجياً وقت الحاجة .

كذلك يقوم الكبد بصنع الصفراء وإفرازها في الأمعاء لتساعد على الهضم .

وفي السكريين يحصل عادة تليف في الكبد ، أي تكاثر الأنسجة الليفية العديمة القيمة تكاثراً كبيراً على حساب خلايا الكبد المفيدة وتكون نتيجة ذلك أولاً : فقدان جزء كبير من منافع الكبد .

ثانياً : ضغط الأنسجة الليفية على الأوردة القادمة من المعدة والأمعاء وهذا يعوق سريان الدم فيها بسهولة إلى القلب وينتج عن هذا بالتالي رشح مصل الدم في البطن وامتلاؤها بهذا السائل فتكبر ويصبح الشخص كالمرأة الحامل . إلا أن هذه تحمل في بطنها جنيناً من صنع الله ، وذاك في بطنه أدراناً وأمراضاً من صنع الشيطان .

كما يحدث من معاكسة جريان الدم في الكبد أن أوردة المعدة والأمعاء تتمدد وقد تنفجر وينتج من ذلك نزيف له أثره وخطره . ولعلكم تعلمون أن تمدد الأوردة في الجزء الأخير من الأمعاء هو ما يسمى ( بالبواسير ) والبواسير هذه التي هي إحدى هدايا الإدمان في الخمر . لها من الأثقال والآلام ما يجعلها غنية عن التعريف ويكفي أن تسأل عنها مريضاً بهذا ليحدثنا عنها حديث المجرب الخبير .

ويحدث تليف الكبد أعراضاً أخرى كثيرة كتضخم الطحال وتجمع مائي في الصدر . وإلتهاب في الكليتين وغير ذلك مما لا يتسع المجال للتحديث عنه بالتفصيل .

والآن فلنتقل إلى عضو آخر ذي أهمية كبرى وهو :

**الكليتان :** وقبل أن أتحدث عن تأثير الخمر على الكلية أود أن أذكر شيئاً عن وظيفة

هذا العضو الثمين في الجسم :

ذلك أن الدم عندما يمر فيهما تعمل خلاياهما على فرز ما أوتيت من دقة في الحساسية فتأخذ منه المواد الضارة التي تخرج في البول وتبقى فيه المواد المفيدة التي يحتاج الجسم إليها .

والإدمان على الخمر يسبب في الكليتين إتهاباً حاداً أو مزمناً وتكون نتيجته اختلال وظيفة الكلية فينزل في البول زلال الدم . وهو مادة غذائية ثمينة يجهد الجسم نفسه في هضمها بالأمعاء . ثم امتصاصها في الدم ، وبدلاً من أن ينتفع الجسم منها في بناء خلايا جديدة تنزل في البول فتضيع سدى ، وفي الوقت نفسه تبقى في الدم بعض المواد الضارة وأخصها ( البولينا )

وهذه إذا كثرت تسبب تسمماً بولياً وخيم العاقبة . هذا فضلاً عما يسببه إتهاب الكليتين أيضاً من حدوث ورم عام بالجسم وضعف في البصر وارتفاع في ضغط الدم مع ما ينتج عن هذه الأعراض نفسها من أخطار ... إنتهى .

هذه صورة جلية واضحة لبعض أضرار الخمر التي بينها لنا أحد رجال الطب العباقر ، الذي لمسها عن تجربة من الواقع العلمي والتحليلي لصرعى أم الخبائث .

ويصر بعض الناس مع علمهم بحرمتها وأضرارها على تناولها يقتلون أنفسهم بأيديهم ويلقون بها في التهلكة دنيا وأخرى ، دون خوف أو حياء من الذي يعلم السر وأخفى .

ويتضح لنا مما تقدم حكمة تحريم الخمر وأن الله تبارك وتعالى لم يحرم شيئاً إلا لما يحتوى عليه من أضرار بالغة تودي بحياة الإنسان وكرامته .

### حكم التداوي بالخمر :

أخرج مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم مرسلأ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال

لرجلين :

« أيكما أطب ؟ قالوا : يا رسول الله وفي الطب خير ؟

قال : أنزلنا الداء الذي أنزل الدواء » ( ١ ) .

( ١ ) فتح الباري ج ١٠ ص ١٣٤ نيل الأوطار ج ٨ ص ٢٢٥ زاد المعاد لابن القيم ص ٢

وفي صحيح البخاري قال حدثنا عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء »

ولمسلم عن جابر رفعه « لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى » .  
ولأبي داود من حديث أبي الدرداء رفعه « أن الله جعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام » .

من جملة هذه الأحاديث يعلم أن التداوي مطلوب شرعاً وأن الداء والدواء من قدر الله عز وجل وعلى حد سواء .

وإذا كان التداوي مطلوباً فهل هو مطلوب بكل ما يظن أنه دواء وسواء أكان هذا الدواء حلالاً أم حراماً ؟

أما كون التداوي مطلوباً بدواء هو حلال فهذا أمر لا مرية فيه بمقتضى هذه الأحاديث التي تقدمت .

أما التداوي بمحرم فهذا ما يحتاج الأمر فيه إلى تفصيل .

فعن وائل بن حجر « أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر ، فنهاه عنها ، فقال : إنما أصنعها للدواء .

قال : إنه ليس بدواء ولكنه داء » رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام » رواه أبو داود .

وقال ابن مسعود في المسكر « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » ذكره البخاري .

وعن أبي هريرة قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم » عن الدواء الخبيث يعني السم « رواه أحمد ومسلم وابن ماجه والترمذي ، وهل الخمر إلا سماً كما أوضح الطب الحديث في التفصيل الذي أوردناه آنفاً ؟

والناظر في هذه الأحاديث يجد التصريح بأن الخمر ليست بدواء بل إن الأمر لا يقف عند هذا الحد ولكن جاوزه إلى التصريح كذلك بأنها داء .

إذن يحرم التداوي بها كما يحرم شربها . وكذلك سائر الأمور النجسة أو المحرمة .  
وإلى هذا ذهب الجمهور الراسخ من أهل العلم .

ويقول الشيخ أبو زهرة في كتابه ( العقوبة ) ص ١٨٥ .

إن الخمر محرم لغيبته فلا يباح ولو للتداوى لأن الخمر لا تتعين طريقاً للعلاج حيث غيرها من الدواء الطاهر يفني بالغرض وما قال طيبب منذ نشأ الطب إلى اليوم أن في الخمر فائدة طبية لا توجد في غيرها .

وحقيقة فإن من يقرأ رأى الطب الحديث الذي يقوم على البحث والاختبارات العملية والاكتشافات العلمية يرى أن محمداً صلى الله عليه وسلم قال فيها كلمة الحق . كيف لا وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

يقول الدكتور أو برلوس . رئيس قسم الأمراض النفسية في جامعة لندن في أكبر وأشهر مرجع طبي بريطاني - مرجع برايس الطبي .  
« إن الكحول هو السم الوحيد المرخص بتداوله على نطاق واسع في العالم كله ويجده تحت يده كل من يتصور أنه يهرب من مشاكله .

ولذا يتناوله بكثرة كل مضطرب الشخصية . ويؤدي هو إلى اضطراب الشخصية ومرضاها . إن جرعة واحدة من الكحول تسبب التسمم وتؤدي إما إلى الهيجان أو الخمود . وقد تؤدي إلى الغيبوبة .

أما شاربوا الخمر المدمنون فيتعرضون للتحلل الأخلاقي الكامل مع الجنون » ( ١ ) .

وقد كان يعتقد قديماً وإلى عهد قريب أن الخمر لها منافع طبية . ولكن الاكتشافات العلمية بينت أن هذا الاعتقاد وهم لا نصيب له من الصحة وصدقت هذه الاكتشافات أنها حقاً داء وليست بدواء ( ٢ ) ، وبما شهدت به الأعداء كما يقولون .

ومنافع الخمر كلها موهومة ، لأن هذه المنافع إما مادية بالنسبة لمن يبيعها ويتجر فيها فرداً كان أو شركة أو دولة ، فإن ما يعود على المجتمع أفدح وأعظم بكثير من هذا الكسب المادي ، فإلخسارة المؤكدة هي الخراب السلوكي والصحي مما لا يمكن أن يعوضه مال مهما بلغ .

أو منافع طبية وصناعية وكلها أمر موهوم ، فالواقعون في أسرها يعتقدون أنها تفتح الشهية ، وعلى هذا الاعتقاد الكاذب استعملت قديماً وحديثاً في أغلب بلاد العالم تحت تأثير هذا المعتقد ، فهي تفتح الشهية أول الأمر لأنها تزيد من إفراز حامض المعدة ( كلور الماء ) .

( ١ ) كتاب الخمر بين الطب والفقه ص ٢١

( ٢ ) نفس المرجع .

ولكنها بعد فترة تسبب إتهاب المعدة الذي يترتب عليه بالتجربة المؤكدة فقدان الشهية ، وكثيراً ما يعقبه القيء المتكرر ، وآخرها سرطان المرء (١) .

وبعد ، فإن من يتتبع موضوع التداوي بالمحرم ، يجد أن المتفهبين الذين أباحوه بحجة الاضطرار ، لم يفهموا مطلقاً معنى الاضطرار الدافع للاستعمال المحرم ، فالاضطرار هو التيقن من هلاك النفس بانعدام ما يؤكل أو يشرب ، فيصبح إنقاذاً وقتياً من الفناء أن يأكل الميتة ويشرب الخمر ، ولا يَأْثَمُ بذلك ولا حد يقام عليه عندئذ ، وكذا إذا فعله جهلاً أو بالشبهة التي تدرأ الحدود ، إذاً فلا يجوز مطلقاً التداوي بها ، لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : ( إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها ) ، ولقوله في الخمر كما أسلفنا ( إنه ليس بدواء ولكنه داء ) ، فهل بعد قول الرسول وما ثبت به قوله الشريف من تجارب الواقع مجال لتقول بإباحة التداوي بالخمر ؟

ننتقل بعد هذا العرض إلى بيان بعض الأحكام التي تتعلق بالخمر ، والتي بينها الفقهاء ، حتى لا يكون للناس حجة بعد هذا .

### أولاً : حكم من أنكر تحريم الخمر :

معلوم أنه لا خلاف بين العلماء في أن المتخذ من عصير العنب النبيء إذا غلا واشتد يكون خمراً ، أما المتخذ من غير ذلك من المسكرات فهو محل خلاف بينهم ، وهذا الاختلاف له أثره في الحكم بتكفير مستحل الخمر المتخذ من عصير العنب النبيء إذا غلى . واشتد وقذف بالزبد ، لإجماعهم على تحريمه وتسميته خمراً حقيقة وشرعاً ، وثبوت خمريتها بالدليل القطعي .

أما غيرها فيما اختلف العلماء في تسميتها خمراً وإن اتفق على حرمة ، فإنه لا يحكم بكفر مستحلها وإنما يحكم بفسقه ، وإن كان يستحق العقاب بالشرب عندهم .

انظر إلى قول الشافعي في المنهاج (٢) ( وحقيقة الخمر المسكر من عصير العنب وإن لم يقذف بالزبد وتحريم غيرها بنصوص دلت على ذلك ، ولكن لا يكفر مستحل قدر لا يسكر من غيره للخلاف فيه ، أي من حيث الجنس لحل قليله على قول جماعة ، أما المسكر بالفعل فهو حرام إجماعاً كما حكاه الحنفية فضلاً عن غيرهم ، بخلاف مستحله من عصير العنب الصرف الذي لم يطبخ ولو قطره ، لأنه مجمع عليه ) إنتهى .

(١) كتاب ( الخمر بين الطب والفقہ ) ص ٢٢

(٢) المنهاج إلى شرح المحتاج ج ٨ ص ١١ ، نيل الأوطار ج ٨ ص ١٩٣ ، فتح الباري ج ١٠ ص ٥١



عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لا تذهب الليلي والأيام حتى تشرب طائفة من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها ) رواه ابن ماجة (١) .

وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لتستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمنونها إياه ) رواه أحمد وابن ماجة . وقال : ( تشرب ) مكان ( تستحل ) .

ومن هذا يتضح أن من استحل الخمر بعد تحريمها الذي تعددت نصوصه من الكتاب والسنة والإجماع ، مهما تنوعت طرقه وقويت أساليبه وانتشر أمره انتشاراً فاحشاً بما في ذلك بلاد الإسلام ، فهو مرتد عن دينه لإنكاره معلوماً من الدين بالضرورة .

### ثانياً : تحريم بيع الخمر :

من سنة الإسلام في الأحكام ، أنه إذا حرم شيئاً ، حرم ما يكون ذريعة إليه ، ومن هنا حرم الإسلام بيع الخمر والانتفاع بثمنها ، كما يحرم تملكها وتملكها بسائر أسباب الملك ، ولو لم يكن هؤلاء جميعاً من شاربها .

وقد ذكر ذلك صريحاً وواضحاً في المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي . وهو السنة الصحيحة التي بلغت بمجموعها حد التواتر ، وانعقد عليه المصدر الثالث ، وهو الإجماع ، وبذلك كان بيع الخمر باطلاً عند جميع الأئمة ، ولا يترتب عليه ملكها للمشتري ، ولا ملك ثمنها للبائع ، وكان أكل ثمنها أكلاً للأموال بالباطل ، أي بوسيلة محرمة غير مشروعة في ديننا إطلاقاً .

وقد روى ذلك مسلم في صحيحه ، بقوله صلى الله عليه وسلم : ( يا أيها الناس ، إن الله يبيخ الخمر ، ولعل الله سينزل فيها أمراً ، فمن كان عنده منها شيء فليبعه ولينتفع به ) ، وما لبثوا إلا يسيراً حتى قال عليه الصلاة والسلام : ( إن الله حرم الخمر ، فمن أدركته هذه الآية : يريد ( إنما الخمر ..... ) وعنده منها شيء ، فلا يشرب ولا يبيع ) ، فاستقبل الناس بما كان عندهم منها بطرق المدينة فسكبوها .

وكذلك ما رواه أحمد والنسائي : ( لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يوم النتح ( برواية ابن حجر ) فقال له : ( أما علمت أن الله حرمها ؟ ) فأقبل الرجل على غلامه

(١) نيل الأوطار ج ١٠ ص ٥١

وقال له : إذهب فبعها ، وكأنَّ الرجل فهم أن التحريم قاصر على شربها ، فقال له الرسول صلوات الله عليه : ( إن الذي حرم شربها حرم بيعها ) فأفرغت في البطحاء .

### ثالثاً : تحريم إهدائها والانتفاع بذاتها :

وكما حرم الله بيعها على المسلم ، حرم عليه أيضاً إهداءها إلى غير المسلم ، وقد قيل للرسول صلى الله عليه وسلم من أحدهم بعد أن بين حرمة بيعها : أفلا أكارم لها اليهود ؟ فقال : ( إن الذي حرمها حرم أن يكارم بها اليهود ) ، ومن هذا الحكم وهو حرمة بيعها والانتفاع بثمنها ، تقررت حرمة الانتفاع بذاتها على أي نحو من أنحاء الانتفاع ، من طريق الخلط بغيرها ، أو عن طريق الاستغلال ، فيحرم أن تدخل في الطعام بأي قدر كان ، أو تصفيف الشعر بها كما تفعله بعض السيدات ، ويحرم تقديمها على موائد المسلمين مجاملة لغير المسلم ، أو بيعها في الفنادق للسياح ، كما تفعل وزارات السياحة في معظم البلاد العربية والإسلامية ، باسم ترويج السياحة وزيادة الدخل القومي مما حرم الله ، وهو في الحقيقة نقص وخراب وليس زيادة ، كما يحرم أيضاً أخذ ( الجمارك عليها ) .

فكل مال يأتي عن طريق الخمر حرام لا مرية في حرمة ، ولا يحل الانتفاع به في أي وجه من الوجوه ، كالإعلان عنها على الجدران وفي الصحف كما في كثير من بلاد المسلمين أيضاً مع بالغ الأسف ، والأشد أسفاً أن بعض الدول التي يدين أهلها بالإسلام وينتمون للعروبة ، ويتكلمون العربية لغة القرآن الذي حرمت آياته الخمر ، تتخذ من الخمر مصدراً من مصادر إنتاجها بمصانع الخمور عندها ، وتقوم بتصديره لشتى الدول ، ومن عملائها دول مسلمة أيضاً ، وأصبح تبعاً لذلك شرب الخمر مباحاً للجميع ، والقانون يحمي السكرارى إذا تعرض لهم أحد غيور على دينه .

### رابعاً : إهدار قيمتها :

ومن حرمة بيعها وحرمة الانتفاع بها أيضاً سقوط تقومها في حق المسلم ، بمعنى أنها لا تضمن بالإتلاف .

ومما يجب معرفته هنا ، أن حق إتلافها إنما أعطاه الإسلام للحاكم خاصة ، ولم يعط شيئاً منه للأفراد ، حسماً للخصومات ودفعاً للفتن ، وبذلك كان للحاكم حق تعزيز الأفراد الذين يبيعونها مهما بلغ التعزير ، حتى إن عمر رضى الله عنه كان يحرق على الخمارين بيوتهم ، قطعاً لمادة الإفساد ، ومحافظة على الشخصية الإسلامية التي أعز بها المجتمع المؤمن في عصره الزاهر العظيم .

## عقوبة شارب الخمر :

وكما قرر الإسلام حق إتلاف الخمر وما يتصل به ، قرر أيضاً عقوبة شاربها ، وقصرها على الحاكم كذلك ، وقد أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على مشروعية العقاب لشارب الخمر ، وعلى أنه حق واجب على الحاكم المسلم وقد ثبت ذلك بالمصدر الثاني من مصادر التشريع وهو السنة كما أسلفنا .

ومن ذلك ما روى مسلم وأبو داود وأحمد والترمذى ، عن أنس رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر ، فجلد بجريدين نحو الأربعين ، وفعله أبو بكر ، فلما كان عمر استشار الناس بعد انتشار شربها بانتشار الفتح الإسلامي واختلاط المسلمين بغيرهم ، ف قيل له : أخف الحدود ثمانون في كتاب الله ، إشارة إلى حد القذف ، فجعل عمر الحد ثمانين ، وكان صاحب هذا الرأي عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، ووافقت عليه الجماعة وأصبح تشريعاً منذ اليوم .

ومن ذلك ما روى أحمد والبخاري عن السائب بن زيد قال : كنا نؤتي بالشارب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي إمرة أبي بكر ، وصدر من إمارة عمر ، فنتقدم إليه فنضربه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا ، حتى إذا عَقُوا فيها وفسدوا جلد عمر ثمانين ، بهذا أجمعت الأمة على تقرر عقوبة شارب الخمر ، ولا نعلم خلافاً في تقرر المبدأ ، وإنما الخلاف في قدرها ، وكيفيةها ، وألتها ، وبذلك كانت نوعاً من التعزير الذي يلزم به الحاكم .

وقد انتقل به عمر إلى الزيادة والمضاعفة نظراً لاختلاف أحوال الناس ، وعملاً على أن تؤتى العقوبة الغرض منها ، وهى الردع والزجر ؛ وتطهير المجتمع الإسلامي من مادة الدمار هذه .

وقد بلغ الإعتداد بعقوبة شرب الخمر ، أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، لم يقف بها عند خصوص الشارب ، بل أقام حدها على من شهد مجلس الشراب وإن لم يشرب .

وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية : رفع إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قوم يشربون الخمر ، فأمر بجلدهم ، ف قيل له : إن فيهم فلاناً ، وقد كان صائماً لله ولم يشرب معهم ، فقال : به ابدؤوا ، أما سمعتم الله يقول : ( وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهنأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، إنكم إذا مثلهم ) . الآية ١٤٠ من سورة النساء .

وعلى هذا القياس يصبح كل حاكم ومحكوم في الرقعة العربية والإسلامية شريكاً مع السكارى ولو لم يسكر معهم . ما داموا قد أباحوا ذلك أو ارتضوه أو سكتوا عنه . وإقامة الحد عليهم أولى وأبداً . بنص الآية التي نفذها الحاكم الحازم عمر بن عبد العزيز . فلم يأخذوا أنفسهم ولم يأخذوا على يد الظالم .

ولئن كانت الحدود الإسلامية الآن عندهم معطلة . لما أوقفوا حكم الله الذي أحكم لعباده . وراحوا ينفذون حكم أعدائه . فلينتظروا قارعة تحقيق بهم لا محالة . طال يومهم معها أم قصر . تكون نهاية لما هم فيه من شتات الأمر وشقاء الحكم .

وأخرتهم أدهى وأسوأ ( ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وكنت بصيراً ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ) وقد فعلوا الثلاثة . نسيان الله . والإسراف في معصيته . وعدم تنفيذ آياته . فاستحقوا ما في هذه الآية من حكم الله عليهم وعندئذ يعلمون أن الحرب التي أعلنوها على الله ورسوله في بلادهم المنسوبة كذباً إلى الإسلام . والخمر التي أباحوها صناعة وتجارة وشراباً هي من أعتى جوانب هذه الحرب . قد طحتهم يوماً برحائها وفي الآخرة يصطلون بلظاها .

ويبقى دين الله سامقاً شامخاً . يذل كل طاغوت . ويخزي كل جبار عنيد . إن لم يفيقوا من سكرهم الذي طال مداه .



عَلَّمَهُ

تَجْوِيزًا



# السُّلْطَانُ الْغَازِي أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ الثَّانِي

للدكتور محمد حَرَب  
أستاذ زائر بكلية الدعوة وأصول الدين

هو السلطان محمد الفاتح نسبة الى فتحه مدينة القسطنطينية وهي استانبول الحالية . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بشر بهذا الفتح وأثنى على أميره أوثانك في الحديث الشريف : « لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش » ، كما أن السلطان محمد الثاني قد نال من ثناء المؤرخين العرب ومن شعرائهم الكثير ، فمن المؤرخين العرب نجد السخاوي - وهو مثال من أمثلة كثيرة - يقول في مؤلفه المشهور « الضوء اللامع » أن السلطان محمد الفاتح كان ملكاً عظيماً اقتضى أثر أبيه في المثابرة على دفع الفرنج بحيث فاقه مع وصفه بمزاحمة العلماء ورغبته في لقاءهم وتعظيم من يرد عليه منهم . ومن أمثلة الشعراء العرب الذين امتدحوا الفاتح نجد الشاعر أحمد خيري الذي يقول عن الفاتح :

أعظم بسُلطان يوطد حكمه      حق يزين عهده ويرصع  
لا يستعز بمعزوة تركية      لكن بحبل الله إذ لا يقطع

أما في الجانب التركي فنجد المؤرخ الورع علي همت بركي يصف الفاتح بقوله « كم كان عظيماً وكم كان عادلاً رحيماً ، فيه رقة وشفقة » . أما المؤرخ التركي المشهور أحمد رفيق فيقول عن السلطان الفاتح وعن العثمانيين : « كانت الغاية المنشودة لسلاطيننا - ويعني سلاطين آل عثمان الأول خاصة - أن يخدموا الإسلام بسيوفهم ، وقد كانت الأحاديث النبوية الواردة في فضل الجهاد ، والثوبة الموعود بها المجاهدون ، حفزتهم إلى الجهاد ، وكانوا في غزواتهم وحروبهم يرعون دين عدوهم ويصونون أزواجهم وأموالهم وأعراضهم ، وللسلطان محمد الفاتح قصب السبق في هذا المضمار » .

صحيح أن بعض المؤرخين المحدثين مثل المؤرخ الأستاذ محمد عبد الله عنان لم تتح له الفرصة للاطلاع على المصادر الأصلية التركية للفتح الإسلامي للقسطنطينية ، ولم يعتمد في تأريخه للفتح إلا على المصادر المعادية للعثمانيين وهي مصادر أوربية على رأسها رواية فرانتشر ، وهذا عدو شخصي للفتح لأنه - أي فرانتشر - كان من رجال القصر البيزنطي وحارب في الجيش البيزنطي ضد جيوش المسلمين وعلى رأسها الفاتح ، ثم استطاع فرانتشر هذا أن يهرب ويكتب تاريخاً للفتح به حقد كبير على العثمانيين ، لذلك السبب نصب المؤرخ عنان نفسه مدافعاً عن الحضارة الرومانية البيزنطية ، مستنكراً الفتح العثماني للقسطنطينية ، إلا أن تعصب بعض مؤرخينا ضد الفتح العثماني للقسطنطينية سيزول عندما تترجم المصادر العثمانية إلى اللغة العربية .

كانت حياة السلطان محمد الفاتح زاخرة بالعلم والحرب . فمن الناحية العلمية كان الفاتح يجيد عدة لغات بجانب لغته التركية فقد كان يجيد العربية والفارسية واليونانية واللاتينية بجانب اللغة العبرية .

قام الفاتح بتوسيع فكرة المدرسة العثمانية فأنشأ المدارس الكبيرة وأدخل فيها العلوم العملية بجانب العلوم الدينية . وبفضل الفاتح أصبحت الدولة العثمانية في عهده الدولة الأولى في العالم في بناء السفن والمواد الحربية .

وعرف عن الفاتح حب العلماء واستقدامهم من البلاد الأخرى . ومن أبرز علماء عصره الشيخ آق شمس الدين والمولى الكوراني والمولى خسرو وعلي قوشجي وخواجه زاده ومصالح الدين أفندی .

وفي عهد الفاتح بدأ ضرب النقود الذهبية ومن دلالات هذا ، غنى الدولة العثمانية وتسامح هذا السلطان تجاه رجال الدين الأجانب مثال بالغ الدلالة على المفهوم الإسلامي الحقيقي في النظر إلى الأقليات الدينية التي تعيش في كنف المسلمين . وكان هذا التسامح في وقت اشتد فيه الصراع المذهبي في أوروبا مما كان يدفع الأوربي للإضرار بمن يؤمن بدينه ويختلف عنه في المذهب .

والمؤرخين المهتمون بعهد الفاتح يعرفون أن كل حروب الفاتح وهي كثيرة لم تكن تحمل إلا مفهوم الجهاد الإسلامي . ولقد كان فتح القسطنطينية ( استانبول ) فتحاً عظيماً إلا أنه لم يكن هو الوحيد بل كان للفتح سلسلة من الفتوح ، ولقد لقبته المصادر الإسلامية بلقب أبي الفتح من كثرتها التي بلغت في عددها أن الأراضي التي فتحها كانت تابعة لسبعة عشر دولة .



بدأ أبو الفتح السلطان محمد الثاني فتوحاته فور توليه عرش السلطنة العثمانية وكان عمره وقتئذ تسعة عشر عاماً . كان أمير القرمآن قد اعتدى على البلاد العثمانية فحاربه السلطان محمد الثاني وانتصر عليه وكانت حرب القرمآن أول حروب السلطان الشاب . بعد ذلك تفرغ لدراسة فتح القسطنطينية . وفي سبيل هذا الهدف ابتنى قلعة روملى حصار على الضفة الأوربية من هذه المدينة البيزنطية . بحيث يكون موقعها مواجهاً للقلعة العثمانية المسماة أناضولو حصار على الضفة الأخرى من البسفور . اشترك السلطان محمد الثاني بنفسه في عملية البناء وكان يحمل الأحجار بنفسه . كما أمر بصب أكبر مدافع عرفها التاريخ حتى عهده . وليس صحيحاً ما قرأناه في كتب التاريخ في اللغات الأوربية بأن صاحب مشروع المدفع الذى أسهم في ذلك أسوار القسطنطينية . رجل مجري يدعى أوربان ، وإنما كان السلطان محمد الثاني بنفسه هو الذى وضع خطة صب هذا المدفع ثم أصدر أمر تنفيذه إلى مهندسين أتراك مسلمين على رأسهم مصلح الدين ، وصاروجه سكبآن وأوربان المجري هذا . وبهذا المدفع كانت القذائف الحجرية التى تصل زنة الواحدة منها ١٢ قنطاراً ينطلق الى مسافة ميل واحد . وأثناء حصار العثمانيين للقسطنطينية تم اكتشاف قبر أبى أيوب الأنصاري الذى كان استشهد حين حصار القسطنطينية عام ٥٢ هـ في خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه .

أما الموقف في داخل القسطنطينية أثناء الحصار العثماني لها فقد كان صعباً فيه اضطراب كثير . طلب الإمبراطور البيزنطي قسطنطين ، من البابا نيكولا الخامس أن يرسل له من يفوضه في اتحاد الكنيستين : كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية لمواجهة المسلمين الأتراك الذين يطوقون أبواب القسطنطينية . فوصل إليه الكاردينال إيزيدور موفداً من قبل بابا روما إلى بيزنطة ( وهى القسطنطينية ) فأقام هذا . المراسم الدينية على الأصول الكاثوليكية ، فاشتعل غضب الشعب البيزنطي في القسطنطينية لأنهم كانوا على المذهب الأرثوذكسي . ثم قام بعض رجال الدين البيزنطيين بمعارضة فكرة الإمبراطور في الاتحاد بين الكنيستين ومن هؤلاء رئيس وزراء القسطنطينية آنذاك وهو لوقاس نوتاراس وأيده في ذلك كينناديوس الذى نصبه الفاتح بعد ذلك بطريركاً لنصاري القسطنطينية في أول عهدها الإسلامى بعد الفتح : ونوتاراس هذا هو الذى قال القولة المشهورة في التاريخ وهى : « أن أرى عمامة التركي ( في القسطنطينية ) أفضل عندي من رؤية عطاء الرأس اللاتيني » . ذلك لأن الأروام لم ينسوا الظلم والفظائع التى قام بها اللاتين في استانبول عندما استولوا على هذه المدينة عام ١٢٠٤ م .

لم يفد مجيء إيزيدور شيئاً . ومع ذلك فقد توالى مجيء وفود المتطوعين من أوربا إلى القسطنطينية لمساعدة المدينة في مواجهة الفتح الإسلامى العثماني لها .

حاصر السلطان محمد القسطنطينية بجيش مكون من ٢٠٠٠٠ فرد، كما توجه الأسطول العثماني حيث وقف أمام مدخل الخليج . أمر السلطان في ثاني أيام الحصار بإنزال الجيش العثماني إلى الخليج عن طريق البر على أرض منطقة غالاتة بعد أن وضعت الأخشاب على الأرض ودهنت بالزيوت لسهولة تحريك السفن عليها . وكان البيزنطيون قد أغلقوا الخليج بسلسلة حديدية ضخمة لذلك لم يكن الأسطول الإسلامي بمستطيع دخول الخليج وبالتالي لم يكن يستطيع محاصرة المدينة . لذلك كان قرار الفاتح بأن تنقل المراكب والسفن على البر، كان من أجل تفادي هذه السلسلة الحديدية . وبهذه الوسيلة تمكن العثمانيون من نقل السبعين سفينة في ليلة واحدة حتى إذا أصبح الصباح إذا بالمحصورين وقد أيقنوا بانتصار العثمانيين عليهم .

في ١٥ من جمادى الأولى من عام ٨٥٧ هـ الموافق ٢٤ مايو ١٤٥٣ م، أرسل السلطان محمد الفاتح إلى الإمبراطور المحاصر قسطنطين يخبره أنه لو سلم المدينة دون إراقة دماء يتعهد له السلطان بعدم المساس بحرية الأهالي وأملاكهم وأن يعطيه جزيرة الموره، فلم يقبل قسطنطين ذلك، فأمر الفاتح بالهجوم . فتح العثمانيون القسطنطينية وأسموها إسلام بول وتعنى مدينة الإسلام، وإن لم يكن تاريخ أول اطلاق لهذه الكلمة بعد الفتح معلوما بعد . ولقد حوصرت القسطنطينية إسلامياً من قبل الفتح العثماني إحدى عشرة مرة . ومن ضمن هذه المرات حصار معاوية بن أبي سفيان لها عام ٣٤ هـ الموافق ٦٥٤ م في خلافة علي بن أبي طالب وحاصرها يزيد بن معاوية عام ٤٧ هـ الموافق ٦٦٧ م في خلافة علي أيضاً، كما حاصرها سفيان بن أوس عام ٥٢ هـ الموافق ٦٧٢ م في خلافة معاوية، وحوصرت القسطنطينية في عهد كل من عمر بن عبد العزيز وهشام وهارون الرشيد .

ودخل الفاتح المدينة، فأمر باستتباب الأمن ثم زار كنيسة أياصوفيا وأمر بأن يؤذن فيها للصلاة إعلاناً بجعلها مسجداً جامعاً للمسلمين، ثم أعلن في كافة الجهات بأنه لا يعارض في إقامة شعائر المسيحيين بل إنه ضمن لهم حريتهم الدينية وحفظ عليهم أموالهم وأملاكهم، فرجع بعض من هاجر من النصارى في الحصار، وأعطاهم نصف الكنائس وجعل النصف الآخر جوامع للمسلمين ثم جمع أئمة دينهم لينتخبوا بطريقاً لهم، فاختاروا جورج سكولاريوس واعتمد السلطان الفاتح هذا الانتخاب وجعله رئيساً لطائفة الأروام وأعطاه حرساً من الانكشارية ومنحه حق الحكم في القضايا المدنية والجنائية بكافة أنواعها المختصة بالأروام وعين معه في ذلك مجلساً مشكلاً من أكبر موظفي الكنيسة، وأعطى هذا الحق في الولايات العثمانية للمطارنة والقسس .

وبفتح مدينة القسطنطينية ، أسدل الستار على العصور الوسطى ، ويؤرخ المؤرخون الأوروبيون بدء العصر الحديث في التاريخ بيوم ٢٥ مايو ١٤٥٣ بمعنى اليوم الذي يسّر الله الفتح للفتح .

لم يكد السلطان محمد يفتح القسطنطينية وينظم أمورها حتى شرع بجيوشه لفتح بلاد الموره ، وكان الأميران دمتریوس وتوماس يحكمان هذه البلاد . وما أن شرع الفاتح في زحفه حتى أسرع هذان بإخباره قبولهما دفع جزية سنوية للدولة العثمانية فوافق الفاتح ، ولم يرجع بل وجه جيشه إلى بلاد الصرب بيوغوسلافيا الحالية حيث اضطر أميرها إلى عرض الصلح على الدولة العثمانية وإن لم يصدق أمير الصرب في عهده هذا .

وبعد سنتين من الفتح ، اضطر الفاتح إلى إعادة الكرة على بلاد الصرب ووصل هذه المرة إلى مدينة بلغراد عاصمة يوغوسلافيا الآن وحاصر الفاتح هذه المدينة براً وبحراً وإن لم يكن استطاع فتحها لكنه كسب أكثر من هذا . كان في القلعة القائد المجري المعروف جون هونياد ، وكان هذا القائد المجري عقبة كؤود في سبيل تقدم العثمانيين . وقد جرح هذا القائد هونياد أثناء الحصار العثماني لبلغراد ، جراحا تسببت في موته . ثم أرسل الفاتح صدره الأعظم محمود باشا لإتمام فتح بلاد الصرب ففتحها في سنتين وبذلك فقدت الصرب استقلالها نهائياً .

وفي عام ١٤٦٠م اضطر الفاتح لإصدار الأمر بفتح إقليم الموره نتيجة لثورة أميره ومحاربتة للأتراك العثمانيين . ثم فتحت الدولة العثمانية جزائر تاسوس وانبروس وغيرها في بحر إيجه . وحدث أن اعتدى أمير الأفلاق ( والأفلاق تقع في رومانيا حالياً ) وكان اسمه فلاد ، اعتدى على التجار العثمانيين النازلين هناك فسار الفاتح إليه . خاف فلاد وأرسل إلى الفاتح وفدا يعرض عليه دفع جزية سنوية . وعاد الفاتح ، إلا أنها كانت إحدى الحيل الأوربية ضد الدولة العثمانية . لم يكن الأمير فلاد يرغب إلا في أخذ فسحة من الوقت ليتمكن من الاتحاد مع ملك المجر ومحاربة العثمانيين ، ولما علم الفاتح بهذا ، أراد التيقن والتبين ، فأرسل مندوبين إلى أمير الأفلاق ليسألاه عن الحقيقة ، فاذا بالأمير يقبض على الرسولين ويقتلها ويمثل بهما إذ وضعهما على عمود مدبب من الخشب وهو ما يسمى بالخازوق ، ثم أغار هذا الأمير فلاد على بلغاريا وكانت تابعة للدولة العثمانية . أرسل إليه الفاتح يدعوه إلى الطاعة فجاء رسول الفاتح أمام الأمير فإذا به يأمر بخلع عمامة هذا الرسول وأن يخلع من معه عمائمهم أيضا إظهارا لاحترام الأمير فلما خالفوه أمر فلاد هذا بأن تسمر عمائم رسل الفاتح على رؤوسهم بمسامير من حديد .

تحرك الفاتح بمجرد سماعه هذا الخبر لمحاربة الأمير فلاد وضم بلاده أي بلاد الأفلاق إلى الدولة العثمانية .

وعندما أراد متياس كرفن ملك المجر استخلاص البوسنة ( وهي في يوغوسلافيا حاليا ) من العثمانيين كانت النتيجة أن هزمه العثمانيون وقتلوا معظم جيشه وكانت عاقبة هذا ضم بلاد البوسنة لتصبح ولاية كاملة التبعية للدولة العثمانية . ودخل في جيش الانكشارية العثماني ٣٠٠٠٠ من شبان البوسنة وأسلم أغلب أشرافها .

وكان أن أرادت أوروبا أن توقف زحف هذا الفاتح العثماني ، فقام البابا بيوس الثاني ينادي بمحاربة المسلمين حرباً دينية ، وفي عام ١٤٧٠ م قامت الحرب بين العثمانيين والبنادقة فاستولى العثمانيون على جزيرة اجرييوس مركز مستعمرات البندقية .

وبعد أن ساد الأمن العثماني أنحاء أوروبا وجه الفاتح اهتمامه نحو استتباب الأمن داخل الأناضول ، فضم إمارة القرمات وكانت مصدر إزعاج للعثمانيين .

وأرسل ليحارب اوزون حسن في طرابزون ويذكر في المصادر العربية باسم حسن الطويل وهو أحد خلفاء تيمور لنگ ، وتمت هزيمة حسن الطويل عام ١٤٧١ م ، ثم سار السلطان بنفسه ليجهز على بقية قوة حسن الطويل وتم له ذلك .

استعانت البندقية بالبابا في روما وبأمير نابولي لمساعدتها في استرجاع ما أخذه منها العثمانيون ، لكن هذا الأمر انتهى بانتصار العثمانيين ولم يستطع البنادقة استرجاع شيء ، واضطرت البندقية لإبرام الصلح مع السلطان تنازل البنادقة بموجبه عن كثير من الأماكن الهامة التابعة لهم منها مدينة اشقودره ( في ألبانيا حاليا ) وهذا أمر هام في التاريخ الأوربي ذلك لأن جمهورية البندقية حينذاك كانت تعتبر هي وجمهورية جنوه أهم دولتين في أوروبا .

وفي عام ١٤٨٠ م تم فتح جزائر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان وإيطاليا ، بعد ذلك سار القبطان العثماني كدك أحمد باشا بأسطوله وفتح مدينة اوترانتو بإيطاليا .

لكن جزيرة رودوس استعصت على الأسطول العثماني في حصار دام ثلاثة أشهر وكانت رودوس مركز رهبة القديس يوحنا الأورشليمي ، وكانت الحرب بين فرسانها برياسة بييردوبوسون وبين الدولة المملوكية في مصر قائمة كما كان هناك نزاع بين هؤلاء الفرسان وبين باى تونس ، فهادن الفرسان كلاً من مصر وتونس حتى يتفرعوا لصد هجمات العثمانيين ، والمعروف أن جزيرة رودوس كانت محصنة تحصينا منيحاً .

بدأ العثمانيون في حصار رودوس في ٣ من ربيع الأول سنة ٨٨٥ هـ الموافق ٢٣ مايو عام ١٤٨٠ م ، إلا أن أهم قلاع الجزيرة وهي قلعة القديس نيقولا استعصت على العثمانيين ، إلا أن هؤلاء اضطروا لفك الحصار والعودة بعد ثلاثة أشهر من بدء هذا الحصار ، ولم يستطع

العثمانيون فتح جزيرة رودوس إلا في عهد السلطان سليمان القانوني وهو ابن سليم الأول فاتح بلاد الشام ومصر .

وفي الرابع من ربيع الأول عام ٨٨٦ هـ الموافق ٣ مايو عام ١٤٨١ م توفي أبو الفتح محمد الثاني عن ثلاث وخمسين عاما حكم فيها ثلاثين عاما وحوالي الشهرين ونصف الشهر ، وترك دولة تبلغ مساحتها ٢٢١٤٠٠٠ كيلو مترا منها في الأناضول ٥١١٠٠٠ كيلو مترا والباقي يقع في أوروبا . وكانت حدود دولته الشمالية تبدأ من جنوب موسكو وكان البحر الأسود في عهده عبارة عن بحيرة عثمانية . وكان ينوى كما يقول بعض المؤرخين أن يفتح روما وكانت استعداداته البحرية توحى بذلك .

مات الفاتح ودفن في المسجد الذي كان قد أمر ببنائه ويقول بعض المؤرخين أنه بناه فوق مقبرة أباطرة الدولة الرومانية وكانت مقبرة لها مكائنها في العالم المسيحي في ذلك الوقت .

\* \* \* \*

### أهم المراجع التركية :

- على رشاد . تاريخ عثماني . استانبول .
- شهاب الدين تكين داغ . دورس في الدولة العثمانية . جامعة استانبول ١٩٧٩ .
- يلماز أوزطونه . عثمانلى أمبراطور لغى . أنقره ١٩٧٧ .
- على همت بركى . أبو الفتح وحياته العذلية . ترجمه إلى العربية محمد إحسان . القاهرة .

### أهم المراجع العربية :

- محمد فريد . تاريخ الدولة العلية العثمانية . القاهرة ١٩١٣ .
- محمد حرب . محاضرات في تاريخ الدولة العثمانية . محاضرات بكلية الآداب جامعة عين شمس سنة ١٩٨١ .
- محمد حرب . دفاع عن السلطان محمد الفاتح . مجلة العربي . ١٩٧٩ .

## أَلْبَيْعَةُ وَأَثَرُهَا فِي:

# حَمَى السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

لِلشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ مُحَمَّدٍ حَسَنِ الْجَمَلِ

الْمُدْرِسِ بِالْمَعْدِنِ الثَّانَوِيِّ السَّابِعِ لِلْعَامَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

مكة المكرمة بيئة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، وهى - حرسها الله ورعاها - قديمة ، تاريخها غامض . يذكر أن أول ما عرف عنها أنها كانت تقع فى القديم فى طريق القوافل العربية وغير العربية التى تعبر الطريق ، وهى قاصدة فلسطين وما جاورها من البلاد ، أو آتية منها إلى اليمن ، أو متجهة إلى الشرق .

وقد كانت القوافل تلجأ إليها للراحة بسبب ما كان فيها من العيون . ولم يكن العمران قد انتظم فيها ، فكان رجال القوافل يجعلون فيها مضارب لخيامهم للراحة ، ولتبادل السلع ، وبهذا كانت محلة للتجارة .

ومن المرجح أن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أول من اتخذها مقاما وسكنا ، بعد أن كانت محلة للتجارة يقع فيها التبادل بين القوافل الآتية من الجنوب ، والمنحدرة من الشمال .

على أنه يمكن أن نقول بأنها اتخذت مقاما للعبادة قبل أن يجيء إليها إسماعيل عليه السلام ، ويقيم بها ، بزمن طويل ، ويلمح هذا من الآية الكريمة ، التى جاءت على لسان إبراهيم عليه السلام فى قوله سبحانه وتعالى :

« ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » ( إبراهيم : ٣٧ ) إذ يفهم من هذه الآية أن البيت كان موجودا قبل أن يفد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى مكة .

ومكة بلدة مكرمة ومقدسة منذ بدء الخليقة ، وإلى أن تقوم الساعة ، وذهب الناس فى تعليل هذا الشرف والفضل إلى كثير من الأسباب حتى قيل :

إن الله شرفها ؛ لأنها نقطة منتصف الأرض . وإلى هذا أشار أحد العلماء المصريين فى استخدامه للكمبيوتر للدراسات القرآنية فى أمريكا ومن دراسته لمقاييس الكرة الأرضية فقال : ( إن مكة قلب الأرض . فلوتصورنا أن الأرض إنسان لوجدنا أن مكان مكة فى موضع القلب بالنسبة له ) .

وورد قديماً للعلامة القاضي أبى زيد الدبوسى المتوفى عام ٤١٣ من الهجرة فى مخطوطته النادرة المسماة « الأمد الأقصى » قوله فى مكة المكرمة مقررأ نفس المعنى بصورة أخرى . قال : ( فهى أم القرى ، وبمنزلة الرأس من الجسد لسائر الدنيا . فأول بيت وضع للناس الذى بيكة مباركا . وأول جزء ظهر من الأرض تلك البقعة . كما يظهر أول شىء من الإنسان رأسه عند الوقفة ... وبهذا - والله أعلم - سميت مكة ( أم القرى ) كما يسمى موضع الدماغ أم الرأس . ولأن مرجع الولد إلى أمه أو منها كان المبدأ . ومرجع البدن الرأس . ومرجع القرى إلى مكة . ومنها الابتداء ) .

كان الحرم آمناً . يأمن من التجأ إليه . إلا إذا تعدى فيه بما أوجب حداً .  
وقالوا فى تسميتها مكة . وهو المشهور من أسمائها (١) : لأنها تمك الجبارين أى :  
تذهب شدتهم . « وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن  
أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً » ( الفتح : ٢٤ ) .  
وقيل : لأنها تمك الفاجر : أى تخرجه منها (٢) .

وقيل أيضاً : إنما سميت مكة : لأن العرب فى الجاهلية كانت تقول : لا يتم حجنا  
حتى نأتى مكان الكعبة . فنمك فيه : أى نصر صغير المكاء حول الكعبة . وكانوا يصفرون .  
ويصفقون بأيديهم إذا كانوا بها .

وقيل : سميت بهذا الاسم ؛ لأنها تمك الذنوب أى : تذهب بها كما يمك الفصيل  
ضرع أمه . فلا يبقى فيه شىء .

وأيضاً من أسمائها « بكة » قال الله سبحانه وتعالى : « إن أول بيت وضع للناس  
للذى بيكة مباركاً وهدى للعالمين » ( آل عمران : ٩٦ ) .

(١) أورد ابن ظهير القرشي ثلاثين اسماً لمكة المكرمة فى كتابه « الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف »

ص ١٥٦ .

(٢) مراد الاطلاع على أسماء الأماكن والباق لابن عبد الحق البغدادي تحقيق الجاوى ج ٣ ص ١٣٠٣ .

وقال بعض الإخباريين : إنه بطن مكة .

وتشدد بعضهم فقالوا : بكة موضع البيت ، ومكة ما وراءه .

وقال آخرون : لا ، والصحيح البيت مكة ، وما ولاه بكة .

ومن أسمائها « الباسة » لأنها تبس : أى تحطم الملحدين . وقيل : تخرجهم . وأيضاً تسمى « أم القرى » إذ يقول المولى جل وعلا : « لتنذر أم القرى ومن حولها » ( الشورى : ٧ ) .

وتسمية مكة بأم القرى ، وملاحظة معنى الأمومة فى رجوع أبنائها إليها ، يتفق تماماً مع الجيان القرآني فى قوله : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً » ( البقرة : ١٢٥ ) .

فإليه يثوب الناس جميعاً كما يثوب الأبناء إلى أمهم ، ويأمنون بجوارها . ومكة أم العالم وقلبه ورأسه ، وهى كل ما تعطيه الأمومة والأولية من معان هى العالمية التى اصطبغ بها دين الإسلام (١) .

وتسمى البلد الأمين ؛ قال تعالى : « والتين والزيتون وطور سينين ، وهذا البلد الأمين » ( التين : ١ ، ٢ ) . والبلد الأمين هو مكة المكرمة .

ويأمر الله سبحانه وتعالى النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول لقومه : « إنما أمرت أن أعبد ربَّ هذه البلدة الذى حرَّمها » ( النمل : ٩١ ) .

فأى تشريف أعظم من هذا ، فلقد خصها الله سبحانه وتعالى بالذكر ، وأضافها إليه ؛ فهى أحب البلاد إليه سبحانه وتعالى ، وأكرمها عليه ، وإشارته جل وعلا إليها إشارة تعظيم ، فهى موطن بيته ، ومهبط وحيه ، ويكفى مكة فخراً على غيرها أن أقسم المولى سبحانه وتعالى بها ، فقال جل من قائل : « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد » ( البلد : ١ ، ٢ ) .

ولقد أحب النبى صلى الله عليه وسلم مكة حباً شديداً ، وقد آلمه تركها ، وحز فى نفسه أن يخرج قومه منها ، فلما خرج من مكة ، وقف على الحزوة وقال : « إني أعلم أنك أحبُّ البلاد إلى ، وإنك أحبُّ أرض الله إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت » .

ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح على جمرة العقبة ، وقال : « وآلله إنك لخير أرض الله ، وإنك لأحب أرض الله إلى ، ولو لم أخرج ما خرجت ، إنها لم تحل لأحد كان قبلى ، ولا تحل لأحد كان بعدي ، ما حلت لى إلا ساعة من نهار ثم هي حرام » .

(١) لماذا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة ؟ ص ١٤ .



وتكريم الله لهذه البقعة ، واختياره لها ، وجعلها مكانا لحرمه ، ليس له علة ظاهرة إلا ما ذكرنا .

فماذا في مكة من جمال الأنهار ، وكثرة المياه ، وحسن الزرع والخضرة ، وطيب الهواء ، واعتدال الجو ، وكثرة الخير ؟ لم يكن فيها شيء من ذلك !

أنها بلد يقع في واد غير ذى زرع ، لا تنساب فيه مياه ، ولا تكتنفه الحدائق ، ولا تقوم فيه صناعات ، تحيط به الجبال ، شديد الحرارة ، تصل أحيانا لدرجة اللهب .

ويشتد العجب بالإنسان ، ويملؤه الأسى والحزن إذا عرف أن كفار مكة كانوا يعذبون من أسلم من عبيدهم من أمثال بلال بن رباح بوضعهم في وقت الظهر على رمضاء مكة ، فكأنها نار السعير ؛ إذ كان أمية بن خلف يطرح بلالاً على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره .

وقال القزويني في مكة :

« وهي مدينة في واد ، والجبال مشرفة عليها من جوانبها ، وبنائها حجارة سوداء ملس ، وبيض أيضاً ، وهي طبقات مبيضة نظيفة ، حارة في الصيف جدا ، إلا أن ليها طيب ، وعرضها سعة الوادي ، وماؤها من السماء ، ليس بها نهر ، وليس بجميع مكة شجر مثمر ، فإذا جزت الحرم ، فهناك عيون وآبار ومزارع ونخيل ، وميراتها تحمل إليها من غيرها استجابة لدعاء الخليل عليه السلام » (١) .

وتصعد عمارة مكة إلى عهد الخليل ابراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، وكان بنوه يعيشون في الخيام والمضارب حتى عاد قصى بن كلاب من الشام في القرن الثاني الميلادي ، وبنى فيها المساكن والبيوت حول الكعبة ، ومن ثم أخذت تزيد ، وكانت في زمنها البعيد خالية من الحضارة ؛ بيوتها ساذجة مبنية بالحجارة والطوب اللبن ، مسقوفة بجذوع النخل خالية من الزخارف .

وفي القرن السادس الميلادي بدأ السادة من قريش يهتمون ببناء بيوتهم فكانت أحيانا تتألف من دورين ، ويتخذ لها أجود الأخشاب ، وتكثر فيها الشرفات ، ويغلب فيها بيوت صغيرة ، تلحق بالبيوت للضيوف الذين يردون من داخل البلاد وخارجها . وكان من أحسن البيوت وأعظمها بيت السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .

كل هذا في القديم ، أما اليوم فقد أخذت المدينة زخرفها وازينت ، فتغيرت وتبدلت في وصف يطول بنا لو تعرضنا لها - حفظها الله ورعاها - .

(١) آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص ١١٣ .

ولقد كسا الله سبحانه وتعالى مكة حلة روحية . تجعل القلوب تهوى إليها . والنفوس الصافية تعشقها . يأتيها الناس من كل فج منفذين أمر الله الذى أمرهم بالحج إليها . جماعات ووحدا . راجلين وراكبين . رجالا ونساء . يزيدون كلما زاد الخلق وكثروا عاما بعد عام . استجابة من الله لخليله إبراهيم عليه السلام حينما دعا الله فأجاب دعاءه .

« ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا » ( إبراهيم : ٣٧ ) .

ومكانة مكة فى قلوب العرب تجعل أهلها دائما محل نظر واهتمام وعرضة للنقد . وبخاصة المرأة القرشية . فلا بد أن تظهر بالمظهر اللائق ؛ لأن كل عربية تأتي لتحج . ولتعيش فى رحاب البيت العتيق تتخذ لها مثلا أعلى من نساء أهل مكة .

ولا شك فى أن الذين أتوا إلى مكة أعجبوا بما تتحلى به نساء مكة من احترام الرجل القرشى لهن . ومشاركتهن للرجال فى كثير من الأمور . فلقد قدّرها الرجل فى تلك البقعة . وترك لها الحرية المقيدة بعبادات وتقاليد الأحرار البعيدة عن كل ما يشين . وعرفت المرأة ذلك . فكانت عالية الهمة . شامخة الرأس . يحيطها الخلق الحسن والمعرفة لما يجب عليها تجاه مجتمعها .

وقد كان وأد البنات شائعا فى العرب كما أخبر القرآن الكريم .

ولما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة المنورة قيس بن عاصم . واعترف أمامه بأنه ما ولدت له بنت إلا وأدها . سأله أحد المهاجرين قائلا :

ما الذى حملك على وأد بناتك . وأنت أكثر العرب مالا ؟

فقال وهو مسرع فى إجابته :

مخافة أن يتزوجهن مثلك !

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال :

هذا سيد أهل الوبر .

وكانت المجتمعات العربية التى لم تُبتل فى الجاهلية بعبادة وأد البنات . تفضل الولد على البنت لما يقوم به الولد من عون لأهله فى جميع مناحى الحياة . ومساعدة للأب وللمجتمع . وما نشك فى أن المجتمع المكى كان كذلك . ولكن عندما كانت تولد لهم بنت . فإنهم يحسنون تربيتها . ويؤهلونها لكى تشترك بصفة ما فى إقامة مجتمعهم .

فلا عجب إن رأينا السيدة خديجة رضى الله عنها مثلاً أعلى لهذا المجتمع فى كل ما عملت . وكل ما أقدمت عليه . وكانت سيرتها الحسنة مثلاً يضرب . ولا ننكر أنه كانت لهذه البيئة أثرها الكبير فى تكوينها . وفوق هذا كانت رعاية الله تكلؤها وتحفظها . فهى ستكون أما للمؤمنين . ولأمهات المؤمنين مكانة خاصة عند الله منذ الصغر . فهن فى الحفظ والصون . حتى يأتى دور كل واحدة منهن فتؤديه خدمة لهذا الدين .

وقد أجمع المؤرخون على القول بأن السيدة خديجة رضى الله عنها ورثت عن أبويها جمال الخلق والخلق . وقد ساعدت البيئة على إبراز شخصيتها التى تجبر كل من رآها على الاحترام والإكبار والتقدير .

وهذا ما فعله سادات قريش حينما توفى زوجها الثانى . فقد أسرعوا إليها يطلبون يدها . لكنها رفضت بإباء وشمم . فاحترموا رعبتها . ولم ينبسوا ببنت شفة . وحسبوا أن الأمر كأن لم يكن . وكأنهم لم يتقدموا إليها .

وكان للسيدة خديجة رضى الله عنها العذر . لأنها قابلت صدمات الحياة فى أول خطواتها على درجات الحياة . إذ قد مات زوجها الأول ولم تتعد السابعة عشرة . ثم فقدت زوجها الثانى حين جاوزت العشرين . وقد تركا لها أربعة أولاد . فتقبلت ذلك كله بقلب كبير . وصبر أكيد . وجلد لا يعرف اليأس وهذا ما هو معروف عن أهل البيئة الصحراوية .

لقد انصرفت لتربية أولادها . والإشراف على تاديبهم وتعليمهم . ورأت أنها استفادت من تجاربها . فتوسعت مداركها وقوى فهمها . وزادت معرفتها . ورأت أن فى إمكانها تنمية الأموال الطائلة التى فى يدها . فأدلت بدلوها فى التجارة حرفة قومها وأهلها . وليس الاشتغال بها عيباً . فالحنظلية زوج أبى لهب كانت تتاجر فى العطور وكذلك هند زوج أبى سفيان وغيرهما . واتجهت إلى التجارة وساعدها الأقارب وفى مقدمتهم ابن أخيها حكيم بن حزام ومع استقلالها الكامل فى تجارتها كانت تستشيريه . وتأخذ برأيه . وكثيراً ما كان يراقب رجالها فى الأسواق ويقدم لهم خدماته .

ولكن سرعان ما وعت جيداً ما يحتاج إليه الناس فى الخارج والداخل . فصادراتها كانت التمر والزبيب والعطور والمعادن . والواردات هى الحرير والتوابل والأدوية والحجارة الكريمة والعاج والمنسوجات القطنية والحبوب والزيوت وغيرها .

وكانت ترسل عبيدها وخدمها وفى مقدمتهم عبدها المخلص ميسرة مع أناس تستأجرهم على أجر معلوم . وأحياناً كانت تعطى رجالاً عرفوا بالخبرة والأمانة الأموال مضاربة .

قال ابن هشام :

« وكانت السيدة خديجة بنت خويلد تاجرة ذات شرف ومال . تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم » (١) .

وقال ابن سعد صاحب الطبقات الكبرى :

« وكانت - السيدة - خديجة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام فيكون غيرها كعامه عير قريش ، وكانت تستأجر الرجال ، وتدفع المال مضاربة » (٢) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن تجارتها كانت عظيمة . وأن أموالها كانت كثيرة والربح كان موفوراً ، لكنها لم تشترك مع التجار في أمر ما . ولم يعرف عنها أنها خرجت إلى الأسواق ، أو غادرت بيتها لعرض أو طلب .

وقد كان للبيئة أثرها البعيد في حياتها ، فالبيت العتيق مقدس عندها . وله رب واحد تتجه إليه بالدعاء والشكر ؛ لأنه مصدر الخير . وهو الذى يعطى ويمنع . وما كانت تفعله فمن أجله سبحانه وتعالى . فطالما أطعمت الفقراء . وساعدت المحتاجين ، وآوت البائسات . وكان بيتها متجه كل ذى طلب . فهي توفى أنه سبحانه هو المجازى على العمل . وهو الذى يكافىء المنفق ويعاقب الممسك .

ولذلك حينما جاءها النبي صلى الله عليه وسلم ينتفض جسمه بعد أن جاءه جبريل عليه السلام أول مرة وهو يقول « دثروني . دثروني » قالت له :

« كلا ، لا يخزيك الله أبدا . والله إنك لتصل الرحم . وتصدق الحديث . وتؤدى الأمانة . وتحمل الكّل . وتقرى الضيف . وتعين على نوائب الحق » .

فهي قد أدركت الثواب والعقاب الذى شرعه خالق الكون . فمن يفعل الخير لا يجازيه الله إلا خيرا . ومن يفعل الشر لا ينال إلا شرا . وكأنها تقول : إن ما يحدث لك لا يكون إلا خيرا ؛ لأنك لا تعمل إلا للخير . ولا تتصف إلا بصفات الخير . فمثلك لا يخزيه الله أبدا .

وكان ابن أخيها حكيم بن حزام . كريما فى الجاهلية . عطوفا على الفقراء . لكنه كان يسجد للأصنام . فكانت تطلب منه أن يتجه بعمله إلى خالق الأرض والسماوات . رب البيت العتيق الذى لا ينبغى السجود إلا له وحده .

(١) السيرة النبوية ج ١ ص ١٨٧ . ١٨٨ لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرين . مطبعة مصطفى البابى الحلبي ١٣٧٥ هـ بمصر .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٦ دار الصادر بيروت .

ولم يكن للمال عندها تأثير في حياتها الروحية ، إذ لم تحبه حبا كثيرا ، فلم يستول على كل تفكيرها حتى تفضله على أعمالها ، بدليل أنها حينما تزوجت الرسول صلى الله عليه وسلم ، تركت التجارة ، وما كانت تدره عليها من ربح كبير ، ولم تشر عليه صلى الله عليه ذهابه إلى سوق مكة ، ثم رجوعه ليتفرغ لتفكيره وعبادته ، واتجهت هي إلى القيام بما يجب عليها تجاه زوجها الكريم ، وتهيئة الجو الساكن ليتفرغ لعبادته .

ولقد قام ابن عمها الشيخ الكبير ورقة بن نوفل بدور كبير في حياتها الروحية ، فطالما استمعت إليه وهو يتحدث عما في الكتب المنزلة التي أنزلت على موسى وعيسى ، والأنبياء السابقين ، ويذكر دعوتهم إلى الخير ، وعبادة الله ، وكان يؤثرها الحديث حينما تستمع إليه يخبرها أنه قرأ في الكتب القديمة المنزلة أن الله سيبعث إلى الناس رسولا ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن هذا الرسول من ولد « إسماعيل » وأنه سيولد بجوار بيت الله الحرام ، وأن أوان نزوله قد آن (١) ، كما أخبرها أنه يرجو أن يعيش حتى يبعثه الله إلى الناس بشيرا ونذيرا ، فيؤمن به ويتبعه ، ويشد أزره .

كانت تستمع إلى كل هذا بأذن صاغية ، وقلب مملوء بالسعادة ، وتتمنى أن تعرفه ، وأن تراه ، وأن تساعد على تحقيق رسالته فتؤمن هي أيضا به .

لقد كانت تعيش رضى الله عنها عيشة روحية صافية ، وكانت مهيأة لأن تحقق حلما يقربها من رب البيت العتيق الذى طالما طافت حوله من أجله ، لتكمل سعادتها فى الدنيا والآخرة .

وقد أطالت الدعاء وسألت الله أن يحقق لها ما تمنى ، وصفت نفسها له ، فحقق الله لها ما أرادت بالتقائها بسيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٩١ .

## راتب عمر بن الخطاب

وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه . أساساً لرواتب الخلفاء . فقد كان أول من اعتبر نفقة الخليفة واجبة على بيت المال . فبعد تولى أبي بكر رضي الله عنه أراد أبو بكر الذهاب إلى السوق ليتجر ، فلقية عمر ، فسأله أين يريد . فذكر أنه يسعى برزق عياله فرده عمر وقال إن نفقته واجبة على بيت المال .

وطبيعي أن هذا المبدأ أصبح ينطبق على عمر عند توليه الخلافة ولكن .  
كم كان يحق لعمر أن يأخذ من بيت المال ؟ .

قال الأحنف بن قيس : « كنا جلوساً بباب عمر ، فمرت جارية ، فقالوا : سرية أمير المؤمنين . فقال : ما هي لأمر المؤمنين بسرية ولا تحل له . أنها من مال الله ، فقلنا : فماذا يحل له من مال الله تعالى ؟ فقال : إنه لا يحل لعمر من مال الله الا حلتان : حلة للشاء ، وحلة للصيف ، وما أحج به واعتمر . وقوتي وقوت أهلي ، كرجل من قريش ، ليس بأغناهم ولا بأفقرهم .. ثم أنا بعد ذلك رجل من المسلمين » .







# ظَاهِرَةُ التَّقَارُضِ فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ

للدكتور أحمد محمد عبد الله

أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية

(١)

ظاهرة التقارض في اللغة العربية مظهر من مظاهر اتساعها ، ولون من ألوان شمولها لأن التوسع شائع في كلام العرب (١) ، فإذا كان الترادف والاشتقاق والتضاد والاشتراك والتضمن والمشكلة ... الخ تمثل أنواع الإحاطة والتنوع في الأسلوب العربي ، فإن التقارض يعد واحداً من هؤلاء ، إذ به يستطيع المتكلم أن يقلب الكلام على وجوه عدة ، وعلى كل حال هو مصيب فيما يذهب إليه ، بشرط أن يكون معه سند من السماع ، ووجه من وجوه التوجيه الصحيحة ، وهذا يؤكد أن لفتنا العربية مرنة وطبيعة وليست جامدة تقف عند لون معين من ألوان التعبير .

فالتقارض يمثل نوعاً من أنواع الطرافة والملحة في التعبير ، وقد تحدث ابن هشام عنه بايجاز شديد ، وألمح عنه بإشارة عجلية في الصفحات الأخيرة من كتابه الذي طبقت شهرته الآفاق « مغنى اللبيب عن كتب الأعراب » (٢) .

## فما التقارض عند علماء اللغة ؟

تفيد مادة « قرض » عندهم معاني كثيرة ، أشهرها ، الإعطاء والأخذ .

قال الفيروز أبادي : « والقرض » ويكسر ما سلفت من إساءة وإحسان وما تعطيه لتقضاه ، وأقرضه : أعطاه قرضاً ، وأقرض منه : أخذ القرض ، وهما يتقارضان الخير والشر (٣) (أى ) يتبادلان ) .

(١) رسائل ابن كمال باشا ، ط أولى ، الرياض .

(٢) راجع مغنى اللبيب ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ط بيروت .

(٣) القاموس المحيط : « قرضه » ط دار الفكر ، بيروت .

وقال الزمخشري : واستقرضته فأقرضني ، وأقرضت منه كما تقول : استلفت منه ،  
وعليه قرض وقروض ، وقارضته مقارضة وقراضا ، أعطيته المال مضاربة ، وفلان يقارض الناس  
مقارضة : يلاحبهم ويواقمهم ... وهم يتقارضون الثناء والزيارة (١) .

وقال الجوهري : « القرض ما تعطيه من المال لتقضاه ، واستقرضت من فلان أى  
طلبت منه القرض فأقرضني ، واقرضت منه أى أخذت منه القرض ، وهما يتقارضان الخير  
والشر (٢) .

وقال الفيومي : « والقرض » ما تعطيه غيرك من المال لتقضاه ، والجمع قروض مثل  
فلس وفلوس ، وهو اسم من أقرضته المال إقراضا ... وتقارضا الثناء أثنى كل واحد على صاحبه ،  
وقارضه من المال قراضاً من باب قاتل وهو المضاربة (٣) .

وقال ابن منظور : وقد أقرضه وقارضه مقارضة وقراضا ، واستقرضت من فلان أى  
طلبت منه القرض فأقرضني ، وأقرضت منه ، أى أخذت القرض والعرب تقول لكل من فعل  
إليه خيراً : قد أحسنت قرضي ، وقد أقرضتني قرضا حسناً ، ويقال للرجلين ، هما يتقارضان  
الثناء في الخير والشر أى يتجازيان قال الشاعر ،

يتقارضون إذا التقوا في موطن نظراً يزيل مواطىء الأقدام  
ونقل ابن منظور عن أبي زيد الأنصاري أنه قال :

« وهما يتقارضان المدح إذا مدح كل منهما صاحبه ، ومثله يتقارضان ، بالضاد وهما  
يتقارضات الخير والشر قال الشاعر :

إن الغنى أخو الغنى وإنما يتقارضان ولا أخا المقتر (٤)  
هذا هو التقارض بمعناه العام كما ذكرته كتب اللغة .

أما التقارض الاصطلاحي الذي نعنيه في مجال الدراسات النحوية فهو ،  
أن تُعطى كلمة حكماً يختص بها إلى كلمة أخرى لتعامل معاملتها ، كما تُعطى  
الكلمة الأخرى حكماً يختص بها إلى الكلمة الأولى لتعامل معاملتها أيضاً ، وبعبارة أخرى :  
الاقتراض النحوي هو تبادل الأحكام بين كلمتين بحيث تعطى كل كلمة الحكم

(١) أساس البلاغة ، ( قرض ) ط دار المعرفة ، بيروت .

(٢) الصحاح ، « قرض » ط دار الحضارة العربية ، بيروت .

(٣) المصباح المنير ، « قرضت » ط دار المعارف ، القاهرة .

(٤) لسان العرب ، « قرض » ط الهيئة العامة للكتاب - مصر

الذى يختص بها إلى الكلمة الأخرى ، سواء كانت هذه الكلمة اسماً أم فعلاً أم حرفاً .

وقد فسّر ابن يعيش المتوفى سنة ( ٦٤٣ هـ ) التقارض بقوله :

معنى التقارض ، أن كل واحد منهما ( أى الكلمتين ) يستعير من الآخر حكماً هو أخص به ... فأصل « غير » أن يكون وصفاً ، والاستثناء فيه عارض معار من إلّا ... الخ (١) .  
وقبل ابن يعيش قال الزمخشري المتوفى سنة ( ٥٣٨ هـ ) عند الكلام على إلّا وغيره ،  
« واعلم أن إلّا وغيراً يتقارضان ما لكل واحد منهما » (٢) .

وعلى هذا التحديد الاصطلاحي سوف نعرض الأمثلة المتنوعة للتقارض بين الألفاظ المختلفة ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أنواع كما يلي ،

- الأول ، التقارض بين اللفظين في الأحكام الإعرابية .
- والثاني ، التقارض بين اللفظين في الشكل والهيئة .
- والثالث ، التقارض بين اللفظين في المعاني .

فالنوع الأول يتضح بما يلي ،

## غير - إلّا

أ - « غير » اسم شديد الإبهام ليس بمتمكن (٣) ، ملازم للاضافة ولا يتعرف بها لشدة إبهامه ، فإن أضيفت « غير » إلى اللفظ فإن استعمالها يكون على وجهين ،

الأول ، وهو الأصل في استعمالها أن تكون صفة للنكرة نحو قوله تعالى ، ( نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل ) ( فاطر ، ٣٧ ) فغير صفة لـ « صالحاً » .

الثاني ، أن تقترض من « إلّا » حكمها فتفيد « غير » الاستثناء كما تفيده إلّا وبناءً على ذلك تعرب « غير » إعراب الاسم التالى إلّا في ذلك الكلام فتقول ، جاء القوم غير زيد ، بنصب غير ، « وما جاءني أحدٌ غيرُ زيدٍ » بالنصب والرفع لغير ، والمثالان المتقدمان يوضحان أن « غيراً عوملت معاملة « إلّا » في الاستثناء ، وأعربت إعراب الاسم التالى لإلّا ، يؤيد ذلك بعض القراءات المشهورة ،

(١) شرح المفصل ، ٢ ، ٨٨ .

(٢) المفصل ، ٨٨ ط ثانية . بيوت والأشياء والنظائر للسيوطى ، ١ ، ١٣٨ ط أولى - القاهرة .

(٣) الكتاب لسيبويه ، ٣ ، ٤٧٩ هارون .

قال الله تعالى : ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر )  
( النساء : ٩٥ ) .

فقد قرئ برفع « غير » إما على أنه صفة للقاعدون ، لأنهم جنس ، وإما على أنه استثناء وأبدل على حد قوله تعالى ، ( ما فعلوه إلا قليل منهم ) ( النساء : ٦٦ ) ويؤيده قراءة النصب أيضاً ... وانتصاب « غير » في الاستثناء عن تمام الكلام عند المغاربة كانتصاب الاسم بعد « إلا » عندهم واختاره ابن عصفور (١) .

ب - وأما « إلا » فهي تأتي في الأساليب على أربعة أوجه :

أحدها : وهو الأصل في استعمالها - أن تكون للاستثناء نحو قوله تعالى ، ( فشرهوا منه إلا قليلاً منهم ) ( البقرة : ٢٤٩ ) ونحو قوله تعالى ، ( ما فعلوه إلا قليل منهم ) ( النساء : ٦٦ ) فقد انتصب ما بعد إلا في الآية الأولى ، لأن الاستثناء تام موجب ، وارتفع ما بعد « إلا » في الآية الثانية ، لأن الاستثناء تام منفي .

الثاني : أن تكون « إلا » عاطفة بمنزلة الواو ذهب إلى هذا الأخفش والفراء وأبو عبيدة وجعلوا من ذلك الآية الكريمة ( لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم ) ( البقرة : ١٥٠ ) التقدير على رأيهم ، ولا الذين ظلموا منهم وليس قولهم هذا بمسلم .

الثالث : أن تكون « إلا » زائدة قال بذلك الأصمى وابن جنى وابن مالك ، وجعلوا من ذلك قول ذى الرمة ،

حراجيح ما تنفك إلا مناخة      على الخسف أو نرمي بها بلدأ قفرا (٢)  
فإلا زائدة في البيت على رأيهم .

الرابع : أن تكون « إلا » بمعنى « غير » - وهذا الوجه محل الشاهد - أى يوصف بها كما يوصف بغير ، فقد وصف بالأجمع منكر كما في قوله تعالى ، ( لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ) ( الأنبياء : ٢٢ ) .

فلا يجوز في « إلا » هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى ، إذ التقدير يكون حينئذ ، لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لم تفسدا ، وليس ذلك المراد ولا من جهة اللفظ ، لأن آلهة جمع منكر في الإثبات فلا عموم له ، فلا يصح الاستثناء منه ، فلو قلت ، « قام رجال إلا زيدا » لم يصح اتفاقاً ، ومثال وقوع إلا وصفاً قول ذى الرمة ،

(١) راجع معنى اللبيب : ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) الديوان ١٧٣ .

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة  
« فإلا بغامها » صفة للأصوات .  
قليل بها الأصوات إلا بغامها (١)

وقول لبيد : (٢)

لو كان غيري سليمي الدهر غيرُه  
فإلا الصارم صفة لغيري .  
وقع الحوادث إلا الصارم الذكر

وقد شرط ابن الحاجب في وقوع « إلا » صفة تعذر الاستثناء بها ، لذا جعل من الشاذ  
قول الشاعر :

وكل أخ يفارقه أخوه  
أى لجواز صحة الاستثناء بإلا .  
لممر أبيك إلا الفرقدان

قال أبو البقاء العكبري مشيراً إلى تقارض « إلا » « وغير » :

الأصل في « إلا » الاستثناء ، وقد استعملت وصفاً ، والأصل في « غير » أن تكون صفة  
وقد استعملت في الاستثناء (٣) .

وما قاله أبو البقاء يفيد صحة التقارض بينهما في الأحكام لحمل أحدهما على الأخرى  
« فغير » حين ضمنت معنى « إلا » حملت عليها في الاستثناء كما إن « إلا » قد تحمل على  
« غير » فيوصف بها لما بينهما من مشابهة ولذا فهم يقولون :

« إن الأصل في « غير » أن تكون صفة مفيدة ، لمغايرة مجرورها لموصوفها ذاتاً أو صفة  
والأصل في « إلا » مغايرة ما بعدها لما قبلها نفيًا أو إثباتاً فلما اجتمع ما بعد إلا وما بعد  
« غير » في معنى المغايرة ، حملت « إلا » على غير في الصفة فصار ما بعد إلا مغايراً لما قبلها  
نفيًا أو إثباتاً ، وحملت « غير » على « إلا » في الاستثناء فصار ما بعدها مغايراً لما قبلها ... إلا  
أن حمل « غير » على « إلا » أكثر من حمل « إلا » على « غير » (٤) ومن هنا نفهم سرَّ  
التقارض بين « غير » و« إلا » في بعض الأحكام المنوطة بكل منهما .

(١) نفسه : ٦٣٨ .

(٢) الديوان : ٦٢ .

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي : ١٠ ، ٧٥ ، ١٧٩ وراجع كتاب سيبويه ٢ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ هارون .

(٤) راجع حاشية الصبان على الأشموني : ٢ ، ١٥٥ ط الحلبي - القاهرة .

## أَنْ - مَا

أ - « أَنْ » تأتي في الأساليب على عدة أوجه ، أشهرها ، أن تكون حرفاً مصدرياً ناصباً للفعل المضارع نحو قوله تعالى ، ( وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ) ( البقرة ، ١٨٤ ) وقوله تعالى ، ( أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ ) ( الحديد ، ١٦ ) وليس دخولها قاصراً على الفعل المضارع فقط ، بل تدخل على الفعل الماضي أيضاً نحو قوله تعالى ، ( وَلَوْلَا أَنْ تُبْتِنَاكَ ) ( القصص ، ٨٢ ) وقوله تعالى ، ( وَلَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ) ( الاسراء ، ٧٤ ) وتدخل أيضاً على فعل الأمر كحكاية سيبويه ، كتبت إليه بأن قم .

وإذا كان المشهور في « أَنْ » نصبها للفعل المضارع ، فقد ذكر بعض الكوفيين وأبو عبيدة واللحياني أن بعضهم يجزم بها وأنشدوا على ذلك قول امرئ القيس ،

إذا ما غدونا قال ولدان أهلنا      تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نحطب (١)  
وقول جميل بثينه ،

أحاذر أن تعلم بها فتردها      فتركها ثقلا على كما هيا (٢)  
فيأتنا في البيت الأول مجزوم بأن ، وكذلك تعلم في البيت الثاني .

وقد تهمل « أَنْ » في الكلام ، فلا تنصب ولا تجزم ، ويكون الفعل بعدها مرفوعاً ، فهى بهذا تقتض هذا الحكم من « ما » ، ومثال « أَنْ » المهملة قراءة ابن محيصة ، ( لمن أراد أن يتم الرضاعة ) ( البقرة ، ٢٣٣ ) برفع الفعل المضارع « يتم » وقد اعترض على الاستدلال بالآية ، بأن أصله يتمون فهو منصوب بحذف النون وحذفت الواو للساكنين ، واستصح ذلك خطأ ، والجمع باعتبار معنى من تكلف .

ومثال « أَنْ » المهملة أيضاً قول الشاعر ،

أن تقرآن على أسماء ويحكما      منى السلام وأن لا تشعرا أحدا  
فتقرآن فعل مضارع مرفوع بثبوت النون على الرغم من تقدم « أَنْ » عليه لأنها هنا  
مهملة .

وقد اعترض الكوفيون على الاستدلال بهذا البيت ، فزعموا أن « أَنْ » في البيت مخففة من الثقيلة شذاً اتصالها بالفعل .

( ١ ) الديوان ، ١٥٣ .

( ٢ ) الديوان ، ٢٣٤ .

غير أن الصواب أنها « أن » الناصبة ، أهملت ، حَمَلًا لها على « ما » أختها في المصدرية لأن « أن » المخففة من الثقيلة غالباً ما تقع بعد علم أو ظن ، وهى في البيت لم تقع بعدهما فلا محلّ لاعتراضهم (١) .

ب - أما « ما » فتأتي في الأساليب مهملة ، أى لا تجزم ولا تنصب ، هذا هو المشهور فيها حين تدخل على الفعل المضارع ، غير أنها في بعض الأحيان قد تقتض من « أن » حكم النصب للفعل المضارع ، فقد رأى بعضهم أن « ما » يجوز أن تنصب الفعل المضارع حملاً لها على « أن » الناصبة كما روى من قوله عليه الصلاة والسلام ، « كما تكونوا يولى عليكم » (٢) على أحد الروايات ، ذكر ذلك ابن الحاجب ، « فتكونوا » فعل مضارع منصوب بحذف النون « بما » المتقدمة عليه ، والمعروف في الرواية المشهورة ، « كما تكونون » وعلى هذا فلا شاهد فيه ، وقد قال بعضهم معترضاً على رواية النصب ، ولا حاجة إلى جعل « ما » هنا ناصبة فان في ذلك إثبات حكم لم يثبت في غير هذا المحل ، بل الفعل مرفوع ونون الرفع محذوفة .  
وعلى كل حال فان تقارضهما ثابت لأن كلا منهما ، يجوز أن تحمل على الأخرى لذا قال ابن مالك ،

وبعضهم أهمل « أن » حملاً على ما أختها حيث استحقت عملاً

أى يصح في « أن » الناصبة أن تهمل حملاً لها على « ما » كما يجوز في « ما » أن تعمل النصب حملاً لها على « أن » . لما بينهما من مشابهة من حيث أن كلا منهما حرف مصدرى وكلا منهما حرف ثنائي ..

## إن - لو

أ - « إن » بكسر الهمزة وتسكين النون المخففة ، تأتي في الأساليب على وجوه عدة

منها :

الأول : أن تكون نافية وتدخل حينئذ على الجملة الاسمية نحو قوله تعالى : ( إن الكافرون إلا في غرور ) ( الملك ، ٢٠ ) وقوله تعالى : ( إن إمهاتهم إلا اللأى ولدنهم ) ( المجادلة ، ٢ ) .

(١) راجع معنى اللبيب ، ٤١ ، والانصاف فى مسائل الخلاف لابن الأنبارى ، ٢ ، ٥٦٣ ط رابعة - القاهرة ، شرح الأشموني :

٣٢٨٧ ، ٣

(٢) قالوا إنه حديث ضعيف ، وهو فى معنى اللبيب ، ٩١٥ وكشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة

الناس للعجلوني ، ٢ ، ١٢٦ وراجع المقاصد الحسنة للسخاوى ٣٢٦ .

الثاني : أن تكون مخففة من الثقيلة فتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية نحو قوله تعالى : ( وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ) ( الزخرف ، ٣٥ ) وقوله تعالى : ( وإن كل لما جميع لدينا محضرون ) ( يس ، ٣٢ ) وقوله تعالى : ( وإن كانت لكبيرة ) ( البقرة ، ١٤٣ ) .

الثالث : أن تكون شرطية فتجزم فعلين ، الأول يسمى فعل الشرط ، والثاني جواب الشرط نحو قوله تعالى ( وإن ينتهوا يفغفر لهم ما قد سلف ) ( الأنفال ، ٣٩ ) وقوله تعالى : ( وإن تعودوا نعذ ) ( الأنفال ، ١٩ ) .

ويعد هذا الوجه أشهر استعمالاتها غير أنها قد تأتي في الأسلوب مفيدة معنى الشرط وهي غير جازمة مقترضة هذا الحكم من « لو » التي تفيد معنى الشرط وهي غير جازمة ، ومثال « إن » غير الجازمة ما روى في الحديث ، « فإلا تراه فانه يراك » (١) .

ب - أما « لو » فهي تأتي في الأسلوب ، حرف شرط في المستقبل إلا أنها لا تجزم ، هذا هو المشهور في استعمالها نحو قوله تعالى ، ( وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله ) ( النساء ، ٩ ) .

ونحو قول الشاعر :

لا يلفك الراجيك إلا مظهراً  
خُلق الكرام ولو تكون عديماً  
وقالوا في تعليل عدم جزمها للفعل الذي تدخل عليه ،

إن ذلك بسبب غلبة دخولها على الفعل الماضي ولو أريد بها معنى إن الشرطية . غير أن بعض العلماء ذكر أن « لو » قد تقتض من إن الشرطية حكم الجزم فتجزم الفعل المضارع . وقد أجاز ذلك جماعة في الشعر دون غيره منهم ابن الشجري نحو قول الشاعر :

لو يشأ طار به ذو ميمة  
لاحق الأطلال نهد ذو خُصل (٢)  
وقول الشاعر :

تامت فؤادك لو يحزنك ما صنعت  
إحدى النساء بنى ذهل بن شيبانا (٣)

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان .

(٢) قيل انه لامرأة حارثية وهو في خزائن الأدب ، ٤ ، ٥٢١ .

(٣) قاله لقبط بن زرار ، المعنى ٣٥٧ ، وخرج بعضهم البيت على أن ضمة الاعراب سكنت تخفيفاً ، الأشموني ، ٤ ، ٤٣ .



فيشاً في البيت الأول ، ويحزنك في البيت الثاني مجزومان بلو على سبيل اقتراض حكم الجزم من إن الشرطية لما بينهما من أوجه المشابهة .

وربما خُرِّج بعضهم البيت الأول على أنه جاء على لغة من يقول ، شا - يشا بالألف ثم أبدلت الألف همزة على حد قول بعضهم ، العالم والخاتم - بالهمزة ، ويؤيد هذا التخريج أنه لا يجوز مجيء إن الشرطية في هذا الموضع ، لأنه إخبار عما مضى ، فالمعنى ، لو شاء ، وهذا التخريج يقدر أيضاً في الاستدلال بالحديث السابق ذكره .

وعلى الرغم من ذلك فإنه يصح تقارضهما أى إن ولو لأن « إن » قد تحمل على لو فتهمل ولا تجزم كقراءة ابن طلحة « فاما تَرَيْنِ » ( مريم ، ٢٦ ) . بياء المخاطبة الساكنة ونون الرفع المفتوحة ، وحملت كلاهما على الأخرى لأنهما يفيدان الشرط ، ويتفقان في ثنائية اللفظ لذا قال ابن مالك ،

وجوز الجزم بها في الشعر ذو حُجَّة ضَعَّفها من يدرى (١)

وقال ابن مالك ، يحمل معنى التردد لذا وقع له كلامان في هذه المسألة ،

أحدهما ، يقتضى المنع مُطلقاً في النثر والشعر ، والثاني ظاهره موافقة ابن السجري فيما ذهب إليه (٢) .

## إذا - متى

أ - من وجوه استعمال « إذا » في الأساليب ما يلي ،

أولاً : أن تكون للمفاجأة ، فتختص بالجملة الاسمية ولا تحتاج إلى جواب ، ولا تقع في الابتداء ، ومعناها الحال لا الاستقبال نحو قوله تعالى ، ( فألقاها فإذا هي حية تسعى ) ( طه ، ٢٠ ) وقوله تعالى ، ( إذا لهم مكر في آياتنا ) ( يونس ، ٢١ ) .

ثانياً : أن تكون لغير المفاجأة ، أى تكون ظرفاً للمستقبل مضمنة معنى الشرط وتختص بالدخول على الجملة الفعلية عكس الفجائية ، وقد اجتمعت « إذا » الفجائية و « إذا » الشرطية في قوله تعالى ، ( ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ) ( الروم ، ٢٥ ) فإذا الأولى ظرفية وإذا الثانية فجائية .

ويكون الفعل بعد إذا الظرفية ماضياً كثيراً ومضارعاً دون ذلك وقد اجتمعا في قول أبي ذؤيب ،

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

( ٢ ، ١ ) راجع المعنى ٩١٥ ، ٩١٦ والأشمونى وحاشية الصبان ٤ ، ١٣ ، ١٤ ، ٤٣ .

والوجه الثاني أشهر وأكثر وروداً في الأساليب ، غير أنها في بعض الأحيان قد تجزم الفعل الذى يأتى بعدها ، وذلك حملاً لها على « متى » الجازمة أى تقتضى منها حكم الجزم كقول عبد القيس :

استغن ما أغناك ربك بالفنى      وإذا تصبك خاصة فتحمل  
فإذا في البيت جازمة للفعل « تصبك » .

وقد خص بعضهم الجزم بها في الشعر دون النثر ، قال ابن مالك في الكافية :  
وشاع جزم بإذا حملاً على      متى وذا في النثر لم يستعملا  
وقال في شرحها : وشاع في الشعر الجزم بإذا حملاً على متى وأنشد :  
ترفع لى خندف والله يرفع لى      ناراً إذا خدمت نيرانهم لم تقد  
لكنه جوز في التسهيل الجزم بها فى النثر على قلة ، وجعل منه قوله عليه الصلاة  
والسلام لعلي وفاطمة رضى الله عنهما « إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين ،  
الحديث » .

ومن هنا نتبين أنه يجوز أن تأتى إذا جازمة في الشعر والنثر ، وكلاهما قليل .  
ب - أما « متى » فهى اسم شرط يجزم فعلين : الأول فعل الشرط ، والثانى جوابه  
هذا هو المشهور في استعمالها كقول سحيم بن وثيل :

انا ابن جلا وطلاع الثنايا      متى أضع العمامة تعرفونى  
فالفعل : أضع وتعرفونى مجزومان بمتى .

وقد تجىء « متى » في الأسلوب ، اسم شرط وهى مهملة أى غير جازمة مقترضة هذا  
الحكم من « إذا » التى تتضمن معنى الشرط ولا تجزم ، فهى في هذه الحالة يحكم لها بحكم  
إذا كقول عائشة رضى الله عنها « وانه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس » (١) فالفعل يقوم  
غير مجزوم بمتى وكذلك لا يسمع .

وهكذا صح تقارضهما لأن كلا منهما قد تحمل على الأخرى ، ولا التفات لما ذهب إليه  
أبو حيان الذى منع أن تهمل « متى » حملاً لها على « إذا » (٢) .

## لم - لن

أ - « لم » حرف يجزم الفعل المضارع وينفيه ويقلب زمنه إلى الماضى ، هذا هو الأصل  
في استعماله نحو قوله تعالى : ( لم يلد ولم يولد ) ( الاخلاص : ٣ ) .

( ١ ) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة .

( ٢ ) راجع معنى اللبيب ١٢٠ ، ١٢١ ، ٢١٢ ، ٩١٦ وشرح الأشموني ٤ : ١٣ .

غير أن هذا الحرف قد يترك عمل الجزم للفعل المضارع إلى عمل النصب فيه مقترناً  
هذا الحكم من « لن » لتشابههما في النفي ، فقد حكى اللحياني عن بعض العرب أنه ينصب  
بلم ، وقد وجدنا ابن مالك يقول في شرح الكافية : زعم بعض الناس أن النصب بلم لغة  
اغتراراً بقراءة بعض السلف « ألم نشرح لك صدرك » ( الشرح : ١ ) بفتح الحاء أى نصب  
الفعل المضارع « نشرح » بلم ، وكقول الحارث بن منذر :

في أى يومى من الموت أفرُّ أيوم لم يقدر أم يوم قدر  
بنصب الفعل « يقدر » بعد لم ، فقد عملت « لم » النصب في الفعل بعدها .

ولم يوافق على هذا بعض العلماء فقد ذهبوا إلى أن النصب في الآية والبيت على أن  
الأصل : نَشْرَحَنَّ ، ويقدرَنَّ ، ثم حذفت نون التوكيد الخفيفة وبقيت الفتحة دليلاً عليها ، وقد  
اعترض على هذا التوجيه بأن فيه شذوذين : توكيد المنفى بلم ، وحذف النون لغير وقف ولا  
ساكنين .

وخرج بعضهم الفتح في الآية والبيت على أنها اتباع للفتحة قبلها أو بعدها (١) .

ب - « لن » حرف ينصب الفعل المضارع وينفيه ويمحضه للاستقبال نحو قوله تعالى :  
( فلن أكلم اليوم إنسيا ) ( مريم : ٢٦ ) ، ولا تفيد توكيد النفي ولا تأييده خلافاً لمن زعم  
ذلك ، وقد رُدَّ هذا الادعاء بأنها لو كانت للتأييد للزم التناقض بذكر اليوم في « فلن أكلم  
اليوم إنسيا » والتكرار بذكر أبدأ في قوله تعالى : ( ولن يتمنوه أبدأ ) ( البقرة : ٩٥ ) وأما  
التأييد في ( لن يخلقوا ذباباً ) ( الحج : ٧٣ ) فلأمر خارجي لا من مقتضيات لن .  
وتأتى « لن » للدعاء كما أتت « لا » وفاقاً لجماعة منهم ابن عصفور بدليل قول  
الأعشى :

لن تزالوا كذلكم ثم لا زل ست لكم خالدا خلود الجبال (٢)  
وما تقدم هو الأصل في استعمالها ، وقد تخرج « لن » عن نصب المضارع إلى جزمه  
مقترضة هذا الحكم من « لم » كقول كثير عزة :

أيادى سبايا عزَّ ما كنت بعدكم فلن يحل للعنين بعدك منظر (٣)

وقول أعرابي يمدح الحسين بن علي :

لن يخب الآن من رجائك من حرك من دون بابك الحلقة  
فقد جزمت « لن » الفعل « يحل » في البيت الأول ، وجزمت الفعل « يخب » في

البيت الثاني .

(١) راجع معنى اللبيب : ٣٦٥ وحاشية الصبان ٤ : ٨ .

(٢) الديوان : ١١٣ .

(٣) الديوان : ١١ : ٦٠ .

وعلى الرغم من أن بعضهم وجّه الفعل في كل بيت على أنه محتمل للاجتزاء بالفتحة عن الألف للضرورة ، فالتقارض بينهما مؤيد بالسماع لوجود مشابهة بينهما وهو النفي في كل منهما واختصاصهما بالفعل المضارع دون غيره .

## ما - ليس

أ - من أوجه استعمال « ما » في الأساليب ، أن تكون حرفاً نافياً داخلاً على الجملة الاسمية وهي في هذه الحالة تعمل عمل « ليس » على رأى الحجازيين والتهاميين والنجديين وأهلها بنو تميم وهو القياس لعدم اختصاصها بالأسماء ، ولأعمالها عند الحجازيين شروط فصلتها كتب النحو ، فمثال « ما » العاملة عمل ليس نحو قوله تعالى : ( ما هذا بشراً ) ( يوسف : ٣١ ) وقوله تعالى : ( ما هن أمهاتهم ) ( المجادلة : ٢ ) وقد عملت « ما » عمل ليس لحملها عليها لمشابهتها إياها في المعنى وهو النفي ، وقد ذكروا أن الميث لأعمالها عمل ليس هو الاستقراء أما إذا دخلت « ما » النافية على الجملة الفعلية فإنها لا تعمل نحو قوله تعالى : ( وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ) ( البقرة : ٢٧٢ ) فما تقتض حكم ليس حين تدخل على الجملة الاسمية .

ب - أما « ليس » فهي فعل جامد لا يتصرف ناسخ من أخوات كان ، ينفي الحال ويرفع المبتدأ وينصب الخبر نحو : ليس بكر عالماً ، هذا هو الأصل في عملها .  
وقد تخرج « ليس » عن هذا الأصل فلا تعمل أى تهمل حملاً لها على « ما » وذلك حين ينتقض خبرها بالأبجامع المشابهة التي بينهما ، فكذلك إذا انتقض خبر ليس بالافانها لا تعمل ، فقد اقتضت من « ما » هذا الحكم نحو قولهم : ليس الطيب إلا المسك » برفع المسك قال ابن هشام في المثال المتقدم :

فان بنى تميم يرفعونه حملاً لها على « ما » في الإهمال عند انتقاض النفي كما حمل أهل الحجاز « ما » على ليس في الأعمال عند استيفاء شروطها ، حكى ذلك عنهم أبو عمرو بن العلاء (١) .

## عسى - لعل

أ - « عسى » فعل ماض يفيد معنى الترجى في المحبوب ، والاشفاق في المكروه ، وقد اجتمع المعنيان في قوله تعالى : ( وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرُّ لكم ) ( البقرة : ٢١٦ ) .

(١) راجع معنى اللبيب : ٣٨٧ - ٣٨٨ وحاشية الصبان : ٣٧٤ .

والاسم الذى بعدها يكون مرفوعاً على أنه اسم لها ، ويأتى بعد ذلك الخبر المنصوب نحو قول هذبة بن خشرم :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب  
وقول رؤبة :

أكثرت في اللوم ملحاً دائماً لا تكثرن إني عسيت صائماً  
وقولهم في المثل : عسى الغوير أبوساً (١) .

وقد تخرج « عسى » عن عمل الرفع والنصب على الترتيب إلى عمل النصب والرفع

فيقال : عسائ وعسائك وعسائه ، وقد قيل في تخريج ذلك : (٢)

إن عسى اقترضت عمل النصب والرفع على الترتيب من لعل .

ب - « لعل » حرف يفيد معنى الترجى والطمع وقد يرد إشفاقاً (٣) نحو قوله تعالى :  
( فلعلك باخع نفسك على آثارهم ) ( الكهف : ٦ ) ومعلوم أنه ينصب الاسم ويرفع الخبر  
كإِنَّ ، هذا هو الأصل في عمل هذا الحرف ، وقد ينصبهما على قلة ، حكى عن بعض العرب :  
لعل أباك منطلقاً وخبر هذا الحرف الأصل فيه أن يجيء اسماً صريحاً كما تقدم في الآية  
الكريمة . وقد يخرج خبره عن كونه اسماً صريحاً فيجىء فعلاً مضارعاً مقترناً بأن ، مقترضة  
هذا الحكم من « عسى » (٤) نحو قول متمم بن نويرة :

لعلك يوماً أن تلم ملمة عليك من اللائى يدعئك أجدعا

ومنه الحديث « فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض » (٥) .

وهكذا رأينا في الأمثلة المتقدمة أن « عسى » أجريت مجرى لعل . في نصب الاسم  
ورفع الخبر ، كما أجريت « لعل » مجرى « عسى » في اقتران خبرها بأن ، قال صدر  
الأفاضل : أجرى لعلٌ بحيث أدخل على خبرها « أن » المصدرية مجرى عسى ، كما تجرى  
عسى مجرى لعل ، وهذا على طريق المقارضة (٦) .

(١) مجمع الأمثال : ١ ، ٤٧٧ .

(٢) راجع معنى اللبيب : ٢٠٢ .

(٣) شرح ابن الناظم : ٦٢ .

(٤) معنى اللبيب : ٣٧٧ - ٣٧٩ - ٩١٧ - ٦٢٣ .

(٥) صحيح البخاري : كتاب الأحكام .

(٦) راجع شروح سقط الزند : ٤ / ١٨٥٢ .

## عسى - كاد

أ - لقد عرفنا فيما تقدم ان الغالب في خبر « عسى » أن يقترن بأن المصدرية ، لأنها من أفعال الترجى ، وقد أوجب جمهور البصريين اقتران خبرها بأن ، وقالوا : إن خبرها لا يجرد منها إلا للضرورة وحينئذ يخرج خبرها من مجيئه مقترناً بإن الى مجيئه مجرداً من أن ، مقترضاً هذا الحكم من « كاد » التي يغلب على خبرها أن يكون مجرداً من « أن » قال هديبة ابن خشرم العذري :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فالفعل « يكون » هو الخبر لعسى وقد تجرد من أن .

ب - أما « كاد » فخبرها يأتي مجرداً من أن ، لأن المنقول عن فصحاء العرب : إيقاع أن بعد عسى وإلغاؤها بعد كاد ، والعلة فيه : أن كاد وضعت مقارنة الفعل ولهذا قالوا : كاد النعام يطير ، لوجود جزء من الطيران فيه ، و « أن » وضعت لتدل على تراخي الفعل ووقوعه في الزمان المستقبل ، فاذا وقعت بعد كاد نافت معناها الدال على اقتراب الفعل ، وحصل في الكلام ضرب من التناقض .

وليس كذلك « عسى » لأنها وضعت للتوقيع الذي يدل على وضع « أن » على مثله ، فوقع « أن » بعدها يفيد تأكيد المعنى ويزيده فضل تحقيق وقوة ، وقد نطقت العرب بعدة أمثال جاء فيها خبر « كاد » مجرداً من « أن » على الأصل فقالوا : كاد العروس يكون ملكاً ، وكاد المنتقل يكون ركباً ، وكاد الحريص يكون عبداً ، وكاد البيان يكون سحراً ، وكاد النعام يكون طيراً ، وكاد البخيل يكون كلباً (١) ، ومن القرآن الكريم قوله تعالى : ( يكاد زيتها يضىء ) ( النور : ٢٥ ) .

وقد يخرج خبر « كاد » عن الأصل فيأتي مقترناً بأن مقترضاً هذا الحكم من « عسى » ومن أمثلة هذا النوع :

قوله صلى الله عليه وسلم « كاد الفقر أن يكون كفراً » (٢) وقول عمر رضى الله عنه : « وما كدت أصلى العصر حتى كادت الشمس أن تغرب » (٣) وقول أنس رضى الله عنه « فما كدنا أن نصل إلى منازلنا » (٤) وقول جبير بن مطعم رضى الله عنه : « ثم رفع رأسه فلم يكذ أن يسجد ثم سجد فلم يكذ أن يرفع رأسه » (٥) .

(١) راجع رسائل ابن كمال باشا : ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) الحديث أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء : ٥٣٣ ، ١٠٩ .

(٣) صحيح البخاري ١٤١ : ٥ وصحيح مسلم ٤٣٨ : ١ والترمذي ٣٢٧ : ٧ .

(٤) صحيح البخاري : ٢ ، ٣٦ .

(٥) سنن أبي داود : ١ ، ٣١٠ .

ومن النظم قول الشاعر :

أبيتم قبول السلم منا فكدم  
لدى الحرب أن تغنوا السيوف عن السِّل  
وليس ذلك بضرورة لتمكنه من أن يقول لدى الحرب مغنون السيوف عن السِّل وهكذا  
فإن خبر « كاد » قد يقترب بأن ، كما أن خبر « عسى » قد يأتي مجرداً من أن ، وذلك على  
سبيل المقارضة بينهما (١) .

أ - الفاعل - المفعول :

الأصل في الفاعل أن يأتي مرفوعاً نحو قوله تعالى : ( وأضلَّ فرعونُ قومه وما  
هدى ) ( طه الآية ٧٩ ) ، وقد يخرج عن هذا الأصل الى النصب ، مقترضاً هذا الحكم من  
المفعول به نحو قولهم :

خرق الثوبَ المسمارَ ، وكسرَ الزجاجَ الحجرَ ، فالمسار هو الفاعل وحقه أن يكون  
مرفوعاً لكنه اقتضى النصب من المفعول به فنصب وكذلك الحجر (٢) .

ب - والأصل في المفعول به أن يكون منصوباً ، وقد يخرج عن هذا الأصل فيصير  
مرفوعاً مقترضاً هذا الحكم من الفاعل نحو الأمثلة المتقدمة ، فالثوب والزجاج مفعولان حقهما  
النصب ولكنهما رفا على سبيل المقارضة ، ومن أمثلة الاقتراض بينهما قول الأخطل يهجو  
جريراً :

مثل القنafd هداجون قد بلغت نجرانُ أو بلغت سوءاتهم هجرُ

فنجران وهجر مفعولان حقهما النصب لكنهما رفا على سبيل التقارض ، وسوءاتهم في  
الأصل هي فاعل حقهما الرفع لكنها نصبت على طريق التقارض أيضاً وسمع نصبهما أي الفاعل  
والمفعول نحو قول الشاعر :

قد سالم الحياتِ منه القدما الأفعوان الشجاع الشجعما

في رواية من نصب الحيات .

وسمع أيضاً رفعهما أي الفاعل والمفعول (٣) نحو قول الشاعر :

إن من صاد عقعقا لمشوم كيف من صاد عقعقان وبوم

(١) راجع رسائل ابن كمال باشا : ٢٥ - وشرح ابن الناظم : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ - والأشموني : ١ ، ٢٥٨ وما بعدها .

(٢) جراهم على ذلك أمن اللبس ووضوح المعنى .

(٣) راجع معنى اللبيب : ٩٧٧ ، ٩٧٨ .

## الصفة المشبهة - اسم الفاعل :

أ - الأفضل في معمول الصفة المشبهة أن يكون مجروراً نحو: محمد ضامر البطن ومنطلق اللسان وحسن الخلق ، لأن الصفة المشبهة تدل على الثبوت واللزوم ، ولهذا أصبحت مع معمولها كالكلمة الواحدة ، فالأحسن أن تضاف إلى معمولها لكنها قد تخرج عن هذا الحكم فتنصب معمولها مقترضة هذا الحكم من اسم الفاعل الذي يعد أقوى منها في العمل فيجوز أن تقول : زيد الحسن الوجه ، بنصب الوجه على سبيل الاقتراض منه .

ب - والأفضل في اسم الفاعل أن ينصب المفعول به وذلك حين يستوفي شروط عمله إذا كان مجرداً لأنه يدل على التجدد والحدوث ويناسبه أن يكون مفعوله منصوباً ولأنه محمول على الفعل المضارع إلا أن اسم الفاعل قد يجر مفعوله مقترضاً هذا الحكم من الصفة المشبهة التي تدل على الثبوت واللزوم .

ولذا قال ابن هشام (١) : يجوز « إعطاء الحسن الوجه ، حكم الضارب الرجل في النصب وإعطاء الضارب الرجل حكم الحسن الوجه في الجر » وذلك على سبيل التقارض .

## اسم التفضيل - أفعال في التعجب :

أ - الأصل في اسم التفضيل أن يرفع الاسم الظاهر لأنه مشتق والمشتقات ترفع الظاهر والمضمر ، غير أن اسم التفضيل لا يرفع الظاهر لشبهه بأفعال التعجب وزناً وأصلاً وإفادة للمبالغة ، فقد اقترض « اسم التفضيل » من أفعال التعجب هذا الحكم وهو عدم رفع الاسم الظاهر .

ب - والأصل في أفعال التعجب أن لا يصغر ، لأن « أفعال التعجب » « فعل » والتصغير مختص بالأسماء ، ومبنى والتصغير لا يدخل الأسماء المبنية إلا شذوذاً غير أن أفعال التعجب قد يصغر مقترضا هذا الحكم من اسم التفضيل لأنهما متشابهان وزناً وأصلاً وإفادة للمبالغة . قال الشاعر :

ياما أميلح غزلانا شَدَنَّ لنا من هؤلئانكن الضال والسمر

قال الجوهري : ولم يسمع ذلك إلا في أحسن وأملح ، قال ابن هشام (٢) : ولكن النحويين مع هذا قاسوه ، ولم يحك ابن مالك اقتياسه إلا عن ابن كيسان وليس كذلك ، قال أبو بكر بن الأنباري : ولا يقال إلا لمن صغر سنه .

(١) معنى اللبيب : ٩٨ .

(٢) راجع معنى اللبيب : ٨٩٤ - ٩٨ .



## النوع الثاني : التقارض بين اللفظين فى الشكل والهيئة

### الحال - التمييز :

أ - يذهب جمهور النحاة إلى أن الأصل فى الحال أن ترد فى الأسلوب مشتقة من المصدر لتدل على متصف نحو : جاء بكر ضاحكاً ، وضربت اللص مكتوفاً ، وقد تجيء جامدة مقترضة هذا الجمود من التمييز لما بينهما من أوجه الشبه ، ويكثر مجيئها جامدة فى مواضع :  
إن دلت على سعر نحو : بعه مدّاً بدرهم ، فمدا حال جامدة ، أى بعه مُسَعراً كل مد بدرهم وإن دلت على تفاعل نحو : بعته يدا بيد أى مناجزة ، أو دلت على تشبيه نحو : كُرّ زيداً أسداً أى مشبها للأسد ، فيداً وأسداً جامدان وَصَحَّ وقوعهما حالاً لظهور تأولهما بمشتق كما تقدم ، وتجيء الحال جامدة إن دلت على ترتيب كقولك : ادخلوا الدار رجلا رجلا ، وقولك سار الجند رجلين رجلين ، تريد : « مرتين »

وضابط هذا النوع : أن يذكر المجموع أولاً ثم يفصل هذا المجموع بذكر بعضه مكرراً وتجيء الحال جامدة إن وصفت نحو قوله تعالى : ( قرأناً عربياً ) ( يوسف الآية ٣ ) وقوله تعالى : ( فتمثل لها بشراً سوياً ) ( مريم الآية : ١٧ ) وكذلك إن دلت على عدد نحو قوله تعالى : ( فتم ميقات ربه أربعين ليلة ) ( الاعراف الآية ١٤٢ ) وكذلك إذا كانت الحال نوعاً من صاحبها كقولك : هذا مالك ذهباً ، أو تكون الحال فرعاً لصاحبها نحو : هذا حديدك خاتماً ، وكقوله تعالى : ( وتنتحون من الجبال بيوتاً ) ( الشعراء الآية ١٤٩ ) .

ب - والأصل فى التمييز أن يكون جامداً نحو : حَسُنَ محمد علماً ، وزرعت الأرض شجراً ، وعندى قفيزٌ بُراً ، وقد يترك التمييز هذا الأصل فيجىء مشتقاً مقترضاً هذا من الحال لما بينهما من مشابهة نحو : لله دره فارساً ، وحسبك به كافلاً ، وكفى به عالماً (١) .  
قال الأشمونى : إن حق الحال الاشتقاق ، وحق التمييز الجمود ، وقد يتعاكسان ، فتأتى الحال جامدة كهذا مالك ذهباً ، ويأتى التمييز مشتقاً نحو : لله دره فارساً (٢) ، أى يتعاكسان على سبيل الاقتراض فكل منهما يقترض هيئة الآخر لأوجه شبه بينهما .

(١) راجع ابن عقيل : ١ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ .

(٢) راجع الأشمونى : ٢ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

## الجمع - المثني :

أ - حق نون الجمع المذكر السالم وما ألحق به ، في إعرابه أن تكون مفتوحة نحو قوله تعالى ، ( قد أفلح المؤمنون ) ( المؤمنون الآية الأولى ) ونحو ( وبشر الصابرين ) ( البقرة الآية ١٥٣ ) ، وقد فتحت نون الجمع طلباً للخفة من ثقل الجمع ، وفرقاً بينه وبين نون المثني لكن نون جمع المذكر السالم قد تكسر مقترضة هذا من نون المثني كقول جرير بن عطية :

عرفنا جعفرأ وبنى أبيه      وأنكرنا زعائف آخرين  
وقول سحيم بن وثيل الرياحي :

وماذا يبتغي الشعراء مني      وقدجاوزت حدَّ الأربعين  
بكسر نون « آخرين » في البيت الأول وكذلك كسر نون « الأربعين » في البيت الثاني .

ب - وحق نون المثني وما ألحق به في الإعراب أن تكون مكسورة على الأصل في التقاء الساكنين لكن نون المثني قد تجيء مفتوحة مقترضة هذا من نون الجمع كقول حميد بن ثور الهلالي :

على أحوزيين استقلت عشيّة      فما هي إلاّ لمحّة وتغيب  
وكقول رجل من ضبة :

أعرف منها الجيد والمينانأ      ومنخرين أشبها ظبيانا  
قال ابن مالك فيما تقدم :

ونون مجموع وما به التحق      فافتح وقلاً من بكسره نطق (١)  
ونون ما ثني والملحق به      بعكس ذلك استعملوه فانتبه

(١) راجع شرح الأشموني ١ : ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، وابن عقيل ١ : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .



أختي العزيزة « هل » :

هذه هي الرسالة التاسعة من رسائلي إليك ، ضمنها الصيغة الثامنة عشرة من هذه الصيغ التي أدخل فيها على لم النافية الجازمة للفعل المضارع ، وصيغاً أخرى سوف تقرئينها من بعد .

أما الصيغة الثامنة عشرة فهي : ( أو لم يكف ) ، وقد وردت في آيتين اثنتين من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى في قوله تعالى : ( وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين ) ( ٥٠ ) ( أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ) ( ٥١ ) .

الآيتان : ( ٥٠ - ٥١ ) ( من سورة العنكبوت ) .

ومعنى همزة الإستفهام في هذه الصيغة : ( أو لم يكفهم ) الإنكار والتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على المشركين من قريش القائلين لولا أنزل على محمد آيات من ربه تكون حجة علينا كما جعلت الناقة لصالح والمائدة لعيسى ، ينكر الله سبحانه وتعالى على هؤلاء المشركين ويوبخهم أن لم يكفهم آية أنه جل وعلا قد أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب الخالد الصالح على مر الزمان وفي كل مكان ، فلا يلحقه بلى ولا يدركه فناء ، ولا يصيبه تبديل ولا تحريف ، ثم هو يتلى عليهم في كل حين ، فلو كانوا ينشدون الإيمان حقاً ، ويتلمسون أسبابه مخلصين ، لوجدوا فيه - كما يجد المؤمنون به - رحمة ونعمة وموعظة وذكرى .

وإعراب ( أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ) واضح سهل ،  
فالفعل المضارع في ( يكفهم ) مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الياء من آخره ،  
و ( هم ) في محل نصب مفعول به .

( أنا أنزلنا عليك الكتاب ) أن ( بفتح الهمزة ) من أخوات إن ( بكسر الهمزة ) وهي  
حرف توكيد تنصب المبتدأ على أنه اسمها وترفع الخبر على أنه خبرها ، وهي أيضاً حرف  
مصدري تؤول هي وما بعدها بمصدر ، و ( نا ) ضمير مبني على السكون في محل نصب  
اسمها ، وجملة ( أنزلنا عليك الكتاب ) في محل رفع خبرها ، والمصدر المؤول من أن المصدرية  
وخبرها مضافاً إلى اسمها في محل رفع فاعل الفعل المضارع في ( يكفهم ) ، والتقدير : أو لم  
يكفهم إنزلنا عليك الكتاب .

( يتلى عليهم ) ( يتلى ) فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على  
آخره على الألف منع من ظهورها التعذر ، وفي يتلى ضمير مستتر تقديره هو يعود على  
الكتاب وهو نائب الفاعل ، و ( عليهم ) جار ومجرور يتعلقان بالفعل المضارع ( يتلى ) ،  
وجملة ، يتلى عليهم ) في محل نصب حال من الكتاب ، وهي حال مقدرة أي تقع بعد إنزال  
الكتاب وليست مصاحبة له .

وجملة ( أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ) جملة استئنافية لا  
محل لها من الإعراب .

الآية الثانية التي وردت فيها صيغة ( أو لم يكف ) هي قوله تعالى : ( سنريهم  
آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على  
كل شيء شهيد ) . الآية ( ٥٣ ) من سورة فصلت .

هذا الاستفهام ( أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ) للإنكار  
والتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على المكذبين بالرسول صلى الله عليه وسلم ويوبخهم على  
عدم اكتفائهم بشهادته جل وعلا على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به عن ربه ،  
فهو جل وعلا شهيد على كل شيء من أفعال عباده ، وقد شهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم  
صديق فيما أخبر به عن ربه تبارك وتعالى ، فكان ينبغي لهؤلاء المكذبين أن تكون هذه  
الشهادة كافية للدلالة على صدقه لو كانوا يعقلون .

وإعراب ( أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ) سهل واضح ، فالفعل المضارع ( يكف ) مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الياء من آخره ، و ( بربك ) الباء حرف جر زائد للتوكيد ، و ( رب ) مجرور بالباء لفظاً مرفوعاً تقديره على أنه فاعل ( يكف ) . و ( أنه على كل شيء شهيد ) ( أن ) من أخوات إن حرف توكيد تنصب المبتدأ على أنه اسمها وترفع الخبر على أنه خبرها ، وهي أيضاً حرف مصدرى تؤول هي وخبرها بمصدر ، والهاء من ( أنه ) ضمير يعود على ( ربك ) مبنى على الضم في محل نصب اسم أن ، ( على كل شيء ) الجار والمجرور يتعلقان ب ( شهيد ) وشيء مضاف إليه و ( شهيد ) خبر أن مرفوع . والمصدر المؤول من أن وخبرها مضافاً إلى اسمها وتقديره : شهادته على كل شيء . هذا المصدر المؤول تابع للفظ ربك على أنه بدل منه فيكون له محلان ، فهو في محل جر بالنظر إلى لفظ ( رب ) المجرور ، وهو في محل رفع بالنظر إلى الرفع المقدر للفظ ( رب ) ، ونوع هذا البديل : بدل اشتمال ، وقيل بدل كل من كل .

أختي : « هل »

أريد الآن أن أحدثك عن صيغ الاستفهام التي دخلت فيها على لم النافية الجازمة لفعل مضارع لم يأت في القرآن الكريم مجزوماً بلم التالية لهمزة الاستفهام أكثر من مرة واحدة .  
ها أنا ذى أقدمها إليك مرتبة بحسب ورودها في القرآن الكريم :

الاستفهام الأول : ( أو لم تؤمن ) في قوله تعالى : ( وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ) .  
الآية ( ٢٦٠ ) من سورة البقرة

الاستفهام في قوله تعالى : ( أو لم تؤمن ) استفهام تقرير ، وقد تقدم في الرسالة الأولى من هذه الرسائل أن استفهام التقرير يأتي على معنيين : على معنى الإخبار كما في قوله تعالى : ( ألم نشرح لك صدرك ) . أو على معنى طلب الاعتراف بما تضمنه السؤال نفيًا أو إثباتاً كما في قوله تعالى لعيسى بن مريم : ( أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ) .

وأرى أن الاستفهام هنا في قوله تعالى : ( أو لم تؤمن ) للتقرير بمعنى طلب الاعتراف ، وجواب إبراهيم عليه السلام بقوله ( بلى ) أي قد آمنت اعترافاً بما تضمنه السؤال على وجه الإثبات والإيجاب .

قد تسألين وتقولين : الله سبحانه وتعالى يعلم أن إبراهيم عليه السلام أثبت الناس إيماناً وأقواهم يقيناً ، ويعلم أيضاً جواب إبراهيم من قبل أن يجيب إبراهيم ، فما الفائدة إذن من هذا السؤال ؟ . الفائدة من هذا السؤال حمل إبراهيم على أن يجيب بما أجاب به فيكون ذلك إقراراً بأن سؤاله : ( رب أرني كيف تحيي الموتى ) ليس ناشئاً من نقص في إيمانه أو شك في قدرته تعالى على إحياء الموتى . وإنما ليعلم السامعون أن غرضه من السؤال أن يترقى من علم اليقين ، الى عين اليقين وأن يطمئن قلبه عياناً كما اطمأن قلبه برهاناً ، أو بعبارة أخرى ليضم إلى علمه الناشئ من البرهان والاستدلال علماً آخر ناشئاً من الحس والمشاهدة .

قد تقولين : فهمت من الآية أن إبراهيم قد آمن بقدرته الله تعالى على إحياء الموتى ، ولكنه سأل ربه كيفية الإحياء ليطمئن قلبه ويسكن ، ترى ماذا كان في قلب إبراهيم قبل أن يطمئن ويسكن ؟

لم يكن في قلبه شك ولا تردد كما يبدر إلى أذهان بعض الناس ، ولكن كان في قلبه قلق واضطراب من جراء تطلعه الملح وتشوقه الشديد إلى مشاهدة كيفية الإحياء ، فحين رآها اطمأن قلبه وسكن .

وهذا شيء قد فطرت عليه النفس البشرية ، فإنها إذا تطلعت إلى شيء تطلعا ملحاً ورغبت فيه رغبة شديدة ظلت في قلق واضطراب حتى تنال ما تصبو إليه ، فإذا نالته اطمأنت وسكنت .

أختي « هل » :

أحب أن أخبرك أن أبا حيان الأندلسي قد رأى في تفسيره البحر المحيط ( ج ٢ ص ٢٩٨ ) : أن الاستفهام في قوله تعالى : ( أو لم تؤمن ) للتقرير بمعنى الإخبار على حد ( ألم نشرح لك صدرك ) وعلى هذا يكون معنى ( أو لم تؤمن ) قد آمنت .

ورأى أيضاً أن ( بلى ) التي تقع جواباً للنفي لا جواباً للإثبات قد وقعت هنا جواباً لهذا الاستفهام بالنظر إلى لفظه الدال على النفي لا بالنظر إلى معناه الدال على الإثبات .

وقال أيضاً إن هذا جائز قد تقرر في النحو ، ويؤيده أن في كلام العرب ما يلحظ فيه اللفظ دون المعنى .

ورأيت أن إجابة إبراهيم عليه السلام بقوله ( بلى ) قرينة على أن هذا الاستفهام لطلب الاعتراف وليس للإخبار .

وقول أبي حيان إن ( بلى ) كانت جواباً للاستفهام باعتبار لفظه لا باعتبار معناه  
خلاف المتبادر وتكلف لا داعي إليه .

الاستفهام الثاني : ( ألم نستحوذ عليكم ) في قوله تعالى : ( الذين يترصبون  
بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا  
ألم نستحوذ عليكم ومنعكم من المؤمنين ، فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن  
يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ) الآية ( ١٤١ ) من سورة النساء .

في هذه الآية الكريمة يقول المنافقون الذين كانوا يترصبون بالمؤمنين الخير أو الشر ،  
وينتظرون بهم ما يتجدد من ظفر لهم أو ظفر بهم ، يقولون للمؤمنين - إن كان للمؤمنين  
فتح من الله أى نصر على الكافرين وتأيد وظفر وغنيمة - ألم نكن معكم - يتوددون إليهم  
بهذا القول .

فهذا الاستفهام : ( ألم نكن معكم ) يفيد التقرير والتودد على معنى كنا معكم  
مساندين مظاهرين ، فنصركم الله على أعدائكم ، وأفاء الله عليكم فيئاً من المغانم ، لقد أسدينا  
إليكم معروفاً فأسهموا لنا في الغنيمة ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ !

وإن كان للكافرين نصيب من الغلبة على المؤمنين والإصابة منهم قال أولئك المنافقون  
أنفسهم لهؤلاء الكافرين متظاهرين لهم بالمحبة والود ( ألم نستحوذ عليكم ) ، وهذا استفهام  
تقرير وتودد أيضاً أى غلبنا عليكم وكان في مكنتنا أن نقتل منكم ونأسر ، ولكننا أبقينا  
عليكم ومنعناكم من المؤمنين بتخذيلنا إياهم وتثيبتنا لهم ، فانصرفوا دون أن يقدروا على  
إيذائكم ، فأسهموا لنا فيما غنمتم مقابل ما أسدينا إليكم من معروف وإحسان ، فنحن نواليكم  
فلا نؤذيكم ولا نترك أحداً يؤذيكم .

الإستفهام الثالث : ( ألم أنهكما ) في قوله تعالى : ( ويا ادم اسكن أنت  
وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من  
الظالمين (١٩) فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما  
وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من  
الخالدين (٢٠) وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين (٢١) فدلاهما بغرور فلما ذاقا  
الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفاً عليهما من ورق الجنة وناداهما  
ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين (٢٢) .

الآيات : ( ١٩ - ٢٢ ) من سورة الأعراف .

هذا الاستفهام : ( ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ) معناه عتاب آدم وزوجه على ما صدر منهما والتنبية على موضع ما غفلا عنه ، فقد قال سبحانه وتعالى لهما : ( ولا تقربا هذه الشجرة ) فخالفا النهي واقتربا منها وذاقها ، وقال سبحانه وتعالى يحذرهما من الشيطان ( إن هذا عدو لك ولزوجك ) فاعترا بقول الشيطان وقبلا ما عرض عليهما حين قاسمهما إني لكما لمن الناصحين .

والفعل المضارع في ( ألم أنهكما ) مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الألف من آخره ، وأصله قبل الحذف ( أنهى ) . و ( كما ) ضمير المخاطب المثني مبني على السكون في محل نصب مفعول به ، ولك أن تقول الكاف وحدها ضمير المخاطب والميم حرف عماد اي اعتمدت عليها الألف في دلالتها على التثنية والألف حرف دال على التثنية ، والحق أن هذه الأحرف الثلاثة بمجموعها تدل على المثني المخاطب وأن أي حرف منها لا يدل بمفرده عليه ، ولذلك كان اعتبار الأحرف الثلاثة مجتمعة كلمة واحدة تدل على ضمير المثني المخاطب أحق وأولى . ( عن تلكما الشجرة ) عن حرف جر ، و ( ت ) اسم إشارة للمفردة المؤنثة ، وأصله ( تى ) ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين وهما الياء من ( تى ) واللام الدالة على البعد ، وتعرب ( ت ) اسم إشارة مبني على السكون على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين في محل جر ، واللام الواقعة بعد اسم الإشارة حرف يدل على بعد المشار إليه مبني على السكون لا محل له من الإعراب ، و ( كما ) حرف خطاب للمثني مبني على السكون لا محل له من الإعراب ، و ( الشجرة ) نعت لاسم الإشارة مجرور ، ويجوز أن تعرب عطف بيان .

الاستفهام الرابع : ( ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ) في قوله تعالى : ( وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون (١٦٨) فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيففر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ) ١٦٩ . ( الآيتان ( ١٦٨ - ١٦٩ ) من سورة الأعراف ) .

الآية الأولى من هاتين الآيتين الكریمتين تبين أن الله سبحانه وتعالى قد قطع بني إسرائيل وفرقهم في بقاع الأرض ، منهم الصالحون ومنهم الفاسقون الكافرون ، وقد ابتلى هؤلاء الكافرين بالحسنات من صحة ورخاء ، وبالسيئات من مرض وفقر وجذب ، لعلمهم يرجعون إلى الطاعة ويتوبون عن المعصية .



والآية الثانية التي اشتملت على الإستفهام ( ألم يؤخذ ) تبين أنه جاء بعد أولئك اليهود المتقدم ذكرهم في الآية الأولى جيل سوء من نسلهم ورثوا التوراة من أسلافهم فبقيت في أيديهم يقرءونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحريم والتحليل ولا يعملون بها ، يأخذون الرشا والمكاسب الخبيثة ويقولون سيغفر لنا الله ولن يؤخذنا بذلك ، وكان ينبغي إذ ورثوا الكتاب أن يعملوا بما جاء فيه وألا يجزموا بالمغفرة وهم مصرون على ارتكاب المعصية ، وقد جاء إصرارهم هذا من أنهم كانوا إذا أمكنتهم الرشا والمكاسب الخبيثة أخذوها غير مكترثين بالوعيد والعقاب الشديد على ارتكاب المعاصي .

ويجيء الاستفهام في قوله تعالى : ( ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه ) يجيء مفيداً التقرير والتوبيخ : التقرير على معنى الإخبار أي قد أخذ عليهم في الكتاب أي في التوراة ميثاق أن لا يقولوا على الله إلا الحق والصدق ، وقد كذبوا مع ذلك عليه سبحانه وتعالى ، ومن تلك الأكاذيب دعواهم أن الله سيغفر لهم معاصيهم مع إصرارهم عليها ، ومنها أنهم كانوا إذا جاءهم المبطل أخذوا منه الرشوة وأخرجوا كتابهم الذي كتبوه بأيديهم وحكموا له به مدعين أنه كتاب الله .

وهذا الاستفهام يفيد التوبيخ أيضاً : يوبخهم الله سبحانه وتعالى على افتراءاتهم وأكاذيبهم تلك التي كانوا يزعمون أنها في كتاب الله على حين يعلمون أنها ليست فيه ، فقد قرءوه كرة بعد كرة ، ووقفوا على ما فيه مرة بعد مرة .

وأكتفى من إعراب هذه الصيغة : ( ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ) بما يلي :

( ميثاق ) نائب فاعل ، و ( الكتاب ) مضاف إليه ، و ( أن ) حرف مصدري ينصب الفعل المضارع و ( لا ) نافية ، و ( يقولوا ) مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون ، والواو ضمير الجماعة فاعل مبني على السكون في محل رفع ، و ( على الله ) جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما ، و ( إلا ) أداة حصر حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب ، و ( الحق ) مفعول به ليقولوا ، والمصدر المؤول من ( أن ) المصدرية والفعل الذي دخلت عليه في محل رفع عطف بيان لميثاق ، وقيل بدل منه ، وقيل المصدر المؤول في محل نصب مفعول من أجله على معنى لئلا يقولوا إلا الحق ، وجملة ( ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ) جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب .

الاستفهام الخامس : ( أفلم ييأس الذين آمنوا ) في قوله تعالى : ( ولو أن  
قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا  
أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا  
تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا  
يخلف الميعاد ) الآية (٣١) من الرعد .

هذا الاستفهام : ( أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس  
جميعا ) يفيد الإنكار . ينكر الله سبحانه وتعالى على الذين آمنوا بالله ورسوله وبأن الله  
جل وعلا لو يشاء لهدى الناس جميعا ينكر عليهم أن لم يقنطوا من إيمان كفار قریش  
المعاندين لله ورسوله . ذلك أنه لما سأل هؤلاء الكفار المعاندون نزول آيات غير القرآن  
( ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية ) اشتاق المؤمنون إلى هذه الآيات ، وأحبوا  
نزولها ، طمعا في إيمان هؤلاء الذين علم الله أنهم لا يؤمنون ولو نزلت هذه الآيات ، يقال  
تعالى : ( أفلم ييأس الذين آمنوا ) ... الآية .

أختي « هل » :

ذهب كثير من المفسرين إلى أن ( ييأس ) في هذا الاستفهام بمعنى يعلم ، وليس هناك  
- فيما يبدو لي - ما يدعو إلى إخراج هذه الكلمة عن بابها وهو القنوط ، ولا إلى حملها على  
لغة بعض قبائل العرب وجعلها بمعنى يعلم ، فاستعمالها بمعنى العلم قليل جدا ، بل إن  
الكسائي والفراء قد أنكراه .

أما إعراب هذه الصيغة : ( أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس  
جميعا ) فأكتفى منه بإعراب ما يلي :

( أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ) ( أن ) مخففة من الثقيلة ، وهي  
مصدرية تفيد التوكيد ، تنصب المبتدأ على أنه اسمها وترفع الخبر على أنه خبرها ، وهي حرف  
مبني على السكون لا محل له من الإعراب ، واسمها ضمير الشأن محذوف والتقدير أنه . و  
( لو ) حرف يدل على انتفاء الجواب لانتفاء الشرط ، والمعنى أنه تعالى لم يهد الناس جميعا  
لأنه لم يشأ ذلك و ( يشاء ) فعل مضارع مرفوع ولفظ الجلالة ( الله ) فاعله ، و ( لهدى )  
اللام واقعة في جواب لو ، و ( هدى ) فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر لا  
محل له من الإعراب ، وفاعله ضمير مستتر يعود على لفظ الجلالة ( الله ) . و ( الناس )  
مفعول به منصوب ، و ( جميعا ) حال من الناس منصوب . وجملة ( لهدى الناس جميعا )

جواب لو لا محل لها من الإعراب ، والجملة المؤلفة من لو وشرطها وجوابها في محل رفع خبر أن المخففة من الثقلية . والمصدر المؤول من أن المخففة وجواب لو في محل جر بالباء المقدرة ، والجار والمجرور يتعلقان بالفعل ( آمنوا ) ، والتقدير : أفلم ييأس الذين آمنوا بهداية الله للناس جميعا لو يشاء . ويجوز أن يكون هذا المصدر المؤول في محل نصب على نزع الخافض - ومتعلق بيبأس الذي هو مفعول به في المعنى محذوف لدلالة السياق عليه والتقدير أفلم ييأس الذين آمنوا بهداية الله للناس جميعا لو يشاء أفلم ييأسوا من إيمان هؤلاء الكافرين .

الاستفهام السادس : ( أو لم نهك عن العالمين ) في قوله تعالى : ( وجاء أهل المدينة يستبشرون ) ( ٦٧ ) قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون ( ٦٨ ) وانتقوا الله ولا تخزون ( ٦٩ ) قالوا أو لم نهك عن العالمين ( ٧٠ ) . الآيات ( ٦٧ - ٧٠ ) من سورة الحجر .

هذا الاستفهام : ( أو لم نهك عن العالمين ) يفيد التقرير والإنكار :

التقرير على معنى الإخبار أي قد نهيناك من قبل عن تضييف أحد من الناس . ويفيد الإنكار على معنى ما كان ينبغي لك بعد هذا أن تضييف هؤلاء وتقول لنا لا تفضحوني ولا تخزونى وأنت الذى تعرض نفسك للفضيحة والخزي من جراء مخالفتك ما قد نهيناك عنه . وإعراب الصيغة واضح .

الاستفهام السابع : ( ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ) في قوله تعالى : ( وما أعجلك عن قومك ياموسى ) ( ٨٣ ) قال هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى ( ٨٤ ) قال فإنما قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري ( ٨٥ ) فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفتال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ( ٨٦ ) قالوا ما أخلفنا موعدك بملكننا ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقدفناها فكذلك ألقى السامري ( ٨٧ ) فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى ( ٨٨ ) أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ( ٨٩ ) . الآيات ( ٨٣ - ٨٩ ) من سورة طه .

لما سار موسى عليه السلام ببني اسرائيل بعد هلاك فرعون إلى جانب الطور الأيمن حيث كان موعده أن يكلم الله جل وعلا موسى ، رأى موسى أن يسارع وحده مبادراً إلى الطور ، واستخلف أخاه هارون على بني اسرائيل ، وطلب منهم أن يسيروا على أثره إلى جانب الطور ،

ولما انتهى موسى عليه السلام من مناجاة ربه جل وعلا سأله سبحانه وتعالى عن سبب العجلة ومجيئه وحده دون أن يكون معه قومه ، فأجاب موسى هم أولاء على أثرى ، وعجلت إليك رب لترضى ، فأخبره الله تبارك وتعالى بما كان من الفتنة من بعده في بنى اسرائيل وعبادتهم العجل الذى عمله لهم ذلك السامري ، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً على ما صنعه قومه من بعده ( قال ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ) .

وهذا الاستفهام : ( ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ) يفيد التقرير والتوبيخ :

التقرير على معنى الإخبار أي قد وعدكم الله تبارك وتعالى وعداً حسناً ، أما التوبيخ فتوبيخ موسى لقومه على مخالفتهم ما يستوجب هذا الوعد الحسن ، وكانت هذه المخالفة بعبادتهم العجل وتصديق ما قاله السامري من أن هذا العجل هو إلههم وإله موسى على حين كان واجباً عليهم أن يقيموا على ما تركهم عليه موسى من الإيمان بالله تعالى وعبادته وحده لاشريك له .

وإعراب ( ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ) .

( يعدكم ) ( يعد ) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون على آخره ، وهذا الفعل يأخذ مفعولين والضمير ( كم ) هو المفعول الأول مبني على السكون في محل نصب ، أما المفعول الثانى فمحذوف ، وقد اختلف العلماء في تقديره ، فمنهم من قدره ( أن يعطيكم التوراة ) ، ومنهم من قدره ( الوصول إلى جانب الطور الأيمن ) ومنهم من قدره ( أن يسمعكم كلامه ) ، ومنهم من قدره ( المغفرة عن تآب وعمل صالحاً ) .

( ربكم ) ( رب ) فاعل مرفوع ، و ( كم ) ضمير في محل جر بالإضافة ، ( وعداً حسناً ) ( وعداً ) مصدر منصوب على أنه مفعول مطلق ، و ( حسناً ) صفة لهذا المصدر . ويجوز بعضهم أن يطلق الوعد ويراد به الموعد فيكون هو المفعول الثانى . وجملة ( ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ) في محل نصب مفعول به لقال ( قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ) .

الاستفهام الثامن : ( أفلم يدبروا ) في قوله تعالى : ( أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ) الآية ( ٦٨ ) من سورة المؤمنون .  
وهذا الاستفهام ( أفلم يدبروا القول ) للإنكار والتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على المشركين ويوبخهم أن لم يتفهموا القرآن العظيم ، ولم يتفكروا فيما جاء به من العبر ، فيعرفوا حجج الله التي احتج بها عليهم فيه ، ويعلموا أنه المعجز الذى لا يمكن معارضته ، فيصدقوا به وبمن جاء به .

وإعراب هذه الصيغة ( أفلم يدبروا القول ) واضح ، وأصل يدبّروا ( يتدبروا ) أبدلت التاء دالا وأدغمت الدال في الدال . وهذا الإبدال جائز ، وقد جاءت التاء غير مبدلة في قوله تعالى : ( أفلا يتدبرون القرآن ) ( ٨٢ النساء ) ( ٢٤ محمد ) .

الاستفهام التاسع : ( ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ) في قوله تعالى : ( فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين (١٦) أن أرسل معنا بني اسرائيل (١٧) قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين (١٨) وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين (١٩) قال فعلتها إذا وأنا من الضالين (٢٠) ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربي حكماً وجعلني من المرسلين ( ٢١ ) وتلك نعمة تمنها على أن عبّدت بني اسرائيل (٢٢) . الآيات ( ١٦ - ٢٢ ) من الشعراء :

حين أتى موسى وهارون عليهما السلام فرعون وقال له إنا رسول رب العالمين عرف فرعون موسى لأنه نشأ في بيته و ( قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ) . وهذا الاستفهام يفيد التقرير والامتنان والتحقير والتوبيخ والتعجب على معنى : قد ربيناك فينا وفي بيتنا على فراشنا مذ كنت رضيعاً حتى بلغت مبلغ الرجال ، أنعمنا عليك هذه السنين الطويلة ، ولكنك قابلت إحساننا إليك بتلك الفعلة التي فعلتها ، فقتلت منا رجلاً وكفرت بنعمتنا عليك ، لقد حدث هذا كله ، ثم ها أنت ذا تدعى أنك رسول رب العالمين ، فياعجبا أنى لك هذه الرسالة !!؟ ومتى كان ذلك !!؟

ولقد أجاب موسى عليه السلام عما تضمنه سؤال فرعون فقال :

لقد قتلت ذلك الرجل وأنا من الجاهلين بأن تلك الوكزة ستقضى عليه ، لقد كان قتلى إياه خطأ وليس بالعمد .

وأما هذا العجب من أن أكون رسولاً فإن الله ربي هو الذي وهب لى حكماً وجعلني من المرسلين بعد أن خفتكم وفررت منكم أنشد النجاة والأمن .

وأما تلك النعمة التي تمنها علىّ فما كانت بالنعمة ، ولن تكون ذات يوم ، وكيف تراني أعدها نعمة واعتدها إحساناً وأنا الذي كنت أرى وأنا أعيش في بيتك ، أرى قومي بني اسرائيل يلاقون على يديك ضروب التعبيد والإذلال ، لقد أهنت قومي ، ومن أهين قومه فقد ذل .

وأما تربية موسى في بيت فرعون من حيث إنها حادثة واقعة لا من حيث إنها نعمة  
يمن بها فقد سكت موسى عن ذكرها ، وسكوته إقرار بها واعتراف .

وإعراب هذه الصيغة : ( قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك  
سنين ، وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ) :

( نربك ) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الياء من  
آخره ، والكاف ضمير المخاطب مبني على الفتح في محل نصب مفعول به . ( وليداً ) حال من  
ضمير المخاطب قبله وهو الكاف ، وجملة ( ألم نربك فينا وليداً ) في محل نصب مفعول به  
لقال :

( ولبثت فينا من عمرك سنين ) ( من عمرك ) الجار والمجرور يتعلقان  
بمحذوف حال مقدم من سنين أو هما في محل نصب على الحال . و ( سنين ) ظرف زمان  
متعلق بالفعل الماضي ( لبث ) وهو منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر  
السالم .

وجملة ( لبثت فينا من عمرك سنين ) معطوفة على ( نربك فينا وليداً ) فتكون داخلة  
في حيز الاستفهام والنفي المتقدمين ، على معنى : ألم نربك فينا وليداً ، أو مالبثت فينا من  
عمرك سنين ، ويجوز بعضهم أن تكون معطوفة على ( ألم نربك فينا وليداً ) باعتبار معناها  
الخبري أي قد ربيناك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين .

( وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ) ( فعلتك ) ( فعلة ) مفعول  
مطلق منصوب ، والكاف في محل جر بالإضافة ، ( التي ) اسم موصول مبني على السكون في  
محل نصب صفة ل ( فعلة ) و ( فعلت ) فعل فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها من  
الإعراب الرابط الذي يربط الصلة بالموصول ضمير محذوف والتقدير : فعلتها ، ( وأنت من  
الكافرين ) الواو حالية . ( أنت ) ضمير مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ - ( من  
الكافرين ) جار ومجرور في محل رفع خبر ، أو متعلقان بمحذوف هو الخبر .

وجملة ( أنت من الكافرين ) في محل نصب حال وصاحب الحال ضمير  
المخاطب ( ت ) في فعلت الثانية ورابط جملة الحال بصاحبها الواو والضمير ( أنت ) معاً .  
وجملة ( فعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ) معطوفة على ما عطفت عليه  
الجملة التي قبلها ، وهي مثلها في محل نصب مفعول به لقال .

الاستفهام العاشر : ( أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل ) في قوله تعالى :  
( فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أو لم يكفروا  
بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون ) الآية ( ٤٨ )  
من سورة القصص .

هذا الاستفهام : ( أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل ) يفيد التوبيخ  
والتقرير :

أما التقرير فعلى معنى الإخبار أي لقد كفر هؤلاء اليهود الذين أمروا قريشاً أن يسألوا  
محمدأ صلى الله عليه وسلم أن يؤتى مثل ما أوتى موسى ، لقد كفر هؤلاء اليهود بما أوتى  
موسى من قبل .

أما التوبيخ والتقرير فعلى معنى أن الله سبحانه وتعالى يوبخ هؤلاء اليهود ويقرعههم  
على أن يُعلموا قريشاً حجة هي أن يطلبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤتى مثل ما  
أوتى موسى ، مع أنهم لم يؤمنوا بهذه الحجة وكفروا بها من قبل ، وقالوا عن التوراة والقرآن  
سحران تعاوناً بتصديق كل واحد منهما الآخر وإنا بكل واحد منهما كافرون .  
وإعراب هذه الصيغة : ( أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل ) سهل واضح .

الاستفهام الحادي عشر : ( أو لم نمكن لهم حرماً آمناً ) في قوله تعالى :  
( وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرماً آمناً  
يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ) . الآية ( ٥٧ )  
من سورة القصص .

( أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا )  
هذا استفهام معناه التقرير والتكذيب :

التقرير على معنى الإخبار أي « قد وطأنا لهم بلداً حرماً على الناس سفك الدماء  
فيه ، ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء ، وأمنا على أهله أن يصيبهم به غارة أو قتل  
أو سباء ، ورزقناهم فيه ، وجعلنا الثمرات من كل أرض تجبى إليهم » .

والتكذيب على معنى أن قولهم للرسول هو قول كاذب ، وأن اعتذارهم عن اتباع الهدى  
هو اعتذار زائف غير قويم ، قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم : إنا نخشى إن اتبعنا الهدى  
معك أن يقصدنا العرب المشركون من حولنا بالأذى والحرب ، وأن يتخطفونا من أرضنا .

وهذا قول مردود وادعاء باطل ، فالله سبحانه وتعالى قد جعل لكم الحرم آمناً وأنتم على الكفر والشرك ، فكيف يجعله غير آمن إذا اتبعتم الهدى والإسلام !!؟ .

ومن هذه الصيغة : ( أو لم نمكن لهم حراماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً حسناً من لدنا ) .

أكتفى بإعراب ما يلي : ( رزقاً ) حال من ثمرات منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره . ( من لدنا ) من حرف جر ( لدن ) ظرف مكان مبني على السكون في محل جر ، والجار والمجرور يتعلقان بمحذوف صفة لـ ( رزقاً ) ولدن مضاف و ( نا ) مضاف إليه ضمير مبني على السكون في محل جر .

وجملة ( يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً حسناً من لدنا ) في محل نصب نعت ثان لـ ( حرماً ) .

وجملة ( أو لم نمكن لهم حراماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً حسناً من لدنا ) جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب .

الاستفهام الثاني عشر : ( أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ) في قوله تعالى : ( والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور (٣٦) وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير (٣٧) الآيتان ( ٣٦ - ٣٧ ) من فاطر .

هذا الاستفهام : ( أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ) معناه التقرير والتوبيخ :

التقرير على معنى الإخبار أي قد عمرناكم أيها الكافرون أعماراً تتمكنون فيها من التدبير واتباع الحق فالعمل الصالح لو أردتم ذلك وكنتم ممن تنفعه الذكرى ، وما تركناكم لأنفسكم ، بل جاء الأنبياء يندرونكم لقاء يومكم هذا .

والتوبيخ لهم على أن لم ينتفعوا في حياتهم الدنيا بما ينجيهم من هذه النار التي يصطرخون فيها من هول العذاب ، وعلى أن ضيعوا هذه الفرصة المواتية للإيمان بالرسول وللعمل الصالح ، وجاءوا الآن بعد أن ذاقوا العذاب في الآخرة يطلبون الرجعى إلى دار الدنيا كي يؤمنوا بالله وحده لا شريك له ، ويعملوا ما أمرهم به الأنبياء ، ذلك رجوع بعيد .



أما إعراب هذه الصيغة : ( أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير )  
فيكفيك منه ما يلي :

( ما يتذكر فيه من تذكر ) : ( ما ) نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب  
ظرف زمان متعلق بالفعل المضارع قبله وهو ( نعمر ) ، والتقدير : أو لم نعمركم وقتاً يتذكر  
فيه من تذكر ، و ( مَنْ ) اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل للفعل المضارع  
الذي قبله وهو يتذكر ، و ( تذكر ) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على مَنْ ، وهذا الضمير  
هو الرابط الذي يربط جملة الصلة بالموصول ، وجملة ( يتذكر فيه من تذكر ) في محل نصب  
نعت ل ( ما ) . وجملة ( أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ) جملة استثنائية لا محل لها  
من الإعراب .

الاستفهام الثالث عشر : ( ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان  
إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ) في قوله تعالى : ( فالיום لا  
تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون (٥٤) ) إن أصحاب الجنة اليوم في  
شغل فاكهون (٥٥) هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون (٥٦) لهم فيها  
فاكهة ولهم ما يدرعون (٥٧) سلام قولاً من رب رحيم (٥٨) وامتازوا اليوم أيها  
المجرمون (٥٩) ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين (٦٠)  
وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم (٦١) الآيات ( ٥٤ - ٦١ ) من سورة ياسين .

بعد أن وصفت هذه الآيات الكريمة الجزاء في يوم القيامة وما يجازى به المؤمنون  
من جنة ونعيم ، وصفت حال الكافرين بأنهم يخاطبون ب ( امتازوا اليوم أيها المجرمون ) أي  
تميزوا من المؤمنين وانفردوا أيها الكافرون بالله ، فإنكم واردون غير موردكم وداخلون غير  
مدخلهم ، ثم يقول الله سبحانه وتعالى لهم ( ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا  
الشيطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ) . وهذا استفهام  
معناه التقرير والتوبيخ والتقرير .

التقرير على معنى الإخبار أي قد أوصيتكم وأمرتكم في الدنيا ألا تطيعوا الشيطان فإنه  
لكم عدو مبين ، وقد عهدت إليكم أيضاً وأوصيتكم أن تعبدوني وحدي لا تشركون بي شيئاً ،  
تفعلون ما أمركم به وتنتهون عما أنهاكم عنه ، وهذا هو الدين الصحيح والصراط المستقيم .

ويفيد هذا الاستفهام التوبيخ والتقرير أيضاً ، توبيخ هؤلاء الكافرين وتقريرهم على  
مخالفتهم لما عهد الله جل وعلا إليهم ، فقد أطاعوا الشيطان فأضلهم ، وأشركوا به سبحانه  
وتعالى وعصوه فكانوا مجرمين .

ولن أطيل عليك في إعراب هذه الصيغة ( ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا  
الشیطان إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدونی هذا صراط مستقیم ) . سوف أكتفي  
بإعراب ما يلي :

( أن لا تعبدوا الشيطان ) ( أن ) حرف مصدري ناصب للفعل المضارع الذى  
بعده . ( لا ) حرف نفى . ( تعبدوا ) فعل مضارع منصوب بأن المصدرية وعلامة نصبه حذف  
النون ، وواو الجماعة فاعل ضمير مبني على السكون في محل رفع . ( الشيطان ) مفعول به  
منصوب .

( وأن اعبدونی ) الواو حرف عطف ، ( أن ) حرف مصدري ، ( اعبدونی ) مؤلفة  
من فعل أمر مبني على حذف النون لا محل له من الإعراب ، وواو الجماعة ضمير مبني على  
السكون في محل رفع فاعل . والنون نون الوقاية حرف مبني على الكسر لا محل له من  
الإعراب . والياء ياء المتكلم ضمير مبني على السكون في محل نصب مفعول به .

و ( أن ) المصدرية وما دخلت عليه في كل من الموضعين المتقدمين في تأويل مصدر ،  
وهذا المصدر في محل نصب على نزع الخافض ، وتقدير هذين المصدرين : عدم عبادتكم  
للشيطان ( بنصب عدم ) ، وعبادتكم إياي ( بنصب عبادتكم ) .

وجملة ( ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين .  
وأن اعبدونی هذا صراط مستقیم ) جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب .

الاستفهام الرابع عشر : ( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله  
وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد  
فقس قلوبهم وكثير منهم فاسقون ) الآية (١٦) من سورة الحديد .

هذا الاستفهام معناه الاستبطاء والعتاب والتحذير :

استبطأ الله سبحانه وتعالى من المؤمنين أن تخشع قلوبهم وتخضع وترق وتلين لذكر  
الله ، وأن تسمع وتطيع وتنقاد لما ينزل من آيات كتاب الله ، استبطأ ذلك منهم وعاتبهم  
عليه ، وحذرهم من أن يكونوا مثل اليهود والنصارى الذين أوتوا التوراة والإنجيل من قبل أن  
يرسل محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالمين ، فطال عليهم الزمن بعد أنبيائهم ، فقس قلوبهم  
وسكنت إلى المعاصي ، وكان كثير من هؤلاء الذين أوتوا الكتاب خارجين عن دينهم ، رافضين  
لما جاء في كتابهم .

وإعراب صيغة هذا الاستفهام : ( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ) :

( يأن ) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهو الياء من آخره ، وأصله قبل الجزم ( يأنى ) . ( للذين آمنوا ) اللام حرف جر . و ( الذين ) اسم موصول مبني على الفتح في محل جر ، والجار والمجرور يتعلقان بالفعل المضارع ( يأن ) . ( آمنوا ) فعل ماض مبني على الضم لا اتصاله بواو الجماعة لا محل له من الإعراب ، وواو الجماعة ضمير مبني على السكون في محل رفع فاعل ، والجملة من الفعل والفاعل صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، والرابط الذي ربط جملة الصلة بالموصول هو واو الجماعة . ( أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ) ( أن ) حرف مصدري ناصب للفعل المضارع الذي بعده ( تخشع ) فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه فتحة ظاهرة على آخره ، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر وهذا المصدر في محل رفع فاعل للفعل المضارع ( يأن ) والتقدير : ألم يأن للذين آمنوا خشوع قلوبهم . ( قلوبهم ) قلوب فاعل ، وهم ضمير مبني على السكون في محل جر ( لذكر الله ) جار ومجرور ومضاف إليه ، والجار والمجرور يتعلقان بالفعل ( تخشع ) . ( وما نزل من الحق ) الواو عاطفة و ( ما ) اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على ذكر ، و ( نزل ) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر يعود على اسم الموصول ( ما ) ( من الحق ) من حرف جر وهي بيانية والحق مجرور بمن والجار والمجرور في محل نصب حال من ( ما ) وجملة ( نزل من الحق ) صلة الموصول لا محل لها من الإعراب ، والرابط الضمير المستتر في نزل .

( ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ) الواو عاطفة ، و ( لا ) نافية ، ( يكونوا ) فعل مضارع معطوف على الفعل المضارع ( تخشع ) المنصوب بأن والمعطوف على المنصوب منصوب وعلامة نصبه حذف النون ، والواو ضمير الجماعة اسم يكون مبني على السكون في محل رفع ، ( كالذين ) الكاف يجوز على رأى بعض النحاة أن تكون اسماً بمعنى مثل فهي مبنية على الفتح في محل نصب خبر يكون والكاف مضاف والذين اسم موصول مضاف إليه مبني على الفتح في محل جر ، وأما على رأى جمهور النحاة فالكاف على أصلها حرف جر والذين اسم موصول مجرور بالكاف مبني على الفتح في محل جر ، والجار والمجرور في محل نصب خبر يكون . ( أوتوا الكتاب ) أوتوا أصلها أوتوا ( بيا مضمومة قبل واو الجماعة ) ثم استثقلت الضمة على الياء فحذفت الضمة للثقل فسكنت الياء فالتقى ساكنان ، الياء وواو الجماعة ، فحذفت الياء للتخلص من التقاء الساكنين ، ثم ضمت التاء المكسورة لمناسبة

واو الجماعة فصارت الكلمة أوتوا، فهي فعل ماض مبني على الضم المقدر على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين لا محل له من الإعراب، والواو ضمير الجماعة مبني على السكون في محل رفع نائب فاعل، ونائب الفاعل هذا كان في الأصل هو المفعول الأول فلما بنى الفعل الماضي للمجهول صار نائباً عن الفاعل . و (الكتاب) مفعول به ثان منصوب، (من قبل) من حرف جر وقبل ظرف زمان مبني على الضم في محل جر، والجار والمجرور يتعلقان بالفعل (أوتوا)، ويكون تقدير الكلام مع تأويل المصادر: ألم يأن للذين آمنوا خشوعاً لقلوبهم لذكر الله ولما نزل من الحق عدم كونهم كالذين أوتوا الكتاب من قبل .

الاستفهام الخامس عشر: ( ألم نهلك الأولين ) في قوله تعالى : ( ألم نهلك الأولين (١٦) ثم نتبعهم الآخريين (١٧) كذلك نفعل بالمجرمين (١٨) ويل يومئذ للمكذبيين (١٩) الآيات : ( ١٦ - ١٩ ) من سورة المرسلات .

هذا الاستفهام ( ألم نهلك الأولين ) معناه التقرير والتخويف والوعيد :

التقرير على معنى الإخبار أي قد أهلكنا الأولين الذين كانوا يكذبون بالرسول قبلكم إهلاك عذاب ونكال .

والتخويف والوعيد لكفار قريش بأن الله جل وعلا سوف يهلككم بتكذيبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما أهلك المكذبين بالرسول قبلكم، سنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، والويل لمن يكذب بهذا الإهلاك، ويجحد قدرة الله على ما يشاء .

وإعراب هذه الصيغة سهل واضح .

الاستفهام السادس عشر: ( ألم نخلقكم من ماء مهين (٢٠) فجعلناه في قرار مكين (٢١) إلى قدر معلوم (٢٢) فقد رنا فنعم القادرون (٢٣) . الآيات ( ٢٠ - ٢٣ ) من سورة المرسلات .

هذا الاستفهام يفيد التقرير والتحقيق والتخويف :

التقرير على معنى الإخبار، أي قد خلقناكم من ماء مهين .

والتحقيق على معنى علام هذا التكبر والعناد والإعراض وقد خلقناكم من ماء ضعيف

حقير ١٩ .

والتخويف على معنى خلقناكم أول مرة ونحن قادرون على أن نعيد خلقكم مرة أخرى يوم القيامة، وويل يومئذ للمكذبين بهذه القدرة وللمنكرين هذه الإعادة .

وإعراب هذه الصيغة سهل واضح .

الاستفهام السابع عشر : ( ألم يجدك يتيماً فأوى ، ووجدك ضالاً فهدى .  
ووجدك عائلاً فأغنى ) في قوله تعالى : ( والضحى ( ١ ) والليل إذا سجي ( ٢ ) ما  
ودعك ربك وما قلى ( ٣ ) وللآخرة خير لك من الأولى ( ٤ ) ولسوف يعطيك ربك  
فترضى ( ٥ ) ألم يجدك يتيماً فأوى ( ٦ ) ووجدك ضالاً فهدى ( ٧ ) ووجدك عائلاً  
فأغنى ( ٨ ) . الآيات : ( ١ - ٨ ) من سورة الضحى .

بعد أن وعد الله جل وعلا رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم هذا الوعد الشامل الجليل  
( ولسوف يعطيك ربك فترضى ) قال تعالى : ( ألم يجدك يتيماً فأوى . ووجدك  
ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً فأغنى ) . وهذا استفهام يفيد التقرير والتذكير والامتنان :

يفيد التقرير على معنى الإخبار ، أى قد وجدك يتيماً قد مات أبوك وأنت حمل ، ثم  
ماتت أمك وأنت طفل صغير فجعل لك مأوى تأوى إليه عند جدك عبد المطلب ، ثم عند عمك  
أبى طالب . ووجدك ضالاً ( ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ) فهداك الله تعالى إلى ما  
أنت عليه ، ووجدك فقيراً ذا عيال فأغناك الله تعالى عن سواه .

وفيد التذكير تذكير رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه النعم الثلاث التى أنعمها الله  
جل وعلا عليه في حال نشأته ، وكانت النعمة الأولى ( ألم يجدك يتيماً فأوى ) وكانت  
الثانية ( ووجدك ضالاً فهدى ) ، وكانت الثالثة ( ووجدك عائلاً فأغنى ) .

وفيد الامتنان ، الامتنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه النعم الثلاث  
المتقدمة ، ولكنه امتنان التكريم والتعظيم وليس امتنان التحقير والإزاء كما امتنان فرعون على  
موسى عليه السلام : ( ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت  
فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين ) .

وإعراب هذه الصيغة سهل واضح ، و ( يجد ) و ( وجد ) في هذه الصيغة بمعنى يعلم  
وعلم ، فالفعل متعد إلى مفعولين : الكاف الضمير هو المفعول الأول ، والاسم الظاهر بعده هو  
المفعول الثانى .

الاستفهام الثامن عشر : قوله تعالى : ( ألم نشرح لك صدرك ( ١ ) ووضعنا  
عنك وزرك ( ٢ ) الذى أنقض ظهرك ( ٣ ) ورفعنا لك ذكرك ( ٤ ) الآيات : ( ١ - ٤ )  
من سورة الشرح .

هذا الاستفهام كالاستفهام الذى تقدم في سورة الضحى يفيد التقرير والتذكير  
والامتنان :

التقرير على معنى الإخبار أي قد شرحنا لك صدرك للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحق ولينا لك قلبك وجعلناه وعاء للحكمة ، وغفرنا لك ما تقدم من ذنبك الذي أثقل ظهرك وجهدك ، ورفعنا لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معي ، وذلك قول ( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) .

أما التذكير فتذكير رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعم ثلاث أنعمها الله تبارك وتعالى عليه : الأولى ( ألم نشرح لك صدرك ) والثانية ( ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ) والثالثة ( ورفعنا لك ذكرك ) .

أما الامتنان فامتنان الله جل وعلا على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بهذه النعم الثلاث ، وهو امتنان تكريم وتعظيم ، وليس امتنان تحقير وتذمير .  
وإعراب هذه الصيغة سهل واضح .

أختي العزيزة : « هل » :

مع انتهاء هذه الرسالة تنتهي الكتابة عن همزة الاستفهام الداخلة على ( لم النافية ) الجازمة للفعل المضارع .

سوف أكتب إليك في الرسالة القادمة - إن شاء الله تعالى - عن همزة الاستفهام الداخلة على ( لا ) النافية لهذا الفعل .

أسأل الله - جل وعلا - أن يهب لي القدرة على أن أكتب ، وأن يهب لي السداد فيما أقول .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أختك

همزة الاستفهام

## مراجع هذه الرسالة

١ - تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض :

- ١ - ( ج ٧ ص ٤٣ ) ٢ - ( ج ٧ ص ٥٥ ) ٣ - ( ج ٢ ص ٢٩٨ ) ٤ - ( ج ٤ ص ٢٨٠ ) ٥ -  
٦ - ( ج ٤ ص ٤١٦ ) ٧ - ( ج ٥ ص ٣٩١ ) ٨ - ( ج ٥ ص ٤٩٢ ) ٩ - ( ج ٦ ص ٢٦٨ ) ١٠ - ( ج ٦ ص ٤١٣ )  
١١ - ( ج ٧ ص ٩ ) ١٢ - ( ج ٧ ص ١٢٣ ) ١٣ - ( ج ٧ ص ٣١٦ ) ١٤ - ( ج ٧ ص ٣٤٣ ) ١٥ - ( ج ٨ ص ٢٢٢ ) ١٦ - ( ج ٨ ص ٤٠٥ ) ١٧ - ( ج ٨ ص ٤٨٦ ) ١٨ - ( ج ٨ ص ٤٨٧ ) ١٩ - ( ج ٨ ص ٤٨٧ ) ٢٠ - ( ج ٨ ص ٤٨٧ )

٢ - تفسير أبي السعود - الناشر : مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد - القاهرة :

- ١ - ( ج ٧ ص ٤٣ ) ٢ - ( ج ٨ ص ١٩ ) ٣ - ( ج ١ ص ٢٥٦ ) ٤ - ( ج ٣ ص ٢٢١ ) ٥ -  
٦ - ( ج ٥ ص ٢٢ ) ٧ - ( ج ٥ ص ٨٥ ) ٨ - ( ج ٦ ص ٣٥ ) ٩ - ( ج ٦ ص ٢٨٨ ) ١٠ - ( ج ٦ ص ٢٣٨ ) ١١ - ( ج ٧ ص ١٧ ) ١٢ - ( ج ٧ ص ١٩ ) ١٣ - ( ج ٧ ص ١٥٤ ) ١٤ - ( ج ٧ ص ١٧٥ ) ١٥ - ( ج ٨ ص ٢٠٨ ) ١٦ - ( ج ٩ ص ١٧٠ ) ١٧ - ( ج ٩ ص ١٧٢ ) ١٨ - ( ج ٩ ص ١٧٢ ) ١٩ - ( ج ٩ ص ١٧٢ ) ٢٠ - ( ج ٩ ص ١٧٢ )

٣ - الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين . الناشر : الحلبي بمصر :

- ١ - ( ج ٣ ص ٢٨٠ ) ٢ - ( ج ٤ ص ٥٠ ) ٣ - ( ج ١ ص ٢٥٨ ) ٤ - ( ج ٢ ص ٢٠٦ ) ٥ -  
٦ - ( ج ٢ ص ٥٠٦ ) ٧ - ( ج ٢ ص ٥٥١ ) ٨ - ( ج ٣ ص ١٩٧ ) ٩ - ( ج ٣ ص ٢٧٤ ) ١٠ - ( ج ٣ ص ٣٥٤ )  
١١ - ( ج ٣ ص ٤٩٧ ) ١٢ - ( ج ٣ ص ٥٢١ ) ١٣ - ( ج ٤ ص ٢٩١ ) ١٤ - ( ج ٤ ص ٤٦٦ ) ١٥ - ( ج ٤ ص ٥٥١ ) ١٦ - ( ج ٤ ص ٥٥٤ ) ١٧ - ( ج ٤ ص ٥٥٤ ) ١٨ - ( ج ٤ ص ٥٥٤ ) ١٩ - ( ج ٤ ص ٥٥٤ ) ٢٠ - ( ج ٤ ص ٥٥٤ )

٤ - تفسير الطبري . الناشر : الحلبي بمصر - الطبعة الثالثة :

- ١ - ( ج ٦ ص ٢١ ) ٢ - ( ج ٥ ص ٥ ) ٣ - ( ج ٣ ص ٥٠ ) ٤ - ( ج ٩ ص ١٠٧ ) ٥ - ( ج ١٣ ص ١٥١ )  
٦ - ( ج ١٤ ص ٤٣ ) ٧ - ( ج ١٦ ص ١٩٦ ) ٨ - ( ج ١٨ ص ٤١ ) ٩ - ( ج ١٩ ص ٦٥ ) ١٠ - ( ج ٢٠ ص ٨٣ ) ١١ - ( ج ٢٠ ص ٩٣ ) ١٢ - ( ج ٢٢ ص ١٤٠ ) ١٣ - ( ج ٢٣ ص ١٧ ) ١٤ - ( ج ٢٧ ص ٢٨٨ ) ١٥ - ( ج ٣٠ ص ٢٣٢ ) ١٦ - ( ج ٣٠ ص ٢٣٢ ) ١٧ - ( ج ٣٠ ص ٢٣٢ ) ١٨ - ( ج ٣٠ ص ٢٣٢ ) ١٩ - ( ج ٣٠ ص ٢٣٢ ) ٢٠ - ( ج ٣٠ ص ٢٣٢ )

٥ - تفسير ابن كثير : الناشر : الحلبي بمصر :

- ١ - ( ج٤ ص ١٠٥ ) - ٢ - ( ج١ ص ٣١٥ ) - ٣ - ( ج٢ ص ٢٦٠ ) - ٤ - ( ج٢ ص ٥٥٥ ) - ٥ -  
( ج٢ ص ١٦٢ ) - ٦ - ( ج٢ ص ٣٤٩ ) - ٧ - ( ج٣ ص ٣٣٢ ) - ٨ - ( ج٣ ص ٣٩٥ ) - ٩ - ( ج٣ ص ٥٥٨ ) - ١٠ -  
( ج٢ ص ٥٧٦ ) - ١١ - ( ج٤ ص ٣١٠ ) - ١٢ - ( ج٤ ص ٤٦٠ ) - ١٣ - ( ج٤ ص ٥٢٣ ) - ١٤ -  
( ج٤ ص ٥٣٤ ) - ١٠ هـ .

٦ - الكشاف للزمخشري - الناشر الحلبي بمصر :

- ١ - ( ج٣ ص ٢٠٩ ) - ٢ - ( ج٢ ص ٧٣ ) - ٣ - ( ج٢ ص ١٢٨ ) - ٤ - ( ج٢ ص ٣٦٠ ) - ٥ -  
( ج٢ ص ٣٩٥ ) - ٦ - ( ج٣ ص ١٠٨ ) - ٧ - ( ج٤ ص ٦٤ ) - ٨ - ( ج٤ ص ٢٠٣ ) - ٩ - ( ج٤ ص ٢٦٤ ) - ١٠ -  
( ج٤ ص ٢٦٦ ) - ١٠ هـ .

٧ - تفسير القرطبي : الطبعة الثالثة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية  
بالقاهرة :

- ١ - ( ج١٥ ص ٣٧٥ ) - ٢ - ( ج٣ ص ٣٠٠ ) - ٣ - ( ج٩ ص ٣١٩ ) - ٤ - ( ج١٣ ص ٩٣ ) - ٥ -  
( ج١٩ ص ١٥٩ ) - ٦ - ( ج٢٠ ص ٩٦ ) - ٧ - ( ج٢٠ ص ١٠٤ ) - ١٠ هـ .

٨ - تفسير الفخر الرازي : الناشر : دار الكتب العلمية بطهران - الطبعة الثانية :

- ١ - ( ج٧ ص ٤٠ ) - ٢ - ( ج١٩ ص ٥٣ ) - ٣ - ( ج٢٤ ص ١٢٤ ) - ٤ - ( ج٢٩ ص ٢٢٦ ) - ٥ - ( ج٣٠ ص ٢٧٢ ) - ٦ - ( ج٣١ ص ٢١٣ ) - ١٠ هـ .





# النقد الأدبي ومقاييسه

خلال عهد الرسول ﷺ وعصر الخلافة الراشدة

للكبير محمد عارف محمود حسين  
المدرس في كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

لا يستطيع أحد أن ينكر ما أحدثه الإسلام من ثورة شاملة في جميع نواحي الحياة وجوانبها: الدينية، والسياسية، والعقلية، والاجتماعية، والأخلاقية ...

وكانت الناحية العقلية - أو الفكرية - من الجوانب التي أثر فيها الإسلام تأثيراً بالغاً، وهذا يعني أن اللغة العربية التي عبر بها الإسلام عن مبادئه ومعتقداته قد تأثرت تأثراً شديداً بهذا الدين الجديد، تأثرت به أسلوباً وموضوعاً، أو لفظاً ومعنى، وينسحب هذا التأثير على جميع الفنون والعلوم العربية، سواء أكانت شعراً، أم نثراً، أم لغة، أم نقداً ...

ويعيننا في هذا المقام أن نعرف الآثار التي أحدثها الإسلام في النقد الأدبي، وإلى أي مدى كان تأثير النقد به؟ وما الأسس والمقاييس التي سار عليها النقد في عصر صدر الإسلام؟

## الرسول صلى الله عليه وسلم والنقد الأدبي:

الرسول صلى الله عليه وسلم، هو صاحب هذا الدين الجديد، وحامل لواء الدعوة إليه، ولذا فمن المهم جداً أن نتعرف على موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر، وعلى موقفه من النقد الأدبي، ودوره فيه؛ وأن نستعرض جوانب من نقده صلى الله عليه وسلم، لننتعرف من خلالها على الأسس والأصول التي كان بمقتضاها ينقد الرسول صلى الله عليه وسلم الشعر ويحكم عليه.

على الرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل الشعر ولم يعلمه الله إياه، إلا أنه لم يكن يتحرج منه ويتألم بالقدر الذي يظنه كثير من الناس، بل كان يعجب به ويطرب له إعجاب وطرِب العربي صاحب الذوق السليم؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم عربي، وقد وهبه الله من صفاء الذهن، وسلامة الذوق، والقدرة على تمييز الحسن من القبيح

من الكلام - ما فاق العرب جميعاً ، وهم ذوو بَصَرٍ بصناعة الكلام . فيعجب الرسول صلى الله عليه وسلم بشعر النابغة الجعدى ، ويقول له : « لا يَفْضُضُ اللهُ فَأَكَّ » وبلغ من استحسانه لقصيدة « بانث سعاد » أن صفح عن كعب وأعطاه بردته ، واستمع إلى الخنساء واستزادها مما تقول ، وتأثر تأثراً رقيقاً لشعر قتيبة بنت النضر (١) ..

بل إن الأمر ليتعدى حد الإعجاب إلى الدعوة إليه ، إذ دعا الرسول صلى الله عليه وسلم شعراء المسلمين إلى الدعوة إلى الإسلام ، وإلى هجاء المشركين الذين وقفوا في وجه الدعوة الإسلامية ، فالشعر ما زال سلاحاً ماضياً من الأسلحة العربية التي لا يستغنى عنها صاحب دعوة .

إننا نعلم من التاريخ الإسلامي أن معركة كلامية دارت بين المسلمين والمشركين بجانب المعركة الحربية وأن شعراء المسلمين كانوا يقفون في صف واحد أمام شعراء المشركين ، كى يردوا عليهم افتراءاتهم وأباطيلهم التي كانوا يرمون بها الإسلام والمسلمين ، لا سيما وأن الدعوة الإسلامية كانت بحاجة إلى من يدافع عنها ويرد عنها أعداءها ، لذلك ، لا نعجب إذ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراء المسلمين من أمثال حسان بن ثابت (٢) ، وكعب بن مالك (٣) ، وعبد الله بن رواحة (٤) - إلى الدفاع عن الإسلام ، وإلى الدعوة إليه ، والاشادة بذكره ، وبمبادئه ، وهجاء الكفر والكفار ، ولا عجب - لكل هذا - إذ رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستحسن الشعر ، ويستنشده أصحابه ويمدح به ، ويثيب عليه . بل ينقده ويصلح منه .

أما دعوته صلى الله عليه وسلم شعراء المسلمين إلى الدعوة إلى الإسلام ، وهجاء المشركين ، فيدل عليها ما روى أنه : لما كان عام الأحزاب ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : من يحمي أعراض المسلمين ؟ فقال كعب بن مالك : أنا يا رسول الله ! وقال عبد الله بن رواحة : أنا يا رسول الله ! وقال حسان : أنا يا رسول الله ! فقال عليه الصلاة والسلام : نعم اهجهم أنت ( يعني حساناً ) فإنه سيعينك روح القدس . وروى - أيضاً - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرت عبد الله بن رواحة ،

(١) راجع : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٢٨ للدكتور طه أحمد إبراهيم ط دار الحكمة بيروت .

(٢) هو : حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري . شاعر جاهلي إسلامي . اختص بعد الإسلام بمدح النبي والدفاع عنه . توفي عام

٥٤ هـ .

(٣) هو : كعب بن مالك الأنصاري . من الشعراء الذين كانوا ينافحون عن الإسلام والمسلمين ، ويقفون أمام شعراء المشركين

ويهجونهم .

(٤) هو : عبد الله بن رواحة . صحابي جليل ، وشاعر مخضرم . كان - مع حسان بن ثابت وكعب بن مالك - أحد المنافحين

عن الإسلام والرسول والمسلمين ، استشهد في غزوة مؤتة العام الثامن للهجرة .

فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفي واشتفى (١) .

وأما نقد الرسول الكريم للشعر ، وإصلاحه منه ، فسوف نورد من الأمثلة والشواهد ما يدل عليه ، ولكن قبل أن نورد هذه الأمثلة وتلك الشواهد ، ينبغي أن نقرر الأساس الذي قام عليه نقد الرسول للشعر ، ليسهل بعد ذلك تطبيق هذا الأساس على ما سنورده من الأمثلة .

### المقاييس النقدية عند الرسول صلى الله عليه وسلم :

ينبغي أن نلاحظ ، أن الرسول الكريم قد جاء بدين قويم يدعو إلى الفضائل ، وينهي عن الرذائل ، ويدعو - قبل ذلك وبعده - إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، وإذا لاحظنا ذلك علمنا أن المقاييس والأسس النقدية التي كان على أساسها يحكم الرسول على الشعر ، ويبني نقده وتوجيهه له - هي المقاييس والأسس الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم ، من التسامح والتواضع ، والعدل ، والإحسان ، والخلق الحسن ، وهى الأسس والمقاييس العربية التي أقرها الإسلام كالكرم والشجاعة والنجدة وحفظ الجوار . وهذه الأسس هى أسس تتصل بالمعاني التي يجب أن يدور حولها الشعر ، وإذا كان الرسول الكريم قد اتخذ من المعاني الإسلامية والتوجيهات الخلقية لهذا الدين الإسلامى مقياساً وأساساً ينقد الشعر على أساسه ، ويصلح منه - فإنه صلى الله عليه وسلم قد اتخذ من القرآن الكريم - أيضاً - أسلوباً ولفظاً ونظماً أساساً له ومنهاجاً ؛ لما امتاز به من سماحة في القول ، وسلامة في التعبير ، وطبيعة في الأسلوب ، وبعد عن التكلف والغلو .

ولا نعجب إذ رأينا شعراء المسلمين ، يتمثلون القرآن الكريم في شعرهم - على اختلاف فنونه وأغراضه - يتمثلونه معنى وموضوعاً ، وأسلوباً ونظماً ، فينبون فخرهم ومدحهم وهجاءهم .. على أسس من المبادئ الإسلامية ، والقيم الأخلاقية الرفيعة التي استحدثها الدين الإسلامى ، في هذا المجتمع الجديد ، وعلى دعامة من الفضائل العربية التي أقرها الإسلام . كما كانوا يتخذون من بلاغة القرآن وسحر بيانه أساساً لنظمهم ودعامة لبيانهم ..

ولعلنا نلاحظ - من خلال ما تقدم - أن هناك أساسين أو مقياسين كان على أساسهما يحكم الرسول على الشعر وينقده ، هذان الأساسان ، أو المقياسان هما : المقياس الدينى الإسلامى ، والمقياس البيانى .

(١) حسان بن ثابت ، ٤٧ للدكتور ، سيد حنفى حسنين - ( من سلسلة أعلام العرب ) .

## - المقياس الديني الإسلامي :

حينما نستعرض نقدرات الرسول الكريم التي وجهها إلى الشعر والشعراء ، نلاحظ أن الجوانب الدينية والمعاني الإسلامية كانت المحور والأساس ، لنقد الرسول الكريم . ولعلنا نستطيع أن نرى هذا المقياس بوضوح في النقدرات الآتية :

روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : **أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ قَوْلُ لَيْبِدٍ (١) :**  
**أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ**

ونلاحظ من هذا الحكم الذي حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم على قولة لبيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى فيها ما يتسق مع الروح الإسلامية ، ويترجم عن وحى الإسلام .

وحيثما ينشده النابغة الجعدي (٢) قصيدته التي مطلعها :

**خَلِيلِيْ عُوْجًا سَاعَةً وَتَهَجَّرَا      وَلَوْ مَا عَلَيَّ مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا (٣)**

يُعجب الرسول هذا الشعر ، وحيثما يبلغ قوله :

**بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُوْنَا      وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا**

يظهر الغضب في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقول للنابغة : **إِلَى أَيْنَ أَبَا لَيْلَى ؟** فقال : **إِلَى الْجَنَّةِ** ، فيقول الرسول - وقد اطمأن إلى أنه حين عبّر بمجد حدوده المتطاول ، قد انتهى إلى التطلع في ظل الإسلام إلى ما هو أعظم - : **نعم إن شاء الله .**

ويمضي النابغة قائلاً :

**وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ      بُوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَةَ أَنْ يُكَدِّرَا**  
**وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ      حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا**

(١) هو : لبيد بن ربيعة العامري من شعراء الجاهلية وفرسانهم . أدرك الإسلام وأسلم مع وفد بلاده إلى الرسول . توفى في أول خلافة معاوية .

(٢) هو : عبد الله بن قيس . من جمدة بن كعب بن ربيعة . وكان يكنى أبا ليلي . وعمر كثيراً . ومات وهو ابن مئتين وعشرين سنة .

(٣) جمهرة أشعار العرب : ٢٧٥ ط بيروت .

فيزداد ارتياح الرسول الكريم إلى ما يسمع من وحي الروح الدينية ، ومن التوجيه الخلقى الرشيد ، ويقول له :

« لا يَفْضُضُ اللهُ فَأَكْ (٣) » .

ويطرب الرسول لشعر كعب بن زهير حين يمدحه بقصيدته التي مطلعها :

بَانَتْ سَعَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ      مُنِيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَفْدَ مَكْبُولُ

وحين يبلغ كعب قوله :

إِنَّ الرِّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ      مُهَنْدٌ مِنْ سِيُوفِ الْهِنْدِ مَسْلُورُ

يصلح له الرسول قوله هذا ويجعله :

مهند من سيوف الله مسلول

وتلمح من خلال هذا النقد النبوي ما انطوى عليه من تعديل وجه كعباً إليه ، حيث الرأي الصائب والقول السديد ، وهو أن سيوف الله هي التي لا تفل ، ولا تنبو ظباتها ، ولا تحيد عن مواطن الحق . أما غيرها من السيوف فهي تفل وتنبو وتتلثم . وهذا معنى إسلامي جميل .

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على كعب بن مالك ، وهو ينشد ، فلما رآه كعب بدا كأنه انقبض ، فقال الرسول : ما كنتم فيه ؟ قال : كنت أنشد ، فقال له : أنشد ، فأنشد حتى أتى على قوله :

مَجَالِدُنَا عَنْ جِذْمِنَا (٢) كُلُّ فُخْمَةٍ

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : أيصح أن تقول :

مَجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلُّ فُخْمَةٍ ؟ .

قال نعم ، فقال له : فهو أحسن . وواضح من هذا التوجيه الذي أسداه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى كعب أن الجلال والقتال إنما ينبغي أن يكون عن الدين ، لا عن الأصل والنسب .

(١) الشعر والشعراء : ١ / ٢٩٥ تحقيق الأستاذ أحمد شاكر .

(٢) الجذم ، الأصل .

## ٢ - المقياس البياني :

ونعنى به قياس النتاج الأدبي ، وتقويمه على أساس ما ينبغي أن يكون عليه النظم أو الكلام من جمال الأسلوب وروعة الأداء ، وحسن النظم ، وهو ما نسميه بالبيان والبلاغة ، ويتصل بهذا المقياس ، سلامة القول وسلاسة التعبير ، والتزام الصدق ، والبعد عن التكلف .  
وحيثما نتصفح نقدرات الرسول الآتية ، نجدها قائمة على هذا الأساس واضحة خير ما يكون الوضوح .

روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، سأل عمرو بن الأهتم عن الزُّبْرَقَانِ بنِ بَدْرِ ، فقال عمرو : « مَانَعٌ لِحَوْزَتِهِ ، مُطَاعٌ فِي عَشِيرَتِهِ » فقال الزُّبْرَقَانِ : « أَمَا إِنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَكْثَرَ مِمَّا قَالَ ، لَكِنَّهُ حَسَدَنِي شَرِيفِي » فقال عمرو :

« أَمَا لَئِنْ قَالَ مَا قَالَ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُهُ إِلَّا ضَيْقَ الْعَطَنِ ، زَمِنَ الْمُرُوءَةَ ، لُئِيمَ الْخَالِ ، حَدِيثَ الْغِنَى » فلما رأى الإنكار في عيني الرسول بعد أن خالف قوله الآخر قوله الأول ، قال : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَضِيْتُ فَقَلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ، وَعَظُمْتُ فَقَلْتُ أَقْبَحَ مَا عَلِمْتُ ، وَمَا كَذَبْتُ فِي الْأُولَى ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الثَّانِيَةِ » فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا ، وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً » .

وقد انطلق حكم الرسول الكريم هذا على قول عمرو بن الأهتم لما يحويه هذا القول من أسلوب جميل وأداء رائع ، يأسر النفس ويفعل بها فعل السحر ، ولما فيه من حكمة ومعنى حسن .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحسن قول طرفة بن العبد ، ويتمثل به ، وهو قوله :

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا      وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ (١)

وما كان استحسان الرسول صلى الله عليه وسلم لقول طرفة إلا لما حواه من معنى شريف ونسج جميل .

(١). يروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينطق الشطر الأخير من البيت هكذا : وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ بِالْأَخْبَارِ

روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر في دية الجنين بَعْرَةَ (١) ، فقال أحدهم : يا رسول الله أأدى (٢) مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ (٣) ، فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم السؤال جانباً ، واتجه إلى المتكلم ، فأنكر عليه أسلوبه ومنطقه ، وقال له : « أَسْجَعًا كَسَجَعِ الْكُهَّانِ » !

وما أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا القول إلا لأن صاحبه أثر السجع المتكلف وابتعد عن سهولة الأسلوب وسلاسته وانطلاقاً من مبدأ السلامة في التعبير والسلاسة في القول ، والبعد عن التكلف والغلو والتشدد ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ (٤) ، الْمُتَشَدِّقُونَ (٥) ، الْمُتَفِيهِقُونَ (٦) » ويقول : « إِيَّاكُمْ وَالتَّشَادِقَ » ويقول : « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَبْغِضُ الْبَلِغَ مِنَ الرِّجَالِ ، الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخَلَّلَ الْبَاقِرَةَ بِلِسَانِهَا » .

ولم يقف نقد الرسول للشعر والنثر عند حدّ النقد العملي الذي أوردنا منه آنفاً بعض الأمثلة ، بل كان الرسول كثيراً ما يتعدى ذلك إلى لون آخر من النقد ، وهو النقد التوجيهي ، الذي يتمثل في إرشاد الأدباء والشعراء وتوجيههم إلى ما يحسن به أدبهم ، ويرتفع باتباعه شعرهم ، من تلك الأقوال والنصائح ، حتى يُعينهم اتباعها على تحسين أعمالهم ، وبلوغها حدّ الكمال والجمال الأدبي ، من ذلك ما أوردنا آنفاً من نصائح ، يضاف إليها قوله صلى الله عليه وسلم « نَصَرَ اللَّهُ وَجْهَ رَجُلٍ أَوْجَزَ فِي كَلَامِهِ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى حَاجَتِهِ » .

وقوله صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله البجلي (٧) : « يَا جَرِيرُ إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ ، وَإِذَا بَلَغْتَ حَاجَتَكَ فَلَا تَتَكَلَّفْ » .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَكَلِّمُوا بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ الْجُهَالِ فَتَظْلِمُوا ، وَلَا تَمْنَعُوهُمْ أَصْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ » .

(١) الغرة : العبد أو الأمة .

(٢) أى أدفع الدية .

(٣) يطل : يهدر ويطل .

(٤) الثرثارون : هم الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق .

(٥) المتشددون : هم المتوسعون في الكلام من غير احتياط ولا احتراز ، وقيل : إنهم المستهزئون بالناس يلون أشداهم بهم وعليهم .

(٦) المتفيهقون : وهم المتوسعون في الكلام والمتنطعون .

(٧) هو : جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه ، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر فى رمضان ، وبايعه وأسلم .

توفى سنة ٥٤ هـ .

وفي أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم السابقة - بما تحمل من توجيهات وإرشادات -  
نقدت أدبية غاية في الأهمية ، فهي تدعو إلى الصدق في القول ، وعدم التكلف والغلو فيه ، كما  
تدعو إلى ترك التظاهر بالبلاغة ، والتشادق بالفصاحة ، وترك السجع المتكلف ، لأن هذه  
الأمور الأخيرة المنهى عنها ، قد تبهم المعنى ، وتضيع الحقيقة ، وقد تُلْسُ الباطل ثوبَ الحق .

\* \* \* \* \*

هذه النقدرات الأدبية بشقيها : الفعلي والتوجيهي ، التي وجهها رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إلى الشعراء والأدباء ، والتي وقفنا على طرف منها فيما أوردنا من أمثلة - هذه  
النقدرات تمثل تطوراً لتلك المحاولات النقدية التي بدأت منذ العصر الجاهلي ، وهي محاولات  
تعتمد على الذوق والفطرة والطبع وصحة الفهم وسعة الرواية ، والخبرة المستفادة من المعارف  
العامة ، مستظلة بروح الدين وتعاليمه وآدابه ، متجهة إلى اللفظ والمعنى والأسلوب والغرض .

كما يلاحظ - أيضاً - من نقد الرسول الكريم استعمال المصطلحات النقدية ؛ فلأول  
مرة تستعمل في محيط النقد الأدبي ألفاظ تتصل بهذا الفن ، لتدل على سير هذا الفن خطوات  
إلى الأمام ، فاستعمل لأول مرة لفظ « البيان » في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان  
لسحراً » ولفظ البلاغة مشتقاً منه لفظ « البليغ » في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى  
يبغض البليغ من الرجال ، الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها (١) » والرسول يعنى  
بالبليغ ، الذي يتقن الصنعة بقصد تزوير القول .

ونظرة إلى الأحكام النقدية التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعراء  
والشعراء نرى أنها أحكام اتسمت بالعموم والإيجاز ، كإعجابه بقول لبيد ، وطربه لشعر  
النابغة الجعدى . واستحسانه لبيان عمرو بن الأهتم وتعديله للمعاني التي أتى بها كل من  
كعب بن زهير ، وكعب بن مالك ، من تلك النقدرات التي عرضناها من قبل .

كما يلاحظ القارئ أنها أحكام اتسمت بالجزئية ، فنقده صلى الله عليه وسلم كان  
متجهاً إلى اللفظ أو المعنى دون غيرهما من الجوانب النقدية الأخرى ، فإعجابه بقول لبيد كان  
متجهاً للمعنى ، فالمعنى عند لبيد جميل وشريف لانسجامه مع الروح الإسلامية . وكذلك  
طربه لمعنى النابغة يجري مع غاية ما يطمح إليه المؤمن ، حينما جعل نهاية مطمحه الجنة .

---

(١) الباقرة : البقرة . والمعنى : أن الله يبغض البليغ الذي يفخم لسانه بالكلام ويلفه كما تلف البقرة الكلاً  
بلسانها لفاً .



واستحسان الرسول لبيان عمرو بن الأهتم في قوله عن الزبرقان بن بدر راجع إلى ما يحويه من رائع اللفظ، وحسن البيان . وتعديله لشعر كعب بن زهير وشعر كعب بن مالك منصرف إلى المعنى، حيث وجههما الرسول إلى ما ينبغي أن يكون عليه المعنى من تلاق مع الروح الإسلامية، فسيوف الله أكثر اتساقاً مع روح الإسلام من سيوف الهند، والمجادلة عن الدين أحسن وأفضل من المجادلة عن الأصل والنسب .

كما أن استهجان الرسول لقول بعضهم وقد غلب عليه السجع المتكلف راجع إلى اللفظ، حيث وجهه الرسول إلى ما ينبغي أن يكون عليه النظم من سلاسة في التعبير، وسلامة في المنطق، بعيداً عن السجع المتكلف، والتشادق المقصود . وهكذا .

### الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه والنقد الأدبي :

إذا ما خطونا بالنقد الأدبي - أو بالمحاولات النقدية في عصر صدر الإسلام - إلى الأمام قليلاً في عصر الخلفاء الراشدين نجد أن النقد قد سار على النهج الذي ارتضاه الرسول الكريم، وسنّه في نظرته إلى الشعر، وإلى ما ينبغي أن يتضمنه من معانٍ وقيم إسلامية، وما يجب أن يكون عليه الأسلوب من سلاسة وسلامة في التعبير، وصدق في القول، وبعد عن التكلف والإغراق .

يضاف إلى هذه الأسس ما تميز به كل ناقد من موهبة شخصية، ونزعة ذاتية، وذوق

فني .

ولقد لمع في مجال النقد الأدبي من الخلفاء الراشدين، الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه - ولذا سنقصر الحديث عليه -، فله في هذا المجال لمحات نقدية ونظرات أدبية ذوقية، تدل على حاسته الفنية الدقيقة، وعلى مدى فهمه للبيان العربي، على أحسن ما يكون الفهم، ولعلّ ما يدل على ذلك خير دلالة رأيه الذي أعلنه في الشعر والشعراء، يقول عمر :

« خَيْرُ صِنَاعَاتِ الْعَرَبِ أَيْبَاتُ يُقَدِّمُهَا الرَّجُلُ بَيْنَ يَدَيْ حَاجَتِهِ، يَسْتَمِيلُ بِهَا الْكَرِيمَ، وَيَسْتَعْظِفُ بِهَا اللَّئِيمَ (١) . »

ويقول - رضى الله عنه - لأبي موسى الأشعري : « مُرْ مَنْ قَبْلَكَ يَتَعَلَّمُ الشَّعْرَ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَصَوَابِ الرَّأْيِ، وَمَعْرِفَةِ الْأَنْسَابِ (٢) » .

(١) البيان والتبيين : ٩٩/٢ . تحقيق السندوبي .

(٢) العمدة : ١٠٨ . تحقيق محيي الدين . ط . بيروت .

وكتب الأدب والنقد تزخر بصور وأمثلة لنقداته رضى الله عنه ، تلك النقدرات التي تدل على نظرة صائبة صادقة وفهم دقيق وإع لأدب العربى ، ذلك لما أضافه رضى الله عنه إلى الأحكام النقدية من أسباب موضوعية مفصلة وعلل وأصول واضحة .

ومن نقدرات الخليفة عمر - رضى الله عنه - الأدبية ، ما روى أنه قال ليلة لابن عباس : أنشدني لشاعر الشعراء ، قال : وَمَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قال : ابنُ أَبِي سَلَمَى . قال : وبِمِ صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يَتَّبِعُ حَوْشَى (١) الكلام ، ولا يُعَاظِلُ (٢) في المنطق ، ولا يقول إلا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه . أليس هو الذي يقول :

إذا ابْتَدَرْتُ قَيْسَ بنَ عَيْلَانَ غَايَةً      من المَجْدِ مَنْ يَسْبِقُ إليها يُسْوَدُ  
سَبَقَتْ إليها كُلَّ طَلْقٍ مُبَرِّزٍ      سَبُوقٍ إِلَى الغَايَاتِ غَيْرِ مُزْنِدِ  
ولو كانَ حَمْدٌ يُخْلِذُ النَّاسَ لَمْ تَمُتْ      ولكنَّ حَمْدَ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِذِ (٣)

والناظر في هذا النقد الفني الذى حكم به عمر رضى الله عنه على زهير بن أبى سلمى من خلال تذوقه لشعره يجد أن أساس حكمه قائم على الأساس نفسه الذى توخاه الرسول الكريم في نقده للشعر ، حينما دعا إلى ترك التشاؤم ، والبعد عن التكلف ، وإلى السلاسة في التعبير وإلى التزام الصدق في القول ، وتلك هى الأمور التى انتهجها زهير في شعره ، وعلى أساسها مدحه عمر ، إلا أننا نلمح في نقد عمر شيئاً جديداً لم يعهد من قبل عمر ، وهو اتباع الحكم النقدي بدواعيه وأسبابه ، فعمر لم يحكم على زهير بأنه أشعر الشعراء فقط ، بل اتبع هذا الحكم - كما قلت - بأسبابه وعلله وهى علة وأسباب ، تصبح أساساً للأحكام النقدية ، وقاعدة ومعياراً ، يقوم الشعر والأدب به .

وهذا الحكم النقدي وما تبعه من أسباب وعلل ، أقيم على جوانب ثلاثة : جانب الألفاظ ، وجانب المعاني ، وجانب المنهج الذى التزم به الشاعر ، فمن ناحية الألفاظ ، وصف عمر رضى الله عنه ألفاظ زهير بالسماحة والألفة وأسلوبه بالوضوح والجمال والسلاسة ، والخلو من التعقيد والتركيب والتوعر .

(١) حوشي الكلام : غريبه .

(٢) المعاظلة في الكلام : تصعيب الكلام وتعقيده ، بأن يركب بعضه بعضاً ، ويتداخل حتى يثقل نطقه

وسماعة .

(٣) طلق : سباق . المزد : البخيل .

ومن ناحية المعاني ، فقد وصف عمر معانيه بالصحة والصدق ، ومن ناحية منهج الشاعر ، فقد وصف عمر زهيراً بالتزام الحق والصدق ، والاعتدال والتصدق ، والتباعد من الإفراط والغلو .

ومن ذلك - أيضاً - ما روى أن عمر رضى الله عنه كان يكثر من ترديد بيت زهير :

فإنَّ الحقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ      يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ (١)

متعجباً من علمه بالحقوق ، وتفصيله بينها ، واستيفائه أقسامها ، وكان يقول : « لو أدركت زهيراً لوليته القضاء لمعرفته (٢) » « وأية معرفة في دائرة الحق واقتضاء الحقوق أدق من التقاء فكر زهير في جاهليته مع ما ارتضاه الإسلام قاعدة بعد ذلك ، وما قرره من مبدأ : البينة على من ادعى واليمين على من أنكر (٣) » .

واستحسان عمر لبيت زهير قائم على أساس ديني ، لأنه - أي بيت زهير - يلتقي مع أصل من أصول التشريع الإسلامي .

وشبيه بهذا الاستحسان - في قيامه على أساس ديني - تقده لشعر سحيم عبد بني الحَسْحَاس حين أنشد عمر قصيدته التي مطلعها :

عُمَيْرَةٌ وَدَعُغٌ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَازِيًا      كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا

- وذلك بقوله : « لو كنت قدَّمت الإسلام على الشَّيْب لأجزتكَ » .

وهنا يضع عمر في حكمه ما تقتضيه متطلبات الدين الجديد التي تفرض على الإنسان أن يقدم الدين على كل ما عداه .

---

(١) يعني : يميناً ، أو نفاراً إلى حاكم يقطع بالبينات ، أو جلاء ، وهو بيان وبرهان يجلو به الحق وتوضح

الدعوى .

(٢) خزنة الأدب : ١٨٢/٢ .

(٣) في النقد الأدبي عند العرب : ٨٤ للدكتور محمد طاهر درويش - ط دار المعارف - مصر .

ومثله - أيضاً - نقده للحطيئة حين يقول :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ  
تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ (١)

وذلك بقوله : « كَذَّبَ ، بل تلك نار موسى نبي الله صلى الله عليه وسلم (٢) » .

فالشاعر هنا جانب الصدق ، وزعم أن نار ممدوحه خير نار ، وأنه خير موقد ، وفي هذا مخالفة للحقيقة . والتزام الشاعر بالصدق في شعره مقياس نقدي سبق أن انتهجه زهير ، وعلى أساسه فضله عمر على سائر الشعراء .

ومن نقدرات عمر التي تدل على ذوقه وفهمه الدقيق لأساليب الشعر العربي ، ما روى أن النجاشي (٣) الشاعر قد هجا تميم (٤) بن أبي بن مقبل وقومه بني العجلان ، فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب ، فاستنشدهم ما قال فيهم ، فقالوا : إنه يقول :

إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَرِقَّةٍ  
فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبَلٍ

فقال عمر : إنه دعا ، فإن كان مظلوماً استجيب له ، وإن كان ظالماً لم يستجب له ، قالوا : إنه يقول :

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ  
وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

فقال عمر : ليت آل الخطاب كذلك ! قالوا : وقد قال :

وَلَا يَرْدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً  
إِذَا صَدَرَ الْوَرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ

قال عمر : ذلك أقل للكأك (٥) ! ، قالوا : وقد قال أيضاً :

تَعَافُ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لِحَوْمِهِمْ  
وَتَأْكُلُ مِنْ كَعْبٍ وَعَوْفٍ وَنَهْشَلٍ

(١) تعشو : تقصد في الظلام .

(٢) الأغاني : ٣/٢٠٠ - ط ( دار الكتب المصرية ) .

(٣) هو : قيس بن عمرو بن مالك ، من بني الحرث بن كعب ، كان شاعراً هجاء ، كما كان فاسقاً رقيق

الإسلام .

(٤) هو : تميم بن أبي بن مقبل ، من بني العجلان ، كان جاهلياً إسلامياً ، أدرك الإسلام فأسلم ، وبلغ مئة

وعشرين سنة .

(٥) اللكأك : الزحام .

فقال عمر : أجنّ القوم موتاهم ، فلم يُضَيِّعُوهم ! قالوا : وقد قال :  
وَمَا سُمِّيَ الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقِيلِهِمْ      خُذِ الْقَعْبَ وَاحْلُبْ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ (١)

فقال عمر : خير القوم خادمهم ، وكلنا عبيد الله ! (٢) .  
ولعلّ في هذا الحوار الذي دار بين رهط بني العجلان وعمر ، ما يدل على مدى قدرة  
عمر على فهم الشعر وتذوقه وإدراك معانيه وعلمه بمراميه .

وعلى الرغم من فقه عمر وفهمه للشعر العربي وتذوقه له على النحو الذي ذكرنا ، إلا  
أنه بعث إلى حسان بن ثابت والحطيئة - وكان محبوساً عنده - فسألها عن شعر النجاشي  
في تميم بن مقبل ورهطه بني العجلان ، فقال حسان مثل قوله في شعر الحطيئة الذي هجا به  
الزبرقان بن بدر ، فهدد عمر النجاشي ، وقال له : إن عدت قطعت لسانك (٣) .

وفي نذب عمر الخبراء من الشعراء ما يدل على مدى إيمانه بالتخصص ؛ إذ لم يكن  
ذلك النذب لعجزه عن البت فيما عرض عليه بل كان سناً لقاعدة رشيدة ، وهي الرجوع إلى  
أهل الذكر في كل فن من رجاله المنقطعين له قبل القضاء فيه ؛ ليكون ذلك أصح للرأى ، وأكد  
في صواب الحكم .

وعلى الرغم من أن أحكام عمر النقدية قد اتسمت بالجزئية فاتجهت إلى الصياغة ، أو  
المعاني ، ولم تتطرق إلى جوانب أخرى في النص الأدبي .. شأن الأحكام النقدية التي سبقته  
إلا أننا نجد في نقد عمر شيئاً جديداً لم يألفه القارئ من قبل عمر ، وهو أن نقده كان موسوماً  
بالتعليل ، ومشفوعاً بذكر الدواعي والأسباب في غالبية .

« فعمر هو أول ناقد تعرض نصاً للصياغة والمعاني ، وحدد خصائص لهذه وتلك ، وهو  
أول من أقام حكماً في النقد على أصول متميزة ... فأسند رأيه في زهير إلى أمور محسنة ، وأسباب  
قائمة (٤) » .

(١) القعب : القدح الضخم الغليظ الجافي .

(٢) الشعر والشعراء : ٣٣٧٨ ، ٣٣٨ .

(٣) الشعر والشعراء : ٣٣٨٨ .

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ٣١ .

## خلاصة :

ونخلص من هذا إلى القول بأن النقد في عصر صدر الإسلام - عصر الرسول وعصر الخلافة الراشدة - قد خطا خطوات رشيدة وترسم مناهج وطرقاً أكثر تحديداً ، وأوضح أحكاماً من سابقتها في العصر الجاهلي . ونخلص - أيضاً - إلى أن المقاييس والمعالم النقدية التي اتسم بها النقد الأدبي في هذا العصر ، كانت تبدو في المقاييس والمعالم الآتية :

### أولاً : مقياس الدين :

ونعني به - في إيجاز - قياس النتاج الأدبي ، وميزانه وتقويمه على أساس من روح الدين وتعاليمه التي جاء بها ، وهذا يعني أن الناقد الأدبي ، كان يستحسن من النتاج الأدبي ما جاء متفقاً مع الدين وروحه في بناء المجتمع الجديد ، كما كان - بالطبع - يستهجن ما جاء مخالفاً لهذا الدين ولروحه وآدابه .

وقد بدا هذا المقياس واضحاً في نقد الرسول صلى الله عليه وسلم لشعر لبيد واستحسانه إياه ، وفي إعجابه واستحسانه لشعر النابغة الجعدي ، وفي تعديله لشعر كعب بن زهير ، وكعب بن مالك ، مما أوردناه آنفاً .

كما اتضح أيضاً في نقد عمر رضى الله عنه لشعر الحطيئة ، وسحيم وتوضيحه لما ينبغي أن يكون عليه الشعر من معنى صحيح أو شريف يلتقى مع الروح الإسلامية . ويبدو - أيضاً - في استحسانه لشعر زهير ولبيته الذي بين فيه الحقوق وذلك لالتقائه مع أصل من أصول التشريع الإسلامي .. إلى غير ذلك .

### ثانياً - المقياس البياني :

ونعني به - أيضاً - قياس النتاج الأدبي ، وتقويمه على أساس ما ينبغي أن يكون عليه الأسلوب من سهولة في التعبير وسلاسة في الألفاظ ، ووضوح في التركيب ، وبعد عن التكلف والتصنع ، على أساس أن التعبير المنطلق السلس أقرب إلى البلاغة والبيان من العمل المحكك المنمق .

وقد بدا هذا المقياس واضحاً في استحسان الرسول لشعر طرفة ، وإعجابه الشديد بقول عمرو بن الأهم : كما بدا - أيضاً - في استهجانته - صلى الله عليه وسلم - للسجع المتكلف الذي أنكره على قائله !

وظهر - كذلك - في توجيهاته - صلى الله عليه وسلم - التي تمثلت في ذم التكلف والغلو والتشادق والتفيهق ، كما اتضح هذا المقياس على نحو محدد في نقد عمر حينما أبدى رأيه في زهير وفي شعره .

### ثالثاً - تحديد الأسباب وذكر العلل :

اتسم النقد الأدبي في هذا العصر ، باتجاهه نحو الدقة في إصدار الأحكام ، والوضوح في ذكر الأسباب والتفصيل في تبيان العلل ، التي بمقتضاها يتم الحكم على العمل الأدبي وتقويمه ، وقد رأينا هذا واضحاً جلياً في نقداً عمر رضى الله عنه .

### رابعاً : استعمال المصطلحات النقدية :

لأول مرة تستعمل في محيط النقد الأدبي ألفاظ تتصل بهذا الفن ، لتدل على سير هذا الفن خطوات إلى الأمام فاستعمل لأول مرة لفظ « البيان » في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً » ولفظ « البلاغة » مشتقاً منه لفظ « البليغ » في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال ... » .

### خامساً : التوجيهات النقدية :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كثيراً ما يوجه الأدباء والشعراء إلى ما يحسن به أدبهم ويرتفع باتباعه شعرهم ، من تلك التوجيهات النقدية ، حتى يعينهم اتباعها على تحسين أعمالهم ، وبلوغها حد الكمال الأدبي من تلك التوجيهات التي أوردنا طرفاً منها آنفاً .

### سادساً : مقياس التخصص :

ويتضح هذا المقياس مما سبق أن ذكرناه من استعانة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بحسان بن ثابت في الحكم على شعر النجاشي حين هجا تميم بن مقبل وقومه من بني العجلان ، وذلك على الرغم من فهم عمر للشعر وتذوقه له ، إيماناً منه بمبدأ الرجوع إلى المتخصصين في هذا الفن ، فعمر يأبى أن يصدر في حكومة حول الشعر برأيه ، ويستدعى من بعدهم نقاداً متخصصين ويأخذ برأيهم .

# صفحة لغتہ

# قُلْ.. وَلَا تَقُلْ

للسَّخِيفِ ضَيَّاءِ الرَّبِّيعِ الصَّابِقِ  
المؤرخ التربوي للغة العربية بالجامعة الإسلامية

## ١ - سَقَطَ

### سَقَطَ المتاع

السَّقَطُ : بفتحين ردىء المتاع .  
والسَّقَطُ أيضاً الخطأ في الكتابة والحساب .  
قال الشاعر قطري بن الفجاءة :  
وما في الموت خير في حياة إذا ما عُدَّ من سَقَطِ المتاع  
والسَّقَطُ : بالتحريك : ما أسقط من الشيء ، وما لا خير فيه ج أسقاط - اه  
القاموس ٢ ص ٥٨٠ .

## ٢ - فُوَّهَةٌ

### فُوَّهَةٌ

فُوَّهَةُ الوادي - فُوَّهَةُ البركان .  
وأفواه الأزقة والأنهار وأحدتها فُوَّهَةٌ : بتشديد الواو .  
يقال : اقمعد على فُوَّهَةِ الطريق .

## ٣ - فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ

### فِي نَفْسِ الْوَقْتِ

كلمة نفس من التوكيد المعنوي تأتي بعد المؤكد ، فمن الخطأ الشائع أن نقول : جاء في نفس الوقت ، وإنما نقول : في الوقت نفسه .

## ٤ - جَاءَ النَّاسُ كَافَةً

### جَاءَ الْكَافَةُ ، أَوْ كَافَةُ النَّاسِ

كافة لا تستعمل إلا مجردة من أل والاضافة منصوبة على الحال .  
قال تعالى : وقتلوا المشركين كافة .



ولا يقال : جاء الكافة لأنه لا يدخلها أل ، ولا تضاف اه قاموس ٢ / ١٩٧ .  
وجاء الناس كافة منصوب على الحال اه مصباح ٥٣٦ .

## ٥ - عَنان : بالفتح

عِنان السماء .

بلغ عَنان السماء : أي ما ظهر منها اذا ما نظرت اليها .  
والعنان كالسحاب : وزناً ومعنى ، الواحدة ( عَنانة ) بالهاء ، وبالكسر : اللجام الذي تمسك به الدابة : جمع أَعْنَة .  
يقال : جاءنا نبأ من عِنانه : اذا قضى وطره .  
« وهمت الفتنة أن تنطلق بغير عِنان في طريق لا تُعرف عقباه » عبقرية الصديق ص ٢٩ .

## ٦ - الأَكْفَاء .

الأَكْفَاء .

الأَكْفَاء : جمع كَفء ، وهو المثل والنظير .  
نقول : فلان من الأَكْفَاء النابهين ، ومثله الأَكْفِيَاء .  
والمصدر الكفاءة : بالفتح والمد .  
أما قولهم : الأَكْفَاء بالتشديد فجمع كَفيف : وهو الفاقد البصر ، وهذا خطأ شائع ،  
تسمعه في الاذاعة ، والتلفاز ( الرائي ) كثيرا .  
ومعهد النور يخرج الأَكْفَاء الأَكْفِيَاء .

## ٧ - شَعاعا : بالفتح

نفسه شُعاعا .

شَعاع : بالفتح : تفرَّق الدم وغيره ، يقال : دم شَعاع .  
طارت نفسه شَعاعا : ذهبت متفرقة في كل جهة :  
قال قطري بن الفجاءة :

أقول لها وقد طارت شَعاعا من الأبطال ويحك لن تُراعي

وذهبت نفسه أو قلبه شَعاعا : تفرقت هممها وآراؤها فلا تتجه لأمر جزم .  
وذهبوا شَعاعا : متفرقين .

هذا الفعل لا يستعمل متعدياً ، وإنما يقال : أفاض الناس من عرفات ، وأفاضوا في الحديث : اندفعوا فيه ، وفي القرآن الكريم ( إذ تفيضون فيه ) . وفاض الخير يفيض و ( استفاض ) أي شاع ، وهو حديث ( مستفيض ) أي منتشر بين الناس . ولا تقل ( مستفاض ) .

## ٩ - المَصِيف

## المَصِيف .

المصيف : مكان الإقامة في الصيف ج مصايف .  
والمصطاف : المصيف . مكان الاصطياف ، المكان الذي تصيف فيه .  
قال الصمة القشيري : بنفس تلك الأرض ما أطيب الربا  
وما أحسن المصطاف والمتربعا !

وقال الأمير عبد الله الفيصل :  
أين المصيف وأيامٌ به سلفتُ      وأين ياطيرُ أحبابي وخلّاني ؟  
والطائف : مصيفُ الملكة . و ( أبها ) مصيف جميل .  
لله أيامٌ بأبها حلوة      مرّت بنا كنسائم الأسحار

## ١٠ - طَوَال

## طِيلَة .

قل : طَوَال الدهر : مدى الدهر وطوله ، وفي القاموس : الطَوَال : كسحاب : مدى الدهر .

الطيلة : بالكسر العمر . نقول : أطال الله طيلتك : أي عمرك .  
قال الشاعر الأندلسي ابن خفاجة يصف جبلاً :  
وقور على ظهر الفلاة كأنه      طَوَالُ الليالي مفكرٍ في العواقب

## ١١ - سِدَاد : بالكسر

## سَدَاد ثَغْر .

سِدَاد القارورة والثَّغْر : موضع المخافة بالكسر ليس غير .  
كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ( ثغراً ) كأنه مأخوذ من الثُّغرة وهي الفُرجة في الحائط ( معجم البلدان ) .

قال الشاعر العرجي :  
أضاعوني وأي فتى أضاعوا  
ليوم كريمة وسداد ثغر  
والسداد : بالفتح : الصواب وزناً ومعنى .  
وأما سدّاد القارورة والثغر فالبكسر فقط ، وسداد من عوز وعيش : لما يُسدُّ به الخلة .  
القاموس ج ٢ ص ٥٣٨ .

\* \* \* \* \*

### قصة النضر مع المأمون :

حدّث النضر بن شميل قال :  
كنتُ أدخل على المأمون في سمره ، فدخلت عليه في ليلة ، فدار الحديث على ذكر  
النساء ، فقال المأمون : حدّث هشام عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها  
سدّاد من عوز » ( فأورده بفتح السين ) ، قلت : صدق يا أمير المؤمنين هشام ؛  
حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن عليّ كرم الله وجهه عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سدّاد من عوز » وكان  
المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال :

يأنضر كيف قلت : سدّاد ؟ .

فقلت : نعم ، لأن السدّاد هنا لحن .

قال : أو تلحنني ؟

قلت : إنما لحن هشام ، وكان لحناً ، فتبع أمير المؤمنين لفظه .

قال : فما الفرق بينهما ؟

قلت : السدّاد بالفتح : القصد في الدين والسبيل .

وبالكسر : البلغة وكلّ ما سدّدت به شيئاً فهو سدّاد .

قال : أو تعرف العرب ذلك ؟

قلت : نعم ، هذا العرجي يقول :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا  
ليوم كريمة وسداد ثغر

قال المأمون : قبح الله من لا أدب له .  
وأطرق ملياً ثم قال : ما حالك يا نضر ؟  
قلتُ : أريضة لى بمرى واتصابها وأتمزرها ( أشرب صبا بتها ) .  
قال : أفلا أفيدك مالاً معها ؟  
قلت : انى إلى ذلك لمحتاج .  
قال : فأخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب . ثم قال :  
كيف تقول فى الأمر من أن يُترب الكتاب ؟ قلت : أتربه .  
قال : فمن الطين ؟ قلت : طنه . قال : فما هو ؟ قلت : مطين (١) . قال : هذه أحسن  
من الأولى . ثم قال : يا غلام تبلى به إلى الفضل به سهل .  
قال : فلما قرأ الفضل الكتاب ، قال : يا نضر إن أمير المؤمنين أمر لك بخمسين ألف  
درهم ، فما كان السبب ؟ فأخبرته ولم أكذبه .  
قال : لحن أمير المؤمنين . قلت : كلاً إنما لحن هشام .  
ثم أمر لى الفضل من خاصة ماله بثلاثين ألف درهم ، فأخذت ثمانين ألفاً بحرف  
استفيد منى » .  
فتأمل يا أخى عنايتهم باللغة وحرصهم عليها ، لأنها لغة القرآن ، وتصور أدب النضر  
الذى قال : إنما لحن هشام ، ولم ينسب اللحن للخليفة ، وهذا غاية فى الذوق والأدب .

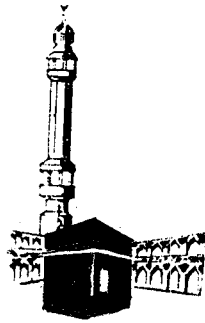
(١) طان كتابه : ختمه بالطين فهو ( مطين ) اسم مفعول .

من تراننا الشعري:

قَالَ حَسَّانُ بْنُ مَيَّاتٍ رَوَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ما بَالُ عَيْنِي لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا  
جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحُ ثَاوِيًا  
جَنْبِي يَقِيكَ التُّرْبُ لَهْفِي لِيَتَنِي  
أَقِيمْ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ  
بِأَبِي وَأُمِّي مِنْ شَهْدَتِ وَفَاتِهِ  
فَظَلَلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَلَدِّدًا  
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا  
فَتَقَوْمُ سَاعَتِنَا فَنَلْقَى طَيِّبًا  
يَا بَكْرُ أَمَنَةَ الْمُبَارَكِ ذِكْرُهُ  
نورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا  
يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِينَا  
فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ وَاكَتُبْهَا لَنَا

\*\*\*\*\*



# شاطئ الأجزان

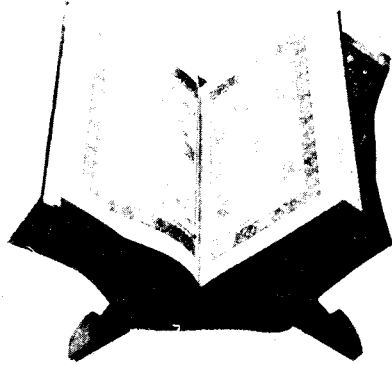
## الشاعر المهاجر

فَسرى الوجْد هَيْئَمَاتٍ حَنُونَةٌ  
لَيْسَ فِيهَا مَجَانَةٌ أَوْ رَعُونَةٌ  
لَمْ تُكَدِّرْ سُبَاتَهُ أَوْ سُكُونَهُ  
وَهِيَ لِلأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ زِينَهُ  
قُدْرَةُ اللهِ أُبْدَعَتْ عُرْجُونَهُ  
لَا شِرَاعَ مَلُوحٍ لَا سَفِينَهُ  
مَنْ خَدِينِ مُهَاجِرٍ أَوْ خَدِينَهُ  
يَمْرُحُ الشُّوقُ وَالْأَمَانِي الدَّفِينَهُ  
وَإِذْ مِنْى وَخَذَ حَيَاتِي رَهِينَهُ  
لِلرَّوَابِي وَلِلدَّوَالِي الْحَزِينَهُ  
عَنْ عَذَابِي وَعَنْ ذَمْعِي السَّخِينَهُ  
ذَاتُ عَدْرِ وَأُمَّةٌ مَلْعُونَهُ  
أَمَعَتْ خَسْفَةً وَفَاحَتْ عَفُونَهُ  
ذَبْحُ أُمِّ بَطْفَلِهَا مَقْرُونَهُ  
وَالنِّصَالُ الْجِدَادُ حَزَّتْ وَتَيْنَهُ  
يَشْهَدُ اللّهُ وَالْبِرَايَا خُونَهُ  
طَائِرَاتٌ غَدَارَةٌ مَجْنُونَهُ  
تَزْرَعُ السُّهْدَ فِي الْعَيُونِ الْأَمِينَهُ  
أَوْ كَعَابٍ مَهِيضَةٍ مَكْنُونَهُ  
بَعْدَ أَنْ كَانَتْ الْحَصَانُ الْمُصُونَهُ  
مِثْلَ أَنْثَى ضَعِيفَةٍ مَسْكِينَهُ  
وَهِيَ بِاللّهِو دَائِمًا مَقْتُونَهُ  
مَلْؤُهَا الْجِقْدُ وَالْأَذَى وَالضَّفِينَهُ

رَتَلُ الْبَحْرُ لِلشَّوَابِي لُحُونَهُ.  
وَالْمُوجَاتُ تَحْضُنُ الرَّمْلَ نَشْوِي  
يَسْمَعُ اللَّيْلُ خَاشِعًا وَشَوْشَاتِ  
وَالنُّجُيْمَاتُ خَفْقَهَا كَفُوَادِي  
وَالقُمَيْرُ الْخَجُولُ يُغْضِي خِيَاءَ  
إِيهِ يَا بَحْرُ أَيْنَ أَهْلُوكَ . رَاحُوا  
غَيْرَ سَرَبٍ مِنَ القَطَا يَتَهَادِي  
تَتَنَادِي وَهَدَاةَ اللَّيْلِ فِيهَا  
أَيُّهَا الطَّائِرُ الْمُغْنِي سَلَامًا  
أَبْلَغُ الشُّوقِ لِلْمَجْبِينِ عَنِّي  
أَبْلَغُ الْأَهْلِ شِقْوَتِي وَاغْتِرَابِي  
شَرَّدْتَنَا إِلَى الْبَلَايَا خُونِ  
أُمَّةٌ قَدْ طَغَتْ وَعَاثَتْ فَسَادًا  
أُمَّةَ الْعَدْرِ هُمُهَا قَتْلُ شَيْخِ  
وَالكُعُوبِ الْغِلَاطِ دَاسَتْ عَلَيْهِ  
مُنْذُ مُوسَى وَمُنْذُ هَارُونَ كَانَتْ  
أَفْرَعَتْ جِقْدَهَا بِظَلَمِ عَلَيْنَا  
تَنْشُرُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الضَّحَايَا  
رَبُّ طِفْلِ تَنَاوَشْتَهُ الشَّظَايَا  
عَرَضَهَا صَارَ لِلطَّوَاغِيَتِ نَهْبًا  
أُمَّتِي لَمْ تَزَلْ عَلَى الْقُدْسِ تَبْكِي  
أُمَّتِي لَمْ تَزَلْ عَلَى الشُّوكِ تَحْبُو  
تَطْلُبُ الْعَدْلَ مِنْ قُلُوبِ شِحَاجِ

أَي سَلَّمَ لَدَيْهِمْ يُعْطُونَهِ ؟  
 مِثْلَمَا اللَّيْثُ رَاحَ يَحْمِي عَرِينَهُ  
 أَوْ شَعَارُ مَجَوفٍ يُلْقُونَهِ  
 مِنْ يَرَاعِ شَبَاتَهُ مَسْنُونَهُ  
 ثُمَّ رَاحُوا عَشِيَّةً يَبْكُونَهُ  
 (وَالْحَبِيبُ) الْبَغِيضُ يَبْكَ شُجُونَهُ  
 قَدْ كَفَيْنَاكَ يَا حَبِيبُ الْمُنُونَهُ  
 خُطُواتٌ كَرِيمَةٌ مَيْمُونَتُهُ  
 بِالتَّائِي وَبِالتَّزَامِ الْمُرُونَهُ  
 ثُمَّ أَبْدَعْتَ فِي الدُّجَى تَلْحِينَهُ  
 وَالنُّفُوسَ الْكِبَارَ صَارَتْ سَجِينَهُ  
 فَلْتَبَادِرْ وَلَا تَخَفْ مَا دُونَهُ  
 وَالتَّوَاقِيْعُ أَصْبَحَتْ مَضْمُونَهُ  
 مَسْجِدَ الْقُدْسِ أَنْ نَعُدَّ أُنَيْنَهُ  
 أَوْ يُعِيدَ اللَّغْوُ الْغَبِيَّ سِنِينَهُ  
 يَنْصُرُ اللَّهُ فِي الْمَلَمَّاتِ دِينَهُ

( رِيحِنٌ ) ( بِيحِنٌ ) كَكَلِ حَقُودِ  
 يُؤْخِذُ الْقُدْسَ عَنُوءَةً وَاقْتِدَاراً  
 لَيْسَ تُجَدِّدِيهِ سَابِغَاتُ الْقَوَافِي  
 أَوْ مَقَالٌ يُعْرِبِدُ الْحَرْفَ فِيهِ  
 خَدْرُوهُ بِحَفْنَةٍ مِنْ وَعُودِ  
 وَالْعَدُوُّ اللَّئِيمُ يُبْذِي رِضَاةً  
 ثُمَّ حَارُوا بِدَفْنِهِ فِي فَلَاةٍ  
 تَذَرُ الشَّرْقَ تَنْشُرُ الْعَدْلَ فِيهِ  
 تَأْمُرُ الشَّاةَ وَالسَّكَاكِينَ كُثْرَ  
 أَنْتَ صُغْتَ النَّشِيدَ عَذْباً شَجِيّاً  
 وَالرَّجَالَ الْعِظَامَ هَامُوا حَيَارَى  
 وَالْعَزِيزُ الْعَزِيزُ مَنَا مُطِيعٌ  
 وَالطَّرِيقُ الطَّوِيلُ أَمْسَى قَصِيراً  
 لَيْسَ يُجَدِّدِي وَقَدْ سَهَرْنَا اللَّيَالِي  
 لَيْسَ بِالْدمْعِ يُدْفَعُ الظُّلْمَ عَنْهُ  
 بَلْ بِحَرْبٍ نُوحِدُ اللَّهَ فِيهَا



# خَلَصَ عِبَادَكَ رَبَّنَا...

للدكتور ابراهيم حسن عبدالرحمن

رَبَّاهُ قَدْ عَلَتِ الْمَدَافِعُ فَوْقَ أَصْوَاتِ الضَّمَائِرِ  
رَبَّاهُ مَا ذَنْبُ الصَّغِيرِ، أَوْ الْكَبِيرِ، أَوْ الْخَفَائِرِ (١)  
رَبَّاهُ تُبْصِرُ مَا نَرَاهُ وَمَا يَدِقُّ عَنِ النَّوَاطِرِ  
أَيْدِي سَبَا ذَهَبَتْ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْتَ قَادِرُ  
نُكَيْتَ عَقُولَهُمْ وَضَلَّ الْفِكْرُ مِنْهُمْ وَالْبَصَائِرُ  
عَادُوا لِعَمِيَاءِ الْجَهَالَةِ بَيْنَ مَوْتُورٍ وَوَاتِرِ  
رَبَّاهُ إِنْ شَمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ أَنْكَى مِنْ خَنَاجِرِ  
هُمْ يَسْخَرُونَ وَيَضْحَكُونَ، وَهَزُؤُهُمْ طَائِعٌ وَسَافِرُ  
بِعِيُونِهِمْ حَقْدٌ تُسْعَرُ جَمْرُهُ سَوْدُ السَّرَائِرِ  
قَدْ أَشْعَلُوهَا بَيْنَنَا حَرْباً تَذِلُّ لَهَا الْمَنَاجِرُ  
حَرْبُ الْخِيَانَةِ قَادَهَا قَائِلٌ مِنْ أَوْزَانِ غَائِبِ  
حَرْبُ الْجَهَالَةِ حِينَ مَسَخَ يَعْتَلِي عَرْشَ الْأَكَاسِرِ  
حَرْبُ التَّجَارَةِ بِالشُّعُوبِ.. فَوَيْلَنَا مِنْ كُلِّ تَاجِرِ  
حَرْبُ الْفُجُورِ سِلَاحُهَا طَبْلٌ هُنَا.. وَهِنَاكَ زَامِرُ  
حَرْباً يَدُومُ أَوَارُهَا مَا دَامَ بَيْنَ الْقَوْمِ ثَائِرُ  
حَرْباً ضُرُوساً لَا تُبْقَى مِنْ أَصَاغِرِ أَوْ أَكَابِرِ  
رَبَّاهُ قَدْ بَلَّغْتَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ ذُرَا الْخَنَاجِرِ  
رَبَّاهُ هَذِي فَتْنَةٌ مَا إِنْ لَهَا بِسَوَاكِ حَاسِرِ  
خَلَصَ عِبَادَكَ - رَبَّنَا - مِنْ كُلِّ طَاغُوتٍ وَجَائِرِ  
مِنْ كُلِّ بَغَاةٍ بِالْعَدَاوَةِ لِلْكِتَابِ وَلَا يَحْسَادِ  
مِنْ كُلِّ جَاحِدِ سُنَّةِ غَرَاءِ تَهْدِي كُلَّ حَائِرِ  
مِنْ كُلِّ مَصَّاصِ الدَّمَاءِ، وَمَنْ تَنَكَّرَ لِلْعَشَائِرِ  
مِنْ كُلِّ مَنْ نَشَرَ الْفَسَادَ وَشَعْبَهُ حَرٌّ يُصَابِرُ  
مِنْ كُلِّ زَنْدِيقٍ يُنَاصِرُ مُلْجِداً وَبِهِ يُفَاجِرُ  
وَاجْمَعُ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْهُدَاةِ فَأَنْتَ قَادِرُ







# المسافر المغارب

الشيخ عبد الله بن أحمد قادري

يا لله للمسلمين :

وفي طريقنا في المدينة كان الأخ الأستاذ سلامة يلفت نظرنا الى مؤسسات النصارى ونشاطهم ، فكلما مررنا بمبنى واسع جميل قال : هذا مركز ثقافي ، هذه كنيسة هذا مستشفى ، هذا ملجأ ، وأغلب هذه المرافق على الشوارع العامة ، فأزعجني ذلك إذ يوجد في شعب هو أكثر الشعوب الإسلامية عدداً .

فسألته : هل يوجد أثر لهذا النشاط في شباب المسلمين ، قال : نعم لأنهم يتعلمون في مدارسهم وجامعاتهم ويدخلون مستشفياتهم للعلاج ، ويربون في ملاجئهم وهم صغار وأيتام ومعوقون ويساعدونهم إذا كانوا فقراء ويعلمونهم ما تميل إليه نفوسهم من الفنون كالموسيقى والرقص وما أشبه ذلك .

قلت : وهل يدخل أحد من شباب المسلمين في النصرانية ويترك دينه ؟

قال : نعم ، قلت بنسبة كم مثلاً ممن يدرسون في مدارسهم . قال : قد يصل إلى عشرة في كل مائة ، قلت : ماذا يكون موقف أسرة المسلم الذي يتنصر ؟ قال : يطردونه ويعادونه ولكنه لا يبالي لأنه يجد رعاية كاملة من النصارى .

وأخذ الأخ سلامة يشرح هذا الخطر في هذه المنطقة بالذات فرسم لي مثلثاً على ورقة في كل زاوية فيه تقع مدينة قرر النصارى أن يسيطروا على الثلث على الرغم من قلتهم وكثرة المسلمين خلال مدة قصيرة . قال : ومن أهم خططهم لهذه السيطرة أنهم يقيمون على الشوارع

العامة التي تربط بين هذه المدن الثلاث مؤسسات ومرافق تبشيرية تشمل المدارس والجامعات والكنائس والنوادي ودور السينما وقاعات المحاضرات والملاجئ وغيرها من الشؤون الاجتماعية التي يغزونها بها الأسر الفقيرة والشباب الضائع أو المحتاج ، ويقصدون الأسر في منازلهم ويقدمون لها العون والمساعدات وهذا هو رسم المثلث وأسماء المدن .

### الجمعية المحمدية :

وفي الساعة العاشرة كنا في مستشفى الجمعية المحمدية حيث كان في استقبالنا ، رئيس الجمعية الحاج عبد الرزاق محمد فخر الدين ، والأمين العام للجمعية جبرتاوى وبعض الأعضاء .

اجتمعنا في قاعة المستشفى وشرح لنا أمين عام الجمعية نشاطات الجمعية ومؤسساتها التي أقامتها وفروعها .

فذكر أن عدد مستشفياتهم في أنحاء أندونيسيا عشرة مستشفيات وأن مدارسهم - ابتدائية وثانوية - اثنا عشر ألف مدرسة وأن الملاجئ التي تم انشاؤها للأيتام والمعوقين وغيرهم بلغت سبعين ملجأً وذكر فروعها كثيرة للجمعية .

ثم أطلعونا على أقسام المستشفى الذي أسس عام ( ١٩٢٣ م ) وهو ثلاث درجات حسب أحوال المرضى . الدرجة الأولى للموسرين من المسلمين ، والثانية للمتوسطين والثالثة للفقراء ، وفي كل الأحوال فيه تيسير وإعانة .

وأبدوا رغبتهم في معادلة شهاداتهم في الجامعة الإسلامية ، وتخصيص منح دراسية لطلبتهم ، ومساعدتهم بمدرسين للغة العربية ومراجع علمية لمجلس الترجيح الذي يبحث في بعض المسائل العلمية في الشريعة الإسلامية .

### معهد بندارانج :

ثم ذهبنا لزيارة المعهد الإسلامي لتحفيظ القرآن الكريم ويسمى بندارانج ، ويدرس فيه بنين وبنات ويتبع نهضة العلماء ، ويشرف عليه الأستاذ مفيد مسعود ، وعدد الطلبة والطالبات فيه ثلاثمائة ، وقد تخرج فيه في السنوات الماضية عدد من الطلاب بمعدل خمسة عشر طالبا كل سنة حافظين القرآن الكريم حفظاً كاملاً مجوداً وطلب المسؤولون منا إبلاغ الحكومة السعودية رغبتهم في مد يد العون لهم لبناء ما بقى من أرضه فصولاً دراسية ومسكن للطلبة وشكوا من احاطة مؤسسات التبشير بالمعهد من كل جهة بإمكاناتها الضخمة ودعاياتها الشديدة وقد رأينا الأرض الفضاء التابعة للمعهد والتي يريدون بناءها .

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون :

وكنا قبل أن نصل إلى هذا المعهد المذكور زرنا المسجد المسمى بمسجد الجهاد وهو على الشارع العام وبجانبه مركز تبشير على مساحات واسعة من الأرض أمام المسجد وخلفه وعن يمينه وعن يساره . وقد كان هذا المسجد متهدماً والمسيحيون يحاولون من الأهالي شراء أرضه ليحرقوها بمركزهم ويرتاحوا من رفع كلمة الله بجانبهم ومركزهم يحيط من كل جانب وكان المسلمون يصلون فيه مفترشين التراب ( وليس في هذا منقصة فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسجد في مسجده بجهته الشريفة على الماء والطين ولكن وجود مركز تبشيري بمباني براقه ومرافق ودعايات لجلب شباب المسلمين إلى ذلك المركز بجانب مسجد هذه صفاته ليس لائقاً ) .

وعندما زار المسجد فضيلة الشيخ عبد الله النورى من الكويت ورآه بهذه الهيئة بجانب هذا المركز التبشيري وسمع أن النصارى يساومون على شراء أرضه بأعلى ثمن تبرع - جزاه الله خيراً - ببنائه بناء ممتازاً وقد كان قريب التمام عندما زرناه . جزى الله النورى خيراً « وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » .

وبعد الفراغ من المعهد المذكور رجعنا إلى الفندق لأخذ الراحة ...

« وكلوا واشربوا » :

بقينا في الفندق إلى الساعة الخامسة ، جاءنا بعدها الأخوة قائد السيارة وسلامة ومحمد حافظ لنذهب إلى الأخ الأستاذ محمد صالح هارون الذى كنا على موعد معه لتناول طعام الافطار والعشاء عنده ، وهو عبارة عن الرز الأبيض الصافي الذى لم يختلط بغير الماء ، والدجاج المقلى والسلطة والشاى والقهوة ونحن قد ألفنا أن يكون أول ما نتناول للافطار هو التمر أو الماء حسب السنة ، فطلبنا الماء البارد فلم نجد ، وعندما علم مضيفنا بأننا نطلب الماء جاء الينا قائلاً : الله تعالى يقول : « كلوا واشربوا » فبدأ بالأكل قلت مختصراً النقاش : السنة أن يبدأ بالتمر أو الماء للافطار ، فذهب ، وبعد أن انتصف السير في الأكل رزقنا الله بقليل من الماء فشربنا وحمدنا الله .

الشيء العجيب في أندونيسيا أن الشاى يقدم بارداً مثل شراب الليمون والمنقا والبيسى عندنا ، في قوارير . أما الماء فيتعذر وجوده بارداً في غير الفنادق بل إذا قدم يقدم حاراً ، وتكرر هذا كثيراً وكنا في أول الأمر نلح في طلب الماء البارد فلما تأكد لنا الحال صبرنا محمّرين - أى مطبقين المثل اليمنى القديم « من دخل بلادنا حمر » . وبعد الفراغ من تناول الطعام صلينا المغرب ..

## في معهد مفتاح الصالحين :

هذا المعهد يقع في قرية تسمى : ( وونوتسارى ) وراء جبل مشهور عندهم يسمى : كيدول ، ويقع هذا الجبل جنوب شرق يوك جاكرتا ، وهو ذو طريق متعرج شبيه بطريق الهدى عندنا إلا أنه أشد خطراً لأمرين :

**الأول :** أن الطريق في هذا الجبل ضيق جداً تكاد السيارات يلتقى بعضها مع بعض بسبب ضيقه .

**الثانى :** أن الصعود فيه يغلب عليه أنه في خط مستقيم ، بخلاف الهدى . وهو - كغيره - مكسو بالغابات التى كنا طول الوقت نسير في وسطها وتكتنفنا أشجار الجاتى ، وهو شجر ذو أخشاب قوية جداً ، وأشجار التمر الهندى التى زينت أصولها بطلاء أبيض تتبين بها حدود الشارع ، بدلاً من المعالم المصطنعة ، وهذا الطلاء في أصول هذه الأشجار شبيه بازار الفتاة الأندونيسية في قصره ، إلا أنه في غاية الجمال بالنسبة للأشجار وفي غاية القبح الشرعى بالنسبة للفتاة العاملة المسلمة المكلفة .

وقد نصحت الفتيات من هذه الحال في عدة مناسبات وظهرت في يوك جاكرتا بالذات بعض النتائج التى تدل أن الاستجابة قد تحصل بنسبة طيبة لو طرق هذا الباب بكثرة وربط بحب الله ورسوله وخوف الله والطمع في ثوابه وهكذا كل حكم من أحكام الإسلام التى أهملها كثير من الناس بل أكثرهم وكان المقرر أن نذكر صلاة العشاء في مسجد اومعهد وأن يؤم المصلين الشيخ عبد القوى في صلاة التراويح ، ولكننا تأخرنا فوصلنا وهم في آخر صلاة التراويح ، وبعد أن أتم الإمام الصلاة أخذ يرفع الذكر بلا إله إلا الله بصوت مرتفع والناس يتابعونه كلهم وصدى أصواتهم يتردد في تلك الجبال والكون ينصت لما ينطق به حاله في كل وقت من الأوقات .

والذكر الجماعي بصوت مرتفع كرهه بعض العلماء لعدم وروده بهذه الهيئة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ورأى آخرون أنه يدخل في قوله صلى الله عليه وسلم : إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال : مجالس الذكر . والذى يظهر أن كون المساجد مجلس ذكر لا يدل على الذكر الجماعي بهذه الصفة ، وإنما يشمل الذكر في الجملة وحلقات العلم وما أشبه ذلك بدون التزام هيئة معينة .

ولكنى أرى أنه لا ينبغي إثارة هذه الأمور بين قوم يجهلون أصول دينهم في العقيدة والعبادة والشريعة وأنه يجب أن يهتم الداعية أولاً بغرس الإيمان في نفوس الناس وأركان

الإسلام وصفات العبادات لأن الدخول في هذه الجزئيات التي لو صح أن بعضها بدعة لكانت بدعة إضافية يمكن أن يهتم بها بعد تهيئة النفوس بالتسليم لله ورسوله ، والاحتكام إلى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهؤلاء الناس عندما نناقشهم في هذه الأمور قبل ربطهم ربطاً كاملاً بالمعنى السابق ينفرون وقد ينقسمون على أنفسهم فيكون في ذلك ما فيه من الفرقة والخلاف للذين لا يرضاهما الله ورسوله .

نعم عندما يكون الأمر يتعلق بالعتيدة كالشرك أو تحريم حلال أو تحليل حرام لا بد من الاهتمام به ولكن يبدأ بالأهم فالمهم وهكذا ..

قعدنا في قاعة الاجتماعات وبعد أن فرغ المصلون من الصلاة والذكر جاءوا إلينا مستبشرين فرحبوا بنا . وبدأت فقرات الحفل فطلبوا من الشيخ عبد القوي أن يقرأ ، وكاد يعتذر لأنه كان متعباً ( وكنت أخشى أن يكون أصيب بفقر الدم لعدم تناول الغذاء الكافي لأن الطعام ما كان مناسباً حسب العادة ولكنني شجعتهم فقرأ قراءة قصيرة على غير عادته ) في الانطلاق والانسجام مع آي القرآن الكريم حتى يكاد ينسى أنه يقرأ .

ثم تقدم رئيس المعهد ويدعى محمد صالح أيضاً فشرح ما يقوم به المعهد وانه في هذه الليلة يبدأ فيه معهد رمضان لتدريس الطلبة الذين يدرسون في المدارس الحكومية أمور دينهم وسيبدأون بالطالبات وكن حاضرات صلين معهم العشاء والتراويح ، ثم قام الأخ محمد صالح هارون فرحب بنا وافتتح معهد رمضان وطلب مني أن ألقى كلمة وتساءل عن امكان اعطائهم منهجاً لتدريس اللغة العربية لغير العرب وقال إننا في شوق أن نسمع منك يا بن العرب التحدث باللغة العربية .

وكانت الكلمة متضمنة واجبنا في التعليم والتعلم والدعوة وفهم العقيدة الإسلامية على وجهها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم المبنية على القاعدة الأولى : قاعدة الألوهية المطلقة لله ، والقاعدة الثانية وهي قاعدة الاتباع للرسول صلى الله عليه وسلم وهما مضمون الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وأشرت لهم أن تعلم اللغة العربية يحتاج إلى إرادة قوية من المعلمين والمتعلمين مع معرفة أن تعلمها ليس كتعلم غيرها لأنها لغة ديننا وكتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم . وذكرت لهم أن منهج معهد كونتور يناسب الاستعانة به في المعاهد الأخرى ، كما أن المعهد العربي السعودي لتعليم اللغة العربية في جاكرتا يمكن أن يستفاد منه ووعدناهم أن

نبعث لهم منهج شعبة اللغة العربية بالجامعة وبعض كتبها وحملت طلبة الجامعة الإسلامية من الأندونيسيين مسؤولية قيامهم بتعليم إخوانهم في بلادهم .

### صرخة هل تسمع ؟

والحقيقة أن من أفضل الوسائل لنشر اللغة العربية هو تدريس أبناء العالم الإسلامي كما هو الحال في الجامعة الإسلامية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلا أن تدريسهم ينبغي أن تطور وسائله وأن تؤلف كتب خاصة بتعليم اللغة العربية لغير العرب وأن تنشر هذه الكتب بطرق مختلفة : عن طريق النشر والتوزيع لهذه الكتب وعن طريق تسجيلها في أشرطة ، وعن طريق الاذاعة والتلفزيون وحبذا لو أن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سعت في ايجاد برامج لذلك في الاذاعة توجه الى جميع أنحاء العالم وفي التلفزيون بالنسبة للمملكة ويمكن تسجيلها في أشرطة فيديو وتوزيعها في العالم ، ترى هل يأتي اليوم الذي تكون الجامعة قد خطت هذه الخطوة ونحن أحياء ؟ إلا إنها إن فعلت ذلك في الوقت القريب أو البعيد فإنها قد سطرت في صحف التاريخ مآثرة من مآثر الخير لها وللمملكة العربية السعودية رائدة التضامن الإسلامي الذي من أهم وسائله انتشار اللغة العربية التي يتوقف عليها فهم الإسلام فهماً سليماً في أنحاء العالم الإسلامي .

وينبغي أن تسعى الجامعة الإسلامية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سعياً حثيثاً في توزيع المنح الدراسية على مؤسسات المسلمين في البلدان بحيث لا تكون بعض المؤسسات متخمة بالمنح وبعض المؤسسات لا يوجد لها في الجامعة طالب واحد . صحيح أن المؤسسات التي تهتم وتلح لها الحق في ذلك ولكن الدعوة الإسلامية يجب أن تعم وينبغي أن تحصر الجامعات الإسلامية المؤسسات الإسلامية كلها وكثير منها مجهول .

وفي الزوايا خبايا وتبادر هذه الجامعات لدراسة مناهج تلك المؤسسات ومعادلتها ورصد منح دراسية لها كما أنه ينبغي أن تمنح المؤسسات التي لا يوجد بها أحد من متخرجي الجامعة الإسلامية وأمثالها بعض المدرسين حتى يساعدوا على الربط بينها وبين هذه الجامعات وقد تكون بعض المؤسسات أو الجامعات عندها تقصير في مناهجها أو عندها بعض الخرافات وهذا لا ينبغي أن يمنع من منحها مقاعد لبعض طلابها أو منحها بعض المدرسين لأن الهدف هو تعليم الجاهل وتصحيح الأفكار وهذا لا يحصل إلا بالاتصال بتلك المؤسسات .

### أنا ما فهمت لماذا تسبح ؟

رجعنا من معهد مفتاح الصالحين إلى يوك جاكرتا وعندما وصلنا إلى الفندق توضحنا لنصلي ، وكنت نسيت أنا صليتنا المغرب فصلى بنا الشيخ عبد القوي - ناوياً العشاء - وصليت



معهُ أنا ناوياً المغرب وعندما سلم من الركعتين قلت : سبحان الله وكررتها وأخذ هو يفكر ملياً في هذا التسبيح وسببه ثم قال : أنا ما فهمت لماذا التسبيح فسلمت وقلت له : المغرب ثلاث ركعات وأنت صليت ركعتين فأخذ يضحك ففهمت أنى أخطأت - بل نسيت فقامت وصليت العشاء لأنى لم أنوه بتلك الصلاة وإنما الأعمال بالنيات .

وهذه إحدى النكات التي كانت كثيرة مع الشيخ عبد القوي .

٨ / ٩ / ١٤٠٠ هـ في معهد بايبلان الإسلامي :

في الساعة التاسعة صباحاً ذهبنا إلى معهد بايبلان الإسلامي وهو يقع شمال غرب يوك جاكرتا على بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً ، وهو فرع لمعهد كنتور ليس رسمياً وإنما أسلوبه نفس الأسلوب ، ومؤسس هذا المعهد شاب نشيط متحمس لنشر الدين الإسلامي وتعليم اللغة العربية يساعده مدرسون من زملائه وتلامذته متحمسون مثله يشعرون جميعاً بخطر التبشير المسيحي الجاد في اخراج شباب المسلمين من دينهم في أندونيسيا بأكملها . أسس المعهد في ١٩٦٥ ومساحته خمسة هكتارات عدد طلبته ٩٧١٠ منهم ٤٠٢ من الطالبات والباقيون طلاب ، عدد مدرسيه من الرجال ٤٨ مدرسا ومن النساء ١٢ مدرسة وهو يشتمل على فصول دراسية ومسكن للطلبة ومسجد ومرافق عامة كثيرة وهي كلها موقوفة على المعهد قال مديره فهو ليس لنا وإنما هو للمسلمين .

ولهم برنامج يومي مستمر وهو كما يلي :

- ١ - في الساعة الرابعة صباحاً القيام من النوم والاستعداد لصلاة الفجر .
- ٢ - بعد صلاة الفجر الرياضة البدنية .
- ٣ - قراءة القرآن الكريم في حلقات على أيدي المدرسين .
- ٤ - تناول طعام الافطار .
- ٥ - بدء الدراسة من الساعة السابعة ، وانتهاءها في الثانية بعد الظهر .
- ٦ - دروس إضافية في اللغة العربية واللغة الانجليزية .
- ٧ - رياضة بدنية من الساعة الرابعة إلى الساعة الخامسة مساء .
- ٨ - صلاة المغرب .
- ٩ - قراءة القرآن في المساكن .
- ١٠ - صلاة العشاء .
- ١١ - مطالعة الدروس من الساعة الثامنة إلى الساعة التاسعة والنصف ، ثم النوم إلى الساعة الرابعة صباحاً .

وتقام محاضرات وندوات ثقافية في كل ليلة اثنين وليلة جمعة .

وفي كل يوم خميس تنظيف عام يقوم به الجميع من الساعة الحادية عشرة صباحاً إلى الساعة الواحدة بعد الظهر ومن الساعة الثانية بعد الظهر تدريب كشفى الى الساعة الرابعة .  
مررنا قبل الوصول إلى هذا المعهد بقرية مونتيلان وكانت أول مركز للتبشير في أندونيسيا ودفن بها أول بابا أختير للتبشير وهو أندونيسى وهذه القرية مزدحمة بمؤسسات المبشرين من كنائس ومدارس وملاجىء وغيرها ويقع المعهد شمال غرب هذه القرية على بعد مسافة ثلاثة كيلومترات .

ومدير المعهد اسمه همام ، قال لنا إن بناء هذا المعهد كان في القرن السادس عشر الميلادي والذي بناه أحد أجدادي وقد أغلق واندر خلال الحروب مع الهولنديين ونحن الآن جددناه وسيستمر بإذن الله شوكة في حلوق الأعداء .

وكان على يميننا ونحن نسير إلى المعهد قبل القرية « مونتيلان » جبل عال يرى من بعد يقال إن ارتفاعه يبلغ كيلومترين وهو بركان مرامى الذى وصلت قذائفه من الصخور إلى جنوب مونتيلان والمسافة طويلة جداً .

وأقيم احتفال كالعادة تبودلت فيه الكلمات . وبعد انتهاء الحفل مررنا بمرافق المعهد ، ثم اصطحبونا إلى معبد بوذا الذى يقع شمال غرب المعهد على هضبة مرتفعة وهو أكبر معابد البوذيين في العالم ، يؤمه السائحون من كل مكان ويحج اليه البوذيون في كل سنة مرة في شهر مايو واسم هذا المعبد ( بوروبودور ) وأسس في القرن السابع الميلادي وعندما سقطت بعض حجارته تبرعت هيئة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة وأهل الغرب بمليارات الروبيات الأندونيسية لتجديده . وكنت أظن أن فيه كهنة مقيمين يمكن أن ندعوهم إلى التوحيد والدخول في الإسلام ولكن تبين عند وصولنا في السوق المجاور له أنه لا يوجد به إلا السائحون فقلت للأخوة لا يليق بنا أن ننزل ونصعد إلى هذا المعبد فيرانا الناس نزوره ونحن مسلمون فيظنون أننا نعترف بهذه الأوثان .

ووجدنا في السوق المجاور له بعض المصنوعات الجلدية وغيرها من الصناعات المحلية ، تجولنا قليلاً في هذا السوق الذى أصبح السائحون فيه يتمتعون بهيئتنا العربية التى قد لا يكون كثير منهم رآها إلا في التلفزيون أو في غيره مما يماثله .

وفي طريقنا إلى مدينة يوك جاكرتا ، قبل الوصول إلى قرية مونتيلان مررنا بمعبدين بوذيين آخرين أحدهما يسمى مندود والآخر يسمى باون ، والأول أكبر من الثانى . ورافقنا الأخ همام مدير المعهد وبعض الأساتذة إلى قرية مونتيلان وعرفونا بمؤسسات المسيحيين من

الكنائس والمدارس والجامعات وهم يتحرقون من الامكانيات الضخمة الموجودة مع هؤلاء النصارى والتي تمكنوا بها من اغراء الشباب المسلم بترك دينه وأشاروا الى مباني قريبة من مؤسسات النصارى كانت للنصارى أنفسهم ولكن رئيس البلدة اضطرهم عندما عزم على الحج أن يبيعوها للمسلمين واشتراها هو من ماله وأوقفها وهي تستعمل مسجداً الآن وقد بذلوا محاولات شديدة لاسترداد هذه الأرض وهذه المباني فلم يقدروا على ذلك .

وفي وسط هذه المؤسسات النصرانية الكثير توجد مدرسة صغيرة للجمعية المحمدية تؤدي واجبها على قلة إمكاناتها وترفع كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ليؤمها الشباب المسلم على رغم أنف أعداء الإسلام .

ولقد رأينا روحاً عالية عند الأخ همام وعند زملائه وأملاً كبيراً في انتصارهم على أعداء الإسلام وقد عرض علينا خريطة الجزر الأندونيسية محددة بها المناطق التي وفد الطلبة منها إلى هذا المعهد المبارك فاذا أغلب المناطق يوجد منها من يدرس في المعهد .

وقال الأخ همام : إن بعض أبناء النصارى كتبوا إلينا عارضين رغبتهم في الدخول في الإسلام والالتحاق بالمعهد وانهم سيصلون قريباً .

والجدير بالذكر أن مباني المعهد كلها من صنع الطلبة وكذلك خزانات المياه والمرافق الأخرى والمزارع التابعة للمعهد .

ولأساتذة المعهد مزارع قريبة منه ينفقون على أنفسهم منها . أما ما يحصل للمعهد من أموال من أوقافه أو من تبرعات أهل الخير أو من الطلبة فانه يدخل في ميزانية المعهد ولا يأخذ الأساتذة ولا المدير شيئاً منها .

وهذا يدل على نفوس كبيرة وهمم عالية وعلى تضحية واخلاص - ان شاء الله - في هؤلاء الأساتذة جزاهم الله خيراً .

ومن الأعضاء البارزين ذوى الحماس الدافق والفكر الجيد الأستاذ محمد حبيب أحد مدرسي المعهد .

وفي هذا اليوم أخبرنا أن المؤتمر المسيحي البروتستانتي الدولي بدأ في بلدة منادو بجزيرة سولاويس في الشمال الشرقي وأن رئيس الجمهورية وزوجته افتتحا هذا المؤتمر رسمياً وان الرئيس قال في كلمته :

إن مسابقة القرآن الكريم انعقدت هنا ، وهذا المؤتمر ينعقد هنا وهذا دليل على التسامح الديني بين المسلمين وبين المسيحيين في أندونيسيا وأن أهل الأديان أحرار في الدعوة

إلى أديانهم كل صاحب دين له الحق في الدعوة الى دينه ، وعلق بعض الغيورين على هذا الكلام فقال :

لقد أعطى المسيحيون بهذا التصريح قانوناً صادراً من أعلى مستوى في الدولة بأن يدعو المسلمين الى الدين المسيحي وهذا يخالف ما أصدره وزير الشؤون الدينية سابقاً من أنه لا تسمح لأى صاحب دين أن يدعو الآخرين للدخول في دينه وإن كان فيه اجحاف بالإسلام الذى لا دين سواه فالإله المشتكى وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ودعنا الأخوة مدير المعهد والمدرسين ورجعنا إلى يوك جاكرتا .

### في مسجد العمود الواحد :

وفي الساعة السابعة مساءً زرنا مسجداً تابعاً للجمعية المحمدية ، وهو مركز لمؤسسة تربية الأطفال في هذه المدينة ويعنى بتربية الأطفال .

ولهذه المؤسسة ثلاثمائة وخمسون فرعاً في نواحي يوك جاكرتا ويشرف على هذه المؤسسة الدكتور محمد ناصر ، ويسمى هذا المسجد مسجد العمود الواحد ، لأنه لا يوجد به الا عمود واحد في وسطه ، والمسجد ليس كبيراً .

وصلنا إلى المسجد وقد صلى الناس العشاء ، فصلينا نحن العشاء ثم صلى بنا الشيخ عبد القوى التراويح بعد أن أقيت كلمة في تربية الأطفال ، ثم اجتمعنا بأعضاء هذا المركز وتذاكرنا بعض شؤون الدعوة الإسلامية ورجعنا إلى الفندق .

### ٩ - ٩ في العائشية :

في الساعة التاسعة صباحاً زرنا ملجأ الأيتام التابع للجمعية المحمدية وهو خاص بالبنات اليتيمات ويسمى « العائشية » نسبة إلى عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهو أيضاً تابع للجمعية المحمدية ، وتشرف عليه امرأة كبيرة السن وتساعدنا أخرى مثلها شرحت لنا المشرفة ما يقوم به هذا الملجأ فذكرت أنه أسس سنة ١٩٣٠ م ونقل إلى المبنى الذى هو فيه الآن سنة ١٩٥٦ م وأن الموجودات فيه الآن خمسون فتاة وانهن يتلقين تدريبات مهنية مختلفة حسب هواياتهن ويدرسن في المدارس ويقمن بعد ذلك بالتدريس أو التمريض أو الخياطة أو غيرها . وإن المصروفات التى يحتاج إليها المركز شهرياً ثلاثمائة وخمسون ألف روبية ( ٣٥٠٠٠٠ ) وهو يعادل أربعة آلاف ريال ( ٤٠٠٠ ) سعودي .

وإن هذا الملجأ وأمثاله وإن كان لا يقوم بالتربية الإسلامية كما يجب أن تكون فإنه يعتبر من الحصون المنيعة التي تحول بين أعداء الله وبين أبناء المسلمين ويجب على أغنياء المسلمين في الشعوب الإسلامية أن يمدوا هذه المؤسسات بما يمكنها من القيام بواجبها نحو أبناء هذه الشعوب .

وهذا المبلغ أربعة آلاف ريال سعودي يستطيع أن يقوم به بعض التجار الصغار في بعض البلدان العربية .

### بين الشكر والغرور :

في الساعة السابعة مساءً زرنا مسجد جامعة التربية والتعليم ، وهي تقع في حارة كارانج مالانج ، وكان المسجد غاصا بالشباب ، فصلينا العشاء وراء إمام المسجد ثم صلى الشيخ عبد القوى التراويج ، ألقى بعد ذلك محاضرة موضوعها .. غرور الأوربيين بالعلم والحادهم .. وأن سبب ذلك ما جرته الكنيسة على أهل أوروبا من محن ووقوفها ضد العلوم التجريبية والعقلية . وأن العلوم الأوربية الحضارية الحالية مبنية على أصول الحضارة الإسلامية . وأن المسلمين عندما يتقدمون في هذه العلوم يعتبرونها منحة من الله تعالى ، لأنه لا يوجد في دينهم ما يصادم هذه العلوم الصحيحة بل إن الإسلام يحثهم عليها وأنه يجب على المسلمين أن يستعيدوا مجدهم بالتمسك بالدين وبالتقدم في العلوم الذي يعتبر جزء من الدين وعبادة يثابون عليها . وكان تأثر الشباب بهذه المحاضرة عالياً جداً دل عليه كثرة تكبيرهم الذي كان يرتج به المسجد .

### مع زعماء الجمعيات الإسلامية في يوك جاكرتا :

بعد الفراغ من مسجد جامعة التربية والتعليم ذهبنا إلى مؤسسة تونس ملاتي وهي تعنى بالمعوقين والمكفوفين وكان مقرها مجالا لكثير من اللقاءات منها هذا اللقاء الذي تم فيه الاجتماع مع المدرسين وزعماء الجمعيات الإسلامية في هذه المدينة . وقد تضمن البرنامج أمرين :

الأمر الأول : القاء محاضرة اشتملت على موضوعين : الموضوع الأول : الحث على اجتماع الكلمة والبعد عن التفرق وما يترتب على الأول من مصالح وما يترتب على التفرق من مفسد مع ذكر عوامل الائتلاف وأسباب التفرق .

الموضوع الثاني : وجوب الخروج على أي تقليد أو عادة تخالف الإسلام لأن العادات المخالفة للإسلام إذا استمر عليها جيل من الناس ورثها الأجيال مستقبلا وأصبحت كأنها من

الدين ويتحمل إثمها من سنها - وكان هذا الموضوع الأخير ناتجا عن رؤيا منامية في نفس هذا اليوم طلب منى بعض مشايخي الصالحين ان أتحدث عنه - وكان في مكانه ، لأن كثيراً من العادات التي شاهدناها تخالف الإسلام ولكن كثيراً من المسلمين لا يعلمون ذلك .

**الأمر الثاني :** فتح باب الأسئلة والمناقشة ، وكان من أهم الأسئلة : استغراب المسلمين في أندونيسيا كون المسلمين العرب الذين يدعون الإسلام والتمسك بالكتاب والسنة لا يدعمون المؤسسات الإسلامية المحتاجة الدعم الكافي مع أن النصارى لهم مؤسسات مدعومة من المسيحيين في كل أنحاء العالم ولذلك يوجد من أبناء المسلمين من يدخل في الدين المسيحي أو يترك دينه - وان لم يدخل في الدين النصراني - لعدم ثقته في المسلمين حيث يرى منهم عدم اهتمامهم باخوانهم .

وذكرنا لهم أن هناك في المملكة العربية السعودية اهتماماً من الدولة ومن الشعب والمؤسسات الإسلامية ولكنه يحتاج إلى المزيد وأنه لو اهتمت كل دولة إسلامية عندها امكانات لحصل الخير الكثير .

وطلب منا الأخوة ابلاغ الحكومة السعودية والمؤسسات الإسلامية كالجامة الإسلامية وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي وادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، عليها أن تتحمل مسؤولياتها وتقوم بواجبها نحو أبناء المسلمين في أندونيسيا .

وألحوا في طلب انشاء مركز للطلبة المسلمين في هذه المدينة التي تعتبر مدينة طلابية وهذا المركز يشمل قاعة محاضرات ومسجداً ومكتبة ومرافق أخرى مفيدة .

وأرى أن انشاء قاعة محاضرات عامة واسعة تتسع لكثير من الأعداد الطلابية الهائلة من المسلمين في هذه المدينة ومسجد جامع كبير ومكتبة مركزية تزود بالمراجع الإسلامية وغيرها من المرافق التي تعين المسلمين المهتمين بالدعوة الإسلامية وتربية الشباب وتحصينه من الوقوع في أحضان الكفرة أرى أن ذلك أمر واجب على المؤسسات الإسلامية القادرة لأنه من الجهاد في سبيل الله وأخص بالذكر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض . والأمانة العامة للدعوة الإسلامية التي يقف على قمته سمو الأمير سلطان ابن عبد العزيز الذي عرف بالمبادرة في أفعال الخير ولاسيما ما يتعلق بالدعوة الإسلامية . والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد التي حظيت بسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز الذي عرف بالقاصي والداني داعياً إلى الله بالقول والعمل واعانة كل من تصدر للدعوة الى الله سبحانه ، والجمعية الخيرية التي دفع بها سمو الأمير سلمان إلى الأمام في

فترة قصيرة من الزمن ورابطة العالم الإسلامي التي يلهج المسلمون بها آمليين منها المساعدة في كل مكان ثم أهيب بتجار المسلمين في كل مكان لاقامة مثل هذا المشروع الضروري ولا أنسى أن أئبه وزارة الأوقاف الكويتية التي لها جهود لمسناها في كثير من الأماكن التي زرناها ومؤسسة الملك فيصل الإسلامية أما كيف يتم ذلك ومن يتولاه فجواب هذا عند الجامعة الإسلامية التي كانت السبب في معرفتنا هذه الحقائق وعندها طلب خاص يتعلق بهذا الموضوع وأنا أدعو الجميع أن يطبقوا قول الله سبحانه وتعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ) وهذا من أعظم البر والتقوى .

١٠ / ٩ في معهد المنور الإسلامي :

كان المقرر لنا في هذا اليوم مغادرة يوك جاكرتا دون زيارة لأى مؤسسة أخرى ولكن بعض طلبة الجامعة الإسلامية ألحوا علينا طالبين زيارة معهدهم الذى تخرجوا فيه والتحقوا بعد تخرجهم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فلم نجد وقتا نحقق فيه رغبتهم إلا بعد صلاة الفجر من هذا اليوم واتفقنا على أن نضع أثاثنا في صندوق السيارة التي استأجرناها من نفس الفندق الذى كنا نازلين فيه ونحاسب مدير الفندق ونزور هذا المعهد ثم ننطلق منه الى معهد كنتور في طريقنا الى سور بايا وكان ذلك .

وعندما وصلنا إلى مقر المعهد وجدنا حشدا كبيرا من الطلبة والأساتذة في استقبالنا يتقدمهم فضيلة مدير المعهد وكان ذلك في الساعة السادسة والنصف صباحا .

ومدير المعهد حاليا هو الحاج على معصوم ، ومؤسسه الأول هو الحاج منور في سنة ١٩١١ م وهو يشتمل على المتوسطة والعالية ، وعدد طلابه ألف تقريبا وفيه قسم لتحفيظ القرآن الكريم وتدرس فيه مع العلوم الشرعية العلوم الكونية .

تقدم مدير المعهد بكلمة الترحيب وبين أسباب انشاء هذا المعهد التي منها كثرة أبناء المسلمين الذين يلتحقون بالمدارس الكاثوليكية والأحمدية ( القاديانية ) وغيرها من مدارس أعداء الإسلام ، ثم شيوع المذاهب الباطنية والخرافات ، ثم مناهج التربية والتعليم الحكومية البعيدة عن الصبغة الإسلامية . طلب منى فضيلته القاء كلمة قبلت الطلب وكانت تتضمن بيان أهداف التربية والتعليم .

الى لقاء آخر يا مدينة الطلاب :

كان معهد منور الإسلامي هو آخر المؤسسات التي التقينا فيها بأبناء مدينة الطلاب : « يوك جاكرتا » وبوداعه ووداع مديره وأسائذته وطلابه الذين احتشدوا في صفوف طويلة لوداعنا ، وصغارهم ينشدون أناشيد الوداع الحزينة ، بهذا الوداع ودعنا مدينة يوك جاكرتا

ونحن نشعر بأنها كانت أكثر فائدة من غيرها ولذلك نقول لأبنائها الى اللقاء يا أبناء يوك  
جاكرتا وعسى أن يكون لقاءنا في وقت حقق الله لكم فيه مطالبكم العالية ، والسلام عليكم  
ورحمة الله وبركاته .

الى معهد كنتور :

غادرنا يوك جاكرتا - عن طريق البر- في الساعة الثامنة والنصف وكان وصولنا إلى  
معهد كنتور الساعة الثانية عشرة وكان في استقبالنا بعض الأساتذة ، ونزلنا في مقر المعهد في  
مبنى ضيافتهم ، والمسافة بين مدينة يوك جاكرتا وهذا المعهد مائتا كيلومتر .

استرحنا الى قبيل المغرب حيث دعانا فضيلة مدير المعهد الحاج إمام زركشى لتناول  
طعام الافطار والعشاء فى منزله ، وهو فى مقر المعهد أيضاً ، وبعد أن صلينا المغرب وتناولنا  
طعام العشاء عدنا للراحة وذهبنا إلى المسجد فصى بنا إمام المسجد صلاة العشاء وصلى بنا الشيخ  
عبد القوى صلاة التراويح .

ثم دعينا الى قاعة المحاضرات وكان البرنامج ما يأتي :

- ١ - تلاوة القرآن الكريم - الشيخ عبد القوى .
- ٢ - الترحيب وبيان أهداف المعهد - مدير المعهد .
- ٣ - كلمة ترحيب أخرى - للشيخ سوتاجي تاج الدين وهو من الذين تخرجوا فى  
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ونال شهادة الماجستير من الأزهر بالقاهرة .
- ٤ - محاضرة دعيت لالقاءها وكانت بعنوان : الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين .

وارتفعت الأصوات مدوية بكلمة التوحيد :

كنت قبل الحضور الى القاعة طلبت من الابن عبد البر أن يقف على المنبر قبل القاء  
كلمتي ليقول كلمة التوحيد بصوت عال ويردد الحاضرون وراءه ذلك .  
وعندما دعيت لالقاء المحاضرة طلبت من الحاضرين ان يرددوا وراء الابن الكلمة التى  
سيسمعونها منه . فصعد المنبر وقال :

لا إله إلا الله .. نوالى من والاها .. ونعادى من عاها .

وهم يرددونها بعده ثلاث مرات ثم صعدت أنا المنبر وبينت معنى الموالاتة والمعاداة  
ومن نوالى ومن نعادى وأن أعداء الله جادون فى تغيير هذا الولاء بغيره من التراب أو اللغة أو  
المذهب أو اللون .

وانه يجب الحذر منهم لأن تغيير هذا الولاء فيه القضاء على الأمة الإسلامية وتخطيم  
راية الإسلام . وان القوميات التى نشأت فى كثير من بلدان المسلمين إنما كان مخططا لها من



قبل أعداء الله فى الدول الأوربية - ولاسيما القومية العربية التى شئت الله بها شمل العرب عندما أقامها بعض المجرمين مقام دين الله ولما كان معهد كنتور هذا قد حاز قصب السبق فى تدريس اللغة العربية والاهتمام بها حتى أن أساتذته وطلبته لا يحتاجون الى من يترجم لهم المحاضرة التى تلقى باللغة العربية ، لما كان المعهد كذلك حصل لبس عند فضيلة مدير المعهد من كلامى عن القومية العربية فظن أن اهتمام المعهد باللغة العربية قد يظن منه التعصب للعرب فعلق بكلمة مختصرة وضح فيها ان المعهد انما يهتم باللغة العربية لانها لغة الإسلام وبها نزل القرآن فذكرت له ان من أهم الاسباب التى جعلتني اذكر القومية العربية وان الولاء الحق هو للإسلام لا للجنس انكم تهتمون بلغة العرب أكثر منهم ولو كان الولاء للقوميات لكانت اللغة الأندونيسية أولى بكم ففهم المراد . وطلب فضيلة مدير المعهد من الطلبة أن يقوموا احتراماً لنا عند الخروج فقاموا جميعاً فصعدت المنبر وذكرت لهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كره القيام لنفسه من صحابته الذين تركوا القيام له مع شدة محبتهم له وان لنا فى ذلك أسوة حسنة وأن القيام إنما يحصل من الأعاجم لملوكهم وقد نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وطلبت منهم أن يقعدوا جميعاً واعتذرت لفضيلة المدير فقعدوا وخرجنا وهم على مقاعدهم .

ورافقتنا بعض المدرسين إلى مقر نزلنا حيث تبادلنا الأحاديث فى شؤون الدعوة والتعليم ثم تركونا لنتلقى غداً فى المسجد لصلاة الفجر ثم كلمة الصبح .

### كلية الصبح :

ومن النشاطات التى يقوم بها المسئولون فى هذا المعهد كلية الصبح وهى تطلق على محاضرة ثابتة كل يوم بعد صلاة الفجر وقد طلبوا منى أن أتولاها فى هذا اليوم . وتضمنت : المسلم بين تزكية نفسه وتزكية غيره وموقعه ، موقع الأستاذ بالنسبة لغيره ، والذين يدعوهم الى الله ينقسمون الى قسمين - قسم السادة المكابرين وقسم الاتباع الأذلين وكلهم فى حاجة إلى صبر ومصابرة حتى يحقق الله على يديه رفع راية الإسلام .  
والداعي كما أنه لا يذل الا لله فانه لا يتكبر على خلق الله .

### نبذة موجزة عن معهد كنتور :

لا بد من التعريف بهذا المعهد الذى يندر له نظير فى أندونيسيا ، ولا أدرى عن غيرها - وقد بدأ بعض الطلبة الذين اتموا دراستهم فيه يحاولون انشاء معاهد على غرارهِ . ولا أقصد من نفى النظر أن المعهد أكبر من غيره من المؤسسات الإسلامية كما لا أريد أنه أقدم المعاهد الإسلامية ، ولا ان طلبته أكثر من طلبة غيره ولا أن مناهجه فاقت المناهج الأخرى .

ولكن الذى اقصده ان المعهد قام على البذل والتضحية من قبل المؤسسين ثم من قبلهم ومن قبل معاونين لهم فى الشؤون الادارية والمدرسين والطلبة على السواء .  
فقد قام بتأسيس المعهد الحاج أحمد سهل رحمه الله حيث أوقف قطعة أرض بنى عليها مبنى للدراسة وآخر مثله مصلى ، كل واحد منها مثل الفصل الدراسى المتوسط وكان ذلك فى ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٤٥ هـ . وساعده أخواه فضيلة الحاج زين الدين فناني وفضيلة الشيخ الحاج إمام زركشى .

ثم أخذوا يجمعون له التبرعات ويتوسعون فى البناء : بناء الفصول الدراسية والمباني السكنية والمرافق العامة الأخرى حتى أصبح الآن شبه مدينة جامعية وأصبحت أرضه الموقوفة عليه والتي يستعان بريعها على تسييره مائتين وخمسين هكتارا ، ومساحة حرمة ستة هكتارات والأمر الغريب فيه - وما كان ينبغى أن يكون غريبا عند المسلمين - هو أن موظفيه وأساتذته وطلابه يقومون ببناء ما يحتاجون من الفصول والمسكن بأيديهم ويدير موظفوه إدارته ويدرس الأساتذة موادهم ويشارك الطلاب فى نشاطاته المادية التى تعود اليه بالفائدة دون مقابل ، فهو من هذه الناحية شبيه بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الذى بناه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة بأنفسهم وكان الصحابة يقولون وهم يرونه يتقدمهم فى البناء وحمل الأخشاب والحجارة والطين :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

ولا يتفقون مع المقاولين فى البناء إلا فيما يحتاج إلى آلات أو تأسيس لا يتدربون عليه مثل المسجد المكون من طوابق ومئذنته الكبيرة والذى أسهم فى بنائه جلالة الملك فيصل رحمه الله بمائة ألف ريال سعودي .

وقد سألت بعض أساتذة المعهد إذا كنتم لا تأخذون أجراً مقابل تفرغكم للتدريس فى المعهد والقيام بنشاطات متعددة فمن أين يأتيكم المال الذى تنفقون منه على أنفسكم وأسرکم فاجابوا بأنهم اشتروا لهم بعض المزارع القريبة وان خيراتها تكفيهم لسد حاجاتهم .

وعدد طلبة المعهد حالياً ( ١٦٠٠ طالب ) وكلهم ذكور وهم ينتمون الى جميع مقاطعات الجزر الأندونيسية وبعض الدول المجاورة كاستراليا وماليزيا وتايلاند وصباح واليابان .. وبلغ عدد المدرسين به مائة وخمسة وعشرين مدرسا يحملون مؤهلات من بعض جامعات أندونيسيا ومن بعض الجامعات العربية والبريطانية ، وبعضهم من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منهم ابن المؤسس الشيخ حسن سهل .  
وهو يشتمل على مرحلتين :

- ١ - المرحلة الثانوية للمعلمين وتشتهر بكلية المعلمين الإسلامية .  
ومدة الدراسة بها ست سنوات .
- ٢ - جامعة دار السلام : وبها كليتان - كلية التربية ، وكلية أصول الدين ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات .  
ويدرس المعهد باللغات الثلاث : اللغة العربية وتدرس بها العلوم الإسلامية والعربية .  
واللغة الانجليزية وتدرس بها العلوم الانجليزية ، واللغة الأندونيسية ويدرس بها العلوم الأخرى .  
والتخاطب فى داخل المعهد يجب أن يكون باللغة العربية أو اللغة الانجليزية - والفضل للأولى - والذى لا يلتزم يعزر بعقاب عندهم قد يكون منه حلق الرأس .  
وقد أجمل بيانهم الموجز عن المعهد طريقة التدريس فيه فى الجملة التالية :  
« وقصارى القول أن نظام التربية والتعليم فى هذا المعهد هو السير على الجانب النظرى والجانب العملي للتربية الحديثة » .

#### القسم الداخلى :

- يسكن الطلبة كلهم فى مساكن المعهد الداخلية ويعيشون - كما فى البيان الموجز -  
« بنظام صارم لما فيه من مصلحة عظيمة تعود عليهم » .  
والمقصود بالنظام الصارم : الالتزام الكامل بأنظمة المعهد الشبيهة بالنظام العسكري من أجل تعويدهم على حياة بعيدة عن الميوعة والتسيب .  
ويقوم الطلبة بإدارة كل شئونهم فى المعهد تحت اشراف الأساتذة ويشتركون كلهم فى الحركة الكشفية التى تعتبر فتوة جهادية .  
وينقسمون إلى جمعيات تعاونية : مثل الجمعية التعاونية الاستهلاكية ومقصف الطلبة ، ومطعم الطلبة وبيع هذه الجمعيات كلها يعود لمصالح المعهد .

#### أثر المعهد فى المجتمع :

- انقل هذه الجمل التى توضح أثر المعهد فى المجتمع عن البيان الموجز ،  
« انتشر المتخرجون من هذا المعهد ( كونتور ) فى جميع أنحاء المقاطعات الأندونيسية وبعض الدول الأخرى ، يجاهدون فى بناء المجتمع ويكافحون فى معركة الحياة ويحتلون فى المجتمع مناصب اجتماعية متباينة ويلعبون فيه أدوار مختلفة منها الوزير ، وعضو مجلس النواب ، ورئيس القرية ، ورئيس المكتب والموظف الكبير فى الحكومة ، والمزارع أو الفلاح ، والتاجر والمدرس ، وما الى ذلك ، وكلهم على اختلاف مراكزهم ومناصبهم يكادون يتفوقون فى كونهم دعاة للإسلام .

هذا وفي ختام الكلام عن هذا المعهد المبارك فانا ندعو الله أن يوفق قادته ومدرسيه وطلابه للسير به قدما ليكون - على مر الزمن - قلعة إسلامية تنطلق منها جحافل العلم والدعوة والجهاد الى كل أنحاء أندونيسيا وغيرها من البلدان المجاورة ، كما ندعو الهيئات الإسلامية فى أندونيسيا أن تحذو حذو هذا المعهد فى الاهتمام باللغة العربية لغة القرآن والسنة والدين الإسلامى الحنيف وندعو كذلك المؤسسات الإسلامية فى بلادنا وغيرها أن يبذلوا العون لهذا المعهد وأمثاله ليكون قادرا على استيعاب الأعداد الهائلة التى تؤمه ويرغب فى الالتحاق به فلا يقدر إلا على تلبية رغبات القليل منهم ، وعلى أغنياء الأمة الإسلامية أن يودعوا ما يريدون ثوابه عند الله فى صندوق هذا المعهد وفى صناديق معاهد أخرى قريبة منه لانقاذ أبناء المسلمين من فح أعداء الله من النصارى وغيرهم .

زيارة معهد التربية الإسلامية ( والى صاعانج ) ١١ / ٩ :

كان الأستاذ الحاج ابراهيم الطيب قد زارنا ليلة أمس فى الليل بعد صلاة التراويح وطلب منا أن نزور المعهد المذكور الذى أسسه سنة ١٩٦١ م .

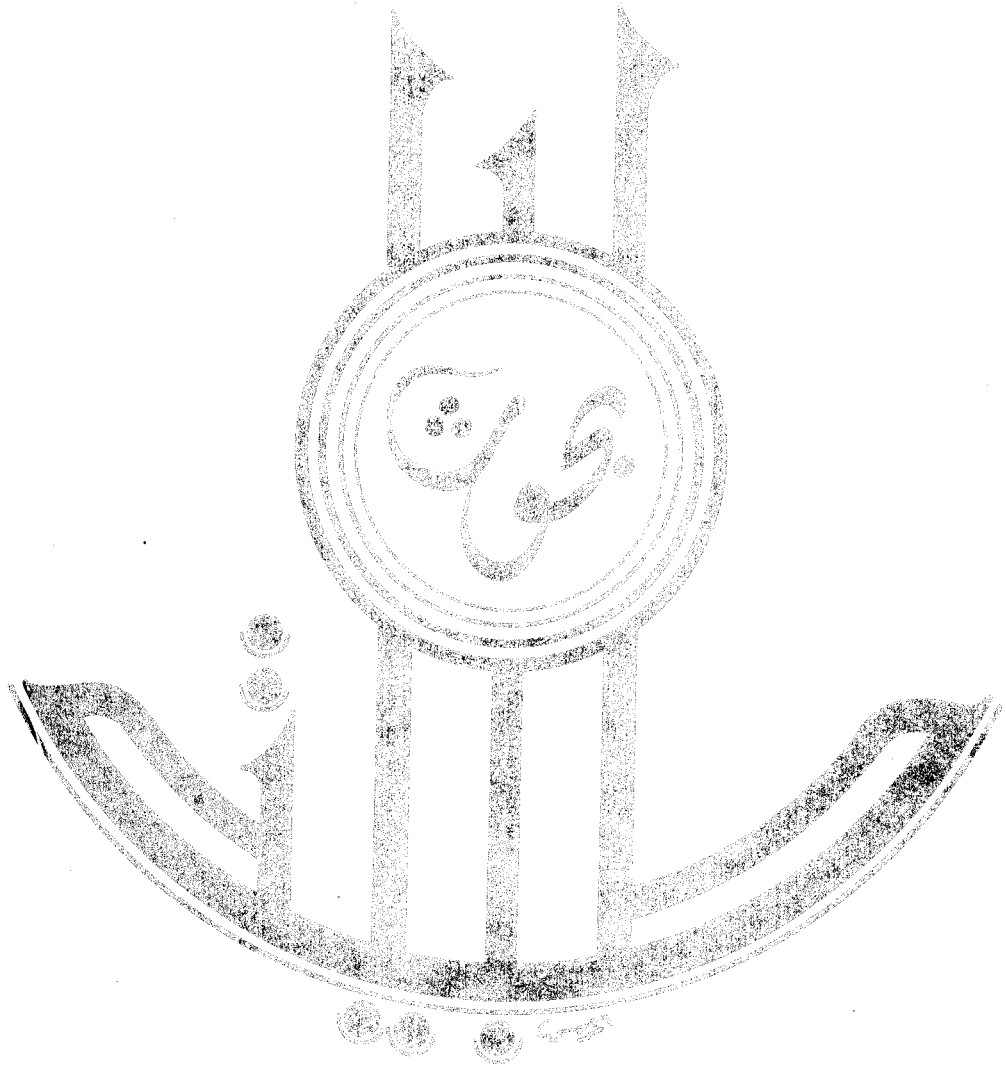
والحاج ابراهيم الطيب متخرج فى معهد كونتور فلبينا رغبته ومررنا به ونحن مسافرون الى سورابايا . وهذا المعهد يحاول مؤسسه أن يسير به على غرار معهده الذى تخرج فيه ويقع فى قرية عابر فونوروقو وفيه قسم خاص بتعليم الفتيات والحاج ابراهيم هو الذى أوقف أرضه على هذا المعهد وأنشأ فيها .

وعدد طلابه تسعمائة تقريبا وقد تحصل على مساعدات من المملكة العربية السعودية وقد كان برنامج الزيارة قراءة ما تيسر من القرآن الكريم وكلمة من المؤسس رحب بنا فيها وشكر المملكة على المساعدة ثم كلمة توجيهية مني .

زيارة معهد المعلمين :

ثم مررنا بمعهد المعلمين الذى أسسه الحاج صائمان لقمان الحكيم وهو متخرج فى معهد كونتور أيضا وأحد المدرسين فيه وأخبرنا أن جلالة الملك خالد قد أسهم فى بناء هذا المعهد بمبلغ ثلاثين مليون ومائتان واثنان وأربعون ألف روبية أندونيسية .

وهذا المعهد والمعهد الذى قبله قريبان من معهد كونتور وهذا تابع للجمعية المحمدية يقع فى قرية جنيس .





# السَّمْع

## مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي أَنْفُسِنَا

للكيِّتور فوزي أحمد سلام  
أخصائي الأذن والأنف والحنجرة بالجامعة

يقول رب العزة والجلال :

« الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالَةٍ من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون » ( السجدة ٧ - ٩ ) .

يقف الإنسان عاجزاً أمام خلق الله عندما يرى الآيات الواضحات في داخله عجيبة تجعله يعجز على دينه بالواجد .

والسمع في الإنسان جعله الله له المصدر الأول للمعرفة الإدراكية في حياته الأولى ، هذه النعمة الممنوحة لنا خصها الله بالعناية في القرآن الكريم ، فأغلب السور يحتل فيها السمع موقعاً ، ذلك لأنه من الحواس التي بها يسترشد الإنسان ، هذه المهمة الملقاة على السمع .. جعلته في موقف المساءلة يوم الحساب العظيم « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً » ( الإسراء ٣٦ ) .

والقرآن نزل مسموعاً من روح القدس على رسول الله صلى الله عليه وسلم - ونقل منه إلى الصحابة رضی الله عنهم مسموعاً ، بل إن تاريخ البشرية أجمع وتواتر نقله مسموعاً قبل أن يُدوّن ويُحفظ .

تعالوا معي نتجول داخل هذه الآية الربانية لنرى الجهاز السمعي بمكوناته التشريحية الدقيقة المتناسقة ، التي يتحدث عنها قوله تعالى : « خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير » ( التغابن ٢ ) .

## - نظرة تشريحية وظيفية للجهاز السمعي :

يتكون الجهاز السمعي جملةً من الأذن التي تنقسم إلى :

- ( ١ ) الأذن الخارجية .
- ( ٢ ) الأذن الوسطى .
- ( ٣ ) الأذن الداخلية .

### ( ١ ) الأذن الخارجية :

تتكون من ( أ ) صيوان الأذن • ( ب ) القناة السمعية الخارجية ( ح ) غشاء طبلة الأذن •

- وصيوان الأذن الذي تحسه على جانبي الرأس مركب من غضاريف مكسوة بجلد رقيق وتختلف من إنسان لإنسان وتعتبر أيضاً مقياساً من مقاييس الجمال •

- أما القناة السمعية الخارجية •• فيبلغ طولها ٢٤ ملليمترًا - الثلث الخارجي منها غضروفي يحتوي على غدد عرقية وصلاخية وكذلك بصيلات شعر ، وهذه المجموعة تخدم هذه القناة والأذن بأسرها بإفراز مادة الصملاخ لونها أصفر ، التي تمنع الأتربة والميكروبات من دخول الأذن •

والباقى من القناة السمعية عظمي التكوين أملس ، ومن روعة صنع الخالق ودقته أن كل جزء يتجه باتجاه مخالف للجزء الآخر لحماية لغشاء الطبلة الرقيق من مفاجآت الصوت والهواء الشديد الداخل للأذن •

- وأما غشاء الطبلة فإنه أبيض اللون بيضاوى الشكل رقيق ، طوله ٩ ملليمتر وعرضه ٨ ملليمتر وسمكه لا يتعدى النصف ملليمتر ، ويتكون معظمه من ثلاث طبقات من الأنسجة ، وتلتصق به من الخلف عظمة المطرقة •

وسبحان القائل : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » ( الذاريات ٢١ ) •

ولأهمية هذا الغشاء الرقيق يغذيه المولى سبحانه وتعالى بثلاثة أعصاب مخية - العصب الخامس والعصب العاشر « الحائر » من الخارج ، والعصب التاسع من الداخل •

وهناك ملاحظة دقيقة دلنا عليها علم التشريح ، وهى أنه كما توجد الصلة بين المسموع ووصوله لأعماق القلب ، فإنه توجد صلة بين الأذن والقلب إذ يغذيها معاً العصب العاشر ، فالعلاقة بينهما روحية تشريحية •



أضف إلى ذلك أنه إذا ضرب إنسان على أذنه فإنه يسقط مغشياً عليه والسبب في ذلك أنه عندما يستثار الغضب العاشر فإنه يسبب هبوطاً مفاجئاً في القلب فيسقط الإنسان مغشياً عليه .

ويلاحظ أن غشاء الطبلة أخذت منه فكرة صناعة الأجهزة السلوكية والاسلكية .

## ( ٢ ) الأذن الوسطى :

تتكون من ثلاثة أجزاء : أذن متوسطة - وقناة استاكيوس - وتوء حلمى .

- أما عن الأذن المتوسطة : فتشبه علبة الثقاب تماماً - وتقع بين غشاء الطبلة وبين الأذن الداخلية وتحتوي هذه العلبة الدقيقة على ثلاثة أجزاء رغم أنها يبلغ طولها ١٥ ملمتراً وعرضها ١٣ ملمتراً وارتفاعها ٤ ملمتراً ... هذه المساحة الضيقة تشمل :

١ - ثلاث عظيمات هي المطرقة والسندان والركاب .

٢ - الجزء الخاص بالتذوق من العصب السابع ( الوجهي ) .

٣ - عضلتين قابضتين باسطين لحماية الأذن من الأصوات المرتفعة .

- وأما قناة استاكيوس فهي قناة تصل بين تجويف الأذن المتوسطة والبلعوم الأنفي وطولها ٣٦ ملمتراً . وفائدتها الرئيسية حفظ التوازن الضغطى داخل الأذن المتوسطة والضغط الجوى - وكذلك التهوية وهنا فائدة علمية تطبيقية تجدر الإشارة إليها .. وهى أنه عند ركوب الطائرة وعند الهبوط بالذات يستحسن أن نحرك الفك لأسفل وأعلى مرات ومرات حتى لا تصاب طبلة الأذن نتيجة التغير في الضغط .

## ( ٣ ) الأذن الداخلية :

وتتكون من هيكل عظمي خارجي بداخله جهاز غشائي ، وهذا للأهمية القصوى لوظيفتها حيث السمع والتوازن في هذه المنطقة - لذا اختار الله لها أقوى عظام الجسم صلابة ووضعها فيها .

فالهيكال العظمي ثلاثة أقسام :

( أ ) قسم أمامي : ويسمى بالقوقعة وبها جسم « كورتى » ، وهو الجزء الخاص بالسمع .

( ب ) قسم خلفي : وهو عبارة عن ثلاث قنوات هلالية الشكل ، وهو الجزء الخاص بالتوازن .

(ح) قسم متوسط ، ويصل بين القسم الأمامي والخلفي ، ويسمى بالدھليز - أضف إلى

ذلك : القناة السمعية الداخلية ، وهى التى تبلغ من الطول سنتيمتراً واحداً ، وتحمل بداخلها العصب « السمعي التوازني » الثامن والعصب الوجهي « السابع » والشريان الأذني الداخلي وهى المر الوحيد بين الأذن والمخ .

سبحان ربى أحسن الخالقين ، « هو الله الخالق البارئ المصور » « الحشر ٢٤ » .

- كيف تسمع أيها الإنسان ؟

قال الله تعالى : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » ( النحل ٧٨ ) .

إن رحلة الصوت ، التى تسير موجاته فى الهواء ، إلى صيوان الأذن - للقوقعة التى بها جسم « كورتى » الخاص بالسمع ثم إلى المخ رحلة طويلة علمياً حيث كُتب فيها أكثر من مرجع برغم أنها تستغرق جزءاً من الثانية .

فها معى للرحلة المعقدة لنرى الآية الكامنة على جانبى الرأس :

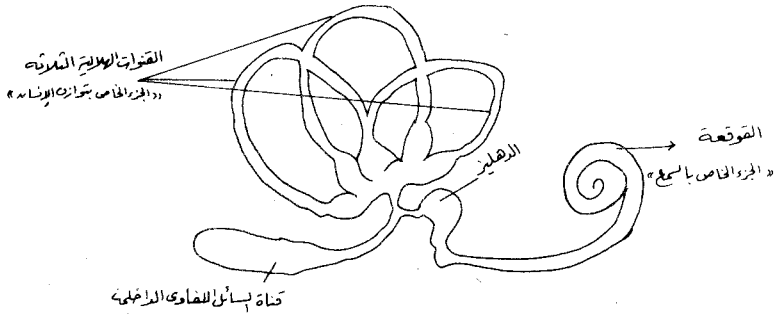
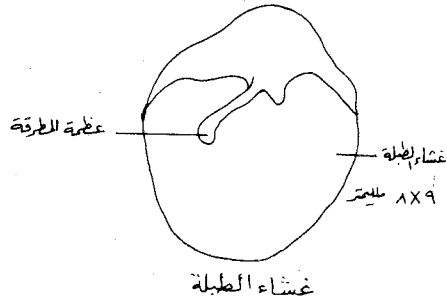
تستقبل القناة السمعية الخارجية الصوت مهذباً مجموعاً بواسطة صيوان الأذن حيث تسقط هذه الموجات الصوتية على غشاء الطبلة الرقيق الذى يهتز لها اهتزازاً دقيقاً يتناسب مع قوتها .

وتتحرك الطبلة فإن المطرقة والسندان يتحركان معاً حركة شبه دائرية على مفصل بينهما .. وذلك كى تنتقل الحركة تبعاً إلى عظمة الركاب التى تتحرك للداخل والخارج على شبك بيبضاوى هو الصلة بين الأذن الوسطى والداخلية مع مثيل له دائري .

هذه الحركة الميكانيكية للغشاء والعظيمات تُحرك الغشاء الذى يسد الطريق بين الأذنين ، فيتحرك السائل اللمفاوى الداخلى ليلامس أطراف الخلايا السمعية الموجودة فى القوقعة المكونة لجسم « كورتى » . هنا تتحول الطاقة الميكانيكية إلى طاقة كهربائية ، حيث تصل الذبذبة للعصب السمعي التى تتجمع نهايات الخلايا السمعية لتكونه ، ليسير فى القناة السمعية ، إلى المخ ثم تصل الإشارة إلى مراكز السمع فى المخ ، وهى مرقمة عددياً .

هناك مراكز أشبه بالكمبيوتر تماماً يحول الذبذبة الواصلة إليه إلى مراكز الفهم حيث يحدث ما يلى :

وصول الذبذبة وسمع ، لفهم ومتابعة ، تصل وترتكز لمراكز الفهم .  
وصول الذبذبة وسمع ، ورد بالكتابة ، تصل الإشارة لمركز الكتابة في المخ فيبعث  
الإشارات لأعصاب اليد لتكتب . سمع ، ورد بالكلام ، تصل الإشارة لمركز الكلام ( وهذا المركز  
يوجد على الناحية اليسرى « الفص الأيسر » للمخ للذي يكتب باليمين ، ويوجد على الناحية  
اليمنى « الفص الأيمن » للمخ للذي يكتب باليسار ، تصل الإشارة للأعصاب المغذية للسان  
والحنجرة والفك ليكون الرد كلاماً إلى سمع ، ورؤية ، تصل الإشارة لعصب العين وعضلاتها  
لترى ما سمعت .  
وفي حقيقة الأمر تدور الأبحاث حول هذا المركز الذي يقوم بعمل الكمبيوتر في المخ .



وكما علمنا كيف نسمع ، فإنه يجدر بنا أن نقيس سلامة هذا الجهاز فإن سلامة  
وصلاحية كل جهاز تقاس بمدى مقدرته على القيام بوظيفته إلى جانب مقدرته على التفاعل  
المطلوب بأقصى طاقة ممكنة ، لذا فإنه يجب علينا كلما سمعنا كلمة السمع أن نذكر كلمة  
« الصمم » .

« أفأنت تسمع الصمم ولو كانوا لا يعقلون » ( يونس / ٤٢ ) .

وعليه فإنه قبل أن نتكلم عن الناحية الروحية ، علينا أن نلقي الضوء على تقيض السمع  
وهو « الصمم » .

- الصمم :

تعريفه طبيياً : هو عدم المقدرة على السمع بالوضوح التام لشخص يتكلم في معدل  
ومكان محدد بصوت قوته ٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ سيكل/الثانية .

والإنسان الطبيعي يميز ويسمع الصوت العادي على بعد ١٢ متراً ، ويسمع الكلام  
الهامس من على بعد ٦ أمتار .

والصمم ثلاث أنواع : - صمم إنسدادي - صمم عصبي - صمم مختلط .

أسباب الصمم الإنسدادي : -

- ١ - تجمع الصملاخ وتجمده بالقناة السمعية الخارجية .
- ٢ - وجود جسم غريب بالأذن - كحبة فول أو جسم معدني .
- ٣ - وجود فطر « عش الغراب » داخل الأذن .
- ٤ - التهابات الأذن الوسطى الحادة والمزمنة .
- ٥ - تليس عظمة الركاب .
- ٦ - انخلاع عظيماات الأذن الوسطى .

أسباب الصمم العصبي : -

- ١ - أسباب وراثية « كزواج الأقارب » .
- ٢ - إصابة الأم الحامل بالحصبة الألمانية .
- ٣ - إصابة الجنين أثناء الولادة .

- ٤ - مرض الطفل أثناء حضانه بالحميات مثل : التهاب الغدة النكفية - الانفلونزا المتكررة - الحصبة - التهاب السحائي - مرض السل .
- ٥ - تعاطي بعض المرضى لبعض أدوية لمدد طويلة وبكميات كثيرة مثل : - الاستربتوميسين - النيوميسين - الكينين - السالسلات .
- ٦ - الإصابة بأمراض الكبد والكلية .
- ٧ - انسداد الشريان الأذني الداخلي بجلطة أو نزيف .
- ٨ - مرض مانيير Meniere
- ٩ - الأورام الخبيثة بالمخ والعصب السمعي .
- أما العلاج من الصمم الانسدادي فقد أصبح سهلاً وميسراً ، حيث تشخص الحالة ويجري لها ما يناسبها من علاج طبي أو جراحي .
- أما عن علاج الصمم العصبي ، فإن الوقاية من مسبباته أسهل وأيسر من علاجه . حيث أن أغلبها لا يجدي ، وعلى المريض أن يستعين بسماعة طبية .

### رحلة روحية مع السمع :

- من صفات الله سبحانه وتعالى صفة « السمع » ، ومن أسمائه الحسنی « السميع » .
- وهو تعالى له سمع يسمع به حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته .
- « ليس كمثل شيء » ( الشورى ١١ ) .
- ومعنى السميع أي الذي لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفى فيسمع سبحانه « ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء » .
- وقد أحاط سمعه بجميع المسموعات سرها وعلنها ، وقريبها وبعيدها ، فلا تختلط عليه الأصوات على اختلاف اللغات وعلى تقفن الحاجات وكأنها لديه صوت واحد . وسمعه تعالى نوعان :
- سمع جميع الأصوات .
- سمع إجابة منه للسائلين والداعين والعابدین . ومنه قوله تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام : « إن ربي لسميع الدعاء » ( إبراهيم ٣٩ ) .

وقال ابن القيم : -

وهو السميع يرى ويسمع ما في الكون من سر ومن إعلان  
ولكل صوت منه سمع حاضر فالسر والإعلان مستويان  
والسمع منه واسع الأصوات لاتخفى عليه بعينها والداني  
والوليد يفد للدنيا لا يعلم شيئاً ، ولكنه مستعد للتعلم بما وهبه الله من حواس  
يستطيع أن ينمي بها مداركه ، فالسمع من الحواس التي تعتبر مصدراً أولياً للطفل على النمو  
والتعلم ، كما قال تعالى : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل  
لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » ( النحل ٧٨ ) .

هكذا ينمو الوليد ليصير شاباً يافعاً يستقي العلم سمعاً ورؤية ، وهنا يلعب السمع  
الدور الرئيسي في إيمان الرجال وإسلامهم .

- ففريق يسمع ، ويعقل ما يسمع ، ويستفيد مما سمع فيسلك الطريق القويم طريق  
الحق والهدى والإيمان . كما أشار تعالى بقوله :

« ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا » . ( آل  
عمران ١٩٣ ) .

وقوله : « وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » . ( البقرة ٢٨٥ ) .

وقوله : « وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به » ( الجن ١٣ ) .

فالفائز في هذه الدنيا الذي يسمع الحق - فيؤمن به ، ويطيع ، فيكون السمع نعمة  
عليه .

- وهناك من يسمع ولكنه يصم أذنيه عن داعي الحق - ويحيد عنه بعصيانه ، كما  
أشار تعالى بقوله : « قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم »  
( البقرة ٩٣ ) .

« ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون » ( ٤٢ )  
يونس ) .

وفريق يسمع ولكنه يُصِر على عدم الاجابة ، بل على تحريف كلام الله .. كما أشار تعالى بقوله : « إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم » ( فاطر ١٤ ) .

وقوله : « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه » ( البقرة ٧٥ ) .

اللهم اجعلنا من الذين يسمعون فيؤمنون واجعل سمعنا معينا لنا على طاعتك .

وقد حثنا الله سبحانه وتعالى على التقوى والسمع والطاعة بقوله : « فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا » ( التغابن ١٦ ) .

وقبل أن أنهى حديثي عن رحلة السمع الروحية فإنى ألفت نظر القارئ إلى أن السمع يتقدم على البصر كما أشار تعالى في قوله « إن السمع والبصر » ، « وجعل لكم السمع والأبصار » ، « وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار » .

وهناك أسباب لتقدم السمع على البصر نذكر منها :

( ١ ) أن الأذن أول ما يربط الإنسان بالدنيا ، إذ هي أول عضو يؤدي وظيفته بعد مولد الوليد حيث يتبعه البصر في اليوم السابع .

( ٢ ) أن الأذن هي أداة الاستدعاء في الأذان .

( ٣ ) أن السمع هو الطريق الأول للهدى أو للعصيان .

( ٤ ) يقول بعضهم إن الأذن مفضلة على العين ، ذلك أن الأذن لاتنام بينما العين تنام والشيء الذي لا ينام أرقى في الخلق من الشيء الذي ينام .

في نهاية القول نقول إن هذه الآية الإلهية تستوجب منا وقفة ، وقفة شكر للخالق سبحانه ، على ما وهبنا من نعم داخل أنفسنا .

ونسأله تعالى أن نكون من « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » .

المملكة العربية السعودية  
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد  
الدعوة في الخارج

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة فضيلة نائب رئيس الجامعة الإسلامية  
سلمه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فحيث يوجد في مدينة توسان التابعة لولاية أريزونا ، مسجد يشرف عليه شخص يدعي : رشاد خليفة ، مصري الأصل أمريكي الجنسية ، يقوم فيه بالدعوة الإسلامية على أساس بعيد عن الإسلام ، لانكاره السنة واستنقاصه من منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك بما ثبت لدينا من التقارير بحقه من عدة جهات والتي ملخصها ما يلي :

١ - أن المذكور يقيم في مدينة توسان بولاية أريزونا ، إحدى الولايات المتحدة الأمريكية ، ويحمل الدكتوراه في الهندسة الزراعية مما لا يؤهله للقيام بالدعوة إلى الله على وجه صحيح ، بل إن دعوته للإسلام يظهر منها المخادعة والتغريب بالمسلمين الجدد والسذج من العامة باسم الإسلام بإنكار السنة وتعاونه مع المنكرين لها قولاً وفعلاً أمثال محمد على اللاهوري ، وغيره ، وقد قامت حوله ضجة علمية حول اكتشافه سر إعجاز القرآن حسب زعمه .

٢ - في زيارته لليبيا عام ١٣٩٩ هـ ، سجل في إذاعتها أحاديث ووجد من يستمع إليه حول رأيه في السنة المطهرة ، بل إنه حينما سئل من قبل أحد أساتذة الجامعة قبل صعوده للطائرة عن رأيه في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أجاب باختصار نظراً لضيق الوقت قائلاً : ( الحديث من صنع إبليس ) !  
ومن مواقفه التي توضح رفضه للسنة وتأويل القرآن الكريم حسب ما يراه :

أ - قوله : أنه لا يجوز رجم الزاني أو الزانية سواء كانا محصنين أو غير محصنين ، لأن ذلك لم يرد في القرآن .  
ب - تبجحه بصورة مستمرة بما يروى ( لا تكتبوا عني سوى القرآن ) ليثبت أنه لا تجوز كتابة الأحاديث .  
ج - استدلاله على ما ذهب إليه من أنه لا حاجة للسنة ولا لتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن بقوله تعالى : ( ما فرطنا في الكتاب من شيء ) وقوله ( وما كان ربك نسيا ) .  
د - ادعاؤه أن الأخذ بالسنة وكتابتها وجمع الأحاديث في القرنين الثاني والثالث كان سبباً في سقوط الدولة الإسلامية !

هـ - عدم التصديق بالمعراج ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت بجديد في الصلاة ، لأن العرب قد توارثوها بهذه الكيفية عن جدهم إبراهيم .

و - له تأويلات في كيفية كتابة الحروف المقطعة الواردة في أوائل السور ، ويقول هذه ليست الكتابة الصحيحة لها . وفي قوله تعالى : ( الم ) يجب أن تكتب هكذا ( الف لام ميم ) وقوله تعالى : ( ن ) يجب أن تكتب هكذا : ( نون ) وغير ذلك من الشطحات التي يفرق بها كلمة المسلمين مع ما فيها من محادة لله ورسوله .  
لذا فقد رأينا من واجبتنا توضيح أمره وكذب حقيقته لوقف التعاون معه والتنبيه لمغالطاته ، وبراءة للذمة ونصحاً لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، راجياً تعميم كتابنا هذا على منسوبيكم والجهات ذات العلاقة أعانكم الله على كل خير وجعلنا وإياكم من أنصار السنة والكتاب ، ومن دعاة الحق على بصيرة إنه جواد كريم .  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد



مِنْ أَعْمَارِهِ  
الْكَتَابِ



الْكَتَابِ



# التَّبَيَانُ فِي أَقْسَامِ الْقَرَّاتِ

## لِلْإِمَامِ ابْنِ قَيِّمِ الْجُوزِيَّةِ

من روائع ما كتب الإمام ابن القيم الجوزية - رحمه الله - كتابه المسمى ( التبيان في أقسام القرآن ) ، نهج فيه نهجه التحليلي العلمي الدقيق الذي يتسم فيه بما أفاض الله تعالى عليه من النظر الفاحص ، وعمق الفهم ، وشفافية الحس ، ومن طيب ما كتب في كتابه المذكور ما يلي :

والذي أحصاه المشرحون من العظام في البدن مائتان وثمانية وأربعون عظماً سوى الصغار السمسميات التي أحكم بها مفاصل الأصابع والتي في الحنجرة . وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الإنسان خلق من ثلاثمائة وستين مفصلاً . فإن كانت المفاصل هي العظام فقد اعترف جالينوس وغيره بأن في البدن عظماً صغراً لم تدخل تحت ضبطهم وإحصائهم . وإن كان المراد بالمفاصل المواضع التي تنفصل بها الأعضاء بعضها عن بعض - كما قال الجوهري وغيره المفصل واحد مفاصل الأعضاء - فتلك أعم من العظام فتأمله وأن السلاميات المذكورة في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر « يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة . فكل تسبيحة صدقة . وكل تحميدة صدقة . وكل تهليلة صدقة . وكل تكبيرة صدقة » الحديث فالسلامي العظم . وجمعه سلاميات . فهنا ثلاثة أمور : أعضاء ، وعظام . ومفاصل . وجعل الله سبحانه العظام أصلب شيء في البدن ، لتكون أسأ وعمدة في البدن . إذ كانت الأعضاء كلها موضوعة على العظام . حتى القلب . كما سيأتي بيانه إنشاء الله تعالى . وهي حاملة للأعضاء . والحامل أقوى من المحمول . وتكون وقاية وجنة أيضاً . كالقحف . فإنه وقاية للدماغ . وعظام الصدر وقاية له . وجعلت العظام كثيرة لفوائد ومنافع عديدة : منها الحركة فإن الإنسان قد يحتاج إلى حركة بعض أجزائه دون بعض . وقد يحتاج إلى حركة جزء من عضو .

ومنها أنه لو كان على عظم واحد لكان إذا أراد أن يتحرك، تحرك بجملته .

ومنها أنه كان يتعذر عليه الصنائع والحل والربط .

ومنها أنه إذا أصابه آفة عمت جميع البدن . فجعلت العظام كثيرة ليكون متى نال بعضها آفة لم

تسر إلى غيره من العظام مقامه في تحصيل تلك المنفعة .

ومنها تعذر المنافع التي حصلت بسبب تعدد العظام . ولولا كثرتها وتعددتها لفاتت تلك المنافع .

ومنها أن من العظام ما يحتاج البدن إلى كبيره ، ومنها ما يحتاج إلى صغيره ، ومنها ما يحتاج إلى مستطيله ، ومنها ما يحتاج إلى مجوفه ، ومنها ما يحتاج إلى محنيه ، ومنها ما يحتاج إلى مستقيمه ، ولا يحصل ذلك إلا بتعدد العظام .

ومنها بديع الصنع ، وحسن التأليف والتركيب ، وغير ذلك من الفوائد .  
ثم شد الخالق بعضها إلى بعض بالرباطات والأسر المحكم ، ثم كساها لحماً ، حفظاً لها ووقاية .  
ثم كسى اللحم جلدأ ، صوناً له .

ولما كانت الفضلات تنقسم إلى لطيفة وغلظة جعل الله للغلظة منها مجاري تنجذب إلى أسفل ، ويخرج منها خروجاً ظاهراً للحس . وأما اللطيفة فهي الفضلات البخارية ، ولما كان من شأنها أن تصعد إلى فوق وتخرج عن البدن بالتحليل جعل في العظام العليا منها منافذ يتحلل منها البخار المتصاعد . فلم تكن تلك المنافذ محسوسة ، لئلا يضعف صوان الدماغ - وهو القحف - بوصول الأجسام المؤذية إليه . فجعل الدماغ مركبة من عظام كثيرة . ووصل بعضها ببعض بوصل يقال لها الشئون . ومنه قولهم : فلان لم تجمع شئون رأسه .

ويشتمل الرأس بجملة أجزائه على تسعة وخمسين عظماً ، وجعل القحف مستديراً تماماً في مقدمه ومؤخره وجانبيه ، بمنزلة غطاء القدر وعظامه ستة ، وهي : عظم اليافوخ . وعظم الجبهة . وعظم مؤخر الرأس . والعظام اللذان فيهما ثقباً للسمع . وفي كل واحد من الصدغين عظامان مصمتان .  
وعظام اللحي الأعلى أربعة عشر عظماً ، ستة منها في محاجر العينين . واثنان للأنف واثنان تحت الأنف . وهما المثقوبان إلى الفم . واثنان في الوجنتين . واثنان تحت الشفة العليا .  
وأما العظم الشبيه بالوتد فهو واحد وهو كالقاعدة للرأس .

وعظام اللحي الأسفل اثنان : وهما متصلان في وسط الذقن ، وبينهما بنيان ، ويتصلان من فوق باللحي الأعلى اتصالاً مفصلياً .

والأسنان اثنان وثلاثون ، في كل لحي ستة عشر ، أربع ثنيات وتليها الرباعيات ، ويليهما الأضراس : خمسة من هنا وخمسة من هنا . والنواجذ أول الأضراس ، وهما ناجدان في كل ناحية ناجذ . وربما نقصت النواجذ في بعض الأفراد ، وكان في كل جانب أربعة أضراس .

وصدق الله ( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ) .  
فاعتبروا يا أولي الأبصار .

بَابُ

الْفِتَاوَى

الرَّحْمَةُ



# سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ

مفتى الأنام أُوحد عصره فريد دهره : تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية - رحمه الله ورضى عنه -

عن الرجل : إذا قطع الطريق وسرق أو أكل الحرام ونحو ذلك . هل هو رزقه الذي ضمنه الله تعالى له أم لا ؟

فأجاب - الحمد لله : ليس هذا هو الرزق الذي أباحه الله له ، ولا يحب ذلك ولا يرضاه . ولا أمره أن ينفق منه . كقوله تعالى : ( ومما رزقناهم ينفقون ) وكقوله تعالى : ( وانفقوا مما رزقناكم ) ونحو ذلك لم يدخل فيه الحرام ، بل من أنفق من الحرام ، فإن الله تعالى يذمه ويستحق بذلك العقاب في الدنيا والآخرة ، بحسبدينه . وقد قال الله : ( ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ) وهذا أكل المال بالباطل .

ولكن هذا الرزق الذي سبق به علم الله وقدره ، كما في الحديث الصحيح عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة . ثم يكون علقة مثل ذلك . ثم يكون مضغة مثل ذلك . ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد » . فكما أن الله كتب ما يعمل من خير وشر وهو يثيبه على الخير ويعاقبه على الشر ، فكذلك كتب ما يرزقه من حلال وحرام ، مع أنه يعاقبه على الرزق الحرام .

ولهذا كل ما في الوجود واقع بمشيئة الله وقدره ، كما تقع سائر الأعمال لكن لا عذر لأحد بالقدر ، بل القدر يؤمن به ، وليس لأحد أن يحتج على الله بالقدر ، بل لله الحجة البالغة ، ومن احتج بالقدر على ركوب المعاصي ، فحجته داحضة ، ومن اعتذر به فعذره غير مقبول ، كالذين قالوا : ( لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ) والذين قالوا : ( لو شاء الرحمن ما عبدناهم ) كما قال تعالى : ( ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين ) .

وأما الرزق الذى ضمنه الله لعباده ، فهو قد ضمن لمن يتقيه أن يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، وأما من ليس من المتقين فضمن له ما يناسبه ، بأن يمنحه ما يعيش به الدنيا ، ثم يعاقبه فى الآخرة ، كما قال عن الخليل : ( وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر - قال الله - : ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ) .

والله إنما أباح الرزق لمن يستعين به على طاعته ، لم يبحه لمن يستعين به على معصيته ، بل هؤلاء وان أكلوا ما ضمنه لهم من الرزق فانه يعاقبهم ، كما قال : ( ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ) وقال تعالى : ( احلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ) فانما أباح الأنعام لمن يحرم عليه الصيد فى الاحرام .

وقال تعالى : ( ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين ) فكما أن كل حيوان يأكل ما قدر له من الرزق ، فانه يعاقب على أخذ ما لم يبح له ، سواء كان محرم الجنس ، أو كان مستعينا به على معصية الله ، ولهذا كانت أموال الكفار غير مغسوبة بل مباحة للمؤمنين ، وتسمى فيئاً إذا عادت إلى المؤمنين ، لأن الأموال إنما يستحقها من يطيع الله لا من يعصيه بها ، فالمؤمنون يأخذونها بحكم الاستحقاق والكفار يعتدون فى انفاقها ، كما انهم يعتدون فى أعمالهم ، فاذا عادت الى المؤمنين فقد فاءت إليهم كما يفىء المال الى مستحقه .

وَسُئِلَ :

( ٢ ) عن الخمر والحرام : هل هو رزق الله للجهاال ؟ أم يأكلون ما قدر لهم ؟

فأجاب : ان لفظ « الرزق » يراد به ما أباحه الله تعالى للعبد ومملكه إياه ، ويراد به ما يتغذى به العبد .

( فالأول ) كقوله : ( وانفقوا مما رزقناكم ) ( ومما رزقناهم ينفقون ) فهذا الرزق هو الحلال ، والمملوك لا يدخل فيه الخمر والحرام .

و ( الثانى ) كقوله : ( وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ) . والله تعالى يرزق البهائم ، ولا توصف بأنها تملك ، ولا بأنه أباح الله ذلك لها إباحة شرعية ، فإنه لا تكليف على البهائم - وكذلك الأطفال والمجانين - لكن ليس بمملوك لها وليس بمحرم



عليها ، وإنما المحرم « بعض » الذى يتغذى به العبد وهو من الرزق الذى علم الله أنه يتغذى به ، وقدر ذلك « بخلاف » ما أباحه وملكه ، كما فى الصحيحين عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يجمع خلق أحدكم فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال اكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح . قال : فوالذى نفسى بيده أن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

والرزق الحرام مما قدره الله ، وكتبته الملائكة ، وهو مما دخل تحت مشيئة الله ، وخلقته ، وهو مع ذلك قد حرمه ونهى عنه ، فلفاعله من غضبه وذمه وعقوبته ما هو أهله - والله أعلم .

## من أين تؤتون؟؟

قدم المنهزمون من الروم أمام المسلمين على ( هرقل ) وهو بانطاكية فدعا رجالاً من عظمائهم فقال لهم : ( ويحكم ما هؤلاء الذين تقاتلونهم من العرب أليسوا مثلكم ؟ قالوا بلى ! قال : أفأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا بل نحن أكثر منهم اضعافاً فى كل موطن . قال : ويلكم فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم ؟ فقال شيخ منهم أنا أخبرك أيها الملك من أين تؤتون قال أخبرنى ، قال : إنهم إذا حملنا عليهم صبروا وإذا حملوا علينا صدقوا وأنا نحمل عليهم فنكذب ويحملون علينا فلا نصبر ، قال : ويلكم فما بالكم تصفون وهم كما تزعمون ؟ قال : ما كنت أراك إلا وقد علمت من أين هذا ؟ قال : من أين هو ؟ قال لأن القوم يصارعون بإيمان ويصاولون بروح لا تهزم وإن من صميم عقيدتهم التمرن على الصبر فهم يصومون بالنهار ويقومون بالليل ثم إن جمعهم واحد ليس بينهم خلاف لأنهم يوفون بالعهد ويتناصحون بينهم لا يظلمون أحداً أما نحن فإننا نشرب الخمر ونزني ونظلم ونغضب ونأمر بما يسخط الله ونهى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض .

( من كتاب سيرة سيد ولد آدم )

## «مسابقة القرآن الكريم الدولية»

شهدت مكة المكرمة في أوائل شهر جمادى الثانية عام ١٤٠٣ هـ مسابقة القرآن الكريم الدولية الخامسة، وقد أقيمت هذه المسابقة تحت رعاية الملك فهد بن عبد العزيز حيث أناب جلالته صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز في إفتتاحها في مهبط الوحي ومنتزل القرآن.

وألقى الأمير ماجد كلمة جاء فيها: «بلد الله الحرام حيث أشرق ضياء القرآن على هذا العالم فبدد الظلام، وأزال الجهل، وقضى على العصبية التي تقوم على رابطة الدم والنسب، وكوّن القرآن من المجتمع الاسلامي أخوة متحابين رواداً للبشرية في الطريق الى الله».

وأشار سموه الى أن بعثات المسلمين الأولى إلى شتى أنحاء العالم لم تقدم جديداً في الرقى المادي، ولا جديداً في فنون الصناعة والتجارة - ولكنها حملت «أعظم هدية وأرقى مدنية تليق بهذا الانسان الذي استخلفه الله في الأرض».

نعم، أن الفاتحين المسلمين حملوا رسالة القرآن ومنهجه في صنع المجتمعات وأخذوا بهذا المنهج يربون الأمم فأنقذوها مما (كانت) تعانيه من ضيق النفس والظلم وتعاسة الأيام وأعادوا لها حياة الإستقرار والكرامة والعزة. . . وإذا بالمجتمعات الاسلامية يسودها الترابط والمحبة.

«ولنا . . . في رسول الله أسوة حسنة وفي أصحابه قدوة وإنما لن نستطيع أن نقدم سوى ما قدم هذا الرسول الكريم وأصحابه الأطهار. . . ألا وهو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى نكون بحق خير أمة أخرجت للناس».

وهذه المسابقة التي تقام مرة كل عام نبتت فكرتها في مهرجان تونس الذي انعقد قبل بضع سنين وكان أن تقرر فيه إقامة مهرجانات دولية ومسابقات لتلاوة كتاب الله.

وحققت (المملكة العربية السعودية) سبق في تبنى هذه الفكرة في نطاق وزارة الحج والأوقاف وأقيمت أربع مسابقات:

- |                                       |                                       |
|---------------------------------------|---------------------------------------|
| المسابقة الأولى عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩م).  | المسابقة الثانية عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠م). |
| المسابقة الثالثة عام ١٤٠١ هـ (١٩٨١م). | المسابقة الرابعة عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢م). |

وكان عدد المتسابقين في الأعوام الأربعة التي مضت كبيراً، وهذا العام بلغ عدد المتسابقين (١٣٤) متسابقاً يمثلون (٢٥) دولة و(٣١) جمعية.

وقد قسمت المسابقة الى خمسة فروع بحيث تستوعب الحافظين والمجودين والمرتلين والمفسرين للقرآن. وهذه الفروع هي:

- ١ - فرع حفظ القرآن كاملاً مع التجويد وتفسير الجزء الثاني وتسايق فيه ١٠ أشخاص.
  - ٢ - فرع حفظ القرآن كاملاً مع التجويد وتسايق فيه ٣٦ شخصاً.
  - ٣ - فرع حفظ عشرين جزءاً من القرآن مع التجويد وبه ١٧ شخصاً.
  - ٤ - فرع حفظ عشرة أجزاء من القرآن وبه ٣١ شخصاً.
  - ٥ - فرع ترتيل القرآن مع حسن الصوت وحفظ جزء واحد منه وبه ٤٠ شخصاً.
- وهدفت المسابقة من هذا التوزيع شدّ الشباب للمشاركة في هذه الفروع حسب طاقة كل منهم وظروفه. وبفضل الله توسع المسابقة عاماً بعد عام، ويزيد الإقبال عليها من كل مكان. ووزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية معنية بهذا التوسع، ودعم المسابقة والقيام بكل ما يساعد على تحقيق غاياتها الخيرة.

والمأمول أن يأتي اليوم الذي يكون فيه مبنى الأمانة العامة للمسابقة حقيقة يشاهدها المسلمون كدليل جديد على رعاية حكومتنا الرشيدة لكل ما له صلة بالقرآن وتدارسه وحفظه.

والمأمول كذلك أن ينشأ قريبا معهد القراءات وعلوم القرآن ليكون رافداً من روافد المسابقة يمدّها بالمتسابقين المتدبرين لآيات الكتاب الحافظين له بحفظ الله.

# مختار الصحف





# وَإِسْلَامَاهُ...!

وصلت الرسالة التالية من سيدة يعمل زوجها في العاصمة الإندونيسية جاكرتا . ونقدم الرسالة كما هي بعد حذف الفقرة الأولى وهي : المتضمنة السلامة والتحيات : التحقت بنتي بالمدرسة الباكستانية .. وهي المدرسة المسلمة الوحيدة هنا لتعليم الأجانب اللغة الانجليزية لان الحكومة هنا لم تصرح بفتح مدارس إسلامية كثيرة ولكنها أعطت تصريحاً بفتح ألفي مدرسة تبشيرية للدميسكو التابع للفايكان رغماً عن أن عدد سكان اندونيسيا حوالي ١٢٠ مليون نسمة ٩٥ ٪ منهم مسلمون و ٥ ٪ ديانات متعددة منها البوذية وهي الأغلبية ومنهم عبدة النار وحوالي ١٪ منهم مسيحيون .

ولا تخيلي هنا شرطاً من شروط إنشاء هذه المدارس هو أن تكون الإدارة وهيئة التدريس من المسيحيين التابعين للكنيسة والصليب معلق فوق كل سبورة في كل فصل لتثبت صورة التبشير وبشدة .

وهنا - في جاكرتا - وبسهولة شديدة يشترون الناس اما بالأرز حيث ترتفع نسبة البطالة وخاصة أن الأمطار هذا العام لم تهطل ..

وتمر أندونيسيا بموسم جفاف شديد وهذا الأمر غير معتاد في هذا الوقت من السنة حيث كانت تهطل الأمطار مرتين أو ثلاثاً في اليوم ولمدد تصل في الغالب ما بين ساعتين وثلاث ساعات في المرة الواحدة .. والزرع يجف من قلة المطر وشدة حرارة الجو والشمس حارقة يعنى الناس هنا يمرون بمحنة وحملات بلا رحمة لشراء النفوس .. تجددين الشخص مثلا منهم يحمل ورقة فيما يشبه بالبطاقة الشخصية ولكنها تصریح له للخروج من محافظته الى المنطقة التي يرغب الانتقال إليها ..

تجددين ديانتهم مدونة كالاتي ( مسلم - مسيحي - كاثوليك ) وهذا دليل على الضغط الذي يواجهه ..

لا يوجد رزق في مقابل وعود بعمل في شركة للبترول ومال وفير أو أن يتفاوضوا عن طفل من أطفالهم مقابل تعليمه وإعطائهم الأرز الكافي لحياتهم حيث هو عماد حياتهم هنا يأكلونه ثلاث مرات يومياً وفي مقابل هذا العطاء والعلاج المجاني حيث هنا العلاج باهظ ولا توجد مستشفيات مجانية لغير القادرين وطبعاً القادرون هنا فقط الجنس الصيني أي الصينيون

الذين استقروا هنا وأصبحوا من الثراء بحيث يسكون بزمام البلاد في أيديهم وجميعهم مسيحيون أما الاندونيسي فهو فقير مقهور حتى الذي يحظى بقدر من المال فهو مسكين أمام الأخطبوط الصيني الذي يستطيع أن يمحقه ويعلن تفليسه في دقائق لأن زمام التجارة والاقتصاد هنا في يد الصينيين تجدين الأسرة الصينية هنا لديها - ليس فقط - فيلات بل قصور فخمة .. وتجدين الشخص منهم يمتلك ثلاثة قصور في أنحاء متفرقة وسيارات وخدماء وحشماً .. ويحولون أموالهم على الفور للخارج خشية ثورة الشعب عليهم .. ولا توجد هنا شغالة مسيحية كلهن مسلمات فقط وتتفشى الأمراض الخلقية حيث يأمر صاحب المنزل الخادمة بأن تقيم في نفس غرفة الخادم أو السائق أو جميعهم في غرفة واحدة .. وإذا رفضت تطرد ويقفل أمامها باب الرزق .. وأمام إغراء الهدايا والأموال التي تغدق في سبيل تنصيرهم يضعف إيمان البعض .. وأي ضعف .. فليغفر الله لهم ويرحمهم ويعز الإسلام والمسلمين .

ونحن هنا نحاول مقاومة هذا ببث روح الإسلام وإحيائه في نفوس الناس الذين نخالطهم والله في عوننا جميعاً .

( الرياض )

تعليق :

هذه رسالة تحمل أخباراً تتقطع لها نياط القلوب أسي وحسرة ، وإلى الله عز وجل وحده اللجأ والضراعة من خالص قلوبنا أن يجمع شتات المسلمين ويوحد شملهم ويربط على قلوبهم ليدحروا أعداء الله ويُعلوا كلمة الحق خفاقة في دروب العالمين .

( مجلة الجامعة الإسلامية )









# إخبار الجامعة

## إمارة إدارة العلاقات العامة بالجامعة

### الندوة الرابعة لعمادات شؤون الطلاب بجامعة المملكة

استضافت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ندوة عمادات شؤون الطلاب بجامعة المملكة في اللقاء الرابع لأعمال هذه الندوة . وذلك في المدة من يوم الإثنين ٢٦ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ إلى يوم الخميس ٢٩ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ .

وجاءت ندوة عمادات شؤون الطلاب بجامعة المملكة التي بدأت أول لقاءاتها في جامعة الملك عبد العزيز بجدة في المدة من ٢٨ إلى ٣٠ من المحرم ١٤٠٠ هـ استجابة طبيعية لإدراك أهمية الدور التربوي لعمادات شؤون الطلاب وأهميته في إعداد الطالب الجامعي . وتوالى أعمال هذه الندوة عبر السنوات فكان اللقاء الثاني في جامعة البترول والمعادن بالظهران في المدة من ١٥ إلى ١٧ صفر ١٤٠١ هـ . وكان اللقاء الثالث في جامعة الملك سعود بالرياض في الفترة من ٢٢ إلى ٢٦ ربيع الأول ١٤٠٢ هـ . وكان اللقاء الرابع لهذه الندوة في الجامعة الإسلامية هذا العام من ٢٦ إلى ٢٩ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ استكمالاً ومتابعة لما بدأته في أول لقاءاتها في جامعة الملك عبد العزيز

#### وقائع الندوة الرابعة :

كان موضوع « الإسكان الطلابي : الواقع والتطلعات » هو الموضوع الذي حددته الندوة للبحث في اللقاء الرابع الذي تم في الجامعة الإسلامية .

#### حفل الافتتاح :

بحضور سعادة الدكتور محود محمد سفر وكيل وزارة التعليم العالي نائباً عن معالي الوزير الشيخ حسن آل الشيخ . وتحت رعاية سعادة الشيخ سعد الناصر السديري وكيل إمارة المدينة المنورة أقيم حفل الافتتاح للندوة الرابعة لعمادات شؤون الطلاب بجامعة المملكة مساء يوم الخميس ٢٦ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ في قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية . وحضر الحفل معالي الدكتور راشد الراجح مدير جامعة أم القرى وفضيلة الدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب رئيس الجامعة الإسلامية . ووفود من عمادات شؤون الطلاب بجامعة المملكة تضم العمداء ووكلاءهم وعدداً من العاملين في عمادات شؤون الطلاب .

بدأ الحفل بتلاوة آيات من قرآن الكريم بعدها ألقى الدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب

رئيس الجامعة الإسلامية الكلمة التالية

# كلمة الجامعة الإسلامية

## للدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب رئيس الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا  
ونبينا محمد النبي الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .  
سعادة الشيخ سعد الناصر السديري وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة .  
معالي الشيخ راشد الراجح مدير جامعة أم القرى .  
سعادة الدكتور محمود سفر وكيل وزارة التعليم العالي .  
الإخوة عمداء شؤون الطلاب بجامعات المملكة .  
أيها الإخوة الحضور .

أرحب بكم في هذه الجامعة ، وفي هذه الأرض الطيبة . وأشكر لكم هذه المشاركة .. وإذا كان لي  
كلمة في هذه المناسبة فإنها لا تختلف عما سمعه الكثير منا في الندوات السابقة التي عقدت في كل من  
جامعة الملك عبد العزيز وجامعة البترول والمعادن وجامعة الملك سعود . إلا أن للمكان الذي نجتمع فيه  
وللمدينة التي نعيش في رحابها هذا اليوم شيئاً يستحق منا الوقفة والتعليق . أيها الأخوة نعيش اليوم في  
مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتعود بنا الذكريات إلى تلك الأيام الأولى حينما احتضنت هذه  
المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقامت بعد ذلك بنشر دعوته .

في هذه الرحلة الذهنية نتذكر المجتمع الأول للمدينة فننتذكر الصفة وأهل الصفة الذين يمكن أن  
يكونوا أول مجتمع طلابي أو سكن جماعي في تاريخ التربية الإسلامية . من ذلك المكان انطلقت الدعوة  
الأولى . من ذلك المكان حفظ كتاب الله سبحانه وتعالى . وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على أكتاف  
أولئك الرجال قامت دعوة الإسلام فانتشرت في أرجاء المعمورة . أناس التقوا من كل حدب وصوب لينهلوا  
من المعرفة القرآنية - ومن تربية الرسول صلى الله عليه وسلم أخذوا ما يسر الله لهم فانطلقوا بذلك إلى  
أرجاء الأرض فمكّن الله لهم . ونحن نعيش الآن على تلك الذكريات .

وفي هذا اللقاء نجتمع في الجامعة الإسلامية هذه اليد البيضاء التي أسدتها المملكة العربية السعودية  
للعالم الإسلامي فالتقى بها المسلمون من كل جانب لينهلوا من المعرفة . حيث العقيدة الصافية . والسلوك  
الإسلامي المستقيم . ليعودوا إلى قومهم - إن شاء الله - مبشرين بالخير . ومنذرين من الشر . ولا تختلف  
الجامعة الإسلامية عن غيرها من جامعات المملكة في التعامل مع الطلاب إلا أنها تعطي عناية أكثر نتيجة  
للخلفيات المتباينة التي يأتي منها هؤلاء الطلاب .

ونرجو أن يكون في هذا اللقاء ما يعيننا في هذه الجامعة على أن نسير بها السيرة المثلى - وأن تحقق - من خلالها - حكومتنا - وعلى رأسها جلاله الملك وفقه الله ورجال الدولة المخلصون - ما يصبون إليه من رفعة الإسلام وإعزاز المسلمين .

ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أشكر لتلك الجامعات التي استضافت هذه الندوة في المرات السابقة . وأستميحك العذر عن أى تقصير حصل أو يحصل في هذه الندوة إلا أن الجامعة تضع بين أيديكم ما توصلت إليه من برنامج يمكن أن يكون مُسَوِّدَةً عمل - وهو قابل للتعديل . فيما ترون أنه يحتاج إلى تعديل .

أيتها الإخوة : أشكركم . وأتمنى لكم التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## كلمة عميد شؤون الطلاب بجامعة الملك سعود

ثم ألقى سعادة الدكتور محمد ناصر الوهبي عميد شؤون الطلاب بجامعة الملك سعود والأمين العام السابق للندوة الثالثة الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم . إن الحمد لله والصلوة والسلام على أشرف خلق الله وبعد : فإني أمقت الإطالة . ولكن لا بد مما ليس منه بد فأنا كما قال أخي مقدم البرنامج « الأمين العام السابق » للندوة . وأحمد الله على أن الأمانة ستنتقل إلى أيد أمينه في رحاب طيبة الطيبة وكما كان الشأن لنا مع ندوتين سابقتين أولاهما في جامعة الملك عبد العزيز والثانية في جامعة البترول والمعادن نجد من الضرورة أن نبين للإخوة أن هذه الندوات لم تأت من فراغ . بل إنها جاءت نتيجة لبذل في الجهد والوقت والمال إذ كانت عمادات شؤون الطلاب قد أخذت على عاتقها النهوض بما من شأنه توفير الرعاية للطلاب والطالبات . وقد تحقق لنا من خلال اللقاءات المتعددة أن نحدد الأهداف المرجوة من إقامة تلك الندوات نذكرها على سبيل الإيجاز :

- ١ - تبادل الأفكار والخبرات حول العمل في المجالات الطلابية .
- ٢ - تحقيق التعاون في مجالات الأنشطة وتبادل الزيارات .
- ٣ - التعرف على مشكلات العمل واقتراح الحلول المناسبة لمواجهتها .
- ٤ - تعدد اللقاءات بين المسؤولين في العمادات للوصول إلى منهج مشترك .
- ٥ - الحرص على توحيد اللوائح والهيكل التنظيمية بين العمادات لنصل إلى ما نريده من خير للطلاب في ظل عقيدتنا الإسلامية .

وكما قلت فإن الندوة الثالثة التي تشرفت بأمانتها كانت امتداداً طبيعياً لندوتين رائدتين : الندوة الأولى ونظمتها جامعة الملك عبد العزيز والندوة الثانية ونظمتها جامعة البترول والمعادن .

لقد تحقق الكثير من الإنجازات ليس فقط في مجال التوصيات وإنما أيضاً في مجال الأنشطة المشتركة وتبادل الخبرات . ورفع مستوى الأداء وتحقيق الكثير في مجال الرعاية والخدمات . وقبل كل هذا وبعده فقد أخذت العمادات مكانتها الجديرة بها على كل المستويات .

وفي جامعة الملك سعود التي عقدت فيها الندوة الثالثة كانت هناك التوصية الخاصة بتوحيد الهياكل التنظيمية واللوائح . وبخصوص هذه التوصية :

فقد تم إنجاز مشروعات لوائح محددة منها :

أ - اللائحة الموحدة لعمادات شؤون الطلاب .

ب - لائحة الهيكل التنظيمي .

ج - لائحة الإسكان الطلابي .

د - لائحة تشغيل الطلاب .

هـ - لائحة تأديب الطلاب .

وبشأن التوصية الخاصة بالوضع الوظيفي والمعاملة المالية للعاملين بالعمادات . وتنفيذ برامج تدريبية لهم :

شكلت لجنة تضم سعادة وكيل وزارة التعليم العالي وعمداء شؤون الطلاب ورفعت توصياتها لمعالى وزير التعليم العالي :

أ - توفير الامكانيات البشرية والمالية لقطاع الرعاية الطلابية وإعطاؤه أولوية على باقي القطاعات .

ب - تعزيز البند ٢٥٤ الخاص بالنشاط الثقافي والرياضي وتعميمه على جميع الجامعات .

ج - إصدار الإدارة العليا للجامعات توجيهاتها للكليات والمعاهد للتعاون مع عمادات شؤون الطلاب والمشاركة في أنشطتها لتحقيق رسالة الجامعة التربوية والتعليمية .

د - تقديم مكافأة مادية ومعنوية لكل عضو هيئة تدريس يشارك في النشاط الطلابي مع تخفيف العبء الأكاديمي عنه بما يتناسب مع مسؤوليته في النشاط .

هـ - معاملة العاملين في الأنشطة والرعاية الطلابية في الجامعات معاملة زملائهم في الرئاسة العامة لرعاية الشباب من حيث البدلات .

و - قيام تنسيق بين وزارة التعليم العالي وديوان الخدمة المدنية ومعهد الإدارة العامة لتدريب العاملين مع إيجاد حوافز لهم .

ز - قيام معالى وزير التعليم العالي باستصدار توجيهه من المقام السامى إلى وزارة المالية يدعم ميزانيات عمادات شؤون الطلاب والتجاوب مع طلباتها .

• وفي مجال التوصيف الوظيفي للعاملين بعمادات شؤون الطلاب ويشمل مسميات الوظائف والمراتب وواجبات كل وظيفة والشروط الواجب توافرها فيمن يشغل الوظيفة ورفع هذا التوصيف إلى ديوان الخدمة المدنية والجهات المسؤولة لإقراره :

في مجال . هذه التوصية الخاصة بالتوصيف : كلف الأمين العام للندوة لجنة من الأساتذة المتخصصين في الإدارة العامة بكلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود بإعداد دراسة حول الموضوع . وقد قامت اللجنة بالدراسة المطلوبة وقدمت تقريرها إلى الأمين العام الذي رفعه بدوره إلى أصحاب السعادة عمداء شؤون الطلاب مع استمارة التوصيف المقترحة .  
وفي حالة الموافقة على خطة العمل فإن الأمر يحتاج إلى قرابة العام . وإلى تعاون كل العمادات مع توفير الإمكانيات لتوفير المطلوب .

• وفي مجال الإعداد للندوة الرابعة فقد التقت كلمة الأمانة العامة على أن يكون الموضوع الرئيسي « الإسكان الطلابي : الواقع والتطلعات » تأكيداً لدور الرعاية الطلابية في تكوين شخصية الطالب الجامعي .

ويطيب لي بإسم الأمانة العامة للندوة الثالثة لعمادات شؤون الطلاب أن أشكر أصحاب المعالي مديري الجامعات ، وأشكر لمعالي وزير التعليم العالي الذي أناب عن معاليه سعادة الدكتور محمود محمد سفر وأتمنى أن يكون - كما عودنا - همزة وصل بيننا وبين معاليه . وأشكر أيضاً أصحاب السعادة وكلاء الجامعات وعمداء شؤون الطلاب لرعاية كريمة قدموها . ولتعاون كريم أظهره . كما يطيب لي أن أشكر إخواني العاملين بعمادات شؤون الطلاب بجامعات المملكة فقد كان لتعاونهم أثره الكريم في إنجاز ما تحقق .

ويطيب لي بإسم الأمانة العامة للندوة الثالثة أن أشكر الجامعة الإسلامية ممثلة في معالي الدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب الرئيس على كريم تفضله بأن جعل في يد الندوة حرية التصرف في البرنامج ، فأكثر الله خيره ونِعْمَده بأن نكون أمناء على هذا البرنامج : وأشكر لسعادة أخي عميد شؤون الطلاب والإخوة العاملين بالعمادة لاستضافتهم الكريمة للندوة الرابعة التي شرفها الله أن تكون في رحاب مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وأتمنى أن نوفق دائماً أبدأ للوصول إلى الأمثل . ونعاهد الله أن نكون أمناء على ما استرعانا الله إياه .

### هدية جامعة الملك سعود إلى الجامعة الإسلامية

وختم سعادته كلمته بتقديم هدية تذكارية للجامعة الإسلامية وقدمها بقوله :  
إن جامعة الملك سعود احتفلت في العام الماضي بمرور خمسة وعشرين عاماً على إنشائها وقد اختارت معلماً حضارياً من معالمها وهو برج مدينة الرياض . ويسعد عمادة شؤون الطلاب بجامعة الملك سعود أن تقدمه للجامعة الإسلامية ليشعرنا فقط بذكرى حضورنا لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
وأشكر مرة أخرى جميع الحضور وأتمنى أن نحظى بتأييدهم . سعادة الشيخ سعد السديري وكل الحضور ونعلق الآمال على الله . وعليهم أن لا يبخلوا علينا بالتوجيه وبالمؤازرة بالنسبة للمسؤولين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## كلمة عمادة شؤون الطلاب بالجامعة الإسلامية لفضيلة الشيخ عوض الشهري عميد شؤون الطلاب بالجامعة

ألقى فضيلة الشيخ عوض الشهري عميد شؤون الطلاب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم .. سعادة وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة . أصحاب الفضيلة والسعادة . أيها الحفل الكريم . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

فإنها فرصة سعيدة تتاح لنا في الجامعة الإسلامية إذ نلتقي بالإخوة المرين القائمين على شؤون الطلاب في جامعاتنا السعودية . فأهلاً وسهلاً ومرحباً بكم جميعاً . وحياكم الله في مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم مهد النور ومأرز الإيمان . وأشكر الله سبحانه الذي يسر هذا الاجتماع الذي أرجو أن يجعل من ثماره كل خير ونفع لجامعاتنا وأبنائنا الطلاب .

أيها الإخوة الأفاضل : لا يخفى عليكم أن البشرية اليوم تعاني من أزمت هذا العصر . والتي تزداد تعقيداً وإرهاقاً يوماً بعد يوم . لأن الفكر الذي يشكل الإنسان المعاصر يقوم على حضارات تحمل في أسها عناصر التحطيم والفناء . والمنهج التربوي العالمي بمعطياته الجاهلية يعيش بإنسان هذا العصر في حلقة مفرغة . يذهب حياته وجهده في الضياع ويدمر في كيانه أمنه الذاتي مما يجعل المسؤولية الملقاة على كواهل المرين وأهل الفكر في جامعاتنا مسؤولية جسيمة . أنها مسؤولية إعادة المركب الذي تقاذفته الرياح والأمواج إلى شاطئ الأمن والسلام .

أيها الإخوة : إن عملية الإشراف على الطلاب تتطلب أمرين لا يجوز التفريط في احدهما :

**الأمر الأول :** العمل على توفير كل ما يريح الطالب . ويهيئ له الجو المناسب لتحصيله العلمي من سكن وغذاء ورعاية ونشاط . وأعتقد أن جامعاتنا خطت فيه خطوات إيجابية . والتفكير في تطويره واستمراره مستمر ومتواصل .

**الأمر الثاني :** وهو ما ينبغي أن يكون محل العناية الفائقة من الجامعات بصفة عامة ومن عمادات شؤون الطلاب بصفة خاصة - وهو كذلك إن شاء الله - وهو الجانب التربوي والثقافي المتصل بالنواحي الروحية والعلمية . ووضع الخطط الناجحة والبرامج المعطاءة في سبيل إعداد الطالب إعداداً يجعله صاحب رسالة ورجل دعوة متبصراً بالنور الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وتجعله في الوقت نفسه متطهر الفكر والضمير من كل ما يدنسه .

وهذا الأمر من الخطورة بمكان . وهو ما حدا بالإخوة في عمادات شؤون الطلاب أن يعملوا على الإلتقاء في مثل هذا الاجتماع حتى تؤخذ الجهود وتكرس في سبيل الوصول بشباب جامعاتنا إلى الأهداف المرجوة منهم إن شاء الله خاصة وأن شباب هذه البلاد وشباب الجامعات مستهدفون من الشرق والغرب بفضل ما يحظون به ويلقونه من رعاية وتربية سليمة .

وكل الإخوة بفضل الله يدركون أن السبيل الوحيد إلى ذلك إنما هو التربية وفق شريعتنا الغراء التي تقوم على النور الذي بُعث به محمد صلى الله عليه وسلم . ثم غرس هذا النور في نفوس هؤلاء الشباب حتى يُعطى لحياتهم وسعيهم جدوى وكدحهم في الطلب أملاً ورغبة في الخير .  
هذا وختاماً أتوجه بالشكر لمقام وزارة التعليم العالي التي تشجع على إقامة مثل هذه الندوة .  
ولديري الجامعات الذين يولون هذه الندوة كل عناية وتقدير داعياً الله سبحانه أن يكمل جهود الجميع بالنجاح وأن يجعلنا عند حسن ظنهم .

وأقدم بأسمى آيات الشكر لسعادة وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة فجزاه الله خيراً .  
كما أتقدم بالشكر لكل من شارك في هذه الندوة أو أعدّها لها . وأخص بالذكر الإخوة الأفاضل عمداء ومسؤولي شؤون الطلاب في جامعاتنا والذين يبذلون جهوداً مضيئة لتوفير كل أسباب الرعاية والراحة لأبنائهم الطلاب فجزى الله الجميع الخير وسدّد خطانا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## كَلِمَةُ سَعَادَةِ وَكَيْلِ وَزَارَةِ التَّعْلِيمِ العَالِي

ثم ألقى سعادة وكيل وزارة التعليم العالي الدكتور محمود محمد سفر الكلمة التالية في حفل افتتاح الندوة الرابعة لعمادة شؤون الطلاب في الجامعة الإسلامية .  
بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العرب والعجم :

أيها الإخوة الأعزاء :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

انه لمن دواعي سروري وغبطتي أن أكون بينكم اليوم في هذا اللقاء الذي يأتي كواحد من سلسلة لقاءات ممتدة أثمرت بحمد الله وسوف تثمر - بإذن الله - مزيداً من الانجازات في مسيرة جامعاتنا الفتية . تلك الانجازات التي تأتي متناسقة ومتكاملة مع الجهد البارز والبذل اللامحدود لحكومة جلالة الملك المعظم في سبيل العناية بالإنسان الذي هو أغلى وأعز ثرواتنا والذي نبدأ به جميع خططنا ونصل به إلى طموحاتنا وإليه تنتهي تلك الخطط والطموحات .

وخصوصية عناية عمادات شؤون الطلاب برعاية الطالب خلال دراسته الجامعية - عقائدياً وتربوياً واجتماعياً وثقافياً ورياضياً في السكن والفصل والعمل والمكتبة إنما يضع عليها عبئاً ضخماً ومسئولية كبيرة لا أشك أنكم كعمداء لهذا القطاع الهام تستشعرونها وتعملون على القيام بها بكل ما تملكون من طاقة وما يتوفر لكم من امكانيات .. وهي مسئولية كبيرة لأنها تتعلق برعاية وتنمية تلك الثروة البشرية اللامحدودة والتي اذا ما أحسن إعدادها وتعليمها ورعايتها فإنها ستكون بإذن الله وقوته زاداً لمسيرة الخير والنماء وقوة دفع لها على طريق الحق والرشاد .

أيها الاخوة الزملاء ، عمداً ، شئون الطلاب :

إن مسؤوليتكم كبيرة لأنها تتولى رعاية النشء ، والعناية به في أدق مراحل عمره - تلك المرحلة الحرجة التي تتبلور فيها شخصيته ويتم فيها تكوينه العلمي والثقافي والاجتماعي ليخرج لمجتمعه إنساناً مسلماً ملتزماً متخصصاً ومؤهلاً ليواجه الحياة ومعتزكها بإيمان وعلم وعزم وتصميم .

من هنا أيضاً كان من المحتم والضروري أن تتكامل في تلك المرحلة كل من الأنشطة الصفية والأنشطة اللا صفية وأن يمتزج التكوين العلمي مع التكوين الاجتماعي والثقافي والرياضي لبناء إنسان متزن وملتزم مدعم بقيم الحق والخير ومسلح بسلاح العلم النافع والإيمان الصافي ومؤهل لقيادة تطور مجتمعه وتطوير أمته التي تتطلع إليه بأمل وشوق .

أيها الأخوة الزملاء :

إن الموضوع الذي تجتمعون من أجله هو « الإسكان » وهو موضوع ذو أهمية خاصة وأبعاد كبيرة فبعد نجاح تجربة الإسكان الجامعي في جامعاتنا اتسعت دائرته وتشعبت قضاياها وتكونت لدى المسؤولين عنه حصيلة كبيرة من الخبرة والممارسة . وطرحه بجميع أبعاده على طاولة البحث والنقاش بتخصيص هذه الندوة جاء في الوقت المناسب وله دلالاته الايجابية بدون شك لأن تبادل الخبرة بين الجامعات في أمر الإسكان الجامعي والتشاور في ما قد يعترضه من قضايا لهو بادرة جيدة تعبر عن طموحاتكم للوصول بهذه الخدمة الى المستوى الذي تتطلع اليه لأن الفترة التي يقضيها الطلاب في الإسكان الجامعي خلال الدراسة تترك أثرها في حياتهم وتظل ملتصقة بأذهانهم بعد تخرجهم بما تحمله من ذكريات ومواقف .

إن اجتماعنا أيها الأخوة اليوم إنما هو تعبير صادق وأكد عن مدى إصرار جامعاتنا المتنامي والمتجدد والنابع من رغبة حكومة جلالة الملك المعظم على توفير الرعاية وأسباب الطمأنينة لشباب الجامعات بنوعيه وهي فرصة مناسبة لمراجعة كافة التجارب والنظر فيما وصلنا إليه وما نطمح في الوصول إليه .

وانى لعلى ثقة ويقين من أن استمرار هذه اللقاءات وامتدادها كفيلاً بأن يصل بحول الله بالخدمات الطلابية الى المستوى الذي تتطلعون اليه وتحلمون به ولن يتحقق ذلك إلا بالعزم والاخلاص والمثابرة التي وهبها الله لكم .

وانى اذ أدعو الله أن يتم أعمال ندوتكم هذه بالنجاح والسؤدد . أسأله وهو العلى القدير لكم التوفيق والسداد في كافة ما تخططون له وتعملون على تنفيذه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...



# كلمة وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة

ثم كانت الكلمة التالية لسعادة الشيخ سعد الناصر السديري وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة ألقاها في حفل الافتتاح للندوة الرابعة لعمادات شئون الطلاب بجامعة المملكة :

بسم الله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله ومن وآله ..

أيها الأخوة الأعزاء أرحب بكم أجمل ترحيب بالمدينة المنورة مثوى المصطفى صلى الله عليه وسلم .. أرحب بكم في رحاب الجامعة الإسلامية : هذه الجامعة التي نفتخر بها ، وتعد من منارات العلم التي وفقت حكومتنا الرشيدة بإنشائها في هذا البلد الطاهر بالذات : لخدمة الدين الإسلامي ولتكون منارة لأبناء الأمة الإسلامية . يعبون منها العلم النافع ويتفقهون في دينهم لينشروه في أصقاع المعمورة .

أيها الاخوة نحیی إجتماعكم هذا المبارك فأنتم تساهمون بإقامة وصقل القاعدة من الكفاءات الوطنية في مختلف التخصصات التي يبنى عليها مستقبل بلادنا الزاهر . إن الجامعات السعودية خطت خطوات كبيرة وتساوت ان لم تكن قد تجاوزت بعض الجامعات العربية التي سبقتها ومحل الفخر أن الكفاءات السعودية التي حصلت على الشهادات العليا أصبحت تشكل نسبة كبيرة في هيئة التدريس .

وهذا ناتج من التخطيط السليم فقد بدأ هذا التخطيط منذ انشاء أول وزارة للمعارف كان وزيرها جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله فقد بدأ يخطط لهذه النهضة العلمية الجبارة التي وصلت إليها بلادنا الغالية وسوف تزداد نمواً وشموخاً في المستقبل .

أيها الأخوة على هممكم ونشاطكم ومثابرتكم يكون النهج المستقبلي للعلم النافع من إطار دستور هذه البلاد الشريعة الإسلامية ومن قيمنا المتوازنة التي سيكون نجاحنا مضمون ما دمنا نسير في مضمار ذلك . سدد الله خطاكم وجعل المولى التوفيق حليفكم والله يبرعكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

## أعمال الندوة وتوصياتها

بعد الانتهاء من حفل الافتتاح في مساء اليوم الأول الاثنين والذي عرضنا وقائعه والكلمات التي قيلت فيه توجه المشاركون في أعمال هذه الندوة لحضور حفل العشاء الذي أقامته الجامعة الإسلامية تكريماً لهم .

وفي الأيام التالية تابعت الندوة أعمالها إذ كونت أربع لجان عمل تابعت أعمالها للبحث في الموضوع الذي خصص لها ، وكان تشكيل اللجان على الوجه التالي :

- ١ - اللجنة الأولى لدراسة أهداف وأسس الإسكان الطلابي .
- ٢ - اللجنة الثانية لدراسة واقع الإسكان الطلابي وتطلعاته .

٣ - اللجنة الثالثة لدراسة أثر الإسكان في بناء شخصية الطالب .

٤ - اللجنة الرابعة لدراسة إسكان المتزوجين .

وتابعت هذه اللجان أعمالها في جلسات صباحية ومساءً على امتداد يومي الثلاثاء والأربعاء .  
واختتمت اللجان أعمالها في حفل ختامي تكريمي في تمام الساعة العاشرة من مساء يوم الأربعاء . سبقه اجتماع موسع للجنة الصياغة التي كتبت التوصيات التي أصدرتها الندوة الرابعة بعد مناقشتها وإقرارها .

وقد استهل حفل الاختتام بتلاوة آيات من الذكر الحكيم ثم أعقبها كلمة شكر وتقدير للمشاركين في أعمال هذه الندوة ألقاها فضيلة الشيخ عوض الشهري عميد شؤون الطلاب بالجامعة الإسلامية . ثم ألقى سعادة الدكتور محمد ناصر الوهبي عميد شؤون الطلاب بجامعة الملك سعود والأمين السابق للندوة كلمة المشاركين في هذه الندوة ثم قرأ سعادة الدكتور خالد العجمي عميد شؤون الطلاب بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية قرأ التوصيات التي انتهت إليها الندوة في لقائها الرابع .  
ثم كانت كلمة ختامية للدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب رئيس الجامعة الإسلامية بهذه المناسبة شكر فيها العمداء الذين أسسوا لهذه الندوة والذين يمارسون هذه المهام ولوكلائهم وعمدائهم وأكد على أهمية الدور الذي تقوم به عمادات شؤون الطلاب في مجال رعاية الطلاب وتربيتهم وتوجيههم التربوي الإسلامي القويم .

ثم ألقى فضيلة الشيخ صالح بن سعود العلي مدير المعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلمة بهذه المناسبة أشاد فيها بالدور الهام الذي تقوم به عمادات شؤون الطلاب في جامعات المملكة كما شكر الجامعة الإسلامية على ما لقيه المشاركون في الندوة من كرم الضيافة الذي لا يستطيع التعبير أن يوفيه حقه مستشهداً بقول المتنبي :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال  
وفي الختام قدمت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية هدية ثقافية للجامعة الإسلامية وهي عبارة عن مجموعة من مطبوعات جامعة الإمام .

## توصيات الندوة الرابعة لعمادات شؤون الطلاب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أعلنت الندوة الرابعة لعمادات شؤون الطلاب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التوصيات والقرارات بعد اجتماع اللجان الفرعية المختصة بالنظر في الموضوعات . وقد اشتملت هذه التوصيات على :

أ - توصيات عامة

ب - وتوصيات اللجان الأربعة الفرعية على النحو التالي :

## أولاً : التوصيات العامة :

- ١ - تشكيل مكتب دائم لمتابعة توصيات ندوات عمادات شؤون الطلاب والعمل على تنفيذها .  
وتضع له الأمانة العامة للندوة لائحته التنفيذية .
- ٢ - الأخذ بعين الاعتبار ما انتهت اليه الأمانة العامة للندوة الثالثة من مشروعات لتوحيد اللوائح والهيكل التنظيمية في عمادات شؤون الطلاب .
- ٣ - قيام الأمانة العامة بتشكيل لجنة لبحث الإسكان الطلابي في المدن الجامعية بجامعات المملكة للتوصل الى تحقيق أفضل السبل لتطبيق ما جاء في توصيات هذا اللقاء .
- ٤ - قيام الأمانة العامة بترتيب برنامج لتبادل الزيارات والخبرات للمسؤولين والعاملين بعمادات شؤون الطلاب .
- ٥ - قيام الأمانة العامة للندوة بالتنسيق مع ديوان الخدمة المدنية ووزارة المالية لتصنيف كادر خصوصي موحد لمن يقومون بالاشراف على الوحدات السكنية مع توحيد المعاملة المالية لهم .
- ٦ - توحيد جهاز التعليم الجامعي للطالبات والاشراف على رعايتهن في جهة موحدة توفر لها الطاقات والامكانيات المناسبة ، وذلك في ضوء معاينة عمادات شؤون الطلاب لمشكلات إسكان الطالبات .
- ٧ - عقد لقاء خاص للأخوات المسؤولات عن شؤون الطالبات بجامعات المملكة وذلك لدراسة شؤون الطالبات ، ورفع توصياتهن للأمانة العامة للندوة لاتخاذ ما تراه بشأنها .
- ٨ - التأكيد على الأمانة العامة بالاستمرار في تنفيذ توصيات اللقاءات الثلاثة السابقة وتذليل الصعوبات التي تعترض ذلك .
- ٩ - توجيه الشكر لجامعة الملك سعود وعمادة شؤون الطلاب فيها للنهوض بأعباء الندوة الثالثة ومتابعة توصياتها .
- ١٠ - توجيه الشكر للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وعمادة شؤون الطلاب فيها لاستضافتهم الكريمة . وحسن إعدادهم للندوة الرابعة في رحاب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ١١ - قبول الدعوة الموجهة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لاستضافة اللقاء الخامس بها ، وتقديم الشكر على هذه المبادرة لمعالى مدير الجامعة وسعادة عميد شؤون طلابها .
- ١٢ - اسناد مهام الأمانة العامة للندوة لعمادة شؤون الطلاب بالجامعة الإسلامية ويكون عميد شؤون الطلاب بها أميناً عاماً لحين اللقاء الخامس ، وتمنى الندوة للأمانة العامة كل توفيق في مهمتها .
- ١٣ - رفع توصيات هذا اللقاء الى معالى وزير التعليم العالى والرئيس الأعلى للجامعات والى أصحاب المعالى مديري الجامعات والى الجهات ذات العلاقة .

## ثانيا : توصيات اللجان الفرعية

### ( توصيات اللجنة الأولى ) : أهداف وأسس الإسكان الطلابي

#### أ - أهداف الإسكان :

- ١ - تحقيق مجتمع إسلامي متكامل لأبنائنا الطلاب وترسخ فيه عقيدة الإسلام . وتسود فيه قيمه الرفيعة . وتذوب فيه الحواجز العرقية والأقليمية .
- ٢ - بناء شخصية الطالب المتكاملة وتدريبه على تحمل المسؤولية والأعمال القيادية . وتعويده على الانضباط .
- ٣ - تدريب الطلاب على المشاركة والاندماج في حياة اجتماعية سليمة تؤهلهم لخدمة دينهم ومجتمعهم .
- ٤ - التعرف على مشكلات الطلاب والعمل على ايجاد الحلول المناسبة لها .
- ٥ - تأمين الإقامة المريحة للطلاب وتهيئة المناخ الملائم لهم لزيادة تحصيلهم العلمي .
- ٦ - توفير الرعاية الصحية والنفسية للطلاب والعناية ببرامج الترويح الهادفة لهم .

#### ب - أسس الإسكان الطلابي :

- ١ - مباني الإسكان ومرافقه :
- أ - انشاء مدن جامعية تتوفر فيها كافة الأسس السليمة التي تحقق أهداف الإسكان الطلابي .
- ب - الأهتمام بتوفير المرافق الأساسية في المدن الجامعية ( المساجد - الأندية الثقافية - الملاعب - مراكز الهوايات - السوق التجارية ) .. فذلك يعين على تحقيق دور الإسكان في بناء الشخصية المتكاملة للطلاب .
- ٢ - الاشراف والتوجيه :

- أ - توفير العدد الكافي من المشرفين المتخصصين في مجالات الرعاية الطلابية .
- ب - الاستعانة بالموجهين الأكفاء الذين يتوفر لديهم الاستعداد على توجيه الطلاب ومعايشتهم وبخاصة الطلاب الوافدين .

- ج - اتاحة الفرصة لمشاركة الطلاب في أعمال الاشراف والادارة .

#### ٣ - الرعاية الطلابية :

- الاهتمام بتوفير الرعاية والأنشطة الطلابية الاجتماعية . وثقافية . ورياضية . وترويحية . لتحقيق الأهداف التربوية وتنمية المواهب وتقويم السلوك .

#### ( اللجنة الثانية ) واقع الإسكان الطلابي وتطلعاته :

- ١ - مشاركة المسؤولين في العمادات في جميع مراحل التخطيط للمدن السكنية للطلاب .
- ٢ - الإسراع في إقامة المدن الجامعية المتكاملة بجميع الجامعات تحقيقاً لتوصيات الندوات السابقة .

- ٣ - مراعاة ألا تزيد أذوار الوحدات السكنية عن ثلاثة أذوار وألا يزيد ساكنوها عن مائة طالب مع توفير عوامل السلامة والأمان .
- ٤ - الوفاء بالاحتياجات الأساسية للمدن الجامعية بتوفير المرافق الأساسية ( المساجد - المكتبات - المطاعم - صالات الترويح - الأندية الثقافية - مراكز الهوايات - مواقف السيارات - المراكز التجارية ) .
- ٥ - اتباع نظام الجناح أو الشقة في إسكان الطلاب بحيث تضم الشقة ثلاث أو أربع أو خمس غرف تحقق الاستقلال في النوم مع الخدمات المشتركة ( صالة للمذاكرة ، المرافق ) .
- ٦ - مراعاة ألا يزيد عدد الطلاب الذين يشرف عليهم المشرف الاجتماعي بالوحدة السكنية أثناء مناوبته عن مائة طالب .

#### ( اللجنة الثالثة ) أثر الإسكان في بناء شخصية الطالب :

- ١ - الحرص على رسالة المسجد التربوية في المدن الجامعية ، وارتباط الطلاب به بحسن اختيار الأئمة لإقامة الجمعة والجماعة والعناية بالقرآن الكريم ( تلاوة ، وتجويداً ، وحفظاً - والسنة المطهرة وسائر العلوم الإسلامية ) .
- ٢ - تنظيم برامج تدريبية لتكوين القيادات الطلابية وتحقيق مشاركة الطلاب في إدارة مدنها الجامعية ووحداتهم السكنية ، مع إيجاد الحوافز عن طريق نظام تشغيل الطلاب .
- ٣ - التأكيد على أهمية الدور التربوي الذي ينهض به المشرف في مجتمع الإسكان الجامعي باعتباره دوراً مماثلاً للدور الذي يجب أن تنهض به الأسرة مع تهيئة الظروف المعينة للمشرف على تأدية رسالته .
- ٤ - تنسيق الأنشطة بالإسكان الجامعي ضمن خطة النشاط العامة بما يتفق مع طبيعة الإقامة بالإسكان .
- ٥ - تأكيد ما سبقت التوصية به من العناية باختيار المشرفين المؤهلين الذين تكون لديهم الخبرة والقدرة على التوجيه والعطاء من خلال الإدارة البصيرة والقدوة الحسنة ومعالجة ما قد يظهر من سلبيات وسط التجمع الطلابي .
- ٦ - وضع ضوابط سلوكية من خلال لوائح ونظم الإسكان ترعى السلوك القويم وتحافظ على سلامة المظهر العام كما تتناول وسائل تأديبية لردع المخالفين .

#### ( اللجنة الرابعة ) إسكان المتزوجين :

- ١ - اعتبار إسكان الطلاب المتزوجين هدفاً تسعى إليه العمدات تحقيقاً للاستقرار النفسي للطلاب وتشجيعاً لهم على الزواج المبكر .
- ٢ - ضرورة اشتغال كل المخططات العامة للمدن الجامعية على مساكن للطلاب المتزوجين تضم المنشآت الضرورية ( المسجد - المدرسة الابتدائية - العيادة الطبية ) .
- ٣ - توفير الاشراف والرعاية المتكاملة للطلاب وأسراهم .

- ٤ - صرف بدل تغذية للطلاب المتزوجين لا يقل عن ٥٠٠ ريال شهرياً .
- ٥ - زيادة بدل السكن للطلاب المتزوج إلى ١٨٠٠٠ ريال سنوياً .
- ٦ - تسهيل إجراءات استخدام زوجات طلاب المنح وتيسير إجراءات صرف إعانة السكن لهم .

## قرار بالتشكيل الجديد للمجلس العلمي للجامعة الإسلامية وتعريف بصلاحياته وإنجازاته ومشروعاته المستقبلية

صدر مؤخراً قرار من فضيلة الدكتور عبد الله الصالح العبيد نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالتشكيل الجديد للمجلس العلمي للجامعة . وقد أسندت رئاسة هذا المجلس إلى صاحب الفضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد ، وهو أقدم أستاذ في الجامعة الإسلامية . وذو كفاءة علمية نادرة وخبرة واسعة في شؤون البحث العلمي في مختلف مجالات الدراسات الإسلامية والعربية . وتولى فضيلته منصب نائب رئيس الجامعة فترة من الزمن . وقد ضم المجلس في ظل هذا التشكيل الجديد كلاً من أصحاب الفضيلة :

- ١ - فضيلة الدكتور عبد العزيز القاري عميد كلية القرآن الكريم .
  - ٢ - فضيلة الدكتور أحمد عطية الغامدي عميد كلية الدعوة وأصول الدين .
  - ٣ - فضيلة الدكتور أكرم ضياء العمري الأستاذ بقسم الدراسات العليا .
  - ٤ - فضيلة الدكتور ربيع هادي مدخلي الأستاذ المساعد بكلية الحديث .
  - ٥ - فضيلة الدكتور عبد العظيم الشناوي الأستاذ بكلية اللغة العربية .
  - ٦ - فضيلة الدكتور عبد الله الفنيان الأستاذ المشارك في الجامعة .
- هذا والمجلس العلمي أحد المجالس المتخصصة وقد أنشئ بموجب نص المادة ٣٠ من نظام الجامعة الصادر بالمرسوم الملكي رقم م / ٧٠ في ١٣٩٥/٨/٧ هـ .
- وقد حددت اللائحة اختصاصاته فيما يلي :
- ١ - وضع السياسة التي يسير عليها المجلس في إعداد البحوث العلمية والتأليف والترجمة وتجميع التراث الإسلامي وتوفير العناية بحفظه وتحقيقه ونشره .
  - ٢ - تنظيم القيام بهذه الأعمال وتوجيهها بما يحقق أهداف الجامعة منها والإشراف عليها ووضع قواعد تشجيعها وإعداد الخطط والبرامج لتنفيذها ومتابعتها وتيسير سبل التنفيذ .
  - ٣ - اقتراح إنشاء مراكز البحث العلمي والتنسيق بينها والإشراف عليها ومتابعة جهودها وتوجيهها .
  - ٤ - تنظيم الصلة مع مراكز البحوث المختلفة خارج الجامعة والتعاون معها في المجالات العلمية في إطار أهداف الجامعة .

- ٥ - تحديد المكافآت التشجيعية والتقديرية على الأعمال العلمية .
- ٦ - نشر ما يرى نشره من بحوث ومؤلفات وكتب مترجمة وإصدار المجلات التي تخدم أغراضه .
- ٧ - التوصية بإنشاء الجمعيات العلمية ومتاحف التراث الإسلامي والتنسيق بينها .
- ٨ - التوصية بأن تتبنى الجامعة عقد مؤتمرات وندوات علمية محلية أو إقليمية أو عالمية والمشاركة في تنظيمها وأعمالها .
- ٩ - وضع القواعد المنظمة لاتصال أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ومن في حكمهم بالهيئات والمؤسسات العلمية لتشجيعهم على ذلك ، ولتنظيم مشاركتهم في المؤتمرات والندوات العلمية داخل المملكة وخارجها .
- ١٠ - اقتراح الميزانية السنوية للمجلس .
- ١١ - تقديم تقرير سنوي شامل عن أعمال المجلس إلى رئيس الجامعة في موعد لا يتجاوز الشهر الثاني من انتهاء العام الدراسي .
- أهم الإنجازات السابقة للمجلس العلمي :
- بدأ المجلس أعماله بعد استكمال تشكيله وتحديد اختصاصاته منذ عام ١٣٩٩ / ١٤٠٠ هـ . وتمت له خلال المدة الوجيزة الإنجازات الآتية :
- في مجال البحوث العلمية والتأليف بلغ عدد الكتب والرسائل التي نظر فيها المجلس نحواً من أربعين كتاباً ورسالة ونشرة قدمها أعضاء هيئة التدريس بالجامعة وغيرهم . وأجاز منها ما رآه موافقاً للمستوى المطلوب في ضوء المقاييس العلمية الجامعية .
  - وقد تم طبع الكتب والرسائل العلمية الآتية :
  - ١ - أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - لمحمد بن الحسن بن زباله - المتوفي عام ١٩٩ هـ .
  - ٢ - الضعفاء - لأبي زرعة الرازي .
  - ٣ - البيهقي وموقفه من الإلهيات .
  - ٤ - كتاب الإيمان لابن مندة .
  - ٥ - مرويات غزوة بنى المصطلق
  - وقد أحال المجلس الكتب الآتية للطبع وهي :
  - ١ - كتاب الطبقات لابن سعد - قطعة كبيرة متعلقة بتراجم أهل المدينة ينشر لأول مرة .
  - ٢ - سؤالات الأجرى لأبي داود السجستاني .
  - وهناك سبعة كتب أخرى تحت الطبع .
  - وقرر إحالة بعض ما وصله من كتب ومؤلفات لعدد من الخبراء المختصين لدراساتها وكتابة تقارير عن صلاحيتها للنشر من حيث اتصافها بالأصالة والابتكار . وتحقيقها لأهداف الجامعة أو عدم صلاحيتها .

ومن انجازات المجلس العلمي في دوراته السابقة دراسة التقويم القمري الموحد الذي أعدته لجنة انعقدت في اسطنبول .

كما أوصت باستخدام الحرف العربي في كتابة اللغات الإفريقية بناء على المذكرة الواردة إلى الجامعة الإسلامية من رابطة العالم الإسلامي . وكلف المجلس بتقديم دراسة حول هذا الموضوع .  
كما قرر البدء في تحقيق مخطوط اتحاف المهرة بأطراف العشرة - للحافظ ابن حجر العسقلاني .  
هذا . والمأمول من المجلس العلمي - بعون الله وتوفيقه - بعد صدور القرار بتشكيله الجديد أن يحقق كثيراً من الإنجازات في مجال البحث العلمي سواء في مجال التأليف أو التحقيق أو الترجمة مما يعمل على تزويد المكتبة العربية والإسلامية بروائع الذخائر في مختلف مجالات المعرفة التي تخدم رسالة الإسلام .

## إنشاء شبكة تلفزيونية مغلقة في قاعة المحاضرات بالجامعة الإسلامية

يجري العمل حالياً في تركيب شبكة تلفزيونية حديثة مغلقة في قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، حيث من المتوقع أن تقوم هذه الشبكة بعد الانتهاء من تجهيزها بتسجيل جميع أوجه النشاط المختلفة والتي تتم داخل القاعة من عقد الندوات ، وإلقاء المحاضرات ، وإقامة المحاضرات ومناقشة الرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراه .  
ويمكن عن طريق هذه الشبكة إعادة عرض المواد المسجلة عن هذه النشاطات على طلبة الجامعة وزوارها .

هذا ويقوم المركز الدولي للإلكترونيات بتركيب أجهزة هذه الشبكة كما يقوم نفس المركز بأعمال الصيانة لإدارة هذه الشبكة لمدة عام تتم خلاله عملية وإعداد الفنيين اللازمين لإدارة وصيانة وتشغيل هذه الشبكة من داخل الجامعة .

## نشاط علمي وثقافي

شهدت قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة نشاطاً علمياً وثقافياً متعدد الجوانب في خدمة أهداف الجامعة وتحقيق رسالتها .

ففي مجال النشاط العلمي نوقشت خلال هذه الفترة مجموعة كبيرة من الرسائل العلمية من قسم الدراسات العليا للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه ومن ذلك :

١ - رسالة ماجستير موضوعها : تأثير القرآن في دراسة اللغة العربية في القرون الثلاثة الأولى .  
قدمها الطالب السعودي الجنسية عبد الرحمن محمد سعد الحجيلي ونوقشت يوم الاثنين ١٤٠٣/١ هـ .



- ٢ - رسالة ماجستير موضوعها : منهج لتصنيف موسوعة حديثة . قدمها الطالب عبد القادر أحمد عبد القادر مصري الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/٨٠ هـ .
- ٣ - رسالة ماجستير موضوعها : فواتح السور في القرآن الكريم . قدمها الطالب فاروق حسين محمد أمين مصري الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/٨١ هـ .
- ٤ - رسالة ماجستير موضوعها : أحكام الغنيمة والفيء في الشريعة الإسلامية . قدمها الطالب عوض هلال العمري سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/٨٣ هـ .
- ٥ - رسالة ماجستير موضوعها : أحاديث الهجرة . جمع ودراسة وتحقيق قدمها الطالب سليمان بن علي السعود . سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/٨٧ هـ .
- ٦ - رسالة ماجستير موضوعها : سعيد بن جبير ومروياته في التفسير . قدمها الطالب محمد أيوب محمد يوسف . سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/٨٨ هـ .
- ٧ - رسالة دكتوراه موضوعها : الحكم ذو الكفاية . قدمها الطالب عبد الله عمر محمد الأمين الشنقيطي سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/٢٣ هـ .
- ٨ - رسالة ماجستير موضوعها : المطلق والمقيد وأثرها في اختلاف الفقهاء . قدمها الطالب حمد حمدي الصاعدي سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/٢٤ هـ .
- ٩ - رسالة ماجستير موضوعها : أحكام العدة في الفقه الإسلامي . قدمها الطالب سامي محمد حسن ديولي . سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/٢٧ هـ .
- ١٠ - رسالة ماجستير موضوعها : الإجماع حقيقته وحجته وإمكانه . قدمها الطالب فواز بن فراغ الحمادي سعودي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/٢٨ هـ .
- ١١ - رسالة ماجستير موضوعها : الدعوة الإسلامية في مواجهة التبشير بأندونيسيا . قدمها الطالب مسعودي سلطاني أندونيسي الجنسية ونوقشت يوم ١٤٠٣/٢٤ هـ .
- ١٢ - رسالة ماجستير موضوعها : ( دور العلماء والدعوة الإسلامية في نيجيريا في العصر الحاضر ) قدمها الطالب عبد الحفيظ أحمد قلورنشو ونوقشت يوم ١٤٠٣/٣٨ هـ .

### ٦٨٠ منحة دراسية هذا العام

تم في هذا العام اعتماد وقبول ٦٨٠ طالبا من جميع أقطار العالم الإسلامي والأقليات المسلمة في بعض الدول غير الإسلامية في الجامعة للعام الجامعي ١٤٠٢ هـ / ١٤٠٣ هـ .  
ويأتي ذلك في إطار جهود الجامعة المستمرة لنشر الدعوة الإسلامية في جميع أقطار العالم وفتح المجال أمام أبناء المسلمين لتلقي تعاليم الإسلام .

صياغة: الشيخ محمد صالح

# محتويات العدد

الموضوع ..... الصفحة

- قبس من كتاب الله .....  
— من نور النبوة .....  
— حكمة العدد .....  
— كلمة التحرير وحدة الأمة هي طريق  
الخلاص .....  
دكتور على ناصر الفقيهي ..... ١٣

## التفسير وأصوله

- أصول المفسد في الأرض .....  
للشيخ أبي بكر الجزائري ..... ٢١

## الحديث وأصوله

- الرواة الذين كانوا بأبي زرعة .....  
د. سعدى الهاشمي ..... ٢٩  
— صلاة المسافر .....  
د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ..... ٧١

## العقيدة

- مسلك القرآن في إثبات الوجدانية د. على ناصر الفقيهي ..... ٩٥  
— مفهوم الأسماء والصفات .....  
للشيخ سعد ندا ..... ١١٥

## الفقه وأصوله

- رخصة الفطر في سفر رمضان وما يترتب عليها  
من آثار .....  
د. أحمد طه ريان ..... ١٢٧  
— نظام الاثبات في الفقه الاسلامي  
(دراسة مقارنة) .....  
د. عوض عبد الله أبو بكر ..... ١٤٦

### ثقافة إسلامية

- ثغرات في المنهج الثانوى لتدريس القرآن والحديث والأدب  
للشيخ محمد المجذوب ..... ١٥٥
- تحريفات اليسوعيين لكتب التراث للشيخ محمد شريف الزبيق ..... ١٦٣
- الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية د. محمد نعش ..... ١٧٣
- الخبيثة أم الخبائث للشيخ عبد الفتاح عشاوى ..... ١٨٢

### سيرة وتاريخ

- السلطان الغازى أبو الفتح محمد الثانى د. محمد حرب ..... ٢١٥
- البيئة وأثرها في حياة السيدة خديجة رضى الله عنها  
للشيخ إبراهيم الجمل ..... ٢٢٢

### لغة وأدب

- ظاهرة التقارض في النحو العربى د. أحمد محمد عبد الله ..... ٢٣٣
- رسائل لم يحملها البريد للشيخ عبد الرؤوف اللبدي ..... ٢٥١
- النقد الأدبى ومقاييسه خلال عهد الرسول وعصر الخلافة الراشدة  
د. محمد عارف حسين ..... ٢٧٣
- قل ولا تقل للشيخ ضياء الدين الصابونى ..... ٢٨٨
- من تراثنا الشعرى لحسان بن ثابت يرثى النبى ﷺ ..... ٢٩٣
- شاطيء الأحزان (شعر) للشاعر المهاجر ..... ٢٩٤
- خلص عبادك ربنا (شعر) د. إبراهيم حسن ..... ٢٩٦

# محتويات العدد

الموضوع ..... الصفحة

## جولات عالمية

— في المشرق والمغرب د. عبد الله أحمد قادري ..... ٢٩٩

## بحوث طيبة

— السمع من آيات الله في أنفسنا د. فوزى أحمد سلام ..... ٣١٩

## من أعماق الكتب

— التبيان في أقسام القرآن للامام ابن القيم الجوزية ..... ٣٣١

## الفتاوى

— سئل شيخ الاسلام ..... ٣٣٥

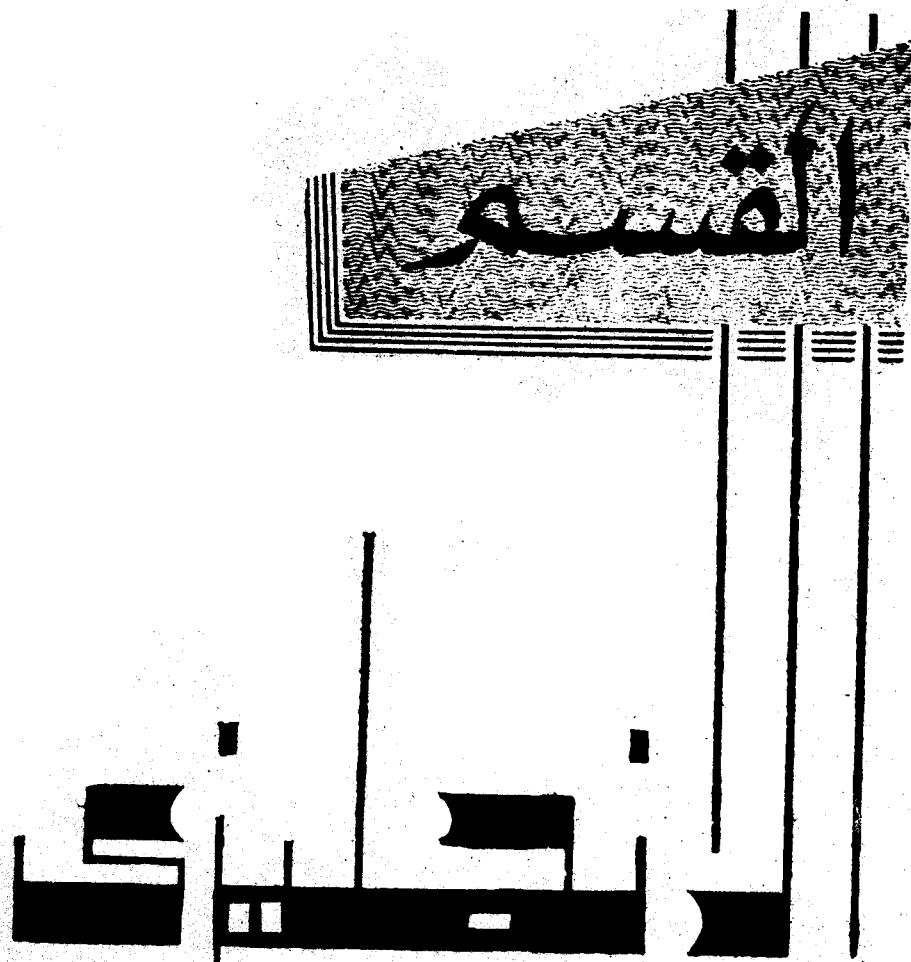
## مختارات من الصحف

— وإسلاماه ..... ٣٤١

— أخبار الجامعة ..... ٣٤٥

— الفهرس ..... ٣٦٢

— القسم الانجليزي ..... ٣٦٥





careful to report Hadith in the **same** words as they had heard from the Prophet except where the wording was forgotten. In the latter case some of the Prophet's Companions took the **liberty** of transmission according to meaning with due acknowledgment that the text was not the same pronounced by the Prophet ( peace be upon him ).

Most of the collectors of **Hadith** paid more attention to the investigation of the narrators than the other critical tests, and they were justified in this, for their object was to produce **reliable** collection of Hadith and, therefore, their first concern was to see that the Hadith could be authentically traced back to the Prophet through a trustworthy chain of narrators. This part of the criticism was the more essential, as the longer chain of narrators, the more difficult would it have been to test their reliability, other tests could be applied to any Hadith at any time, and the laps of a thousand years could in no way affect the value of these tests, but the passing away of another century would have rendered the task of the examination of the chain of narrators so difficult as to be for all practical purposes impossible. Hence the collectors of Hadith rightly focused their attention on this test. Nor did the work of collecting the Hadith close the door to further criticism.

The above explanation would determine the role of Sunna or Hadith of the Prophet in expounding Islamic rulings, as a principle of the Religion and the second source of Islamic legislation. And its abandonment would be rejection of the ordinance of the Holy Quran itself as set out in the above quoted verses. This represents the unanimous attitude and practice of true Muslims at the time of the Prophet and in subsequent.

“ Abu Huraira is reported to have said : The Prophet of God came to us while we were writing Hadith, and said : What is this that you are writing ? We said : Hadith which we hear from you. He said : What ! a book other than the Book of Allah ? You should well know that people before you have missed the path of righteousness because of what they had written besides God's Book ”.

Now the objection of the Prophet to the writing down of the Hadith clearly shows fear lest Hadith be mixed up with the Holy Quran, though there was nothing essentially wrong in writing down the Hadith, nor did the Prophet ever forbid its being done, on the other hand, as late as conquest of MAKKAH we find him giving orders himself for the writing down of a certain Hadith at the request of a hearer. He also wrote letters, and treaties were also put down in writing. What he feared as the report clearly shows, was that if his sayings were written down generally like the Quran, the two might get confused together, and the purity of the text of the Quran be effected. On the other hand, memory was a reliable means for the preservation of Hadith for the Holy Quran itself was safely preserved in the memory of the Companions of the Prophet in addition to being committed to writing.

The Arab had a wonderfully retentive memory, and he had to store up his knowledge of countless things in his memory. In fact, had the Holy Quran been simply preserved in writing, it could not have been handed down intact to future generations. The aid of memory was invoked to make the purity of the text of the Quran doubly sure. Some scholars held the view that the objection to writing down Hadith was only in the early years of Islam when a confusion of the Hadith with the Quran was feared. For the only writing material then that time was leaves and stones which provided only a limited writing space, were the Quran and the Hadith if written together, could be so confused. However, when the Quran later spread among the people, and it was memorised and could be identified, there was no longer any possibility of confusion and the restriction on recording was lifted.

The Companions of the Prophet, their followers and disciples exercised great caution and prudence in accepting and transmitting reports. Pious and God fearing, they were careful in quoting the Prophet for what he sought to inculcate in them in the way of interpretations of God's Religion, verdicts in reply to questions put to him, or judgements in the disputes he considered. Such was their wonted habit whenever such reports or questions were needed in connection with some incident referred to them. Many of them were also



The Companions of the Prophet knew well that his actions and practices were to be followed, should no express direction be met with in the Holy Quran. It is related that when Mūad Ibn Jabal, on being appointed governor of Yemen by the Prophet, was asked how he would judge cases, his reply was, 'by the Book of Allah'. Asked what he would do if he did not find a direction in the Book of Allah, he replied : 'by the Sunna of the Apostle of Allah'. And what he would do if he did not again find a direction in the Sunna, he replied : 'I will then contrive an opinion'. Whereupon the Prophet approvingly said : 'Thanks be to God for having guided the emissary of God's messenger to God's Path'.

The Sunna was therefore recognised in the lifetime of the Prophet as affording guidance in religious matters. The need of the Sunna, its force as law, and its preservation are all traceable to the lifetime of the Prophet. A special importance was, from the first, attached to his sayings and deeds which were looked upon as a source of guidance by his followers. They were conscious of the fact that these things must be preserved for future generations. Hence they not only kept them in their memory but even resorted to write them down for their preservation.

The Companions of the Prophet while translating into practice his sayings endeavoured also to preserve them in memory as well as in writing. It is, however, a fact that whatever the companions heard from the lips of the Prophet they tried to keep in their memory as it was chief means of their preservation. It is reported that the Prophet sometimes objected to the writing down of the Hadith, lest it be mixed up with Holy Quran, as it is clear from the following report :

The transmission of the Hadith or practices and sayings of the Prophet from one person to another, thus become necessary during the Prophet's lifetime. In fact, the Prophet himself used to give instructions with regard to the transmission of what he taught. There are ample historical evidences that whenever a people embraced Islam, the Prophet used to send to them one or more of his Companions who not only taught them the Holy Quran but also explained to them how the injunctions of the Holy Book were to be carried out in practice. It is also on record that people came to the Prophet and demanded teachers who could teach them the Quran and the Sunna.

deemed certain only if viewed as a whole and not in detail; for while the Prophet's sayings, acts and rulings are sure to have emanated from him and constituted what is known as Sunna, no particular one of them could be taken for granted unless it has been commonly reported, which is a rare case, or otherwise presumed through study and the consideration of available evidence in the light of controls prescribed by the scholars of the Hadith, and established by news reporting and verification rules.

The Quran therefore, should have a precedence over the Hadith, being definitely certain and not supposed. The Companions of the Prophet after his death, are reported to have been used whenever a case was referred to them or advice, to consult the Holy Quran the first place then the Sunna in the absence of a relevant Quranic ruling, otherwise they contrived an opinion of their own if they failed to find the answer in the Sunna. This procedure had received the Prophet's approbation. If we consider to what extent can teachings of Islam, its principles and its laws, be drawn from the Sunna of the Prophet, we can see that the Holy Quran generally deals with the broad principles or essentials of religion, and going into details in very rare cases. The details were generally supplied by the Prophet himself, either showing in his practice how an injunction shall be carried out or by giving an explanation in words.

Since Islam covered the whole sphere of human activities, many points had to be explained by the Prophet by his example in action and word.

On the moral side his was the pattern which every Muslim was required to follow. The Holy Quran has made clear this point in the following verse :

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » ( الأحزاب ٢١ ) .

( Verily in the messenger of Allah you have good example ) 33 : 21.

Every Muslim, therefore, stood in need of both the Holy Quran and Hadith.

To clear this point we can take as examples two most important religious institutions of Islam; Prayer and Zakat. When the injunctions related to prayer and zakat were delivered no details were supplied, and it was the Prophet himself who by his own actions gave the details of the performance of the Prayer. And yet it was the Prophet who gave the detail rules and regulations for the payment and collection of Zakat. These are but two examples.

And let those who conspire to evade orders beware lest grief or painful punishment befall them ] 24 : 63.

Now the Quran has made it clear that obedience to the Prophet is a pre-requisite of true faith, and it has also given order in conjunction with caution for prospective offenders. The Holy Quran, however is the first source and the structure on which the Sunna is based. It therefore, provides the origin of all proofs as the Almighty God said :

«إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» (النساء ١٠٥).

[ Verily, We reveal unto thee the Scripture with the truth, that thou mayest judge between mankind by that which Allah showth thee ] 4 : 105.

«ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» (النحل ٨٩).

[ And We reveal the Scripture unto thee as an exposition of all things, and a guidance and a mercy and good tidings for those who surrendered to Allah ) ) 16 : 89.

«وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» (النحل ٦٤).

( And We have revealed the Scripture unto thee only that thou mayst explain unto them that wherein they differ, and as a guidance and a mersy for a people who believe ) 16 : 64.

«وانزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون» (النحل ٤٤).

( And We have revealed unto thee Remembrance that thou mayst explain to mankind that which hath been revealed for them and that haply they may reflect ) 16 : 44.

Thus , the Holy Quran is given precedence over the Sunna as a basis of the religion and a source of its basic principles. The Sunna or the Hadith becomes subservient to it and interpreter of its rulings.

This is due to the certainty of the contents of the Holy Quran both as a whole and in detail, which is not the case with the Hadith. The latter could be

«ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم» (النساء ٦٩).

[ Whose obeyth Allah and the messenger, they are with those unto whom Allah has shown favour ... ] 4 : 69

«من يطع الرسول فقد أطاع الله» (النساء ٨٠).

[ Whose obeyth the messenger, obeyth Allah ] 4 : 80

«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصى الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً» (الأحزاب ٣٦).

[ And it becometh not a believing man or believing woman, when Allah and His messenger have decided an affair [ for them ], that they should [ after that ] claim any say in their affair; and whose is rebellious to Allah and His Messenger, he verily goeth astray in error manifest ] 33 : 36.

Several other Quranic verses speak of the authority of the Prophet such as :

«يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم» (الأعراف ١٥٧).

[ He will enjoin on them that which is right and forbid them that which is wrong. He will make lawful for them on good things and prohibit for them only the foul : and he will relieve them of their burden and fetters that they used to wear ] 7 : 157.

«إنما المؤمنون الذين إذا آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه» (النور ٦٢).

[ They are only the true believers who believe in Allah and His messenger and, when they are with him on some common errand, go not away until they have asked leave of him ] 24 : 62. And,

«لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوأذافليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» (النور ٦٣).

[ Make not the calling of the messenger among you as your calling one of another. Allah knowth those of you steal away, hiding themselves.

# THE SIGNIFICANCE OF « SUNNA » OR 'HADITH' OF THE PROPHET

By :

**Dr. Mohiaddin Alwaye**

prof. Islamic University  
Madinah

Sunna or Hadith is the second source from which the teachings of Islam are drawn. In effect it covers the sayings, the practices and actions of the Prophet, and also his silent approval of the action or practice of another. Allah has ordained the obedience of His messenger.

Several verses of the Quran may be quoted in this effect which go to prove that Sunna or the Hadith provided the second source of the principles of the religion.

It is incumbent on Muslims to act upon it in demonstration of their obedience to Allah and His messenger. Its abandonment, on the other hand, would be a repudiation of Allah's Book and a rejection of His ordinance as set out in the following verses of the Holy Quran :

«يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول» (النساء ٥٩).

[O ye who believe ! Obey Allah and obey the messenger ] 4 : 59

«واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون» (النور ٥٦).

[Obey the messenger that haply you may find mercy] 24 : 56

«وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (الحشر ٧).

[And whatsoever the messenger gives you, take it. And whatsoever he forbiddh, abstain from it ] 59 : 7

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

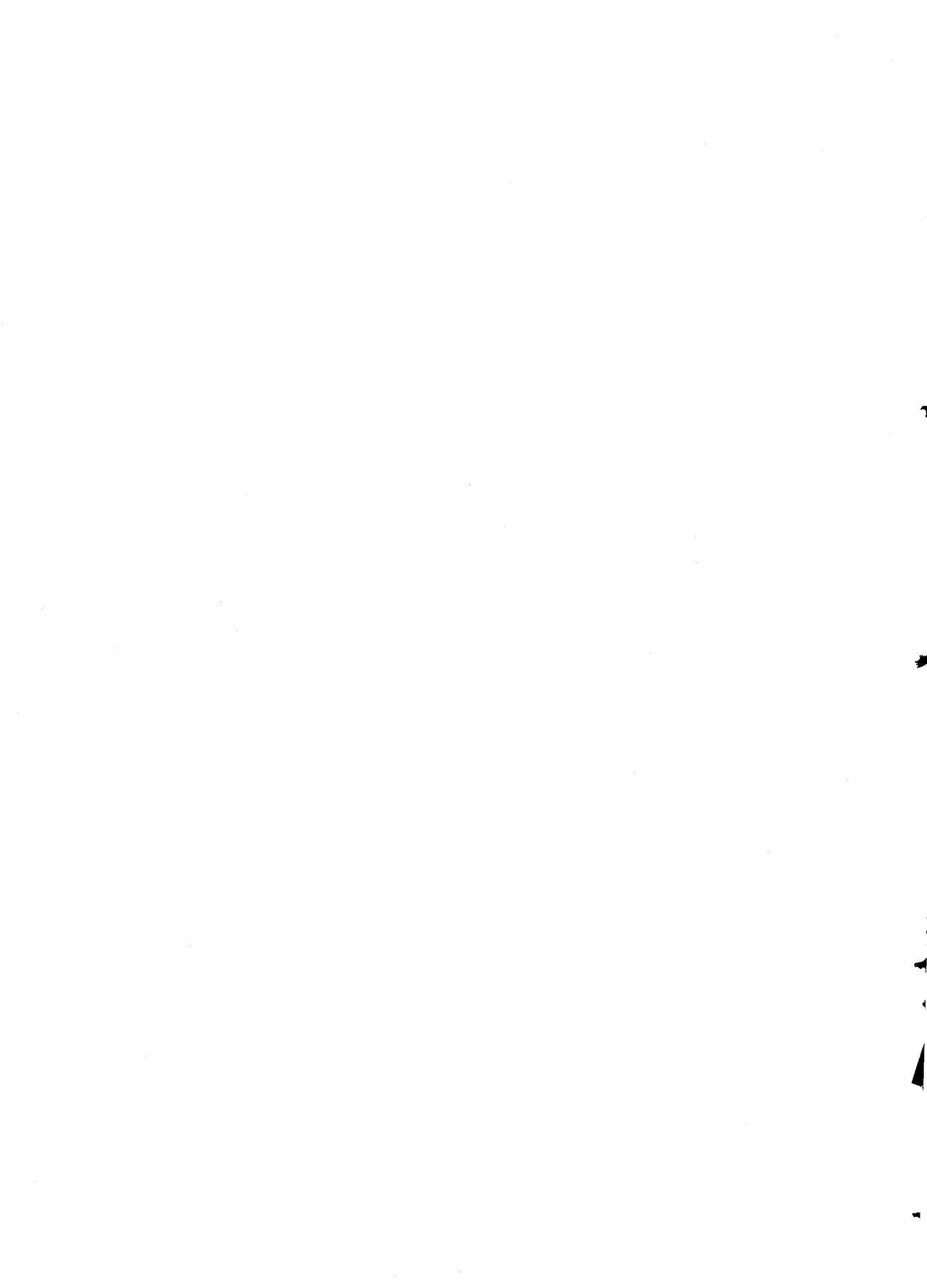
قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي  
لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي  
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

الكهف ١٠٩

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

*Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."*

(Qur'an 18:109)



*Journal of*

**THE ISLAMIC  
UNIVERSITY**

OF

**MADINAH MUNAWWARAH**

**RABI' E THANI—JUMADA ULA—JUMADA THANI**

**1403 A. H.  
[QUARTERLY]**

**58**

**15 th Year**







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

الأعضاء

د. أحمد عطية الغامدي

د. جمعة علي الطولي

د. محمد السيد الوكيل

د. الشيخ محمد الحزوب

رئيس التحرير

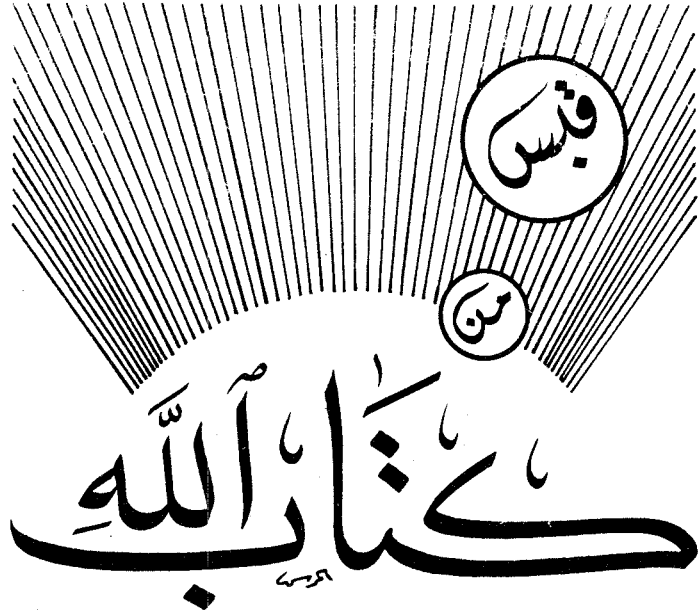
د. علي بن محمد ناصر الفقيهي

مدير التحرير

الشيخ سعد ندر

الإسلام: ريل باسم مدير التحرير. الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة





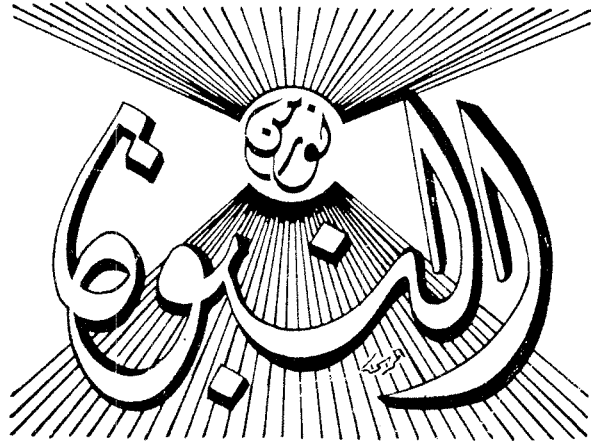
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَعَآمَنَ  
وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى

آية ٨٢ من سورة طه







عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أِبْنُ جُدَّعَانَ

كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ

الْمَسْكِينِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهُ ؟

قَالَ : لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا :

«رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» .

« أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسَام »



# حكمة العمل

« الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ يَكُونَانِ مِنْ  
جِنْسِ الْعَمَلِ فِي قَدْرِ اللَّهِ، وَفِي شَرْعِهِ  
فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْعَدْلِ الَّذِي تَقُومُ بِهِ  
السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ . »

« شيخ الإسلام ابن تيمية »



# زَادُ اللَّقَاءِ الْكَرِيمِ

كلمة التحريم

## لِلشَّيْخِ سَعْدِ نَدَا

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ومن تبع هديه ووالاه .  
وبعد : فإن المؤمن ذا البصيرة إذا أخطأ أدرك سريعاً خطأه ، ولجأ إلى الله تعالى يستغفره ، ويستعينه ، ليبصره ، فيصلح .  
﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ، فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [ الأعراف ] .

وحين يبصر المؤمن طريقه ، يدرك عثراتها فيتجنبها ، وينتبه إلى معوقاتها فيتقيها ، فيسلم حينئذ من مخاطرها ، ويتجاوز في يسر عقباتها .  
ولابد للمؤمن أن يقوم دائماً على إيقاظ قلبه ، حتى يرهفه ، فيفيء إلى أمر الله ، ويعجل إلى ربه فيرضى . عندئذ يوالي المؤمن مراقبة ربه تعالى ومحاسبة نفسه ، ليخلص ما يعلق بقلبه مما يقترف من آثام . والله جل وعلا يتيح لنا كثيراً من فرص الخير في الزمان والمكان ، لتتوافر لنا أسباب نيل المثوبة . ثم هو سبحانه يفتح لنا أبواب التوبة على مصاريعها ليلجها كل راغب صباح مساء . فعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها ) أخرجه مسلم . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ( ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى الثلث الآخر ، فيقول : ( مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ ) متفق عليه .

ومن فرص الخير الطيبة شهر رمضان ، فيه الصيام ، وفيه القيام ، وفيه الجود ، وفيه الإحسان ، وفيه قراءة القرآن العظيم ، وفيه ليلة القدر خير من ألف

شهر، وفيه يُعطى المرء الأجرَ الجزيلَ بالعمل القليل، وفيه تُفتح أبواب الجنة، وتُغلق أبواب النار، وتسلسل الشياطين، ويُنادى العبادُ كل ليلة ليكثرُوا من الخير، وليمسكوا عن الشر. فعن عرفة قال: عدنا عتبة بن فرقد، فتذاكرنا شهر رمضان، فقال: ما تذكرون؟ قلنا: شهر رمضان. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: تُفتح أبواب الجنة، وتُغلقُ فيه أبواب النار، وتُغلُّ فيه الشياطين، وينادى منادٍ كل ليلة: يا باغي الخير هلمَّ ويا باغي الشر أقصرْ) رواه أحمد وابن ماجه .

بيد أن عباد الله جميعاً لا يغتنمون ما رصد الله من فرص الخير. فكل الناس يغدو، فمنهم بائع نفسه فمعتقها، وذلك هو من باع نفسه لله، فيعدُّ له جنات النعيم، ومنهم بائع نفسه فموبقها، وذلك هو من باع نفسه للشيطان، الذي يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير .

فإلى أى الجانبين يتجه المؤمن؟ وإلى أى المصيرين يتمنى أن يكون؟

﴿ فأمّا من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى ﴾ [ الليل ] .

﴿ قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها ﴾ [ الشمس ] .

وإن من سبّل ذلك أن يحسن المؤمن محاسبة نفسه في ختام كل يوم، فإن وجد خيراً فليحمد الله وليسأله المزيد، وإن وجد غير ذلك فليتب إلى الله وليستغفره، وليسأله العفو، والعافية، والتوفيق .

وبهذا يُعدُّ المرء ما يحمله عند لقاء ربه من زاد يصلح مع هذا اللقاء الكريم، وهذا ما أمرنا ربنا سبحانه أن نجدّد لتحقيقه لنكون من أهل السعادة، ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظروا نفساً ماقدّمت لبعث، واتقوا الله، إن الله خيرٌ بما تعلمون، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون . لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ [ الحشر ] .

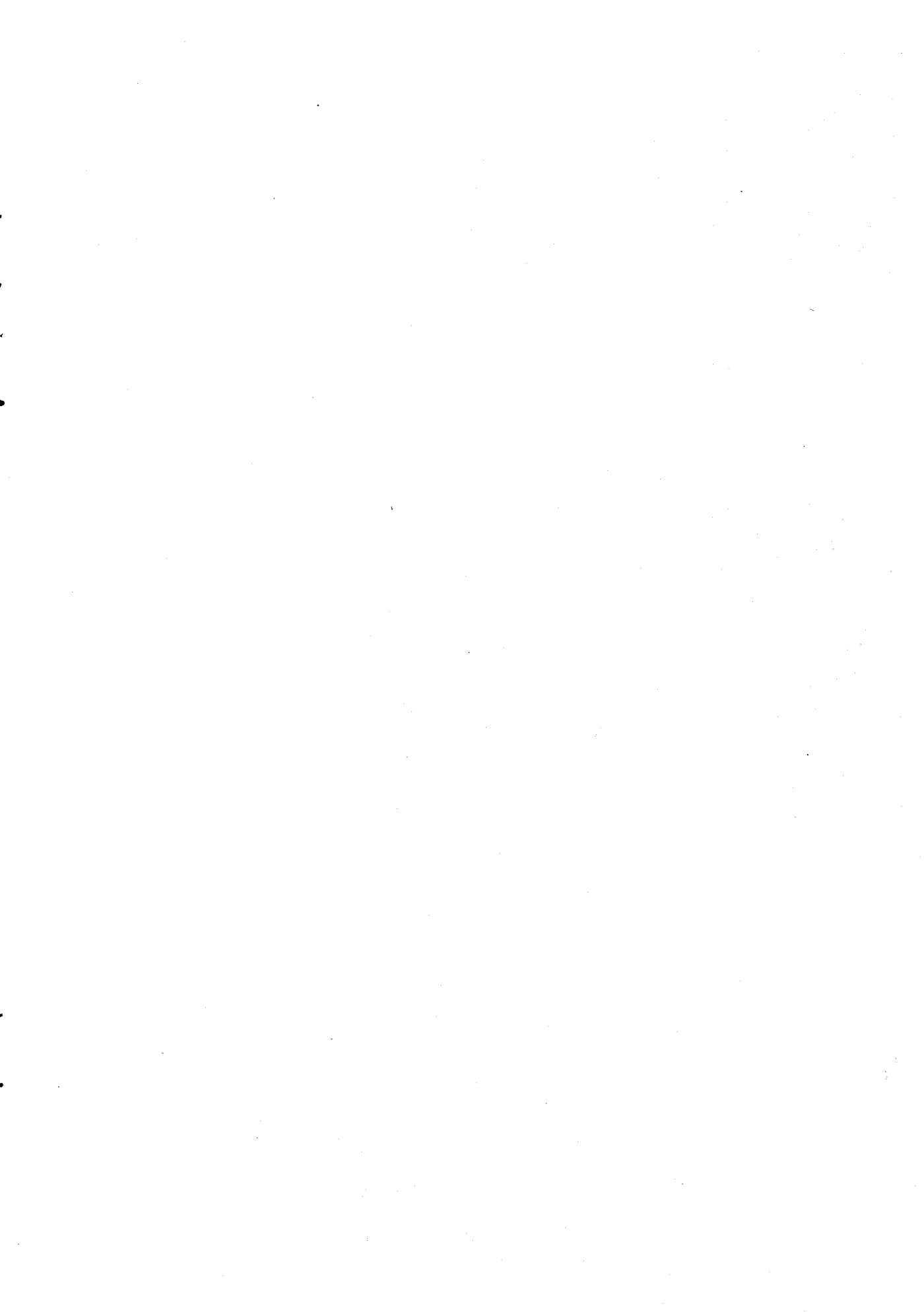
فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أمسك، ألا إلى الله تصير الأمور .

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله الكريم محمد وعلى آله وصحبه .

التفسير



أصوله





# كَيْفِيَّةُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ

المسجد النبوي بقرن الجبل  
رئيس قسم التفسير بالجامعة

قال الله تعالى :

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ، أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » ( سورة يوسف آية ١٠٨ ) .  
بين يدي تفسير الآية :

بسم الله . والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد :  
فإن هذه الآية الكريمة : « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ، أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ » الآية .

كآية النحل : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » الآية .  
وكآية الرعد « قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، إليه أدعو ، وإليه مآب » الآية .

متضمنةً واجب الدعوة الى الله تعالى الذي قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده وسلفهم الصالح خير قيام . فعرف الله تعالى ، وعرفت شرائعه المتضمنة محابه ومكارهه ، وعبد سبحانه وتعالى ووحد في عبادته في أنحاء كثيرة من العالم . وسعد وكمل على تلك الدعوة خلق لا يحصى عددهم إلا الله ؛ لأنهم من أجيال أربعة عشر قرناً وزيادة .

غير أن هذا الواجب تخلى عنه المسلمون في الجملة زمناً غير قصير . فمئذ ضعفت الخلافة العثمانية وقبل سقوطها والدعوة الإسلامية واقفة ، وظلها الطيب المبارك ينحسر عن رقع واسعة من العالم الإسلامي . والأسباب معروفة . فما هناك حاجة إلى ذكرها هنا . وإنما الذي ينبغي أن يذكر هو أن العالم الإسلامي قد تحرر من سلطان الاستعمار الغربي ، وأصبح للمسلمين دول وحكومات لها شأن عظيم ، ووزن ثقيل بين دول العالم وحكوماته فيجب على المسلمين أن ينهضوا من جديد بواجب الدعوة الإسلامية ويحملوها إلى الناس ليكملوا عليها ويسعدوا بها .

وذلك واجبه الذي أوجبه الله تعالى عليهم بآية يوسف التي نحن بصدد تفسيرها ؛ إذ قوله تعالى : ( أنا ومن اتبعني ) نص صريح في أن من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ودعا إليه من الإيمان والإسلام والإحسان ، وجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى ليعرف ويعبد ويوحد ، في حدود طاقته ، وما يتسع له جهده البشري .

ونظراً إلى الظروف المحيطة بالعالم الإسلامي ، والواقع الذي يعيشه المسلمون اليوم . فإن النهوض بهذا الواجب ، واجب الدعوة الى الله تعالى قد يتأتى من طريقين :

**الأول :** وهو واجب الدعوة في داخل العالم الإسلامي ، ويكون باضطلاع الحكومة المسلمة به بين مواطنيها ورعاياها . وذلك بتكوين لجان الأحياء والقرى والمساجد . وتتكون لجنة الحي في الجامع من عمدة الحي أو القرية وإمام المسجد والواعظ الخاص بالمسجد ، ويتعاون كل مواطن في الحي أو القرية مع هذه اللجنة على دعوة كل مواطن لحضور درس المسجد اليومي من بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء ، لتلقي العلم المعرف بالله تعالى ومحابه ومساخطه ، والمواظب المساعدة على فعل المحبوب لله عز وجل ، وترك المكروه له سبحانه وتعالى . وعلى المسؤولين أن يولوا هذه اللجان وأعمالها في المساجد عناية تجعل المواطن لا يتأخر عن حضورها والاستفادة منها طوال حياته .

يضاف إلى ذلك تحويل الإذاعة إلى منبر هداية وإصلاح وتربية وتعليم على نحو إذاعة القرآن بالملكة العربية السعودية ، فإنها خير إذاعة وجدت اليوم في العالم الإنساني ؛ إنها تبث ثمان عشرة ساعة الهدى والمعرفة مع خلوها من أي باطل أو ضلال من غناء أو زمر ، أو صوت امرأة يحرم سماع صوتها .

كما يضاف إلى ما تقدم : أن يقوم وزير الداخلية في كل حكومة إسلامية بزيارات متتالية لكل قرية وحي في المدينة بحيث يؤمر أهل القرية أو الحي بالحضور إلزامياً . ويحضره الوزير ورجاله وكافة أهل القرية أو الحي ويلقي الوزير كلمة يشجع بها على طاعة الله ورسوله والاستقامة على دين الله . ثم تلقي كلمات الوعاظ والمرشدين المتخصصين . وكلها تدعو إلى معرفة الله والتقرب إليه وطلب ما عنده من خير الدنيا والآخرة وذلك بطاعته تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بفعل الصالحات وترك السيئات .

فعلى مثل هذا يتم النهوض بواجب الدعوة إلى الله تعالى في داخل البلاد الإسلامية . وهذا الطريق خير من نظام الجمعيات والتكتلات الخاصة ، فقد جربت فلم ينتج عنها إلا البلبلة والاضطراب وسوء الأخلاق وفساد الأحوال .

وقد عرف هذه الحقيقة الملك الصالح عبد العزيز آل سعود ، فعاش طوال حكمه وليس في المملكة حزب ولا جمعية ولا منظمة ، وجرى على هذا أبنائه البررة ، فصارت المملكة مضرب المثل في الطهر والصلاح والاستقرار . بينما وجدت في البلاد الإسلامية الأخرى الأحزاب والجمعيات والجماعات ، فلم تثمر شيئاً ذا بال من الخير والإصلاح ، فضلاً عما حصل من جرائمها من مصاعب ومتاعب في كثير من البلاد الإسلامية والعياذ بالله .

**والثاني :** وهو النهوض بواجب الدعوة خارج ديار الإسلام ، ويكون من طريقين :  
**الأول :** متعذر في هذه الظروف وهو أن يتقدم الجيش الإسلامي إلى الدولة المتاخمة لحدوده فيعسكر على مقربة منها ، ثم يطالب بوحدة من ثلاث : الإسلام ، أو الدخول في حماية المسلمين للدعوة إلى الله تعالى ، والتعريف به وبما عنده وما لديه ، ويحكموا الناس بشريعة الله العادلة الرحيمة ، وإن رفضت الأوليين فالثالثة وهي القتال حتى يحكم الله بين المسلمين دعاة الله وبين الكافرين دعاة الشيطان والطاغوت . هذا طريق ، وهو متعذر في هذه الظروف كما قدمنا .

**والثاني :** وهو أن يلحق بكل سفارة لدولة إسلامية في بلاد الكفر عالمٌ متخصصٌ في شؤون الدعوة الإسلامية يتولى أمر عرض الإسلام بلغة تلك البلاد ، وبيان محاسنه ، والدعوة إليه بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة بواسطة النشرة والكتاب ، والمحاضرة والندوة ، وما إلى ذلك من وسائل البلاغ .

هذا أولاً ، وثانياً أن يعنى بشأن الجاليات الإسلامية الموجودة في تلك البلاد بحيث تصبح في كمالها الروحية والأخلاقية مثلاً عالياً يُرغب في احتذائه والتمثل به . الأمر الذي يجعل سكان تلك الديار يتساءلون عن مصدر تلك الكمالات الروحية ، ويطلبون التعرف إليها ، والأخذ بها . وهذه طريق من أنجح الطرق إلى الإسلام وأكثرها نفعاً ؛ لأنها الدعوة إلى الإسلام بحسن القدوة .

ولكى تصبح الجاليات الإسلامية على هذا المستوى الرفيع من الكمال الروحي والخلقي ، يجب أن تنشأ هيئة إسلامية في العالم الإسلامي لهذا الغرض ، تكون مهمتها جمع التبرعات المالية شهرياً من كل المسلمين حكومات وشعوبا ويتولى إنفاق تلك الأموال هيئة إسلامية أخرى تعرف ( بالهيئة العليا للدعوة الإسلامية في العالم ) وتعمل هذه الهيئة على توحيد كلمة الجاليات الإسلامية وعملها من طريق بناء مسجد جامع لكل مجموعة في البلد الواحد وتزويده بعالم يؤم الناس ويعلمهم ويرشدهم ويهذب نفوسهم ويصلح أخلاقهم . مع فتح مدرسة تتسع لأولادهم ، ومقبرة لدفن موتاهم .

ومن المسجد الجامع تنبثق لجنة تعرف ( بلجنة المسجد ) تعنى بشئون الأفراد المسلمين دينياً ودينوياً في تلك المدينة بحيث تقوم بما تقوم به جماعة المسلمين عند انعدام الحاكم المسلم . فتأمر بالمعروف بين الجالية ، وتنهى عن المنكر ، وتنصح ، وترشد ، وترعى الحرمات ، وتدفع المضرات ، وتفصل في الخصومات .

وبهذا تتم الدعوة الإسلامية في خارج البلاد الإسلامية ، وبذلك تبرأ ذمة المسلمين من واجب الدعوة إلى الله تعالى ، ويكونون قد قدموا لأنفسهم ولغيرهم خيراً يعود عليهم نفعة في الدنيا والآخرة .

## ( تفسير الآية )

أ - شرح الكلمات :

**قل** : فعل أمر من قال يقول قولاً ، إذا أمر غيره أن يقول ، بمعنى ينطق بقول ما من الأقوال .

**هذه** : اسم إشارة إلى القريب ، والمشار إليه هنا : طريق الرسول صلى الله عليه وسلم في إبلاغ رسالته .

**سبيلي** : السبيل : الطريق الموصل إلى غاية . وهي هنا الإسلام ، والغاية الجنة دار السلام . وأضيفت السبيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه سالكها وملتزم بالسير عليها .

**ادعوا** : اطلب غيرى من الناس إلى الإسلام ليدخلوا فيه حتى يكملوا ويسعدوا .

**إلى** : حرف جر يفيد الغاية ويدل عليها والانتهاى إليها .

**الله** : اسم الرب تبارك وتعالى : ومعناه المعبود بحق الذي يأله أهل السماء والأرض .

**على** : حرف جر يدل على الاستعلاء والتمكن فيه .

**بصيرة** : البصيرة للقلب كالإبصار للعين . والمراد بها هنا : العلم التام والحجة الواضحة .

**أنا** : ضمير المتكلم وهو هنا عائد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفصل هنا ليعطف عليه قوله ومن اتبعني .

**و** : حرف عطف ، عطف به الموصول « مَنْ » على الضمير المنفصل قبله « أنا » .

**مَنْ** : من اسم موصول بمعنى الذي .

**اتبعني** : اتبع فعل ماضي ، والضمير المستتر فاعل عائد على من ، والنون للوقاية .

والياء ضمير متصل عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مبني على السكون في محل نصب مفعول به .

**وسبحان** : الواو حرف عطف - سبحان أصله مصدر كالغفران من سبح يسبح ، وصار علماً على التسييح الذي هو تنزيه الله تعالى عن النقائص وعن كل ما لا يليق به : أى طلب البراءة له من كل نقص وعيب .

**الله** : اسم الجلالة الأعظم : علم على ذات الرب تعالى .

**وما** : الواو للعطف والاستئناف . وما : حرف نفي مثل ولا ، في نفي الصفات والذوات والأفعال أيضاً ، نحو ما الله بغافل . وما القائم زيد ، وما قلت غير الحق .

**أنا** : ضمير فصل للمتكلم عائد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

**من** : حرف جر ، ولها معان كثيرة يعرف كل معنى بحسب ما تدخل عليه من الكلام ، فتكون للتبويض كأنفقوا مما رزقناكم ، وكما هي هنا إذ نفى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون واحداً من المشركين ، أى بعضاً منهم .

**المشركين** : جمع مشرك وهو من عبد مع الله تعالى غيره من سائر المخلوقات ، وبأى نوع من أنواع العبادات ، التى شرعها الله لعباده يعبدونه بها .

**ب - المعنى المجمل للآية الكريمة :**

يأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين والمكذابين به وبدينه الحق : هذه سبيلي أى طريقتي التى لا أخرج منها ولا أحميد عنها ، وقد وضعني ربي عليها وأمرني بالتزامها ، وهي إيماني به تعالى وإسلامي وجهي له ، بعبادته وحده لا شريك له بما شرع لى من العبادات ، وما ألزمني به من الطاعات ، حال كوني داعياً إلى الإيمان بالله ربي تعالى وإلى معرفته ، ومعرفة محابه ومساخطه ، من الاعتقادات والأقوال والأعمال وإلى فعل محبوه ، وترك مكروهه . ليكمل الناس بذلك ويسعدوا عليه .

وإني في دعوتي هذه لعلى علم كامل ومعرفة تامة بربي وبمحابه ومساخطه ، وبما عنده من نعيم مقيم لأوليائه في دار كرامته ، وما لديه من نكال وعذاب أليم لأهل عدوته وبغضته ممن كفروا به وأشركوا في عبادته ، وذلك في دار مهانة أعدائه يوم يحشرون إليه ، ويجمعون ويوقفون بين يديه .

وإن أتباعي على طريقتي هم مثلي يدعون على علم تام ومعرفة كاملة ، يدعون عباد الله إلى معرفته تعالى ومعرفة محابه ومكارهه ، وإلى طاعته عز وجل بفعل محابه من المعتقدات والأقوال والأفعال ، وترك مكارهه من ذلك ، رجاء أن يكملوا ويسعدوا في دنياهم وأخراهم .

وإني لمسبح ربي ومقدسه ومنزه له عن كل ما لا يليق بجلاله وجماله من الولد والشريك والعجز وكل صفات النقص وسمات الضعف والعجز .

ومع هذا فإني متبريء من المشركين ، فلا تربطني بهم رابطة ، ولا تصلني بهم صلة ، وذلك من أجل محادثتهم لربي ، وشركهم به ، وكفرهم بآياته ورسوله ، وأن أتباعي مثلي في تنزيه ربي وتقديسه ، وفي البراءة من الشرك والمشركين .

### ج - هداية الآية :

اعلم أخي المسلم أن في كل آية من آي كتاب الله تعالى الذي بلغ نيفاً وست آلاف آية هداية خاصة بحيث لا تخلو آية من ذلك . وقد تحمل الآية الواحدة هدايات عدة ، وهناك نوع من الهدايات لا تخلو منه آية آية قط ، وهو دلالة كل آية على وجود الله تعالى وعلمه ورحمته وقدرته وحكمته ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته .

وبيان ذلك : أن الآية قول نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل قول دال على قائله ؛ إذ يستحيل وجود قول بلا قائل ، فدلّت الآية إذاً على وجود الله تعالى . وبما أن الآية تحمل علماً ومعرفة فقائلها إذاً عالم ، وكون الآية تحمل مظهر الرحمة ؛ لأنها نزلت بالخير ، فممنزلها رحيم ، وكونها لا تخلو من حكمة نزلت لها فإن منزلها قطعاً حكيم ، وهكذا .

وبما أن محمداً صلى الله عليه وسلم رجل أمي بشهادة الله تعالى وشهادة التواتر البشري وينطق بالقرآن ويقرؤه ، ويعلمه ، ويهدي ويحكم به ، فإن هذا دل على أنه صلى الله عليه وسلم نبي الله ورسوله ؛ إذ لولا أن الله تعالى نبأه وأرسله لما أوحى إليه كلامه ، وأمره أن يتلوه ويعلمه ويحكم به ويهدي ، وهو أمي لا يعرف حتى الحروف الهجائية .

فهذه الهداية - وهي الدلالة الفعلية على صحة الحقيقة العظمى وهي : لا إله إلا الله محمد رسول الله - موجودة في كل آية من كتاب الله القرآن العظيم .

### ومن هدايات هذه الآية الخاصة :

١ - منهجية الإسلام : إذ هو سبيل الله الموصل إلى رضوانه تعالى وجواره الكريم . وهو قائم على الاعتقاد الخاص ، والقول الخاص ، والعمل الخاص . وأهله ملزمون بالتقيد التام بمعتقداته ، وأقواله ، وأعماله . وبهذا كان الإسلام منهجاً ثابتاً وواضحاً يفضي بالآخذين به إلى كمالهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

٢ - علم الداعي بما يدعو إليه : وبما يساعده على إبلاغ دعوته من الحجج القواطع ، والبراهين السواطع ، العقلية والنقلية ، ومن ذلك أساليب البيان للترغيب والترهيب .

٣ - واجب الدعوة إلى الله تعالى : ليعبد ويوحد ، ويذكر ويشكر من أجل إكمال البشر وإسعادهم في الحياتين . على كل من شهد لله بالوحدانية ، ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ممن أوتي علماً وبصيرة في دين الله تعالى الذي هو الإسلام .

٤ - وجوب تنزيه الله تعالى وتقديسه : عن كل ما لا يليق بجلاله وكمالته وجماله من سائر العيوب والنقائص ، مع وجوب إثبات كل كمال لله عز وجل مما يليق بذاته وربوبيته سبحانه .

٥ - وجوب البراءة من الشرك وأهله : ولو كانوا أقرب أقرب قريب ، وذلك إلى أن يؤمنوا بالله وحده ويعبدوه بما شرع لعباده من ضروب الطاعات وصور العبادات . هذا وفي الآية هدايات غير ما ذكرنا . والله نسأل أن يرزقنا الاهتداء بهداياتها والعمل بها . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه .

قال تعالى :  
﴿ وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْسِرْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾  
( لقمان الآية : ١٨ )

\*\*\*\*\*

من هم القراء السبعة

هم :

نافع في المدينة المنورة - وعبد الله بن كثير في مكة المكرمة - وأبو عمرو بن العلاء في البصرة - وعبد الله بن عامر في دمشق - وعاصم - وحمة ابن حبيب والكسائي ثلاثهم في الكوفة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الْحَدِيثُ



صَوْنُهُ



# صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ

للكَئُومِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّحْمَنِ الْأَعْمَشِيِّ  
أَبَا سَعْدٍ بَطْنِيَّةَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ

## ١ - التَّرَاوِيحُ لَفَةٌ :

جمع تروِيحة : أى تروِيحة النفس وهى استراحتها . وفى القاموس : « منها تروِيحة شهر رمضان سميت بها لاستراحة بعد كل أربع ركعات - يقال : استروح أى وجد الراحة » انتهى .

ثم غلب اسم التراويح على الصلوات التي تصلى في ليالي رمضان ، ويجلس الإمام بعد كل أربع ركعات ، ولذا يقال : ويجلس بين كل ترويحتين مقدار تروِيحة .

وقد روى الإمام البيهقي في سننه بسنده عن المغيرة بن زياد الموصلي عن عطاء ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي أربع ركعات في الليل ثم يتروح فأطال حتى رحمته فقلت : بأبي أنت وأمي يارسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبداً شكوراً .

قال البيهقي : تفرد به المغيرة بن زياد وليس بالقوي . انتهى (١) .

ووثقه ابن معين ، وصحح الحاكم بعض أحاديثه (٢) .

الا أن الذهبي لم يوافقه على ذلك فقال : المغيرة : صالح الحديث . وتركه ابن حبان .

وقال في الكاشف : وثقه ابن معين وجماعة ، وقال أحمد : منكر الحديث (٣) . ويرى

بعض العلماء أن الاستراحة تكون بعد خمس تسليمات ، والأمر فيه وسع ، فقد سئل الإمام أحمد عن قوم صلوا في رمضان خمس تراويح لم يتروحوا بينها فقال : لا بأس (٤) .

(١) البيهقي : ٤٩٧/٣ .

(٢) انظر : المستدرک ٤١٣ .

(٣) الكاشف : ١٦٧/٣ .

(٤) المغني : ١٤١/٣ .

## ٢ - الترغيب في قيام رمضان :

**الحديث الأول :** حديث أبي هريرة ، قال : ( كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمر بعزيمة ، فيقول : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه ) . رواه الجماعة .

**شرح الحديث :** قول أبي هريرة : ( من غير أن يأمر فيه بعزيمة ) فيه التصريح بعدم وجوب القيام . قال الإمام النووي : معناه لا يأمرهم أمر إيجاب وتحتّم بل أمر ندب وترغيب ، ثم قال : اجتمعت الأمة على أن قيام رمضان ليس بواجب بل هو مندوب .

ومعنى قوله : « من قام رمضان » أي مصلياً ، ويحصل هذا بمطلق ما يصدق عليه القيام وليس من شرطه استغراق جميع أوقات الليل ، قال النووي : إن قيام رمضان يحصل بصلاة التراويح .

**الحديث الثاني :** حديث عبد الرحمن بن عوف قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( إن الله عز وجل فرض صيام رمضان ، وسننت قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ) (١) .

إلا أن في اسناده النضر بن شيان الحداني - بضم المهملة وتشديد الدال - قال الحافظ : لين الحديث (٢) .

## ٣ - حكم صلاة التراويح بالجماعة :

**القول الأول :** صلاة التراويح بالجماعة في المسجد أفضل ، وبه قال أحمد والشافعي وأبو حنيفة وبعض المالكية ، وبالع الطحاوي من الحنفية فقال : إن صلاة التراويح بالجماعة واجبة على الكفاية .

هكذا نقل الشوكاني عن الطحاوي (٣) ، وسبقه الحافظ (٤) ، وهو مخالف تماماً لما قاله الطحاوي في شرح معاني الآثار ، وما نقل عنه الشيخ ابن الهمام في شرح فتح القدير ، يقول الطحاوي : « فهؤلاء الذين روينا عنهم ما روينا من هذه الآثار كلهم يفضل صلاته وحده في شهر رمضان على صلاته مع الإمام ، وذلك هو الصواب » . انتهى (٥) .

(١) رواه أحمد (١٩١/٨ - ١٩٥) ، والنسائي (١٥٨/٤) ، وابن ماجه (٤٢١/٨) .

(٢) التقريب (٣١١/٢) .

(٣) انظر : نيل الأوطار : ٦٠/٢ .

(٤) انظر : فتح الباري : ٢٥٢/٤ .

(٥) انظر : شرح معاني الآثار : ٣٥١/٨ .

وقد قارن قبل هذا بين أدلة الفريقين فقال : « ذهب قوم إلى أن القيام مع الإمام في شهر رمضان أفضل منه في المنازل ، واحتجوا في ذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قنوت بقية ليلته ) .

وقال : خالفهم في ذلك آخرون فقالوا : بل صلاته في بيته أفضل من صلاته مع الإمام ، وحجتهم في ذلك حديث زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( خير صلاة المرء في بيته ، إلا المكتوبة ) وذلك لما قام لهم ليلة في رمضان فأرادوا أن يقوم بعد ذلك فقال لهم هذا القول .

ثم وفق بين الروایتين فقال : يوجب الحديث الأول - ( حديث أبي ذر ) - إن من قام مع الإمام يكتب له قنوت بقية ليلته ، ويوجب حديث زيد بن ثابت أن ما فعل في بيته هو أفضل من ذلك ، حتى لا يتضاد هذان الأثران « انتهى ( ١ ) .

وقال الشيخ ابن الهمام : « إن الطحاوي روى عن ابن عمر ، وعروة ، تخلف بعض الصحابة ونقل عن القاسم ، وإبراهيم ، ونافع ، وسالم ، وأبي يوسف ، إن أمكنه أدائها في بيته مع مراعاة سنة القراءة وأشباهاها فيصلها في بيته إلا أن يكون فقيها كبيرا يقتدى به لقوله صلى الله عليه وسلم : ( عليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة ) « انتهى ( ٢ ) .

**القول الثاني :** الأفضل أن يصلي الرجل صلاة التراويح في البيت . وبه قال مالك ، وأبو يوسف ، وبعض الشافعية ، فقد سئل مالك عن قيام الرجل في رمضان فقال : إن كان يقوى في بيته فهو أحب إليّ وليس كل الناس يقوى على ذلك ، فقد كان ابن هرمز ينصرف فيقوم بأهله وكان ربيعة ينصرف ، وعدد غير واحد من علمائهم كانوا ينصرفون ولا يقومون مع الناس وأنا أفضل ذلك ( ٣ ) .

وأستدل هؤلاء بقول النبي صلى الله عليه وسلم ( أفضل الصلاة ، صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة ) ( ٤ ) - من حديث زيد بن ثابت ، قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا القول لما اتخذ حجرة في المسجد من حصير فصلى فيها حتى اجتمع عليه ناس ثم فقدوا صوته ليلة وطمنا أنه قد نام فجعل بعضهم يتنحج إليهم فقال : ما زال بكم الذي رأيت من صنيعكم حتى خشيت أن

( ١ ) انظر : شرح معاني الآثار : ٣٤٩٨ .

( ٢ ) انظر : شرح فتح القدير : ٣٣٤٨ .

( ٣ ) انظر : المدونة : ٢٢٢٨ .

( ٤ ) متفق عليه .

يكتب عليكم ، ولو كتب عليكم ما قمتم به ، فصلوا في بيوتكم ، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة » .

والعجب من الألباني أنه لم يذكر هذا الحديث في كتابه « صلاة التراويح » وهو أقوى دليل للقول الثاني .

فلم يستثن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلوات إلا الفرائض ، وصلاة التراويح ليست منها .

وورد هذا الحديث في صلاة رمضان في مسجده صلى الله عليه وسلم فإذا كانت صلاة التراويح في البيت أفضل حتى من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف في مسجد غيره ؟ !

ولكن بعد عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صارت صلاة التراويح من شعائر الإسلام ، وواظب المسلمون على ذلك ، لذا أجمع العلماء على أفضليتها في أدائها في المساجد وذكروا في ذلك الأدلة التالية :

( ١ ) **حديث عائشة** : قالت : إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد

فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى الثانية فكثر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال : ( رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم ) وذلك في رمضان . متفق عليه .

**شرح الحديث** : في الحديث دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة التراويح بالجماعة ولم يمنعه من الاستمرار بالجماعة إلا تخوفه أن تكتب على الأمة . فإن قيل : كيف كان يفرض عليهم وقد أكمل الله الفرائض ورد الخمسين إلى الخمس ؟

أجاب البغوي على هذا السؤال قائلاً : كانت صلاة الليل واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله الشرعية كان الاقتداء به فيها واجباً ، فكان لا يأمن إن هو واظب على الصلاة بهم أن يلزمهم الاقتداء به فيه ، فالزيادة من جهة وجوب الاقتداء به ، لا من جهة انشاء فرض مستأنف على أن الإنسان قد يكلف نفسه ما لم يوجبه الشرع ثم تلحقه اللائمة بتركه كما لو نذر صلاة تلزمه وكما أخبر الله سبحانه وتعالى عن فريق من النصارى أنهم ابتدعوا رهبانية لم يكتبها عليهم ، ثم قصروا فيها ، فلحقهم اللائمة ، فقال سبحانه وتعالى « فما رعوها حق رعايتها » فأشفق النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فترك العمل « انتهى (١) .

ونقل الحافظ عدة أقوال عن العلماء في شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم ( خشيت أن يفرض عليكم ) ونسب هذا القول الذي مر آنفا إلى الخطابي ، وذكر احتمالا آخر عن الخطابي ، وهو : أن الله فرض الصلاة خمسين ، ثم حط معظمها بشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإذا عادت الأمة فيما استوهب لها والترمت مما استعفى لهم نبئهم صلى الله عليه وسلم منه لم يستنكر أن يثبت ذلك فرضا عليهم ، ثم قال الحافظ : وتلقي هذين الجوابين من الخطابي جماعة من الشراح ، كابن الجوزي ، وهو مبني على أن قيام الليل كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتداء بأفعاله وفي كل من الأمرين نزاع ، ثم نقل الحافظ أقوال العلماء الآخرين فقال :

١ - قال المحب الطبري : يحتمل أن يكون الله عز وجل أوحى إليه أنك إن واطبت على هذه الصلاة معهم افترضتها عليهم : فأحب التخفيف عنهم فترك المواظبة .  
وقال : ويحتمل أن يكون ذلك وقع في نفسه كما اتفق في بعض القرب التي داوم عليها فافترضت .

وقيل : خشى أن يظن أحد من الأمة من مداومته عليها الوجوب .  
وإلى هذا نحا القرطبي فقال : قوله ( فتفرض عليكم ) أى تظنونه فرضا فيجب على من ظن ذلك ، كما إذا ظن المجتهد حل شيء أو تحريمه فإنه يجب عليه العمل به .  
قال : وقيل : كان حكم النبي صلى الله عليه وسلم إنه إذا واطب على شيء من أعمال البر واقتدى الناس به فيه أنه يفرض عليهم .

وعلق على هذا الحافظ فقال : ولا يخفى بعد هذا الأخير ، فقد واطب النبي صلى الله عليه وسلم على رواتب الفرائض وتابعه أصحابه ولم تفرض .

٢ - قال ابن بطال : يحتمل أن يكون هذا القول صدر منه صلى الله عليه وسلم لما كان قيام الليل فرضا عليه دون أمته ، فخشى إن خرج إليهم والتزموا معه قيام الليل أن يسوي الله بينه وبينهم في حكمه ، لأن الأصل في الشرع المساواة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أمته في العبادة .

قال : ويحتمل أن يكون خشى من مواظبتهم عليها أن يضعفوا عنها فيعصى من تركها بترك اتباعه صلى الله عليه وسلم .

٣ - وقال الكرماني : إن حديث الاسراء يدل على أن المراد بقوله تعالى « لا يبديل القول لدى » الأمن من نقص شيء من الخمس ولم يتعرض للزيادة .

٤ - وقال البعض : إن الزمان كان قابلا للنسخ فلا مانع من خشية الافتراض وعلق

عليه الحافظ بقوله : « وفيه نظر ، لأن قوله تعالى « لا يبديل القول لدى » خبر ، والنسخ لا يدخله على الراجح .

هـ - قال الحافظ : وقد فتح الباري بثلاثة أجوبة أخرى :

**أحدها :** أن يكون المخوف افتراض قيام الليل بمعنى جعل التهجد في المسجد جماعة شرطاً في صحة التنفل بالليل ، ويوميء إليه قوله في حديث زيد بن ثابت ( حتى خشيت أن يكتب عليكم ، ولو كتب عليكم ما قمتم به ، فصلوا ) أيها الناس ( في بيوتكم ) فمنعهم من التجمع في المسجد اشفاقاً عليهم من اشتراطه ، وأمن مع إذنه في المواظبة على ذلك في بيوتهم من افتراضه عليهم .

**ثانيها :** أن يكون المخوف افتراض قيام الليل على الكفاية لا على الأعيان ، فلا يكون ذلك زائداً على الخمس ، بل هو نظير ما ذهب إليه قوم في العيد ونحوها .

**ثالثها :** يحتمل أن يكون المخوف افتراض قيام رمضان خاصة ، فقد وقع في حديث الباب أن ذلك كان في رمضان . وفي رواية سفيان بن حسين : ( خشيت أن يفرض عليكم قيام هذا الشهر ) فعلى هذا يرتفع الاشكال ، لأن قيام رمضان لا يتكرر كل يوم في السنة فلا يكون ذلك قدراً زائداً على الخمس .

قال الحافظ : وأقوى هذه الأجوبة الثلاثة في نظري : الأول . انتهى ( ١ ) .

**الحديث الثاني :** حديث أبي ذر ، قال : شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهر رمضان فلم يقم في شيء من الشهر حتى كانت ليلة سابعة بقيت فقام بنا إلى نحو من ثلث الليل ، ثم لم يقم بنا ليلة سادسة بقيت ، فلما كانت ليلة خامسة بقيت قام بنا إلى نحو من شطر الليل ، فقلنا يارسول الله لو نفلتنا قيام هذه الليلة ؟ فقال : ( إن الرجل إذا قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة ) ، ثم لم يقم بنا ليلة رابعة بقيت ، فلما كان ليلة ثالثة بقيت قام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح ، قلت : وما الفلاح ؟ قال : السحور ، قال : فكان يوقظ في تلك الليلة أهله وبناته ونساءه « ( ٢ ) .

---

( ٢ ) رواه أصحاب السنن : الترمذي ( ١٦٠/٢ ) . وأبو داود ( ١٠٥/٢ ) . والنسائي ( ٨٣/٣ ) . وابن ماجه ( ٤٣٠/٨ ) . كلهم بطرق عن داود بن أبي هند . عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى . عن جبير بن نفير . عن أبي ذر .  
قال الترمذي : حسن صحيح .  
ونقل المنذري تصحيح الترمذي وأقره .



**شرح الحديث :** قوله ( لو نفلتنا ) أى لو جعلت بقية الليل زيادة لنا على قيام الشطر ، وهو من التسنيل ، وفي النهاية : لو زدتنا من الصلاة النافلة ، سميت بها النوافل لأنها زائدة على الفرائض ، وتقديره : لو زدت قيام الليل على نصفه لكان خيرا لنا ، ولو « للتمني » (١) .

**وقال الشوكاني :** المراد هنا لو قمت بنا طول ليلتنا ونفلتنا من الأجر الذى يحصل من ثواب الصلاة . انتهى .

وفي الحديث دليل على مشروعية الجماعة لصلاة التراويح .

**الحديث الثالث :** حديث أبي هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أناس في رمضان يصلون في ناحية المسجد ، فقال : ما هؤلاء ؟ فقيل : هؤلاء ناس ليس معهم قرآن ، وأبي بن كعب يصلي ، وهم يصلون بصلاته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أصابوا ، ونعم ما صنعوا (٢) .

وروي هذا الحديث أيضا محمد بن نصر المروزي (٣) .  
والمحفوظ في هذا أن عمر بن الخطاب جمع الناس وراء أبي بن كعب كما جزم الحافظ وغيره (٤) .

هذه بعض الأحاديث التي رويت في مشروعية الجماعة في صلاة التراويح .  
وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم ( أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة ) فحمل العلماء على صلاة التهجد كما خصصوا من هذا العموم بعض الصلوات التي شرع فيها الجماعة كالعيدين ، والكسوف ، والاستسقاء ، وكذلك صلاة التراويح ، ولذلك لما أمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من افتراض صلاة التراويح أمر بإقامتها في المسجد جماعة ، واستمر هذا العمل منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا فصارت صلاة التراويح في شهر رمضان من شعائر الإسلام ، إلا أن من ترك التراويح جماعة في المسجد ، وأقامها في البيت لا يذم ولا يلام .

(١) انظر : تحفة الأحوذى : ٥٢١/٣ .

(٢) رواه أبو داود ( ١٠٦/٣ ) وقال : ليس هذا الحديث بالقوي . مسلم بن خالد ضعيف . انتهى .

قال الذهبي في الكاشف ( ١٤٠/٣ ) ، وثق . وضعفه أبو داود لكثرة غلطه .

وقال الحافظ في التقریب : فقيه صدوق كثير الأوهام .

(٣) انظر : قيام الليل : ( ص ١٥٥ ) بطريق خالد بن مسلم ولم يقل فيه شيئا .

(٤) انظر : فتح الباري : ٢٥٢/٤ .

### ٣ - عدد ركعات صلاة التراويح :

فيه ثلاثة أقوال للعلماء :

القول الأول : ركعات التراويح ثمانية - وهو قول المحدثين والمحققين .  
القول الثاني : ركعات التراويح عشرون ركعة - وبه قال الأئمة الثلاثة : الشافعي وأبو حنيفة ، وأحمد .

القول الثالث : ركعات التراويح ست وثلاثون - وبه قال الإمام مالك .

#### واليكم بعض الأدلة للقول الأول :

١ - حديث عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعا فلا تسأل عن طولهن وحسنهن ، ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن طولهن وحسنهن ، ثم يصلي ثلاثا (١) .  
وقد بوب ابن خزيمة في صحيحه (٢) باب ذكر عدد صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بالليل في رمضان فذكر هذا الحديث ، كما ذكره البيهقي في سننه (٣) في باب ما روي في عدد ركعات القيام في شهر رمضان .

ويبدو أن الجميع أستمسكوا به لمعرفة عدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان وغيره ، كما ذكره الإمام البخاري في صحيحه عقب صلاة التراويح ، وسوف يأتي ذلك قريبا إن شاء الله .

٢ - حديث جابر بن عبد الله قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ثماني ركعات ، وأوتر ... رواه أبو يعلى ، والطبراني في الصغير ، كما قال الهيثمي وفيه : عيسى بن جارية وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه ابن معين (٤) .  
وقال الحافظ في الفتح : (٥) ورواه ابن خزيمة وابن حبان ، وعزاه في التلخيص (٦) لابن حبان فقط ولم يتكلم على اسناد الحديث مع وجود عيسى بن جارية في اسناد ابن حبان كما في موارد الظمان .

(١) متفق عليه : ففي البخاري مع الفتح (٣٣٣) ، وفي مسلم (٥٠٩٨) من طبعة فؤاد عبد الباقي .

(٢) صحيح ابن خزيمة : (٣٤٧٣) .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي : (٤٩٥٢) .

(٤) انظر : مجمع الزوائد : ١٧٢/٣ .

(٥) فتح الباري : ١٢/٣ .

(٦) التلخيص : ٢١/٣ .

وقد ذكر الشيخ الألباني هذا الحديث ونسبه لابن نصر والطبراني وقال : سنده حسن (١) . ولم يتكلم على عيسى بن جارية .

والطبراني ذكر هذا الحديث في المعجم الصغير (٢) باسناده عن يعقوب بن عبد الله القمي عن عيسى بن جارية ، عن جابر بن عبد الله قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ثمان ركعات وأوتر ، فلما كانت القبلة اجتمعنا في المسجد ورجونا أن يخرج ، فلم نزل حتى أصبحنا ثم دخلنا ، فقلنا يارسول الله اجتمعنا البارحة في المسجد ورجونا أن تصلي بنا ؟ فقال : إني خشيت أن يكتب عليكم .

قال الطبراني : لا يروى عن جابر بن عبد الله إلا بهذا الاسناد ، تفرد به يعقوب وهو ثقة ، ولم يتكلم عن عيسى بن جارية .

وذكر الذهبي هذا الحديث وقال : اسناده وسط (٣) .

**أقول :** عيسى بن جارية : هو الأنصاري المدني ، قال الحافظ : فيه لين . وقال الذهبي : روى عن جرير وجابر ، وعنه أبو صخر حميد بن زياد ، ويعقوب القمي مختلف فيه ، قال ابن معين : عنده مناكير (٤) . وفي الميزان : قال النسائي : منكر الحديث ، وجاء عنه : متروك . وقال أبو زرعة : لا بأس به . وأما يعقوب بن عبد الله القمي فهو - بضم القاف - أبو الحسن الأشعري ، سبق أن وثقه الطبراني . وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال الدارقطني : ليس بالقوى (٥) . وحكم عليه الذهبي بأنه صدوق (٦) .

ويبدو من هذا أن الحديث لا يقل عن درجة الحسن ، ولذا سكت عليه الحافظ ، وحسنه الألباني ، وقال الذهبي : اسناده وسط . والمعروف أن الذهبي من أهل الاستقراء . ثم أخرج الإمامان الجليلان وهما ابن حبان وابن خزيمة في صحيحهما ، إضافة إلى ذلك أنه موافق لحديث عائشة .

وبهذين الحديثين أخذ المحققون من علماء أهل الحديث والفقهاء . فإن أحدا منهم لم يقل بأن النبي صلى الله عليه وسلم صلى أكثر من ثماني ركعات في رمضان أو في غير رمضان ، وإنما الخلاف في الطول ، والقراءة ، والوقت ، والجماعة ، وغير ذلك .

(١) انظر : صلاة التراويح : ص ٣١ .

(٢) المعجم الصغير : ١٩٠/٨ .

(٣) انظر : ميزان الاعتدال : ٣١٧٣ .

(٤) انظر : الكاشف : ٣٦٦/٢ .

(٥) انظر : الخلاصة للخزرجي : ١٨٢٣ .

(٦) انظر : الكاشف : ٢٩٢/٣ .

وأما التراويح ، وقيام رمضان ، وصلاة الليل ، وصلاة التهجد في رمضان ، فهي عبارة عن شيء واحد ، قال الشيخ عبيد الله المباركفوري : « اعلم أن التراويح وقيام رمضان وصلاة الليل وصلاة التهجد في رمضان عبارة عن شيء واحد ، واسم لصلاة واحدة ، وليس التهجد في رمضان غير التراويح لأنه لم يثبت من رواية صحيحة ولا ضعيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في ليالي رمضان صلاتين إحداهما التراويح ، والأخرى التهجد ، فالتهجد في غير رمضان هو التراويح في رمضان كما يدل عليه حديث أبي ذر وغيره ، وأليه ذهب صاحب فيض الباري (١) . ( الشيخ أنور شاه الكشميري ) من الحنفية حيث قال ، « المختار عندي أن التراويح ، وصلاة الليل واحد ، وإن اختلفت صفتاهما كعدم المواظبة على التراويح وأدائها بالجماعة ، وأدائها في أول الليل تارة ، وإيصالها إلى السحر أخرى بخلاف التهجد فإنه كان في آخر الليل ، ولم تكن فيه الجماعة . وجعل اختلاف الصفات دليلاً على اختلاف نوعيتها ليس بجيد عندي بل كانت تلك صلاة واحدة ، إذا تقدمت سميت باسم التراويح ، وإذا تأخرت سميت باسم التهجد .

ولا بدع في تسميتها باسمين عند تغاير الوصفين فإنه لا حجر في التغاير الاسمي إذا اجتمعت عليه الأمة ، وإنما يثبت تغاير النوعين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه التهجد مع إقامته بالتراويح (٢) . انتهى .

وقد جزم أيضاً الشيخ بدر الدين العيني وهو من كبار العلماء الحنفية أن قول عائشة إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل في العشر الأواخر في رمضان يجتهد ما لا يجتهد في غيره ، المقصود منه التطويل في الركعات والسجود والقيام والقعود بدون الزيادة في العدد (٣) .

وقد ذكر الشيخ العيني عشرات الروايات عن الصحابة الآخرين لاثبات عدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم وخرج منها بأنه ما كان يزيد عن ثمان ركعات ، ويزيد وينقص من ركعات الوتر ما شاء ، وذهب الشيخ ابن الهمام - من محققي الحنفية - إلى أن الثماني ركعات سنة ، والبقية مستحبة ، وأنكر عليه المشايخ الحنفية القائلون بسنية العشرين (٤) .

**القول الثاني : ركعات التراويح عشرون ركعة :**

استند أصحاب هذا القول بالأثر المروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه جمع الناس وراء أبي بن كعب على عشرين ركعة كما استندوا أيضاً بحديث مرفوع إلا أنه ضعيف

( ١ ) انظر : ( ٤٢٠/٢ ) من فيض الباري .

( ٢ ) انظر : مرعاة المفاتيح : ٢٢٤/٢ - ٢٢٥ .

( ٣ ) انظر : عمدة القاريء : ٢٠٤/٧ .

( ٤ ) انظر : شرح فتح القدير : ٣٣٤/٨ .

بالاتفاق ، فلذا نرى أن المحققين من أصحاب المذاهب لم يذكروا هذا الحديث المرفوع في الاستدلال لما ذهبوا إليه كالشيخ ابن قدامة وغيره .

ولو كان هذا الحديث صحيحا لكان حجة قاطعة على أصحاب القول الأول ، ولتبادر المحققون إلى ذكره ، ومع ذلك فنحن نذكر هذا الحديث ثم نتبعه الآثار المروية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذا الخصوص .

**الحديث المرفوع :** قال الإمام الزيلعي : روى ابن أبي شيبة في مصنفه (١) ، والطبراني في معجمه (٢) ، وعنه البيهقي (٣) ، من حديث إبراهيم بن عثمان أبي شيبة عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر .

قال الحافظ الزيلعي : وهو معلول بأبي شيبة إبراهيم بن عثمان جد الإمام أبي بكر بن أبي شيبة ، وهو متفق على ضعفه ولينه ابن عدى في الكامل ثم أنه مخالف للحديث الصحيح عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة ..... فذكر حديثها (٤) . انتهى كلام الزيلعي .

وقال الهيثمي : رواه الطبراني (٥) في الكبير والأوسط وفيه : أبو شيبة وهو ضعيف (٦) .

وقال الحافظ في التقریب : أبو شيبة إبراهيم بن عثمان متروك ، وقال الشيخ ابن الهمام : أبو شيبة إبراهيم بن عثمان ضعيف (٧) .

وقال البيهقي : تفرد به أبو شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي الكوفي وهو ضعيف (٨) .

فسند هذا الحديث يدور على أبي شيبة لأن كل من خرجه فطريقه ينتهي إليه فلا يفرنك إذا قال أحد إن لهذا الحديث سندا آخر ، فإن الطبراني والبيهقي صرحا بأن أبا شيبة تفرد بهذا الحديث ، وذكر الحافظ الذهبي في الميزان وقال : إنه من مناكير أبي شيبة ، وكذا الحافظ مع علمه الغزير لم يجد لهذا الحديث سندا آخر ، فقد جزم وقال : « وأما ما رواه أبو شيبة من حديث ابن عباس فاسناده ضعيف ، وقد عارضه حديث عائشة هذا الذي في الصحيحين مع كونها أعلم بحال النبي صلى الله عليه وسلم ليلا من غيرها » (٩) .

(٦) انظر : مجمع الزوائد : ١٧٢/٣ .

(٧) انظر : شرح فتح القدير : ٣٣٢/٨ .

(٨) انظر : سنن البيهقي : ٤٩٦/٣ .

(٩) انظر : فتح الباري : ٢٥٤/٤ .

(١) مصنف ابن أبي شيبة : ٣٩٤/٣ .

(٢) الكبير : ٣٩٣/١ .

(٣) البيهقي : ٤٩٦/٣ .

(٤) انظر : نصب الراية : ١٥٣/٣ .

(٥) انظر : المعجم الكبير : ٣٩٣/١ .

وَمَعَ وجود هذه التصريحات من الأئمة والمحققين ، ومنهم علماء الحنفية جاء الشيخ يوسف البنوري رحمه الله تعالى الحنفي غاضبا وثائرا على من يقول : إن عدد ركعات التراويح ثمان ، ورماهم بالسفسطة والعجرفة في القول والبيان والزيف في المعتقد ، والبغض مع صلحاء الأمة ثم قال : « ويدفع القول الأول بأنه وإن كان ضعيفا - أي إبراهيم بن عثمان أبو شيبة - ولكن يؤيد روايته تعامل الأمة في عهد الفاروق ومن بعده ، ويدفع الثاني بالحمل على اختلاف الأحوال كما أشار إليه الحافظ في سياق آخر . وقد يعمل بالضعيف لتقويته بالتعامل وغيره » (١)

وقال بعد ذلك - ويبدو أنه متعب جدا لعدم نجاحه في محاولاته الكلامية - :  
« العشرون لا بد أن يكون لها أصل في المرفوع ، وإن لم يبلغ إلينا بالاسناد القوي » (٢) .  
وهي قاعدة مخترعة تنم عن العجز من الإتيان بالأدلة المعقولة .

### دراسة الآثار المروية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بخصوص عدد ركعات صلاة التراويح :

روى الإمام البخاري في صحيحه (٣) عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله . انتهى .

هذا الحديث الذي ذكره الإمام البخاري معلقا وقال : عن ابن شهاب ، وهو في الحقيقة عطف على ما سبق من الاسناد . ورواه مالك في موطنه باسناده نحوه .

**شرح بعض الكلمات :** ( أوزاع ) بسكون الواو ، بعدها زاي معجمة ، أي جماعة متفرقون ، وقوله في الحديث : متفرقون : تأكيد لفظي .  
( أمثل ) أي أفضل ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استنبط من تقرير

(١) انظر : معارف السنن : ٥٤٧/٥ .

(٢) المصدر السابق : ٥٥٠/٥ .

(٣) انظر : فتح الباري : ٢٥٠/٤ .

النبي صلى الله عليه وسلم من صلى معه في تلك الليالي ، وإن كان كره ذلك لهم ، فإن كرهه خشية أن يفرض عليهم فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم حصل الأمن من ذلك .

( فجمعهم على أبي بن كعب ) أي جعله إماما . قال الحافظ : كأنه اختاره عملا

بقوله صلى الله عليه وسلم ( يؤمهم أقرؤهم لكتاب الله ) ، وقد قال عمر : أقرؤنا أبي .

( ثم خرجت معه ليلة أخرى ) فيه إشارة إلى أن عمر ما كان يصلي مع

الجماعة وراء أبي ، لأنه يرى أن الصلاة في آخر الليل في البيت أفضل ، فإنه قال

في آخر الحديث : والتي تنامون عنها أفضل .

وقد روى محمد بن نصر من طريق طاوس ، عن ابن عباس قال : كنت عند عمر في

المسجد فسمع هيعة الناس فقال : ما هذا ؟ قيل : خرجوا من المسجد ، وذلك في رمضان فقال :

ما بقي من الليل أحب إلي مما مضى . انتهى .

( الهيعة ) قال في النهاية : الصياح والضجة .

( قول عمر : نعم البدعة ) وجاء في بعض الروايات : نعمت البدعة . والبدعة أصلها

ما أحدث على غير مثال سابق .

وتطلق في الشرع : في مقابل السنة ، وتكون ممنوعة .

قال الحافظ : والتحقيق في ذلك أنها إن كانت مما تدرج تحت مستحسن في الشرع

فهي حسنة ، وإن كانت مما تدرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة ، وإلا فهي من قسم

المباح (١) .

وقال الحافظ ابن الأثير : البدعة بدعتان ، بدعة هوى ، وبدعة ضلال ، فما كان في

خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز الذم والانكار ، وما كان تحت

عموم ما ندب الله إليه ، وحض عليه الله ورسوله فهو في حيز المدح وما لم يكن له مثال

موجود كنوع من السجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة ، ولا يجوز أن

يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل له ثوابا

فقال : ( من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها ) وقال في ضده ( ومن سن

سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ) وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به

ورسوله صلى الله عليه وسلم . ومن هذا النوع قول عمر بن الخطاب : نعمت البدعة هذه (٢) .

(١) انظر : فتح الباري : ٢٣٢/٤ .

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث : ١٠٦٨ .

ونرجع إلى الحديث أصل الموضوع فنقول :

إن الإمام البخاري لم يذكر عدد الركعات التي جمع عليها عمر بن الخطاب وفي هذا إشارة إلى أن الآثار التي وردت في ذكر عدد الركعات لم تصح عنده ، أو أنه يرى أن عمر لم يتجاوز على ثماني ركعات فذكر عقب قصة عمر حديث عائشة رضي الله عنها التي تقول : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد على إحدى عشرة ركعة في رمضان ولا في غيره ، يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً .

لذا وقع الخلاف بين الرواة في ذكر عدد الركعات ، وإليكم بعض هذه الآثار :

١ - في موطأ مالك (١) : عن محمد بن يوسف ، عن السائب بن يزيد أنه قال : أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوموا للناس بأحدى عشرة ركعة قال : وقد كان القارئ يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام ، وما كنا ننصرف إلا في بزوغ الفجر .

وبطريق مالك رواه البيهقي (٢) وصرح فيه بأن محمد بن يوسف هو ابن أخت السائب بن يزيد .

ورواه سعيد بن منصور في سننه بوجه آخر عن عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن يوسف ، عن السائب بن يزيد .

واسناده صحيح ، فإن محمد بن يوسف الكندي المدني الأعرج ثقة ثبت مات في حدود الأربعين ومائة وهو شيخ مالك واحتج به الشيخان .

والسائب بن يزيد صحابي معروف حج مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير ، ثم إن هذا الحديث موافق لحديث عائشة رضي الله عنها وحديث جابر بن عبد الله . إلا أن الحافظ ابن عبد البر يقول : روى غير مالك في هذا الحديث « إحدى وعشرون » وهو الصحيح ولا أعلم أحداً قال فيه إحدى عشرة إلا مالكا ، ويحتمل أن يكون ذلك أولاً ثم خفف عنهم طول القيام ونقلهم إلى إحدى وعشرين إلا أن الأغلب عندي أن قوله : إحدى عشرة وهم . انتهى .

ورد الزرقاني بقوله : ولا وهم مع أن الجمع بالاحتمال الذي ذكره قريب ، وبه جمع

(١) الموطأ مع شرحه التنوير : ١٠٥٨ .

(٢) السنن الكبرى : ٤٩٦/٣ .



البيهقي أيضا ، وقوله إن مالكا انفرد به ليس كما قال ، فقد رواه سعيد بن منصور من وجه آخر عن محمد بن يوسف مثل قول مالك (١) . انتهى .

وقال النيموني في آثار السنن : ما قاله ابن عبد البر من وهم مالك فغلط جدا لأن مالكا تابعه عبد العزيز بن محمد الدراوردي عند سعيد بن منصور ، ويحيى بن سعيد القطان عند أبي بكر بن أبي شيبة في مصنفه ، وكلاهما عن محمد بن يوسف وقالا : إحدى عشرة .

وهذه الروايات التي رويت عن عمر بن الخطاب في غاية من الصحة ، وفيها ذكر لإحدى عشرة ركعة ، لأن عبد العزيز بن محمد الدراوردي من الثقات أيضاً أخرج له أصحاب الستة ، ويحيى بن سعيد القطان إمام في الحفظ والضبط والاتقان .

وزاد الألباني في رسالة صلاة التراويح (٢) فقال : وأيضاً تابع مالكا إسماعيل بن أمية ، وأسامة بن زيد ، ومحمد بن اسحاق عند النيسابوري ، وإسماعيل بن جعفر المدني عند ابن خزيمة في حديث ابن حجر كلهم قالوا عن محمد بن يوسف به . انتهى .

٢ - أخرج عبد الرزاق في مصنفه (٣) عن داود بن قيس وغيره ، عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد أن عمر جمع الناس في رمضان على أبي بن كعب ، وعلى تميم الداري على إحدى وعشرين ركعة يقرأون بالمئين وينصرفون عند بزوغ الفجر .

قال الشيخ المباركفوري : إن عبد الرزاق انفرد برواية إحدى وعشرين ركعة ولم يخرج أحد غيره فيما أعلم ، وعبد الرزاق وإن كان ثقة حافظاً فقد عمي في آخر عمره فتغير كما صرح به الحافظ في التقریب ، وأما الإمام مالك فبقي إماماً لدار الهجرة (٤) .

والمعروف أن الحكم في المختلطين أنه يقبل حديث من أخذ عنهم قبل الاختلاط ولا يؤخذ حديث من أخذ عنهم بعد الاختلاط أو أشكل أمره فلم يدر هل أخذ عنهم قبل الاختلاط أو بعده ، فمسألة عبد الرزاق هي من القسم الثالث وخاصة إذا خالف الثقات .

ثم هذه الرواية مخالفة للحنفية فإنه يستلزم أن يقولوا بأن التراويح ثمانى عشرة ركعة ، أو أن الوتر ركعة واحدة .

وأما داود بن قيس فهو الصنعاني ذكره ابن حبان في الثقات وقال عنه الحافظ :

مقبول .

(١) شرح الموطأ للزرقاني : ٣٥٤٨ .

(٢) صلاة التراويح : ص ٥٣ .

(٣) للمصنف : ٢٦٠/٤ .

(٤) انظر : تحفة الأحودي : ٥٢٧/٣ .

٢ - وأخرج محمد بن نصر المروزي (١) ، عن السائب بن يزيد بدون الاسناد وفيه ذكر لعشرين ركعة ومثله عند البيهقي (٢) بطريق أبي عبد الله الحسين بن محمد بن فنجويه الدينوري ، ثنا أحمد بن محمد بن إسحاق السني ، أنبأنا عبد الله محمد بن عبد العزيز البغوي ، ثنا علي بن الجعد ، أنبأنا ابن أبي ذئب ، عن يزيد بن خصيفة ، عن السائب بن يزيد ..

قال صاحب مرهقة المفاتيح : أما رواية يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد فهي عند البيهقي بوجهين في أحدهما أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري ، وفي الآخر أبو عبد الله الحسين بن فنجويه ، ولم أقف على ترجمتهما ولم يعرف حالهما . انتهى (٣) .

**أقول :** أما وجه أبي عثمان عمرو بن عبد الله البصري فلم أجده في السنن الكبرى وأما قوله في أبي عبد الله الحسين بأنه لم يقف على ترجمته فهو صحيح ، فإنني بعد البحث لم أقف على أكثر ما ذكره الحافظ الذهبي في ترجمة « تمام بن أبي الحسين » اسمه فقط بدون أن يقول عنه شيئاً (٤) .

وقال الحافظ (٥) : روى مالك من طريق يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عشرين ركعة ، وتبعه الشوكاني (٦) فقال : رواه مالك في الموطأ والظاهر أنهما قد سهوا في ذلك فإن مالكا لم يرو رواية يزيد بن خصيفة هذه في الموطأ .

وقد ذكر النووي حديث يزيد بن خصيفة وعزاه إلى البيهقي وغيره ولم يعزه إلى مالك (٧) وهذا لا يمنع أن يروى مالك هذه الرواية في غير الموطأ ، بالإضافة إلى ذلك فقد قال الإمام أحمد عن يزيد بن خصيفة : منكر الحديث مع توثيقه له في رواية الأثرم عنه (٨) .

ومعنى هذا أن يزيد بن خصيفة انفرد برواية هذا الأثر وهو مخالف لما رواه زملاؤه الآخرون فيكون الضعف في روايته من أجل مخالفته فقد قال الحافظ في مقدمة الفتح (٩) في ترجمته : هذه اللفظة يطلقها أحمد على من يغرب من أقرانه بالحديث ، عرف ذلك بالاستقراء من حاله ، وقد احتج بابن خصيفة مالك والأئمة كلهم . انتهى .

(١) انظر : قيام الليل ، ص ١٥٧ .

(٢) السنن الكبرى : ٤٩٦/٢ .

(٣) ٣٣٢/٢ .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ ، ١٠٥٧/٣ .

(٥) انظر : فتح الباري ، ٢٥٣/٤ .

(٦) انظر : نيل الأوطار : ٦٣/٣ .

(٧) انظر : شرح المذهب : ٥٢٧/٣ .

(٨) انظر : ميزان الاعتدال : ٤٣٠/٤ .

(٩) ص ٤٥٣ .

فرواية يزيد بن خصيفة غريبة وشاذة مع صحته كما زعم به النووي (١) . لأنها تخالف روايات الثقات لأن ابن خصيفة ومحمد بن يوسف كلاهما ثقان يرويان عن السائب بن يزيد ، فالأول يقول في روايته « إحدى وعشرون » ، والثاني « إحدى عشرة ركعة » ، فيرجح القول الثاني لأنه أوثق من صاحبه ، لذا اقتصر الحافظ في وصف يزيد بن خصيفة في التقريب بقوله : « ثقة » بينما قال في وصف محمد بن يوسف « ثقة ثبت » وأيضاً محمد بن يوسف هو ابن أخت السائب بن يزيد فلأجل قرابته للسائب يكون أعرف الناس في حديث السائب من غيره .

هذه هي خلاصة الخلاف بين يزيد بن خصيفة ومحمد بن يوسف ، وقد حمل بعض علماء الحنفية على علماء أهل الحديث فنسبوا إليهم القول بتضعيف يزيد بن خصيفة معتمدين على قول أحمد فرموهم بالجهل والتعصب ، والحق أن علماء أهل الحديث لم يضعفوا يزيد بن خصيفة ، بل رجحوا رواية محمد بن يوسف على روايته للأسباب التي مر ذكرها .

فلم ينجح في محاولة من أراد تقديم حديث يزيد بن خصيفة أو تصحيحه كما يظهر هذا جلياً من قول الشيخ اللكنوي في « الرفع والتكميل » ، ومنه الدكتور نور الدين عتر في « منهج النقد في علم الحديث » في باب « منكر الحديث » ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

٤ - روى مالك في الموطأ (٢) عن يزيد بن رومان أنه قال : كان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب بثلاث وعشرين ركعة « إلا أن فيه انقطاعاً ، فإن يزيد بن رومان لم يدرك عمر بن الخطاب فإنه توفي سنة ثلاثين ومائة فلم يلق إلا صغار الصحابة كابن الزبير ، وأنس ، وعبيد الله ، وسالم ، ابني عبد الله بن عمر ، ولم يذكر الحافظ في « التهذيب » ، ولا السيوطي في « اسعاف المبطل برجال الموطأ » أنه التقى بعمر بن الخطاب .

وقد نص الزيلعي (٣) بأنه لم يدرك عمر بن الخطاب ، وقال العيني (٤) : سنده

منقطع .

٥ - روى ابن أبي شيبعة عن وكيع ، عن مالك ، عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب أمر رجلاً يصلي بهم عشرين ركعة (٥) ، ويحيى بن سعيد لم يدرك عمر بن الخطاب فقد قال ابن المديني : لا أعلمه سمع من صحابي غير أنس (٦) .

(١) شرح التهذيب : ٥٢٧/٣ .

(٢) الموطأ : ١٠٥/٨ مع التنوير .

(٣) نصب الراية : ١٥٤/٢ .

(٤) انظر : عمدة القاري : ١٢٦/١ .

(٥) المصنف : ٣٩٣/٢ .

(٦) تهذيب التهذيب : ٢٢٣/٨١ .

٦ - وروى ابن أبي شيبة أيضاً عن عبد العزيز بن رفيع قال : كان أبي بن كعب يصلي بالناس في رمضان بالمدينة عشرين ركعة ويوتر بثلاث (١) .  
وعبد العزيز بن رفيع لم يدرك أبي بن كعب ، فإنه توفي سنة ( ١٩ هـ ) ، أو سنة ( ٣٢ هـ ) ، وعبد العزيز توفي سنة مائة وثلاثين على أنه لم يذكر أى واحد في ترجمته أنه روى عن أبي بن كعب ، إنما يروى عن صغار الصحابة وكبار التابعين (٢) .

٧ - وروى محمد بن نصر المروزي في قيام الليل قال : قال الأعمش : كان ابن مسعود يصلي عشرين ركعة ويوتر بثلاث ، إلا أن الأعمش لم يدرك ابن مسعود .  
٨ - وروى البيهقي (٣) عن أبي الحسن أن علي بن أبي طالب أمر رجلاً أن يصلي بالناس خمس ترويحات ، عشرين ركعة . قال البيهقي : وفي هذا الاسناد ضعف . انتهى .

أقول : لأن فيه أبا الحسن وهو مجهول كما قال الحافظ في التقريب (٤) .

٩ - وروى البيهقي من وجه آخر من طريق حماد بن شعيب ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي قال : دعا القراء في رمضان فأمر منهم رجلاً يصلي بالناس عشرين ركعة وكان يوتر بهم ، وفيه حماد بن شعيب ضعيف ، ضعفه ابن معين وغيره (٥) ، وقال البخاري : فيه نظر (٦) .

وقد ذكرت آثار غير هذه ولكن يظهر من دراستها أنها لا تخلو من ضعف ، فإن الآثار الصحيحة عن عمر بن الخطاب تدل على أنه أمر أبي بن كعب أن يصلي بالناس ثمانين ركعات وهي موافقة لفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما ما زاد على هذه فهي كلها ضعيفة ، أو مقطوعة غير صحيحة .

١٠ - وروى أبو داود في سننه عن الحسن أن عمر بن الخطاب جمع الناس على أبي بن كعب ، فكان يصلي لهم عشرين ليلة ، ولا يقنت بهم إلا في النصف الباقي . فإذا كانت العشر الأواخر تخلف فصلى في بيته ، فكانوا يقولون : ابق أبي (٧) ، وبطريقه رواه البيهقي (٨) ، وكذا ذكره الزيلعي (٩) عن أبي داود ، بأن أبا صلي بهم عشرين ليلة .

(١) المصنف : ٣٩٣/٢ .  
(٢) راجع ترجمتهما في تهذيب التهذيب ، وتهذيب الكمال .  
(٣) السنن الكبرى : ٤٩٧/٣ .  
(٤) التقريب : ٤١٣/٣ .  
(٥) انظر : الجرح والتعديل : ١٤٢/٨ .  
(٦) التاريخ الكبير : ٢٥٨/٣ .  
(٧) أبو داود : ١٣٦/٢ - باب القنوت في الوتر .  
(٨) السنن الكبرى : ٤٩٨/٣ .  
(٩) انظر : نصب الراية : ١٢٦/٢ .

ثم تعمد بعض من لا أمانة له ولا ديانة ، فأثبت في حاشية بعض نسخ أبي داود المطبوعة في الديار الهندية بأنه توجد في نسخ أخرى : عشرين ركعة بدلاً من عشرين ليلة . وظهر ذلك أول مرة في حاشية الشيخ محمود الحسن على سنن أبي داود وهو إمام الحنفيين في جامعة دار العلوم بديوبند ، ثم جاءت خطوة أخرى فأثبتوا في المتن ( عشرين ركعة ) وقالوا في الحاشية « وفي نسخة عشرين ليلة » وذلك في شرح فخر الحسن على سنن أبي داود .

وأمامي الآن نسخة بذل المجهود المطبوعة في لبنان على طبع الهندية ، وفي هامشها « في نسخة بدله ركعة » ، كذا في نسخة مقروءة على الشيخ مولانا محمد إسحاق رحمه الله تعالى ( ١ ) .

ثم هذا السند الذي ساقه أبو داود فيه انقطاع لأن الحسن البصري لم يدرك عمر بن الخطاب فإنه ولد في سنة إحدى وعشرين ، ومات عمر في أواخر سنة ثلاث وعشرين أو في أوائل المحرم سنة أربع وعشرين .

١١ - وعند مالك رواية أخرى عن داود بن الحصين أنه سمع الأعرج يقول : ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان قال : وكان القارئ يقرأ سورة البقرة في ثمان ركعات ، فإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعة رأى الناس أنه قد خفف .  
قال ابن عبد البر : أدرك الأعرج جماعة من الصحابة وكبار التابعين .  
وأما داود بن الحصين فهو أبو سليمان المدني الأموي مولاهم ، وثقه ابن معين ، وضعفه أبو حاتم وقال : لولا أن مالكا روى عنه لترك حديثه ( ٢ ) .

قال الحافظ بعد ذكر هذه الروايات وغيرها : قال ابن إسحاق : وهذا أثبت ما سمعت في ذلك ( يعني به رواية محمد بن يوسف ، عن جده السائب بن يزيد قال : كنا نصلي زمن عمر في رمضان ثلاث عشرة ) وهو موافق لحديث عائشة في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من الليل ( ٣ ) .

وهذا الذي نرجحه لأنه يوافق فعل النبي صلى الله عليه وسلم . والمسألة فيها خيار ، كما قال الإمام الشافعي : رأيت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين ، وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك ضيق ، وعنه قال : إن أطالوا القيام وأقلوا السجود فحسن ، وإن أكثروا السجود وأخفوا القراءة فحسن ، والأول أحب إلي .

( ١ ) انظر : بذل المجهود في حل أبي داود ، ٢٥٢٧ .

( ٢ ) انظر : الجرح والتعديل ، ٤٠٩/٢٨ .

( ٣ ) انظر : فتح الباري ، ٢٥٤/٤ .

**القول الثالث :** وهو قول الإمام مالك بأن صلاة التراويح ست وثلاثون ركعة .  
وجد أهل المدينة على ذلك : وقيل : ثمان وثلاثون ، فقد روى محمد بن نصر المروزي ، عن  
ابن أيمن ، عن مالك هكذا ، وقال مالك : وعلى هذا العمل منذ بضع ومائة سنة ، ثم يقول  
مالك : وليس في شيء من ذلك ضيق .

فكان يرى أن الأمر موكول إلى المصلي فهو يختار العدد المناسب حسب نشاطه ، وقد  
قال الترمذي في سننه : أكثر ما قيل أنها تصلى إحدى وأربعين ركعة - يعني بالوتر - .  
ولكن نقل ابن عبد البر : عن الأسود بن يزيد : تصلى أربعين ويوتر بسبع .  
وسبب اختيار أهل المدينة ستا وثلاثين ركعة أن أهل مكة كانوا يطوفون بين كل  
ترويحتين طوافا ويصلون ركعتين ، ولا يطوفون بعد الترويحة الخامسة ، فأراد أهل المدينة  
مساواتهم فجعلوا مكان كل طواف أربع ركعات فزادوا ست عشرة ركعة فصار المجموع ستا  
وثلاثين ركعة . ذكره النووي (١) وغيره . والحمد لله رب العالمين .

المنتقل من معصية إلى معصية أكبر منها كالمستجير من الرمضاء بالنار .  
والمنتقل من معصية إلى معصية ، كالمنتقل من دين باطل إلى دين  
باطل .

(ابن تيمية)

المعاصي سبب المصائب ، والطاعة سبب النعمة ، وإحسان العمل  
سبب لإحسان الله .

(ابن تيمية)

(١) انظر : شرح المهذب : ٥٢٧/٣ .

# حَدِيثُ تَفَرُّقِ الْأُمَّةِ

للسَّيِّدِ عَبْدِ الْكَرِيمِ مَرْادٍ  
أستاذ مشارك بكلية الشريعة

قال الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني : حدثنا وهب بن بقية عن خالد بن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة .

إسناد الحديث : وهب بن بقية شيخ أبي داود هو وهب بن بقية بن عثمان أبو محمد الواسطي ويقال له : وهبان ، ثقة من العاشرة روى عنه : مسلم وأبو داود والنسائي وخلق ، ومات سنة تسع وثلاثين ومائتين ( ٢٣٩ هـ ) .

وخالد : هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الطحان أبو الهيثم ويقال أيضاً أبو محمد المازني مولاهم ، ثقة ثبت من الثامنة روى له الجماعة ، ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة ( ١٨٢ هـ ) .

ومحمد بن عمرو : هو محمد بن عمرو بن علقمة الليثي المدني ، صدوق له أوهام من السادسة روى له الأربعة والبخاري مقرونا بغيره ومسلم في المتابعات ومات سنة خمس وأربعين ومائة ( ١٤٥ هـ ) .

وأبو سلمة : هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قيل اسمه : عبد الله وقيل إسماعيل ، ثقة مكث من الثالثة روى له الجماعة ومات سنة أربع وتسعين ( ٩٤ هـ ) .

وأبو هريرة : هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر أبو هريرة الدوسي اليماني رضى الله عنه حافظ الصحابة . اختلف في اسمه اختلافا كثيرا وكان اسمه في الجاهلية : عبد شمس ومات سنة سبع وخمسين ( ٥٧ هـ ) .

قال ابن اسحاق في مغازيه : حدثني بعض أصحاب أبي هريرة أنه قال : كان اسمي في الجاهلية : عبد شمس بن صخر فسميت في الإسلام : عبد الرحمن . رواه الحاكم في مستدركه (١) .

**تخريج الحديث :** أخرج حديث أبي هريرة هذا : الترمذي في باب افتراق الأمة . وابن ماجة مختصراً في باب افتراق الأمم . وابن حبان في صحيحه . والحاكم في مستدركه . وأحمد بن حنبل في مسنده . والآجری في الشريعة . وأبو يعلى في مسنده . من طرق كلها عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً .  
وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .  
قلت : والترمذي والحاكم رحمهما الله معروف تساهلهما في التصحيح ومحمد بن عمرو بن علقمة من المشهورين بالصدق ولكن لم يكن من أهل الضبط والاتقان فحديثه حسن وسبق أن البخاري روى له مقرونا بغيره ومسلم في المتابعات .

**وحديث افتراق الأمة روى عن جماعة من الصحابة منهم :** معاوية بن أبي سفيان وعوف بن مالك وأنس بن مالك وعبد الله بن عمرو .  
أما حديث معاوية رضي الله عنه فأخرجه أبو داؤد والحاكم وأحمد بن حنبل بسند جيد ولفظه عند أبي داؤد : ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة .

وفي رواية له : وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله .  
وأما حديث عوف بن مالك رضي الله عنه فأخرجه ابن ماجة في باب افتراق الأمم بسند جيد ولفظه : افتقرت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافتقرت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة .  
والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وثنان وسبعون في النار . قيل يارسول الله من هم ؟ قال : الجماعة .

وأما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه فأخرجه ابن ماجة بلفظ : إن بني إسرائيل افتقرت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة .

وفي إسناده : أبو عمرو عبد الرحمن بن يزيد بن تميم وهو ضعيف .  
وأما حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه فأخرجه الترمذي والحاكم ولفظه عند الحاكم : ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلاً بمثل حذو النعل بالنعل حتى لو كان فيهم من نكح أمه علانية كان في أمتي مثله .



وإن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار إلا واحدة ف قيل ما الواحدة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي .  
وفي رواية الترمذي: وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة .  
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب .

وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وهو ضعيف فتحسين الترمذي للحديث لاعتضاده بما روى في الباب من أحاديث .

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله في تهذيب السنن: حديث أنس رواه أبو إسحاق الفزاري عن الأوزاعي عن يزيد الرقاشي ورواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن عبد الله ابن غزوان عن عمرو بن سعد عن يزيد الرقاشي .

قلت: يزيد بن أبان الرقاشي ضعيف وعبد الله بن غزوان وشيخه عمرو بن سعد مجهولان . كذا في الميزان .

وقال السخاوي في المقاصد الحسنة بعد ما نقل قول الحاكم في مقدمة مستدركه: إنه حديث كبير الأصول وقد روى عن سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وعوف بن مالك .

قال: وروى عن أنس بن مالك وجابر وأبي أمامة وعلي وعمرو بن عوف وعويمر أبي الدرداء ومعاوية بن أبي سفيان ووائلة بن الأسقع كما بينتها في كتابي الفرق .  
**شرح الحديث:** افتترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة الخ . هذا شك من الراوى وقد ورد ذلك في حديث معاوية وحديث عبد الله بن عمرو من غير شك وقد تقدما .

وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، هذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن غيب وقع كما قال .

والمعنى أن الأمة تفترق فرقا تتدين كل فرقة منها بخلاف ما تتدين به الأخرى .  
والمراد من ( أمتي ) أمة الإجابة .

وليس المراد بالفرق المذمومة المختلفين في فروع الفقه وإنما المقصود بالذم من خالف أهل الحق في التوحيد والقضاء والقدر وشروط النبوة والرسالة وموالات الصحابة وما جرى مجرى ذلك لأن المختلفين في هذه الأمور يكفر بعضهم بعضاً بخلاف الفروع الفقهيّة فإنهم مختلفون فيها من تكفير ولا تفسيق للمخالف فيها .

فيرجع تأويل الحديث في افتراق الأمة إلى هذا النوع من الاختلاف (١) .

قلت وإلى ذلك يومئى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث معاوية : وأنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب (٢) بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله .

وفيه إشارة أيضاً إلى أن الأهواء والبذع إذا تمكنت من النفس واستحكمت بها فصاحبها على خطر عظيم قد لا يوفق للتوبة منها كما أن داء الكلب إذا تمكن من صاحبه واستحكمت به فهو على خطر من الهلاك قد لا يشفى منه .

قال الخطابي في معالم السنن : في الحديث دليل على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الدين إذ جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم من أمته .

وفيه دليل على أن المتأول لا يخرج عن الملة وإن أخطأ في تأويله . اهـ .

قلت : وفي الجهمية قولان للعلماء هل هم من أهل القبلة أم لا ؟ وممن قال إن الجهمية ليسوا من فرق الأمة : عبد الله بن مبارك ويوسف بن أسباط (٣) .

وجاء في حديث غير أبي هريرة في فرق الأمة ، زيادة : كلها في النار إلا واحدة كحديث أنس بن مالك ومعاوية وعوف بن مالك وعبد الله بن عمرو وغيرهم .

والحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الصحيح لغيره ولذا قال الحاكم بعدما ساق حديث معاوية في ١٢٨٨ : هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث ووافقه الذهبي .

وأما ما قاله الشوكاني في فتح القدير ٥٦٢ : أما زيادة : كلها في النار إلا واحدة ، فقد ضعفها جماعة من المحدثين بل قال ابن حزم : إنها موضوعة .

وكذلك ما نقله زاهد الكوثري عن ابن الوزير أنه قال في كتابه : العواصم والقواصم : إياك أن تغتر .

بزيادة : كلها في النار إلا واحدة ، فإنها فاسدة ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة وقد قال ابن حزم : إن هذا الحديث لا يصح .

(١) الفرق بين الفرق للبيهقي ص ٩ .

(٢) الكلب : بفتح الكاف . داء يصيب الكلب بجنون . وعلامته أن تحمر عيناه . وإذا عقر هذا الكلب إنساناً عرض له من ذلك

أعراض رديئة .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية .

فقد تولى الإجابة عن ذلك محدث الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله في السلسلة الصحيحة بما ملخصه :

ولا أدري من الذين أشار إليهم الشوكاني بقوله : فقد ضعفها جماعة ، ؟ فإنني لا أعلم أحداً من المحدثين ضعف هذه الزيادة بل إن الجماعة قد صححوها وقد سبق ذكر أسمائهم .

وأما ابن حزم فقد راجعت كتابه الفصل في الملل والنحل وقلبت مظانه فلم أعثر عليه ثم إن النقل عنه مختلف فابن الوزير قال عنه : إن الحديث لا يصح والشوكاني قال عنه : إنها موضوعة ، وشتان ما بين النقلين .

فإن صح عنه ذلك فابن حزم رحمه الله معروف عند أهل العلم بتشده في النقد فلا ينبغي أن يحتج بقوله عند تفرده فكيف إذا خالف جماعة المحدثين ؟

وأما ابن الوزير فقد صحح حديث معاوية في كتابه القيم : الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ص ٢٦٢ .

وقد روى حديث افتراق الأمة مقلوب السند والمتن بلفظ : تفرق أمتي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا واحدة . قالوا يارسول الله من هم ؟ قال : الزنادقة وهي القدرية . أخرجه العقيلي وابن عدى .

قال أهل العلم : هذا الحديث وضعه الأبرد بن أشرس وسرقه يسين الزيات فقلب إسناده وخط والمعروف بلفظ : كلها في النار إلا واحدة .

قال في الميزان : قال ابن خزيمة : أبرد بن أشرس كذاب وضاع ويسين بن معاذ الزيات قال ابن حبان : يروى الموضوعات وقال البخاري : منكر الحديث .

وقد أشكل حديث افتراق الأمة على بعض الناس من جهة معناه .

والإشكال في قوله : كلها في النار إلا واحدة ، ومن المعلوم أن أمته صلى الله عليه وسلم خير الأمم والمرجو أن يكونوا نصف أهل الجنة مع أنهم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود كما جاء ذلك في الأحاديث فكيف يتمشى هذا ؟

وقد أجاب عن ذلك الشيخ صالح بن مهدي المقبل في كتابه : العلم الشامخ في الرد على الآباء والمشائخ ص ٤١٤ .

بما ملخصه : إن الناس عامة وخاصة فالعامة آخرهم كأولهم مثل النساء والعبيد والفلاحين والسوقة ونحوهم ممن ليسوا من أمر الخاصة في شيء فلا شك في براءة هؤلاء من الابتداء .

وأما الخاصة فمنهم مبتدع أحدث البدعة واتخذها ديناً وبلغ في تقويتها كل مبلغ وجعلها أصلاً يرد إليه نصوص الكتاب والسنة . ثم تبعه قوم من نمطه في الفقه والتعصب وربما جددوا بدعته وفرعوا عليها ولكنه إمامهم المقدم . وهؤلاء هم المبتدعة حقاً .  
ومن الناس من تبع هؤلاء وناصرهم وقوى سوادهم بالتدريس والتصنيف ولكنه في نفسه راجع إلى الحق وقد دس تلك الأبحاث نقوضها في مواضع على وجه خفي . ولعل هذا تخيل مصلحة دنيئة أو عظم عليه انحطاط نفسه وإيذاؤهم له في عرضه وربما بلغت الأذية نفسه .  
فهذا عرف الحق من الباطل وتخبط في تصرفاته وحسابه على الله إما أن يحشره مع من أحب بظاهره أو يقبل عذره .

وما تكاد تجد أحداً من هؤلاء النظار وأهل الكلام إلا وقد فعل ذلك .  
ومن الناس من ليس من أهل التحقيق ولا هيبىء للهجوم على الحقائق وقد تدرب في كلام الناس وعرف أوائل الأبحاث وحفظ كثيراً من غناء ما حصلوه ولكن أرواح الأبحاث بينه وبينها حجاب .  
وهؤلاء الأكثرون عدداً والأردلون قدراً فإنهم لم يحظوا بخصيصة الخاصة ولا أدركوا سلامة العامة .

فالقسم الأول مبتدع قطعاً والثاني ظاهر الابتداع والثالث له حكم الابتداع .  
وإذا حققت ما ذكرنا لك لم يلزمك السؤال المحذور وهو هلاك معظم الأمة لأن الأكثر عدداً قديماً وحديثاً هم العامة . وكذلك الخاصة في الأعصار المتقدمة .  
ولعل القسمين الأوسطين وكذلك من خفت بدعته من القسم الأول تنقذهم رحمة ربك من الانتظام في سلك الابتداع بحسب المجازاة الأخروية . ورحمة ربك أوسع بكل مسلم . اهـ .

**أصول فرق أهل الأهواء :**

أصول فرق أهل الأهواء والبدع ثمانية :

**الأول المعتزلة :** ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية وهم عشرون

فرقة .

**والثاني الشيعة الشنيعة :** وهم اثنتان وعشرون فرقة ترجع في الأصل إلى ثلاث

فرق : الغالية والإمامية وهم الرافضة والزيدية .

**والثالث الخوارج :** ويسمون الحرورية والنواصب والشراة بضم الشين وهم عشرون

فرقة .

**والرابع المرجئة :** والإرجاء له معنيان :

أ - التأخير ، تقول : أرجأت الأمر إذا أخرته .

ب - إعطاء الرجاء ، تقول : أرجيت فلاناً إذا أعطيته الرجاء .

والهمزة على الأول أصلية وعلى الثاني منقلبة عن حرف العلة .

وتسمية الجماعة مرجئة على المعنى الأول صحيح لأنهم يؤخرون العمل عن النية وعقد القلب لقولهم : إن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله وبما جاءت به من عند الله فقط والعمل ليس بإيمان . وتسميتهم مرجئة على المعنى الثاني واضح لقولهم : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة . فقد أعطوا المؤمن العاصي الرجاء في ثواب الله . والمرجئة خمس فرق .

**والخامس النجارية :** ويسمون الحسينية أتباع أبي عبد الله الحسين بن محمد بن

عبد الله النجار ، وافقوا أهل السنة في خلق أفعال العباد ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات . وهم

ثلاث فرق .

**والسادس الجبرية :** وهم الجهمية في الصفات أتباع جهم بن صفوان السمرقندي .

والجبرية لا تثبت للعبد قدرة ولا فعلاً وتقول : نسبة الأفعال إلى العبد مجاز والفاعل حقيقة هو

الله تعالى . وهم فرقة واحدة .

**والسابع المشبهة :** وهم غلاة المثبة الذين شبهوا الخالق بال مخلوق حكى عن بعضهم

أنه قال : أعفوني عن الفرج واللحية وأسألوا عما وراء ذلك . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً

كبيراً . والمشبهة فرقة واحدة .

فهذه اثنتان وسبعون فرقة كلهم في النار والفرقة الناجية هم أهل السنة الملتزمون أتباع

سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم في القليل والكثير .

واعلم أن افتراق الأمة واختلافها في أصول العقيدة قد حدثت بعد انتقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى فقد حدث في آخر أيام الصحابة خلاف القدرية من

معبد الجهني وأتباعه ثم شيئاً بعد شيء إلى أن تكاثرت الفرقة الضالة .

وقد رسم النبي صلى الله عليه وسلم الطريق التي يسير عليها المؤمن ووضع صلى الله

عليه وسلم الميزان الصحيح الذي تعرض عليه المعتقدات ليبين صحيحها من مفسادها فما خالف

منها ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم فهو مردود على صاحبه

غير مقبول منه .

وذلك يقتضي من كل مؤمن أن لا يآبه لما تزعمه كل فرقة وتدعيها لنفسها من أنها الناجية ومن عداها هالك .

فما من فرقة حتى الذين ألهوا البشر إلا وتتبجح بأنها على الحق .  
فاعرض يا أخي المؤمن كل ما تسمع على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما وافقهما فهو الحق الذي يجب أن تعض عليه بالنواجذ ولا تفارقه إلى أن تلقي ربك سبحانه . اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه . وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه إنك ولي ذلك والقدير عليه .

وصلى الله وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه الى يوم الدين .

## العلم والمال

كان على بن أبي طالب رضى الله عنه يقول :  
العلم خير من المال ، لأن المال تحرسه والعلم يحرسك ، والمال تفنيه النفقة  
والعلم يزكو على الإنفاق ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ...  
مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقى الدهر ، أعيانهم  
مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة ...

# مَكَانَةُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَمَا تُرْتَمَى وَأَثَارُهُمُ الْحَمِيدَةُ فِي الدِّينِ

للدكتور ربيع هادي مدظلهم  
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد - فإن الله بعث محمداً - صلى الله عليه وسلم - بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

وإن أسعد الناس بهديه واتباعه وحببه ومولاته ونصرة ما جاء به من الحق هم صحابته الكرام ومن اتبعهم بإحسان من القرون المفضلة . ومن سلك سبيلهم وترسم خطاهم إلى يوم الدين .

ثم إن من يدرس أحوال السابقين واللاحقين من الفرق المنتسبة إلى أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ويدرس مناهجهم وعقائدهم وأفكارهم بانصاف وفهم وتجرد يجد أن أهل الحديث هم أشد الناس اتباعاً وطاعة وتعلقاً وارتباطاً بما جاءهم به نبيهم محمد - صلى الله عليه وسلم - كتاباً وسنة في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم ودعوتهم واستدلالاتهم واحتجاجهم وهم على غاية من الثقة والطمأنينة بأن هذا هو المنهج الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأنه الطريق السليم والصراط المستقيم .

وما عدا ذلك من المناهج والسبل فأمر لم يشرعه الله ولم يرض به ولا يؤدي إلا إلى الهلاك والعطب .

فمن هم أهل الحديث إذا ؟

هم من نهج نهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان في التمسك بالكتاب والسنة والعض عليهما بالنواجذ وتقديمهما على كل قول وهدى سواء في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو السياسة والاجتماع .

فهم ثابتون في أصول الدين وفروعه على ما أنزله الله وأوحاه على عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - .

وهم القائمون بالدعوة إلى ذلك بكل جد وصدق وعزم . وهم الذين يحملون العلم النبوي وينفون عنه تحريف المغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

فهم الذين وقفوا بالمرصاد لكل الفرق التي حادت عن المنهج الإسلامي ، كالجهمية والمعتزلة والخوارج والروافض والمرجئة والقدرية ، وكل من شذ عن منهج الله واتبع هواه في كل زمان ومكان لا تأخذهم في الله لومة لائم .

هم الطائفة التي مدحها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وزكاها بقوله : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة » .

هم الفرقة الناجية الثابتة على ما كان عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، الذين ميزهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحددهم عندما ذكر أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، فقيل : من هم يارسول الله ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابي .

لا نقول ذلك مبالغة ولا دعاوى مجردة ، وإنما نقول الواقع الذي تشهد له نصوص القرآن والسنة ، ويشهد له التاريخ وتشهد به أقوالهم وأحوالهم ومؤلفاتهم .

هم الذين وضعوا نصب أعينهم قول الله تعالى : ( واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ) ( آل عمران : ١٠٣ ) .

وقوله : ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ) ( النور : ٦٣ ) . فكانوا أشد الناس بعداً عن مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأبعدهم عن الفتن .

وهم الذين جعلوا دستورهم ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ) ( النساء : ٦٥ ) .

فقدروا نصوص القرآن والسنة حق قدرها وعظموها حق تعظيمها فقدموها على أقوال الناس جميعاً وقدموا هديها على هدى الناس جميعاً واحتكموا إليها في كل شأن عن رضى كامل وصدور منشحة بلا ضيق ولا حرج وسلموا لله ولرسوله التسليم الكامل في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم .



هم الذين يصدق فيهم قول الله : ( انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون )  
(النور : ٥١) .

هم بعد صحابة رسول الله جميعا وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون هم سادة التابعين وعلى رأسهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلي بن الحسين زين العابدين ومحمد بن الحنفية وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وسالم بن عبد الله بن عمر والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق والحسن البصري ومحمد بن سيرين وعمر بن عبد العزيز ومحمد ابن شهاب الزهري ثم اتباع التابعين وعلى رأسهم مالك والأوزاعي وسفيان بن سعيد الثوري وسفيان بن عينة وإسماعيل بن علية والليث بن سعد وأبو حنيفة النعمان .  
ثم اتباع هؤلاء وعلى رأسهم عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والإمام محمد بن أدريس الشافعي وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان وعفان بن مسلم .  
ثم تلاميذ هؤلاء الذين سلكوا منهجهم وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني .  
ثم تلاميذهم كالبخاري ومسلم وأبي حاتم وأبي زرعة وأبي داود والترمذي والنسائي .

ثم من جرى مجراهم في الأجيال بعدهم كابن جرير وابن خزيمة والدارقطني في زمنه والخطيب البغدادي وابن عبد البر النمري .  
وعبد الغني المقدسي وابن قدامة وابن الصلاح وابن تيمية والمزى والذهبي وابن كثير واقران هؤلاء في عصوهم ومن تلاهم واقتفى أثرهم في التمسك بالكتاب والسنة الى يومنا هذا .  
هؤلاء الذين أعنى بهم أهل الحديث .

### جهودهم في خدمة السنة عموماً :

لقد شرف الله أهل الحديث وأكرمهم بحب السنة النبوية المطهرة واحترامها والأهتمام بها ، واعتبارها مع القرآن مصدراً وحيداً لتعاليم الإسلام العقائدية والتشريعية في العبادات والمعاملات وسائر جوانب الحياة فشمروا عن ساعد الجد في حفظها والحفاظ عليها وتدوينها والرحلات الطويلة الشاقة في سبيلها وتمييز صحيحها من سقيمها .

وتدوين أسماء رواياتها وبيان أحوالهم من عدالة وضبط واتقان أو ضعف وكذب وتدليس وغير ذلك من أحوالهم من أنواع الجرح والتعديل مما يتعلق بالأسانيد والمتون بدون مجاملة

لأحد لا تأخذهم في الله لومة لائم وتلك ميزة خاصة لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم -  
امتازت بها على سائر الأمم حققها الله على أيدي أئمة أهل الحديث الذين أبدوا من الكفاءات  
العلمية المدهشة ما لا يلحقهم ولا يدانيهم فيها أهل أي علم من العلوم .  
وبرهنت أعمالهم وجهودهم وما خلفوه من تراث عظيم على عبقریات عظيمة وقرائح  
متوقدة وعقول خصبة قادرة على تشقيق علوم الحديث وتنويعها إلى حد تحار فيه الألباب .

من هذا الانتاج العظيم أنواع المؤلفات الآتي ذكرها :

- ١ - الجوامع .
- ٢ - المسانيد .
- ٣ - والصحاح .
- ٤ - السنن .
- ٥ - المستخرجات .
- ٦ - كتب مفردة في أبواب مخصوصة .
- ككتب في رؤية الله في الآخرة وكتب في الإخلاص والتوحيد . والظهور والسواك  
والأذان وصفة الصلاة .
- ٧ - كتب مفردة في الآداب والأخلاق والترغيب والترهيب .
- ٨ - كتب في التفسير .
- ٩ - كتب في المصاحف والقراءات .
- ١٠ - كتب في النسخ والمنسوخ .
- ١١ - كتب في الأحاديث القدسية .
- ١٢ - كتب في المراسيل .
- ١٣ - الأجزاء عندهم تأليف الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من  
بعدهم .
- ١٤ - الفوائد .
- ١٥ - الوجدانيات .
- ١٦ - الشائيات والثلاثيات إلى العشاريات .
- ١٧ - كتب في الشمائل والسير والمغازي .
- ١٨ - كتب في أحاديث شيوخ مخصوصين .
- ١٩ - كتب في جمع طرق بعض الأحاديث .

- ٢٠ - كتب في رواية بعض الأئمة أو في غرائب حديثهم .
- ٢١ - كتب في الأحاديث الأفراد .
- ٢٢ - كتب في المتفق والمفترق وفي المؤلف والمختلف . وكتب في المتشابه .
- ٢٣ - كتب في معرفة الأسماء والكنى والألقاب .
- ٢٤ - كتب في مبهم الأسانيد أو المتون .
- ٢٥ - كتب في الأنساب .
- ٢٦ - كتب في معرفة الصحابة .
- ٢٧ - كتب في تواريخ الرجال وأحوالهم .
- ٢٨ - كتب المعاجم .
- ٢٩ - كتب الطبقات .
- ٣٠ - كتب في علوم الحديث أى مصطلحه .
- ٣١ - كتب في الضعفاء وكتب في الثقات وكتب فيهما .
- ٣٢ - كتب في العلل .
- ٣٣ - كتب في الموضوعات .
- ٣٤ - كتب في بيان غريب الحديث .
- ٣٥ - كتب في اختلاف الحديث .
- ٣٦ - كتب في الأمالى .
- ٣٧ - كتب في رواية الأكا بر عن الأصاغر .
- ٣٨ - كتب في أدب الرواية .
- ٣٩ - كتب في العوالى .
- ٤٠ - كتب في الأطراف أى أطراف الأحاديث .
- ٤١ - كتب في الزوائد .
- ٤٢ - كتب في الجمع بين بعض الكتب الحديثية .

فهذه هي بعض المجالات التى كان يخوضها علماء الحديث والأثر تأليفاً ودراسة وهو يدل على همم عالية وعقول متفتحة خصبة واسعة الأفاق وإذا كان يحق للأمة أن ترفع رؤوسها وتعتز بأسلافها فبهؤلاء العباقرة وبعلمهم الواسعة النافعة وعقولهم النيرة المتفتحة ، فى الوقت الذى كان غيرهم ولا يزال يبذلون جهودهم فى الحجر على العقول ودفع الأمة إلى الجمود القاتل المؤدى إلى الهلاك والضياع والفناء .

جهودهم الخاصة بالعقيدة والدعوة الى الكتاب والسنة والتثبيت عليهما والدفاع عنهما :

كان الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن سلك منهجهم واتبعهم بإحسان في عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم ، مؤمنين إيماناً كاملاً بما جاء في كتاب الله المجيد وسنة رسوله المطهرة في باب أسماء الله وصفاته المقدسة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل وكذلك في الإيمان بالقدر والجنة والنار وعذاب القبر ونعيمه وسائر المعتقدات التي حصل فيها الإنحراف من بعض الفرق والله الخالق العليم الحكيم - قد فطر الناس وأعدهم وهياهم وأعطاهم عقولاً تناسب الحق وتوافقه وانزل اليهم كتباً تتضمن من العقائد والشرائع ما يوافق العقول السليمة والفطر الصحيحة التي سلمت من الإنحراف والفساد . فيتلقي حواريو الأنبياء ومن ورثهم بحق واتبعهم بإحسان ما جاء به الرسل والكتب بالإيمان والتسليم .

وهذا كان موقف الصحابة الكرام ومن اتبعهم بإحسان .

ولما ذرت قرون شياطين البدع وقفوا لهم بالمرصاد فضللوهم وبدعوهم وكفروا من يستحق التكفير وقتلوا بعض رؤساء البدع والفتن والزندقة ثم ردوا في مقالاتهم ومؤلفاتهم على أهل البدع وبينوا خطرها وضررها على الإسلام والمسلمين .

وثبتوا المسلمين على كتاب ربهم وسنة نبيهم وبينوا لهم أن الواجب عليهم الاعتصام بكتاب ربهم وسنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم - ومنازمة الأهواء وأهلها . إيماناً منهم أن القرآن والسنة كافيان غاية الكفاية في كل ما يجب على المرء الإيمان به واعتقاده كفيلاً بهداية الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة . وأن الضلال والشقاء في الدنيا والآخرة في مخالفتها فاستناداً إلى ما جاء في الكتاب والسنة من وجوب اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وطاعته والانقياد له وإيجاب رد ما تنازع الناس فيه إلى الله والرسول والوعيد الشديد لمن خالف هذا المنهج وشرع في الدين ما لم يأذن به الله .

ومن تحذير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من البدع وذمه لها وحكمه على كل بدعة أنها ضلالة وأنها مردودة لا يقبلها الله .

قام من لحقتهم هذه الفتن من الصحابة بقمع أهلها والرد عليهم فقام علي - رضي الله عنه - بقتل الخوارج وروى هو وغيره من الصحابة عن رسول الله ما يحض على قتلهم وأنه من أفضل ما يقرب إلى الله .

واحرق غلاة الشيعة بالنار حينما غلوا فيه ورفعوه إلى درجة الألوهية .

ولما بلغ عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - أن قوماً ينفون القدر وأن الأمر عندهم أنف قال لمن أخبره بهم : « إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني برىء منهم وأنهم مني برآء والذي

نفسى بيده لو أن لأحدهم مثل احد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل الله منه شيئاً حتى يؤمن بالقدر خيره وشره » .

وسئل مالك عن يقول « القرآن مخلوق ، قال : هو عندي كافر فأقتلوه . وعن ابن المبارك والليث بن سعد وابن عيينة وهشيم وعلي بن عاصم وحفص بن غياث ووكيع بن الجراح مثله (١) » ومثله عن النووي ووهب بن جرير ويزيد بن هارون (٢) . وقيل لعبد الرحمن بن مهدي : إن الجهمية يقولون : إن القرآن مخلوق .

فقال : « إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الرحمن على العرش استوى » وأرادوا أن ينفوا أن يكون القرآن كلام الله أرى أن يستتابوا والا ضربت أعناقهم (٣) .

وقال الربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي : « لما كلم حفص الفرد الشافعي فقال حفص القرآن مخلوق فقال له الشافعي - رضي الله عنه - « كفرت بالله العظيم (٤) » . وسئل مالك عن الاستواء فقال : « الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وما أراك الا صاحب بدعة وأمر به فأخرج وكان يقول : إن الله في السماء . وأخرج رجلاً من حلقتة لأنه مرجىء .

وقال سعيد بن عامر : « الجهمية أشر قولاً من اليهود والنصارى . قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان أن الله تبارك وتعالى على العرش وقالوا هم : ليس على العرش شيئاً » (٥) .

وقال ابن المبارك لا نقول كما قالت الجهمية إنه في الأرض ها هنا بل على العرش استوى .

وقيل له : كيف نعرف ربنا ؟

قال : فوق سماواته على عرشه ... وإنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية (٦) .

وقال البخارى : « نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت أضل في كفرهم منهم وإنني لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم (٧) » .

(١) شرح السنة للبخارى (١/١٨٧) .

(٢) خلق أفعال العباد ص ١١٩ تحقيق على سامي النشار .

(٣ ، ٤) شرح السنة للبخارى (١/١٨٧) .

(٥ ، ٦) خلق أفعال العباد ص ١٢٠ .

(٧) خلق أفعال العباد ص ١٢٢ .

ونقل الإمام البخاري أقوال كثير من الأئمة في تضليل وتكفير الجهمية في انكارهم ان الله في السماء وفي قولهم ان القرآن مخلوق . ( راجع خلق أفعال العباد له ) .  
وخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي قال : كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته .

وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير فمن فسر شيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وفارق الجماعة لأنه وصف الرب بصفة لا شيء .

وأخرج ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول : لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر وأما قبل قيام الحجة ، فإنه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر فنثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال : « ليس كمثل شيء » ( انظر فتح الباري ( ٤٠٦/١٣ - ٤٠٧ ) .

وروى الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفي سنة ٢٧٩ في جامعه حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - « أن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيريها لأحدكم كما يريي أحدكم مهره حتى أن اللقمة لتصير مثل احد » .  
وقال عقبه : هذا حديث حسن صحيح .

وروي عن عائشة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحو هذا ثم قال : « وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا قالوا قد ثبتت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال كيف ؟

هكذا روى عن مالك وسفيان بن عيينه وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث امرها بلا كيف وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة .

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا : هذا تشبيه وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر . فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا : إن الله لم يخلق آدم بيده وقالوا : إن معنى اليد هاهنا القوة .  
وقال إسحاق بن إبراهيم إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو سمع كسمع أو مثل سمع ، فإذا قال : سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه .

وإما إذا قال كما قال الله تعالى يد وسمع وبصر ولا يقول كيف ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيهاً .

وهو كما قال الله تعالى : في كتابه : ليس كمثل شئء وهو السميع البصير « ( الترمذي كتاب الزكاة عقب حديث ٦٦٢ ج ٣ ص ٤٣ طبعة الحلبي ) .

وروى أيضا حديث الحسن البصري عن أبي هريرة مرفوعاً في السماوات والمسافات بينها وإن العرش فوقها وذكر الأرضين والمسافات بينها ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه . ثم اثبت استواء الله على عرشه فقال :

« وهو على العرش كما وصف في كتابه ( ٤٨ - كتاب التفسير حديث ٣٢٩٨ ) ( ٤٠٤/٥ )

طبعة الحلبي .

**أما المؤلفات في نصرة العقيدة والرد على أهل البدع فهي كثيرة لا تحصى نذكر منها ما يأتي :**

ألف الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والحديث المتوفي سنة ٢٤١ هـ : كتاب : **الرد على الجهمية والزنادقة** . وألف كتاب : **السنة** . وألف ابنه عبد الله كتاب : **السنة** .

وألف أبو بكر بن أبي شيبة المتوفي سنة ٢٣٥ هـ كتاب : **الإيمان** . وألف الإمام البخاري المتوفي سنة ٢٥٦ هـ : كتاب : **خلق أفعال العباد** ضمنه الرد على الجهمية المعطلة لصفات الله والقائلين بخلق القرآن .

وضمن كتابه الجامع الصحيح ثلاثة كتب في هذا المجال : كتاب : **الإيمان** وضمنه الرد على المرجئة . وكتاب : **التوحيد** وضمنه الرد على معطلة الجهمية . وكتاب : **الاعتصام** وضمنه وجوب اتباع الكتاب والسنة وضمنه الرد على أهل الرأي المفرقين في القياس والرد على منكري حجية خبر الأحاد .

وألف أبو داود كتابه : **السنن** وأدخل فيه كتاب السنة وضمنه الرد على القدرية والمرجئة والجهمية المعطلة وهو يضع تراجم واضحة بأسماء هذه الفرق كقوله بباب الرد على الجهمية في موضعين من كتاب السنة في الموضوع الأول رد عليهم انكار استواء الله على العرش وفي الموضوع الثاني رد عليهم انكار النزول .

ووضع الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه مقدمة لكتابه **السنن** في اتباع سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استغرقت ٩٨ صفحة وضمنها ستة وستين حديثاً ومائتي حديث . وضمنها أبواباً كثيرة من جملتها باب فيما انكرت الجهمية ذكر فيه انكارهم

الرؤية والكلام والاستواء على العرش وساق أحاديث في الرد عليهم وذكر الخوارج وغيرهم من  
المتدعة وعقد باباً في اجتناب الرأي .

• وألف عثمان بن سعيد الدارمي المتوفي سنة ٢٨٠ هـ كتاب : الرد على الجهمية .  
• وكتاب : الرد على بشر المريسي .

• وصنف أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي المتوفي سنة ٢٩٢ هـ كتاب : السنة .

• وصنف أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري المتوفي سنة ٣٦٠ هـ كتاب :  
الشريعة . وكتاب : التصديق بالنظر إلى وجه الله وما أعد لأولياؤه .

• وألف أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشافعي الطبراني صاحب  
التصانيف المتوفي سنة ٣٦٠ هـ كتاب : السنة .

• وألف الإمام أحمد بن محمد بن هانيء أبو بكر الأثرم المتوفي سنة ٢٧٣ هـ كتاب :  
السنة .

• وألف الإمام أبو علي حنبل بن اسحاق الشيباني ابن عم الإمام أحمد بن حنبل  
وتلميذه المتوفي سنة ٢٧٣ هـ كتاب : السنة .

• وألف الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال مؤلف علم أحمد وجامعه  
المتوفي سنة ٣١١ هـ كتاب : السنة وهو في ثلاث مجلدات .

• وألف الإمام أبو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني ذو  
التصانيف المتوفى سنة ٣٦٩ هـ كتاب : السنة .

• وألف أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل الشيباني المتوفي سنة ٢٨٧ هـ  
كتاب : السنة .

• وصنف أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي الواعظ المعروف بابن شاهين  
الحافظ الكبير ذو التصانيف العجيبة المتوفي سنة ٣٨٥ هـ كتاب : السنة .

• وصنف الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفي سنة ٣٢٤ هـ كتاب :  
الابانة . وكتاب : الموجز على طريقة أهل الحديث في اثبات الصفات وضمنه الرد على

الجهمية وغيرهم من فرق التعطيل .  
• وألف الإمام الحافظ خشش بن اصرم المتوفي ٢٥٣ هـ كتاب : الاستقامة والرد على

أهل البدع .  
• وألف إمام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة المتوفي سنة ٣١١ هـ كتاب : التوحيد

• واثبات صفات الرب عز وجل .



وألف إمام المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ عقيدة على منهج أهل الحديث وجرى في تفسيره الكبير الشهير على المنهج نفسه .  
وصنف أبو عبد الله محمد بن يحيى بن مندة الحافظ الرحال المتوفى سنة ٣٠١ هـ كتاب : السنة .

وصنف الإمام أبو بكر أحمد بن اسحاق الشافعي النيسابوري المتوفى سنة ٣٤٢ هـ المعروف بالصبغي كتاب : الأسماء والصفات . وكتاب : الإيمان بالقدر .  
وألف أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم العسال الأصبهاني المتوفى سنة ٣٤٩ هـ كتاب : السنة .

وألف أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملقب بالشافعي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ كتاب : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع .

وصنف الإمام الحافظ الكبير أمير المؤمنين في الحديث أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني المتوفى سنة ٣٨٥ هـ كتاب : الصفات . وكتاب : النزول . وكتاب : الرؤية .  
وألف الإمام الحافظ عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري المتوفى سنة ٣٨٧ هـ كتاب : الابانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، والإبانة الصغرى ، والسنة .

وألف الإمام الحافظ الجوال صاحب التصانيف الكثيرة محمد بن اسحاق بن يحيى بن مندة المتوفى سنة ٣٩٥ هـ كتاب : التوحيد ، وكتاب الإيمان .

وألف الإمام الزاهد شيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي المتوفى سنة ٤٩٠ هـ كتاب : الحججة في مجلد .

وألف الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي محدث بغداد المتوفى سنة ٤١٨ هـ كتاب : شرح أصول السنة .

وألف الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني المتوفى سنة ٤٣٨ هـ رسالة في اثبات الاستواء والفوقية .

وألف الإمام الكبير أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي المتوفى سنة ٤٨١ هـ كتاب : الفاروق في صفات الله . وكتاب : ذم الكلام .

وألف الإمام الزاهد شيخ الإسلام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي المتوفى سنة ٤٩٠ هـ كتاب : الحججة في مجلد .

وافتح الإمام محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي المتوفى سنة ٥١٦ هـ كتابه : شرح السنة . بكتاب الإيمان من ص ٧ - ٢٣١ ضمنه الأبواب الآتية :

١ - باب الإيمان بالقدر . ٢ - باب وعيد القدرية . ٣ - باب الرد على

الجهمية . ٤ - باب الرد على من قال بخلق القرآن . ٥ - باب الاعتصام بالكتاب  
والسنة . ٦ - باب رد البدع والأهواء . ٧ - باب مجانبة أهل الأهواء .  
ونهج في كتابه التفسير نهج أهل الحديث والسنة في اثبات الصفات ومخالفة أهل  
الأهواء في ذلك .

وألف العلامة أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي صاحب شيخ الإسلام  
الهروي المتوفي سنة ٥٣٢ هـ عقيدة على منهج السلف .  
وألف الإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الطلحي  
الأصبهاني المتوفي سنة ٥٣٥ هـ كتاب : الحجة في بيان المحجة على منهج أهل الحديث .

وألف الإمام الحافظ محدث الإسلام عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور المقدسي  
الحنبلي صاحب التصانيف المتوفي سنة ٦٠٠ هـ كتاباً في الصفات في جزئين تذكرة الحفاظ /  
١٣٧٤/٤ .

وألف الإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية - رحمه  
الله - المتوفي سنة ٧٢٨ هـ عدداً من الكتب في : العقيدة والدعوة إلى الرجوع إلى الكتاب  
والسنة ، ومحاربة البدع ، كالعقيدة الواسطية ، والعقيدة الحموية ، والعقيدة  
التدمرية ، واقتضاء الصراط المستقيم ، ومنهاج السنة ، والرد على البكري ، والرد  
على الاخواني ، والفتاوى ، وكلها تهدف إلى العودة بالأمة الإسلامية إلى الكتاب  
والسنة وإلى منهج السلف الصالح .

وألف تلميذه الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم  
الجوزية - رحمه الله - المتوفي سنة ٧٥١ هـ كتاب : الصواعق المرسله على الجهمية  
والمعطلة ، وكتاب : اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية .  
والتقصيدة النونية في مجال العقيدة . وأعلام الموقعين في باب الاعتصام  
بالسنة .

وألف الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي  
المتوفي سنة ٧٤٨ هـ كتاب : العلو للعلي الغفار جمع فيه نصوص الكتاب والسنة في علو الله  
وما بلغه من أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الحديث وأئمة الفقه وأتباعهم إلى عصره .  
وألف العلامة القاضي صدر الدين علي بن علي بن أبي العز الحنفي الصالحي  
الدمشقي المتوفي سنة ٧٩٢ هـ رسالة سماها الاتباع موضوعها وجوب اتباع السنة كما شرح

العقيدة الصحاوية على منهج أهل الحديث في الصفات والقرآن والقدر وغيرها من العقائد الإسلامية .

ثم كانت حركات الدعوة إلى الكتاب والسنة وتصحيح العقائد ومحاربة البدع في العالم الإسلامي . كحركة الصنعاني والشوكاني في اليمن .

وحركة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وحركة أهل الحديث في الهند امتداداً لدعوة أهل الحديث ومنهجهم وهي لا تزال قائمة إلى قيام الساعة كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى قيام الساعة » .

• • • • •

### يرزق الله العلم السعداء ويحرمه الأشقياء

عن عبد الرزاق ، قال :

سمعت سفيان الثوري يقول لرجل من العرب :

« ويحكم ، اطلبوا العلم ، فإنني أخاف أن يخرج العلم من عندكم فيصير إلى غيركم ، فتذلون ... »

اطلبوا العلم ، فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة «

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه ، قال :

« يرزق الله العلم السعداء ، ويحرمه الأشقياء » .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه :

« يا بني ، تعلموا العلم ، فإن استغنيتم كان لكم كمالاً ، وإن افتقرتم كان لكم مآلاً »

وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول :

« زيادة العلم : الابتغاء ، ودرك العلم : السؤال ... فتعلم ما جهلت ، واعمل

بما عملت » ...

( جامع بيان العلم وفضله )

قال رسول الله ﷺ :

« لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن  
من رجل بأرض فلاة دوية مهلكة ومعه  
راحلته عليها طعامه وشرابه ، فنزل عنها  
فنام وراحلته عند رأسه فاستيقظ وقد  
ذهبت ، فذهب في طلبها فلم يقدر عليها  
حتى أدركه الموت من العطش ، فقال :  
والله لأرجعن فلأموتن حيث كان رحلي ،  
فرجع فنام ، فاستيقظ ، فإذا راحلته عند  
رأسه ، فقال : اللهم أنت عبدى وأنا  
ربك ، أخطأ من شدة الفرح »  
متفق عليه .

العقيدة



## بَيَانُ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْأَسْتِوَاءِ وَسَائِرِ الصِّفَاتِ

لِسَمَاحَةِ شَيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ  
الرَّئِيسِ لِعَامِ الْإِسْلَامِ بِمَجْمُوعَةِ الْعِلْمِ وَالْإِفْتَاءِ وَالرَّعْوَةِ وَالْمُتَلَدِّ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد :

فقد اطلعت أخيراً على ما نشر في مجلة البلاغ بعددها رقم ٦٣٧ من اجابة الشيخ أحمد محمود دهلوب على السؤال الآتي : ما تفسير قوله تعالى ﴿ استوى على العرش ﴾ وجاء في هذه الاجابة جملة نسبها إلى السلف وهي قوله : (وقال أهل السلف استوى على العرش استوى عليه وملكه كقولهم :

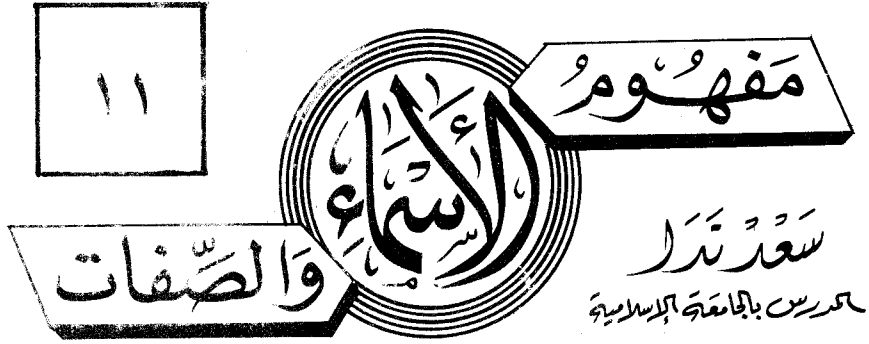
استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق  
وحيث إن هذه النسبة الى السلف غلط محض . احببت التنبيه على ذلك لثلاث يغتر من يراها فيظنها من قول العلماء المعتبرين . والصواب أن هذا التفسير هو تفسير الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم في نفي الصفات وتعطيل الباري سبحانه وتعالى عما وصف به نفسه من صفات الكمال . وقد أنكروا علماء السلف رحمهم الله مثل هذا التأويل وقالوا إن القول في الاستواء كالقول في سائر الصفات وهو إثبات للجميع لله على الوجه اللائق به سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل . قال الإمام مالك رحمه الله : (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) .

وعلى هذا درج علماء السلف من أهل السنة والجماعة رحمهم الله . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة الحموية (فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى وهو فوق كل شيء وهو عال على كل شيء ، وأنه فوق العرش ، وأنه فوق السماء مثل قوله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ . ﴿إِنِّي مَتَوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ . ﴿أَمُتُّمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ . ﴿أَمُتُّمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَرْسُلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ . ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ . ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ . ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ . ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ . ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ . في سبعة مواضع إلى أن قال إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بالكلفة . وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا

بالكلفة مثل قصة معراج الرسول إلى ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار . ﴿ فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم ﴾ وفي الصحيح في حديث الخوارج (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً) إلى أن قال (إلي أمثال ذلك مما لا يحصى إلا الله مما هو أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علماً يقيناً من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم عربهم وعجمهم في الجاهلية والإسلام إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لوجع مبلغ مئين أو الوفاً الخ أ. ه .

وبما ذكرناه يتضح للقراء أن ما نسبته أحمد محمود دهلوب إلى السلف من تفسير الاستواء بالاستيلاء غلط كبير وكذب صريح لا يجوز الالتفات إليه، بل كلام السلف الصالح في ذلك معلوم ومتواتر، وهو ما أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من تفسير الاستواء بالعلو فوق العرش، وأن الإيثار به واجب، وأن كيفيته لا يعلمها إلا الله سبحانه . وقد روى هذا المعنى عن أم سلمة أم المؤمنين وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك رحمه الله وهو الحق الذي لا ريب فيه وهو قول أهل السنة والجماعة بلا ريب . وهكذا القول في باقى الصفات من السمع والبصر والرضى والغضب، واليد والقدم والأصابع والكلام والإرادة وغير ذلك . كلها يقال فيها إنها معلومة من حيث اللغة العربية، فالإيمان بها واجب والكيف مجهول لنا لا يعلمه إلا الله سبحانه مع الإيمان أن صفاته سبحانه كلها كاملة، وأنه سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه، فليس علمه كعلمنا ولا يده كأيدينا ولا أصابعه كأصابعنا ولا رضاه كرضانا إلى غير ذلك كما قال سبحانه : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ﴾ وقال تعالى : ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ والمعنى انه لا أحد يساميه سبحانه أى يشابهه وقال عز وجل : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة والواجب على المؤمن التمسك بما أخبر الله به ورسوله ودرج عليه سلف الأمة من الصحابة رضى الله عنهم وأتباعهم بإحسان، والحذر من مقالات أهل البدع الذين أعرضوا عن الكتاب والسنة وحكموا أفكارهم وعقولهم فضلوا وأضلوا . والله المسئول أن يحفظنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن وأن يعيذنا وسائر المسلمين من نزغات الشيطان واتباع خطواته إنه ولي ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .





الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن تبع هديه ووالاه ، وبعد :

فإذا توهم بعض الناس أن الكتابة في أسماء الله عز وجل أمر لا أهمية له وزعموا أنهم جميعاً يعرفون الله تعالى ، ولا حاجة لهم الى مثل هذه الموضوعات .

فأقول : وهل يعرف ربه من يجهل ربه بأسمائه الحسنی وصفات كماله العليا التي اختارها هو سبحانه لنفسه وجعلها لنا سبيلا الى التعرف عليه جل وعلا ؟

وهل يستطيع أن يعبد ربه ويجرد له عبادته من لم يتعرف على ربه ولم يعلم له اسماً ولاصفة ؟

وإلا فليدلى أولئك الزاعمون : بمن يطلب الواحد منهم الرزق مثلاً إن لم يكن يعرف أن من أسماء ربه سبحانه : الرزاق ، ومن صفاته صفة الرزق ؟ ومن يطلب المغفرة إن لم يكن يعرف أن من أسماء ربه سبحانه : الغافر والغفار ، ومن صفاته صفة المغفرة ؟ وهكذا .

ان معرفة العبد أسماء ربه الحسنی وصفات كماله العليا له شأن عظيم ، ومن روائع ما ذكره الامام ابن القيم - رحمه الله - في أهمية التعرف على الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله قوله : [ لا حياة للقلوب ، ولا سرور ، ولا لذة ، ولا نعيم ، ولا أمان ، إلا بأن تعرف ربها ، ومعبودها ، وفاطرها ، بأسمائه وصفاته ، وأفعاله ، ويكون ذلك أحب إليها مما سواه ، ويكون سعيها فيما يقربها إليه . ومن المحال أن تستقل العقول البشرية بإدراك ذلك على التفصيل ، فاقضت حكمة العزيز العليم بأن بعث الرسل به مُعَرِّفِينَ ، وإليه داعين ، ولمن أجابهم مبشرين ، ولمن خالفهم منذرين ، وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة

رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله . وعلى هذه المعرفة تبنى مطالبُ الرسالة جميعها ، فإن الخوفَ والرجاءَ ، والمحبة والطاعةَ والعبوديةَ تابعةٌ لمعرفة المرجُو ، المخوف ، المحبُوب ، المطاع ، المعبود .

ولما كان مفتاحُ الدعوة معرفةَ الربِّ تعالى ، قال أفضلُ الداعين إليه رسولُ الله ﷺ لمعاذ بن جبل ، وقد أرسله الى اليمن : ( إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، فاذا عرفوا الله ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة . . . الحديث ) .

وهو في الصحيحين - واللفظ لمسلم (١) . [

ثم قال الامام ابن القيم - رحمه الله - : [ والمقصود أن الله تعالى أكمل للرسول ولأُمَّته به دينهم ، وأتم عليهم به نعمته . ومحال مع هذا أن يدع ما خلق له الخلق ، وأرسلت به الرسل ، وأنزلت به الكتب ، ونُصِبَتْ عليه القِبْلَةُ ، وأُسِّسَتْ عليه المِلَّةُ ، وهو باب الايمان بالله ، ومعرفة ومعرفة أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ملتبساً مشتبهاً حقُّه بباطله ، لم يتكلم فيه بما هو الحق بل تكلم بما هو الباطل ، وأن الحق في إخراجه عن ظاهره . فكيف يكون أفضل الرسل وأجلُّ الكتب غيرَ وافٍ بتعريف ذلك على أتم الوجوه ؟ مبين له بأكمل البيان ؟ موضح له غاية الايضاح ؟ مع شِدَّة حاجة النفوس إلى معرفته ، وهو أفضل ما اكتسبته النفوس ، وأجلُّ ما حصلته القلوب ؟ (٢) ] .

بعد هذا التقديم ، أعود إلى اتمام ما بدأتُه من الكلام على أسماء الله الحسنى ، سائلاً الله عز وجل أن يلهمني الرشاد . فأقول :

المؤمن :

هو اسم من أسماء الله عز وجل . وهو من ( آمن ) عباده من أن يظلمهم .  
وأصل ( آمَنَ ) : ( أَمَّنَ ) بهمزتين لُيِّنَت الثانية (٣) .

(١) مختصر الصواعق المرسله ج-١ ص ٤ ، ٥

(٢) المرجع السابق ص ٧

(٣) مختار الصحاح في مادة ( أ و ن ) .

وقيل : المؤمن : هو الذى يَصْدُقُ عِبَادَهُ وَعَدَهُ : فهو من الإيمان : التصديق ، أو يؤمنهم فى القيامة من عذابه ، فهو من الأمان ، والأمن ضد الخوف (١) .

● وقد ورد اسم ( المؤمن ) جل وعلا فى القرآن الكريم مرة واحدة فقط (٢) . فى قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ . . . ﴾ [ الحشر آية ٢٣ ] .

- وقد قيل فى معنى ( المؤمن ) فى هذه الآية : أنه سبحانه الذى يؤمن خلقه من ظلمه . المصدّق الموقن : بمعنى أن الناس آمنوا برهم فسماهم مؤمنين ، وآمن الربُّ الكريمُ لهم بإيمانهم . صدقهم (٣) .

- وقيل المؤمن : هو واهب الأمن (٤) .

- وقيل : المؤمن : فيه ستة أقوال :

١ - أنه - سبحانه - الذى آمن الناس ظلمه ، وأمن من آمن به عذابه . قاله ابن عباس ومقاتل .

٢ - أنه المجير - قاله القرظى .

٣ - أنه الذى يَصْدُقُ المؤمنين إذا وحدوه - قاله ابن زيد .

٤ - أنه الذى يَصْدُقُ عِبَادَهُ وَعَدَهُ - قاله ابن قتيبة .

٥ - أنه الذى وَحَّدَ نفسه لقوله تعالى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [ آل عمران آية ١٨ ] - قاله الزجاج .

٦ - أنه الذى يَصْدُقُ ظُنُونُ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُخَيِّبُ آمَالَهُمْ ، كقول النبى ﷺ ( أنا

عند حسن ظن عبدى بى ) - حكاه الخطابى - وهذا الحديث جزء من حديث قدسى رواه كل من البخارى ومسلم فى صحيحهما بتمامه ولفظه عند البخارى بتمامه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : ( يقول الله تعالى : أنا عند حسن ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملائخه خير منهم ،

(١) النهاية لابن الأثير - الجزء الأول ص ٦٩

(٢) المعجم المفهرس ص ٩٠

(٣) جامع البيان عن تأويل آى القرآن - للطبرى - جزء ٢٨ ص ٥٤

(٤) الكشف - للزنجشى - جزء ٤ ص ٨٧ . وجامع البيان للإيجى - جزء ٢ ص ٣٥٠

وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولة ) .

والحديث يرشد الى تحسين الظن بالله عزوجل ، وهذا لا يكون الا لمن تاب ، وندم ، وأقلع ، وأتبع السيئة الحسنة ، واستقبل بقية عمره بوسائل النجاة فَمَنْ فعل ذلك ثم أحسن الظن ، فقد أحسن وحلَّ محلَّه ، وأما مَنْ أساء وأصر على الكبائر ، فَوَحْشَةُ المعاصي لا يجامعها إحسان الظنَّ بالله تعالى (١) .

- وقيل : المؤمن : هو المصدِّق لرسله باظهار معجزاته عليهم ، ومصدِّق الكافرين ما أوعدهم من العقاب (٢) .

أو هو الذى يؤمِّن أوليائه من عذابه ، ويؤمِّن عباده من ظلمه ، فيقال : آمنه من الأمان الذى هو ضد الخوف ، كما قال تعالى ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ [ قريش آية ٤ ] ، فهو سبحانه المؤمن (٣) .

- وقيل : المؤمن : آمن خلقه من أن يظلمهم - قال الضحاك عن ابن عباس .

أو : أنه صدِّق عباده المؤمنين فى إيمانهم به - قاله ابن زيد (٤) .

- وقيل : المؤمن هو المصدق لنفسه ولرسله عليهم السلام فيما بلغوه عنه سبحانه ، أو بخلق المعجزة .

أو : هو واهب عباده الأمن من الفرع الأكبر .

أو : هو مؤمنهم منه إما بخلق الطمأنينة فى قلوبهم ، أو باخبارهم بأنهم لا خوف عليهم .

أو : أنه المصدق للمؤمنين أنهم آمنوا - قاله ثعلب .

أو : أنه المصدق للمؤمنين فى شهادتهم على الناس يوم القيامة (٥) .

(١) زاد المسير فى علم التفسير لأبى الفرج ابن الجوزى - ص ٢٢٥ - بقليل تصرف -

(٢) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - جزء ١٨ ص ٤٦ - بقليل تصرف - وفتح القدير - جزء ٥ ص ٢٠٧ -

(٣) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي - جزء ١٨ - ص ٤٦ - بقليل تصرف - .

(٤) تفسير ابن كثير - جزء ٤ ص ٣٤٤

(٥) روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - للأوسى جزء ٢٨ - ص ٦٣ -

وقيل : المؤمن هو الطاهر الذى لاتعلق به شائبة . ومنه سمي المؤمن مؤمناً (١) .

وقيل : المؤمن الذى أثنى على نفسه بصفات الكمال ، وبكمال الجلال ، وبكمال الجلال والجمال ، الذى أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات والبراهين ، وصدق رسله بكل آية وبرهان يدل على صدقهم وصحة ما جاءوا به (٢) .

### ● أقول :

وإذا كان علماء التفسير - على مدى العصور - قد ذكروا تلك المعانى السامية الرائعة لاسم ( المؤمن ) سبحانه ، فانه يبدو لى أن هذا الاسم الكريم يعنى - بإجمال هذه المعانى - أنه - جل وعلا - الطاهر الذى لاتعلق به شائبة ولا نقيصة ، لأنه الكامل فى كل صفاته كما لا مطلقاً ، وهو الذى يهب الأمن لعباده ، فيؤمنهم جميعاً من الظلم لأنه سبحانه يتنزه عنه ، ويؤمن قلوب المرسلين والمؤمنين بهم بما أنزل من الحق ، ثم يؤمنهم من عذابه ، لأنهم أولياؤه الذين آمنوا به ووحدوه وجرّدوا له العبادة ، ويؤمنهم فى الدنيا من كل خوف وحزن ، كما قال تعالى ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [ يونس آية ٦٢ ] ، ويؤمنهم فى الآخرة من الفزع الأكبر كما قال سبحانه : ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾ [ الأنبياء آية ١٠٣ ] بل سيجعلهم شهداء على الناس ويجعل الرسول ﷺ شهيداً عليهم يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ هو سميع عليم ﴾ [ الحج آية ٧٨ ] .

فاسم ( المؤمن ) - سبحانه - يشمل كل حسن وجمال وخير ، يشيع أثره فى هذا الكون :

أنظر إلى الأمن الذى يغشى الناس فى أسرابها ، والطيور فى أوكارها ، والأسماك والحيتان فى بحارها ، والزواحف فى جحورها ، وأسراب النمل فى شقوقها ، وجماعات النحل فى بيوتها : حين تأكل ، وحين تشرب ، وحين تنام ، وحين تتزوج ، وحين تتوالد . أنظر الى الأمن السائد فى كل المخلوقات ، والطمأنينة المبسوطة على كل الكائنات ، لتجد أن ذلك كله من آثار اسم ( المؤمن ) جل جلاله ، الذى يهب الحياة لخلقه ، ويهب الأمن للأحياء .

(١) التفسير القرآنى للقرآن - جزء ٢٨ ص ٨٨٣

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان - للسعدى - جزء ٥ - ٣٠١ -

ومن ثم ينبغي عليك - أيها الانسان - أن تكون مؤمناً (بالمؤمن) سبحانه ، وأن تجرد له أعمالك جميعاً ، ليطمئن به قلبك وتأمين به نفسك ، وينتشر الأمن في كل كائن من حولك ، وحينئذ ستشعر بلذة الحياة الآمنة الوادعة الطيبة التي تختفي فيها المعاصي ومشكلاتها ، وتبرز فيها الطاعات وثمراتها ، ويكون الله ورسوله فيها أحب اليك مما سواهما ، والحب سبيل الطاعة ، والطاعة سبيل الفوز العظيم في الدنيا والآخرة ﴿ ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ [ الأحزاب آية ٧١ ] .

المُهَيِّمُنُ :

هو اسم من أسماء الله عز وجل . وهو الرقيب . وقيل : الشاهد . وقيل : المؤمن . وقيل : القائم بأمر الخلق .

- وقيل أصله : مؤتمن ، فأبدلت الهاء من الهمزة ، وهو مُفَعِّلٌ من الأمانة (١) .

● وقد ورد اسم ( المهيمن ) جل وعلا في القرآن الكريم مرة واحدة فقط (٢) ، في قوله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ... ﴾ [ الحشر آية ٢٣ ] .

- وقد قيل في معنى ( المُهَيِّمُنُ ) في هذه الآية : الشهيد أو الأمين . قاله ابن عباس رضى الله عنهما . أو المصدِّق لكل ما حدث ، قاله ابن زيد ثم قرأ ( ومهيمننا عليه ) (٣) وقال : فالقرآن مصدِّق على ما قبله من الكتب ، والله مصدِّق في كل ما حدث عما مضى في الدنيا ، وما بقى ، وما يحدث في الآخرة (٤) .

- وقيل : ( المهيمن ) الرقيب على كل شيء الحافظ له . مُفَعِّلٌ من الأمن إلا أن همزته قلبت هاءً . (٥) .

- وقيل ( المُهَيِّمُنُ ) : فيه أربعة أقوال :

١ - أنه الشهيد : قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والكسائي . قال الخطابي : ومنه

(١) النهاية لابن الأثير - الجزء الخامس - ص ٢٧٥ -

(٢) المعجم المفهرس - ص ٧٣٩ -

(٣) يقصد قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه ﴾ [ المائدة آية ٤٨ ] .

(٤) جامع البيان للطبري - جزء ٢٨ - ص ٥٤ .

(٥) الكشاف للزخشري - جزء ٤ - ص ٨٧ - .

قوله تعالى : ﴿ ومهيماً عليه ﴾ [ المائدة ٤٨ ] - فالله تعالى : الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول أو فعل .

٢ - أنه الأمين : قاله الضحاك .

وقال الخطابي : وأصله : مُؤَيَّمٌ ، فقلبت الهمزة هاءً ، لأن الهاء أخف عليهم من الهمزة - ولم يأت : مُفَعِّلٌ في غير التصغير إلا في ثلاثة أحرف : ( مُسَيِّطِرٌ - ومُبَيِّطِرٌ - ومُهَيِّمٌ ) وقد ذكر في سورة الطور آية ٣٧ عن أبي عبيدة أنها خمسة أحرف : في قوله تعالى ﴿ أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون ﴾ إنه لم يأت في كلام العرب اسم على مُفَعِّلٍ إلا خمسة أسماء : مُهَيِّمٌ - ومُجَيِّمٌ - ومُسَيِّطِرٌ - ومُبَيِّطِرٌ - ومُبَيِّقِرٌ .

فالمهيمن : الله الناظر ، المحصى ، الذي لا يفوته شيء - ومجيمر : جبل - ومسيطر : مسلط - ومبيطر : يبيط - ومبيقر : الذي يخرج من أرض إلى أرض يقال : يبيقر إذا خرج من بلد إلى بلد .

٣ - أنه المصدق فيما أخبر - قاله ابن زيد .

٤ - أنه الرقيب على الشيء ، والحافظ له ، - قاله الخليل والخطابي .

وقال بعض أهل اللغة : الهيمنة : القيام على الشيء ، والرعاية له ثم قال :

ألا إن خير الناس بعد نبيه \* \* \* مُهَيِّمُهُ التالیه فی العرف والنکر

يريد القائم على الناس بعده بالرعاية لهم (١) .

وقيل : ( المُهَيِّمُ ) : الشاهد على خلقه بأعمالهم ، بمعنى هورقيب عليهم كقوله : ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ ، وقوله ﴿ ثم الله شهيد على ما يقولون ﴾ ، وقوله ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ - قاله ابن عباس رضی الله عنهما وغيره - (٢) .

- وقيل : ( المُهَيِّمُ ) : الرقيب المطلع على السراير (٣) .

- وقيل : ( المُهَيِّمُ ) : الشهيد على عبادته بأعمالهم ، الرقيب عليهم - قاله مجاهد وقتادة ومقاتل .

(١) زاد المسير - جزء ٨ - ص ٢٢٥ .

(٢) تفسير ابن كثير - جزء ٤ ص ٣٤٤ .

(٣) جامع البيان - للإيجي - جزء ٢ ص ٣٥٠ .

يقال : هَيْمَنُ يُهَيِّمُنُ فَهُوَ مُهَيِّمٌ : إذا كان رقيباً على الشيء .

وقال الواحدى : وذهب كثير من المفسرين إلى أن أصله مُؤَيِّمٌ من آمن يؤمن ، فيكون بمعنى المؤمن - والأول أولى (١) .

- وقيل : (المهيمن) : الرقيب الحافظ لكل شيء . مُفَعِّلٌ من الأمن بقلب همزته هاء (٢) .

- وقيل : (المُهَيِّمُن) : الرقيب الحافظ لكل شيء . مُفَعِّلٌ بقلب همزته هاء ، وإليه ذهب غير واحد - وتحقيقه كما في الكشف : أن أَيْمَنَ على فَيَعْلُ مبالغة أمن العدو للزيادة في البناء - وإذا قلت : أمن الراعى الذئب على الغنم مثلاً ، دل ذلك على كمال حفظه ورقبته . فالله تعالى أمن كل شيء سواه سبحانه على خلقه وملكه ، ءلاحاطة علمه ، وكمال قدرته عز وجل ، ثم استعمل مجرد الدلالة بمعنى الرقيب والحفيظ على الشيء من غير ذكر المفعول بلا واسطة للمبالغة في كمال الحفظ . كما قال تعالى ﴿ ومهيماً عليه ﴾ وجعله من ذلك أولى من جعله من الأمانة ، نظراً إلى أن الأمين على الشيء حافظ له ، اذ لا ينبىء عن المبالغة ولا عن شمول العلم والقدرة . وجعله في الصحاح اسم فاعل من : آمنه الخوف على الأصل ، فأبدلت الهمزة الأصلية باء كراهة اجتماع الهمزتين ، وقلبت الأولى هاء كما في هراق الماء .

وظاهر كلام الكشف : أنه ليس من التصغير في شيء .  
وقال المبرد : إنه مُصَغَّرٌ - وقد أخطأ في ذلك ، فإنه لا يجوز تصغير أسماء الله عز وجل

(٣)

- وقيل : (المهيمن) : القائم على الوجود ، المسيطر على كل ذرة فيه (٤)

● أقول : في اسم : (المهيمن) سبحانه ، ذكر المفسرون المعانى التى عرضت جانباً منها ، وأجملها في أن المراد بمعنى (المُهَيِّمُن) جل وعلا : القائم بأمور الخلق - الرقيب الحافظ لكل شيء ، الشهيد على عباده ، المطلع على أعمالهم وأسرارهم ، الأمين ، المصدق فيما أخبر ولكل ما حدث .

(١) فتح القدير - جزء ٥ - ص ٢٠٨ - .

(٢) تفسير أبى السعود - جزء ٧ - ص ٢٣٤ - .

(٣) روح المعانى - جزء ٢٨ - ص ٦٣ - .

(٤) التفسير القرآنى للقرآن - جزء ٢٨ - ص ٨٨٣ - .



والذى بيدولى أن اسم (المُهَيِّمِن) جل جلاله ، يتضمن معناه شمول الهيمنة بمعنى السيطرة المطلقة لله عزوجل على كل كائن فى هذا الكون ، إيجاباً وإعداداً ، وتحريكاً ، وتسكيناً ، بعلمٍ محيطٍ ، وعدلٍ مطلقٍ ، وقدرةٍ شاملةٍ ، ومشئئةٍ نافذةٍ ، وقدرٍ سابقٍ ، فلا راد لمشئته ، ولا معقب لقدره ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا يكون فى ملكه إلا ما يريد . وما أراد وقوعه فى كونه سبحانه - وما دونه فى اللوح المحفوظ غيبه عن خلقه ، واستأثر بعلمه وحده ، وهذا الاستثثار أثر من آثار هيئته سبحانه .

ومن أمثله قوله عزوجل : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابَسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [ الأنعام آية ٥٩ ] .

ثم أنه سبحانه مع هذه الهيمنة التى من مقتضاها قهر عباده سبحانه : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير ﴾ [ الأنعام آية ١٨ ] ، لم يهمل عباده بل يراقبهم ، ويشهد كل أقوالهم وأعمالهم ، بل ويطلع على أسرارهم وما تُكن صدورهم ، ويوالى إمدادهم بكل ما يحتاجون لعمارة هذه الأرض ، وما يصلح لهم فى دنياهم وأخراهم ، ويرسل إليهم ملائكة حفظة لهم بإذن الله طول حياتهم حتى تنتهى آجالهم ، كما قال سبحانه : ﴿ له معقباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ [ الرعد آية ١١ ] ، وكما قال تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظةً ، حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رُسُلنا وهم لا يفرطون ﴾ [ الأنعام آية ٦١ ] .

ومن آثار هيئته سبحانه أنه يملك أن يتصرف فى خلقه كيف يشاء ، لأنهم فى ملكه ، والمالك من حقه أن يتصرف فى ملكه بكافة أنواع التصرفات . ومن نماذج هذه التصرفات ما ذكره الله تعالى تنبيهاً لنا وتذكيراً باستمرار وشمول هيئته على خلقه سبحانه قوله : ﴿ قل من يُنجيكم من ظلمات البرِّ والبحر؟ تدعونه تضرعاً وخفيةً لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله يُنجيكم منها ومن كل كَرْبٍ ، ثم أنتم تُشركون . قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعضٍ . أنظر كيف نُصِرُ الآياتِ لعلمهم يفقهون ﴾ [ الأنعام آية ٦٣ - ٦٥ ] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ، مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ؟ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ؟ ﴾ [ الأنعام آية ٤٦ ، ٤٧ ] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ فَالِقُ الحَبِّ والنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَخُجِرُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ ، ذَلِكَ اللَّهُ ، فَأَنْتِ تُوَفَّكُونَ ؟ فَالِقُ الإصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْبَانًا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ، وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ، وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ والرُّمَّانُ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ، انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [ الأنعام آية ٩٥ - ٩٩ ] .

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ . وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ، وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ ﴾ [ الرعد آية ١٢ ، ١٣ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينَةً لِلنَّاطِرِينَ . وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ، إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ فَثَبَّاهُ مَبِينٌ . وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيًا وَابْتَنَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونًا . وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ . وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الوَارِثُونَ . وَلَقَدْ عَلَّمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا المُسْتَآخِرِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يُخَشِرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [ الحجر آية ١٦ - ٢٥ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْبِحُونَ وَحِينَ تُسْرِحُونَ . وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالغِيهِ إِلَّا يَشُقُّ الأَنْفُسَ ، إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ . وَالخَيْلَ والبغالَ والحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ، وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [ النحل آية ٥ - ٨ ] .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ، ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ، وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ، لِنَحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ [ الفرقان آية ٤٥ - ٤٩ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ : هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا . وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ، وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [ الفرقان آية ٥٣ - ٥٤ ] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ؟ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ؟ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ؟ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ؟ وَمِنْ رَحْمَتِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [ القصص آية ٧١ - ٧٣ ] .

وقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ . أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ . إِنَّكُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ، نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ . أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ؟ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكُهُونَ . إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ؟ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . إِنَّكُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ؟ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَرَمَاعًا لِلْمُقْوِينَ . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [ الواقعة آية ٥٧ - ٧٤ ] .

سبحانك ربنا العظيم ، ما أعظم سلطانك ، وما أكمل هيمنتك المطلقة على كل شيء في هذا الوجود ، لا يفتك منها أى مخلوق صغراً كبر ، دقاً أم عظم .

نزهك ربنا العظيم عن كل ما لا يليق بجلالك وسلطانك ، ونقره لك وحدك بسمو أسمائك وكمال صفاتك ، ونعترف لك بجليل فضلك وإحسانك وكرمك ، بقلوبنا وألسنتنا وجوارحنا ، ونشهد بأنك وحدك المستحق لأن تُشكر فلا تُكفر ، وتُذكر فلا تُنسى ، وتُطاع فلا تُعصى .

وَنَكِلُ أُمُورَنَا إِلَيْكَ وَحَدَّكَ ، فَأَنْتَ مَلَاذُنَا وَحَدَّكَ فِي الدُّنْيَا ، وَمَرْجِعُنَا إِلَيْكَ وَحَدَّكَ فِي  
الْآخِرَى ، أَنْتَ مَوْلَانَا الْمُهَيَّمُنُ عَلَيْنَا حَقًّا ، وَنَحْنُ عَبِيدُكَ الْخَاضِعُونَ لَكَ صِدْقًا ، ﴿ إِنَّ  
كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ  
آتِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [ مريم آية ٩٣ - ٩٥ ] .

أَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَثْبِتَ قَلْبُنَا عَلَى دِينِهِ ، وَأَنْ يَصْرِفَهَا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنْ يَخْتِمَ  
لَنَا بِعَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ خَتَامَ الْإِيمَانِ .

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

### حلاوة الإيمان

عن أنس بن مالك رضى الله عنه ( في الصحيحين ) قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم :

ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان في قلبه :

( ١ ) من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما :

( ٢ ) ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله .

( ٣ ) ومن كان يكره أن يرجع في الكفر ، بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن  
يلقى في النار .

وعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ( في صحيح مسلم ) قال : قال  
صلى الله عليه وسلم :

ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً ، بالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى

الله عليه وسلم رسولاً .

الفقه



أصوله



سَمَّاهُ السَّخِجَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ :

## يَدْعُو الْمَسْأَمِينَ لِلْمُبَارَاةِ بِالتَّوْبَةِ

وجه الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز نصيحة إلى المسلمين دعاهم فيها إلى وجوب التوبة إلى الله والضراعة إليه عند نزول المصائب وفيما يلي نصها:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يطلع عليه من المسلمين . . وفقني الله وإياكم للتذكر والاعتبار والأتعاض بما تجري به الأقدار والمبادرة بالتوبة النصوح من جميع الذنوب والأوزار . . أمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . أما بعد :

فإن الله عز وجل بحكمته البالغة وحجته القاطعة وعلمه المحيط بكل شيء يتبلي عباده بالسراء والضراء والشدة والرخاء وبالنعمة والنقم ، ليمتحن صبرهم وشكرهم ، فمن صبر عند البلاء وشكر عند الرخاء وضرع إلى الله سبحانه عند حصول المصائب يشكو إليه ذنوبه وتقصيره ويسأله رحمته وعفوه أفلح كل الفلاح وفاز بالعاقبة الحميدة . . قال الله جل وعلا في كتابه العظيم : ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ . . والمقصود بالفتنة في هذه الآية الاختبار والامتحان حتى يتبين الصادق من الكاذب والصابر والشاكر . . كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ وقال عز وجل : ﴿ وَنَبْلُوكُمْ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِتْنَةً وَالنَّاسُ لِرَبِّكُمْ قَاغِيَةٌ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وَنَبْلُونَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ والحسنات هنا هي النعم من الخصب والرخاء والصحة والعزة ، والنصر على الأعداء ، والسيئات هي كالزلازل والرياح العاصفة والسيول الجارفة المدمرة ونحو ذلك . . . وقال عز وجل : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ والمعنى أنه سبحانه قدر ما قدر من الحسنات والسيئات وما ظهر من الفساد ليرجع الناس إلى الحق ويبادروا بالتوبة مما حرم الله عليهم

ويسارعوا إلى طاعة الله ورسوله لأن الكفر والمعاصي هما سبب كل بلاء وشر في الدنيا والآخرة. وأما توحيد الله والإيمان به وبرسوله وطاعته وطاعة رسله والتمسك بشريعته والدعوة إليها والإنكار على من خالفها فذلك هو سبب كل خير في الدنيا والآخرة والنجاة من كل مكروه والعاقبة من كل فتنة. كما قال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾. . . وقال سبحانه: ﴿وَلِيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ أَنفَكُوا مَنَافِقَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ اللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾. . . وقال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وقد بين سبحانه في آيات كثيرات أن الذي أصاب الأمم السابقة من العذاب والنكال بالطوفان والريح العقيم والصيحة والغرق والخسف وغير ذلك كله بأسباب كفرهم وذنوبهم. . . كما قال عز وجل ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مَّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ وأمر عباده بالتوبة إليه والضراعة إليه عند وقوع المصائب فقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وقال سبحانه: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ وقال سبحانه: ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون. فلولا أن جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾.

وفي هذه الآية الكريمة حث من الله سبحانه لعباده وترغيب لهم إذا حلت بهم المصائب من الأمراض والجراح والقتال والزلازل والرياح العاصفة وغير ذلك من المصائب أن يتضرعوا إليه ويفتقروا إليه فيسألوه العون. وهذا هو معنى قوله سبحانه: ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ والمعنى هنا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا، ثم بين سبحانه أن قسوة قلوبهم وتزيين الشيطان لهم أعمالهم السيئة كل ذلك صدهم عن التوبة والضراعة والاستغفار فقال



عز وجل: ﴿ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ .

وقد ثبت عن الخليفة الراشد رحمه الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما وقع الزلزال في زمانه كتب إلى عماله في البلدان وأمرهم ان يأمرؤا المسلمین بالتوبة إلى الله والضراعة إليه والاستغفار من ذنوبهم . . وقد علمتم أيها المسلمون ما وقع في عصرنا هذا من أنواع الفتن والمصائب ، ومن ذلك تسليط الكفار على المسلمین في أفغانستان والفلبین والهند وفلسطين ولبنان واثيوبيا وغيرها . . ومن ذلك ما وقع من الزلازل في اليمن وبلدان كثيرة ومن ذلك ما وقع من فيضانات مدمرة والريح العاصفة المدمرة لكثير من الأموال والأشجار والمراكب البحرية وغير ذلك . . وأنواع الثلوج التي حصل بها ما لا يحصى من الضرر ومن ذلك المجاعة والجذب والقحط في كثير من البلدان . وكل هذا واشباهه من أنواع العقوبات والمصائب التي ابتلى بها العباد بأسباب الكفر والمعاصي والانحراف عن طاعته سبحانه والإقبال على الدنيا وشهواتها العاجلة والإعراض عن الآخرة وعدم الإعداد لها إلا من رحم الله من عباده .

ولاشك أن هذه المصائب وغيرها توجب على العباد البدار بالتوبة إلى الله سبحانه من جميع ما حرم عليهم ، والبدار إلى طاعته وتحكيم شريعته والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه ومتى تاب العباد إلى ربهم وتضرعوا إليه وسارعوا إلى ما يرضيه وتعاونوا على البر والتقوى وتأمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر أصلح الله أحوالهم وكفاهم شر أعدائهم ومكن لهم في الأرض ونصرهم على عدوهم وأسبغ عليهم نعمه وصرف عنهم نقمه . كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين : ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ وقال عز وجل : ﴿أدعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ وقال عز وجل : ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ وقال سبحانه : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً﴾ الآية . وقال عز وجل : ﴿والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ .

فأوضح عزوجل في هذه الآيات أن رحمته وإحسانه وأمنه وسائر أنواع نعمه إنما تحصل على الكمال الموصول بنعيم الآخرة لمن اتقاه وآمن به وأطاع رسله واستقام على شرعه وتاب إليه من ذنوبه . . أما من أعرض عن طاعته وتكبر عن أداء حقه وأصر على كفره وعصيانه فقد توقعه سبحانه بأنواع العقوبات في الدنيا والآخرة وعجل له من ذلك ما اقتضته حكمته ليكون عبرة وعظة لغيره كما قال سبحانه : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ .

فيا معشر المسلمين حاسبوا أنفسكم وتوبوا إلى ربكم واستغفروه وبادروا إلى طاعته واحذروا معصيته، وتعاونوا على البر والتقوى، واحسنوا إن الله يحب المحسنين، وأقسطوا إن الله يحب المقسطين وأعدوا العدة الصالحة قبل نزول الموت، وارحموا ضعفاءكم، وواسوا فقراءكم، وأكثروا من ذكر الله واستغفاره، وتآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر لعلكم ترحمون واعتبروا بما أصاب غيركم من المصائب بأسباب الذنوب والمعاصي، والله يتوب على التائبين ويرحم المحسنين ويحسن العاقبة للمتقين . . كما قال سبحانه : ﴿ فأصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ . والله المسئول بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرحم عباده المسلمين، وأن يفقههم في الدين، وينصرهم على أعدائه وأعدائهم من الكفار والمنافقين، وأن ينزل بأسه بهم الذي لا يرد عن القوم المجرمين . إنه وليُّ ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

### الحسنة والسيئة

قال بعض السلف :  
 إن للحسنة لنوراً في القلب ، وقوة في البدن ، وضياء في الوجه ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق ...  
 وإن للسيئة لظلمة في القلب ، ووهناً في البدن ، وسواداً في الوجه ، ونقصاً في الرزق ، وبغضاً في قلوب الخلق ...

# نظام الإثبات في الفقه الإسلامي

الدكتور عوض عبد الله أبو بكر  
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

دراسة مقارنة

- ٢ -

بيننا في مقالنا السابق أن الفقه الإسلامي قد حوى نظاما متميزا ومتفردا في الإثبات، يتسق مع نظامه الشامل العادل. فهو مع تحديده لأدلة إثبات الدعوى - على ما ذهب إليه جمهور الفقهاء - إلا أنه لم يحد من سلطة القاضي في تقدير الأدلة حتى لا يجعل وظيفة القاضي الية لا أثر لها في الحكم. كما أنه لم يطلق للقاضي الحرية الكاملة في تحديد الأدلة تجنباً لتعسف القضاة في استعمال هذا الحق فيستغلون سلطة وظيفتهم.

وقبل أن نتناول هذه الأدلة نود أن نشير إلى أن القوانين الوضعية بعد مناقشات وتعديلات قد لجأت إلى تحديد الأدلة في الدعوى المدنية والتجارية، اتفاقاً بذلك مع قول جمهور الفقهاء، إلا أنها قد خالفت الفقهاء في تحديد القيمة لكل دليل من هذه الأدلة، كما سنرى إن شاء الله - أما في الدعوى الجنائية فإن القانونيين يميلون إلى رأي ابن قيم الجوزية الذي يقضي بعدم حصر أدلة الثبوت، ولذلك نجدهم يطلقون للقاضي الحرية الكاملة في الدعوى الجنائية ليستمد اقتناعه من أي دليل يعرض عليه.

أما فيما يتعلق بأدلة الإثبات في الفقه الإسلامي، فإننا نجدها قد انقسمت إلى قسمين رئيسيين: قسم اتفق الفقهاء على حجته وقبوله كدليل في الدعوى، يعول عليه القضاة، ويتمسك به الخصوم في إثبات دعواهم، وقسم اختلف الفقهاء في قبوله دليلاً للإثبات. ومنشأ هذا الاختلاف في هذا القسم الأخير هو: إما لعدم قوة الأدلة الدالة على اعتباره، أو للاحتياط الشديد الذي تميزت به بعض المذاهب الإسلامية، فاحتاطت للقضاة حتى لا يكون تعويلهم على أدلة ظنية لا تطمئن إليها النفوس، فتضطرب الأحكام وتختلط الحقوق.

ولنلق الآن نظرة عامة على هذه الأدلة، ولنشير إلى موقف القانونيين في بعض مسائلها.

القسم المتفق عليه:

أولاً: الإقرار:

والمعنى الاصطلاحي للإقرار كما تدل عليه عبارات الفقهاء هو (إخبار الإنسان بحق عليه لغيره). فلا يسمى إخبار الغير بحق لآخر إقراراً<sup>(١)</sup>.

الأصل في الإقرار:

وقد ثبتت حجية الإقرار بالكتاب والسنة والاجماع والمعقول:

(١) البحر الرائق لابن نجيم ج ٧، ص ٢٤٩ ط دار المعرفة بيروت. وانظر أيضاً منحة الخالق على البحر الرائق لابن عابدين ج ٧ ص ٢٤٩. تبصرة الحكام لابن فرحون ج ٢ ص ٥٣ المطبعة البهية مصر سنة ١٣٠٢ هـ.

فالكتاب : قوله تعالى : ﴿وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه﴾ (البقرة : ٢٨٢) فأمر سبحانه من عليه الحق بالاملال ، وإملا له هو إقراره وإلا لما كان فيه فائدة ، ولما أمر الله به . وكذلك قوله تعالى : ﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم﴾ (النساء : ١٣٥) وشهادة الانسان على نفسه هو إقراره بالحق .

أما السنة : فما روى متفقا عليه من أنه ﷺ قبل إقرار ما عزب بالزنا . وعند مسلم وأصحاب السنن أنه قبل إقرار الغامدية بالزنا ، فعامل كلا منهما بموجب الاقرار بإقامة الحد عليه (١) .  
أما الاجماع : فقد أجمعت الأمة من عهده ﷺ إلى يومنا هذا على أن الاقرار حجة على المقر ، وجرت بذلك في معاملاتها وأقضيتها .

أما المعقول : فهو أن العاقل لا يقرب بشيء ضار بنفسه أو ماله إلا إذا كان صادقا فيه .  
والاقرار هو أول الحجج الشرعية وأقواها ، لأنه ليس هناك أبلغ من أن يقضي الانسان على نفسه بالاعتراف بثبوت الحق عليه . ولما كان للاقرار هذه القوة وهذه الأهمية في الاثبات ، كان لابد من عناية الفقهاء به وضبطه حتى يكون صحيحا واضح الدلالة . ولذا فقد جعلوا له شروطا لابد من توافرها ، بعضها في المقر ، وبعضها في المقر له ، وبعضها في المقر به .

ويمكن إجمال هذه الشروط في أنه يشترط في المقر أن يكون عاقلا بالغيا ، طائعا ، مختارا ، وأن لا يكون هازلا ، كما يشترط في المقر له أن يكون موجودا حال الاقرار ، أو وجد قبله ومات ، وأن يكون أهلا للملك ، وأن يكون سبب استحقاقه للمقر به مقبولا عقلا ، فلو أقر للحمل وقال عن بيع باعه ، لغا الاقرار ، وألا يكون المقر له مجهولا جهالة فاحشة (٢) .

### التهمة في الاقرار :

ومن الشروط التي تدل على بعد نظر فقهاء الشريعة هو أنه يشترط لصحة الاقرار عندهم ألا يكون المقر متهما في هذا الاقرار ، فلو كان متهما فيه لم يصح إقراره ، إذ التهمة تخل برجحان جانب الصدق على جانب الكذب ، ولأن الاقرار شهادة على النفس كما قدمنا والشهادة ترد بالتهمة .  
ومن الأمثلة على رد الفقهاء الاقرار بتهمة المقر ، إقرار المريض مرض الموت لوارثه بدين .  
وتكليف هذه التهمة التي تلحق بالمريض مرض الموت : هو أن المريض وقد أحس بدنو أجله وقرب رحيله عن الدنيا وفراقه لماله الذي سيؤول إلى خلفاء غيره ، ربما أراد أن يؤثر بعض هؤلاء الخلفاء على غيرهم بميل الطبع أو ربما أراد أن يجرم بعضهم لضغينة يحملها عليهم ، فيذهب إلى تنفيذ غرضه بصورة الاقرار من غير أن يكون للمقر له دين عليه أصلا ، فكان متهما في هذا الاقرار فيرد الاقرار .

ويظهر القول بعدم صحة إقرار المريض مرض الموت لوارثه بدين ، واضحا جليا في عبارات

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ١٩٥ . ط المطبعة المصرية ومكتبتها . وانظر جمع الفوائد ج ١ ص ٧٤٩ ط دار التأليف مصر .

(٢) بداية المجتهد ج ٢ ص ٤٦١ ط البايي الحلبي سنة ١٣٧٩ هـ ، المرافعات الشرعية لمحمد زيد بك اليباني ص ٤٤ وما بعدها . الاصول

القضائية في المرافعات الشرعية : علي قراة ص ٧٠ .

فقهاء الحنفية والحنابلة والمالكية، أما الامام الشافعي فإنه وإن كان متفقاً معهم في الحد من تصرفات المريض مرض الموت فيما يتعلق بالوصية والبيع والشراء بمحابة، إلا أنه لم يوافقهم في عدم قبول إقراره لانتفاء التهمة في نظره (١).

وما يقال عن المريض مرض الموت، يمكن أن يقال عن المدين المحجور عليه بسبب الدين، فقد ذهب فقهاء الحنفية والحنابلة الى وقف سريان إقراره، وقالوا: إن إقرار المدين بحق حال الحجر عليه تصرف يضر بالغرماء. ومقصود الحجر هو منع المدين من كل تصرف يضر بهم، إذ أن الحجر لحقهم، والمدين متهم في هذا الأقرار، وعليه فإنه لا يشارك المقر له الغرماء فيما حجر عليه من مال، ولكن يؤخذ المقر بإقراره، ويلزمه بعد قضاء ديون الغرماء الذين طلبوا الحجر على المدين (٢). وقد قررت هذه الأحكام منذ زمن بعيد في الفقه الاسلامي لمصلحة الورثة في مال مورثهم، والدائنين في مال مدينهم، فاحتاط الفقهاء ومنعوا التصرفات التي تلحق بهم الضرر. وفي نفس الوقت وقف القانون الغربي جامدا ولم يستطع أن يقرر شيئاً من هذا القبيل. ولذا لجأ القانونيون في مصر لاستمداد هذه الأحكام من الشريعة الاسلامية.

يقول الدكتور محمد كامل مرسي «ولكن الرأي الصحيح هو أن الأحكام التي أتى بها الشارع المصري خاصة بالبيع الحاصل في مرض الموت ليست مبنية على فكرة عدم أهلية المريض، وقد جاءت بها الشريعة الاسلامية مراعاة لمصلحة الورثة والمحافظة على حقوقهم بمنع المورث من إثارة بعضهم على بعض» (٣).

ويقول الدكتور عبد الناصر العطار «لم يعرف القانون المدني مرض الموت، فيرجع في تعريفه إلى الشريعة الاسلامية باعتبارها مصدراً رئيسياً للتشريع، ومصدراً تاريخياً استمدت المشرع منه أحكام المريض مرض الموت، ومصدر احتياطي لا بد من الرجوع إليه إذا لم يوجد نص أو عرف» (٤). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أصالة هذه الشريعة وكما لها وتفرداها بكثير من الأحكام التي عجزت القوانين الوضعية أن تأتي بمثلها.

### ثانياً: الشهادة:

ويطلق عليها جمهور الفقهاء البينة، فالأصل أن البينة تطلق على كل ما يبين به الحق، ولكن جمهور الفقهاء خصوها بالشهادة، ولذا قد عتب عليهم ابن القيم في هذا التخصيص وقال: إن من خص البينة بشهادة الشهود لم يوف مسأها حقه.

(١) أصول البيزودي وكشف الأسرار ج ٤ ص ٣٠٩ ط المطبعة العثمانية سنة ١٣٥٨ هـ. المغني لابن قدامة ج ٦ ص ٧٣ ط دار المنار سنة ١٣٦٧ هـ. قوانين الأحكام الشرعية لابن جزى المالكي ص ٢٤٢ ط دار العلم بيروت. الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٢٦٢ ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٥ هـ.

(٢) الهداية مع تكملة فتح القدير ج ٨ ص ٢٥٤. المطبعة الأميرية مصر سنة ١٣١٥ هـ. المغني لابن قدامة ج ٤ ص ٤٣٩.

(٣) مجلة القانون والاقتصاد، العدد الثالث السنة الثامنة مارس ١٩٣٨ م. ص ٢٧٣.

(٤) الدكتور عبد الناصر العطار: إثبات الملكية بند ٢٤ ص ١١٢.

والشهادة في اصطلاحهم هي إخبار الأنسان بحق لغيره على غيره، أو هي إخبار صادق لأثبات حق بلفظ الشهادة في مجلس القضاء<sup>(١)</sup>.

### الأصل في الشهادة وحكمها:

وأداء الشهادة واجب في غير الحدود، لقبول الله تعالى: ﴿ولا يَأبُ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ (البقرة: ٢٨٢) وقوله تعالى: ﴿ولا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ، وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة: ٢٨٣).

أما جرائم الحدود فالستر مطلوب فيها، وإذا كان الستر مطلوباً فيها، فإن الإخبار بها يكون خلاف الأولى، وما كان خلاف الأولى لا يكون واجباً<sup>(٢)</sup>.

### نصاب الشهادة:

أما نصاب الشهادة فهو على أربع مراتب:

الأولى: الشهادة على الزنا ونصابها أربع رجال.

الثانية: الشهادة على بقية الحدود والقصاص ونصابها رجلان، ولا تقبل فيها شهادة النساء.

الثالثة: الشهادة على ما لا يطلع عليه الرجال من عيوب النساء كالولادة، والبكارة فيكتفي فيها بشهادة امرأة واحدة.

الرابعة: سائر حقوق العباد، سواء أكانت مالا أو غير مال كالبيع والهبة والنكاح والإجارة والوصية، ونصابها رجلان أو رجل وامرأتان.

والشهادة حجة من الحجج الشرعية تثبت بها جميع الحقوق، سواء كانت من حقوق الله الخالصة أو من حقوق العباد، مهما كانت قيمة الشيء المدعي به، طالما توفر النصاب المشترط للحق المدعي به، وطالما توفرت الشروط والضوابط التي قررها الفقه الإسلامي لهذه الشهادة، سواء تعلقت بالشاهد وما يتعلق به من تزكية، وتحمل، وأداء، ومعاينة للمشهود به، أو سماع فيما يقبل السماع فيه، أو تعلقت بالمشهود له، أو المشهود به. والشهادة ليست كالأقرار القاصر على المقر وحده، إنما هي حجة متعددة يثبت بها الحق المدعي به على الغير.

### مقارنة بين الفقه والقانون في موضوع الشهادة:

(١) الشهادة في الفقه الإسلامي دليل كامل يثبت به جميع الحقوق سواء أكانت من حقوق

الله الخالصة أو من حقوق العباد مهما كان القدر المدعي به، أما في القانون الوضعي فهي دليل احتياطي واستثنائي غير كامل، فلا يؤخذ بها كدليل إلا في حدود معينة (المواد ٦٠ إلى ٦٤ إثبات

(١) الطرق الحكمية ص ١٤، بداية المجتهد ج ٢ ص ٤٦٣، فتح القدير لابن الهمام ج ٦ ص ٣.

(٢) البحر الرائق ج ٧ ص ٦٠، حاشية ابن عابدين ج ٣ ص ١٩٨.

مصري) كما لا يثبتون بها كل دعوي مدنية إلا في حالات استثنائية كحالات فقد السند من صاحبه بقوة قاهرة من حريق أو غرق أو سرقة .

والواضح أن هدف القانونيين من ذلك هو الحد من شهادة الزور التي احترفها الكثيرون فأصبحوا حربا على العدالة . كما أن القانون قد جعل معوله في الأثبات على الكتابة والمحركات الرسمية .

ولاشك أن شهادة الزور من أكبر الكبائر في الشريعة الإسلامية ، حذر منها المولى عزوجل ورسوله الكريم ، يقول تعالى ﴿واجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ (الحج : ٣٠) . وتضافرت الأخبار عنه ﷺ بمنعها وتحريمها وتأثيم مرتكبها .

ولذا فإننا نقول أن الشريعة الإسلامية ينبغي أن تؤخذ بكامل منهجها التشريعي نظاما وخلقا ، وإلا لما استطعنا أن نجني ثمرتها ، أو نفيد من تطبيق قانونها الفائدة المرجوة ، فالقانون وحده لا يكفل الأمن ولا يقيم العدل إلا إذا صحبته صحة ضمير ممن يطبق القانون ، ومن يسرى عليه القانون ، وإلا لكان أشبه بجسد بلا روح ، والشريعة الإسلامية بما تبذله من إصلاح للفرد ، وما تقيمه من ضمير يفظ ، يراقب الله عزوجل ، تجعل من قلب كل فرد في المجتمع الإسلامي رقبيا عليه ، فلا يقدم على قول أو فعل فيه غضب لله تعالى ، فالقاضي بها يحكم ورائده رضا الله بإيصال الحق إلى أهله ، والشاهد يشهد ورائده رضا الله بأداء الشهادة على وجهها ، والخصم ينبغي أن لا يقصد بخصومته الجور والتعدي . وهكذا تندرج هذه المراقبة لله على كل فرد في المجتمع الإسلامي في أفعاله وأقواله وسلوكه .

أما الكتابة الذي عول عليها القانون وجعلها دليلا رئيسيا في الأثبات خصوصا في المعاملات المدنية والتجارية ، فالشريعة الإسلامية مع احترامها لمبدأ الكتابة وحضها عليه ، حتى ذهب بعضهم إلى وجوبه في إثبات الديون استدلالا بالأمر بالكتابة في آية الدين في سورة البقرة : ٢٨٢ (١) . إلا أن عامة الفقهاء لم يجعلوه شرطا لا يجوز الأثبات إلا به .

(٢) إن القانونيين بالرغم من اعتدادهم بالشهادة إلا أنهم لم يتقيدوا فيها بنصاب معين ، كما أنهم لم يفرقوا بين شهادة الذكر وشهادة الأنثى ، ولم يخصوا كل منها بموضع على النحو الذي قدمناه في الفقه الإسلامي ، ولم يلاحظوا أن شهادة الرجل كشهادة المرأتين . ولاشك أن هذه الأحكام منها ما هو مقرر وفق آيات محكمات ، ومنها ما هو مستفاد من أقوال رسول الله ﷺ وأقضيته . فستان بين من يكون مصدره كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن يكون مصدره العقل البشري الذي لا يتقيد بنصوص أو أوامر إلهية .

(٣) لا يشترط عند فقهاء الشريعة أن يحلف الشاهد يمينا قبل أداء الشهادة وإن كانت محاكنا الشرعية قد درجت على ذلك الآن . أما في القانون الوضعي فتعتبر الشهادة باطلة إذا لم

(١) راجع تفسير القرطبي على الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

يؤد الشاهد اليمين (مادة ٨٦ إثبات مصري ومادة ٢٨ من مشروع قانون الأثبات السوداني لسنة ١٩٨١).

(٤) إذا كان القانون الوضعي قد انتهى إلى وجوب التفريق بين الشهود حتى يؤدي كل شاهد شهادته على انفراد (مادة ٨٤ إثبات مصري والمادة ٢٩ من مشروع قانون الأثبات السوداني لسنة ١٩٨١). فإن الأمام علي - رضى الله عنه - هو أول من فرق بينهم في مجلس القضاء، كما ذكر ذلك الكندي في القضاء، وابن القيم في الطرق الحكيمة، وخلاصته أن شابا شكوا أن نفرا خرجوا مع أبيه للتجارة وكان معه مال كثير، فعادوا دونه، فرفع الأمر إلى شريح الذي استحلفهم وخلى سبيلهم. ثم رفع الأمر إلى علي - رضى الله عنه - الذي وكل بكل شاهد رجلين وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم من بعض، ولا يمكنوا أحدا أن يكلمهم، ثم دعا كاتبه ونادى عليهم واحدا واحدا يسألهم عن يوم خروجهم، ونزولهم، وأين مات، أبو الفتى، ومن صلى عليه، وأين دفن، فلما رأى اختلافهم ضيق عليهم فأقروا بالقضية<sup>(١)</sup>.

### مقارنة بين الشهادة والأقرار:

(١) الشهادة حجة كاملة لاتصال القضاء بها، لأن القاضي ولايته عامة وتتعدى إلى الكل، أما الأقرار فإنه حجة قاصرة على المقروءه، ولا يحاسب الغير بإقراره، وذلك لقصور ولايته على غيره، ولذا فإنه لو أقر مجهول النسب بالرق جاز على نفسه وماله ولا يسري هذا الأقرار على أولاده.

(٢) الشهادة لا توجب حقا إلا باتصال القضاء بها، أما الأقرار فإنه موجب للحق بنفسه عند عامة الفقهاء وإن لم يتصل به القضاء. والجدير بالذكر أن القانون الوضعي لا يعترف إلا بالأقرار القضائي، أما الأقرار في غير مجلس القضاء فلا عبرة له عندهم (مادة ١٦ من مشروع قانون الأثبات السوداني لسنة ١٩٨١).

(٣) يصح الأقرار بالمعلوم والمجهول، ويقبل إقراره، بخلاف الشهادة فإنها لا تكون إلا بعد العلم بالمشهود به. فلو قال لفلان عليّ دين أو حق، قبل، ولو أقر بزناه بامرأة لا يعرفها حد ولا بد من علم الشهود بالمشهود عليه فلو قالوا لا نعرفها ترد شهادتهم. ولا يوجد دليل من أدلة الأثبات غير الأقرار والشهادة اتفق الفقهاء على حجيته، وعليه فقد تبقى لنا الأدلة المختلف فيها وهذا ما سنحاول عرضه في مقال قادم إن شاء الله تعالى.

(١) الطرق الحكيمة ص ٤٥.



# شَرَعِيَّةُ المَعَامَلَاتِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا البُنُوكُ الإِسْلَامِيَّةُ المَعَاصِرَةُ

للسَّيِّدِ عُمَرَ الرَّعْمِيِّ جَدِّ الرَّحْمَةِ  
الكويت

\* هذه كلمة من محب لكم ولأمتنا الإسلامية أسديها لكم تبرئة للذمة ونصحاً للأمة، وحساب الجميع على الله سبحانه وتعالى. ولأن موضوع البنوك الإسلامية طويل ومتشعب، ولأنه لا يسعني في هذه العجالة تفصيل هذا الأمر، فإنني سأضع بين أيديكم خطوطاً عرضية محددة لما يجب أن يدور عليه البحث ولما أحب أن ألفت نظركم إليه.

أولاً : البنوك الإسلامية غاية وهدف :

من تحصيل الحاصل الآن أن أذكر أن البنوك الإسلامية غاية إسلامية وهدف وأمل لكل مسلم صادق وأن كل مسلم مطالب بأن يسعى إلى إقامة هذه المصارف الإسلامية على النحو الذي يحقق للمسلم طيب المطعم والكسب، ولأمة الإسلام النصر والعزة، ولاشك أنه يبرأ من الإسلام من يريد أن يحول بين المسلمين وبين إقامة نظام اقتصادهم وفق الشريعة ومن يريد تعطيل مسيرة البنوك الإسلامية لتطبيق شريعة الله.

ثانياً: نظرة الى الوراثة:

من جانب الحرص على المصارف الإسلامية كتبنا مقالات مطولة في عدم شرعية كثير من المعاملات الجارية الآن فيها، وقد كان لنا بحمد الله شرف الدعوة والعمل من أجل إقامة هذه المصارف وذلك منذ عام ١٩٦٦ مقتدين ومساعدين لأستاذنا في هذا الصدد الدكتور عيسى عبده رحمه الله الذي هو بحق رائد ومنشئ أول مصرف إسلامي فجزاه الله عن المسلمين خيراً وأفسح له في جنان الخلد.

ثالثاً: الغاية التي من أجلها تنشأ المصارف الإسلامية:

لا يخفى عليكم أن المصرف الإسلامي يختلف عن المصرف الربوي في شيء أساسي هو أن المصرف الإسلامي هو التاجر والصانع والزارع والمؤجر، والذي يعمل في الصيد واستخراج المعادن، وباختصار هو الذي يقوم بكل الأعمال المشروعة للكسب وهذا بعكس

البنك الربوى الذى يقوم بدور الوسيط فقط بين صاحب المال وبين صاحب المشروع الزراعى أو الصناعى أو التجارى . فالمصرف الربوى فى حقيقته وكيل عن المودع فى أنه يقرض ماله بالربا بفائدة معلومة دون أن يتحمل شيئاً من الخسارة، وأما المصرف الإسلامى فإنه يأخذ المال من المودعين ليزرع هو، ويصنع هو، ويبنى هو، ويؤجر هو، وبالتالي يكسب أو يخسر ويشارك المودع فى الربح والخسارة.

وليس بخاف على أحد اليوم أن المصارف الإسلامية جميعها لم تقم بشيء يذكر مما أسست من أجله فلم تفتح بنفسها زراعة أو صناعة أو تجارة أو صيداً أو استخراج معادن . اللهم إلا خمسة فى المائة فقط من الأموال المودعة عندها ذهبت إلى هذا الصدد وأما بقية الأموال المودعة فإنها تتعامل فيها بطريقة ربوية لا شبهة فيها بتاتاً أنها ربوية تحايلية . وذلك فيما يسمونه ببيع المرابحة، وكذلك فى الاعتمادات المستندية .

ففى بيع المرابحة المزعوم يشتري المصرف الإسلامى فى الظاهر لنفسه وفى الحقيقة للمشتري الذى تعاقد معه وباع له، والمصرف هنا ليس مشترياً حقيقة وإنما هو وسيط ربوى ضامن للربح غير مخاطر بشيء فهو يبيع ويشترى فى وقت واحد ويسلم البضاعة وهى ما زالت فى مصانعها أو فى البحر أو فى مخازن التاجر البائع . وهذا تحايل صارخ على الربا وليس من البيع فى شيء وقد فصلنا هذا الأمر بحمد الله فى مقالات عديدة، ورددنا ردوداً شافية على كل الذين حاولوا الدفاع عن هذا البيع الزائف الذى يسمونه (بيع المرابحة) وما هو من بيع المرابحة المعروف فى الإسلام فى شيء .

وأما الاعتمادات المستندية فهو نوع من ضمان وصول مستندات البيع إلى المشتري، وهو خدمة تتقاضى عليها البنوك أجراً وهذا جائز إلا أن البنوك الربوية إذا سددت عن عميلها وتأخر فى السداد فإنها تحسب عليه فائدة ربوية على كل يوم تأخير، وأما المصارف الإسلامية فقد وجدت من يتحايل لها أيضاً ويضع نسبة تصاعديّة على العميل المشتري فالذى يسدد فى ثلاثة أشهر يدفع ١٥٪ والذى يسدد فى ستة أشهر يدفع ٣٪ والذى يسدد فى سنة يدفع ٦٪ وهذا هو عين المداينة بربح معلوم، ولا يفيد هذا القول بأن الدين مختلط مع عقد آخر هو الوكالة عن المشتري فى استلام المستندات، لأن أخذ الأجرة على تسليم المستند معلومة ويمكن فصلها عن المداينة . ولذلك فلا فرق بتاتاً بين ما تصنعه المصارف الإسلامية الآن فى الاعتمادات المستندية . وما تصنعه البنوك الربوية . وهذه القضية أيضاً قد فصلناها فى مذكرة ورفعناها إلى بيت التمويل الكويتى عندما طلب منا أحد العلماء إفتاءً فيها .

رابعاً: ليس المهم أن نرفع شعاراً إسلامياً بل المهم أن تطبق الإسلام الحقيقي:

أظن أنه ليس بخاف عليكم أنه ليس المهم أن يرفع المسلم شعاراً يقول أنه مسلم ثم يمارس بعد ذلك ما يحلوه، وإنما المهم الآن - والآن بالذات أن نظهر الإسلام الحقيقي وأن نقدم الإسلام حقيقة للناس. وقد ذكرت في معرض ردودي السابقة على قضية (بيع المرابحة) أنه بهذا الطريق من التحايل نستطيع أن نزاو كل الربا الموجود في الأرض الآن عن طريق ما يسمى (بيع المرابحة) فهذا النوع من التعامل قد يسر إجراء أى معاملة ربوية على أى صورة عن طريق ما يسمى (بيع المرابحة) وهذا معناه أن لا يوجد الآن ربا في الأرض فقط بل أى معاملة ربوية نستطيع أن نجعلها (شرعية) إلا بأن نغير شكل الكتابة فقط، فبدلاً من أن أقول أخذت ديناً بفائدة كذا وكذا أقول إننى لست مشترياً ولا بائعاً وإنما أنا قد أسلفت نقودى لغيرى بفائدة معلومة لزمن معلوم.

خامساً: أنظروا عمن توقعون؟

وختاماً أقول للمجتمعين اليوم انظروا عمن توقعون. إنكم توقعون عن الله. فإن قلت إن هذا حلال فإنكم تعنون أن الله قد حرم هذا، ولا شك أن تحليل الحرام كتحريم الحلال. وأن الربا إحدى وسبعون باباً أسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم. فانظروا أين تضعون أنفسكم، واعلموا أن الله سائلكم غدا عما ستوقعون عليه اليوم.

وفي الختام أذكر هذه الحادثة لأوضح لكم إلى أى مدي أنتم مسئولون: فقد سألت بعض القائمين على المصارف الإسلامية: لماذا لا تؤسسون مشروعات صناعية وزراعية وتجارية وهذه هى المهمة التى من أجلها أسست البنوك الإسلامية؟ فقال لى: لانستطيع ذلك فقلت: شاركوا بعض الشركات القائمة اشترى وشركات ناجحة. فقال: لم نجد من نستأمنه؟ ونخاف أن نخاطر بأموال المودعين. فقلت له: هذه هى نفسها حجة المرابين. أنهم لا يريدون المخاطرة. ولكن أليس الذين أودعوا نقودهم عندكم من المسلمين الذين فروا من الربا. وأنهم دخلوا وأودعوا أموالهم عالمين أنها قد تتعرض للربح والخسارة؟ فلماذا تخافون إذن من المخاطرة؟. ولم أسمع لليوم جواباً.

فيا إخوانى الأعزاء هذه مسئوليتكم: فإن وجهتم المصارف الإسلامية اليوم إلى العمل الإسلامى الصحيح توجهت. وكان لكم الفضل بعد الله سبحانه وتعالى. وإن أقررت ما هو حاصل الآن من المعاملات الربوية كرستم الظلم والغش والربا وكانت المصارف الإسلامية القائمة اليوم وجهاً جديداً تحايلاً للمصارف الربوية فاخترتوا اليوم ما تشاؤون واللهم هل بلغت. اللهم فأشهد.

## متى يكون بيع المربحة حلالاً ومتى يكون حراماً؟

من المعلوم قطعاً أن كل عمل محرم إذا ألبس الصورة الشرعية فإنه يبقى على تحريمه بل يزداد حرمة لأنه يأخذ صورة الحيلة للتوصل إلى ما حرمه الله سبحانه . ولاشك أن المقاصد والنيات لها دخل كبير في الحكم على العمل هل هو حرام أم حلال . ومن المعلوم قطعاً أيضاً كون البيع مباحاً ولكن هذه الإباحة ليست على إطلاقها فإن ثمة شروطاً لابد من توافرها ليكون البيع حلالاً وثمة موانع تمنع صحة البيع لابد من الابتعاد عنها .

وقد أجاز فقهاؤنا الأقدمون نوعاً من البيع سموه بيع المربحة ولكنه اتخذ في بعض المعاملات الجارية والحادثة الآن صورة شرعية زائفة لعمل ربوي صريح .

فبيع المربحة المشروع هو أن يقول البائع للمشتري اشترت هذه السلعة بكذا وأربحنى فيها كذا وأبيعك إياها سواء باعه هذه السلعة حاضراً أم بأجل وهذا لا خلاف في مشروعيته بين الفقهاء . وما زال المسلمون يتعاملون في أسواقهم بمثل هذا البيع ، فكثيراً ما يقول لك التاجر «هذه السلعة وقفت علي بكذا أربحنى كذا وأبيعك إياها» .

والبيع هنا صحيح سواء كذب البائع أو لمصدق فكذبه هنا حرام عليه لا يمنع صحة البيع وإن كان في هذا إثم عظيم لقوله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة : وذكر منهم رجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له لقد اشتراها بكذا وكذا وإذا وهو على غير ذلك» رواه البخاري .

ولكن الصورة المحرمة من صور المربحة والتي لاشك أنها تحايل على الربا ، هو ما يصنعه الكثيرون ممن يلجأون إلى المصارف الإسلامية ، أو الممولين فيقولون لهم «اشتر لي الأرض الفلانية أو السيارة الفلانية وأنا أشتريها منك» وهو لا يلجأ إلى المصرف أو الممول إلا من أجل أن يبيعه مؤجلاً ومن أجل الحصول على المال ، فبدلاً من أن يقترض بربا ويشتري السلعة يلجأ إلى هذه الحيلة فيأخذ الممول أو المصرف وسيطاً لا من أجل الشراء وإنما من أجل الحصول على المال . والبنك الإسلامي لا يشتري السلعة لنفسه وإنما من أجل أن يبيعها لذلك المشتري ، فالمقاصد هنا معلومة قطعاً وصورة الشراء الأول والبيع الثاني ما هي إلا غطاء شرعي زائف لعمل غير مشروع يقينا وهو الربا . ومن أجل ذلك تتهم البنوك الربوية المتعاملين بمثل هذا البيع مع البنوك الإسلامية بأنه لا فرق بين عمل هذه البنوك وتلك ، وإن كان في البنوك الربوية صريحاً والبنوك الإسلامية ملفوفاً .

وعليه فاننا نقول في الحلال فسحة وأبواب الرزق المشروعة أكبر وأعظم من أبواب الرزق المحرمة. ولا يجوز تحليل هذه المعاملة لأنها تحايل واضح على الربا يتم في صورة البيع. ولا علاج لذلك إلا بأن يشتري البنك الاسلامى لنفسه ثم يبيع لمن شاء دون أن يكون هناك اتفاق أو وعد سابق على الشراء والبيع قطعاً لمادة الربا، وبعداً عن الشبهات، والحلال بين والحرام بين، ولا شك أن بيع المربحة بهذه الصورة من الحرام البين الذى لا يحتاج إلى كبير بيان.

## القول الفصل فى بيع المربحة

أولاً - صفة بيع المربحة (المشروع):

بيع المربحة الشرعى هو أن يذكر البائع للمشتري الثمن الذى اشترى به السلعة فيقول وقتت علي بكذا ربحنى فيها كذا وأنا أبيعك اياها: وفي هذا يقول ابن قدامة فى المغنى «معنى بيع المربحة هو البيع برأس المال وربح معلوم ويشترط علمهما برأس المال فيقول رأس مالي فيه. أو هو علي بهائة «مثلاً» بعثك بها وربح عشرة فهذا جائز لا خلاف فيه ولا نعلم فيه عند أحد كراهة» «اه».

ويقول صاحب بدائع الصنائع «فقه حنفى» هو أن يبيع بمثل الثمن الأول مع زيادة ربح. «ص ٢٢ ج ٥ ط أولى» وهذا البيع مازال معمولاً به فى أسواق المسلمين جميعاً الى اليوم فأنت تأتى الى التاجر فيقول لك هذه الشاة مثلاً اشتريتها بخمسين ديناراً ربحنى فيها خمسة دنانير وأنا أبيعك اياها.

ثانياً - صفة «بيع المربحة» المعمول بها فى بعض البنوك الاسلامية :

وأما المعاملة التى يسمونها فى البنوك الإسلامية بيع مربحة فهى تختلف عما قدمنا شكلاً وموضوعاً ونية وقصدًا، فإن البنك لا يملك السلعة والمشتري الذى يلجأ الى البنك لا يقصد خدمة البنك فى أن يشتري له وإنما - يلجأ الى البنك من أجل المال لأنه ليس لديه مال حاضر وهو يريد شراء سلعة ما «أرضاً مثلاً أو سيارة» فيأتى الى صاحب الأرض «البائع الحقيقى» ويتفق معه على السعر ثم يذهب الى البنك الإسلامى ويقول له اشترى الى هذه الأرض الفلانية ويوقع معهم عقداً يسمونه «وعد بالشراء». ثم يذهب موظفوا البنك ويحضرون البائع ويتفقون معه على أن يبيعوا له بثمن أكثر نسيئة أعنى الى أجل ويسمون هذه «الدورة الطويلة» بيع مربحة.

أوجه تحريم هذه المعاملة :

( أ ) قصد الربا :

ولا شك أن هذه المعاملة ليست من البيع والشراء في شيء فإن المشتري الحقيقي ما لجأ إلى البنك إلا من أجل المال، والبنك أيضاً لم يشتتر هذه السلعة بقصد أن يبيعها بأجل إلى المشتري وهذه المقاصد لا يستطيع أحد أن يكابر فيها.

( ب ) بيع ما لا يملك :

ولاشك أيضاً أن البنك الإسلامي عندما يأتيه مشتر ويقول : اشتر لي السلعة الفلانية فإن البنك يساومه على البيع ويشترط عليه إذا اشتراها له أن يشتريها بريح كذا وكذا، وهنا يكون البنك قد باع ما ليس عنده . وقد جاءت النصوص بتحريم ذلك بل إجماع الأمة كلها على هذا كما قال ابن قدامة في المغنى «ولا يجوز أن يبيع عيناً لا يملكها ليمضى ويشتريها ويسلمها رواية واحدة» أحمد بن حنبل «وهو قول الشافعي ، ولا نعلم فيه مخالفاً لأن حكيم بن حزام قال للنبي ﷺ : إن الرجل يأتيني فيلتمس من البيع ما ليس عندي فأمضى إلى السوق فأشتره ثم أبعه منه فقال النبي ﷺ «لا تبع ما ليس عندك» (أهـ ص ١٥٥ ج ٤ المغنى).

ومعلوم يقيناً أن البنك يبيع ما ليس عنده باتفاقه مع المشتري الذي يسمونه وعداً بالبيع ، والحال أنه تعهد مكتوب موقع عليه يلتزم به المسلم على الأقل أخلاقياً وأديباً ولا يجوز للمسلم أن يخلف وعده حقاً إن البنك لا يقاضي من يتخلف عن هذا الوعد ويطالبه أمام المحاكم بإنجاز ما وعد<sup>(١)</sup> ولكنه يكبله بتوقيع ووعد يلزمه أخلاقياً على الأقل أن يشتري ، وهل هناك بيع أظهر من هذا وأوضح .

( ج ) بيعتين في بيعة :

هذه المعاملة التي يتبايعون فيها في البنوك الإسلامية هي بيعتان في بيعة . وقد جاءت النصوص وكلام السلف بالنهي عن ذلك فقد صرح أن النبي ﷺ قد نهى عن بيعتين في بيعة . قال الإمام ابن تيمية «وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال لمن باع بيعتين في بيعة «فله أوكسهما أو الربا» وهذا إن تواطأ على أن يبيع ثم يبتاع فما له إلا الأوكس وهو الثمن الأقل أو الربا» أهـ فتاوى ج ٢٩ ص ٤٤٧ ولاشك أن الشراء الأول للبنك ثم البيع ما هما إلا عمليتان اثنتان في صفقة واحدة قصد بها التحايل على الربا.

(١) عندما كتبنا ذلك كان الأمر كذلك . وأما الآن فإن العقود الجديدة تنص على التقاضي أمام المحاكم إذا أحل أي طرف

بهذا الوعد .

## ( د ) القضية كلها تحايل لأخذ الربا :

وهذه المسألة برمتها ما هي إلا دورة طويلة ، القصد منها التوصل الى الربا بغطا شرعى . ولهذا قال ابن قدامة بعد أن ساق بعض المعاملات التى ظاهرها الشرع وباطنها التوصل الى محرم : قال : «والحيل كلها محرمة غير جائزة فى شيء من الدين وهو أن يظهر عقداً مباحاً يريد به محرماً مخادعة ، وتوسلاً الى فعل ما حرم الله ، واستباحة محظوراته أو إسقاط واجب ، أو دفع حق ، ونحو ذلك ، قال أيوب السختياني «إنهم ليخادعون الله كما يخادعون صبياً ، لو كانوا يأتون الأمر على وجهه كان أهون على» أ هـ .

وذكر صاحب المغنى أمثلة للحيل فى أبواب الربا منها قوله : «وهكذا لو أقرضه شيئاً وباعه سلعة بأكثر من قيمتها توصلنا الى أخذ عوض عن الفرض فكل ما كان من هذا على وجه الحيلة فهو خبيث محرم « ا هـ » واستطرد ابن قدامة قائلاً : «وقال أبو حنيفة والشافعى ذلك كله وأشباهه جائز إذا لم يكن مشروطاً فى العقد» لكن ، قال بعض أصحاب الشافعى «يكره أن يدخل فى البيع على ذلك لأن ما كل ما لا يجوز شرطه فى العقد يكره أن يدخل عليه» ثم عقب ابن قدامة على آراء الشافعى وأبى حنيفة هذه بقوله «ولنا أن الله تعالى عذب أمة بحيلة احتالوها فمسخهم قرده وخنزير وسهام معتدين وجعل ذلك نكالا وموعظة للمتقين ليتعظوا بها ويمتنعوا عن مثل أفعالهم وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى « وموعظة للمتقين » أى لأمة محمد ﷺ فروى أنهم «أى بنى اسرائيل» كانوا ينصبون شباكهم للحيثان يوم الجمعة ويتركونها الى يوم الأحد ، ومنهم من كان يحفر حفائر ويجعل اليها المجرى فيفتحها يوم الجمعة فاذا جاء السمك يوم السبت جرى مع الماء فى المجرى فيقع فى الحفائر فيدعها الى يوم الأحد ثم يأخذها ويقول : ما اصطدت يوم السبت ولا اعتديت فيه فهذه حيلة . «أ هـ» .

وقال ابن عباس أيضاً فمن يشتري بنقد «حاضر» ومقصوده البيع نسيئة «أى الى أجل» قال «إذا استقمت بنقد ثم بعت بنقد فلا بأس ، وإذا استقمت بنقد ثم بعت بنسيئة فتلك دراهم بدراهم» قال ابن تيمية تعقيماً على كلام ابن عباس هذا «ومعنى كلامه إذا استقمت ، اذا قومت يعنى إذا قومت السلعة بنقد وابتعتها الى أجل فإنما مقصودك دراهم بدراهم» الفتاوى ص ٤٤٢ ج ٢٩ «وعقب الامام ابن تيمية ناصحاً من يتبع بعض الأقوال الضعيفة لأهل العلم ويستحل مثل هذه الحيل قال «عليهم اذا سمعوا العلم أن يقولوا عن هذه المعاملات الربوية ، ولا يصلح أن يقلد فيها أحداً فمن يفتى بالجواز تقليداً لبعض العلماء فإن تحريم هذه المعاملات ثابت بالنصوص والآثار ولم تختلف الصحابة فى تحريمها وأصول الشريعة شاهدة بتحريمها ، والمفاسد التى لأجلها حرم الله الربا موجودة فى هذه

المعاملات مع زيادة مكر وخداع ، وتعب وعذاب فإنهم يكلفون من الرؤية والصفة والقبض وغير ذلك من أمور يحتاج إليها في البيع المقصود ، وهذا البيع ليس مقصوداً لهم وإنما المقصود أخذ دراهم بدراهم فيطول عليهم الطريق التي يؤمرون بها فيحصل لهم الربا فهم من أحل الربا المعذبين في الدنيا قبل الآخرة وقلوبهم تشهد بأن هذا الذي يفعلونه مكر وخداع وتلبس ولهذا قال أيوب السخيتاني « يخادعون الله كما يخادعون الصبيان فلواتوا بالأمر على وجهه لكان أهون علي » انتهى فتاوى ص ٤٤٥ ج ٢٩ .

### الخلاصة :

وخلاصة الأمر أن هذا البيع الذي يسمونه في بعض البنوك الإسلامية ببيع المربحة ليس هو ببيع المربحة في شيء ، واعتمادهم هو قول للشافعي رحمه الله في هذه المسألة لا يحل لهم ذلك لأمرين :

الأول : أن الشافعي يفترض في هذا حسن النية وعدم التحايل على الربا قطعاً .  
والثاني : أن الشافعي رحمه الله يرى جواز ما يماثل هذه الحيلة وهو بيع العينة كما قال :  
(وان اشترى الرجل طعاماً الى أجل فقبضه فلا بأس أن يبيعه ممن اشتراه منه دون غيره بنقد والى أجل) «أهـ ص ٣٩ ج ٣» وهم لا يقولون بجواز مثل هذا البيع لأنه تحايل فكذا يجب أن يقولوا ذلك في مثيله «أهـ» .

### كلمة أخيرة :

وعلى كل حال فليس مقصوداً في هذا والله يعلم . الطعن في البنوك الإسلامية ، والتشويش عليها ، كما أدعى بعض الناس ساعهم الله . بل مقصوداً هو النصح والتقويم وخاصة إن هذه معاملة قد استشرت في الناس ويعلم العامة قبل الخاصة أنها تحايل صريح على الربا ، والبنوك الإسلامية لم تبدأ عملها بعد وما زالت في أول الطريق وعملها يبدأ عندما تكون هي الزارع والصانع والتاجر والشريك الحقيقي الذي يتحمل في الربح والخسارة ، والمضارب الذي يمول غيره ويتحمل في الربح والخسارة ، وهنا فقط يبدأ عمل البنك الإسلامي والطريق طويل ونسأل الله العون كل العون للقائمين عليها . ونصيحتي للمودعين أن لا ينتظروا الربح السريع من أول الطريق بل علينا التضحية ولن يضير البنك الإسلامي إذا مكث سنة أو سنتين أو أكثر يؤسس شركات حقيقية ، ويشارك هو حقيقة وبينى اقتصاداً إسلامياً حقيقياً ، ولو أنه في سبيل ذلك لم يحقق لزيائنه هذه النسبة المرتفعة من الأرباح .



## البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق :

\* يعقد حالياً في الكويت المؤتمر الثاني للمصارف الإسلامية، وذلك لمناقشة شرعية المعاملات التي تمارسها المصارف الإسلامية، وحتى يدرك الجميع الحقائق التي تواجهها هذه المؤسسات، ويعرف الناس ما يدور بداخلها نحب أن نضع الجميع أمام هذه الحقائق لتصل المصارف الإسلامية إلى التطبيق الصحيح للإسلام ولتكون مصارف إسلامية حقيقية وليست مجرد غطاء إسلامي لواقع ربوي .

### أولاً : الفارق الأساسي بين البنك الربوي والمصرف الإسلامي :

كثيرون لا يدركون الفارق الأساسي بين المصرف الإسلامي والبنك الربوي والفارق باختصار يتمثل فيما يأتي :

\* البنك الربوي يقوم نظامه وعمله الأساسي على تجميع أموال المستثمرين، ومن ثم اقرضها بفائدة ثابتة للتجار والمؤسسات والمصانع والحكومات والأفراد المحتاجين، وهذا يعني في المحصلة أن البنك الربوي وكيل عن المودع في اقرض أمواله بفائدة ثابتة ثم هو أعني البنك الربوي يتقاسم الفائدة بينه وبين المودع . وهذا يعني أيضاً أن البنك الربوي لا يخاطر بالأموال وإنما يقرضها بفائدة ثابتة . وما يتحصله من فوائد يتقاسمه مع المودعين فيه .

\* وأما المصرف الإسلامي فإنه يجمع أموال المودعين لا ليؤجرها أو يقرضها للغير وإنما ليعمل هوبها من خلال مؤسساته الخاصة - يعمل بها في الزراعة والتجارة والصناعة وشراء العقار وتأجيرها وسائر أوجه الكسب المشروع وبالتالي فالمصرف الإسلامي مخاطر بأموال المودعين لأنه قد يكسب ويربح عند ممارسته لهذه الأعمال وقد يخسر وبالتالي فإنه لا يعطى فائدة ثابتة وإنما يتقاسم الربح والخسارة مع المودعين (المستثمرين) هذا هو الفارق الأساسي بين البنك الربوي والمصرف الإسلامي .

### ثانياً - الواقع الفعلي للمصارف الإسلامية :

ولكن للأسف فإن هذا المفروض الذي بيناه آنفاً غير مطبق في المصارف الإسلامية الآن - اللهم إلا بنسبة ضئيلة جداً لا تتعدى خمسة في المائة ٥٪ من الأموال المودعة فيها . وأما بقية أعمال المصارف الإسلامية الحالية فإنها تعمل بطريقة ربوية خالصة وذلك على النحو التالي :

البنوك الربوية تقرض التجار الذين لا يملكون نقوداً حاضرة (سيولة) في مقابل فائدة

ثابتة . وهذا من الربا الصريح الواضح وأما المصارف الإسلامية ، فانها تصنع مع التجار نفس الصنيع ولكن عن طريق دورة طويلة من الاجراءات التي لاداعى لها . فالتاجر الذى يأتيها يريد (سيولة) نقوداً حاضرة تقول له نحن لانقرضك مالا (لأننا بنك إسلامي) . ولكن ماهى البضاعة التي تريدها أرنا إياها ونحن نشترىها ثم نبيعها لك . بشرط أن تتكفل أنت بجميع مصاريف الشحن والتأمين وجميع الالتزامات الأخرى التي تترتب على نقل هذه البضاعة وتأخذ منك عشرة في المائة . هذه هى صورة معاملة البنك الإسلامى مع التاجر الذى لجأ اليه من أجل (السيولة) النقود وهكذا يكون البنك الإسلامى ضامناً للربح غير مخاطر بشيء - فهو يوهم نفسه ويوهم الناس أنه يتاجر والحال أنه مقرض بفائدة وما قضية الشراء والبيع إلا تمثيلية وقد يسأل سائل وما الحرام فى ذلك والجواب أن الحرام يتأتى من أن البنك الإسلامى فى هذه الحال يبيع ما ليس عنده وما لا يملك وهذا لا يجوز فى الشريعة ، وبيع البضاعة ولم يتسلمها بعد ولم ينقلها إلى مخازنه وقد نهى النبى ﷺ عن بيع الطعام قبل قبضه (كما فى صحيح مسلم) وكذلك سائر البضائع والتجارات وكذلك فالبنك هنا ليس تاجراً وإنما هو مقرض فقط فهو لا يشتري لنفسه وإنما يشتري لغيره ، ولا يلتزم بشيء بتاتاً نحو تجارته فلا هو ملزم بنفقات نقلها ، ولا بضمانها إذا هلكت بل وهو أيضاً غير ملتزم بتسليمها إلى المشتري وإنما يسلمه المستندات وهو يذهب لاستلام بضاعته التي تكون مازالت فى عرض البحر . ولذلك فالتاجر يكون فى جانب المخاطرة والبنك الإسلامى يكون فى جانب الأمان التام شأنه فى ذلك شأن البنك الربوى تماماً إلا أن البنك الربوى وصل إلى مقصوده دون لف ودوران والبنك الإسلامى لا يصل إلى مقصوده إلا بزيادة عناء ولف ودوران . وهكذا تكون (الشريعة الإسلامية) على هذا النحو مزيداً فى التعقيد والتطويل مع فعل نفس الأمر الذى حرمه الله سبحانه وتعالى .

### ثالثاً - الدعاوى لا تغير الحقائق :

وقد استباح القائمون على البنوك الإسلامية لأنفسهم مثل هذه المعاملة التي بينها أنفاً من باب أنهم عندما يأتيهم العميل فلاهم لا يبيعونه وإنما يعدونه وعداً غير ملزم بأن يبيعوا له إذا اشترى السلعة . فإذا اشترىها لأنفسهم قاموا بعد ذلك ببيعها للعميل وهذا الكلام أيضاً غير صحيح بدليل ما يأتى :

١ - لا يوجد شيء فى الشريعة يسمى وعداً غير ملزم إذ المؤمن مطالب شرعاً بانفاذ ما وعد وإلا كان على شعبة من نفاق .

٢ - كيف يكون وعد الشراء هذا غير ملزم وقد نصوا فيه على ما يأتي كما جاء في نص العقد المعنون بـ (رغبة ووعد بالشراء) ففي المادة الرابعة منه : يتحمل الطرف الذي يخجل بهذا الوعد الضرر الفعلي الذي يلحق بالطرف الآخر ما لم يكن الاخلال لأسباب قاهرة أهـ . فكيف إذن يكون الوعد غير ملزم إذا كان الطرف الذي سيخجل بهذا الوعد سيتحمل الضرر الناشئ من الاخلال بالوعد ؟

ولعل قائلاً يقول إن الأمر لن يصل إلى أن يتقدم البنك الإسلامي بطلب محاكمة العميل الذي يتخلف عن انفاذ وعده للبنك وإنما هذا مجرد تهديد وتخويف وأقول هذا أيضاً خطأ لأن المادة الخامسة من هذا الوعد تنص على ما يأتي فهي تقول بالنص : «عند نشوء أى خلاف بين الطرفين بشأن هذا الوعد يصعب عليهما حله ودياً يعرض على محكمين ملتزمين بالشريعة الإسلامية (هكذا) يتم اختيارها على الوجه التالي :

\* حكم يختاره الطرف الأول .

\* حكم يختاره الطرف الثاني .

\* وحكم تختاره غرفة تجارة وصناعة الكويت .

ويتم الفصل في النزاع وفقاً للقوانين والأعراف التجارية السائدة بدولة الكويت وبما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية (عجباً) ويكون حكمها سواء صدر بالاجماع أو بالأغلبية ملزماً للطرفين وغير قابل للطعن فيه بالمعارضة أو الاستئناف وإذا اعتذرت غرفة التجارة والصناعة عن ترشيح الحكم الثالث يقوم الحكمان المختاران من قبل الطرفين باختياره ، فاذا تعذر ذلك تقوم المحكمة الكلية بتعيينه وفقاً لأحكام قانون المرافعات المدنية والتجارية الكويتي» .

### وبعد . . . .

أنظرتم يا إخواني إلى مفهوم الوعد غير الملزم في نظر البنوك الإسلامية إنه وعد يجرك جراً إلى محاكمة لا استئناف فيها ولا طعن فأى إلزام وأى دكتاتورية أبلغ من هذا . . . ؟ إن هذه الالتزامات المترتبة على هذا الوعد بالشراء (غير الملزم) لهى أبلغ من كل الالتزامات التي تترتب على الإخلال بعقد بيع حقيقى . ولذلك قلنا إن الادعاء بأن وعد الشراء غير ملزم أكذوبة كبيرة وإيهام كبير .

رابعاً - نناشدكم الله العودة إلى الحق والصواب

للأسباب السابقة كتبنا مراراً وتكراراً مناشدين القائمين على البنوك الإسلامية الله - أن يعودوا إلى الحق والصواب وأن لا تصحح الشريعة الإسلامية ألعوبة في أيديهم فإن الدنيا

لا تغنى من الآخرة شيئاً، ومصير الجميع غداً بين يديه سبحانه وتعالى وهو سائل كل إنسان منا على ما اكتسبه بلسانه وقلمه ويده .

ولذلك قلنا إن المؤتمر الحالى للبنوك الإسلامية مفترق طرق فإما أن تتحول البنوك الإسلامية إلى مزاولة عملها وفق الشريعة حقيقة وذلك بأن تفتح هى وكالات تجارية وتمارس التجارة الفعلية حقيقة ، وكذلك تقوم هى بالزراعة والصناعة والبناء ، والمقاولات بشركاتها وعمالها وصناعها ، وإما أن تأخذ البنوك الإسلامية من المجتمعين صكاً شرعياً لتزاول ما تزاول من أعمال ربوية تحت غطاء هذا الصك الشرعي .

فماذا أنتم فاعلون أيها المجتمعون اليوم ؟

### الفرق بين التاجر والمرابى

من المقطوع به فى الشريعة أن الله سبحانه وتعالى قد أباح البيع ، وحرم الربا . ومقالنا هذا مخصص وموجه لوضع الفروق بين البيع المشروع والربا المحرم .

تعريف البيع وشروط صحة عقده :

البيع معروف لدى جميع الناس تقريباً وهو استبدال نقود بسلع ، أو سلع بسلع أخرى كاستبدال أرز بنفط مثلاً . ويشترط له الصدق وعدم كتمان العيب ، وخيار المجلس «ولهذا شرح فى مقام آخر إن شاء الله تعالى» والتسليم . ومن شروطه الهامة التى تخفى على كثير من الناس وجوب حيازة التاجر للسلعة قبل بيعها للمشتري ومعنى هذا أن التاجر لا يجوز له أن يبيع مالىس عنده . وأنه يجب عليه أولاً أن يشتري السلعة ويجوزها ثم بعد ذلك يشرع فى بيعها .

حكمة مشروعية البيع :

ولا يخفى حكمة مشروعية البيع وجواز الربح من ورائه وذلك لما يأتى :

( ١ ) البائع خادم للناس لأنه يجلب البضاعة ويتعهدها ، ويعرضها لمن يشتري ويوفر على الناس كثيراً من الجهد والتعب ، ومعنى هذا أنه يقوم بخدمة حقيقية لغيره .

( ٢ ) البائع مخاطر فهو يشتري السلعة بهاله ومخاطر فى طلب الربح وقد تربح تجارته وقد تكسب وتبور . ولذلك فهو يتغنى فضل الله كما فسر العلماء قول الله تبارك وتعالى ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ابتغوا من فضل الله ﴾ قالوا هو التجارة لأن الله نهى عنها

في الآية التي قبلها عند سماع النداء بصلاة الجمعة كما قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ الآية . .  
الجمعة ٦٠ .

وهذا سبب هام لإباحة التجارة وذلك أن البائع كما قلنا منتظر لفضل الله وهو كسب تجارته الذي قد يأتي وقد لا يأتي تماما كالزراع والراعي والصياد وكل هؤلاء ينتظرون الربح ويخافون الخسارة .

والآن نأتى إلى الربا فما هو الربا ولماذا كان حراماً ؟ :

تعريف الربا :

الربا نوعان أساسيان أولهما : أخذ زيادة على تسليف النقود . ومعنى هذا إنه تأجير النقود لمدة معينة بسعر معين . حيث يسترد المرابي رأس ماله والزيادة وهذا هو الربا المشهور وهو ما يسمى في الفقه بربا النسيئة لأن النساء من الامهال ومعناه امهال مستلف النقود مدة معينة مقابل زيادة على رأس المال . وأما النوع الثانى من الربا فهو بيع أصناف معينة من السلع بجنسها متفاضلاً ومن هذه الأصناف الذهب والفضة والقمح والشعير ، والزبيب والتمر . وما قاسه العلماء على هذه السلع . فلا يجوز مثلاً أن يبيع طناً من القمح بطن ونصف من قمح آخر . وهذا النوع لا يعيننا الآن في مقالنا هذا لأن تحريم هذا النوع من الربا إنما هو من باب سد الذرائع .

لماذا حرمت الشريعة الربا ؟ :

وفي تحريم الربا حكمة عظيمة جداً أهمها ما يأتى :

( ١ ) القيام بخدمة لا يجوز أخذ الأجرة عليها :

لاشك أن الرباى يؤدي خدمة للمدين فهو يسلفه النقود ، والمدين يستفيد ولاشك بأخذه لهذه السلفة . فقد يكون محتاجاً إليها لتنفيس كربه كأن يكون محتاجاً إليها للاستثمار والاتجار كأن يكون مريداً للزراعة أو صناعة أو تجارة أو نحو ذلك وحصوله على المال من المرابى «مصرفاً كان أو غيره» سهل له ذلك .

ولكن هذه الخدمة نهى الشارع الحكيم عن أخذ أجرة عليها وذلك لما تؤدي إليه من فساد النفوس والمجتمعات ولذلك جعلها الشارع خدمة مجانية تماماً كالشهادة والكفالة ، والشفاعة ، والضيافة ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وكل هذه الخدمات ولاشك من المسلم للمسلم ولكن الشارع نهى وحرم أخذ الأجرة على شيء من ذلك ، وجعل تسليم النقود خدمة مفروضة بلا أجر . وذلك أن أخذ الأجر على هذه الأعمال يؤدي إلى التقاطع والمقت والكراهية وفقدان المحبة والموالة بين المسلم والمسلم .

( ٢ ) المرابي غير مخاطر وهو في جانب الأمان دائماً :

السبب الثاني الذي من أجله حرم الربا أن المرابي لا يخاطر بهاله ولا يضعه إلا حيث يضمن الربح ولا يهتم بمن أخذ منه المال هل خسراً أم كسباً وبذلك يظل المرابي في جانب الأمان دائماً فينمو ماله باستمرار ويظل غيره في جانب الخطر صعوداً وهبوطاً . واستمرار الحال على هذا النحو معناه في النهاية تحول المال إلى القلة وبالتالي تحول السيطرة والعلو والنفوذ .

( ٣ ) الربا ضد الزكاة :

يستحيل أن تزكون نفس المرابي لأنه يأخذ المال ممن أسلفه دون نظر إلى فقره أو غناه ولذلك يستحيل أن يكون المرابي منفقاً مزيكياً . بل لا تروج بضاعة المرابي وهي تأجير النقود إلا في الأزمات والمصائب وفي وجود احتياج الناس له .

هذا باختصار أهم الفروق بين المرابي والتاجر أو بين البيع والشراء . والآن تعالوا لنطبق هذه القواعد على البيع المزور الذي تمارسه البنوك الإسلامية لننظر هل هو من البيع أو من الربا ؟

تعريف البيع الذي يسمونه بيع المربحة :

تاجر كويتي يبيع الأحذية مثلاً وله محلاته وزبائنه ويريد أن يستورد صفقة كبيرة من إيطاليا مثلاً ليس عنده نقود لشراؤها . فيذهب إلى البنك الإسلامي ويقول هذه صفقة أريد شراؤها من إيطاليا وهذه مواصفاتها وكميتها وعنوان مصنعها . والآن ماذا يصنع البنك الإسلامي . يقول لهذا العميل «تاجر الأحذية» نحن نشترها لك بزيادة «بربح» ٢٠٪ مثلاً عن ثمن الشراء ويقول التاجر قبلت على أن يسدد هذا المبلغ في غضون عام أو عامين مثلاً أو أقل من ذلك أو أكثر . ويحصل الاتفاق شفويّاً أو كتابياً على ذلك .

ثم يقوم البنك بشراء السلعة من مصادرها وبمجرد شحنها يستدعي تاجر الأحذية ليوقع عقداً بالشراء مع البنك وتصبح البضاعة التي مازالت في البحر ولم يتسلمها أحد بعد في ذمة تاجر الأحذية . . والآن لنناقش هذا العقد بصراحة .

## والسؤال الأول : هل البنك هنا مارس التجارة ؟

والجواب . . . لا حتماً . لأسباب كثيرة منها : أن البنك لا يتاجر في الأحذية فليس له خبرة بها ولا يعرف ما يروج في الكويت مما لا يروج فيها وليس عنده أى معرض أو مخزن لاستقبالها . ويوم طلب البنك هذه السلعة من مصدرها لم يكن يعلم أى شىء عن محتوياتها ؟ فكيف يكون هذا تاجراً . . . ؟

وثانياً : التاجر يؤدى خدمة للمشتري كما ذكرنا آنفاً وهى أنه يجلب البضاعة ويتعهد بها ويعرضها والبنك هنا لم يفعل شيئاً من هذا قط فالمشتري وهو تاجر الأحذية هو الذى له علم بمصانع الأحذية وأنواع هذه الأحذية ومعرفة ما يروج مما لا يروج وهو الذى يتحمل الخسارة إن بارت هذه السلعة . وأما البنك فقد قام بعملين فقط أحدهما حقيقى وآخر زائف .

أما العمل الحقيقى فهو أنه دفع ثمن السلعة لمصدرها فى إيطاليا والثانى هو عقد شراء من المصنع لهذه الأحذية وعقد الشراء هذا زائف وباطل لأنه لم يشتر لنفسه وليحوز السلعة اليه وإنما اشتراها ضامناً بيعها على تاجرها الحقيقى . وبهذا يتبين أن البنك الإسلامى هنا يقوم بمهمة المرابى تماماً الذى يسلف النقود ويضمن الربح .

وثالثاً : لاشك أن البنك الإسلامى بهذه الصورة يكون بنكاً طفيلياً ربوياً ، فهو بهذه الصورة ليس بتاجر قطعاً . لأن التاجر يلتزم بتسليم السلعة للمشتري والبنك الإسلامى لا يسلم السلعة وإنما يبيعها وهى ما زالت فى البحار وأمامها كثير من المخاطر والآفات وقد تكون موافقة للمطلوب وقد تكون مغشوشة من مصدرها وكل هذه الأخطار تقع على المشتري ولا يلتزم . . . البنك بشىء منها لأنه يفض يده من السلعة قبل وصولها .

ومن أكبر الأدلة على طفيلية البنوك الإسلامية الحالية بهذه المعاملة المحرمة إنها لا تلتزم بأى إتفاق قانونى أو أخلاقى أو إنسانى نحو السلع التى تستوردها لعملائها . . . فالتاجر الحقيقى الذى يستورد غسالات مثلاً أو سيارات أو ثلاجات ملتزم قانونياً وأخلاقياً أمام زبائنه بقطع الغيار والتصليح والصيانة ، والبنك الإسلامى يستورد ويبيع كل هذه الأشياء دون أى التزام قانونى أو أخلاقى بصيانتها أو تصليحها . . . وإنما يقع هذا على كتف التجار الحقيقين الذين يشتري لهم البنك . . .

وبهذا يظهر لكل ذى عينين أن البنك الإسلامى فيما يسمونه ببيع المرابحة لا يمارس

تجارة وإنما يمارس التمويل الربوى الذى لا شبهة فيه . فحقيقة عمله فى التجارة هو أن يسلف  
التجار لشراء بضائعهم بزيادة «ربح» ربوية فى مقابل أجل السداد .

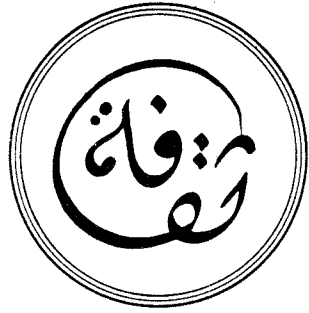
ومرة ثانية نقول شتان بين النظرية والواقع لقد قامت البنوك الإسلامية لتمارس  
الاقتصاد الاسلامى ولو فعلت هذه حقيقة فى مجال هام كالتجارة لقلبت أوضاع السوق رأساً  
على عقب ، ومن ذلك أنها كان يمكن أن تكسر احتكار المحتكرين ، وأن تكتفى بالربح  
القليل تيسيراً على عامة الناس وأن تشجع صغار التجار ، وأن تقلل من السماسرة ، وأن  
ترخص الأسعار حتماً لأنها ستقضى على أرباح البنوك الربوية التى تأخذها من التجار فى  
مقابل التمويل ولكنها للأسف لم تفعل شيئاً من ذلك ، وإنما جعلت من نفسها بنوكاً ربوية  
جديدة حيث تأخذ فائدة من التاجر الذى يشتري منها وبذلك تزيد ثمن السلعة على  
المستهلك ولومارست هى التجارة رأساً وتحملت مخاطرها لحذفت من تكاليف السلعة هذه  
الزيادة الربوية وكانت كلفة السلعة هى : ثمن الشراء + مصاريف النقل والتخزين  
والعرض + الربح ، وأما تكلفة السلعة الآن فهى : ثمن الشراء من المصدر + تكاليف النقل  
والتخزين والعرض + فائدة البنك الإسلامى + ربح التاجر .

وهكذا وضعت البنوك الإسلامية نفسها موضع الوسيط الطفيلى الذى يضمن الربح  
عن طريق تمويل التجار بدلاً من أن تكون هى التاجر المسلم الحقيقى الذى يتغنى من فضل  
التاجر ويحاطر بهاله فى البر والبحر وينفع عباد الله .

وبعد فلقد حاولت جهدى أن أشرح هذا الموضوع بلغة سهلة واضحة لتقوم الحجة  
على عموم الناس . وذلك لخطورة هذا الأمر فقد أهلك الله طائفة من بنى إسرائيل  
ومسخهم قرده وخنازير لتحايلهم على أكل الحرام . وهذا البيع الذى يسمونه بيع المربحة  
هو من المحرم قطعاً لما أسلفنا وأرجو أن أبرىء ساحتى أمام الله وأكون قد بلغت . وأقول  
اللهم أشهد .

ومرة ثانية نحن لا نتهم نية أحد ، وحساب الجميع على الله وحده ، وعلى الذين  
يتهموننا أن يتقوا الله فى أنفسهم ، وأن يقرأوا هذا الكلام بنزاهة المسلم . والدنيا لا تغنى من  
الأخرة شيئاً . وحرام أن نسكت ونحن نرى البنوك الإسلامية تقع فى حماة الربا الخبيث  
الملتوى ، ولتسأل البنوك الإسلامية . كم متجراً فتحت ؟ وكم مصنعاً شيدت ؟ وكم يداً  
عاملة استخدمت ؟ وأين الزراعة والرعى ، والتعدين الذى أنشئت من أجله ؟ هذا هو  
ميدان البنوك الإسلامية ، وليس ميدانها أن تكون وسيطاً ربوياً جباناً يخشى المشاركة  
والقراض ، والمخاطرة المشروعة فى سبيل الرزق والكسب .





اسلامية



# الغزو الفكريّ وسائله

لِسَمَاحَةِ شَيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَارِزٍ  
الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

س ١ : ما هو تعريف الغزو الفكري في رأيكم ؟

ج : الغزو الفكري هو مصطلح حديث يعنى مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة . وهو أخطر من الغزو العسكري لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية وسلوك المسارب الخفية في بادئ الأمر فلا تحس به الأمة المغزوه ولا تستعد لصدّه والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصح مريضة الفكر والإحساس ، تحب ما يريده لها عدوها أن تحبه وتكره ما يريد منه أن تكرهه .

وهو داء عضال يفتك بالأمم ويذهب شخصيتها ويزيل معاني الأصالة والقوة فيها ، والأمة التي تبتلئ به لا تحس بما أصابها ولا تدري عنه ولذلك يصبح علاجها أمراً صعباً وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً .

س ٢ : هل يتعرض العرب عامة والمملكة خاصة لهذا النوع من الغزو ؟

ج : نعم يتعرض المسلمون عامة ومنهم العرب لغزو فكري عظيم تداعت به عليهم أمم الكفر من الشرق والغرب ومن أشد ذلك وأخطره :

- الغزو النصراني الصليبي .
- الغزو اليهودي .
- الغزو الشيوعي الإلحادي .

أما الغزو النصراني الصليبي فهو اليوم قائم على أشده ومنذ أن انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين الغازين لبلاد المسلمين بالقوة والسلاح أدرك النصارى أن حربهم هذه وإن حققت انتصارات فهي وقتية لا تدوم ، ولذا فكروا في البديل الأفضل ، وتوصلوا بعد دراسات واجتماعات إلى ما هو أخطر من الحروب العسكرية وهو أن تقوم الأمم النصرانية فرادي وجماعات بالغزو الفكري لناشئة المسلمين لأن الاستيلاء على الفكر والقلب أمكن من الاستيلاء على الأرض فالمسلم الذي لم يلوث فكره لا يطيق أن يري الكافر له الأمر والنهي

في بلده ، ولهذا يعمل بكل قوته على إخراجه وإبعاده ولو دفع في سبيل ذلك حياته وأغلى ثمن لديه . وهذا ما حصل بعد الانتصارات الكبيرة للجيش الصليبية الغازية . أما المسلم الذي تعرض لذلك الغزو الخبيث فصار مريض الفكر عديم الإحساس فإنه لا يري خطراً في وجود النصراري أو غيرهم في أرضه ، بل قد يري أن ذلك من علامات الخير ومما يعين على الرقى والحضارة . وقد استغنى النصراري بالغزو الفكري عن الغزو المادي لأنه أقوى وأثبت من أي حاجة لهم في بعث الجيوش وإنفاق الأموال مع وجود من يقوم بما يريدون من أبناء الإسلام عن قصد أو عن غير قصد ، وبثمن أو بلا ثمن ، ولذلك لا يلجأون إلى محاربة المسلمين علانية بالسلاح والقوة إلا في الحالات النادرة الضرورية التي تستدعي العجل كما حصل في غزو أوغندا والباكستان ، أو عندما تدعو الحاجة إليها لتثبيت المنطلقات وإقامة الركائز وإيجاد المؤسسات التي تقوم بالحرب الفكرية الضروس كما حصل في مصر وسوريا والعراق وغيرها قبل الجلاء .

أما الغزو اليهودي فهو كذلك لأن اليهود لا يألون جهداً في إفساد المسلمين في أخلاقهم وعقائدهم . ولليهود مطامع في بلاد المسلمين وغيرها ولهم مخططات أدركوا بعضها ولا زالوا يعملون جاهدين لتحقيق ما تبقى . وهم وإن حاربوا المسلمين بالقوة والسلاح واستولوا على بعض أرضهم ، فإنهم كذلك يحاربونهم في أفكارهم ومعتقداتهم . ولذلك ينشرون فيهم مبادئ ومذاهب ونحلاً باطلة كالماسونية والقاديانية والبهائية والتيجانية وغيرها ويستعينون بالنصراري وغيرهم في تحقيق مآربهم وأغراضهم .

أما الغزو الشيوعي الإلحادي فهو اليوم يسري في بلاد الإسلام سريان النار في الهشيم نتيجة للفراغ وضعف الإيمان في الأكثرية ، وغلبة الجهل وقلة التربية الصحيحة السليمة فقد استطاعت الأحزاب الشيوعية في روسيا والصين وغيرها أن تتلقف كل حاقد وموتور من ضعفاء الإيمان وتجعلهم ركائز في بلادهم ينشرون الإلحاد والفكر الشيوعي الخبيث وتعددهم وتمنيهم بأعلى المناصب والمراتب ، فإذا ما وقعوا تحت سيطرتها أحكمت أمرها فيهم وأدبت بعضهم ببعض وسفكت دماء من عارض أو توقف حتى أوجدت قطعاناً من بنى الإنسان حرباً على أممهم وأهليهم وعذاباً على إخوانهم وبنى قومهم فمزقوا بهم أمة الإسلام وجعلوهم جنوداً للشيطان يعاونهم في ذلك النصراري واليهود بالتهيئة والتوطئة أحياناً ، وبالمدد والعون أحياناً أخرى ، ذلك أنهم وإن اختلفوا فيما بينهم فإنهم جميعاً يد واحدة على المسلمين يرون أن الإسلام هو عدوهم اللدود . ولذا نراهم متعاونين متكاتفين بعضهم أولياء بعض ضد المسلمين فالله سبحانه المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل .

س ٣ : ماهي الوسائل التي يستخدمها الغرب لترويج أفكاره ؟

ج : الوسائل التي يستخدمها الغرب لترويج أفكاره كثيرة منها :

١ - محاولة الاستيلاء على عقول أبناء المسلمين وترسيخ المفاهيم الغربية فيها لتعتقد أن الطريقة الفضلى هي طريقة الغرب في كل شيء سواء فيما يعتقد من الأديان والنحل أو ما يتكلم به من اللغات أو ما يتحلى به من الأخلاق أو ما هو عليه من عادات وطرائق .

٢ - رعايته لطائفة كبيرة من أبناء المسلمين في كل بلد وعنايته بهم وتربيتهم حتى إذا ما تشرّبوا الأفكار الغربية وعادوا إلى بلادهم أحاطهم بهالة عظيمة من المدح والثناء حتى يتسلموا المناصب والقيادات في بلدانهم ، وبذلك يروجون الأفكار الغربية وينشئون المؤسسات التعليمية المسائرة للمنهج الغربي أو الخاضعة له .

٣ - تنشيطه لتعليم اللغات الغربية في البلدان الإسلامية وجعلها تترجم لغة المسلمين وخاصة اللغة العربية لغة القرآن الكريم التي أنزل الله بها كتابه والتي يتعبد بها المسلمون ربهم في الصلاة والحج و الأذكار وغيرها . ومن ذلك تشجيع الدعوات الهدامة التي تحارب اللغة العربية وتحاول إضعاف التمسك بها في ديار الإسلام في الدعوة إلى العامية وقيام الدراسات الكثيرة التي يراد بها تطوير النحو وإفساده وتمجيد ما يسمونه بالأدب الشعبي والتراث القومي .

٤ - إنشاء الجامعات الغربية والمدارس التبشيرية في بلاد المسلمين ودور الحضانة ورياض الأطفال والمستشفيات والمستوصفات وجعلها أوكاراً لأغراضه السيئة وتشويق الدراسة فيها عند الطبقة العالية من أبناء المجتمع ومساعدتهم بعد ذلك على تسلّم المراكز القيادية والوظائف الكبيرة حتى يكونوا عوناً لأساتذتهم في تحقيق مآربهم في بلاد المسلمين .

٥ - محاولة السيطرة على مناهج التعليم في بلاد المسلمين ورسم سياستها إما بطريق مباشر كما حصل في بلاد الإسلام حينما تولى ( دنلوب ) القسيس تلك المهمة فيها أو بطريق غير مباشر عندما يؤدي المهمة نفسها تلاميذ ناجحون درسوا في مدارس ( دنلوب ) وتخرجوا فيها فأصبح معظمهم معول هدم في بلاده وسلاحاً فتاكاً من أسلحة العدو يعمل جاهداً على توجيه التعليم توجيهاً علمانياً لا يرتكز على الإيمان بالله والتصديق برسوله وإنما يسير نحو الإلحاد ويدعو إلى الفساد .

٦ - قيام طوائف كبيرة من النصاري واليهود بدراسة الإسلام واللغة العربية وتأليف الكتب وتولى كراسي التدريس في الجامعات حتى أحدث هؤلاء فتنة فكرية كبيرة بين المثقفين من أبناء الإسلام بالشبه التي يلقنونها لطلبتهم أو التي تمتلئ بها كتبهم وتروج في بلاد المسلمين حتى أصبح بعض تلك الكتب مراجع يرجع إليها بعض الكاتبين والباحثين في الأمور الفكرية أو التاريخية ولقد تخرج على يد هؤلاء المستشرقين من أبناء المسلمين رجال

قاموا بنصيب كبير من إحداث الفتنة الكبرى ، وساعدهم على ذلك ما يحاطون به من الثناء والإعجاب وما يولونه من مناصب هامة في التعليم والتوجيه والقيادة فأكملوا ما بدأه أساتذتهم وحققوا ما عجزوا عنه لكونهم من أبناء المسلمين ومن جلدتهم ينتسبون إليهم ويتكلمون بلسانهم فالله المستعان ...

٧ - انطلاق الجيوش الجرارة من المبشرين الداعين إلى النصرانية بين المسلمين وقيامهم بعملهم ذلك على أسس مدروسة وبوسائل كبيرة عظيمة يجند لها مئات الآلاف من الرجال ولقد تعد لها أضخم الميزانيات وتسهل لها السبل وتذلل لها العقبات ( يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ) « الصف : ٨ » وإذا كان هذا الجهد منصباً على الطبقة العامية غالباً فإن جهد الاستشراق موجه إلى المثقفين كما ذكرت آنفاً وإنهم يتحملون مشاقاً جساماً في ذلك العمل في بلاد أفريقيا وفي القرى النائية من أطراف البلدان الإسلامية في شرق آسيا ثم بعد كل حين يجتمعون في مؤتمر يراجعون حسابهم وينظرون في خطتهم فيصحون ويعدلون ويبتكرون . فلقد اجتمعوا في القاهرة سنة ١٩٠٦ ، وفي ادنبرج سنة ١٩١٠ ، وفي لكونا سنة ١٩١١ ، وفي القدس ١٩٣٥ م ، وفي القدس كذلك في عام ١٩٣٥ م . ولا زالوا يوالون الاجتماعات والمؤتمرات فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله .

٨ - الدعوة إلى افساد المجتمع المسلم وتزويد المرأة في وظيفتها في الحياة وجعلها تتجاوز الحدود التي حد الله لها وجعل سعادتها في الوقوف عندها وذلك حينما يلتقون بين المسلمين الدعوات بأساليب شتى وطرق متعددة إلى أن تختلط النساء بالرجال وإلى أن تشتغل النساء بأعمال الرجال يقصدون من ذلك إفساد المجتمع المسلم والقضاء على الطهر والعفاف الذي يوجد فيه وإقامة قضايا وهمية ودعاوي باطلة في أن المرأة في المجتمع المسلم قد ظلمت وأن لها الحق في كذا وكذا يريدون إخراجها من بيتها وإيصالها إلى حيث يريدون في حين أن حدود الله واضحة وأوامره صريحة وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلية بينة يقول الله سبحانه وتعالى : ( يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيماً ) « الأحزاب : ٥٩ » ويقول سبحانه ( وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناءهن أو أخواتهن أو أبناءهن أو بناتهن ) الآية : « النور : ٣١ » ويقول : ( وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ) ويقول : ( وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ) « الأحزاب : ٣٣ » ويقول صلى الله عليه وسلم : ( إياكم والدخول على

النساء قال رجل من الأنصار يارسول الله أفرأيت الحموقال الحموموت ( وقال : ( لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ) .

٩ - إنشاء الكنائس والمعابد وتكثيرها في بلاد المسلمين وصرف الأموال الكثيرة عليها وتزيينها وجعلها بارزة واضحة في أحسن الأماكن وفي أكبر الميادين .

١٠ - تخصيص إذاعات موجهة تدعو إلى النصرانية وتشيد بأهدافها وتضلل بأفكارها أبناء المسلمين السذج الذين لم يفهموا الإسلام ولم تكن لهم تربية كافية عليه وخاصة في إفريقيا يصاحب هذا الإكثار من طبع الأناجيل وتوزيعها في الفنادق وغيرها وإرسال النشرات التبشيرية والدعوات الباطلة إلى الكثير من أبناء المسلمين .

هذه بعض الوسائل التي يسلكها أعداء الإسلام اليوم في سبيل غزو أفكار المسلمين وتنحية الأفكار السليمة الصالحة لتحل محلها أفكار أخرى غربية شرقية أو غربية وهى كما نرى جهوداً جبارة وأمواالأطائلة وجنوداً كثيرين كل ذلك لإخراج المسلمين من الإسلام وإن لم يدخلوا في النصرانية أو اليهودية أو الماركسية إذ يعتقد القوم أن المشكلة الرئيسية في ذلك هى إخراجهم من الإسلام وإذا تم التوصل إلى هذه المرحلة فما بعدها أسهل وميسور . ولكننا مع هذا نقول إن الله سيخيب أمالهم ويبطل مكرهم ويضعف كيدهم لأنهم مفسدون وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين . قال الله تعالى : ( ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ) « الانفال : ٣٠ » وقال سبحانه : ( إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً ) « الطارق : ١٥ - ١٧ » وإن الأمر يحتاج من المسلمين وقفة عقل وتأمل ونظر في الطريق التي يجب أن يسلكوها والموقف المناسب الذي يجب أن يقفوه وأن يكون من الوعى والإدراك ما يجعلهم قادرين على فهم مخططات أعدائهم وعاملين على إحباطها وإبطالها ولن يتم ذلك إلا بالاستعصام بالله والاستمسك بهديه والرجوع إليه والإنابة له والاستعانة به وتذكر هديه في كل شىء وخاصة في علاقة المؤمنين بالكافرين وتفهم معنى سورة الكافرون وما ذكره سبحانه في قوله : ( ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ) « البقرة : ١٢٠ » وقوله : ( ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ) « البقرة : ٢١٧ »

أسأل الله سبحانه أن يهيبء لهذه الأمة من أمرها رشداً ، وأن يعيذها من مكائد أعدائها ، ويرزقها الاستقامة في القول والعمل حتى تكون كما أراد الله لها من العزة والقول والكرامة . إنه خير مسئول وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

# حديث عن الرورة

وأثرها على المجتمع الذي أقيمت فيه

محاضرة أقيمت بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية

للكوثر علي بن محمد ناصر فقير  
عميد شؤون المنتديات بالجامعة

سأ الأربعاء ١٤٠٣/١/٣

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وبعد : فإن الجامعة الإسلامية التي هيأ الله الأسباب لانشائها في المدينة النبوية التي قال رسول الله ﷺ فيها : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها . . » وقد أسست لهدف نبيل وغاية محمودة ، وهو العودة بالمسلمين جميعاً إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية النقية المأخوذة من الكتاب والسنة ، واتباع منهج سلف الأمة في ذلك ، وذلك لمعرفة المؤسسين لها والراسمين لسياستها وأهدافها ، أنه بصلاح القلوب وتنقيتها من جميع شوائب الشرك والبدع والخرافات تصلح المجتمعات وتصح مسيرتها ، لأن في القلب مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ، فالقلب ملك الأعضاء وقائدها .

وهذا هو منهج المصطفى ﷺ في دعوته ، فقد مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس لتحقيق هذه الغاية ، وهي توحيد الله وترك كل ما يدعى من دونه ، ولو علم ﷺ أن هناك منهجاً آخر يمكن به صلاح البشرية لتبعه ، فقد عرض عليه رؤساء قريش لصفه عن منهجه في دعوته أموراً منها : أنه إذا أراد بدعوته الملك فهم على أتم استعداد أن يتوجه ملكاً عليهم ، ولكنه يعلم أن الملك لا يصلح قلوب الناس ولا ينقذ البشرية مما وصلت إليه من تدهور في العقيدة والسلوك والأخلاق ، وإنما الملك ثمرة من ثمار الإيمان والأعمال الصالحة كما قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوف أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ [النور / ٥٥] .



ولذلك بقى في دعوته سائراً على منهجه غير مبال بمعاداة ومخالفة الناس جميعاً له فيما يدعوهم إليه - إلا الذين آمنوا بدعوته وهم قلة .

والفئة القليلة المؤمنة ، تغلب الفئة الكثيرة الضالة باذن الله .

فهو ﷺ يعلم أنه لو صار ملكاً عليهم ، وهم لا يؤمنون بمبادئه ، وشريعته التي يريد تطبيقها وتنفيذها عليهم يعلم يقيناً أن ليس في استطاعته ولا في مقدوره تنفيذ هذا المنهج فيهم .

ولكن حينما صلحت تلك القلوب فأمنت بالله ثم بكل ما جاء عنه في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ ، قامت الدولة في المجتمع المدني الذي نزل فيه قوله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً [ الأحزاب / ٣٦ ] .

فكما نعلم جميعاً ، أن عقوبة الزاني المحصن الرجم بالحجارة حتى الموت ، فما الذي دعى المرأة الغامدية أن تقدم نفسها لإقامة تلك العقوبة عليها ، وما الذي دفع ماعزاً أن يقدم نفسه لتلك العقوبة أيضاً .

والجواب - أنه صلاح القلوب التي أصبحت فارغة من كل شيء إلا الإيمان بالله وبما جاء في كتابه وعلى لسان رسوله ، الإيمان الجازم باليوم الآخر وما يجرى فيه ، وأن من لم يعاقب على جريمته في الدنيا ، فلن ينجو من ذلك يوم القيامة ، يوم الاجزاء على الأعمال إن لم يعفو الله عنه ، وبذلك الإيمان الصادق والعمل الصالح تحققت الخلافة في الأرض التي هي ثمرة من ثماره ، وذلك ليُعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ﴿ يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ وبقيام تلك الخلافة تحافظ الدولة على حماية هذا المبدأ العظيم الذي خلق الله الجن والإنس من أجله ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [ الذاريات : ٥٦ ] . ولا تتحقق تلك المحافظة إلا بالقيام بكل ما من شأنه عز الإسلام وأهله وهو ما نصت عليه الشريعة الإسلامية وحث عليه دستورها القرآن الكريم ، الذي لم يفرط في الله فيه من شيء ، وهو القائل : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ [ الأنفال : ٦٠ ] .

وقد قامت الدولة الإسلامية من عهدا الأول بذلك ، ومكن الله لها في الأرض ، وبحفظها لدين الله واقامة شريعته في الأرض بقيت لها العزة والكرامة .

وحين ابتعد الناس عن هذا المنهج الذى رسمه لهم رسول الهدى ﷺ ، وابتعد الناس عن دينهم فتركوا كتاب ربهم وسنة نبيهم بعوامل كثيرة ، نشأ عنها تفرق الأمة فى عقائدها وسلوكها ومناهج حياتها بما يزينه لها أعداؤها ، فتشتت المسلمون وتفرقت كلمتهم ، وذلك بسبب تركهم لوصية رسول الله ﷺ وهى قوله : ( تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وستى ) .

ومعناه أن من ترك التمسك بهما فسيضل ، وهذا هو الواقع المشاهد . ومعلوم أن التمسك بهما هو العمل بما جاء فيهما أمراً ونهياً فى جميع مجالات الحياة ، بدأ بالعقيدة واخلاص العبادة لله وحده ، وانتهاء بعمل ما يمكن المسلمين من أداء هذه العبادة لله ، وأن تكون كلمة الله هى العليا ، وقد قال الإمام مالك رحمه الله : ( لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ) .

والمهتمون بأحوال المسلمين والذين يسعون لاصلاح المجتمعات ليستعيد الإسلام مجده ، وتستعيد الأمة الإسلامية كرامتها وقوتها وسيرتها الأولى ، هؤلاء يسلكون لتحقيق هذه الغاية مناهج مختلفة .

والناظر فى دعوات زعماء الاصلاح الذين سبقونا وهم كثيرون ، أقول إن المتبع لدعوات أولئك لا يجد دعوة نجحت وحقت ثمارها المرجوة منها إلا الدعوة التى سلكت وترسمت المنهج الذى سلكه رسول الله ﷺ ، وهو البدء باصلاح القلوب أولاً .

وأعنى بالمنهج الذى نجح فى ذلك هو منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى لازال المجتمع الإسلامى يجنى من ثمار دعوته المباركة ، رغم ما كثفه أعداء الدعوة هذه ضدها من دعايات باطلة ، سواء على المستوى السياسى الذى يتذرع به أصحابه لصد العامة عن سماع هذه الدعوة . أو على يد رؤساء الطرق الصوفية الضالة المضلة ، وذلك بما يبثونه فى أتباعهم من أن أتباع هذه الدعوة ودعاتها يكرهون رسول الله ﷺ ، والأولياء وينكرون كراماتهم ، وذلك ليحافظ هؤلاء على خدمة العامة وخضوعهم لهم لأخذ ما يحتاجونه من أموالهم بالدجل والشعوذة .

وسوف أذكر أمثلة من كتبهم حينما أذكر لكم ثانى رجلين من رجال الدعوة السلفية تعرف عليهما أعضاء الدورة ، وقد كان كل واحد منهما صاحب طريقة .

وقد قرأ الاخوة ما كتبه أحدهما عن مخازى طريقته التي أنقذه الله منها ، تلك الطريقة التي بلغ فيها الكاتب أعلى رتبة ، وهي رتبة الخليفة الذي له الاذن المطلق من أحمد التيجاني في اعطاء الطريقة والتنصيب والاذن لمن يراه أهلاً لذلك - وان شئت فقل : في اضلال الناس عن الصراط السوى وادخالهم في مذهب الحلول والاتحاد المعبر عنه عندهم بالفناء أحياناً - كما ذكر هو ذلك في أحد كتبه في الرد على الطريقة التيجانية .

أعود فأقول : إن الجامعة الإسلامية أسست في مدينة رسول الله ﷺ ، للعودة بالناس الى هذا المنهج الصحيح ، وقد جاء في أهدافها ايصال هذا الخير إلى العالم الإسلامي بالوسائل التي تحقق هذا الهدف ، وأولها التعليم ، فهي تقدم :

- ١ - منحاً دراسية لأبناء العالم الإسلامي حسب حاجات تلك البلاد وعدد سكانها .
- ٢ - ترسل بعثات للوعظ والإرشاد .
- ٣ - تبعث الكتب الدينية النافعة للمؤسسات والمدارس والأفراد .

أما المنح الدراسية : فقد لَبَّى أبناء العالم الإسلامي قوله تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافةً فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [ التوبة : ١٢٢ ] ، ودليل ذلك وجود أكثر من مائة جنسية من أبناء العالم الإسلامي في مختلف مراحل التعليم في الجامعة .

وبوصول هؤلاء الطلاب الجامعة الإسلامية يصبحون أمانة في عنق المسئولين فيها فعليهم أن يراعوا هؤلاء الطلاب وأن يعلموهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، على الأسس التي رسمتها الجامعة في سياستها وأهدافها . وهي الرجوع بالأمة إلى الكتاب والسنة .

وقد آتت الجامعة ثمارها في هذا الحقل فخرجت عدداً كبيراً من أبناء العالم الإسلامي ، وعادوا الى بلادهم رُسل خير يبلغون قومهم هذا الخير الذي حصلوا عليه في جميع أنحاء العالم ، وقد شهد لهم بذلك الذين زاروا تلك البلاد ورأوا أعمالهم وما يقومون به من توجيه وارشاد ، ولا عبرة بالشاذ منهم عن هذا المنهج فتلك سنة الله في خلقه .

وقد قال لي رئيس جماعة عباد الرحمن - في كانو - سليمان بللو - مقارنا بين الطلاب الذين يرجعون إليهم من البلاد العربية بعد إكمال دراستهم ، وبين الطلاب الذين يعودون من الجامعة الإسلامية .

قال : إن الطالب الذى يعود من الجامعة الإسلامية يمكنه سنوات وأنت تشم فيه رائحة المدينة . فقلت له : ما معنى هذا الكلام . فقال : إن سلوكه وأخلاقه ودعوته تختلف كثيراً عن الذين عادوا إلينا من البلاد العربية الأخرى .

أقول هذا لأن هدف الجامعة الإسلامية الأول فى نشر الدعوة هو التعليم وقد نجحت فى هذا نجاحاً ملموساً على يد خريجياتها حتى الذين كانوا فى أيام دراستهم لا يلقى لهم بال ولا يعرف عنهم نشاط ، فقد حدث عندهم رد فعل لما يشاهدونه من انحراف عن المنهج السوى .

- كما أن الجامعة حققت نجاحاً بالوسائل الأخرى التى أشرت إليها ، وهى إرسال الوفود للوعظ والإرشاد ، وبعث الكتب للمؤسسات والمدارس والأفراد .

- ولكن فى نظري ويشاركنى فى هذا كل الذين اشتركوا معى فى الدورة .

إن من أنجح الوسائل لهدف الجامعة بعد تعليم الطلاب فى داخلها ، هو المشاركة فى إقامة هذه الدورات التعليمية ، وذلك لما يأتى :

١ - الدورات التى شاركت فيها أنا وزملائى والذين سوف أذكر أسماءهم هى دورات تعليمية تقوم بتنفيذ منهج فى مواد معينة لها مذكرات بأيد الطلاب ، ويوضع جدول حصص لكل مدرس ليقوم بتدريس مادته كما لو كان فى المعهد .

٢ - المتدربون - هم معلمون فى مراحل التعليم المختلفة - الثانوى ، والاعدادى ، والابتدائى ، فهم ينقلون ما تعلموه إلى طلابهم فى مدارسهم ، والذين ينقلون ما يسمعون من أساتذتهم إلى أهليهم وذويهم .

٣ - المنهج المقرر يشمل مادة العقيدة ، وهذا هدف الجامعة الأول .

والعقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة هى أساس كل انطلاق .

ثم مادة التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والنصوص ، والتربية ، وطرق تدريس المواد الدينية ، وطرق تدريس اللغة العربية ، ومواد أخرى مساعدة .

- وكما تعلمون جميعاً أن المواد المقررة لا تكفى فى حد ذاتها . وإنما الأمر يرجع إلى مدرس المادة وعقيدته ومنهجه وما يريد أن يبلغه إلى الآخرين .

وزملائي في هذه الدورات التي اشتركت فيها لا أعتقد أن منهم من يختلف عن هذا المنهج لأنه المنهج الحق الذي يؤمنون به ويدينون الله به قبل كل شيء وهو المنهج الجامعة الذي رسمته في أهدافها ونظامها الأساسي ، وهو نشر العقيدة السليمة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة ، والتي سبقنا إلى تطبيقها سلف الأمة .

وقد كان جميع أعضاء الدورة من المدرسين السعوديين إلا في المواد التي لا تخصص لهم فيها ، فقد أخذنا من هيئة التدريس بالجامعة .

ومن هؤلاء المشتركين في الدورات جميعاً :

عميد شؤون الطلاب الشيخ عوض أحمد سلطان ، والدكتور ذيب القحطاني ، والشيخ عبد العزيز الصاعدي ، والشيخ صالح السحيمي ، والشيخ محمد زربان الغامدي ، والشيخ سليم الأحمدى ، والشيخ راشد الرحيلي والشيخ جبران والشيخ ابراهيم عمير .

وأعتقد أن هؤلاء جميعاً يؤمنون بأن منهج الجامعة الإسلامية في إبلاغ دعوتها في داخل الجامعة وخارجها هو المنهج الصحيح ، وهو دعوة الناس جميعاً إلى الكتاب والسنة ، والبدأ أولاً وقبل كل شيء بالعقيدة الصحيحة ، وأنهم جميعاً يرفضون ما يسمى بمنهج التجميع ، يرفضونه بأسلوبهم في دعوتهم ، ولا يلتفتون إلى أى أسلوب آخر يفرض عليهم ، يقومون بذلك دون ضجيج أو شعارات ترفع ، لأن الغرض هو إبلاغ الحق الذي يؤمنون به إلى الآخرين الذين هم في حاجة إليه ، دون نصب رايات لا يعمل أصحابها غير رفعها .

أما عمل هؤلاء داخل الجامعة فيتمثل في القيام بالتدريس وتوجيه الطلاب إلى المنهج الصحيح في العقيدة والسلوك ، يوجد أثر ذلك عند طلابهم الذين تلقوا التدريس على أيديهم في مختلف مراحل التعليم في الجامعة ، ثم في كتابة من له مشاركة في الكتابة . وأما عملهم لتحقيق هدف الجامعة خارجها فإني مضطرب هنا إلى ذكر أمثلة لما حققته هذه الدورات على أيدي هؤلاء الإخوة وزملائهم الذين لم يرفعوا لوائح بأعمالهم أمام الآخرين ، ولم يتحدثوا بما قدموا إلا لمن سألهم عما وجدوا ، وماذا عملوا ، وهم لا يجبون ذلك لأنهم لا يريدون من أحد من الناس جزاء ولا شكوراً .

ولكنني أستميحهم عذراً في ذكر ذلك إجابة على أسئلة تكررت كثيراً وذلك لبيان الحقيقة للذين لا يعلمون . ( ولذا فإن العنوان الكامل لهذا الحديث هو : « حديث عن

الدورات التدريبية وأثرها على المجتمع الذي أقيمت فيه وتحقيقها لأهداف الجامعة الإسلامية لو كانوا يعلمون » .

فأقول : إن الدورة الأولى عام ١٤٠٠ هـ وأعني بها دورة نيجيريا - التي اشتركت فيها - لا الدورات في بنجلادش وباكستان التي شارك فيها زميلي في الدراسة من المرحلة الإعدادية الى أخذ شهادة الدكتوراه الشيخ ربيع بن هادي المدخلي .

أقول : فقد كان من المشاركين معي في هذه الدورة كما أشرت سابقاً عميد شؤون الطلاب الشيخ عوض أحمد سلطان ، والدكتور ذيب القحطاني وغيرهما ، وقد التحق بهذه الدورة ثلاثمائة معلم ، والذين دخلوا الامتحان ومنحوا شهادة الدورة أكثر من مائتين وثلاثين معلماً .

أما الأعمال التي قام بها الأساتذة في تلك السنة إضافة إلى التدريس فما يأتي :

١ - القيام بخطبة الجمعة في الجامع الذي يحضر للصلاة فيه أكثر من أربعة آلاف ، إذ يصلون خارج المسجد تحت الأشجار وفي الشمس ، حرصاً منهم على سماع الداعية المعروف عندهم أمين الدين أبو بكر ، إماماً لسَمَاع خطبه أول ترجمته للخطب التي تلقى يوم الجمعة والأخوة هناك ومنهم القاضي نائبي والي يلقبونه بالمرجم المشهور .

وهو رئيس جماعة الدعوة والذي عرف العقيدة السلفية . وقرأ كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وترجم مسائل الجاهلية على أشربة ( باللغة الهوسا ) يتداولها الشباب وتباع في السوق ، كما قرأ ما وجدته من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، أما شيخه في الحديث كما قال - فناصر الدين الألباني ولم يره - ، ثم نبذه للطرق الصوفية بواسطة الشيخ أبي بكر قومي عضو المجلس الأعلى للجامعة وعضو رابطة العالم الإسلامي ، وهو الرجل المعروف بمحاربة أصحاب الطرق والخرافات ولا زال في محاربتهم إلى الآن .

٢ - المشاركة في المحاضرات والندوات التي تقيمها المؤسسة الإسلامية في قاعة مدرسة العلوم العربية طوال شهر رمضان ، وتنقل في الإذاعة يومياً .

٣ - إقامة ندوات ومسابقات للطلاب اشترك فيها الدكتور عبد العزيز فاخر ، والشيخ عوض أحمد سلطان الشهري ، وغيرهما من الأساتذة .

ومما حدث في هذه الدورة أن طالباً صاحب طريقة أرسل للاشتراك في الدورة من أجل إثارة الأسئلة لينقل ما يقال الى شيخه ، وقد جرى النقاش في الفصل حول التوسل فذكر المدرس التوسل المشروع - واستشهد بقول عمر بن الخطاب للعباس في صلاة الاستغاثة - قم يا عباس فادعوا الله لنا . . . الخ . فقال الطالب : يقول رسول الله ﷺ : ( توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم ) فقال له المدرس : لورجعت لهذا الحديث لوجدته موضوعاً . فقال : هذه طريقتكم ، الحديث الذي يصلح لكم تستشهدون به ، والذي يصلح تقولون عنه موضوع .

ثم ذهب الى شيخه وقال له ما يشاء - فأرسل الشيخ سكرتيه للاذاعة وسمحوا له فألقى حديثاً قال فيه : أن جماعة من الوهابيين جاءوا لتفريق كلمة المسلمين ولكن بحمد الله فقد كان هذا الحديث منه سبباً من أسباب نجاح الدورة وظهورها ، وبيان الحق الذي جاء به المشتركون فيها .

كما تعرف الأخوة في هذه الدورة على الداعية المشار اليه أمين الدين أبوبكر ووجرت معه مناقشات حول أسلوب الدعوة ، وما الطريق الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه الداعية .

وقد وجدنا عنده أكواماً من الكتب تتحدث عن الإسلام عموماً وتدعوا لنصرته ، وهي تهتم بما يسمى بالتنظيم والتخطيط والتنفيذ ، حتى صار هذا الأسلوب يجري على ألسنة بعض الشباب وهو لا يدري ماذا ينفذ . وكل هذه الكتب تدعو الى تجميع الناس لا فرق في الدعوة فيها بين من يهتم بالأساس وهو العقيدة الصحيحة وغيره ، فكل صاحب طريقة أو تربية والتربية اللطيفة في التسمية سواء كان قادرياً أو تيجانياً يمكنهم الدخول في هذه الدعوة إذا تحقق شرط واحد وهو الولاء العام لها .

ومن المصادفة أن الشيخ أمين الدين كان قادرياً ، أى يتبع الطريقة المنسوبة لعبد القادر الجيلاني ، فهو يعرف أسرارها وما تهدف اليه في دعوتها ولها صولة وجولة وأتباع كثيرون .

وقد حارب هذه الطريقة التي يعرف ضلالها وفسادها ومخالفتها للشريعة الإسلامية .

فلما كثرت عنده هذه الكتب التي تدعو للتجميع ، وقد دعم ما تدعوا اليه هذه الكتب ، الشخص الذي يحملها اليه ، ويحمل كل جديد منها باستمرار ، ولا يتأخر عن

نيجيريا فهو دائم الأسفار إليها ففي كل ثلاثة أشهر تقريباً يزورها - وقد سألته عن مهمته - فقال : إنه يريد تأسيس مطبعة ودار للنشر - ولكن مضى ثلاث سنوات ولم يوجد أثر لذلك .

وقد حاول هذا الرجل اقناع أمين الدين بمهادنة أصحاب الطرق بحجة الحكمة في الدعوة وجمع كلمة المسلمين ، ولكن أمين الدين بحمد الله قد أقنعه الأخوة بالدعوة الصحيحة ، وهي تؤدّى بالحكمة والموعظة الحسنة ، لأن بيان الحق لا بد منه ، والافهامعنى الدعوة اذا لم يبين الحق من الباطل .

وفي الدورة الثانية وبعد زيارته لنا أعنى أمين الدين ، ذهبت لزيارته في مسجده فوجدت عنده كتاباً جديداً بكمية لا بأس بها ، ولكنه لم يعرف ما فيه إذ لم يقرأه ، والكتاب اسمه « تربيتنا الروحية » وقد ذكرت ما فيه من خرافات في مقدمة تحقيقي لكتاب « الرد على الجهمية لابن مندة » وهو مطبوع الطبعة الثانية .

ولقد حملت منه نسخاً هدية له ولطلابه ولبعض الأساتذة الذين تعرفت عليهم .

فتناولت كتاب التربية ، وفتحت على ص ٢١٦ ، ٢١٧ لأنظر هل تنطبق على الطبعة التي نقلت منها قول المؤلف : إن الكرامة تحدث للمتسبب للطريقة الرفاعية وإن كان فاسقاً . . . الخ . فوجدتها كذلك لأنها مصورة .

فأعطيتها لأمين الدين فلما قرأها . وضع يده على رأسه وقال : أنا أعرف بكذب الصوفية وخرافاتهم ودجلهم وقد وصلت في الطريقة القادرية إلى رتبة ممتازة عندهم ، وقد أنقذني الله منها وقد كنت أضرب الطبل في المسجد للذكر - وهذا من طقوسهم - قال : فأنا إذا أعود لها مرة أخرى .

وقد كانت مناقشة الإخوان له في منهج الدعوة الصحيحة نبراساً له اهتدى به الى منهج السلف في دعوته ، والمذكور داعية له تأثيره في المجتمع يشغل جميع أوقاته في التعليم والدعوة ، وعنده بعض الطلبة يعولهم لفقرهم ، وبعضهم من الوثنيين أسلم على يديه فقلاه أهله ، وليس عنده من الدخل إلا راتبه وهو يعمل مدرساً وله أسرة .

ومما يجدر ذكره أن الرجل الذي كان يدعو أمين الدين إلى مهادنة أصحاب الطرق اتصل بجماعة الشيخ أبي بكر قومي ، وهم جماعة نصر الإسلام ، فدعاهم الى مهادنة الطرق الصوفية ، وقال ان كتاب الشيخ عبد الرحمن الافريقي في الصوفية لا يصلح توزيعه



لأنه يفرق كلمة المسلمين ، فاصطدم بهم وأخذ البوليس الى السجن وبقي فيه حتى جاء رئيس المؤسسة الإسلامية من (كانو) إلى (كادونا) فأخرجه بكفالته .

أما في هذه السنة فقد كان أعضاء الدورة مع الطلبة المشتركين في الدورة وغيرهم يجرون مناقشات حول الطرق وهي مناقشة علمية سلكتها من أول يوم فيطالبونهم بالأدلة من الكتاب والسنة على ما يقولون ويدعون فهي الحكمُ فيما اختلف فيه .

وقد أرسل مشائخ الطرق طلاباً من أتباعهم للاشتراك في الدورة ، لإثارة الأسئلة ونقل ما يجري في الدورة .

ولكن باستعمال الاخوة الحكمة في الدعوة ظهر الحق واندرج الباطل .

ومن أمثلة ذلك :

إن طالباً قادرياً في المستوى الجامعي قال في الفصل بعد مناقشات حول الطرق - إن الأئمة الأربعة أجمعوا على تكفير ابن تيمية .

فقال له المدرس : هل وجدت هذا في كتاب ؟ قال : نعم . قال من كتب الأئمة الأربعة فيظهر أنه تملص من الاجابة .

فقال المدرس للطلبة وهم في المستوى الجامعي هل تعرفون متى وجد الأئمة الأربعة وهم يعرفون ذلك ، ثم بين لهم أنهم وجدوا في القرن الثاني والثالث ، وابن تيمية وجد في القرن السابع فكيف حكموا بكفره قبل أن يولد ، وبذلك أصبح الطلبة يخاصمون الطالب ويسكتونه إذا سأل ، كما حدث له مناقشة مع الشيخ صالح السحيمي في شرح البيت :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به . . الخ .

وفي هذه الدورة كان للأساتذة دور مع أتباع الخميني ، ذلك أن الشعب النيجيري شعب مسلم يجب الإسلام ، ولكن الذى ينقص الشباب هناك هو العلم بحقيقة الإسلام ، وما تنطوى عليه دعوات الفرق المنتسبة للإسلام .

فحين سمعوا ما يسمى بالثورة الإسلامية ، وقد كثف أصحاب هذه الدعوة دعايتهم في نيجيريا بارسال الوفود والنشرات باللغة الانجليزية والعربية انخدع هؤلاء الشباب بهذه الدعوة .

وقد اشترك بعض هؤلاء الطلاب الذين تركوا مدارسهم في الدورة في العام الماضي وجرت معهم مناقشات طويلة . وفي آخر شهر رمضان تركوا الدراسة واعتكفوا في المسجد فقلنا لهم إن الاعتكاف سنة وطلب العلم فريضة فلم يقبلوا .

فطلبنا من الشيخ محمد زربان وهو الرجل المعروف بأسلوبه في الدعوة أن يذهب ليلقى دروساً في المسجد ، وكان هدفنا هو ملاحقة هؤلاء الشباب المغرربهم عسى الله أن يهديهم ، وقد استمر معهم يناقشهم ويحيب على شبههم ويوجههم ولكنه في آخر الأمر قال :  
إنني أصب في قرية مخروقة أملاًها في الليل فتصبح فارغة .

وذلك أنه بعد مناقشتهم واقناعهم في المساء مثلاً يصبحون يعيدون المسألة بعينها .

ورغم ما ظهر على بعضهم من تأثر عند سفرنا فقد مكث أحدهم أورتيسم عند الشيخ محمد زربان ليلة سفرنا إلى وقت متأخر من الليل ثم بكى متأثراً بما يسمع ومع هذا كله لما عدنا هذا العام وجدنا شوكتهم قوية وشعارات الشيعة ظاهرة عليهم كلبس العمام بل قال لي الشيخ أمين الدين إنهم في داخل البلد وفي الذهاب للمسجد يلبسون العمام السود ، ثم لهم مكتبة باسم مكتبة الأمة تأتيها الصحف والمجلات والنشرات من إيران يوزعونها مجاناً ومعها صور الخميني وهي معلقة على باب المكتبة .

وفي أول خطبة جمعة خطبها الشيخ محمد زربان في الجامع ، وترجمها الشيخ أمين الدين أبوبكر- وقد تعرض المترجم لدعوة الخميني وبين للناس أنها ضلال ميين إذ أن عقائدهم تقوم على تكفير الصحابة وعلى رأسهم أبي بكر وعمر ، وهو الرجل الوحيد فيما أعلم يبين للناس علناً أن ثورة الخميني ليست إسلامية ، ولا تمت إلى الإسلام بصلة وإنما هي دعوة باطنية .

وبعد صلاة الجمعة وحين خرجنا من المسجد تقدم طالب من طلاب الشيخ محمد زربان من الذين كان يناقشهم العام الماضي بمجلة حرس الثورة يوزعها علينا ، ثم اتبعوها بنشرات أخرى مطبوعة باللغة العربية والانجليزية فيها أقوال الخميني .

وبعد أن عرفوا أننا قرأناها طلبوا منا موعداً فلبينا طلبهم فحضروا بعد صلاة العشاء في السكن فاجتمعنا في المكان المعد للصلاة ، وجرت المناقشة مع رئيسهم وهو آيتهم واسمه بشير - الذي لم يجاوز عمره العشرين سنة وهو طالب ذكي أضله أولئك الدعاة .

فقد دعاه الخميني بواسطة عملائه إلى زيارة إيران فزاره هو وبعض زملائه وقابلوا الخميني ورجع معمدا لانقاذ المستضعفين .

وقد جرت المناقشة معه لعقيدة الرافضة ودعوتهم ، وما الإسلام الذي يدعون اليه ، وهم يعتقدون كفر الصحابة الذين نقلوا لنا القرآن والسنة . . . الخ .

فكان الرجل أعمى لا علم عنده ، وقد قطع هؤلاء الصلة بينهم وبين علمائهم فحين قلنا لهم العام الماضي ما دمتم تركتم دراساتكم في الجامعة ، فاتصلوا بالشيخ أبي بكر قومي ، والدكتور حسن غاورزوا ، رئيس القضاة ، وأمين الدين أبو بكر لتتفقوا في الدين على أيديهم قالوا : إن هؤلاء موظفون مع الحكومة فلا يوثق بعلمهم . لذلك تمكنت الدعاية المكثفة مع وجود العاطفة الإسلامية عندهم من اضلالهم ، فمثلا يقولون رداً على تكفيرهم للصحابة ومنهم أبو بكر وعمر ، إن هذا القول تركه المتأخرون وإنما هي عقائد قديمة .

ف قيل لهم : إن هذا القول موجود في كتاب الخميني - الحكومة الإسلامية - فقال بشير : هذا الكتاب طبعته رابطة العالم الإسلامي ضد الخميني ، فقلنا له : أنت زرت إيران ولا شك أنك أخذت من الخميني الذي قابلته النسخة الأصلية فاطلعنا عليها فرفض .

فقال له الشيخ صالح السحيمي : ما رأيك لو قلت : إن لأئمتنا درجة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فقال : أنت كافر .

فقال له : ولو قال هذا القول الخميني مارأيك فيه ، فقال : أمره الى الله . فقلنا له اتق الله ما الفرق بين الاثنين .

فقال بحماس : أنا لا أكفر الخميني لأنه يجاهد في سبيل الله .

والله يقول : والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . فهو سيهتدى . هكذا بلغ حال هؤلاء ، وليست هناك مقاومة لهذا الضلال تذكر ما عدا ما يقوم به الشيخ أمين الدين أبو بكر ، حتى الكتب الصغيرة مثل الخطوط العريضة وكتب إحسان إلهي ظهير لا توجد في هذه البلاد .

أما الطلبة الذين اشتركوا في الدورة فقد كان بعضهم متأثراً بدعوة الخميني - أو بفتنته - لأنها تلمس عواطفهم ومشاعرهم الدينية بألفاظها ولا يعرفون حقيقتها .

وقد ركز الإخوة جميعاً على إزالة هذه الشبه من أذهانهم ، باستثارة عواطفهم الدينية أيضاً ، وهو طلب الحكم منهم على من يكفر الصحابة ومن يقول أن أبا بكر وعمر صنمى قريش ، فيصدر الحكم منهم على قائل ذلك . فبين لهم أن هذه عقيدة الشيعة الرافضة الإمامية فى القديم ، وهى الموجودة الآن فى كتبهم التى تنشر وتوزع .

وقد فضح الله باطل الشيعة وإن كانوا يستعملون التقية ديناً وهى النفاق بعينه - وذلك بما قاموا به من نشر لكتاب الكافى فى أجزاء صغيرة مبسطة للقراءة - أعلى الصفحة باللغة العربية وفى أسفلها الترجمة باللغة الانجليزية ، وفيه الطعن على أبى بكر وعمر ومعاوية وغيرهم من الصحابة .

وقد ركز فى الكلمة التى ألقىت فى حفل اختتام الدورة والتى حضرها وزير الاسكان ورئيس القضاة على حثهم على الإهتمام بالشباب المسلم والعناية بالعقيدة الصحيحة التى أخبر الرسول بأن الأمة ستفترق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة . ولما سئل عنها قال : هى من كان مثل ما أنا عليه وأصحابى . فالذى يكفر الصحابة ويقول فى أبى بكر وعمر أنها صنمى قريش كيف يكون داعية للإسلام .

فوعد رئيس القضاة بأنهم سيعملون بهذه النصيحة .

أما الآن فإلى الحديث عن ثانى رجلين من رجال الدعوة الى العقيدة الصافية .

الذى تعرف عليه أعضاء الدورة وتناقشوا معه وقرأوا كتبه واعجبوا بعمله وبأفكاره . ذلك الرجل هو الشيخ محمد طاهر ميغرى البرناوى المحاضر فى جامعة بايرو- فى كانو- وألّد أعداء الطريقة التيجانية التى بلغ فيها درجة يتمناها كل تيجانى كما قال ذلك فى مقدمة كتابه « الطريقة التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته » .

أريد أن أقول قبل أن أذكر شيئاً عن كتبه : إن أعضاء الدورة وأعنى بهم السعوديين خاصة - بقدر ما قدموا لطلابهم فى بيان العقيدة الصحيحة فقد أخذوا معلومات جيدة فى معرفة أسرار الطرق الصوفية الخبيثة التى أضلت شباب العالم الإسلامى فى كل مكان ، وذلك بما قرأوه فى كتب الشيخ محمد طاهر ميغرى ، وبما سمعوه من تحليل لأقوال ابن عربى وابن الفارض وغيرهما .

وقد كان البعض منا يظن أن الطرق الصوفية عبارة عن أواد يعملون فيها خلافاً لما عمله السلف الصالح فى الذكر بما يحدثونه من حلقات وذكر جماعي . . الخ .

ولكن تبين لنا بعد قراءة تلك الكتب أنها أى الطرق الصوفية كفر وإلحاد وزندقة ، بين ذلك وأرجعه إلى مصادره وأصوله القديمة قبل الإسلام ، كما بين الغاية من أن الدعوة إليها ، هى محاربة لكتاب الله وسنة رسوله بصرف الناس عن القرآن بالأوراد ، وصلاة الفاتح التى ادعى التيجانى أن الملك نَزَلَ بها على البكري مكتوبة فى صحيفة من نور وأنها تعدل القرآن ستة آلاف مرة بل أضعاف ذلك . لأنهم يقولون لأتباعهم : إن القرآن ثقيل - كما قال تعالى : انا سنلقى عليك قولا ثقيلا « فهولثقله يخرب الديار ويزلزل البيوت - فيكتفى بالأوراد التى أجربها أضعاف أجر القرآن ستة آلاف مرة أو أكثر وهى سليمة العواقب .

أما كتبه التى ألفها ولا تزال مخطوطة فهى :

الأول : الطريقة التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته .

الثانى : ابطال ادعاء رؤية النبى ﷺ يقظة .

الثالث : التيجانية آخر مظهر للباطنية القرمطية الإسماعيلية .

الرابع : كتاب فى المهدي .

والكتب الثلاثة الأولى هى فى الأصل كتاب واحد بعنوان « التعليقات المفيدة » وسبب تأليفه أنه ألقى محاضرة فى جامعة بايرو بعنوان التربية عند الشيخ ابراهيم ايناس السنغالى . تعرض فيها لبيان ضلاله والحاده ، وقد أخذ رسالته الماجستير بعنوان « إبراهيم ايناس آراؤه وأصول أفكاره مع تحقيق كتابه السر الأكبر » وكلاهما مطبوع فى مجلد واحد .

فكتب أحد أتباع الطريقة التيجانية وهو موريتانى ، رسالة فى الرد عليه بعنوان ( إنذار وإفادة لمن باع دينه بشهادة ) أى بشهادة الماجستير فكتب محمد طاهر ميغرى هذه الكتب الثلاثة

أما الكتاب الأول - وهو الطريقة التيجانية دين جديد .

والثانى - وهو ابطال ادعاء رؤية النبى ﷺ يقظة .

فقد قرأها الأساتذة من أولها الى آخرها قراءة متأنية مع المناقشة الحادة بعض الأحيان ، لأن المؤلف شديد اللهجة فى الرد على المخالف وقد يستنبط بعض الأحيان من أقوالهم ما يراه بعضنا الزام لهم بما لم يحمله قولهم - وهو مشترك معنا فى التدريس فى الدورة فيحضر عندنا فى السكن فتجربى معه مناقشة ممتعة ومفيدة . وقد دلت على علم الرجل وفهمه ، واعتداده بما يقتنع به . كما أن من مميزاته قبول الحق اذا تبين له . وعدم العناد فيه .

وهو لا يقبل المجاملة والاحتمالات التي يُفسَّرُ بها بعض أخطاء العلماء في العقيدة .

وله منهج خاص في ذلك ، وهو تتبع العالم في مسار فكره في كتبه فإن كان يسير في أغلب كتبه إلى تأييد هذه الفكرة بشتى الوسائل والاحتمالات والتفسيرات ، ثم لا ينقل أقوال المخالفين له كاملة ، وإنما يقتصر على ما يحتاجه منها ، ثم يروى أحاديث موضوعه وهو يعلم ذلك ولا يبين أنها موضوعة . . وهكذا ، فمثل هذا لا يقبل الاعتذار عنه لأن تلك عقيدته .

وان أخطأ مرة أو مرتين فهذا كغيره من العلماء يخطئون ويصيبون . وليسوا بمعصومين .

وأهم ما يمتاز به المذكور في دراسته وبحوثه إستيعابه لأقوال الخصم وأدلته وحرصه الشديد على النقل للأمور المنسوبة لذلك الشخص بأمانة لا زيادة ولا نقصانا .

ثم سرد للتسلسل التاريخي لبدء الفكرة ، وتطورها في جميع مراحلها ، وبعد ذلك يبدأ في المناقشة ، فيبطل ما قاله أولئك بعد مناقشة أدلتهم مناقشة علمية وابطالها بالعقل والنقل ، ثم يورد أدلته على ما يريد اثباته من الكتاب والسنة ، وأقوال الأئمة ، المعتمدة أقوالهم كالأئمة الأربعة وابن تيمية وابن القيم ، وابن العربي وابن حجر وغيرهم .

ولا يورد أحكامه على الآخرين جزافاً ، وهو بعيد كل البعد عن الحكم بالعواطف .

هذا بالنسبة لكتبه المخطوطة ، والتي أحضرنا بعضها لأنه يرغب نشرها في المجتمع النيجيري الذي أفسده أصحاب الطرق المضلة ، وهو فقير لا يستطيع طبعتها .

وهي كتب تخدم الدعوة ، فهو جدير بأن يشد من أزره ويشجع وينشر الصالح من كتبه .

أما كتبه المطبوعة فمنها كتابه « إبراهيم ايناس السنغالي آراؤه وأفكاره مع تحقيق كتابه السر الأكبر » . وهو رسالة ماجستير تقدّم بها في جامعة بايرو- بكانو- .

والرسالة كما هو واضح من عنوانها « دراسة لشخصية إبراهيم ايناس وتحقيق لكتابه السر الأكبر » وكلاهما مطبوع في مجلد واحد يشمل ٥٢٠ صفحة .

وطبيعة البحث العلمي - لاسيما دراسة الشخصيات والمعاصرة منها على الخصوص ،  
والمفتون بها مئات الآلاف بل الملايين من الناس - سواء قدمه صاحبه رسالة في جامعة فهو  
يعلم أنه سوف يعرض نفسه للمناقشة في جميع أقواله . أو يقدمه للقراء فكذلك سيكون  
مستهدفاً للنقاد ، فهو يحتاج قدر استطاعته ، ولا بد أن يبقى عنده نقص لكونه بشراً .

وقد ذكرت أن ما يميز بحوث الشيخ محمد طاهر ميغرى هو الاستقصاء وإيراده لكل ما  
يستطيع أن يتوصل اليه من أقوال قيلت في المسألة .

وقد ناقشه أساتذة الدورة في هذا الاستطراد ، وأقنعنا بضرورة ذلك في بعض  
المواطن .

فكذلك كان بحثه في دراسته لشخصية إبراهيم انياس السنغالي .

فقد قام بدراسة ميدانية ، فسافر إلى كولخ موطن أسرة إبراهيم انياس وإلى موريتانيا  
حيث يوجد أتباع طريقته ، ثم اتصل بكل من له به صلة حتى جمع عنه جميع المعلومات التي  
استطاع أن يجمعها عن حياته وسجل ذلك كما أخذه بأمانة الناقل .

ثم درس الطريقة التيجانية التي ينتسب إليها إبراهيم انياس ويدعو لها وينشرها في  
نيجيريا بلد غير بلده .

فذكر تاريخ أحمد التيجاني ، وبين سيرته السيئة ، وما جرى له من الحاكم التركي  
الذي سجنه لأنه ثبت عليه تزيفه للنقود ، ثم ضربه له وأخيراً تسفيره .

ثم ذكر حقد الشيخ التيجاني على الحاكم التركي المسلم وعلى الإسلام والمسلمين  
جميعاً ، ودعوته على بلاد المسلمين بأن يستولى عليها الاستعمار .

ولما قيل له في ذلك قال : إن الله أوحى إليه بأنه ساخط على المسلمين وأنه لا يقبل  
دعاء أحد فيهم .

وقد ناقشه محمد طاهر ميغرى في هذه الأقوال الزائفة وأثبت كذبه فيها ثم نقل إجماع  
المسلمين على تكفير من ادعى نزول الوحي بعد النبي ﷺ على أحد من خلقه مستدلاً بأدلة  
ختم النبوة - وبحديث الصحيحين - بأنه سيكون بعد الرسول دجالون كذابون قرابة ثلاثين  
كلهم يزعم أنه نبي .

ثم أثبت بعد ذلك تعاون التيجاني وجميع أصحاب الطرق مع المستعمرين ،  
ووصيتهم لأتباعهم بالسمع والطاعة للمستعمرين .

وبعد ذلك انتقل إلى تبشير التيجاني بأنه ستكون فيضة في آخر الزمان على يد أحد  
أتباعه ، يدخل الناس في الطريقة التيجانية أفواجا ، وأن من دخل فيها فهو من أهل الجنة  
سواء عبد الله أو لم يعبد ، وسواء ارتكابه المعاصي والذنوب من زنى وسرقة وغيرها ، فان  
الله قد تكفل له بأن يقضى عن أتباعه من خزائن جوده وكرمه . وأن يدخلهم الجنة بغير  
حساب ولا عذاب .

هذا نموذج مما ذكره عن التيجاني وقد حكم بكفره لادعائه الوحي . ولادعائه دخول  
أتباعه الجنة بغير حساب وأن الله تكفل له بذلك .

وبعد ذلك انتقل إلى إبراهيم انياس السنغالي فاستقصى سيرته من حين ولادته ،  
ذاكراً الخرافات التي قرنت بولادته ، ثم تتبع سيرته إلى أن أصبح صاحب طريقة ، وأنه لما  
كان في السنغال أصحاب طرق ينافسونه ، وهم أقوى منه ، كان أكثر أتباعه في الدول  
المجاورة مثل موريتانيا وغيرها .

ثم بين اتصاله بنيجيريا لنشر طريقته فيها ، وأنها كانت بسبب معرفة بينه وبين أمير  
(كانو) وقعت في الحج ، ثم قدم إلى (كانوا) بعد ذلك لنشر طريقته . ثم ادعى بعد أن قَبِلَ  
الناسُ منه طريقته ، أنه هو صاحب الفيضة التي بشر بها أحمد التيجاني ، والتي قال عنها  
أنها ستكون في آخر الزمان على يد أحد أتباعه ، فقرر لهم أنه صاحبها وأنه صاحب الدائرة  
الفضلية التي تقع خارج دوائر الشرع كلها ، وأن كل من اتبعه يدخل الجنة بلا حساب وإن  
ارتكب المعاصي من زنا وفجور وقتل وسلب لأموال الناس فالله يقضى عن أتباعه كل ما  
ارتكبه من خزائن فضله . وهذا سبب تسمية دائرته بالدائرة الفضلية .

قال : وإن الذين لا يؤمنون بطريقته ويعادونها كفار يخلدون في النار .

ثم نقل عنه قوله من قصيدة له :

ومن يحبني ومن يراني . . . في جنة الخلد بلا بهتان

وقوله في قصيدة أخرى يدعى فيها تصرفه في الكون قال :

قد خصّني بالعلم والتصريفى . . . إن قلت كُنْ يَكُنْ بلا تسويفى



ثم ناقش محمد طاهر ميغرى هذه الكفریات مناقشة علمية وبين مصادمتها للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأنها خروج على الشريعة الإسلامية ، وأن من يقولها ويعتقدتها فهو الكافر الذى يستحق العقاب من الله - لاعموم المسلمين الذين يَكْفُرُونَ بتعاليم طريقته الخارجة عن الشريعة الإسلامية .

وقد عقد باباً فى أول أبواب الكتاب بعنوان « إبراهيم انياس من شيخ الطريقة الى شيخ الإسلام » .

فقد يظن المتعجل فى الحكم أنه يمدحه وهو فى الحقيقة يذمه . فقد أثبت فى هذا المبحث أن إبراهيم انياس يقول بالتقية ويعمل بها ، كما أثبت فى الأبواب الأخرى أن الصوفية هم باطنية إسماعيلية يقولون ويعتقدون عقائد الروافض .

قال : وباستعماله لعقيدة التقية فقد خدع الناس بمكره وخداعه ، وقد منح ذكاء وأسلوباً عجيباً فى خداع العالم حتى استطاع أن يكون عضواً فى رابطة العالم الإسلامى . قال : فهو يظهَر للعالم الإسلامى بمظهر شيخ الإسلام ثم يعود الى قفصه فى كولخ يعلم الناس ضلاله وفساد عقيدته ، إلى أن قال : فقد عاش طول حياته تيجانياً ومات تيجانياً ، وقد قال فى باريس وهو فى المستشفى ، على فراش الموت :

رأيت رسول الله جهرًا ويقظة . . . بباريس هل هذا المحل محله

ثم نقل إلى لندن فمات بها ونقل جثمانه إلى كولخ فدفن بها وقد أوصى بالطريقة لخلفه من بعده .

كما نقل فى أول الكتاب من كتاب السر الأكبر المحقق مع الدراسة والذى سبقت الإشارة إليه ما يأتى :

قال : إن كافرًا فاسقًا اغتصب امرأة تيجانية فعاشها طول حياته ، هذه المعاشرة الفاسدة ، فلما مات هذا الكافر دخل الجنة ، وذلك بسبب معاشرته لهذه المرأة التيجانية مع العلم أن المرأة غير ملتزمة بأداء الأوراد التيجانية ، ولكنها لم تركها انكاراً لها وإنما تركتها كسلاً وتهاوناً<sup>(١)</sup> .

(١) انظر كتاب الشيخ إبراهيم انياس، حياته وأراؤه ص ١٩٤ - ١٩٧ .

ثم يناقش الشيخ محمد طاهر ميغرى هذا الكلام الفاسد ويحكم على معتقده بالكفر .

هذه نماذج قليلة ذكرتها مما تضمنه هذا الكتاب من المخازى التى أثبتها فيه الشيخ محمد طاهر ميغرى عن التيجانية وعقائدهم وكفرهم وعن إبراهيم ايناس نفسه المخصص بالدراسة ، وذلك لأن للشيخ محمد طاهر عليّ وعلى زملائى فى الدورة حق المسلم على المسلم وأخص بالذكر من المشايخ أكثر من غيره إمامنا فى الصلاة الذى لم تفته صفحة واحدة من قراءة كتبه . ( ومنها ما قرىء من هذا الكتاب إبراهيم ايناس ، والذى قال عنه بعضهم : إن مقدمته تكفى فى بيان أنه طعن للطريقة التيجانية ولأصحابها - وأقول إن الذى قاله هو الحق وقد سمعتم تكفيره للتيجانى ولا إبراهيم ايناس بما جاء عنها من عقائد فاسدة .

منها أن الملك نزل على التيجانى بالوحى . وادعاء ابراهيم ايناس أن أتباعه فى دائرة وراء دوائر الشرع - وأن الله تكفل له بادخال أتباعه الجنة بغير حساب ولو عملوا ما عملوا من المعاصى وأن الله يقضى عنهم من خزائن فضله ، وأنه يرى رسول الله باستمرار حتى فى باريس وأن الكافر الفاسق يدخل الجنة إذا عاش امرأة تيجانية . . الخ ) .

أقول إن من قرأ هذا الكتاب ليقف على رأى مؤلفه فى التيجانية وفى إبراهيم ايناس فقط ، فسيجد حكمه على التيجانى و ابراهيم ايناس بالكفر الصريح لا بالمدح ، ويحمد الله الكتاب موجود .

ولم أتحدث عن محمد طاهر ميغرى عن عاطفة ، وانما أتحدث عن حقائق وعن رجلٍ داعيةٍ يتبع مذهب السلف ومحارب الطرق الضالة المضلة ، فيجب أن يشد أزره ويشجع بطبع الصالح من كتبه .

وأعتقد بعد ما سمعتم والكتاب موجود - أنه لا ينبغي أن يقال عنه إنه خبيث يدعو للتيجانية أو يمدح التيجانية ، فهذا حكم جائر ظالم ، وربما صدر هذا الكلام من صاحبه عن حسن نية وعدم قراءة للكتاب وإنما أكتفى ببعض الصفحات وكان الإنسان عجولاً ، وهذا الذى أعتقده ، لأن حق المسلم على المسلم أن لا يظلمه ولا يخذله . . الخ ما جاء فى الحديث .

ولو كان مثلُ هذا القول صحيحاً لما كتب التيجانى الموريتانى تلك الرسالة رداً عليه بعنوان « انذار وافادة لمن باع دينه بشهادة » ولا شك أنه قد باع ما سماه هو - التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته بيعة لا رجعة فيها إن شاء الله .

وحيث أن القول في محمد طاهر ميغرى وفي كتابه قد أصاب شخصاً آخر ، كما يقال :  
عصفورين بحجر - وهو في الحقيقة ليس بعصفور وإنما هو صقر على رخم الطرق الصوفية ،  
ذلك الشخص هو : الشيخ أبو بكر قومي الرجل المعروف في نيجيريا كلها بمحاربة أصحاب  
الطرق الصوفية ، وقد سمعتم عن جماعته وهم جماعة نصر الإسلام الذين لهم مراكز في جميع  
ولايات نيجيريا - وهم الذين أدخلوا من يريد منهم مهادنة أصحاب الطرق بحجة جمع  
الكلمة - السَّجَنَ عن طريق البوليس ، وهو عربى وليس بنيجيرى .

وذلك أن أبا بكر قومي وهو عضو في المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية ، وعضو في  
رابطة العالم الإسلامي - قد كتب مقدمة مقتضبة لهذا الكتاب . وقال عنه أى إبراهيم انياس  
أنه صاحب الفيضة ، استهزاء به لا مدحاً له وهو الذى دعانى لقراءة الكتاب كله من أوله إلى  
آخره ، وذلك لعلمى بمحاربة أبى بكر قومي لأصحاب الطرق حتى أن الحكومة عجزت  
عن المصالحة بينهما كما حدثنى بذلك الدكتور محمد ثانى زهر الدين رئيس قسم الدراسات  
الإسلامية بجامعة بايرو .

ولكن قلت في نفسي : إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف  
يشاء ، فلعل الرجل حدث له شىء .

ولكن حينما قرأت الكتاب وجدته بالعكس فإن الرجل مازال على منهجه فقد جاء في  
الكتاب نفسه ، في الباب الذى جمع فيه محمد طاهر ميغرى المعلومات الميدانية عن إبراهيم  
انياس مقابلته لأبى بكر قومي في منزله في ( كادونا ) مثبتاً تأريخ اليوم الذى جرت فيه المقابلة  
وهو السبت ٢٧ / مايو ١٩٧٨ م بمقره في كدونة حيث قال له :

ما رأيك في إبراهيم انياس وطريقته فأجابه بقوله : إن إبراهيم انياس جاء الى  
نيجيريا بكفر صريح مكشوف ينادى به علنا وعلى رؤوس الأشهاد ، وأنه أضل عوام  
النيجيريين بدجله ومكره .

قال - أى أبو بكر قومي - : وقد قابلته في المدينة أيام أن كان عضواً في الرابطة ، فأراد  
أن يتخذ من تلك المقابلة خدعة للناس بحجة أننا تصالحنا مع أصحاب الطرق ، فبينت  
للناس ذلك الكذب في حينه لأننا عندما تقابلنا تبين لى أنه كافر فترأت منه وابتعدت عنه ،  
وأما اتحاد حركتى مع حركة تلاميذى والتعاون معهم فلا أرى أننى أحتاج إلى ذلك . لأن

حركتى هى جماعة نصر الاسلام ، وهى ليست لى وإنما هى لجميع المسلمين وكل من يريد أن ينصر الاسلام فالباب مفتوح لا يحجبه شىء (١) .

قال : ثم قلت له : ما رأيك فى قول الشيخ إبراهيم انياس : «إن الله قد ساق الوجود كله مساق الهلاك فى هذا الزمان فلا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التيجانى» . فقال : «إنه يريد بذلك أن يقول : ومن يتبع غير التيجانية دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين» .

أما كتابته المقدمة للكتاب باختصار ولم يفصل القول فيها عن مخازى الطريقة التيجانية فقد سئل من شخصية تعمل بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ [ الحجرات : ٦ ] .

فأجاب عن ذلك ، بأن المقصود منه أن يقرأ النيجيريون الكتاب وبالأخص أصحاب الطرق منهم حتى يعرفوا مخازى شيوخ طرقهم ، لأنهم اذا وجدوا منى التفصيل والنقد فى أول الكتاب قد ينصرفون عنه بحجة أن أبا بكر قومي عدو للتيجانية ولأصحاب الطرق جميعاً ، حدثنا بذلك هو بنفسه حين زرناه فى منزله ( بكادونا ) ، وكان يحدثنا عن أصحاب الطرق ، وقد جاء ذكر محمد طاهر ميغرى فى ذلك المجلس ، ومما يؤكد أن أبا بكر قومي لازال على منهجه فى محاربة الطرق الصوفية الضالة المضلة وأنه بعيد كل البعد من أن يقدم لكتاب يمدح التيجانية - إنه فى هذه الزيارة التى كانت فى شهر ذى القعدة ١٤٠٢ هـ للشيخ أبى بكر قومي فى منزله فقد كان حديثه معناه عن خرافات أصحاب الطرق ، حيث قال : إن من ضلالهم ودجلهم على عوام الناس بالكذب والتضليل ، أن ولياً من أوليائهم قال لأتباعه ، إن ولياً طار من بغداد الى نيجيريا ، فلما وصل نزل على رأس شجرة ، والأشجار كثيرة فى نيجيريا كما تعرفون - فذهب اليه الولي النيجيرى وقال له : لماذا لا تنزل ؟ فرد عليه قائلاً إن الأرض ملوثة بالمعاصى والذنوب فلا يمكن أن أنزل عليها . ولذلك ذكر له حاجته ثم طار راجعاً الى بغداد - ولا ندرى هل أرض بغداد ملوثة بالمعاصى أو لا ؟ . قال ومثل هذا الكذب يصدقه العوام لأنه عندهم من كرامات الأولياء .

هذا وقد أخبرنى أمين الدين رئيس جماعة الدعوة ، أن لأصحاب الطرق رابطة فيما بينهم ولهم جماعة سمّوهم باسم شباب الإسلام - فى مقابلة اسم جماعة أبى بكر قومي « نصر

(١) انظر كتاب الشيخ إبراهيم انياس السنغالى ، حياته وأراؤه وتعاليمه ص ٢٣٧ - ٢٣٨ الدار العربية تأليف محمد طاهر ميغرى .  
تقديم أبى بكر قومي .

الإسلام» وأن هؤلاء تمكنوا من إصدار برنامج في الإذاعة يلقيه أحد رؤساء الطرق الصوفية (باللغة الهوسا) لمحاربة أبي بكر قومي والطعن عليه وعلى كتبه - في الوقت الحاضر - وذلك معارضة منهم لحديث أبي بكر قومي الذي يلقيه في الإذاعة من زمن لتوجيه الناس وارشادهم وتحذيرهم من الخرافات والبدع المهلكة .

أقول هذا عن الشيخ أبي بكر قومي رئيس قضاة شمال نيجيريا سابقاً وعضو المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية وعضو رابطة العالم الإسلامي ، وعن الشيخ محمد طاهر ميغري البرناوي المحاضر بجامعة بايرو - لأنهما من رجال الدعوة إلى الحق ومن ألد أعداء أصحاب الطرق وعلى رأسها الطريقة التيجانية لأنهم يعرفون ضلالها وفسادها وتدميرها لأخلاق الشباب المسلم أكثر منا ، وهما على ثغرة في الوقت الحاضر لا يسدها غيرهما ، ومعهما أمين الدين أبو بكر رئيس جماعة الدعوة وهو الذي يقاوم في الوقت الحاضر ضلال الراضية ويبين للناس زيف دعوتهم للإسلام وأنهم يدعون للضلال إذ كيف يدعو للإسلام من يكفر الذين نقلوا لنا القرآن والسنة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .

يعلن ذلك على منبر الجامع يوم الجمعة للناس جميعاً ، بلا تحفظ ولا خوف من أحد .

فالذي يجب علينا ونحن ندعو إلى الحق أن نشد من أزر هؤلاء ونشجعهم ونساعدهم بما نستطيع تقديمه لهم ، ولو بالدعاء لهم ، وأن لا نندفع مع ملابسات لا أصل لها ولا تمت إلى الحقيقة والواقع بشيء ونحن في غنى عنها .

وإني لأتمثل للشيخ أبي بكر قومي والشيخ محمد طاهر ميغري بأبيات من منظومة قالها الشيخ حافظ الحكمي للملابسات تشبه هذه من بعض الجوانب هي بعنوان : الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة .

قال فيها :

انى براء من الأهواء ما ولدت      وولديها الحيارى ساء ما ولدوا  
والله لست بجهمي أجا جدل      يقول في الله قولاً غير ما يرد

إلى أن قال :

وما أرسطو ولا الطومسي أئمتنا      ولا ابن سبعين ذلك الكاذب الفند

ولا ابن سيناء وفارآبيه قدوتنا  
مؤسس الزيغ والاحاد حيث يرى  
معبوده كل شىء فى الوجود بدا  
... الخ القصيدة .

ولا الذى لنصوص الشريستند  
كل الخلائق بالبارى قد اتحدوا  
الكلب والقرد والخنزير والأسد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،،



### مركز إسلامى فى السويد

تم وضع حجر الأساس لبناء أول مركز إسلامى فى الدول الاسكندنافية  
بمدينة ( مالمو ) بجنوب السويد .  
ويحتوي المركز الإسلامى على مسجد وفصول دراسية لتعليم ابناء  
المسلمين الدين الإسلامى الحنيف إلى جانب مكتبة تحتوي على العديد من  
الكتب الإسلامية المختارة .  
وقد اعرب رئيس المركز الإسلامى فى السويد ديفيد بيكروف عن سعادته  
البالغة لهذا الانجاز ودعا جميع الدول الإسلامية لدعم هذا المركز حتى يستطيع  
تأدية رسالته ..  
( الندوة )

# مِنْ مَنهَجِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي التَّرْبِيَةِ وَالنَّعْلِيمِ

لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْمَجْزُوبِ  
كَلِيَّةِ الدَّعْوَةِ وَأَسْوَالِ السُّلَّامِ

قال الله تبارك وتعالى في سورة لقمان :

( ولقد آتينا لقمان الحكمة : أن اشكر لله .. ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غني حميد (١٢) ) واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني ... لا تشرك بالله . إن الشرك لظلم عظيم (١٣) ووصينا الإنسان بوالديه .. حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين : ان اشكر لي ولوالديك ، إليّ المصير. (١٤) وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفا .. واتبع سبيل من أناب إليّ .. ثم إليّ مرجعكم ، فأنبئكم بما كنتم تعملون (١٥) يا بني .. انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله .. ان الله لطيف خبير (١٦) يا بني .. أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور (١٧) ولا تُصعِّرْ خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحاً ، ان الله لا يحب كل مختال فخور (١٨) واقصد في مشيك ، واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير (١٩) .

المفردات : الوهن : الضعف ، والجنين ضعيف لا يدفع عن نفسه ضرراً ولا يجلب لها نفعاً والرحم الحامل له ضعيف لا يستطيع حماية نفسه ، والأم الحامل في ضعف مستمر حتى تضعه ، الفصال : الفطام ، أناب الى الله : وثق به واتكل عليه وفوض أمره اليه ، صعّر خده : أماله عن الناس استكباراً ، والمرح : الفخر والخيلاء ، القصد : الاعتدال بين الإفراط والتفريط ، غض من صوته : خفضه تأدباً .

تلخيص المعانى : في هذه الآيات الكريمة تركيز عجيب لدستور كامل في أصول التربية والتعليم ، يذكر الله تبارك وتعالى معظمه عن لسان معلم صالح آتاه الحكمة فعمل بها ومن العسير استيفاء البحث في مضمون هذا الدستور الجامع المانع ، لذلك نكتفى بالإشارة الى أصوله الكبرى .

الموضوع هنا يمكن اعتباره قسمين يؤلفان وحدة متكاملة ، أما أحدهما فخاص بالفرد من حيث هو كائن بشري لا بد له من التوجيه الى المبادئ الأساسية التي تنظم كيانه الشخصي . وأما الثاني فيتناول تنظيم العلاقة بين هذا الفرد السوي ومجتمعه البشري .

يبدأ القسم الأول من الوصية الحكيمة بالتحذير من الشرك ، لأن التوحيد هو المرتكز الأساسي الذي ينهض عليه البناء السليم للفرد والجماعة ، وليس الشرك إلا عارضاً من الخارج ، والحكمة تقتضي تحصين الفطرة من ذلك الواغل الوبيل ، الذي لا ظلم أظلم منه للنفس وللحق .

وكأن لقمان قد سكت عن ذكر الوصية بالوالدين لأنها تتعلق بحقه على ولده ، فأثر عليه حق الله وحق الآخرين ، ولأن التزامهما مؤد في الواقع الى توكيد شأن الوالدين باعتبارهما الأولى بكل برّ بعد الله ، ولكن الله جل شأنه لم يشأ أن يدع الأمر للاستنتاج ، فاستدرك على لقمان بتوكيد هذا الحق مباشرة بعد حقه ، كما عودنا سبحانه من الربط بين حقه وحق الوالدين في آيات أخر ، ثم قيد ذلك بحدود طاعته ، فللوالدين على الولد حق البر وخفض الجناح ، ولكن ليس لهما أن يفرضا عليه متابعتها على المعصية ..

ولكى يصون الانسان نفسه من الانحراف عن هذا الخط لا بد له من قدوة عملية يلتزم سبيلها في سلوكه ، وقد حدد له هذه القدوة في اتباع النبيين اليه من الأنبياء والأصفياء السالكين على خطاهم . والبرّ بالوالدين ، ومتابعة الصالحين ، مع التوحيد الخالص ، أساس التربية القويمة التي تضبط مسيرة الفرد في الطريق الأمثل ، يضاف الى ذلك تذكرة الدائم للمصير الذي هو منتهى اليه بعد هذه الحياة الزائلة ، حيث يرى ما عمله من خير محضراً ، وما عمله من سوء يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً . وأولى ثمار هذه التربية تكوين المراقبة الداخلية لأعمال الفرد ، وهو ما نسميه بالضمير ، اذ يتجنب كل زيغ عن الجادة ، لأن كل حركاته وسكناته مُحصى عليه من قبل اللطيف الخبير ، الذي لا يفوته كبير ولا صغير .

وهنا يأتي القسم الثاني وفيه تتلاحق الأوامر والنواهي : أمراً بالصلاة التي هي معراج المؤمن الى الملأ الأعلى وكأنها مواقف حساب يومي ، يعرض فيها نفسه وعمله على ربه فيستغفره لما أصاب من الهفوات ، ويستمدده العون على ما وفق اليه من الحسنات . ثم أمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، وصبر على المصائب .. كل أولئك نتائج طبيعية لتلك المقدمات ، لأن الانسان الذي زود بكل هاتيك الفضائل بات مؤهلاً للاسهام في توجيه المجتمع بالدعوة الى كل خير ، والتحذير من كل شرّ ولا يطبق ذلك إلا بالصبر الذي يحجب اليه الثبات واجتياز العقبات . والصبر في حقيقته قوة لا تتاح إلا لأولى العزم ، فليكن اذا واحداً من أتباعهم وليتحمل ف سبيل الله ما تحمله الأولون من أتباع النبيين ، وما يتحملة حتى اليوم أتباعهم



باحسان في سجون الملاحدة والظالمين .. وانما تستمر سلامة المجتمع واستقراره في طريق الخير بهؤلاء الامرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، الذين ما خلت منهم امة الا تؤدع منها .  
ومن ثم تتابع الآداب الاجتماعية ممثلة في نهيين وامرين . اما الاولان فالتحذير من الاستكبار والمرح . واما الآخران فالحض على الاعتدال في المشي . والغض من الصوت عند مخاطبة الناس . ويعقب كلاً من القسمين تذييل مؤكد لمضمونه بصورة تقنع العقل السليم بالتزام المطلوب ( ان الله لا يحب كل مختال فخور ) و ( ان أنكر الأصوات لصوت الحمير ) وحسب المؤمن أن يعلم كره الله للاختيال والتطاول حتى يهجر لوازهما من الصغر والمرح ، اللذين يسجلان على صاحبهما فراغ النفس من الفضائل ، وخلو القلب من التفكير بالتبعات الثقال ، التي لا يستطيع تجاهلها من كان يؤمن بأنه مسؤول عن حركاته وسكناته جميعاً ! وبحسبه كذلك أن يتصور نهيق الحمار ومزعجاته حتى تشمئز نفسه من مشابته . فيحاول جهده أن يلتزم أدب الاسلام في المشي وفي الكلام .

**أهمية هذه المعانى وأثرها في تكوين المجتمع الصالح :** بقليل من التدبر الواعي لهذه الوصايا نتبين اننا تلقاء مخطط عميق الغور ، لا أمل بانشاء الفرد الصالح خارج نطاقه فهو أشبه بالأعداد الأساسية في علم الحساب ، فكما أن عملية حسابية دقت أو جلت تقوم على الأرقام الواحد والتاسع وما بينهما . فكذلك تنبثق من جذور هذا المخطط جميع التفريعات ، التي تحدد مضمون المناهج وأهدافها في كل نظام للتربية والتعليم كما يريده الاسلام . وكما تتطلبه مصلحة الجنس الانساني .

واذا كان لكل منهاج نماذجه التي تمثل مضمونه في صور مشهودة : فالنماذج التي يقدمها هذا المنهج تؤكد أنه الوحيد ، بين مناهج الدنيا ، الذي أعطى العالم أعظم رجال التاريخ اطلاقاً فأثبت بذلك أنه النظام الوحيد الذي يضمن انشاء الانسان الممتاز الذي يحلم به الفلاسفة دون أن يعرفوا الطريق اليه ... ومن يكون ذلك الانسان الممتاز الذي رباه الاسلام في مدرسة النبوة على ضوء هذا المنهج الرباني فكان أتقى الناس وأعدل الناس ، وأشجع الناس ، وأكرم الناس ، وأعف الناس ، وأشد الناس حين الشدة ، وألينهم عند اللين .. أبعد الخلق عن جهل ، وأرغبهم في علم ، حتى كان منهم أئمة البشر في علوم الدين والدنيا جميعاً !

فمن المخطط يتضح لنا أن غاية التربية والتعليم ، في مستواهما الأعلى ووفق الطريقة الاسلامية ، انما هي رعاية النفس الانسانية بتدريبها على تحقيق المنهاج الرباني ، في تربية الروح ضمن تعاليم الوحي التي تحرر النفس من كل خوف لغير الله ، وكل عبودية لسواه . وتجعلها مدركة لرسالتها في الحياة التي هي تكوين المجتمع الأفضل القائم على عبادة الله وابتغاء مرضاته ، ثم تربية العقل تربية صحيحة تمكنه من تحقيق مهمته في استجلاء مظاهر

عظمة الله في ملكوته . وتسهيل سبل الافادة مما سخر له الله في السماء والأرض من وسائل المتاع والانتفاع . دون ظلم ولا جحود ولا طغيان .. وهو هو السر الذي أدركه سلفنا الصالح لمفهوم التربية والتعليم على هدى من هذا المنهج الأمثل . فراحوا يؤكدون على وجوب العناية بالروح . حتى اعتبروها قوام الانسان كله كما يقول أحدهم : ( فأنت بالروح لا بالجسم انسان ) واعتبروا صلاحها صلاحاً للكيان البشري كله كما يتضح من قول أحدهم :

هذب النفس بالعلوم لترقى وترى الكل فهي لكل بيت  
انما النفس كالزجاجة والعقد ل سراج وحكمة الله زيت  
فاذا أشرقفت فانك حي واذا أظلمت فانك ميّت

ولا يعنى هذا التركيز على الجانب الروحي من الانسان إغفال جانبه المادي . لأن الاسلام هو النظام الوحيد الذي يقوم على التوازن المتكامل بين الروح والجسد . وانما جاء توكيد العناية بالروح لأن من طبيعة الانسان الاستجابة لنواذعه المادية الى حد الإفراط . فكان من الحكمة إثارة اهتمامه بالجانب الآخر لتحقيق التوازن بين الحالين ..

وطبيعي أن أدب الجاهلية لم يقترب من هذه المعاني قط . فهي جديدة على العقل العربي . وهي بالتالى جديدة على العقل البشري في كل مكان قبل نزول القرآن العظيم ... ولا تزال جديدة عند أهل العلم . الذين يتولون تخطيط أسس التربية في أنحاء العالم المتمدنين في الشرق والغرب على السواء .. وانما تستمد قيمتها من عمق الادراك لخصائص الفطرة البشرية التي لا صلاح لها إلا بهذه الحقائق . وقد ثبت ذلك بشهادة الله الذي أودعها كتابه الحكيم توكيداً لأهميتها في هذا المضمار . وتقديراً لهذا النوع من الحكمة التي استحقت تكريمته وتخليده سبحانه .

**الأسلوب المعجز في الآيات :** عندما عجز علماء البلاغة عن الاحاطة بأسرار الاعجاز في كلام الله اضطروا الى القول بأنه كلام لا كالكلام . فاذا كان كلام البشر يدور بين الشعر والنثر فالقرآن ليس من الشعر . وان كان فيه الكثير من خصائصه في أكمل حالاتها كعدوبة الجرس . ورشاقة العبارة . والتصوير المجسم لأدق المعاني .. وليس من النثر . وان شاركه في أخص عناصره . كالإنطلاق . وتحديد المدلول . والتوافق بين الفكر واللفظ .. وسلوك الأساليب المختلفة من السجع إلى الارسال . إلى تقصير الفقرات أو تطويلها حسب المناسبة . وكاستخدام المثل والقصة والتمثيل وما الى ذلك من فنون القول ... واذن فهو قسم خاص من الكلام قائم بذاته وبخصائصه التي يسمو بها على كل ضروب الأدب . ومن هنا جاء قولهم : الكلام ثلاثة

أقسام نثر وشعر وقرآن . وأقرب تعبير عن هذا السر المعجز هو القول بأن طراز البلاغة في كل كلام إنما يمثل عبقرية منشئها وخصائصه الفكرية والنفسية والثقافية . وإنما يتفاوت البلغاء في نطاق هذه الخصائص قوة وضعفاً . وانخفاضاً وارتفاعاً . لأنهم بصيغتهم الفنية إنما يمثلون صفاتهم المنبثقة من هذه الخصائص . ونحن عندما نميز بين أسلوب انسان وأسلوب آخر إنما نميز في الحقيقة بين صفة هذا وصفة ذلك . تماماً كما قرر نقاد الغرب عندما زعموا : أن الأسلوب هو الانسان . يريدون أنه صفته المميزة له . وعلى هذا المقياس نستطيع القول إن امتياز كلام الرب تبارك وتعالى إنما جاء من كونه صفته المعبرة عن علمه وكمالاته اللاتئة بجلاله . فلا سبيل إلى المقارنة بين كلامه وكلام مخلوق مهما تبلغ بلاغته من الارتفاع . لأنه لا سبيل إلى المقارنة بين علم الرب المحيط بكل شيء . وعلم العبد الذي لا يري من الشيء إلا الجزء الذي يواجهه .. ومن طبيعة هذا الفرق أن الانسان يتراوح بين السمو والهبوط وفق قدرته المحدودة في تتبع الوقائع . واستنباط الأسرار . فيصيب ويخطيء . ويتعمق الشيء أنما فيقول ما يتفق مع حقيقته . ويغم عليه السر أنما فيتخبط في أحكامه . وبذلك يتعرض للإحسان والإساءة على حين يأتي كلام الخالق صورة الحق الخالص الثابت على مر الأحوال وتغير الأزمان . لكل حرف فيه مدلوله اليقيني الذي لا يقبل التبديل . كمثل العضو من الجسم الحي له مكانه ووظيفته . التي لا سبيل لتحقيقها إلا عن طريق ذلك الوضع المخصوص ..

واذن فالاعجاز في الكلام الإلهي قائم في المعنى والمبنى معا .. فمعاني الآيات كما رأيت تمثل أسمى ما يتصوره العقل البشري من كمال التنظيم التربوي . الذي عجز عن مثله مفكرو القديم والحديث . لأنه حقائق منسجمة مع الفطرة التي لا تبديل لها على الأحداث والبيئات .

والاعجاز متمثل كذلك في نظم الآيات من حيث الألفاظ والتعابير . وتساقق الفقرات في فواصلها ونهاياتها .. فتقسيم الكلام إلى آيات يوجه القاريء إلى التوقف على أواخرها . ويساعده على التغمي بها وهي بعض مميزات التنزيل التي لا تجد مثلها في كلام الجاهليين ولا الإسلاميين . حتى في أسلوب المقامات القائمة على تقسيم الكلام إلى فقرات مسجوعة كقوافي الشعر . تشعر عند مقارنتها بآيات القرآن العظيم أنها تكاد تفقد كل أثر للجمال . إذ تبدو سجعاتها متكلفة قد سخرت لها المعاني . واجتلبت لها الألفاظ بدافع الرغبة في الهندسة اللفظية فقط .. وهذا ما جعل بعض علماء البلاغة ينكرون وجود السجع في كلام الله . لأنهم لم يروا السجع قط إلا متكلفاً . بخلاف نهايات الآيات القرآنية التي لا تأتي أبداً إلا عفوية على أتم التساقق والانسجام مع المعنى . ولهذا رأوا أن تسمية هذه النهايات بالفواصل أحكم وأليق من تسميتها بالسجع .

والقارىء ذو الشعور المرهف يدرك بذوقه في هذه الفواصل التى تختتم بها الاي من الجمال والتأثير ما لا سبيل الى تحديده بالوصف الكلامي .. وسيكون أكثر ادراكا لأثرها اذا هو ترك قراءة تلك الخواتيم واكتفى بقراءة صدورها وحدها . اذ يحس أنه يفقد بذلك غير قليل من النعم . والجمال والتأثير .

**شخصية لقمان :** ولقد اعتدنا أن نقرأ الوصايا في الجاهلية فقراً متقطعة لا نظام لها في الغالب . حتى يمكن تغيير مواقعها دون أن يؤثر ذلك على مجموعها . لأن قائلها في الأصل لم يعن فيها بوحدة الموضوع .. أما هنا في وصية لقمان فالأمر على الضد . اذ نرى التماسك بين الفقرات على أتمه . فكل فقرة ممسكة بأختها . لأن كل فكرة ممهدة لما يليها . ومنها جميعا على هذا التماسك يتألف دستور التربية المتكامل .

لقد بدأت الآيات بخبر الحكمة التى هيا الله لها لقمان . ثم تتابعت المعانى التى تنطوي تحتها . وأولها الشكر لله . ولم تذكر الايمان به سبحانه . لأن المناسبة تقتضي أن الايمان أصل في الفطرة الانسانية لا جدال فيه وانما البحث في متطلباته ومغذياته . ولاشك أن شكر المنعم في مقدمتها لأن الحس البشري لا يقع على شيء إلا وهو من فضله تعالى . فشكر المتفضل إنما هو تعهد للنفس بالاصلاح المستمر والضبط الواعي ضمن حدود الخير .. فاذا ما تمت للقمان هذه الخاصة العليا . خاصة التنبيه الدائم لنعم الله وشكرها . كان أهلاً لدعوة الآخرين الى هذا الخير . وأحق الناس به منه ولده . وأفضل ما يبدأ به تزويده التحذير من الانحراف بفطرة الايمان عن طريقها السديد . لأن الشرك ظلم عظيم .. وهكذا تتابع أجزاء الموعدة في ترابط عجيب لا يغفل شاردة ولا واردة . من الوصية بالوالدين . إلى القدوة الحسنة إلى مراقبة النفس والعمل . الى الجهاد العام للحفاظ على صلاح المجتمع . إلى حسن معاملة الناس وما يصلح للمؤمن العاقل من أدب المعاملة لمن يدعوهم إلى الصلاح ...

هذا من حيث وحدة الموضوع .. فاذا رحنا نتيين الخصائص النفسية لهذا الحكيم الصالح واجهتنا الحكمة ممثلة في طريقته نفسها . فهو يسوق مواعظه في أرق الأساليب وأبلغها وقعا . فيبدأ كل زمرة من تلك الفضائل بذلك الخطاب المؤثر المشحون بالاشفاق : ( يا بني ) .. ثم لا يكتفي بصيغة الأمر والنهي في عرضها . بل يعتمد الى دعمها بالتعليل المنفع فهو ينهاه عن الشرك لأنه ظلم عظيم . ويحذره من التهاون بصغائر الذنوب لأن الله لطيف خبير . وهو يحضه على الاستمسك بالصبر لأن تكاليف الايمان والدعوة من الأعباء التى تتطلب العزائم الضخمة . وهو ينفره من التصغير والمرح لأن الله لا يحب أهلها . وينصح له بالأناة والرصانة لأن الخروج منهما دخول في صفة الحيوان الذي لا يعرف الآداب ... ولكي ندرك روعة

التنسيق في أسلوب هذه الآيات نأخذ الآية السابعة عشرة كمثال من ذلك . انه يدعو ولده الى أربعة أشياء : الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر . وكان ممكنا أن يبدأ بأبي منها . ولكنه أثر البدء بالصلاة وقيدها بالاقامة لتكون أدل على كمالها . ومن ثم لتؤدي وظيفتها كاملة في رفع طاقاته النفسية . فاذا تم له ذلك حَبِبَ اليه الأمر بالمعروف . وقدم ذلك على النهي عن المنكر . لأن دعوة الناس الى مهجور الخير أوقع في قلوبهم من دعوتهم للاقلاع عن مألوف المنكر .. فاذا مرن على ذلك سهل عليه الانتقال الى ما بعده . ولكن هذه أعباء ثقال لا يطيقها إلا أولو العزم من الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ... فلتكن الوصية بالصبر أخيرا . ثم ليأت بيان أهمية ذلك تذييلا شاملا لهذه الأحكام جميعا ( ان ذلك من عزم الأمور ) .

وهكذا نخلص من هذه الدراسة الوجيزة لوصايا لقمان . وقد تبينا ملامح من أهميتها وحاجة الانسان الى تحقيقها في كل زمان ومكان . واستبنا من خلالها شخصية ذلك الحكيم العظيم الذي تعلمنا منه الكثير من أصول الدعوة وطريقة عرض الحقائق بالأسلوب المبشر الذي لا ينفر .. وأخيرا تعرفنا أثناء ذلك بعض الخصائص التي ميز بها الخلاق العظيم أسلوب كتابه الحكيم . فكان بها المعجز الذي لا يبارى . والمعلم الذي لا يجارى . والنور الخالد الذي يهدي للتي هي أقوم .



# تعدد زوجات الرسول ﷺ

للكنور ملك غلام مرتضى  
رئيس قسم الترجمة بالجامعة

- ١ -

قبل أن نتحدث عن الحياة الأسرية للنبي ﷺ ، من الأجدر أن أمهد لهذا البحث فأقول : إن عصرنا الحاضر ، في الحقيقة ، يمثل الصحوة الإسلامية في العالم والبعث الإسلامي الجديد . لقد جرب أهل الغرب نظمهم وعقائدهم وحصلوا على ما حصلوا عليه من نتائج سيئة وخطيرة . والآن يسود العالم شعور عام وإحساس ملح لاختفاق الانسان في هذه النظم الوضعية ، وهو نفسه يشعر أنه قد سئم من هذه النتائج السيئة . لذا فهو يريد الآن أن يتوجه نحو نظام غير وضعي ، نظام ليس من صنع البشر ، نظام إلهي محكم شامل .

ولكن ثمة صعوبة كبيرة تصادف الانسان ، ألا وهي خلو الأديان كلها عدا الإسلام من تصور نظام شامل . والنصرانية تأتي بتصور مذهب شخصي . وهناك نفس المشكلة في اليهودية والأديان الأخرى . ولكن الإسلام يختلف اختلافا جذريا في هذا الشأن فهو يتميز بوجود نظام شامل متكامل للحياة .

وأقبل العلماء والمفكرون على مطالعة الإسلام والتعرف على مبادئه عن كثب ، الأمر الذي أدى إلى اليقظة العلمية والركون إلى الإسلام ، فاعتنق عدد كبير من أهل أوروبا وأمريكا الإسلام مما أزعج اليهود والتبشيريين وكل أعداء الإسلام ازعاجا شديداً .

وإذا أخفق أعداء الإسلام في مقاومته بأساليب علمية لجأوا إلى الحملات المغرضة والمؤامرات الدنيئة ضد هذا الدين ، فمثلا يروجون أباطيلهم وشبهاتهم حول شخصية محمد ﷺ لاسيما بالنسبة لتعدد زوجاته .

ولا تكاد مكتبة من المكتبات المنتشرة في شتى أنحاء أوروبا التي زرتها ، إلا وتضم مؤلفات تتناول أمورا مزعجة في نفس الموضوع .

فقد هاجموا شخصيته ﷺ بأسلوب متصف بالوقاحة وعدم الموضوعية وبيعت مثل هذه الكتب بالملايين ووزع بعضها بأسعار مخفضة بل حتى بالمجان .

وهكذا الوضع في الهند . كان الهندوكيون يطبعون الكتب الدنيئة مثل كتاب « رنكيد رسول » ( الرسول الشهبانى ) الذى ظهر منذ زمن بعيد ومازالوا ينحون هذا المنحى ومع هذا فإن أعداداً كبيرة منهم يشرح الله صدرها للإسلام فيدخلونه أفواجاً .

ولو أننا ضربنا صفحاً عن هذه الكتب المليئة بالكذب والأباطيل فعلينا أن نحلل بأسلوب علمى منهجى يخاطب العقل والمنطق أسباب تعدد الزوجات فى حياة الأنبياء لاسيما أسباب الأحد عشر زيجة خلال حياة محمد ﷺ .

لقد وجه أعداء الإسلام التهمة تلو التهمة الى النبى ﷺ فزعموا أنه كان والعياذ بالله رجلاً شهبانياً وأانياً ومن أهل الدنيا وكان يفتقر الى النقاء الروحى فضلاً عن النبوة والرسالة .

والآن سأركز على أربعة أمور وهى :

١ - هل تعدد الزوجات مختص بالرسول العربى ﷺ أم أن هذه سنة أكثر الأنبياء ؟ وما الذى ورد فى التوراة والنجيل فى هذا الصدد . ؟ وما هو المذكور فى الكتب المقدسة للمذهب الهندوكى عن أكابرهـم بالنسبة لتعدد الزوجات ؟

٢ - ما هى الأسباب وراء تعدد زوجات النبى ﷺ . وما هى الخلفية وراء كل زيجة من زيجاته الأحدى عشرة ؟

٣ - ما الذى يتوقع من شخص آخر غير النبى ﷺ لو كان فى محل الرسول ﷺ ؟ ماذا كان يمكن أن يكون أسلوب حياته فى نفس الظروف والملابسات ؟

٤ - ما هى المصالح العملية وراء تعدد زوجات النبى ﷺ والحكم التعليمية والتشريعية والاجتماعية والسياسية والشخصية ؟

سنة الأنبياء السابقين مما ورد فى التوراة والانجيل :

الذين يعترضون على تعدد زواج الرسول ﷺ أكثر من غيرهم هم المستشرقون من اليهود والنصارى . ومن ثم كان علينا أن ننظر فى أسفار التوراة والأنجيل الحالية لنرى ماذا ورد فى هذين الكتابين عن كبار الأنبياء من بنى اسرائيل فى هذا الصدد .

١ - تعدد زوجات سيدنا ابراهيم عليه السلام :

كان لسيدنا ابراهيم عليه السلام ثلاث زوجات حسبما ورد في التوراة والانجيل :  
أ - السيدة / هاجر ( كتاب الخلق : ١٦ / ٤ ) وهى أم سيدنا اسماعيل عليه السلام .

ب - السيدة / سارة ( الخلق : ١٨ / ١٥ ) وهى أم سيدنا اسحاق عليه السلام .  
ج - السيدة قثورة ( الخلق : ١٠ / ٢٥ ) وكان لها ستة بنين وهذه أسماؤهم :  
زمران ، يقان ، مدان ، مديان ، أسباق ، سنوخ .

٢ - تعدد زوجات سيدنا يعقوب عليه السلام :

كان له أربع زوجات ( الخلق : ٢٩ / ٢٣ - ٢٩ ) وأسماؤهن كما يلى :  
أ - لياه ( الخلق : ٢٩ / ٢٣ ) وهى أم سمون ، لاوى ، يهوده ، أشكار وزبون .  
ب - زلفة : وهى أم ابنين وهما : جد وآثر .  
ج - راخيل : ولها ابنان : سيدنا يوسف عليه السلام وبنيامين .  
د - بلهمة : وهى أم دان « ونفتاى » .

٣ - تعدد زوجات سيدنا موسى عليه السلام :

تزوج سيدنا موسى عليه السلام بأربع نساء ( كتاب الخروج : ٢ / ٣١ ) وأسماؤهن  
كما يلى :

أ - سفورة : وهى أم جيسون والعيزر .  
ب - جبشية .  
ج - بنت قينى ( قاضيون ١ / ١٦ ) .  
د - بنت حباب ( قاضيون ٤ / ١٦ ) .

٤ - تسع زوجات لسيدنا داود عليه السلام :

وقد ورد فى كتاب صيموثيل ( ٢٦ / ٢٣ ) ذكر تسع زوجات لسيدنا داود عليه السلام  
ولا يسعنى أن أذكر أسماؤهن وأسماء أولادهن لضيق المقام .



## ٥ - ألفت امرأة لسيدنا سليمان عليه السلام :

وقد ورد في كتاب سلاطين ١١/٣ أنه كان لسيدنا سليمان عليه السلام سبعمائة زوجة وثلاثمائة أمة . ولم يذكر هذا الأمر في القرآن الكريم .

## ٦ - سنة سيدنا عيسى عليه السلام ومسلكه :

لم يتزوج سيدنا عيسى عليه السلام وكذا صار الزواج عملاً غير مستساغ عند النصرانيين واعتبروا العزوبة منتهى الروحانية .

ولكن مع كل ذلك فقد ورد قول سيدنا عيسى عليه السلام في انجيل متى باب ٢٥ حينما أخبر عن بعثته أنه عليه السلام أخبر عن عشر أبنكار . « تزوجت خمس منهن بعريس واحد وذهبن الى بيتهن ، أما الخمس الأخريات فتخلفن ولم يفتح لهن الباب » .

وهذه الجملة الواحدة تدل بكل وضوح على أن سيدنا عيسى عليه السلام كان يميز تعدد الزوجات . فقد أول بعض القسيسين هذه الجملة قائلين أن المسيح قد تكلم بأسلوب تمثيلي . نعم : ولو كان كذلك : الحق أنه لا يمكن لنبي أن يقول شيئاً بأسلوب تمثيلي عن أمر ما إلا إذا كان ذلك الأمر مرغوباً لديه .

ولهذا السبب كان « ملتن » الشاعر الانجليزي الشهير يقول بتعدد الزوجات . وجدير بالذكر أن نابليون ملك فرنسا قد استدل على ذلك وتزوج ثانية في حضور البابا ولم يعترض البابا وصدقت أوروبا على صحة هذا الزواج . وهناك أحداث كثيرة مماثلة .

## تعدد الزوجات في المذهب الهندوكي :

والآن نتقدم الى ما ورد في المذهب الهندوكي . والمهم أن الهندوكيين لا يوجد لديهم نظام تعدد الزوجات في العصر الحاضر وقد اعترضوا على تعدد زواج الرسول ﷺ لنفس الأسباب السابقة .

وأهم شخصية في المذهب الهندوكي ، هو شري رام جندرجي . انهم يحلون محل الآلهة . ومن المعروف والمعلوم عند كل هندوكي أنه كانت لوالد شري رام جندرجي ( راجه وسرت ، ملك من ملوك الهند ) ثلاث زوجات في آن واحد وأساؤهن كما يلي :

- ١ - ملكة كوشليا وهي أم شري رام جندرجي .
- ٢ - ملكة سمترا وهي أم لجمن جي .
- ٣ - ملكة كيكني وهي أم برت جي .

وقصة المخاصمات بينهن معروفة جداً عند الهندوكيين وهم يمثلون وقائع هذه المخاصمات كل عام في صورة حفلات عظيمة .

وشرى رام جندرجى هو مؤسس المذهب الهندوكى ، وكان له ثمانى عشرة زوجة حسبها ذكر عالمهم الكبير « لاله لا جبت رائى » فى مؤلفه « كرشن جتر » .

وهناك شخصية هامة أخرى وهى الجد الأعلى للهندوكيين لاسيما الباندوكيين واسمه الملك باندو . ومن المعروف أنه كانت له زوجتان واسمها : « بنتى » و« مادرى » ، وكذلك هناك شخصية بارزة من بين مؤسسى الهندوكية وهى الملك شنتن الذى كانت له زوجتان واسمها : « جنجا » و« سيتاوتى » .

وهكذا كانت لسيد بجزايرج زوجتان وأمة .

ولا يسعنى لضيق المكان أن أعرض بالتفصيل تعدد الزوجات عند مؤسسى الهندوكية وكل شخصياتهم البارزة - ولكن أود أن ألتمس من الكتاب الهندوكيين أن يطالعوا كتبهم المقدسة قبل أن يكتبوا كتباً دنيئة مثل « الرسول الشهوانى » ان كان لديهم شىء من الحياء والحجل .

حكمة زواج النبى ﷺ بكل واحدة من أزواجه الطاهرات :

والآن أحاول أن أبين الحكمة وراء كل زيجة من زيجات النبى ﷺ وفقاً للترتيب الزمنى لزواجه ﷺ :

١ - السيدة خديجة رضى الله عنها :

السيدة خديجة هى أولى زوجاته ﷺ وهى أرملة وكان عمرها وقت الزواج أربعين سنة وعمر النبى ﷺ خمسا وعشرين سنة . فعاشا معاً خمس وعشرين سنة بعد زواجهما الى أن توفيت السيدة خديجة وهى فى الخامسة والستين من عمرها بينما كان النبى ﷺ فى الخمسين من عمره . وجدير بالذكر أن النبى ﷺ لم يتزوج أية امرأة أخرى فى حياته .

ومات أبوطالب عم النبى ﷺ فى نفس السنة وسمى هذا العام بعام الحزن . ذلك لأن النبى ﷺ فقد شخصيتين هامتين ألا وهما : السيدة خديجة وأبا طالب اللذين كانا يشدان من أزر النبى ﷺ ويحنوان عليه .

وهكذا صار النبى ﷺ وحيداً لا ناصر له ولا معين من ناحية أسرته .

السيدة سودة رضی الله عنها :

وكانت هذه المرحلة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم مرحلة الشدائد والابتلاء وهو في حاجة ماسة الى من يسكن اليها لذلك فهو يتزوج السيدة سودة البالغ عمرها وقتئذ خمس وخمسون سنة .

وعليكم أيها القراء أن تتبها الى عمر أزواج النبي ﷺ ، ولكي ندرك مدى بطلان الافتراءات التي يثيرها أعداء الإسلام ضد الرسول ﷺ واتهامهم له بالشهوانية والأنانية . علينا أن نتساءل : ماهي الخلفية وراء زيجاته : ما هو عمر أزواجه ؟ ولماذا يتزوجهن ؟

كانت السيدة سودة أرملة سكران بن عمرو وهي من المؤمنات المهاجرات . توفى عنها زوجها بعد الرجوع من الهجرة الثانية الى الحبشة فأصبحت وحيدة لا ناصر لها ولا معين . ولورجعت الى أهلها الكفار لعذبوها ولحاولوا ردها الى الشرك قسراً . وما كان هناك أى شخص يمكن أن يقوم بكفالتها والمحافظة على اسلامها .

فاختار النبي ﷺ كفالة هذه الأرملة الوحيدة الحزينة المسكينة المسنة فتزوجها وفي هذا تشريع الزواج بالأرامل اللاتي ينظر اليهن نظرة سوداء في الملل والأديان الأخرى كالهندوكية . فالرسول ﷺ أرسل للبشر كافة ولم يرسل لأمة بعينها كغيره من الأنبياء ، لذا فسنن زواجه لا يبطال كل ما في الأديان المحرفة والملل الأخرى من خرافات وامتهان للنساء وبخاصة المزدريات منهن في مجتمعاتهن كالأرامل والمطلقات وتشريفهن بزواجه منهن وهو أشرف البشر فيمثل به المؤمنون كافة .

٣ - السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضی الله عنها :

وهي الوحيدة من بين أزواجه الطاهرات التي كانت بكرًا . وكان النبي ﷺ قد قضى على نظام التبني بزواجه السيدة زينب بنت جحش ، فيمكننا القول أنه ﷺ قد قضى على نظام آخر بهذا الزواج وهو نظام التآخي الجاهلي إذ كانت العادة قد جرت عند بعض العرب أن يؤاخي بعضهم بعضاً وكانت هذه المؤاخاة تتساوى مع الأخوة الحقيقية القائمة على صلة الدم ، وكانوا يجرمون على أنفسهم الزواج بابنة أخيهم المزعوم .

فقضى النبي ﷺ على هذه العادة الجاهلية بزواجه بالسيدة عائشة رضی الله عنها وكان عمرها تسع سنوات وقت الزواج وبقيت على قيد الحياة ثمانيا وأربعين سنة بعد وفاة

النبي ﷺ ولعل هذا هو السر وراء هذا الزواج . وظلت تنشر الدين وتبلغه الى النساء والرجال .

ونرى أثر ذلك حتى اليوم كلما ذهبنا الى الروضة في المسجد النبوي الشريف فنجد هناك عموداً ( قائماً ) يسمى « اسطوانة عائشة » . وكان الصحابة يجلسون بقرب هذه الاسطوانة بعد وفاة النبي ﷺ ويستفتونها في الأمور الدينية وكانت السيدة عائشة تفتي وتدرس وتبلغ وهي جالسة في حجرتها التي فيها قبر النبي ﷺ .

وإذا استشكل أبوها سيدنا أبوبكر وغيره من الصحابة الكبار مثل سيدنا عمر الفاروق وسيدنا عثمان بن عفان في أى أمر هام رجعوا الى السيدة عائشة لحل تلك المشكلة .

وقد ذكر العلماء المؤرخون أنه قد انتقل ربع الأحكام الشرعية الى الأمة المسلمة بعد وفاة النبي ﷺ من خلال توجيهات السيدة عائشة وجهودها التي استمرت ٤٨ سنة بعد وفاته ﷺ وظلت تسكن نفس الحجره التي دفن فيها الرسول الى أن توفي سيدنا عمر ودفن بجوار قبر رسول الله ﷺ فانتقلت من تلك الحجره قائلة « اننى أستحي الآن أن أبقى هنا » .

وظلت السيدة عائشة توجه الصحابة في كثير من الأمور العامة وتنبههم الى بعض أخطائهم الفقهية العلمية وهناك الصحابة الكبار أيضاً الذين تنبهوا الى بعض أخطائهم نتيجة لتوجيهاتها فقد ألف العلامة السيوطى رحمه الله رسالة مستقلة في هذا الموضوع وأوضح كيف صححت السيدة عائشة أخطاء الصحابة وذكر تلك الفتاوى في رسالته التي سماها « عين الاصابة فيما استدرسته عائشة على الصحابة » .

وأذكر مثلاً لذلك هو أن سيدنا أبا هريرة أفتى ذات يوم أنه لا يجوز الصوم في حالة الجنابة فراجعته السيدة عائشة والسيدة أم سلمة وأخبراه أنه يجوز وكان النبي ﷺ يغتسل من الجنابة بعد تناول السحور أحيانا .

وقد روى عن أبى موسى الأشعري : « ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه علماً »

( جامع الترمذى )

ويقول الامام الزهري التابعي :

« كانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ » .  
( طبقات ابن سعد ج ٢ ، قسم ٢ ص ٢٦ )

ويقول عروة بن الزبير رضى الله عنهما : « ما رأيت أحدا أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بفقهِ ولا بشعر ولا بطب ولا بحديث العرب ولا نسب من عائشة » .  
( سير الصحابيَّات للشيخ عبد السلام الندوى ص ٤٣ )

وقد روى عن موسى بن طلحة قوله : « ما رأيت أفصح من عائشة » .  
( مستدرک الحاكم ج ٤ ص ٩١ )

والمعروف أنه قد روى عنها ٢٢١٠ حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ وقد اتفق الشيخان على ١٧٤ حديثاً منها وقد انفرد الامام البخارى بتخريج ٥٨ حديثاً كما انفرد الامام المسلم بتخريج ٦٨ حديثاً منها .

٤ - السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما :

وهى أرملة سيدنا خنيس بن حذافة الذى استشهد فى غزوة بدر وفى تلك الأثناء توفيت السيدة رقية زوج عثمان بن عفان وبنت رسول الله ﷺ فعرض سيدنا عمر ابنته على عثمان للزواج كما أخرج البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال فقال عثمان « سأنظر فى أمرى » فلبث لىالى ، ثم قال : « لقد بدا لى أن لا أتزوج » قال عمر لأبى بكر : ان شئت أنكحك حفصة ، فصمت ، فكنت عليه أوجد منى على عثمان ، فلبث لىالى ثم خطبها النبى ﷺ فأنكحها اياه : فلقينى أبوبكر فقال : لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة . فلم أرجع اليك شيئاً ؟ قلت : نعم قال : انه لم يمنعنى أن أرجع اليك الا أننى علمت أن النبى ﷺ ذكرها ، فلم أكن لأفشى سره ، ولو تركها لقبلتها » .

ولا يفوتنا هذا الأمر الهام أن زواجه ﷺ بالسيدة عائشة والسيدة حفصة له أهمية كبيرة من الناحية الاجتماعية لأنه كان سبب ربط قوى بينه وبين سيدنا أبى بكر وسيدنا عمر وهما اللذان قاما بخدمات جليلة للإسلام وضحيا بكل مرتخص وغال فى سبيل الله وحب رسوله .

## ٥ - السيدة زينب بنت خزيمة رضى الله عنها :

وهى أرملة عبيدة بن الحارث رضى الله عنه ، البطل الذى استشهد فى أول المباراة فى غزوة بدر وهى أيضاً من النساء المؤمنات اللاتى ضحين بالنفس والنفيس فى سبيل الله ، وكانت حين استشهد زوجها تقوم بواجبها فى اسعاف الجرحى وصبرت على استشهاده زوجها ولم تتخل عن واجبها حتى بعد وفاة زوجها الى أن جاء النصر وهزم المشركون وكانت تناهز الستين من عمرها ، ولم يكن هناك من يعولها فكانت بحاجة ماسة إلى الرعاية .

فلما علم الرسول ﷺ بحالتها وصبرها وجهادها واخلاصها خطبها لنفسه وكان عمره ﷺ آنذاك يناهز الخامسة والخمسين وظلت السيدة زينب بنت خزيمة على قيد الحياة بعد زواجها من النبي ﷺ عامين اثنين ثم انتقلت الى رحمة الله رضى الله عليها ورضت عنه تعالى .

فلما رأى هؤلاء الأفاكين المغرضين الذين يتقولون على الرسول (ﷺ) ويتهمونه بالشهوانية والأنانية فى هذا الزواج الشريف الذى لا يهدف إلا إلى غاية نبيلة كريمة والذى يعبر عن المروءة والشهامة التى كان يتحلى بها الرسول الكريم (ﷺ) .

## ٦ - السيدة أم سلمة هند المخزومية رضى الله عنها :

وهى أرملة عبد الله بن عبد الأسد من الأولين السابقين الى الإسلام . كان قد هاجر الى الحبشة ومعه زوجته السيدة أم سلمة التى خرجت فراراً بدينها . واستشهد زوجها البطل فى غزوة أحد مخلقاً لها أيتامها الأربعة : ابنان صغيران وبتتان صغيرتان وكانوا بلا كفيل ولا معين . وكان عمر السيدة أم سلمة حينئذ بين خمس وخمسين وستين سنة .

فقدّر النبي ﷺ ظروفها الصعبة وحاجة العائلة الى من يكفلها ويرعاها فخطبها ولكنها اعتذرت فى بداية الأمر وقالت : انى مسنة . وانى أم أيتام ، وانى شديدة الغيرة . فرد عليها النبي ﷺ وأرسل لها يقول بما معناه : أنا لأعبا بالسن ، أما الأيتام فأضمهم الى ، وانى أدعو الله سبحانه أن يذهب عن قلبك الغيرة .

واستجاب الله لدعاء النبي فذهبت عن قلبها الغيرة ووافقت على الزواج فتزوجها عليه السلام وتربى أيتامها تربية حسنة وأحبهم عليه الصلاة والسلام حباً أكثر مما أحبهم أبوهم .

هذه هى السيدة أم سلمة التى صححت خطأ أبى هريرة وأفتت مع السيدة عائشة أن الصوم يجوز فى حالة الجنابة .

## ٧ - السيدة زينب بنت جحش :

هى ابنة عم رسول الله ﷺ وأخت عبد الله بن جحش البطل الذى استشهد فى غزوة أحد .

كان قد زوجها الرسول ﷺ بزید بن حارثة متبناه وكان يعرف بزید بن محمد ولكنها رأت أنها أشرف من زید بسبب حسبها ونسبها وأن زیداً كان عبداً مملوكاً قبل أن يتبناه الرسول ﷺ . وهكذا ساءت العلاقات بينهما وكما ورد فى بعض الروايات أنها كانت تغلظ له فى القول . فشكا زید الى الرسول ﷺ وأراد أن يطلقها ولكن رسول الله ﷺ منعه من الطلاق ونصحه قائلاً : « أمسك عليك زوجك » ولكن ظل الخلاف بينهما يزداد حتى طلقها زید . فى تلك الآونة أراد الله سبحانه وتعالى أن يقضى الرسول ﷺ على نظام التبني الذى كان سائداً منذ أيام الجاهلية . وتحت هذا النظام كان العربى يتبنى ولد غيره فيقول له : « أنت ابني ، أرتك وترثني » .

وكان يصبح هذا الولد بمثابة ابنه الحقيقى فى الأمور كلها حتى فيما يتصل بتحريم علاقة الزواج وما كان لله سبحانه أن يبيحهم ويقرهم على مثل تلك العادات التى كانت سائدة فى الجاهلية كنظام التبني . فأبطل الله سبحانه وتعالى هذا النظام كما ورد فى صحيح البخارى وصحيح مسلم .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال :

« ان زید بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه الا زید بن محمد ، حتى نزل القرآن ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ فقال النبى ﷺ : « أنت زید بن حارثة بن شرحبيل » .

وبعد أن طلق زید زينب ، أمر الله سبحانه رسوله أن يتزوجها لابطال نظام التبني ابطلاً كاملاً .

ويشهد القرآن الكريم أن النبى ﷺ كان يخشى من ألسنة الناس أن يقولوا : تزوج محمد امرأة ابنه فقد جاء فى القرآن الكريم ﴿ وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زید منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً ، وكان أمر الله مفعولاً ﴾ [ سورة الأحزاب ] .

ومع هذا الحكم القطعى نزلت آية أخرى تبين بوضوح أنه لن يأتى نبى بعد محمد ﷺ

وهى :

﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً ﴾

وعلينا أن نتأمل الآن بهدوء :

أنه ليس هناك نبي بعد محمد ﷺ ومحمد ﷺ يخشى من السنة الناس إذا تزوج امرأة متبناه لأنه أمر خطير جداً ، فلا قدر الله ان لم يتمكن محمد ﷺ وهو آخر الأنبياء من ابطال نظام التبني والقضاء عليه فمن ذا الذي يأتي بعده للقضاء على هذه البدعة؟ .

إذا خشى النبي ﷺ والعياذ بالله من السنة الناس وترك هذا الأمر وأخفق في القضاء على هذا النظام فكيف يتسنى لآخر أن يكون أجراً وأشجع من النبي ﷺ؟ هذه نقطة على جانب كبير من الأهمية وعلينا أن نفهم هذا الوضع جيداً .

وقد ورد نص صريح في القرآن الكريم « زوجناكها » وهم يحتتم عليه ﷺ أن يتزوج من مطلقة متبناه زيد والحكمة من وراء ذلك هو القضاء على هذه البدعة ، بدعة التبني وكان لابد للنبي ﷺ أن يرسم المنهاج أمام المؤمنين ، لأنه ان لم يفعل بنفسه فمن ذا الذي يستطيعه غيره؟ لاسيما أنه لن يجيء بعد الرسول الخاتم ، نبي آخر .

كانت هذه هي الظروف والملابسات وراء هذا الزواج وحكمته التشريعية الكبرى . أما ما يردده الأفاكون المغرضون فعلينا أن نقف عليه أيضاً قليلاً كي ندرك مدى افتراءهم وحقدهم على النبي ﷺ .

ان أعداء الإسلام قد استغلوا بعض الروايات المذكورة في بعض كتب التفسير وفي الحقيقة ، ليس هناك أى سند لهذه الروايات من ناحية العقل والرواية وهي مستحيلة من ناحية العقل والدراية .

انهم يزعمون أن النبي ﷺ مربييت زيد ذات يوم وهو غائب ، فرأى زينب فوقع في قلبه فأحبها ، فقال : « سبحان مقلب القلوب » سمعت زينب ذلك فأخبرت زوجها بما سمعت من الرسول ﷺ فلما علم زيد أن زينب وقعت في نفس رسول الله ﷺ أتاه يريد طلاقها فقال له الرسول ﷺ : « أمسك عليك زوجك » وفي قلبه غير ذلك ، فطلقها زيد كي يتزوج بها الرسول ﷺ .

وجدير بالذكر أن الذى يروج لهذا الافتراء لا يذكر عامداً متعمداً أمرين هامين في هذه القضية وهما :

١ - أن زينب بنت جحش رضى الله عنها هي ابنة عم رسول الله ﷺ وقد ظلت تسكن مع الرسول ﷺ منذ طفولتها حتى وقت زواجها بزيد ولم يكن هناك حينئذ حجاب .



٢ - أن النبي ﷺ زوجها يزيد على الرغم مما تتمتع به من حسب ونسب .

والآن لنسأل الضالين المضلين الذين يروجون لهذا البهتان : هل من الممكن لامرأة نشأت وترعرعت مع النبي ﷺ حتى بلغت مبلغ النساء ألا تقع في قلبه وهي بكر فإذا ما صارت ثيباً ومتزوجة بشاب آخر صادفت هوى في نفسه ؟  
ألم يكن من الممكن للنبي ﷺ أن يتزوجها وهي لم تنزل بعد في دار معه ؟ لماذا أجبرها على الزواج بمتبناه اذا كان يحبها ؟ هل كان ثمة ما يحول دون ذلك ؟ .

يفترض الأفاكون أن النبي ﷺ رآها أول مرة في بيت زيد فوقعت في قلبه - ان هذا هو الافتراء بعينه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



إن من أهم مآثر الإسلام ، تلك المآثر التي تميزه عن سائر النظم المطلقة ، وهي التوفيق التام بين الناحية الخلقية والناحية المادية من الإنسانية ... وهذا سبب من الأسباب التي عملت على ظفر الإسلام اينما حل ، لقد أتى الإسلام بالرسالة الجديدة التي لا تجعل احتكار الدنيا شرطاً للنجاة في الآخرة ... هذه الخاصية الظاهرة في الإسلام تجلوا الحقيقة الدالة على أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان شديد الاهتمام بالحياة الإنسانية ، في المظهر الروحي والمظهر المادى ...  
( ليوبولد فابس )

# الرَّسَائِلُ الحَرْبِيَّةُ فِي عَصْرِ الدَّوْلَةِ الأيوبيَّةِ للدكتور محمد نفس

٣ - أستاذ مساعد بكلية الشريعة بالجامعة

رسائل بشأن حصنى الكرك والشوبك في عهد الملك العزيز :  
وكما كتب القاضى الفاضل عن الكرك والشوبك في عهد السلطان صلاح الدين  
فكذلك نراه يكتب في عهد الملك العزيز ثلاث رسائل ، الأولى عن الكرك والثانية عن الشوبك  
، والثالثة يرسلها عن طريق أحد العاملين في الديوان .  
فأما الأولى فيستهلها بدعاء طويل يستغرق نصف الرسالة تقريبا ، ثم يذف إليه بشرى  
دنو النصر . وينتقل بعدها إلى الغرض من الرسالة ، وهو وصف المعركة الحربية .  
فالمنجنيقات تهدم الأبراج المشيدة ، وتدمر الأسوار الغليظة ، التى يشبهها بالسكارى في  
انهيارها ، فقد أعطتها المنجنيقات بكفها الخمر التى فيها هلاكها ، فلم تبق الحجارة الطائرة  
من هذه المنجنيقات حجارة قائمة في هذا الحصن ، فقد انهدمت قواعده وأركانها .  
ثم يصف السبب الذى من أجله فتح الحصن فيقول : ولولا الخندق الذى ... هو واد من  
الأودية واسع عميق ، لما تعذر الزحف إليهم والهجوم عليهم ، ونرجو من الله الكريم ، تسهيل  
هذا الحصن العظيم ، وفتحه إنه جواد كريم (١) .  
وأما رسالة الشوبك ، فالظاهر أنها قد تلت رسالة الكرك ، إذ أنها تعد مكملة لها ،  
ولذا لم تستهل بالدعاء كسالفها ، واستفتحت هكذا : « قد صدرت هذه المكاتبه إلى الحضرة ،  
دالة على ما نحن فيه من نعم الله تعالى مغتبطون ، وإنا بحمد الله مستظهرون ، وبنصره  
مستبشرون ، ولآلائه حامدون ، ولأعدائه مجاهدون ، فأعمالنا لله بنيات خالصة ، وعزائمنا في  
سبيله مقدمه غير ناكسة » (٢) .  
ثم يعود ثانية إلى وصف الحصن الذى يحاصرونه ، فقد هدموه وقتلوا الكثير ممن فيه ،  
إلا أنه يبقى أمامهم عملية ردم الخندق ، الذى كانوا يلجأون إليه وتسويته بالأرض ، حتى  
يمكن الأخذ من العدو بالمخنق .

(١) من ترسل القاضى الفاضل اللوحة ٣٤ .

(٢) ناكسة : محجمة . يقال نكص على عقبه أى رجع .

ويختتم الرسالة بتصوير نهائى للموقف من القتال ، فيقول : « فإن أبطأ العدو عن النجدة فالنصر سريع ، والحصن ومن فيه صريع ، والقلوب وارقة بحصول النجاح ، وقد علم كل منا أن متجره قد فاز بالربح ، فما يسمع منا بحمد الله ملل ولا ضجر ، ولا تسفر هذه النوبة إلا عن نجاح وظفر (١) .

يبداً القاضى الفاضل رسالته الثالثة بمقدمة قصيرة ، وهى : أدام الله أيام المجلس ، ولازالت مناقبه لزهرة السماء مخجلة ، ومكارمه فى درجات المحامد متوغلة ، وفواضله على أوليائه مفضلة ، وسطواته بأعدائه منكلة (٢) .

ثم يصف عمل المجانيق فى الحصن فى أسلوب من الجناس هكذا : « هدمت وهدت ، وشدخت وسدت ، ورضخت ورضت ، وقوضت وأفضت ، وقدحت وفدحت ، ومحقت ومحت (٣) .

ويضيف وصفاً تفصيلياً لما أصاب الأعداء فى أثناء تهمد الحصن ، إذ يقول : « قد جمعت الحجارة فى الإسقاط بين رؤوس الأبراج ، ورؤوس الأعلاج ، فرمت الشرار فى الواقفين عليها لحمايتها ، وأرت الفرنج باهتدائها إلى إرادتها غاية غوايتها ، فما أخرج أحد منهم رأساً إلا دخل فى عينه نصل ، وما هجر قراب الإسلام سيف إلا وله مع رقاب الكفر عند قطعها وصل ، وما على الحجر فى الإسراف والتبذير حجر ، والكل ليله من نفع الحوافر من سناء الأسنة فجر ، ولقد اخذنا من القوم بالمخنق ، وشرعنا فى طم الخندق (٤) .

والنصر أشهر من نار على علم والحرب أقوم من ساق على قدم والقلعة سماء تمطر بحجارتها ، وترمى شياطينها رجوم قوارير (٥) النفط بشرارها (٦) .

لم ترد الرسائل السالفة فى المصادر التاريخية التى بين أيدينا ، ولذا لم نستطع تحديد تاريخ حدوثها ، كما أن القاضى الفاضل لم يشر إلى تواريخها كما يفعل فى بعض رسائله من هذا النوع .

(١) من ترسل القاضى الفاضل اللوحة ٣٥ .

(٢-٣) نفس المرجع السابق .

(٤) طم الخندق : ردمه وتسويته بالأرض .

(٥) القوارير : الأوعية .

(٦) من ترسل القاضى الفاضل اللوحة ٣٥ .

ونلاحظ أن مقدمات الرسائل تختلف من حيث الطول والقصر طبقاً للمناسبة التي ترد فيها ، فالقاضي الفاضل يطيل الدعاء في رسالته الأولى بينما لا يذكره في الثانية ، وفي الثالثة يأتي به كلمات مقتضبة .

والرسائل الثلاث تكمل بعضها حتى تكاد تكون رسالة واحدة ذات هدف واحد ، وتتسم رسائل التهئة في عهد الملك العزيز بقوة العبارة ، واستخدام المحسنات البديعية ، وعلى قمتها الجناس والاستعارة والسجع ، كما أن الألفاظ منتقاة ، فيها جزالة وفخامة تناسب موقف النصر وجو المعارك الحربية ، وهي لا تختلف عن الرسائل التي كتبت للتهئة في عهد السلطان صلاح الدين ، فالكاتب واحد والأسلوب لم يتغير .

كتاب المعظم توران شاه إلى جمال الدين يغمور نائب الشام بعد هزيمة الفرنج لدي المنصور سنة ٦٨٤ هـ : ١٢٥١ م :

جاء في هذا الكتاب : « الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » (١) « وما النصر إلا من عند الله » . « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » (٣) . « وأما بنعمة ربك فحدث » (٤) . « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (٥) .  
نشر المجلس السامى الجمالى ، بل نبشر الإسلام كافة ، بما من الله به على المسلمين ، من الظفر بعدو الدين ، فإنه كان قد استفحل أمره ، واستحكم شره ، ويئس العباد من البلاد ، والأهل والأولاد ، فنودوا : « لا تئسوا من روح الله ، إنه لا يبأس من روح الله إلا القوم الكافرون » (٦) .

ولما كان يوم الأربعاء مستهل السنة المباركة ، تم الله على الإسلام بركتها ، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال ، وفرقنا السلاح ، وجمعنا العربان والمطوعة ، واجتمع خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى ، فجاءوا من كل فج عميق ، ومن كل مكان بعيد سحيق .  
ولما رأى العدو ذلك أرسل يطلب الصلح على ما وقع عليه الاتفاق بينهم وبين الملك العادل أبى بكر ، فأبيناه ، ولما كان في الليل تركوا خيامهم وأثقالهم وأموالهم ، وقصدوا دمياط

(١) سورة فاطر : آية ٣٤

(٢) سورة الأنفال : آية ١٠

(٣) سورة الروم : آية ٤ ، ٥

(٤) سورة الضحى : آية ١١

(٥) سورة إبراهيم : آية ٣٤

(٦) سورة يوسف : آية ٨٧

هاربين ، فسرنا في آثارهم طالبين ، ومازال السيف يعمل فيهم عامة الليل ، ويدخل فيهم الخزي والعار .

فلما أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا ، غير من ألقى نفسه في اللجج . وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج ، والتجأ الفرنسيين إلى المنية ، وطلب الأمان فأمناه ، وأخذناه ، وأكرمناه ، وتسلمنا دمياط بعونه وقوته وجلاله وعظمته (١) .

هذا الكتاب هو آخر كتب التهئة التي بين أيدينا عن العصر الأيوبي، والظاهر أنه كتب بقلم الملك المعظم ، ولم يلتزم فيه السجع ولا المحسنات البديعية ، ولكنه اقتبس من القرآن الكريم في افتتاح كتابه ، حيث ذكر خمس آيات متتاليات ، وكذلك ذكر آية سادسة في ثنايا كتابه ، وتمتاز هذه الرسالة بأنها تسرد الوقائع في أسلوب تاريخي ، الغرض الأول منه هو إثبات الحقائق في سهولة ويسر .

كتب الاستغاثة :

كتب السلطان صلاح الدين إلى الخليفة الموحدى بالمغرب :

أرسل السلطان صلاح الدين إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، الخليفة الموحدى بالمغرب ، ثلاث رسائل المقصود منها جميعها ، إستنجاد صلاح الدين بجيوش الخليفة في الحرب ضد الصليبيين ، وفي أثناء قتاله معهم حول عكا .

إثنتان من هذه الرسائل بقلم القاضى الفاضل ، الأولى منها سنة ست وثمانين وخمسائة . ( ١١٩١ م ) ، ثم أرسل الرسالة الثالثة في نفس السنة ، ولكن هذه المرة لم تكن برأى القاضى الفاضل مما جعله يحرق رسالة إلى السلطان صلاح الدين بشأنها ، ويبين ما لا يرتضيه فيها .

ويعقب هذه الرسائل رسالة بقلم القاضى الفاضل ، مرسله من السلطان صلاح الدين إلى شمس الدولة بن منقذ ، سفيره إلى الخليفة الموحدى بالمغرب ينهى إليه أخبار القتال حول عكا .

(١) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٦ ، ٣٦٧ .

## الرسالة الأولى :

يبدأ القاضى الفاضل الرسالة بالدعاء للخليفة الموحدى ، وينعته بسيدنا أمير المؤمنين ،  
وسيد العالمين ، وقسيم الدنيا والدين .

ثم يبين السلطان صلاح الدين غرضه منها ، وهو أن يشترك الخليفة الموحدى معه في  
الجهاد ، ويفتخر بأمجاده في تطهير الأرضين المصرية واليمنية من الضلالة وكذلك تطهيره بيت  
المقدس من الصليبيين الذين كانوا يحتلونه ، ويدنسون أرضه .  
فهناك غلب الشرك ، وانقلب صاغرا ، واستجاش كافر من أهله كافرا ، واستغضب  
أنفاره النافرة ، واستصرخ نصرانته المتناصرة (١) .

فهم يجودون بأنفسهم وأولادهم ، ويمدون الحملة الصليبية بأموالهم ، كل خرج  
متطوعا ، وأهطع مسرعا ، وأتى متبرعا ، ودعا نفسه قبل أن يستدعى ، وسعى إلى حتفها قبل  
أن يستسعى ، حتى ظننا أن في البحر طريقا يبسا ، وحتى تيقنا أن ما وراء البحر قد خلا  
وعسا (٢) .

وهنا يهجم عليهم جيش السلطان صلاح الدين ويفتك بهم ، ويضطرهم إلى اللجوء إلى  
الخنادق ، وإلى نصب الستائر ، ولكنه كل ما قتل منهم مائة ، وصلت النجدة بألف .  
ثم يصف السلطان صلاح الدين خوفه من تكاثر الإمدادات لهم من البلاد الغربية ،  
فيقول : « لا يؤمن على ثغور المسلمين أن يتطرق العدو إليهم وإليها ، ويفرغ لها ويتسلط عليها  
والله من ورائهم محيط .

وإذا قسمت القوة على تلقى القادم وتوقى المقيم ، فربما أضر بالإسلام انقسامها ، وثلمه  
والعياذ بالله انثلامها » (٣) .

وهو يمجّد قوة المغرب البحرية ، فمن ذلك قوله : « فلو بزقت فيهم بازقة غربية  
لأغرقهم طوفانها ، ولو طلعت عليهم جارية بحرية ، لنعقت فيهم بالشتات غربانها (٤) .  
وفي نهاية هذه الرسالة يمجّد السلطان صلاح الدين الخليفة المغربى ، ويستثير العاطفة  
الدينية فيه ، ويعقد مقارنة بين أسطول المسلمين وأسطول الصليبيين ، وهو يخشى أن ينتصر  
الكفر على الإسلام ، ويدعو الله أن ينصر المسلمين بما يمددهم الخليفة المغربى من أسطوله  
البحرى ، ومدده العسكرى .

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٦ ص ٥٢٦ .

(٢) نفس المرجع ص ٥٢٧ .

(٣) انثلامها : انكسارها « القاموس المحيط » .

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٦ ص ٥٢٦ ، ٥٣٠ .

## الرسالة الثانية :

يكرر القول فيها عن أمجاده السالفة الذكر ، ولكن ببعض الإسهاب من أول وصوله إلى مصر ، واقامة الجمعة وعقد الجماعة فيها ، وغزواته في مصر ، التي كانت مقدمة لملك الشام الإسلامى باجتماع الكلمة عليه ، ومقدمة لملك الشام الفرنجى باتقياد المسلمين له ، واتفاق الملوك المجاورين على طاعته ، وكذلك تفصيل غزواته ضد الفرنج وكسره الكسرة الكبرى في بيت المقدس ، إلى غير ذلك من أخذ الثغور ، وافتتاح البلاد ، واثخان القتل فيهم والأسر لهم . ثم يصف خروج النجدات الصليبية في كثرتها وقوتها ومنعتها ، وغناها ومسارعتها ومبادرتها ، وأنه لا يمضى يوم إلا مع قوة تتجدد ، وميرة تصل ، وأموال واسعة تخرج ، ومعونات كثيرة تحمل .

ويشير إلى أنهم حفروا خندقا حول معسكرهم من البحر إلى البحر ، وأداروا حولهم ومن وراء الخندق سورا مستورا بالستائر ، ورتبوا على أبواب هذا السور جماعات مزودة بأدوات الحصار التي أخرجوها من مراكبهم (١) .

وأنهم اغتنموا أوقاتا لم تكن العساكر فيها مجموعة وارتادوا ساعات لم تكن الأهْب فيها مأخوذة (٢) ، فقد انتقل معظم الجيش الصلاحي إلى الخروبة في ٣ رمضان سنة ٥٨٥ هـ = ١٥ أكتوبر ١١٨٩ م بقصد إعادة ترتيب الجيش وتنظيمه وتقويته ، أو لحلول رمضان شهر الصيام ، أو لمجىء الشتاء بأمطاره وبرده ، أو لغيبة الملك العادل بعساكره المصرية ، أو للحمى التي أصابت السلطان صلاح الدين (٣) .

ثم يحكى للخليفة الموحدى أن أمر العدو قد تطاول ، وأن خطبه قد تمادى لوصول النجدات المستمرة إليه ، ومنها الحملة التي وفد على رأسها ملك الألمان في حشود كبيرة وأموال كثيرة .

وبعدها يبين له حاجته إليه في تطويق العدو والقضاء عليه فيقول : « إن هذا العدو لو أرسل الله عليه أسطولا قويا مستعدا يقطع بحره ، ويمنع ملكه لأخذنا العدو إما بالجوع والحصر ، أو برز فأخذناه بيد الله تعالى التي بها النصر » (٤) .

والسلطان صلاح الدين يطلب منه المساعدة إما بالرجال أو بالمال إذا تعذرت المساعدة بالأسطول فيقول : « وإن كانت دون الأسطول موانع : إما من قلة عدة ، أو من شغل هناك

(١) العماد الأصفهاني : الفيح القسى في الفتح القدسى ص ١٧٩ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ١٧٠ .

(٣) العماد الأصفهاني : الفيح القسى في الفتح القدسى ص ١٧٩ .

(٤) أبو شامة : الروضتين : ج ٢ ص ١٧١ .

بمهمة ، أو بمباشرة عدو ، ما تحصن منه العورة أو قد لاحت منه الفرصة ، فالمعونة ما طريقها واحدة ، ولا سبيلها مسدودة ، ولا أنواعها ، محصورة تكون تارة بالرجال وتارة بالمال (١) .  
ويلى ذلك تمجيد للخليفة الموحدى ، ويستثير فيه حمية الإسلام ، ويعقد مقارنة بين الكفار في حربهم لنصرة الكفر ، والمسلمين في حربهم لنصرة الإسلام ، وأن أهل الجنة أولى بقتال أهل النار ، وأنه يطلب نجدة مغربية بحرية ، لما للمغاربة في البحر من قوة ضاربة .

وتختلف الرسالة الثانية عن الأولى في أن السلطان صلاح الدين يريد أن يزيل أسباب التوتر في العلاقات بين المغاربة والدولة الصلاحية ، وهو يوصى رسوله بأن يشرح للخليفة الموحدى براءة الدولة الصلاحية مما نسب إليها ، وقد سبق الإشارة إليه في الكلام عن الوصايا .

### الرسالة الثالثة :

جاء فيها بعد التحية التى زاد فيها السلطان صلاح الدين وأفاض ، تحديد ما فتحه من بلاد الشام ، كما حدد الباقي منها في يد الصليبيين وهى : ثغر طرابلس ، وصور ، ومدينة انطاكية ، وهو يرجو الله أن يفك أسرها .  
ثم يشير إلى النجدة التى لبت صرخة الصليبيين في الشام ، فأخرت فتح بقية البلاد التى في أيديهم ، ويذكر مجيء ملك الألمان اليهم في البر والبحر بأعداد مهولة .  
ويقول : إن عدة الأعداء مائة ألف أو يزيدون ، وأنه حاربهم بأصدق عزيمة ، حتى أصبحوا لا يستطيعون قتال الثغر ، لأنهم محصورون أشد الحصر ، غير أنهم خندقوا أو سوروا .  
وخرج ملك الألمان قاصدا الشام ، فبعث إليه صلاح الدين من يلقاه ، ويضطره إلى تغيير مساره ، سالكا مسلكا وعرا ، فأدركه الموت غرقا ، وبقي له ولد هو الآن المقدم والمؤخر ، وقائد الجمع المكسر ، فيعود إلى عكا في البحر تهيأ أن يسلك البر .  
وقبل أن ينهى صلاح الدين رسالته يقول : « كان المتوقع من تلك الدولة العالمية ، والعزيمة الفادية ، مع القدرة الوافية ، والهمة المهدية الهادية ، أن يمد غرب الإسلام المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين فيملأها عليهم جوارى كالأعلام ، ومدنا في اللجج سوائر كأنها الليالى مقلعة بالأيام ، تطلع علينا معشر الإسلام آمالا ، وتطلع على الكفار آجالا .

(١) نفس المرجع السابق .



وكان سفير السلطان صلاح الدين ، أو الممثل الشخصي له على حد قولنا الآن إلى ملك المغرب ، هو الأمير أبو العزم عبد الرحمن بن منقذ ، وقد وردت في الرسالة كلمة تشيد بمكانته ، وعلو منزلته ، مما سبق الإشارة إليه في الوصايا ، وصحبت هذه الرسالة هدية ، وفصلت محتوياتها (١) .

وتختم هذه الرسالة بخاتمة طويلة لم نعهد مثلها فيما قبل سواء في المكاتبات المرسلة إلى الخليفة العباسي أو الخليفة المغربي ، ونصها : « والسلام الصادر عن القلب السليم ، والود الصميم ، والعهد الكريم ، على حضرة الكرم العلية ، وشدة السيادة الجليلة ، سلام مودة ما وفد الغرب قبلها مثلها ، ورسالة ما خطرت إلى أن نفذت وراءها المحبة رسلها ، وليصل السلام ورحمة الله وبركاته ، ورضوانه وتحياته ، إن شاء الله تعالى (٢) .

### رسالة إلى سفير السلطان صلاح الدين في المغرب :

أرسل القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين إلى شمس الدين ابن منقذ في المغرب ينهى إليه أخبار القتال حول عكا .

فيخبره أن عدة من قتل على عكا من الفرنج تجاوز الخمسين ألفا ، وأن ملكي فرنسا وانجلترا وملوكا آخرين أسرعوا لنجدة الصليبيين في قوة هائلة ، فيها سفن الواحدة كأنها مدينة وفيها الخيول والخيالة .

ويصور له ثبات المقاتلين المسلمين أمام هذه الجيوش الكبيرة فيقول : « فما وهنَّا لما أصابنا في سبيل الله وما ضعفنا ، ولا رجعنا وراءنا ولا انصرفنا ، بل نحن بمكاننا ننتظر أن يبرزوا فنبارزهم ، ويخرجوا فنناجزهم ، وينشروا فنطويهم ، وينبثوا فنزويهم ، وأقمنا على طرفهم ، وخيمنا على مخنقهم ، وأخذنا بأطراف خندقهم (٣) » ولكنه يريد منه أن يبلغ المغاربة أن الجيوش العربية في المشرق العربي في حاجة إلى نجدتهم ، حتى يقفوا في مواجهة هذه الدول المجتمعة على حربهم ، الراغبة في الاستيلاء على بلادهم .

ثم يقول في نهاية رسالته : « والأمير يبلغ ما بلغه من خطب الإسلام وخطوبه ، ويقوم في البلاغ يوم الجمعة مقام خطيبه » (٤) .

(١) أبو شامة ، الروضتين ج ٢ ص ١٧١ ، ١٧٣ .

(٢) أبو شامة ، الروضتين ج ٢ ص ١٧٣ .

(٣) أبو شامة ، الروضتين ج ٢ ص ١٨٨ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ١٨٩ .

وهذه العبارة تدل على أن الدولة الأيوبية كانت تتبع أسلوب الاذاعة لقضاياها ليس في داخل البلاد فحسب ، بل على المستوى الخارجى ، وذلك بغرض الحصول على تأييد مآدى ومعنوى من الشعوب الأخرى ، وعلى الصعيد الشعبى فى خطبة يوم الجمعة .

### رسالة إلى الخليفة العباسى بشأن ملك الألمان :

يبدأ القاضى الفاضل الرسالة بالدعاء كعادته ، وهو دعاء قصير ، جاء فى نهايته « ولا زالت رايته السوداء بيضاء الخبر ، محمرة المخبر فى العداة ، مسودة الأثر » (١) . والراية السوداء كما نعرف كانت شعار الخلافة العباسية ، وهو هنا يطابق بين هذه الكلمة وكلمة بيضاء ، ويكنى فى العبارة التالية عن الانتصار على الأعداء .

وينتقل إلى وصف كتاب الخليفة فيشبهه بالقرآن الكريم ، وأن السلطان يتقبله بالخشوع ، ويتلوه على أعوانه مسترهفا به لعزائمهم ، مستجزلا به لمغانمهم ، فهو بمثابة النور لهم يهديهم يوم نزال عدوهم ، ويشبه تأثيره بثلاث جمل مترادفة تؤدى معنى واحداً ، فأثر الكتاب فيهم ، كالاقتداح فى الزند ، وكالانجاس من الصلد ، وكالاستلال من الغمد (٢) . ويعود إلى التشبيه ثانية فيقول : « وكأنما أعطوا كتابا من الدهر بالأمان ، أو سمعوا مناديا ينادى للإيمان » (٣) . ثم يتبع ذلك بعدة استعارات وكنائيات مترادفة يبين فيها مدانة أتباع السلطان فى الجهاد فى سبيل الله ورسوله وخليفته العباسى وفى آخر هذا الوصف يقول : « وإذا رموا فأصابوا ، قالوا : ولكن الله رمى » (٤) . محللا بذلك لآية من القرآن الكريم .

ثم هو يشكو للخليفة على لسان السلطان صلاح الدين من طول المدة والكلف الثقيلة التى يتكبدونها فى قتالهم الشرس المرير ، ويكنى عن ذلك بهذه العبارات : « فالبرك قد أفضوه ، والسلاح قد أخفوه ، والدرهم قد أفنوه » (٥) . ويستنجد بالخليفة فيقول : « والخادم يناشد الله المناشدة النبوية فى الصيحة البدرية ، اللهم ان تهلك هذه العصاة ، ويخلص الدعاء ، ويرجو على يد أمير المؤمنين الإجابة » (٦) .

( ١ ) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٧ .

( ٢ ) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٧ .

( ٣ ) نفس المرجع السابق .

( ٤ ) نفس المرجع السابق .

( ٥ ) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٨ .

( ٦ ) نفس المرجع السابق .

ونرى القاضى الفاضل يحل حديثا نبويا ، ليزيد عبارته حسنا في الاداء ، وجمالا في تأدية المطلوب ، بعقد مقارنة لطيفة بين دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ، ودعاء السلطان صلاح الدين .

ثم يصف الكاتب موقف المسلمين تجاه هذا الحشد الجامع فيقول : « هذا والساحل قد تماسك ، وما تهالك ، وتجلد ، وما تبدل ، وشجعته مواعد النجدة الخارجية ، وأسلته عن مصارع العدة الدارجة ، فكيف به اذا خرج داعية الألمان ، وملوك الصليبان ، وجموع ما وراء البحر ، وحشود أجناس الكفر ؟ » وقد حرم باباهم - لعنة الله عليهم وعليه - كل مباح ، واستخرج منهم كل مذخور ، وأغلق دونهم الكنائس ، ولبس وأبسهم الحداد ، وحكم عليهم أن لا يزالوا كذلك أو يستخلصوا المقبرة ، ويعيدوا القمامة أو « وإذ زين الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم » (١) .

ويستمر القاضى الفاضل في استخدام الكناية عن ثبات أتباعه ، ثم يعرج على وصف خروج ملك الألمان وملوك الصليبان ومن تبعهم ، وجمعهم الأموال الجمة في مظاهرة صليبية ذات صبغة دينية ، وهنا يقتبس القاضى الفاضل آية من القرآن الكريم ينهى بها هذه الفقرة ، وهى تدل على حسن الاختيار .

ويعقب بالدعاء على ملك الألمان بأن يخذله الله ، وأن ينصر المسلمين وما النصر إلا من عند الله ، وأن لا يكشف عجزهم أمام عدوهم اللعين .

وازاء هذا الموقف يعود القاضى الفاضل ثانية ليسهب فيه ، فهذه الحملة الصليبية جاءت طامعة في حشود كثيرة ، مما يستفرغ عزائم المسلمين ، ويستنفذ خزائنها ، وأن من واجب الخليفة بصفته الدينية أن يحفظ على الأمة الإسلامية قبلتها ، وأن ينزل بالصليب الهزيمة وأنه لولا اتخاذ الخليفة الكلام على محمل التجريح لأفاض القاضى الفاضل فقال : « ما يبكى العيون ، وينكى القلوب ، وتنشق له المرائر ، وتنشق له الجيوب » (٢) . وهو يشير بذلك إلى الحالة السيئة التى آل إليها الأمر ، والتى تستوجب إثارة النزعة الدينية لدى الخليفة العباسى .

ثم يصف موقف السلطان صلاح الدين البطولى هو وأخيه وأولاده ، وأنه يفوض أمره إلى الله ، ثم يعود إلى طلب النجدة من الخليفة ، فيقول : « إن لم يشتك الدين إلى ناصره والحق إلى من قام بأوله وإلى اليوم الآخر يقوم بأخره ، فإلى من يشتكى البث ، وعند من

(١) سورة الانفال : آية ٤٨ ، والفقرة عن الفلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٨ .

(٢) الفلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٩ .

يتفرج بالنفث؟ . ومنفعة الغوث قبل العطب ، والنجاة قبل أن يصل الحزام ( الطبيين )  
والبلاغ يقبل أن يصل السيل الزبى « (١) . وفي نهاية هذه الفقرة يستخدم القاضى الفاضل  
مثلين معروفين لتوضيح كلامه .

وقبل أن يختم رسالته يخبر السلطان الخليفة أنه كان يود أن يأتى له ، ولكنه خاف  
أن يقول عنه عدو الله : أنه فر ، ولذا يريد من الخليفة أن يعده قد حضر بنفسه ، وكأنه قد  
وقف بباب الخليفة ضارعا ، وناجى بالقول صادعا .

والسلطان صلاح الدين على الرغم من عض الزمان له ، لا يزال قائما حتى ينصر أو  
يعذر ، وأنه لا يصل العدو إلى حرم ذرية أحمد صلى الله عليه وسلم ، ومن ذرية أيوب وأحد  
يذكر .

ويختم القاضى الفاضل رسالته بالدعاء للخليفة هكذا : « أنجز الله . لأمير المؤمنين  
مواعد نصره : وتم مساعدة دهره : وأصفى موارد احسانه ! وأرسى قواعد سلطانه ! وحفظه  
وحفظ به . فهو خير حافظا ، ونصره ونصر على يديه . فهو أقوى ناصرا . إن شاء الله » (٢) .

### مكاتبات من القاضى الفاضل إلى الملك العادل بدمشق في الجهاد في سبيل الله :

في سنة ٥٩٣ هـ : ١١٩٧ م أرسل القاضى الفاضل رسالة إلى الملك العادل بدمشق يحثه  
على قتال الفرنج ، ويشكره على ما هو بصدده من محاربتهم ، وحفظ حوزة الإسلام ، فمن  
ذلك قوله في بعض تلك الكتب : « هذه الأوقات التى أنتم فيها عرائس الأعمار ، وهذه النفقات  
التى تجرى على أيديكم مهور الحور في دار القرار ، وما أسعد من أودع يد الله ما في يديه ،  
قتلك نعم الله عليه ، وتوفيقه الذى ما كل من طلبه وصل اليه ، وسواد العجاج في هذه المواقف  
بباطن ما سودته الذنوب من الصحائف ، فما أسعد تلك الوقفات ، وما أعود بالطمأنينة تلك  
الرجعات » .

وكتب أيضا في تلك السنة : « أدام الله ذلك الاسم تاجأعلى مفارق المنابر والطروس ،  
وحياة للدنيا وما فيها من الأجساد والنفوس ، وعرف الملوك من الأمر الذى اقتضته المشاهدة ،  
وجرت به المعاقبة في سرور » .

ولو كان فيها تدير لكان مولانا سبق إليه ، ومن قلم من الاصبع ظفرا فقد جلب  
بنعله نفعا ، ودفع عنه ضررا ، وتجشم المكروه ليس بضائر ، إذا كان ما جلبه سبباً إلى المحمود  
وآخر سنوه أول كل غزوة ، فلا يسأم مولانا نية الرباط وفعالها وتجشم الكلف وعملها ، فهو إذا

( ١ ) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٢٩ .

( ٢ ) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ١٣٠ .

صرف وجهه إوجه واحد ، وهو وجه الله ، صرف الوجوه إليه كلها ( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » (١) (٢) .

صدرت المكاتبتان المذكورتان في عهد الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين ، وهو يستنجد بالملك العادل الذى تولى حكم الشام سنة ٥٩٢ هـ : ١١٩٦ م ، والقاضى الفاضل يذكره بالثواب العظيم في الدنيا والآخرة ، فالجهاد هو مهوور الحور في دار القرار ، وفي الدنيا نتيجته محمودة وخيره عميم ، فلمجاهد إذا قصد وجه الله الواحد ، فوجوه البرية تتجه إليه بأسرها . ويختم كتابه الثانى بأية من القرآن الكريم تناسب ما ورد في المكاتبتين ، بل إن هذه الآية وحدها ، فيها إشارة إلى كل ما جاء في الرسالتين .

## اندونيسيا في أرقام

- يبلغ عدد سكانها : ١٣٩ مليوناً ، منهم ٩٠٪ مسلمون ، ٦٪ نصارى ، ٤٪ هندوكية و بوزيون و وثنيون .
- مساحتها ٧٣٥.٠٠٠ ميلاً مربعاً ، وعدد جزرها ٥٧٧ ١٣ جزيرة منها ٦٠٠٠ جزيرة عامرة بالسكان .
- دخلها الإسلام في القرن الأول الهجرى على يد التجار ..
- عاشت في ظل الإسلام حوالي عشرة قرون ، ثم خضعت للاستعمار الهولندى (٣٥٠) عاماً ، وتحررت منه عام ١٩٤٥ م
- عاصمتها جاكرتا ، وأهم جزرها سومطرة ، جاوه ، كالينتان ، ولابوسي ، ايربان ، ونظام الحكم فيها جمهورى .
- في جاكرتا ١٣٥٤ مسجداً بالإضافة إلى ٤٠٠٠ مسجداً على ٢١٩٨ مجلساً تعليمياً و ٢٠٠ مكتبة إسلامية .
- يبلغ عدد المساجد في اندونيسيا ٩٢٠٠٧ مسجداً و ٣١٢٥٦٥ مسجداً .
- فيها ١٠٠٦٩ كنيسة ٢٧٤٢٤ مبشراً بالإضافة إلى مئات المدارس والمؤسسات التبشيرية .

(١) سورة العنكبوت : آية ٦٩ .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٤ .

# مَذَابِحُ بَسْرِيَّةِ جَمَاعِيَّةِ لِحَمَّامِيَّةِ

لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ

مَدْرَسِ بَكْلِيَّةِ الدَّعْوَةِ وَأَصُولِ الدِّينِ

إن بشاعة المجزرة البشرية الرهيبة التي تعرض لها آلاف المسلمين في ولاية آسام شمال شرقى الهند من القبائل الآسامية الذين يدينون بالهندوسية خلال الأسابيع الثلاثة الأخيرة من شهر فبراير من هذا العام تفوق كل قدرات العقل على التصور وكل قدرات اللغة على التصوير والتعبير . لأن حقائقها الفظيعة المروعة فوق التخيل والتصوير ، ولكنها في نفس الوقت - تضيف واحدة من عشرات بل مئات المآسي والمجازر البشرية التي تمرّض - ويتعرض لأمثالها جماعات كثيرة من المسلمين في كثير من بقاع الأرض .

إن وكالات الأنباء العالمية أخذت تتناقل أخبار هذه المذابح المروعة يوما بعد يوم خلال أكثر من ثلاثة أسابيع . وهى تقرر أن أعداد الضحايا المسلمين الذين سقطوا صرعى في موجة العنف الطائفى التى اجتاحت ولاية آسام الهندية لا يمكن حصرها . إذ ينقل شهود العيان من رجال الإعلام أنهم شاهدوا الجثث والأشلاء متناثرة عبر عشرات القرى في هذه الولاية .

ونقلت بعض التقارير الصحفية عن بعض المصادر أن عدد من تم إحصاؤهم من القتلى والمذبوحين قد بلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة قتيل أغلبهم من النساء والأطفال والشيوخ . وعدد الجرحى يربو على عشرة آلاف جريح أكثرهم بين الحياة والموت . وأن أعداد الفارين من وجه هذا العنف تزيد على مائتى ألف مهاجر تكوّنت منهم مشكلة لاجئين ضخمة . وتنقل التقارير الصحفية أن المسؤولين في الولاية والحكومة المركزية يتكتمون على حقيقة التقديرات الصحيحة للضحايا . وإخفاء المسؤولين للتقديرات الصحيحة يخفى وراءه مأساة مروعة إذ تبرز حقيقة واضحة وهى أن ضحايا هذه المأساة يفوق عد العادين وتقدير الحاسبين ..

أنه شىء مروع رهيب .. أن يندفع رجال القبائل الآسامية الذين يدينون بالهندوسية في شكل عصابات جماعية مسلحة بالحرب وأسنة الغاب واللهب والأسلحة النارية والقنابل اليدوية إلى القرى التى يسكنها كثير من المسلمين الذين ينتمون إلى أصل بنغالى . ويندفعون نحو السكان المسلمين يقتلون ويذبحون ويحرقون .. لا يفرقون بين الشيوخ والرجال والنساء

والأطفال . لقد فرَّ الرجال هرباً من الموت وطلباً للنجاة في زعمهم تاركين النساء والأطفال والشيوخ ظناً منهم أن المقاتلين لا يمسونهم بسوء ، توهماً .

إن كل قوانين العالم قديمه وحديثه تحرم قتل العجزة من الصبية والنساء والكبار . ولكن أنى يتأتى للوحوش الضارية أن تفرق بين صغير وكبير ، وقوى وضعيف .

إن هؤلاء القتلة ليسوا مقاتلين شرفاء يقاتلون ويقتلون دفاعاً عن حق مسلوب أو انتصاراً لمبدأ أو واجب أو دفاعاً لمذلة وهوان . وإنما هم إلى وحوش الغاب أقرب ..

إنها لإحدى مهازل هذا العصر الذى ما يزال يتشوق فيه بعض الأعداء أنه عصر الحريات وعصر حماية حقوق الإنسان وأنه عصر العلم والتكنولوجيا التى ذلت سبل العيش .

ويسرت وسائل الحياة للإنسان وتبأ له من عصر أصبحت فيه القوة الطاغية الباغية هى القانون الذى يتحكم فى مصائر الملايين من البشر ، ويعترف بها ويخضع لها أولئك المغلوبون

المقهورون الذين يكادون ولا يكيدون ، وتنتقص أقدارهم وتسلب أعمارهم فلا يجزعون ولا يأبهون . ولا يمتعضون . لأنهم عن قوانين الأرض وقوانين السماء غافلون ساهون .

ولكن لا بد للمتتبع لأحداث العنف الطائفى فى ولاية آسام الهندية من أن يسجل مجموعة من الحقائق المجردة عن عواطف الرحمة وأحاسيس الالم والإحباط .

### ومن هذه الحقائق :

أن هؤلاء المسلمين الذين تعرضوا للقتل والتشريد والتحريق والذبح ينتمون إلى أصل

بنغالى ولكنهم مستقرون فى هذه الولاية منذ عشرات السنين . فمنهم من استوطن هذه الولاية منذ ما يزيد على سبعين عاماً وبالتحديد من ١٩١١ م ، استوطنوا هذه الولاية إبان الفتن

الطائفية بين المسلمين والهندوس فى مناطق مختلفة من شبه القارة الهندية . ومنهم من لجأ إلى هذه الولاية فراراً من المذابح الجماعية التى راح ضحيتها آلاف من المسلمين فى فترة انفصال

باكستان الشرقية التى أصبحت تسمى دولة بنجلاديش ، والتى ساعدت الهند على قيامها لما كان يمثلته اتحاد باكستان بشقيها من قوة للإسلام والمسلمين التى كانت الهند تخشى بأسها

وتخاف بقاءها .

وقد بقى هؤلاء المسلمون البنغاليون فى هذه الولاية وتكون منهم ما يمثل أغلبية سكان الولاية ولكن الأقلية الهندوسية سكان البلاد الأصليين تنظر إلى هذه الأغلبية على أنهم مهاجرون

أجانب يمارسون أعمالهم فى سهولة وإذعان لما يؤمرون به فيأتمرون ومع مرور الوقت نشط أغلب هؤلاء المهاجرين ساعين إلى مراكز السلطة فى الولاية وفى الحكومة المركزية ..

وفى معركة الانتخابات المحلية التى بدأت يوم ٢ فبراير تفجرت أحداث هذا العنف الطائفى الرهيب نتيجة للفشل فى الوفاق بين أحزاب المعارضة الهندية وحزب المؤتمر الحاكم

فقد وجد في قوائم الناخبين أكثر من خمسين ألفاً يعدمهم السكان الأصليون أجنب مهاجرين وكانوا يرون أن تستبعدهم الحكومة القائمة من قوائم الناخبين ولكن الحكومة رفضت الاستجابة لمطالب المعارضة بحجة الصعوبة في التمييز بين السكان الأصليين والمهاجرين لأن كثيراً من هؤلاء المهاجرين استقروا في الولاية منذ أمد بعيد .

لقد كان من الممكن أن تحل هذه المشكلة بين الحكومة وأحزاب المعارضة عن طريق التفاهم في مخرج من هذا الخلاف ولكنه ترك بدون حل حتى تفاقمت الخلافات وتفجرت الأزمة الأمر الذي أدى إلى قيام المظاهرات الطلابية والشعبية من سكان آسام الهندوسية تطالب بطرد هؤلاء الأجنب فلما لم تستجب الحكومة لهذه المطالب وألقت القبض على مجموعة من زعماء الآساميين بعد فشل المفاوضات بين الجانبين . تفجر العنف واندفعت العصابات المسلحة من الهندوس تقتل المسلمين المهاجرين الذين رفضت حكومة الحزب الحاكم استبعادهم من قوائم الانتخابات . ويظهر من هذه الحقائق أن هؤلاء المسلمين وقعوا ضحايا وفرائس للخلاف بين الهنادكة أنفسهم وبين المعارضة والحزب الحاكم وهو خلاف لا ناقة للمسلمين فيها ولا جملة ..

إن المشكلة لا تقف عند هذا الحد فقد عمت الفوضى كل أنحاء الولاية . الأمر الذي دفع بالحكومة المركزية إلى إنزال سبعين ألف جندي من الجيش للسيطرة على حوادث العنف التي تتكرر كل يوم وتشتمل على إحراق القرى والمنازل والقتل وتقطيع أوصال الأطفال والنساء . واندفعت الآلاف طلباً للنجاة . وهذا العنف يقع ضحيته المسلمون البنغاليون . وتنقل بعض وكالات الأنباء أن كثيراً من هذه المناطق ما يزال متوتراً . وتقع فيها حوادث متفرقة ويكتشف كل يوم الجديد من الضحايا .

وبعد . فهل كانت معركة الانتخابات هي الدافع الحقيقي وراء هذه المذابح ... ؟ إن استقراء العلاقات التاريخية بين المسلمين والهندوس في شبه القارة الهندية وبخاصة منذ مطلع هذا القرن وتحت ظل الاستعمار الإنجليزي . يجعلنا نرى وراء هذه الأحداث دافعاً واحداً حقيقياً هو الحقد الدفين في نفوس الهندوس ضد الإسلام والمسلمين مصداقاً لقوله تعالى « وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » وهو دافع يفسر كل علاقة بين المسلمين وأعدائهم من الوثنيين والصليبيين واليهود والملحدون في كل زمان ومكان وفي كل حادثة يقع فيها التصادم بين جماعة من المسلمين وغيرهم من أعداء الإسلام .

وإن لمسلمى الهند - في كل ضقع من شبه القارة الهندية حقاً ودَيْناً في عنق كل مسلم في قلب العالم الإسلامي . وهم يتطلعون إلى إخوانهم المسلمين ويتابعون قضايا الإسلام



والمسلمين ويتفاعلون معها تفاعلاً ايجابياً قوياً له أثره في كل القضايا الإسلامية . وإن أحداث العنف التي وقعت في آسام ليست أول الأحداث ولا آخرها بل إنهم معرضون لأمثالها في كثير من مناطق شبه القارة الهندية . وللهند حكومة وشعباً مصالح حيوية مع العالم الإسلامي . ويستطيع العالم الإسلامي عمل الكثير لحماية إخوانهم المسلمين من خلال تهديد أو حماية مصالح الهند في العالم الإسلامي .. ولا تكفى صرخات الإنكار أو الاحتجاجات الشفوية أو المكتوبة .

إن السياسة في هذا العصر لا تخضع إلا لاعتبار حماية المصالح أو ضربها . فهل يقوم المسلمون في قلب هذا العالم بواجبهم نحو مسلمي الهند ؟ وهو الواجب الذي يمليه مبدأ الإخاء بين المسلم والمسلم لا يظلمه . ولا يخذله ولا يُسلمه ؟ وإن المسلمين يذُ على من سواهم ؟ أتراهم يقومون بما يوجب الإسلام أم تراهم يكتفون بالاحتجاجات التي لا يأبه بها أعداء الإسلام في هذا العصر ؟ وإننا لمنتظرون ...



### أغرب ولادة

لوس انجلوس - اغرب حادث ولادة تم في ولاية لوس انجلوس الامريكية في الولايات المتحدة هو ولادة طفل بعد وفاة امه بتسعة اسابيع فقد توقف عقل الأم عن العمل وان ظل قلبها ينبض عن طريق ضخ الدم والأكسجين صناعياً .. وقد اصر الأطباء على ان ينمو الجنين داخل رحم الأم اطول فترة ممكنة حتى ينمو طبيعياً وولد الطفل بعملية قيصرية وبعد الولادة مباشرة اوقف الأطباء الضخ الصناعي للقلب واعلنوا عن وفاة الأم . وأكد الأطباء ان هذه هي اطول فترة يعيشها جنين داخل رحم الأم بعد وفاتها اكلينيكيًا حيث كانت اطول فترة سجلت من قبل هي ثلاثة اسابيع .. ( الندوة )

# نصائح

للسائح لربهم الرسول الكريم  
رئيس محاكم منطقة عسير

الحمد لله رب العالمين القائل ( لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ) والصلاة والسلام على عبده ورسوله خاتم النبيين الذي أرسله الله رحمة للعالمين فبلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الأمة فصلوات الله وسلامه عليه صلاة دائمة الى يوم الدين : أما بعد .

فقد أطلعنا الصحف على ما كتبه بعض الأدباء والمفكرين جزاهم الله خيرا في الوضع الذي ولد فيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينبغي لأحد ممن ينتسب إلى العلم أن يجهل أحواله ويجب على كل مسلم أن يعرف نسبه وسيرته وهديه لأنه صلوات الله وسلامه عليه هو سيد ولد آدم وهو ( محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن سعد بن بن عدنان خيرة رب العالمين من خلقه وخاتم النبيين .

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، حملت به في شعب أبي طالب وولد في مكة بدار تعرف بدار ابن يوسف في شعب بنى هاشم المعروف بوضعه حتى اليوم . ولا يخفى على أحد يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول بعد أن حملته تسعة أشهر وذلك عام الفيل بعد قدوم الفيل بخمسين يوماً على الصحيح . ولما ولد تركوا عليه جفنة فانفلقت فلقنتين فكان ذلك من مبادئ أمارات النبوة ، فأعجب ذلك جده عبد المطلب وقال ليكون لابني هذا شأن ، وختنه جده يوم سابعه ، ومات أبوه وهو حمل في بطن أمه بين مكة والمدينة وأرضعته أمه سبعة أيام ثم أرضعته ثوية مولاة أبي لهب بلبن ابنها مروح ، وقد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبد المطلب ، ثم أرضعته حلينة بنت أبي ذؤيب بن عبد الله بن الحارث بن جابر بن سعد من هوزان السعدية بلبن زوجها الحارث ابن عبد العزي ، فأقام صلى الله عليه وسلم عند حلينة عند بكر بهوزان نحو أربع سنين ،

فشق فؤاده هناك وملىء حكمة وإيماناً ثم ردته حليلة إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر، ثم خرجت به إلى المدينة تزور أحوالها فماتت بالأبواء بين مكة والمدينة، وله ست سنين وثلاثة أشهر، فكفله جده عبد المطلب وكان يري فيه ما يسره فيدينه، حتى كان يدخل عليه إذا خلا ويجلس على فراشه وحننته بعد أمه أم أيمن بركة الحبشية مولاة أبيه . ومات عبد المطلب وله من العمر ثمان سنين وأوصى به إلى ابنه أبي طالب وكان أخا عبد الله من أمه فكفله عمه أبو طالب .

وكان أكثر أيامه يأتي زمزم ليشرب منها، وخرج إلى الشام في تجارة وهو ابن اثني عشرة سنة فرأى أبو طالب من آيات نبوته ما زاد في الوصايا والحرص عليه من تظليل الشجرة بظلها عليه، وكان حكيم بن حزام قد رآه في سوق حباشة وشري منه بزاً من بز تهامة وطلبت منه خديجة أن يخرج في تجارة إلى سوق حباشة وبعثت معه غلامها ميسرة فخرج فابتاعاً بزاً ورجعاً إلى مكة فربحاً ربحاً حسناً وكان بعد ذلك يرعى غنماً لأهل مكة بقراريط كل شاه بقراريط شهد حرب الفجار وكان يناول عمه النبل وكان عمره يومئذ

عشرين سنة ثم أجز نفسه من خديجة سفرتين بقلوصين، وخرج ثانية إلى الشام في تجارة ومعه غلامها ميسرة حتى أتى بصرى، فرآه الراهب وبشر بنبوته فرغبت خديجة أن يتزوجها لما ربحت، فتزوجها بعد شهرين ولها من العمر أربعون سنة وعمره خمس وعشرون سنة على الصحيح وكان الذي سفر بينهما نفيسة بنت أمية أخت يعلة بن أمية وكان الذي زوج خديجة من النبي عمها عمر بن أسد بن عبد عزي وشهد النبي مع أعمامه حلف الفضول في دار عبد الله بن جدعان، وكان الله قد أعانه وبرأه وحماه من دنس الجاهلين حتى كان يسمى بين قومه ( بالأمين ) لما اشتهر بين قومه من صدق حديثه . ولما بنيت الكعبة بعد هدم قريش لها سنة ٣٥ من عمره ووصلوا إلى موضع الحجر الأسود اشتجروا فيمن يضع الحجر الأسود مكانه وأرادت كل قبيلة أن تضعه، واستعدوا للقتال وتحالفوا على الموت ومكثوا على ذلك أربع ليال، فأشار عليهم أبو حذيفة بن المغيرة أن يجعلوا بينهم حكماً أول من يدخل من باب المسجد .

فكان أول من دخل رسول الله فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا، وأخبروه، فقال إلى بثوب، فأتى بكساء من الشام كان له صلى الله عليه وسلم فأخذ الحجر فوضعه بيده فيه وقال ليأخذ كل واحد بطرف من الثوب وليرفعه، ففعلوا . فصلوات الله وسلامه عليه . هذا ما أحببت جمعه لإخواني وأرجو الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم وبضاعتي مزجاة، ولست من فرسان هذا الميدان .... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ....

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا  
محمد خاتم النبيين الذي أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه  
والتابعين : أما بعد ...

فلما من الله على عباده بإرسال بعثة محمد ، كان لا يري رؤية إلا جاءت مثل فلان  
الصبح وحبب إليه الخلوة ، فكان يخلو بغار حراء فيقيم به الليالي ذوات العدد ثم يرجع إلى  
أهله فيتزود لمثلها وبينما هو بغار حراء يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من رمضان وله من  
العمر أربعون سنة جاءه جبريل فقال له ، اقرأ فقال ، لست بقاريء فضمه حتى بلغ منه  
الجهد ثم أرسله فقال اقرأ قال لست بقاريء فعل ذلك به ثلاث مرات ثم قال ( اقرأ باسم  
ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم علم الإنسان  
ما لم يعلم ) فأخبر بذلك خديجة رضى الله عنها وقال قد خشيت على عقلى ، فثبتته وقالت  
أبشر كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين  
على نوائب الدهر ، في أوصاف جميلة عددها من أخلاقه الكريمة تصديقا له فهى أول صديقة  
من النساء آمنت . ثم تبدي له الملك بين السماء والأرض على كرسى وثبته وبشره أنه رسول  
الله حقاً فلما رآه مرق منه وذهب إلى خديجة رضى الله عنها فقال زملونى زملونى دثرونى  
دثرونى فأنزل الله ( يا أيها المدثر قم فأندر وربك فكبر وثيابك فطهر ) .  
ثم أمره الله تعالى أن يندرج قومه ويدعوهم إلى الله عز وجل فشمس صلى الله عليه  
وسلم عن ساق الجد والاجتهاد وقام في طاعة الله أتم قيام يدعو إلى الله تعالى الكبير والصغير  
والأبيض والأحمر . والنساء . والأسود .

وكان حائز قصب السبق : عبد الله أبو بكر بن قحافة فأزره وصدقته فيما جاء به  
ودعا معه إلى الله بصيره فاستجاب لأبى بكر جماعة منهم : عثمان بن عفان وطلحة بن  
عبيد الله وكان صلى الله عليه وسلم يأتى إلى الكعبة أول النهار فيصلى صلاة الضحى وكانت  
صلاة لا تنكرها قريش ، وكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا في  
الشعاب فرادي ومثنى لصلاة العصر ثم نزلت الصلوات الخمس .

فقد أسلم على بن أبى طالب وزيد بن حارثة بن شرحبيل والعشى وورقه بن نوفل  
وتمنى لو كان جذعا وكانت قريش لما بلغهم ما أكرم الله به رسوله راعهم ذلك وكبر عليهم  
فأبغضوه عند ذلك وعادوه ، وتعرضوا لمن آمن به فأخذهم سفهاء أهل مكة بالأذى والعقوبة  
وصان الله رسوله بعمه أبى طالب لأنه كان شريفاً مطاعاً في قومه لا يتجاسرون على

مفاجأته بشيء ، وكان من حكمة الله تعالى بقاء أبي طالب على دين قومه لما في ذلك من المصلحة ورسول الله يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً لا تأخذه في الله لومة لائم .  
 واشتد أذي قريش للذين آمنوا وكانوا يلقونهم في الحر ويضعون الصخرة الشديدة الحر على صدر أحدهم ، ومر أبو جهل الخبيث بسمية أم عمار بن ياسر بن مالك وهي تعذب في الله هي وزوجها ياسر وابنها عمار فطعنها بحربة في فرجها فقتلها . وكان أبو بكر إذا مر بأحد الموالى وهو يعذب في الله اشتراه وأعتقه منهم بلال وأم حمامة . وعامر بن فهيره وغيرهم .

وقد اشتد أذي قريش لرسول الله وهموا بقتله فحماه الله ، فهموا أن يقتلوه في الزحمة وأحاطوا به وهو يطوف بالبيت ويصلى ، فصاح أبو بكر ( اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ) هذا ما أحببت جمعه لإخواني من صفة مبعث محمد صلي الله عليه وسلم الذي كانت سببا لهداية البشرية وإنقاذها من ظلمات الجهل والظلم والطغيان والوثنية . وأرجو الله أن ينفع بها من قرأها وسمعها وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ...



والبيت لا يُبْتَنَى إلا على عُمَد	ولا عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أُوتَادُ
فإن تَجَمَّعَ أُوتَادٌ وَأَعْمَدَةٌ	يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كَادُوا
لا يصلحُ النَّاسُ فَوْضَى لاسْرَاةٍ لَهُمْ	ولا سْرَاةٍ إِذَا جُهَا لَهُمْ سَادُوا
تهدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت	وإن تولت فبالأشرار تنقأ

سمع الاذان في القاهرة :

## فقال سمعت هذا فوق القمر

رائد الفضاء الأمريكى ( نيل أرمسترونج ) أول من هبط على سطح القمر أشهر إسلامه . نشرت ذلك الجرائد الماليزية ونقلته عنها بعض الصحف التى تصدر في سيلان .

ذكرت هذه الصحف إن مصر وراء إسلام رائد الفضاء الأمريكى .  
وقصة هذا الخبر تعود بدايتها إلى عدة سنوات عندما كان في زيارة للقاهرة ضمن جولة له حول العالم . وبينما كان رائد الفضاء ( نيل أرمسترونج ) يتجول في احياء القاهرة الشعبية سمع أذان الظهر ينطلق من الجوامع ، فأصابه الدهول وتساءل وسط دهشته البالغة عن هذا الصوت ، فأجابه مرافقوه وهم متعجبون من ذهوله : إنه الأذان الذي ينبه المسلمين إلى الصلاة ولم يجب عليهم رائد الفضاء الأمريكى ، واستمر في ذهوله الشديد وسط دهشة المرافقين له . وبعد أيام قليلة ألقى بقبلة وأعلن لكل من حوله في صراحة ودون تردد أن كلمات الأذان التى رنت في أذانه دون أن يفهمها هى نفس الكلمات التى سمعها عند هبوط أقدامه لأول مرة على سطح القمر ...

وعقب عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية عكف على دراسة الدين الإسلامى دراسة كاملة ، وعرف قواعد الدين بالتفصيل . وفي النهاية أعلن إسلامه . وكان من نتيجة هذا الموقف الذي أعلنه رائد الفضاء الأمريكى واعتناقه للإسلام أن تم فصله من عمله في مركز الفضاء ولكنه قال في قوة : فقدت وظيفتى ولكننى وجدت الله ...

( الاخبار المصرية )

مكتبة

شباب





# الْكَعْبَةُ الْبَيْتُ الْحَرَامُ

وَتَطْبِيقَاتُ رَسُولِ الْإِسْلَامِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

للدكتور عبد العظيم حماد فرطاب  
أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

قال الله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » ( آل عمران : ٩٦ ، ٩٧ ) وقال : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً . واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى . وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود . وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات » ( البقرة : ١٢٥ - ١٢٦ )  
وقال : « قد نري تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها . فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » ( البقرة : ١٤٤ ) .

حَرَّمَ اللهُ بيته منذ خلق السموات والأرض . وجعله مثابة للناس وأمناً . ومن دخله كان آمناً وحفظه من الآفات . ووضع له الجلالة والقداسة في قلوب الناس . وجعلهم على مختلف العصور يهتمون بأمره ويعنون بشأنه . وفي حرمة ولد خاتم المرسلين . وصارت مكة مهبط الوحي الأمين لآخر الأنبياء . وصار هذا الحرم متجه المسلمين في صلاة آخر الأمم ، وخير البشر . وقد عرف نبي الإسلام لهذا البيت قدره فعظمه واعطاه حقه من الإجلال والخشوع . وطهره حق التطهير وهو آخر الانبياء الذي يعلن من فوqe توحيد الإله الخالق المستحق للعبادة لتكون مكة أخيراً دار الإسلام وقبلة آخر الأمم . كما سبق لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن أمرا بتطهير البيت والصلاة فيه . ليجمع الله لمصطفاه من البشر بين البداية والنهاية . فهو أول بيت لله . وآخر قبلة في الصلاة . أمرنا بالتوجه إليه إخلاصاً لعبادة الله . وإذا كنا نفخر أن الله هدانا إلى يوم الجمعة ليكون عيداً للمسلمين قبل أيام الأمم السابقة . فإن الله بوأ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الكعبة ليتخذها مصلى وقبلة للإسلام دون الأمم .  
فله الحمد أن جعلنا مسلمين . ومن هذه الصفوة التي تابعت هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

**الكعبة :** المسلمون مطالبون في الصلاة أن يتجهوا نحو جهة مكة . وأهل مكة مطالبون بالاتجاه صوب المسجد الحرام . ومن في داخل المسجد المتعين عليهم استقبال الكعبة ذاتها . يلتفون حولها حلقاً إحاطة السوار بالمعصم . وجعلت سنة دخول المسجد الحرام الطواف سبعة أشواط حول الكعبة .

والكعبة قديمة سابقه على أسفار العهد القديم والتوراة . وقد توارث العرب أن أول من رفع قواعدها إبراهيم عليه السلام . والكعبة البيت المربع ، وجمعه كعاب . كما ذكر ذلك ابن منظور في لسان العرب وقيل سمي البيت كعبة لارتفاعه . وكل بيت مربع فهو عند العرب كعبة . قال ابن سيده : أراه لتربعها (١) وذكر الزبيدي في تاج العروس أن الكعبة البيت الحرام سمي كعبة لارتفاعه وتربعه . إذ الكعب كل مفصل للعظام ناشز فوق القدم (٢) وقيل كعبة لأنها مكعبة الاضلاع . وكان الناس يبنون بيوتهم مدورة تعظيماً للكعبة ، وأول من بنى بيتاً مربعاً حميد بن زهير فقالت قريش : ربع حميد بن زهير بيتاً إما حياة وإما موتاً (٣) .

وذكر البتانوني في الرحلة الحجازية ، البيت هو الكعبة المكرمة على شكل مربع زواياه إلى الجهات الأربع حتى تتكسر عليها تيارات الهواء لكيلا يؤثر ضغط الرياح على كتلتها . وهذه بعينها القاعدة التي بنيت عليها اهرامات مصر ، وصارت محل اعجاب علماء العمارة إلى الآن (٤) وقالوا : « بكة » موضع البيت ومكة القرية أو الحرم كله . ومن أسماء مكة ، مكة وبكة وأم رحم . وأم القرى . والبلد الأمين . والباسة والبيت العتيق . والحاطمة والناسة (٥) .

**الجانب التاريخي للحرم :** أما بداية بناء الكعبة فغير معروف على التحقيق غير أن هناك روايات تبين أن الكعبة ترجع تاريخياً إلى آدم . أو ربما إلى ما قبل آدم أبو البشر . فقد ذكر الأزرقى رواية عن محمد بن علي بن الحسين يذكر فيها ، إن الله جعل تحت العرش البيت المعمور ، فطافت به الملائكة ، وبعث الله الملائكة . فقال : ابنوا لي بيتاً في الأرض بمثاله وقدره . فأمر الله تعالى من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور (٦) فتكون الملائكة هي التي بنت البيت الحرام وأنها طافت به قبل آدم . فقد ذكر المسعودي المؤرخ أنه قيل لآدم آيت الكعبة فطف بها ، فمشى

(١) ابن منظور : لسان العرب ( المطبعة الأميرية ) ج ٢ ص ٢١٣ .

(٢) الزبيدي ، محمد مرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس ج ١ ص ٤٥٧ .

(٣) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ج ١ ص ٣١٣ ، محمود الألوسي : بلوغ الأرب ج ١ ص ٣١٣ .

(٤) البتانوني : الرحلة الحجازية ص ١٠٢ .

(٥) النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ج ١ ص ٣١٤ ، محمود الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ١ ص ٢٢٧ .

(٦) الأزرقى : أخبار مكة ج ١ ص ٣٤ ( الطبعة الثالثة ) ، الألوسي : بلوغ الأرب ج ١ ص ٢٢٩ .

إليها فتلقته الملائكة بالابطح فقالوا له : حياك الله يا آدم ، لقد طفنا قبلك هذا البيت بالفى عام (١) وبعض الروايات الأخرى تذكر أن آدم أول من طاف بالبيت لأنه هو الذي بناه أولا بمعونة الملائكة . فقد ذكر الأزرقى في رواية عن ابن عباس : أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم . وأن آدم بناه من خمسة أجبل بمعونة الملائكة . وساق رواية أخرى عن ابن عباس أيضا أنه لما أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض من الجنة ، كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض فطأطأ الله عز وجل منه إلى الأرض ستين زراعاً . فقال : يارب . مالى لا أسمع أصوات الملائكة ولا حسهم . قال : خطيئتك يا آدم . ولكن إذهب فابن لى بيتاً

فطف به واذكرنى حوله كنعوما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى . فأنتهى إلى مكة وبنى البيت الحرام وأن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فابرز عن أس ثابت في الأرض السفلى فقذفت الملائكة الصخر وما يطيق الصخرة ثلاثون رجلاً . وبهذا يكون من أسس البيت وصلى فيه آدم عليه السلام (٢) .

وإذا وضعنا في الاعتبار قول الله تعالى : « وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون » فلا بد أن يكون لهم قبلة يتجهون إليها في عبادتهم لله وحده . من أول يوم على الأرض . ولا تتصور عبادة بلا اتجاه أو بيت معبود .

وذكر اليعقوبى في تاريخه أن آدم لما أهبط إلى الأرض تلقى من ربه كلمات فتاب عليه وهدي . واجتبه وأمره أن يبنى له بيتاً . فصار إلى مكة وبنى البيت (٣) وروي عبد الملك بن هشام عن وهب بن منبه : إن آدم عندما تاب الله عليه ، أنزل عليه صحيفة نزل بها جبريل يأمره بالمسير إلى البلد الحرام ، ويبنى البيت العتيق ، وأن جبريل دله على المكان فبنى آدم البيت وتعيينه حواء . وقال : هذا منسك لك ولولدك من بعدك ، فاول أثر على وجه الأرض مكة والبيت قال الله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا » ثم أمره بالمسير إلى البلد المقدس فأراه جبريل كيف يبنى بيت المقدس فعاونه أبناءه في بنائه (٤) .

ولم تزل العرب تعظم موضع البيت بعد أن ازاله الطوفان وصار موضعه أكمة حمراء (٥) .

(١) المسعودى : أخبار الزمان ومن اباده الحدثان ص ٧٣ .

(٢) النویری : نهاية الأرب ج ١ ص ٣٠١ . الأزرقى : أخبار مكة ج ١ ص ٣٦ . ٣٧ .

(٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٦ .

(٤) ذهب بن منبه : كتاب التيجان في ملوك حمير ص ٩ . ١٠ . ١٤ . ١٥٤ .

(٥) المسعودى : أخبار الزمان ومن اباده الحدثان ص ١٠٥ .

وذكر الطبري في تفسيره عن قتادة قال : ذكر لنا أن البيت أهبط مع آدم حين هبط إذ قال الله له ، أهبط معك بيتي يُطاف حوله كما يطاف حول عرشي . فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين . حتى إذا كان زمان الطوفان حين اغرق الله قوم نوح رفعه وطهره ولم تصبه عقوبة أهل الأرض . فتنبع منه إبراهيم أثراً فبناه على أساس قديم كان قبله (١) كما ذكر الطبري أيضاً في تاريخه : ان البيت حين اغرق الله قوم نوح رفعه وبقي أساسه فبأه الله عز وجل لإبراهيم فبناه (٢) .

أما الاختلاف في أول من بنى الكعبة فيوضحه البدر العيني فقال : أول من بناها الملائكة . وقيل آدم ذكره ابن اسحق وقيل أول من بناها شيث عليه السلام وكان في عهد آدم البيت المعمور فرفع . وقيل بل رفع وقت الطوفان (٥) ثم أورد العيني رواية البخاري عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : سمعت أباذر رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول . قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أي . قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما ؟ . قال : أربعون سنة . ثم أينما ادركتك الصلاة بعد فصل فإن الفضل فيه (٤) . قال ابن الجوزي : فيه إشكال لان إبراهيم بنى الكعبة وسليمان بنى بيت المقدس وبينهما أكثر من الف سنة . والجواب عنه ما قاله القرطبي : إن الآية الكريمة « إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت » والحديث السابق لا يدلان على أن إبراهيم وسليمان عليهما السلام ابتداء وضعهما بل كان تجديداً لما أسس غيرهما . وقد روي : أول من بنى البيت آدم وعلى هذا فيجوز أن يكون غيره من ولده رفع بيت المقدس بعده بأربعين عاماً . ويوضحه ما ذكره ابن هشام في كتاب التيجان أن آدم لما بنى البيت أمره جبريل عليه السلام بالمسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه فبناه ونسك فيه . قال ابن كثير : أول ما جعله مسجداً إسرائيل ( يعقوب ) وإنما أمر سليمان بتجديده واحكامه لأنه أول من بنى (٥) .

**إبراهيم وبناء البيت :** يشهد القرآن الكريم بأن إبراهيم حين اسكن ذريته في مكة قال : « ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم . ربنا ليقيموا الصلاة » (سورة إبراهيم : ٣٧) وذلك قبل بناء الكعبة على يديه وإسماعيل عليهما السلام عندما بلغ إسماعيل الثلاثين . كما تذكر الروايات التاريخية . ويذكر الله تعال

(١) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن . تحقيق محمود شاكر ج ٣ ص ٤٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ١٣٢ .

(٣) العيني : عمدة القارىء شرح صحيح البخارى ج ١٦ ص ٢٨٨ . الطبري : جامع البيان ج ٤ ص ٧ .

(٤) العيني : عمدة القارىء شرح صحيح البخارى ج ١٥ ص ٢٦١ .

(٥) العيني : عمدة القارىء ج ١٥ ص ٢٦٢ .

بناء إبراهيم للكعبة بقوله : « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » والقواعد جمع قاعدة . وقواعد البيت أساسه .  
 وقد اختلف أهل التأويل في القواعد أهما أحدثا ذلك . أم هي قواعد كانت قبلهما ؟  
 وعن ابن عباس أنها كانت قواعد البيت قبل ذلك (١) والبعض يقول بانه بنى البيت ابتداء .  
 ويعلل لنا الازرقى هذا الاختلاف بأن مكان البيت القديم كان قد خفى واندرس من الفرق الذي جاء به الطوفان فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام . ولكن كان موضعه أكمة حمراء لا تعلوها السيول . غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت فيما هنالك . ولكنهم لا يتثبتون موضعه (٢) وتأييداً لهذا ذكر المسعودي أنه كان في موضع البيت ربوة حمراء أمر إبراهيم عليه السلام هاجر أن تتخذ عليه عريشا يكون مسكناً لها (٣) ثم أمر الله إبراهيم أن يبني الكعبة . ويؤذن في الناس بالحج . ويريهم مناسكهم . فبنى إبراهيم حتى انتهى إلى موضع الحجر فنادي إبراهيم أبو قبيس : إن لك عندي وديعة فأعطاه الحجر الأسود فوضعه وأذن في الناس بالحج (٤) .

وكان إبراهيم عليه السلام منذ أسكن ذريته في هذا الموضع يزور ابنه إسماعيل . فلما شاهد اجتماع الناس بنى البيت بأمر الله له . ولما شهد قيام البلد الذي كان يرجو قيامه حول البيت واطمأن إلى أن عمله قد آتى ثماره قال : رب اجعل هذا البلد آمناً . واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ... (٥) .

وعامة كتب التاريخ والتفسير تشير إلى بناء إبراهيم للبيت وتفصيله فلا حاجة إلى إيراد مثل تلك التفصيلات ولكن لا بأس بإيراد رواية الطبري المختصرة فقد ذكر ان إبراهيم عليه السلام لما جاء المرة الثالثة لإسماعيل في مكة كان إسماعيل يصلح نبلاً له من وراء زمزم . فقال إبراهيم : يا إسماعيل إن ربك قد امرني ان أبني له بيتاً . فقال له إسماعيل : فأطع ربك فيما أمرك . فقال إبراهيم : قد أمرك أن تعينني . فقال : إذا أفعل . فقام معه فجعل إبراهيم يبنيه وإسماعيل يناوله الحجر . ويقولان : ربنا تقبل منا إنك انت السميع

(١) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) الازرقى : أخبار مكة ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ٣٥٧ ، أخبار الزمان ١٥٥ ، الطبري : جامع البيان ٣ / ٦٢ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٧ .

(٥) سورة ابراهيم آية ٣٥ .

العليم . فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر وهو مقام إبراهيم فجعل اسماعيل يناوله الحجر فلما فرغ ابراهيم أمره الله عز وجل أن يؤذن في الناس بالحج (١)

**قضية تحريم مكة :** كانت مكة محرمة منذ خلق الله السموات والأرض . ولكن قال بعض المفسرين : كان الحرم المحيط بمكة حلالاً . قبل دعوة إبراهيم عليه السلام كسائر البلاد . وانما صار حرماً بتحريم إبراهيم « رب اجعل هذا آمناً وارزق أهله من الثمرات » كما كانت مدينة الرسول حلالاً قبل تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتحريم المدينة انما كان قبل توجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بدر فقد صلى عند بيوت السقيا ودعا يومئذ لأهل المدينة فقال : اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لأهل مكة واني محمد عبدك ونبيك ادعوك لأهل المدينة ان تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم . اللهم حبب الينا المدينة واجعل ما بها من الوباء بؤساً . اللهم انى حرمت ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم خليلك مكة (٢) .

قال ابن جرير الطبري : الصواب ان الله تعالى ذكره . جعل مكة حراماً حين خلقها وأنشأها كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته عند فتح مكة كما سوف نفضله إن شاء الله . وأن مكة حرمتها الله يوم خلق السموات والأرض بغير تحريم منه لها على لسان أحد من أنبيائه ورسوله .. فلم تزل كذلك أمرها حتى بوأها الله إبراهيم خليله . وأسكن بها أهله وولده إسماعيل . فسأل حينئذ إبراهيم الله ايجاب فرض تحريمها على عباده على لسانه أو لأن إبراهيم علم تحريمها (٣) وقد أورد ابن كثير قولاً في هذا الإتجاه أن أبا شريح الخزاعي قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، سمعته اذناي ووعاه قلبي حين تكلم به انه حمد الله وأثنى عليه وقال : ان مكة حرمتها الله ولم يحرمها الناس ... (٤) .

فالبقعة حرام مافي ذلك شك . والتبرير الذي ساقه الطبري مقبول . فالمكان كان يأتيه المظلوم والمتعوذ من أقطار الأرض . ويدعو عنده المكروب . فقل من دعا هنالك الا استجيب له . وكان الناس يحجون موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لإبراهيم لما أراد عمارة بيته واظهار دينه وشرائعه . فلم يزل المكان منذ أهبط الله آدم إلى الأرض معظماً محرماً (٥) .

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ١ ص ١٣٦ ، التويري : نهاية الارب ج ١ ص ٢٩٩ .

(٢) المقرئزي : امتاع الاسماع بما للرسول من الانبياء والاموال والحفدة والمتاع ج ١ ص ٦٣ .

(٣) الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٥٠ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٨ .

(٥) الأزرقى : اخبار مكة ص ٥٣ .

وقد ذكر النويري أن النبي من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة فتعبد بها ومن معه من المؤمنين حتى يموت . فمات بها نوح وهود وصالح وشعيب وقبورهم بين زمزم والحجر . وعن مجاهد : حج موسى النبي على جمل أحمر فمرّ بالروحاء عليه عباءتان قطوانيتان متزر باحدهما مرتدياً بالأخري . فطاف بالبيت ثم سعى بين الصفا والمروة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما لقد سلك فجّ الروحاء سبعون نبياً حجاجاً عليهم لباس الصوف مخطمى ابلهم بحبال الصوف . ولقد صلى في مسجد الخيف سبعون نبياً : وعنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لقد مر بهذا الفجّ ( فجّ الروحاء ) سبعون نبياً على نوق حمر خطمها الليف لبوسهم العباء وتلييتهم شتى (١) .

وروي الحافظ أبو يعلى عن ابن عباس قال : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى وادى عسفان قال : يا أبابكر ، أى واد هذا . قال ، هذا وادى عسفان . قال ، لقد مر بهذا الوادى نوح وهود وإبراهيم على بكرات لهم حمر ، خطمهم الليف وأزرهم العباء وأرديتهم النمار يحجون البيت العتيق (٢) . ومعروف أن نوحاً وهوداً كانا قبل إبراهيم عليهم السلام . ويذكر ابن كثير أن قبر نوح عليه السلام بالمسجد الحرام وليس في كرك نوح بالشام كما يقال (٣) .

ومن هنا يمكن القول بأن البيت الحرام كان موجوداً قبل بنائه على يد إبراهيم خليل الرحمن . وأن هذا البيت كان قد جرت عليه أحداث غيرت من طبيعته . وأخفت مكانه فكان من رحمة الله بعباده أن أمر خليله ببناء البيت ورفع قواعده . وظلت قداسة البيت أمراً مسلماً به لا خلاف عليه من أهل مكة وأهل البادية . ورغم تفسى عبادة الأوثان في سواد القبائل العربية المحيطة بمكة . فإنه لم يرد عنهم أنهم عبدوا هيكل الكعبة . ولم يعبدوا الحجر الأسود رغم تسليمهم بقدسيته واحترامه ومكانته حتى كادوا يقتتلون على من هو أولى بوضعه في مكانه . حين تدخل الرسول قبل البعثة فأقترح وضعاً حقق برأيه هذا الدماء فأشرك القبائل في شرف حمله ووضعه صلى الله عليه وسلم في مكانه .

وكانت العرب لا تقسم بالكعبة أو بالحجر الأسود . وإنما تقسم برب الكعبة . وهكذا استجاب الله لخليله حين دعاه بقوله : « واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام » لم يتخذ

(١) النويري : نهاية الارب في فنون الادب ج ١ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ١١٩ .

(٣) ابن كثير ، المرجع السابق ج ١ ص ١٢٠ وكرك نوح قرية كبيرة قرب بعلبك . راجع : ياقوت : معجم البلدان .

البيت عمارة إبراهيم وإسماعيل صنما يعبدونه وظلت مكانته مرموقة فأعاد قصى بن كلاب في القرن الثاني قبل الهجرة بناءه وبنته قريش قبل المبعث واشترك الرسول في أمره (١) .

الرسول يراعى حرمة مكة : ظلت الدعوة في مكة . كان الرسول خلال ثلاثة عشر عاما يؤمر بالصبر . قال الله تعالى له : « فأصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » ( الاحقاف : ٣٥ ) ولم يشرع القتال في مكة لمقامها الذي يعرفه من حرمتها من أول يوم . حتى أن الرسول بعد بيعة العقبة الثانية أذّن به الشيطان ( هل لكم في مذمم والصبأة معه قد إجتمعوا على حربكم ) قال الرسول لمن بايعوه تلك البيعة الأخيرة ( أرفضوا إلى رحالكم ) . قال العباس بن عباد بن نضلة : والله الذي بعثك بالحق : ان شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيفنا ؟ قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : لم تؤمر بهذا ، ولكن إرجعوا إلى رحالكم (٢) .

ولما استقر الإسلام في المدينة وأذن الله بالقتال للمسلمين بقوله تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير » وقوله : ( وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » ( البقرة : ١٩٣ ) حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على قتال قريش خارج الحرم فرسول الله أعلم بالله وبحدوده وبما أحل وما حرم . علم قدر مكة فلم يأتها غازياً . مكة التي شنت الحرب عليه ثلاث مرات بدر واحد والخندق والتي ألّبت عليه وعلى المسلمين فأصاب المسلمين خلال ذلك ما أصابهم فلم يورثه ذلك ثورة على مكة ولا ضغينة على حرمتها . وإنما قدرها . نلمس ذلك من مواقف في سيرته صلى الله عليه وسلم . نذكر منها على سبيل الاختصار : -

١ - تعظيم أمر مكة في الحديبية : خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة بمن معه هلال ذي القعدة من السنة السادسة . وحرص أن لا يكون معه الإ سلاح المسافر السيوف في القرب (٣) وساق هديه . يقول ابن هشام : خرج معتمراً لا يريد حرباً وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وساق الهدى واحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربته وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له (٤) .

(١) الألوسى : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ١ ص ٢٢٢ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية لابن هشام . ط الحلبي . ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٣) الوافدي : كتاب المغاري . تحقيق مارسون جونس ص ٥٧٢ ، النويري : نهاية الأرب ج ١٧ ص ٢١٨ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٠٨ .



وفي رواية عن عروة بن الزبير . عن مسور ابن مخزومة . ومروان بن الحكم . أنهما

حدثاه فقالا ، خرج رسول الله عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا (١) وكما ساق الهدى ساق أهل القوة الهدى ، أبو بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن عباد ساقوا جميعا هديا مع هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما كان بعض الصحابة والعرب يخشون قريشا ويخافون أن يقاتلوا المسلمين قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، اتخشى يارسول الله علينا من أبى سفيان بن حرب وأصحابه ولم نأخذ للحرب عدتها ؟ فقال الرسول ، ما أدري . ولست أحب حمل السلاح معتمراً . وقال سعد بن عباد ، يا رسول الله لو حملنا السلاح معنا ، فإن رابنا من القوم ريب كنا معدين لهم . فقال رسول الله ، لست أحمل السلاح إنما خرجت معتمراً (٢) .

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذى الحليفة بسر بن سفيان الكعبي الخزاعي . وقال له ، أن قريشا قد بلغها انى أريد العمرة . فخبّر لى خبرهم ثم القنى بما يكون منهم (٣) . وكان صلى الله عليه وسلم يأمل أن تستجيب قريش للاتجاه السلمى فلا يعرضوا له بسوء أو بقتال رعاية لحرمة مكة ، التى لا يريد فيها قتالا بل سلاما وأمنا . وتقدم أمامهم بسر بن سفيان حتى دخل مكة فسمع من كلامهم ورأى ما رأى منهم ثم رجع فلقى رسول الله بفدير الاشطاط من وراء عسفان فلما رآه الرسول قال : ( يا بسر ما وراءك ) قال : يارسول الله تركت قومك ، كعب بن لؤى وعامر بن لؤى قد سمعوا بمسيرك ففزعوا ، وهابوا أن تدخل عليهم عنوة . وقد استنفروا الأحابيش ومن أطاعهم ، معهم العوذ المطافيل (٤) . وقد لبسوا لك جلود النمر ليصدوك عن المسجد الحرام ، وقد خرجوا إلى بلدح وضربوا بها الأبنية وتركت عمادهم يطعمون الجزر أحابيشهم ومن ضوى اليهم في دورهم . وقدموا الخيل عليها خالد بن الوليد في مائتى فارس . وهذه خيلهم بالغميم وقد وضعوا العيون على الجبال ووضعوا الارصاد (٥) .

ورغم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم تصلب قريش واصرارهم على حميتهم الجاهلية وتماديهم في باطلهم إلا أنه رأى أن يظهر السلم فيتحول عن طريق طليعة المشركين

(١) ابن هشام : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٢) الوافدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٥٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، الجزء والصفحة .

(٤) كناية عن النساء والأطفال حتى لا يعودوا لأهلهم .

(٥) الوافدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٥٨٠ .

قائلا : يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب وماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب . ثم قال : فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة أى صفحه عنقه صلى الله عليه وسلم (١) . كما قال أيضا : ( أنا لم نجىء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشا قد أنهكتهم الحرب فاضرت بهم فإن شئت ماددتهم مدة ويخلوا بينى وبين الناس (٢) .

ثم قال الرسول : هل من رجل يخرج بنا على غير طريقهم فسلك بهم رجل من أسلم طريقا وعرا أجرل بين شعاب (٣) إنتهى إلى أرض سهلة حتى إذا سلك ثنية المزار وقفت يدا راحلته صلى الله عليه وسلم على ثنية تهبط على غائط القوم فبركت ناقته (٤) فقال الناس : خلأت القصواء . قال الرسول : ( ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . والذي نفسى بيده لا تدعونى قريش إلى خطة يعظمون فيها حرمان الله وفيها صلة الرحم الآ أعطيتهم إياها ) (٥) وذكر ابن حجر أن من تعظيم الحرمة ترك القتال (٦) .

ولو أن بعض الآراء تذهب إلى أن هذا القول معناه أنى ان دخلت مكة على رغم قريش وقع قتال أفضى إلى سفك الدماء . إذ علم الله انه سيدخل في الإسلام منهم خلق ويستخرج من أصلابهم ناس يجاهدون في سبيل الله (٧) إلا أننا يمكن أن نضيف أمراً هاماً فإذا نظرنا إلى الربط بين حبس الفيل وحرمة البيت . ثم حبس الناقة لحرمة البيت انتهينا إلى أن هذا مقصوده . ثم إبداء هذه صراحة من الرسول بأنه يرضى بأى خطة فيها تعظيم أمر مكة وحرمتها وإجلال البيت وحفظ مهابته . ومنع القتال فيه . وقيل أن منع أصحاب الفيل ومنع أصحاب الناقة مع اختلاف مقاصدهما هدفه منع القتال مطلقاً (٨) ومن ثم يظهر لنا الرسول صلى الله عليه وسلم إنما تعمد عدم حمل السلاح معه حتى لا يتماذى الامر ، رغبة في السلم وإيثاره . صحيح أن الرسول لما اشيع مقتل عثمان بن عفان الذي بعثه ليعلن لهم إحترام الرسول لمكة ومسالمته لها ، ومقتل من دخل مكة من المسلمين . أخذ البيعة على أصحابه بأن لا يفروا واعد نفسه للقتال الذي لا مناص منه إذا اضطرته قريش إلى ذلك بقتل هؤلاء . ولكن

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٩٧ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٤) النويري : نهاية الأرب في فنون الادب ج ١٧ ص ٢١٩ .

(٥) الوافدى : كتاب المغازي ج ٢ ص ٥٨٧ .

(٦) ابن حجر العسقلانى : فتح الباري ج ٥ ص ٣٣٦ .

(٧) القسطلانى : المواهب اللدنية ج ١ ص ١٢٦ .

(٨) ابن حجر العسقلانى : فتح الباري ج ٥ ص ٣٣٦ .

سرعان ما تحول عن رغبته في المقاتله عند البيت لما علم بكذب هذه الاشاعة . فحفظ للبيت حرمة التي جعلها الله له .

ولدينا دليل آخر من حفظ الحرمة ورعاية مكة ، أنه أمر باطلاق من حاولوا الاعتداء على معسكر المسلمين . وكانت قريش قد بعثت نحواً من أربعين أو خمسين رجلاً ليطيّفوا بمعسكر المسلمين رجاء أن يصيبوا منهم أحداً ، أو يصيبوا منهم غزّة فأخذهم محمد بن مسلمة وأصحابه من حراس معسكر المسلمين . فجاء بهم إلى الرسول فعفا عنهم وخلي سبيلهم (١) .

وقد منّ الله على نبيه لهذه الحادثة فقال تعالى ، « وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ، فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ . وَلَتَكُونَ آيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا » ثم قال « وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً » ( الفتح : ٢٠ ، ٢٤ ) . أى أن الله كف الأيدي عن القتال في الحرم . وصان الفريقين بأن أوجد صلحاً . ولذا قال الرسول حين أمر باطلاق المعتدين ، ارسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه (٢) . قال الشوكاني : كف أيدي الناس عنكم يعنى منع أهل مكة أن يستحلوا حرم الله أو يستحل بكم وانتم حُرْمٌ ولتكون آية للمؤمنين أى سنة لمن بعدكم (٣) أى لمراعاة حرمة مكة والبيت .

فلما قدم سهيل بن عمرو . واصطاح مع رسول الله على صلح الحديبية مع ما فيه من شروط ظاهرها قاس على المسلمين : ومنه أن لا يعتمروا ذلك العام والحرم على مدّ البصر . ومن يأتى إلى المسلمين بغير اذن وليه أعادوه لقريش . ورفض سهيل أن يوافق على كتابة بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله . وانما كتب باسمك اللهم ومحمد بن عبد الله وثب عمر بن الخطاب . فقال : يارسول الله ألسنا بالمسلمين ؟ قال رسول الله : بلى قال فعلام نعطي الدنيا في ديننا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعنى . فلما سمع منه أبو بكر مقالته قال : ياعمر الزم غزّه - أى أتبع أمره - فانى أشهد أنه رسول الله وأن الحق ما أمر به ولن يخالف أمر الله ولن يضيعه الله (٤) .

فرسول الله نظر إلى حرّمات الله وتعظيم مكة والكعبة ولم يرد أن يسفك دماً وقبّل ما كان يعتبر في نظر المسلمين قاسياً شديداً . ولكن ظهر أن ذلك الصلح كان خيراً وبركة

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣١٤ ، الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٦٠٤ .

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٩٢ .

(٣) الشوكاني : فتح القدير الجامع بين فنى الدراية والرواية في التفسير . ج ٥ ص ٥٢ .

(٤) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٦٠٦ .

على المسلمين وكان فتحا مبينا . وأن الأمر أمر تعظيم حرمان الله وأن النصر بيد الله فطابت نفوس المسلمين جميعا .

ب - في عمرة القضاء : كانت هذه العمرة قصاصاً لعمرة الحديبية التي حال المشركون دون إتمامها وتطبيقاً لشروط صلح الحديبية وهي أن لا يدخل مكة عامه هذا فإذا كان عام قابل دخل فيقيم بمكة ثلاثة أيام ليس معه إلا سلاح الراكب ، السيوف في القرب . وقد وفي صلى الله عليه وسلم بشرطه لهم فلم يدخل عليهم السلاح الذي أحضره معه تنبيهاً للسفهاء ومن ينقضون عهدهم فأبقاه ببطن يأجج مخافة الغدر (١) . ولكن قريشاً بلغها ضعف المسلمين أو هكذا تفشت قالة السوء بأن المسلمين أو هنتهم حمى يشرب . وبدأ فيهم الضعف . علم ذلك رسول الله فأراد أن يسد هذه الثغرة ، فلعل ضعاف النفوس ينتهزون فرصة للقتال داخل الحرم . فلما أقبل ودخل المسجد . وقفت قريش تنظر قوة المسلمين . فأضطجع الرسول بردائه . ثم قال لا يرى القوم فيكم غميمة (٢) . وذكر ابن هشام أنهم صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه فلما دخل رسول الله إضطجع بردائه وأخرج عَضُدَهُ اليمنى ثم قال : رحم الله أمراً أراهم اليوم من نفسه قوة . ثم استلم الركن ثم خرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا آراه البيت منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى سائرهما . ثم مضت السنة على ذلك (٣) . وذكر ابن كثير عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين معه : ارملوا (٤) ليرى المشركون قوتكم .. كما قال : اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف ليرى المشركون جلدكم وقوتهم ... يقول ابن عباس : وكان يكأيدهم صلى الله عليه وسلم بكل ما استطاع فاستكف أهل مكة (٥) .

فكان اظهار القوة والجلد والحركة سبباً لعزة المسلمين ومنعتهم فلم يجروا أى قرشى أن يعرض لهم بسوء . وقالت قريش ما يرضون بالمشى أما أنهم لينفرون نَفَرِ الطباء (٦) . فكان الرسول أراد باظهار القوة سد الذريعة حتى تنفذ قريش شروط الامان في بلد الله الحرام . وحذرهم بما اعد من قوة وسلاح من التعرض له ودعاهم بلسان الحال إلى الكف عما ينتوونه من سوء الفعل وهو التعرض لحرمة البيت الآمن .

(١) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٢٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣١ والغميمة العيب والضعف في العمل : المعجم الوسيط ج ٢ ص ٦٦٨ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٧١ .

(٤) الرَّمَلُ : هو الاسراع في المشى وهز المنكبين : ابن الاثير : النهاية في غريب الحديث والاثرج ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٥) ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٤٣٢ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣٢ . وينفرون أى يسرعون ويشردون : الفيروزبادى : القاموس المحيط ج ٢ ص ١٥١ .

وبقى الرسول بمكة فلما كان عند ظهر يوم الرابع أتى سهيل بن عمرو وحويطب ابن عبد العزى ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس من مجالس الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة ، فصاح حويطب قد أنقضى أجلك فاخرج عنا . فقال النبي : وما عليكم لو تركتموني فاعرست بين أظهركم (١) . فصنعت لكم طعاما ؟ فقالوا ، لا حاجة لنا في طعامك أخرج عنا . ننشك الله يا محمد والعهد الذى بيننا وبينك إلا خرجت من أرضنا فهذه الثلاث قد مضت . فغضب سعد بن عبادة لما رأى من غلظة كلامهم للنبي صلى الله عليه وسلم . فقال لحويطب : كذبت لا أم لك ، ليست بارضك ولا أرض أبيك والله لا يبرح الا طائعا راضيا . فتبسم رسول الله . ثم قال : يأسعد لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا . وأسكت الرجلان عن سعد ثم أمر صلى الله عليه وسلم أبا رافع بالرحيل قائلا : لا يمسين بها أحد من المسلمين (٢) . هكذا ضبط النبي صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين والتزم بعهده وعقده شأنه دائما . وأقر الأمن والأمان بمكة ليكون دليلا آخر على معرفته ما لهذا الحرم من جليل القدر .

**جـ - في فتح مكة :** إذا أردنا أن نلخص مسلك النبي صلى الله عليه وسلم عندما رغب في فتح مكة لمعرفة مدى احترامه لحرمة هذا البلد وجدنا أنه ما جاء إليها إلا بعد أن نقضت عهدها ، بأن أعدت عدوانا غاشما من بنى بكر على بنى كعب من خزاعة . بتعصيد من كبار القرشيين . فلما استنصر صلى الله عليه وسلم وعد بالنصر وبدأ يستعد . ولكنه حرص على إخفاء وجهته . ثم وضع الحرس على انقاب المدينة حتى لا تشعر قريش باستعداده لها . فلما نزل بقرب مكة وأخذ أبو سفيان ورفقته . طلب أبو سفيان الأمان لأهل مكة فأعطاه الأمان العام . ونودى به في أنحاء مكة . كل ذلك حرصا على أن لا تكون هناك مجابهة ولا يقع قتال . وقد كان .

فاذا انتهينا من التلخيص إلى التفصيل وضح لنا حقيقة التعظيم لحرمة مكة فحين عزم على المسير لقريش دعا ربه فقال : ( اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبقتها في بلادها ) أو قال : ( اللهم خذ على قريش أبصارهم فلا يرونى الا بغتة ولا يسمعون بى الا فجأة ) (٣) ثم أمر أهله ان يجهزوه وان تخفى جهازه (٤) . فدخل أبو بكر رضى الله عنه على عائشة وهى تعمل قمحا سويقا ودقيقا وتعد تمرا . قال : أى بنية أمركم رسول الله أن

(١) كان الرسول قد خطب ميمونه بنت الحارث الهلالية فجعلت امرها الى العباس بن عبد المطلب فزوجها للرسول صلى الله عليه وسلم . وبنى بها في طريقه نحو المدينة عن سرف . ( الواقدي ، المغازي ج ٢ - ٧٣٨ - ٧٤١ ) . وسرف بعد التنعيم . انظر الأزرقى في اخبار مكة ج ١ ص ١٨٥ خانة ٦ .

(٢) الواقدي ، كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٤٠ .

(٣) الواقدي ، كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٩٦ . ابن هشام ، السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٩٧ .

(٤) ابن كثير ، السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٣٤ .

تجهزوه . قالت ، نعم فتجهز . قال ، فإين ترين يريد . قال ، لا والله ما أدري . فلما دخل صلى الله عليه وسلم قال له ، أين تريد يارسول الله . قال ، قريشا . وأخف ذلك ياأبا بكر . قال ، أو ليس بيننا وبينهم مدة (١) . قال ، أنهم غدروا وتقضوا العهد فأنا غازيهم . ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب ؟ ثم قال له ، واطوما ذكرت لك (٢) .

ثم ان الرسول أعلم الناس انه سائر إلى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ (٣) . وأخذ رسول الله بالانقلاب (٤) . فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف على الانقلاب قِيَمًا لهم يقول ، لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه . وكانت الانقلاب مُسَلِّمَةً الأَمْنُ سلك إلى مكة أو ناحيتها فإنه يتحفظ به ويُسأل عنه (٥) . وعندما كتب حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش يخبرها بأمر الرسول وأعطى كتابه لامرأة من مزينة قال لها اخفيه ما استطعت فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها . ثم قال لها لا تمرى على الطريق فان عليها حرسا فسلكت على غير نقب حتى لقيت الطريق بالعقيق (٦) . وأتى رسول الله الخبر من السماء بما صنع حاطب فأمر على بن ابى طالب والزيير بن العوام ان يدركا المرأة فادركاها بروضة خاخ (٧) . فاستخرجها منها الكتاب وعادا به . ورغم أن الرسول قبل إعتذار حاطب فإن القرآن نزل ينبه على هذا بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة » (٨) . ومما يدل على شدة التحذير من إبلاغ قريش استئذان عمر بن الخطاب الرسول في قتل حاطب لمخالفته فلم يأذن له لأنه من أهل « بدر » وهم من غفر الله لهم (٩) .

والهدف من الدعاء والاختفاء أن لا يصل إلى قريش أبناء الاستعداد وقدوم المسلمين إليهم فَيُعدوا للأمر عدته من الرجال والسلاح فيشتد الأمر وتقع ضحايا من الفريقين فتتأثر بذلك حرمة مكة . فكان الرسول يريد بذلك تقليل الخسائر إلى أدنى حد . وحتى تضطر قريش إلى التسليم فيحقق الرسول مراده .

(١) المدة : هي هدنة تضع الحرب بموجب شروط الحديبية عشر سنين .

(٢) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٩٦ ، ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٣٥ .

(٣) الانقلاب : جمع نقب وهو الطريق بين جبلين : ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والاثار ج ٥ ص ١٠٣ .

(٤) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٩٦ .

(٥) الواقدي كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٩٦٢ .

(٦) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٧٩٩ .

(٧) روضة خاخ : موضع على اثني عشر ميلا من المدينة قرب حمراء الاسد : العباسي : احمد بن عبد الحميد : عمدة الأخبار ٣١٦ .

(٨) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٩٩ ، ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٣٧ . والآية أول سورة الممتحنة .

(٩) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٩٩ ، ابن كثير : السيرة ج ٣ ص ٥٣٨ .

وقد حدثت المفاجأة باقتراب الرسول صلى الله عليه وسلم وكثرة من معه من الرجال والسلاح حتى بلغ مر الظهران (١) . ولم يكن قد وصل عن مسير رسول الله إلى قريش شيء . فأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يوقدوا نارا فأوقدت عشرة آلاف نار لتحدث المفاجأة والمباغلة فيرهبهم ويخوفهم بالكثرة . وكان الرعب قد سيطر على قريش منذ خابت وساطة أبا سفيان ليشفع عند الرسول في منع الحرب فأجمعوا أن يبعثوا أبا سفيان نحو المدينة فلعله يلقاه . وقالوا له : أن لقيت محمداً فخذ لنا جوارا إلا أن ترى رقة في أصحابه فأذنه بالحرب ، وهم يظنون ان لديهم من الوقت ما يسمح بالاستعداد . وفيما كان أبو سفيان يسير بالقرب من مكة ومعه رفقته له اذا هم يرون عشرة آلاف نار في فحمة الليل وكثرة الابنية والعسكر . وسمعوا صهيل الخيل ورجاء الابل ففزعوا وبينما هم كذلك اذا بالعباس بن عبد المطلب ينادى أبا سفيان ، يا أبا حنظلة . فقال أبو سفيان ، لبيك أبا الفضل ما وراءك . قال العباس : هذا رسول الله في عشرة آلاف من المسلمين . لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى أستأمنه لك (٢) . وأخذ رفيقيه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء فأنتهى بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اسلامهم (٣) . فلما طلب العباس أن يجعل الرسول لأبي سفيان شيئا يفخر به على الناس بمكة . قال : من دخل دار أبا سفيان فهو آمن . ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن (٤) . وعفا رسول الله عن أهل مكة وأعلن لهم الأمان الذي طلبوا بعد أن حاربوه وألبوا عليه فلما قدر عليهم أعلن امان الله في حرم الله . لما يعرف لهذا البلد من الحرمة . وود أن لا يقع قتال . فاراد قبل ان ينصرف أبو سفيان إلى أهل مكة ليبلغهم امان الله ليكون على ثقة بعدم جدوى المقاومة أو رفع السلاح . أراد الرسول أن يرى أبا سفيان خيل الله وعدة المسلمين وعددهم وراياتهم فأمر العباس أن يحبس أبا سفيان في مضيق الوادي حتى تمر به جنود الإسلام فيراها (٥) . فلما لحق به العباس وحبسه عن المسير في المضيق قال أبو سفيان ، أغدرا بنى هاشم . فقال العباس ، إن أهل النبوة لا يغدرون ولكن لى إليك حاجة . فقال ابو سفيان ، فهلا بدأت بها أولا ؟ قال العباس ، لم أكن أراك تذهب هذا المذهب حتى ترى جند الله (٦) .

(١) مر الظهران : يعرف الآن بوادي فاطمة بقرب مكة : الازرقى : اخبار مكة ج ١ ص ١٨٥ حاشيه ٦ .

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٤٧ .

(٣) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٨١٥ .

(٤) ابن هشام السيرة النبوية ج ٢ ص ٤٠٣ .

(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ج ٢ ص ٤٠٣ .

(٦) الواقدي : كتاب المغازي ج ٢ ص ٨١٨ .

ومرت القبائل المسلمة على راياتها ومر رسول الله في كتيبته الخضراء . فقال أبو سفيان : ما رأيت مثل هذه الكتيبة قط ولا خَبَرَنِيهِ مُخَبِّرٌ . سبحان الله ما لأحد . بهذا طاقة ولا يدان . ثم قال للعباس : لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما . قال العباس : ويحك يا أبا سفيان ليس بملك ولكنها نبوه . قال : نعم .. ثم قال العباس فادرك قومك قبل أن يدخل عليهم . فتقدم أبو سفيان الناس كلهم فدخل مكة فأعلن في أرجائها . هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد وقد جعل لي . من دخل دارى فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن طرح السلاح فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن . وجعل يصرخ في مكة . يا معشر قريش إنه جاءكم بما لا قبيل لكم به . رأيت الرجال والكرع والسلاح فلا لأحد بهذا طاقة (١) .

ونظم رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه ليدخل مكة من كل أقطارها ودخل هو من أذاخر حتى نزل بأعلى مكة (٢) . لا فخرَ ولا زهوَ ولا خيلاء وقد أعلى الله كلمة الإسلام وصارت مكة بين يديه خاضعة لأمره . روى أنه صلى الله عليه وسلم وضع رأسه تواضعا لله . لما رأى من اكرام الله به من الفتح . حتى أن رأسه لتكاد تمس رحله شكرا لله . وخضوعا لعظمته أن أحل الله له بلده . ولم تحل لأحد قبله ولا لأحد بعده (٣) . ومع ما أحل له . رفض قوله سعد بن عبادة لأبى سفيان : اليوم يوم الملحمة اليوم تُسْتَحَلُّ الحُرمة (٤) . فقال الرسول : اليوم يوم المرحمة اليوم يُعَزُّ اللهُ قريشا (٥) . وفي رواية أخرى كذب سعد : هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة (٦) .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من يقاتلهم . غير أنه أهدر دم نفر سماهم (٧) . فلما دخل نظر صلى الله عليه وسلم إلى البارقة فقال : ما هذا ؟ وقد نهيت عن القتال . فقالوا : إن خالدًا قوتل وبُدِيَء بالقتال فلم يكن بُدًى من أن يقاتلهم . وبعد أن اطمأن الرسول قال لخالد : لِمَ قاتلت وقد نهيتك عن القتال ؟ فقال : هم بدؤنا بالقتال وقد كفت يدي ما استطعت . فقال الرسول : قضاء الله خير (٨) . وقال صلى

(١) الوافدى : المرجع السابق ج ٢ ص ٨٢٢ . ٨٢٣ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٤٠٧ .

(٣) القسطلانى : المواهب اللدنية ج ١ ص ١٥٤ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٤٠٦ .

(٥) القسطلانى : المواهب اللدنية ج ١ ص ١٥١ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩١ .

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩٧ . السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٦٥ .

(٨) القسطلانى : المواهب اللدنية ج ١ ص ١٥٢ .



الله عليه وسلم مبينا حرمة مكة وحرمتها ، إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم . وقال أيضا يوم فتح مكة ، لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة (١) .

ثم طهر رسول الله بيت الله مما شابه من أوثان وأصنام إذ جعل يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول ، « جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا » فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار إلى قفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم الا وقع . وعلا « بلال بن رباح » البيت فأذن بكلمة التوحيد وأعلن الإسلام (٢) .

فلما كان غداة يوم الفتح قام رسول الله خطيبا فقال ، « يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض . فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة . فلا يحل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرا . لم تحلل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد يكون بعدي . ولم تحلل لي إلا هذه الساعة غضبا على أهلها . ألا ثم رجعت كحرمتها بالأمس . فليبلغ الشاهد منكم الغائب . فمن قال لكم أن رسول الله قد قاتل فيها فقولوا ، إن الله قد أحلها لرسوله ولم يخللها لكم (٣) .

وهكذا عرف النبي صلى الله عليه وسلم للبيت حقه وحرمة معظمه وطهره من الصور والأصنام وأعلن الأمان لكل من دخله . وعفا عن مجاوريه من أهل مكة فقال لهم ، ( ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم . قال إذهبوا فانتم الطلقاء ) وعادت حرمة مكة إلى الأبد وحتى يرث الله الأرض ومن عليها . والحمد لله رب العالمين .



(١) ابن كثير ، السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٨٠ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ج ٢ ص ٤١٧ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ج ٢ ص ٤١٥ ، ٤١٦ ، التسطلاني ، المواهب اللدنية ج ١ ص ١٥٥ ، ابن كثير ، السيرة النبوية ج ٣

ص ٥٧٨ . وانظر أيضا ، البخارى ، صحيح البخارى ج ٢ ص ١٨ ( ط الحلبى ) .

# جَهَارُ الْمَسْلُومِينَ ضِدَّ الصَّلِيبِيِّينَ

للدكتور محمد أحمد رمضان

كطية الدعوة وأصول الدين

إن المسلمين اليوم في أشد الحاجة إلى اتحاد الكلمة ووحدة الصف لحماية بلادهم من أطماع الطامعين وكيد الكائدين والقذوة بأسلافهم الذين ردوا كيد أعدائهم وحموا بلادهم من أطماعهم .

ففى القرن الخامس الهجرى ( الحادى عشر الميلادى ) تدفقت على الشرق الإسلامى جموع من الأوربيين النصارى وشتت عليه حروبا عرفت فى التاريخ بالحروب الصليبية نسبة الى الصليب الذى اتخذته المحاربون شارة لهم .

والأسباب التى تذرع بها هؤلاء المعتدون هى تمكين الحجاج النصارى من الحج إلى بيت المقدس وحميتهم من مضايقة المسلمين لهم وهى أسباب غير صحيحة لأن تعاليم الإسلام كفلت لأهل الأديان الأخرى الحرية التامة فى مزاوله شعائر دينهم ونهت عن التعرض لهم بسوء ما داموا مسلمين ولا نظن أن مسلمى هذا العصر كانوا يجهلون ذلك .

وكان الذى أثار هذه الشائعات هو بطرس الناسك الذى حج الى بيت المقدس وعز عليه أن يراه ملكاً للمسلمين وهو المكان المقدس لدى النصارى وقد طاف بطرس الناسك جميع البلاد الأوربية وأخذ يجرى النصارى على تخليص بيت المقدس من يد المسلمين .

وفى أواخر سنة ٤٦٣ هـ انهزم البيزنطيون أمام المسلمين فى موقعة (ملاذ كرد) فاستنجد الأمبراطور البيزنطى بالبابا (إريان الثانى) بطريك الكنيسة الغربية وقد صادف هذا الاستنجد هوى من نفس البابا الذى كان يطمع فى ضم الكنيسة الشرقية الى الكنيسة الغربية فأقام أوربا وأقعدتها وأثار تلك الضجة العالمية التى تعتبر من أهم أحداث التاريخ .

وفى العام التالى لهذا الاستنجد ألقى البابا خطبة فى مدينة (كليرمنت) فى الجنوب الشرقى لفرنسا حث فيها النصارى على أن يسلكوا سبيلهم الى القبر المقدس ويأخذوه عنوة من ذلك الشعب الملعون ويخضعوه لأنفسهم (١) .

(١) فيليب حتى : تاريخ العرب ترجمة الأستاذ مبروك نافع ج٢ ص ٨٢٢ .

ولقد أشعلت هذه الخطبة جذوة الحماسة في نفوس الجماهير النصرانية شريفهم وضعيفهم على السواء فهبوا عن بكره أبيهم حتى بلغ عدد المتطوعين مائة وخمسين ألفاً من النورماندين والفرنج ولم يكن الحماس الديني وحده هو الذي دفع هذه الجماهير إلى شن الغارة على الشرق الإسلامي بل إن كثيراً من الأمراء ومن بينهم « بوهيمند » خرجوا استجابة لأطماعهم في تكوين إمارات لهم في الشرق الأوسط كما كانت المصالح الاقتصادية هدف تجار البندقية وبيزه وجنوة .

وكان من بين تلك الجماهير أرقاء الأرض الذين وجدوا في التطوع لهذه الحروب فرصة للتخلص من أمراء الإقطاع وكذلك الفقراء الذين ملوا في أن يجدوا لهم مصدر رزق في الشرق والمجرمون الذين وجدوا في الحروب من أجل تخلص بيت المقدس تكفيراً عن ذنوبهم (١) .

تلاحقت الجيوش التي تكونت منها الحملة الصليبية الأولى في القسطنطينية ثم عبرت منها إلى آسيا الصغرى سنة ٤٩٠ هـ واشتبكت بجيوش السلطان « قليج أرسلان » السلجوقي عند مدينة « قونية » فهزمتها واستولت على المدينة ثم واصلت سيرها إلى مدينة « أسكى شهر » وفتحتها (٢) .

ثم عبر الصليبيون جبال طوروس واتجهت فرقة منهم تحت قيادة « بلدوين » واستولت على « الرها » في أوائل سنة ٤٩١ هـ أما بقية الصليبيين فقد واصلوا سيرهم نحو الجنوب وضربوا الحصار على مدينة « أنطاكية » التي كان يحكمها أمير تركي منذ عهد « ملكشاه » يدعى « ياغى سيان » . وبعد تسعة أشهر تمكنوا من فتحها .

استراح الصليبيون فترة ثم اتجهوا إلى مدينة بيت المقدس التي كانت قد عادت إلى حكم الفاطميين منذ بضعة أشهر فقط وكان يحكمها من قبل الخليفة الفاطمي « المستعلى بالله » أمير يسمى « افتخار الدولة » تؤيده حامية لا تتجاوز ألف جندي . ومع ذلك صمد لحصار الصليبيين نحو أربعين يوماً تمكنوا بعدها من فتح المدينة سنة ٤٩٢ هـ وارتكبوا من ضروب الوحشية ما تقشعر منه الأبدان وتكره الشرائع وقتلوا من سكانها سبعين ألفاً بغير ذنب .

أنشأ حماة الصليب ثلاث إمارات في المشرق : إمارة الرها وأميرها « بلدوين » وإمارة أنطاكية وأميرها « بوهيمند » وإمارة بيت المقدس وأميرها « جودفري » . وقد تكونت من هذه الإمارات الثلاث المملكة اللاتينية في الشرق أختير « جودفري » ملكاً لها ولقب « بارون وحامي حامي القبر المقدس » .

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٨٢٣ .

(٢) ابن القلانئ : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٢ .

ولما كان لابد لتأييد مركز الصليبيين في الشام وتأمين طريقهم الى أوروبا من احتلال مدن الساحل شرع جودفرى في احتلالها بمساعدة السفن الايطالية التي بذل أصحابها المعونة ليجعلوا من هذه الثغور أسواقاً جديدة لتجارهم . وكان معظم تلك الثغور تابعاً للدولة الفاطمية . ومن بينها مدينة طرابلس فطمع الكونت « رايموند » في فتحها وحاصرها سنة ٤٩٤ هـ ولكنه لم يتمكن من فتحها ومات قبل أن تتحقق أمنيته ولكن ابنه « برتراند » حقق هذه الأمنية في أواخر سنة ٥٠٢ هـ حيث استولى على المدينة بمساعدة أسطول جنوى<sup>(١)</sup> . وبذلك تكونت امارة صليبية رابعة تبعت بيت المقدس .

وكانت امارة بيت المقدس وما يتبعها من الامارات الثلاث : الرها وأنطاكية وطرابلس هي الامارات اللاتينية الوحيدة التي قامت على أرض اسلامية لذلك كانت أملاك الصليبيين قاصرة على مساحة ضيقة من إقليم الجزيرة وبعض أجزاء الشام الشمالية والسهل الساحلى الضيق . أما المدن الداخلية كحلب وشيزر وحماه وحمص وبعلبك ودمشق فانها لم تدخل في حوزة الصليبيين .

من المسئول عن هذه المأساة :

إن المساحة التي اقتطعها الصليبيون من أرض المسلمين وأنشأوا عليها مملكتهم كان الجزء الشمالى منها تابعاً للدولة العباسية والجزء الجنوبى تابعاً للفاطميين . وكان مسرح نزاع على النفوذ والسيطرة بين الدولتين لعدة سنوات قبل مجيء الصليبيين اليها . أما العباسيون فإن دولتهم كان قد تجدد شبابها على يد سلاطين السلاجقة الثلاثة الأول : طغرل بك وألب أرسلان وملكشاة (٤٤٧ - ٤٨٥ هـ) ولكن خلفاءها لم يكم لهم من الأمر شيء وكان النفوذ والسلطان للسلاجقة فلما توفى السلطان ملكشاه الذى جاء الصليبيون الى الشرق بعد موته بسنوات معدودة تنازع أبناءؤه على السلطنة فضعف أمرهم وانشغلوا بالنزاع فيما بينهم واستغل الخلفاء هذا النزاع ليستعيدوا سلطتهم وشغلوا بذلك عما يجرى في الشام من أحداث<sup>(٢)</sup> . وتركوا الصليبيين يبنون لهم ملكاً في أحشاء العالم الإسلامى ويشيدونه ولم يفكروا في دعوة المسلمين إلى الجهاد ويخرجوا بأنفسهم على رأس المجاهدين ليصدوا هؤلاء المغيرين عن بلاد الإسلام .

ولو أن هؤلاء الخلفاء أعلنوا النفير العام وحاولوا ايقاظ شعور العالم الإسلامى واشعال الحماس الدينى في نفوس المسلمين - كما فعل البابوات في أوروبا - لأحرزوا بعض النجاح إن لم يحرزوه كله واستطاعوا أن يعطلوا سير الصليبيين إن لم يستطيعوا أن يردوهم على أعقابهم الى أوروبا .

(١) ابن الفلانى : ديل تاريخ دمشق ص ١٩٧ .

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج-١ ص ٣١ .

ولم يهتم السلاجقة كذلك بجهاد الصليبيين بل كانوا في شغل شاغل بالتنافس على كرسى السلطنة فيما بينهم ومراقبة الخلفاء حتى لا يتمكنوا من استرداد سلطانتهم (١) وهكذا شغل هؤلاء وهؤلاء بمصلحتهم الشخصية عن الواجب الديني الذي فرضه الله على المسلمين .

وقد كان من الواجب على هؤلاء السلاطين الذين كانوا يحملون ألقاب « غياث الدنيا والدين وحامي حمى المسلمين » كان الواجب عليهم أن يعملوا بمقتضى ما منحوه من ألقاب وأن يوجهوا همتهم للدفاع عن بلاد الشام والجزيرة التي كانت موطن أقدام الغزاة الصليبيين وألا يتركوا عبء الدفاع عنها على كواهل أمرائها الضعاف الذين لم يكن لديهم من الجيوش والمعدات ما يمكنهم من صد هؤلاء المغيرين ويساعده على الاحتفاظ بما تحت أيديهم من الإمارات وحمايتها من أطماع الصليبيين .

ومما يثير الدهشة أن وفداً من سكان بيت المقدس ذهب الى بغداد بعد سقوط مدينتهم في يد الصليبيين يلتمس النجدة من أمير المؤمنين ( المستظهر بالله ٤٨٧ - ٥١٢ هـ ) فتأثر أهل بغداد لما حلّ باخوانهم تأثراً عميقاً وحزنوا لما أصابهم حزناً شديداً ولكنهم لم يهبوا لنصرتهم (٢) - أما الخليفة فانه أحال الوفد على السلطان بركياروق بن ملكشاه ولكن السلطان لم يقدر المسؤولية ولم يحقق ما عقد عليه من أمل ويهب على رأس جيش لنجدهم (٣) .

وهكذا تقاعس الخلفاء العباسيون والسلاطين السلاجقة عن الجهاد وحماية بلاد الإسلام حتى وطد الصليبيون أقدامهم في جزء غال منها وتطلب إجلاؤهم عنه مجهوداً كبيراً ووقتاً طويلاً من أبطال الإسلام الذين كرسوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله أمثال عماد الدين زنكى وابنه نورالدين محمود وصلاح الدين يوسف بن أيوب ومن جاء بعدهم من الأيوبيين والمماليك .

وكان الخلفاء الفاطميون قد ضعف شأنهم في النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى وانتقلت السلطة من أيديهم الى أيدي وزراءهم وكان يتربع على كرسى الوزارة في الوقت الذي غزا فيه الصليبيون بلاد الشام الوزير القدير الأفضل بن بدر الجمالي وكانت الدولة في عهده تبسط يدها على كثير من مدن الشام الساحلية مثل صور وعكا وعسقلان ويافا وغزة وغيرها ، كما كانت تحتفظ بقوة برية وبحرية كبيرة ولكن هذا الوزير لم يتناس العداوة القديمة بين السلاجقة السنيين وبين الفاطميين الشيعة وظن أن فرسان الصليبيين

يمكن أن يناصروه على أعدائه السلاجقة ولم يدرك أنهم أعداء الطرفين إلا عندما استولوا على بيت المقدس واشتبكوا معه في معركة طاحنة على مقربة من مدينة عسقلان بعد أن سقطت بيت المقدس في أيديهم بأيام وهزموه هزيمة منكرة (١) .

ولقد تحمس الأفضل لجهاد الصليبيين وأرسل إلى ميادين القتال أبرع قواده ولم يبخل حتى بأولاده غير أنه لم يحرز نصراً ذا قيمة عليهم وسقط في أيديهم ما كان في حوزة الفاطميين من مدن الشام مدينة تلو الأخرى حتى طمعوا في غزو مصر نفسها .

وهكذا تقع مسئولية ما حل بأهل البلاد التي اغتصبها الصليبيون من كوارث وما نزل بأهل البلاد التي هاجموها من مصائب على عاتق الخلفاء العباسيين الذين عاصروا تلك الحوادث وسلطين السلاجقة الذين كانوا يديرون شئون دولتهم وعلى خلفاء الدولة الفاطمية الذين كانوا يجلسون على كرسى الخلافة في مصر في هذه الفترة والوزراء الذين حكموا بإسمهم .

### عصر المقاومة

بعد مضي ربع قرن على تأسيس مملكة الصليبيين في الشرق ظهر زعيم إسلامي قوى هو عماد الدين زنكى أمير الموصل الذى استولى على إمارة حلب وحمل لواء الجهاد ضد الصليبيين وتمكن من انتزاع إمارة الرها من أيديهم (٢) .

ولقد روع سقوط الرها في يد عماد الدين الصليبيين المقيمين في الشرق فأرسلوا إلى أوروبا يستدعون حماة الصليب للدفاع عنهم وجاءت الحملة الصليبية المعروفة « بالحملة الثانية » ولكنها لم تحقق الغرض الذى جاءت من أجله وهو تخليص الرها بل حاصرت دمشق فاستنجد أميرها بابنى عماد الدين : سيف الدين غازى أمير الموصل ونور الدين محمود أمير حلب ودافع الأمراء الثلاثة عن المدينة فلم يتمكن الصليبيون من فتحها ورجعت الحملة إلى أوروبا تجر أذيال الخيبة (٣) .

وكان عماد الدين زنكى قد توفى بعد استيلائه على الرها فحمل ابنه نور الدين محمود أمير حلب لواء الجهاد الإسلامى ضد الصليبيين ووحد بلاد الشام تحت حكمه وسبق معاصره الصليبي « عمورى الأول » الى فتح مصر .

(١) ابن الأثير : الكامل ج١٠ ص ١٠٦ .

(٢) اسحاق ارملة : الحروب الصليبية في الآثار السريانية ص ١٠٦ .

(٣) ميشو : تاريخ الحروب الصليبية ج٢ ص ١٢٧ - ١٢٩ .

وبعد موت نور الدين سنة ٥٦٩ هـ حمل صلاح الدين الأيوبي راية الجهاد الاسلامي وفي السنة التي توفي فيها نور الدين مات عموري الأول وخلفه على بيت المقدس ابنه «بلدوين الرابع» وكان أبرص (١) . وبموت عموري فقد الصليبيون شخصية قوية كانت تسيطر على الإمارات الصليبية سيطرة قوية وتقرب في الكفاءة الحربية من شخصية نور الدين بطل المسلمين .

### صلاح الدين يخلف نور الدين في زعامة العالم الإسلامي :

في سنة ٥٦٩ هـ توفي السلطان نور الدين محمود ولم يترك من الذكور سوى الصالح اسماعيل وكان في الحادية عشرة من عمره فاتفق أمراء الدولة على مبايعته بالسلطنة على أن يتولى الأمير شمس الدين بن المقدم الوصاية عليه (٢) . ولقد خطب صلاح الدين في مصر للملك الصالح اسماعيل وسك النقود باسمه وأعلن طاعته له ولكن أمراء دولة الملك الصالح تنافسوا فيما بينهم على السيطرة على السلطان الصغير وأعلن ابن عمه سيف الدين غازي الثاني استقلاله ببلاد الموصل . ولما اشتد التنافس بين أمراء حلب وأمراء دمشق على السيطرة على السلطان الصغير أرسل شمس الدين بن المقدم الى صلاح الدين يدعو للقدوم من مصر الى دمشق ليسلمها اليه وانتهز صلاح الدين هذه الفرصة وسار الى دمشق وتسلمها سنة ٥٧٠ هـ وأعلن أنه ليس خارجا على الملك الصالح وأنه انما جاء الى الشام ليحافظ على ملكه (٣) . وفي سنة ٥٧٧ هـ توفي الصالح اسماعيل ولم يترك وارثا للعرش وكان صلاح الدين بمصر فلما علم بوفاته إتجه الى الشام فدانت له حلب وخضع لسلطانه أكثر مدن الموصل . وبذلك انتهت دولة الأتابكة في الشام التي كان قد أسسها عماد الدين زنكي سنة ٥٢٢ وشيد بنيانها ابنه نور الدين محمود بعد أن حملت لواء الجهاد ضد الصليبيين نحو نصف قرن حتى أنهكت قواهم وورثتها الدولة الأيوبية التي كانت ثمرة طيبة من ثمارها .

### موقعة حطين :

لم تخل الفترة التي قضاها صلاح الدين في توحيد القوى الإسلامية (٥٧٢ - ٥٨٢ هـ) من حروب بينه وبين الصليبيين . وفي سنة ٥٧٦ هـ عقدت هدنة بين صلاح الدين وبين

(١) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ١٣٩ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ص ٥٨ .

(٣) ابن الأثير : تاريخ الأتابكة ص ٢٢ .

«بلدوين الرابع» ملك بيت المقدس «ريموند» أمير طرابلس لمدة سنتين ولكن أرناط «ريجينالد» أمير حصن الكرك الذى يتبع بيت المقدس لم يحترم تلك الهدنة ودأب على مهاجمة القوافل السائرة بين دمشق والقاهرة وفى السنة التالية لعقد الهدنة عزم على توجيه حملة الى بلاد الحجاز ولكن عز الدين فرخشاه ابن أخى صلاح الدين ونائبه على دمشق علم بذلك فأغار على حصن الكرك وشغل أرناط عن تنفيذ ما عزم عليه (١) .

وفى العام التالى لهذه الحادثة اتجه أرناط على رأس حملة بحرية إلى شواطئ الحجاز يريد غزومكة والمدينة . وكان صلاح الدين بالموصل وقتئذ ونائبه فى مصر أخوه العادل فأرسل العادلاً أسطولاً التقى بأسطول الصليبيين شمال ينبع وهزمه هزيمة ساحقة وأسر كثيراً من بحارته وفر أرناط بمن بقى معه (٢) .

وعلى الرغم من استنجاد «رايموند» الثالث أمير طرابلس بصلاح الدين ليساعده على تولى ملك بيت المقدس الذى تولاه «جاي دى لوزينيان» بمساعدة أرناط فان صلاح الدين لم يشأ أن يتدخل فى شئون الصليبيين الداخلية تمسكاً بالأخلاق الإسلامية التى تدعو الى الوفاء بالعهد .

وفى سنة ٥٨٢ هـ هاجم أرناط قافلة من الحجاج المسلمين كانت تعبر بلاده فى طريقها الى مكة ونهبها وأسر كثيراً من أفرادها فأرسل اليه صلاح الدين يطلب إطلاق سراح الأسرى فلم يفعل فغضب صلاح الدين واستعد للحرب ونذر أن يذبح أرناط بيده إن أظفره الله به (٣) .

ولما علم الصليبيون باستعداد صلاح الدين لحربهم اجتمعوا فى بلدة صفورية على مقربة من عكا ليدرسوا الموقف ويقرروا الخطة التى يسرون عليها إذا هاجمهم صلاح الدين فأشارت الأقلية - وعلى رأسها أرناط - بمهاجمة صلاح الدين ولكن الأكثرية - وعلى رأسها جان دى لوزينيان - رأت أن يقف الصليبيون موقف الدفاع . غير أن أرناط أثر على الملك فانحاز اليه وترجحت كفة الداعين للهجوم وتقدم الجيش الصليبي وعسكر على تل قريب من قرية ( حطين ) .

أما صلاح الدين فإنه فتح مدينة طبرية سنة ٥٨٣ هـ ولكن قلعتها لم تسلم ففك الحصار عنها واتجه نحو معسكر الجيش الصليبي وهاجمه هجوماً عنيفاً وأنزل بالصليبيين هزيمة ساحقة وقتل كثيراً منهم وأسر كثيراً من بينهم أرناط وجاي دى لوزينيان . وقتل السلطان أرناط بيده

(١) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البر ج٣ ص ٦٣ .

(٢) المقرئى : كتاب السلوك ج١ ص ٧٦ - ٧٨ .

(٣) أبو الفداء : المختصر ج٣ ص ٧١ .



وفاء بنذره . ولما رأى ملك بيت المقدس ما حل بأرناط ارتعدت فرائضه ولكن صلاح الدين آمنه على حياته (١) .

### أثر الموقعة :

أحرز صلاح الدين في موقعة ( حطين ) نصراً بيناً على الصليبيين فأصبح من السهل عليه أن يوالى انتصاراته عليهم بعد أن أباد معظم جيشهم في الموقعة فرجع الى طبرية وشدد الحصار على قلعتها حتى سلمت ثم رحل الى عكا وضرب الحصار عليها حتى فتحها واستنقذ منها أسرى المسلمين وكانوا زهاء أربعة آلاف . وخير أهلها من المسيحيين بين الرحيل عنها بأموالهم وما يستطيعون حمله من أمتعتهم وبين الإقامة بها على أن يدفعوا الجزية فاختر معظمهم الرحيل خوفاً من أن يغدر بهم صلاح الدين . وتسلم السلطان المدينة ثم أخضع معظم المدن الساحلية مثل قيسارية وحيفا ويافا وصيدا وغيرها (٢) .

ثم حاصر السلطان مدينة عسقلان ووعده « جاي دى لوزينيان » باطلاق سراحه إن هو أقنع أهلها بالتسليم فسلموا على الشروط التي سلمت بها عكا من قبل وبر صلاح الدين بوعدة لملك بيت المقدس فأطلق سراحه بعد سنة من تسليم عسقلان ويعد أن أخذ عليه عهداً ألا يشترك في حرب ضده ولكنه نقض العهد وحارب السلطان بعد ذلك (٣) .

وكان صلاح الدين قد قضى على زهرة الجيش الصليبي في موقعة حطين واحتل المدن الساحلية القريبة من بيت المقدس وسيطر على الطرق المؤدية إليها وبذلك تهيأت الفرصة لفتحها فتقدم إليها وحاصرها أسبوعاً فاستسلمت حاميتها وطلب أهلها الصلح فأجابهم صلاح الدين وأمهل من أراد الجلاء من أهلها أربعين يوماً وشرط عليهم أن يدفعوا قبل رحيلهم فدية مقدارها عشرة دنانير عن الرجل وخمسة عن المرأة وديناران عن الطفل ذكراً كان أو أنثى فمن دفع سمح له بالخروج ومن لم يدفع أخذ أسيراً وأعفى من الفدية الشيوخ والعجزة والفقراء .

وتم تسليم المدينة في أواخر رجب سنة ٥٨٣ هـ وخلص صلاح الدين من كان فيها من أسرى المسلمين وكانوا زهاء ثلاثة آلاف (٤) .

(١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٦٥ .

(٢) أبو الفدا : المختصر ج٣ ص ٧١-٧٢ .

(٣) المقرئ : كتاب السلوك ج١ ص ١٧٢ .

(٤) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٦٦ ، ٦٧ .

وكان سقوط مدينة بيت المقدس عاصمة المملكة الصليبية في يد صلاح الدين ايذاناً  
بجلائهم عن الشرق ورجوعهم من حيث أتوا وقد سر المسلمون سروراً عظيماً لهذا النصر  
المبين .

ولما دخل صلاح الدين المدينة حافظ على ما بها من آثار وعمر ما تخرب منها في أثناء  
الحصار ثم أرسل أخاه العادل لفتح حصن الكرك ففتحه سنة ٥٨٤ هـ وتوجه هو على  
رأس بقية الجيش الى مدينة صور وحاصرها وكانت قد تجمعت بها فلول النازحين من  
البلاد المفتوحة واحتموا بها فاستعصت عليه لأن الامدادات كانت تأتيها عن طريق البحر  
ففك عنها الحصار (١) .

### الحملة الصليبية المعروفة (بالثالثة) سنة ٥٨٧ هـ :

لقد أثار سقوط بيت المقدس في يد صلاح الدين أوروبا فتناسى ملوكها ما بينهم من  
عداوات وقاد الجيوشن للثأر من المسلمين كل من ( فردريك بربروس ) امبراطور ألمانيا  
ورثشارد الأول (قلب الأسد) ملك انجلترا وفيليب أغسطس ملك فرنسا . وكان هؤلاء  
الملوك الثلاثة أقوى ملوك أوروبا الغربية وكانت حملتهم أكثر الحملات الصليبية عدداً .  
وكان فردريك أول من اتجه إلى الشرق سالكاً الطريق البرى عبر أوروبا الشرقية  
وآسيا الصغرى ولكنه غرق عندما كان يعبر أحد الأنهار في كيليكيا فعاد معظم جيشه إلى  
ألمانيا (٢) .

أما ملكا فرنسا وانجلترا فانهما ركبا البحر من مرسليليا ووصلا بجيوشهما إلى جزيرة  
صقلية واستراحا بها فترة ثم غادراها دون أن يتفقا على خطة معينة فتوجه فيليب أغسطس  
نحو عكا مباشرة وعرج ورثشارد على جزيرة قبرص واحتلها ليتخذها قاعدة لأسطوله يهاجم  
منها فلسطين .

اتفق الصليبيون الذين كانوا بالشام مع ملك فرنسا ومن وصل اليهم من بقايا جيش  
امبراطور ألمانيا على حصار عكا ونقض جاي ذى لوزينان ملك بيت المقدس عهده لصلاح  
الدين عندما فك أسره وحاصر المدينة سنة ٥٨٦ هـ وفي اليوم التالى لحصارها وصل صلاح

(١) أبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ٧٣ .

(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٨٣٩ ، ٨٤٠ .

الدين لانقاذها وضرب خيامه في مواجهة العدو واشتدت المعارك براً وبحراً بين المهاجمين والمدافعين . وبعد فترة وصل رتشارد بجيشه ففرح الصليبيون بقدمه وقوى جانبهم وقد استبسلت حامية المدينة في الدفاع عنها وكانت أوامر صلاح الدين تصل الى الحامية بواسطة السباحين وحمام الزاجل (١) . وقد استمر الحصار الى سنة ٥٨٧ هـ وساعد الفرنج على مداومته سيطرتهم على البحر .

ولما اشتد الضيق بحامية المدينة وعجز صلاح الدين عن ارغام الفرنج على فك الحصار عنها سلمت على أن يفتدى أهلها أنفسهم بمائتي ألف دينار وألف وستمائة أسير من أسرى الفرنج من بينهم مائة شخص طلب فداؤهم بالذات وأن يرد المسلمون صليب الصلבות الذي كانوا قد أخذوه عندما فتحوا مدينة بيت المقدس (٢) .

أخذ صلاح الدين يجمع المال ليفتدى حامية عكا ولما انقضى شهر ولم يدفع الملك المبلغ المتفق عليه أمر رتشارد بقتل ألفين وسبعمائة من أسرى المسلمين ولم يكن كريماً في معاملته للأسرى المسلمين كما فعل صلاح الدين بعد فتحه لبيت المقدس مع الأسرى الفرنج حيث أطلق آلافاً منهم عجزوا عن افتداء أنفسهم (٣) .

وقد أصبحت عكا بعد أن استردها الصليبيون أهم مركز لدولة الفرنجة في الشرق وحلت محل بيت المقدس في الزعامة على المدن الصليبية الأخرى . وكان من المحتمل أن يكسب الصليبيون انتصارات أخرى مهمة على المسلمين ولكن سرعان ما دب ديب الشقاق بينهم ورجع ملك فرنسا الى بلاده وبقي (رتشارد) واستولى على مدينتي أرسوف ويافا وعزم على استرداد بيت المقدس فوجه صلاح الدين همته الى تحصين المدينة والدفاع عنها ورأى أنه من الخير الاحتفاظ بالمدن الداخلية ريثما تتاح له فرصة تكوين أسطول بحرى كبير يحمى به المدن الساحلية .

### صلح الرملة :

كان رتشارد شديد الرغبة في فتح بيت المقدس ولكنه لم يكن واثقاً من الظفر بأمنيته ففكر في حيلة تحقق له بعض ما يتمناه وأقترح أن يزوج أخته من العادل أخى صلاح الدين

(١) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ١٢٠ .

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدين ج٢ ص ١٨٩ .

(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب ج٢ ص ٨٤١ .

على أن يحكم الاثنان بيت المقدس ولكن هذا الاقتراح رفضه المسيحيون والمسلمون على السواء (١) .

ثم حدثت بعض المعارك بين جيش رتشارد وجيش المسلمين وكان رتشارد وصلاح الدين يتبادلان الهدايا والمكاتبات رغم الحرب الدائرة بينهما (٢) .

ولما سئم كل من الطرفين الحرب دخلا ثانية في مفاوضات انتهت بعقد صلح الرملة سنة ٥٨٨ هـ على شروط أهمها ما يلي :

١ - أن تخرب مدينة عسقلانة التي كانت قد وقعت في أيدي الصليبيين وكان بقاء هذه المدينة محصنة خطراً على بيت المقدس لأنها مفتاحه .

٢ - أن يستولى الصليبيون على المدن الساحلية من صور شمالاً إلى يافا جنوباً وأن تبقى المدن الساحلية الواقعة جنوب يافا في أيدي المسلمين .

٣ - أن يمكن المسيحيون من الحج إلى بيت المقدس وألا يتعرض لهم المسلمون بأذى

هذا كل ما تمخضت عن الحملة الصليبية المعروفة (الثالثة) . يقول المؤرخ الانجليزي المعروف (فيشر) معلقاً على فشل هذه الحملة ومن هذه النتيجة الضئيلة تتضح شناعة الخاتمة التي حلت بما عقد على تلك الحملة من آمال كما تتضح فداحة الدليل على عجز أوروبا عن توحيد المسيحية الغربية وتوجيهها نحو هدف عام (٣) .

الأيوبيون والمماليك يواصلون جهاد الصليبيين : -

لم يعمر صلاح الدين طويلاً بعد صلح الرملة بل وافته منيته في صفر سنة ٥٨٩ هـ ودفن بدمشق وتوارثت أسرته حكم الأمبراطورية التي أنشأها وحملت لواء الجهاد ضد الصليبيين وصدت كل ما وجهوه إلى الشام ومصر من هجوم وكان آخر أبطالهم المعظم توران شاه بن السلطان الصالح أيوب الذي أظهر بطولة نادرة في حربه مع لويس التاسع ملك فرنسا وتغلب عليه وأسره مع كثير من أمراء دولته وجنده وقتل منهم سبعة آلاف في المعركة (٤)

(١) أبو الفدا : المختصر : ج٢ ص ٨٠ .

(٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ص ٢٢٩ .

(٣) تليخ أوروبا في العصور الوسطى ج٢ ص ١٨٨ .

(٤) المقرئزي : كتاب السلوك ج١ ص ٣٥٦ .

وكان السلطان الصالح أيوب قد أكثر من شراء المماليك ورقاهم إلى أعلى رتب الجيش وكانوا أطوع له من بنائه وأكثر الناس ولاء له وقد أبلوا بلاء حسنا في محاربة الصليبيين وكانوا من أقوى العناصر التي ساعدت على هزيمتهم فقوى مركزهم وطمعوا في انتزاع الملك من الأيوبيين بعد موته فلما أراد ابنه توران شاه أن يفرض عليهم نفوذه وسيطرته قتلوه بعد بضعة عشر يوماً من انتصاره على الصليبيين وهو ما يزال في أرض المعركة وقبل أن يعود إلى القاهرة (١) .

وبعد قتل السلطان توران شاه نادى المماليك بشجرة الدر أم ولد السلطان نجم الدين أيوب سلطانة على مصر وما يتبعها من بلاد الشام ويعدها أكثر المؤرخين آخر سلاطين الدولة الأيوبية لأنها زوجة الصالح أيوب .

ولما علم الخليفة العباسي المستعصم بالله بسلطنة شجرة الدر أنكر ذلك إنكاراً شديداً (٢) ، فرأت أن بقاءها في السلطنة غير ممكن فتزوجت من معز الدين أيبك التركمانى

أحد أمراء المماليك وتنازلت له عن السلطنة وبذلك انتقل الملك من الأيوبيين إلى المماليك .

وقد واصل المماليك الجهاد ضد الصليبيين ففتح الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ) كثيراً من مدنهم وأهمها قيسارية وأرسوف وصفد وطبرية ويافا وأنطاكية وفتح المنصور قلاوون (٦٧٩ - ٦٨٩ هـ) طرابلس وعزم على حصار عكا ولكن المنية عاجلته (٣) . وخلفه ابنه الأشرف خليل (٦٨٩ - ٦٩٣ هـ) فحاصرها نحو شهر حتى فتحها سنة ٦٩٠ هـ . وكانت عكا آخر معقل للصليبيين في بلاد الشام فلما تم فتحها سلم ما بقى من أيديهم من المدن في ظرف شهرين دون مقاومة وقضى على دولتهم القضاء الأخير (٤) .

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ج٢ ص ٤٥ .

(٢) المرجع السابق ج٢ ص ٤٦ .

(٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٧ ص ٣٢١ - ٣٢٥ .

(٤) أبو الفدا : المختصر ج٤ ص ٢٤ ولأبى الفدا أهمية خاصة في تدوين هذه الوقائع لأنه اشترك في المعارك التي دارت بين المسلمين وبين الصليبيين في أواخر عهد قلاوون وعهد ابنه الأشرف خليل .

وهكذا واصل المسلمون الجهاد حتى استردوا ما اغتصبه الصليبيون من بلادهم ولم  
يهنوا امتثالاً لقول الله تعالى ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ (١)  
وواصلوا جهادهم واثقين بوعده الله للمجاهدين في سبيله بالنصر حيث يقول جل شأنه  
ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴿ (٢)

فلعل المسلمين أن يقتدوا بأسلافهم ويوحدوا جهودهم ليخلصوا بلادهم من الصهاينة  
كما فعل أسلافهم من قبل مع الصليبيين ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء  
وهو العزيز الرحيم ﴾ (٣)



## الشهادة على سمكة

حكى عبد الرحمن بن هارون المغربي . عند القزويني - أنه ركب بحر  
المغرب فوصلنا إلى موضع يقال له البطرون وكان معنا غلام صقلى معه سنارة  
فألقاها في البحر فصاد بها سمكة نحو البشر فنظرنا . فاذا خلف أذنها اليمنى  
مكتوب لا إله إلا الله وفي قفاها محمد وخلف أذنها اليسرى رسول الله .

القزويني ص ١٧٧

(١) سورة الأعراف آية ١٣٩ .

(٢) سورة الحج آية ٤٠ .

(٣) سورة الروم آية ٥ .

# لماذا كانت الهجرة إلى الحبشة؟

للشيخ عبد الكريم عبد السلام  
بالدراسات العليا بالجامعة

إن الهجرة في الإسلام ليست مجرد ترك الوطن أو الابتعاد عن الأهل والعشيرة ، أو الزهد في المال لأنها إذا كانت كذلك فلا ميزة لها ولا أهمية في الإسلام .  
فالهجرة في الإسلام تحتوى على معانٍ عظيمة وتهدف إلى تحقيق أهداف سامية ، فلها أهمية خاصة في نظر الإسلام ، ومعيار لقوة الإيمان وضعفه ، وفارقة بين الصادق المخلص والمدعى الخادع ، ووسيلة من وسائل نصرة العقيدة التي آمن بها المهاجر مهما كلفه ذلك من عناء ومشقة مضحيا في سبيل ذلك بكل ما يملك .

ولعلنا نستطيع أن نستشف ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم : « إن شأن الهجرة لشديد » (١) . فلم تكن الهجرة إلى الحبشة والطائف وكذلك الهجرة إلى المدينة إلا لأجل تحقيق المبادئ التي دعا المصطفى صلى الله عليه وسلم الناس إليها لتكون لهم عقيدة وسلوكاً . ولما انتهت دواعي ذلك ، أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » (٢) .

وسنرى فيما يأتي في ضوء هذه المقدمة ، ماهي الأهداف من الهجرة إلى الحبشة ؟  
وإلى أي مدى تحققت ؟ ...

قطعت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم مرحلتها السرية ، وشوطا من طورها الجهرى ، بعد مضي نحو خمس سنوات من بدايتها ، وقد سعت قريش بجميع عروضها المغرية ضد الرسول صلى الله عليه وسلم لتعطيل حركة الدعوة ، ووقف سيرها ، وهي تعلم أن ما تصبو إليه بعيد المنال ، فأكبت على المسلمين بضروب من العذاب وفنون من الأذى والنكال

(١) البخارى ، الجامع الصحيح ، كتاب الأدب باب ما جاء في قول الرجل ( ويملك ) ج ١ ص ٥٥١ . رقم الحديث (٩١٦٥) ومسلم

الجامع الصحيح ، كتاب الامارة ، باب المبايعة بعد فتح مكة على الاسلام والجهاد والخير ج ١٣ ص ٩ .

(٢) البخارى ، الجامع الصحيح كتاب الجهاد ، باب وجوب النفير ج ٦ ص ٢٧ . رقم الحديث (٢٨٢٥) ومسلم . المرجع السابق ص ٨ .

، مع قلة عددهم ، وضعف قوتهم المادية ، وأخذت تمارس الوانا من الايذاء الموجه ، والتعذيب المهلك ، ضد جماعة المؤمنين حتى بلغ أذاهم مبلغا يذيب الصخر ، ويفتت الجبال الراسيات ، فصبروا على هذا الابتلاء دون وهن ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في منعة من قومه ، وحماية عمه أبى طالب ، لا يصل اليه شيء يكرهه مما ينال أصحابه ، ولم يكن يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء .

فأرى من حسن السياسة أن يبعد أصحابه عن مكة ليرتاحوا فترة من الزمن حتى يقضى الله بأمره ، ولم يكن ذلك الا بوحى من الله تعالى ، فالقرآن كان قد بدأ يهيبه نفوس المسلمين لتترك الوطن والأهل والمال في سبيل الله ، بحيث لا تكون هذه الأشياء عقبة في سبيل نشر الدعوة وإقامة شعائرها ، فقال الله تعالى : « قل يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة ، فإياى فاعبدون . كل نفس ذائقة الموت ، ثم اليانا ترجعون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبؤنهم من الجنة غرفا ، تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، نعم أجر العالمين ، الذين صبروا ، وعلى ربهم يتوكلون ، وكأين من دابة لاتحمل رزقها ، الله يرزقها وإياكم ، وهو السميع العليم » (١) . وقال : « قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم ، للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ، وأرض الله واسعة ، إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » (٢) .

بعد هذه التوجيهات والتلميحات قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه (٣) . فخرجت (٤) عند ذلك جماعة من المسلمين في رجب من السنة الخامسة من البعثة الى أرض الحبشة ، فكانت أول هجرة في الإسلام ، إلا أنهم - بعد ثلاثة أشهر رجعوا إلى مكة لما بلغهم من إسلام أهلها ، حتى إذا دنوا منها ، عرفوا عدم صحة ما بلغهم من إسلام هؤلاء ، فلم يدخل فيها أحد منهم إلا بجوار أو مستخفيا ، وعاد بعضهم الآخر إلى الحبشة ثانية (٥) .

(١) أنظر : الطبرى . جامع البيان ج ٢١ ص ٧٠٧ . والقرطبي . جامع أحكام القرآن ج ١٣ ص ٣٥٧ . وابن كثير . تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤١٩ . والألوسى . روح المعانى ج ٢١ ص ٩ . والشوكانى . فتح القدير ج ٤ ص ٢١٠ . وصدیق حسن خان . فتح البيان ج ٧ ص ٢٢٣ .

(٢) أنظر : الطبرى . جامع البيان ج ٢٣ ص ١٣٠ . وابن كثير . تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤٧ . وسيد قطب . في ظلال القرآن ج ٥ ص ٣٠٤٣ . والمودودى . تفهيم القرآن ج ٤ ص ٢٦٣ .

(٣) ابن اسحاق . السيرة ص ١٩٤ .

(٤) أنظر : ابن الأثير . الكامل ج ٢ ص ٧٧ . وابن سعد . الطبقات ج ١ ص ٢٠٤ . وابن كثير . السيرة ج ٢ ص ٣ . وشبلى النعمانى . السيرة ج ١ ص ٢٧٣ . والمودودى . السيرة ج ٢ ص ٥٦٧ .

(٥) أنظر : ابن هشام . السيرة ج ١ ص ٢٨٢ . وابن سعد . الطبقات ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٦ . وابن الأثير . الكامل ج ٢ ص ٧٧ .



ثم إن هؤلاء العائدين الى مكة ، لم يلقوا من قريش إلا ما كانوا يواجهون من قبل من  
عنف وتعسف ، فأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج مرة ثانية الى أرض الحبشة ،  
فخرج (١) هذه المرة حوالى ثمانين رجلاً وبضع عشرة نسوة . بعد مقارنة الروايات في هذا  
العدد يبدو أن جميع المهاجرين الذين أقاموا في الحبشة ، يبلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً ،  
وثمانى عشرة نسوة ، منهم احدى عشرة امرأة قرشية ، وسبع نسوة غير قرشية . ونزلوا جميعا في  
جوار النجاشى ، فكانوا في خير دار الى خير جار ، آمنين أحرارا على دينهم ، ولم يخشوا ظلما  
ولم يسمعوا مكروها ، بل كان لهم عنده منزلة ، وكان يرسل اليهم فيسألهم عما يريدون (٢) .

ولم تكن الهجرة الى الحبشة اعتباطا أو فرارا كما يظنه بعد الكتاب - مؤولا ذلك الى  
الفرار بالدين ، ولكنها كما يبدو بعد إمعان النظر - وقعت بعد دراسة عميقة دقيقة قام بها  
الرسول صلى الله عليه وسلم بوحي من الله تعالى . وقد دل تحقق النتائج التى توقعها النبي  
صلى الله عليه وسلم لهذه الهجرة على مدى عمق تفكيره ، وحسن تدييره ، وإداركه الأمور ،  
واتخاذة اسلوبا حكيما موافقا للظروف القائمة في نطاق وحي الله تعالى .

فالهجرة كانت ذات نتائج عظيمة ، ولم تكن مجرد فرار بالدين مخافة الفتنة ، أو  
طلباً للمأوى في الحبشة فحسب ، أو لم تكن أسبابها ما قاله المستشرقون كذبا وافتراء على  
الإسلام لاطهار ضعف أهله ، والتشكيك في نوايا دعائه . وخلاصة أقوالهم : أن تلك الهجرة  
كانت للأسباب التالية :

أولا : الهروب من الاضطهاد ...

ثانيا : البعد عن خطر الارتداد .

ثالثا : ممارسة النشاط التجارى .

رابعا : السعى للحصول على مساعدة عسكرية من الأحباش .

خامسا : نشوء اختلاف شديد بين المسلمين آنذاك .

ولم يكن كل من خرجوا في هذه الهجرة فقراء ، ليس لهم منعة ولا قوة ، بل كان  
أكثرهم ذوى شرف ومكانة في قومهم ، وأولى ثروة ومال ، وكان لهم من عصبتهم ما يدفع الأذى  
عنهم إلى حد كبير أمثال : عثمان بن عفان ، وابن عوف ، وجعفر بن أبى طالب رضى الله  
عنهم ممن هم في الذروة من النسب ، ولهم مكانة وجاه بين قريش . أما الموالى المستضعفون  
الذين لاقوا التعذيب فلم يهاجر منهم إلا قليل ، وقد كانوا أحق بالهجرة والنجاة من غيرهم ،

(١) ذلك في بداية السنة السادسة من النبوة . أنظر : المودودى . السيرة ج ٢ ص ٥٨١ .

(٢) اليعقوبى : التاريخ ج ٢ ص ٢٩ .

فلماذا هاجر الأقوياء وبقي المستضعفون ، ان كان الفرار هو الهدف من الهجرة ؟ ... ولماذا هاجرت نساء من بين أشرف قريش كرقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وأسماء بنت عميس رضی الله عنهن . ولم تتعرض احداهن لأذى أو فتنة ؟ (١) .

وعلى هذا يبدو أن إيذاء قريش للمسلمين لم يكن هو وحده السبب للهجرة ، بل كانت هناك عوامل أخرى سيأتى ذكرها .

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم هجرة المهاجرين إلى الحبشة مثل هجرة المهاجرين الى المدينة التي لا تخفى أهميتها على أحد ، حيث صرح بذلك حينما ذكرت له أسماء بنت عميس قال لها عمر : ( سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله عنكم ) . فقال صلى الله عليه وسلم : « ليس بأحق بي منكم ، له ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أصحاب السفينة هجرتان » (٢) .

ولنوجز الأسباب الظاهرة التي من أجلها أذن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة ، وخاصة إلى الحبشة ، وذلك فيما يلي :-

أولاً : اشتد تعذيب قريش على المسلمين ، وطفحت كأس صبرهم ، حتى جاءوا يسألون النبي عليه الصلاة والسلام : متى يأتى نصر الله ؟ فأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة صونا لدينهم ، وحماية لهم من أذى قريش . وتلك سنة من الله شرعها لمن ضيق عليه إلى يوم القيامة ، عند عجزه عن الظهور بدينه ، إذا منعه أهل الباطل من العمل به ، أو الدعوة إليه (٣) .

ثانياً : أراد الرسول صلى الله عليه وسلم انقاذ الدعوة من اجهاضها في أيامها الأولى ، ذلك لأن المسلمين كانوا يتزايدون كل يوم ، ولو بقوا كلهم بمكة ، لشعرت قريش بخطرهم عليها ، فتقوم بحرب استئصال لهم باسم الآلهة ، وربما أيدهم العرب في ذلك (٤) .

ثالثاً : يبدو أنه كان من الممكن أن يترتب على هجرتهم اثاراً العاطفة الجياشة إزاء الأهل والأقرباء واستغلالها أحسن استغلال ، فتراود قريش نفسها في أمر هؤلاء المهاجرين الذين تربطهم بهم رابطة الرحم ، فقد تمتنع عن ايذائهم .

(١) أنظر : عبد الرؤوف شلبي . الدعوة الاسلامية في عهدها المكى ص ٣٢٧ .

(٢) البخارى ، الجامع الصحيح ، كتاب المغازى . باب غزوة خيبر ، رقم الحديث (٤٢٣٠ - ٤٢٣١) ج ٧ ص ٤٨٥ . ومسلم الجامع

الصحيح ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل جعفر وأسماء وأهل السفينة ج ١٦ ص ٦٥ .

(٣) أنظر : عبد العزيز بن راشد . أصول السيرة المحمدية ص ٤٤ ، وظافر القاسمى . نظام الحكم في الشريعة ص ٢٨ .

(٤) أنظر : محمد رواس قلعة جى . التفسير السياسى للسيرة ص ٦٦ .

والحق أنه كان لذلك أثر كبير في قلوب القرشيين ، فلم تبق دار أو أسرة إلا وتأثرت بهذا الحادث الأليم ، إلا أن هذا التأثير كان مختلفا من بيت إلى آخر ، فمن هؤلاء من ازداد غيظا على المسلمين فزاد في تعذيبهم ومنهم من شعر أنه من الظلم اجبار الناس على مفارقة الأهل والوطن ، فرقت قلوبهم للمهاجرين ، وأصبح ذلك سببا إلى اعتناقهم الإسلام (١) .

ألا ترى لما خاب أمل الوفد المبعوث من قبل قريش إلى نجاشى الحبشة في اليوم الأول ، قال عمرو بن العاص أحد العضوين للوفد : ( والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم ) . فقال صاحبه عبد الله بن أبي ربيعة : ( لا تفعل فإن لهم أرحاما وإن كانوا قد خالفونا ) (٢) . وان في خبر زوجة عامر بن ربيعة مع عمر بن الخطاب لأبلغ دليل على الأسف الذى داخل بعض قلوب الكفار من مغادرة ذوى أهلهم وهجرتهم الى الحبشة . وذلك انه مر عمر بن الخطاب بأمر عبد الله بن عامر وهى تستعد للرحيل الى الحبشة ، وكان زوجها قد خرج لقضاء بعض حاجاته ، فقال لها عمر : انه للانطلاق يأم عبد الله ، فردت عليه وذكرته بالأذى والبلاء والاهانات التى يتعرضون لها . وقالت : نعم والله لنخرجن في أرض الله ، أذيتونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا ومخرجا ، فقال : صحبتكم الله . فأحست رقة في نبرات عمر لم تكن تعهدها من قبل وقد عرفت عنه قسوته على المسلمين ، فلما عاد زوجها أخبرته بما بدا على عمر ، وقالت : يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا ، قال : أطمعت في إسلامه ، قالت : نعم . قال : فلا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب .

رابعا : ان في خروجهم إلى الحبشة إشارة إلى حقيقة كبرى ، وهى أن الدعوة الاسلامية لم تكن لتتحصر في مكة أو الجزيرة العربية أو أى بقعة خاصة في الأرض ، بل إنها موجهة إلى جميع العالم ، ولهذا لما وصل المهاجرون الى أرض الحبشة لم يكونوا صامتين ، أو قائلين بالشعائر في مجالسهم فقط ، أو عاكفين في بيوتهم فحسب ، بل أظهروا مظاهر الإسلام . ومن نتائج واقعهم هذا قدوم وفد النصارى إلى النبى صلى الله عليه وسلم في مكة ، واسلام النجاشى حتى أصبح داعيا الى الإسلام ، فكان عمرو بن العاص من الذين أسلموا على يديه ، كل ذلك من نتائج جهود المسلمين المهاجرين وأثارها (٣) .

(١) أنظر : جلال مظهر ، محمد رسول الله سيرته وأثره في الحضارة ص ٦٤ . المودودى ، السيرة ج ٢ ص ٥٨٦ . وأمين أحسن

الاصلاحي ، الدعوة الى دين الله وأساليبها ص ٢١٥ . والدكتور على حسنى الخريطلى ، الرسول في المدينة ص ٨١ .

(٢) ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٣٤٩ . وابن كثير ، البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٤ .

(٣) أنظر : يحيى بن أبى بكر العامرى ، بهجة المحافل ج ١ ص ٣٢٦ . ومحمد اسماعيل ابراهيم ، سيرة الرسول صلى الله عليه

وسلم ص ٨٠ ، وعطية محمد سالم ، معالم على طريق الهجرة ص ١٨ .

**خامسا :** ومن عواملها : أخذ التجربة لنشر الدعوة في موطن جديد ، مع الابقاء على ضعفة المسلمين ويؤيد هذا القول أن الهجرة جاءت بعد أن لم يستجب للدعوة الا قليل ، ويشهد لهذا - أيضا - ما سبقت الإشارة اليه من أنه لم يهاجر كل الضعفة المعذنين ، اذ ما كل مستضعف كان يلوذ بالفرار والهجرة بما يدل عليه ما جرى لعثمان بن مظعون الذي كان في جوار من الوليد بن المغيرة .

وذلك أنه لما رأى ما فيه أصحابه صلى الله عليه وسلم من البلاء ، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد ، فقال : هذا نقص كبير في نفسى ، فرد اليه جواره . ( أنظر : ابن هشام ، السيرة ج ١ ص ٣٨٦ ) .

**سادسا :** وشيء آخر ذو بال يلمح من الهجرة الى الحبشة ، الأ وهو الجانب الاعلامى لأمر الدعوة الإسلامية بحيث ينتشر عند العرب وغيرهم أمر هؤلاء القوم الذين أتوا النجاشى وظفروا بحمايته ، من هم ؟ ولماذا جاءوا ؟ وبماذا جاءوا ؟ . وتتناقل الألسنة هذا الخبر من مكان الى آخر ، فيصبح ذلك بمثابة الاعلام الناجح عن وجود هذه الدعوة الاسلامية ، فيترتب على ذلك انتشارها في اماكن مختلفة ، وهذا كسب عظيم .

وهذا الأمر زاد من قلق قريش ، فقد أشاعت هذه الهجرة في أهل مكة جوا من الخوف ، وزلزلة في القلوب ، حتى ترك رجال قريش حيارى لا يدرون ماذا يفعلون ؟ . لقد أحس الملأ من قريش أن الزمام أخذ يفلت منهم ، وأن هؤلاء الذين احتموا بأرض الحبشة من المسلمين سيكونون - بلا ريب - دعاية حسنة لدعوة الاسلام ، فليس يبعد أن يتأثر الأحباش بدعوتهم فيسلموا ، وينتشر الإسلام ، فيصير المسلمون قوة وكثرة ، وتصبح لهم قاعدة اسلامية هناك ، ولقد أسقط في يد قريش عندما رجع رسولاها من عند النجاشى بدون جدوى ففى هذا الجو الغاضب الحائر قرروا أن يقاطعوا بنى هاشم وبنى عبد المطلب بالصحيفة الظالمة .

**يقول أمين دويدار :** ( كانت هواجس الخوف من هجرة المسلمين الى الحبشة تقلق بال قريش ، وتزعج أمنها واستقرارها ، حتى تركتها في اضطراب دائم ، وبلبله مستمرة ، وأغلقت منافذ التفكير على ذوى الرأى فيها ، وحرمتهم التوفيق في كل ما كانوا ياتون ، ويدعون من الأمر ، فكانوا يقدمون على شيء يظنون أن فيه النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله ، فينقلب عملهم خيرا له وشرا عليهم ) ( ١ ) .

( ١ ) صور من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ص ١٦٢ .

والحقيقة أن هذه الصحيفة كانت دعاية لصالح المسلمين بين الوافدين الى مكة ، وتبين الناس ظلم قريش وعدوانها ، حتى أدى ذلك الى شعورها بالخزى .

وها أذكر الآن بعض الأسباب التي من أجلها اختار النبي صلى الله عليه وسلم أرض الحبشة لتكون هي المهجر الأول للمسلمين فيما يلي : -

**أولاً :** اختارها لعدم وجود قبائل عربية مستقرة فيها ، فتمتكن قريش عن طريقها من النيل من المسلمين وتكون الهجرة سببا في إثارة المتاعب في وجوه المهاجرين ، أما الجزيرة العربية - إذ ذاك - فلم تكن مهياة للهجرة إليها ، بل ربما كان من المحقق أن تجامل قريشا لمكاتها وعظمتها لديهم ، بسبب سداتها البيت وسيادتها الدينية وكونها من ولد اسماعيل . أما العراق والشام فكان يعوزهما الاستقرار السياسي ، إذ كانت الحروب والاضطرابات مشتعلة فيها ، فالهجرة إليهما لا تحقق الغرض المقصود ، بل إنها تكون أشد خطراً من الإقامة في مكة نفسها ، فضلا عن أنه كانت هناك بينها وبين قريش علاقات تجارية قديمة وغير تجارية مما يجعل العراق والشام تبادران إلى إجابة مطالب قريش . كذلك كانت دولة الفرس قائمة وما كانت تدين بدين سماوى . فما كانت الهجرة كذلك تصلح لديهم . كل ذلك يدل على أن الهجرة إلى هذه الجهات كانت أمراً غير مأمون العواقب ، ثم إن المهاجرين لا يمكنهم اختراق شبه جزيرة العرب إلى هذه الجهات النائية دون التعرض للقرشيين وحلفائهم (١) .

**ثانياً :** كان ملك الحبشة أصحمة النجاشي عالماً بالتوراة والانجيل ، ومعروفاً بحب العدل وتحري الحق ، ولم يكن يخشى لديه ظلم أحد - كما قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : ( لا يظلم عنده أحد ) . وقد كان أهل مكة يعرفونه لصلاتهم التجارية بالحبشة .

**ثالثاً :** أنهم كانوا على شيء من دين المسيح عليه السلام ، وهم أقرب مودة وأقل عداوة من اليهود والمشركين وغيرهم ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الود فقال تعالى : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (٢) .

(١) أنظر : أحمد عز الدين عبد الله خلف الله ، السيرة المحمدية الخالدة ج ١ ص ١٧٦ - ١٧٧ ، وعلى حسنى الخرطلى ، الرسول في

المدنية ص ١٩ .

(٢) قد ذهب أهل التفسير أنها نزلت في حق النجاشي . أنظر : الطبرى ، جامع البيان ج ٧ ص ٢ ، والقرطبي ، الجامع لأحكام

القرآن ج ٦ ص ٢٥٥ ، وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٨٥ .

رابعاً : لجوء المسلمين المهاجرين إلى أرض آمنة ، يجدون فيها الراحة والحماية - الأمر الذى يشجع أهل مكة الخائفين من اعتناق الدين الاسلامى أن يعتنقوه ويلحقوا بهؤلاء المهاجرين .

وبعد هذه الدراسة يبدو - في الحقيقة - أن هجرة المسلمين الى الحبشة لم تكن لغرض دنيوى ولا اقتصادى ولا عسكرى ، ولم تكن لجوء سياسيا بحتا ، بل أنها كانت بمثابة أسلوب من أساليب الدعوة التى اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث كانت لها فوائد جمة وكانت نقلة كبرى ، وإنقلابا خطيرا في محيط المجتمع الذى يعيش فيه المسلمون في مكة المكرمة .



### هكذا كان حكام المسلمين

يروى التاريخ ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه . كان يجتاز الطريق يوما ومعه الجارود العبدى فاذا امرأة تناديه وتقول : رويدك عمر حتى اكلمك كلمات قليلة ، ويلتفت عمر وراءه ثم يقف حتى تبلغه المرأة . فتقول له وهو مصغ مبتسم : يا عمر عهدى بك وانت تسمى عميرا تصارع الفتيان في سوق عكاظ فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الايام حتى سميت امير المؤمنين ، فاتق الله في الرعية واعلم ان من خاف الموت خشى الفوت . فقال لها الجارود العبدى : لقد اجترأت على امير المؤمنين . فجذبه عمر من يده وهو يقول : دعها فانك لا تعرفها هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من فوق سبع سماوات وهى تجادل رسول الله في زوجها وتشتكى الى الله . فعمر والله حرى ان يسمع كلامها .

# مَوْجَزٌ لِتَارِيخِ الْقُدْسِ حَتَّى بَفْطَحِ الْإِسْلَامِ

لِلدُّكْتُورِ نَفِيسِ هَمَامِ الرَّاحِمِيِّ  
أَسَازِيسَاعِدِ بَظَلَّةِ الدَّعْوَةِ وَأُمُورِ الدِّينِ

بنى البيوسيون - وهم عرب كنعانيون - مدينة القدس قبل الميلاد بحوالى ثلاثة آلاف سنة ، وأحاطوها بالأسوار مما زاد في منعها<sup>(١)</sup> . وقد كانت القدس في ذلك العهد على طريق تربط مصر ببلاد الشام ، تبدأ من بحيرة التمساح ، مارة بسيناء ، وبئر السبع ، والخليل ، وبيت لحم ، والقدس ، والجيب ، وبيتين ، ونابلس ، وتعنك ، حيث تلتقى في مجدومع الطريق الرئيسية الساحلية ، التى تصل بين مصر وبلاد الشام ، وكانت تتصل مع ساحل البحر الأبيض المتوسط عن طريق الجيب ، بيت عور التحتا ، يالو ، أبو شوشة ، عاقر ، وتتصل بالغور عن طريق مخماس ، أريحا .

والقدس من أقدم مدن الأرض ، وهى أقدم من بابل ونيوى ، وليس أقدم منها إلا «اون» أو «ايوتو»<sup>(٢)</sup> أولى عواصم مصر في فجر التاريخ و«منف» أو «مفيس» ثانى عواصم مصر التى أنشئت حوالى سنة ٣٤٠٠ قبل الميلاد<sup>(٣)</sup> .

لقد بنيت منازل القدس من الحجارة ، وكانت منازل صغيرة ، يتألف المنزل منها من طبقة واحدة ، له في وسطه باحة ، وحوها الغرف . والمدخل في صدر الباحة ، وأحيانا يكون في وسطها بئر تتجمع فيه مياه الأمطار .

وكانوا يأخذون حجارة البناء من الأحجار الكلسية البيضاء لليونتها ، وسهولة نحتها . ولوجود هذه الأحجار في أعماق الصخور<sup>(٤)</sup> ، تمكن البيوسيون من حفر الأحواض والأنفاق الكثيرة ، مما كان له شأن في تاريخ المدينة . وقد قدرت مساحة المدينة آنذاك ما بين ستة عشر إلى ثمانية عشر فدانا<sup>(٥)</sup> .

كان أهل القدس في البداية يكتفون بمياه الأمطار ، ولما كثر عددهم استفادوا من مياه عين أم الدرج . ولذلك بنوا حوالى عام ألفين قبل الميلاد نفقا<sup>(٦)</sup> يصل بين المدينة وهذه العين ، يسهل وصول السقاة للعين ، ويفيدهم أثناء الحصار . والنفق المذكور هو أقدم ما عثر عليه من ذكر لطريقة الحصول على المياه من العيون والآبار المجاورة للمدينة .

وكان ملكى صادق<sup>(٧)</sup> ملك اليبوسيين ورئيسهم الدينى من الموحدين ، لذلك تكون مدينة القدس أقدم بقعة فى الأرض آمنت بالله الواحد ، ونبتت فيها فكرة التوحيد كما نسب إليه أنه مؤسس القدس<sup>(٨)</sup> التى كانت قبل ذلك صحراء بين أودية وجبال ، فنزل ملكى صادق بكهف من جبالها للعبادة ، واشتهر أمره ، فجاءه ملوك الأرض الذين كانوا بالقرب من القدس ، وكانوا اثنى عشر ملكاً ، فسمعوا منه ، وساعدوه بالأموال على إقامة مدينة القدس ، ثم عينوه ملكاً عليهم وسموه « أبا الملوك »<sup>(٩)</sup> .

وقال مؤلفوا قاموس الكتاب المقدس « والظاهر أنه أى - ملكى صادق - كان محافظاً على سنة الله بين شعب وثنى ، ولذلك كانت له الأسبقية على ابراهيم وعلى الكهنة الذين تسلسلوا منه »<sup>(١٠)</sup> .

وقد كان ملكى صادق قد اتخذ بقعة الحرم الشريف معبداً له يقدم ذبائحه على موضع الصخرة المشرفة<sup>(١١)</sup> . وبذلك يكون العرب الكنعانيون أقدم من قدس هذه البقعة وتعبد فيها ، وذلك قبل أن يقوم سليمان بن داود ببناء هيكله بما يقرب من ألف سنة<sup>(١٢)</sup> .

وهذا يفسر لنا ما أثبتته الحفريات وذكره المحدثون من أن بناء سليمان كان على أساس قديم ، فقال صاحب الأنس : « وهذه الأقوال تدل على أن بناء داود وسليمان إياه إنما كان على أساس قديم ، لا أنها المؤسسة له بل مجددان »<sup>(١٣)</sup> . كما ذكر كعب الأحبار - الذى كان من علماء اليهود ثم أسلم - « إن سليمان بنى هيكل بيت المقدس على أساس قديم »<sup>(١٤)</sup> .

هذا وقد خضعت القدس للمصريين فى النصف الأول من القرن السادس عشر قبل الميلاد ، عندما طردوا الهكسوس من بلادهم . وفى عهد امنحتب الثالث سنة ١٤١١ - ١٣٧٥ ق.م تعرضت المدن الفلسطينية الى غارات البدو « الخابيرى » . وفى عهد امنحتب الرابع « أخناتون » ١٣٧٥ - ١٣٥٨ ق.م ، تمكن الخابير ومن بسط نفوذهم على معظم مدن فلسطين مما اضطر عبدي خييا الوالى المصرى على القدس أن يناشد أخناتون المساعدة على صدهم ، ولكنه لم يتمكن ، فزال الحكم المصرى عنها ، ولم يعد إلا فى عهد سيسى الأول سنة ١٣١٧ - ١٣٠١ ق.م<sup>(١٥)</sup> .

لقد هاجم بنو اسرائيل فلسطين فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، وأطلقوا اسم « ييوس » على مدينة القدس ، نسبة لاسم زعيم القبيلة الكنعانية العربية التى كانت بها



منذ القدم . وكان أصحابها اليبوسيون قد سموها أوروسالم أى مدينة إله السلام ، وحرف  
المصريون اسمها إلى يوشامام . وقد دخل سيدنا داود مدينة القدس سنة ٩٩٧ ق.م ، وقيل  
سنة ١٠٠٠ ق.م وحاول ازالة طابعها اليبوسى ، وسمى المدينة باسمه « مدينة داود » ،  
وبنى بها قصراً وحصوناً ، وقد بقى بها بعض سكانها الكنعانيون ولم يغادروها . ثم خلفه ابنه  
سليمان بن داود ، الذى ولد ونشأ فيها ، وكانت مدة ملكه أربعين سنة من سنة ٩٦٣ - ٩٢٣  
ق.م . وبني فيها هيكله على المكان الذى كان يتعبد فيه ملكي صادق . ولكن هذا المعبد لم  
يكن لجميع بنى اسرائيل إلا فى عهد سليمان ، ثم أصبح بعده معبداً لأقلية منهم فى عهد ولده  
وخليفته رحيعام ، حيث انقسمت الدولة فى عهده إلى مملكة يهوذا فى الجنوب ومملكة اسرائيل  
فى الشمال وعاصمتها شكيم (نابلس) وقد عاشت قرنين حتى قضى عليها سرجون الثانى  
الأشورى وسبى ٢٥ ألفاً من سكانها وهدم السامرة (شكيم ، نابلس) وأحل السحرة الذين  
أتى بهم من العراق أحلهم محل سكانها ، وهذا يؤكد على أن القدس لم تكن عاصمة للدولة  
الموحدة إلا لمدة ثلاثة وسبعين سنة فقط .

وفى عهد رحيعام أطلق اسم أورشليم على القدس ، بدلا من « مدينة داود » وذكرت  
بهذا الاسم لأول مرة فى سفر يشوع<sup>(١٦)</sup> فى الاصحاح العاشر . وأصبحت القدس عاصمة  
للمملكة اليهودية التى حكمها عشرون ملكاً فى ٣٣٧ سنة ، عم حكمهم الشروالثورات  
والحروب ومات أكثر من نصفهم قتلاً بأيدي قومهم أو كان ألعوبة بأيدي المصريين  
والعراقيين . وكانت هذه المملكة صغيرة المساحة حتى أن المسافر يستطيع أن يجتاز أى طرف  
منها فى يوم واحد<sup>(١٧)</sup> .

وفى نهاية عهدهم ، فى زمن « صدقيا بن يوشيا » ٥٩٧ - ٥٨٦ ق.م تمرد صدقيا على  
سيده بختنصر ، فحاصر بختنصر القدس واحتلها واخذ صدقيا أسيراً وأحرق الهيكل وأسر  
آلاف السكان ، وقد جعل القدس اكواما من الانقراض وانتهت اسرة داود . ولكن كورشى  
الفارسى تمكن من الاستيلاء على بابل سنة ٥٣٩ ق.م ثم فتح بلاد الشام ، وأعاد بعض  
اليهود إلى القدس ، بتأثير من زوجته استزالتى كانت من أصل يهودى ، فعاد بعضهم  
بقيادة زربابل<sup>(١٩)</sup> سنة ٥٣٨ ، وأخذ اليهود فى تعمير القدس وبناء هيكل جديد باسم هيكل  
زربابل سنة ٥١٥ ق.م وقد بقى هذا الهيكل حتى سنة ٢٠ ق.م عندما بدأ هيرودوس  
الكبير فى بناء الهيكل الجديد . وقد بقيت القدس تحت الحكم الفارسى حتى احتلها  
الاسكندر المكدونى<sup>(٢٠)</sup> سنة ٣٣٢ ق.م .

القدس في العهد اليونانى ٣٣٢-٦٣ ق . م والرومانى ٦٣ ق . م - ٦٣٨ م :

استولى الاسكندر المكدونى على القدس سنة ٣٣٢ ق . م . فاستقبله اليهود بالترحاب وتناسوا فضل الفرس عليهم كعادتهم فى نكران الجميل . لذلك لم يصب الاسكندر المدينة بسوء ، وبعد موته سنة ٣٣٢ ق . م خضعت القدس للبطالسة فى مصر ثم للسليوقيين فى سوريا سنة ١٩٨ ق . م . وقد عمتها خلال حكم اليونان فتن وقلاقل حتى احتلها الرومان سنة ٦٣ ق . م على يد بومبى ، وأصبحت جزءا من الامبراطورية الرومانية . وفى عام ٤٠ ق . م إستولى الفرس على القدس مرة أخرى ، ولكن الرومان استردوها عام ٣٨ ق . م وعينوا هير ودوس الأدمى ملكا عليها سنة ٣٧ ق . م ، ثم رجم هذا الهيكل فى زمن اغريباس الثانى سنة ٦٤ م . ثم هدم على يدس تبطس الرومانى سنة ٧٠ م . الذى بنى القصر الملكى المعروف اليوم بالقلعة ، كما بنى سوراً حول القدس ، وفى أواخر ايامه أى هير ودس ولد السيد المسيح . ومن أشهر الولاة الرومان على القدس بيلاطس البنطى ٢٦ - ٣٦ م . الذى حدثت فى عهده حوادث السيد المسيح .

#### موقف اليهود من المسيحية :

عندما بلغ السيد المسيح الثلاثين من عمره ، أخذ يتجول فى فلسطين مبشراً برسالته ، وأخذت تعاليمه بالانتشار ، فأغاظ ذلك زعماء اليهود ، وكانت أن صب السيد المسيح غضبه على كهنة الهيكل . فقد جاء فى إنجيل لوقا ١٩ / ٤٥ - ٤٧ « ولما دخل الهيكل ابتداءً يخرج الذين يبيعون ويشترون فيه قائلاً لهم : مكتوب أى بيتى للصلاة ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوف » . لذلك قاومه الكهنة وسادة اليهود ، وحرصوا عليه السلطة الرومانية وقررت مجالس اليهود الدينية الحكم عليه بالموت ، وطالبوا الرومان بتنفيذ هذا الحكم . وجاءوا به إلى بيلاطس لمحاكمته ، وبعد المحاكمة اعترف بيلاطس ببراءته ، فقامت قيامة اليهود ، ونادوا : « اصلبه ، اصلبه ، دمه علينا وعلى أولادنا » فاضطر بيلاطس للاستجابة لطلبهم .

وفى زمن بيلاطس عبدت الطرق بين القدس وقيسارية وأريحا ، وسحبت اليها مياه العروب . وفى سنة ٦٦ م ، حدث فى القدس عصيان وشغب ، فقام فاسبيانوس وابنه تيطس فى محاربة اليهود ، ودخل تيطس القدس عام ٧٠ م ، واعمل النهب والحرق والقتل ، وأحرق المعبد الذى بناه هير ودوس ، حتى لم يبق حجر على حجر ، وبيع كثير من الأسرى عبداً . وخلد الرومان نصرهم على اليهود بالعبارة اللاتينية المشهورة ، التى ينادى بها عند

احراز نصر<sup>(٢٢)</sup>، «هب : هب : هورا» . وهي مختصر عبارة «هير وسوليا است برديتا» أى سقطت أورشليم ، «الآن سقطت أورشليم»<sup>(٢٣)</sup> .

لقد جاء تدمير القدس على يد تيطس وفقاً لتحذير المسيح : «ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل ، فتقدم تلاميذه لكى يروه ابنية الهيكل ، فقال لهم يسوع : ما تنتظرون ! الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض»<sup>(٢٤)</sup> .

وقد بقيت القدس خراباً مدة طويلة ، ليس بها إلا حامية رومانية ولكن بقايا اليهود ثاروا سنة ١١٥ م ثم ثاروا سنة ١٣٢ م . وتمكنوا من استرداد القدس ، إلا أن الامبراطور هيدريان تمكن سنة ١٣٥ م من إخضاع ثورتهم ، ونكل بهم ، ودمر القدس ، وحرق موقعها ، وقتل وسبى عدداً كبيراً من اليهود ، ومنعهم من السكن فيها والدنومنها . وسمح للمسيحيين - ممن ليسوا من أصل يهودى - بالاقامة بها . وسمى المدينة «ايليا كابيتولينا»<sup>(٢٥)</sup> وهي مشتقة من اسم أسرة هديان المدعوة «ايليا» .

وقد ذكر ابن البطريق<sup>(٢٦)</sup> تدمير هيدريان للقدس ، وأشار إلى أنه كان اخر خراب للقدس ، فهرب اليهود إلى مصر ، وإلى الجبال والغور ، وتشتتوا فى أنحاء العالم . وأمر هيدريان ألا يسكن القدس يهودى ، وأن يقتل اليهود ويستأصل جنسهم ، وأن يسكنها اليونانيون فقط .

بهذا يكون الرومان قد دمروا القدس مرتين : الأولى سنة ٧٠ م على يد تيطس ، والثانية على يد هديران سنة ١٣٥ م ، وبعد ذلك انقطع تواجد اليهود فى القدس لمدة ألف سنة ، لم يسكنها يهودى واحد . وخلال خمسة قرون أخرى تلتها لم يكن بالقدس أكثر من خمسين يهودياً<sup>(٢٧)</sup> .

هذا وقد بنى هيدريان هيكلًا للمشترى على أنقاض هيكل هير ودوس ، كما بنى سوراً للقدس<sup>(٢٨)</sup> ، ولما اعتنق الامبراطور قسطنطين ٣٠٦ - ٣٣٧ م المسيحية ، جعلها الديانة الرسمية للدولة . وجاءت والدته هيلانة إلى القدس للبحث عن مواقع الحوادث المهمة التى حدثت للمسيحيين ، ولبناء كنائس تذكراً لهذه الحوادث . فأمرت بهدم تمثال المشترى ، وقامت ببناء كنيسة القيامة سنة ٣٣٥ م<sup>(٢٩)</sup> . ومنذ ذلك التاريخ أخذ الحجاج المسيحيون يزورون القبر المقدس داخل كنيسة القيامة . وسمح قسطنطين لليهود بزيارة القدس مرة واحدة فى السنة ، واعاد إليها اسم أورشليم سنة ٣٣٢ ، إلا أن اسم ايليا بقى معروفاً .

وعندما انقسم الرومان سنة ٣٩٥ م إلى قسمين ، كانت فلسطين تابعة للدولة الشرقية ، وكانت القدس ضمن محافظة فلسطين التي كانت عاصمتها قيسارية (٣٠) . وساد الهدوء القدس ما بين ١٣٥ م - ٦١٤ م ، حين غزتها جيوش الفرس المؤيدة بخمسة وعشرين ألف يهودي ، فأحرقت كنيسة القيامة ، ونهبت وهدمت الأديرة والكنائس في كل فلسطين ، وكان لليهود اليد الطولى فى النهب والدمار والفتن ، وقدر عدد القتلى المسيحيين فى القدس بأكثر من ستين ألفا ، ودفن خمسة آلاف منهم فى ماملا (٣١) .

ولكن هرقل الرومى انتصر على الفرس سنة ٦٢٧ م . واحتفل فى القدس فى الرابع عشر من أيلول سنة ٦٢٨ م برفع الصليب الذى كان قد استعاده من الفرس . ولا زال المسيحيون فى مختلف أنحاء الشام يعيدون عيد الصليب فى الرابع عشر من أيلول من كل عام (٣٢) .

ولم يطل احتفاظ الروم هذه المرة بالمدينة المقدسة حيث فتحها المسلمون فى السنة الخامسة عشرة للهجرة سنة ٦٣٨ م فأصبحت منذ ذلك التاريخ مدينة إسلامية وطوال تاريخ القدس هذا لم ينقطع تواجد أحفاد اليوسيين فيها وفى ما حولها سواء فى العهد الوثنى أو اليهودى أو النصرانى ، بل أنهم كانوا جلة سكانها لأن الآخرين كانوا محتلين طارئين عليها .

==X==X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X== « المراجع » ==X==

- ١ - أثبتت الحفريات الحديثة ، وجود سور يمكن ارجاعه إلى سنة ١٨٠٠ ق . م ، وهو السور اليوسى الذى وقف فى وجه الغزو الاسرائيلى .
- انظر الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٩ ، قسم ٢ . والعائدى : مأساة بيت المقدس ، ص ١٦٩ و ١٧٠ .
- ٢ - موقعها اليوم يعرف بإسم « هليوبوليس » شمال القاهرة ، ساءها العرب « عين شمس » .  
انظر الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٩ ، قسم ٢ ، ص ٢٤ .
- ٣ - موقعها اليوم « البدرشين » و « ميت رهينه » ، على مسافة ٢٢ كيلومتراً إلى الجنوب من القاهرة .  
انظر الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٩ ، قسم ٢ ، ص ٢٤ .
- ٤ - الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ج ٩ ، قسم ٢ ، ص ٢٤ .
- ٥ - الفدان يساوى ٤٠٠ ر . من الهكتار ، ويساوى ٤ دونات ، والدونم يساوى ١٠٠٠ متر مربع .



- المراجع :
- ١- ابن البطريق : اوئيشوس الاسكندري المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ١٩٠٤ م .
  - ٢- ابن العبرى غريغورس ، أبو الفرج بن هارون المولود سنة ٦٢٣ هـ : تاريخ مختصر الدول . بيروت ١٩٥٨ م .
  - ٣- جورج يوسف : قاموس الكتاب المقدس . بيروت ١٨٩٤ م .
  - ٤- حتى ، فيليب : تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، بيروت ١٩٥٧ م .
  - ٥- خليل طوطح ورفيقه : تاريخ القدس ودليلها ، القدس ، بدون تاريخ .
  - ٦- الدباغ ، مصطفى مراد : بلادنا فلسطين ، ج ٩ ، قسم ٢ . بيروت ١٩٧٥ م .
  - ٧- العابدى ، محمود : مأساة بيت المقدس ، القاهرة ١٩٧٢ م .
  - ٨- عارف العارف : اوراق عارف العارف ، المجموعة التاسعة .
  - ٩- فؤاد حسن على : الأدب العبرى ، القاهرة ١٩٦٣ .
  - ١٠- قاموس الكتاب المقدس ، صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى . بيروت ١٩٧١ م .
  - ١١- الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٦٣ .
  - ١٢- مجير الدين الحنبلى ، عبدالرحمن بن محمد عبدالرحمن بن محمد العليمى المقدسى (٨١٠-٩٢٧ هـ) ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عمان ١٩٧٧ م .
  - ١٣- الأب مرمجى الدومنيكانى : بلدانية فلسطين ، القدس ، بدون تاريخ .



# يوسف بن تاشفين

## في الأندلس

للشيخ إبراهيم محمد حسن المحجل  
المعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية

أطلق العرب اسم «الأندلس» على الجزء الجنوبي من شبه جزيرة «أيبيريا» الواقعة في الجنوب الغربي من قارة أوروبا، والتي تسمى الآن «أسبانيا» .  
وكانت الأندلس تمتد الى الشمال من الوادى الكبير، والى الجنوب والشرق منه حتى بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) تجاه بلاد المغرب الأقصى حيث يفصلها عن قارة افريقيه بحر الزقاق (مضيق جبل طارق).  
واطلاق العرب اسم الأندلس مأخوذ عن قبائل الفندال الذين طردوا الرومان ، وأسسوا على نهر الوادى الكبير مملكة سموها باسمهم (الفندال) ومنها جاءت كلمة فندلس التي نطق بها العرب «اندلس» واطلقوها على هذه البلاد .

.....

كان العرب يتطلعون الى فتح بلاد الأندلس منذ خلافة معاوية بن أبى سفيان الى أن ولى عقبة بن نافع بلاد البربر (شمال افريقيه) وأسس مدينة القيروان، واخذ يتوغل في الفتح حتى وصل الى بحر الظلمات (المحيط) .

ولم يستسلم البربر بسهولة فقد ظل المسلمون يقاتلون مايقرب من نصف قرن ولم يخضعوا الا بعد أن فهموا مبادئ الدين الاسلامى ، وعرفوا أن المسلمين ليسوا قوما مستعمرين ، وانما هم أصحاب عقيدة ومبادئ ثم لم يلبثوا أن اعتنقوا الاسلام ، واطمأنوا الى العرب ، وأصبحوا أمة واحدة .

وفي عام ٩١ هـ أمر الوالى موسى بن نصير قائده طارق بن زياد أن يكون جيشا من العرب والبربر، وأن يتجه بهم الى الأندلس ، فاستعد هو ومن معه ، واخترقوا بحر الزقاق ، ونزلوا على صخرة هناك سميت بعد ذلك بجبل طارق ، وما زال بسكان البلاد (القوط) حتى هزمهم ، وقتل ملكهم لذريق . ومنذ ذلك الحين دانت البلاد للمسلمين ، واستولوا عليها شيئا فشيئا ، والمسلمون يتقدمون في فتوحاتهم حتى اخترقوا جبال البرانس من الشرق إلى بلاد الغال (فرنسا الجنوبية) ووصلوا إلى مدينة بردو ونهر الرُون .

وما أن استقر المسلمون في هذه البلاد حتى نزع العرب من كل قبيلة، وهاجر إليها كثير من أهل المدن في شرق البلاد وغربها، واتصل كل هؤلاء بسكان البلاد الأصليين من قوط وغيرهم، وقد أسلم كثير منهم من مسيحيين ويهود، فصاروا مجتمعاً واحداً، تفرغوا عليه المحبة والصدقة والأخوة، فاندمج بعضهم في بعض بالتزاوج والمصاهرة، فنشأ جيل جديد يجرى في عروقه الدم العربي، ويتصف بصفات العرب من غيرة وكرامة وصفاء في القريحة فامتازوا بدقة الإدراك، وسعة الخيال، وقوة الفكر، فكان شعباً جديداً، ألبسه الإسلام ثوباً جديداً .

ولقد حكم هذه البلاد بعد الفتح أكثر من عشرين أميراً من الأمويين، فتوغلوا في البلاد، وامتد سلطانهم عليها، ولم يدخروا وسعهم في أسعادها، ومحاوله أن يجعلوا منها جنة الله في أرضه .

ثم أتى عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك من الشرق، واستولى على البلاد، واستتب له الأمر عام ١٤١ هـ ، وجعل عاصمة ملكة قرطبة، وأسس بها دولة بنى أمية التي زالت من المشرق بعد أن قوضها العباسيون .

كانت أعظم دول العرب هناك، وعصرها أزهى عصور الحضارة الإسلامية بالأندلس وقد حكمها في هذه المدة من بنى أمية تسع عشرة خليفة، وكان من أعظم الخلفاء عبد الرحمن الثالث الذي حكم الأندلس من عام ٣٠٠ إلى ٣٥٠ هـ .

وهكذا فقد تولى حكمها خلفاء أمويون امتازوا بكل ما يمتاز به القادة من ذكاء وعلم وخبرة ومعرفة وبطولة، وكانوا دائماً في جهاد وعلى أهبة واستعداد للقاء الأعداء في خارج البلاد ودخلها، فكانوا موضع إعجاب وتكريم واحترام غير المسلمين .

.....

كان المسلمون يعيشون في سعادة وهناء، فالخير لا ينقطع، ولا يقل بل يكثر ويزيد على مر السنين والأيام، ثم انقطع الناس عن تعاليم الدين، وانشغلوا باللهو والشهوات والنساء، فابتعدوا بما عملوا عن الدين الحنيف، وانصرفوا عن الجهاد، ودبَّ فيهم الخلاف، وما كاد القرن الرابع ينتهي حتى كانوا قد انكروا، وزاد الشقاق، وأصبح المسلمون ينظر بعضهم إلى بعض، وكأنهم هم الأعداء فهذا عربى وهذا بربرى وهذا مضرى وهذا قحطانى، وبرزت العصبية الجاهلية، وتكونت جماعة من الأفاقين والانتهازيين، فتطلعت إلى الحكم والرياسة، وانتهزوا فرصة ضعف الخليفة الأموى، فعملوا على التخلص منه حتى يقسموا البلاد بينهم .



ولكى يتخلصوا من آخر الخلفاء الأمويين، حتى يسقطوا حق بنى أمية في المطالبة بالملك، اجتمع المتآمرون في مجلس يدعى مجلس الكبراء في أواخر القرن الرابع الهجرى بدعوة من ابن جهور، وأخذوا يتناقشون، واستقر رأيهم على الغاء الخلافة .

ركبوا الخيل يحيط بهم الحراس والموالي، والكل مسلحون إلى قصر الخلافة، ونادوا آخر خلفاء بنى أمية هشاما الثالث، وطلبوا منه النزول من البرج، ثم حبسوه هو ونسأؤه في قبو مظلم، يرتعد من البرد الشديد، وقد اشتد الجوع بالجميع، وكان الخليفة يحتضن ابنته الصغيرة، وهى تصرخ من شدة الجوع، ولم يقدم لها أحد شيئا، فلما تكلموا في التنازل عن الخلافة، قاطعهم الخليفة قائلا :

نعم نعم !! إنى سأخضع إلى حكمكم كيفما كان، ولكنى أسألكم بالله تعالى أن ترسلوا لى شيئا من الخبز. . . . . إن هذه الطفلة ستموت بين يدي من الجوع، فأمروا بإحضار الخبز .

ثم قالوا :

يامولانا إن المجلس قرر أن تؤخذ عند الفجر لتسجن في قلعة كذا فأجاب الخليفة : فليكن . . . وليس لى الآن إلا رجاء واحد، وهو أن تأمروا لنا بمصباح لأن ظلمة هذا المكان الموحش تزعجنا وتخيفنا .

وهكذا سمع الصليبيون في أوروبا ما يفعله المسلمون بخليفة المسلمين بالأندلس، خليفة يستجدى خبزا وشمعة تضيء له ولأهله وأطفاله السجن .

.....

هكذا تخلصوا من الخليفة، وقسموا البلاد التى كانت دولة واحدة الى إمارات صغيرة، يحكمها انتهازيون مخادعون أفاقون، استولوا على البلاد ليوزعوها بينهم، وتغلب كل على جهة منها، وضبط كل متغلب منهم على ما استولى عليه بكل القوة والقسوة والظلم، ولم تمر أيام حتى اعتبر كل واحد منهم انه صاحب ملك حر التصرف فيه، واحاطوا أنفسهم بكل أنواع الملذات من الحياة، وجعلوا ولاية العهد فى أعقابهم، وتسموا بأسماء مختلفة فبعضهم تسمى بالمأمون والآخر تسمى بالمستعين والمقتدر والمعتصم والمعتمد والموفق والمتوكل .

مما يزهدى فى أرض أندلس أسماء مقتدر فيها ومعتصم ألقاب مملكة فى غير موضعها كالهريكى انتفاخا صورة الأسد ثم توارثها الأبناء عن الآباء، بعيدين عن تعاليم الإسلام، غارقين فى الشهوات والفساد .

يسمى المؤرخون هؤلاء الحكام ملوك الطوائف واستمر هذا العصر البغيض أكثر من سبعين عاما، كانت كل ولاية مستقلة عن الأخرى، بل إن القوى كان يلتهم الضعيف، وما فعله المعتضد زمن حكمه ولاية أشبيلية وابنه المعتمد من بعده يدعو إلى الأسى والحزن العميق . وكان الحاكم منهم لا يرى بأسا في أن يستعين بأعداء المسلمين على إخوانه بلا وازع ولا خوف .

وهكذا مهد هؤلاء القوم لظهور اتحاد الصليبيين من ايطاليا وفرنسا وأسبانيا مهمته التخلص من المسلمين المتناحرين، ورد البلاد إلى دينها الأول .

.....

بدأوا يلعبون بالحكام المسلمين، يستولون على أطراف البلاد، ويضمونها إليهم، والحكام يميلون إلى المسالمة، ومحسوبون من جهلهم أنها نوع من بعد النظر، ثم يطلبون منهم الأموال فيسرعون إلى تلبيتهم، فيعطونهم أكثر مما يطلبون، ويعدون ذلك مأمنا لهم، ووثوقا بهم، وفجأة وجدوا أنفسهم دخلوا في دائرة الحكام النصارى، يطلب منهم ترك ثغر من الثغور فيستجيبون مسرعين، وكان آخرهم الفونسو السادس الذى أذاق حكام المسلمين الويل والذى قال عنه المؤرخون :

«كانت شخصيته بغيضة منفرة، شديدة الجشع، مطبوعة على الإجرام نزاعة إلى القسوة والغدر والخيانة» .

هذا الفونسو أخبر مجالس الكنائس أن بلاد المسلمين في قبضته، وأنها ستسقط بين لحظة وأخرى .

بدأها بالاستيلاء على طليطلة بمساعدة المعتمد بن عباد سنة ٤٧٨ هـ ، وخرجت من قبضة المسلمين بعد أن حكمها المسلمون ما يقرب من أربعائة سنة .

كان لسقوطها دوى في العالم الاسلامى مشرقه ومغربه بعامة وفي الأندلس بخاصة . راح يلعب بالحكام، وكأنهم على لوحه شطرنج، حتى أدرك المسلمون أن الحياة فى الأندلس مستحيلة، وأن أيام المسلمين فيها معدودة، وأن النصارى لن يترجعوا حتى يستولوا على البلاد .

راح الشعراء يتباكون، ويحثون الناس على الفرار بدينهم متخذين مما حل بطليطلة حجة ودليلا .

يا أهل أندلس حثوا مطيكم  
فما المقام بها إلا من الغلط  
الثوب ينسل من أطرافه وأرى  
ثوب الجزيرة منسول من الوسط  
ونحن بين عدو لا يفارقنا  
كيف الحياة مع الحيات فى سفظ

هذا ما جرى بالعدوة الأندلسية، أما ما كان يجري بالعدوة في المغرب، فقد كان فيها حركة اسلامية سلفية رائدها إقامة الشعائر الاسلامية والجهاد، وكان هو الطريق الوحيد لتخليص البلاد من كل ما يبعدها عن الإسلام الصحيح وكان المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين قد قاموا بمجهود عظيم استطاعوا به أن يخلصوا المغرب من الفرقة والجهل بأمور الدين وأن يوحدوا صفوفه ويجعلوه تحت حكم واحد وقيادة واحدة بعد أن كان ولايات مختلفة متخاذلة، وكان يوسف قد علا صيته، وانتشرت أخباره في أوروبا والأندلس، وأصبح قوة يرهبه الجميع عندئذ فكر الفقهاء والعلماء في دعوة المرابطين لنجدتهم، إذ هم الورقة الأخيرة التي في يد المسلمين بالأندلس واتجهوا إلى الله أن يجعل النصر على أيدي تلك الفئة المؤمنة بالله القوية به والتي تستمد النصر بالتقرب إليه وتنفيذ أحكامه .

كتبوا إلى يوسف، يرجونه أن يأتي إليهم ليخلصهم مما أوقعهم فيه ملوك الطوائف، وحثوا الأمراء والحكام على أن يتصلوا بيوسف، وذهبت الوفود إلى المغرب باكية، لتذكر ما حصل وحل ببلاد الأندلس، وكان في مقدمة الداعين أبو الوليد الباجي الذي طاف بالممالك المختلفة يدعو الملوك إلى جمع الكلمة والاستعداد للانخراط في صفوف المجاهدين .  
علا الصوت الذي ظل زمنا طويلا لا يجد المجال لإعلان رأيه، واتصل فقهاء الأندلس باخوانهم فقهاء المغرب، وراحوا يمهدون للقاء الجيوش المرابطة التي ستحل بالجزيرة لإيقاد البلاد .

.....

استجاب يوسف بن تاشفين لدعوة الأندلسيين، ورأى أن فريضة الجهاد توجب عليه أن يسرع لتلبية إخوانه المسلمين، لا في الأندلس وحدها بل في أي مكان، فقد عرف حق الجهاد، وهو بما تعلمه من الإسلام، ومعرفته للجهاد لا يفكر إلا فيه، وكانت كلمة الجهاد لا تفارق لسانه فحينما عبر البحر، وسار إلى الجزيرة الخضراء، طلب منه ابن عباد أن يستريح في عاصمة ملكة أشبيلية فقال له :

«إنما أتينا للجهاد» .

وحينما تقدم ملوك الطوائف إلى يوسف يشكو كل واحد الآخر قال لهم :

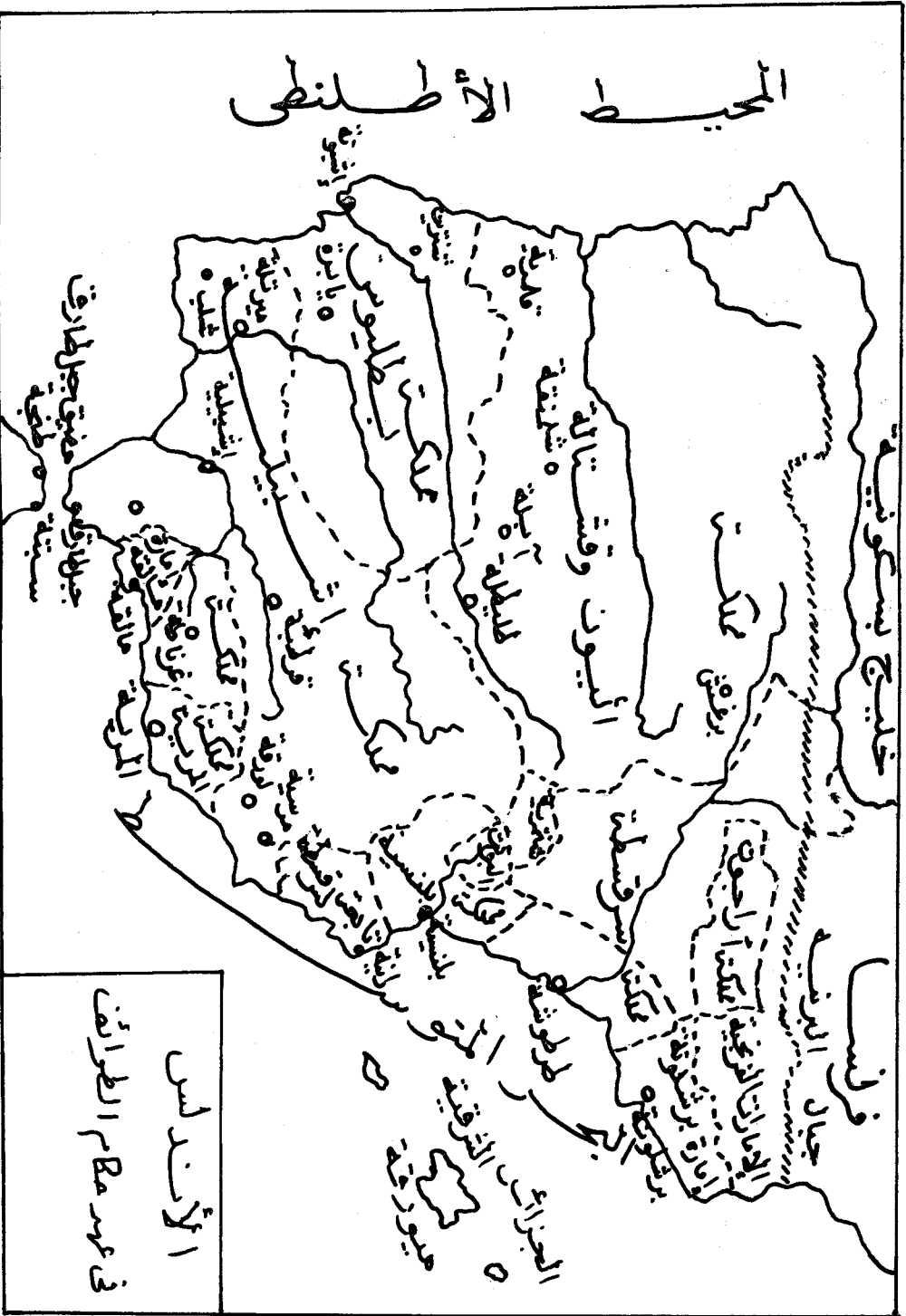
« لم نأت لهذا، والسلطين أعلم بما يصنعون في بلادهم !! » .

وهكذا لم يكن الدافع ليوسف إلا الجهاد، والجهاد وحده منفذاً لتعاليم الإمام والمربي

عبد الله بن ياسين»<sup>(١)</sup> .

(١) راجع إن شئت كتابينا يوسف بن تاشفين وعبد الله بن ياسين .

# السلطنة



وبدأ الاستعداد العلمى السريع بحذر وحيطة وذكاء، فلقد انتقل من مراکش عاصمة ملكه فى قلب الصحراء إلى شاطئ البحر، وأشرف على السفن المعدة للإبحار إلى الجزيرة الخضراء مفتاح الأندلس، وتكلم مع قائده ابن عائشة، ووصاه بأن ينزل إلى الجزيرة، فيستولى عليها ويحصنها، ويراقب البحر والجبال والوديان حتى لا يؤخذ على غرة .  
كان المعتمد بن عباد يعتقد - وقد استولى من قبل على الجزيرة عنوة من حاكمها المسلم - أنه سيشارك مع المرابطين فى التنظيم والإعداد إن لم يجعلوه قائدا على الجيوش، ولكنه وجد أن القوم مستقلون بأنفسهم وبأعمالهم، لا يرغبون أن يدخل بينهم إلا من هو من المرابطين .

توالى السفن تحمل العدة والعتاد والرجال من مدينة سبتة المغربية - أعادها الله هى ومليبية إلى المسلمين<sup>(١)</sup> - وكان آخر جندى يركب السفينة القائد العبرى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين .

كان ذلك ضحى يوم الخميس منتصف ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة من الهجرة بعد أن اطمأن على عبور جيشه المبارك، وما كادت سفينة القائد العظيم تخرع باب مضيق جبل طارق لتتجه إلى الجزيرة حتى اضطرب البحر، وتعالى الأمواج، فنهض الأمير واقفا وسط السفينة يستصرخ البارئ سبحانه وتعالى وقد بسط يديه بالدعاء نحو السماء قائلا :

« اللهم إن كنت تعلم أن فى جوازنا هذا خيرا للمسلمين فسهل علينا جواز هذا البحر، وإن كان غير ذلك، فصعبه حتى لا أجوزه » .  
فاستجاب الله الدعاء، فما كاد يتم كلامه - كما يقول ابن تاشفين - حتى سهل الله المركب، ووصل الطلب، وعبرت السفينة المضيق فى ريح طيبة وبحر هادئ، ووصل القائد إلى أرض الجزيرة بسلام .

.....

وما أن رأى الناس يوسف حتى دوت الأصوات بالتكبير والحمد لله، وتقدم إليه المعتمد بن عباد، ونزل عن فرسه، وأراد تقبيل يد يوسف، فمنعه من ذلك، وبادر إلى معانقته، وسأله عن حاله، وأطال معه الحديث .  
وأراد المعتمد أن يأخذه إلى عاصمة ملكه ليستريح، فقال رحمه الله :  
« إنما جئت ناويا للجهاد، فحيثما كان العدو توجهت » .

(١) سبتة ومليبية مدينتان عظيمتان بأرض المغرب لا يزالان تحت السيطرة الأسبانية .

وكان يوسف قد كتب إلى سائر حكام الأندلس، فتوافدوا إليه سريعا، وكان معهم ابن بلقين حاكم غرناطة، وأخوه تميم حاكم مالقة، وعمر المتوكل صاحب بطليوس وغيرهم .

.....

وصل الجميع إلى أرض المعركة في مكان يسمى «الزلاقة» يقع على مقربة من حدود البرتغال غرب الأندلس، والذي استقر رأى أمير المسلمين على أن يعسكر فيه بعد أن أتته الأخبار بأن الفونسو يتجه بجيوشه إلى جهة الغرب من الأندلس .

فرق يوسف بين جيوش المرابطين، وجيوش الأندلس، وجعل الأولى مستقلة تماما عن غيرها بقيادته وقيادة أبي داود سليمان بن عائشة، ومعه فرسان البربر، والقائد البطل أبو بكر بن سير ومعه جيش للطوارىء ولما يستجد من أمور، وذلك حسب تخطيط بارع دل فيها بعد على عبقرية يوسف الحربية .

وكانت جيوش الأندلس تحت قيادة المعتمد بن عباد وابن الأفطس وأخذت مكانها في المقدمة، بينما كانت جيوش المرابطين في المؤخرة .

.....

كانت الأخبار قد وصلت إلى الفونسو ملك قشتاله، وكان محاصراً لسرقسطة المسلمة يريد الاستيلاء عليها، ففك الحصار، وأرسل إلى جلاقة وليون وقشتاله، لترسل له الجيوش، وقد اتخذ من طليطلة مكانا للتجمع، وكذلك أرسل إلى فرنسا وإيطاليا وغيرهما، وتحولت إلى حرب صليبية، رفع فيها القساوسة والرهبان والأساقفة الصلبان، ونشروا الأناجيل، ودعوا لقتال المسلمين .

وكتب الفونسو إلى المعتمد يقول :

« إن صاحبكم قد تعنى من بلاده، وخاض البحار، وأنا أكفيه العناء فيما بقى، ولا أكلفكم تعباً، أمضى إليكم، وألقاكم في بلادكم رفقا، وتوفيراً عليكم . »

استعد الفونسو للمعركة، وقدرت جيوشه بثمانين ألف مقاتل، لأنه اعتقد أن هذه هي الضربة الأخيرة في الأندلس، وبعدها سينتهى أمر المسلمين إلى الأبد. أرسل جواسيسه ليأتوه بالأخبار، فعرف أن جنوده أضعاف عدد المسلمين، فنظر إلى جموعه قائلاً: « بهؤلاء أقاتل الجن والإنس وملائكة السماء . »

ونادى على كاتبه الذي يجيد العربية فأمره أن يكتب كتاباً مطولاً إلى يوسف يتوعد ويهدد وينذر .

فلما وصل الكتاب إلى أمير المسلمين أجاز مبتسما، واثقا من نصر الله قائلا : هذا كتاب مطول، اكتبوا على ظهره :  
« الذى يكون ستره » .

وأرسل إليه رسالة أخرى يخيره فيها بين الإسلام أو الجزية أو القتال . فلما وصل الكتاب إلى الفونسو، قال للرسول :  
« قل لسيدك أنتم الذين تدفعون الجزية لى » .

مشيرا بذلك إلى أن معظم ملوك الطوائف كانوا يدفعون الأموال الطائلة للفونسو زيادة على ما يقتطع من الأرض والبلاد، وفي مقدمة هؤلاء الملوك المعتمد بن عباد الذى يعتبر أقوى هؤلاء الملوك .

.....

أما من جهة القتال، قال الفونسو :  
إن الجمعة للمسلمين، والسبت لليهود، والأحد للنصارى، وسنلتقى يوم الاثنين .  
وكان المعتمد يعرف غدر الفونسو، فأخبر يوسف بما ينطوى عليه الميعاد من غدر .  
فقال يوسف :

« سنكون مستعدين لكل شىء » .

جاءت عيون جيش المسلمين تخبر ليلة الجمعة بالجلبة والحركة والضوضاء فى معسكر النصارى، فأخذ المسلمون أهبتهم متحفزين .  
وما كاد يظهر ضوء صبح الجمعة الثانى عشر من رجب سنة تسع وسبعين واربعمائة من الهجرة حتى زحف النصارى، وبدأ القتال، وهجمت مقدمة القشتاليين والأرجوانيين بقيادة البارهانيس على القوات الأندلسية التى يقودها المعتمد بن عباد، وما كاد العدو يوجه ضربته إليهم حتى خارت قواهم ، وفروا ليعتصموا بأسوار بطليوس القريبة تاركين المرابطين وحدهم .

.....

لعل خطة الفونسو هى ضرب القوات الأندلسية، ثم القضاء على المرابطين وبهذا يتم له النصر، والاستيلاء على البلاد، وطرد المسلمين منها .  
ولكن الله كان له بالمرصاد، والمولى سبحانه وتعالى هو الذى أعد يوسف لهذه الساعة، لتكون نذيرا للمسلمين كى يرجعوا إلى دينهم الحنيف .

.....

كان يوسف يراقب تحركات العدو، ويأتيه المراقبون بالأخبار، ولقد ثبتت شرذمة قليلة كانت تحارب مع المعتمد بن عباد، الذي صمد أمام ضربات الأعداء، فاصدر يوسف أمره سريعا إلى قائده ابن عائشه بالاسراع إلى نجدة ابن عباد، ولكن هذه الفرقة لم تؤد الغرض الذى من أجله أرسلت، فقوات العدو الكثيرة تتقدم بسرعة، فأرسل إليهم قائده سير بن أبى بكر، ووقعت بين قوة العدو وبين القوتين معارك ضارية، وانشغل النصارى بقتال الفرقتين، ووجهوا كل اهتمامهم إلى هؤلاء، وهذا ما كان يهدف إليه القائد العبقري، وهو ما عمد إليه يوسف، حتى يُظهر المفاجآت، والمفاجأة لها دخل كبير فى كسب الانتصار، وهذا ما عمد إليه يوسف، فقد نزل بنفسه إلى قلب المعركة بقوة لمتونية<sup>(١)</sup>، وبخطة لم تخطر على بال، فكانت المفاجأة الأولى، لقد انقض على جيوشهم من الخلف، وهجم على معسكراتهم، وكانت الحراسة ضعيفة، فاضرم فيها النيران التى قضت على كل ما فيها، ووثب على مؤخرة العدو، وأدار فيهم القتل .

وكانت المفاجأة الثانية وهى تحطيم الروح المعنوية فى جيش الأعداء فأمر فرق الطبول أن تضرب، فكان صوتها يشق عنان السماء، ووقع الرعب فى قلوبهم، فلم يتعودوا مثل هذا فى الحروب، وأصيبوا بزعر شديد حينما شاهدوا النيران تلتهم معسكراتهم .

ولما علم الفونسوبما حصل لمحل قيادته، إرتد على عقبه، فاصطدم بمؤخرة المرابطين، ودارت معارك رهيبية، والقائد العبقري العظيم فوق فرسه يتلو القرآن، ويحث جنوده على الثبات، ويرغبهم فى الاستشهاد، وصوت الطبول ما يزال يدوى فى الفضاء فيهرب الأعداء، فيولون منه الأدبار .

لقد تحكم المرابطون فى جبهة القتال، فأرسل القائد البطل أمره إلى الجنود بتغيير الخطة، وكانت المفاجأة الثالثة، فقد بدأ القتال فى صفوف متراسة متناسقة ثابتة، وهى خطة مبتكرة فى القتال لم يعهدها النصارى من قبل، أذهلت العدو، وأصبح ميدان الحرب وكأنه صالة عرض يلعب فيها المرابطون بالسيوف والرمح .

وكانت المفاجأة الرابعة، وهى الضربة الأخيرة، فقد أشار القائد المسلم العبقري إلى القوات السودانية<sup>(٢)</sup> بالنزول إلى قلب المعركة، وكان قوامها أربعة آلاف مقاتل بمزاريق الزان وسيوف الهند، فانقضوا على النصارى كالصاعقة واستطاع أحدهم أن يرسل إلى الفونسو طعنة بخنجر فى فخذه، إلا أنها لم تكن القاضية، ففر بجرحه .

(١) هي القبيلة البربرية التى ينتمى إليها يوسف وكانت معروفة بالشجاعة الفائقة فى القتال .

(٢) يطلقون كلمة السودانى على كل من هو من وسط أفريقية .



يقول امير المسلمين يوسف في رسالته إلى مراکش العاصمة :  
« وتسلسل الفونسو تحت الظلام ، فاراً لا يهدى ولا ينام ، ومات من الخمسمائة فارس  
الذين كانوا معه بالطريق أربعمائة ، فلم يدخل اللعين طليطلة إلا في مائة فارس » .

\*\*\*\*\*

لقد كان نصراً مبيناً ، أيده الله ورعاه ، وكان يوسف ومن معه أشداء على الكفار ، فقد  
وفقههم الله ، ليكونوا عظة وعبرة ، ودليلاً على أن من استمسك بحبل الله فالله معاونه  
وناصره .

كانت الزلافة كيوم القادسية واليرموك ، عمت بها الفرحة في المشرق والمغرب ،  
ووصلت وفود المهنيين إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وأرسل الإمام الغزالي إلى  
يوسف يهنئه بنصر الله ويعده باللقاء ، فلقد اعتبره الأمير المثالي ، ورجا الله ودعاه أن ينصر  
الإسلام والمسلمين بآب تاشفين .

\*\*\*\*\*

هدد الفونسو أهل الصليب بترك الأندلس للمسلمين إذا لم يساعده بكل ما  
يستطيعون فأرسلوا إليه آلاف المقاتلين ، فأخذ يستعد لقتال المسلمين ، وابتنى قرب مُرسية  
حصناً ضخماً ليكون قاعدة للإغارة على تلك المناطق ، في مكان اسمه لبيط شحنه بالمقاتلة  
حتى بلغ حاميته ثلاثة عشر ألف مقاتل ، فيهم ألف فارس .

وبدل أن يتحد ملوك الطوائف ، ويواجهوا قوة الفونسو ومن معه ، أصبحوا يتواكلون  
على يوسف ، فنجد ابن عباد الذي اعتبر نفسه قائد الأندلس وحاميها ، يستعين بيوسف مرة  
ثانية ، فقد عبر بنفسه إلى المغرب ، والتقى بأمر المسلمين ، وعرض عليه الأمر ، فوعده  
يوسف خيراً ، واستعد للجواز الثاني وذلك في عام ٤٨١ هـ .

وتوجه ومن معه من المرابطين إلى حصن لبيط ، ولحق به عدد من ملوك الطوائف  
ومعهم قواتهم وضربوا حصاراً حول الحصن دام أربعة أشهر ، والقوات من داخل الحصن  
تتساقط من الجوع والإعياء ، ورغم ذلك فقد كان من أهل الحصن ينقضون على المسلمين  
فينزلون بهم الخسران ، ثم يرجعون إلى الحصن .

ما الذي شجع أهل الحصن على ذلك؟ وهل يوجد خونة في صفوف المسلمين؟ أو

تخاذل البعض؟ الذي لا نشك فيه أن المسلمين لم يكونوا يدا واحدة !

لقد جمع يوسف كل ما يحتاج إليه من معلومات ، فقد رأى ملوك الطوائف وكيف يكيل  
بعضهم لبعض الاتهامات ، ويتهم بعضهم بالخيانة ، والتواطؤ مع الأعداء ، بل لقد علم أن

بعض الملوك كان على صلة بمن في الحصن، وأنهم قدموا إليهم مساعدات أدت إلى مناعة الحصن، وأن بعضهم بدأ يخاف من قوة المرابطين المتسمة بالجد والعمل، وأن الناس في الممالك لا حديث لهم إلا عن المرابطين، وضعف الملوك .

لقد خرج يوسف بنهاية مؤسفة من مخالطته لهؤلاء القوم وهي أنه ليس في ملوك الطوائف من يستطيع أن يتحمل مسئولية الحكم والدفاع عن البلاد، وأنهم لا يرجى منهم نفع لأنفسهم ولا للمسلمين، وأنهم يتخبطون في حياتهم ولا هم لهم إلا شيء واحد هو المحافظة على الكرسي الذي يجلسون عليه .

.....

لما أراد يوسف الرجوع إلى بلاده، اجتمع حوله الملوك، وكلموه في أن يترك لهم جيشا يحميهم من هجوم الفونسوقال لهم :  
«أصلحوا نياتكم تكفوا عدوكم» .

أثار هذا التصريح خوفهم ، فرجع بعضهم إلى دفع الإتاوة إلى الفونسو، ورجع البعض إلى التعاون معه، وقطع بعضهم المدد عن الحامية التي تركها لهم يوسف، فأهاج هذا وغيره مسلمي الأندلس، ف عقدوا الاجتماعات، وأعلنوا العصيان، وأفتى الفقهاء بخلع الملوك، واتهموهم بالخيانة والكفر، وعبر عن ذلك أحد الشعراء إذ قال :

ناد الملوك وقل لهم ماذا الذي أحدثتم  
أسلمتم الإسلام في أسر العدا وقعدتم  
وجب القيام عليكم إذ بالنصاري قمتم  
لا تنكروا شق العصا فعصا النبي شقتكم

كانت الأدلة توجب على يوسف أن يتدخل لإنقاذ الأندلس من فوضى ملوك الطوائف، لكنه أراد أن يجمع كل الأدلة حتى لا يتهم فيما يقبل عليه من أمر. لكن الكتب والفتاوى والوفود تصل إليه تطلب منه أن يسرع إلى انقاذ البلاد لا من الصليبيين وحدهم بل انقاذها من ملوك الطوائف أيضا، وكان مما ورد إلى أمير المسلمين فتوى من الإمام الغزالي وأبي بكر الطرطوشي، فاستجاب يوسف، وجهز جيشا وعبر به إلى الأندلس في أوائل سنة ٤٨٣ هـ .

إنجيه يوسف إلى طليطلة حيث أصبحت عاصمة القشتاليين، لكنها كانت من المناعة بحيث تركها يوسف لوقت آخر، ومال إلى جنوب الأندلس صوب غرناطة، فاستسلم أميرها

عبد الله بن بلقين، ولم يستطع الفونسو أن يأتي إليه لينفذ معاهدته الدفاعية معه عام ٤٨٣ هـ وفرح الناس فرحاً عظيماً باستيلاء المرابطين عليها .

ثم إن القائد العظيم أرسل إلى المعتمد بن عباد لكي يتكلم معه في شأن البلاد، ولكن بن عباد لم يستجب لأمر المسلمين، فاجتمع بقواده، ورسم لهم خطة الاستيلاء على بلاد الأندلس، وتخليصها من أيدي الملوك والأمراء، ثم غادر البلاد صائماً في رمضان عام ٤٨٣ هـ بعد أن طلب من قائده سير بن أبي بكر أن يتوجه إلى اشبيلية. واتجه هو إلى مدينة سبته في عدوة المغرب يرقب الأحوال وتأتيه العيون بالأخبار ويجهز الجيوش، ويرسل الامدادات والتوجيهات مترقبا النتائج التي سينتهي إليها مصير الخارجين على تعاليم الإسلام وقواعده .

.....

سار جيش المرابطين بقيادة أبو عبد الله محمد بن الحاج إلى قرطبة، وكان المعتمد بن عباد أخذها عنوة، وكان يتولى أمرها ابنه المأمون، وكانت المدينة تعرف الطريقة غير المشرفة، التي أخذت بها قرطبة، فتخلى عنه الناس، واستطاع المرابطون أن يتسلقوا أسوار المدينة وأن يقتلوا المأمون هو ووزيره، وأن يخضعوها لحكمهم. ثم اتجهوا إلى اشبيلية بقيادة سير بن أبي بكر، فحاصرها أربعة شهور، وفي أثناء ذلك أرسل الفونسو حملة إلى اشبيلية بقيادة البار هانس مؤلفة من عدة آلاف، واشتبكت مع المرابطين في أحواز اشبيلية، انتهت بانتصار المرابطين، بعد معركة جرح فيها قائد الفونسو جرحاً أدى به إلى الموت فيما بعد، ثم استطاع المرابطون أن يحدثوا ثلماً في السور عند باب الفرج قرب باب النصر، واستولوا على القصور وما بها، ولم يقتلوا المعتمد تنفيذاً لأمر أمير المسلمين.

وأصدر القائد المسلم العظيم سير بن أبي بكر أمناً للمعتمد في النفس والأهل والولد، وأرسل أسيراً إلى أغمات حتى لا يتصل بأعداء الإسلام وكان مع عائلته. ثم أخذ المرية من حاكمها معز الدولة أحمد بن المعتصم بن صمادح، وكذلك رنده وكان يحكمها الراضى بن المعتمد، ومير تله وكان يتولى أمرها المعتد بن المعتمد، وبطليوس وكان صاحبها ابن الأفطس قد تعاون وتحالف مع النصارى ضد أبناء جلدته فانتصروا عليه وعلى من عاونوه، وقتل هو وأولاده جزاء خيانتهم، عام ٤٨٨ هـ .

وكان آخر ما استولى عليه المرابطون «بلنسية» فقد أنفقوا جهوداً كبيرة لإنقاذها من القمبيطور وعصابته من القشتاليين في حرب مثيرة<sup>(١)</sup> عام ٤٩٥ هـ .

.....

(١) راجع «بلنسية الشهيدة» ص ١٦٥ من كتابنا يوسف بن تاشفين .

وبرجوع بُلنْسِيَّة خلصت البلاد الأندلسية ماعدا ولاية سرقسطة وكان يحكمها المستعين فأرسل إلى أمير المسلمين مظهرها المسألة قائلا :  
«نحن بينكم وبين العدو سد لا يصلكم منه ضرر» وأبدى استعداداه لتحصين البلاد،  
وضبط أمورهما فوافق الأمير على ذلك .  
وبهذا استقر الحكم للمسلمين ، وأصبحت الأندلس دولة مسلمة موحدة .

\*\*\*\*\*

في عام ٤٩٤ أو قريبا من ذلك عبر يوسف عبوره الأخير ، وكان قد عهد إلى القائد سير بن أبي بكر بأمور الأندلس ، ولما كان من عادة يوسف إذا خرج من عاصمة البلاد أن يكون ناويا للجهاد ، فقد وجه جيشا بقيادة محمد بن الحاج إلى جهة طليطلة ، وكانت لا تزال عاصمة قشتالة فالتقى بالفونسو وجيشه قريبا منها ، فانهمز جيش الفونسو متكبداً خسائر كبيرة .

ثم توجه يوسف إلى قرطبة عام ٤٩٥ هـ ، وأخذ البيعة لابنه علي بن يوسف بن تاشفين لما يتمتع به من النباهة والحزم والتقوى ، فقد كان مقتفيا سيرة والده . فووفق علي ما طلب ، وأشار علي على أن ينشئ في الأندلس جيشا مرابطيا ثابتا ، وأن يحسن السياسة والرفق والعناية بالأندلس ورجع إلى عاصمة ملكه «مراكش» وفي عام ٤٩٩ هـ تزايدت العلة بأمير المسلمين وهو معظم مهوب لا يخلد إلى راتبه ولا يسكن إلى دعه .  
وما زالت حالته تسوء ، ويذبل جسمه شيئا فشيئا حتى وافه الأجل المحتوم ، فتوفي رحمه الله سنة ٥٠٠ هجرية بمراكش عن مائة عام كاملة ، فكان لوفاته وقع عظيم في المغرب والأندلس والمشرق العربي . وراثه العلماء والفقهاء والشعراء ومما قاله أبو بكر بن سوار الأشبونى :

اسمع أمير المسلمين وناصر السـ      دین الذی بنفوسنا نفضیه  
جوزيت خيرا من رعيتك التي      لم ترض فيها غير ما يرضيه  
تصل الجهاد إلى الجهاد موفقا      حتم القضاء بكل ما تقضيه  
متواضعا لله تظهر دينه      في كل ما تبديه أو تخفيه  
رحمه الله ورضى عنه .

الْحَمْدُ لِلَّهِ

الَّذِي هَدَانَا

لِلْإِسْلَامِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ  
الَّذِي هَدَانَا  
لِلْإِسْلَامِ



# تحقيق جزأ الضعفاء والمتروكين

للإمام الدارقطني

لشيخ عبد الرهم محمد القسري

مماضيكلية الحديث الشريف بالجامعة

الإمام الدارقطني :

هو الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي صاحب السنن . ولد سنة ست وثلاث مائة .

سمع البغوي وابن صاعد وابن دريد .

ومن تلامذته أبو بكر البرقاني وحمزة بن محمد بن طاهر والأزهري . وخلق .

قال الذهبي : - سمع ببغداد والبصرة والكوفة وواسط وارتحل في كهولته إلى مصر والشام وصنف التصانيف الفائقة .

قال الخطيب البغدادي : - كان فريد عصره وإمام وقته وانتهى علم الأثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال مع الصدقة والثقة وصحة الاعتقاد والاضطلاع من علوم كالقراءات فإن له فيها مصنفاً سبق فيه إلى عقد الأبواب قبل فرش الحروف وتأسى القراء بعده .

قلت : - وكتابه العلل الكبير يشهد له بالعلم وسعة الاطلاع في أقوال المتقدمين وأهل عصره .

وقد نسب إلى التشيع لسبب حفظه ديوان السيد الحميري . وهي تهمة ردها الإمام الذهبي رحمه الله .

وهناك مواقف تدل على عظيم شأنه ودقة انتباهه لما يملئ في المجالس فمن تلك ما نقله الخطيب البغدادي عن الأزهري حيث قال : بلغني أن الدارقطني حضر في حديثه مجلس إسماعيل الصفار وقعد ينسخ جزءاً والصفار يملئ . فقال رجل - للدارقطني - : لا يصح سماعك وانت تنسخ . فقال : فهمي للإملاء خلاف فهمك . اتحفظ كم أملى الشيخ . قال : لا أدري . قال : أملى ثمانية عشر حديثاً . الحديث الأول عن فلان عن فلان ومثنته كذا وكذا . والحديث الثاني عن فلان عن فلان . ومثنته كذا وكذا . ومر في ذلك حتى أتى على الأحاديث فتعجب الناس منه .

مات رحمه الله سنة خمس وثمانين وثلاثمائة (١) .

(١) لاستيفاء ترجمته انظر تاريخ بغداد ٣٤١٢ ، تذكرة الحفاظ ٩٩١٣ .

## كتاب الضعفاء :

يعتبر كتاب الإمام الدارقطني من أمهات الكتب التي اعتمد عليها المصنفون في علم الجرح والتعديل . كميزان الاعتدال - ولسان الميزان - وتهذيب الكمال وغيرها من الكتب التي أصبحت فيما بعد من المراجع المهمة للباحثين .

وأن كلام الدارقطني في الضعفاء ليس مقصوداً على كتابه الذي بين أيدينا بل تكلم عنهم في كتابه السنن وكتابه العلل وهذا ما يفسر لنا اختلاف لفظ التضعيف في راو ما في المراجع المختلفة التي وقفت عليها .

ومن الغريب حقاً ان نرى ثبوت المصنف على قوله في التصنيف بعكس الإمام ابن حبان البستي مثلاً حيث يذكر - أحياناً - بعض الرواة في كتابه المجروحين ثم يعيد ذكرهم في كتاب الثقات . مما يدل على أن الدارقطني لم يصدره حكمه في ذلك الراوي إلا بعد دراسة لحاله ورواياته ومن أجل هذا جاء كلامه ثابتاً عنه .

وعند مقابلي لأقواله مع أقوال غيره لم أجد من الغير تردداً في أي راو تكلم عنه الدارقطني بل هناك بعض علماء الجرح تكلموا في الراوي كلاماً أشد من كلام الدارقطني مما يرجح تأدب الدارقطني في هذه الناحية طالما انه استطاع ان يبين حال الرواة .

وفي الحقيقة لم أتمكن من التعليق على جميع الذين تكلم عنهم لان الغرض هو احياء هذا الجزء ليكون في متناول الباحثين الذين يفتقدون هذا الكتاب إن لم يكن كلهم فجلهم . ولعل نشره في مجلة جامعية يعنيني من المطالبة بتكثير الحواش لأن الغرض هو الكتاب وليس الحاشية .

وأرجو أن أكون ممن ساهم ولو بجهد قليل في إحياء هذا التراث النادر . وانني أمل أن أقدم موضوعاً منفصلاً عن الدارقطني ومؤلفاته وجهوده في إحياء السنة النبوية .

## جزء فيه الضعفاء والمتروكون :

لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني .  
رواية ، أبي محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهرى عنه .  
رواية ، أبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون عنه اجازة .  
رواية ، الشیخة أم عبد الكرىم فاطمة بنت أبي الحسن سعد الخیر بن محمد بن سهل الأنصاري .

رواية ، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن أحمد المقدسي عنها سماع منه لعبد الحافظ بن عبد المنعم بن غازي الكوري .



قال أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي البرقاني : طالت محاورتي مع أبي منصور ابراهيم بن الحسين بن حمکان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني - عفا الله عني وعنهما - في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبتته على حروف المعجم في هذه الورقات .

### أبواب الألف : باب إبراهيم

١ - إبراهيم بن الفضل المدني المخزومي عن المقبري روى عنه إسرائيل وكناه أبا اسحاق (١) .

٢ - ابراهيم بن الحكم بن أبان العدني .

قال أحمد بن حنبل : في سبيل الله دراهم انفقناها إلى عدن إلى إبراهيم بن الحكم (٢) .

٣ - إبراهيم بن علي الرافي . يروى عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« صلى على النجاشي فكبر عليه خمسا » .

روى عنه أيوب بن حسن بن علي بن أبي رافع عن أبيه (٣) .

٤ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي (٤) .

يحدث عن أبيه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا تجعلوني كقدح الراكب (٥) .

لا يتابع عليه . روى عنه موسى بن عبيدة .

٥ - إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري مدني يروى عن أبيه (٦) .

٦ - إبراهيم بن خثيم بن عراق بن مالك . بغدادي (٧) .

٧ - إبراهيم بن عثمان . أبو شببه قاضي واسط .

(١) قال الذهبي تركه غير واحد - ت ق - (ديوان ١١) .

(٢) قال الذهبي متروك - ق - .

ونقل قول الإمام أحمد في الميزان - ولم أجد هذه العبارة في كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد - انظر (ديوان ٩ ، ميزان الاعتدال ٢٧٨) .

(٣) قال البخاري فيه نظر التاريخ الكبير ٣١٠/٨ .

(٤) قال البخاري : لم يثبت حديثه روى عنه موسى بن عبيدة . ضعف لذلك .

وقال ابن حبان : من أهل المدينة منكر الحديث ولا أعلم له راويا الا موسى بن عبيدة الربذي . وموسى ليس بشيء في الحديث ولا أدري البلية في أحاديثه والتخليط في روايته منه أو من موسى . انظر (التاريخ الكبير ٣٢٠/٨ ، المجروحين ١٠٨٨) .

(٥) العقيلي .

(٦) قال الذهبي تركوه (ديوان ١٢) .

(٧) قال النسائي متروك الحديث بغدادي (الضعفاء والمتروكين ١٣) .

حدثني أبو شيبه عن الحكم بن إبراهيم بن عطية أبو إسماعيل الثقفى واسطى . ذكر  
عنه هشيم عن مغيرة عن إبراهيم .

( النظر في مرآة الحجام دناة ) ( ١ ) .

٨ - إبراهيم بن عمر بن أبان بصري سمع أباه يحدث عن عمر وعثمان بن عفان .  
روى عنه أبو معبد البراد روى عن الزهري حديثا لم يتابع عليه ( ٢ ) .

٩ - إبراهيم بن عمر بن سفينه يقال له برية . حدث عنه أبو معشر البراء . لا  
يعرف أبوه إلا به .

روى عنه ابن أبي فديك وإبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي والبصريون ( ٣ ) .  
١٠ - إبراهيم بن هراسة الكوفي أبو اسحاق الشيباني يروي عن الثوري ما لا يتابع

عليه ( ٤ ) .

١١ - إبراهيم بن هدبه بصري . عن أنس ( ٥ ) .

١٢ - إبراهيم بن يزيد الخوزي . أبو إسماعيل سكن شعب الخوز ( ٦ ) .

١٣ - إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي المديني ( ٧ ) .

١٤ - إبراهيم بن حيان بن حكيم ويقال ابن البرأ من ولد أنس عن شعبة ومالك

وحمام بن زيد وشريك ( ٨ ) .

١٥ - إبراهيم بن أبي بكر بن المنكدر التميمي حجازي عن ربيعة بن أبي عبد

الرحمن ( ٩ ) .

١٦ - إبراهيم بن أبي حية وإسم أبي حية اليسع - روى عنه قتيبة وداود بن حماد بن

فراصة ( ١٠ ) .

١٧ - إبراهيم بن زيد الاسملى عن مالك ( ١١ ) .

( ١ ) قال النسائي متروك الحديث ( الضعفاء والمتروكين ١٣ ) .

( ٢ ) قال ابن حبان ليس ممن يحتج بخبره اذا انفرد . ( المجروحين ١١٠٨ ) .

( ٣ ) ترجم له الذهبي في موضعين : الأول في باب إبراهيم - والثاني في باب برية . انظر ( ميزان الاعتدال ٣٠٦/٥٠٨ ) .

( ٤ ) قال فيه مسلم : ذاهب الحديث ( الكنى والأسماء ٦٨ ) .

( ٥ ) قال الذهبي : كذاب ( ديوان ١٣ ) .

( ٦ ) قال الذهبي : متروك ( ديوان ١٤ ) .

( ٧ ) قال الذهبي : متروك عند الجمهور . وقال أبو داود : كان قدريا رافضيا ( ديوان ١٣ ) .

( ٨ ) قال الذهبي : كأنه ابن البرأ واه ( ديوان ٩ ) .

( ٩ ) قال الذهبي : قال الدارقطني ضعيف ( ميزان الاعتدال ٢٤٨ ) .

( ١٠ ) قال ابن عراق : ابن أبي حية بالثناة التحتية المشددة ( تنزيه الشريعة ٢١٨ ) .

( ١١ ) قال ابن حبان : منكر الحديث جدا ( المجروحين ١١٣٨ ) .

- ١٨ - إبراهيم بن عمرو بن بكر السكسكي رملبي متروك يروى عن جعفر بن محمد وعن ابن جريج وإسماعيل بن أمية . وروى عن هشام بن عروة حديثا مسندا (١) .
- ١٩ - إبراهيم بن مهاجر بن مسمار المدني (٢) . والكوفي هو جابر يعتبر به .
- ٢٠ - إبراهيم بن عبيد الله بن همام بن أخي عبد الرزاق عن عمه كذاب يضع الحديث (٣) .
- ٢١ - إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيبي عن الحارث بن عطية ووكيع (٤) .
- ٢٢ - إبراهيم بن زكريا العبدساني يروى عن خالد الواسطي (٥) .
- ٢٣ - إبراهيم بن علي الغزي سكن الكوفة عن مالك ويزيد بن عبد العزيز بن سياه (٦) .
- ٢٤ - إبراهيم بن محمد بن صدقة العامري كوفي يروى عن مروان الفزاري وسعيد بن عبد العزيز (٧) .
- ٢٥ - إبراهيم بن صالح بن درهم الباهلي بصري مقل يروي عن أبيه (٨) . أبوه صالح ثقة (٩) .
- ٢٦ - إبراهيم بن صرمة بن أبي صرمة الأنصاري عن يحيى بن سعيد الأنصاري (١٠) .
- ٢٧ - إبراهيم بن حماد بن أبي حازم الزهري الضرير سكن مصر عن مالك والحجازي (١١) .
- ٢٨ - إبراهيم بن بشير مكّي عن مالك وابن عيينه ومعاوية الضال وحباب بن فضالة (١٢) .
- ٢٩ - إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع سمعته يقول متروك (١٣) .

(١) قال الذهبي : قال الدارقطني متروك ( ديوان ١١ ) .  
(٢) قال النسائي : ضعيف مدني ( الضعفاء والمتروكين ١٣ ) .  
(٣) انظر ( تنزيه الشريعة ٢٢١ ) .  
(٤) قال ابن حبان : يسوي الحديث ويسرقه ( المجروحين ١١٦٨ ) .  
(٥) قال الذهبي : هو العبدسي وعبدسي من قرى وسط ( ميزان الاعتدال ٣٧٨ ) .  
(٦) قال ابن حجر : قال الدارقطني روى عن سويد بن عبد العزيز بن سياه ( لسان الميزان ٨٤٨ ) .  
(٧) قال الذهبي : ضعيف ( ديوان ١٣ ) .  
(٨) قال الذهبي : ضعفه الدارقطني ( ديوان ١٠ ) .  
(٩) وثقه ابن معين من الرابعة - د - ( التقریب والتهديب ١٤٩ ) .  
(١٠) قال ابن معين : كذاب خبيث ( لسان الميزان ٥٠٨ ) .  
(١١) قال ابن حجر : ضعفه الدارقطني ( لسان الميزان ٥٠٨ ) .  
(١٢) قال ابن حجر : قال الدارقطني ضعيف ( لسان الميزان ٤٠٨ ) .  
(١٣) قال ابن حجر : ضعيف من السابعة - خت ق - .

- ٣٠ - إبراهيم بن إسماعيل الصيني سمعته يقول متروك (١) .  
 ٣١ - إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة سمعته يقول متروك (٢) .

==X==X==X==X==X==X==X==X==X==X

### باب أحمد

- ٣٢ - أحمد بن عطاء الهجيمي بصري يروي عن خالد العبد (٣) .  
 ٣٣ - أحمد بن أخت عبد الرزاق كذاب (٤) .  
 ٣٤ - أحمد بن الحسن المضري متأخر كذاب (٥) .  
 ٣٥ - أحمد بن عبد الله الفريابي مروزي حدثونا عنه يروي عن أبي عاصم النبيل (٦) .  
 ٣٦ - أحمد بن عبد الله الجويباري هروى كذاب (٧) .  
 ٣٧ - أحمد بن معدان العبدي عن ثور بن يزيد روي عنه محمد ابن وزير الواسطي متروك (٨) .  
 ٣٨ - أحمد بن علي بن أخت عبد القدوس عن مالك . مقل متروك .  
 ٣٩ - أحمد بن محمد الأنصاري أبو عقبة بصري سكن الجزيرة عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى حدث عنه هلال بن العلا (٩) .  
 ٤٠ - أحمد بن محمد بن مالك بن أنس عن ابن أبي أويس عن أبيه عن جده (١٠) .  
 ٤١ - أحمد بن عاصم الموصلي عن مالك (١١) .

(١) انظر (ديوان ٨) .

(٢) قال الذهبي ونفسه أحمد وضعفه غيره (ديوان ٨) .

(٣) قال ابن حجر : قال الدارقطني متروك (لسان الميزان ٢٢١٨) .

(٤) قال ابن عراق : متهم (تنزيه الشريعة ٣٠٨) .

(٥) قال ابن عراق : المضري بضم الميم وبالضاد المعجمة . كذبه الدارقطني (تنزيه الشريعة ٢٦٨) .

(٦) قال أبو نعيم : كان وضاعا (تنزيه الشريعة ٢٨٨) .

(٧) قال ابن عراق : دجال وضع حديثا كثيرا (تنزيه الشريعة ٢٨٨) .

(٨) (ديوان ٦) .

(٩) قال الذهبي : ضعيف واه (ديوان ٦) .

(١٠) قال ابن حبان : منكر الحديث (لسان الميزان ٢٩٢٨) .

(١١) (ديوان ٥) .

- ٤٢ - أحمد بن دهثم الأسدي عن مالك متروك (١) .
- ٤٣ - أحمد بن سليمان القرشي الخفثاني عن مالك متروك (٢) .
- ٤٤ - أحمد بن الحكم العبدي كوفي عن شريك والكوفيين (٣) .
- ٤٥ - أحمد بن يحيى الأحول الكوفي عن مالك وشريك (٤) .
- ٤٦ - أحمد بن عمار بن نصر عن مالك مقل (٥) .
- ٤٧ - أحمد بن محمد صاحب بيت الحكمة له حديث واحد عن متروك (٦) .
- ٤٨ - أحمد بن محمد بن عمر بن يونس بن القاسم يمانى عن جده وعبد الرزاق (٧) .
- ٤٩ - أحمد بن الحسن بن القاسم الكوفي سكن مصر - يعرف برسول نفسه عن ابن عيينه ووكيح متروك (٨) .
- ٥٠ - أحمد بن عبد الله بن ميسرة النهاوندي أبو ميسرة عن أبي معاوية والكوفيين (٩) .
- ٥١ - أحمد بن داود بن عبد الغفار الحراني عن أبي مصعب متروك كذاب (١٠) -  
وجده عبد الغفار بن داود من الثقات (١١) .
- ٥٢ - أحمد بن عيسى بن عبد الله بن محمد أبو طاهر عن ابن أبي فديك وابنه وأبوه عيسى يعرف بمبارك وجده عبد الله بن صالح حدث عنه أبو أسامة كذاب (١٢) .
- ٥٣ - أحمد بن طاهر بن حرملة بن يحيى التجيبي مصري يكذب (١٣) .
- ٥٤ - أحمد بن محمد بن عيسى السكوني بغدادى عن أبي يوسف القاضي وأبي بكر بن عياش (١٤) .

- (١) (ديوان ٣) .
- (٢) قال الذهبي : قال الدارقطني متروك كذاب (ديوان ٣) .
- (٣) انظر (ديوان ٣) .
- (٤) انظر (ديوان ٧) .
- (٥) قال ابن حجر : قال الدارقطني متروك (لسان الميزان ٢٣٤٨) .
- (٦) قال ابن حجر : قال الدارقطني حدث عن مالك . متروك (لسان الميزان ٢٩٦٨) .
- (٧) قال الحاكم : له افراد وعجائب (ميزان الاعتدال ١٤٧٨) .
- (٨) انظر (ميزان الاعتدال ٩٠٨) .
- (٩) قال ابن حبان : يسرق أحاديث الثقات ويلزقها بأقوم اثبات لا يحل الاحتجاج به (المجروحين ١٤٤٨) .
- (١٠) انظر (ديوان ٣) .
- (١١) قال ابن حجر : ثقة فقيه من العاشرة - خ د س ق - (تقريب التهذيب ٢١٦) .
- (١٢) انظر (ميزان الاعتدال ١٣٦٨) .
- (١٣) انظر (ديوان ٤) .
- (١٤) انظر (ديوان ٥) .

- ٥٥ - أحمد بن ميثم بن أبي نعيم الفضل بن دكين كوفي عن جده وعلي بن قادم (١) .
- ٥٦ - أحمد بن صالح المكي السمومي أبو جعفر يحدث عنه شيوخنا (٢) .
- ٥٧ - أحمد بن محمد بن خالد بن مرداس غلام خليل متروك (٣) .
- ٥٨ - أحمد بن محمد بن مفلس بن الصلت الحمانبي أبو العباس ابن أخى جبارة بن المفلس البغدادي عن مالك الزاهد واسماعيل بن أبي أويس وأبي عبيد ومن بعدهم يضع الحديث (٤) .
- ٥٩ - أحمد بن محمد بن عمرو بن مصعب بن بشر أبو بشر المروزي يضع الحديث عن أبيه عن جده (٥) .
- ٦٠ - أحمد بن العباس الهاشمي أبو بكر البصري زوج أم موسى عن محمد بن عبد الأعلى الصنعاني متروك (٦) .
- ٦١ - أحمد بن محمد بن حرب أبو الحسن الملحمي حدث عنه شيخنا الأنبدوني (٧) .
- ٦٢ - أحمد بن محمد بن الفضل المقدسي الأيلي عن نصر بن علي وغيره (٨) .
- ٦٣ - أحمد بن محمد بن الأزهر بن حريث السجستاني حدثونا عنه أبو العباس الأزهري وبلغني أن ابن خزيمة حسن الرأي فيه (٩) .
- ٦٤ - أحمد بن علي بن سلمان المروزي عن إبراهيم بن المنذر والمدنيين (١٠) .
- ٦٥ - أحمد بن أبي سليمان القواريري بغدادي أبو جعفر عن حماد بن سلمة روى عنه ابن مخلد ونهشل من باب الشعير (١١) .

- (١) انظر (ديوان ٦) .
- (٢) انظر (ميزان الاعتدال ١٠٤٨) .
- (٣) قال ابن عراق : معروف بالوضع (تنزيه الشريعة ٣٣٨) .
- (٤) انظر (لسان الميزان ٢٦٩٨ . تنزيه الشريعة ٣٣٨) .
- (٥) قال ابن عراق : كذاب وضع شيئاً كثيراً (تنزيه الشريعة ٣٣٨) .
- (٦) قال الذهبي : ساقط (ديوان ٤) .
- (٧) قال ابن عدى : يعتمد الكذب ويضع (ميزان الاعتدال ١٣٤٨) .
- (٨) قال الذهبي : دجال (ديوان ٦) .
- (٩) قال السلمى : سألت الدارقطني عن الأزهري فقال منكر الحديث لكن بلغني أن ابن خزيمة حسن الرأي فيه ويكفي بهذا فخرا (ميزان الاعتدال ١٣٧٨) .
- (١٠) (ديوان ٥) .
- (١١) قال ابن حجر : قال الدارقطني روى عن حماد بن سلمة مقلوبات كان مغفلاً يترك ولا يحتج به . وقال في العلل ضعيف (انظر لسان الميزان ٨٣٨) .

- ٦٦ - أحمد بن حمك النيسابوري أبو حفص عن ابن ماسرجس ونظرائه (١) .
- ٦٧ - أحمد بن عبد الله بن يزيد المؤدب أبو جعفر يعرف بالهشيمي عن عبد الرزاق (٢) .
- ٦٨ - أحمد بن الخليل بن مالك بن ميمون أبو العباس بغدادى يعرف بجور عن أبي بكر بن عياش والأصمعي وزينب بنت سليمان (٣) .
- ٦٩ - أحمد بن خالد الشيباني عن عيسى بن يونس (٤) .
- ٧٠ - أحمد بن يحيى بن أبي العباس الخوارزمي عن ابن فهزاد وغيره متروك (٥) .
- ٧١ - أحمد بن الخليل القومسي ضعفه أبو زرعة الرازي (٦) .
- ٧٢ - أحمد بن عيسى بن زيد التنيسى عن أبي حفص وعبد الله بن يوسف مصري ليس بالقوي (٧) .

### باب إسماعيل

- ٧٣ - إسماعيل بن أبي إسحاق أبو اسرائيل الملائى (٨) .
- ٧٤ - إسماعيل بن أبان الفنوي كوفي أبو اسحاق القيسي الكوفي عن الحكم وعطية وفضيل بن عمرو الخياط عن هشام بن عروة (٩) .
- ٧٥ - إسماعيل بن سلمان الكوفي الأزرق عن أبيه والشعبي وابن عمر (١٠) .
- ٧٦ - إسماعيل بن مسلم المكي أصله بصري عن الحسن وابن سيرين وقتادة والحكم والأعمش والزهرى (١١) .

(١) ميزان الاعتدال ٩٥٨ .

(٢) قال ابن عدى : كان بسامراء يضع الحديث . ميزان الاعتدال ١٠٩٨ .

(٣) قال الذهبي : قال الدارقطني ضعيف لا يحتج به . ميزان الاعتدال ٩٦٨ .

(٤) قال الذهبي : جرحه الدارقطني ديوان ٣ .

(٥) لسان الميزان ٣٢١٨ .

(٦) وقال أبو حاتم : كذاب . الجرح والتعديل ٥٠٨٨ ، لسان الميزان ١٦٧٨ .

(٧) قال أبو حاتم : تكلم الناس فيه . الجرح والتعديل ٦٤٨٨ .

(٨) قال ابن حجر : سيء الحفظ - ت ق - من السابعة . تقريب التهذيب ٣٣ .

(٩) متروك رمى بالوضع - تميز - من التاسعة . تقريب التهذيب ٣١ .

(١٠) قال الذهبي : ضعفه - ق - ديوان ٢١ .

(١١) متفق على ضعفه . ديوان ٢٣ .

- ٧٧ - إسماعيل بن يعلي أبو أمية الثقفي بصري متروك (١) .
- ٧٨ - إسماعيل بن رافع هو أبو رافع مدني عن أنس وابن أبي مليكة والمقبري والزهري . شيخ العطاف بن خالد والوليد بن مسلم وغيرهما - روى عن أنس حديثا طويلا في الطهارة والحج (٢) .
- ٧٩ - إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي حوال عن ابن جريج والثوري حدث عنه هلال بن العلاء متروك كذاب (٣) .
- ٨٠ - إسماعيل بن عباد بصري عن ابن أبي عروبه عن قتادة متروك (٤) .
- ٨١ - إسماعيل بن محمد بن يوسف الجبريني أبو هارون عن أبي عبيد وعن حبيب كاتب مالك وغيره (٥) .
- ٨٢ - إسماعيل بن رجاء الحصني جزري عن موسى بن أعين (٦) .
- ٨٣ - إسماعيل بن أبي زياد وهو إسماعيل بن مسلم السلولي ويقال الشعيري كوفي عن داود بن أبي هند وابن عون يضع كذاب متروك (٧) .
- ٨٤ - إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل سمعته يقول متروك (٨) .
- ٨٥ - إسماعيل بن عمرو البجلي الأصبهاني ضعيف (٩) .
- ٨٦ - إسماعيل بن محمد المزني كوفي حدثونا عنه كذاب .
- ٨٧ - إسماعيل بن هود الواسطي ليس بالقوي يكني أبا إبراهيم (١٠) .

(١) ميزان الاعتدال ٢٥٥/٨ .

(٢) قال ابن حجر ضعيف الحفظ من السابعة . تقريب التهذيب ٣٣ .

(٣) قال صالح جزره : كان يضع الحديث . تنزيه الشريعة ٤٠/٨ .

(٤) ديوان ٢١ .

(٥) قال ابن طاهر : كذاب . تنزيه الشريعة ٣٩/٨ .

(٦) اتهمه ابن عدى . تنزيه الشريعة ٣٨/٨ .

(٧) لسان الميزان ٤٠٦/٨ .

(٨) ميزان الاعتدال ٢٥٤/٨ .

(٩) قال الذهبي : ضعفه غير واحد . ديوان ٢٢ .

(١٠) ميزان الاعتدال ٢٤٦/٨ .



## باب إسحاق

- ٨٨ - إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي كوفي متروك (١) .
- ٨٩ - إسحاق بن إدريس الأسواري بصري عن همام وأبان منكر الحديث (٢) .
- ٩٠ - إسحاق بن بشر أبو حذيفة البخاري كذاب متروك (٣) .
- ٩١ - إسحاق بن نجيع الملقبي عن عطاء الخراساني وابن جريج وهشام بن حسان متروك (٤) .
- ٩٢ - إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك (٥) . له ثلاثة أخوة ثقات - وابن عمهم أبو علقمة ثقة .
- ٩٣ - إسحاق بن الصباح الأشعبي من ولد الأشعث بن قيس الكندي عن عبد الملك ابن عمير روى عنه الخريبي . لجدته صحبه (٦) .
- ٩٤ - إسحاق بن أبي يحيى الكعبي عن ابن جريج روى عنه علي بن معبد المصري منكر الحديث (٧) .
- ٩٥ - إسحاق بن إبراهيم بن نسطاس مدني . أبو يعقوب مولى آل كثير بن الصلت عن سعد بن اسحاق بن كعب بن عجرة (٨) .
- ٩٦ - إسحاق بن إبراهيم الطبري يمانى منكر الحديث (٩) .
- ٩٧ - إسحاق بن سعيد ( بن أبي كعب ) (١٠) شامي منكر الحديث .
- ٩٨ - إسحاق بن محمد بن عبيد الله العرزمي أخو عبد الرحمن وأخوه متروك رأساً (١١) .

(١) قال الذهبي : كذاب . ديوان ١٧ .

(٢) قال الذهبي : كذاب . ديوان ١٧ .

(٣) قال الذهبي : متروك متهم . ديوان ١٧ .

(٤) قال ابن حجر : كذبوه من التاسعة - تميز - تقريب التهذيب ٣٠ .

(٥) قال ابن حجر : متروك من الرابعة - د ت ق - تقريب التهذيب ٢٩ .

(٦) قال الذهبي : ضعفه يحيى والدارقطني . وقل ما روى . ميزان الاعتدال ١٩٢٨ .

(٧) قال الذهبي : هالك يأتي بالناكير عن الاثبات . ميزان الاعتدال ٢٠٥٨ .

(٨) قال البخاري : فيه نظر . التاريخ الكبير ٣٨٠/٨ .

(٩) ميزان الاعتدال ١٧٧٨ .

(١٠) في الحاشية ابن اركون وهو الصواب لموافقته لكتب الرجال . انظر ميزان الاعتدال ١٩٢٨ .

(١١) قال الذهبي : عن اسحاق تكلم فيه . وقال عن أخيه : ضعفه الدارقطني . انظر ميزان الاعتدال ١٩٩٨ . ديوان ١٩٠ .

٩٩ - إسحاق بن وهب الطهرمسي من قرى مصر كذاب متروك يحدث بالأباطيل  
عن عبد الله بن وهب وغيره (١) .

١٠٠ - إسحاق بن عمر عن عائشة مجهول يترك (٢) .

### باب أبان

١٠١ - أبان بن أبي عياش بصري وهو ابن فيروز يحدث عن أنس متروك (٣) .

١٠٢ - أبان والد يزيد بن أبان الرقاشي مجهول لا يعرف الا بابنه له حديث

واحد (٤) .

١٠٣ - أبان بن سفيان جزري متروك (٥) .

١٠٤ - أبان بن المجد روى عنه مروان الفزاري مقل متروك (٦) .

١٠٥ - أبان بن جبلة كوفي (٧) .

### باب يجمع جماعة

١٠٦ - أيوب بن خوط بصري متروك (٨) .

١٠٧ - أيوب بن سيار مدني نزل فيد يعرف بالفيدي منكر الحديث (٩) .

١٠٨ - أيوب بن مدرك الحنفي شامي متروك (١٠) .

١٠٩ - أيوب بن واقد نزل البصرة مقل كوفي (١١) .

١١٠ - أصله عن عثمان بن حكيم وهشام بن عروة منكر الحديث .

١١١ - أشعث بن بزار بصري مقل منكر الحديث .

١١٢ - أشعث بن سعيد أبو الربيع السمان بصري متروك .

(١) ميزان الاعتدال ٢٠٣/٨ .

(٢) ميزان الاعتدال ١٩٥/٨ .

(٣) قال الإمام أحمد : ترك الناس حديثه . العلل ومعرفة الرجال ١٣٥ .

(٤) انظر ديوان ٧ .

(٥) قال الذهبي : وقيل انه ابي . متهم ديوان ٧ .

(٦) ميزان الاعتدال ١٥/٨ .

(٧) ميزان الاعتدال ٦٨ .

(٨) قال الذهبي : تركوه . ديوان ٢٦ .

(٩) قال النسائي : متروك . ميزان الاعتدال ٢٢٨/٨ .

(١٠) الضعفاء والمتروكين للنسائي ١٥ .

(١١) قال النسائي : بصري ضعيف . الضعفاء والمتروكين ١٦ .

- ١١٣ - أسيد بن زيد الحمالي (١)
- أشعث بن سوار كوفي ضعيف
- كوفي أبو محمد متروك سمع شريكا وليث بن سعد وهشيم
- ١١٤ - أصرم بن حوشب الهمداني أبو هشام منكر الحديث
- ١١٥ - أصرم بن غياث الخراساني منكر الحديث (٢)
- ١١٦ - أصنع بن نباته كوفي منكر الحديث (٣)
- ١١٧ - أزور بن غالب منكر الحديث (٤)
- ١١٨ - أبيض بن أبان عن عطاء بن السائب يروى عنه أحمد بن يونس (٥)
- ١١٩ - أوس بن عبد الله بن بريدة مروزي متروك (٦)
- ١٢٠ - الأحوص بن حكيم الحمصي منكر الحديث (٧)
- ١٢١ - إدريس بن سنان عن وهب بن منبه روى عنه إبنه عبد المنعم (٨)

### حرف الباء

- ١٢٢ - بشر بن رافع النجراني من اليمن الحارثي أبو الأسباط كناه حاتم بن اسماعيل منكر الحديث (٩)
- ١٢٣ - بشر بن نمير القشيري بصري متروك (١٠)
- ١٢٤ - بشر بن حسيب حسين أصبهاني عن الزبير بن عدى وله عنه نسخة موضوعة
- قال والزبير ثقة (١١)

- 
- (١) انظر الكامل ٢٨٢/٨
  - (٢) قال الإمام أحمد والبخاري والرازي : منكر الحديث . التاريخ الكبير ٥٦/٧٢ ، الجرح والتعديل ٣٣٦/٨ ، لسان الميزان ٤٦٢/٨
  - (٣) قال النسائي : متروك الحديث . الضعفاء والمتروكين ٢٢
  - (٤) قال الذهبي منكر الحديث مجهول ديوان ١٦
  - (٥) لسان الميزان ١٢٨/٨
  - (٦) لسان الميزان ٤٧٠/٨
  - (٧) قال ابن حجر ، ضعيف الحفظ من الخامسة - ق - تقريب التهذيب ٢٥
  - (٨) ديوان ١٥
  - (٩) قال ابن حجر . ضعيف الحديث من السابعة - يخ د ت ق - تقريب التهذيب ٤٤
  - (١٠) قال الذهبي متروك عندهم - ق - ديوان ٣٢
  - (١١) ديوان ٣١

- ١٢٥ - بشر بن عمارة الخثعمي . قال لي متروك (١) .
- ١٢٦ - بكر بن خنيس القاضي كان ببغداد (٢) .
- ١٢٧ - بشر بن ميمون الوصفي واسطي عن مجاهد (٣) .
- ١٢٨ - بحر بن كنيز السقا بصري ويكنى أبا الفضل متروك عن الحسن  
والزهري (٤) .
- ١٢٩ - بكر بن الشروذ صنعاني عن الثوري ومالك ومعمر (٥) .
- ١٣٠ - بزيع بن حسان أبو الخليل متروك (٦) .
- كوفي عن الأعمش وهشام بن عروة بواصل .
- ١٣١ - بكر بن الأسود أبو عبدة الناجي بصري عن الحسن وابن سيرين مواعظ (٧) .
- ١٣٢ - بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي روى عنه محمد بن إسحاق وافلح بن  
سعيد المدني متروك (٨) .
- ١٣٣ - باب بن عمير عنه الأوزاعي ويحيى بن أبي كثير مجهول (٩) .
- ١٣٤ - برکه بن يعلى عن أبي سويد العبدي عن ابن عمر مجهولان (١٠) .

### حرف التاء والثاء

- ١٣٥ - تمام بن بزيع أبو سهل بصري متروك عن محمد بن كعب والحسن والعامر  
ابن عمر الطفاوي (١١) .
- ١٣٦ - ثابت بن زهير أبو زهير بصري عن نافع وهشام بن عروة منكر  
الحديث (١٢) .

(١) قال النسائي ضعيف الضعفاء والمتروكين ٢٤ .

(٢) ديوان ٣٤ .

(٣) ديوان ٣٣ .

(٤) قال الذهبي متفق على تركه ديوان ٢٨ .

(٥) لسان الميزان ٥٢/٢ .

(٦) قال ابن حجر . قال البرقاني عن الدارقطني متروك - لسان الميزان ١٢/٢ .

(٧) قال الذهبي متروك ديوان ٣٤ .

(٨) ديوان ٣٠ .

(٩) قال الذهبي تابعي مجهول - د - ديوان ٢٨ .

(١٠) لسان الميزان ٩/٢ .

(١١) لسان الميزان ٧١/٢ .

(١٢) لسان الميزان ٧٦/٢ .

- ١٣٧ - ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الشمالي كوفي عن زاذان وعكرمة وأبي جعفر (١) .
- ١٣٨ - ثوير بن أبي فاخته ضعيف . مولى بني هاشم (٢) - واسم أبيه سعيد بن علاقة كوفي ثقة (٣) .

### حرف الجيم

- ١٣٩ - جلد بن أيوب كوفي عن معاوية بن فروة متروك (٤) .
- ١٤٠ - جابر بن زيد الجعفي ان اعتبر له بحديث بعد حديث صالح اذا كان عن الأئمة (٥) .
- ١٤١ - جعفر بن الزبير الشامي عن القاسم عن أبي امامة متروك (٦) .
- ١٤٢ - جعفر بن عبد الواحد الهاشمي ولى قضاء الثغر يضع (٧) .
- ١٤٣ - جعفر بن أبي الحسن الخواريزي يحدث عنه أبو غنام (٨) .
- ١٤٤ - جسر بن فرقد بصري عن ثابت والحسن .
- ١٤٥ - جويبر بن سعيد خراساني متروك (٩) .
- ١٤٦ - جميع بن ثوب حمصي عن خالد بن معدان مقل ويقال جميع منكر الحديث (١٠) .

- (١) قال الذهبي متفق على ضعفه - د - ديوان ٣٨ .
- (٢) قال الذهبي - تابعي واه كذبه الثوري - ت - ديوان ٤٠ .
- (٣) قال ابن حجر - مشهور بكنيته ثقة من الثالثة - ت ق - تقريب التهذيب ١٢٥ .
- (٤) ديوان ٤٥ .
- (٥) قال يحيى بن أبي بكير عن شعبة : كان جابر اذا قال أخبرنا وحدثنا وسمعت فهو من أوثق الناس . ميزان الاعتدال ٣٧٩/٢ .
- (٦) قال الذهبي : كذبه شعبة وتركه أحمد - ديوان ٤٤ .
- (٧) تنزيه الشريعة ٤٥٨ .
- (٨) ميزان الاعتدال ٤٥٨ .
- (٩) ديوان ٤٧ .
- (١٠) قال الذهبي : منكر الحديث واه - ديوان ٤٦ .

١٤٧ - جارية بن هرم الفقيمي أبو شيخ بصري متروك عن يعقوب بن عطاء وإسماعيل بن مسلم وابن عون وابن جريج روى عنه محمد بن اسحاق ويقلب اسمه لا يقال فيه (١) .

١٤٨ - جراح بن منهال أبو العطاف عن الزهري وأبي الزبير والحكم بن عتبة جزري روى عنه يزيد بن هارون والمعافا بن عمران ويحيى بن صالح فيه خلاعة متروك (٢) .

١٤٩ - جارود بن يزيد أبو الضحاك نيسابوري متروك يروى عن بهز بن حكيم وعمرو بن ذر (٣) .

١٥٠ - جميل بن زيد الطائفي كوفي عن ابن عمر روى عنه الثوري وعباد بن العوام مقل متروك . وقال مرة يعتبر به (٤) .



(١) قال الذهبي : بصري هالك . ميزان الاعتدال ٣٨٥/٨ .

(٢) ميزان الاعتدال ٣٩٠/٨ .

(٣) ديوان ٤١ .

(٤) لسان الميزان ١٣٦/٢ .







# ظَاهِرَةُ التَّقَارُضِ فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ

لِلدُّكْتُورِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
أَسَازِ مَسَاعِدَ بَكَلِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

٢

تكلّمنا في العدد السابق عن اهمية «التقارض» كظاهرة التوسع اللغوي، وحددنا لغة واصطلاحاً، ثم فصلنا الحديث في نوعين :-

الأول :- التقارض بين اللفظين في الأحكام الإعرابية، كالتقارض بين «إلا» و«غير» وكالتقارض بين «وما» . . . الخ  
:- التقارض بين اللفظين في الهيئة والشكل، كالتقارض بين الحال والتمييز في الاشتقاق والجمود . . . الخ

والحديث الآن في النوع الثالث :

النوع الثالث : التقارض بين اللفظين في المعاني :

يذكر النحاة أن كل حرف من حروف المعاني يفيد - بطريق الأصالة - معنى أو عدة معان، تعد من لوازم هذا الحرف غالباً، غير أنه في بعض الأحيان قد يفيد الحرف معنى من المعاني ليس أصلاً في إفادته، وإفادة الحرف معنى يختص به حرف آخر يعد عند بعض العلماء من باب التقارض بينهما، فكأن الحرف الآخر أقرضه هذا المعنى، وربما عدّه بعضهم من باب نيابة الحرف مكان الحرف الآخر، وهذه مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين فالبصريون يرون «أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك، وما أوهم ذلك فهو عندهم محمول على ما يلي :

١ - إما مؤول تأويلاً يقبله اللفظ، كما قيل في قوله تعالى ﴿وَأَصْلِبْكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ (طه : ٢٠) «إن» في «ليست بمعنى على، ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء» .

٢ - وإمّا على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، كما ضمّن بعضهم «شربن» في قول أبي ذؤيب الهذلي:

شربن بهاء البحر ثم ترفعت متى لحج خضرهّن نثيح (١)  
معنى «روين» وأحسن في قوله تعالى ﴿وقد أحسن بي﴾ (يوسف: ١٠٠) معنى «لطف».

٣ - وإمّا على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى:

وقد ذهب الكوفيون إلى جواز نيابة الحرف عن الحرف أى أن يقترض الحرف من الحرف الآخر معناه.

أما المالمقى فقد وقف بين الفريقين موقفا وسطا حيث قال:

إن نيابة الحرف مكان الحرف الآخر موقوفة على السماع؛ لأن الحروف لا يوضع بعضها موضع بعض قياسا إلا إذا كان معناهما واحدا ومعنى الكلام الذى لا يدخلان عليه واحدا (٢).

وغير خاف أن مذهب الكوفيين بعيد عن التكلف والتعسف ومن ثم فهو جدير بالاتباع لذا سوف نسوق أمثلة متنوعة لبعض الحروف التى تفيد معانى أصيلة ومعانى أخرى غير أصيلة اقترضتها من الحروف الأخرى.

إلى - اللام :

أ - «إلى» تدل من خلال الأسلوب على انتهاء الغاية المكانية أو الزمانية، ذلك أوضح معانيها نحو قوله تعالى ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ (الاسراء: ١) وقوله تعالى ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ (البقرة: ١٨٧).

وقد تخرج عن معناها الأصلية المتقدم فتأتى فى بعض أحوالها بمعنى اللام نحو قوله تعالى ﴿والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾ (النمل: ٣٣) أى الأمر لك ونحو قوله تعالى

(١) ديوان الهذليين: ١: ٥١.

(٢) رصف المباني: ٢٢١. وراجع الخلاف بين البصريين والكوفيين فى هذه المسألة: مغنى اللبيب: ١٥٠-١٥١.

والخصائص: ٢: ٣٠٦. والجنى الدانى فى حروف المعانى: ٥. والأزهية: ٢٧٧-٣٠٠. والأمالى الشجرية: ٢: ٢٦٧.

﴿فادفعوا إليهم أموالهم﴾ (النساء: ٥) أى ادفعوا لهم فقد اقترضت «إلى» من اللام معنى شبه الملك فى الآية الأولى والاستحقاق فى الآية الثانية(١).

ب - أما «اللام» فتفيد غالباً المعانى التالية :

الاستحقاق نحو قوله تعالى ﴿ويل للمطففين﴾ (المطففين: ١) والاختصاص نحو قوله تعالى ﴿فإن كان له إخوة﴾ (النساء: ٦) والملك نحو قوله تعالى ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ (البقرة: ٢٥٥) والتمليك نحو «وهبت لزيد ديناراً» وشبه الملك نحو قوله تعالى ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ (النحل: ٧٢) والتعليل نحو قوله تعالى ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ (النحل: ٤٤) وقد تخرج اللام عن كل هذه المعانى فتأتى بمعنى «إلى» ويتمثل ذلك فى نحو قوله تعالى ﴿يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها﴾ (الزلزلة: ٤، ٥) أى أوحى إليها ونحو ﴿كل يجرى إلى أجل مسمى﴾ (الرعد: ٢) أى إلى أجل مسمى ونحو ﴿ولورثوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ (الأنعام: ٢٨) أى إلى ما نهوا عنه، فدلالة اللام فى الآيات المتقدمة هى انتهاء الغاية وذلك المعنى مقترض من «إلى».

قال الزجاجى فى باب اللام التى بمعنى إلى :

وذلك نحو قوله تعالى ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان﴾ (آل عمران: ١٩٣) قال بعضهم معناه ينادى إلى الإيمان فأما قوله تعالى ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا﴾ (الأعراف: ٤٣) فلا خلاف فى أن تقديره: هدانا إلى هذا، فهذه لام إلى .

وفى قوله تعالى ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم﴾ (الاسراء: ٩) أى إلى التى هى أقوم، فأما قوله تعالى ﴿وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت﴾ (الأعراف: ٥٧) فجائز أن تكون اللام لبيان المفعول من أجله فىكون المعنى: سقناه من أجل بلد ميت، وجائز أن تكون بمعنى «إلى» فىكون التقدير: سقناه إلى بلد ميت. (٢).

وهكذا اقترضت «إلى» معنى اللام كما اقترضت «اللام» معنى «إلى».

(١) راجع الأشمونى: ٢: ٢١٣. والهمع: ٢: ٢٠.

(٢) اللامات للزجاجى: ١٥٧. وراجع رصف المباني: ٢٢٢. ومعانى القرآن للفراء: ١: ٢٥٠. وشرح التصريح على التوضيح: ٢: ١٧. ومغنى اللبيب: ١٠٤-٢٨٠.

إلى - فى :

أ - «إلى» التى تفيد بطريق الأصالة معنى انتهاء الغاية المكانية أو الزمانية، قد تخرج عن هذا فتأتى بمعنى «فى» فى الأسلوب على سبيل المقارضة، ذكر ذلك جماعة من النحاة، وعليه فقد ذهبوا إلى أن «إلى» بمعنى «فى» فى قول النابغة الذبياني:  
فلا تتركنى بالوعيد كأننى  
إلى الناس مطلى به القار أجرب  
أى كأننى فى الناس مطلى به القار.

وفى قول طرفة :

وإن تلتق الحىّ الجميع تلاقنى  
إلى ذروة البيت الكريم المصمّد  
أى فى ذروة البيت الذى يصمد ويعضد.

ويقال : جلست إلى القوم أى فيهم، قال ابن مالك :  
ويمكن أن يكون إلى بمعنى «فى» فى قوله تعالى ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ (النساء : ٨٧).

وخالف فى مجىء «إلى» بمعنى «فى» ابن عصفور حيث قال :  
ولو صح مجىء «إلى» بمعنى «فى» لجاز : زيد إلى الكوفة<sup>(١)</sup>.

ب - «فى» معلوم أن أوضح معانيها هو الظرفية المكانية أو الزمانية، وقد اجتمعنا فى قوله تعالى ﴿لم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين﴾ (الروم : ١، ٢)  
قال المالمقى :

اعلم أن «فى» حرف جار لما بعده ومعناها الوعاء حقيقة أو مجازاً، فالحقيقة نحو:  
جعلت المتاع فى الوعاء، ومنه قوله تعالى ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (البقرة : ٣٩٥). والمجاز نحو: دخلت فى الأمر وتكلمت فى شأن حاجتك ومنه قوله تعالى ﴿ادخلوا فى السلم كافة﴾ (البقرة : ٢٠٨). ونحو ﴿ولتنازعتم فى الأمر﴾ (الانفال : ٥).  
غير أنها فى بعض الأحيان قد ترادف «إلى» فتقتضى معنى انتهاء الغاية منها نحو قوله تعالى ﴿فردوا أيديهم فى أفواههم﴾ (ابراهيم : ٦). أى إلى أفواههم<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع المغنى : ١٠٤، ١٠٥. والأزهية : ٢٨٣، ٢٨٤. ومعانى الحروف للرماني : ١١٥. ورفص المبانى : ٨٣.

(٢) المغنى : ٢٢٣، ٢٢٥. والمطالع السعيدة فى شرح الفريدة للسيوطى : ٢ : ٥٢ ط أولى بغداد. وراجع رفص المبانى : ٣٨٨. والأشمونى : ٢ : ٢١٩.

## الباء - في :

أ - «الباء» الأصل فيها أن تفيد معنى القسم بل هي أصل أحرفه، ولذا خصت بجواز ذكر الفعل معها نحو: أقسم بالله لتفعلن ودخولها على الضمير نحو: بك لأفعلن غير أن «الباء» قد تقتض من «في» معنى الظرفية يدل على ذلك الشواهد الكثيرة منها قوله تعالى ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل﴾ (الصفات: ٣٧، ٣٨). أي وفي الليل ونحو ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ (آل عمران: ١٢٣). أي في بدر ونحو ﴿إلا آل لوط نجيناهم بسحر﴾ (القمر: ٣٦). أي في سحر ونحو ﴿وماكنت بجانب الغربي﴾ (القصص: ٤٤). أي في جانب الغربي، ونحو: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا﴾ (يونس: ٨٧). أي في مصر، ونحو قول زهير:

بها العينُ والآرامُ يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم  
وقال ذي الرمة :

أذو زوجة بالمصر أو ذو خصومة أراك لها بالبصرة العام ثاويًا  
أي فيها العين والآرام وأذو زوجة في المصر<sup>(١)</sup>.

ب - وقد تقتض «في» معنى «الباء» وذلك نحو قول زيد الخير بن مهلهل :

ويركب يوم الروع منّا فوارسٌ بصيرون في طعن الأباهر والكلبي  
أي بصيرون بطعن الأباهر، وقال بعضهم إن «في» بمعنى «الباء» في قوله تعالى ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه﴾ (الشورى: ١١). وقد جعلها ابن هشام للتعليل موافقا للزخشي في ذلك<sup>(٢)</sup>.

## الباء - عن :

أ - «الباء» تفيد القسم في أظهر معانيها كما تقدم ولكنها في بعض أحوالها قد تأتي في الأسلوب مفيدة معنى «المجاوزة» مقترضة هذا المعنى من «عن» نحو قوله تعالى ﴿سأل

(١) راجع معاني الحروف للروماني: ٣٦. والمقرب: ١: ٢٠٤. وشرح التصريح: ٢: ١٤.

(٢) المعنى: ١٤١-٢٢٤.

سائل بعذاب واقع ﴿ (المعارج: ١) أى عن عذاب واقع، ونحو: ﴿فاسأل به خبيراً﴾  
(الفرقان: ٥٦) أى فاسأل عنه خبيراً، ونحو: ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيامهم﴾  
(الحديد: ١٢) أى بين أيديهم وعن أيامهم، ونحو: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ (الفرقان: ٢٥)  
أى يوم تشقق السماء عن الغمام. غير أن الزمخشري جعل «الباء» فى هذه الآية بمنزلتها  
فى شققت السنام بالشفرة. على أن الغمام جعل كالآلة التى يشق بها، قال: ونظيره قوله  
تعالى ﴿السماء منفطر به﴾ (المزمل: ١٨).

ومن محىء «الباء» بمعنى «عن» نظماً قول علقمة بن عبده:

فإن تسألونى بالنساء فإننى بصير بأدواء النساء طبيب  
أى فإن تسألونى عن النساء.  
وقول عنتره:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى  
أراد: عما لم تعلمى.  
وقول النابغة الجعدى:

سألتنى بأناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل  
أى سألتنى عن أناس.  
وقول النابغة الذبياني:

كأن رحلى وقد زال النهار بنا بذى الجليل على مستأنس وحَد  
أى وقد زال النهار عنا.  
فالباء فى كل ما تقدم تفيد معنى المجاوزة على سبيل الاقتراض من «عن»<sup>(١)</sup>.

ب - أما «عن» فهى حرف يفيد معنى المجاوزة ولم يذكر البصريون سواه. نحو:  
سافرت عن البلد، ورغبت عن كذا، ورميت السهم عن القوس<sup>(٢)</sup>، وغير البصريين

(١) راجع معنى اللبيب: ١٤١-١٤٢. وابن عقيل: ٢: ٢٢. والأزهية: ٢٩٥. وورصف المبانى: ١٤٤. والتسهيل: ١٤٥.

(٢) معنى اللبيب: ١٩٦.

يذهبون إلى أنها تفيد معاني آخر منها قد تجيء بمعنى الباء أى تقتضى معناه يدل على ذلك الأمثلة الآتية :

قال تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ (النجم : ٣) . أى وما ينطق بالهوى . غير أن بعضهم ذهب إلى أن الباء فى هذه الآية على حقيقتها أى ما يصدر قوله عن الهوى<sup>(١)</sup> .  
وتقول العرب : رميت عن القوس أى رميت بالقوس ، وقال امرؤ القيس :

تصدُّ وتبدي عن أسيل وتتقى بناظرة من وحشى وحررة مطفل  
أى تصد وتبدي بأسيل ، فعن فى البيت بمعنى الباء<sup>(٢)</sup>

الباء - على :

أ - وأيضاً فالباء المتقدمة قد تأتى فى بعض الأحيان مفيدة معنى الاستعلاء مقترضة هذا المعنى من «على» نحو قوله تعالى ﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك﴾ (آل عمران : ٧٥) أى تأمنه على قنطار ، بدليل قوله تعالى ﴿هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾ (يوسف : ٦٤) ونحو قوله تعالى ﴿وإذا مروا بهم يتغامزون﴾ (المطففين : ٣٠) أى إذا مروا عليهم يتغامزون بدليل قوله تعالى ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين﴾ (الصفات : ١٣٧) .

ومن مجيء الباء بمعنى الاستعلاء أيضاً قول الشاعر :

أربُّ يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب  
أى يبول الثعلبان على رأسه ، ويؤكد ذلك الشطر الثانى من البيت<sup>(٣)</sup> .

ب - ومعلوم أن «على» تفيد معنى الاستعلاء كما سيأتى الكلام على ذلك لكنها قد تأتى مفيدة معنى الباء نحو قوله تعالى ﴿حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق﴾ (الأعراف : ١٠٥) أى حقيق بأن لا أقول ، وقد قرأ أبى بن كعب المتوفى سنة ٢١هـ الآية المتقدمة بالباء ، وقد سمع : اركب على اسم الله أى اركب باسم الله<sup>(٤)</sup> .

(١) معنى اللبيب : ١٩٨ .

(٢) راجع معانى الحروف للرمانى : ٩٥ . والأزهية : ٢٩٥ . والخزانة : ٤ : ٢٤٤ . والهمع : ٢ : ٢٩ ، ٣٠ . ومعنى الأسيل فى البيت : اخذ الناعم .

(٣) معنى اللبيب : ١٤٢ .

(٤) معنى اللبيب : ١٩٢ .

وقال امرؤ القيس :

بأى علاقتنا ترغبون      عن دم عمرو على مرتد<sup>(١)</sup>

أراد: ترغبون عن دم عمرو بدم مرتد وليس بدونه .

وقال أبو ذؤيب الهذلي :

فكأنهنَّ رباة وكأنه      يسرّيفيضم على القداح ويصدع<sup>(٢)</sup>  
أى يفيض بالقداح أى يضرب بها .

فيلاحظ أن «على» قد تأتي بمعنى «الباء» كما يشهد لذلك الأمثلة المتقدمة<sup>(٣)</sup> .

الباء - من :

قد ترد «الباء» المتقدمة في الأساليب مفيدة معنى التبويض مقترضة هذا المعنى من  
«من» قال بهذا الأصمعي والفراسي والقتيبي وابن مالك والكوفيون<sup>(٤)</sup> ، وجعلوا من ذلك  
قوله تعالى ﴿عينا يشرب بها عباد الله﴾ (الانسان : ٦) أى يشرب منها عباد الله ، ومن ذلك  
قول أبي ذؤيب<sup>(٥)</sup> الهذلي :

شربن بما البحر ثم ترفعت      متى لحج خضر هن نئيج  
أى شربن من ماء البحر .  
وقول جميل<sup>(٦)</sup> :

فلثمت فها آخذا بقرونها      شرب النزيف ببرد ماء الحشرج  
أى شرب النزيف من برد ماء الحشرج ، فقد جاءت «الباء» بمعنى «من» فيما تقدم .

(١) الديوان : ٣٩ . والأزهية : ٢٨٧ .

(٢) المفضليات : ٢٠٢ . ولسان العرب : ريب . وديوان الهذليين : ٦ : ١ .

(٣) راجع المطالع السعيدة : ٥٦ : ٢ . وشرح التصريح : ١٣ : ٢ . والأشموني : ٢٢٢ : ٢ .

(٤) معنى اللبيب : ١٤٢ .

(٥) ديوان الهذليين .

(٦) الديوان : ٤٢ . والنزيف : العطشان . والحشرج : نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء .



ب - ومن المعلوم أن «من» تفيد ابتداء الغاية حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه<sup>(١)</sup> لكن الأرجح ان ابتداء الغاية مطلقا هو أشهر معانيها قال السيوطي في المطالع السعيدة<sup>(٢)</sup>.

«من» لا ابتداء الغاية مطلقا مكانا أو زمانا أو غيرهما نحو قوله تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ (الاسراء: ١) ونحو الحديث الشريف: «فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة»<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (النمل: ٣٠).

وقد تأتي «من» مفيدة معنى الاستعانة مقترضة هذا المعنى من «الباء» قال بهذا يونس بن حبيب ومثل لذلك بقوله تعالى ﴿ينظرون من طرف خفي﴾ (الشورى: ٤٥) أى ينظرون بطرف خفى، وعلى هذا النحو أورد الهروي<sup>(٤)</sup> عدة آيات قرآنية ظهر فيها أن «من» بمعنى الباء نحو قوله تعالى ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ (الرعد: ١١) أى بأمر الله ونحو ﴿يلقى الروح من أمره﴾ (غافر: ٥) أى بأمره ونحو ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ (القدر: ٤، ٥) أى بكل أمر سلام، «فمن» فى كل ما تقدم بمعنى الباء.

على - عن :

أ - سبق القول أن «معنى الاستعلاء» فى «على» هو أظهر معانيها، سواء كان الاستعلاء حقيقيا نحو قوله تعالى ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ (المؤمنون: ٢٢) أم مجازيا نحو قوله تعالى ﴿ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون﴾ (الشعراء: ١٤) ونحو ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾ (البقرة: ٢٥٢) ونحو ﴿وللرجال عليهم درجة﴾ (البقرة: ٢٢٨) غير أنها فى بعض الأحيان قد تقتضى «معنى المجاوزة» من «عن» نحو قول القحيف بن سليم العقيلي:

إذا رضيت على بنو قشير لعمر والله أعجبنى رضاها  
أى إذا رضيت عنى بنو قشير، ويحتمل ان يكون «رضى» ضمن معنى «عطف» من

(١) معنى اللبيب: ٤٢٩.

(٢) المطالع السعيدة: ٧٠: ٢.

(٣) البخارى: باب الاستسقاء.

(٤) الأزهية: ٢٩٣.

باب إعطاء الشيء حكم ما أشبهه في معناه، ولهذا تعدت رضى بعلى في البيت المتقدم لما كان «رضى عنه» بمعنى أقبل عليه بوجه ودّه، وقال الكسائي: إنها جاز هذا حملا على نقيضه وهو سخط<sup>(١)</sup>.

ومن مجيء «على» بمعنى «عن» قول عدى بن زيد:  
في ليلة لا نرى بها أحدا يحكى علينا إلا كواكبها  
أى يحكى عنا إلا كواكبها، وقال بعضهم أن «يحكى» ضمن معنى ينم ولذلك عداه  
بعلى فهو من باب إعطاء الشيء حكم ما أشبهه في المعنى.

ب - «عن» تفيد «معنى المجاوزة» ولا تفيد سواه عند البصريين قد تخرج عن هذا  
المعنى فتفيد «معنى الاستعلاء» مقترضة إياه من «على» وذلك على رأى غير البصريين.  
يشهد لذلك قوله تعالى ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ (محمد: ٣٨) أى يبخل على  
نفسه. وقول ذى الأصبع العدواني:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عنى ولا أنت ديانى فتخزوني  
وقد فسر البيت ابن هشام بقوله: أى لله درّ ابن عمك لا أفضلت في حسب على ولا  
أنت مالكى فتسوسنى، وذلك لأن المعروف أن يقال: أفضلت عليه<sup>(٢)</sup>، ونحو قوله تعالى  
﴿إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربي﴾ (ص: ٣٢) أى قدمت الخير على ذكر ربي.

على - اللام :

أ - وإذا كان الاستعلاء في «على» هو أظهر معانيها فإنها أحيانا قد تأتى مفيدة معنى  
التعليل مقترضة هذا المعنى من «اللام» نحو قوله تعالى ﴿ولتكبروا الله على ما هداكم﴾  
(البقرة: ١٨٥) أى لهدايته إياكم، ومن ذلك قول عمرو بن معديكرب:  
علام تقول الرمح يثقل عاتقى إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرت  
أى لم تقول الرمح يثقل عاتقى، «فعلى» في البيت بمعنى «اللام»<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع معنى اللبيب: ١٩١-٨٨٧.

(٢) المغنى: ١٩٦. وراجع الايضاح العضدى: ٢٥٩. والهمع: ٢: ٢٩. وابن عقيل: ٢: ٢٣. وشرح التصريح: ٢: ١٥.

(٣) معنى اللبيب: ١٩١. والمقرب لابن عصفور: ١: ٢٠١. والمطالع السعيدة: ٢: ٦٢.

ب - وقد تأتي «اللام» مفيدة معنى الاستعلاء الحقيقي والمجازي، مقترضة هذا المعنى من «على» فالاستعلاء الحقيقي نحو قوله تعالى ﴿ويخرون للأذقان سجدا﴾ (الاسراء: ١٠٩) أى ويخرون على الأذقان، ونحو قوله تعالى ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه﴾ (يونس: ١٢) أى دعانا على جنبه، وقوله تعالى ﴿فلما أسلما وتله للجبين﴾ (الصفات: ١٠٣) أى وتله على الجبين، ونحو قول الأشعث الكندي:  
تناولت بالرمح الطويل ثيابه فخر صريعا لليدين والضم  
أى فخر صريعا على اليدين والضم.

والاستعلاء المجازي نحو قوله تعالى ﴿إن أحستتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (الاسراء: ٧) أى وإن أسأتم فعليها ونحو قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله عنها: «اشترطى لهم الولاء»<sup>(١)</sup> أى اشترطى عليهم الولاء. وقد أنكر النحاس أن يكون لهم فى الحديث بمعنى عليهم، وذهب إلى أن المعنى من أجلهم، فاللام قد جاءت على أصلها فى رأيه<sup>(٢)</sup>.

#### على - فى :

أ - وقد تأتي «على» مفيدة «معنى الظرفية» مقترضة هذا المعنى من «فى» نحو قوله تعالى ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ (القصص: ١٥) أى فى حين غفلة من أهلها. وقوله تعالى ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان﴾ (البقرة: ١٠٢) أى ما تتلوا الشياطين فى زمن ملكه، ويحتمل أن تكون «على» فى الآية حقيقتها إذا ضمن «تتلوا» معنى تقول، فىكون بمنزلة ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ (الحاقة: ٤٤) من مجيء على بمعنى «فى» أى مفيدة معنى الظرفية قول الأعشى:

فضل على حين العشيات والضحي ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا  
أى: فصل فى حين العشيات.

ويقال: أتيت على عهد فلان. أى أتيت فى عهد فلان<sup>(٣)</sup>.

ب - وقد تأتي «فى» مفيدة معنى الاستعلاء مقترضة هذا المعنى من «على» قال بذلك الكوفيون وجعلوا من ذلك قوله تعالى ﴿ولأصلبكم فى جذوع النخل﴾ (طه: ١٧)

(١) صحيح البخارى: كتاب العتق.

(٢) معنى اللبيب: ٢٨٠. ووصف المباني: ٢٢١. والأشمونى: ٢: ٢١٧.

(٣) الأزهية: ٢٨٥. وشرح التصريح: ٢: ١٤. وابن يعيش: ٩: ٣٩.

أى على جذوع النخل غير أن البصريين قالوا إن «فى» فى الآية الكريمة على بابها أى مفيدة معنى الظرفية والمعنى : أن النخلة مشتملة على المصلوب ، لأنه إنما يصلب فى عراضها لا عليها ، فكأنها صارت له وعاء أو اشتملت عليه (١) .

ومن مجيء «فى» بمعنى «على» قول سويد بن كاهل أو غيره :

هم صلبوا العبدى فى جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا  
أى هم صلبوا العبدى على جذع نخلة .  
وقول عنتر بن شداد :

بَطْلُ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سِرْحَةٍ يَحْدَى نَعَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوْعَمٍ  
والسرحة : الشجرة العظيمة أى ثيابه على شجرة . ونحو قوله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ سَلْمٌ  
يَسْتَمْعُونَ فِيهِ﴾ (الطور : ٣٨) أى يستمعون عليه (٢) .

على - من :

وقد تأتى «على» مفيدة معنى ابتداء الغاية مقترضة هذا من «من» نحو قوله تعالى  
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ (المطففين : ١ ، ٢) أى إذا اکتالوا  
من الناس . وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ (المؤمنون :  
٦ ، ٥) أى إلا من أزواجهم بدليل : «أحفظ عورتك إلا من زوجتك وما ملكت يمينك» .  
وقوله تعالى ﴿مَنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَانُ﴾ (المائدة : ١٠٧) أى استحق منهم  
الأوليان . وقول أبى المثلث الهذلى يصف كتيبة : (٣) .  
متى ما تنكروها تعرفوها على أقطارها علق نفيث  
أى من أقطارها ، والعلق : الدم الجامد . ونفيث : منفوخ .

ب - وقد تأتى «من» بمعنى «على» أى مفيدة معنى الاستعلاء نحو قوله تعالى  
﴿وَنَصْرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أى ونصرناه على القوم الذين كذبوا ، وقيل :  
ضمن «نصرناه» معنى منعناه أى منعناهم بالنصر .

(١) معانى الحروف للرماني : ٩٦ .

(٢) منار السالك : ١ : ٣٩٣ . والمغنى : ٢٢٤ .

(٣) البيت فى ديوان الهذليين : ٢ : ٢٢٤ . والمخصص : ٦ : ٩٥ .

وهكذا جاءت «على» في الأساليب بمعنى «من» أى مفيدة معنى ابتداء الغاية، وجاءت «من» بمعنى «على» أى مفيدة معنى الاستعلاء وكل ذلك على سبيل التقارض بينهما فى المعانى (١).

### عن - اللام :

وقد ترك «عن» معنى المجاوزة إلى إفادة «التعليل» على سبيل الاقتراض من «اللام» نحو قوله تعالى ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ (التوبة : ١١٤) أى إلا الموعدة وعدها إياه، وقوله تعالى ﴿وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك﴾ (هود : ٥) أى ما نحن بتاركى آلهتنا لقولك، وقد ذهب الزمخشري إلى غير هذا فجوز أن يكون «عن قولك» حالا من ضمير تاركى أى ما تركها صادرين عن قولك، فليست عن بمنزلة اللام على رأيه (٢).

ب - وقد تأتى «اللام» بمعنى «عن» أى مفيدة «معنى المجاوزة» نحو قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه﴾ (الأحقاف : ١١) أى قال الذين كفروا عن الذين آمنوا قال بهذا ابن الحاجب، وذهب ابن مالك وغيره إلى أن اللام فى الآية لام التعليل، وقيل هى لام التبليغ والتفت عن الخطاب إلى الغيبة، أو يكون اسم المفعول لهم محذوفاً أى قالوا لطائفة من المؤمنين لما سمعوا إسلام طائفة أخرى، وحيث دخلت اللام على غير المقول له فالتأويل على بعض ما ذكر (٣)

### عن - من :

أ - وقد تأتى «عن» بمعنى «من» أى مفيدة معنى ابتداء الغاية. نحو قوله تعالى ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده﴾ (الشورى : ٢٥) أى يقبل التوبة من عباده، وقوله تعالى ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا﴾ (الأحقاف : ١٦) أى يتقبل منهم أحسن ما عملوا بدليل قوله تعالى ﴿فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر﴾ (المائدة : ٢٧) وبدليل قوله تعالى ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ (البقرة : ١٢٧).

(١) الأزهية : ٢٩٣. والمغنى : ٤٢٤، ١٩١. والأشمونى : ٢١٣ : ٢. والهمع : ٢ : ٢٨، ٣٤.

(٢) مغنى اللبيب : ١٩٧.

(٣) مغنى اللبيب : ٢٨٢. والأشمونى : ٢ : ٢٢٤.

ب - وقد تأتي «من» مرادفة «لعن» فتفيد معنى المجاوزة على رأى بعضهم نحو قوله تعالى ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ (الزمر: ٢٢) أى عن ذكر الله، وقوله تعالى ﴿ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾ (الأنبياء: ٩٧) أى في غفلة عن هذا، وذكر الهروى: «أنه قيل: حدثنى فلان من فلان» أى حدثنى فلان عن فلان.  
قال ابن هشام:

وزعم ابن مالك أن «من» في نحو: زيد أفضل من عمرو للمجازة، وكأنه قيل: جاوز زيد عمرا في الفضل قال: وهو أولى من قول سيبويه وغيره أنها لا ابتداء الارتفاع في نحو: أفضل منه، وابتداء الانحطاط في نحو: شرمه إذ لا يقع بعدها إلى، وقد ردّ على ابن مالك أنها لو كانت للمجازة في المثال المتقدم لصح في موضعها عن (١).

### في - اللام :

أ - «في» تفيد معنى الظرفية. قال أبو على الفارسي: «وفي معناها الوعاء وذلك نحو: المال في الكيس واللص في الحبس ويتسع فيها فيقال: زيد ينظر في العلم وأنا في حاجتك» وقد تخرج عن هذا المعنى إلى مرادفة «اللام» فتفيد معنى التعليل أو السببية نحو قوله تعالى ﴿فذلكن الذي لمتنى فيه﴾ (يوسف: ٣٢) أى لمتنى لأجله. وقوله تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه﴾ (النور: ١٤) أى لأجل إفاضتكم فيه، ومن ذلك حديث الرسول ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها» (٢) أى لأجل هرة فالهرة هي العلة والسبب في دخول المرأة النار.

ب - «واللام» التي تفيد معنى «التعليل» قد تخرج عنه إلى إفادة معنى الظرفية على سبيل الاقتراض من «في» نحو قوله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ (الأنبياء: ١١) أى ونضع الموازين في يوم القيامة. وقوله تعالى ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ (الاعراف: ١٨٧) أى لا يجليها في وقتها إلا هو، قيل: ومنه قوله تعالى ﴿ياليتنى قدمت حياتي﴾ (الفجر: ٢٤) أى في حياتي. وقولهم: مضى لسبيله أى مضى في سبيله (٣).

(١) الأزمية: ٢٨٩.

(٢) الحديث في مسند أحمد والبخارى ومسلم.

(٣) الايضاح العضدى: ٢٥١. والمعنى: ٢٢٤، ٢٨١.

في - من :

أ - وقد تأتي «في» بمعنى «من» أى تأتي مقترضة معنى ابتداء الغاية أو التبعض من «من» نحو قول امرئ القيس: (١)

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان في العصر الخالى  
وهل يعمن من كان أحدث عهده ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال  
أى من كان من العصر الخالى وثلاثين شهراً من ثلاثة أحوال.

ب - وقد تأتي «من» بمعنى «في» أى تفيد معنى الظرفية على رأى بعضهم نحو قوله تعالى ﴿أرونى ماذا خلقوا من الأرض﴾ (فاطر: ٤٠) أى ماذا خلقوا في الأرض، وقوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ (الجمعة: ٩) أى نودى للصلاة في يوم الجمعة.  
وقد ذهب ابن هشام إلى أن «من» في الآية الكريمة لبيان الجنس وليست بمعنى «في» (٢).

اللام - من :

أ - وقد تخرج «اللام» عن معنى التعليل فتأتى بمعنى «من» أى تفيد معنى ابتداء الغاية نحو قولهم: «سمعت له صراخاً» أى سمعت منه صراخاً. ونحو قول جرير: (٣)  
لنا الفضل في الدنيا وأنفك راغم ونحن لكم يوم القيامة أفضل  
أى ونحن أفضل منكم يوم القيامة (٤).

ب - وقد تخرج «من» عن إفادة ابتداء الغاية فتأتى بمعنى «اللام» أى تفيد معنى التعليل نحو قوله تعالى ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ (نوح: ٢٥) أى لأجل خطيئاتهم أغرقوا. ونحو قول امرئ القيس: (٥)  
وذلك من نبأ جاءنى وخبرته عن أبى الأسود

(١) الديوان: ١٣٨ .

(٢) مغنى اللبيب: ٤٢٤، ٢٢٥ . والمطلع السعيدة: ٢: ٦٤ . وأوضح المسالك: ١: ٣٨٩ . ووصف المباني: ٣٩١ .

(٣) الديوان: ٤٥٧ .

(٤) مغنى اللبيب: ٢٨١ . والأشمونى: ٢: ٢١٨ .

(٥) الديوان: ٧٦ .

أى وذلك لأجل نبأ جاءنى .

ونحو قول الفرزدق: (١)

يُغْضَى حِيَاءٌ وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ      فَمَا يَكْلِمُ إِلَّا حِينَ يَبْسُمُ  
أى ويغضى لأجل مهابته (٢).

أو - الواو :

أ - «أو» حرف عطف يفيد معنى الشك أو الابهام أو التخيير أو الاباحة ، وفي بعض الأحيان قد يأتى هذا الحرف مفيدا معنى «الواو» أى يفيد معنى الجمع المطلق قال بذلك الكوفيون والأخفش والجرمى واحتجوا بقول توبه بن الحمير:

وقد زعمت ليلى بأنى فاجر      لنفسى تقاها أو عليها فجورها  
أى لنفسى تقاها وعليها فجورها «فأو» بمعنى «الواو» . قال الملقى : وهو قليل لا يقاس عليه (٣) . وقيل «أو» فى البيت للابهام أى جاءت على بابها .

واحتجوا أيضا بقول جرير فى مدح عمر بن عبد العزيز: (٤)

جاء الخليفة أو كانت له قدرا      كما أتى موسى ربه على قدر  
«فأو» فى الشطر الأول لمطلق الجمع كالواو .

ويقول النابغة الذبياني: (٥)

قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا      إلى حمامتنا أو نصفه فقد  
«فأو» فى البيت لمطلق الجمع كالواو .

ويقول حميد بن ثور: (٦)

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم      ما بين ملجم مهره أو سافع  
فأو فى الشطر الثانى لمطلق الجمع كالواو . والسافع: هو الأخذ بناصية الفرس من غير

لجام .

(١) الديوان: ٨٤٨ .

(٢) معنى اللبيب: ٤٢١ . ومنار السالك: ١ : ٣٨٩ .

(٣) رصف المياني: ١٣١ .

(٤) الديوان: ٢٧٥ .

(٥) الديوان: ٤٥ .

(٦) الديوان: ١١١ .



وقال الرماني: (١) ذهب قوم من الكوفيين إلى أن «أو» بمعنى «الواو» وجعلوا من ذلك قوله تعالى ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ (المرسلات: ٦) ومثله ﴿عذرا أو نذرا﴾ (طه: ٤٤). وفي قوله تعالى ﴿إنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون﴾ (الواقعة: ٤٧، ٤٨) ذهب المالقي إلى أن «أو» في الآية بمعنى «الواو» على قراءة من سكن الواو (٢) وفي قوله تعالى ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ (الصفافات: ١٤٧) «أو» بمعنى الواو أى مائة ألف ويزيدون. وفي قوله تعالى ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم﴾ (النور: ٦١) ذكر ابن مالك أن «أو» في الآية بمعنى «ولا». قال ابن هشام: إن «أو» في الآية بمعنى «الواو» وإنما جاءت «لا» في الآية توكيدا للنفي السابق وممانعة من توهم تعليق النفي بالمجموع لا بكل واحد، وذلك مستفاد من دليل خارج عن اللفظ وهو الاجماع (٣).

ب - وقد تخرج «الواو» عن إفادة «مطلق الجمع» فتأتى بمعنى «أو» أى تفيد الاباحة أو التخيير وقالوا إن مجيء «الواو» بمعنى «أو» على ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تكون بمعنى «أو» في التقسيم نحو قولك: الكلمة اسم وفعل وحرف أى الكلمة اسم أو فعل أو حرف، ونحو قول عمرو بن بركة:  
وننصر مولانا ونعلم أنه كما الناس مجروم عليه وجارم  
«فالواو» في الشطر الثاني بمعنى «أو» وذهب ابن هشام: إلى أن الواو جاءت على أصلها لمطلق الجمع.

الثاني: أن تكون «الواو» بمعنى «أو» في إفادة الاباحة وعلى ذلك الزمخشري، وزعم أنه يقال: جالس الحسن وابن سيرين أى جالس أحدهما، وأنه لهذا قيل: ﴿تلك عشرة كاملة﴾ (البقرة: ١٩٢) يعد ذكر ثلاثة وسبعة لثلاث يتوهم إرادة الاباحة وقد رد ابن هشام ما ذهب إليه الزمخشري (٤).

الثالث: أن تكون «الواو» بمعنى «أو» في إفادة التخيير، واستدلوا بقول كثير عزة: (٥)  
وقالونات فاختر لها الصبر والبكا فقلت: البكا أشفى اذن لغليلي  
أى فاختر لها الصبر أو البكاء أى أحدهما، إذ لا يجتمع البكاء مع الصبر.

(١) معاني الحروف: ٧٧، ٧٨.

(٢) رصف المبانى: ٤٢٦.

(٣) معنى اللبيب: ٩٠. وراجع الانصاف في مسائل الخلاف المسألة ٦٧ ط رابعة مصر.

(٤) معنى اللبيب: ٤٦٨.

(٥) الديوان: ٢: ٢٥١.

مع - بعد :

أ - «مع» اسم يدل على الظرفية ويستعمل مضافا ومفردا فيستعمل مفردا نحو قول جنبد بن عمرو:

أفيقوا بنى حرب وأهواؤنا معا وأرماحنا موصولة لم تقضب  
وحين يستعمل مضافا فإنه يفيد ثلاثة معان :

أحدها: موضع الاجتماع ولهذا يخبر به عن الذوات نحو: الكتاب معك.  
والثاني: زمان الاجتماع نحو: جئتك مع الظهر.

والثالث: بمعنى «عند» كقراءة بعضهم ﴿هذا ذكر من معي﴾ (الأنبياء: ٢٤) وكما تأتي في الأسلوب موافقة لعند فقد ذكر الهروي أنها قد تأتي بمعنى «بعد» واستدل بقول الله عز وجل ﴿فان مع العسر يسرا﴾ (الانشراح: ٥) معناه: فإن بعد العسر يسر. ولما ذكر العسر بالألف واللام ثم أعاد ذكره، وجب أن العسر الثاني هو الأول وصار المعنى: ان مع العسر يسرين، ومنه الحديث: «لا يغلب عسر واحد يسرين»<sup>(١)</sup>.

ب - «بعد» هو أحد الظروف الذي لا يلزم البناء، فهو يبنى في بعض الأحوال ويعرب في بعضها الآخر كقيل ودون وأول والجهات الست، ويأتي هذا الظرف أى «بعد» في مقابل «قبل» نحو قوله تعالى ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ (الروم: ٤) وقد يخرج عن معنى مقابلة قبل فيأتي بمعنى «مع» نحو قول الله سبحانه وتعالى ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ (القلم: ١٣) أى عتل مع ذلك زنيم.

وهكذا يلاحظ أن مع وبعد تقارضا المعانى فيما بينهما<sup>(٢)</sup>.

★ ★ ★ ★ ★ ★ ★ ★

وبعد فلعللى أكون قد ألمت بما يجب أن يقال في «ظاهرة التقارض في النحو العربي»، وربما فاتني منها القليل أو الكثير أرجو الله أن يهديني إليها في قابل الزمان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) الحديث أخرجه الحاكم بسند ضعيف مرسلا.

(٢) راجع الأزهية: ٢٩٢. والمغنى: ٤٣٩. وجامع الدروس العربية: ٢: ٢١٤.

# مَلَامِحُ النَّقْدِ الْأَدْبِيِّ وَمَقَائِيصُهُ

## فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ

د. محمد عارف محمود صابن  
مدرس بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

النقد الأدبي ملكة وذوق وفطرة، قبل أن يكون علما وأصولا وقواعد، وكما وجد الأديب المنشئ الذي وهب ملكة الإنشاء والإبداع الأدبي، الذي يستطيع أن يصور في أسلوب مثير ما يجيش به خاطره، وما يعتمل في فؤاده من أفكار وخواطر وأحاسيس. . . كما وجد الأديب المنشئ المبدع، فقد وجد - كذلك - الانسان الذواقه، المرهف الاحساس، النافذ النظر، الذي يستطيع أن يكشف عما في العمل الأدبي من جمال أو قبح، وأن يصل إلى ما خفى من سماته وشاراته، التي تكسبه المكانة العالية إن كانت سماته وشاراته جميلة، أو التي تنزل به إلى الدرك الأسفل في باب الفن الأدبي، إن كانت قبيحة.

ونخلص من هذا إلى القول بأنه إذا كان العرب قد وهبوا ملكة الإنشاء والإبداع الأدبي، وجادت ملكتهم بروائع الشعر والنثر، فقد وهبوا - كذلك - ملكة النقد والتذوق الأدبي، لما أنشأه المنشئون من شعرائهم، ونخلص - أيضا - إلى القول بأن النقد الأدبي نشأ مع النتاج الأدبي جنبا إلى جنب، وأن الناقد الأدبي وجد في الوقت الذي وجد فيه الأديب المنتج.

وهذا يعني أن العرب القدامى قد عرفوا النقد الأدبي وزاولوه، عرفوه فطرة وطبيعة، وزاولوه ذوقا وإحساسا، وطبقوه على نتاجهم الشعري، ولكنهم لم يعرفوه علما وفنا، له أصوله وقواعده؛ إذ لم يسموا عملهم هذا نقدا، ولم يصفوه هذا الوصف، لأن كلمة «نقد» - مقصودا بها تمييز جيد الكلام من رديئه - لم تستعمل إلا في القرن الثالث الهجري؛ حيث أضيفت إلى الشعر مرة، وإلى التراثية، وإلى الكلام مرة ثالثة، وأخذ الناس يقولون: نقد الكلام، وهو من نقدة الشعر ونقاده، وانتقد الشعر على قائله<sup>(١)</sup>، واستعمل الشعراء النقد بهذا المعنى

(١) أساس البلاغة.

كذلك ، فقال بعضهم :

إن نقد الدينار إلا على الصيـ ف صعب فكيف نقد الكلام<sup>(١)</sup>

واستخدم المؤلفون هذا التعبير ، وأول من استعمله «قدامة<sup>(٢)</sup> بن جعفر» وذلك حين أطلق على كتابه «نقد الشعر» ثم مضى الناس على إثره ، فوجدنا كتاب «نقد النثر» فالأرجح أنه لغيره وليس له ، ووجدنا «ابن رشيق<sup>(٣)</sup>» يعنون كتابه بـ«العمدة في صناعة الشعر ونقده» .

## ملاحم النقد الجاهلى :

والنقد الأدبى يعنى النظر الدائب الفاحص فى النتاج الأدبى ، للكشف عما فيه من جوانب الجمال ، أو مواضع القبح ؛ ولذا كان أول شىء مارسه العرب القدامى من شئون النقد الأدبى ، هو نظر الشعراء منهم إلى فتاجهم ، فكان أغلبهم يتناول شعره بالنظر والتأمل ، فلا يزيده النظر والتأمل إلا احتفاء به وحبا له ، ورغبة فى تثقيفه ، ومحاوله دائبة لصقله ، حتى يصل به إلى درجة يشعر معها أنه راض كل الرضا .

وقد اشتهر من هؤلاء الشعراء الذين عنوا بأشعارهم ، ووقفوا بأبواب قوافيه ، بل باتوا بها - كما كانوا يقولون - اشتهر من هؤلاء زهير<sup>(٤)</sup> بن أبى سلمى ، وكعب<sup>(٥)</sup> بن زهير ، والحطيئة<sup>(٦)</sup> . . فكان الواحد منهم يمضى عاما كاملا ينقح قصيدة واحدة ، حتى يصل بها إلى درجة يظن معها أن قصيدته نالت رضاه واستحسانه ، وقد سميت هذه القصائد - لذلك - بالحوليات والمنقحات والمحككات .

(١) دلائل الإعجاز: ١٩٦ .

(٢) هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادى ، كان أدبيا ومؤلفا ، ألف كتبا كثيرة ، لم يصلنا منها سوى كتابى : «نقد الشعر» و«الخراج» توفى سنة ٣١٠هـ .

(٣) هو أبو على الحسن بن على بن رشيق الأزدي القيروانى ، ناقد وأديب وشاعر ، ومن مؤلفاته : «قراضة الذهب فى نقد أشعار العرب» و«الغرائب والشذوذ فى اللغة» بالإضافة إلى كتابه الشهير «العمدة» توفى عام ٤٥٦هـ .

(٤) هو زهير بن أبى سلمة - ربيعة - بن رباح المزنى ، أحد الشعراء الثلاثة المشهورين والمقدمين فى الجاهلية ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابعة . مات قبل الإسلام بزمن طويل .

(٥) هو كعب بن زهير بن أبى سلمى ، شاعر مخضرم ، كان من أكثر الشعراء هجوا للنبي ﷺ ، ثم جاء وأسلم ، ومدحه بقصيدته الشهيرة «بانث سعاد» توفى سنة ٢٤هـ .

(٦) الحطيئة : هو جرول بن أوس من بنى قطيعة بن عيسى ، يكنى أبا مليكة ، وكان راوية كعب بن زهير ، وهو جاهلى إسلامى ، من فحول الشعراء وفصحائهم ، متين الشعر ، متصرف فى جميع الفنون ، ولكنه اشتهر بفن الهجاء ، توفى سنة ٣٠هـ .

فها هو ذا كعب بن زهير، يذكر الشعر وحاجته إلى التقويم والتثقيف، ويذكر فضله  
وفضل الحطيئة في هذا الشأن فيقول:

فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعب وفوز جرول<sup>(١)</sup>  
يقومها حتى تلين متونها فيقصر عنيا كل ما يتمثل<sup>(٢)</sup>

والحطيئة يذكر صعوبة المرتقى إلى جيد الشعر، وحاجة الشاعر إزاءه إلى الجهد  
والخبرة؛ إذ يقول: <sup>(٣)</sup>

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه  
زلت به إلى الحضيض قدمه يريد أن يعربه فيعجمه<sup>(٤)</sup>  
وهو الذي يقول: «خير الشعر الحولى المنقح المحكك»<sup>(٥)</sup>.

وعناية الشاعر الجاهلي بشعره: بالنظر فيه وتقويمه وتثقيفه منحى نقدي جاهلي، سار  
على نهجه كثير من الشعراء الذين تتابعوا عبر العصور.

ومن هؤلاء الشعراء الذين جروا في طلق الشعراء الجاهليين عدى<sup>(٦)</sup> بن الرقاع،  
وسويد<sup>(٧)</sup> بن كراع، ومروان<sup>(٨)</sup> بن أبي حفصة، فها هو ذا عدى بن الرقاع يتحدث عن  
تقويمه لشعره وتثقيفه له فيقول:

---

(١) القوافي: الأشعار. شأنها من يحوكها: ألحق بها العيب من يتصدى لصنعها ونسجها. ثوى، فوز: مات. جرول:  
الحطيئة.

(٢) يقومها: يهذبها ويقوم معوجها. المتون: جمع متن، وهو الظهر، أى تستقيم كما يريد. ما يتمثل: ما يشتهر كالمثل.

(٣) الأغاني: ١٩٦/٢.

(٤) يعجمه: يجعله كالأعجمي، غير مفصح ولا مبين. ويعجمه معطوف على يريد.

(٥) البيان والتبيين: ٢٠٤/١ (تحقيق عبد السلام هارون). والمحكك: الذى فحص واختبر وعولج.

(٦) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع، من عاملة: شاعر كبير من أهل دمشق، كان معاصراً لجرير، مهاجياً له،  
مقدماً عند بنى أمية، مداحاً لهم، خاصاً بالوليد بن عبد الملك، لقبه ابن دريد في كتاب «الاشتقاق» بشاعر أهل الشام توفى نحو  
٩٥هـ.

(٧) هو سويد بن كراع العكلى، من بنى الحارث بن عوف: شاعر فارس مقدم، كان في العصر الأموى صاحب الرأى والتقدم  
توفى نحو ١٠٥هـ.

(٨) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة: شاعر مجيد، عاصر الدولتين: الأموية والعباسية، ظهر نجمه في الأخيرة  
خاصة عند المهدي والهادي والرشيد، وكان شاعرهم الأول، اشتهر بالمدح طلباً للنوال. توفى سنة ١٨٢هـ.

وقصيدة قدبت أجمع بينها حتى أقوم سيلها وسنادها(١)  
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافه منادها(٢)

وهذا سويد بن كراع يصف نزعة الصناعة وصفا أدبيا في وجه البداهة والارتجال إذ  
يقول: (٣)

أبيت بأبواب القوافي كأنها أصادى بها سربا من الوحش نزعا(٤)  
أكالئها حتى أعرس بعد ما يكون سحيرا أو بعدا فأهجعا(٥)

ثم يقول:

وجشمنى خوف ابن عفان ردها فثقتها حولا حريدا ومربعا(٦)  
وقد كان في نفسى عليها زيادة فلم أر إلا أطيع وأسمعا

وأما مروان بن أبى حفصة فيتحدث عن صناعته لشعره، ومعاودة النظر فيه وتقديمه،  
فيقول: «كنت أعمل القصيدة في أربعة أشهر، وأحككها في أربعة أشهر، وأعرضها في أربعة  
أشهر، ثم أخرج بها إلى الناس، فقليل له: فهذا هو الحولي المنقح»(٧).

\*\*\*\*\*

ولم يقف الأمر بالشعراء الجاهليين عند حد شعرهم بالتأمل فيه والنظر إليه، ومحاولة  
تنقيحه وتهذيبه... بل تعدوا ذلك؛ فكان منهم من يتجاوز النظر في شعره إلى النظر في شعر  
غيره، فيتناوله بالفحص والتدقيق وإنعام النظر فيه مرة بعد مرة، ثم يعقب على ذلك، بما  
يرى من استحسان أو استهجان.

(١) السناد - هنا -: العيب في الشعر.

(٢) المناد: المعوج.

(٣) البيان والتبيين: ١٣، ١٢/٢.

(٤) أصادى: أراجى وأختال. النزع: جمع نازع، وهو الغريب.

(٥) أكالئها: أراقبها. التعريس: النزول في وجه السحر.

(٦) الحريد: التام الكامل.

(٧) الخصائص: ٣٢٥، ٣٢٤/١ (تحقيق: محمد على النجان ط دار الهدى للطباعة والنشر. بيروت).

ومن الأمثلة التي روتها كتب الأدب لحكم بعض الشعراء على بعض، ما روى أن  
النابغة<sup>(١)</sup> الذبياني فقد حسان<sup>(٢)</sup> بن ثابت، حين أنشده قوله:

لنا الجففات الغريلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

نقده بقوله: أقللت جفانك وسيوفك (لأن الجففات هي الجمع لأدنى العدد، أما  
الكثرة فتجمع على جفان، وكذلك الأسياف لأدنى العدد، والكثرة سيوف) وقلت:  
«يلمعن في الضحى» ولو قلت: يبرقن في الدجى لكان أبلغ؛ لأن الضيف في الليل أكثر،  
وقلت: «يقطرن من نجدة دما» فدلت على قلة القتل، ولو قلت: يجرين لكان أكثر  
لانصباب الدم.

ومنها ما روى أن أهل المدينة نقدوا شعر النابغة الذي وقع فيه «الإقواء»<sup>(٣)</sup> وهو قوله:  
من آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود<sup>(٤)</sup>  
زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغراب الأسود<sup>(٥)</sup>  
وقوله:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد<sup>(٦)</sup>  
بمخضب رخص كأن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد<sup>(٧)</sup>

ويروى أبو عمرو<sup>(٨)</sup> بن العلاء أن الذبياني، لما قدم يثرب على الأوس والخزرج  
- وكان أهل الحجاز من المعجبين بشعره، وكانوا قد عرفوا الإقواء في شعره - دسوا له قينه

(١) هوزياد بن معاوية من ذبيان من قيس، أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء في العصر الجاهلي، توفي سنة ٦٠٤ م.

(٢) هوحسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، شاعر جاهلي إسلامي، وقد عاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام مثلها،

ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ. اشتهر في الجاهلية بمدح ملوك غسان والحيرة، واختص بعد الإسلام بمدح النبي ﷺ والدفاع عنه.

(٣) الإقواء: اختلاف حركة الروى عما بنيت عليه القصيدة من حركة.

(٤) راح: جاء أو ذهب في الرواح، وهو العشى. المغتدى: المبكر.

(٥) البوارح: جمع بارح. وهو الطير يمر عن يمينك إلى شمالك، وكانوا يتشاءمون به.

(٦) النصيف: كل ما غطت الرأس.

(٧) المخضب: المصبوغ بالخضاب، وهي الحناء. الرخص: اللين الناعم. البنان: طرف الإصبع. العنم: شجر بالحجاز. له

ثمر مستطيل أحمر، يشبه به البنان المخضب.

(٨) أبو عمرو بن العلاء، هوزبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحسن التميمي المازني، أحد القراء السبعة، كان من

الشيوخ العلماء بالرواية واللغة والأدب، ظل طول حياته يجمع أشعار العرب القدماء، ولاسيما أشعار الجاهلية، توفي سنة ١٤٥ هـ.

(جاريه) تغنيه به، فغننته ومدت صوتها بالقوافي، فظهر الاختلاف في حركتها، وتنبه النابغه لما جاء منها مضموما، وهي مكسورة كلها، فأصلحه على الوجه الآتي:

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود  
بمخضب رخص كأن بنانه عنم على أعضائه لم يعقد

وقال: «قدمت الحجاز وفي شعري هنة، ورحلت عنه وأنا أشعر الناس»<sup>(١)</sup>.

ومنها نقد طرفة<sup>(٢)</sup> بن العبد لقول المتلمس: <sup>(٣)</sup>

وقد أتناسى الهم عند ادكاره بناج عليه الصيعرية مكدم<sup>(٤)</sup>

نقده بقوله: «استنوق الجمل»<sup>(٥)</sup> يعني طرفة أن الشاعر قد وصف الجمل بما توصف به

الناقة؛ لأن الصيعرية سمة تكون في عنق الناقة لا الجمل.

ومن الأمثلة على هذا اللون من النقد - أيضا - ما روى أن الحطيئة سئل: من أشعر

العرب؟ قال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم<sup>(٦)</sup>

يقصد بهذا زهيرا، وسئل: ثم من؟ قال الذي يقول:

من يسأل الناس يجرموه وسائل الله لا يخيب

يقصد عبید بن الأبرص<sup>(٧)</sup>.

\*\*\* \*\*

وليس ما تقدم من نظرات جاهلية نقدية - من نظر الشاعر في شعره، ومحاولته تهذيبه وتثقيفه، ومن نظره - أحيانا - إلى شعر غيره والحكم عليه - ليس ما تقدم هو كل ما قام به النقد الجاهلي من دور في تقويم الشعر العربي الجاهلي، والوصول به إلى درجة من الكمال

(١) المرشح: ٣٨ (المطبعة السلفية سنة ١٣٤٣هـ).

(٢) هو أبو عمرو وطرفة بن العبد من بكر وائل من ربيعة، ابن أخي المرتس الأصغر، وابن أخت المتلمس، وقد نبغ في الشعر من حدائته، حتى صار يعد من الطبقة الأولى، وهو من أصحاب المعلقات، وتوفي صغير السن سنة ٥٥٠م.

(٣) هو جرير بن عبد المسبح - وقيل ابن عبد العزى - الضبعي، ولعله ولد وثنيا فتنصر، وهو خال طرفة بن العبد.

(٤) الناجي: الجمل السريع. المكدم: الصلب.

(٥) الموشح: ٧٦، ٧٧.

(٦) يفره: يحفظه وأفرا.

(٧) هو عبید بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير، ينتهي نسبه إلى بني أسد من مضر، وكان عبید شاعرا

جاهليا قديما، من شعراء الطبقة الأولى، قديم الذكر، عظيم الشهرة، توفي سنة ٥٥٥م.



الفنى . . . بل إن النقد الجاهلى قد ساهم بلون آخر من ألوانه التى عملت على النهضة بالشعر العربى ، هذا اللون هو المفاضلة أو الموازنة بين الشعراء .

وتروى كتب الأدب أن النابغة الذبياني ، كانت تضرب له قبة فى سوق عكاظ ، حيث يقد إليه الشعراء يعرضون عليه نتائجهم ، فإذا به يستمع إليهم جميعا ، ثم يحكم فى النهاية لمن نالت قصيدته الرضا والاستحسان .

وقد ساعد على هذا اللون من النقد ، وعمل على وجوده دواع كثيرة ، ومواقف متعددة ، منها « تلك المواسم والأسواق ، والمجامع الجامعة ، والمحافل الحافلة ، التى كان العرب يحضرونها بما لديهم من المفاخر ، يتبادلون عندها المنافع ، ويتناشدون الأشعار ، متباهين بجلودتها ، وقد جلس للحكم بينهم وتفضيل بعضهم على بعض فيها سادة مقدمون ، ولسن معاول<sup>(١)</sup> » ومنها تلك المواقف التى كثيرا ما « يلتقى فيها شاعران على بساط المنافسة الأدبية ، أو يجربها اللجاج حول بعض الأمور إلى التماس الفوز عن طريق الحكم لأحدهما بالأصالة والمنزلة الشعرية »<sup>(٢)</sup> .

وتروى لنا كتب الأدب مشهداً من تلك المشاهد التى كانت بين النابغة والشعراء فى عكاظ ، أنشده الأعشى مرة ، ثم أنشده حسان بن ثابت ، ثم شعراء من بعده ، ثم الخنساء أنشدته قصيدتها فى رثاء أخيها صخر التى منها : -  
وإن صخرأ لتأتى الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

فأعجب بالقصيدة ، وقال لها : لولا أن أبا بصير - يعنى الأعشى - أنشدنى لقلت : إنك أشعر الجن والإنس . فالأعشى إذن أشعر الذين أنشدوا النابغة ، والخنساء تليه منزلة وجوده شعر<sup>(٣)</sup> .

ومن الأمثلة على هذا اللون من النقد الذى يقوم على المفاضلة بين الشعراء ما روى أن رهطاً من شعراء تميم اجتمعوا فى مجلس شراب ، وهم : الزبرقان<sup>(٤)</sup> بن بدر ، والمخيل<sup>(٥)</sup>

(١) ، (٢) فى النقد الأدبى عند العرب : ٦٨ للدكتور : محمد طاهر درويش (دار المعارف) .

(٣) تاريخ النقد الأدبى عند العرب : ١٢ للأستاذ : طه أحمد إبراهيم (دار الحكمة - بيروت) .

(٤) هو حصين بن بدر بن خلف بن بهدلة بن عوف بن زيدمناة . كان خطيباً وشاعراً ، استعمله النبي على صدقات قومه .

(٥) هوربيع بن مالك بن ربيعة بن قتال بن أنف الناقة ، ينتهى نسبه إلى زيدمناة بن تميم ، شاعر مشهور ، عمر فى الجاهلية

وإسلام عمراً طويلاً ، ومات فى خلافة عمر أو عثمان - رضى الله عنهما - وهو شيخ كبير .

السعدى، وعبد (١) بن الطيب، وعمرو (٢) بن الأهم، اجتمعوا قبل أن يسلموا، وبعد مبعث النبي ﷺ، وتذاكروا أشعارهم، وقال بعضهم: لو أن قوما طاروا من جودة الشعر لطرنا، فتحاكموا إلى أول من يطلع عليهم؛ فطلع عليهم ربيعة بن حذار الأسدي أو غيره في رواية، وقالوا له: أخبرنا أينما أشعر؟ فقال: أما عمرو فشعره برود يمنية تطوى وتنشر، وأما أنت يازبرقان فكأنك رجل أتى جزورا قد نحرت، فأخذ من أطايبها، وخلطه بغير ذلك، أو قال له: شعرك كلحم لم ينضج فيؤكل، ولا ترك نيئا فينتفع به، وأما أنت يا مخبل فشعرك شهب من الله يليقها على من يشاء من عباده؛ وأما أنت يا عبدة فشعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء (٣) وفي رواية أخرى أنه قال لعمرو: وأما أنت يا عمرو فإن شعرك كبرود حبر، يتلأأ فيها البصر، فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر، وقال للمخبل: وأما أنت يا مخبل، فإن شعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم، وقال لعبدة: وأما أنت يا عبدة فإن شعرك كمزادة أحكم خرزها، فليس تقطر ولا تمطر (٤).

ومن الأمثلة على هذا اللون - أيضا - ما روى أن امرأ القيس (٥) كان جالسا بخبائه، وعنده زوجه «أم جندب» الطائية، فجاءه علقمة (٦) بن عبدة التميمي، وتذاكرا أمر الشعر، وادعى كل منهما لنفسه فيه ما ليس عند صاحبه، فاتفقا على أن ينشدا، وتحكم بينهما «أم جندب» فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها:

خليلي مرا بي على أم جندب      نقضى لبات الفؤاد المعذب  
ومنها في وصف جواده:

فللسوط ألحوب ولساق درة      وللزجر منه وقع أفرج منعب (٧)

(١) هو عبدة بن الطيب - يزيد - بن عمرو بن وعلة بن أنس، وينتهي نسبه إلى زيد مناة بن تميم، شاعر مجيد، ليس بالكثير، وهو مخضرم، أدرك الإسلام فأسلم.

(٢) هو عمرو بن سنان - الأهم - بن سمي بن سنان، وينتهي نسبه إلى زيد مناة، كان خطيبا بليغا وشاعرا.

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ١٤.

(٤) الموشح: ٧٥.

(٥) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور - كندة - يعده الرواة شيخ الشعراء في الجاهلية ويعدونه مبتدعا لكثير من المعاني التي سطا عليها الشعراء من بعده، توفي نحو سنة ٥٦٠ م.

(٦) هو علقمة بن عبدة بن النعمان بن ناشرة بن قيس، ينتهي نسبه إلى زيد مناة، شاعر جاهلي مجيد، وكان من صدور الجاهلية وفحوها، توفي سنة ٥٦١ م.

(٧) الدر - هنا - العدو الشديد. الأفرج: واسع ما بين الرجلين. المنعب: الفرس الجواد يمد عنقه في العدو كالغراب، والذي يسطو برأسه.

وقال علقمة يعارضه :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقا كل هذا التجنب  
ووصف فيها جواده فقال :

فأدركهـن ثانيا من عنانه يمر كمر الراح المتحلب<sup>(١)</sup>

فلما فرغا قضت «أم جندب» لعلقمة على امرىء القيس، فسألها: بم فضلته على؟  
فقلت: فرس ابن عبدة أجود من فرسك، فأنت زجرت وحركت ساقيك، وضربت  
بسوطك، أما علقمة فأدرك بفرسه غرضه، ثانيا من عنانه، لم يضربه بسوط ولم يجهده.

### مقاييسه:

ولسائل أن يسأل ويقول: على أى نحو كان هذا النقد الجاهلى؟ أكانت له أصول  
وأسس يتم على أساسها تقويم الشعر الجاهلى، أم كان مجرد نقداً فطرية، ونظرات  
ذوقية؟

نستطيع أن نقول: إن النقد الذى مارسه قدامى النقاد العرب - فى بدايات النقد وأوليائه - لم  
تكن له أصول معروفة، ولا مقاييس مقررة، بل كان مجرد لمحات ذوقية، ونظرات شخصية،  
تقوم على ما تلهمهم به طبائعهم الأدبية، وسليقتهم العربية، وأذواقهم الشاعرة، وحسهم  
اللغوى الدقيق بلغتهم، وإحاطتهم بأسرارها، ووقوفهم على ما للألفاظ من دلالات  
وإيحاءات فى شتى صورها، بالإضافة إلى ما تزودهم به الطبيعة العربية الجاهلية من معارف  
وتقاليد، تساعدهم كثيرا فى لمحاتهم النقدية، ونظراتهم الشعرية.

وحيثما نحاول تطبيق هذه المقاييس الذوقية الفطرية التى على أساسها كان الناقد  
الجاهلى يستلهم أحكامه، ويبنى نقده... - حينما نحاول تطبيق ذلك على ما تقدم من  
لمحات نقدية، نجد ذلك واضحا تمام الوضوح.

فنقد النابغة الذبياني لشعر حسان بن ثابت - الذى أوردناه من قبل - كان مستمدا  
من فهم النابغة لطبيعة اللغة العربية، ومعرفته التامة بدلالات الألفاظ، وما توحى به أبنية  
الكلمات من معان وإيحاءات.

(١) المتحلب: السائل. كأنه لسرعته لا يجرى، بل يسيل سيلانا.

ونقد أهل المدينة لشعر النابغة، لما فيه من إقواء، كان نابعا من فهم العربي لطبيعة الشعر العربي، ولما ينبغى أن يكون عليه من انسجام في الوزن، واتساق في النغم، الأمر الذى يتطلب - ضمن ما تتطلبه قواعد الشعر العربي - وحدة حركة الروى، التى تكسب الشعر اتساقا وانسجاما؛ ولذا كان اختلاف حركة الروى - الإقواء - فى شعر النابغة مذهبا لروعة الوزن، واتساقه، بل محدثا لنوع من التنافر فى النغم، مما جعله غير متسق ولا منسجم.

ونقد طرفة لشعر المتلمس لوصفه الجمل بصفة الناقة، كان مبنيا على فهم واع بطبيعة البيئة العربية ومعرفة تامة بالسماط والصفات، التى تتميز بها الحيوانات العربية، لاسيما الحيوانات التى كانت مرتبطة بحياة العربي، وكان العربي مرتبطا بها.

\*\*\* \*\*

وعلى الرغم من وضوح تلك الحقيقة - وهى أن العربي الجاهلى كان خيرا بلغته، عالما بأسرارها ولطائفها - على الرغم من ذلك نلاحظ بعض نقادنا المعاصرين، يحاولون التشكيك فى صحة ما نسب إلى بعض نقاد العرب القدامى من أحكام نقدية، خاصة تلك التى نسبت إلى النابغة الذبياني فى نقده لحسان بن ثابت بدعوى أن ما فيه ينضح بالروح العلمية، والنظرة الدقيقة، التى تتسم بدقة التحليل والقدرة على الاستنباط، وتلك أمور تأبأها طبيعة العصر الجاهلى، الذى يعتمد نقده على الذوق وحده.

يقول المرحوم الأستاذ/ طه أحمد ابراهيم: «ملكة النقد عند الجاهليين هي الذوق الفنى المحض، فأما الفكر وما ينبعث عنه من التحليل والاستنباط، فذلك شئ غير موجود عندهم. وبعيد كل البعد عن الروح الجاهلى، وعن طبيعة العصر الجاهلى ما يضيفه بعض الرواة إلى قصة النابغة مع حسان فى عكاظ...»

عيب على حسان أن يفتخر فلا يحسن الافتخار، وأن يؤلف بيته من كلمات غيرها أضخم معنى منها، وأوسع مفهوما: ترك الجفان، والبيض، والإشراق، والجريان، واستعمل الجففات، والغر، واللمعان، والقطر، وهى دون سابقاتها فخرا، وعيب عليه غير ذلك، وتختلف القصة طولا وقصرا، وتختلف فيها وجوه النقد، وكل ذلك تأباه طبيعة الأشياء، وكل ذلك يرفض رفضا علميا من عدة وجوه<sup>(١)</sup>.

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب: ١٨، ١٩.

ومن هذه الوجوه التي ذكرها قوله: «فلم يكن الجاهلى يعرف جمع التصحيح وجمع التكسير، وجموع القلة والكثرة، ولم يكن له ذهن علمى يفرق بين هذه الأشياء، كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه، ومثل هذا النقد لا يصدر إلا عن رجل عرف مصطلحات العلوم، وعرف الفروق البعيدة بين دلالات الألفاظ، وألم بشيء من المنطق»<sup>(١)</sup>.

ومنها - أيضا - قوله: «ولو أن هذه الروح - يقصد روح النقد التي اتسم بها نقد النابغة - جاهلية؛ لوجدنا أثرها في عصر البعثة، يوم تحدى القرآن العرب وأفحمهم إفحاما، فلقد لجأوا إلى الطعن عليه طعنا عاما، فقالوا: سحر مفترى، وقالوا: أساطير الأولين، ولو أن لديهم تلك الروح البيانية، لكان من المنتظر أن ينقدوا القرآن على نحوها، وأن يفزعوا إليها في تلك الخصومة العنيفة التي ظلت نيفا وعشرين عاما»<sup>(٢)</sup>.

أما بالنسبة للوجه الأول فنقول: إن هذه الدعوى التي أطلقها هذا الناقد - وهي أن العربى الجاهلى لم يكن يعرف جمع التصحيح وجمع التكسير . . . - إن هذه الدعوى، فيها تجن على مقدرة العقل العربى الذى كان يعرف - بلاشك - دلالات الألفاظ والفروق الدقيقة بينها، وذلك بمنطق الفطرة والطبيعة، التي فطر عليها، لا بمنطق العلم ومصطلحاته، والعربى الجاهلى لم يكن - فى استعماله لكلمات لغته - بحاجة إلى هذه المصطلحات التي وضعها من بعد علماء اللغة والنحو، بدليل أنه كان يرفع الفاعل، وينصب المفعول، ويجر المضاف إليه بفطرته وسليقته، دون أن يدرك هذه المصطلحات: الفاعل، المفعول، المضاف إليه، الرفع، النصب، الجر. إذن فالعربى الجاهلى لم يكن بحاجة فى استعماله للغته لهذه المصطلحات: جموع القلة والكثرة، والتصحيح والتكسير وما إليها، ولم يكن استعماله لها متوقفا على معرفته بها؛ كى يدرك دلالات الألفاظ والفروق الدقيقة بينها.

وأما بالنسبة للوجه الثانى فنقول: إن هذه - أيضا - دعوى، تحمل بين طياتها إنكار كون العرب قد أوتوا حظا من الفصاحة والبلاغة والبيان، ولو كان الأمر كذلك لما تحداهم الله بالقرآن، وهو المعجزة البيانية الرائعة، إذ كيف يتحدى الله بالبلاغة قوما لا حظ لهم منها؟! وإذ تحداهم الله بالبيان فى قرآنه العظيم، فهذا دليل على مبلغ بلاغتهم، وطول باعهم فى صناعتها.

(١) المرجع نفسه: ١٩.

(٢) المرجع نفسه: ١٩، ٢٠.

أما عدم ردهم على القرآن بنحو بلاغته وفصاحته، فهذا دليل واضح، وسلطان بين على مبلغ إدراكهم لبلاغة القرآن، وأنهم لن يستطيعوا أن يجاروه فيها، ولذا لم يكن أمام عجزهم الواضح عن ملاحقة بلاغة القرآن، والرد عليها بنحوها أو مثلها إلا قولهم العاجز: سحر مفترى، أساطير الأولين. ولعل قصة الوليد بن المغيرة، حينما تلا عليه الرسول ﷺ صدرا من سورة «فصلت» وكيف سجد لفصاحة القرآن. وقال فيه قوله الشهيرة: «والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما، ما هو بكلام الإنس ولا من كلام الجن، والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه»<sup>(١)</sup> - لعل هذه القصة خير دليل على مدى فهمهم للبلاغة، وقوة بيانهم، وإلا فكيف أدرك الوليد هذه البلاغة القرآنية، لو لم تكن لديهم هذه الروح البيانية، التي ينكرها عليهم ويسلبها منهم هذا الناقد!!

إن هذه دعوى تنقصها الحجة الواضحة، وتنقصها مخالفة الواقع، بل فيها ممارسة مكشوفة، وظلم للعقل العربي الجاهلي!

## طبيعة أحكامه:

لعلنا نستطيع - من خلال ما تقدم من حديث عن ملامح النقد الجاهلي ومقاييسه - أن نستشف طبيعة الأحكام النقدية في هذا العصر، وأن نقف على سماتها وملاحظها.

وأول سمة لهذه الأحكام: هي سمة العموم: ونعني بها أن يطلق الناقد - في أحيان كثيرة - أحكامه، ويرسل آراءه، دون أن يذكر سببا، أو يردف علة، وخير مثل لذلك قول الحطيئة - وقد سئل عن أشعر العرب -: أشعر العرب الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم  
يقصد زهيرا. وسئل: ثم من؟ قال الذي يقول:

من يسأل الناس يجرموه وسائل الله لا يخيب

(١) صفوة التفاسير: ٤٧٦/٣ للأستاذ: محمد على الصابوني (دار القرآن الكريم - بيروت).

ومن ذلك حكمهم على بعض القصائد بأنها بالغة منزلة عليا في الجودة بالموازنة بغيرها،  
كقولهم في قصيدة سويد<sup>(١)</sup> بن أبي كاهل اليشكري التي مطلعها:  
بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع  
قولهم عنها انها من خير القصائد، ودعوها اليتيمة<sup>(٢)</sup>.

وكقولهم عن قصيدة حسان اللامية التي مدح بها أبناء (جفنة)، والتي قال فيها:  
لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الأول  
قولهم عنها إنها من أحسن ما قيل في المدح، وتسميتها لها بالبتارة، لأنها بترت  
المدائح<sup>(٣)</sup>.

وقولهم عن قصيدة علقمة بن عبدة التي يقول فيها:  
هل ما علمت وما استودعت مكتوم؟

قولهم عنها: إنها سمط الدهر. فلما أنشد قصيدته التي مطلعها:  
طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصرحان مشيب  
قالوا: هاتان سمطا الدهر<sup>(٤)</sup>. إلى غير ذلك من الأحكام العامة، التي لا توضح  
علة، ولا تذكر سببا.

السمة الثانية: الإيجاز: ونعني بها أن الناقد كثيرا ما يغلف حكمه النقدي بعبارة  
موجزة، يفهم منها ما يراد، ولكن دون شرح أو تفصيل، وذلك يتضح من نقد طرفة لشعر  
المتلمس السابق، حينما قال: «استنوق الجمل» فهذه عبارة موجزة تحمل حكما نقديا، عيب  
به شعر المتلمس الذي وصف الجمل بسمة الناقة.

السمة الثالثة: الجزئية: ونقصد بها تناول الناقد لجزئيات من الجوانب الفنية  
للقصيدة، كجانب الألفاظ أو جانب المعاني، أو جانب الوزن، مثلا، دون تناوله للقصيدة  
كلها تناولاً متكاملاً كما يتجه إلى ذلك النقد الحديث. فيتناول الناقد الجاهلي لفظة، أو

---

(١) هوسويد بن أبي كاهل - غطيف أو شبيب - بن حارثة الذبياني اليشكري، شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام، أشهر  
شعره هذه العينية التي كانت تسمى في الجاهلية «اليتيمة» توفي بعد سنة ٦٠هـ.

(٢) المفضليات (هامش): ١٩ (تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون - ط ثانية. دار المعارف).

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ١٤.

(٤) المرجع نفسه: ١٣.

ألفاظا، فيصفها - مثلا - بالسلاسة أو الجزالة، أو يتناول معنى أو معانى وردت في القصيدة، فيسمها بالصحة أو الخطأ، أو بالوضوح أو الغموض، وخير ما يمثل ذلك مما قدمنا من أمثلة: نقد طرفة لشعر المتلمس، فقد استهدف فيه طرفة جانب المعنى، ونظر فيه فوجده خطأ.

ومنه - أيضا - نقد أهل المدينة لشعر النابغة، فهو نقد استهدف جانب الوزن - أو الشكل الموسيقي - ورأى فيه نشازا في الوزن؛ حيث اختلفت حركة الروى في الأبيات، فأحدثت هذا النشاز في الوزن، والتنافر في النغم، مما أذى السمع، وأذهب بشيء غير يسير من روعة الوزن.

وكذلك نقد النابغة لبيت حسان السابق الذكر، كله منصرف إلى ألفاظ وكلمات دون تناول النقد للنص كعمل فنى متكامل.

وذلك لأن «الشعر عند نقدته من الجاهليين صياغة وفكرة، كان نظما محكما أو غير محكم، ومعنى مقبولا أو غير مقبول، فمعنى المتلمس فاسد، لأنه أسند صفة لغير ما تسند إليه، ومعانى المهلهل التى غالى فيها فاسدة؛ لأنها فوق المعقول، وشعر الزبرقان يجمع بين الطيب والردىء، أو هو ألفاظ مرصوفة، لا قوة فى معانيها، ولا روح تؤلف بينها، وشعر عبدة بن الطبيب قوى الأسر، متين النظم، متماسك متلاحم، فالصياغة والمعانى، هى ما ينتقد فى الشعر الجاهلى . . . فإن لم يتعرض الجاهلى فى النقد للشعر تعرض للشاعر، فأثره على غيره، أو وازنه بغيره من الشعراء . . . هذان هما الميدانان اللذان جال فيهما النقد حولات خفيفة فى العصر الجاهلى: الحكم على الشعر والتنويه بمكانة الشعراء، فأما غير ذلك من البحث فى طريقة الشاعر، أو مذهبه الأدبى، أو صلة شعره بالحياة الاجتماعية، فذلك ما لم يعرفه العصر الجاهلى، وغاية نقدهم أن يأخذوا الكلام منقطعا عن كل مؤثر، بل منقطعا عن بقية شعر الشاعر، ويتذوقونه وفاقا لسليقتهم، ثم يفصحون عن رأيهم . . .»<sup>(١)</sup>.

السمة الرابعة: التأثرية والذاتية: ونعنى بها أن الأحكام النقدية كثيرا ما تكون قائمة على إحساس الناقد بأثر الشعر فى نفسه، وعلى مقدار وقع الكلام عنده، فالحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفا، وإحساس العربى بأثر الشعر إحساس فطرى، وتذوقه له طبيعة

(١) تاريخ النقد الأدبى عند العرب: ١٦، ١٧.



وجبلة؛ ومن هنا يكون حكمه - في كثير من الأحيان - قائما على ذوقه وفطرته، فهما اللذان يهديانه إلى الجيد من فنون القول، وإلى المبرز من الشعراء. وهذا يعنى أنه ليست لديه مقاييس مقررة، ولا أصول معروفة للحكم على الجيد من الكلام، أو المبرز من الشعراء، ليس لديه غير طبعه وذوقه، وإلا فعلى أى أساس كانت قريش تقبل من الأشعار ما تقبل، وترد ما ترد؟ وما الخصائص الفنية في قصيدتي علقمة حتى تكونا نفيستين؟ وما الذى كان رائعاً في قصيدة الخنساء حتى فضلت على حسان؟ وماذا حوت قصيدة حسان في أبناء (جفنة) حتى بترت جميع المدائح؟ تلك أحكام لا تقوم على تفسير أو تعليل، ولا تستند على قواعد مقررة، وليس لها من دعامة إلا الذوق العربى المحض<sup>(١)</sup>.

\*\*\* \*\*

وبعد: فمهما يكن من شىء فإن هذه اللمحات النقدية الأولية، التى مارسها النقد فى العصر الجاهلى، قد لعبت دوراً لا بأس به فى تقويم الشعر العربى القديم وهدايته ومعاونته على الوصول إلى الكمال، أو على الأقل إلى أولى درجات الكمال، وأنها أشارت - أيضاً - إلى أن كلا من الشاعر العربى والناقد العربى الجاهليين، كان يعرف الأسرار الدقيقة لهذا الفن الأدبى، فأهل يشرب (المدينة) يعرفون الإقواء، والنابغة الذبياني يلاحظ - فى دقة - الفرق بين جموع القلة وجموع الكثرة، وإن كانوا جميعاً يعرفون ذلك ذوقاً وفطرة لا علماً وفناً. ولا شك فى أن هذا التحليل الدقيق، إنما هولون من ألوان النقد الأدبى الصحيح، الذى يقرب النص الأدبى، إلى الملتقى ويقدمه إليه، وإلى صاحبه نفسه - كذلك - بعد شرحه وتفسيره.

وليس كل ما تقدم هو كل ما قام به النقد الجاهلى، من دور فى تقويم الشعر العربى والوصول به إلى درجة عالية من الكمال الفنى - بل إن هذا النقد، قد أسهم بلون آخر من ألوانه التى عملت على النهضة بالشعر العربى، هذا اللون هو المفاضلة، أو الموازنة بين الشعراء.

---

(١) المرجع نفسه: ١٨ (مع بعض التصرف)

وكان من ثمرة هذا اللون الذى ولد فى العصر الجاهلى أن سرى تيار المفاضلة بين الشعراء والموازنة بينهم، وهيمن على نتاج أدباء القرن الرابع، وزخرت المكتبة العربية - بفضله - بروائع الموازنات بين الشعراء، من أمثال: «الموازنة بين أبى تمام والبحترى» للآمدى<sup>(١)</sup>، و«الوساطة بين المتنبى وخصومه» للجرجاني<sup>(٢)</sup> بالإضافة إلى كتب «نقد الشعر» لقدماء، و«العمدة» لابن رشيق وغيرها من الكتب التى حوت كثيرا من هذه الموازنات.



---

(١) هو أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى، كان كاتباً لأبى جعفر هارون بن محمد الضبي، وكان شاعراً أيضاً، وجه عنايته إلى دراسة أشعار المتقدمين ونقدها، ومن تصانيفه: «المؤتلف والمختلف» و«معجم الشعراء» و«الأمالى» توفى سنة ٣٧١هـ.

(٢) هو الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني، كان أديباً ممتازاً، له عدة تصانيف، منها كتابه المشهور: «الوساطة بين المتنبى وخصومه» توفى سنة ٣٦٦هـ.

# قُلْ.. وَلَا تَقُلْ

للسَّيِّدِ ضِيَاءِ الرَّيِّسِ الصَّابِقِي

المدرسة التربوية للغة العربية بالجامعة الإسلامية

ولا، تَقُلْ : سَفَلَةٌ

قُلْ : السَّفَلَةُ

السَّفَلَةُ : بكسر الفاء : السُّقَاطُ من الناس ، يقال : هو من السَّفَلَةِ . ولا تَقُلْ : هو سَفَلَةٌ لأنها جمع . وفي الأساس : ( هو من السَّفَلَةِ ) استعير من سَفَلَةِ الدابة : اهـ والعامَّة تقول : رجل سَفَلَةٌ من قوم سَفِلٍ .  
وبعض العرب يخفف فيقول : فلان من سفلة الناس ، فينقل كسرة الفاء إلى السين جاء في لسان العرب في مادة سفل ما يلي :  
«سَفَلَةُ الناس وسَفَلْتَهُمْ : أسافلهم وغوغاؤهم .  
قال ابن السكيت : هم السَفَلَةُ الأرزال من الناس .  
وقال الجوهري : السَفَلَةُ : السُّقَاطُ من الناس ، يعنى هو من السَفَلَةِ وسأل رجل الترمذي فقال له : قالت لى امرأتى يا سَفَلَةَ ! فقلت لها : إن كنت سَفَلَةٌ فأنت طالق ، فقال له ما صنعتك ؟ قال : سَمَّاكَ ، أعزك الله ! قال : سَفَلَةٌ ، والله . قال : فظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سَفَلَةٌ . ( جزء ٢ ص ١٥٩ )

ولا تَقُلْ : شَغَافٌ

٢ - قُلْ : شَغَافٌ

الشَّغَافُ : بالفتح : غلاف القلب ، وهو جلدة دونه كالحجاب ، وسويداؤه يقال : شغفه الحبُّ : أي بلغ شَغَافَهُ .  
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما : ( قد شَغَفَهَا حَبًّا ) وقال : دخل حَبُّهُ تحت الشَّغَافِ ، وقيل : غشى الحب قلبها ، وقيل : أصاب شغافها . وأنشد أبو عبيدة :

يعلمُ الله أن حَبَّكَ مني      في سَوَادِ الفؤَادِ وَسَطِ الشَّعَافِ  
وقال ابن السكيت : الشَّعَافُ هو الخِلبُ ، وهي جليدة لاصقة بالقلب ، ومنه قيل :  
خَلَبَهُ إذا بلغ شَغَافَ قلبه .  
وقال الشاعر :

حَبُّهَا مالِكُ شَغَافِ فؤَادِي      كيف أسلو والحب هاج اضطرأماً

### ٣ - قل : نكات      ولا تقل : نكات

نِكاتٌ : بالكسر ، جمع نَكْتة ، بضم النون بوزن نُقْطة ، وجمعها نَكْت ونِكات ،  
وقولهم : نِكاتٌ : بضم النون لحن . وجاء في مختار الصحاح ما يلي : وقولهم ( نِكات )  
عامية ، وفي الصحاح النكته كالنقطة « جزء ١ ص ٢٦٩ » وفي المعجم الوسيط « جزء ١ ص  
٩٥٩ » .

### ٤ - قل : موضوعات      ولا تقل : مواضيع

يخطيء بعض الكتاب في استعمال جموع لا صحة لها ، منها كلمات ( مشروع ،  
موضوع ، مكتوب ) فيجمعها على ( مشاريع ، مواضيع ، مكاتيب ) على وزن مفاعيل ، جمع  
تكسير . والصحيح أن تجمع على مفعولات ( أي جمع مؤنث سالما ) فتقول : ( مشروعات ،  
موضوعات ، مكتوبات ) .  
قال العلامة الصَّبَّان في حاشيته على شرح الأشموني لألفية ابن مالك في أعقاب باب  
جمع التكسير ، عند قوله :

وبفعال وشبهه انطقا      في جمع ما فوق الثلاثة ارتقى

فائدة ( لا يجمع جمع تكسير نحو مضروب ( أي ما كان على وزن مفعول ) وشذَّ  
( ملاعين ) جمع ملعون .

ذكره ابن هشام في شرح ( بانث سعاد ) :

وإليك ما كتبه ابن هشام في شرحه لبيت :

أمتست سعاد بأرض ما يبلغها      إلا العتاق النجيبات المراسيل

وإنما تمنع الصفة المبدوءة بالميم من التكسير في مسألتين : إحداهما : أن تكون على  
وزن مفعول كمضروب ، وشذَّ نحو ( ملاعين ومشائيم ) .

والثانى : أن تكون الميم مضمومة (مُختار، مُنقاد) فتجمع جمع مذكر سالماً (مختارون، مُنقادون) ، وقد أشار العلامة الصبّان إلى جموع الكلمات : (مكتوب، مشروع، موضوع، مفهوم، وأمثالها) بأنها تجمع جمع تصحيح لا جمع تكسير . ومثال ذلك يقال في جمع مثل (مضروب ومكتوب) فتجمع على (مضروبون، مكتوبون) .

قال تعالى في سورة الشعراء (لئن اتخذن آلهة غيري لأجعلنك من المسجونين) (جمع مسجون) . وقال أيضاً في نفس السورة : (قالوا : لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين) آية ١١٦ (جمع مرجوم) . فنحن نجتمعها جمع مؤنث سالماً فنقول : (مكتوبات، مشروعات، موضوعات، مفهومات) . جمع تصحيح لمؤنث ... والله أعلم .



## احذروا الانبهار الغربي

سألت الدكتور جيري مور عن رأيه بالطلبة العرب هناك ودراستهم في أمريكا فقال :

● هناك الكثير من الطلبة العرب وأنا شخصياً أتعامل معهم وهم نوعيات فهناك الطلبة المجدون وهناك عكسهم ممن لا يحترم العلم ولا يهتم بالجهود والأموال التي تصرفها دولته عليه - وللأسف فهناك من ينبهر بالمجتمع الأمريكي انبهاراً كبيراً فيتأثر به رغبة بالتطور والتقدم فيفقد نجاحه ويفشل فشلاً ذريعاً وهنا أرجو من الأخوة الطلبة المبتعثين ملاحظة ذلك والانتباه من الانحراف نحو المجتمع الأمريكي - الذى أنا منه - والذى وللأسف أصبح مجتمعاً سيئاً - لأن الانحلال الأخلاقي وصل إلى درجة مزعجة .

وهناك مشكلة المجتمع الأمريكي نفسه والذى يجهل المجتمعات الخارجية ولا يحسن التعامل معها فتحدث بعض المشاكل .

استاذ جامعى

# وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

للشيخ يوسف الرزازي

مدرس بالمعهد الثانوي

يطيب به العيش ما رُددا  
وتهدى النفوس ترى المقصدا  
وتلقى العوالم فيه الهدى  
ونبض القلوب فكيف اهتدى  
فلم يفتروا ركعا سجدا  
أفاض البيان وعى واقتدى  
يردهه صادحا منشدا  
فما أعجب الصوت والموعدا  
على الفضل والنوركم أشهدا  
وحب الحصيد وقطر الندى  
ولولا الحجاب سمعنا الصدى  
لكل قبيل ترى منتدى  
كما أعجز العين أن تشهدا  
يسبحه ما أتى أو غدا

نشيد على الدهر لن ينفدا  
يفيض به الخير تحيا القلوب  
حذاء تسير به الكائنات  
خطا الكون تمضى بإيقاعه  
لدى الملاء الغر ذاع النشيد  
وجاوبهم ناطق مفصح  
وأعجم سار به لا يمل  
يزف به الديك بشرى الصباح  
أذان يجلجل في العالمين  
تغنى به الطير في أيكه  
وتشدو الجبال على صمتها  
وشاركت الكون ذراته  
ويعجز آذاننا سمعها  
فلا شيء إلا شدا باسمه

.....

وكيف نلقى ولا نحمدا  
ولله سوف نعود غدا  
من العمر فيه المنى والهدى  
ولست بمحص بها ما بدا  
ورمت العلاج لعز الفدا  
وهل يبلغ الصنع بعض المدى  
من الشكر فضلا له مفردا  
ولكن يمن علينا الهدى

نشيد المحامد للذاكرين  
من الله جئنا ولم نك شيئا  
وما بين ذلك شوط طويل  
ترى أنعم الله لا تنقضى  
ولو حجب الله عنك اليسير  
فلا يتعظمك ما قد صنعت  
فلن توفي الله مهما بذلت  
ولسنا نمن عليه الصلاح

فأعرف قصدى لكى أرشدا  
إلى أمد ينقضى حُدا  
لكى أستقل وكى أفردا  
ومهما نُحَفَّت فلن تُفقدَا  
وهذى العجائب لن تنفدا  
ر ما يستحيل وما جُدا  
ولا معمل أو خبير بدا  
أمورك تقضى ولن تشهدا  
أخذنا المنى أفننسى الهدى  
وقد رفعت هل ترى أعمدا  
من الذر أعجب مما عدا  
وفيها الشموس نأت مرصدا  
بأفلاكها أين تلقى المدى  
ينادى به خالقا أوحدا  
ويرضى له غيره مقصدا!  
وأطمعه الفضل فاستبعدا  
ويدعو الدعوى فخابت يدا  
غ مهما استطال ومهما عدا  
وقيل الحساب حَمَدنا الهدى  
خداع التمنى جزاه الردى

أليس من الحزم ضبط الأمور  
ولا أتلهى بأنى تركت  
أجهل أن ليس لى أى أمر  
وخلف البوادي توارت غيوب  
فهذى الحياة وهذا الممات  
وكيف بجسمك تجرى المقادير  
تحاليل قد حيرت دقة  
وما كنت حتى لتدرى بها  
هل الروح نعرف ما سرها  
وهذى النجوم بأفق السماء  
ومثل النجوم ترى عالما  
تناهى بها صغر فانطوت  
تدور كواكبها دَائِبَاتِ  
ففى كل شىء ترى أمره  
فهل ينزل العبد فى ملكه  
ولكنه اللؤم عز اللئيم  
بها لا تنال يداه  
ألا خسىء اللؤم ماذا سيبد  
إذا ما أتت ساعة الإقتضاء  
ولا تنقضى حسرات اللئيم

\*\*\*\*\*

# تَحِيَّةٌ وَبَدَاءٌ

د. محمود عبد المحسن  
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

مثل النسيم رقيقة ونديه  
والله نعم الأسوة المرضية  
كالشمس في كبد السماء عليه  
بين الخلائق أمة وسطية  
مثل النجوم الطالعات جليه  
قولاً وفعلاً بكرة وعشيه

لأئمة الإسلام خير تحية  
حدث عن السلف الكريم فإنهم  
كانوا هداة مهتدين أعزة  
كانوا دعاة فاتحين أئمة  
طلعوا على الدنيا بهدى نبيهم  
ورثوا النبي عقيدة وشريعة

أنتم مصابيح الأنام بهية  
الناسكون عبادة شرعية  
بدلائل الحق الصريح زهيه  
المرتضون شائلا خلقيه  
الطالبون رضى الإله عطيه  
وسيوفهم فى الحق جد فتيه  
نهجا لمحو مساوىء البدعيه  
حفظا ومن شر الغلاة نقيه  
لعبادتى وعقيدتى القلبيه  
صدقا وعدلا مخلصا للنيه  
بالمهج السلفى جد حريه  
أكرم بها من سيد البشره

يا أيها السلف الرضى هداية  
الأعلمون الأسلمون عقيدة  
المرشدون الراشدون حقيقة  
الخالصون المخلصون لدينهم  
الصادعون بكل حق حسبة  
يجلّون ليل العضلات بحقهم  
تخذوا الكتاب ونور هدى نبيهم  
حفظوا العقيدة من أباطيل العدى  
فأجبتهم ورضيت نهج سلوكهم  
أنا لا أحميد دقيقة عن نهجهم  
إن السعادة والسلامة والهدى  
شهد الرسول بفضلهم ونجاتهم



خير القرون دليل كل مزيه  
للنص لا رأى ولا عصبيه  
واستسلمت لمدارس عقليه  
وتفننوا فى جلب كل ذنيه  
أمم وربى كالغشاء شقيه

.....

وتجهموا للسنة النبويه  
وعبادة الأهواء شر غويه  
للطامعين الكافرين شهيه

.....

بشراذم الحمقى بكل أذيه  
حلت بكل المعتدين عتبه  
للحق ييغون الحياة أبيه

.....

لهدى الكتاب وسنة مرضيه  
من يعتصم يحيى الحياة هنيه  
من يعتصم ينصر على الهمجيه  
قد أخرجت للناس جد زكيه  
بين العباد عدالة وسويه  
سبل العلى وقيادة البشريه

.....

يا أيها السلف الرضى عقيدة  
سعد الذى بكم اقتدى مستسلما  
شقيت شعوب الأرض حين تخاذلت  
واستوردوا السم الخبيث ضلالة  
فتخرجت أمم تدين بجهلهم

قد عطلو القرآن سر ظهورهم  
نبذوا الهدى المهدي واتبعوا الهوى  
وتفرقوا شيعاً فصاروا أكلة

ديست كرامتهم وريع حماهمو  
أدب من الله العلى ونقمة  
فعساهمو يوماً تفىء قلوبهم

يا أمة الإسلام هل من أوبة  
فهما الصراط المستقيم حقيقة  
وهما الحضارة والسيادة عزة  
صنعا من الصحراء أكرم أمة  
سارت كسير الشمس فى عليائها  
عودوا إلى الدين الحنيف تعد لكم



## أنشودة الأرواح حول الكعبة المشرفة

شعر / محمد المجذوب

فيه من الأبحر الأمواج والزبد  
إذا مضى مدد منه أتى مدد  
فكل شيء به نشوان يرتعد  
يحيلها الشوق أنوارا فتتقد  
هنا القلوب . . فيا لله ما تجد !  
يكفّ جريته الحرّى ولا جلد  
سيقت إلى العرض لا عون ولا سند  
ولا ألم بها مال ولا ولد

بحرٌ من الخلق لا يُحصى له عددُ  
يطوف بالبيت سيلاً لا نفاذ له  
تسري ضراعتة في الأفق لاهبةً  
تكاد في غمرها الأجساد من لهفٍ  
(يارب . .) انشوة الأرواح تعزفها  
والدمع من لذعها هام ، فلا خجل  
تذكرت شأنها يوم الحساب ، وقد  
تود لو أنها في الأرض ما وجدت

سوى النجاة وقد أودى بها الكمد  
تكاد تبصر غير الهول يجتشد  
فتستقر بُعَيْدَ اللوعة الكبد  
من أسرها فغدت روحاً ولا جسد  
- سوى المليك الذي قد صاغها - أحد  
تعيابلمح سناها الأعين الرمّد  
وافته تبغى رضاه - الواحد الصمد

فاستصرخت : رب نفسي ، غير سائلةٍ  
يذكي لواعجها طيفُ الذنوب فما  
وتنجلي نفحات العفوعن كذب  
والنفس في غمرة النجوى قد انطلقت  
شفت فما يترأى في بصيرتها  
فيها لها جلواتٍ من فيوض هدىً  
بها تجلّى على تلك الوفود - وقد





# المسافر الغريب

الشيخ عبد الله بن أحمد قاورى

«الحلقة الخامسة»

إلى سورابايا :

ودعنا الأخوة بعد زيارة معهد المسلمين متجهين إلى مدينة سورابايا التى تبعد عن معهد كونتور مائتى كيلومتر وكانت طريقنا - كالعادة - فى وسط الغابات والمزارع والقرى منتشرة بين المدن وكأننا نسير فى مدينة واحدة لكثرتها وكان الشارع مزدحماً بالسيارات على اختلاف أشكالها كأننا فى شارع داخل مدينة والفلاحون يعملون : هذا يحرث وهذا يحصد وهذا يغرس وهذا يزرع وهذا يحمل .

والفواكه على جانبى الطريق لا تلتفت يمناً ويسرة إلا وترى أشجاراً موقرة بأنواع منها المعروف ومنها غيره والأشجار الجارية منها الكبير ومنها الصغير . وكنا مع كثرة التعب تارة نتمتع بتلك المناظر الطيبة وتارة نتمتع بالنوم . وقد استغرقت هذه الرحلة ساعتين وخمسة عشرة دقيقة وكان وصولنا فى الساعة الثانية عشرة إلا ربعاً . ونزلنا فى فندق ( . . . . ) وكان بقية يومنا هذا يوم راحة لحاجتنا إليها .

لا بأس بتبادل المنافع :

١٢ / ٩ / ١٤٠٠ هـ .

فى الساعة التاسعة صباحاً تحولنا فى أسواق سورابايا، ثم انقسمنا إلى قسمين : قسم فشل فى الرجوع إلى الفندق هو أنا والشيخ عبد القوى . وقسم فضل زيارة حديقة الحيوان ، وهو الأخ عبد الله بن سعيد باهرمز والابن عبد البر ، وجاءنا عبد الله بالنكتة التالية قال : كان عبد البر يتفرج على القروود وكانت القروود تتفرج على عبد البر قلت كيف كانت الثانية؟

قال كانت ملابس الناس كلهم عادية عند القروود أما لباس عبد البر : الثوب الطويل والطاقي والغتر فكانت غريبة ولذلك كانت القروود لا تلتفت إلى الناس بل صوبت أبصارها إلى عبد البر . قلت : لا بأس بتبادل المنافع .

## خواطر ومقترحات :

- ١ - ينبغي أن تقوم بعض المؤسسات الإسلامية كالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بتأليف كتب في تعليم اللغة العربية لغير العرب وتسجيلها في أشرطة «كاسيت» أو أسطوانات أو أشرطة فيديو . واهدائها للمؤسسات الإسلامية المهتمة بتعليم اللغة العربية .
- ٢ - القيام ببرنامج مستمر لتعليم اللغة العربية في اذاعة تخصصها المملكة العربية السعودية يستفيد منها العالم الإسلامي في كل مكان ، وكذلك في التلفزيون وتهدى افلامه إلى تلك المؤسسات الإسلامية .
- ٣ - اهداء كتب إسلامية باللغة العربية وغيرها للجامعات الإسلامية والمعاهد والمدارس الإسلامية .
- ٤ - تسجيل أناشيد إسلامية تتضمن شرح مبادئ الإسلام أو تثير الحماس في نفوس أبناء المسلمين ، وشراء الكتب والدواوين التي تشتمل على أمثال تلك الأناشيد أو طبعها وتوزيعها كذلك على المؤسسات الإسلامية لتكون مادة حفظ النصوص الشعرية لأن الشباب يرغب في ذلك وفيه صرف له عن سماع ما لا يليق كالموسيقى والأغاني التي وجدنا الشعب الأندونيسي مغرما بها وعن طريقها يستميل أعداء الإسلام الشباب لإغوائه .
- ٥ - توزيع المصاحف المسجلة للمؤسسات الإسلامية والمساجد .
- ٦ - بناء قاعات محاضرات عامة ملحقا بها مرافق نشاطات مختلفة ومساجد ومدارس ووقفها على المسلمين للاستفادة منها . وقطع الطريق على النصارى الذين يغرون الشباب بأمثالها من مرافق النشاط عندهم .
- ٧ - فتح مراكز لتعليم اللغة العربية في المدن الكبرى على غرار المركز العربى السعودى لتعليم اللغة العربية في جاكرتا التابع لجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية .
- ٨ - تخصيص مدرسين لبعض الجامعات الإسلامية حكومية كانت أو أهلية باسم مدرس اللغة العربية ممن يكونون مؤهلين في اللغة العربية والمواد الإسلامية للنهوض بتلك الجامعات والمعاهد في هذا المجال .
- ٩ - إقامة دورات تدريبية لمدرسى اللغة العربية والدراسات الإسلامية في بلدانهم .
- ١٠ - إستضافة بعض المدرسين من الجامعات الإسلامية والمعاهد ولا سيما مدرسى اللغة العربية والمواد الإسلامية للاحتكاك بمدرسى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

ومثيلاتها والوقوف على مواد الكليات والمعاهد هنا وحضور الدروس في الفصول واقامة ندوات خاصة بهم للاستفادة منها .

١١ - بعث اعداد كبيرة من المصحف الكريم لتوزيعه على القراء أو طبع تلك الاعداد في البلد الذي يراد توزيعه على أهله لأنه أقل تكلفة وأضمن توزيعاً .

١٢ - البحث عن الكتب المترجمة إلى اللغات المحلية من الكتب الإسلامية النافعة وطبعها في داخل البلد وتوزيعه .

١٣ - الاستعانة ببعض طلبة الجامعات في ترجمة بعض الكتب العربية إلى لغاتهم لطبعها وتوزيعها .

١٤ - منح بعض المؤسسات الإسلامية حافلات لنقل طلابها إلى المدارس والمعاهد والجامعات وفي الرحلات . . .

١٥ - بناء مساكن وفصول دراسية للمعاهد الإسلامية لايواء الطلاب ودراستهم .

١٦ - توزيع فتاوى ابن تيمية على الجامعات والمكتبات .

### في مسجد الفلاح :

في الساعة الخامسة جاءنا الاستاذ مصرى واصطحبنا إلى مسجد الفلاح واستقبلنا مدير المسجد الشيخ عبد الكريم فتناولنا الافطار وصلينا المغرب ثم ذهبنا إلى منزل الحاج عبد الكريم لتناول طعام العشاء ، وقد أخبرنا بعض العلماء هناك ان منزل الحاج عبد الكريم يعتبر مأوى للعلماء والزوار لسورابايا من داخل أندونيسيا وخارجها وكان الرجل من كبار تجار أندونيسيا وعضوا في مجلس الشعب وهو الآن مرتاح لأنه كبير وقد أصيب بكسور في حادث في المملكة العربية السعودية في إحدى حجاته .

وأخبرنا أن ابن أخيه طيب وهو الآن في سجن جاكرتا - ويرقد في المستشفى - وكان سبب سجنه غيرته على دينه وعدم صبره على انتهاك حرمت هذا الدين .

وبعد أن تناولنا طعام العشاء ذهبنا إلى المسجد فصلى بنا امام المسجد العشاء وصلى بنا الشيخ عبد القوي التراويح . ثم طلب مني أن ألقى محاضرة فكان عنوانها : كيف ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه (وكان المقصود بها الشباب) .

١ - رباهم على العبودية الكاملة لله ومحبة الله ورسوله وطاعتها المطلقة .

٢ - التضحية بالنفس والمال في سبيل الله ، وضربت لذلك أمثلة :

أ - مصعب بن عمير مدرسا وحاملا لراية الجهاد وشهيدا .

ب - أسامة قائد الجيش فيه أبو بكر وعمر .

ج - أبنا عفراء اللذان قتلا أبا جهل .

د - الفدائيون الذين قتلوا رؤس الكفر ابن أبي الحقيق ، وعبد الله بن عتيك وكعب

بن الأشرف .

هـ - محمد بن القاسم فاتح السند .

ثم ذكرت الشباب (وأغلب المصلين وهم يملؤون المسجد شبابا) بواجبهم في تحمل المسؤولية والاقترداء بهؤلاء الفتية في رفع كلمة الله ، وانه لا يجوز أن يقتدى بالشباب الفاسد الذى رباه الغرب على عداوة الله ورسوله وأصحابه ودين الإسلام الذين يستحون أن يذكر الإسلام عندهم وأن المسلم عكس ذلك يفتخر أن يكون مسلما كما قال تعالى : ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين﴾ .

وكان من بين الحاضرين معنا فى منزل الحاج عبد الكريم وفى المسجد الحاج باى عارفين وهو من العلماء المشهورين فى أندونيسيا ذوحماس وغيره على الإسلام وذو تأثير فى نفوس الشباب كما حكى لنا غير واحد وله ما يزيد على ثلاثين مؤلفا إسلاميا فى موضوعات مختلفة تهتم بتوعية الشباب وثقيفهم ، وقد أهدى لنا بعض تلك المؤلفات ومنها ترجمة كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وطلب منا الحاج عبد الكريم أن نتناول طعام السحور فى منزله أيضا وأن ألقى محاضرة بعد صلاة الفجر فى نفس المسجد فلبينا طلبه .

### مفهوم العبادة فى الإسلام .

١٣ / ٩ / ١٤٠٠ هـ

تناولنا طعام السحور فى منزل الشيخ عبد الكريم وُصلينا الفجر فى مسجد الفلاح صلى بنا الشيخ عبد القوى ثم طلب أن يقرأ على المنبر بعد صلاة الفجر ، ثم ألقى محاضرة تتضمن مفهوم العبادة الشامل الذى جاء به القرآن والسنة وفهمه الصحابة والسلف الصالح بعدهم وأنه يترتب على هذا المفهوم الاستكثار من الطاعة وعظيم ثواب الله وأن هذا المفهوم الشامل قد ضاق عند كثير من الناس فترتب عليه أن حرموا أنفسهم من الاستكثار من طاعة الله ومن عظيم الثواب .



وماذا أفعل إذا كان البحر نزل؟ .

كنت في كل مدينة يقع البحر بجوارها - أو هي تقع على شاطئه - أحاول ألا أغادر تلك المدينة الا بعد الخروج إلى البحر لأرسم لها وله صورة في ذهني فاتفقنا على أن نذهب إلى شاطئ البحر في الساعة الثالثة والنصف وكان هذا الوقت وقت خروج الفترة الثانية من طلبة المدارس لأن كثرة الأندونيسيين تضطربهم لذلك : فوج يدرس في الصباح وآخر في المساء فكانت الشوارع مزدحمة أزدحاما جعل سيارتنا كأنها غاصت في رمال خبت البقر (وهي صحراء ذات رمال مثل الجبال في جنوب المملكة العربية السعودية الغربية مشهورة من قديم الزمان بالخطر على المسافرين مشاة وركابا لقلة مياهها وسكانها وطول مسافتها نسيبا حتى قال أحد المسافرين بعد أن نجا من الموت لشدة العطش والجوع : إذا أعدتلك - أى إذا عدت إليك - يا خبت البقر سمنى الثور) . كانت السيارات كثيرة والدراجات العادية والنارية والعربات التى تجرها الخيول وعندما وصلنا إلى البوابة التى يدخل الناس منها إلى الشاطئ استقبلتنا فتاة قبض الضرائب فأخذت مالها، فلم نجد إلا سبخة جافة لا يرى ماء البحر على مدى البصر، فقلت لعبد الله باهرمز : أهكذا تتعبنا في هذا الزحام وتدفع ضريبة ثم نأتى فلا نجد البحر؟ قال : وماذا أفعل إذا كان البحر نزل - فرجعنا نتذكر المثل : أحشفا وسوء كيله . وكان عبد القوى يضحك مرتاحا، لأنى أنا السبب في هذا السفر الطويل إلى بحر لم نجده .

زيارة مسجد المجاهدين :

أسس هذا المسجد سنة (١٩٥٣ م) وتتبعه مدارس تبدأ بالروضة «روضة الأطفال» ثم الثانوية العامة والثانوية الدينية والعالية الدينية .

وبعد صلاة العشاء القيت محاضرة (بعنوان : المجلس الصالح وجليس السوء) ثم صلى بنا الشيخ عبد القوى صلاة التراويح واجتمعنا مع المسئولين في هذا المسجد وذكر لنا أن ثلاث مقاطعات في أندونيسيا يستبسل أهلها في نصره الإسلام والدفاع عنه أكثر من المقاطعات الأخرى وهى :

١ - اتشه في سومطرة الشمالية .

٢ - بوقس في سولا ديس (ومنها الحاج عبد الكريم) .

٣ - مادورات في جاوة الشرقية .

ثم زرنا الحاج عبد الكريم وودعناه لانا عزمنا على السفر غدا صباحا .

## وارتاح المؤتمر :

نشر في إحدى الجرائد المسيحية أن الرئيس سوهارتو افتتح المؤتمر المسيحي البروتستانتي الدولي الذي بلغ عدد وفوده ستة آلاف وفد وأنه صرح في كلمته بأن لكل صاحب دين الحق أن يدعو إلى دينه بكامل الحرية أهل الأديان الأخرى وأن المؤتمر ارتاحوا لهذا التصريح وصفقوا كثيرا له وأنه بذلك ألغى قرارا لوزير الشؤون الدينية أصدره قبل سنة يمنع فيه أن يدعو صاحب دين آخر إلى دينه أو تغيير صاحب دينه إلى دين آخر وكان المسيحيون آنذاك قد صرحوا بأنهم لا يستطيعون الالتزام بقرار وزير الشؤون الدينية لأنهم مكلفون بهداية القطعان الضالة .

## خاطرتان :

- ١ - العرب يتحملون مسؤولية عظيمة أمام الله تعالى في التمسك بالإسلام والقُدوة الحسنة للآخرين ، لأن أبناء الشعوب الإسلامية من غير العرب يحسنون الظن بهم كثيرا ، ولذلك رأيناهم يرغبون رغبة شديدة في قراءة أى كتاب يصدر ويجدونه باللغة العربية وكذلك الجرائد والمجلات التى ينتشر فى كثير منها السم الفكرى والمبادئ الهدامة وهى صادرة من بلدان غربية منحرفة نظمها عن عقيدة الإسلام ومبادئه .
- ٢ - زيارة علماء المملكة العربية السعودية للمسلمين فى البلدان الإسلامية أو غيرها ترفع معنوياتهم ، ولذلك ينبغى تكرار هذه الزيارات ، وينبغى أن يصحبها مساعدات مادية ، لأن أهل الأديان الأخرى يقدمون إعانات ملموسة .

## إلى بالى :

أقلعت بنا الطائرة من مطار سورابايا إلى جزيرة بالى (مطار مدينة دباسار) فى الساعة العاشرة صباحا - بدلا من التاسعة - وكان الجو صحوا يتخلله قزع من السحاب والأرض كلها خضراء مليئة بالقرى التى تتناثر مساكن أهلها بين المزارع والغابات . وبدت جبال مرتفعة تغطيها الغابات كنا نقعد فى مقدمة الطائرة . وكان الباب المؤدى إلى غرفة القيادة مفتوحا ، فجعلت أنظر إلى القائد وهو يمد يده يمنة ويسرة حتى استوت الطائرة فاذا هو ينفك رباطه ، وأخذ يكتب وكأنه على مكتبة فى الأرض وكنت أود أن استمر فى النظر إلى الغرفة بما فيها من أدوات وما يصنع القائد فى بعض الأحيان ، ولكن المضيفة قفلت الباب بعد أن قدمت له طعام الإفطار ، فلما أقفل الباب رجعت أطل من النافذة كعادتى لأرى عجائب صنع الله ، فكنت أرى الجبال والبحار والجزر والغابات والقرى وكانت مدة الطيران من

سورابايا إلى مطار (دمباسار) في جنوب جزيرة بالي ثلاثين دقيقة . وصلنا المطار في الساعة العاشرة والنصف .

واستقبلنا في المطار أبو عبد الله : سعيد بن عبد الرحمن باهرمز، وهو حضرمي الأصل من مواليد أندونيسيا ذكر لنا أن أباه هاجر إلى هذه البلاد ثم ذهب إلى بلاده «حضرموت» وتوفي هناك . والشيخ سعيد يتكلم اللغة العربية بطلاقة قال : كان أبي عالما وداعية وقال أنى قليل العلم ولى أمل في أن يخلف عبد الله جده واشكركم على العناية به وبتعليمه وتربيته واني سابعث اليكم أخاه ليتلقى العلم والتربية في المدينة المنورة كأخيه .

ولما كنا في طريقنا للفندق كان هو وأبنة عبد الله يشيران لنا إلى معابد الهندوك حيث يوجد في كل بيت معبود من دون الله وسألناه عن حالة هؤلاء الوثنيين فقال : انهم متعصبون لدينهم ولكنهم يظهرون تسامحا مع المسلمين ويأخذون ببعض العادات الإسلامية وانهم نشطون جدا في العمل ، فهم يزرعون السهول والجبال وأن مثقفهم بدأوا يشكون في صحة دينهم ولو وجد الدعاة المسلمون الأكفاء لدخل كثير منهم في دين الإسلام وقال : ان المحافظ أصبح الان منهم (أى من الهندوك) بعد أن كان من قبل من المسلمين ويبلغ عدد المسلمين في هذه الجزيرة ستة في المائة (٦٪) فقط والنصارى (١٪) واحد في المائة والأكثرية هم الهندوك . ورأينا في شوارع المدينة السائحين الأجانب (وهم من أوروبا وأمريكا وأستراليا واليابان والصين وغيرها) . بكثرة رجالا ونساء ويمشون شبه عرايا لا يلبسون الا السراويل القصيرة . وكانت الفنادق كذلك مزحومة ، فقد أختير لنا النزول بأحد الفنادق فلم نجد فيه مكانا وأتصل الأخ عبد الله بعدد من الفنادق فلم نجد الا في فندق القصر فنزلنا فيه .

وكنا نرى الصور المجسمة تنتشر في كل مكان : على الشوارع العامة والشوارع الفرعية ، وأمام المنازل والفنادق وفي داخل القاعات بأشكال مختلفة ، وبعض الأوثان المعبودة يلبسونها بالأقمشة بازار وخمار .

واتصل الأخ عبد الله باهرمز ببعض المسلمين وأخبرهم أنا موجودون وأننا نحب زيارتهم فاتصل أحد الأشخاص هاتفيا فأجابه الشيخ عبد القوي فقال له : ان خطاب عبد الله قادري سيكون الليلة في مسجد النور .

وبعد أن أفطرنا زكى عبد الله باهرمز أحد المطاعم فقال : انه مطعم إسلامي وزكاه كذلك بان طعامه لا يكثر فيه الفلفل .

فذهبنا إلى هذا المطعم فوجدنا التزكية الأولى صحيحة بدليل أن المطعم لا يرتاده إلا عدد قليل جداً ، أما التزكية الثانية فقد استعجل عبد الله هداه الله ، وبعد تناول طعام

العشاء في هذا المطعم رجعنا إلى الفندق فجاءنا بعض الشباب من المسلمين بسيارتهم لنقلنا إلى مسجد النور وكان قائد السيارة وصاحبها هو الشاب موسى حسين سر ويعمل في تجارة النظارات وكنا متفقين مع الأخوة أن فضيلة الشيخ عبد القوي يصلى التراويح (وكان هدفنا من صلاة الشيخ بالناس هو تعليمهم كيفية الصلاة والقراءة، لأن كثيرا من الناس يسرعون في صلاتهم ويقرأون سورا قصيرة) وكان أئمة المساجد التي نزورها يقدمونه بأنفسهم عندما يعلمون أنه حافظ لكتاب الله ومجوده ويفرحون بذلك ولكن امام هذا المسجد رفض التنازل للشيخ عبد القوي - وله الحق في ذلك لانه امام المسجد ونحن ما كنا نطلب من الناس التنازل ولكنهم كانوا هم يرغبون وقد يئبه بعض الناس الامام فيلبى - ولكن عندما تقدم الامام يصلى بالناس التراويح بدا لى السبب في رفضه، فقد كان سريعا في صلاته يتكلف أن يقرأ قراءة جيدة وأخطاؤه كثيرة وكان يقرأ بعد الفاتحة سورة قصيرة في الركعة الأولى وكذلك في الثانية إلا أنها غير مرتبة فيقرأ مثلا سورة الماعون في الركعة الأولى وفي الثانية سورة النصر وفي الثالثة سورة الهمزة وفي الرابعة سورة الكوثر وهكذا . وبعد أن صلى بالناس أخذ الميكرفون وجعل يتحدث مرحبا بالضيوف مرة باللغة العربية وأخرى بالأندونيسية ويكرر نفس الكلام لمدة لا يقل عن نصف ساعة ثم طلب منى أن أتقدم لالقاء الخطاب كما قال وأراد أن يترجم ولكنى رفضت لان لغته العربية ركيكة جدا وأسلوبه ثقيل على النفس فقلت له : ان الأخ عبد الله باهرمز هو المترجم فوافق وكنت محرجا في إلقاء هذه الكلمة لانه قد أطل على الناس وهم ينتظرون بعد القاء كلمتى صلاة التراويح .

وكان الحديث متضمنا بيان دعوة الرسل وأنها لتثبت عقيدة التوحيد وعبادة الله وحده ونفى الشرك عنه وأن الذى منحه الله هذه العقيدة عليه مسئولية عظيمة في انقاذ غيره من ظلمات الكفر، إقتداءً بالرسل عليهم السلام الذين كان الصراع بينهم وبين أممهم سببه هذه الدعوة وأن محمدا ﷺ كان خاتمهم ولذلك فقد أصبحنا نحن المسئولين عن البشرية كلها لاجراجها من الظلمات الى النور وأن على المسلمين في هذه البلاد أن يقووا ايمانهم وایمان أبنائهم بالله وبرسوله وأن يحصنوه من الشرك بالله والمعاصى وأن يقوموا بواجب الدعوة إلى الله ويبينوا للوثنيين فساد الاديان الاخرى غير دين الإسلام .

وبعد صلاة التراويح قال الامام الان يتقدم عبد القوي ليقرأ آيتين - وسكت قليلا ثم قال - فأكثر فهمتا أن الرجل ما كان يريد أن يسمع الناس غير قراءته لأنه يخشى أن تقل مرتبته عندهم وكان هذا فهما خطأ منه هداه الله .

## مذهب الشيخ في التبرك بآثار الصالحين :

أخذ الناس يتزاحمون علينا لمصافحتنا ، وأراد أحدهم أن يتبرك ببعض آثار الشيخ عبد القوى (وهى الحقيبة التى فى يده وكان بها الجوزات والتذاكر وجميع سشيكاتنا ونقود نفقاتنا) فأخذ هذا الرجل يجر الحقيبة وأخذ الشيخ جزاه الله خيرا يتمسك بهذه الحقيبة فلم ينجح ذلك المخرف فى تخريفه ولو نجح فى تبركه لعطل حركتنا كلها فالحمد لله رب العالمين .

## من أساليب الدعوة :

ثم خرجنا مع الأخوة فتجول فى السوق بالسيارة وما كان عندهم شىء يشير ون اليه الا معابد الهندوك فسألناهم هل عندكم خطة لدعوة هؤلاء إلى الإسلام؟ فقالوا : نعمل جهدنا ومن خططنا أن نزوج بعض شباننا من بناتهم بصدد دخولهن فى الإسلام . فاذا أسلمت الفتاة وتزوجها الشاب المسلم أثر ذلك على أقاربها فيسلم بعضهم . وكذلك نذهب إلى القرى فنُدعوهم إلى الإسلام فيدخل بعضهم فى الإسلام ولكن ذلك قليل والجهود غير كافية .

وسألناهم كيف يكون حال من دخل فى الإسلام؟ قالوا : أن كثيرا منهم يكونون أكثر تعصبا للإسلام بعد اسلامه من بعض المسلمين . وكنت قلت للشيخ عبد القوى أن هذه البلاد فى حاجة إلى وقت أطول ولو كان عندنا فسحة من الوقت لكان البقاء أفضل فقال : نعم ولكن مهما كان هذا الوقت الذى نقضيه لا يؤدى واجب الدعوة إلا إذا كان لمدة سنتين فأكثر يعلم فيها الشباب الإسلام ويدرب على كيفية الدعوة حتى يطمأن على تمسكهم ونجاحهم فى ذلك ثم يتركون وينتقل الداعية إلى مكان آخر وهكذا . وهذا ما يفعله المسيحيون إذ يصل القسيس إلى المنطقة التى يكون أهلها شبه عرايا متوحشين كما فى جنوب السودان ، فيلبس مثلهم ويشاركهم فى عاداتهم ثم يأخذ فى بث افكاره فيهم بالتدرج حتى يقنعهم بالتخلى عنها شيئا فشيئا ولا يخرج حتى يفتح مدرسة لأبنائهم ويستمر تعليمهم فيها ثم ينتقل إلى مكان آخر فيعمل فيه ما عمله فى المكان الأول وهكذا . . . أما نحن وأمثالنا ممن يكون نزولهم فى الفنادق وزياراتهم عابرة فان فائدتهم فى الدعوة قليلة جدا وهذا الذى قاله الشيخ عبد القوى حق وهذا يحمل المؤسسات الإسلامية مسئولياتها تجاه تدريب الدعاة وأعدادهم لتحمل المتاعب والمصاعب فى سبيل الله ، وفى الجامعة الإسلامية وجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية عدد كبير من أبناء العالم الإسلامي والبلدان كلها يمكن أن يقوموا بهذه المهمة فى بلدانهم وبلغات أقوامهم . إذا أعدوا إعدادا صالحا وربوا تربية صحيحة .

من أحق بذلك نحن أم هم ؟ .

وذكر لنا الأخوة أن الزلازل تكثف في هذه البلاد وأنها تحدث خسائر في الأرواح والممتلكات وتهدم البيوت وقد تذهب بعض القرى وإذا حدث شيء من ذلك يأتي المسيحيون من استراليا وأمريكا وأوروبا فيقدمون المساعدات لإخوانهم المسيحيين وقد يساعدون أيضا بعض المسلمين ولكن المسلمين لا يرون أحدا يأتي لمواساتهم ومساعدتهم ، قال بعض الأخوة: الا أن المملكة العربية السعودية عندما حدث زلزال ١٩٧٦ م في بالي ساعدت كل مسجد من المساجد المتضررة بالفى ريال تقريبا .

قلت: من أحق بالبر والبذل والمواساة نحن المسلمين أم أولئك الكفار الذين يمدون يد العون حتى لإخواننا المسلمين ؟ .

ومن أجدد بالدعوة العملية في المواساة أهل الدين الحق أم أهل الأديان المنحرفة ؟ .

### إلى سنجاراجا

١٥ / ٩ / ١٤٠٠ هـ .

في الساعة العاشرة من صباح اليوم غادرنا مدينة دمباسار في جنوب جزيرة بالي إلى مدينة سنجاراجا في شمال الجزيرة في سيارة يقودها شاب كان شيعيا ولكنه تاب من مذهب الشيعة وانضم إلى السنة وأسمه محمد، وكنا نرى في شوارع مدينة دمباسار قبل خروجنا منها الأوثان التي يأتي إليها الهندوك بالفواكه والزهور يضعونها على رفوف عمد قريبة من الوثن تقربا اليه ويومئون برؤسهم وأيديهم وبعد الخروج من المدينة دخلنا في المزارع التي لا يرى الرائي الشمس الا نادرا منها لكثرة الاشجار (وأغلبها ثمرة) على جانبي الطريق وينتشر باعة الفواكه بجانب الطريق وهي أنواع كثيرة لا نعرف الا القليل منها

فوقفنا عند أحد الباعة وقد مد طاولته الخشبية بجانب الطريق أمام منزله ووضع على الطاولة عينات من الفواكه الموجودة عنده والأشجار المثمرة بجانبه تتدلى بها الفواكه ويخير المشتري ان أراد أن يأخذ من الفواكه المقطوعة التي على الطاولة وان شاء أن يختار من الفواكه التي لازالت معلقة في أشجارها وكان من الفواكه الموجودة شجر الباباي ذى النكهة اللذيذة المفضلة عندي وكانت إحدى شجراته تحمل ما يزيد عن خمسة وعشرين حبة وسألت كم تحمل الشجرة من هذه الحبات؟ . . . فقالوا : منها ما يحمل عشرين ومنها ما يحمل ثلاثين وبعضها قد تحمل خمسين حبة . والحبة تختلف في الصغر والكبر قد ترزن الحبة الواحدة عشرة كيلو جرام . وأخذنا منه ما نريد ثم واصلنا السير .

ثم دخلنا بعد ذلك في غابات كثيفة وجبال شاهقة تكسوها تلك الغابات وكانت السحب تغازل تلك الغابات وتعانقها في قمم الجبال ، وتلتف حولها في الأسفل وكأنها تطمئن تلك الغابات وتبشرها بالخير والمطر المdrار في وقته الذي يأذن الله به وكان قائد السيارة يشير إلى بعض الاشجار التي يعرف أسماءها ونحن نعرف قليلا وأكثرها لا نعرفه ومما عرفناه البن والقرنفل . ثم قربنا السائق في طريق جانبي على اليمين إلى ساحة كبيرة بين الجبال مملوءة بالماء فقلنا ما هذا؟ . . . قالوا : هذا حوض . قلت : هل تتجمع هذه المياه من سيول هذه الجبال؟ قالوا : بل ينبع الماء من القعر ويتبقى هكذا طول الوقت وفيه قوارب صغيرة يستعملها السائحون ورغب الابن عبد البر في الركوب ولكنى قلت له أنى أكره الوقوف في هذا المكان لان الاجانب يرتادونه بكثرة وبملابس غير لائقة وقال عبد الله في داخل هذا الماء أشجار شبيهة بالحيوان إذا لمست جسم أحد انطوت عليه وأنزلته إلى القعر فيكون قبره وكنت أظن ذلك خرافة ولكنهم أيدوا ذلك كلهم . وكانت الطريق تتلوى بنا مثل الثعبان حتى كنا في دقائق نسير إلى الجهات الأربع حيث نمشى إلى جهة ثم نكرراجعين إلى الجهة المقابلة وهكذا كانت الطريق : -

نمشى حتى نكاد نلتقى بالنقطة التي كنا فيها ثم نرجع حتى نكاد نلتقى بالنقطة الأخيرة وهكذا . وكانت خطيرة بسبب ذلك وبسبب ضيق الطريق إلا أن السيارات كانت قليلة فيها وليست مزدحمة كما هي العادة في مناطق أخرى من أندونيسيا وفي رأس الجبل وجدنا سوقا تباع فيه الفواكه والزهور المختلفة بأسعار رخيصة جدا وقفنا قليلا ثم واصلنا السير وكان الطقس باردا كأنه مكيف .

**ألا تصدقونى : ؟**

مررنا بمكان تنتشر فيه القردة بجانبى الطريق كبارا وصغارا ولا تفر من السيارات ولا من الناس ، بل تبقى في مكانها تأكل الثمار، والناس يتفرجون عليها، فقال الابن عبد البر : أبويه - أى يا أبى - أريد أخذ قردة فقلت : ماذا تريد به؟ قال : آخذه إلى المملكة أرييه هناك . فقلت لا داعى لذلك . فقال عبد الله بن سعيد باهرمز . لا تأخذ فأنها ستبعتها إلى سنجارجا ، قلت له كيف ونحن في السيارة وهى تسير بسرعة يصعب على القروء متابعتها وكنا في منتصف الطريق تقريبا بيننا وبين سنجارجا ما يقرب من أربعين كيلومترا قال : تجرى حتى تلحق بنا . فقلت : ما أظن . فقال منفعلا منكرا : أما تصدقونى؟ قلنا : صدقناك .

## لا أبالي :

كان قائد السيارة يتحدث تارة باللغة العربية قلت له : أين تعلمت اللغة العربية ؟ .  
قال : في معهد كونتور ولكن لم أكمل الدراسة . قلت له : من أى طوائف الشيعة أنت .  
قال : من بوهرة ولكنى لا أتبع مذهبهم بل ارتضيت مذهب أهل السنة قلت : وأهلك .  
قال لا يرغبون منى ذلك ولكن بعضهم أيضا ارتضى مذهب أهل السنة وترك مذهب الشيعة  
وأنا لا أبالي إنى لا أعتقد أنهم على حق .

ثم أخذنا فى الانحدار من الجبل إلى الاسفل وبدأت الحرارة ترتفع وكان وصولنا إلى  
سنجاراجا فى الساعة الواحدة ونزلنا فى فندق «جارودا» وهوبناء شعبي عادى، يكثر به  
البعوض الذى أقل راحتنا على الرغم من حاجتنا إليها .

## على شاطئ البحر :

وبعد صلاة العصر جاء الينا الأخ عبد الله باهرمز الذى أعطى فرصة لزيارة أهله لمدة  
ثلاث ساعات تقريبا لأن هذه المدينة مسقط رأسه وبها منزله وأسرته، وخرجنا إلى شاطئ  
البحر وهو قريب جدا من الفندق، وأقرب إلى منزل عبد الله فمكثنا هناك إلى غروب  
الشمس ثم رجعنا لتناول طعام الافطار فى منزل عبد الله وفى طريقنا إلى البحر رأينا  
الهندوكيين وهم يحملون قرايينهم على رؤسهم الى أحد أصنامهم يقدمونها له ويعبدونه من  
دون الله، وهذا ما دفعنا لمذكرة أمر دعوتهم ثم زيارة زعيمهم فى المدينة كما سيأتى ان شاء الله  
الحديث عنه .

## فى منزل الشيخ سعيد باهرمز :

وبعد أن صلينا المغرب جاء إلينا بعض الطلبة الأندونيسيين الذين يقومون بالدعوة  
إلى الله فى هذه الجزيرة الوثنية بين إخوانهم الشباب من المسلمين فتحدثنا معهم وشرحوا لنا  
ما قاموا به ولا زالوا مستمرين فيه وإقبال أبناء المسلمين على الدعوة واستجابتهم لها . وأن  
الجهل يسيطر عليهم ولكن عواطفهم تدفعهم للاستفادة العاجلة .

وإن من أساليب دعوتهم أنهم يجمعون الشباب فى المساجد ويتحدثون معهم ويلقون  
فيهم محاضرات ويقرأونهم القرآن ويعلمونهم الصلاة وبعض الاذكار باللغة العربية ويختارون  
من يروونه أسرع استيعاباً ويجهدون فى تعليمه أكثر من غيره ليقوم هو بتعليم أهله وزملائه



وأنتهم وزعوا بعض الكتب الإسلامية، وشكا الأخوة من عدم وجود ما يساعدون به أهل البلدة من شراء بعض الأخشاب وبناء مساجد صغيرة أو ترميم مساجد متهدمة فقلنا لهم عليكم أن تجتهدوا في التعليم وإثارة الحماس في نفوس الناس لدينهم وسيوفقهم الله لمساعدتكم في البناء بأنفسهم وكانت هذه تسليية للأخوة الذين يشاهدون آثار مساعدة المسيحيين لقومهم القلة في هذه البلدة .

وكان من الحاضرين معنا في هذه الجلسة المدعو عبد الله بن أحمد معاشر وهو حضرمي الأصل - وغيره من أهل المدينة الذين هم من أصل عربي - وتذاكرنا موضوع الحفاظ على أبناء المسلمين من الذويان في هذا المجتمع الوثني فذكر الأخ عبد الله معاشر - وهو على علم بمبادئ الدين طيب ويرغب في المذاكرة والقراءة قال : ان المحاولة حاصلة ولكنها ليست على المستوى المطلوب وأملنا - بعد الله - في خريجي الجامعة الإسلامية كبير بأن يقوموا بالدعوة والتعليم ونحن نقوم ببعض الدروس في الأسبوع وكذلك في الاحتفالات الدينية كالأسراء والمعراج والمولد النبوي وغيرها فقلنا لهم ان واجبكم الاستمرار في التعليم والدعوة وينبغي أن تكون الدروس في المساجد مستمرة وأن تتعاونوا في إغراء أبنائكم بحضور هذه الدروس وأن تعقدوا إحتفالات عامة - على شبه ناد أو ندوات تدعون إلى حضورها أبناءكم والهندوكيين يسمعون كلمة الإسلام وتقوم الحجة عليهم بشرح أركانه ومبادئه لأن دعوتهم واجبة وهم يعبدون الأوثان . فذكروا لنا أن اجتماعات تعقد لأهل الأديان الأربعة هنا وهي الإسلام والهندوكية والبوذية والنصرانية، وكل جماعة يشرحون دينهم . قلت لهم : ولكن عليكم أن تبينوا لهؤلاء الناس أن دينكم هو الدين الذي لا يقبل الله سواه من الأديان لأنها كلها باطلة وأن تقيموا الحجة على ذلك لتتقنوا هؤلاء الضالين من الشرك بالله .

ثم حضرنا المسجد المسمى بالتقوى فصلينا العشاء وألقيت محاضرة في الحاضرين تضمنت شرح كلمة التوحيد التي دعا إليها كل الرسل وأن علينا أن نفهمها ونعمل بمقتضاها وأن نمكن نفوس أبنائنا من فهمها والعمل بها وأن ندعوا إليها الآخرين وأن على الآباء والعلماء أن يعلموا أبناءهم وعلى الأبناء أن يجتهدوا في تعلم الدين من آباءهم وأساتذتهم وكان الحاضرون في غاية الانصات والتأثر .

ثم صلى بنا الشيخ عبد القوي التراويح وقرأ بعد ذلك ما تيسر من القرآن بطلب منهم وقام إمام المسجد فأبدى سروره بهذه الزيارة وشرح مبدأ جماعة المسجد وهو التمسك بالإسلام الذي يبنى على الكتاب والسنة ونبذ الخرافات وقال : أننا سنحاول تطبيق نصائحكم وطلب منا ابلاغ المسئولين في المملكة العربية السعودية أن أبناء هذه البلاد ينتظرون منهم المساعدة بالكتب والمدرسين والمساعدة في بناء المدارس ووضع المناهج .

## أعيدوا النظر يا دعاة الإسلام :

إن الجهود المبذولة للدعوة إلى الله في أرض الله - وإن كانت قليلة ويجب بذل الوسع في المزيد منها - هذه الجهود ظهر لنا أنها تسير بدون تخطيط علمي دقيق وبدون تنظيم مفيد وتنفيذها عشوائي في الغالب وكذلك يجب على المؤسسات الإسلامية أن تعيد النظر في أساليبها المتخذة حالياً للدعوة إلى الله باتباع الأمور التالية :

١ - ينبغي أن تنسق المؤسسات الإسلامية فيما بينها في إطار مجلس واحد يسمى مجلس شؤون الدعوة الإسلامية - مثلاً - يمثل هذا المجلس كل المؤسسات الإسلامية في داخل المملكة العربية السعودية بداية لمجلس دعوة عالمي هذه المؤسسات هي الجامعة الإسلامية وجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي وجامعة أم القرى وإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، ويكون مقر عام يختار له رجال أكفاء مهمتهم جمع المعلومات عن العالم الاسلامي ، وتنسيقها وترتيبها في بحوث يرجع اليها عند الحاجة .

٢ - يختار عدد من الأساتذة والطلبة ويعثون في الأجازات الصيفية إلى بلدان العالم الإسلامي لجمع المعلومات ومعرفة أحوال المسلمين والجمعيات الإسلامية المتمسكة بالإسلام، والمؤسسات الإسلامية التي تحتاج إلى مساعدة، والبلدان التي يوجد بها دعاة والبلدان التي لا يوجد بها أحد منهم . ومعرفة المدن والقرى التي تحتاج إلى بناء مساجد أو ترميمها والاطلاع على الجهات التي توجد بها جامعات ومعاهد ومدارس وحاجة هذه الجامعات والمعاهد والمدارس إلى مدرسين أو كتب أو وضع مناهج أو منح دراسية والجهات التي توجد بها مدرّس ويمكن إنشاء مدرّس فيها لأبناء المسلمين .

٣ - التخطيط لبعث الدعاة والمدرسين المقيمين والمساعدات المادية وغيرها والبدء بالأهم وبذلك يمكن ايصال الدعوة إلى أغلب البلدان الإسلامية وغير الإسلامية على خطط علمية مدروسة وتنظيم دقيق :

٤ - ينبغي أن تعقد دورات في كل قطر للدعاة إلى الله الذين يتعثرون من المملكة على رأس كل سنتين على الأقل يقوم بهذه الدورات علماء الدعوة الإسلامية من داخل المملكة وخارجها ليطلعوا على ما يقوم به هؤلاء الدعاة في الأقطار ويوجهوهم ويحلوا لهم مشكلاتهم وبذلك يكون المؤسسات على علم بما يقوم به الأفراد التابعون لها وإذا لم يمكن إقامة دورات في تلك الاقطار فيمكن اقامتها في احدى الجامعات بالمملكة .

٥ - يجب أن لا يكدر الدعاة في بلد واحد وفي مؤسسة واحدة مع وجود فراغ في بلدان أخرى أو مؤسسات، بل ينبغي توزيعهم لتقوم الحجة بهم في كل مكان قدر الاستطاعة .

## أين الاسعاف ؟

والمسلمون في سنجاراجا بالذات يبلغ نسبتهم ٤٠٪ من السكان ولهم بعض المدارس الأهلية التي كان الطلبة المسلمون مقبلين إليها حتى فتحت المدارس الحكومية التي يوجد فيها من النظام والامكانيات البشرية والمادية مالا يوجد في الأولى وعندئذ بدأوا يتركون المدارس الأهلية وينضمون إلى المدارس الحكومية . وإذا لم تسعف هذه المدارس الإسلامية بتحسين المباني ووضع المناهج الجيدة التي تجمع بين المواد الإسلامية والمواد الحكومية المفيدة، وكذلك بالأساتذة الذين يقومون بالتدريس متفرغين فإنها يخشى عليها أن تتوقف، فأين الاسعاف ؟

### دعوة زعيم الهندوكيين في سنجاراجا إلى الإسلام :

أكد لنا الأخوة المسلمون في جزيرة بالي تسامح الهندوكيين معهم واحترامهم ومساعدتهم ماديا في بعض شئونهم كبناء المساجد وترميمها والاحتفالات الدينية قالوا وكثير من عامتهم مقتنعون بالإسلام ولكنهم يتمسكون بدينهم تقليدا للمتبعيهم ويصرح بعضهم بانهم اذ دخل زعيمهم في الإسلام فانهم سيدخلون فيه ايضا . وأثنوا على زعيمهم في هذه المدينة بانه يتعاطف كثيرا مع المسلمين . فطلبت منهم أن يضربوا لنا معه موعدا في هذا اليوم لنتلقى به ونشرح له الإسلام وندعوه إلى التوحيد ونشكره على تعاطفه مع المسلمين .

فرحب بالزيارة عندما بلغوه رغبتنا، وزرناه في الساعة التاسعة صباحا في مكتبه، وشكرناه على حسن معاملته للمسلمين وأخبرناه بموقف النجاشي من المسلمين عندما هاجروا إلى بلاده من إيذاء قومهم إياهم في بدء الرسالة في مكة وأن الرجل أسلم وحسن إسلامه وصلى الرسول ﷺ عليه صلاة الغائب وأن ذوى العقول النيرة إذا شرح لهم دين الإسلام تقربه عقوله ويدخلون فيه وقد كان هذا على مدار تاريخ الإسلام واقعا فقد أسلم كثير من أهل الكتابين في القديم والحديث وكذلك الوثنيون في فارس والهند وغيرها .

وبينا له أننا انما جئنا إليه طمعا في أن ينقذه الله تعالى بالإسلام الذي لا يوجد في الأرض دين يرضى الله به غيره وأن رسالة هذا الدين عالمية يجب على كل الناس الإيمان بها وأن الحجج والبراهين المقنعة قد قامت على كون هذا الدين هو الحق وما سواه باطل . كما قامت على صحة رسالة الرسول ﷺ وأنه خاتم الأنبياء، وأن هذا القرآن حق منزل من عند الله تحدى الله به الأنس والجن أن يأتوا بمثله فلم يقدرُوا على ذلك منذ نزوله إلى يوم

القيامة ، وأن سبيل الجنة التي يطمع فيها أهل الأديان كلها هو هذا الدين فقط وأن النجاة من النار لا تكون الا لأهله وأن كل جزئية من جزئيات الإسلام تدل على أنه حق ، ويكفى أن الأمم التي حاربتة قد دخلت فيه ولا يزال المنصفون من أعداء الاسلام ينطقهم الله بالحجة إلى أنفسهم .

ولذلك فنحن نرغب في انقاذكم من النار ودخولكم الجنة أنتم وأتباعكم جئنا ندعوكم إلى الله عزوجل والدخول في هذا الدين حتى يكون لكم أجركم وأجر أتباعكم ولا تتحملوا وزركم ووزرهم بعدم الدخول في هذا الدين .

وقلت له : إن هذا الرجل - يعنى الشيخ عبد القوى - يحفظ القرآن كله وهناك آلاف المسلمين يحفظونه كما أنزله الله لا تحريف فيه ولا يقدر أحد على تحريفه ولو كنت تفهم اللغة العربية وسمعت منه وصف الجنة ونعيم أهلها ووصف النار وعذاب أهلها لطرت شوقا إلى الأولى بلا اله الا الله محمد رسول الله ، ولهربت خوفا من الثانية بترك عبادة غير الله تعالى ونحن نرغب أن تدخلوا في دين الله في أسرع وقت لأن الإنسان لا يدري متى يقتاده الموت إلى قبره والموت على غير الإسلام يورث الحسرة والألم والخلود في النار ونرغب في أن نكون أمة واحدة ندعوا إلى الخير ونأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وكان يظهر السرور بكل ما يسمع وأجاب أنه قد قرأ ترجمة القرآن الكريم ووجد أن ما تقوله له موجود في القرآن وانه يرى أنه حق وقال : إننى أتابع الأذان وتعجبني الفاظه وقال اننا نأسف لقصر زيارتكم وكنا نود لو تأخرتم عندنا أكثر . فاعتذرنا بارتباطنا واننا اذا جئنا مرة أخرى إلى أندونيسيا سنحاول زيارته ووعدنا ببعث كتب اسلامية إليه مترجمة وغير مترجمة .

وهنا يجب أن نقولها صريحة : أن المؤسسات الإسلامية - على الرغم مما تبذله من جهود في سبيل الدعوة إلى الله - مقصرة في التخطيط والتنظيم والتنفيذ لهذه الدعوة وأن بعث دعاة حكماء مدرين ملمين بالأديان المقارنة مزودين بالحجج المقنعة مثقفين ثقافة عصرية مع الفقه في الدين يلتقون بأمثال هذا الزعيم مع حمل الكتب المترجمة إلى اللغة المحلية لاي بلد لجدير بفتح الباب أمامهم للدخول في دين الله تعالى .

وإذا لم يدخلوا في أول الأمر فيمكن عقد صلوات معهم تكون سببا للدخول فيه مستقبلا وأن على الدعاة إلى الله أن يكونوا أعزة بدينهم يدعون إليه العظماة في قومهم كالسوقة كما كان يفعل الرسول ﷺ وما الذى يمنع الداعية المسلم من دعوة رؤساء الأديان بل وزعماء الحكومات ماداموا ضالين عن منهج الله لعل الله يشرح صدورهم لهذا الدين .

وقد بعثنا لهذا الزعيم ترجمة المصحف الكريم وتفسيره باللغة الأندونيسية وسنوالى مراسلته لعل الله تعالى يهديه . وهذا عنوانه ينقل مما كتبه فى مذكرتى بيده :  
ثم ودعناه قائلين : السلام على من اتبع الهدى (لم ترجم له هذه) وكان وداعه لنا حارا نسأل الله له الهداية والتوفيق .

وغادرنا مدينة سنجاراجا فى الساعة العاشرة إلا عشرين دقيقة ووصلنا إلى مدينة دمباسار فى الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين فصلينا الظهر والعصر قصرا وجمعا فى دكان عم عبد الله باهرمز أخى أبىه . ثم خرجنا إلى المطار فى الساعة الواحدة والنصف . وفى الساعة الثانية والنصف صعدنا إلى الطائرة .

\*\*\*\*

### « التدخين سم قاتل »

المدمنون على شرب الدخان بشراهة زائدة يعرضون رئتهم للتلف المبكر ويصابون بهبوط فى وظائف الرئة وهبوط فى القلب ... والنتيجة معروفة حتما ... وقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك ان التدخين يسبب تهيجا فى الأغشية المخاطية للشعب الهوائية فيحدث النزلات الشعبية المزمنة وبنسبة حدوث النزلات الشعبية بين المدخين اضعاف اضعاف نسبتها لدى غيرهم . كما ثبت ان التدخين يزيد من احتمال الإصابة بسرطان الدم ، كما يزيد من تركيز الدهون فى الدم ويؤدى الى الإصابة بتصلب الشرايين عامة والشرايين التاجية التى تغذى عضلة القلب بوجه خاص والتدخين فوق كل هذا يرفع ضغط الدم ويحدث اسرعا فى نبض القلب ولذلك فهو يجهده ويزيد عمله وفى اولئك المصابين بتصلب الشرايين التاجية قد يسبب التدخين حدوث الآم الذبحة الصدرية وذلك ما يسمى بـ : ذبحة النيكوتين .

## كرة القدم

يلفت النظر في جمهور كرة القدم حبه الشديد للفريق الذي يشجع وتضحياته الكبيرة من أجله . . أي أنه جمهور متممى . . والانتفاء إلى فريق معناه التضحية بالمال والنفس . . ونحن نسمع أن فلانا تبرع لناديه بكذا مليون ريال ليقيله من عثرته، بينما لا نجد اسم هذا الفلان في قوائم المتبرعين للجمعيات الخيرية أو المجاهدين الأفغان وهذه تضحية بالمال . ونسمع أن علانا لا يبالي أن ينزل إلى وسط ملعب الكرة في وقت الشدة ليضرب الحكم أو يضرب اللاعبين حتى لو أدت تلك الغارة الهوجاء بحياته، وهذه تضحية بالنفس، بينما لا يمارس معظم الناس أو بعضهم حبهم لبلادهم بتلك القوة وبتلك التضحيات .

ويلفت النظر في جمهور كرة القدم أيضا . . أنه جمهور غيور فهو لا يقبل أن ينتهك قانون الكرة مطلقا، فهو يشور ويهز الملعب إذا ارتكب لاعب خطأ في غفلة من الحكام، ويقف في وجه الحكم ويقول له لا . . إذا تغاضى عن خطأ، بينما يقف الناس يتفرجون على أولئك الذين يغتالون قواعد القانون العام أو يعبثون بمصالح البلاد والعباد . فمثلا نحن نرى الناس في أسبوع النظافة وغير أسبوع النظافة يقدفون بقايا الساندويتشات وعلب البيسى من نوافذ سياراتهم في وسط شوارع المدينة الكبيرة ولا نجد أحدا يقول لهذا المعتدى على نظافة المدينة . . عيب، ونرى الناس يخالفون أبسط قواعد المرور، وبامكاننا أن نلفت أنظار هؤلاء إلى خطأ ما يفعلون ولكن أحد منا لا يكلف نفسه عناء أن يقول لهؤلاء عيب . في الأسبوع الماضى أردت أن أمارس دور المواطن الصالح أوقفت سيارتى لأعقب على أحدهم وهو يهيم باقتلاع غرسة من حديقة عامة . . استسلم المخطيء لقولى وأخذ ينفذ الطين من يديه ويعود إلى سيارته . . لكن بعض الوقوف من الناس تساءلوا على مسمع . . فيما إذا كنت من رجال البلدية . . أو من . . وحين لا أكون كذلك فمعنى موقفى أنى انسان فضولى أو متطفل .

أتمنى أن يكون اندفاع الناس في حب بلادهم وتضحياتهم من أجلها كاندفاعهم في حب الكرة ونحوها .

محمد عمر العامودي

روز

روزافروز  
روز





# إِنْكَارُ الْجِنِّ

مِنْ شَطْحَاتِ التَّفْسِيرِ الْمَوْضُوعِيِّ لِلْقُرْآنِ

لِلشَّيْخِ مَصْطَفَى الْوَرَّاقِ إِبْرَاهِيمَ  
مَدْرَسَةِ الْعِلْمِ السَّانِيَةِ

- ٩ -

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فإن هناك شطحات أشد غرابة في التفسير الموضوعي للقرآن أوضحها فيما يلي:

عندما تعرض الدكتور لتفسير سورة الجن إصطدم إنكاره بآيات هذه السورة التي كشفت بوضوح تام عن موقف الجن من الإسلام ويتلخص ذلك الموقف فيما يلي:

١ - أن الرسول ﷺ أوحى الله إليه بما كان من أمر الجن عندما استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن.

٢ - استماع النفر من «الجن» للقرآن.

---

\* سقط من المقالة الأولى الآتي: (ثم نسأل الدكتور إلام كان يهدف نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام من رسم هذه الخريطة المزعومة؟ فيجبنا ليستعين بها على غزوسبأ الذي عزم عليه. وإذا كان هذا صحيحاً فلم طلب من (مهندسيه) أن ينكروا للملكة سبأ عرشها أى يغيروا من معالم الخريطة على زعم الدكتور. قال الله تعالى ﴿قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ (النمل: ٤١).

ثم يأتي بعد هذه الأسطر القول (ونلاحظ هنا أنه يخاطب ص ٣١٦ العدد ٥٣. ولقد سقطت أيضاً كلمة (لا يعدو) في السطر قبل الأخير فجاءت العبارة هكذا [ولا يكون عناء الخ] وصحتها [لا يعدو أن يكون عناء الخ] فمعدرة.

٣ - إيمانهم بوحداية الله وتبرؤهم من الشرك الذي كانوا عليه من قبل وإذعانهم برسالة المصطفى ﷺ .

٤ - إنطلاقهم إلى قومهم دعاة منذرين .

إذن فالأمر هنا ليس قاصراً على ورود كلمة «الجن» ولو كان الأمر كذلك لكان من اليسير على الدكتور أن يصرفها عن معناها الحقيقي إلى شىء من المعانى المتكررة التى ادعاها لكلمة الجن ولكن الأمر هنا ليس سهلاً فكيف يصنع الدكتور ليوفق بين إنكاره للجن وهذه السورة التى سميت بهم وتكلمت عن عالمهم بكل هذا الوضوح؟ لا بد إذن من تفكير وتدبير لكي يصل الدكتور إلى مخرج - وأعمل فكره ثم أعمل خياله وبدا له أنه وجد الإنقاذ فى فكرة عنت له فسرعان ما أبرزها بل واعتبرها نظرية لم يسبق إليها وكأنى به قبل أن يصل إلى إبراز نظريته يتساءل لماذا لا يفترض أن الجنَّ قسمان جن «أصلى» وجن «ملحق به» أوسمه مجازياً أو مزيفاً . . . ولندع الدكتور يوضح لنا قصة الجن فى نظره .

يقول: [الجن موجود قطعاً وهم قوى مخلوقة من نار صافية ولذا كانوا قوى روحية . وعالم الجن قائم إلى يوم البعث لا مريّة فيه] لقد ظننت عندما قرأت هذين السطرين أن الدكتور رجع من الإنكار إلى الإقرار ولكن سرعان ما تبدد هذا الظن عندما قرأت السطر الثالث وما تلاه . قال الدكتور: [أما موجوداته الأصلية فهى طبائع الملائكة وهى العناصر الخيرة ، وطبيعة إبليس كذلك وهو العنصر الشرير] إذن فهذا هو عالم «الجن» الأصلى وليس هناك عالم ناري عاقل سوى ما ذكر الدكتور!! وما هو الجن «الملحق» أو المزيّف - كما ينبغي أن يوصف؟ فيجيبنا الدكتور: [ويدخل فى عالم الجن - ملحقاً بطبائعه الأصلية من يتخفى من عالم الإنسان فى إيمانه وكفره وفى خيره وشره باعتبار أن هذا الذى يتخفى غير ظاهر وغير مرئي وذلك كشياطين الجن . فإنهم من الإنسان ، يخفون شرهم وكيدهم لدين الله وللمؤمنين به ، وصدّهم عن سبيل الله . وجاء فى قول الله تعالى : ﴿إنه يراكم﴾ أى الشيطان وهو إبليس ﴿هو وقبيله﴾ أى هو وأعوانه من الشياطين ﴿من حيث لا ترونهم﴾ لأن إبليس بحكم طبيعته من عالم الجن ، وأعوانه بحكم تخفيهم فى الشر أحقوا بهذا العالم وأصبحوا شياطين الجن . ومثل هذا الفريق الشرير من الناس فى إلحاقه بعالم الجن لتخفيه فى الكفر والإيذاء والإغراء ، فريق آخر من الناس أيضاً تخفى فى إيمانه ولم يظهر فى تعرفه على الهداية وفى تبشيره بالدعوة لدين الله هو هذا الفريق الذى أعلن عنه الوحي فى سورة الجن فى قول الله تعالى : ﴿قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ أى من العالم غير

المرئي . ولكن ليس من القوى النارية ﴿ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولو إلى قومهم منذرين ﴾ انتهى كلام الدكتور في صفحتي ٨ و٩ تفسير سورة الجن طبعة دار الفكر.

ومن الواضح أن الدكتور يزعم بأن الذين نزلت فيهم (سورة الجن) وآية الأحقاف ليس المراد بهم «الجن» الحقيقيين أى المخلوقات العاقلة النارية التى تختلف عن الملائكة كما تختلف عن الانس بل المراد بهم جماعة من البشر الذى يخفى إيمانه (ولم يظهر فى تعرفه على الهداية وفى تبشيريه لدين الله) تفسير سورة الجن ص ٩ .

ويرجح الدكتور أن هذا النفر الذى انزلت فيه سورة الجن وآية الأحقاف كان من أهل يثرب ثم يتحدث عن ثلاث قضايا أنها أدلة على أن المراد بالجن البشر . القضية الأولى : إيمان هذا الفريق بوحدة الله فى الألوهية . القضية الثانية : حكم هذا الفريق على القرآن بعدما سمعوا منه بعض آياته بأنه كتاب مصدق لما بين يديه من التوراة . القضية الثالثة : دعوة هذا الفريق إلى الإسلام بين قومه . وهذه القضايا الثلاث تخصص - فى رأى الدكتور - برسالة البشر فالبشر وحدهم المكلفون باتباع رسالة الله ، راجع ص ١٠ من تفسيره المذكور .

ولن أطيل فى مناقشة هذه القضايا ولا النتيجة التى وصل إليها الدكتور وذلك لأنها لا تعدو أن تكون مقدمات أو قضايا لا يحكم ارتباطها بما وصل إليه من نتيجة إلا مجرد الوهم والادعاء والنتيجة وهى (اختصاص البشر وحدهم بالتكليف) لا دليل عليها بل الدليل يقوم على تأييد أن الرسالة والتكليف للانس والجن . وما نحسب أن أحداً من أهل العلم الذين يعتد بهم يؤيد ما ذهب إليه الدكتور ويكفى - فى رد هذا الاختصاص سواء قال به الدكتور أو غيره - قول الله جل وعلا : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ .

ولنعد إلى نظرية الدكتور عن نوعي الجن الأصلي والملحق فنقول : إن الدكتور يخلط خلطاً عجيباً بين الملك والجنى فيدعى بأنهما عنصر واحد خلق من مادة واحدة وله طبيعة واحدة فالملائكة هم الجن والجن هم الملائكة وهذا هو الجن الأصلي أما الملحق أو الذى يسمى (تبعاً) بالجن فهم البشر المتخفون . وقد سبق أن أوردت فى المقالة الأولى أن حديث رسول الله ﷺ حدّد أن الأصل لخلق الجن هو (النار) وأن الأصل لخلق الملائكة هو (النور) وبناء على مفهوم هذا الحديث الواضح فإن الجن والملائكة نوعان مختلفان وعالمان متمايزان وكلام الدكتور حول اتحاد جوهر النار والنور لا يقدر فى كونها عالين ذلك لأن الخلق لنوعين

أو أكثر من جوهر واحد أو عنصر متحد ليس مثيراً للاستغراب مادام الخلق بقدرة الخالق  
الباريء المصور سبحانه وتعالى . . ولعلنا نستأنس ببيتى الشاعر:

سبحان الذى خلق من نطفة ومن علق  
سبحانه مصوراً من حمأة الطين (الحق)

فما أبعد ما بين كدر الطين وصفاء العين ولكنها قدرة الله الذى قال فى كتابه ﴿ هذا خلق  
الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ (لقمان : ١١) .

### الجن عالم والملائكة عالم آخر:

وما كنت أحسب أننى فى حاجة إلى التفريق بين الجن والملائكة لأن هذا الأمر لا  
يشك فيه أحد ولكن دعوى الدكتور محمد البهى جعلت الحاجة ماسة للاستدلال فى كتاب  
الله سبحانه ومن السنة النبوية على اختلاف عالمى الجن والملائكة، وسأورد الآيات  
والأحاديث التى تفصل وتبين أن لكل عالم من العالمين المتميزين صفات تناقض صفات  
الآخر مناقضة تامة وليس هناك سمة مشتركة ولا طبيعة متحدة بين العالمين عالم الملائكة وعالم  
الجن الذى منه الشياطين وأعوذ بالله منهم وإلى قارىء هذا المقال أولاً الآيات التى جاء فيها  
وصف الملائكة وتليها الأحاديث ولا أشك فى أن القارىء يعرف هذه الأدلة فلتكن له من  
باب التذكير .

قال الله تعالى مخبراً عن لزوم الملائكة لطاعته: ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون  
ما يؤمرون ﴾ (التحریم : ٦) . وقال سبحانه: ﴿ بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم  
بأمره يعملون ﴾ (الأنبياء : ٢٦، ٢٧) فهل عالم الجن بما فيهم الشياطين تنطبق عليهم هذه  
الصفة؟!

يقول الشيخ أبو بكر جابر الجزائري فى كتابه (عقيدة المؤمن) «إن الملائكة منزهون عن  
الأغراض البشرية كالجوع والمرض والأكل والنوم والتعب وما إلى ذلك فقد جاء فى القرآن ما  
يدل على ذلك بدلالة الالتزام إذ أخبر الله تعالى عنهم بأنهم ﴿ يسبحون الليل والنهار لا  
يفترون ﴾ (الأنبياء : ٢٠) ولازم ذلك أنهم لا ينامون ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتعبون»<sup>(١)</sup> .

(١) عقيدة المؤمن: ص ٢٠٠ .

فهل يرى الدكتور شهباً بين الملائكة الذين يسبحون الله ليلاً ونهاراً وبين الجن ومنهم الشياطين قبيل ابليس؟!

والملائكة منهم حملة العرش المسبحون بحمد ربهم المستغفرون للمؤمنين قال الله تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ (غافر: ٧) فهل يحمل الجن العرش، ويسبحون الله ومحجون التائبين عن المعاصي ويستغفرون لهم؟! فهل يرى الدكتور في الشياطين أحباباً للمؤمنين؟!

والملائكة يلعنون الكافرين الذين ماتوا بكفرهم . . يقول الشيخ الجزائري في عقيدة المؤمن: «وإنهم ليلعنون من لعنه ربهم سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ (البقرة: ١٦١) (عقيدة المؤمن ٢٠١) فهل ترى لهذه الصفة مكاناً بين الشياطين؟!

والملائكة تقاتل مع المؤمنين في سبيل الله . يقول الشيخ عمر سليمان الأشقر في كتابه «عالم الملائكة الأبرار» صفحة ٦٢ (وقد أمدَّ الله المؤمنين بأعداد كثيرة من الملائكة في معركة بدر) ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ (الأنفال: ٩) ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسؤمين﴾ (آل عمران: ١٢٣-١٢٥) ويقول الأشقر في صفحة ٦٣ وقد حاربت الملائكة في مواقع أخرى ففي غزوة الخندق أرسل الله ملائكته ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها﴾ (الأحزاب: ٩) والمعنى بالجنود التي لم يروها الملائكة كما ثبت في الصحاح وفي غيرها أن جبريل جاء الرسول ﷺ بعد رجوع الأحزاب وعلى ثنايا جبريل النقع (الغبار) وكان الرسول ﷺ يغتسل فقال للرسول ﷺ (اوضعتم سلاحكم فإننا لم نضع سلاحنا بعد فقال إلى أين؟ فإشار إلى بني قريظة) فهل يمكن أن تتصف الجن والشياطين بما تقدم من جهاد وتثبيت للمؤمنين في حربهم مع الكافرين؟! وإذا كانت الملائكة تنزل على المرسلين فإن الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم .

وبعد هذا نذكر قليلاً من الأحاديث التي تكشف عن صفات الملائكة وأعمالهم وأخلاقهم وذلك لأن الأحاديث في هذا الباب كثيرة فإلى القارىء بعضها .

١ - يقول الأشقر في كتابه (عالم الملائكة الأبرار) «وكلَّ الله بكلِّ إنسان قريناً من الملائكة وقريناً من الجن ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة . قالوا : وإياك يا رسول الله . قال : وإيأي ولكن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير) ولعل هذا القرين من الملائكة غير الملائكة الذين أمروا بحفظ أعماله قيضه الله ليهديه ويرشده . وقرين الإنسان من الملائكة وقرينه من الجن يتعاوران الإنسان هذا يأمره بالشر ويرغبه فيه وذلك يحثه على الخير ويرغبه فيه فعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فيأعد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فيأعد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ثم قرأ ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه فضلاً والله واسع عليم ﴾ (البقرة : ٢٦٨) .

فهل يمكن أن يختلط أمر الملائكة بالشياطين بعد هذا الكلام المبين؟! وهل يمكن أن يكون الأيعاد بالشر ثم الأيعاد بالخير فعل مخلوق واحد أو صفة مخلوقات من عنصر واحد ونوع واحد أم هما عنصران ونوعان .

والملائكة يُحبون المؤمنين يقول الشيخ أبو بكر الجزائري في صفحة ٢٠١ من عقيدة المؤمن (إن الملائكة تحب حباً يليق بحالهم ، وحسب ذواتهم فقد دل الدليل الشرعى على أنهم يحبون ففي الصحيحين «إن الله تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل إن الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض) اللؤلؤ والمرجان (٣/٢٠٥-٢٠٦) والبخارى (٩/١٧٣-١٧٤) ومسلم (٨/٤٠-٤١) .

أما عالم الجن فهو (نوعان شياطين لا خير فيهم البتة وجن منهم الصالح ومنهم الفاسد فحالهم كحال الناس منهم البار والفاجر ومنهم المؤمن ومنهم الكافر بيد أن الشياطين أصلهم من الجن وذلك لأن إبليس كان من الجن لإخبار القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى : ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه . . . الآية﴾ (الكهف : ٥٠) .

ولما أبلس الشيطان وطرد من الرحمة الالهية وانقطع عن الخير كلية كانت ذريته مثله بحكم الوراثة لاخير فيهم أصلا فلا يعرفون إلا الشر ولا يدعون إلا إليه) عقيدة المؤمن ص ٢١٣ .

والشيطان ليس فرداً واحداً هو إبليس بل معه ذريته وقبيله من الشياطين وليس هناك مبرر على الإطلاق يسوغ للدكتور تأويل معنى «الذرية والقبيل» بما ذكره في ص ١٧ من تفسير سورة الجن (شياطين الجن وهم من البشر تحفوا ويتخفون في مباشرة الشر للناس، والصد عن سبيل الله وهؤلاء شياطين الجن هم أعوان إبليس وقبيله وهو معهم يرون الناس والناس لا يرونهم) إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴿ (الأعراف: ٢٧) وشياطين الجن أشبه بالخلايا السرية التي تعمل تحت الأرض وفي الخفاء على تقويض الإيمان بالله، والكيد للمؤمنين فهم من الناس ولكنهم متخفون في مباشرتهم للكيد والصد عن سبيل الله) وهذا التأويل الذى يمنح للتحريف المقصود أول الدكتور قوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً﴾ وإنما لجأ الدكتور لكل هذا (التحريف) بالخفاء المعجمة ليدعم نظرية الجن الأصلية والجن الملحق لأن هذه النظرية الغربية هي الأساس الموهوم الذى يبنى عليه دعوى إنكار الجن كعالم موجود ومقابل لعالم الملائكة والإنس.

ولنمض في تمييز عالم الجن عن الملائكة والإنس بما وصفه به خالقه ومصوره سبحانه وتعالى وبما وصفه به الرسول الكريم في أحاديثه ﷺ .

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ فالآية نص على أن إبليس من الجن وليس من الملائكة كما قال الدكتور في حديثه عن موجودات عالم الجن الأصلية ص ٨ من تفسيره .

ويقول الله سبحانه مخبراً عن الجن الذين استمعوا للقرآن من رسول الله ﷺ ﴿وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ فهل يصلح هذا الوصف «للملائكة»؟ هل منهم القاسطون الذين يكونون لجهنم حطبا؟ وهل تصلح آيات سورة الجن التى وصفت ما كان عليه عالم الجن قبل أن يسلموا لله ورسوله ﷺ لعالم الملائكة؟ أو هل تصلح لأن تكون وصفاً لمن ساهم الدكتور بالملحقين بعالم الجن من (البشر) الأوس والخزرج كما ادعى؟ يقول سبحانه: ﴿وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً﴾ ويقول عز وجل: ﴿وأنه كان رجالاً من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾ ويقول: ﴿وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً﴾ اللهم إنها ليست وصفاً لملائكة ولا لبشر. ولقد اتعب الدكتور نفسه في التحريف عندما تعرض لتأويلها وسنعرض بعض تأويله فيما يأتى بمشيئة الله سبحانه . ولكننى أسأل هل كان رجال

من الإنس (الأوس) يعوذون بجهنم؟! وهل كانوا يلمسون السماء ويقول الله في كتابه الكريم: ﴿يأبى آدم لا يفتنكم الشيطان...﴾ (الأعراف: ٢٧). ويقول سبحانه: ﴿إنَّ الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ (فاطر: ٦). ويقول الله في كتابه مبيناً عداوة إبليس وذريته من الشياطين لبني آدم ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً﴾ (الكهف: ٥٠). فهل يفتن الملائكة الناس في دينهم؟ وهل يعادى الملائكة الناس؟ وهل يحذر الله المؤمنين من الملائكة ويأمرهم بعداوتهم؟ ولماذا؟ اللهم ليس هذا من صفات الملائكة الذين يحبون المؤمنين ويستغفرون للتائبين.

ولقد بينَّ الله أن لكل إنسان قريناً وأوضح الرسول ﷺ هذا الأمر في أحاديثه قال تعالى: ﴿ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾ وقال تعالى: ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾ (مريم: ٨٣) وقال تعالى: ﴿ربِّ بما أغويتنى لأزیننَّ لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادة من المخلصين﴾ (الحجر: ٣٩-٤٠) وجاء بيان الرسول ﷺ لأمر القرين وفاقياً شافياً وذلك فى أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ (ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا: وإياك يارسول الله. قال: وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بالخير) (مسلم: ١٣٩/٨) فهل لهذا علاقة ما بملك من ملائكة الرحمن الذين لا يعصون الله ما أمرهم؟ وقد بينت الأحاديث أن من صفات الملائكة الحياء وأن من سماتهم أنهم يكرهون الروائح الخبيثة كرائحة البصل والثوم وغيرهما مما له رائحة كريهة ونهى الرسول ﷺ عن دخول بيوت الله بمثل هذه الروائح التى يتأذى منها الملائكة كما يتأذى منها بنو آدم كما بينت الأحاديث أنهم لا يدخلون بيتاً فيه كلب أو صورة أما الشياطين فيسكنون الأماكن القذرة ويعملون لاىذاء الإنسان فى نفسه ولإضلاله عن الطريق السوى يقول الشيخ أبوبكر الجزائرى فى كتابه عقيدة المؤمن (الغالب فى الجن والشياطين أنهم يسكنون الخرائب والحشوش والمزابيل والقمام لحديث أبى داود إن هذه الحشوش محتضرة فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث). والشياطين توسوس فى صدور الناس بالشر وتغريهم بالمعاصى ولذا أمرنا الله سبحانه أن نستعيذ به من شرهم فى سورتى الجن والناس فهل كل ما ذكر يمكن أن يكون له صلة بملائكة الرحمن يادكتور.

بعض الأمثلة لتفسير سورة الجن:

يقول الدكتور فى تفسير قوله تعالى: ﴿قل أوحى إلىَّ أنه استمع نفر من الجن﴾ أى أنصت إلى القرآن فريق من الغرباء أو من العالم غير المرئى وهو ما يطلق عليه إسم الجن



﴿فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ أى قرآنا عظيماً ﴿يهدى إلى الرشدا﴾ وهو طريق التوازن والاعتدال، وعدم الإسراف والسفه ﴿فأما به﴾ فاستقر في نفوسنا الإيمان برسالته فيما جاء فيه من عقيدة ومن منهج للحياة ﴿ولن نشرك بربنا أحدا﴾ ثم يقول الدكتور من الذى يعلن الإيمان بالله وعدم الشرك به غير الإنسان المكلف بالرسالة الإلهية؟ فالملك ليس مكلفاً والرسول لا تأتى بالرسالة لغير الناس وإذا كان هناك - على سبيل الافتراض - غير الملك وغير الإنسان مكلف برسالة إلهية فرسلهم لابد أن تكون من نوعهم ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ (ابراهيم: ٤) ولهذا كان الفريق الغريب المتخفى الذى قدم إلى مكة واستمع إلى القرآن وآمن به وأعلن أنه لا إله إلا الله هو فريق من الناس مكلف - ككل البشر - باتباع الرسالة الإلهية، والتي قوامها عبادة الله وحده ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا أنا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (الأنبياء: ٢٥) وليس من طبيعة أخرى غير طبيعة الإنسان ولكنها طبيعة متخفية فقط) تفسير سورة الجن ٢٩-٣٠.

وإننى أسأل الدكتور إذا كان المراد بهذا النفر من «الجن» بشراً إذا طبيعة متخفية فلماذا لم يرههم الرسول ﷺ وهم بقربه يستمعون إليه؟ ولماذا أوحى إليه بأمرهم؟ وهل إرادة إخفاء «الإيمان» من شأنها أن تجعل جسم صاحبها يخفى فلا تراه العيون؟! ولماذا تجاوز الدكتور كلمة (أوحى) فلم يشر إلى المقصود منها؟ ويقول الدكتور فى تفسير قوله تعالى ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ أى كما كنا نلمسها قبل نزول القرآن إدعاء ﴿فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهاباً﴾ ولكن لم نستطع الإقتراب منها والقعود للتسمع كما كنا نفعّل لأن أبوابها قد أوصدت وعليها حرس قوى بالإضافة إلى أن من يقترب منها يرمى بالشهاب وهو شعلة النار الساطعة. ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾ أى وقبل ذلك - وهو قبل نزول القرآن ورسالة الرسول عليه السلام - كما كنا نتمكن من الإقتراب من السماء والقعود بجوارها منها وبذلك كما كنا نتمكن من السمع ﴿فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا﴾ ولكن الآن وبعد أن نزل الوحي بالقرآن فمن يحاول الإقتراب من السماء والسماع لما يدور فيها لا يمكنه ذلك إذ ترقبه الشهب النارية وتنتظره فتصيبه حتماً لو اقترب. وهذا تعبير مجازى قصد منه الحيلولة وعدم التمكن من استراق السمع كما كان يدعى سابقاً) تفسير سورة الجن ص ٣٧.

تفسير ابن عباس لسورة الجن:

أما خبر الأمة فيفسر قوله تعالى ﴿قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن﴾ بما يؤكد وجود عالم الجن الذى أثبتته خالقه وأجمعت الأمة علماءؤها ومفسروها وعوامها وخواصها سلفها

وخلفها على الإيمان بوجود الجن وبكل ما أخبر الله به عنهم في كتابه الكريم وليرجع من يريد الرجوع إلى تفسير ابن عباس وتفسير الطبري تفسير ابن كثير تفسير الزمخشري، تفسير القرطبي تفسير الجلالين أو تفسير النسفي أو الألويسي الخ التفاسير التي تعد مراجع للمفسرين بل وليرجع من شاء إلى التفاسير التي كتبها المعاصرون ليجد الإجماع الكامل على الإيمان بما في كتاب الله من الأخبار عن الجن وليجد التصديق الجازم بما أخبر به الرسول ﷺ عنهم . وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى ﴿ قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ ﴾ بأن القصد أن يقول: قل لكفار مكة، يا محمد: أوحى إليّ أنزل إليّ جبريل فأخبرني ﴿ أنه استمع نفر من الجن ﴾ تسعة نفر (من الجن) جن نصيين باليمن ﴿ فقالوا ﴾ بعد أن آمنوا ورجعوا إلى قومهم ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ تلاوة قرآن عجيب كريم شريف يشبه كتاب موسى وكانوا أهل توراة ﴿ يهدى إلى الرشده ﴾ إلى الحق والصواب لا إله إلا الله . . . ثم يقول في تفسير قوله تعالى ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون ﴾ يتعوذون ﴿ برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾ بذلك (رهقا) عظمة وتكبرا وفتنة وفسادا وذلك أنهم إذا سافروا سفرا واصطادوا صيدا من صيدهم أو نزلوا واديا خافوا منهم فقالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيأمنون بذلك منهم فيزيد رؤساء الجن بذلك عظمة وتكبرا على سفلتهم والجن ثلاثة أجزاء جزء في الهواء وجزء ينزلون ويصعدون حيثما يشاءون وجزء مثل الكلاب والحيات (١) . ثم يقول في تفسير قوله تعالى ﴿ وأنا لمسنا السماء ﴾ انتهينا إلى السماء قبل أن آمنة ﴿ فوجدناها ملئت حرسا ﴾ من الملائكة ﴿ شديدا ﴾ كثيرا ﴿ وشهبا ﴾ نجما مضيئا يدرهم عن الاستماع ﴿ وأنا كنا نقعد منها ﴾ من السماء ﴿ مقاعد للسمع ﴾ للاستماع قبل أن يبعث محمد ﷺ (فمن يستمع الآن) بعد ما بعث محمد ﷺ (يجد له شهاب) نجما مضيئا (رصدا) من الملائكة يدرهم عن الاستماع) تفسير ابن عباس سورة الجن . . . وكيف يكون التعبير في هذه الآية ﴿ وأنا لمسنا السماء . . . ﴾ مجازيا قصد منه الحيلولة وعدم التمكن من استراق السمع كما كان يدعى سابقا؟ كيف يكون كذلك وهذا تفسير ابن عباس حبر الأمة ومن بعده المفسرون يقول إن استراق الشياطين للسمع قبل الرسول ﷺ كان حقا واقعا ويؤكد هذا حديث البخاري ١٣٥/٤ (إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم) ومن غير الدكتور قال بهذا التفسير المنحرف؟!!

(١) ثبت ذلك في حديث رواه الطبراني والحاكم والبيهقي باسناد صحيح (صحيح الجامع ٨٥/٣).

( تفسير القادياني للجن ) :

لقد سبق أن أوردنا كلام القرطبي عن إنكار الفلاسفة وبعض أهل الاعتزال للجن وهذه فئة المنكرين قديماً أما فئة المنكرين حديثاً فمنهم الفلاسفة الماديون وطائفة القاديانية يقول محمد علي اللاهوري القادياني ( والمراد بالجن في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ طائفة من البشر اجتمعوا بالنبي ﷺ في الخفاء وليس المراد به نفوس لا يقع عليها البصر وقد جاءوا من الخارج وكانوا أجناب وغرباء ولذا سموا جنّاً) بيان القرآن ج ٣ ص ٦٧١١ (من كتاب القاديانية دراسة وتحليل للشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي مدير ندوة العلماء بالهند وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق .

وليس هذا الكلام في حاجة إلى تعليق ولكنني أزيده إيضاحاً ليعرف المسلمون مصادر الدكتور ومراجعته وليدركوا من أين يستقى؟ يقول من يسميه القاديانيون بمولاهم محمد علي اللاهوري في قوله تعالى ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفَكَ ﴾ ليس محمولاً على الحقيقة بل هو مبالغة في السرعة وقد كان بين العفريت والذي عنده علم من الكتاب مباراة فكان العفريت - وهو الرجل الذي يخوض في أمر يخبث وشده ويوصله إلى الكمال - ممثلاً للقوة البدنية وكان يحتاج إلى وقت أطول في إحضار هذا العرش، وكان صاحب العلم يستطيع أن يكمل مهمته في وقت قصير مع أنه لم يكن على جانب عظيم من القوة والمقصود ترجيح العلم على القوة) بيان القرآن ج ٣ ص ١٤١٦-١٤١٧ عن كتاب القاديانية للشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي .

وليرجع القارئ إلى تفسير الدكتور لسورة الجن ص ٩ وإلى تفسيره لسورة النمل ص ١٩ وليوازن بين ما نقلناه من تفسير محمد علي اللاهوري وما كتبه الدكتور.

«إنكار عموم رسالة الرسول ﷺ تبعاً لإنكار الجن» :

وإن من المؤسف حقاً أن يجحد الدكتور عموم رسالة الرسول ﷺ الإنس والجن، وأن يدافع بحرارة عن هذا الجحود وكأنه يدافع عن حق! يقول الدكتور: (وإذن بناء على جميع هذه الافتراضات وهي :

١ - أن عالم الجن مستقل خلق من نار كما خلقت الملائكة من نور وكما خلق الإنسان من طين .

٢ - وأن الجنَّ إختبر في طاعته وفي عبادته لحظة أن اختبرت الملائكة، واختبر آدم وحواء، أو بعد هذه اللحظة أو قبلها فظهر: أنه في حاجة إلى هداية إلهية كما اتضحت حاجة الإنسان إليها.

٣ - وأن الجن كلفوا باتباع رسالة من الله لهدايتهم، كما كلف بنو آدم باتباع رسالة الله يأتي بها رسل منهم. وإذن بناء على جميع هذه الافتراضات فإن الرسول الذي يحمل رسالة الله إليهم، هو منهم، وليس بغريب عن عالمهم أى ليس ملكاً ولا إنساناً، وبالتالي ليس هو محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام) ص ٢٤-٢٥ من تفسير سورة الجن.

أرأيت ما يسميه «بالافتراضات» وإلى النتيجة التي بناها عليها على (فرض) صحتها؟! يقول الله سبحانه ﴿قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا فآمنا به﴾ فيقول الدكتور لا ليس هذا موافقاً للمنطق اليونانى وبالتالي فلا بد من تأويله ولا بد من اعتبار كل خبر يؤكد تكليف الجن ويثبت وجودهم لا بد من اعتباره مجرد افتراض! وهل يصح من مسلم أن يعتقد مثل هذا؟!!

أصل البلاء: وأصل البلاء الذي تنطلق من ناحيته النكباء هو التفسير بالرأى، هو الاعتداد بالرأى مقابلاً للنصوص بل ومعارضاً لها. يقول ابن تيمية في كتابه (مقدمة في أصول التفسير): (أما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا عبد الأعلى عن سعيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» ص ١٠٥. ويقول في صفحة ١٠٨: (ولهذا تخرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به كما روى شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن أبي معمر قال: قال أبو بكر الصديق: «أى أرض تقلني وأى سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله ما لم أعلم».

ويقول الدكتور محمد حسين الذهبي: (وإذا أردنا أن نرجع الخطأ في التفسير بالرأى إلى دوافعه وأسبابه أمكننا أن نرد ذلك - في الغالب - إلى عاملين اثنين: العامل الأول أن يعتقد المفسر معنى من المعانى ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى الذي يعتقده. العامل الثانى أن يفسر القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب وذلك بدون نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به) الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن دوافعها ودفعها ص ١٨-١٩.

وضرب الدكتور الذهبي للعامل الأول أمثلة نختار منها اثنين :

١ - تفسير ابن عربي للآية ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتلاً﴾ يقول ما نصه واذكر ربك الذى هو أنت أى اعرف نفسك ولا تنسها فينسك الله (تفسير ابن عربي ١٦) (الاتجاهات ص ٢٠).

٢ - تفسير بعض المعتزلة لقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ (القيامة : ٢٢-٢٣) يقول (إلى) واحد الآلاء بمعنى النعم فيكون المعنى ناظرة نعمه ربها على التقديم والتأخير وذلك ليصرف الآية عن دلالتها على رؤية الله عز وجل فى الآخرة . (أمالى المرتضى ج ٢ ص ٢٨) (الاتجاهات ص ٢١) . وهكذا فعل الدكتور ولسنا فى حاجة إلى زيادة التنبيه إلى خطر هذا الاتجاه ويكفى ما تقدم فى مناقشة شطحات التفسير الموضوعي ولكنى اثبت هنا فتوى ابن تيمية فى عموم رسالة الرسول ﷺ الإنس والجن كما أوردها عمر سليمان الأشقر فى كتابه (عالم الجن والشياطين) يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٩/١٩) : (وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم أجمعين) يدل على ذلك تحدى القرآن الجن والإنس ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (الإسراء : ٨٨) . ثم ذكر النفر الذى استمع القرآن وآمن به ونزلت بشأنه سورة الجن وآية الأحقاف . وذكر رواية البخارى ومسلم لقصتهم . ص ٤٤-٤٥ من كتاب الأشقر . ولعل القارىء يعلم بما تحكم به الشريعة فى (إنكار الجن) ودونه فتاوى العلماء من أمثال النسفى فى تفسير سورة الجن ، وابن تيمية فى الفتاوى والشيخ أبوبكر الجزائري فى «عقيدة المؤمن» وغيرهم من العلماء ولعل القارىء يعلم أيضاً أن إنكار المغيبات هو الاتجاه الذى يدعمه ويعمل على نشره أعداء الإسلام فى الماضى وفى الحاضر . يقول عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي فى كتابه (الفرق بين الفرق) بعد أن ذكر جملة من دعاوى الباطنية الباطلة فى إبطال الشريعة (وقد قال القيرواني فى رسالته إلى سليمان بن الحسن : إني أوصيك بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة والزبور والانجيل وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع ، وإلى إبطال المعاد والنشور وإبطال الملائكة فى السماء ، وإبطال الجن فى الأرض ، وأوصيك بأن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم) ص ٢٩٦ . هذا فى القديم وأما فى الحديث فقد أوردت فيما سبق قول القاديانية فى تفسير مولاها محمد علي اللاهوري . وإليك ما يورده الدكتور عبد الوهاب ابراهيم أبوسليمان فى كتابه (منظمة الايجا محمد الأمريكية) يقول عن إيمان الإيجا محمد

بالملائكة (فإن الإيمان بالملائكة لا يتفق ومبادئه الدينية والفلسفية ويزيد هذا المعنى تأكيداً دعواه أن الرسول محمد بن عبد الله ﷺ تلقى القرآن مباشرة من الله) يقول الدكتور عبد الوهاب وفي هذا دلالة واضحة على إنكاره الإيمان بوجود الملائكة التي تنزل بالوحي من عند الله . ص ٧٢ من الكتاب .

وهل هناك منزلق أشد إهلاكا من هذا . وكل هذا أدى إليه الاعتداد بالرأي في التفسير .

أسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين . وصلى الله على عبده ورسوله الكريم محمد وعلى آله وصحبه .

### من أسباب النصر

خرج الصديق رضى الله عنه يمشى مودعاً جيش يزيد بن أبي سفيان ، وهو متوجه للفتح ، وكان مما أوصاه به :  
- لا تكثرن الكلام فإن بعضه ينسى بعضاً ، وأصلح نفسك يصلح الناس لك .  
- لا تجعل شرك مع علانيتك فيمزج عملك ، وإذا استشرت فأصدق الخبر تصدق لك المشورة ، ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك .  
- إذا قدمت عليك رسل عدوك فأكرم منزلتهم ، فإنه أول خيرك إليهم ، وأقلل حبسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت الذى تلى كلامهم .  
- إذا بلغك عن العدو عورة فاكتمها حتى تعانيتها ، واستر في عسكري الأخبار ، وأذك حرسك وأكثر مفاجأتهم في ليلك ونهارك ، واصدق اللقاء إذا لقيت ، ولا تجبن فيجبن من سواك ...

# آراء فقهية منحرفة والرد عليها

فجأة خرج الدكتور محمد سعاد جلال المؤلف المصري المعروف على الناس ببعض الآراء الفقهية الجديدة التي استطاعت أن تثير الآراء المعارضة بين فقهاء وعلماء الدين في مصر .. فقد ذهب الدكتور سعاد في حديث منشور بجريدة الأحرار ( لسان حزب الأحرار المعارض ) إلى أنه للمرأة أن تكشف عن وجهها ويديها وذراعيها أيضا ، كما ذهب إلى أن المبالغة في التحجب ليست من الإسلام وأن المكياج ليس محرماً على المرأة بين العامة وأن رجم الزاني ليس حكماً شرعياً .

يقول الدكتور جابر حمزة مسؤول الإعلام بالأزهر :

كانت المرأة في الجاهلية تظهر بلا حجاب ولا تتسم بالحشمة أو الوقار ، فلما جاء الإسلام صان المرأة وحفظ لها كرامتها ففرض الحجاب صيانة لها وحماية من العبث والاعتداء قال تعالى ( وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة ، وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ) .

فهذه الآية الكريمة تحدد لنا بوضوح لزوم المرأة بالمكث في بيتها وعدم الخروج إلا لضرورة ، كما نهت عن التبرج وإظهار الفتنة والزينة .. وقد نهى الله سبحانه وتعالى بالنص الصريح في القرآن على إظهار الفتنة وإبراز المفاتن ، وقد حرم الله ونهى عن أن تضرب برجلها على الأرض حتى لا يسمع الرجال الأجانب رنين خلخالها : ( ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ) ومن هنا نرى أن المرأة كلها عورة .. ولكن الإسلام دين الحياة أباح للمرأة أن تخرج للعمل عندما تدعو الضرورة لذلك فهي تبيع وتشترى وتتعلم وتشهد أمام القاضي ، كما أباح النظر إلى الوجه والكفين عند الخطبة ، ومن أجل الزواج - وهذا الاستثناء يدل على أن الأصل هو التحريم ، ويقول بعض العلماء بأن تغطية الوجه هو أكثر أجزاء الجسد اثاراً .

أما بالنسبة للمكياج : فلا يجوز للمرأة بحال من الأحوال أن تتزين لغير زوجها ومحارمها ( كالأب والعم والخال والابن والأخ ) .. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : ( أيما امرأة خرجت من بيتها متزينة متعطرة فمرت بقوم من الرجال وأصابهم عطرها فهي زانية .. زانية .. زانية وكل عين تنظر إليها زانية ) . وبالتالي يكون المكياج في الخارج وفي الشارع وفي الطرقات حراماً ومن أكبر الكبائر .. ثم أقول لهؤلاء الذين ينادون بالتحلل مخالفين رأي الدين بأنهم يتجاوزون حدود الله ، وليعلموا بأن عظمة الشعوب لا تظهر في تبرج نسائها وإنما تكمن عظمتها في التمسك بدينها والحفاظ على تقاليدها .

أما تدريس الجنس في المدارس والجامعات : فهو إقحام للشباب وغمس لهم في مجال الشهوة ، كما أن فيه إزالة للحياء الذي يجب أن يتحلى به المسلم والمسلمة ، وقد أمرنا الإسلام بغض البصر وعدم النظر إلى المرأة الأجنبية ، وحرّم ذلك حتى لا ينحرف الإنسان إلى اغراء الشيطان ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم الشباب ودفعهم إلى الزواج المبكر صيانة لهم عن ارتكاب المنكر أو الوقوع في الفاحشة فقال في الحديث الصحيح ( يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ) أي صيانة وحصانة - ثم أمرنا الشرع بطاعة الله ودعانا إلى الصلاة التي فرضها علينا والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .. وتدريس الجنس أمام المراهقين والمراهقات أمر خطير لم يرد في كتاب الله وسنة رسول الله ، والدعوة إلى تدريس ذلك مثلها كمثل المستجير من الرمضاء بالنار ، فهذه دعوة للإباحية والانحلال ، وهبوط إلى درك الحيوانية والبهيمية .

ويرد ( الشيخ عطية صقر ) على القول بأن رجم الزانى ليس حكماً شرعياً - قائلاً :

الزنى من أكبر الكبائر وأفحش الفواحش وأقبح القبائح لما فيه من معصية الله والخروج عن تعاليم الدين ، ولما فيه من انتهاك للحرّمات واختلاط للأنساب مما يتنافى مع المجتمع الطاهر السليم ، ولقد حرم الله الزنى ووضع له حداً رادعاً .. وقد قسم الإسلام الزانى إلى قسمين ( الزانى المحصن والزانى غير المحصن ) والمراد بالإحصان هو الزواج وما يترتب عليه ، فالزانى المحصن حده الرجم بالحجارة حتى الموت ، والزانى غير المحصن حده الجلد مائة جلدة والزانى المحصن حده الرجم بالحجارة حتى الموت كما ورد في السنة الصحيحة وجميع كتب الفقه .. أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزاً والغامدية أمام جمع من أصحابه ، وقدرت السيدة عائشة رضی الله



عنها أنها قالت : كان فيما نزل من القرآن : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله .. والله عزيز حكيم .. فهذه الآية نسخت تلاوة وبقيت حكما ، ولعل قائلًا يقول ( كان الأولى أن يأتى في القرآن حكم الزانى المحصن والمحصنة ) ، والرد على ذلك أن وقوع الزنى يكون من الشباب غير المتزوجين غالبا ، والحكم يكون على الكثير الغالب ، علما بأن حد الزنى لا يثبت بسهولة ، بل لابد لإثباته بشهود أربعة ( شهود عدل ) فضلا عن الشروط الأخرى الموجودة في كتب الفقه ..

ويقول الدكتور الحسينى أبو فرحة :

كلام الدكتور سعاد مغالطات ، فالنقاب حجاب شرعى لكنه ليس واجبا - أما ستر جميع البدن ما عدا الوجه والكفين فهذا واجب يحرم تركه .. والكلام عن كشف غير الوجه والكفين ، فهذه عند الضروريات وبين المحارم فقط وليس في مجال العمل فالإسلام يبيح العمل للمرأة بشرط أن تكون في زي إسلامى وبآداب الإسلام .  
- وللمرأة أن تتزين في بيتها لزوجها ، أما الخروج بالزينة خارج البيت وبين الرجال الأجانب فهذا يحرم شرعاً ، لأنها من مثيرات الفتنة ، وذلك التحريم ضرورة هامة لصيانة الأعراس .

وبالنسبة للدعوة لتدريس الجنس فإننى أقول إن الاثارة الجنسية حرام ، ولكن تدريس الأمور التى وردت في الفقه الإسلامى كوجوبات الغسل أو غيرها فهى جائزة بل وضرورة ويتعلمها الطالب في الأزهر من سن صغير .  
ويقول الدكتور ( جمال الدين محمود ) أمين المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية :

هذا الذي يثار رغم اختلافي معه ليس وقته الآن ، بل إننى اعتبره عندما يأتى من عالم كبير تميعاً لقضايا المسلمين والعالم الإسلامى في حاجة إلى وعى اكبر في كل ما يحيط العالم الإسلامى من مخاطر ونكبات مثل الذي يحدث في أفغانستان والعراق وإيران وفي أماكن أخرى كثيرة تهدد وحدة العالم الاسلامى ، وحمايته من المخاطر التى تتهدده هى القضية الكبرى التى يجب أن نقف عندها جميعا .

ويقول الدكتور ( الطيب النجار ) رئيس جامعة الأزهر :

لقد أفتى الدكتور ( سعاد ) فتوي باطلة ، فالمرأة لا يجوز لها أن تكشف إلا الكفين والوجه ، وهذا تطبيقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ترويه السيدة عائشة رضی الله عنها .. ( إذا بلغت المرأة المحيض لا يصح أن يري منها إلا هذا وذاك ) وأشار إلى الوجه والكفين والآية الكريمة تقول ( وليصربن بخرهن على جيوبهن ) وأما الأذرع والسيقان فهي عورة يجب أن تستر بالنسبة للمرأة .

وبالنسبة ( للمكياج ) يقول الدكتور الطيب النجار :

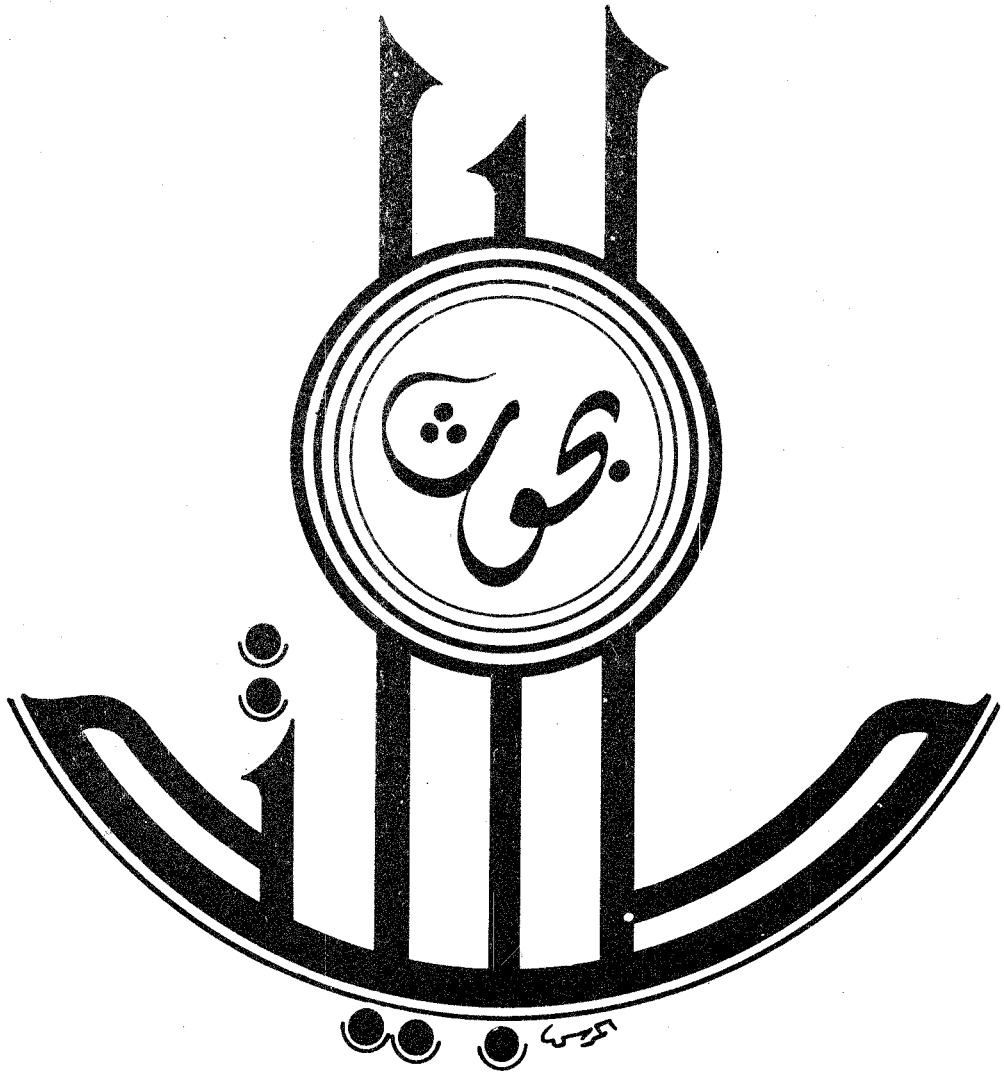
المكياج نوع من الزينة والله عز وجل قال ( ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن .. ) إلى آخر الآية الكريمة . وفي هذه الآية يذكر الله إنه لا تبدي الزينة إلا للمقربين للمرأة ( وهم الآباء والأبناء والإخوة والأخوات ) وهكذا .. أما من يحل له زواج المرأة وهم سائر الأجانب فيحرم إبداء الزينة لهم .

- وعن قول الدكتور ( محمد سعاد جلال ) إن رجم الزانى المحصن ليس حكماً شرعياً - يقول الدكتور الطيب النجار :

( هذا افتراء لا موضع له من الدين لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد رجم رجلاً يدعى ( ماعزا ) لأنه اعترف بجريمة الزنا ، وكذلك رجمت امرأة لأنها اعترفت بجريمة الزنا .. وهذا قاطع في أن الرجم بالنسبة للمرأة المحصنة والرجل المحصن حكم شرعى أوجبه الله ...

التحرير : عجباً لأئلك الذين ينتسبون إلى العلم ، ويتصدون للفتوى ، وهم علماء ضلال وسوء ، وهؤلاء هم الأئمة المضلون الذين خاف على أمتهم منهم - الذين اتخذوا إلههم هواهم ( أفراأت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ) ( الجاثية ) .

اللهم يامقلب القلوب تبث قلوبنا على دينك - واختم لنا بخاتمة إيمان .





# علوم الصيدلة في خدمته الربك

د. أبو الوفاء عبد الأضر  
صيدلى كيميائى

أود أن أقرر قاعدة علمية هى : خصائص المكونات لا تذوب في خليط الأطعمة والمشروبات ، ويظل النجس بحالته كما يظل الطاهر بحالته كذلك .  
وقد اطلعت على سؤال منشور بصحيفة الأهرام القاهرية الصادرة بتاريخ ١٩٨٢/١٢/١٧ م تحت عنوان : ما رأي الدين في الأطعمة والمشروبات التى تلحقها مواد محرمة ؟ ووجدت إجابته كما يلى : « إذا اضيفت بعض المواد المحرمة إلى المأكولات أو المشروبات أو العطور بشكل تذوب فيه خصائص هذه المادة المحرمة فإن الأشياء المضافة إليها هذه المادة تحتفظ بطهارتها وحلها ، بل إنها تحول النجاسة في المادة المحرمة إلى طهور على مذهب الإمام أبى حنيفة ، لأن التحول عنده وسيلة من وسائل التطهير . وعلى ذلك يحكم بطهارة الصابون إذا اضيفت إليه مادة غير طاهرة ، وكذلك السمن الصناعى ، وبعض أنواع الحلوي ، وكذلك الجبن المعقود بمادة محرمة ، أو العجين الذي يخمر بإضافة خميرة البيرة وما يشبهها ، والعطور التى يدخل فيها الكحول .. فإن التحول الذي يذيب خصائص الشئ المحرم يجعله طاهراً ، وكذلك الحال إذا تحولت الخمر إلى خل فيصير الخل حلالاً . هذا هو السؤال وهذا هو جوابه .  
وإنى أعرض قدرأ من المعلومات التى يمكن الاستئناس بها عندما نريد التعرف على رأي الدين فيما ورد من التساؤل ، وفيما يشابهه حيث يكون لعلوم المادة دور في الإيضاح .  
وياحبذا لو أن مثل هذه الأفضية والمشكلات ، شارك في دراستها مع علماء الدين - علماء الماديات من صيادلة وكيميائيين وغيرهم من أصحاب التخصصات المناسبة ، حتى يقوموا بوضع المعلومات العلمية أمام رجال الدين لمساعدتهم على إصدار الفتاوي والأحكام الشرعية في مثل هذه التساؤلات .

أولا : معلومات من علوم الكيمياء :-

عند إضافة المواد بعضها إلى بعض فإنها تخضع لواحدة من حالتين :-  
( ١ ) الخلط : وفيه تتداخل أجزاء مادة في مادة أخرى فيتكون : الخليط أو

المستحلب أو المحلول . الخ وتظل كل مادة محتفظة بصفاتنا الطبيعية ، والكيميائية ، وبآثارها داخل الجسم الإنسانى ، كما أنها تمر داخل الجسم بعمليات التمثيل الغذائى كما لو كانت غير مختلطة بغيرها من المواد . وذلك بصرف النظر عما يصبح عليه الخليط من صفات طبيعية مشتركة - لوناً أو طعماً أو رائحةً أو مذاقاً .. الخ . هى محصلة الصفات الطبيعية للمكونات نفسها . والأمثلة على ذلك : خليط الملح والسكر ، خليط شحم الخنزير ، ودهن البقر ، خليط الكحول والزيوت العطرية ، خليط الدقيق وشحم الخنزير . فلا تحول يحدث لهذه المواد فى الخليط ، ولا تذوب خصائصها ويظل النجس بحالته والظاهر بحالته ، ويظل الحرام بحالته ، والحلال بحالته .

أما إذا كان المعنى المقصود بالتحول وذوبان الصفات هو ما يطرأ على المادة النجسة من تغيير فى صفاته الطبيعية من لون وطعم ورائحة وقوام عند إضافتها إلى مواد أخرى أو إضافة مواد إليها ، فإن ذلك يؤدي إلى تعطيل أوامر التحريم وأحكام النجاسة ، ويفتح الباب على مصراعيه أمام استعمال المواد النجسة أو الحرام ولو فى خليط تكون فيه المواد النجسة أكثر من المواد الطاهرة ، فما من مادة تخلط بمادة أخرى إلا ويطرأ على كلا المادتين تغييرات فى الصفات الطبيعية تجعلها مختلفة عن المادة الأصلية المنفردة . فشحم الخنزير يختلف عن شحم الخنزير مخلوطاً بشحوم أخرى ، كما أن شحم الخنزير بمفرده يختلف عن شحم الخنزير إذا أضيفت إليه مواد مكسبة للطعم أو الرائحة أو اللون . ومن السهل تغيير الصفات الطبيعية للحم الخنزير به وإخفاء لحم الخنزير تماماً وذلك بفرمه وخلطه بأطعمة ومواد أخرى وبلحوم أخرى وتقديمه باسم ( لحم الخنزير ) أو تحت أى اسم آخر معروف أنه لطعام يحتوى على لحم الخنزير فلو أننا أخذنا بالمعنى السابق للتحول وذوبان الصفات ، لجاز للمسلمين أن

يأكلوا لحم الخنزير ، وشحم الخنزير ، وكل حرام بهذه الحالات المقنعة ، ولما بقى عليهم محرماً إلا لحم الخنزير أو شحم الخنزير أو الميتة بحالته المنفردة ، وهى حالة يمكن الاستغناء عنها ، وبهذا يتعطل تحريم أكل النجاسات والمحرمات ، ويصبح أكلها ممكناً ومباحاً بهذه الصور المقنعة باسم التحول وإذابة الصفات بالمفهوم المطلق المذكور سابقاً .

( ٢ ) التفاعل : وفيه تتفاعل المواد مع بعضها تفاعلاً كيميائياً مما يترتب عليه تحول هذه المواد ، وتكوين مواد أخرى لها صفات تختلف بدرجات متفاوتة عن المواد الأصلية . وفى هذه الحالة تذوب خصائص المكونات الأصلية ، والأمثلة على ذلك : تفاعل المعادن والقلويات مع الأحماض لتكوين الأملاح ، وتحول المادة إلى مادة أخرى تختلف عنها فى الصفات كتحول ( الكحول إلى خل ) . وفى ( الكيمياء العضوية ) نجد تحضير المواد بعضها من بعض يكون عن طريق التحويل ، إما بتحويل جزيئات المادة إلى جزيئات أكبر لتكوين مادة

جديدة وذلك عن طريق ما يعرف ( بالتشديد الكيميائي ) أو العكس وذلك عن طريق ما يعرف ( بالتحليل ) إلى غير ذلك من طرق التحويل المعروفة في علوم الكيمياء العضوية .  
ثانياً : معلومات في الصناعة والإنتاج :

وفي مجال الصناعة والإنتاج ، ومن خلال المنظور الإسلامي ، نجد تجهيز الأطعمة والمشروبات وما يستعمله الإنسان في معاشه ، يخضع لواحدة من الحالات التالية :  
( ١ ) - تجهيزات تبدأ بمواد حلال وتنتهي بمواد حلال : والأمثلة على ذلك :

- ١ - تحويل ( عصير العنب ) غير المتخمر إلى شراب العنب ( الطلاء ) الخالي من الحرام .
- ٢ - تحويل ( عصير القصب ) إلى العسل الأسود ، أو سكر القصب .
- ٣ - تحويل ( اللبن ) بواسطة ( الأنفحة ) ( ١ ) الحلال إلى ( الجبن ) .
- ٤ - تحويل ( العجين ) بواسطة ( الخميرة ) التي هي مجرد نباتات فطرية إلى ( خبز ) .

( ٢ ) تجهيزات تبدأ بمواد حلال وتنتهي بمواد حرام : كما هو الحال في عمليات ( التخمير الكحولي ) التي تبدأ بالأطعمة الحلال والمشروبات الحلال ، وتنتهي بالمشروبات الحرام ( الخمر ) .

( ٣ ) تجهيزات تبدأ بمواد حرام وتنتهي بمواد حلال : كما هو حاصل في تحويل ( الخمر ) إلى ( خل ) وتحويل ( عصير العنب ) إلى ( شراب العنب ) الخالي من الخمر .  
( ٤ ) تجهيزات تبدأ بمواد حرام وتنتهي بمواد حرام : كتقطير ( الخمر ) الأقل قوة للحصول على ( الخمر ) الأكثر قوة .

( ٥ ) تجهيزات تبدأ بمواد حلال ومواد حرام وتنتهي بهما معا : والأمثلة على ذلك :

- ١ - تجهيز بعض أنواع السمن الصناعي ، بإضافة دهن البقر ( الحلال ) إلى شحم الخنزير ( الحرام ) .
- ٢ - تجهيز بعض أنواع الحلوي والفطائر وذلك باستخدام المواد الحلال كالدهن البقر والسكر مع شحم الخنزير الحرام .

(١) (الأنفحة) تخضرم (بطانة معدة) الحيوانات كالعجل أو الجمل أو الجدي وذلك بنقعها في الماء الذي يستخلص (مادة تدويب اللبن) وهي خميرة (Enzyme) تسمى (رينين) (Rannin) كما توجد هذه المادة في بعض النباتات غير الخميرة أنزيمات تسمى (زيميزين) (Zymases) وتوجد في بعض الخمائر (Yeasts) وهي من الفطريات (Fungr) ومنها تتكون (خميرة الخبز) المعروض في الأسواق وكذلك (مسحوق الخميرة) المحتوي على النشا والخميرة .

٥ - عصائر الفواكه ( الحلال ) يضاف إليها ( الخمر ) الحرام ، لتجهيز خليط منهما .  
٦ - تجهيزات تبدأ بمواد حرام ومواد حلال وتنتهى بمواد حلال : كما يحدث في صناعة بعض المواد الطبية ، حيث يستخدم ( الكحول ) الحرام لاستخلاص المواد الفعالة من النباتات الطبية ، ثم يطرد ( الكحول ) تماما من الخليط للحصول على ( خلاصة جافة ) أو ( مواد فعالة ) خالية من الكحول .

ومما سبق ذكره من حالات التجهيزات الست ننتهى إلى ما يلى :

الحالة الأولى : تجهيزاتها حلال ، وهى تمثل الجزء الأكبر من التجهيزات الست .

الحالة الثانية : تجهيزاتها حرام .

الحالة الثالثة : تحكمتنا فيها أحاديث صحيحة وآثار صحيحة :

فمن الأحاديث الصحيحة : عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر : أتتخذ خلا ؟ قال : ( لا ) أخرجه مسلم والترمذي وهذا الحديث رواه أيضا أحمد وأبو داود .

ومن الآثار الصحيحة والتي تعتبر أثارا مطلقا : جاء رجل إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، فسأله عن العصير ؟ فقال : اشربه ما كان طريا . قال : إنى أطبخه وفي نفسى منه شئ ؟ قال : أكنت شاربه قبل أن يطبخ ؟ قال : لا ، قال : فإن النار لا تحل شيئا قد حُرِّمَ .

الحالة الرابعة : تجهيزاتها حرام .

الحالة الخامسة : تجهيزاتها حرام حيث أن المواد الحرام تظل كما هى محتفظة بخواصها دون تحول ، كما لا تذوب خصائصها وتظل نجاستها قائمة .

الحالة السادسة : تجهيزاتها بها شبهة ، ويمكن قياسها على الحالة الثالثة .

ثالثا : العلوم المادية من المنظور الإسلامى :

يوجد بالقرآن الكريم وبالأحاديث النبوية والآثار ، كثير من اللطائف والدقائق والحقائق والتوجيهات العلمية التى يجب البحث عنها والوقوف عليها والاستفادة منها والعمل بها وتطبيقها على أمور الحياة ومتطلباتها . ولقد وضحت الحقائق لسلفنا الصالح من فقهاء الأمة الإسلامية وعلمائها الذين عنوا بأمور الأبدان ومطالب العيش كالإمام ابن القيم رحمه الله وغيره ، وذلك لاستنارتهم بنور الإيمان وهدي النبوة . وفيما يلى نعرض بعض الأمثلة لنبيين أسلوب البحث والاستنباط الذى يمكن به الحصول - من القرآن الكريم والسنة المشرفة - على الفوائد في مجال علوم المادة وفي مجال الصناعة والإنتاج .



- ٣ - الفطائر المضاف إليها ( الخمر ) والشكولاته المحشوة ( بالخمير ) .  
 ٤ - الزيوت العطرية الحلال المخلوطة ( بالكحول ) روح الخمر النجس ، وذلك لتجهيز بعض مستحضرات التجميل ومن أشهرها ما يسمى ( بالكلونيا ) .

### مثال : ( الخل ) :

( ١ ) لقد وردت الأحاديث الصحيحة التي تحرم اتخاذ الخل من الخمر، ومنها الحديث السابق ذكره .

( ٢ ) وردت أحاديث صحيحة تفيد بأن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يأكل الخل ويقول عنه : ( نعم الإدام الخل ) .

وبالنظر إلى هذه الأحاديث نرى أننا كمسلمين أمام « أسلوب إنتاج حرام » وهو تحويل ( الخمر الحرام إلى خل ) ، كما أننا أمام إنتاج حلال وهو ( الخل ) الذي يأكله الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته رضی الله عنهم . فإذا كان تحليل ( الخمر ) حراماً ، فمن أين يكون ( الخل ) الحلال ؟ وبالدراسة المتكاملة للأحاديث وبفقهها يجيء الجواب الذي ينبى عليه العمل الحلال كالاتى :

( ١ ) إن الخل الحلال تكون صناعته من ( عصير العنب ) الطازج غير المتخمّر والذي يكون حلالاً ، وذلك كنقطة ابتداء في الصناعة ، ليمر بمراحل التحول وينتهى إلى ( الخل ) الذي يكون ( خللاً ) حلالاً .

( ٢ ) ما بين نقطة البدء بالخامات الطاهرة الحلال ، ونقطة النهاية الحلال بإنتاج المواد الطاهرة والمطلوبة من عملية التصنيع ، تمر الخامات بمراحل تحول مختلفة قد تتولد أحيانا عنها مواد نجسة مرحلية لا يكون لها وجود في المادة المنتجة في نهاية التصنيع ، كما أنها لا تكون مقصودة في الصناعة ، كما يحدث لعصير العنب ( الحلال ) عند صناعة ( الخل ) الحلال . فهو يمر بمراحل التخمير وتكوين الخمر ، قبل أن يصل إلى الإنتاج النهائى المطلوب وهو ( الخل ) .

ومفاد ذلك أن النواتج المرحلية بين البدء الحلال ، والنهائية الحلال ، حتى ولو كانت حراماً ، فلا ينظر إلى حكمها الشرعى ، وتترك لتسير في دورتها الإنتاجية لتعطى الحلال من الأشياء .

ومن هذا الذي ذكرناه على ضوء فقه الأحاديث التي استعرضناها نخرج بالقواعد

الصناعية التالية :

- ( ١ ) إذا أردنا إنتاج شيء حلال فعلياً أن نبدأ بالخامات الحلال الطاهرة .

( ٢ ) أن يكون الإنتاج النهائى خالياً من كل محرم .

( ٣ ) موقفنا من الحلال والحرام في الصناعة يكون حال نقطة البداية ، كما يكون حال نقطة النهاية ، أي حال الحصول على الشيء المطلوب ، وما يجري بين البداية والحلال والنهاية الحلال من تحول وتغيير يطرأ على الخامات الطاهرة . يكون في حكم ( الإكراه الصناعى ) الذي لا نرغب فيه . ولا دخل لنا فيه .

رابعاً : أقيسة يجب الاستئناس فيها برأى علماء المادة المسلمين :

هناك حالات من القياس الفقهي تحتاج إلى معرفة قدر من المعلومات الواردة في علوم المادة ، كعلوم الكيمياء والصيدلة والطب .. الخ . ولهذا فمن الصواب أن يستأنس رجال الدين برأى علماء المادة المسلمين في مثل هذه الأقيسة عند إصدار الفتاوى والأحكام الشرعية . فعلماء المادة هم المتخصصون في دراسة صفات المواد ، واحتياج الإنسان إليها طعاماً وشراباً وعلاجاً ، وهم الدارسون لطرق تجهيزها وصور استعمالها وأغراضها ، إلى آخر هذه الدراسات المادية . فالتعاون إذن واجب بين الفقهاء وعلماء المادة وتضافر الجهود بينهم فيه الصواب والخير للأمة الإسلامية .

والقول - مثلاً - بأن التحول يذيب خصائص الشيء المحرم ليصبح طاهراً وحلالاً يحتاج إلى رأي علماء المادة لمعرفة طبيعة التحول في المواد وطرقها وأنواعها .. الخ .  
والقول - مثلاً - بأن المائعات النجسة التي تضاف إلى الأدوية والروائح العطرية لإصلاحها يعفى عن القدر الذي به الإصلاح قياساً على ( الأنفحة ) المصلحة ( للجبين ) هو قول يحتاج إلى مراجعة على ضوء المعارف العلمية كالاتى :

معروف أن ( الأنفحة ) تأتي من حيوانات مأكول لحمها بعد تذكيته الشرعية وهى جزء من أجزاء الحيوان ( كالمرارة ) وبقياس طهارتها على طهارة مرارة الحيوان ، تكون طاهرة ، وهى جزء من الحيوان المذكى تابع له في طهارته ( والجبين ) في تجهيزه إنما يصلح بهذه ( الأنفحة ) الطاهرة التي تضاف إلى ( الجبن ) الطاهر الحلال . إذن فالعفو عن المائعات النجسة التي تضاف إلى الأدوية وإلى الروائح العطرية ( كالكحول ) مثلاً - بالقدر الذي يلزم لإصلاحها ، قياساً على ( الأنفحة ) المصلحة ( للجبين ) قياس غير صحيح على ضوء المعارف ( العلمية ) ، ويكون استخدام هذه المائعات هو استخدام لنجاسات مغلظة ما لم تكن هناك ضرورة يبينها ويحددها علماء المادة من المسلمين المشهود لهم بالعلم والصلاح .

خامساً : درجة الحرمة والنجاسة للخمر ولحم الخنزير :

الخمر : هى أم الكبائر ، وهى نجسة لذاتها كما قرر الفقهاء . وهى الرجس . وهى داء وليست دواء . ولقد وردت فيها نصوص القرآن الكريم ( بالاجتناب ) الذي هو أشمل من

تحريم تعاطيها ، كما وردت في تحريمها والتنفير من استعمالها ولو بقصد التداوي عشرات الأحاديث الصحيحة .

وهي نجسة نجاسة مغلظة ، حتى أن ( الأحناف ) قالوا : بنجاسة سؤر شارب الخمر إذا شرب من الماء عقب شرب الخمر مباشرة . فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للماء الذي مصدره سؤر شارب الخمر ، فناهيك عن الخمر نفسه نجاسة ورجسا ، وناهيك عن نجاسة ( الكحول ) الذي هو المادة الأساسية في الخمر ، والذي أصبحت تسمى باسمه الخمور ( مشروبات كحولية ) وهو الذي عمت البلوي باستعماله على شكل مستحضرات للتطيب والتزين ، ومنها المستحضر المعروف في الصيدلة ( بماء الكولونيا ) وهو في الحقيقة ( خمر معطر ) نجس لوجود الكحول النجس كمادة أساسية فيه ، بل هو المادة الغالبة بالمستحضر .

**لحم الخنزير :** والمراد لحمه وعظمه ودهنه كما قرر الفقهاء ، فهو أيضا حرام بنص آيات القرآن الكريم ، وهو نجس ، بل إن الخنزير كله نجس لذاته نجاسة عينية ، ولعابه نجس وإذا سقط في الماء نجسه . بل إنه إذا سقط في بئر ، نجس ماء البئر ووجب نزع البئر ليصبح ماؤها طاهراً . فإذا أضيف شحم الخنزير إلى شحوم حيوانات أخرى كشحم البقر الحلال لصناعة بعض أنواع المسلى الصناعي فإن الخليط منهما يكون نجسا وحراما لوجود شحم الخنزير في هذا الخليط دون تحول ، خلافا لما يظن بعضهم ويقولون : بتحوله وذوبان خواصه في الخليط يصبح طاهراً رغم وجود المواد النجسة فيه .

وبعد ... فهذا ما رأيت من الواجب بيانه وعرضه ... وبالله التوفيق ...



## معنى العلاقة بالله

المراد بعلاقة الانسان بالله ، على حسب بيان القرآن الكريم ، أن تكون حياته ومماته وصلاته ونُسكُهُ لله تعالى وحده ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وأن يعبده مخلصاً له الدين حنيفاً .

وقد شرح النبي ﷺ في عدة من أقواله هذه العلاقة بين العبد وربه بحيث لم يترك غباراً على مفهومها ، فإذا تتبعنا أقواله ، عليه الصلاة والسلام ، علمنا أن معنى العلاقة بالله : «خشية الله في السر والعلانية» و«أن تكون بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك» . و«أن تلتمس رضا الله بسخط الناس» خلافاً لأن تلتمس رضا الناس بسخط الله . ثم ان هذه العلاقة إذا توثقت حتى يكون حب الانسان وعداوته ومنعه وعطاؤه كله لله وحده دون أن تشوبه شائبة من رغبته أو نفرتة النفسانية ، فمعنى ذلك أنه قد استكمل علاقته بالله «من أحب لله وأعطي الله ومنع الله فقد استكمل الايمان» .

ثم عليكم أن تستحضروا في كل وقت من أوقاتكم دعاءكم الذي تدعون به كل ليلة في آخر ركعة من صلاتكم الوتر ، أفلا تقولون : « اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثنى عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك . اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد . وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق » عليكم أن تتدبروا كلمات هذا الدعاء وتروا أي علاقة تقرون بإبرامها بينكم وبين الله في كل ليلة من لياليكم .

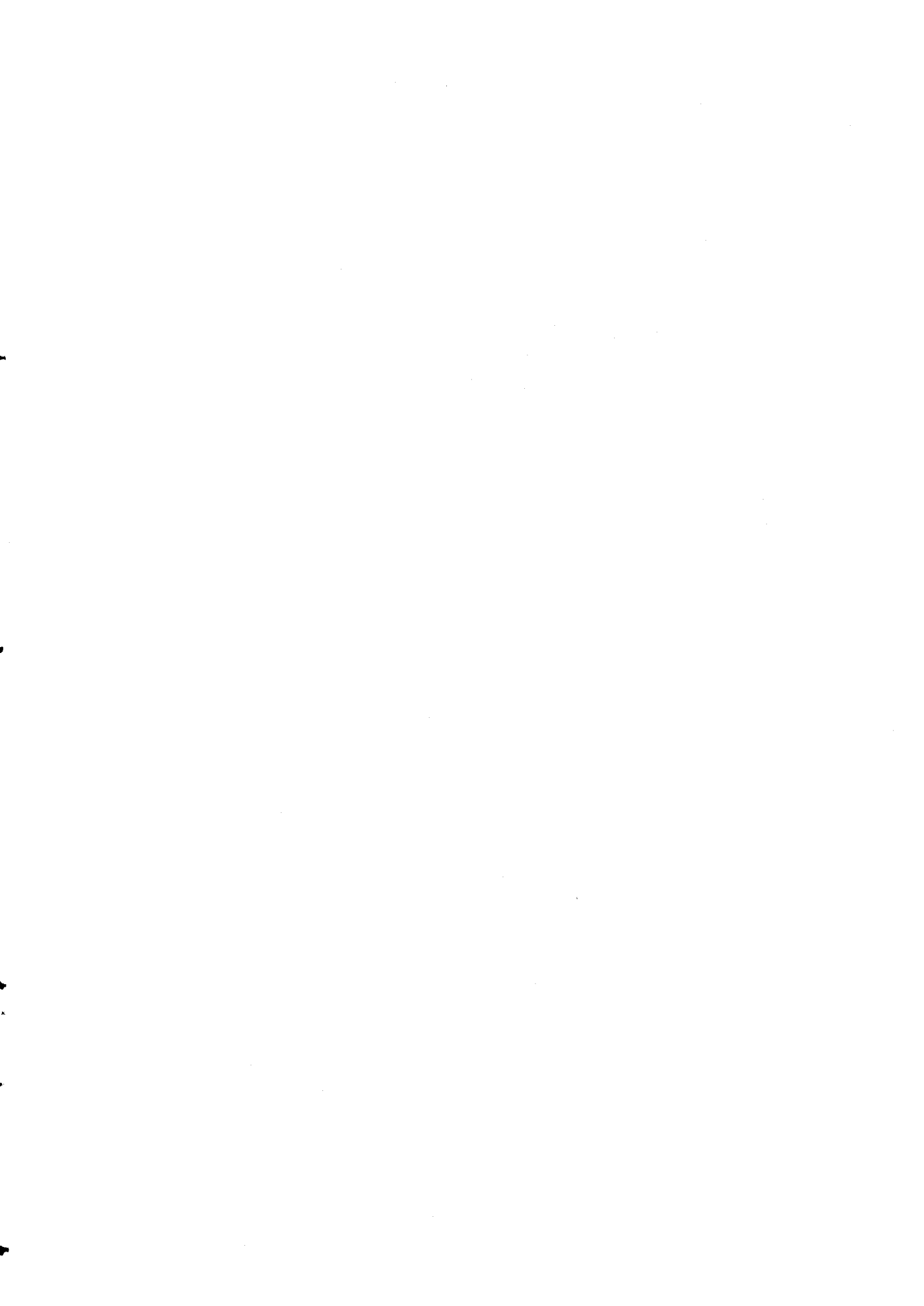
وقد انعكست صورة هذه العلاقة أيضاً في ذلك الدعاء الذي كان يدعو به النبي الكريم ﷺ إذا قام يصلي بالليل . فكان عليه الصلاة والسلام يقول في هذا الدعاء مخاطباً ربه جل وعلا : « اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاکمت » .

« أبو الأعلى المودودي »

==X=X=X=X=X=X=X=X=X=X=X==

بَابُ

الْفَقْدَانِ



# هُكْمُ إِزْهَادِ عَلَى الْمُلُوكِ وَالرَّعْمَاءِ

لسماعة السنجي جبر العزير بن باز  
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء  
والدعوة والإرشاد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وأصحابه ومن اهتدى  
بهداه أما بعد : -

فقد جرت عادة الكثير من الدول الإسلامية في هذا العصر بالأمر بالإحدااء على من  
يموت من الملوك والزعماء لمدة ثلاثة أيام أو أقل أو أكثر مع تعطيل الدوائر الحكومية وتنكيس  
الأعلام .

ولاشك أن هذا العمل مخالف للشريعة المحمدية وفيه تشبه بأعداء الإسلام . وقد  
جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عن الإحدااء وتحذر منه  
إلا في حق الزوجة فإنها تحد على زوجها أربعة أشهر وعشراً كما جاءت الرخصة عنه صلى الله  
عليه وسلم للمرأة خاصة أن تحد على قريبها ثلاثة أيام فأقل . أما ما سوى ذلك من الإحدااء  
فهو ممنوع شرعاً وليس في الشريعة الكاملة ما يجيزه على ملك أو زعيم أو غيرهما .

وقد مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم وبناته الثلاث وأعيان  
آخرون فلم يحد عليهم عليه الصلاة والسلام . وقتل في زمانه أمراء جيش مؤته زيد بن حارثة  
وجعفر بن أبي وعبد الله بن رواحه رضى الله عنهم . فلم يحد عليهم . ثم توفي النبي صلى  
الله عليه وسلم وهو أشرف الخلق وأفضل الأنبياء وسيد ولد آدم . والمصيبة بموته أعظم  
المصائب ، ولم يحد عليه الصحابة رضى الله عنهم . ثم مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه  
وهو أفضل الصحابة وأشرف الخلق بعد الأنبياء فلم يحدوا عليه . ثم قتل عمر وعثمان وعلى  
رضى الله عنهم . وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء ، وبعد أبي بكر الصديق . فلم يحدوا عليهم  
وهكذا مات الصحابة جميعاً ، فلم يحد عليهم التابعون . وهكذا مات أئمة الإسلام وأئمة الهدى  
من علماء التابعين ومن بعدهم كسعيد بن المسيب ، وعلى بن الحسين زين العابدين ، وابنه

محمد بن علي ، وعمر بن عبد العزيز ، والزهري ، والإمام أبي حنيفة ، وصاحبيه ، والإمام مالك بن أنس ، والأوزاعي ، والثوري ، والإمام الشافعي ، والإمام أحمد بن حنبل ، وإسحاق ابن راهوية ، وغيرهم من أئمة العلم والهدى فلم يحد عليهم المسلمون . ولو كان خيراً لكان السلف الصالح إليه أسبق والخير كله في اتباعهم والشر كله في مخالفتهم .

وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أسلفنا ذكرها على أن ما فعله سلفنا الصالح من ترك الإحداذ على غير الأزواج هو الحق والصواب . وأن ما يفعله الناس اليوم من الإحداذ على الملوك والزمعاء أمر مخالف للشريعة المطهرة مع ما يترتب عليه من الأضرار الكثيرة وتعطيل المصالح والتشبه بأعداء الإسلام .

وبذلك يعلم بأن الواجب على قادة المسلمين وأعيانهم ترك هذا الإحداذ والسير على نهج سلفنا الصالح من الصحابة ومن سلك سبيلهم ، والواجب على أهل العلم تنبيه الناس على ذلك وإعلامهم به أداءً لواجب النصيحة ، وتعاوناً على البر والتقوى . ولما أوجب الله سبحانه من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم رأيت تحرير هذه الكلمة الموجزة .

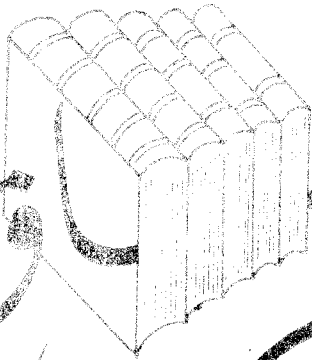
وأسأل الله عز وجل أن يوفق قادة المسلمين وعامتهم لكل ما فيه رضاه والتمسك بشريعته والحذر مما خالفها ، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعاً إنه سميع الدعاء قريب الإجابة .

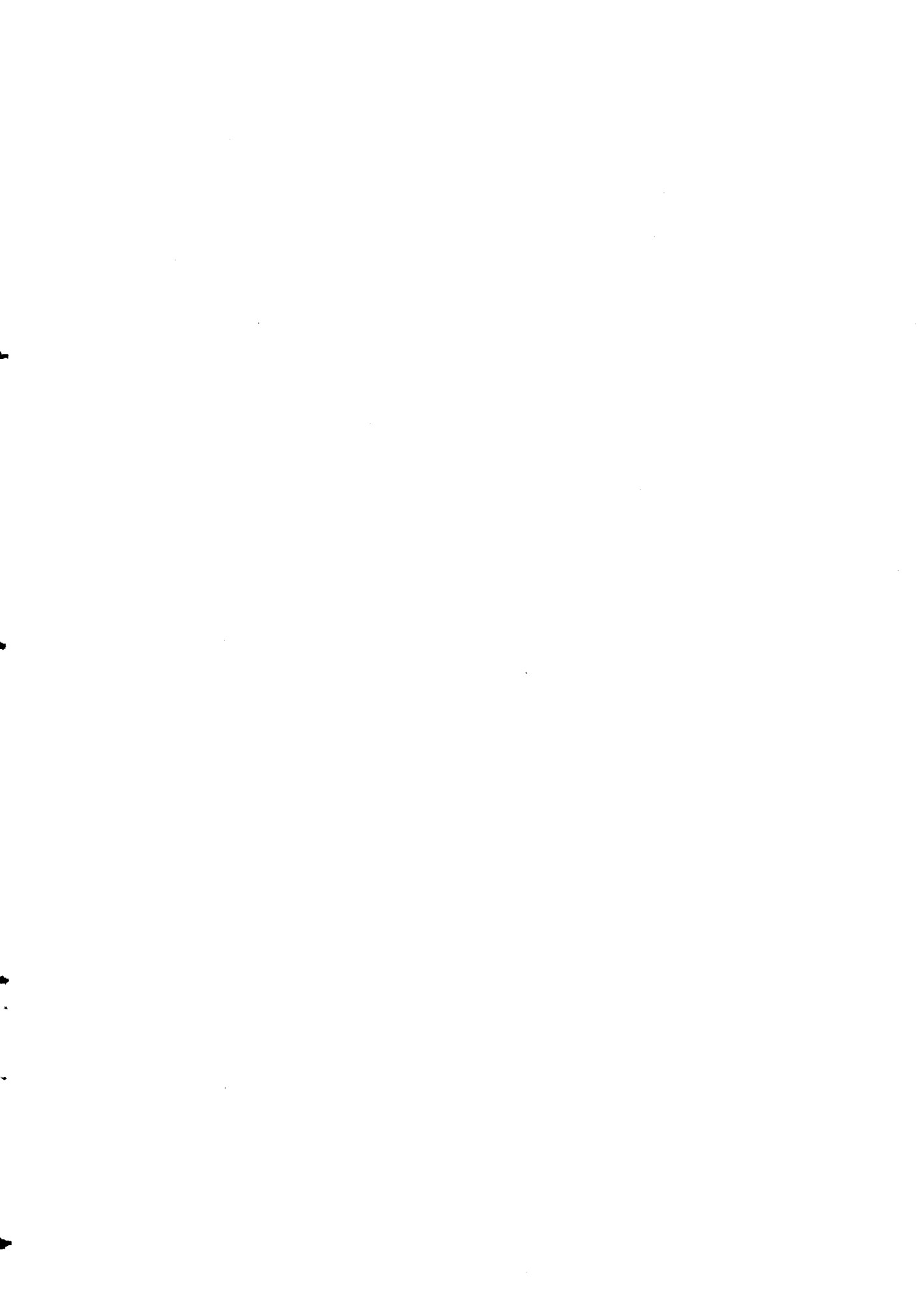
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه ...





مِنْ مِثْلِ  
الْكَتَابِ

A stack of several books, drawn in a simple, sketchy style, positioned behind the main title.



# كتاب عنوانه : المسلمون في الاتحاد السوفيتي

كتاب عنوانه :

( المسلمون في الاتحاد السوفيتي )

ألفه فضيلة الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الأستاذ : محمد صفوت السقا ، شمل حقائق هامة عن المسلمين في الاتحاد السوفيتي يهم كل مسلم معرفتها ، ليقف على وضع المسلمين وما يلاقون من عنت في تلك الديار ، وليفكر في الوسائل التي يمكن أن ينقذ بها هؤلاء الإخوة المستضعفين .  
وقد صدر الكتاب المذكور ضمن مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ، ويقع في ٩٤ صفحة بالحجم المتوسط .  
ومن الحقائق التي شملها هذا الكتاب ما يأتي :

نظرة واحدة إلى الواقع في جميع أبعاده . على خريطة الجمهوريات الست المسلمة بين جمهوريات الاتحاد السوفيتي تؤكد ما نريده في عرضنا هذا : -  
ففي عام ١٩٣٩ كان مجموع الجمهوريات الست ( ١٩٠٠٠٠٠٠٠ ) نسمة كان بينهم حوالي ( ١٤٠٠٠٠٠٠ ) مسلم ، و ( ٥٠٠٠٠٠٠ ) من غير المسلمين . وفي عام ١٩٧١ صار عدد سكان الجمهوريات الست ( ٣٨٠٠٠٠٠٠ ) نسمة ، من بينهم ( ٢٦٠٠٠٠٠٠ ) مسلم ، و ( ١٢٠٠٠٠٠٠ ) من غير المسلمين ، فإذا اعتبرنا زيادة غير المسلمين الطبيعية يكون عدد من هاجر إلى الأراضي الإسلامية بين عام ( ١٩٣٩ - ١٩٧١ ) هو ( ٥٠٠٠٠٠٠ ) شخصاً مع أولادهم وأسره ، وهذا رقم هائل ، ويعطينا نظرة مبسطة عن محنة المسلمين في تلك المناطق ، ولولا ازديادهم الطبيعي لصاروا أقليات ضئيلة في أكثر من جمهورية ، بل في شتى الجمهوريات ، وتعمل الشيوعية جاهدة على إزكاء النعرة القومية . فجريدة ( البرافدا ) تطبع باللغات المحلية لكل جمهورية وتوزع . كما أن التدريس باللغة الروسية واللغات القومية ، إلا العربية ، فمحاربتها تأتي بهذا الطريق ولا يعرف الجيل الجديد تلك اللغة باستثناء أعداد ضئيلة منهم تقدر بالمئات .

والتشكيلات الإدارية للشؤون الإسلامية في الاتحاد السوفيتي تعتبر هذا التنظيم تنظيمًا شعبيًا ، وهذا التنظيم مرتبط إداريًا بوزارة الأديان ( ومقرها موسكو ) ويمثل هذا التنظيم سماحة المفتي الشيخ ضياء الدين بابا خانوف ، أما باقي المفتين فيمثلهم مفوض من مجلس السوفيات وفي كل جمهورية ، وممثل عن وزارة الأديان ، كما أن هناك ممثلًا مقيمًا في موسكو هو الأستاذ الحاج أكبر أعظم وهو الذي يقوم باستقبال المسلمين من غير الاتحاد السوفيتي . وهو من أبناء تركستان ، وتوجد الآن أربع إدارات للمسلمين في الاتحاد السوفيتي ، وإحدى الإدارات الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وفازخستان ومركزها ( طاشقند ) ويرأسها المفتي ( ضياء الدين بابا خانوف ) وتضم الجمهوريات التالية : -

١ - أوزبكستان وعاصمتها ( طشقند ) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالي ١١ مليون نسمة .

٢ - تاجكستان وعاصمتها ( دوشاشة ) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالي ٥ ملايين نسمة .

٣ - قيرغويستان وعاصمتها ( مورترزة ) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالي ٥ ملايين .

٤ - تركستان وعاصمتها ( تشخيظ ) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالي ٥ ملايين .

٥ - قازقستان وعاصمتها ( المائتا ) ويقدر عدد المسلمين فيها بحوالي ١٢ مليوناً .

ويتولى الشؤون الدينية في كل منها القاضي ، وهو مسؤول أمام المفتي ، ويوجد في هذه الإدارة نائب للمفتي .

ويرى المؤلف في كتابه الممتاز حقيقة - والذي يجب أن يدرسه كل من يحاول أن يكتب عن الاقليات المسلمة في الاتحاد السوفيتي كوثيقة يعتمد عليها . إن من المهم بذل المزيد من الاهتمام بهؤلاء الإخوة الخاضعين لنظام الحكم الشيوعي ، وقد يكون مفيداً بادئ ذي بدء إلى الاهتمام بالأمر التالي : -

١ - عدم تجاهل مسلمي الاتحاد السوفيتي في سائر المؤتمرات الإسلامية .

٢ - اختيار عضو منهم لتمثيلهم في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي .

٣ - إعطاؤهم منحة جامعية في المملكة العربية السعودية وبقية البلدان العربية والإسلامية .

٤ - تشجيعهم على نشر التراث الإسلامي بكل الوسائل الممكنة ..

- ٥ - مدهم بإعداد وفيرة من مصاحف القرآن الكريم .
- ٦ - تزويدهم بكتب السيرة النبوية ومختلف الكتب الامهات للمذهب الحنفى .
- ٧ - تبادل الزيارات بينهم وبين مسلمى البلاد العربية والإسلامية ..
- ٨ - تزويدهم بالدوريات الإسلامية من بينها على سبيل المثال لا الحصر مجلة التضامن الإسلامى - مجلة رسالة المسجد - مجلة الدعوة ، مجلة الأمة القطرية ، مجلة ( المسلمون ) مجلة الجامعة الإسلامية ..
- ٩ - استضافة وفد سنوي من علماء مسلمى الاتحاد لتأدية فريضة الحج المقدسة .

( التحرير )

## من خصائص الصيام في شهر رمضان

من خصائص الصيام : أن للصائم فيه فرحتين ( فرحة عند الافطار ) لازالة الجوع واتمام العبادة .. ( وفرحة يوم القيامة ) .. رجاء ثواب الله تعالى ...

ومنها أن الاخلاص في الصيام يغفر الذنوب . فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان ايماناً واحتساباً . غفر له ما تقدم من ذنبه )

( رواه البخارى ) .

ومنها أنه شهر التقوى والرحمة : جاء في الحديث الشريف : « اذا جاء رمضان فتحت ابواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين » . وفي رواية للإمام مسلم : « فتحت ابواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين » .

## فوائد عسل النحل

..يقدم نحل العسل خدمات جليلة للإنسان حيث يضع الشهد ..  
الذي يعتبر من أجود وأشهى الأطعمة وأسهلها هضما وامتصاصا ،  
ويدخل في صناعة كثير من الأدوية ، ففيه الغذاء ومنه الدواء وبالنظر  
إلى خواصه الكيميائية فإن العسل يحتوي على حوالى ٢٨ ٪ سكر  
فركتوز وحوالى ٣١ ٪ سكر جلوكوز .. وهى سكريات أحادية سهلة  
التمثيل وإعطاء الطاقة اللازمة للجسم حيث يستفيد بها في مجالاتها  
المختلفة بصورة سهلة غير مرهقة للكبد ..

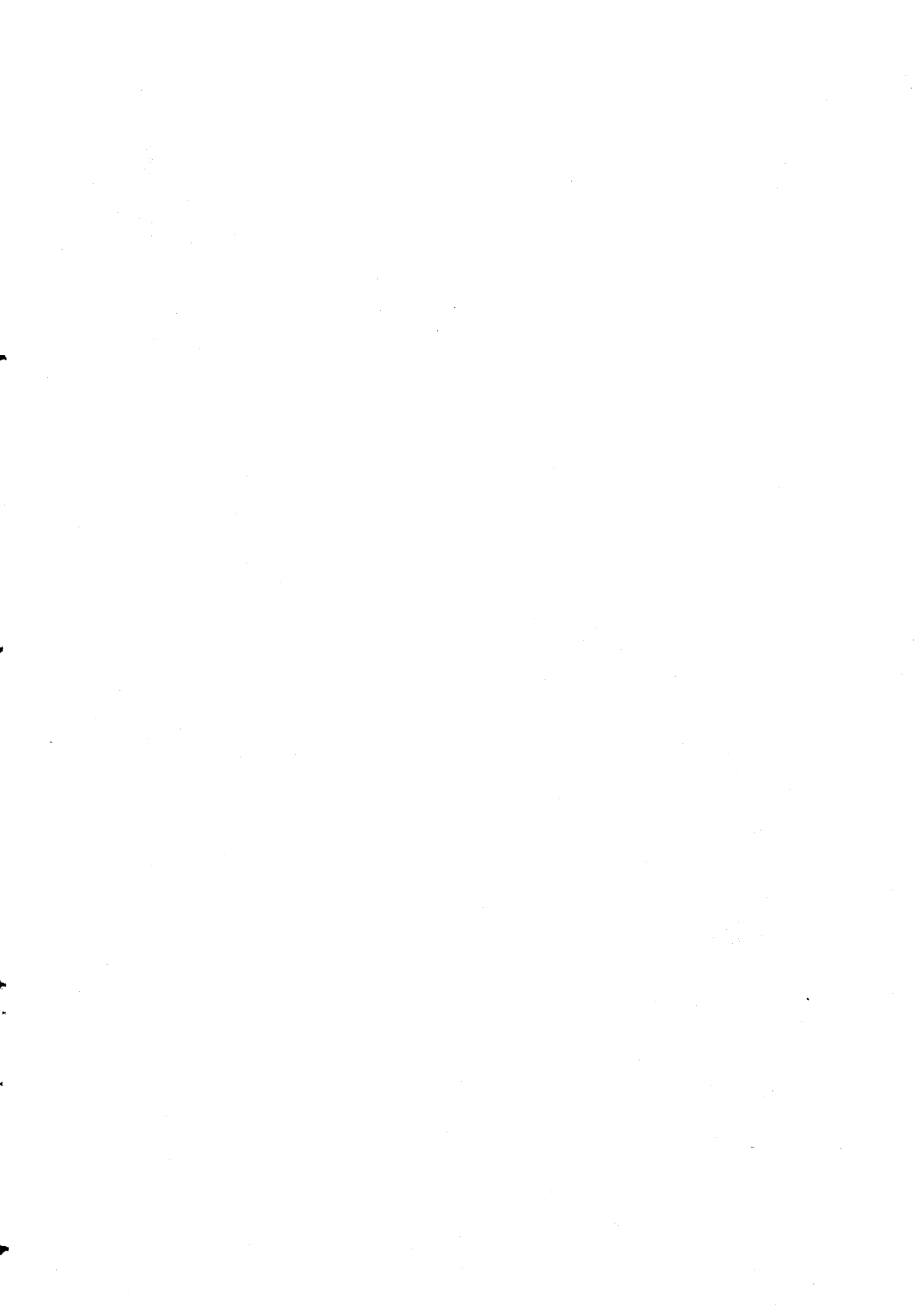
ومن العناصر المعدنية الهامة الموجودة في العسل الفسفور ، والكالسيوم ،  
والبوتاسيوم، والكبريت ، وغيرها .. وكذلك يحتوي العسل على نسبة من  
البروتينات متمثلة في حبوب اللقاح الموجودة به والتي تحتوي على كثير من  
الفيتامينات ..

كما يتم تحويل السكريات الشائبة إلى سكريات أحادية .  
ومن هنا فإن العسل يجب أن يكون الغذاء المفضل للأطفال في معظم  
حياتهم ، حيث انه يفيد في حالات نقص التغذية ، والانيميا، والاضطرابات  
المعوية . وقد وجد أنه يفيد في حالات عسر الهضم ، وحالات الإمساك ، وفي  
حالات الحساسية ، بالإضافة الى أنه يقوي الذاكرة ، ويفيد في التئام الجروح  
السطحية ، حيث أن دهان الجروح البكتيريا يساعد على شفائها بسرعة .  
ويجب أن تحلى السوائل التى يتناولها الأطفال بالعسل ، وبذلك تصبح  
ذات قيمة غذائية عالية ..

وهناك نصيحة هامة يجب أن تراعيها الأم عند تقديم العسل المتبلور أي  
المسكر أو المتجمد وهى أن تقدمه بصورته المتبلورة إلى المادة الغذائية المراد  
تقديمها إلى الطفل ، ولا تحوله إلى عسل سائل مرة أخرى بالتسخين كما يفعل  
بعضهم باستخدام حمام مائى ، ولان ذلك يتلف مكونات العسل ، ومنها  
الإنزيمات ، والفيتامينات ، وبذلك يستفاد كثيرا من قيمته الغذائية ...

# مختار الصحف







# تاريخ مجيد للخلاوي القرآن

## في السودان

قال الله تعالى :

« إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، إنه غفور شكور » .

خلوة القرآن الكريم هي المكان الذي يتلقى فيه الكبار والصغار مبادئ القراءة والكتابة في السودان ( حتى القرن التاسع عشر الميلادي ) ودورها قبل هذا التاريخ هي دور المدرسة الابتدائية اليوم ، وهي تقوم غالبا على النظام الأهلي ، وذلك باتفاق وتعاون أهل القرية في تحفيز مشيخة الدين لتعليم الصغار والكبار .

والدور الرائد الذي لعبته ( الخلوة ) في إرساء ركائز المعرفة وسط المجتمع السوداني والأفريقي : الأستاذ - حامد ضوء البيت - مفتش تعليم الخرطوم سابقا ببيانه فيقول :

تعتبر ( خلوة ) القرآن الكريم بالسودان هي المكان المعد لتعليم الاطفال مبادئ الكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن ، وكانت ( الخلاوي ) حتى القرن التاسع عشر الميلادي وما قبله تقوم بتعليم الكبار والصغار مبادئ القراءة والكتابة كالدور الذي تقوم به المدرسة الابتدائية اليوم .  
والخلوة يؤسسها صاحبها على حسابه الخاص وأحيانا يتعاون على إنشائها أهل القرية ثم يحفظون الشيخ الذي يتولى مهمة التعليم بها .

ويلتحق الأطفال بالخلوة في سن مبكرة ، ولم يعرف السودان التعليم المدني إلا بعد الغزو التركي المصري للسودان في العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ..

وفي أوائل هذا القرن ( العشرين ) ظهرت ( المدارس ) التي كان المستعمر ينشئها وفق سياسته ، وكان فتحها يتم في ببطء شديد ، وفي أمهات المدن ، واكتفت المناطق التي يشملها التعليم المدني ( بالخلوة ) التي زاد طلبتها - زيادة على تحفيظ القرآن الكريم - بشيء من علوم الفقه والسيرة واللغة العربية - إلا أن العناية التي أولاها المستعمر للتعليم المدني الحديث الذي يؤهل الطالب لنيل وظيفة يعتمد عليها في مستقبله ، تلك العناية كانت سببا في جذب الأغلبية من الأطفال إلى تلك المدارس التي انتشرت في المدن والقري والأرياف وبتلك السياسة المرسومة للقضاء على القرآن الكريم دخلت الخلوة مع المدرسة الابتدائية في منافسة وصراع غير متكافئ .

وفي السنوات الماضية ( قبل الستينات ) نافستها أيضا ( رياض الاطفال ) التي يلتحق بها الأطفال قبل بلوغهم السن التي لا تسمح لهم بالالتحاق بالمدارس وهي سن السابعة . وعلى الرغم من ذلك الصراع القائم بين الخلاوي والمدارس فإن عددا من الخلاوي الكبرى ، ظلت تؤدي دورها العظيم في تحفيظ كتاب الله لطلبتها - في مختلف أعمارهم ، وظلت الأمور تسير على هذا المنوال حتى قامت هيئة من الشباب في الستينات تعمل في ميادين الإصلاح العام .

في عام ١٩٦٤ تولى السيد ( حسن عوض الله ) وزارة التربية السودانية فعنى بالخلاوي وقدم لها الدعم الأدبي والمادي مما شجعها على المضي قدما في تنفيذ مشروعاتها وواصلت نشاطها ووسع من قاعدتها حتى بلغ عدد الذين يقفون وراء الفكرة نحو سبعين رجلا ، ومما قوي من عزمهم ومضاعفة نشاطهم ، أن مجلس الوزراء الموقر صدق لهم بقيام مؤسسة ( أحياء نار القرآن الكريم ) .

واختارت المؤسسة مجلسا للأمناء يتكون من ( خمسة وعشرين عضوا ) واختار ذلك المجلس رئيسا له من بين الأعضاء هو السيد ( بدوي مصطفى ) أحد الوزراء السابقين واختار للسكرتارية الأستاذ ( يوسف الخليفة ابوبكر ) سكرتير جامعة أم درمان الاسلامية يومئذ . وواصلت المؤسسة أعمالها ومنح وزير التربية سلطاته لمجلس الأمناء باستثناء الاتصالات الخارجية .

إن أول عمل قامت به تلك المؤسسة هو ضم ( معهد القرآن النموذجي ) بـ « ألتى » ثم فتحت معاهد مماثلة في كل من المناقل وسنكات ونيالا .

وحرصا على أهمية الدور الذي يقوم به شيخ الخلوة في تحفيظ القرآن الكريم فإن المسؤولين هيأوا له فترات تدريبية تمتد إلى ثلاثة أشهر يتلقى فيها ( شيخ الخلوة ) قواعد التجويد ، ومعرفة القراءات الصحيحة ، وشيئا من علوم التوحيد واللغة العربية ، من أساتذة

متخصصين من الأزهر، أعارتهم جمهورية مصر العربية للسودان منذ عام ١٩٦٨، تم ذلك في مراكز أقيمت بالخرطوم والخرطوم بحري وأم درمان والداير وبلغ عدد الذين تلقوا تدريبهم نحو ٣٦٠ شيخاً، عادوا بعدها يطبقون ما تحصلوا عليه بخلاويهم .

وجدير بالذكر أنه توجد خلاوي للقرآن ( خاصة بالنساء ) في الإقليم الشرقى للبلاد يقوم بالتعليم فيها معلمات مدربات على تدريس القرآن الكريم ، كما توجد في ذلك الإقليم خلاوي تسمى بأسماء منشئاتها وهن يشرفن على إدارتها .

وتشجيعاً لحفظ القرآن ونشره بين أفراد الأمة فقد قرر الرئيس السودانى إقامة مهرجان للقرآن الكريم يعقد بالخرطوم ، أول كل عام هجري تمنح فيه الجوائز للفائزين من حفظة القرآن الكريم - من الرجال والنساء الذين لا تزيد أعمارهم عن الأربعين ، وقد رصد سيادته في المهرجان الأول جائزة قدرها ( عشرة آلاف جنيه ) وكننتيجة للزيادة المضطردة في عدد الحفظة الذين يتقدمون لنيل هذه الجوائز كل عام ، فقد تم رفع هذه الجوائز في المهرجان العاشر الذي أقيم في أول السنة الهجرية الحالية ( ١٤٠٣ هـ ) إلى ( مائة الف جنيه )

في المهرجان الرابع الذي أقيم في أول السنة الهجرية ١٣٩٧ هـ وجه - السيد رئيس الجمهورية ، والسيد وزير الشؤون الدينية والأوقاف ( الآن المجلس الاعلى للشئون الدينية والأوقاف ) . والسيد وزير التربية والتوجيه إلى إعادة النظر في ( مناهج الدين الإسلام ) وتكثيفها تمشياً مع القرارات الجمهورية التى نادت إلى العناية بالتربية الإسلامية الصحيحة التى تشمل حياة الفرد والجماعة والزام الجميع بالسلوك القويم في كل ما يمس حياة هذه الأمة المسلمة وبناء على ذلك التوجيه الكريم ، فقد تم تكوين لجان من الوزارتين ، قامت بمراجعة المناهج الدينية وأوصت بتعديلات وزيادات شملت المراحل الثلاث - ابتدائية ومتوسطة وثانوية .

والأمل كبير في أن تجنى ثمرة تلك التوجيهات الكريمة .

ظلت خلاوي القرآن الكريم تقوم بدورها الكبير في تأدية رسالتها العظيمة في تحفيظ القرآن الكريم ونشره بين الصغار والكبار معا حتى يومنا هذا . وفيه لرسالتها الكريمة ، وظل مؤسسوها أو القائمون بأمرها يعملون في صمت وإخلاص ، يبذلون في سبيل ذلك كل ما يملكون من مال كثر أو قل في سبيل الحفاظ عليها حية ، تصل حاضر هذه الأمة بماضيها ، طارفاً بتليدها ، وبذلك الإخلاص والتفانى والعزم الأكيد . تمكنوا من القيام بدورهم العظيم في نشر القرآن الكريم واللغة العربية في أرجاء هذه الرقعة الواسعة في افريقيا .

وما يثلج الصدور اليوم قيام كلية القرآن الكريم - إحدى كليات جامعة أم درمان الإسلامية ، التى تم افتتاحها عام ١٩٨٢ وبقسا، لها طلبة من حفظة القرآن الكريم الذين تحصلوا

على إجازة علوم القراءات وإجازة التجويد . وتعتبر هذه الحصوة أكبر انتصار للمسئولين الذين يسعون لإعلاء كلمة الله في الأرض ونشر القرآن الكريم وترسيخ تعاليمه والعمل بما جاء به . وهذا نفس الطريق الذي سلكه أسلافنا الصالحون منذ أن تم للمسلمين فتح مصر في عهد الخليفة الثاني . أمير المؤمنين ( عمر بن الخطاب ) رضى الله عنه في عام ١٨ هجرية الموافق ٦٤١ ميلادية . وهو التاريخ الذي وطئت أقدامهم هذه البلاد - وفي إحصائية لخلاوي القرآن الكريم أعدتها إدارة التعليم الديني بمناسبة الاحتفال الذي عقده ( المجلس الأعلى للشئون الدينية والأوقاف ) لاستقبال القرن الخامس عشر الهجري عام ١٤٠١ هـ - كان عدد الخلاوي المسجلة آنذ هو ٢٤٥٧ خلوة عاملة . نسأل الله التوفيق .. ( وما توفينى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ) ..

( المدينة )



### طريقة جديدة لعلاج الانزلاق الغضروفي

استطاع طبيب امريكى من التوصل الى علاج وطريقة جديدة للانزلاق الغضروفي والتهاب العصب بين فقرتين في العمود الفقري والالام الناتجة عنه وذلك بدون عملية .

وتتمثل الطريقة الجديدة في طريقة حقن المريض بمادة مستخرجة من ثمر ( الباباي ) المعروف في الدول الاستوائية لتتخلل هذه المادة وتدخل بين الفقرات ليخف الضغط على العصب ويمكن للمريض ان يغادر المستشفى خلال خمسة ايام من اجراء هذه العملية ..

وقد اكتشف الطبيب اوجين نوروكى من الولايات المتحدة الامريكية هذا العلاج عندما كان يجري تجاربه العلمية على الارانب .

# المرد يستنم الموالد الكيميائية والأشعة

## بعض الموالد العرب

أشار تقرير خاص من الوطن المحتل إلى أن سلطات الاحتلال الاسرائيلي لجأت مؤخرا إلى إجراءات جديدة تستهدف اجتثاث جذور الشعب الفلسطيني من قلب الوطن المحتل بعد أن فشلت في طرد المواطنين العرب بالطرق السريه .  
وتتمثل الإجراءات الجديدة في عمليات إخضاع المواليد العرب في الوطن المحتل بيده وضع حد للقدرة التناسلية العربية وبالتالي إضعاف النمو البشري العربي ليسهل على العدو ابتلاع الأرض وتهويدها للأبد .

ويفيد القادمون من الضفة المحتلة بأن العدو وضع سياسة جديدة تستهدف وقف النمو السكاني العربي في الوطن المحتل من خلال لجوئه إلى هذه الخطة الجهنمية التي تعبر عن نزعة العدوانية والعنصرية .

ويقوم العدو بتنفيذ خطته السرية ضد المواليد العرب في مختلف المستشفيات في الوطن المحتل .. ويشير القادمون إلى أن الإخضاع يتم عن طريق عملاء يقومون وبحركة سريعة من أصابعهم بالضغط على خصية المولود حتى تهشيمها .  
وهناك طريقة أخرى لعملية الإخضاع تتمثل في تلقيح المولود بمادة كيميائية خاصة تعطى له مع الحليب وتعطل بصورة هادئة قدراته الجنسية عند الكبر .

كذلك بالنسبة للشباب والرجال الذين يدخلون مستشفيات تديرها عناصر يهودية فإنهم يعطون دواء معيناً وعلى عدة جرعات تكفي للقضاء على قدراتهم الجنسية .

وذكر بعض القادمين من الوطن المحتل أن اشاعات جديدة سرت بين المواطنين العرب تشير إلى أن السلطات الإسرائيلية لجأت لبعض الإجراءات السرية اللازمة لتعريض المرضى من الذكور العرب لإشعاعات معينة تصيب الذي يتعرض لها بالعقم الفوري .

وأشار التقرير إلى أن الإجراءات الإسرائيلية الجديدة امتدت لتشمل النساء العربيات حيث أوغزت سلطات الاحتلال لبعض الجهات بإعطاء نزيلات المستشفيات الإسرائيلية من

النساء العربيات أدوية خاصة تذاب مع الشراب أو الطعام وتتناولها المريضة دون أن تشعر بأن شيئاً رهيباً قد حدث لها .

وخلص التقرير إلى القول بأن سلطات الاحتلال الإسرائيلي تعتقد أنها بلجوها لهذه الطريقة ستقضى على حركة النمو السكاني العربي الذي يظل السلاح الفعال والقوي الذي يهدد إسرائيل من الداخل ويعرض كيائها ووجودها للخطر خاصة وأن هناك أصواتاً صهيونية ظهرت مؤخراً تحذر من مغبة التغاضي عن التزايد السكاني العربي داخل الوطن المحتل بحجة أن العرب سيقومون في المستعمرات والكيوتسات الاسرائيلية مع حلول عام ٢٠٠٠ م .

وحذر التقرير من مغبة التغاضي عن مثل هذه الاجراءات العدوانية مشيراً إلى ضرورة أخذ الحيطة والحذر واليقظة لكافة الحيل والمكائد الإسرائيلية التي تنفذ على مراحل ضد أهلنا داخل الوطن المحتل وضد الأرض العربية .

( المدينة )

### إسلام ٧ تايلنديين

أشهر سبعة من التايلنديين إسلامهم أمام رئيس المحكمة الشرعية في بيشة . وقد تم تسميتهم بأسماء إسلامية جديدة .. كما أشهرت أيضاً السيدة مرضاوي سيناكروور فلبينية الجنسية إسلامها وذلك أمام رئيس محكمة خميس مشيط ..

( الندوة )

### ماليزيا تصر على العقوبة المشددة لتجار المخدرات

كوالالمبور - قال السيد موسى هيثم نائب رئيس الوزراء أن ماليزيا لن تنحني أمام أي ضغط سياسي خارجي في تطبيق قوانين مكافحة المخدرات التي تفرض عقوبة الموت الإلزامي على كل من يوجد في حوزته ١٥ غراماً من الهروين .

وأبلغ الصحفيين قوله إن الأجانب الذين يعثر في حوزتهم على مخدرات أو يتاجرون بالمخدرات لن يفلتوا من التشريع المعدل الذي أقره البرلمان أخيراً .. وقال « سنحاكم كل شخص بالتساوي دون إن نأخذ بعين الاعتبار الجنس أو الدين أو اللون إذا ما وجد أن هذا الشخص يخالف قوانين المخدرات » .

وكان كل من يعثر في حوزته على ١٠٠ غرام من المخدرات في السابق يفترض بأنه تاجر مخدرات وكان يواجه حكماً بالموت أو السجن مدى الحياة ..

احمد

الحمد لله رب العالمين





# بمناسبة الاحتفال بالذكرى الألفية للأزهر الشريف

... ماذا قدم الأزهر والأزهريون للإسلام والمسلمين ؟  
... ماذا قدم الأزهر والأزهريون للعلم والدين ؟  
... وماهى مكانته في العالم الإسلامى أمس واليوم ؟  
... وماذا كانت غايته في تاريخه المديد ؟  
... وماهى الخطوات التى اتخذها في سبيل خدمة الدعوة الاسلاميه ونشر اللغة العربية في سائر البلاد ؟

هذه أسئلة تشغل اليوم ذهن كل مسلم في مشارق الأرض ومعاربها وإن المسلمين جميعا على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وعاداتهم وثقافتهم - يتطلعون إلى هذه الجامعة التى هى أكبر وأقدم جامعة إسلامية على وجه الأرض ، ولها سجل تاريخى وضاح الجبين مشرق الغرة في نشر أشعة العلم والعرفان في أقطار العالم . وحفظ اللغة العربية والثقافة الاسلامية في عصر التدهور والانحطاط وسيادة الاستعمار الغربى على الاقطار الاسلامية . في مقاومة شتى تيارات الالحاد والانحرافات والمذاهب الهدامة دعاة الفوضى والانحلال .

وهى الجامعة التى عانجت علوم ائدين والادب العربي عبر اسرون . ويسرت سبلها وأكثرت كتبها وخرجت فطاحل علماء الاسلام والادب العربي وبقيت على مدى الأجيال والقرون قائمة بعملها وفيه بأمانتها وأمدت العالم الاسلامى في الشرق والغرب بما هو في حاجة إليه فاتجهت إليها أنظار المسلمين جميعا خصوصا بعد سقوط بغداد واتلاف كتبها وذخائر مكاتبها العلمية فبدأ طلاب النور والعرفان يفدون إلى حظيرة الأزهر من كل فج عميق . وهو الان ملتقى آلاف الطلاب من أنحاء العالم كما أنه مصدر آلاف العلماء إلى مختلف القارات ومركز الدعوة الاسلامية إلى شتى الأمم والشعوب .

وإذا زرت كليات جامعة الأزهر ومعاهده وأروقته تجد هناك مظهرا عاما لثقافات عديدة ولغات مختلفة وأجناس شتى ، وترى فيها مظهرا عاما أيضا للعالم الاسلامى كله فإنه لمصداق بين للمبدأ الذي يتخذه الأزهر رمزا لرسالته هو :

## العلم رحم بين أهله

وما كانت غاية الأزهر في تاريخه الطويل إلا أن يكون دائرة في مجال تبليغ رسالة الإسلام . وهذه الرسالة هي أجل ما تتطلع الإنسانية في كل مكان إلى بلوغه والانتفاع بثمراته .

وضع أساس الجامع الأزهر في ١٤ رمضان سنة ٣٥٩ هـ ( ٩٧١ م ) تحت إشراف جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، وتم بناؤه في سنتين ، وفتح الجامع الأزهر للصلاة لأول مرة في رمضان سنة ٣٦١ هـ . فلم يلبث أن تحول الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعصرية ، ويجتمع فيها طلاب العلوم من كافة الأقطار ، وكان الخلفاء الفاطميون حريصين على الاهتمام بهذا المعهد الكبير وتزويده بكثير من الكتب وتخصيص موارد باهظة للإنفاق على طلابه والوافدين عليه ، وبقي للأزهر منذ إنشائه مسجد الدولة الفاطمية الرسمي وكان الخليفة بنفسه يؤم الناس في صلاة الجمعة وعيدي الفطر والأضحى التي تقام فيه .

ومنذ عام ١٩٦١ دخل الأزهر في دور فعال وجبار في المجال العلمي والعملية ، حيث جري تطوير الأزهر تطويراً يتهياً به لأبناء المسلمين جميعاً من العلم والمعرفة ويضيف إلى الخير التالد في رسالة الأزهر العلمية خيراً جديداً في رسالته العلمية ، لكي يعالج شؤون الدين والدنيا ، ويخدم الإنسان بمعنييه جميعاً روحه وجسده لأن الإسلام له جانبان روحى وجانب مادى ، فالأول يخدم الناحية الروحية في الإنسان والثانى يخدم الجانب المادى فيه ، من النواحي الاجتماعية والصحية والزراعية والهندسية والاقتصادية وغيرها .

ومن أكبر ما اهتم به هذا التطوير إنشاء « جامعة الأزهر الحديثة » وفتح الكليات العملية بها وكلية خاصة للبنات بشعبها المختلفة من علوم إسلامية وطب وأدب وفلسفة وعلوم . وجامعة الأزهر لن تختلف غايتها عن غاية الأزهر الشريف في تاريخه المديد الا من تغيير الخطط وتعديل الوسائل بقدر ما تطلبه الحياة المتطورة ، ولن ينحرف طريقها عن طرق أبيها الجليل « الجامع الأزهر » فإن التاريخ الصحيح يقول : إن الأزهر كانت تدرس فيه ، في أبعائه وصحونه ، إلى جانب التفسير والحديث والفقه والأدب ، علوم الفلك والهيئة والميقات والطب والرياضة والحساب . وكانت تعقد فيه حلقات العلم للنساء . ويذكر التاريخ أن سيدة فضلى تقدمت فعلاً لنيل شهادة « العالمية » الأزهرية .

وأما تطوير الأزهر فخطوة جديدة تتهيأه بها دراسة الطب والهندسة والزراعة والتجارة وغيرها من العلوم الكونية والفنون العملية ، كما أنه يهيء الفرصة للبنات من العلوم والمعرفة ما قد تهيأ للبنين . وكلية البنات الأزهرية كانت نواة للجامعة الإسلامية للبنات ،

لكى يقدر الأزهر بمختلف هيئاته ومعاهده وكلياته على إسداء الخير النافع العام إلى العالم الإسلامي كله ، وإلى الإنسانية جمعاء .

والأزهر جزء بارز في كيان المجتمع الإسلامي ، وهو تراث مجيد يعتز به كل مسلم وهو في مشارق الأرض ومغاربها ، وكان يجاهد في ميادين العلم والدين والإصلاح الاجتماعى والخلقى والسياسة في العالم العربى والإسلامى . ولولاه لجف الأمل وانطفأ النور في ميادين العلم والمعرفة في هذا العالم في عصر الظلمات والركود . وأما جمهورية مصر العربية فمدينة للأزهر فأصبحت بفضلها منبرا تفيض منه أسمى الأبحاث الإسلامية والفكرية وقاعدة للإشباع الثقافى الاسلامى وقد أسرعت مصر الفتية التى اعترفت بمكانة الأزهر في العالم الإسلامى وجهوده في سبيل العلم والأدب فمدت يدها بالعون له بكل الوسائل الممكنة ليقوم برسائلته على أحسن وجه حتى يتبوأ مكانته اللائقة به كمبعث حضارة روحية ومادية ، وقلعة حصينة للعروبة والاسلام ، ومصدر رجال الفكر وزعماء الاصلاح يحملون أمانة الرسالة الإسلامية ، ويكونون ورثة الأنبياء .

ولم يكن دور الأزهر مقصورا على العلوم الدينية واللغوية كما يظن بعض الناس ، فإن الإسلام لا يفرق بين المعارف والعلوم بل هو يجمع بين الدنيا والدين وبين الأرض والسماء وبين المطالب الدينية والسبحات الروحية ويقرر أن طلب العلم على إطلاقه فريضة على كل مسلم ومسلمة . ولهذا كان علماء المسلمين في عصر ازدهار الإسلام يدرسون جميع أنواع العلوم والفنون ، فكان منهم الفقيه ، والطبيب ، والفلكى ، والمهندس . والعالم الطبيعى ، والكيميائى ، والجغرافى ، والمؤرخ ، والرحالة ، والرياضى ، وكان هذا يتجلى في علماء الأزهر على نطاق يختلف قلة أو كثرة بحسب اختلاف العصور . وكانوا يُسمون علم الفلك بعلم الهيئة ، ويُسمون علوم الأحياء بعلم المواليد ، والكيمياء بعلم التركيب . وظل علماء الأزهر يحرصون على دراسة هذه العلوم حتى في أشد عهود التدهور والجمود .

ولا يخفى على من تتبع تاريخ الأزهر ، أن علماءه قد أسهموا في جميع المعارف والعلوم بالدرس والبحث والتأليف ، سواء في العلوم الدينية واللغوية أو في المنطق والحساب والهندسة والجبر والفلك . ولما بدأت النهضة العلمية في مستهل العصر الحديث لم تجد لها منبعا إلا في رحاب الأزهر فقد كان معظم المبعوثين من مصر - مثلا - إلى أوروبا من رجال الأزهر وقد عادوا بعد أن تخصصوا في مختلف العلوم والفنون فوضعت أسس النهضة العلمية والفنية والثقافية في هذه البلاد ، وكان البارزون من أبناء الأزهر هم الذين وضعوا أساس النهضة الحديثة في مصر ، وأساتذة جامعة القاهرة وبقية الجامعات ومدرسة الألسن ومدرسة القضاء الشرعى وكلية دار العلوم وغيرها من مراكز الثقافات ودور العلم التى تفرعت من دوحة الأزهر الشريف .

وإن الاستعمار بأساليبه العديدة ووسائله المختلفة - قد نجح إلى حد كبير - في أن يعوق حركة الأزهر المطردة ، واستطاع أن يحدث فجوة بين العلوم الدينية واللغوية وبين العلوم الأخرى ، وكاد الانعزال يتم بين علماء الأزهر ، وعلماء الجامعات الأخرى ، فنادي علماء الإصلاح في العصر الحديث بعلاج هذه الحال فإن الغرب يعرف كما يعرف أبناءه ، أن العلوم الحديثة العصرية إسلامية في نشأتها وتقدمها ، وأن الغرب استعارها من المسلمين ، وتقدم كثير من المصلحين في هذا الميدان وتوالت الصيحات في كل مكان وقد تكررت محاولات لتجديد الأزهر وتطويره بحيث يتفق ومكانته وأثره في العالم العربي والإسلامي ، مع الاحتفاظ بطابعه وخصائصه وصفته التي استحق بها أن يبقى دوره بارزا في تاريخ العرب والمسلمين أكثر من ألف سنة ، ولكن هذه المحاولات المبذولة منذ أكثر من نصف قرن لم تنفذ إلى صميم المشكلة ولم تحاول علاجها جذريا . وأما القانون الخاص بإصلاح الأزهر فوضع على أساس تقرير المباديء اللازمة لكل إصلاح جذري شامل .. وبناء على هذا القانون ظهرت الهيئات الخمس الأزهرية للنور وهي :

- ١ - المجلس الأعلى للأزهر .
- ٢ - مجمع البحوث الإسلامية .
- ٣ - جامعة الأزهر .
- ٤ - إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية .
- ٥ - المعاهد الأزهرية .

وبالله التوفيق .



# حصّاد الدراسات العليا

في العام الجامعي ١٤٠٢-١٤٠٣هـ

قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية - كما في أي جامعة - يعتبر أهم الأقسام التعليمية لأنه مركز تخريج الكوادر العلمية المتخصصة التي يسند إليها في المستقبل القريب - إن شاء الله - تولى القيادة الفكرية، وتتحمل مسئولية البحث العلمي في مختلف مجالات المعرفة العربية والإسلامية، ويتكون من هذه الكوادر العلمية أعضاء هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية وغيرها من الجامعات العربية والإسلامية.

ويقوم قسم الدراسات العليا في الجامعة بمسئوليات جسام لتوجيه الطلاب وإعدادهم الإعداد الذي يمكنهم من حمل الأمانة في تربية الأجيال، وتهيئهم للبحث العلمي الجاد المتعمق في جميع مجالات الدراسات الإسلامية.

وقد كان حصّاد قسم الدراسات العليا في العام الجامعي ١٤٠٢/١٤٠٣هـ حصّادا وفيرا يبشر بغد مشرق للجامعة إن شاء الله . . . فقد حصلنا من قسم الإحصاء والمتابعة بالدراسات العليا على بيان تفصيلي بالخاصين على درجتي الدكتوراه والماجستير في المدة من أول محرم ١٤٠٢هـ إلى أواخر شعبان ١٤٠٣هـ.

وقد بلغ عدد الخاصين على الدكتوراه في المدة المذكورة ١٥ خمسة عشر طالبا من شعب الفقه، وأصوله والدعوة والسنة والعقيدة. ومن جنسيات مختلفة. كما بلغ عدد الخاصين على الماجستير ٣٥ خمسة وثلاثون طالبا من شعب الفقه وأصوله والدعوة والسنة والعقيدة والتفسير واللغويات والأدب والنقد، وينتمي هؤلاء الطلاب إلى جنسيات مختلفة من السعودية ومصر واليمن وأندونيسيا والهند وحزرموت ونيجيريا والسودان ونيبال وبورما وباكستان واوندى ومالي والأردن والصومال. وقد نشرنا في العدد الماضي أسماء بعض الذين حصلوا على درجة الماجستير والدكتوراه.

ويسرنا أن نسجل أسماء الخاصين على الدكتوراه والماجستير في المدة المذكورة، والتي لم يتم نشرها في العدد الماضي. وندعو الله أن يوفق القائمين على قسم الدراسات العليا إلى

مزيد من النجاح المضطرد في سبيل تحقيق الغاية المرجوة لخدمة الإسلام مع تهانينا للخرابين .

### أولا - الحاصلون على الدكتوراه

١ - الدكتور محمد زين الهادي - سوداني الجنسية - وكان موضوع رسالته « حاجتنا إلى إعلام إسلامي » من شعبة الدعوة، وقد نوقشت رسالته يوم ١٥/٣/١٤٠٣ هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد المنعم حسنين وعضوية كل من الأستاذ محمد قطب، والدكتور إبراهيم إمام وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الثانية وبلغ عدد صفحات رسالته ٥٣٦ صفحة .

٢ - محمد علي قاسم العمري - أردني الجنسية - وكان موضوع رسالته « مغلطاي ومنهجه في كتابه : إكمال تهذيب الكمال » من شعبة السنة، ونوقشت رسالته يوم ٨/٤/١٤٠٣ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود ميرة، وعضوية كل من الدكتور أحمد نور والدكتور أكرم ضياء العمري . وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ١٢٨٤ صفحة .

٣ - الدكتور مرزوق بن هياش الزهراني - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته « الغيلانيات في حديث أبي بكر الشافعي » من شعبة السنة، ونوقشت رسالته يوم ٢٥/٣/١٤٠٣ هـ برئاسة وإشراف الدكتور أكرم ضياء العمري وعضوية كل من الدكتور محمد أديب الصالح والدكتور ربيع هادي مدخلي، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ٧٨٠ صفحة .

٤ - الدكتور صالح بن مسعد صنيتان السحيمي - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته : « أحكام عقد الإيجارة في الشريعة الإسلامية » من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم ٦/٦/١٤٠٣ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود علي وعضوية كل من الدكتور محمد مندور وفضيلة الشيخ عبد القادر شيبه الحمد . وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى . وبلغ عدد صفحات رسالته ٦٨٢ صفحة .

٥ - الدكتور أحمد محمد عبد الوهاب - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته : « الوصف المناسب لشرع الحكم » من شعبة أصول الفقه . ونوقشت رسالته يوم

١٤٠٣/٧/١ هـ برئاسة وإشراف الدكتور عمر عبد العزيز وعضوية كل من الدكتور محمود عبد الدايم وفضيلة الشيخ عبد الله القديان، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٥٠ صفحة.

٦ - الدكتور أبو بكر دكوري - من فولتا العليا - وكان موضوع رسالته «تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول لعلاء الدين المرادي دراسة وتحقيق» من شعبة أصول الفقه، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٨ هـ برئاسة وإشراف الدكتور عمر عبد العزيز وعضوية كل من الدكتور محمود محمد فرغلي والدكتور عبد القادر شحاته، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ٧٢٤ صفحة.

٧ - الدكتور أبو حماد صغير أحمد بن محمد ضيف - هندی الجنسية - وكان موضوع رسالته «الأوسط لابن المنذر» تحقيق ودراسة من شعبة الفقه. ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/١٠ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد مندور وعضوية كل من فضيلة الشيخ عطية سالم وفضيلة الشيخ عبد الله الغنيان. وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى. وبلغ عدد صفحات رسالته ١٠٢٧ صفحة.

٨ - الدكتور محمود صالح شريتج جابر - أردني الجنسية - وكان موضوع رسالته «دراسة وتحقيق كتاب (المحقق من علم الأصول فيما يتعلق بأفعال الرسول ﷺ) لأبي قامة المقدسي».

٩ - الدكتور أحمد محمد محمود عبيد - لبناني الجنسية - وكان موضوع رسالته «منهجية الدعوة في القرآن الكريم» من شعبة الدعوة، ونوقشت يوم ١٤٠٣/٨/٧ هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد المنعم حسنين وعضوية كل من الدكتور نعمان عبد الرازق والدكتور محمد نمر الخطيب، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الثانية، وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٧٣ صفحة.

١٠ - الدكتور عبد العزيز راجي الصاعدي - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «كتاب البعث والنشور للبيهقي» تحقيق ودراسة من شعبة السنة، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/١٠ هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ حماد الأنصاري وعضوية كل من الدكتور محمود ميرة والدكتور ربيع هادي مدخلي، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وبلغ عدد صفحات رسالته ٧٨٣ صفحة.



١١ - الدكتور علي أحمد القليصي - يميني الجنسية - وكان موضوع رسالته «عقد بيع الغر» من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم ١٢/٨/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد مندور وعضوية كل من فضيلة الشيخ عطية سالم والدكتور محمود علي، وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٧٨ صفحة.

١٢ - الدكتور عبد الرحمن أحمد عبده - يميني الجنسية - وكان موضوع رسالته «أدلة الكفاءات جمعاً وتخریجاً ودراسة» من شعبة السنة، وقد نوقشت رسالته يوم ١٣/٨/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور السيد الحكيم وعضوية كل من الدكتور محمد أبوشيبة والدكتور محمد طنطاوي وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وبلغ عدد صفحات رسالته ١٠٥٦ صفحة.

١٣ - الدكتور محفوظ الرحمن زين الله - هندي الجنسية - وكان موضوع رسالته «العلل الواردة في الأحاديث النبوية» من شعبة السنة، ونوقشت رسالته يوم ١٤/٨/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود ميرة وعضوية كل من الدكتور أكرم العمري وفضيلة الشيخ حماد الأنصاري وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ١٦٧٤ صفحة.

١٤ - الدكتور صالح عبد الله العبود - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها» من شعبة العقيدة، ونوقشت رسالته يوم ٢٤/٨/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد وعضوية كل من فضيلة الشيخ عبد الله الغنيان والدكتور علي ناصر فقيهي. وحصل على الدكتوراه بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وبلغ عدد صفحات رسالته ٨٠٠ صفحة.

### ثانياً: الحاصلون على الماجستير

١ - فضل الله الأمين فضل الله - سوداني الجنسية - وكان موضوع رسالته «حجية قول الصحابي» من شعبة الأصول. ونوقشت رسالته يوم ٢٥/١/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد العظيم فياض، وعضوية كل من الدكتور حسين الجبوري والدكتور محمود محمد فرغلي. وحصل على الماجستير بدرجة جيد. وبلغ عدد صفحات رسالته ٢٢٥ صفحة.

٢ - سلامة ضويغن الأحمدي - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «حجية القياس في الشريعة الإسلامية» من شعبة الأصول، ونوقشت رسالته يوم ٢٥/١/١٤٠٣هـ

برئاسة وإشراف الدكتور محمد فرغلي وعضوية كل من الدكتور حسين الجبوري والدكتور علي بابكر، وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا. وبلغ عدد صفحات رسالته ٢٥٠ صفحة.

٣ - عبد الله جولم - نيالي الجنسية - وكان موضوع رسالته «الإمام أبو حنيفة واحتجاجاته بالسنة» من شعبة الأصول. ونوقشت رسالته يوم ٢٦/٢/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد فرغلي وعضوية كل من الدكتور أحمد فهمي والدكتور علي أحمد وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز وبلغ عدد صفحات رسالته ٥١٥ صفحة.

٤ - سعود بن صالح العطيشان - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «الجزء الأول من كتاب شرح العمدة في الفقه لابن تيمية» تحقيق ودراسة من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم ١٣/٣/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد مندور وعضوية كل من فضيلة الشيخ صالح بن محمد وفضيلة الشيخ عبد الله الغنيمان وحصل على الماجستير بتقدير ممتاز وبلغ عدد صفحات رسالته ٣٣٤ صفحة.

٥ - إبراهيم يوسف محمد إبراهيم - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «أحكام الغضب في الشريعة الإسلامية» من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم ٢٠/٣/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود علي وعضوية كل من فضيلة الشيخ صالح الفوزان والدكتور عبد الرحمن العدوي وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا. وبلغ عدد صفحات رسالته ٥١١ صفحة.

٦ - شير علي شاه - باكستاني الجنسية - وكان موضوع رسالته «تفسير سورة الكهف» من شعبة التفسير، ونوقشت رسالته يوم ٢٢/٣/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري وعضوية كل من الدكتور مصطفى مسلم والدكتور محمد طنطاوي. وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا. وبلغ عدد صفحات رسالته ٦٠٧ صفحة.

٧ - صالح سعيد باقلاقل - حضرمي الجنسية - وكان موضوع رسالته «المرسل واختلاف الأصوليين» من شعبة الأصول، ونوقشت رسالته يوم ٢٤/٣/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد العظيم فياض وعضوية كل من الدكتور محمد حسين والدكتور عبد القادر شحاته وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز وبلغ عدد صفحات رسالته ٥٤١ صفحة.

٨ - المكاشفي الشيخ الزبير - سوداني الجنسية - وكان موضوع رسالته «دفع مطاعن عن القرآن من حيث مصدره» من شعبة الدعوة ونوقشت رسالته يوم ١/٤/١٤٠٣هـ برئاسة

وإشراف الدكتور أحمد مهنا وعضوية كل من الدكتور عبد المنعم حسنين وفضيلة الشيخ عبد الله الغنيان وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا، وبلغ عدد صفحات رسالته ٦٧٣ صفحة .

٩ - علي محمد الزبير - يماني الجنسية - وكان موضوع رسالته «ابن جزى الكلبى ومنهجه في التفسير» من شعبة التفسير، ونوقشت رسالته يوم ٦/٤/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور أحمد مهنا وعضوية كل من فضيلة الشيخ عبد القادر شبية الحمد والدكتور محمد الطنطاوي وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز وبلغ صفحات رسالته ١١٨١ صفحة .

١٠ - عزام نعمان عبد الرحمن سلهب - أردني الجنسية - وكان موضوع رسالته «العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء المجتمع» من شعبة العقيدة، ونوقشت رسالته يوم ٢٩/٤/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد المنعم حسنين وعضوية كل من فضيلة الشيخ صالح الفوزان وفضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري . وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا . وبلغ عدد صفحات رسالته ٣٢٧ صفحة .

١١ - سميح أحمد خالد - أردني الجنسية - وكان موضوع رسالته «تحقيق الجزء الثانى من أصول الجصاص من أوله الى نهاية باب القياس» من شعبة الأصول . ونوقشت رسالته يوم ١١/٥/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد فرغلي وعضوية كل من الدكتور طه جابر والدكتور عبد القادر شحاته . وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز مع توصية لجنة المناقشة بطبع الرسالة التى بلغ عدد صفحاتها ١٢٥٠ صفحة .

١٢ - علي عبد الله المحيسن - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «أحكام قطاع الطرق في الشريعة الإسلامية» من شعبة الفقه، ونوقشت رسالته يوم ١٦/٥/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود عبي أحمد وعضوية كل من الدكتور محمد مندور والدكتور أحمد الأزرق . وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٠٠ صفحة .

١٣ - محيسن عبد الله المحيسن - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «أحكام الكفالة في الشريعة الإسلامية» من شعبة الفقه . ونوقشت رسالته يوم ١٨/٥/١٤٠٣هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود علي أحمد وعضوية كل من فضيلة الشيخ عبد القادر شبية الحمد والدكتور يوسف عبد المقصود وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٢٤٥ صفحة .

١٤ - عبد الله ديره ابتدون - صومالي الجنسية - وكان موضوع رسالته «أصول التفسير بين شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من المفسرين» من شعبة التفسير . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٥ هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري وعضوية كل من فضيلة الشيخ عبد القادر شيبية الحمد والدكتور محمد طنطاوي وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٧٠ صفحة .

١٥ - كمال الدين شاه عبد الحميد - هندي الجنسية - وكان موضوع رسالته «مباحث في العقيدة الإسلامية على ضوء سورة التكاثر» من شعبة العقيدة . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٦ هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ عبد الله الغنيان وعضوية كل من فضيلة الشيخ حماد الأنصاري ، والدكتور علي ناصر . وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٢٥ صفحة .

١٦ - حافظ محمد عبد الله حكيمي - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة» من شعبة السنة ، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٢١ هـ برئاسة وإشراف فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد وعضوية كل من الدكتور السيد الحكيم والدكتور أكرم العمري وحصل على الماجستير بتقدير ممتاز . وبلغ عدد صفحات رسالته ٥٥٥ صفحة .

١٧ - عمر محمد عمر باحاذق - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «الجانب الفني في قصص القرآن الكريم» من شعبة الأدب والنقد . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٢٢ هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد الفتاح الدماصي وعضوية كل من الدكتور شكري فيصل والدكتور جودة مصطفى وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٣٠٠ صفحة .

١٨ - سليمان عبد الله العمير - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «زكاة الخارج من الأرض» من شعبة الفقه ، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٧/٢٧ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمود علي إبراهيم وعضوية كل من الدكتور يوسف عبد المقصود والدكتور يوسف المرصفي . وحصل على الماجستير بتقدير جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٣١٠ صفحة .

١٩ - عوض رجاء فريح العوفي - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «الولاية في النكاح» من شعبة الفقه . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/٤ هـ برئاسة وإشراف الدكتور

محمد مندور وعضوية كل من الدكتور أحمد الأزرق والدكتور عبد الرحمن العدوي ، وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز وبلغ عدد صفحات رسالته ٦٧٠ صفحة .

٢٠ - اسحق موسى كوني - مالي الجنسية - وكان موضوع رسالته «الأحكام الثابتة بخطاب الوضع عند الأصوليين» من شعبة الأصول . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/٥ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد فرغلي وعضوية كل من الدكتور عبد القادر شحاته والدكتور علي أحمد ، وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٤٠ صفحة .

٢١ - هيرامانا عبد الكريم - رواندي الجنسية - وكان موضوع رسالته «الحكمة في شعر العصر العباسي» من شعبة الأدب والنقد ، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/١/٦ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد أحمد العزب وعضوية كل من الدكتور شكري فيصل . والدكتور جلال صابر ، وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٤٤٥ صفحة .

٢٢ - عبد الحميد فطاهري ندوي - من بورما - وكان موضوع رسالته «معالم الدعوة في الدولة الإسلامية الى عهد معاوية» من شعبة الدعوة . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/١١ هـ برئاسة وإشراف الدكتور عبد المنعم حسنين وعضوية كل من الدكتور محمد الجيوشي والدكتور جمعة الخولي وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٣٠٠ صفحة .

٢٣ - أحمد حسن حسين - يمني ج - وكان موضوع رسالته «أهمية المسجد في الدعوة الى الله» من شعبة الدعوة ، ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/٢١ هـ برئاسة وإشراف الدكتور محمد الوكيل وعضوية كل من الدكتور عبد المنعم حسنين والدكتور محمد الجيوشي . وحصل على الماجستير بدرجة جيد جدا وبلغ عدد صفحات رسالته ٥١٧ صفحة .

٢٤ - محمد عوض السهلي - سعودي الجنسية - وكان موضوع رسالته «دراسة لغوية للأساليب الطلبية» من شعبة اللغويات . ونوقشت رسالته يوم ١٤٠٣/٨/٢٣ هـ برئاسة وإشراف الدكتور أحمد غالي وعضوية كل من الدكتور يوسف أبو العلا والدكتور أحمد عبد الله ، وحصل على الماجستير بدرجة ممتاز . وكان عدد صفحات رسالته ٢٦٠ صفحة .

وبعد فإلى هذا الرعيل السابق من طلاب الدراسات العليا نقدم تهانينا ونتمنى لهم مستقبلا مشرقا يخدمون فيه الدعوة إلى الله عن طريق العلم والبحث العلمي . وفقهم الله وإيانا إلى ما فيه رضاه ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والقصد إنه ولينا وهو حسبنا ونعم الوكيل .

## المخيم الصيفي السنوي لطلاب الجامعة الإسلامية

تقيم عمادة شؤون الطلاب بالجامعة الإسلامية المخيم الصيفي السنوي ، والذي اعتادت العمادة إقامته في صيف كل عام ويشارك فيه الطلاب المتخلفون عن السفر إلى أوطانهم في العطلة الصيفية .

وسيقام المخيم ويستمر لمدة شهر ابتداء من يوم ٧/١٠/١٤٠٣هـ بمدينة النهاص بمنطقة الجنوب .

ومن المقرر أن يشارك فيه مائتا طالب من مختلف الكليات والمعاهد والدور التابعة للجامعة .

وقد تم إعداد برنامج تربوي وثقافي حافل بالندوات والمحاضرات والأنشطة المختلفة التي تعمل على توجيه الطلاب توجيهها إسلاميا صحيحا ، وتعددهم للمشاركة في إلقاء المحاضرات وإدارة الندوات .

وبصحب المخيم مجموعة من الموجهين الاجتماعيين من عمادة شؤون الطلاب والمسؤولين في العمادة .

نرجو الله أن يوفق الجميع لما فيه خير أبناء المسلمين في هذه الجامعة .

## شخصيات ووفود إسلامية في زيارة الجامعة

من أهداف الجامعة الإسلامية التي حددها نظامها الأساسي إقامة الروابط العلمية والثقافية بالجامعات والهيئات والمؤسسات العلمية في العالم وتوثيقها لخدمة الإسلام وتحقيق أهدافه .

وفي إطار هذا الهدف يهدف إلى الجامعة شخصيات ووفود إسلامية بقصد دعم التعاون المنشود في مجال الدعوة والتربية والتعليم والتبادل الثقافي، أو طلب دعم الجامعة لهذه الهيئات والمؤسسات التي تمثلها هذه الوفود أو هذه الشخصيات.

ومن الوفود والشخصيات التي قامت بزيارة الجامعة في الفترة الأخيرة:

(١) وفد يمثل الاتحاد الإسلامي لشمال أمريكا، وقد ضم هذا الوفد: البروفيسر سيد محمد سعيد عضو اللجنة التنفيذية للاتحاد، والأستاذ ربيع حسن أحمد أمين عام الاتحاد، والسيد دواد زوتك، ورافق الوفد الأستاذ أحمد عبد العزيز الرشيد من وزارة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية وقد اجتمع بالوفد معالي رئيس الجامعة الإسلامية الدكتور عبد الله الصالح العبيد وفضيلة الأمين العام للجامعة الشيخ عمر محمد فلاته. وقد دار الحديث في هذا الاجتماع حول شئون الأقليات الإسلامية في شمال أمريكا والصعوبات التي يلاقونها والتحديات التي يواجهونها..

وقام الوفد بجولة في الجامعة زار خلالها المكتبة المركزية وشاهد قسم المخطوطات بها، كما قام بزيارة للأماكن المقدسة في المدينة المنورة..

(٢) قام الحاج بابا سيسي مدير معهد الملك خالد الإسلامي في مدينة باماكو بجمهورية مالي بزيارة للمدينة المنورة زار خلالها الجامعة الإسلامية وحضر مناقشة رسالة الماجستير المقدمة من الطالب اسحق موسى كوني مالي الجنسية وكان موضوعها: الأحكام الثابتة بخطاب الوضع عند الأصوليين من شعبة الأصول، كما رافقه في حضور المناقشة سعادة سفير مالي لدى المملكة.

(٣) كما زار الجامعة وفد من الكلية العربية المالية بكيرالابجنوب الهند. ويتكون هذا الوفد من الشيخ أبوبكر العمري والشيخ داد عبد الجبار، وقد التقى بهم معالي الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة وفضيلة الشيخ عمر محمد فلاته الأمين العام للجامعة.. وقد بحث هذا الوفد الأمور ذات العلاقة المشتركة فيما يتصل بالشئون التعليمية والتربوية.

(٤) كما زار الجامعة فضيلة الشيخ غالب سنجدار رئيس جمعية التوجيه الإسلامي الخيرية بطرابلس الغرب، وقابله كل من معالي رئيس الجامعة والأمين العام. وتباحث معها حول رغبة الجمعية في إنشاء معهد متوسط وثانوي لتدريس المناهج الإسلامية لأبناء المسلمين. وتناول اللقاء إمكانية مساهمة الجامعة في هذا المشروع.

(٥) وفي إطار جولة في بلدان إسلامية مختلفة ومنها المملكة العربية السعودية وصل إلى المدينة المنورة في أواخر شهر رجب ١٨ منه أعضاء مجلس علماء باكستان وزاروا الجامعة الإسلامية والتقوا بمعالى الدكتور عبد الله العبيد رئيس الجامعة حيث دار الحديث حول شئون الدعوة الإسلامي في إطار عالمي والدور الذي يمكن أن تؤديه الجامعات الإسلامية في هذا المجال كما جرت الأحاديث حول القضايا التي تهم العالم الإسلامي .

## محاضرات الموسم الثقافي للعام الجامعي ١٤٠٢هـ / ١٤٠٣هـ

في إطار الموسم الثقافي الذي تعده وتنفذه عمادة شئون الطلاب شهدت قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية سبع عشرة محاضرة ألقاها العلماء والمفكرون من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة، ومن غيرهم من علماء المملكة .

ومن الجدير بالذكر أن هذه المحاضرات يحضرها طلاب الجامعة وأساتذتها وعدد غفير من علماء المدينة وأدبائها والمهتمين بالحياة الثقافية والأدبية، وتمثل هذه المحاضرات نافذة يطل منها طلاب الجامعة على كثير من جوانب العلم والمعرفة خارج قاعات الدرس .

وفيما يلي نورد بياناً بعناوين هذه المحاضرات ممن لم يسبق نشره :

١ - الأفعى الباطنية : من أخبارها وأوزارها : ألقاها الدكتور عبد الفتاح إبراهيم سلامة الأستاذ المساعد بكلية الحديث في ٢٣/٢/١٤٠٣هـ .

٢ - القدس قبل الإسلام وبعده : ألقاها الدكتور شفيق الجاسر الأستاذ المشارك بكلية الدعوة وأصول الدين في ٣٠/٢/١٤٠٣هـ .

٣ - منهاج أهل السنة في العقيدة والعمل : ألقاها فضيلة الشيخ محمد الصالح العيثيمين . مساء يوم ٧/٣/١٤٠٣هـ .

٤ - شبابنا بين الأصالة والتقليد : ألقاها الدكتور محمد السيد الوكيل الأستاذ المساعد بكلية الحديث . مساء يوم ١٤/٣/١٤٠٣هـ .



٥ - طريق الخلاص: ألقاها الشيخ أبو بكر الجزائري الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية. مساء يوم ٣/٥/١٤٠٣هـ.

٦ - صور من الحياة الإسلامية في أمريكا الجنوبية: ألقاها الشيخ عبد العزيز المسند. مساء ١٠/٥/١٤٠٣هـ.

٧ - العقوبات الشرعية: أسسها وأهداها: ألقاها الشيخ محمد بن ناصر السحبياني الأستاذ المساعد وعميد القبول والتسجيل بالجامعة الإسلامية. مساء ١٧/٥/١٤٠٣هـ.

٨ - ندوة مفتوحة اشترك فيها كل من سعادة أمين المدينة المنورة الشيخ صدقة خاشقجي، وسعادة مدير مرور المدينة المنورة الرائد إبراهيم الرادي. حضرها عدد غفير من أهالي المدينة المنورة وعلماؤها ومفكرها وطلاب الجامعة الإسلامية وأساتذتها. أجاب فيها كل من سعادة أمين المدينة ومدير مرور المدينة على الأسئلة التي توجه بها الحضور فيما يتصل بمشاريع المدينة ونظام المرور. وكان ذلك مساء يوم ٢٤/٥/١٤٠٣هـ.

٩ - الجزء الحق: هذا هو عنوان المحاضرة التي ألقاها الشيخ علي الحذيفي. مساء يوم ٢/٦/١٤٠٣هـ.

١٠ - معاوية بن أبي سفيان بين المنصفين والمتعسفين: ألقاها فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد رئيس المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية. مساء يوم ٩/٦/١٤٠٣هـ.

١١ - واجب الإنسان الذي كلف به من الله: ألقاها الشيخ عبد الله بن محمد الغنيان. مساء يوم ١٠/٦/١٤٠٣هـ.

١٢ - مكانة أهل الحديث: ألقاها الدكتور ربيع هادي مدخلي الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية. مساء يوم ٢٣/٦/١٤٠٣هـ.

١٣ - جاء الإسلام ليقي: ألقاها الدكتور جمعة الخولي الأستاذ المشارك ورئيس قسم الدعوة بالجامعة الإسلامية. مساء يوم ٣٠/٦/١٤٠٣هـ.

١٤ - أعرفت أنك بالمدينة: ألقاها الشيخ عبد الفتاح العشماوي عضو هيئة التدريس بالجامعة. مساء يوم ٧/٧/١٤٠٣هـ.

صياغة الشيخ محمد صالح

مجلة الجامعة الإسلامية

برّة البحوث والمقالات التي لم تنشر  
إلى كتابها ولا بإيداء أئبب عدم نشرها.



# محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

- قبس من كتاب الله .....  
— من نور النبوة .....  
— حكمة العدد .....  
— كلمة التحرير زاد اللقاء الكريم ..... ١٣

## التفسير وأصوله

- كيفية الدعوة إلى الله للشيخ أبي بكر الجزائري ... ١٧

## الحديث وأصوله

- صلاة التراويح د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ٢٧  
— حديث تفرق الأمة للشيخ عبد الكريم مراد ... ٤٧  
— مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة  
في الدين د. ربيع هادي مدخلي ... ٥٥

## العقيدة

- بيان مذهب أهل السنة في الاستواء وسائر الصفات للشيخ عبد العزيز بن باز ... ٧١  
— مفهوم الأسماء والصفات للشيخ سعد ندا ..... ٧٣

## الفقه وأصوله

- سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز يدعو المسلمين للمبادرة بالتوبة ... ٨٧

- نظام الاثبات في الفقه الاسلامي د. عوض عبد الله أبوبكر . . . ٩١  
 — شرعية المعاملات التي تقوم بها البنوك  
 للاسلامية المعاصرة للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق ٩٧

## ثقافة إسلامية

- الغزو الفكري ووسائله لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ١١٥  
 — حديث عن الدورة وأثرها على المجتمع الذي  
 أقيمت فيه د. علي ناصر فقيهي . . . . . ١٢٠  
 — من منهج القرآن العظيم في التربية والتعليم للشيخ محمد المجذوب . . . . . ١٤٣  
 — تعدد زوجات الرسول ﷺ د. ملك غلام مرتضى . . . . . ١٥٠  
 — الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية د. محمد نغش . . . . . ١٦٢  
 — مذابح بشرية جماعية للمسلمين للشيخ محمود محمد سالم . . . . . ١٧٤  
 — نصائح للشيخ إبراهيم الراشد . . . . . ١٧٨

## سيرة وتاريخ

- الكعبة البيت الحرام وتطبيقات رسول الإسلام ﷺ  
 للدكتور عبد العظيم خطاب ١٨٥  
 — جهاد المسلمين ضد الصليبيين للدكتور جاد محمد أحمد رمضان ٢٠٢  
 — لماذا كانت الهجرة إلى الحبشة للشيخ عبد الكريم عبد السلام ٢١٥  
 — موجز لتاريخ القدس حتى الفتح الاسلامي د. شفيق جاسر أحمد محمود ٢٢٣  
 — يوسف بن تاشفين في الأندلس للشيخ إبراهيم الجمل . . . . . ٢٣١

## إحياء التراث

- تحقيق جزء الضعفاء والمتروكين للإمام الدارقطني  
 للشيخ عبد الرحيم محمد القشقرى ٢٤٧

## لغة وأدب

- ظاهرة التقارض في النحو العربي د. أحمد محمد عبد الله ..... ٢٦٥
- ملامح النقد الأدبي ومقاييسه في العصر الجاهلي د. محمد عارف محمود حسين ٢٨٣
- قل ولا تقل للشيخ ضياء الدين الصابوني .. ٢٩٩
- وإن من شيء إلا يسبح بحمده (شعر) للشيخ يوسف الهمزاني ..... ٣٠٢
- تحية ونداء (شعر) د. محمود عبد المحسن .... ٣٠٤
- أنشودة الأرواح حول الكعبة المشرفة للشيخ محمد المجذوب ..... ٣٠٦

## جولات عالمية

- في المشارق والمغرب للشيخ عبد الله أحمد قادري .. ٣٠٩

## ردود ومناقشات

- إنكار الجن من شطحات التفسير الموضوعي للقرآن للشيخ مصطفى الوراق ..... ٣٢٩
- آراء فقهية منحرفة والرد عليها ..... ٣٤٣

## بحوث طبية

- علوم المادة في خدمة الدين للدكتور أبو الوفا عبد الآخر .. ٣٤٩

## الفتاوى

- حكم الإحداد على الملوك والزعماء لساحة الشيخ عبد العزيز بن باز ٣٥٩

## من أعماق الكتب

- كتاب عنوانه (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) ..... ٣٦٣

## مختارات من الصحف

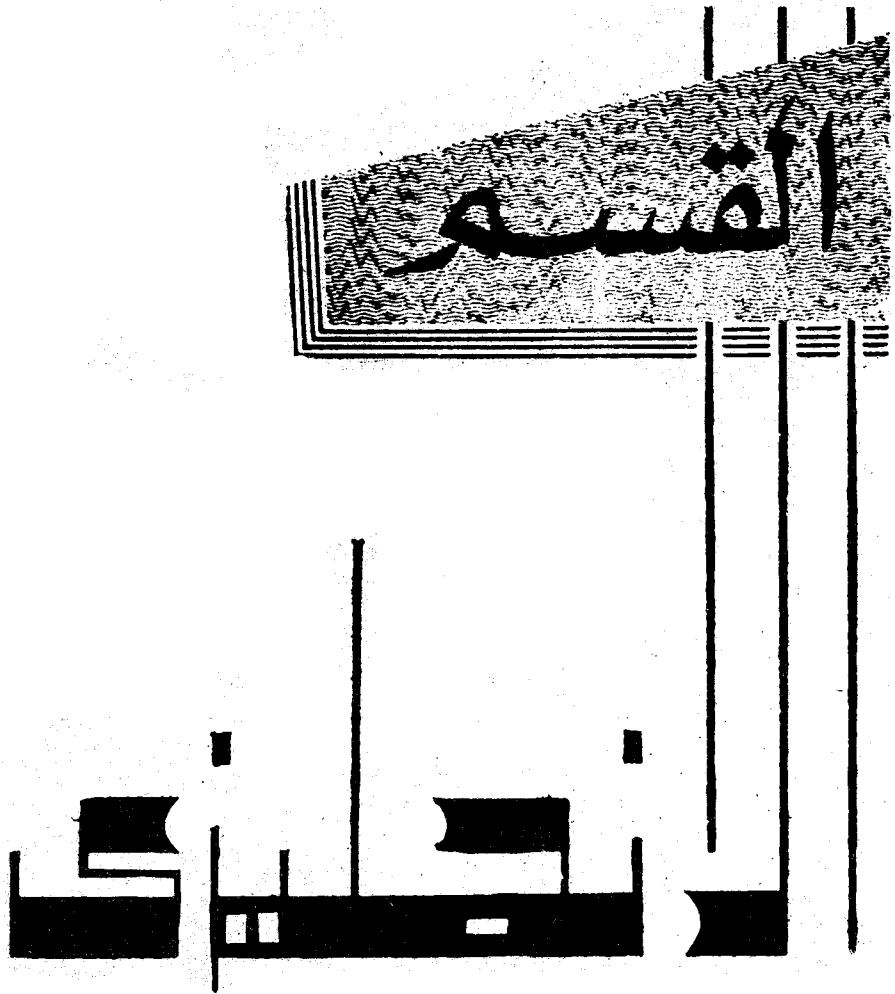
- تاريخ مجيد لخلاوى القرآن في السودان ..... ٣٦٩  
 — العدويستخدم المواد الكيميائية والأشعة لاختصاص المواليد ..... ٣٧٣

## أحداث العالم الاسلامى

- بمناسبة الاحتفال بالذكرى الألفية للأزهر الشريف  
 للدكتور محى الدين الألوائى .. ٣٧٧

## أخبار الجامعة

- حصاد الدراسات العليا فى العام الجامعى ١٤٠٢ - ١٤٠٣ هـ ..... ٣٨٢  
 — محتويات العدد ..... ٣٩٥  
 — القسم الانجليزى ..... ٣٩٩







It is incumbent on every believer to adhere to the divine teachings of Allah the Almighty and His Prophet (P. b. u. h.) and the line followed by the companions of the Prophet (p. b. u. h.) and their followers. One should guard against innovations of those who have gone astray from the Qur'an and the Sunnah (practical life of the prophet) and resorted to their delusive reasoning and random thoughts; They were led astray and deluded others .

We pray to Allah the Almighty to save us and all the muslims from the attacks of the Devil and his agents; He is all powerful and is quite capable of that May Allah shower His peace and Blessings on our Prophet Muhammad, his family and companions .

Sh. Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz  
general President .

Idarat Buhus al-Ilmiyyah wal-iffa  
wa - Dawwah wal-Irshad

Translated by : —

Dr. Malik Ghulam Murtaza

Asstt. Professor

Islamic University

Madinah Munawwarah

The same explanation has been communicated to us through Ummul Muminin Umami Salmah and Rabi'ah bin Abdir Rahman Sheikh Malik. This is the real truth and same is the faith of Ahlus-Sunnah-wal-Jama'ah without any doubt. Same is their faith about the rest of the Attributes of Allah i. e. Hearing, Seeing, Pleasure, Wrath, Hand, Foot, Fingers, Words, Will etc .

It may be said about all of them that they are well-known as understood in Arabic language and belief in them is imperative; whereas the details about them are not known except to Allah Himself. We have to believe that He is Perfect in all His Attributes and that He does not resemble anything created by Him; His Knowledge is not like our Knowledge; His Hand is not like ours; His Fingers are not Pleasure and so on as He, the Exalted has said : —

﴿ ليس كمثلہ شیء وهو السميع البصير ﴾ .

«There is nothing like Him; He is all-Seer and all-Hearer» .

﴿ قل هو الله أحد - الله الصمد - لم يلد ولم يولد - ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .

«Say : He is Allah, the one and Only, Allah, the Eternal, the Absolute. He begets not; Nor is He begotten; And there is none like unto Him

And He has Said : —

﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ .

«Do you know any one resembling Him» ?

This means there is none who could be like Him or who could resemble Him .

﴿ فلا تضربوا لله الأمثال - إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .

Allah, the Almighty has said : —

«Don't give similies about Allah; Verily He knows while you do not know» .  
There are many verses in the Holy Qur'an which convey the same meanings.

﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ (النحل: ٥٠) .

“ They all revere their lord High above them ” .

﴿ ثم استوى على العرش ﴾ (السجدة: ٤) .

“Then He is firmly established on the Throne” .

“There are innumerable verses of the Holy Qur’an which bear the same meanings. Likewise, then are innumerable authentic and reliable traditions (Ahadith) which refer to the same faith and confirm it .

To cite a few examples, there is the story of descending of the Prophet to His Lord, descending of the angels from Allah and then ascending to Him back; His saying about the angels who accompany human beings at night and during day time : —

“The angels which have spent night with you ascend to their Lord; He asks them even though He knows more than themselves” . In the same way there is a tradition about Khawari in “Sahih” : —

“Don’t you believe in me and I am the trusty of all who are in the Heavens; The news of Heavens comes to me in the morning and in the evening” .

So there are innumerable sayings of the Prophet, which through their words and import make it clear and communicate to us a clear belief that Allah, the Glorious, is above the Throne, and above the Heavens. This is the natural belief conveyed by Allah to all the nations be they Arabs or non- Arabs, pre Islamic or post- Islamic except those who have been led astray by the Devil. Then there are thousands of the sayings recorded by the Scholars of Salaf in support of what is mentioned above .

This may be enough to make it clear for the readers that the saying attributed by Ahmad Mahmud Dahlob to the Ahl al-Salaf pertaining to the explanation of Istawa (establishing on the Throne) is a blunder, a white lie that deserves no attention .

The sayings of the pious Salaf in this respect are well known, clearly established and communicated to us uninterrupted by as clearly pointed out by Sheikh Muhammad ibn Taimiyyah while explaining “Istawa” determining thereby that He is Seated high above the Throne and that belief in it is imperative whereas the details thereof are unknown except to Allah Himself .

“This is the book of Allah from its beginning to its end and the Sunnah (saying and deeds) of His Prophet (P.B.U.H.). Then there are the general teachings of the companions of the prophet (p.b.u.h.) and their followers; Then there are sayings of all the Imams, the established Scholars among the muslims. Everything mentioned above explains definitely and clearly in the form of a verdict. That Allah the Almighty and Glorious is Greatest of all and Highest of all; He is above each and everything; He is above the throne; He is above the Heavens as He has said : —

﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ (فاطر: ١١) .

“To Him mount up (All) words of purity. It is He Who exalts Each Deed of Righteousness” .

﴿ إني متوفيك ورافعك إلیّ ﴾ (آل عمران: ٥٦) .

“I will take thee and raise thee to myself” .

﴿ أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾ (الملك: ١٧) .

“Do you feel secure that He Who is in Heaven will not cause you To be swallowed up By the the earth” .

﴿ أم أمتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا ﴾ (الملك: ١٨) .

“Or do you feel secure that He Who is in Heaven Will not send againts you aviolent tornad” ? .

﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ (النساء: ١٥٩) .

“Nay Allah raised him up unto Himself” .

﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ (المعارج: ٥) .

“The angels and the Spirit ascend up to Him” .

﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه ﴾ (السجدة: ٥) .

He rules affairs from the Heavens to the earth which then go up to him”

# **Statement about the Faith of Ahl-us-Sunnah regarding ‘Istawa’ and all Attributes of Allah**

**by Sh. Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz**

**Translated by Dr. Malik Ghulam Murtaza**

Praise be to Allah, the Almighty and His blessings and Peace be upon the prophet of Allah, his family and Companions .

Recently, I have come to know what has been published in the magazine ‘Albalagh’ (Issue No. 637) in the form of a reply to a question concerning the explanation of the Quranic Verse ‘Allah sat upon the throne’. The reply which was given by Ahmad Mahmud Dahlob contained a sentence which was attributed to the ‘Salaf’. The sentence is:- ‘Ahl-us-Salaf say that the meaning of ‘Sitting upon the throne’ is to seize and take possession of it as they say: ‘a human being seized Iraq without wood or blood shed’ .

Now, as this sentence has been wrongly attributed to Ahl-Us-Salaf, I like to make this point clear for any reader so that he may not be deceived by it taking it for a saying of the reliable Scholars. The fact is that this explanation is the same as given by Jahmiah and Mutzalites and their followers. It contains negation of the Attributes of Allah and His Suspension. Allah is great, Sublime and above all such changes as He has attributed to Himself all the qualities in perfection. The scholars of ahl- us-Salaf have denied such explanations and disallowed such interpretations. They hold that the meaning of ‘establishing oneself on the throne’ would be the same as in case of other Attributes i.e. to affirm all the Qualities as it behoves His glory, without changing, Suspending, over interpreting / conditioning or exemplifying them. Imam Malik has said : —

‘The fact of ‘establishing firmly (on throne) is well — know but its details are unknowns,. The belief in it is incumbent and questioning about it is innovation’ .

The scholars of Salaf have all followed the same line .

Sheikhal- Islam ibn Taimiyyah (May Allah bless him) has said in his boohlet ‘Risalah Hamdiyyah : —

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي  
لَتَفِدَا الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي  
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

الكهف ١٠٩

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

*Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."*

(Qur'an 18:109)



*Journal of*

**THE ISLAMIC  
UNIVERSITY**

OF  
MADINAH MUNAWWARAH

RAJAB — SHABAN — RAMADAN  
1403 A . H  
[ QUARTERLY ]

59

15 th Year



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مَجْلَدٌ دَوْرِيٌّ تَصَدَّرَ أَرْبَعُ مَرَّاتٍ فِي الْعَامِ

السَّنَةُ

العَدَدُ

٦٠

شَوَّال - ذُو الْقَعْدَةِ - ذُو الْحِجَّةِ ١٤٠٤ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

رئيس التحرير

الأعضاء

د. محمد بن عطية الغامدي

د. جمعة بن علي الطولي

د. صالح بن عبد الله العنوي

مدير التحرير

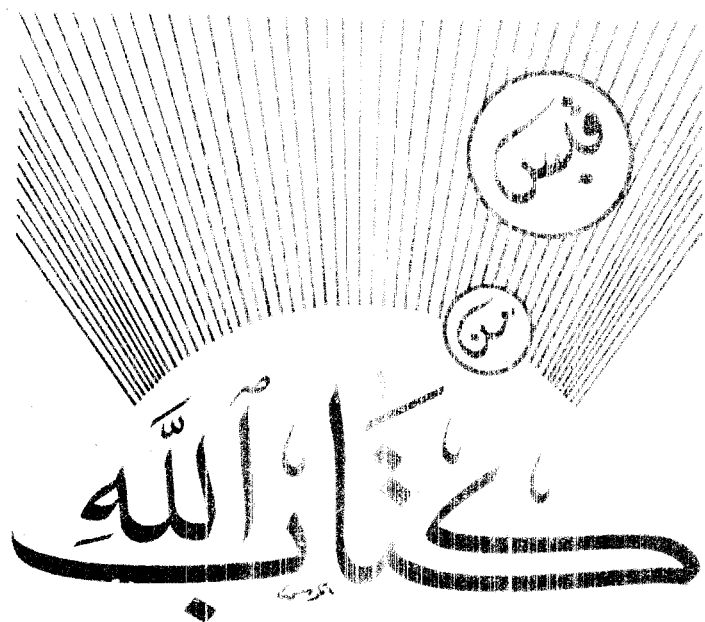
د. علي سلطان الشامي

د. محمد بن يحيى الدجواني

د. مزور بن هسان الزهراني

المراسلات: ترسل باسم مدير التحرير. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



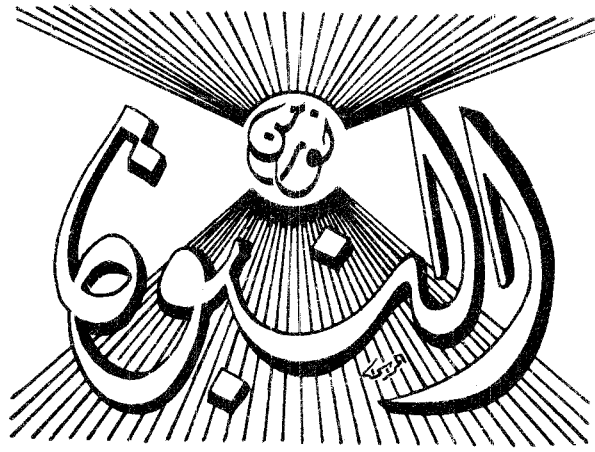


قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

وَالْبَدْنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا  
خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ  
جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ  
كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعْنَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾  
لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ  
التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لِكُتُوبِكُمْ  
اللَّهُ عَلَى مَا هَدَىٰ لَكُمْ وَيُبَشِّرُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ سورة الحج







عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :  
سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِيْمَانُ  
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . قِيلَ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ :  
الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . قِيلَ ثُمَّ  
مَاذَا ؟ قَالَ : حَجُّ مَبْرُورٌ .

« متفق عليه »



# حكمة العبد

الْقَلْبُ السَّامِ الَّذِي يَنْجُو مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ،  
هُوَ الْقَلْبُ الَّذِي قَدْ سَامَ لِعِبُودِيَةِ رَبِّهِ حَيَاءً  
وَخَوْفًا وَطَمَعًا وَرَجَاءً ، فَفِنِي بِحُبِّهِ عَنْ حُبِّ  
مَا سِوَاهُ ، وَبِخَوْفِهِ عَنْ خَوْفِ مَا سِوَاهُ ، وَبِرَجَائِهِ  
عَنْ رَجَاءِ مَا سِوَاهُ ، وَسَامَ لِأَمْرِهِ وَلِرَسُولِهِ  
تَصَدِيقًا وَطَاعَةً وَاسْتِسَامَ لِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ  
فَأَمَّ يَنْهَمُهُ ، وَلَمْ يُنَازِعْهُ ، وَلَمْ يَتَسَخَّطْ لِأَقْدَارِهِ  
فَأَسَامَ لِرَبِّهِ انْقِيَادًا وَخُضُوعًا وَذُلًّا وَعِبُودِيَّةً  
وَسَامَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَذْوَابِهِ ظَاهِرًا  
وَبَاطِنًا لِمَشَاكَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

«ابن القيم في مفاتيح دار السعادة»



## كَلِمَةُ التَّحْرِيرِ

# اسْتَمْتَعُوا مِنْ هَذَا الْبَيْتِ

لِلذِّكْرِ نَوْرَ جَمْعِهِ عَلَى الرَّحْمَلِيِّ

أشار القرآن الكريم إلى مكانة البيت الحرام في أكثر من موضع ، منها قوله تعالى ﴿إِنْ أُولَ بَيْتٍ وَضَعُ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِيكَةِ مَبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ .

فهو أول بيت أسس على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، وهو أول بيت وضع للناس للعبادة وإقامة ذكر الله منذ أمر الله إبراهيم أن يرفع قواعده وأن يخصصه للطائفتين والعاكفين والركع السجود .

وبكة من أسماء مكة « قيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابة . فكم من جبار قصد البيت بسوء فأهلكه الله . . . وقيل لأن الناس يتباكون فيها أى يزدحمون . . . عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله أى مسجد وضع أول : قال المسجد الحرام قلت ثم أى : قال المسجد الأقصى . قلت كم بينهما ، قال : أربعون سنة ، قلت ثم أى : قال : ثم حيث أدركتك الصلاة فصل فكلها مسجد» .

هذا البيت جعله الله مباركا وجعله هدى للعالمين . وجعله مثابة للناس أى محلا تشتاق إليه النفوس وتحن . . . ولا ينصرف عنه منصرف وهو يحس أنه قد قضى منه وطره ولو تردد عليه كل عام . ولعل ذلك استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم فى قوله ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا﴾ .

كما جعل الله هذا البيت آمنا ، فهو مثابة الأمن لكل خائف ، وليس هذا المكان آخر فى الأرض . . . كان الرجل يلقي فيه قاتل أبية أو أخيه فلا يعرض له بسوء . . . ولذلك قال سبحانه يمن على العرب به ﴿أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾ وعن ابن

عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة . وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم يحل لى إلا فى ساعة من نهار، فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده . ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها» .

ولقد كان النبى ﷺ يحب هذا البيت، ولقد قال وهو يودع مكة فى طريقه إلى المدينة وقت الهجرة «والله إنك لخير أرض الله وأحب البلاد إلى الله ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت» .

هذا البيت جعل الله الحج إليه فريضة على المسلم المستطيع مرة واحدة فى العمر فقال سبحانه ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «خطبنا رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يارسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله ﷺ لوقلت نعم لوجبت ولما استطعتم» .

ولقد جاءت النصوص بالتعجيل بهذه الفريضة فإن الانسان لا يدرى ما يعرض له . والحج عبادة جامعة لشتى العبادات ففيه من الصلاة الدعاء والتوجه إلى الله، وفيه من الزكاة الأنفاق وبذل المال، وفيه من الصوم التحمل والجهاد والصبر . وهو فوق ذلك عبادة العمر بحيث إذا أدت كما رسم الشرع خرج صاحبها منها كيوم ولدته أمه . .

وقد روى الطبرانى والحاكم عن ابن عمر توجيه النبى ﷺ أمته إلى اغتنام فضل الكعبة المشرفة التى جعلها الله بركة وهدى ورحمة وذلك فى قوله ﷺ «استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة» .

وقد هدمت الكعبة قبل البعثة ثم بنيت، ثم هدمها السيل وبنتها قريش والنبى ﷺ معهم وسنه خمس وثلاثون سنة فى قصة الرداء المشهورة، ولعل الاشارة فى الحديث لهاتين المرتين لأهميتهما وما عداهما كان ترميماً للبيت واستكماً لأسباب متانته، أو أن العدد فى الحديث يفيد التكرار لا الحصر، ويوشك أن يهمل الناس أمر الحج فيرفع الله بيته ويستأثر به وينزع البركة السابغة من أهل الأرض الذين أغفلوا نداء ربهم وأهملوا فريضة حجهم، ومن ذلك نعلم تأكد فريضة الحج وعظم ثواب من وفأها، وشدة العقوبة لمن تركها وتكاسل عنها دون عذر مشروع ﴿ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين﴾ .

التفسير



أصوله





# الأمرُ بإعدادِ القُوَّةِ لمواجرةِ الأعداءِ

للسَّيِّدِ أَبِي بَكْرٍ الْخَزْرَجِيِّ  
رئيس قسم التفسير بالجامعة

قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ، وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ، وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ، لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلَمُونَ﴾ . (الآية : ٥٩ : من سورة الأنفال) .  
مناسبة الآية لما قبلها :

لما أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بقتال من كفر من اليهود ممن تكررت منهم الخيانة ونقض العهود، ونهى رسوله ﷺ والمؤمنين أن يظنوا أن الكافرين يُعجزون الله تعالى بأن يُفَلِّتُوا من نعمته ويخلصوا من عذابه بأن لا يسلط عليهم رسوله والمؤمنين فيقتلوهم ويأمروهم . ولما كان مضمون هذا النهى قد يشيع روح التواكل والقعود عن القتال في نفوس المؤمنين أمر الله سبحانه وتعالى بإعداد القوة والإنفاق في سبيل ذلك وواعد عليه بالجزاء الحسن في الدنيا والآخرة فقال تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ . (الآية) .  
وبذلك ظهرت المناسبة قوية بين الآيات السابقة واللاحقة .  
الغرض الذي سيقته له الآية الكريمة :

إن الغرض الرئيسي الذي سيقته له هذه الآية الكريمة ، هو الأمر بطرح التواكل ، وإعداد القوة الكافية لقتال الكفار المحاربين لله ورسوله والمؤمنين ، ولقطع مجرد التفكير في غزو المسلمين والاعتداء على حدود بلادهم ، وذلك لما يشاهدون من قوة المسلمين المتفوقة عليهم كمية وكيفاً فإن من السنن البشرية أن ضعف العدو يغري بغزوه وقتاله . كما أن قوة العدو تصرف حتى عن مجرد التفكير في ذلك ، فقد سبق أن قلت : أن السلم المسلح أفضل من السلم المجرد من السلاح . فلولا تعادل القوة الحربية عند المعسكر الشيوعي البلشفي ، والمعسكر الرأسمالي الغربي لكانت الحرب العالمية الرابعة<sup>(١)</sup> قد أعلنت وأتت على كل شيء من مظاهر هذه الحضارة العفنة الهابطة .

## مباحث الألفاظ في الآية :

١ - في القراءات : قرىء ومن رُبط الخيل بضم الراء والباء جمع رباط ككتاب وكتب . وقرىء ترهبون بكسر الهاء وتشديدها من رهبه إذا أوقعه في الرهب الذي هو الخوف وشدته .

٢ - في النحو : «من قوة» الجار والمجرور في محل نصب على الحال ، وصاحب الحال إما أن يكون الموصول «ما» في قوله : ﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ أو يكون العائد المحذوف أى ما استطعتموه وهو الضمير . وكذا جملة ترهبون فقد يصح إعرابها حالاً ، وصاحب الحال الفاعل في جملة وأعدوا ، أى أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل حال كونكم مرهبين به عدو الله وعدوكم .

٣ - في البلاغة : التنكير بالتنوين في لفظ «قوة» للإبهام والعموم وذلك من أجل أن يطلب المسلمون كل أسباب القوة وأنواعها فلا يقصرونها على نوع معين كالرماية مثلاً ، وإن ورد فيها حديث عقبة بن عامر عند مسلم : ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي إلا إن القوة الرمي .

وأما التنكير في قوله : من شىء فهو للتقليل والتحقيق بمعنى أن أى شىء ينفقه المسلم في إعداد العدة للجهاد ، أو ينفقه على رحم أو فقير ولو قل كدرهم ، أو حقر كحبل أو عصا لا يعدم المنفق أجره من الله عز وجل . ومضاعفاً أيضاً الحسنة بعشر أمثالها أو بسبعمائة إن كانت نفقة جهاد ؛ للآية الكريمة ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل ﴾ . (الآية) .

شرح المفردات :

- أعدوا : هيئوا وأحضروا وأرصدوا .
- ما استطعتم : ما قدرتم عليه بعد بذلكم الجهد فيه .
- من قوة : من كل أنواع القوة المادية من سلاح وكراع ، ومعنوية من إيمان صادق وثقة في الله تعالى كاملة ، ووحدة صف ، وطاعة قيادة ، وخلق فاضل .
- رباط الخيل : الرباط قد يكون مصدر رباط يرابط ، إذ كل من العدوين يرابط لصاحبه وقد يكون جمع رُبط ككتب وكتاب ، وقد يكون المراد به جماعة الخيل خمساً فأكثر . والخيل اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى ، وأيها أفضل في الجهاد؟ الغالب أن الذكر أفضل .

- ترهبون : تخوفون بإيقاع الرهب في النفوس .
- عدو الله وعدوكم : العدو لفظ يطلق على المفرد والمثنى والجمع مذكراً ومؤنثاً .

عدو الله الكافر المحارب لله ورسوله والمؤمنين، وعدو المؤمنين هو عدو الله، وإنما ذكر من باب التهيج والإثارة للمسلمين حتى يُعدوا العدة ويُوطئوا أنفسهم للقتال .

● من دونهم : من غيرهم أى من غير كفار قريش واليهود .

● لا تعلمونهم : أى لا تعرفون من هم من أعدائكم غير الظاهرين لكم كالمنافقين .

● الله يعلمهم : لأنه تعالى بكل شىء عليم ، وفى إخباره تعالى بعلمه بهم ما يبعث المؤمنين على الجِدِّ فى الإعداد والتحرز واليقظة كما فيه ما يشير إلى كفاية الله تعالى عباده المؤمنين كيد أعدائهم متى عملوا بطاعته .

● وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم : هذه الجملة شرطية وجوابها : يوف إليكم أداة الشرط هى «ما» وجملة الشرط «تنفقوا» ، و«من شىء فى سبيل الله» متعلق بتنفقوا وجواب الشرط «يُوف» ، وسبيل الله هنا هو الإعداد للجهاد، ويوف يؤده إليكم أجره وأفيا غير منقوص .

● وأنتم لا تظلمون : هذه جملة حالية ومعناها أن أجوركم التى استوجبتموها بالإنفاق فى سبيل الله سوف توفونها كاملة حال كونكم غير مظلومين لخوف عدوكم ورهبتهم منكم فلا يظلمكم باعتمادٍ عليكم . ولا منقوص الأجر والمثوبة ولا محرومين منها لأن الله وعدكم ووعدته تعالى حق وصدق .  
معنى الآية الكريمة :

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين الموجودين ساعة نزول هذه الآية ومن يأتى من بعدهم إلى أن يقاتلوا الكفار ويأمرهم بإعداد القوة أى بإحضارها وإرصادها لقتال عدو الله وعدوهم وإرهابه بذلك ، والقوة المأمور بإعدادها تكون حسيّة كأنواع السلاح المختلفة ، وآلات الحرب المتنوعة ، وتكون معنوية كالإيمان القوى والثقة فى نصر الله تعالى ، ووحدة الصف وطاعة القيادة ، مع طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ من الثبات عند اللقاء وذكر الله تعالى بالقلب واللسان .

كما يخبرهم تعالى بأن ذلك الإعداد للقوة من شأنه أن يرهب أعداءهم ، وينزل الرعب فى قلوبهم فلا يفكرون فى غزوهم ولا قتالهم ، وسواء فى ذلك العدو الظاهر لهم المعروف عندهم ، أو العدو الذى لا يعلمونه والله يعلمه كالمنافقين المتربصين أو المجوس الحاقدين ، أو اليهود الحاسدين .

ولما كان إعداد القوة المطلوبة المبذول لها كلُّ ما فى استطاعة الأمة وقدرتها يتوقف فى الجملة على المال إذ به يتم صنع السلاح أو شراؤه ، والمال لا مصدرله إلا جيوب المؤمنين

وصناديقهم ، وقد أنفقوا فعلا وجمعوا المال وأعدوا به القوة الواجبة الإعداد، أخبرهم تعالى بأنهم ما ينفقون من شيء في سبيل الله لإعداد القوة أولغيرها من سائر طرق الخير وسبيل البر مما يرفع من شأن أمة الإسلام ويكملها ويسعدها في الدنيا والآخرة يوفيهم أجره مضاعفاً .  
الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . والحال أنهم لا يظلمون بحرمانهم من أجر إنفاقهم ، ولا ينقصه بل يوفونه كاملاً مضاعفاً .  
ما في الآية من أحكام :

اشتملت الآية على الأحكام الفقهية التالية :-

- ١ - وجوب إعداد القوة لقتال العدو أو إرهابه .
  - ٢ - وجوب إنفاق المال لذلك . لتوقف القوة على المال .
  - ٣ - وجوب تعلّم فنون الحرب المختلفة وتعليمها لأفراد الأمة .
  - ٤ - وجوب صنع السلاح وتطويره بحسب أحوال الأمم والشعوب .
  - ٥ - وجوب الوحدة وجمع الكلمة ونصب الإمام وطاعته .
- إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، ولا يتم جهاد ولا إعداد له إلا بما ذكر .  
وهذه الواجبات كفائية إذا وجدت في الأمة وقام بها بعضها سقط هذا الواجب عن باقي الأمة .

هداية الآية :

قد اشتملت هذه الآية الكريمة على أنواع من الهدايات منها :-

- ١ - أمة الإسلام : أمة واحدة تتكافؤ دماؤها ، ويسعى بذمتها أدناها ، وهي يدٌ واحدة على من سواها ، دل على ذلك صيغة الجمع التي خاطبها الله تعالى بها في قوله :  
وأعدوا ، ترهبون ، وما تنفقوا ، يوف إليكم ، وأنتم لا تظلمون .
- ٢ - السلام المسلح : إذ الأمر بإعداد القوة أمر بما يُرهب العدو ويخيفه وبذلك هو إما ان يسلم أو يستسلم بدفع الجزية ، أو يعاهد ، ولا حرب ولا قتال مع كل ذلك وإنما هو السلم والسلام .

٣ - في قوله تعالى : ومن رباط الخيل ، وتفسير النبي ﷺ بالرّمى كما في حديث عقبة ابن عامر عند مسلم : ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثاً علّم من أعلام النبوة المحمدية إذ تحضير الدبابات والطائرات ، قاذفات القنابل والصواريخ هي اليوم أنكى سلاح وأقواه أثراً في الحروب وقد أشير إليه في الآية والحديث الشريف بصراحة ووضوح .

٤ - في وعد الله تعالى المتفقين بتوفية أجورهم كاملة غير منقوصة ما يساعد المؤمن على الإنفاق والبذل والعطاء في سبيل الله تعالى ، وبذلك تقوى أمة الإسلام وتعز .

الْحَدِيثُ

صَوْنُهُ



# فَضْلُ أَهْلِ الْحَدِيثِ

②

شَهَادَةُ الْعُرُولِ الصَّادِقِينَ لَهُمْ بِأَنْزِمِ عَلَيَّ لَصْرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّاحِمِ الْكَرِيمِ

لِلدُّكْتُورِ مَرْيَمَ بِنْتِ هَارُونَ تَمْرُخَانِي

أَسَازِيسَاعِدِ بِالدرجاتِ الْعِلْمِيَا

شهادة ابن قتيبة :

ألف فقيه الأديباء وأديب الفقهاء الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ كتاباً سماه «تأويل مختلف الحديث» دفاعاً عن سنة رسول الله ﷺ وعن حملتها وناقليها وحفاظها أهل الحديث .

قال في مطلع الكتاب : (أما بعد) أسعدك الله تعالى بطاعته وحاطك بكلاءته ووفقك للحق برحمته وجعلك من أهله فإنك كتبت إليّ تُعلمني ما وقفت عليه من ثلب أهل الكلام أهل الحديث وامتنانهم وإسهابهم في الكتب بدمهم ورميهم بحمل الكذب ورواية المتناقض حتى وقع الاختلاف وكثرت النحل وتقطعت العصم وتعادى المسلمون واكفر بعضهم بعضاً وتعلق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث ثم ذكر الخوارج وما تعلقت به من الأحاديث في تأييد مذهبها والمرجئة وما تعلقت به كذلك والمفوضة وما تعلقت به من الأحاديث والرافضة وما تعلقت به من الأحاديث في ضلالتها وتكفيرها الصحابة ومفضلوا الفقر وما تعلقت به ، ثم ذكر طعون الزنادقة في أهل الحديث .

ثم قال : «باب ذكر أصحاب الكلام وأصحاب الرأي» فقال : وقد تدبرت ربحك الله - مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ويفتنون الناس بما يأتون ويبصرون القذى في عيون الناس وعميونهم تُطْرَفُ على الأجداع ويتهمون غيرهم في النقل ولا يتهمون آراءهم في التأويل . ومعاني الكتاب والحديث وما اودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكمية والآنية ولوردوا المشكل منها إلى أهل العلم بهما وضح لهم المنهج واتسع لهم المخرج . ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة وحب الاتباع واعتقاد الإخوان بالمقالات . والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضاً . ولو ظهر لهم من يدعى النبوة مع معرفتهم بأن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء أو من

يدعى الربوبية لوجد على ذلك إتباعاً واثياً. وقد كان يجب - مع ما يدعونه من معرفة القياس وإعداد الآت النظر - أن لا يختلفوا كما لا يختلف الحُسابُ والمسَّاحُ والمهندسون لأن آلتهم لا تدل إلا على عدد واحد وإلا على شكل واحد وكما لا يختلف مذاق الأطباء في الماء ونبض العروق لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد، فما بالهم أكثر الناس اختلافاً لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد في الدين .

ثم ذكر تضارب الآراء واختلاف الأهواء والاتجاهات بين زعماء أهل الكلام وانتقدهم أشد النقد ثم قال ذكر أصحاب الحديث .

فأما أصحاب الحديث، فإنهم التمسوا الحق من وجهته وتبعوه من مظانه وتقربوا من الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله ﷺ وطلبهم لآثاره وإخباره براً وبحراً وشرقاً وغرباً يرحل الواحد منهم راجلاً مقويماً في طلب الخبر الواحد أو السنة الواحدة حتى يأخذها من الناقل لها مشافهة ثم لا يزالوا في التنقيب عن الأخبار والبحث لها حتى فهموا صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها وعرفوا من خالفها من الفقهاء إلى الرأي فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافياً وبسوق بعد أن كان دارساً واجتمع بعد أن كان متفرقاً وأنقاد للسنن من كان عنها معرضاً وتنبه لها من كان عنها غافلاً، وحُكِمَ بقول رسول الله ﷺ بعد أن كان يحكم بقول فلان وفلان، وإن كان فيه خلاف على رسول الله ﷺ وقد يعيهم الطاعنون بحملهم الضعيف وطلبهم الغرائب. وفي الغريب الداء. ولم يحملوا الضعيف والغريب لأنهم رأوها حقاً. بل جمعوا الغث والسمين والصحيح والسقيم ليميزوا بينها ويدلوا عليها وقد فعلوا ذلك. ثم ذكر طائفة من الأحاديث الموضوعية وذكر نقد المحدثين لها وتزييفهم إياها وفضح واضيعها .

رحمه الله وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

شهادة الإمام ابن حبان :

قال الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد التميمي المتوفى سنة ٣٥٤ في مقدمة صحيحه «انظر الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان (١/٢٠-٢٣) .

بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله :-

ثم اختار طائفة لصفوته وهداهم للزوم طاعته من اتباع سبل الأبرار في لزوم السنن والآثار فزين قلوبهم بالإيمان وأنطق السنتهم بالبيان من كشف أعلام دينه وأتباع سنن نبيه بالدُّوب في الرحل والأسفار وفراق الأهل والأوطار في جمع السنن ورفض الأهواء والتفقه فيها



بترك الآراء فتجرد القوم للحديث وطلبوه ورحلوا فيه وكتبوه وسألوا عنه وذاكروا به ونشروه وتفقهوا فيه وأصلوه وفرعوا عليه وبذلوه وبينوا المرسل من المتصل والموقوف من المنفصل والناسخ من المنسوخ والمحكم من المفسوخ والمفسر من المجمل والمستعمل من المهمل والمختصر من المتقصى والملزوق من المتقصى والعموم من الخصوص والدليل من المنصوص والمباح من المزجور والغريب من المشهور والغرض من الإرشاد والحتم من الإيعاد والعدول من المجروحين والضعفاء من المتروكين وكيفية المعمول من المجهول وما حرف عن المخزول وقلب من المنحول من مخايل التديليس وما فيه التلبيس حتى حفظ الله بهم الدين على المسلمين وصانه من ثلب القادحين، جعلهم عند التنازع أئمة الهدى وفي النوازل مصابيح الدجى، فهم ورثة الأنبياء ومأنس الأصفياء .

ثم بعد الشهادة لرسول الله بالرسالة والبلاغ المين والجهاد وآثار ذلك قال : وإن في لزوم سنته تمام السلامة وجماع الكرامة لا تطفأ سرجها ولا تدحض حججها من لزمها عصم ومن خالفها ندم إذ هي الحصن الحصين من تمسك به ساد ومن رام خلافه باد، فالمتعلقون به أهل السعادة في الآجل والمغبوطون بين الأنام في العاجل . وقال : (١/١٠٥) وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفترق عليها أمة المصطفى ﷺ ثم ذكر حديث العرياض بن سارية وفيه « فإنه من يعش منكم فسيرى إختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» .

ثم قال : في قوله ﷺ : «فعلليكم بسنتي» عند ذكره الإختلاف الذي يكون في أمته بيان واضح أن من واظب على السنن وقال بها ولم يعرج على غيرها من الآراء من الفرقة الناجية في القيامة جعلنا الله منهم بمنة .

ثم قال في : (١/١٠٧) ذكر البيان بأن من أحب الله عز وجل وصفه ﷺ بإيثار أمرهما وابتغاء مرضاتهما على رضا سواهما يكون في الجنة مع المصطفى ﷺ .  
ثم قال في : (١/١٥١) كتاب العلم ذكر إثبات النصرة لأصحاب الحديث إلى قيام الساعة .

ثم أورد حديث معاوية بن قررة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم خذلان من خذلهم حتى تقوم الساعة» .

## شهادة الإمام الراهمزمي :

وقال الإمام أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الراهمزمي المتوفى سنة ٣٦٠ في مقدمة كتابه «المحدث الفاصل» (ص : ٤-١) :

اعترضت طائفة ممن يشأ الحديث ويبغض أهله، فقالوا بنقص أصحاب الحديث والإزراء بهم وأسرفوا في ذمهم والتقول عليهم وقد شرف الله الحديث وفضل أهله وأعلى منزلته وحكمه على كل نحلة وقدمه على كل علم ورفع من ذكر من حملة وعنى به، فهم بيضة الدين ومنار الحجة وكيف لا يستوجبون الفضيلة ولا يستحقون الرتبة الرفيعة وهم الذين حفظوا على الأمة هذا الدين واخبروا عن أنباء التنزيل وأثبتوا ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وما عظمه الله عز وجل به من شأن الرسول ﷺ فنقلوا شرائعه ودونوا مشاهده وصنفوا أعلامه ودلائله وحققوا مناقب عترته ومآثر آبائه وعشيرته وجاءوا بسير الأنبياء ومقامات الأولياء وأخبار الشهداء والصديقين وعبروا عن جميع فعل النبي ﷺ في سفره وحضره وطمعه واقامته وسائر احواله من منام ويقظه وإشارة وتصريح وصمت ونطق ونهوض وقعود ومأكل ومشرب وملبس ومركب وما كان سبيله في حال الرضا والسخط والإنكار والقبول حتى القلامة من ظفره ما كان يصنع بها، والنخاعة من فيه أين كان وجهتها، وما كان يقوله عند كل فعل يحدثه ويفعله، وعند كل موقف ومشهد يشهده تعظيماً له ﷺ ومعرفة بأقدار ما ذكر عنه وأسند إليه، فمن عرف للإسلام حقه وأوجب للرسول حرمة. أكبر ان يحتقر من عظم الله شأنه وأعلى مكانه واطهر حجته وأبان فضيلته ولم يرتق بطبيعته إلى حزب الرسول وأتباع الوحي وأوعية الدين، ونقلة الأحكام والقرآن، الذين ذكرهم الله عز وجل في التنزيل فقال: ﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾ .

فإنك إذا أردت التوصل إلى معرفة هذا القرن لم يذكرهم لك إلا راوى الحديث متحقق به أو داخل في حيز أهله ومن سوى ذلك فربك بهم أعلم .  
ثم ذكر كلاماً لبعض الحاقدين على أهل الحديث وبين باعث هذا الحقد ثم رد عليه ثم وجه نصيحة لطلاب الحديث فقال :

فتمسكوا - جبركم الله - بحديث نبيكم ﷺ وتبينوا معانيه وتفقهوا به وتأدبوا بأدابه ودعوا ما تعيرون به من تتبع الطرق وتكثير الاسانيد وتطلب شواذ الاحاديث وما دلسه المجانين وتبلبل فيه المغفلون واجتهدوا في أن توفوه حقه من التهذيب والضبط والتقويم ، لتشرفوا به في المشاهد وتنطلق الستكم في المجالس ولا تحفلوا بمن يعترض عليكم حسداً على ما آتاكم الله من فضله، فإن الحديث ذكر لا يحبه إلا الذاكرون ونسب لا يجهل بكل

مكان وكفى بالحدث شرفا ان يكون اسمه مقرونا باسم النبي ﷺ وذكره متصلا بذكره وذكر أهل بيته وأصحابه .

ولذلك قيل لبعض الأشراف : نراك تشتهي أن تحدث فقال : أولا أحب أن يجتمع اسمي واسم النبي ﷺ في سطر واحد . وحسبك جمالا عصابة منهم على بن الحسين بن علي رضي الله عنهم ، ومن يليه من ذريته وأهل بيت النبي ﷺ وأبناء المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان وأهل الزهادة والعبادة والفقهاء وأكثر الخلفاء ومن لا يدركه الإحصاء من العلماء والنبلاء والفضلاء والأشراف ذوى الأخطار فكيف بمن يسميهم الحشوية الرعاع ويزعم أنهم أغثار وحملة أسفار والله المستعان .

### شهادة الحاكم :

وقال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ في مقدمة كتابه : «معرفة علوم الحديث» (ص : ١-٤) :

الحمد لله ذى المن والإحسان والقدرة والسلطان الذى أنشأ الخلق بربوبيته وجنسهم بمشيئته واصطفى منهم طائفة إصفياء وجعلهم بررة أتقياء فهم خواص عباده وأوتاد بلاده يصرف عنهم البلياء ويخصهم بالخيرات والعطايا، فهم القائمون بإظهار دينه والمتمسكون بسنن نبيه وأشهد أن لا إله إلا الله الذى زجر عن اتخاذ الأولياء دون كتابه واتباع الخلق دون نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأن محمداً عبده المصطفى ورسوله المجتبى بلغ عنه رسالته فصلى الله عليه آمراً وناهياً ومبيحاً وزاجراً وعلى آله الطيبين .

أما بعد - فإننى لما رأيت البدع فى زماننا كثرت ومعرفة الناس بأصول السنن قلت مع إمعانهم فى كتابة الأخبار وكثرة طلبها على الإهمال والإغفال دعانى ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف يشتمل على ذكر أنواع علم الحديث مما يحتاج إليه طلبة الأخبار المواظبون على كتابة الآثار .

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا إبراهيم بن مرزوق البصرى بمصر، حدثنا وهب بن جرير ثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال : سمعت إبنى يحدث عن النبي ﷺ قال : «لا يزال ناس من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة .

سمعت أبا عبد الله محمد بن علي بن عبد الحميد الأدمى بمكة يقول سمعت موسى ابن هارون يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول وسئل عن معنى هذا الحديث فقال : «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث، فلا أدري من هم؟ . قال أبو عبد الله : وفى مثل هذا قيل من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحق . فلقد أحسن أحمد بن حنبل فى

تفسير هذا الخبر إن الطائفة المنصورة التي يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث .

ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين واتبعوا آثار السلف الماضين ودفعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله اجمعين من قوم آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم في الدمن والأوطان وتنعموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة العلم والإخبار وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار بوجود الكسر والأطهار قد تركوا الاحاد الذي تتوق إليه النفوس الشهوانية وتوابع ذلك من البدع والأهواء والمقاييس والآراء والزيغ جعلوا المساجد بيوتهم وأساطينها تكاهم وبواربها فرشهم .

حدثنا أبو الحسن على بن محمد بن عقبة الشيباني بالكوفة ثنا محمد بن الحسين بن أبي الحسين ثنا عمر بن حفص بن غياث قال : سمعت أبي وقيل له : ألا تنظر إلى أصحاب الحديث وما هم فيه . قال : هم خير أهل الدنيا .  
وحدثني أبو بكر محمد بن جعفر المزكي . ثنا أبو بكر محمد بن إسحاق . قال : سمعت على بن خشرم يقول : سمعت أبا بكر بن عياش يقول : إنى لأرجو أن يكون أصحاب الحديث خير الناس يقيم أحدهم ببابى وقد كتب عنى فلو شاء أن يرجع ويقول : حدثني أبو بكر جميع حديثه فعل ولكنهم لا يكذبون .

قال أبو عبد الله : ولقد صدقا جميعا أن أصحاب الحديث خير الناس وكيف لا يكونون كذلك وقد نبذوا الدنيا بأسرها وراءهم وجعلوا غذاءهم الكتابة وسمهم المعارضة واستر واحهم المذاكرة وخلوتهم المداد ونومهم السهاد واصطلاءهم الضياء وتوسدهم الحصى فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس فعقولهم بلذاذة السنة غامرة ، قلوبهم بالرضاء في الأحوال عامرة تعلم السنن سرورهم ومجالس العلم حبورهم وأهل السنة قاطبة إخوانهم وأهل الاحاد والبدع بأسرها أعداؤهم .  
سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول سمعت أبا إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذى يقول :

كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذى عند أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسن : يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث . فقال : أصحاب الحديث قوم سوء . فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه فقال : زنديق زنديق ودخل البيت .

سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ يقول : سمعت جعفر بن سنان الواسطي يقول : سمعت أحمد بن سنان القطان يقول : «ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث» وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه . قال أبو عبد الله وعلى هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا كل من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع لا ينظر إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة ويسميها الخشوية . . . اهـ .

أقول هذه الكراهية والبغضاء والحقد الأرعن مازال أهل البدع والزيع يتوارثونه جيلا بعد جيل إلى يومنا هذا فأشد أعدائهم هم أهل الحديث والسنة والتوحيد ، والحديث بقال الله قال رسول الله خصوصا فيما يتعلق بتوحيد الله ورد البدع أشد عليهم من وقع السهام وقرع السيوف وصوت القنابل والمدافع .

شهادة الخطيب البغدادي :

وألف الإمام الكبير أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ كتابا أسماه «شرف أصحاب الحديث» :

قال في مقدمته : بعد أن ذكر أقوال العلماء في ذم الرأي من (ص : ٣-٥) فلو أن صاحب الرأي المذموم شغل نفسه بما ينفعه من العلوم وطلب سنن رسول رب العالمين واقتفى آثار الفقهاء المحدثين لوجد في ذلك ما يغنيه عما سواه واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد وبيان ما جاء من الوعد والوعيد وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين والإخبار عن صفة الجنة والنار . من صنوف العجائب وعظيم الآيات وذكر الملائكة المقربين ونعت الصافين والمسيحين .

إلى أن يقول : وقد جعل الله أهله أركان الشريعة وهدم بهم كل بدعة شنيعة فهم أمناء الله في خليقته والواسطة بين النبي وأمتة والمجتهدون في حفظ ملته أنوارهم زاهرة وفضائلهم سائرة وآياتهم باهرة ومذاهبهم ظاهرة وحججهم قاهرة وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه وتستحسن رأيا تعكف عليه سوى أصحاب الحديث فإن الكتاب عدتهم والسنة حجتهم والرسول فئتهم وإليه نسبتهم لا يعرجون على الأهواء ولا يلتفتون إلى الآراء يقبل منهم ما رووا عن الرسول وهم المأمونون عليه العدول ، حفظة الدين وخزنته واوعية العلم وحملته ، إذا اختلف في الحديث كان إليهم الرجوع ، فما حكموا به فهو المقبول المسموع ، منهم كل عالم فقيه ، وإمام رفيع نبيه ، وزاهد في قبيلته ، مخلص بفضيلته ، وقارئ متقن وخطيب محسن وهم الجمهور العظيم وسبيلهم السبيل المستقيم وكل مبتدع باعتقادهم

يتظاهر وعلى الإفصاح بغير مذهبهم لا يتجاسر من كادهم قصمه الله ومن عاندهم خذله الله لا يضرهم من خذلهم ولا يفلح من اعتزلهم المحتاط لدينه إلى ارشادهم فقير وبصر الناظر بالشرا إليهم حسير وان الله على نصرهم لقدير ثم ساق إسناده إلى على بن المديني . قال : في حديث النبي ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » . قال (اي ابن المديني) : «هم أهل الحديث» والذين يتعاهدون مذاهب الرسول ويذبون عن العلم ولولاهم لم نجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء والرأى شيئاً من السنن فقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة حراس الدين وصرف عنهم كيد المعاندين لتمسكهم بالشرع المتين واقتنائهم آثار الصحابة والتابعين فشأنهم حفظ الآثار وقطع المفاوز والقفار، وركوب البرارى والبحار في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى . لا يعرجون عنه إلى رأى ولا هوى ، قبلوا شريعته قولاً وفعلاً وحرسوا سنته حفظاً ونقلًا ، حتى بينوا بذلك أصلها وكانوا أحق بها وأهلها ، فكم من ملحد يروم ان يخلط في الشريعة ما ليس منها ، والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها ، فهم الحفاظ لأركانها ، والقوامون بأمرها وشأنها إذا صدّف عن الدفاع عنها فهم دونها يناضلون ﴿أولئك حزب الله الا إن حزب الله هم المفلحون﴾ .

ثم قال في ص ٦ : قال الخطيب : قد ذكر أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه المؤلف في تأويل مختلف الحديث ما يتعلق به أهل البدع من الطعن على أصحاب الحديث ثم ذكر من فساد ما تعلقوا به ما فيه مقنع لمن وفقه الله لرشده ، ورزقه السداد في قصده وأنا أذكر في هذا الكتاب إن شاء الله ما روى عن رسول الله ﷺ في الحث على التبليغ عنه وفضل النقل لما سمع منه ، ثم ما روى عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء الخالفين في شرف أصحاب الحديث وفضلهم وعلو مرتبتهم ومحاسنهم المذكورة ومعالمهم الماثورة . نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بمحبتهم ويحيينا على سنتهم ويميتنا على ملتهم ويحشرنا في زميرهم انه بنا خبير بصير وهو على كل شىء قدير . ثم أورد حديث «نظر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه» من طرق إلى زيد بن ثابت وجبير بن مطعم وعبد الله بن مسعود - رضى الله عنهم - ثم روى بإسناده إلى سفيان بن عيينة أنه قال : ما من أحد يطلب الحديث إلا في وجهه نضرة لقول النبي ﷺ «نظر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه» (ص : ١٠-١١) . ثم أورد روايات في وصية النبي ﷺ باكرام أصحاب الحديث (ص : ١١-١٢) . ثم أورد حديث بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء من طريق أبي هريرة وعبد الله بن مسعود ثم قال عقبه : «قال عبدان هم أصحاب الحديث الأوائل» (ص : ١٣) . ثم أورد حديث : «ستفترق أمتي

على نيف وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» ثم روى بإسناده إلى الإمام أحمد بن حنبل أنه قال :

يعنى في الفرقة الناجية : ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا ادري من هم؟ (ص : ١٣). ثم ذكر قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» من حديث معاوية بن قره وعمران بن حصين . ثم قال : يزيد بن هارون إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟ وروى بإسناده إلى عبد الله بن المبارك أنه قال : هم عندي أصحاب الحديث ثم روى أيضا بإسناده إلى أحمد بن حنبل وأحمد بن سنان وعلى ابن المديني أنهم قالوا : إنهم أصحاب الحديث وأصحاب العلم والأثر (ص : ١٤-١٥). ثم أورد حديثا عن علي رضي الله عنه - في كون أهل الحديث خلفاء النبي ﷺ - في التبليغ عنه . (ص : ١٧-١٨) .

ثم قال : وصف النبي ﷺ إيمان أهل الحديث ثم ذكر في هذا المعنى حديثا عن عبد الله بن عمرو وآخر عن عمر بن الخطاب مرفوعين إلى النبي ﷺ (ص ١٨-١٩). ثم قال : «كون أصحاب الحديث أولى بالنبي ﷺ لدوام صلاتهم عليه» ثم أورد في هذا المعنى حديث ابن مسعود رضي الله عنه : «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم صلاة علي» ثم قال : قال أبو نعيم - رحمه الله - وهذه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على النبي ﷺ أكثر مما يعرف لهذه العصابة نسخاً وذكراً (ص : ١٩-٢٠) .

ثم قال : بشارة النبي ﷺ بكون طلبة الحديث بعده واتصال الاسناد بينهم وبينه وساق حديثا في هذا المعنى عن ثابت بن قيس مرفوعا وآخر عن ابن عباس - رضي الله عنهما . ثم قال : ذكر بيان فضل الإسناد وأنه مما خص الله به هذه الأمة ثم ذكر جهود أهل الحديث واهتمامهم بالاسانيد وتحريمهم في الأخذ عن الثقات واجتهادهم في كتابة الحديث وتتبع طرقه ونقدهم للرواة وبعدهم عن المحاباة فلا يجابى أحدهم في الحديث اباه ولا أخاه ولا ولده ثم قال : وهذا على بن المديني وهو إمام الحديث في عصره لا يروى عنه حديث واحد في تقوية أبيه ، بل يروى عنه ضد ذلك (ص : ٢٢-٢٣) .

ثم قال : كون أصحاب الحديث أمناء الرسول ﷺ لحفظهم السنن وتبيينهم لها . ثم نقل عن أبي خاتم فضل أهل الحديث وعن عبد الله بن داود الخريبي يقول سمعت أئمتنا ومن فوقنا أن أصحاب الحديث وحملة العلم هم أمناء الله على دينه وحفاظ سنة نبيه ما عملوا وعلموا . ثم روى بإسناده إلى - كهمس - رحمه الله قال : من لم يحقق ان

أهل الحديث حفظه الدين فإنه يعد في ضعفاء المساكين الذين لا يدينون الله بدين (ص: ٢٤-٢٥) .

ثم أورد العنوان التالي : وهو كون أصحاب الحديث حماة الدين بذمهم عن السنن وساق تحت هذا العنوان قول الثوري : « الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض » . وقول يزيد بن زريع : « لكل دين فرسان وفرسان هذا الدين أصحاب الإسانيد » . (ص : ٢٥) .

ثم قال : كون أصحاب الحديث ورثة رسول الله ﷺ فيما خلفه من السنة وأنواع الحكمة .

وذكر أثراً عن ابن مسعود أن السنة هي ميراث رسول الله ثم اعتبار الفضيل بن عياض أهل الحديث ورتبة الأنبياء . ثم قول الشافعي : « إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنني رأيت النبي ﷺ حياً » ساق هذا إلى الشافعي بإسناد صحيح (ص : ٢٥-٢٦) . ثم قال : « كونهم الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر » .

وروى بإسناده إلى إبراهيم بن موسى أنه سئل من الأمازون بالمعروف والناهون عن المنكر؟ قال : نحن منهم نقول . قال رسول الله ﷺ : لا تفعلوا كذا (ص : ٢٦) .

ثم قال : « كونهم خيار الناس » . ثم روى بإسناده إلى أبي بكر بن عياش أنه قال « ما قوم خير من أصحاب الحديث وقال : ما أعلم في الدنيا خيراً منهم » .

وبإسناده إلى أحمد بن حنبل : قال : ليس قوم عندي خيراً من أهل الحديث ليس يعرفون إلا الحديث . وقال : أهل الحديث أفضل من تكلم في العلم .

وقال أحمد أيضاً : إن لم يكن هؤلاء هم الناس فلا أدرى من الناس . وبإسناده إلى الأوزاعي أنه قال : لا أعلم أحداً أفضل من أهل الحديث وبإسناده إلى عثمان بن أبي شيبة أنه قال في أهل الحديث : أما إن فاسقهم خير من عابد غيرهم .

وبإسناده إلى أبي يوسف القاضي أنه قال وقد رأى أصحاب الحديث على الباب : « ما على الأرض خير منكم » (ص : ٢٦-٢٨) ثم عنون بما يأتي : « من قال إن الأبدال والأولياء أصحاب الحديث ثم ساق قول صالح بن محمد الرازي ويزيد بن هارون وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل في هذا المعنى أي أن أهل الحديث هم أولياء الله وهم الأبدال (ص : ٢٨) .



ثم أورد عنوانا بلفظ، من قال: لولا أهل الحديث لاندرس الإسلام ثم ساق بإسناده أقوال حفص بن غياث وأبي داود وعلى بن المديني في هذا المعنى ولفظ أبي داود لولا هذه العصاة لاندرس الإسلام يعنى أصحاب الحديث الذين يكتبون الآثار (ص: ٢٩) .

ثم قال: من قال: إن الحق مع أصحاب الحديث وساق أسانيده إلى هارون الرشيد والوليد الكرابسى ومحمد بن قريش العنبرى البصرى شهادتهم لأهل الحديث أنهم أهل الحق ولفظ الرشيد «طلبت أربعة فوجدتها في أربعة طلبت الكفر فوجدته في الجهمية وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث» (ص: ٣١-٣٢) . ثم قال كون أهل الحديث أولى الناس بالنجاة في الآخرة وأسبق إلى الجنة . ثم ساق بإسناده حديثا مرفوعا في هذا المعنى ثم عقبه بأقوال في هذا المعنى اسندها إلى أبي جعفر النفيلى وإلى أبي مزاحم الخاقانى وشاذان بن يحيى وابن المبارك والحسن بن على التميمى .

وقول النفيلى: إن كان على وجه الأرض أحد ينجو فهؤلاء الذين يطلبون الحديث . (ص: ٣٢-٣٣) .

ثم تكلم في فضل الرحلة في طلب الحديث وسماعه وكونه فيه خير الدنيا والآخرة وذم الذين لم يسمعوا الحديث والترغيب في كتابة الحديث وثبوت حجة صاحب الحديث، ووصف الراغب في الحديث والزاهد فيه .

ثم قال: الاستدلال على أهل السنة بحبهم أصحاب الحديث وأسند إلى قتيبة بن سعيد قوله: «إذا رأيت الرجل يجب أهل الحديث مثل يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وذكر قوماً آخرين فإنه على السنة ومن خالف هذا فاعلم أنه مبتدع» . (ص: ٤٠) .

ثم أسند إلى أحمد بن حنبل أن أحمد بن الحسن الترمذى قال له: يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيبة بمكة أصحاب الحديث فقال له أصحاب الحديث قوم سوء فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه . فقال: زنديق زنديق ودخل بيته . وذكر أقوالا عن الأوزاعى وغيره أن من علامة المبتدعة عدم انقيادهم للحديث . (ص: ٤٠-٤١) .

ثم قال: من جمع بين مدح أصحاب الحديث وذم أهل الرأى والكلام الخبيث . وأسند إلى الشعبي وأحمد بن شيبويه ومحمد بن عبد الرحمن النسفى أقوالهم في ذم الرأى .

ثم أسند إلى عبيدة بن زياد الأصبهاني أنه قال:

دين النبى محمد اخبار نعم المطية للفتى آثار

لا تخدعن عن الحديث وأهله فالرأى ليل والحديث نهار  
ولربما غلط الفتى سبل الهدى والشمس بازغة لها أنوار  
وساق أقوالا لعلماء في ذم الرأى. ثم أسند إلى أبى عبد الله محمد بن على الصورى  
أنه قال :

قل لمن عاند الحديث واضحى عائباً أهله ومن يدعيه  
أبعلم تقول هذا ابن لى أم يجهل فالجهل خلق السفية  
إيعاب الذين هم حفظوا الدين من الترهات والتمويه  
وإلى قولهم وما قد روه راجع كل عالم وفقيه

ثم ساق أقوالا في ذم الكلام وأهله ومنها قول الشافعى : حكمى في أهل الكلام أن  
يضربوا بالجريد ويحملوا على الابل ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال : هذا جزاء من  
ترك الكتاب والسنة وأخذ بالكلام . (ص : ٤١-٤٣) - رحمه الله وجزاه الله عن الحديث وأهله  
خيراً .

فهذا قليل من كثير في حال أهل الحديث وواقعهم وما قيل من مدح بحق وشهادة  
بصدق . نقلت هذا لمن كان على نهجهم في اتباع الكتاب والسنة ليزداد إباناً وثباتاً ولن خدع  
من المنتسبين إلى السنة بمغالطات وتلبيسات الجهمية والمرجئة وغيرهما من الفرق الضالة  
فوقع في شىء من التعطيل والتأويل الجهمى أو التخريف الصوفى أو وقع في مزلق الإرجاء أو  
سقط في أفخاخ الجبرية ليعود إلى أصله ويأوى إلى عرينه فيلزم عرين أهل الحديث ويكون  
في ركبهم ويتبع حاديمهم :

أهل الحديث هموا أهل النبى وان لم يصحبوا نفسه انفاسه صحبوا  
دين النبى محمد اخبار نعم المطية للفتى آثار  
لا ترغبين عن الحديث وأهله فالرأى ليل والحديث نهار  
ولربما جهل الفتى أثر الهدى والشمس بازغة لها أنوار  
ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء  
والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً .

فَقَالَتْ:

# صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ

لِلدُّنِيِّ مُحَمَّدٍ صَبِيٍّ الرَّحْمَةِ الرَّحِيمِ  
أَسَازِيسَاعِدِ بَكْرِيَّةِ الْمَدِينَةِ السَّرِيفَةِ

الأول : حكم صلاة الجماعة :

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « أثقل الصلاة على المنافقين ، صلاة العشاء ، وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيها لأتوها ولو حبوا ، ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ، ثم أمر رجلا فيصلى بالناس ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار . (إسناده صحيح) (١) .  
وفي رواية عند أحمد «لولا ما فى البيوت من النساء والذرية لأقمت صلاة العشاء وأمر فتيانى يحرقون ما فى البيوت بالنار» (٢) .  
وفي إسناد أحمد : أبو معشر ، وهو نجيح بن عبد الرحمن السندى المشهور بكنيته ، ضعيف .

وقوله : «حبوا» أى المشى على الأيدى والركب ، وهو الزحف كما يزحف الصغير .  
خص النبى ﷺ الصلاتين وهما العشاء والفجر وجعلها ثقلاً على المنافقين لأن العشاء كانت وقت الإيواء إلى البيوت من العمل ، وكانت ظلمة الليل تمنعهم من الخروج من البيت . وأما الفجر فلذة النوم تمنع من القيام وخاصة فى البرد الشديد .  
وخص النبى ﷺ المنافقين لأنهم ما كانوا يؤدون الصلاة على جهة الاحتساب فكلموا وجدوا فرصة للغيب لم يفرطوا فيها ، بل اغتموها فكأن النبى ﷺ شبه المؤمنين تاركى حضور الجماعة فى صلاتى الفجر والعشاء بالمنافقين ، وهددهم بالاحراق بالنار .  
واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على وجوب صلاة الجماعة لأنها لو كانت سنة لما هدد النبى ﷺ تاركها بالتحريق .

(١) رواه البخارى : (٢/١٢٥) مع الفتح) ومسلم (١/١٤٥) وأبو داود (١/٣٧١-٣٧٢) والنسائى (٢/١٠٧) والترمذى (١/٤٢٢-٤٢٣) وأحمد (٢/٢٤٤ ، ٢٩٢ ، ٣١٤ ، ٣١٩) .  
(٢) أحمد : (٢/٣٦٧) .

فتفرع عن ذلك عدة أقوال في حكم صلاة الجماعة منها :

١ - أنها فرض على الأعيان : وهو رأى الأوزاعي ، وأحمد ، وداود الظاهري وبعض محدثي الشافعية كأبي ثور، وابن خزيمة، وابن المنذر، وابن حبان، ثم اختلف هؤلاء، فقال داود الظاهري : إنها شرط في صحة الصلاة، ففي المحلى «ولا تجزى صلاة فرض أحداً من الرجال، إذا كان بحيث يسمع الأذان أن يصلّيها إلا في المسجد مع الإمام، فإن تعمد ترك ذلك بغير عذر بطلت صلاته فإن كان بحيث لا يسمع الأذان ففرض عليه أن يصلّي في جماعة مع واحد إليه فصاعداً ولا بد، فإذا لم يفعل فلا صلاة له إلا أن لا يجد أحداً يصلّيها معه فيجزئه حينئذ إلا من له عذر فيجزئه حينئذ التخلف عن الجماعة» (١).

وذكر ابن عقيل من الحنابلة وجهاً في اشتراطها عن أحمد أيضاً قياساً على سائر واجبات الصلاة. والصحيح عنه أنها ليست شرطاً في صحة الصلاة بدليل عدم انكار النبي ﷺ على اللذين صليا في رحلهما .

يقول ابن دقيق العيد : «ولما كان الوجوب قد ينفك عن الشرطية قال أحمد في أظهر قوليهِ بوجوبها على الأعيان بدون شرطية» (٢) .

وكذلك انعقد الاجماع على أن من صلى في بيته وحده لا يجب عليه الإعادة .

٢ - وذهب الجمهور إلى أنها سنة مؤكدة . وهو رأى الأئمة الثلاثة : مالك والشافعي وأبي حنيفة، وبه قال الثوري : وللشافعي ومالك قول بأنها فرض كفاية .

أدلة القائلين بوجوب الجماعة :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتِهِمْ ﴾ (سورة النساء) .

هذه الآية تختص بصلاة الخوف، فإذا لم يأذن الله أن نتخلف عن الجماعة في حالة الخوف، ففي الأمن أولى .

قال ابن كثير : «وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة من هذه الآية الكريمة، حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة، فلولا أنها واجبة لما ساغ ذلك» (٣) .

(١) المحلى : (٤/٢٦٥) .

(٢) إحكام الأحكام : (١/١٦٦) .

(٣) تفسير ابن كثير : (٢/٣٥٤) .

وقال ابن قدامة : «ولو لم تكن واجبة لرخص فيها حالة الخوف، ولم يجز الإخلال بواجبات الصلاة من أجلها» (١) .

٢ - ولأن النبي ﷺ لم يرخص للأعمى أن يتخلف عن الجماعة مع عذره .  
قال أبوهريرة : «أتى رسول الله ﷺ رجل أعمى فقال يارسول الله : إنه ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال : هل تسمع النداء؟ قال : نعم . قال : فأجب» (٢) .

وعن عمرو بن أم مكتوم أنه قال لرسول الله ﷺ : «إنى ضرير البصر، شاسع الدار، ولى قائد لا يلاومنى، فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى؟ . قال : هل تسمع النداء؟ . قال : نعم . قال : فأجب، فإنى لا أجد لك رخصة» . وفى رواية «قال يارسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع، وأنا ضرير البصر، فهل تجد لى من رخصة؟ . قال : تسمع حى على الصلاة، حى على الفلاح؟ . قال : نعم . فقال : فحى هلا، ولم يرخص» (٣) .  
قوله : يلاومنى من الملاومة أى الموافقة والمناسبة .

قال الخطابى : هكذا يروى فى الحديث بالواو . ولكن الصواب : يلايمنى : أى يوافقنى . واما الملاومة فإنها من اللوم وليس هذا موضعه .  
والهوام : هوام الأرض أى حشراتنا .

فحى هلا : حى بمعنى هلم، وهلا : بمعنى عجل واسرع .  
قال الخطابى : وفى هذا دليل على أن حضور الجماعة واجب ولو كان ذلك ندباً لكان أولى من يسعه التخلف عنها أهل الضرر والضعف، ومن كان فى مثل حال ابن أم مكتوم . وكان عطاء بن رباح يقول : ليس لأحد من خلق فى الحضر، والقرية رخصة إذا سمع النداء فى أن يدع الصلاة . وقال الأوزاعى : لا طاعة للوالدين فى ترك الجمعة والجماعات، سمع النداء أو لم يسمع . وكان أبو ثور يوجب الجماعة . واحتج هو وغيره ممن أوجب به بأن الله سبحانه وتعالى أمر أن يصلى جماعة فى حال الخوف، ولم يعذر فى تركها فعقل أنها فى حال الأمن أوجب .

وقال : واكثر أصحاب الشافعى على أن الجماعة فرض على الكفاية لا على الأعيان . وتأولوا حديث ابن أم مكتوم على أنه لا رخصة لك ان طلبت فضيلة الجماعة،

(١) المعنى : (١٤٩/٢) .

(٢) رواه مسلم : (٤٥٢/١) والنسائى (١٠٩/٢) .

(٣) رواه أبو داود (٣٧٥/١) والنسائى (١١٠/٢) وابن ماجه (٢٦٠/١) واسناده صحيح .

وانك لا تحرز أجرها مع التخلف عنها بحال . واحتجوا في ذلك بقوله ﷺ : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » . انتهى كلامه (١) .

٢ - حديث ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : « من سمع المنادى فلم يمنعه من اتباعه عذر، قال : وما العذر؟ . قال : خوف أو مرض ، لم تقبل منه صلاته التي صلى » .  
رواه أبو داود والدارقطني والحاكم (٢) كلهم بطرق عن أبي جناب ، عن مغراء العبدى ، عن عدى بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عنه .  
قال أبو داود : روى عن مغراء أبو إسحاق أيضاً .  
وسكت عليه الحاكم والذهبي :

ومغراء : بفتح أوله وسكون المعجمة - أبو مخارق الكوفي ذكره ابن حبان في الثقات وطعن فيه عبد الحق وتكلم فيه الذهبي . قال ابن القطان : أنكر على عبد الحق طعنه في حديثه . ولا يعرف فيه تجريح .

وفيه يحيى بن أبى حية ، أبو جناب الكلبي : قال الحافظ : ضعفه لكثرة تدليسه .  
وقال المنذرى : أبو جناب يحيى بن أبى حية الكلبي ضعيف واخرجه ابن ماجه بنحوه واسناده أمثل وفيه نظر . انتهى .  
وحديث ابن ماجه الذى أشار إليه المنذرى هو بلفظ « من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر » .

رواه ابن ماجه والدارقطني والحاكم (٣) كلهم من طرق عن هشيم بن بشير عن شعبة ، عن عدى بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . كما رواه الحاكم أيضاً بطريق عبد الرحمن بن غزوان أبى نوح المعروف بقراد عن شعبة . وقال : هذا الحديث قد أوقفه غندر وأكثر أصحاب شعبة ، وهو حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وهشيم ، وقراد أبو نوح ثقتان ، فإذا وصلاه فالقول فيه قولهما . انتهى . ووافقه الذهبي وقال : الدارقطني بعد ذكر هذا الحديث بطريق هشيم بن بشير عن شعبة . حدثنا ابن مبشر وآخرون قالوا : أخبرنا عباس بن محمد الدورى حدثنا قراد عن شعبة باسناده نحوه .  
ثم قال : رفعه هشيم ، وقراد شيخ من البصريين مجهول . انتهى .

(١) مختصر المنذرى : (٢٩٢/١) وهامش سنن أبى داود (٣٧٤/١) .  
(٢) أبو داود (٣٧٤/١) والدارقطني (٤٢٠/١) والحاكم (٢٤٥/١) .  
(٣) ابن ماجه (٢٦٠/١) والدارقطني (٤٢٠/١) والحاكم (٢٤٥/١) .

وقرأ هذا الذي زعمه الدارقطني هنا أنه مجهول قد وثقه هو نفسه في الجرح والتعديل كما نقله عنه الحافظ في التهذيب<sup>(١)</sup>.

**قال الحافظ :** ورواه قاسم بن اصبغ في مسنده موقوفاً ومرفوعاً من حديث شعبة عن عدى بن ثابت به ولم يقل في المرفوع : «إلا من عذر». ثم ذكر كلام الحاكم وأنه أخرج في مستدركه بعض الشواهد، منها: عن أبي موسى الأشعري وهو من طريق أبي بكر بن عياش، عن أبي حصين عن أبي بردة عنه بلفظ: من سمع النداء فارغاً صحيحاً فلم يجب فلا صلاة له. ثم قال: ورواه البزار من طريق قيس بن الربيع عن أبي حسين أيضاً. ورواه من طريق سماك عن أبي بردة عن أبيه موقوفاً. وقال البيهقي: الموقوف أصح. ورواه العقيلي في الضعفاء من حديث جابر، وضعفه، ورواه ابن عدى من حديث أبي هريرة وضعفه. «انتهى كلام الحافظ»<sup>(٢)</sup>.

**وقال الحاكم :** وقد صحت الرواية فيه عن أبي موسى عن أبيه (هكذا والصحيح عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه). ووافق الذهبي على تصحيح الحديث<sup>(٣)</sup>.  
**قال الكاساني :** «تجب الجماعة على الرجال العاقلين الأحرار القادرين عليها من غير حرج. فلا تجب على النساء والصبيان والمجانين والعبيد والمقعد ومقطوع اليد والرجل من خلاف والشيخ الكبير لا يقدر على المشي والمريض «انتهى»<sup>(٤)</sup> لأن هؤلاء من أصحاب الأعداء.

**٤ - حديث جابر بن عبد الله :** لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد «وهو حديث مشهور بين الناس وليس له اسناد ثابت. فقد رواه الدارقطني<sup>(٥)</sup> عن جابر بن عبد الله وفيه: محمد بن سكين الشقري المؤذن. قال عنه الذهبي: لا يعرف وخبره منكر. وقال البخاري: في اسناد حديثه نظر. ورواه العقيلي في الضعفاء وضعفه. ورواه أيضاً هو والحاكم<sup>(٦)</sup>. عن أبي هريرة: وفيه سليمان بن داود اليمامي قال عنه ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن حبان متروك. ورواه ابن عدى في الكامل وضعفه، ورواه أيضاً عن علي بن أبي طالب. وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف جداً.

(١) التهذيب : (٢٤٩/٦).

(٢) انظر التلخيص الخبير : (٣٠/٢).

(٣) انظر المستدرک : (٢٤٦/١).

(٤) البدائع : (٤٢٢/١).

(٥) الدارقطني : (٤٢٠/١).

(٦) المستدرک : (٢٤٦/١).

وقال ابن الجوزى : رواه عمر بن راشد من حديث عائشة . قال ابن حبان : لا يحل ذكر عمر إلا على سبيل القدر فيه (١) .

ذكر السيوطى فى الجامع الصغير (٢) . والعجلونى فى كشف الخفاء (٣) .  
وقالا : إنه ضعيف . هذه هى بعض ما روى فى هذا الموضوع وإليكم الآن :

وجهة نظر الجمهور القائلين بعدم وجوب الجماعة :

نظر الجمهور إلى الأحاديث التى مر ذكرها، وإلى الأحاديث التى تفضل الجماعة على الفرد بدرجات فقالوا : نحمل هذه الأحاديث على تأكيد الجماعة وعدم التهاون فيها لأن قوله ﷺ : «على صلاته وحده» يقتضى صحة صلاته منفرداً لاقتضاء صيغة «أفعل» الاشتراك فى أصل التفاضل فان ذلك يقتضى أيضاً وجود فضيلة فى صلاة المنفرد . وما لا يصح لا فضيلة فيه .

قال الإمام الشافعى : «ومنعنى أن أقول إن صلاة الرجل لا تجوز وحده وهو يقدر على جماعة بحال تفضيل النبى ﷺ صلاة الجماعة على صلاة المنفرد، ولم يقل لا تجزى المنفرد صلاته، وأنا قد حفظنا أن قد فاتت رجالاً معه الصلاة فصلوا بعلمه منفردين، وقد كانوا قادرين على أن يجمعوا، وأن قد فاتت الصلاة فى الجماعة قوماً فجاءوا المسجد فصلى كل واحد منهم منفرداً، وقد كانوا قادرين على أن يجمعوا فى المسجد، فصلى كل واحد منهم منفرداً» (٤) .

قال القرطبى : ولا يقال ان لفظة «أفعل» قد ترد لإثبات صفة الفضل فى إحدى الجهتين كقوله تعالى : ﴿وأحسن مقيلاً﴾ . لأننا نقول : إنما يقع ذلك على قلة حيث ترد صيغة «أفعل» مطلقة غير مقيدة بعدد معين . فإذا قلنا : هذا العدد أزيد من هذا بكذا فلا بد من وجود أصل العدد .

ولا يقال : يحمل المنفرد على المعذور لأن قوله : صلاة الفرد صيغة عموم فى شمل من صلى منفرداً بعذر، وبغير عذر فحمله على المعذور يحتاج إلى دليل . وأيضاً ففضل الجماعة حاصل للمعذور (٥) .

(١) الموضوعات : (٩٣/٢) . وانظر المجروحين لابن حبان : (٩٣/٢) .

(٢) ٤٣١ / ٦ : (مع فيض القدين) .

(٣) كشف الخفاء : (٣٦٥/٢) .

(٤) الأم : (١٥٥/١) .

(٥) أنظر فتح البارى : (١٣٦/٢) .



ويحتج على الظاهرية القائلين بالوجوب بحديث أبي هريرة أنه بمقتضى مذهبهم لا يدل على وجوب الجماعة في غير الفجر والعشاء. لأنهم يأخذون بالظاهر. فإذا ثبت أن الصلوات الأخرى غير واجبة، وجب أن نحمل حديث أبي هريرة على غير الوجوب أيضاً لأن الصلوات الخمس لا يختلف حكمها .  
فإذا كان كذلك وجب تأويل حديث أبي هريرة حتى يصلح أن يكون حكمه مثل الصلوات الأخرى .

وإليك بعض هذه التأويلات نقلاً من الحافظ :

١ - إن النبي ﷺ هم بالتوجه إلى المتخلفين، فلو كانت الجماعة فرض عين ما هم بتركها إذا توجه .

وتعقب بأن الواجب يجوز تركه لما هو أوجب منه كما أن تركه لها حال التحريق لا يستلزم الترك مطلقاً لإمكان أن يفعلها في جماعة آخرين قبل التحريق أو بعده .

٢ - إنها لو كانت شرطاً أو فرضاً لبين ذلك عند التواعد .

يجاب بأن النبي ﷺ قد دل على وجوب الحضور وهو كاف في البيان .

قال ابن دقيق العيد : بأن البين قد يكون بالتنصيص وقد يكون بالدلالة .

فلما قال : قد «هممت» دل على وجوب الحضور .

٣ - قال الباجي وغيره : إن الخبر ورد مورد الزجر، وحقيقته غير مرادة، وإنما المراد -

المبالغة ويرشد إلى ذلك وعيدهم بالعقوبة التي يعاقب بها الكفار .

وقد انعقد الاجماع على منع عقوبة المسلمين بذلك .

وأجيب بأن المنع وقع بعد نسخ التعذيب بالنار وكان قبل ذلك جائزاً بدليل حديث أبي

هريرة قال : بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال : «إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما بالنار» .

ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج : «إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً . وإن النار لا

يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما» .

رواه البخاري في الجهاد في باب لا يعذب بعذاب الله وأصحاب السنن . إلا أن هذا

الحكم كان خاصاً بالكفار .

٤ - أن النبي ﷺ ترك تحريقهم بعد التهديد فلو كان واجباً ما عفا عنهم .

قال القاضي عياض : ليس في الحديث حجة لأنه ﷺ هم ولم يفعل وزاد النووي : ولو

كان فرض عين لما تركهم .

وأجاب ابن دقيق العيد فقال : هذا ضعيف لأنه لا يهيم إلا بما يجوز له فعله ، وأما الترك فلا يدل على عدم الوجوب لاحتمال أن يكون انزجروا بذلك وتركوا التخلف الذى ذمهم بسببه وقد جاء فى بعض الطرق بيان سبب الترك وهو فيما رواه أحمد من طريق سعيد المقبرى عن أبى هريرة بلفظ : لولا ما فى البيوت من النساء والذرية لاقمت صلاة العشاء وأمرت فتيانى يحرقون . الحديث (١) .

٥ - قالوا : إن المراد بالتهديد قوم تركوا الصلاة رأساً لا مجرد الجماعة وهو متعقب بأن فى رواية مسلم «لا يشهدون الصلاة» أى لا يحضرون ، وفى رواية أحمد «لا يشهدون العشاء فى الجميع» . أى فى الجماعة .

٦ - إن هذا التهديد ورد فى حق المنافقين لتركهم الجماعة . تعقب باستبعاد الاعتناء بتأديب المنافقين على تركهم الجماعة مع العلم بأنه لا صلاة لهم . وبأنه ﷺ كان معرضاً عنهم وعن عقوبتهم مع علمه بطويتهم . وقد قال : «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» . وتعقب هذا التعقيب ابن دقيق العيد بأنه لا يتم إلا أن ادعى أن ترك معاقبة المنافقين كان واجباً عليه ولا دليل على ذلك وليس فى اعراضه عنهم ما يدل على وجوب ترك عقوبتهم (٢) .

قال الحافظ بعد نقل هذه الاحتمالات : والذى يظهر لى أن الحديث ورد فى المنافقين لقوله فى صدر الحديث : «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء . . .» . وبقوله ﷺ : «لويعلم أحدكم» لأن هذا الوصف لا يثق بالمنافقين لا بالمؤمن الكامل ، لكن المراد به نفاق المعصية ، لا نفاق الكفر بدليل قوله فى رواية عجلان : «لا يشهدون العشاء فى الجميع» . وقوله فى حديث أسامة : «لا يشهدون الجماعة» وأصرح من ذلك قوله فى رواية يزيد بن الأصم عن أبى هريرة عند أبى داود : «ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة» . فهذا يدل على أن نفاقهم نفاق معصية لا كفر . لأن الكافر لا يصلى فى بيته إنما يصلى فى المسجد رياء وسمعة ، فإذا خلا فى بيته كان كما وصفه الله به من الكفر والاستهزاء . انتهى (٣) .

وأجاب الجمهور عن حديث ابن أم مكتوم وغيره من أصحاب الاعذار بأن النبى ﷺ لم يجد لهم رخصة تحصل لهم فضيلة الجماعة من غير حضورها ، وليس معناه إيجاب الحضور

(١) هذه الزيادة لا تصح وقد سبق بيانه .

(٢) احكام الأحكام : (١/١٦٥) .

(٣) فتح البارى : (٢/١٢٧) .

على الأعمى ، بدليل أنه ﷺ رخص لعثمان بن مالك - رضى الله عنه - حين قال : يا رسول الله إن السيول تحول بينى وبين مسجد قومي ، فأحب أن تأتيني في مكان من بيتي أتخذه مسجداً . فقال رسول الله ﷺ : « سنفعل » . فلما دخل النبي ﷺ قال : « أين تريد؟ » . فأشار إلى ناحية من البيت فقام رسول الله ﷺ فصفنا خلفه ، فصلى بنا ركعتين .

وفي رواية إن عثمان بن مالك كان يؤم قومه وهو أعمى ، وأنه قال لرسول الله ﷺ : إنها تكون الظلمة ، والسيول ، وأنا رجل ضرير البصر ، فصل يا رسول الله في بيتي مكاناً أتخذه مصلى . . . الخ (١) .

وقالوا أيضاً : إن النبي ﷺ لم يأمر رجلين صلياً في رحالهما باعادة الصلاة . ولم يبين لهم أن حضور الجماعة واجب وهذا وقت بيانه .

ثم الاستدلال بحديثي الأعمى وأبي هريرة على وجوب مطلق الجماعة ففيه نظر . لأن الدليل اخص من الدعوى إذ غاية ما في ذلك وجوب حضور جماعة النبي ﷺ في مسجده لسامع النداء .

وكان من جملة أدلتهم أيضاً حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً وهو « إن اعظم الناس في الصلاة أجراً أبعدهم إليها ممشي ، والذي ينتظر الصلاة يصلحها مع الإمام أعظم أجراً من الذي يصلى ثم ينام » (٢) .

وأيضاً حديث أبي هريرة بهذا المعنى (٣) .

وأما حديث ابن عباس المتقدم بلفظ « من سمع النداء فلم يأت الصلاة فلا صلاة له إلا من عذر » . فإن المراد به كاملة على أن في اسناده يحي بن أبي حية أبو جناب ضعيف كما سبق . والله تعالى أعلم بالصواب .

## الثاني : كيف تحصل فضيلة الجماعة؟

تحصل فضيلة الجماعة بالاثنتين وأكثر لأن النبي ﷺ اطلق في قوله : « أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة » . فسوى الجماعات في الفضل سواء كثرت أم قلت .

(١) رواه البخارى : (١٥٧/٢ مع الفتح) ومسلم (٤٥٥/١) والنسائي (٨٠/٢) .

(٢) رواه البخارى : (١٣٦/٢ مع الفتح) ومسلم (٤٦٠/١) .

(٣) رواه أبو داود : (٣٧٧/١) وابن ماجه (٢٥٧/١) وأحمد (٣٥٠/٢ ، ٤٢٨) بطرق عن ابن أبي ذئب ، عن عبد الرحمن بن مهران ، عن عبد الرحمن بن سعد ، عن أبي هريرة مرفوعاً : ولفظه « الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً » وعبد الرحمن بن مهران - الهاشمي مولاهم - قال عنه الحافظ في التقریب : مجهول . وقال الخزرجي في الخلاصة : وثقة ابن حبان . أقول لأنه مشى على قاعدته وهى توثيق المجاهيل ، فانه لم يرو عنه إلا ابن أبي ذئب .

وقد روى ابن أبي شيبة باسناد صحيح عن إبراهيم النخعي أنه قال: إذا صلى الرجل مع الرجل فهما جماعة، لهم التضعيف خمسا وعشرين<sup>(١)</sup> انتهى .

ولكنه لا ينفى مزيد الفضل إذا كان أكثر، لاسيما مع وجود النص المصرح به وهو ما رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن خزيمة وغيره من حديث أبي بن كعب مرفوعاً: صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما أكثر فهو أحب إلى الله<sup>(٢)</sup> .

والصحيح أن الجماعة تحصل باثنين لما رواه مالك بن الحويرث قال: أتيت النبي ﷺ أنا وصاحب لي، فلما أردنا الاقفال من عنده قال: إذا حضرت الصلاة فأذنا، ثم أقيما وليؤمكما أكبركما<sup>(٣)</sup> .

وقد بوب البخارى في صحيحه : الاثنان فما فوقهما جماعة . وهذه ترجمة مأخوذة من حديث ورد من طرق ضعيفة منها في ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري وفي معجم البغوى من حديث الحكم بن عمير، وفي أفراد الدارقطنى من حديث عبد الله بن عمر، وفي البيهقى من حديث أنس، وفي الأوسط للطبرانى وعند أحمد من حديث أبي امامة: «أنه رأى رجلاً يصلى وحده فقال: ألا رجل يتصدق على هذا فيصلى معه؟ فقام رجل فصلى معه فقال: هذان جماعة» والقصة المذكورة دون قوله «هذان جماعة» أخرجها أبو داود والترمذى من وجه آخر صحيح<sup>(٤)</sup> .

وقال الإمام النووي : «قال أصحابنا: أقل الجماعة اثنان إمام ومأموم، فإذا صلى رجل برجل، أو بأمراته، أو أمته، أو بنته أو غيرهم أو بغيلامه، أو بسيدته، أو بغيرهم حصلت لهما فضيلة الجماعة التى هى خمس أو سبع وعشرون درجة، وهذا لا خلاف فيه . ونقل الشيخ أبو حامد وغيره فيه الاجماع<sup>(٥)</sup> .

وذلك بدون تفريق ما بين الفرض والنفل . وذهب الإمام أبو حنيفة وأصحابه إلى أنه لا تنعقد الجماعة بصبي، وذهب هو فى رواية، والإمام مالك إلى الصحة فى النافلة دون الفرض .

(١) المصنف : (٥٣١/٢) .

(٢) أحمد : (١٤٠/٥) وأبو داود (٣٧٦/١) والنسائى (١٠٥/٢) .

(٣) رواه البخارى : (١١١/٢) مع الفتح) ومسلم (٤٦٥/١) وأبو داود (٣٩٦/١) والترمذى (٣٩٩/١) والنسائى (٧٧/٢) .

(٤) انظر فتح البارى : (١٤٢/٢) .

(٥) انظر شرح المهذب : (٨١/٤) .

وعموم الأحاديث قاضية على هذا الخلاف، لأن النبي ﷺ لم يبين بأن الجماعة لا تنعقد مع صبي فالأمر على الأصل حتى يثبت بالدليل ما يخالفه .

### الثالث : العدد الصحيح لمضاعفة فضل صلاة الجماعة على الفرد

قال الترمذى : عامة من روى هذا الحديث قالوا خمساً وعشرين إلا ابن عمر فإنه قال : سبعا وعشرين .

قال الحافظ : لم يختلف عليه في ذلك إلا ما وقع عند عبد الرزاق<sup>(١)</sup> عن عبد الله العمرى عن نافع فقال فيه : خمس وعشرون . لكن العمرى ضعيف . ووقع عند أبي عوانة في مستخرجه من طريق أبي أسامة عن عبيد الله بن عمر عن نافع فإنه قال فيه : بخمس وعشرين وهى شاذة مخالفة لرواية الحفاظ من أصحاب عبيد الله وأصحاب نافع وإن كان راويها ثقة<sup>(٢)</sup> . وأما ما وقع عند مسلم من رواية الضحاك بن عثمان عن نافع بلفظ بضع وعشرين فليست مغايرة لرواية الحفاظ لصدق البضع على السبع وأما غير ابن عمر فصح عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وابن مسعود، عند أحمد وابن خزيمة، وعن أبي بن كعب عند ابن ماجه، والحاكم، وعن عائشة وأنس عند السراج وورد أيضاً من طرق ضعيفة عن معاذ وصهيب وعبد الله بن زيد بن ثابت وكلها عن الطبرانى واتفق الجميع على خمس وعشرين سوى رواية أبي فقال : أربع أو خمس على الشك وسوى رواية أبي هريرة عند أحمد فقال فيها : سبع وعشرون، وفي اسنادها شريك القاضى وفي حفظه ضعف، وفي رواية لأبي عوانة بضعاً وعشرين، وليست مغايرة أيضاً لصدق البضع على الخمس، فرجعت الروايات كلها إلى الخمس والسبع إذاً لا أثر للشك، واختلف في أيهما أرجح فقيل : رواية الخمس لكثرة روايتها، وقيل رواية السبع لأن فيها زيادة من عدل حافظ<sup>(٣)</sup> .

(١) المصنف : (١/٥٢٤) إلا أنه رواه عن عبيد الله بن عمر العمرى : (وهو ابن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب) وهو ثقة غير أن أخاه عبد الله بن عمر ضعيف .

فلا ادرى هل كان في نسخة الحفاظ هكذا كما قال أو وقع فيه تصحيف .

(٢) أقول : ومن أصحاب عبيد الله، شعيب، رواه البخارى عنه، ويحيى بن سعيد الانصارى رواه مسلم والدارمى وابن ماجه، وأبو أسامة وابن نمير رواه عنها مسلم، وأيوب بن أبي تميمة السختياني عند البيهقي، وعبد الترمذى وعبد الوهاب بن عبد المجيد عند ابن خزيمة، هؤلاء كلهم رَوَوْا عن عبيد الله بن عمر . فقالوا : خمس وعشرون إلا الضحاك عند مسلم فقال : بضع وعشرون .

ولقد استقصيت هذه الطرق في كتابي : أبو هريرة في ضوء مروياته (غير مطبوع) .

(٣) ذكرت أحاديث بعض هؤلاء في الجزء المطبوع من : أبو هريرة في ضوء مروياته ص ١٣٤-١٣٧ .

ثم قال : وقد جمع بين روايتي الخمس والسبع بوجوه :

منها : أن ذكر القليل لا ينفي ذكر الكثير ، وهذا قول من لا يعتبر مفهوم العدد .

ومنها : أن النبي ﷺ أخبر بالخمسة ثم أعلمه الله تعالى بزيادة الفضل ، فأخبره بالسبع وتعقب بأنه يحتاج إلى التاريخ وبأن دخول النسخ في الفضائل مختلف فيه .

ومنها : الفرق باعتبار قرب المسجد وبعده .

ومنها : بحال المصلى كأن يكون أعلم وأخشع .

ومنها : إيقاعها في المسجد أو غيره .

ومنها : الفرق بالمتنظر للصلاة وغيره .

ومنها : الفرق بإدراك كلها أو بعضها .

ومنها : الفرق بكثرة الجماعة وقتلتهم .

وقد رجح الحافظ دخول مفهوم الخمس تحت مفهوم السبع .

وقال : الحكمة في هذا العدد الخاص غير محققة المعنى ، ونقل الطيبي عن التوربشتي ما حاصله : إن ذلك لا يدرك بالرأى بل مرجعه إلى علم النبوة التي قصرت علوم الألباب عن إدراك حقيقتها كلها . انتهى كلام الحافظ من الفتح .

وقد أطال الحافظ الكلام في هذا الحديث وبيان المفهوم المراد من العدد . فمن أحب الأطلاع عليه فليرجع إليه .

والذي يظهر لي أن بيان فضائل الاعمال بالأعداد أمر معروف وشائع في الشريعة الإسلامية في مثل فضائل التسبيح والتهليل والتحميد وهو أمر متعارف أيضاً بين الناس في المسابقة والمناقشة لتعين أجر معدود لمن فعل كذا ولمن فعل كذا . . .

والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين وإلى حلقة أخرى إن شاء الله تعالى .

\* \* \*

### تصحيح

جاء في العدد ٥٨ في مقال (صلاة المسافر) ص ٧٧ أن أنس بن مالك هو خادم رسول

الله ﷺ .

والصواب أنه أنس بن مالك الكعبي . وليس له في كتب الحديث إلا هذا الحديث

الذي ذكر في المقال . . فليتنبه .

العقيدة





# وَجُوبُ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ

## وَبَيَانُ اسْبَابِ النَّصْرِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ

لِسَمَاحَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْغَزِيزِيِّ بْنِ بَازٍ  
الرَّئِيسِ الْعَامِلِ لِإِدَارَةِ مَجْمُوعَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ وَالدَّعْوَةِ وَالرِّسَالَةِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :-  
أما بعد : فإن أهم واجب على المكلف واعظم فريضة عليه أن يعبد ربه سبحانه ،  
رب السموات والأرض ورب العرش العظيم القائل في كتابه الكريم : ﴿ إن ربكم الله الذي  
خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً  
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ .  
وأخبر سبحانه في موضع آخر من كتابه انه خلق الثقيلين لعبادته فقال عز وجل : ﴿ وما خلقت  
الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ . وهذه العبادة التي خلق الله الثقيلين من أجلها وهي توحيد  
بأنواع العبادة من الصلاة والصوم والزكاة والحج والركوع والسجود والطواف والذبح والنذر  
والخوف والرجاء والاستغاثة وسائر أنواع الدعاء ويدخل في ذلك طاعته سبحانه في جميع أوامره  
وترك نواهيه على ما دل عليه كتابه الكريم وسنة رسوله الأمين عليه من ربه افضل الصلاة  
والتسليم ، وقد أمر الله سبحانه جميع الثقيلين بهذه العبادة التي خلقوا لها وارسل الرسل جميعاً  
وانزل الكتب لبيان هذه العبادة وتفصيلها والدعوة إليها باخلاصها لله وحده كما قال تعالى :  
﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ . وقال عز  
وجل : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين إحساناً ﴾ . ومعنى قضى في هذه الآية  
أمر وأوصى وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة  
ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ . والآيات في هذا المعنى في كتاب الله كثيرة ، وقال عز وجل  
﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ . وقال  
سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في  
شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلاً ﴾ .  
وقال عز وجل : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ . الآية . وقال سبحانه : ﴿ ولقد بعثنا في  
كل أمة رسولاً إن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ . الآية . وقال سبحانه : ﴿ وما أرسلنا من

قبلك من رسول إلا نوحى إليه إنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴿١﴾ . وقال تعالى : ﴿الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير﴾ .

فهذه الآيات المحكمات وما جاء فى معناها من كتاب الله كلها تدل على وجوب اخلاص العبادة لله وحده وإن ذلك هو أصل الدين ، وأساس الملة ، كما تدل على أن ذلك هو الحكمة فى خلق الجن والإنس وارسال الرسل وانزال الكتب فالواجب على جميع المكلفين العناية بهذا الأمر والتفقه فيه والحذر مما وقع فيه الكثيرون من المنتسبين إلى الإسلام من الغلو فى الأنبياء والصالحين والبناء على قبورهم واتخاذ المساجد والقباب عليها ، وسؤالهم والاستغاثة بهم واللجأ إليهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكرب وشفاء المرضى والنصر على الأعداء إلى غير ذلك من أنواع الشرك الأكبر ، وقد صح عن رسول الله ﷺ ما يوافق ما دل عليه كتاب الله عز وجل ، ففى الصحيحين عن معاذ - رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال له : « اتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله » . فقال معاذ : الله ورسوله أعلم . فقال النبى ﷺ : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » . الحديث . وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : « من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار » . وأخرج مسلم فى صحيحه عن جابر - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : « من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » . والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة وهذه المسألة هى أهم المسائل واعظمها وقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ بالدعوة إلى التوحيد والنهى عن الشرك فقام بتبليغ ما بعثه الله به عليه الصلاة والسلام اكمل قيام وأوذى فى الله اشد الأذى فصبر على ذلك وصبر معه أصحابه - رضى الله عنهم - على تبليغ الدعوة حتى ازال الله من الجزيرة العربية جميع الاصنام والاوثان ودخل الناس فى دين الله افواجاً وكسرت الاصنام التى حول الكعبة وفى داخلها ، وهدمت اللات والعزى ومناة ، وكسرت جميع الاصنام التى فى قبائل العرب ، وهدمت الاوثان التى لديهم وعلت كلمة الله .

وظهر الإسلام فى الجزيرة العربية ثم توجه المسلمون بالدعوة والجهاد إلى خارج الجزيرة وهدى الله بهم من سبقت له السعادة من العباد ونشر الله بهم الحق والعدل فى غالب ارجاء المعمورة وصاروا بذلك أئمة الهدى وقادة الحق ودعاة العدل والاصلاح وسار على سبيلهم من التابعين واتباعهم باحسان أئمة الهدى ودعاة الحق ينشرون دين الله ويدعون الناس إلى توحيد الله ويجاهدون فى سبيل الله بأنفسهم وأموالهم لا يخافون فى الله لومة لائم فايدهم الله ونصرهم وظهرهم على من ناوأهم ووفى لهم بما وعدهم به فى قوله سبحانه :

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ . وقوله عز وجل :  
﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة  
وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور﴾ . ثم غير الناس بعد ذلك  
وتفرقوا وتساهلوا بأمر الجهاد وآثروا الراحة واتباع الشهوات وظهرت فيهم المنكرات إلا من  
عصم الله سبحانه فغير الله عليهم وسلط عليهم عدوهم جزاء بما كسبوا : ﴿وما ربك بظلام  
للعبيد﴾ . قال تعالى : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ . فالواجب على  
جميع المسلمين حكومات وشعوباً الرجوع إلى الله سبحانه وإخلاص العبادة له وحده والتوبة  
إليه مما سلف من تقصيرهم وذنوبهم والبدار بإداء ما أوجب الله عليهم من الفرائض والابتعاد  
عما حرم عليهم والتواصي فيما بينهم بذلك والتعاون عليه .

ومن أهم ذلك إقامة الحدود الشرعية وتحكيم الشريعة بين الناس في كل شيء  
والتحاكم إليها وتعطيل القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله وعدم التحاكم إليها والزام جميع  
الشعوب بحكم الشرع كما يجب على العلماء تفتيهم الناس في دينهم ونشر التوعية الإسلامية  
بينهم والتواصي بالحق والصبر عليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشجيع الحكام على  
ذلك ، كما يجب محاربة المبادئ الهدامة من شيوعية واشتراكية وبعثية وتعصب للقوميات  
وغيرها من المبادئ والمذاهب المخالفة للشريعة ، وبذلك يصلح الله للمسلمين ما كان  
فاسداً ويرد لهم ما كان شارداً ويعيد لهم مجدهم السابق وينصرهم على أعدائهم ويمكن لهم  
في الأرض كما قال تعالى وهو اصدق القائلين : ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ . وقال  
تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما  
استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم  
أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ . وقال  
سبحانه : ﴿اننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع  
الظالمين معذرتهم وهم اللعنة وهم سوء الدار﴾ .

والله المسئول سبحانه أن يصلح قادة المسلمين وعامتهم وأن يمنحهم الفقه في الدين  
ويجمع كلمتهم على التقوى ويهديهم جميعاً صراطه المستقيم وينصرهم بالحق ويخذل بهم  
الباطل وأن يوفقهم جميعاً للتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه إنه ولي  
ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا سيدنا  
محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

# الفكرة السنّية والحاجة إليها

للسيد محمد رشيد رضا

عضو مجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي - باكستان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين وسيد العالمين، محمد وعلى آله الذين هم أصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه إلى يوم الدين .

أما بعد : قال الله عز اسمه : ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ . (سورة آل عمران / ١٩) ، والإسلام هو الانقياد الكامل ظاهراً وباطناً، فالمسلم هو المنقاد الكامل لله تعالى ، ولا نعني بالانقياد الكامل الظاهري والباطني إلا أن ينقاد العبد لله تعالى في عقائده وافكاره، ومنهج فكره وأخلاقه، وأعماله في حياته الفردية وحياته الاجتماعية، وبالجملة : لا تبقى شعبة من شعب حياته سواء كانت فردية أو اجتماعية إلا وهي تابعة ومنقادة لأوامر ربه تعالى ونواهيه، وقال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ . (سورة البقرة) .

أجزاء الحياة الانسانية :

الحياة الإنسانية تنقسم إلى اجزاء كثيرة، وتجزئتها إلى جميع اجزائها خارجة عن موضوعنا، بل يكفي لنا أن نقسمها إلى جزئها اللذين نراهما في بادئ النظر ولا نحتاج إلى التفكير العميق لمعرفةهما، بل يكفي لشعورهما أدنى التفكير، وهما كما ترى الحياة الفكرية أو التفكير، والحياة العملية أو العمل، فالإنسان يتفكر ويعمل، ولا بد له من التفكير كما لا بد له من العمل .

الإسلام يطالب بانقياد كلا الجزئين في حياتنا :

وهذه التجزئة تدلنا إلى أن معنى الآية المذكورة آنفاً أنه يجب أن تدخل حياتنا الفكرية في الإسلام كما تدخل حياتنا العملية فيه، وتنقاد لهداية الله تعالى شأنه في الحياة الفكرية كما تنقاد لها في الحياة العملية .

معنى الانقياد في الحياة الفكرية :

الانقياد في العمل واضح لا حاجة لتوضيحه، فإن كلنا يعرف أن معناه أن نعمل كما أمرنا الله بوساطة كتابه ورسوله ﷺ فنأتي بها أمرنا به ونحذر عما نهى عنه . أما الانقياد في الحياة

الفكرية فمعرفته أدق من هذا، لأن له ثلاث شعب وأحدى شعبها معروفة عند الخواص والعوام، وشعبتان منها لا يعرفهما إلا أخص الخواص .

أما الشعبة الأولى المعروفة عند الناس فهي : شعبة العقيدة، وحقيقتها أن نعتقد ما أمر الله به أن نعتقده ونؤمن ونستيقن به، فنؤمن بوحداية الله تعالى مثلاً، ونستيقن أن الشرك بأقسامه كلها باطل، وكذلك نؤمن برسالة سيدنا محمد ﷺ وبأن القرآن كلام الله وكتابه، وقس على هذا .

وأما الشعبة الثانية التي هي غير معروفة عند الناس فهي : شعبة الوجهة الفكرية .  
وأما الشعبة الثالثة التي هي أيضاً غير معروفة عندهم فهي : شعبة منهاج الفكر أى طريق التفكير . والإسلام يطالبنا بالانقياد فى هاتين الشعبتين أيضاً كما يطالبنا بانقياد فكرنا وذهننا فى الشعبة الأولى، ولا بد لحصول الإسلام الكامل من انقياد افكارنا لأوامر الله تعالى ونواهيه فى هاتين الشعبتين أيضاً، وسنلقى الضوء على هاتين الشعبتين مفصلاً فى السطور الآتية لدقتها وخفائها على أكثر الناس .  
الوجهة الفكرية :

إن الله العليم الحكيم خلق الإنسان وأعطاه القوة الفكرية، وهذا العطاء عام للمؤمن والكافر والتقى والفاجر، فإنه لا فرق بينهما فى نفس القوى الذهنية والاستعداد للتفكير والتأمل والنظر، أما ما يميز المؤمن من غير المؤمن من هذه الناحية فأمران : «الوجهة الفكرية» و«المنهاج الفكرى» ونقدم تنوير الوجهة الفكرية :

الحركة الإرادية لا بد لها من هدف ومقصد تسكن المتحرك إذا وصل إليه، فلا بد للحركة الفكرية من هدف ومقصد تنتهى إليه ويسكن الذهن إذا وصل إليه، فإرادة مقصد وهدف هى التى نسميها بـ «الوجهة الفكرية». وينقسم الفكر إلى قسمين باعتبار المقصد والهدف :

الأول : ما أريد به حصول معلوم جديد فحسب .

الثانى : ما قصد به الانتفاع والاستفادة بمعلوم جديد كما قصد به حصوله .

فالوجهة الفكرية على نوعين : أى الوجهة إلى العلم للعلم، والوجهة إلى العلم والانتفاع به، مثال الأول: الوجهة الفكرية لعالم الفلكيات المولع بها فى كثير من تفكراته فى مسائلها فإنه يجتهد ويتفكر ليعلم أن الكواكب كذا مثلاً ما شأنه؟ ماهى أحواله الطبيعية؟ هل فيها جبال ووهاد؟ وما هو بعده من الشمس؟ إلى غير ذلك من العلوم التى لا تفيد العالم بها شيئاً إلا أنها تعد فوائد فى أنفسها لأنها جديدة لم تكن حاصلة له قبل التفكير، وتنوع

باختلاف العلوم المقصودة، فإن وجهة فكر الرياضي مثلاً مغايرة لوجهة فكر الطبيعي .  
ومثال الثانى : تفكر الفلكى فى نفس تلك الكواكب وفى أحوالها الطبيعية وخواصها  
لينتفع بهذا العلم كتفكره مثلاً فى حركات الشمس والقمر ليعلم عدد السنين والشهور  
والحساب، ويعرف زمان المد والجزر فى البحار، وكذلك تفكر الطبيب فى عالم النبات  
لاستخدامها لأصلاح البدن وإزالة الأمراض، فإن وجهة فكره هى العلم مع الانتفاع به .  
وتتنوع باختلاف المنفعة المقصودة فإن وجهة فكر الفلكى هى الانتفاع بمعرفة حركة  
الشمس مثلاً فى عدد السنين والحساب، وأما الطبيب فغاية علمه بالنبات مثلاً هى نفعها  
للجسم الإنسانى من خشية دفع المرض أو تقويته، فوجهة فكره مغايرة لوجهة فكر الفلكى  
منهاج التفكير :

معناه طريق التفكير والنظر، ويمتاز أحد المنهجين من الآخر بامتياز المتفكر فيه والوجهة  
الفكرية وكيفية حركة الذهن فى الحركة الفكرية، وينقسم إلى قسمين كبيرين باعتبار المتفكر  
فيه والوجهة الفكرية وكيفية حركة الذهن :  
الأول : تحريك القوة الفكرية فى أمر وبكيفية لا دخل لها فى سعادة النفس وشقائها  
بحسب نفس الأمر أو بحسب زعم المتفكر .

الثانى : تحريكها فى أمر بكيفية لها أو لأحدهما دخل فى سعادة النفس وشقائها، فهنا  
منهاجان للتفكر كأنهما نوعان من الفكرة، والفكرة الأولى نسميه «الفكرة الطبيعية» لأن هذا  
المنهج هو المختار فى العلوم الطبيعية كالتبقيات والكيمياء والرياضة وأمثالها من العلوم التى لا  
دخل لها فى أنفسها فى سعادة النفس وشقائها .

الفكرة الثانية نسميها «الفكرة النفسية» لتأثير مسائلها على النفس الإنسانية من  
حيث السعادة والشقاء، وهى المختارة فى علوم التمدن والمعاشرة غالباً كالأخلاقيات  
والسياسيات والمعاشيات وأمثالها من العلوم التى لها دخل فى سعادة النفس وشقائها .  
الاختلاف بين منهج التفكير :

ثم إننا نجد اختلافاً كثيراً بين المتفكرين فى منهج التفكير، واختيار طريق الفكر  
والنظر، فهذا شاعر ينظر إلى الورد لألوانه الجميلة، وذاك طبيب يتفكر فى نفس ذلك الورد  
لخواصه النافعة للمرضى، وإن الرياضى يتفكر فى القمر فى حركته ومطالعه ومغاربه وبعده  
من أجرام أخرى، كما أن الطبيعى يمعن النظر فيه ليعرف أحواله الطبيعية من جباله ووهاده  
وكتافته وثقله وأمثالها من الأمور الطبيعية التى يبحث عنها فى الطبقيات، ولا نعنى بالاختلاف

في المنهج الاختلاف المنطقي أو الاختلاف في مادة الفكر، وإنما نعنى الاختلاف النفسى في الوجهة الفكرية وأمثالها من الاختلاف في العقائد والعواطف والميول النفسية .

### مسألة مهمة :

إننا إذا نظرنا إلى الاختلاف المذكور قريباً بين المناهج الفكرية واجهتنا مسألة مهمة، وهى أن ديننا الإسلام دين كامل فهل عنده من منهج فكرى يمتاز عن سائر المناهج الفكرية؟ وهل يطالبنا الدين الحق اتباعه؟ أم جعل لنا الخيرة فى استخدام أى منهاج وطريق للتفكر والنظر حسب ما نختار ونرضى؟ هل يجوز لنا أن نسلك فى الفكرة الطبيعية مسلك الجاهلين عن الإسلام أو الضالين الذين هم أعداؤه؟ أيباح لنا أن ننظر إلى العالم كما ينظر إليه كافر منكر لقدرة الله تعالى شأنه وعظمته؟ أم يجوز لنا أن نختار فى الفكرة النفسية منهاج التفكير الذى تختاره أوروبيون أو أمريكيون الذين هم منكرون للدين المبين كافرون به؟ كيف وإن الإسلام هداية كاملة، فلا بد لنا أن يعلمنا منهاجاً خاصاً للتفكر، لأن المزاج الخاص الذى تمتاز به أمة من أمة يحتاج إلى منهاج فكرى خاص بها لحصوله وبقائه .

ولا حاجة إلى التصريح بأنه لا يتصور قوام أمة بدون مزاجها المخصوص بها، فإذا فسد مزاجها أو ضعف أصبحت تدحض عن موقفها وتبدل قوامها حتى تصير أمة أخرى أو تحرم مقام الأمة وتصبح زحام أفراد متفرقة لا يصدق عليها اسم الأمة أو القوم، أليس هذا أمانة واضحة وبرهان جلى على أن الأمة المسلمة هداها الإسلام إلى منهاج خاص للتفكر والنظر تمتاز به عن سائر الأمم، وتحفظ بها مزاجها الخاص بها؟ وبعد ما أوصلنا العقل السليم إلى هذه الحقيقة الضرورية لا بد لنا أن نسأل القرآن المبين والسنة الكريمة عن وجود ذلك المنهاج المتين وحقيقته فاستمع لما يتلى عليك من الآيات الكريمة :

١ - قال الله تعالى : ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ . (سورة التغابن) . ومعنى القلب هنا هو العقل وقوة التفكير، والآية تدل على أن الإيمان يهدى العقل واهتدائه أن يتفكر على منهاج صحيح، ويصل إلى هدف صحيح، ويفوز بمعرفة الحق، فتبين أن الإيمان يهدى العقل والفكر إلى منهاج خاص صحيح، ولا بد للمؤمن أن يتبع ذلك المنهاج .

٢ - وقال تعالى شأنه : ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ . (سورة الحديد) . فما هذا الميزان؟ واضح أنه هو منهاج التفكير الذى علمه الكتاب والسنة ولا بد من اتباعه للوصول إلى «القسط» فى كل أمر، لأن الميزان المعد لوزن الأشياء المادية لم ينزل مع الرسل والأنبياء، وليس من فرائض النبوة تعليمه وتعريفه،

نعم تعليم الميزان الفكرى يناسب شأن الأنبياء والمرسلين ، وحقيقة انهم رفعوا الحجاب عن وجه هذا الميزان وأمروا متبعيهم باتباعه كما سيتضح إن شاء الله تعالى .

٣ - وقال الله عز اسمه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم ، والله غفور رحيم ﴾ . (سورة الحديد) .  
إن معنى النور ما هو ظاهر بنفسه مظهر لغيره ، والمراد بالنور ههنا هو نور الإيـان ، فالآية تدل على أن المؤمن يمشى بنور الإيـان ويهتدى به ، وبديهي أنه لم يرد ممشاه المادى بل المراد هو ممشاه الفكرى وأن المؤمن يهتدى وينبغى له أن يهتدى بإيـانه فى تفكره ويهتدى به غيره ، وذلك بأن النور المذكور ينور منهاج تفكره ، ويعينه على التمييز بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ ، إن الآيات المتلوة قريبا تدل دلالة واضحة على أن الإسلام يهتدى إلى منهاج خاص للتفكر ، ويطلبنا باتباعه ومعرفة هذه الحقيقة توردا أمام السؤال عن نوعية ذلك المنهاج وكيفيته ، فلنشرع فى اجابة هذا السؤال وهو المقصود بالبيان فى هذه المقالة الوجيزة :

قد أسلفنا أن الفكرة على قسمين : الفكرة الطبيعية ، والفكرة النفسية ، ولهما منهاجان مختلفان لكونهما نوعين مختلفين من التفكير ، فينبغى أن نلقى الضوء على كل واحد منها على حدة بعد الكشف عن وجه القسم .  
الفكرة السننية :

إن منهاج التفكير الذى نريد تعريفه وبيانه فى هذه المقالة الموجزة ليس من مخترعات العقل بل هو ثابت بالكتاب والسنة القولية والعملية وكذلك بتعامل الصحابة - رضى الله عنهم - وبلفظ أخص هو سنة أى طريق مسلوک به وأمور باتباعه فى الإسلام ، ولذلك سميناه «بالفكرة السننية» أضف إلى ذلك أننا إذا تصورنا السنة بمعنى أوسع وعرفناها بكل ما ثبت عن النبى الكريم ﷺ وهو الذى علمنا الكتاب الحكيم ، فمعنى الفكرة السننية هى الطريقة التى عرفت بالسنة أى بالقرآن العظيم وحديث النبى الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم كما نسمى بانفسنا أهل السنة والجماعة أى متبعى القرآن والحديث وجماعة الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ونثلث التوجيه بالتنبيه على أمر واقعى وهو أن «الفكرة السننية» خاصة بأهل السنة والجماعة لا تختارها ولا تتبعها جماعة غيرهم ، بل لا يريد ولا يتصور اختيارها واتباعها إلا أهل السنة .

وبناء على الوجوه المذكورة اخترنا لفظ «الفكرة السننية» لمنهاج التفكير الذى هدانا إليه ديننا الإسلام ، ويمكن أن تسمى بـ «الإسلامية» أو «الفكرة الإيـانية» لكننا اتخذنا لفظ



«الفكرة السنّية» مصطلحاً في هذه المقالة الوجيزة ونستعمله في السطور الآتية لأنه أحسن الألقاب من ناحية دلالاته على حقيقة ثابتة أننا معاشر أهل السنة ممتازون بين سائر الملل باعتبار منهاج التفكير كما نمتاز بينهم لخصائص آخر .

ماهية الفكرة السنّية :

ما ذكرنا من قبل من الآيات الحكيمة إنما تدل على أن الدين المتين يطالبنا باتباع منهاج مخصوص في تفكرنا ونظرنا وأنه تعالى شأنه قد أخبرنا بوجوده في تعليم دينه ، أما ماهية هذا المنهاج أى ماهية «الفكرة السنّية» فلم يعلم بعد ، ونريد أن نلقى الضوء عليها في السطور التالية :

إن الماهية الكلية للفكرة السنّية قد نورها القرآن المبين وأوضحها سنّة نبيه الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم ، ودل عليه عمل الصحابة اجمعين ، أما القرآن الكريم فنتلوا عليك منه أولاً هذه الآية المقدسة :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ . (سورة يونس) . قد دلت الآية دلالة واضحة على أن المؤمن لا بد له أن يتفكر في ضوء إيمانه ويهتدى به إلى نتائج صحيحة في فكره ، ومعناه أن تكون مقدمات فكره ونظره مبنية على إيمانه ومعتقداته الحقّة ، ولا تكون غير مناسبة لها فضلاً عن كونها منافية لجزء من اجزاء الإيمان وكذلك لا تجوز أن تكون غير متعلق به كلية ، بل يجب أن تكون مربوطّة به ولو برابطة بعيدة دقيقة ، فيكون استدلاله واستنتاجه ولو في أمر دنيوى مبنياً على العقائد الحقّة التي هي اجزاء إيمانه ودينه . هذه هي «الفكرة السنّية» التي تهدي إلى علم نافع قطعاً في الآخرة أو فيها وفي الدنيا كليهما لمن يتبعها ويختارها في تفكره ، كما أنه يحفظه من الضرر في الآخرة والزلل في الدنيا ، وبهذا فسره البيضاوى - رحمه الله - حيث قال : بسبب إيمانهم إلى سلوك السبيل المؤدى إلى الجنة ولادراك الحقائق .

ولاشك أن لفظ «الهداية» عام في الآية لتنوير الطريقتين أى طريقة التفكير وطريقة العمل بل الأولوية للأولى لأنه لا بد من تقدم الفكر على العمل ، فدلالة الآية على أن المؤمن ينبغي له بل يجب عليه أن يهتدى به في أعماله وأخلاقه واضحة .

وثانياً : نتلو عليك الآيات الكريمة من سورة الفاتحة التي نتلوها مراراً في صلواتنا وقد علمنا الله فيها كلمات ندعوه بها ونسأله ما اشتملت عليه تلك الكلمات العظيمة ، فقال الله عز اسمه تعليماً لنا : ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ .

إن الله تبارك وتعالى يأمرنا في كلامه هذا أن نتبع الصراط المستقيم ولا نزال متبعين له مستقيمين عليه حتى نلقى الله عز وجل ، وظاهر أن ﴿الصراط المستقيم﴾ في الآية شاملة لقسميه كليهما أى صراط الفكر وصراط العمل ، فتبين أنه يجب على المسلم أن يتبع في تفكره صراطاً أى منهاجاً هداه الله إليه بالقرآن الحكيم وسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم ، ويلزمه العلم لزوماً بيننا بأن الإسلام قد هدانا إلى صراط خاص من التفكير فما هو؟ وقد أجابت الآية الثانية عن هذا السؤال بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم ؛ فعلينا أن نتفكر كما تفكروا ، ثم صرح بان صراط المؤمنين مغاير لصراط المغضوب عليهم ، كما أنه مغاير لصراط الضالين ، فعلى المسلم أن يحترز عن صراط كل واحد منهما في تفكره وعمله .

بقى السؤال عن الذين أنعم الله عليهم ، نجد جوابه في سورة النساء فقد قال الله تعالى : ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ فبالنظر إلى الآيات المنقولة من سورة الفاتحة ، وإلى هذه الآيات التي في سورة النساء يجب علينا أن نتبع النبي ﷺ وأصحابه الكرام في منهاج الفكر ، كما يجب علينا اتباعهم في العمل ، بل الاتباع في منهاج التفكير أشد تأكيداً ، لأن العمل تابع للفكر ، فإن الإنسان يتفكر ثم يعمل ولأن الخطأ في الفكر أشد ضرراً . وهذه الآيات المقدسة تنور الماهية الكلية «للفكرة السنية» وتكشف عن القوانين والأصول التي هي اجزاء هذه الماهية كما نفضلها في الفقرات الآتية المستمدة من الآيات القرآنية المزبورة أصولاً :

الأول : أن تفكر المؤمن ينبغي بل يجب أن يكون في ضوء إيمانه بالله تعالى وبما جاء به الرسول ﷺ قطعاً ، ومعناه أن المقدمات التي يستعين بها للوصول إلى علم جديد لا بد أن تكون مناسبة للإيمان ولا تكون مخالفة له ، ولا منقطعة عنه انقطاعاً كلياً بحيث لا يوجد أدنى ربط بينهما ، وقد القينا الضوء على هذا الأصل من قبل حين فسرنا الآية .

الثاني : أنه لا بد أن تتحرك فكرتنا على الصراط المستقيم أى على منهاج وطريق اختياره الذين أنعم الله عليهم من عباده ، فيكون صراط أفكارنا هو صراط فكر النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم اجمعين ، أما بيان ذلك المنهاج وتعريف الصراط الذي كانوا يختارونه في فكرهم فيجىء في موضعه ان شاء الله تعالى .

الثالث : أن الاحتراز على الصراط الذي تختاره أمة غضب الله عليهم أو تختاره أمة ضالة في تفكرهم واجب ، وأن اليهود هم المغضوب عليهم قطعاً ، كما أن النصارى هم

ضالون قطعاً، وإن كان مفهوم اللفظين عاماً ولا نريد حصر مصداقيهما فيهما، فالاحتراز عن المنهاج الذى يتبعونه فى التفكير والنظر واجب بالآية المزبورة، و«الفكرة السنّية» هى التى تكون مستضيئة من هذه القوانين، وتتحرك على طريق تنوّره القوانين والأصول المذكورة، فالماهية الكلية «للفكرة السنّية» هى المركبة منها وهى أجزاءها .

### الفكرة السنّية الطبيعية :

المراد بها المنهاج الذى يجب أن يتبعه المؤمن إذا تفكر فى المسائل التى لا دخل لها بالذات فى سعادة النفس وشقائها وظاهر أنها المسائل المتعلقة بعالم الخلق والأمور التكوينية، وإنما نذكر فى السطور الآتية الأصول التى علمنا القرآن الحكيم وسنة النبى الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم واتبعها الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين للتفكر فى عالم الخلق والأمور التكوينية واتباع تلك الأصول والضوابط فى التفكير فى الأمور المذكورة هى التى نسميها بـ «الفكرة السنّية الطبيعية». وسيرى القارىء أن لتلك الأصول والضوابط شأنًا تمتاز به عن غيرها، فمعرفتها نفسها تغنى عن بيان الفرق بينها وبين الفكرة الخاطئة التى يتبعها الذين لا يؤمنون بالله العظيم وبرسوله الكريم ﷺ فلا حاجة إلى صرف القلم فى بيان الفرق بينهما، فنعطف عنان القلم إلى بيان الأصول فى السطور الآتية، وأسأل القرآن الحكيم عن هذا الأمر ستجد جوابه، قال الله تعالى جل شأنه :

﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقلنا عذاب النار﴾ . (سورة آل عمران) .

إن إيماننا بالقرآن العظيم يقتضى أن نسأله عن هذه المسألة، فسألناه فأجاب، فإن هذه الآيات المقدسة الحكيمة تدل دلالة واضحة على الأصول التى اتباعها واجب على كل مسلم يريد أن يتفكر فى عالم الخلق أى الكائنات وهى هذه :

### الأصل الأول :

إن نظر المؤمن إلى الكائنات يجب أن يكون نظر عبد مخلوق لله تعالى، إلى عبد مخلوق لله الخلاق الحكيم، سواء كانت النظرة نظرة الرياضى أو نظرة الطبيعى أو غير ذلك، فلا ينظر المؤمن إلى السموات والأرض والنجوم أو شىء آخر من حيث هى موجودات مع قطع النظر عن موجدته، بل ينظر إليها من حيث أنها وجدت بعد العدم بإيجاد الله البديع الحكيم وإبداعه، والاشارة بهذا إلى أن فكرة المؤمن فى الكائنات فكرة موضوعية Subjective وليست بفكرة معروضية Objective واضحة .

## الأصل الثاني :

إن الاعتقاد بان الكائنات بأسرها مجموعة لآيات الله تعالى جل شأنه وعلى ان كل جزء منها آية من آياته الباهرة الدالة على ذاته تعالى وعلى صفاته العلية العظيمة، واجب على كل مسلم، وهذه العقيدة واليقين يجب أن يظهر في تفكره فيها، وأنه إذا تفكر فليتفكر فيها من حيث أنها آيات الله تعالى شأنه كما هو ظاهر من الآيات المزبورة، وهذا المنهج من التفكير يميزه عن سائر المناهج الفكرية التي يتبعها الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .

## الأصل الثالث :

ومما يستنبط من الآيات المزبورة هو أن الفكر ينبغى أن يقدمه ذكر الله تعالى شأنه، وذلك بأن الله تعالى قدم الذكر على التفكير .

## الأصل الرابع :

تدل الآية على أن تفكر المؤمن في عالم الخلق، ينبغى أن يكون لتحصيل نفع من علمه ومعلومه سواء كان المقصود أن يتنفع به نفسه أو أن ينفع غيره، لأن المؤمن يعتقد ويقر بأن الرب الحكيم لم يخلق شيئاً باطلاً، فيجب ان يتبغى منافع السموات والأرض وأمثالهما من أجزاء الكائنات التي يتفكر فيه ثم يدعو الله أن يهديه إليها .

ثم أنه ليس من شأن المؤمن أن يقصد نفعاً دنيوياً فقط، بل ينبغى له أن يقصد نفع الآخرة قصداً أولياً والنفع الدنيوى قصداً ثانوياً، يشير إليه قوله تعالى : ﴿سبحانك فقنا عذاب النار﴾ . كما يشير إلى قصد مطلق النفع قوله تعالى ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ .

إن الحركة الفكرية في عالم الخلق والتكوين التي تقودها هذه الأصول الاربعة وتقطع مسافتها في ضوئها تسمى بـ «الفكرة السنية الطبيعية» سواء كانت في الطبيعات أو الكيمياء أو الهيئة والرياضة أو في غيرها من العلوم الطبيعية، وهي «سنية» لكونها مهتدية بهداية القرآن الحكيم، و«طبيعية» لاختصاص مسافتها بعالم الخلق والتكوين وعدم علاقتها في نفسها بعالم الامر والتشريع، وعدم تأثيرها في نفسها في سعادة النفس وشقاؤها كما اوضحناه من قبل .

ثم إن التفكير في عالم الخلق والتكوين لا يختص بالمسلمين وهو مجال لكل من له قوة في التفكير والنظر سواء كان مؤمناً أو كافراً، وإن من المخلوق ما هو خير لنا كما أن منه ما هو شر

لنا، فكما أنه يمكن لنا أن ننتفع به يمكن أن نتضرر به، وإذا تفكر اعداء الإسلام الكافرون بالدين المبين في عالم الخلق وأثاروا شره، ومنعونا عن خيره، ولم نستطع أن ندافع عن أنفسنا ونقاومهم لسبق فكرهم في عالم الخلق على فكرنا فما هو المخلص لنا من شرورهم؟ وكيف نحفظ ديننا وعرضنا وانفسنا من عدوانهم وافسادهم؟ .

ومرجع السؤال إلى أنه كيف نتفكر في الخلق والتكوين حتى نستطيع جلب الخير ودفع الشر، ونقدر على الدفاع عن ديننا وملتنا، وعلى حفظ الإنسانية من الدمار والفساد بأيدي المجرمين من أوروبا وأمريكا؟ وهذه هي المشكلة الشديدة التي واجهناها اليوم كما هو ظاهر لا يحتاج إلى البيان .

إن «الفكرة السنية» تدعوا إلى أن نستعين بالإيمان، وهذا يقتضى أن نسأل القرآن الكريم لحل هذه المسألة العويصة، وننظر هل فيه هداية خاصة للأمة المسلمة إذا ابتليت بهذا البلاء العظيم؟ بلى وربنا إن القرآن الكريم قد حل هذه المشكلة وهدى إلى صورة خاصة للفكرة السنية الطبيعية التي هي اسرع واقوم وأنجح من كل فكرة تتحرك في عالم الخلق والتكوين في الدنيا، وسبيل للنجاة من المصيبة التي ابتلينا بها، ليتنا نتبع هذه الفكرة القويمة القوية السريعة، وهذه الطريقة الأقوم التي يدعو إليها الفرقان الحميد قد اشير إليها في «سورة الفلق» فقد قال الله تعالى: ﴿قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق﴾ ونقدم في السطور الآتية مقدمات يتطلبها توضيح الإشارة .

**الأولى :** أن الاستقراء يدل دلالة واضحة على أن سنة الله في خلق شيء من شيء في هذا العالم المادى هي «الفلق»، إن الشجرة لا تنبت إلا بفلق الحب والنواة، وأن ظهور العصن مسبق بفلق ساقها، كما أن القوة الذرية «Atomic Energy» المدهشة لا تظهر إلا بفلق الذرة «Atom» وإن النظام الشمسى «Solarstem» الذى نعيش تحته قد خلقه الله الخلاق العليم بابداع الفلق العظيم في مجرة «Jalaxy» وإذا نظرت إلى الحوادث وجدت هذا القانون التكويني أى «قانون الفلق» جارية فيها، ولا تجد مثالا ينفيه .

**الثانية :** أن الحوادث التي تبدو بعد الفلق كنتيجة بعضها تكون موجبا للخير كما أن بعضها تكون موجبا للشر، فعلينا أن نحصل الخير ونتجنب الشر .

الثالثة : أن الله وحده هورب الفلق وهو القادر على الاطلاق، وهوقدير على أن يلهمنا بعلم جديد وتدبير قوى نفوز باستخدامه بهدفنا، أويمحو الشر ويخلق الخير ويمن علينا بتوفيق الاستعاذة به .

الرابعة : أنه لا بد لنا من التفكير في عالم الخلق إذا واجهتنا المشكلة المذكورة وابتلينا بالضراء المذكورة، فإن الميل إلى ابتغاء السبيل إلى دفع الضرر والتحرز عن الهلاك والدمار والجهد للبقاء أمور فطرية تطالب بالتفكر في عالم الخلق، وقد أوجبه الشريعة كما أوجبه العقل السليم - لاسيما وأن هجوم المخاوف قد بدأ قرنه من جهته - وان التفكير في عالم الخلق والتكوين لدفع شر أعداء الإسلام وللدفاع عن الدين والمسلمين ولاعلاء كلمة الله الحق المبين واجب على الكفاية لأنه لا بد منه في هذا الزمان للوصول إلى تلك المقاصد الحسنة . وبعد هذا التمهيد نقول وبالله التوفيق : إن الله الحكيم العظيم أمرنا في هذه الآية بـ «الاستعاذة» به عز اسمه من شر مخلوق مساوق للشر، والأمر بالتوجه إلى شأن الربوبية المتعلقة «بالفلق» إشارة إلى أن المؤمن إذا ابتلى بشر مخلوق حادث من الفلق وأخذ التفكير في تدبير دفع الشر وجلب الخير لاقتضاء الفطرة وأمر الشريعة، فليكن تفكره ممزوجاً بالاستعاذة بالله الذي هورب الفلق وييده الخير ولا حول ولا قوة إلا به، وليس المراد الاستعاذة القولية فقط بل المراد الاستعاذة الحالية والعملية أى الانابة إلى الله والتوجه إليه والتزام طاعته مع سؤال العلم الصحيح النافع وتوفيق العمل به والتهيبىء للدفاع عن الإسلام متوكلاً على الله العليم العظيم .

وهذا لان الاستعاذة تقتضى طبعاً أن يطيع المستعبد المستعاذ به، ويفى معه بعهده ويلجأ إليه ولا يعصيه، وهذه هى صورة خاصة «للفكرة السنية الطبيعية» المشار إليها بالآية الأولى من سورة الفلق المزبورة قريباً، ولها مع عموم حكمها ونفعها نوع من الخصوصية بالتفكر لاطفاء «فتنة الفلق» التى ابتلينا بها، لأن غلبة أعداء الإسلام علينا فى الفلق إنما هى لعدم استطاعتنا على استخدامها مثل ما يستطيعون فإن الاستطاعة بفلق الذرة «Atom» أو النواة «Nucleus» سلطهم على الاقوام الضعيفة . ولا يدان لأحد من المسلمين لدفعهم، ومحصول البيان أن الفكرة السنية الطبيعية معناها اتباع الأصول التى دلت عليها الآية التى ذكرت أولاً فى هذا الباب، وأضف إلى تلك الأصول الأصل الذى دلت عليه هذه الآية من «سورة الفلق»، وخاصة إذا كان التفكير فى «الفلق» وقوته ونتائجه والأمور المتعلقة به . وهذا الأصل مشتمل على اجزاء، ونزيده وضوحاً بذكر الاجزاء مفصلاً :

الأول : أن التفكير لا بد أن يكون ممزوجاً بالاستعاذة بالله العزيز الحكيم من فتنة الفلق وشر المخلوق الحادث منه الاستعاذة به عز اسمه لدفعها والغلبة عليها .

الثانى : أن نسأل الله تعالى الذى هورب «الفلق» الاستطاعة لاستخدام «قوة الفلق» لاكتساب الخير ودفع الشر والانتفاع بها فى الدنيا والآخرة .

والثالث : أن التفكير لا بد أن يكون مسبقاً بالتوبة عن الذنوب . وتصفية القلب عن العقائد الفاسدة وتجديد تنويره بنور الإيمان .

الرابع : أن يكون مقصدنا الوحيد من التفكير هو رضى الله تعالى شأنه باستخدام تلك القوى لاعلاء كلمة الله وغلبة دينه المتين ، ولاكتساب الخير للمسلمين ونفع خلق الله اجمعين .

فان المتفكر إذا أراد نصرة دين الله المبين ، وأخلص نيته سيئاته نصر الله القوى العظيم كما وعده ربنا الكريم بقوله فى القرآن الحكيم : ﴿إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ وإن من النصرة الهام العلم الصحيح والهداية إلى التدبير النجيج ، وليس ذلك على الله بعزيز .

تنبيه : ظاهر أن لا ينتفع بتلك الأصول حق الانتفاع إلا من له معرفة معتد بها بالعلوم الطبيعية «سائنسية» أو الرياضية ، فتحصيلها واجب على الكفاية على الأمة فى زماننا .

### الفكرة السنّية النفسية :

قد بينا من قبل أنها التفكير فى أمر مؤثر بالذات فى سعادة النفس وشقائها ، فإنها اعظم شأنًا من الفكرة الطبيعية لكونها أقوى ارتباطًا بالسعادة والشقاء ، ولكون تعلق حكم الشريعة بها أظهر وهى مطلوبة فى كل شعبة من شعب حياتنا الاعتقادية والعملية من المعاشرة والسياسة والمعيشة وأمثالها ، سواء كانت فردية أو اجتماعية لكن الحاجة إليها فى حياتنا الاجتماعية والقومية اشد جدا ، لأن تركها فيها أدهى وأضر ، فإن الخطأ فى الفكر المتعلق بالفرد فقط يوجب ضرر الفرد لكن الخطأ فى الفكر المتعلق بالمجتمع موجب لضرر المجتمع ، ثم يذوق وباله الفرد أيضاً ، فضرره أشد وأمر مراراً من ضرر الأول .

والأمور التى تدخل تحت هذا النوع على قسمين :

الأول : الأمور التى لا حاجة فيها إلى الفكر لكونها مسلمة الثبوت عندنا ، كفضية الصلاة وحرمة القمار ونفع العدل وضرر الظلم .

الثانى : الأمور التى تحتاج إلى النظر والفكر ليتضح صحتها أو سقمها، وهى موضوعنا فى هذه المقالة، ويواجهها المجتمع كما يواجهها الفرد، مثالها فى الحياة الفردية مسألة تعلم الولد من رجل غير مسلم فى هذا الزمان، وفى الحياة الاجتماعية مسألة التعاون والاتحاد بفرقة ضالة لهدف مشترك .

واضح أن هذا القسم من مسائل الحياة يحتاج إلى النظر والفكر، فأى منهاج نختار فيها للتفكر، وما هى الأصول الثابتة بالكتاب والسنة التى يجب علينا اتباعها عند التفكير فى هذا النوع من المسائل؟ .

### الأصول المتبعة :

حقيقة جليلة وصادقة لا ريب فيها أن مرجع العلم والمعرفة والفارق بين الصحيح والسقيم فى الأمور التى لها دخل بالذات فى سعادة النفس وشقاؤها هو القرآن الحكيم وسنة النبى الكريم ﷺ وهذا أمر مسلم لا يشك فيه أحد من المسلمين كما قال الله تعالى فى شأن كتابه المبين : ﴿ هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾ فهو مأخذ الهداية ومنبع العلم والمعرفة، والفرقان المبين بين الحق والباطل والصحيح والسقيم، وما هذا شأنه فحقه أن يتخذ مأخذاً ومرجعاً للعلم والمعرفة، أما الاجماع والقياس فيرجعان إليهما، أن اتباع الصراط المستقيم هو المنهاج المختار فى التفكير لأن منهاج الذين أنعم الله عليهم، هو الاهتداء بالكتاب والسنة والاعتماد عليهما، فإن النبى ﷺ كان أصل علمه ومنبعه هو الوحي والإلهى، وإذا اجتهد كان يتفكر فى ضوء الوحي، ثم الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كانوا يتعلمون منه ﷺ ويتبعونه، وإذا احتاجوا إلى الاجتهاد كانوا ينظرون إلى الكتاب أولاً ثم إلى السنة ثم إلى رأى المبنى على أحدهما، مثاله ماورد فى قصة سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه حين بعثه النبى ﷺ قاضياً إلى اليمن، فاختره بالسؤال عن منهاج التفكير والاجتهاد، ولما أجاب بذكر المراجع المذكورة بالترتيب المذكور صوب النبى ﷺ رأيه .

ثم ان الكتاب والسنة كل واحد منهما قد وصل إلينا بأيدي الصحابة رضى الله عنهم الذين تعلموهما عن النبى من غير واسطة، وفهموا معناهما وعقلوا مغزاهما وعملوا بهما تحت مراقبته ﷺ ورسول الله ﷺ بنفسه تولى تربيتهم وتزكيتهم، وجعلهم أسوة متبوعة لمن سواهم من الأمة الكائنة إلى يوم القيامة ومبلغين لدعوته إلى سائر الناس، ومعلمين ما علمهم من الكتاب والسنة لمن سواهم من أمته ﷺ فجماعة الصحابة هم الواسطة الكبرى بيننا وبين النبى ﷺ وكل صحابى رضى الله عنه هو انموذج عملى لتعليمه عليه أفضل الصلوات



والسلام، فبديهى أنه لا تتضح معانى الكتاب والسنة إلا بالنظر إلى عمل الصحابة وتشريحيهم وتفسيرهم لهما .

فالكتاب والسنة منبعان لماء الحياة، وجماعة الصحابة نهر مملوء بمائهما جامع لهما لا يزال يجرى إلى يوم القيامة .

فقد تبينت من هذه المقدمات الممهدة الأصول التى هى أجزاء الفكرة السننية النفسية وهى هذه :

**الأصل الأول :** يجب أن يكون تفكرنا فى مسألة من مسائل الحياة من هذا النوع مبنيًا على عقيدتنا الجازمة بأن المأخذ الأول للعلم الفارق بين الحق والباطل هو الكتاب والثانى هو السنة، أما الاجماع والقياس فيرجعان إليهما، وأن اصحاب النبى ﷺ الذين أخذوهما من النبى ﷺ من غير واسطة، ونقلوهما إلى من بعدهم من الأمة، ولم ينقل ولا يمكن أن ينقل كذلك شىء عن الدين عن غير الصحابة، ومن نسب شيئاً إلى النبى ﷺ بغير توسط صحابى فهو كاذب زنديق، فعمل الصحابة هو مأخذ ثالث للعلم فكونه دليلاً قطعياً على كون ذلك العمل والقول ثابتاً بالكتاب أو السنة مطابقاً لهما، ولكونه انموذجاً عملياً لتعليم النبى ﷺ فهو حجة شرعية ما لم يعارضه حجة شرعية أخرى أقوى منه كنص الكتاب مثلاً .

**الثانى :** ولتكن وجهة فكرنا ومقصدنا بالذات فى كل فكرة هى المنفعة الدينية ورضا الله سبحانه ولو بوسائط عديدة، ولتكن المنفعة الدنيوية تابعة لها غير مقصودة بالذات بل مقصودة تبعاً، لأن الله تعالى يقول: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ . (سورة الإسراء) .

**الثالث :** علينا أن نتفكر فى الكتاب والسنة وعمل الصحابة هل نجد فيها هداية جزئية، قولية أو عملية مخصوصة بما نحن فيه أو عامة كلية تنطبق على ما نتفكر فيه . ثم أن علينا اتباعها أن فزنا بها فى الكتاب أو السنة أو عمل الصحابة، فقد قال الله تعالى: ﴿لقد انزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ . (الأنبياء) . وسيوضح المسألة المثال الآتى : أن أرباب الحل والعقد من مملكة إسلامية يتفكرون فى سياستها الداخلية فى تفويض الوزارة الداخلية أو الخارجية أو غيرها، إلى رجل مناسب يفوضونها إليه، ثم ينظرون إلى الكتاب المبين فيجدون فيه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً﴾ . والآية، وهذه الآية تهديهم إلى أصل عظيم ينور طريقهم لأنها تحذرهم عن تفويض الأمر إلى شيعى أو شيوعى وأمثالهما من أعداء الإسلام .

الرابع : ان الاحتراز عن الباطل واجب كاحقاق الحق ، والحذر عن سبيل الغي حتم واجب كاتباع سبيل الحق والهدى ، فيجب علينا أن لا نستخدم دليلاً ولا نعمل عملاً يعين أهل الباطل في طغيانهم أو يؤيدهم في ضلالهم أو ينفعهم في اظهار باطلهم فإن الله تعالى يقول : ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ . وقال عز اسمه : ﴿ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ . فينبغي لنا أن نراعى في فكرتنا في جانب النفي أيضاً ، فتكون فكرتنا مشتملة على نفي الباطل كاشتغالها على اثبات الحق .

الخامس : يجب الاحتراز كل الاحتراز عن فكرة تؤدي إلى قطع صلتنا بالكتاب أو السنة أو الصحابة أو ضعفها وعن عمل كذلك - والعياذ بالله - فإن الاعتصام والتمسك بالكتاب والسنة واجب على كل حال ، ولا يمكن الاعتصام والتمسك بهما إلا باتباع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، كما أوضحناه من قبل ، وما يؤدي إلى ضعف هذا الاعتصام والتمسك فباطل مهلك فضلاً عما يؤدي إلى قطعه والعياذ بالله ، قال الله تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ . وقال النبي ﷺ : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله» والآيات الدالة على هذا الأصل العظيم والأحاديث المضيئة له كثيرة وحق ان قلنا : إنه «الموطأ للإمام مالك» من ضروريات الدين .

السادس : لا نقبل فكراً أو حلاً لمسألة ثبت كونه غير مرضى عند الله بالكتاب أو السنة أو قول الصحابة أو عملهم ، قال الله تعالى في مدح الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين : ﴿يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ . فعلى المؤمن أن يبتغى رضوان الله تعالى شأنه ، ويترك ما هو غير مرضى عنده عز اسمه ، مثاله الاستعانة بما تمنح الدول الكافرة باسم العون على الرقى في المعاش واصلاحه ، فإن أخذه يؤدي إلى مفسد كثيرة كالميل إلى الدولة المانحة في مسلكها السياسي وإن كان باطلاً وغير ذلك من المفسد ، ولا شك أن هذه الاستعانة غير مرضية عند الرب سبحانه وتعالى بالنظر إلى ما تؤدي إليه . فينبغي للمؤمن أن يحترز عن هذا القسم من المقدمات إذا تفكر في تدبير أمر أو انجاح حاجة من الحوائج القومية .

السابع : لا ينبغي أن تكون مقدمات فكرتنا مبنية على مجرد الميل والرغبة إلى أمر أو عن أمر بل لا بد أن تكون ناشئة عن الفهم السليم والحكمة ، قال الله تعالى : ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ . (سورة البقرة) ، وهذه الأصول هي اجزاء «الفكرة السننية النفسية» ، والفكرة التي تراعى فيها هذه الأصول وتكون على طبقها تسمى بـ «الفكرة السننية» ، وهي متروكة في حياتنا الاجتماعية منذ قرون ، على الغالب وتركها هو سبب زوال

الأمة المسلمة في حياتها الدينية والسياسية وفي غيرها من شعب الحياة، وعلاجه إنما هو اتباع هذه الفكرة، ولاشك أن اتباعها في فكرتنا الاجتماعية وسيلة قوية لرقى الاجتماع وغلبة الإسلام والمسلمين .

### الأمثلة :

ولزيادة التنوير نورد أمثلة للفكرة السننية النفسية في الأمور الاجتماعية :

**المثال الأول :** نفرض أن دولة من دول المسلمين تفكرت في مسألة تعليم العلوم الحديثة، لكنها لم تتبع «الفكرة السننية» إذاً تجعل الدنيا غاية فكرها وجهدها وتكون فكرتها فكرة أوروبا وأمريكية، وتختار ما اختار أهلها من الرغبة عن الدين . والميل إلى الفسق والفجور، واتخاذ سبيل الغي في النظام التعليمي ومناهجه كرفع حجاب الطالبات وأمثالها من الأمور المخالفة للشريعة المقدسة، وكذلك لا تبالى هذه الدولة بتسليط أهل الضلالة كالشيعة والمرزائين وغيرهما من الضالين على الادارات التعليمية ونظمها .

وأما إذا كانت فكرتها «الفكرة السننية» فتكون غاية فكرها وجهدها ومرام سعيها من اشاعة العلم هي اعلاء كلمة الله ومنافع الآخرة وترويج الخير في العالم .

وتكون الغاية هي ارضاء الله تعالى شأنه، أما المنافع الدنيوية فتكون مقصودة تبعاً للمنافع الدينية، فتتخذ سبيل الرشد سبيلاً إلى مرامها، وتحتز كل الاحتراز عما نهى عنه الشرع الشريف، ولا تجترىء بتسليط أهل الضلال وأعداء الإسلام من المنافقين والمجاهرين بالكفر على الادارات التعليمية .

**المثال الثاني :** فرضنا ان ارباب الحل والعقد لمملكة مسلمة يريدون أن يضعوا دستوراً لمملكتهم فيلجأون إلى الكتاب والسنة وعمل الصحابة ومشاورة الفقهاء، ولا يلتفتون إلى ما يتفوه به أهل أوروبا وأمريكا وغيرهما من الذين لا يتبعون الإسلام، لأن الفكرة السننية النفسية ترشدهم إلى تلك المآخذ والمنابع، وتصدهم عن النظر إلى غيرها، ويصرحون في الدستور بأن مملكتهم هي مملكة إسلامية سننية قائمة على منهاج الخلافة الراشدة، وغاية وجودها هي اجراء الأحكام الشرعية وحفظها والدعوة إليها ونصرتها، والرقى الدينى والدنيوى لأهل الإسلام بحيث تكون دنياهم تابعة لدينهم، ثم انهم لا يغفلون عن الأغيار

الاشرار المجاهرين بعداء الإسلام الداعين إلى النار كالشيعة والمرزائية وغيرهما من أهل الضلالة والنفاق، فإن ارباب الحل والعقد وقواد المسلمين المتفكرين بالفكرة السنّية النفسية لا يغفلون عن مكائد تلك الاشياح الضالة، فيضعون قوانين وضوابط في الدستور التي تسد طرق هذه الأشياح المنافقة على المملكة وطرق غدرهم بها، ويحفظون المملكة عن شرهم .

وأما الذين لا يتفكرون بالمناهج الإسلامي أي لا يختارون «الفكرة السنّية» فلا يباليون بتلك الأمور المهمة، أو يغفلون عن بعضها، أو يطرحون بعضها قصداً لضعف إيمانهم واعوجاج فهمهم لفقدهم «الفكرة السنّية» فيذوقون وبال أمرهم، ويخسرون في الدنيا والآخرة، يوردون قومهم مورد الهلاك والخسران كما نرى الآن في بعض البلدان الإسلامية فإن أهل السنة بها يبتلون بظلم شديد ومصائب عظيمة وما ذلك إلا لفقدهم «الفكرة السنّية» في حركاتهم السياسية وذهولهم عن الحقيقة أنهم أهل السنة والجماعة وأنهم هم المسلمون، وأن الرافضة ليست من الإسلام في شيء بل هم أعداء الإسلام والمسلمين .

مثال آخر : أرادت دولة مسلمة حديثة اصلاح معيشة القوم واجراء نظام للمعيشة يكون موجبا لفلاح القوم ويحفظ أهل الملك من الفقر والمسكنة، وظلم الظلمة من المستحصلين المتمولين المغلوبين من الشحّ والبخل، فإن كانت الدولة معتادة للفكرة السنّية واختارتها للتفكر في هذه المسألة المهمة، فلا بد أن تنظر إلى الكتاب والسنة وعمل الصحابة وأقوال الفقهاء وتختار النظام الإسلامي للمعيشة الذي أمر به الله تعالى شأنه، ورسوله ﷺ وفسرته الصحابة بقولهم وعملهم، وفصلته الفقهاء في ضوء عمل الصحابة وأقوالهم، ولا تلتفت هذه الدولة المؤمنة إلى نظام غير إسلامي كالشيوعية وغيرها من الأنظمة الخاطئة الباطلة، وأما الدولة التي ليس لها حظ من «الفكرة السنّية» فتخبط خبط عشواء وتتبع كل عمياء، وتنظر إلى أنظمة غير إسلامية فتختار بعضها فتذوق وبال اثمها في الدنيا والآخرة، وكانت عاقبة أمرها خسراً، والأمثلة الثلاثة المذكورة أنفاً للفكرة السنّية النفسية تكفي للزيادة في وضاحتها وتنور مفهومها ومصادقها فنختم بيانها، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب .

## شهادة التاريخ :

التاريخ يدخر المواعظ والعبر لتتعظ بها، ولنسلك طريق المستقبل في ضوئها، فنشير إلى بعض الحوادث الماضية التي تصدق ما قلناه من أن «الفكرة السنّية» لها أثر عظيم في رقى الأمة المسلمة وعروجها، وإن تركها موجب لزوالها وانحطاطها، فإن زوالها إنما بدأ حين ضعف اعتصامها بالكتاب والسنة، ولاشك أن هذا الضعف قد طرأ عليها بسبب التغير في منهاج فكرها ووجهة نظرها، وذلك بأن المجتمع الإسلامي من حيث المجتمع قد ترك «الفكرة السنّية» في الأمور الاجتماعية لاسيما في الاعمال السياسية وان بقيت مختارة لكثير من الافراد في الحياة الفردية، وكفاك مثلاً وعبرة حادثة زوال الخلافة العباسية فانها سقطت في أول فتنة في التاريخ الإسلامي التي أثارها المنافقون، وأصبحت تلك الفتنة قائدة لجيش الفتن التي صحبتها، كفتنة القول بخلق القرآن وفتنة انكار الحديث وأمثالها من الفتن التي ظهرت في عصر العباسيين وانتهت بزوالهم .

وتوضيح هذا المجمال أن أول فتنة ظهرت في الإسلام هي فتنة تنقيص شأن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين، فإن سعى اليهود لازالة حب الصحابة وتعظيمهم وتوقيرهم عن قلوب المسلمين أنتجت فرقة في الأمة تسمى نفسها باسم الشيعة .

وهذه الفرقة التي نشأت على عداوة الصحابة وتنقيص شأنهم، قد قويت على عهد الخلافة العباسية، لان العباسيين استعانوا بها حين أثاروا الثورة ضد الأمويين، ثم ان خلفاءهم وزعماءهم قربوا هذه الفرقة ونصبوا رجالها على مناصب جليلة وأشركوهم في أمور الخلافة، حتى أنها تسلطت عليهم، وكان عاقبة الأمر ان الشيعة لعداوتهم لأهل السنة ولدينهم الحق دمروا الخلافة العباسية تدميراً واستأصلوها بالمؤامرة بتأمر الذين دعوهم للتدمير واعانوهم على هذا المقصد الشنيع .

والسبب الاساسي لتلك الحادثة الفاجعة الاليمة هو أن العباسيين ومن كان معهم من المسلمين أى من أهل السنة صرفوا النظر عن هداية الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ . (الآية) وخالفوها باتخاذ أعداء الإسلام المنافقين بطانتهم وبالاعتماد عليهم وتركوا الفكرة السنّية فذاقوا وبال خطئهم .

ثم أن هذا المرض أصبح وباء متعدياً إلى العامة من أهل السنة وأفسد مزاج المجتمع لأن الاختلاط والمودة بالذين أشربوا في قلوبهم عداوة الصحابة رضى الله عنهم اجمعين

والسخط على دينهم الحق أدى إلى ضعف حب الصحابة وستتهم ونقص عظمتهم في قلوبهم ، فأدى إلى ضعف في اعتصامهم بالكتاب والسنة وقد حفظ الله تعالى شأنه طائفة من المؤمنين من هذا الداء العضال حتى أصبحت مصداقا لقوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » . أو كما قال : « لكنها كانت قليلة في العدد .  
وكما أن التاريخ يقص قصص زوال الأمة واسبابها ويرفع الحجاب عن الحقيقة ان اهمال الفكرة السنّية وتركها واختيار فكرة غير سنّية هي أعظم أسباب زوال الأمة وانحطاطها كذلك ينبئنا عن عروج الأمة ورفيها وأسبابه ، ويضىء لنا الطريق إليه ويأتينا باخبار كثيرة تدل دلالة واضحة على أن «الفكرة السنّية» كفيّلة بعروج الأمة ورفيها وهي الطريقة الوحيدة إليه .

واني استطيع ان آتى من التاريخ بامثلة كثيرة لهذا الأصل ، لكنى قصداً للايجاز أكتفى بايراد قصة المجاهد الجليل والفتى النبيل محمد بن القاسم الثقفى - رحمه الله - حين وصل إلى قلعة محكمة في غزوة السند ، وكانت القلعة التى غزاها على ساحل بحر السند ، ولم يكن هناك جسر ولا سفينة ، فنظر إلى جيوشه وسألهم : أرب البحر والبر واحد أم لهما ربان؟ قالوا: إن الله وحده هورب البحر والبر ورب كل شىء وهورب العالمين ، فقال : ربنا الذى نصرنا وحفظنا فى البر وانا خرجنا فى سبيل الله فلا ينبغى لنا أن نرجع على أعقابنا فإدخلوا البحر ، فدخل المجاهدون فى الماء يمشون عليه كما يمشى الرجل على الأرض ، ولما رأت جيوش الهندوس الذين كانوا يرمون الحجارة عليهم بالمنجنيق هذه الحالة المدهشة العجيبة طرحوا أسلحتهم وفتحوا باب الحصن وأطاعوا المسلمين المجاهدين ، وواضح أن محمداً بن القاسم ومن كان معه من المجاهدين تفكروا بفكرة سنّية ، فنظروا إلى وعد الله تعالى شأنه لا إلى الأسباب الظاهرة ، واستعانوا بالإيمان فأفلحوا ونجحوا ، ثم لا يخفى على من طالع تاريخ السند أن الفتح المذكور جاء فى تلك البلاد ببركات كثيرة من غلبة الإسلام ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، ونشاط علمى وفكرى كما جاء بالأمن والسلام .  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



الفقه



أصوله





# نظام الإثبات في الفقه الإسلامي

الدكتور عوض عبد الله أبو بكر  
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

دراسة مقارنة

- ٣ -

الأدلة المختلف فيها :

بعد أن تناولنا في المقالين السابقين السمات الأساسية لنظام الإثبات في الفقه الإسلامي، ووضحنا تفرد نظام يتسق مع عدله وشموله، وبيننا أنه يحتوي على قسمين من أدلة الإثبات - قسم اتفق عليه الفقهاء، وهو يمثل في الاقرار والشهادة. وقسم آخر اختلفوا فيه - ومن هذا القسم المختلف فيه موضوع بحثنا في هذا المقال - اليمين والنكول عنه وعلم القاضى .

اليمين والنكول عنه :-

النكول عن اليمين هو الإمتناع عنها حينما توجه إلى المدعى عليه من القاضى بطلب المدعى<sup>(١)</sup>. فإذا لم يكن للمدعى بينة وطلب يمين المدعى عليه فنكل، قال أبو حنيفة وأصحابه يقضى عليه بنكوله. ذلك لأن الشهادة لما كانت لإثبات الدعوى واليمين لإبطلها، وجب أن نكل أن تحقق عليه الدعوى. وقالوا إن عثمان رضى الله عنه قد قضى بالنكول، ولم يعلم له مخالف من الصحابة فكان ذلك إجماعاً<sup>(٢)</sup>.

(١) اتفق الفقهاء على أن الحقوق الخالصة لله تعالى - كالحدود - لا توجه اليمين إلى المدعى عليه لإثباتها، وإن كانت هناك رواية عن الشافعى تميز ذلك. أما حقوق العباد الخالصة - كالأموال - فهذا اتفقوا على توجيه اليمين فيها، وإن كانت غير ذلك كالنكاح والطلاق والرجعة والعتق، فمالك ورواية عن أحمد على منع توجيه اليمين فيها، والشافعى وبعض الحنفية وابن حزم على جواز توجيه اليمين فيها، وأبو حنيفة يقول إن كانت هذه الحقوق مما يحتل البذل أى ترك المنازعة فيجوز توجيه اليمين فيها، وإن كانت غير ذلك كالنكاح والنسب فلا يجوز. أما الحقوق المشتركة بين العبد والرب فاختلفوا فيها - فمن رجح جانب العبد أوجب اليمين، ومن يرجح جانب الله لم يرد ذلك.

(٢) الاختيار لتعليل المختار للموصلى ج٢ ص ١٦٢ ط السعادة مصر .

غير أن مذهب أبي حنيفة بالقضاء بالنكول وحده منتقد من وجوه : -

الأول: إن النكول لا يدل على أن الحق قد ثبت على الناكل ، لأنه قد يمتنع عن الحلف تورعا وترفعا حتى وإن كان صادقا في إنكاره للدعوى .

الثانى : قالوا لهم إنكم قد خالفتم قضاء عثمان رضى الله عنه ، فإنه لم يقض بالنكول فى بعض الوقائع التى رفعت إليه . يقول ابن حزم : ( فكيف وقد خالفوا عثمان فى هذه القضية نفسها ، لأنه لم يجز البيع بالبراءة إلا فى عيب لم يعلمه البائع ، وهذا خلاف قولكم . ومن العجيب أن يكون حكم عثمان بعضه حجة وبعضه ليس بحجة ، هذا على أن مالك بن أنس روى هذا الخبر عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن سالم بن عبد الله فقال فيه عن أبيه : فأبى أن يحلف وارتجع العبد فدل هذا على أنه اختار أن يرتجع العبد فرده إليه عثمان برضاه (١) .

الثالث : إن دعوى الإجماع غير صحيحة ، فالإجماع يكون صحيحا بعدم المخالف ، لا بعدم العلم بالمخالف ، وفرق بين عدم المخالف وعدم العلم به .

أما الأئمة مالك والشافعى وأحمد فيقولون إن المدعى عليه إذا نكل عن اليمين لا يجب للمدعى بنكوله شيء ، وإنما ترد اليمين إلى المدعى ، فإذا حلف إستحق المدعى به . وتوجيه هذا القول هو أن نكول المدعى عليه أضعف من شاهد المدعى ، فالأولى أن يقوى بيمين الطالب ، إذ النكول ليس بينة من المدعى عليه ولا إقراراً ، فلم يقو على الاستقلال بالحكم ، فإذا حلف معه المدعى قوى جانبه (٢) .

قالوا ، وإن هذا المعنى يستفاد من الآية الكريمة فى شأن الوصية فى السفر ﴿فإن عثر على أنها إستحقا إثما فأخرا ن يقومان مقامهما من الذين إستحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا أنا إذا لمن الظالمين . ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم . . . ﴾ الآية (المائدة ١٠٧-١٠٨) .

ووجه الاستدلال فى الآية أنها أفادت رد اليمين إلى الجهة التى شرعت فيها أولا وهى الشاهدان إلى غيرهما ، ويؤخذ منه رد اليمين من المدعى عليه إلى غيره (٣) .

(١) المحلى ج ١٠ ص ٥٣٣ - ٥٣٤ ط دار الاتحاد العربى مصر .

(٢) الطرق الحكيمية لابن القيم ص ١٣٧ - بداية المجتهد ج ٢ ص ٤٦٩ .

(٣) الام للشافعى ج ٧ ص ٣٤ .

وكذلك استدلوها بما رواه الدارقطني والحاكم في المستدرک وصحح إسناده عن ابن عمر رضی الله عنهما أن رسول الله ﷺ قد رد اليمين على طالب الحق (١) .

ومع أن هذا المذهب أظهر من سابقه وأرجح لكونه اعتمد على أدلة نقلية منها ما هو منطوق في محل النزاع كحديث ابن عمر رضی الله عنه، إلا أنه لم يسلم أيضاً من انتقاد وجه إليه . ويتلخص هذا الانتقاد في :-

أولاً: إن استدلالهم بالآية لا يستقيم لهم في موضوع النزاع، لأنها تدل على أن شاهدين يقومان مقام شاهدين آخرين ظهر كذبهما بعد الحلف، وليس ذلك موضوع الخلاف .

ثم إن الشافعية والمالكية وهم من أنصار هذا المذهب يقولون بنسخ هذه الآية بالآيات التي تمنع ولاية الكافر على المسلم، والشهادة فيها ولاية على المشهود عليه، ولذا فقد أبطلوا شهادة الكافر على المسلم . فكونهم لم يعملوا بالآية في موضوعها فمن باب أولى ألا يستدلوا بها هنا .

ثانياً: إن حديث ابن عمر الذي استندوا عليه مطعون في إسناده فلا يصح الاعتماد عليه . [انظر الهامش] .

### هل تكفي اليمين لقطع النزاع؟

لا شك أن المدعى عليه إذا أقر بالدعوى إقراراً صحيحاً، أو ثبتت عليه الدعوى بشهود المدعى، وحكم القاضي بناء على ذلك انقطع النزاع بينهما لاتصال الحكم بالدليل الذي يؤدي إلى الحق غالباً . ولكن هل يعتبر الحال كذلك عند اتصال الحكم باليمين؟ أى هل تنقضى الدعوى إذا حلف المنكر عند عجز المدعى من تقديم بينته؟ وبمعنى آخر هل يجوز للمدعى أن يقدم بينة بعد احلاف المدعى عليه باليمين؟ .

جمهور الفقهاء يرون سماع بينة المدعى بعد حلف المدعى عليه باليمين . ويعتبرون إنهاء الدعوى باليمين إنها هو إنهاء مؤقت يمكن أن تعاد مرة أخرى إذا قدم المدعى البينة التي كان قد عجز عن تقديمها قبل اليمين . ويقولون إن البينة العادلة أولى من اليمين الفاجرة،

---

(١) سنن الدارقطني ج٤ ص ٢١٣ - وجاء في التعليق المغنى على سنن الدارقطني للمحدث أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (الحديث أخرجه البيهقي والحاكم وفي اسناد كلهم محمد بن مسروق وهو لا يعرف . واسحاق بن الفرات مختلف فيه) .

ولأن البينة مثبتة واليمين نافية، والإثبات أولى من النفي . ولأن اليمين تكون مع عدم البينة، فإذا وجدت البينة سقط حكم اليمين . ولأن سقوط الدعوى باليمين ليس موجبا لسقوط الحق، فالحقوق لا تسقط إلا بقبض أو إبراء، وليست اليمين قبضاً ولا إبراءاً (١) .

ويرى بعض الفقهاء أن اليمين طريق من طرق الإثبات، فإذا حلف المدعى عليه سقط حق المدعى في الدعوى وترتب على ذلك اليمين قطع النزاع (٢) .

### اليمين مع الشاهد :

روى مسلم وأحمد وأبو داود عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبي ﷺ قضى بشاهد ويمين، وفي رواية أحمد (إنما كان ذلك في الأموال) وروى الدارقطني في سننه أن النبي ﷺ قضى بشهادة شاهد واحد ويمين صاحب الحق (٣) .

استناداً على هذه الأحاديث ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز القضاء بشاهد ويمين المدعى في المال، وما يؤول إلى المال من حقوق الأبدان كالنكاح والطلاق، ولا يحكم بذلك في القصاص والحدود .

وخالف أبو حنيفة وأصحابه وقالوا: لا يحكم بشاهد ويمين إذ الآية الكريمة ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ (البقرة: ٢٨٢) قد قصرت الإثبات في البينة على النحو المذكور، وحديث الشاهد واليمين زيادة على النص، والزيادة على النص تكون نسخاً، وخبر الواحد لا ينسخ المتواتر (٤) .

وقد أورد الشوكاني رحمه الله في نيل الأوطار أدلة الفريقين وانتصر لمذهب الجمهور قائلاً: «جميع ما أورده المانعون من الحكم بشاهد ويمين غير نافق في سوق المناظرة عند من له أدنى إلمام بالمعارف العلمية وأقل نصيب من إنصاف . فالحق أن أحاديث العمل بشاهد ويمين زيادة على ما دل عليه قوله تعالى ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم . . .﴾ الآية وعلى ما دل عليه قوله ﷺ (شاهدك أو يمينه) غير منافية للأصل، فقبولها متحتم . وغاية ما يقال على فرض التعارض - وإن كان فرضاً فاسداً - إن الآية والحديث المذكورين يدلان

(١) المغنى ج١٠ ص ١٠٤ .

(٢) المرافعات الشرعية لمحمد زيد بك الإيباني ص ٩ وما بعدها .

(٣) سنن الدارقطني ج٣ ص ٢١٤، نيل الأوطار ومنتقى الأخبار ج١٠ ص ٢٨٢ ط الطباعة الفنية .

(٤) نيل الأوطار ج١٠ ص ٢٨٤ . تبصرة الحكام ج١ ص ٢٦٨ . أعلام الموقعين ج٣ ص ٨٥ .

بمفهوم العدد على عدم قبول الشاهد واليمين والحكم بمجردهما، وهذا المفهوم المردود عند أكثر أهل الأصول لا يعارض المنطوق وهو ما ورد في العمل بشاهد ويمين»<sup>(١)</sup>.

### يمين القسامة :

القسامة في اللغة تطلق على معنيين، بمعنى الحلف، يقال: أقسمت إذا حلفت، وبمعنى الحسن والجمال، يقال فلان قسيم الوجه، ورجل قسيم أى وسيم<sup>(٢)</sup>.

أما في إصطلاح الفقهاء. فقد عرفها ابن قدامة في المعنى بقوله: «القسامة هي الأيمان المكررة في دعوى القتل»<sup>(٣)</sup>. ويقول ابن عرفة المالكي: «هي حلف خمسين يمينا أو جزأها على إثبات الدم»<sup>(٤)</sup>. وعند فقهاء الحنفية القسامة هي «أيمان يقسم بها أهل محلة أو دار وجد فيها قتيل به أثر. يقول كل واحد منهم ما قتلته ولا علمت له قاتلا»<sup>(٥)</sup>.

يتضح من هذه التعريفات أن القسامة هي أيمان قدرها خمسون يمينا يحلفها إما أولياء القتيل يثبتون بها الدم على المدعى عليه كما هو مفهوم جمهور من يقول بها، أو يحلفها من وجد القتيل بين ظهرانهم ينفون بها نسبة القتل إليهم وهو مفهوم الحنفية.

وقد اختلفوا في القسامة هل هي قسم من أقسام اليمين؟ أم هي طريق آخر من طرق الاثبات إذ قد يترتب على حلفها عند الجمهور اثبات الدم المترتب عليه القود أو الدية. وعلى كل فإن القسامة طريق لاثبات الدم يقوم على حلف اليمين.

ويحتج جمهور الفقهاء القائلون بالقسامة بالأحاديث الصحيحة التي نصت على مشروعيتها ففي صحيح البخارى عن بشير بن يسار زعم أن رجلا من الأنصار يقال له سهل ابن أبى حثمة أخبره أن نفرا من قومه انطلقوا إلى خيبر فتفرقوا فيها ووجدوا أحدهم قتيلا، وقالوا للذى وجد فيهم قتلتم صاحبنا، قالوا: ما قتلنا ولا علمنا له قاتلا. فانطلقوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يارسول الله انطلقنا إلى خيبر فوجدنا أحدنا قتيلا. فقال: الكبر الكبر. فقال

(١) نيل الأوطار ج١٠ ص ٢٨٤.

(٢) لسان العرب (فصل القاف من حرف الميم).

(٣) المعنى ج٨ ص ٦٥.

(٤) مواهب الجليل للحطاب ج٦ ص ٢٦٩.

(٥) العناية بهامش تكملة فتح القدير ج٨ ص ٣٨٣.

لهم تأتون بالبينة . فقالوا يارسول الله مالنا بينة . قال : فيحلفون ، قالوا : لا نرضى بأيمان اليهود . فكره رسول الله ﷺ أن يبطل دمه فوداه مائة من إبل الصدقة (١) .

ورواية مسلم وأبى داود : يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته . قالوا : أمر لم نشهده كيف نحلف . قال : تبرئكم يهود بأيمان خمسين منهم . قالوا : يارسول الله قوم كفار ، فوداه رسول الله ﷺ من قبله . قال سهل : فدخلت مربدا لهم فركضتني ناقة من تلك الابل برجلها (٢) .

وعند الترمذى «تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم قاتلكم . . . ثم ساق الحديث (٣) .

وجه الدلالة من هذه الأحاديث أن رسول الله ﷺ شرع أيمان القسامة . وفي الروايتين الأخيرتين أجاز لأولياء القتيل أن يحلفوا خمسين يمينا على من اتهموه بالقتل ، ويستحقون بهذه الأيمان دم القاتل ، وإلا حلف المتهمون خمسين يمينا لتبرئة أنفسهم من الاتهام الموجه إليهم .

ويتضح أيضاً من هذه الأحاديث اعتماد المدعين على قرينة العداوة بين اليهود والأنصار مما دعاهم إلى توجيه تهمة القتل إليهم ، لاسيما وقد وجد القتيل بينهم ، وقد أجاز لهم النبي ﷺ الحلف على ذلك .

هذا ولم يخالف في الأخذ بالقسامة إلا ما روى عن سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار وقتادة وأبى قلابة وعمر بن عبد العزيز والبخارى ، محتجين بأن القسامة تخالف أصول التشريع الاسلامى ، إذ أن الأصل في الشريعة ألا يحلف أحد إلا على ما علم قطعاً أو شاهد حساً ، فكيف يقسم أولياء الدم وهم لم يشاهدوا القتل . ويقولون أن رسول الله ﷺ تطف بالأولياء ليربهم أنه كيف لا يلزم الحكم بها في الاسلام لأنها كانت من أحكام الجاهلية . ويحتجون أيضاً بأن الأيمان لا تأثير لها في الدماء فلا تصلح لإشاطتها . وتخالف القول بأن البينة على المدعى واليمين على من أنكر (٤) .

(١) صحيح البخارى (باب القسامة) ج٤ ص ١٥٦ .

(٢، ٣) صحيح مسلم مع شرح النووى ج١١ ص ١٤٨ . وسنن أبى داود ج٤ ص ٢٩٩ .

(٤) صحيح البخارى (باب القسامة) ج٤ ص ١٥٧ . المبسوط للسرخسى ج٢٦ ص ١٠٩ بداية المجتهد ج٢ ص ٤٢٨ .

وأجاب من أخذ بالقسامة عليهم بأن القسامة أصل قائم بنفسه قررتة السنة النبوية الشريفة كسائر السنن المقررة للأصول، وأنه يجوز للأولياء أن يقسموا على القاتل إذا رغب على ظنهم أنه قتله، وللانسان أن يحلف على غالب ظنه. ثم أن الرسول ﷺ جعل لهم استحقاق دم القاتل بقوله: «وتستحقون دم صاحبكم» أو «ويدفع إليكم برمته». وليس ثمة ما يمنع أن تكون الأيمان سبيلا لاشاطة الدماء أى اهدارها مادامت الأيمان تؤدي إلى إثبات القتل (١).

## علم القاضى :-

وقد اختلف الفقهاء أيضاً فى قضاء القاضى فى حادثة بناء على علمه بحقيقتها فإن كان الحق المدعى به من حقوق الله الخالصة - كالحدود - فهذه اتفقوا على أنه لا يقضى فيها بعلمه، اللهم إلا ما روى عن ابن حزم الظاهري بجواز ذلك. أما إن كان من حقوق العباد - كالبيع والشراء - ففيها اختلاف بين الفقهاء.

قال متقدمو الحنفية: إنه لا يجوز للقاضى أن يقضى بناء على علمه الشخصى فيها، وعن محمد بن الحسن لا يقضى بشيء أصلاً. وهو ما أفتى به المتأخرون منهم.

جاء فى البحر الرائق (علم القاضى بشيء ينفذ القضاء فى غير الحدود، وأما القصاص، فله القضاء بعلمه كما فى الخلاصة، وتركه المصنف للاختلاف وظاهر ما فى جامع الفصولين أن الفتوى على أن القاضى لا يقضى بعلمه لفساد قضاة الزمان) (٢).

وقول ابن حزم والمتقدمين من الحنفية هو أيضاً رواية عن أحمد وقول للشافعى.

أما المشهور عند المالكية والرواية الأخرى لأحمد والشافعى لا يجوز للقاضى الحكم بعلمه الشخصى فى الدعوى.

ويستند هذا القول الأخير - الذى يمنع القاضى من الحكم بناء على علمه - على

أمرين :-

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ج١١ ص١٤٤، بداية المجتهد ج٤ ص٤٢٨.

(٢) البحر الرائق ج٧ ص٢٠٤ ط دار المعرفة بيروت وانظر فى الموضوع الاشباه والنظائر لابن نجيم ج١ ص٣٣٨ المطبعة

العامة مصر. والطرق الحكمية ص٢٢٧ ونيل الأوطار ج١٠ ص٢٨٧.

**الأول :** إن قضاء القاضى بعلمه يعرضه إلى التهمة والريبة، والقضاة مأمورون بصيانة أنفسهم عن التهم . كما يؤدي إلى زعزعة الثقة بالقضاء وبأحكامه .

**الثانى :** إن ترك الحرية للقاضى ليقضى بعلمه يمكن من لا خلاق لهم من القضاة بالتلاعب بالأحكام بتقتيل من يخالفهم وتفسيقهم وتجريح من يبغضهم ، وتميز من يواددهم ، وتغيير الأحكام بناء على أطماعهم وأهوائهم الشخصية .

ولهذا فإن هذا القول أرجح من سابقه وأظهر وأكثر ملاءمة لوقتنا الحاضر . وبه أفتى المتأخرون من علماء الشريعة ، وذهبوا إلى منع ذلك منعا باتا بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة حيث فسد الناس وعمت الفوضى وخربت الذمم ، وأصبح الاختيار لمنصب القاضى لا يقوم على ما كان عليه عند أسلافنا من تحرى التقوى والورع .

يقول الشيخ أحمد إبراهيم رحمه الله (الحق أن الاحتياط فى ذلك واجب بل هو من أعظم مطالب الشريعة الحكيمة العادلة ، فلا نسلم للقاضى بما يقضى به ولا نقره عليه إلا إذا بين أسبابا مقنعة وحججا واضحة استند فى قضائه عليها يزيل بها التهمة عن نفسه وبدون ذلك لا توجد الطمأنينة فى نفس أحد) (١) .

ويقول الدكتور محمد البهى رحمه الله (أما إذا منعناه من القضاء بعلمه فالضرر الذى يترتب على هذا المنع محدود الدائرة ضيق الأثر لأنه لا يتعدى بعض المتقاضيين ، أما نفعه فإنه يعود على المجتمع كله ، فيأمن الناس معه على أعراضهم ودمائهم وأموالهم ، كما أنه حماية للقاضى ومكانة القضاء من أن تزلزل فى نفوس الناس ويهن شأنها فى نظرهم) (٢) .

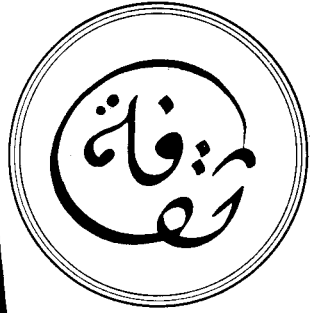


(١) طرق القضاء فى الشريعة الاسلامية ص ٣٩ .

(٢) من طرق الاثبات فى الشريعة والقانون ص ١٤٥ .



اسلامية





# ترجمة القرآن الكريم

للفنان محمد علي عبد الله  
بكلية الشريعة والقانون - جامعة بارو ونيجيريا

مقدمة : -

في حين أن موضوع ترجمة القرآن لا يأخذ حيزاً واسعاً ولا ضيقاً من الدارسين في البلاد العربية إلا أنه يستحوذ على قدر غير قليل من اهتمام الدارسين في البلاد الإسلامية غير العربية ومن المسلمين غير العرب . . وهذا بدوره يؤكد قواعد الشريعة الإسلامية الأصولية القائلة بأن الواقع المعاش في كل مكان وأن هو الذي يولد المشاكل والهموم الفقهية ومن ثم يسعى الفقهاء لتكيفها وحلها لمصادر الشرع الخالدة والمرنة مصداقاً لقوله (ﷺ) : -

«تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» .

«ولقد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وسنتي» وموضوع ترجمة القرآن الذي نحن بصده الآن ليس من الموضوعات ولا المسائل الفقهية الجديدة . . بل هو قديم قدم الفقه الإسلامي وحي كحياة الشريعة الإسلامية التي من أصولها مجابهة الواقع لا مداراته وتحاشيه . . تتعامل الشريعة بوضوح وجراحة مع كل مسألة تنشأ في ظل سلطانها فتضع لها الحل وتعطيها الحكم الشرعي الملائم والمتسق مع مبادئها العامة وأحكامها الجزئية . . على عكس ما آل إليه الأمر اليوم من دفن الرؤوس في الرمال أمام الواقع الذي تفلت بسبب ذلك من حكم الشرع . . مما صور الشريعة بصورة العاجز عن معالجة هذا الواقع . . وما العجز في حقيقة الأمر إلا أن المسلمين خاصة أولى الأمر من الحكام والعلماء .

قلنا تتعامل الشريعة مع كل واقع جديد مهما عظم بالإيجابية وجراحة لأن من طبيعتها الشمول ومن خصائصها المرونة التي تتسع بها لاستيعاب كل جديد ومن عقيدتها أن تحكم حتى تقوم الساعة .

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩) ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران: ٨٥) .

وليس هنالك رهبة أو وجل في أعمال الشريعة لأن المجتهد فيها مأجور ما خلصت نيته وأفرغ جهده (اجتهد رأبي لا آلو) . . . فلئن أصاب في اجتهاده أجر مرتين : أجر الاجتهاد وأجر الاصابة . . . وإن أخطأ في اجتهاده نال أجر الاجتهاد ولا يغرم شيئاً في الخطأ . فعلام المهابة إذاً وإلام الاستكانة يا علماء المسلمين .

والموضوع كما قدمنا قديم وأرى أن معالجته بشيء من الوضوح والواقعية تقتضى تقسيمه إلى قسمين :-

**القسم الأول :** يعالج ما إذا كانت الترجمة قرآناً أم لا .

**القسم الثانى :** يناقش الآراء الفقهية حول جواز الترجمة أو عدم جوازها باعتبارها تفسيراً لمعانى القرآن . . وأفضل أن أبدأ بالمسألة الأولى لأسباب منها :-

١ — من حيث الظرف التاريخى فإن المسألة الأولى طرحت نفسها أولاً .

٢ — ثم إنها أثرت سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة على الفكر الإسلامى في مجابهته للمسألة الثانية .

**تعريف القرآن :-**

إن أجمع وأوضح ما قيل في القرآن هو قول الإمام الأمدى إن الكتاب : هو القرآن المنزل<sup>(١)</sup> .

وقلنا هو أجمع وأوضح لأن معظم التعريفات الأخرى تؤدى إلى متاهات لا حاجة للناس فيها في أمر جده معلوم لدى الكافة . . ومع ذلك ، ومن أجل الدخول في الموضوع سنورد تعريف الإمام اليزدوى : (أما الكتاب فالقرآن المنزل على رسول الله المكتوب فى المصاحف المنقول عن النبى (ﷺ) نقلاً متواتراً بلا شبهة . وهو النظم والمعنى جميعاً فى قول عامة العلماء وهو الصحيح من قول أبى حنيفة عندنا إلا أنه لم يجعل النظم ركناً لازماً فى حق جواز الصلاة خاصة وجعل المعنى ركناً لازماً والنظم ركناً يحتمل السقوط رخصة<sup>(٢)</sup> .

**القرآن نظماً ومعنى :-**

وتعريف اليزدوى أعلاه يشير بوضوح إلى أن القرآن يتألف عند عامة العلماء . . من النظم العربى والمعنى معاً تأليفاً لا تنفك فيه المعانى القرآنية عن ألفاظها العربية وأن النظم

(العربي) المعجز جزء من ماهية القرآن والكل بدون الجزء مستحيل كما يقول النيسابوري<sup>(٣)</sup> .

ويدل النص من ناحية أخرى على مانسب لأئمة الحنفية من خلاف حول المعنى السابق . . وما نسب للأحناف يصوره ما أورده النيسابوري قال :-

قال الشافعي : ترجمة القرآن لا تكفي في صحة الصلاة لا في حق من يحسن القراءة ولا في حق من لا يحسنها وقال أبو حنيفة إنها كافية في حق القادر والعاجز. وقال أبو يوسف ومحمد كافية في حق العاجز لا القادر<sup>(٤)</sup> .

وبناء على ما نقله النيسابوري يتضح أن أبا حنيفة : يجوز قراءة ترجمة القرآن في الصلاة . . وأن ذلك الجواز إنما هو للقادر على قراءته باللغة العربية وللعاجز معاً وإن صاحبين خالفاه في هذا الاطلاق فرخصاً للعاجز دون القادر . . وإن قراءة الترجمة في الصلاة تفيد أن المقروء قرأناً لقوله تعالى : ﴿ فاقراءوا ما تيسر من القرآن ﴾ .

والأجدربنا أن نرجع إلى كتب الحنفية أنفسهم حتى نتعرف عن قرب على رأى الإمام وأصحابه في هذا الصدد ولكن قبل أن نشرع في ذلك ينبغي أن ننبه إلى أن أبا حنيفة ليس بعربى . . بل تربى وتأثر بالثقافة والحضارة الفارسية قبل الإسلام . . وعاش في منطقة العراق الحالية حيث كان يسكنها الفرس مع غيرهم من العرب والأجناس الأخرى . . لا غرو أن يجابه الإمام الأعظم وأى إمام في مكانته بمثل هذه المسألة الفقهية التي تعكس الواقع الذى كان يعيشه . . ذلك أن الناس يدخلون كل يوم في دين الإسلام وأنهم يعانون ويجهلون صعوبة في تعلم العربية لوقتها . . فهل من حاجة في أن يعرب لهم المعنى القرآنى بلغتهم ليؤدوا الصلاة حتى حفظوا من السور القرآنية ما يغنى عن ذلك أم أنه ليس هناك حاجة ابتداء لهذا التجوز؟؟ ولقد واجه هذا الواقع من قبل - ولكن بصورة أخف - سيدنا عبد الله ابن مسعود قالوا وروى عن عبد الله بن مسعود أنه كان يعلم رجلاً أن شجرة الزقوم طعام الأثيم «والرجل لا يحسنه، فقال قل طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطأ في القرآن أن نقرأ مكان العليم الحكيم إنما الخطأ بأن تضع مكان آية الرحمة آية العذاب .

قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك<sup>(٥)</sup> .

تلکم كانت صورة من البيئة والظروف التي وجد فيها أبو حنيفة نفسه مضطراً لمجابهة مثل هذا الواقع الذى قلما يجابه إماماً كمالك بالمدينة أو الأوزاعي بالشام أو الشافعي بمصر وهاك موجزاً لما جاء في كتب الحنفية في هذا الموضوع :-

١ — من حيث أن القرآن مؤلف من النظم العربي والمعنى معاً فمذهب أبي حنيفة ذلك كمذهب الجمهور. . حتى أن أبا حنيفة يعد كافراً كل من أنكر أن القرآن غير النظم العربي والمعنى معاً .

٢ — مع ذلك لم يجعل أبو حنيفة نظم القرآن ركناً لازماً بالنسبة للصلاة خاصة وذلك في تقديره لأن قراءة القرآن في الصلاة مبنية على شيء من التوسعة. . ومقصودها مناجاة الله. . وفوق ذلك فقد جعلت القراءة فيها على التيسير :

أ — لقوله تعالى : ﴿ فَأَقْرءُوا مَا تيسر من القرآن ﴾ (المزمل : ٢٠) .

ب — ولسقوط القراءة عن المأموم بتحمل الإمام وبسقوطها بخوف فوات الركعة. . في حين أن هذا لا يجوز في سائر أركانها .

٣ — لكل ذلك جوز الإمام الاكتفاء في الصلاة بأداء الركن الأصلي من قراءة القرآن وهو المعنى الذي تتحقق به المناجاة. . ودليل ذلك أن القرآن نزل ابتداء بلغة قريش فلما شق على غير القرشيين من العرب رخص في قراءته باللغات السبع فقال رسول الله (ﷺ) : « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف » فلما جاز للعربي أن يدع لغة قريش إلى لغته مع قلة الكلفة جاز من باب أولى لغير العربي أن يدع العربية لعجزه عنها والاكتفاء بالمعنى القرآني الذي هو المقصود .

٤ — فالعدول إذن عن النظم العربي إلى الترجمة إنما هو رخصة كالمسح على الخفين والقصر في حال السفر .

٥ — قصر الأحناف الرخصة على الصلاة خاصة ولا يصح عندهم تجاوزها إلى غيرها. . حتى أن أبا حنيفة حرم مداومة قراءة الترجمة في الصلاة نفسها .

٦ — وفوق ذلك قيدت صحة الصلاة بالترجمة على اللغة الفارسية لأنها كما يزعمون قريبة من فصاحة العربية .

٧ — ورغم كل القيود السابقة فقد صح عن أبي حنيفة عدوله عن جواز القراءة في الصلاة بترجمة القرآن. . وبذلك يصبح الخلاف حول صحة الصلاة بالترجمة مجرد تاريخ يحكى على ما عليه الفتوى في المذهب الحنفي .

ويسقط الإمام عبد العزيز البخاري ثم يبرر ويوجه ما روى عن أبي حنيفة في هذا الخصوص ثم يقرر عدوله عن ذلك الرأي من خلال تعليقه على تعريف اليزدوي السابق للقرآن كالآتي : -

ومنهم (أى من العلماء) من اعتقد أنه (أى القرآن) اسم للمعنى دون النظم . وزعم\* الصلاة بغير عذر مع أن قراءة القرآن فيها فرض مقطوع به .

فرد الشيخ (يعنى اليزدوى) ذلك وأشار إلى فساده بقوله وهو الصحيح من مذهب أبى حنيفة عندنا أى المختار عندى أن مذهبه مثل مذهب العامة فى أنه اسم للنظم والمعنى جميعاً . وأجاب عما استدل به الزاعم بقوله : - لكن أبى حنيفة لم يجعل النظم ركناً لازماً له . قال مبنى النظم على التوسعة لأنه غير مقصود خصوصاً فى حالة الصلاة إذ هى حالة المناجاة وكذا بنى فرضية الصلاة على التيسير قال تعالى : ﴿ فَأَقْرءُوا مَا تيسر من القرآن ﴾ ولهذا يسقط عن المقتدى بتحمل الإمام عندنا وبخوف فوات الركعة عند مخالفنا بخلاف سائر الأركان . فيجوز أن يكتفى فيه بالركن الأسمى وهو المعنى ، يوضحه أنه نزل أولاً بلغة قريش لأنها أفصح اللغات فلما تعسر تلاوته بتلك اللغة على سائر العرب نزل التخفيف بسؤال الرسول (ﷺ) وأذن بتلاوته بسائر لغات العرب وسقط وجوب رعاية تلك اللغة أصلاً واتسع الأمر حتى جاز لكل فريق منهم أن يقرأوا بلغتهم ولغة غيرهم وإليه أشار النبى (ﷺ) بقوله : - « أنزل القرآن بسبعة أحرف كلها كاف شاف » فلما جاز للعربى ترك لغته إلى لغة غيره من العرب حتى جاز للقرشى أن يقرأ بلغة تميم مثلاً مع كمال قدرته على لغة نفسه جاز لغير العربى أيضاً ترك لغة العرب مع قصور قدرته عنها والاكتفاء بالمعنى الذى هو المقصود .

فصار الحاصل أن سقوط لزوم النظم عنده رخصة كمسح الخف والسلم وسقوط شرط صلاة المسافر حتى لم يبق اللزوم أصلاً فتستوى فيه حال العجز والقدرة وفى قوله خاصة - تنصيص على أن فيما سواه من الأحكام من وجوب الاعتقاد حتى يكفر من أنكر كون النظم منزلاً وحرمة كتاب المصحف بالفارسية وحرمة المداومة على الاعتياد على القراءة بالفارسية وقيل الخلاف فى الفارسية لأنها قربت من العربية فى الفصاحة فأما القراءة بغيرها فلا يجوز بالاتفاق .

وقد صح رجوعه إلى قول العامة رواه ابن أبى مريم عنه . ذكره المصنف فى شرح المبسوط وهو اختيار القاضى الإمام أبى زيد وعمامة المحققين وعليه الفتوى (٦) .

والصواب طبعاً ما ذهب إليه الكافة ورجع إليه أبو حنيفة من أن القرآن هو المعنى والنظم معاً . . والحاجة التى أدت بأبى حنيفة إلى أن يقول بعدم ركنية النظم فى الصلاة

\* إن ذلك مذهب أبى حنيفة - رحمه الله - بدليل جواز القراءة بالفارسية عنده فى الصلاة .

خاصة قد اندفعت عند الجمهور بصورة تهمل فيها ركنية النظم وهو مذهب أولى بالاعتبار وادعى لبطلان ما ذهب إليه الأحناف ابتداء .

ولنا كما يقول النيسابورى - أنه أى (ﷺ) والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرءوا إلا هذا القرآن العربى فوجب علينا اتباعهم فكيف يجوز عاقل قيام الترجمة بأى لغة كانت وهى كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر (٧) .

لقد وسع العلماء - وفقاً لقواعد الشريعة العامة - على الذين لم يتعلموا بعد ما يقيمون به الصلاة من القرآن .

١ - بالصلاة مع إمام يحسن أو يعرف ذلك .

٢ - وإن لم تيسر الصلاة فى جماعة فيمكن له أن يؤديها بأى نوع من الذكر يعرفه .

٣ - على أن يجد فى حينه فى تعليم القرآن وغيره من الأحكام التى يحتاجها فى الصلاة .

يقول الإمام ابن جوزى ومن لم يحسنها أى (أم القرآن) إن كان أبكم لم يجب عليه شىء . وإن كان يتعلمها وجب عليه تعلمها والصلاة وراء من يحسنها فإن لم يجد فقليل يذكر الله وقيل يسكت ولا يجوز ترجمتها خلافاً لأبى حنيفة (٨) .

وقال الحسن بن محمد : إن لم يحفظ شيئاً من الفاتحة قرأ بقدرها من غيرها من القرآن ثم من ذكر من الأذكار ثم عليه بوقفة بقدرها فإن تعلم قرأ ما لم يفرغ منه (٩) .

وعن أبى هريرة قال :- كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله (ﷺ) لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل . الآية .

يقول ابن حجر فى تعليقه على هذا الحديث قال ابن بطال :- استدل بهذا الحديث من قال تجوز قراءة القرآن بالفارسية وأيد ذلك بأن الله تعالى حكى قول الأنبياء عليهم السلام كنوح عليه السلام وغيره ممن ليس عربياً بلسان القرآن وهو عربى مبين ويقول تعالى :- ﴿لأنذرکم به ومن بلغ﴾ والانداز إنما يكون بما يفهمونه من لسانهم فقراءة أهل كل لغة بلسانهم حتى يقع لهم الانذار به .

وقال ابن حجر فى أجزاء الصلاة من قرأ فيها بالفارسى : والذى يظهر التفصيل ، فإن كان القارئ قادراً على التلاوة باللسان العربى فلا يجوز له العدول عنه ولا تجزئ صلواته



وإن كان عاجزاً وإن كان خارج الصلاة فلا يمتنع عليه القراءة بلسانه لأنه معذور. وبه حاجة إلى حفظها يجب فعلاً وتركها، وإن كان داخل الصلاة فقد جعل الشارع له بدلاً وهو الذكر وكل كلمة من الذكر لا يعجز عن النطق بها من ليس بعربي فيقولها ويكررها فتجزىء عن الذي يجب عليه قراءته في الصلاة حتى يتعلم، وعلى هذا فمن دخل في الإسلام أو أراد الدخول فيه فقرأ عليه القرآن فلم يفهمه فلا بأس أن يعرب له لتعريف أحكامه أو لتقوم عليه الحجة فيدخل فيه (١٠).

والقياس الذي عقده الأحناف لصحة القراءة بالترجمة في الصلاة على صحة القراءة بالأحرف السبعة هو قياس مع الفارق الكبير كما لا يخفى. . . ذلك لأن العدول عن لغة قريش إلى أى لغة أخرى عربية لا يخرج القرآن عن عربيته. . . ومع ذلك فهذه رخصة بموجب النص استثناء وما شرع رخصة واستثناء لا يصح القياس عليه كما هو مقرر في الأصول.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لا أرى وجهاً لالزام المرء بالصلاة من قبل أن يتعلم من القرآن والأحكام القدر الضروري لأداء الصلاة. . . والصورة الوحيدة التي يمكن إلزامها إنما في الجماعة ما تيسر. ولا وجه للإلزامه بالصلاة لأنها كغيرها من الأحكام بنيت على أركان وشروط فيما لم تكتمل الأركان وتحقق الشروط لا تتوفر لها أسباب الأداء بالأصالة. . . ويقول تعالى: ﴿فأقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ ويقول (ﷺ) لا صلاة لمن لا يقرأ فاتحة الكتاب. . . فما لم يستطع الإنسان أن يحفظ بفاتحة الكتاب أو أى جزء منها لا تلزمه الصلاة ما لم يفرض وان فرض اثم على تفريطه.

وبما أن الصلاة أصلاً هي الصلة بين العبد وربّه فللمرء مندوحة في أن يأتي بأسباب هذه الصلة الكثيرة والمتعددة الأوجه كاللحاح والذكر والتفكير. . . دون الصلاة التي شرعت بكيفية وهيئة معلومتين فلا تؤدي إلا وفقاً لتلك الهيئة أو وفقاً للرخص المعلومة. . . والتيسير الذي ذكره الله بالنسبة للقراءة في الصلاة هو متمسق مع مبادئ الشريعة العامة في رفع الحرج عن العباد ولكن لا يمكن أن يستقل ذلك لإلغاء نظمه ركنية النظم العربي للقرآن. . . وعلى المرء أن يحرص كل الحرص ويجتهد كل طاقاته لتعلم الفاتحة وغيرها من السور والأحكام حتى ينتظم في أداء هذا الركن الركين من الدين الإسلامي ألا وهي الصلاة.

ويؤيد رأى الجمهور أن علماء الحنفية أنفسهم حاروا في توجيه المسألة المنسوبة لإمامهم قال عبد العزيز البخارى: - فإن قيل لما جاز الاكتفاء بالمعنى عنده في الصلاة من غير عذر

لا بد من أن يكون ذلك قرآناً إذ لا جواز للصلاة بدون قرآن وبالاجماع وحينئذ لا يكون الحد المذكور متناولاً له لعدم امكان كتابة المعنى المجرد في المصحف ونقله بالتواتر وما تعلق المعنى به في العبارة الفارسية مثلاً ليس بمكتوب في المصحف ولا منقول بالتواتر أيضاً فلا يكون الحد جامعاً أولاً ولا يكون المعنى بدون النظم قرآناً فينبغي أن لا تجوز الصلاة .

قلنا إنما جاز الاكتفاء بالمعنى عنده إما لقيام المعنى المجرد في الصلاة مقام النظم والمعنى أو لقيام العبارة الفارسية الدالة على معنى القرآن مقام النظم المنقول كما قال أبو يوسف ومحمد في حالة العذر فيكون النظم المنقول المكتوب موجوداً تقديراً وحكماً فيدخل تحته الحد ويكون الحد جامعاً ويفسر قوله المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلاً متواتراً بالكتابة والنقل حقيقة أو تقديراً أو نقول هو يسلم أن المعنى بدون النظم ليس بقرآن ولكن لا يسلم أن جواز الصلاة متعلق بقراءة القرآن المحدود بل هو متعلق بمعناه ويحمل قوله :- ﴿فأقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ على أن المراد وجوب رعاية المعنى دون النظم لدليل لاح له فلا يرد الاشكال (١١) .

فبرجوع أبي حنيفة عما كان يقول به من اعتبار الترجمة قرآناً في الصلاة على الرأي المفتى به في المذهب الحنفي - اجتمعت كلمة المسلمين في الجملة على أن القرآن إنما هو النظم العربي والمعنى معاً سواء كان ذلك بالنسبة للصلاة أو غيرها من الأحكام الشرعية . وقلنا في الجملة لأن فريقاً من الأحناف ما يزال يعتقد أن الرأي ما ذهب إليه الإمام أولاً لأن رجوعه عن هذا الرأي لم يصح في تقديرهم . . وهذا رأي مرجوح في المذهب الحنفي .

**ترجمة معانى القرآن :-**

إذا ثبت بالدليل القاطع أن الترجمة لا تعتبر قرآناً لأن أحداً لم يقل بذلك ولأن الرأي المقيد الذي كان يقول به أبو حنيفة قد صح رجوعه عنه بنفسه ، مما يدل على فساده من ناحية أخرى - فما حكم ترجمة القرآن على وعى تام بأن الترجمة ليست قرآناً .

اختلف العلماء المسلمون في ذلك اختلافاً كثيراً . فبينما أجازها البعض بل منهم من قال بوجوبها - أنكرها البعض الآخر نكراناً شديداً وعدوها بدعة وضلالة في الدين ومهما يكن فإن الرأي الذى كان يقول به أبو حنيفة قد أثر في الفكر الإسلامى أيما تأثير وسبب شيئاً من النفور العام بالنسبة لموضوع الترجمة حتى مع يقين الكل على أن الترجمة لا تعتبر قرآناً . . وأن كثيراً من الآراء التى اثيرت وسيقت ضد ترجمة القرآن يمكن ردها بصورة أو أخرى إلى الخوف من أن تعتبر الترجمة قرآناً من ناحية أو خشية أن يظنها غير المسلمين قرآناً فينبون

أحكامهم على القرآن من خلالها .

وما دام الأمر قد استقر بين المسلمين على أن الترجمة لا تعتبر قرآناً وإنما يقصد بها نقل معاني القرآن بحيث يتسنى للإنسانية الاطلاع عليها والاهتداء بتعاليمها فما علينا إلا أن نعالج المسألة من ناحية موضوعية فنورد ما لها وما عليها في ضوء القواعد الأصولية العامة والمبادئ الشرعية الحاكمة .

والترجمة المقصودة هنا هي نقل لمعاني وأحكام القرآن إلى لغة أخرى أشبه ما يكون الأمر بالتفسير . . . كل ما هناك أن التفسير يهتم بابرز الأحكام بأنواعها بينما تسعى الترجمة لابرز الأحكام والمعاني تبعاً لنقل روح وأهداف وإيقاع العبارة القرآنية ما أمكن (١٢) .

بالرغم من هذا فقد انبرى - كما قدمنا فريق من المسلمين وقالوا بعدم جواز ترجمة القرآن وساقوا الحجج الآتية لتأييد ما ذهبوا إليه .

١ - إن ترجمة القرآن تعتبر بدعة خطيرة . أما إنها بدعة فلا أن الأولين لم يقدموا على مثل هذا العمل وهم أقدر ما يكون عليه وهي في المقام الثاني خطيرة لما يترتب عليها من مفسد كهجرات اللغة العربية من قبل المسلمين غير العرب بعد اكتفائهم بالترجمة في تعلم القرآن ودراسته وتلاوته .

٢ - إن احجام الصحابة ومن بعدهم من المسلمين عن ترجمة القرآن أدى إلى انتشار اللغة العربية - فتحقق من أجل ذلك ما لا يحصى من الفوائد بالنسبة للإسلام والمسلمين .

٣ - أما عن واجب تبليغ الدعوة للناس كافة فيقول أصحاب هذا الرأي : الواجب هو تبليغ مجمل الدعوة . . فلا ينبغي كل ما جاء بالقرآن . . بل يجب على تلك الأمم أن تشرع في تعلم العربية فور إسلامها حتى تستكمل دينها .

٤ - ثم قالوا إن عدم جواز الترجمة مبنى أيضاً على قصور الترجمة عن تحمل المعاني الكثيرة التي أودعها الله القرآن بنظم عربي معجز . . فلا يستطيع كائن ما أن يحيط بهذه المعاني أولاً وأن ينقلها في المقام الثاني بحيث يحافظ على اعجازها اللفظي والمعنوي . . أو كما يقول الأستاذ إبراهيم أنيس : « وفي الحق أنه لا يكاد المرء ينتهي من تصفح هذه الكتب وأمثالها حتى يحس في قرارة نفسه أن الوقوف على دلالات الألفاظ القرآنية أمر عسير المنال دونه صعوبات جمه . فلا يكاد يسلم المترجم لها من الزلل أو القصور في إبراز تلك الدلالات ، وتصويرها بالقدر الذي يقارب ما هي عليه في منبتها القرآني من جمال وروعة وإعجاز لأهل اللسان والفصاحة في كل زمان ومكان» (١٣) .

ومن ناحية أخرى ذهب الأكثرون إلى القول بجواز بل بضرورة ترجمة القرآن لنقل روح وأهداف القرآن - ما أمكن - لمن لا يحسنون أو لا يعرفون اللغة العربية .

وحيث أن الأحناف قالوا بصحة تلاوة ترجمة القرآن في الصلاة فهم ومن باب أولى يجوزون ترجمته باعتبارها تفسيراً ونقلًا لمعاني وأحكام القرآن .

كذلك أورد الإمام البخارى في صحيحه ما يدل على صحة ترجمة القرآن قياساً على صحة ترجمة غيره من كتب الله . وقد بنى على ذلك الفهم الإمام ابن حجر - في شرحه لصحيح البخارى - جواز ترجمة القرآن .

تحت باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها لقوله تعالى : ﴿ فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ . أورد البخارى الآتى .

وقال ابن عباس : أخبرنى أبو سفيان بن حرب : أن هرقل دعا ترجمانه ثم دعا بكتاب النبى (ﷺ) فقرأه فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد . . . فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك اثم الأريسيين ، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » .

وعن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله (ﷺ) : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بالله وما أنزل . . . الآية .

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أتى النبى (ﷺ) برجل وأمرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود : ما تصنعون بهما؟ قالوا : نسخم وجوههما ونخزيهما . قال : فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فجاءوا وقالوا لرجل ممن يرضون أعور : اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه قال : ارفع يدك . فإذا فيه آية الرجم تلوح فقال : يا محمد أن عليهما الرجم ولكننا نتكأتمه بيننا . فأمر بهما فرجما ، فرأيته يجافى عليهما الحجارة (١٤) .

في تعليقاته على هذه الأحاديث يقول ابن حجر : والحاصل أن الذى بالعبرية يجوز التعبير عنه بالعربية وبالعكس . وهل يتقيد الجواز بمن لا يفقه ذلك اللسان أولاً؟ الأول قول الأكثر قوله : ( فاتوا بالتوراة فاتلوها . . . ) وجه الدلالة أن التوراة بالعبرية وقد أمر تعالى أن

تتلى على العرب وهم لا يعرفون العبرانية فقضية ذلك الاذن بالتعبير عنها بالعربية ثم ذكر فيه ثلاثة احاديث :

**الأول :** حديث ابن عباس . ووجه الدلالة فيه أن النبي (ﷺ) كتب إلى هرقل باللسان العربى ولسان هرقل رومى ففيه اشعار بأنه اعتمد فى ابلاغه ما فى الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبعوث إليه ليفهمه والمترجم المذكور هو الترجمان<sup>(١٥)</sup> والثانى حديث أبو هريرة ولقد أوردناه وما علق به ابن حجر من قبل<sup>(١٦)</sup>.

لقد اشار الإمام البخارى فى هذا الباب اشارة كما أفصح ابن حجر فى شرحه افصاحاً على جواز الترجمة أخذاً من فعل الرسول (ﷺ) وارتضائه ترجمة التوراة إلى العربية فى حضرته وبارساله الكتب التى تحمل الآيات القرآنية بلسان عربى إلى ملوك الأرض حينئذ إلى هرقل وكسرى والنجاشى وهم لا يفقهون اللسان العربى وهو يعلم أنها ستترجم لهم إلى لغاتهم المختلفة وذلك اقرار منه (ﷺ) على جواز ترجمة القرآن إلى هذه اللغات وخبر ارساله بهذه الكتب إلى أولئك الملوك معلوم ومشهور<sup>(١٧)</sup>.

وقد نسب أيضا ابن الخطيب إلى ابن حجر قوله بجواز الترجمة فى غير هذا المكان ، إذ يقول : وقد قرر الإمام ابن حجر وهو من كبار أئمة المحدثين وجوب الترجمة حيث يقول : إن الوحي متلو أو غير متلو وإنما نزل بلغة العرب - ولا يرد على هذا كونه (ﷺ) قد بعث إلى الناس كافة عرباً وعجماً وغيرهم ، لأن اللسان الذى نزل عليه به الوحي عربى وهو يبلغه إلى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم<sup>(١٨)</sup>.

ويقول جار الله محمود الزمخشري تعليقا على قوله تعالى :- ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ (إبراهيم ١٤) أى ليفهموا عنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على الله ، ولا يقولوا لا نفهم ما خوطبنا به كما قال :- ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته . . فإن قلت لم يبعث رسول الله (ﷺ) إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعاً : قل يا أيها الناس أنى رسول الله إليكم جميعاً بل إلى الثقيلين وهم على ألسنة مختلفة ، فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة . وإن لم تكن لغيرهم حجة ، فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضاً .

قلت : لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو واحد منها ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك ، وتكفى التطويل فبقى أن ينزل بلسان واحد ، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول (ﷺ) لأنهم أقرب إليه فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم

وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيّمه ، كما نرى الحال ونشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم . . . ولأنه لو نزل بالسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها ما كلم أمته التي هو منها ، يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك أمرا قريبا من الاجاء (١٩) .

وهذا نص واضح وقاطع ليس في جواز الترجمة وحسب بل هو قائل بوجودها اعتماداً على أن الرسول (ﷺ) مبعوث للناس كافة برسالة القرآن التي ينبغي أن تصل لكل مفهومة حتى تقوم بها الحجة ولا سبيل لذلك إلا بالترجمة وسيأتي بيان ذلك .

وختاماً يقول الأستاذ محمد صالح سيمك : واستدل الإمام الشاطبي في الموافقات على جواز ترجمة القرآن بالقياس على ما هو حاصل من اجماع الأمة على تفسيره للعامّة ، ومن ليس له من الفهم ما يقوى به على ادراك كل معانيه الدقيقة وما الترجمة إلا تفسير وايضاح لغير العرب حتى يفقه القرآن وأحكامه ويتدبر معانيه ومقاصده (٢٠) .

هذه جملة الأدلة التي احتج بها المؤيدون لجواز ووجوب الترجمة وهي الأولى بالاعتبار في نظري لمنحهاها الايجابى المتسق مع مقاصد الدين وأهداف الشرع الإسلامى . . . غير أن ذلك لا يعفينا من مناقشة الاعتراضات والحجج الوجيهة التي أثارها أصحاب الرأى الأول .

١ — قالوا إن الترجمة بدعة وأمر لم يقدم عليه الأوائل . . . وهذه حجة قد اندفعت بحصول ترجمة القرآن إلى الرومية والفارسية والحبشية على أقل تقدير في حياة الرسول (ﷺ) وباقراره .

وكما لا يخفى على دارس أصول السنة فإن اقراره (ﷺ) كفعله وقوله من حيث الحجية . . . ولما حصلت وقبلت الترجمة من الرسول (ﷺ) من حيث المبدأ فلا يضيرها وان كانت وقتئذ على مستوى بسيط واقتضت الحاجة إلى أن ترفعها الآن إلى مستوى أكبر وعلى نطاق أوسع هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن البدعة المزعومة ليست في عمل كل شيء لم يفعله الرسول (ﷺ) وإلا لكان مجرد جمع القرآن في مصحف وتفسيره في صحائف وجمع السنة وغير ذلك مما قصد به خدمة الشرع الإسلامى بدعة . . . ولا أحسب أن عاقلا يقول بذلك خاصة وأن الرسول (ﷺ) قد أرشد إلى أن : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً » .

فالترجمة إذن من قبيل السنة المأجور فاعلها لا من قبيل البدعة ولا السنة السيئة المذموم

فاعلمها . وعلى أى فإن العمل ينتقل من حكم العادة إلى درجات العبادة بنية ودوافع صاحبه فالترجمة التى قصد بها وجه الله وخدمة الإسلام والمسلمين هى التى من قبيل السنة الحسنة . . فالترجمة كغيرها من الأفعال تحمد وتذم وفقاً لجهد وصدق أو سوء نية صاحبها .

٢ — قيل إن الترجمة تؤدى إلى احجام المسلمين غير العرب عن دراسة اللغة العربية التى هى لغة القرآن والاهتمام بها . وهذه بدورها حجة لا تستند إلى دليل . فمجرد الترجمة لا يؤدى إلى هذه النتيجة لأن الترجمة كما يقول محمد أكبر : مجرد محاولة لمساعدة الدارس لفهم وادراك النص القرآنى وليست بأى حال بديلاً له (٢١) .

ومعلوم أيضاً أن اللغة العربية تنتشر تبعاً للإسلام وليس العكس فإذا كان ذلك كذلك وإذا كان الغرض من الترجمة هو - نقل معانى القرآن من ناحية وتبليغ دعوة الإسلام لغير العرب من ناحية أخرى . . فينتظر من هذا الجهد كما هو ملحوظ - ادخال الناس فى دين الله افراداً وأفواجاً . . وهم من بعد دخولهم الإسلام سيدفعون بأكثر من دافع وحافر لتعليم العربية . . لأن الترجمة ليست قرآناً والقرآن هو أساس الإسلام وكل مسلم يحس فى نفسه الحاجة الماسة لتعليم العربية حتى يأخذ الإسلام من مصادره الأصلية والمؤثرة . . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

٣ — ثم قالوا إن الترجمة قاصرة عن تحمل المعانى الكثيرة التى أودعها الله القرآن فى نظم معجز بحيث لا يستطيع امرؤ أن يحيط بهذ المعانى ولا أن ينقلها بعد المحافظة على اعجازها اللفظى والمعنوى . . هذه دعوى صحيحة على فرض أن الترجمة تعتبر قرآناً الشىء الذى قررنا فساده من قبل وقصور الترجمة عن نقل الاعجاز اللفظى والمعنوى . . كقصور التفسير تماماً عن نقله بل إن قصور الأخير أشد ومع ذلك لم يقل أحد ببطلان التفاسير . . بل هى ضرورة عند الجميع .

ولقد نوهت من قبل إلى أن معظم آراء المعارضين للترجمة مبنية على فهم خاطئ ألا وهو اعتبار الترجمة قرآناً . . ولم يستطع كثير من المفكرين المسلمين أن يتجاوزوا هذا الشعور . يقول الأستاذ محمد أكبر فى مقدمته لترجمة الإمام المودودى للإنجليزية ويجب أن ألفت النظر إلى مسألة هامة ذلك أن الاتجاه العام لدى كثير من الناس هو اعتبار الترجمة إلى اللغة الانجليزية قرآناً وهذا لعمرو الله من الخطأ البين الخطير . . إذ ليست هناك ترجمة مهما بلغت من الجودة يمكن أن تسمو وتبلغ درجة القرآن العظيم (٢٢) .

إنه وإزالة هذا اللبس والفهم الخاطئ سمى الإمام المودودى ترجمته للقرآن بالأردية تفهيم القرآن وعند ترجمة ذلك إلى الإنجليزية سميت : "The Meaning of the Qur'an" أى معانى

القرآن . ولنفس السبب سمي الشيخ أبو بكر غومي ترجمته للقرآن إلى لغة الهوسا : معاني للقرآن بلغة هوسا .

وفي الحقيقة فإن القول بأن إعجاز القرآن إنما هو في لفظه فقط تقليل من شأن القرآن وانتقاص من قدره (٢٣) ذلك أن المعنى والموضوع عاملان مهمان بالنسبة لجمال أى عمل . . ورغم أن إعجاز القرآن اللفظي مع غيره كان التحدى المباشر للعرب إلا أن معانيه وأحكامه وقصصه وأهدافه وتعاليمه ونبوءاته كل هذه مع غيرها تكون الاعجاز القرآني وإليك هذه المقتطفات التي تبين أن الاعجاز ليس قاصراً على النظم وحده .

يقول الإمام السيوطي : اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة وهي :-

إما حسية وإما عقلية . وأكثر معجزات بنى اسرائيل حسية . وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية . ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزات العقلية الباقية ليراها ذوا البصائر كما قال ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فارجو أن أكون أكثرهم تابعاً » . (اخرجه البخارى) .

قيل إن معناه إن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه العادة في اسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات فلا يمر عمر من الاعمار إلا ويظهر فيه شيء مما اخبر به أنه سيكون دليلاً على صحة دعواه . وقيل المعنى أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشهد بالابصار كناقصة صالح وعصا موسى ومعجزات القرآن تشهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لاجلها أكثر لأن الذى يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهدته والذى يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً (٢٤) .

وقال الجاحظ : بعث الله محمداً أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً واحكم ما كانت لغة واشد ما كانت عدة فدعا اقصاها وادناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته . ودعاهم بالحجة وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة أو آيات يسيرة وكلما ازداد تحدياً لهم بها لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستوراً وظهر منه ما كان خفياً فحين لم يجدوا حيلة . قالوا : أنت تعرف من اخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا . قال : «فها توها مفتر يات» فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر فدل ذلك على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة لغتهم



وسهولة ذلك عليهم . لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كان انقص لقوله وافسد لأمره وابلغ في تكذيبه واسرع في تفريق أصحابه من بذل النفوس والخروج من الأوطان وانفاق الأموال . وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والعقل بطبقات ولهم القصيدة العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ المنشور ثم يتحدى به اقصاهم بعد أن ظهر عجز اداناهم فمحال أكرمك الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر والخطأ المكشوف البين مع التقرير بالنقص والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق انفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة وكما أنه محال أن يطيقوه ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه (٢٥) .

وقال ابن عطية : الصحيح والذي عليه الجمهور والحدائق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه وذلك أن الله احاط بكل شيء علماً واحاط بالكلام كله فإذا ترتيب اللفظة من القرآن علم باحاطته أي لفظه تصلح إن تلى الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر بعضهم يعمهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن احداً من البشر لا يحيط بذلك فهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة . والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط ولهذا نرى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً ثم ينظر فيها وهلم جرا وكتاب الله لو نزعته منه لفظة ثم ادير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره ويخفي علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يؤمئذ في سلامة الذوق وجودة القرينة وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا ارباب الفصاحة ومظننة المعارضة كما قامت الحجة في معجزة موسى بالسحر . وفي معجزة عيسى بالاطباء فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير ابداع ما يكون في زمن النبي الذي أراد اظهاره فكان السحر قد انتهى في مدة موسى إلى غايته وكذلك الطب في زمن عيسى والفصاحة في زمن محمد ﷺ (٢٦) .

ويقول الخطابي : إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حاصل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الالفاظ أفصح ولا أجزل ولا اعذب من الفاظه . ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً واشد تلاوة وتشاكلاً من نظمه . وأما معانيه فكل ذي لب يشهد له بالتقدم في أبوابه والترقى

إلى أعلى درجاته . وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام فإما ان توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير .

فخرج من هذا أن القرآن أنها صار معجزاً لأنه جاء بافصح الالفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني من توحيد الله تعالى وتنزيهه في صفاته ودعائه إلى طاعته وبيان لطريق عبادته من تحليل وتحريم وحظر وإباحة ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهى عن منكر وإرشاد إلى محاسن الاخلاق وزجر عن مساوئها واضعاً كل شيء منها موضع الذي لا يرى شيء أولى منه ولا يتوهم في صورة العقل أمر اليق منه مودعاً اخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعائد منهم منبئاً عن الكوائن المستقبلية في الاعصار الآتية من الزمان جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك أكد للزوم ما دعا عليه وادل عن وجوب ما أمر به ونهى عنه ومعلوم أن الإتيان بهذه الأمور والجمع بين اشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر يعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله ومناقضته في شكله .

ثم قال : وقد قلت في اعجاز القرآن وجهها ذهب عنه الناس وهو صنيعة في القلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ذوى الروعة والمهابة في حال آخر ما يخلص منه إليه . قال تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾ .

وقال : ﴿ نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون

ربهم ﴾ .

ومن ذلك ما روى عن ابن عباس قال : جاء المغيرة بن شعبة إلى النبي ﷺ فقرأ له القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوك لئلا تأتي محمداً لتعرض لما قاله . قال : علمت قريش انى من اكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك انك كاره له . قال : فماذا اقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذى نقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله الذى يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإن لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته . قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : فدعنى حتى افكر فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره .

المقتطفات أعلاه تؤكد أن هناك أكثر من وجه واحد للاعجاز القرآني . وإن كان ذلك لا يمنع من أن يكون الاعجاز اللفظي مشتركاً في تصوير أي معنى أو جانباً عن معانيه السامية والمقصودة أصلاً بالتصديق والاتباع .

غير أن الاعجاز اللفظي ليس مقصوداً لذاته وإنما يريد به نقل المعنى في أحسن صورة وابلغها وانجعها . حتى كان المعنى هو الغاية واللفظ هو الأداة والوسيلة . وكثير من الناس يعتقد أن القرآن أعجز العرب بفصاحته فحسب . ولكنه في الحقيقة أعجزهم بفصاحته وبمعانيه معاً . فهم لم ينكروا أن الالفاظ والتعابير هي الفاظهم وتعابيرهم وإن عجزوا عن نظم مثل نظمها ولكنهم قالوا إن هذه المعاني ليست مما عرفوا . وقالوا هي ليست من صنع البشر فنسبوها للكهنة وللجن . وعلى أي فمراد الله حتى من عجزهم عن بناء اللفظ إنما ليتبها ويعوا الحقيقة : إن هذا المعنى القرآني ليس من صنع البشر حتى يؤمنوا به ويعملوا بمقتضاه فيكتب لهم النجاح في الدنيا والنجاة والفلاح في الآخرة .

والاعجاز القرآني جملة ومنه اللفظي إنما يتجلى للمسلمين على درجات متفاوتة وإن الذين يقفون على جل اسرار الاعجاز اللفظي فقط قلة حتى بين العرب فإذا غاب الاعجاز اللفظي على نسبة كبيرة من المسلمين العرب فهو على غيرهم من المسلمين أكثر غيباً . فلماذا والحال كذلك تضع العراقيل في وجه تبليغ الدعوة للناس كافة على أمر هو على أهميته وسيلة وليس غاية في حد ذاته . ليس ذلك فحسب بل إن هذه الوسيلة لا تدرك على اكمل وجه وابلغه بمجرد تعلم اللغة العربية وإنما يبلوغ درجات عظيمة في علومها وفنونها . ومع ذلك فإن مفاتيح ادراك وجوه الاعجاز والمعاني القرآنية لا تكمن في اللغة فحسب وإن كانت اللغة أهم ادواتها . ولكن بشاشة الإيمان وصدقه واخلاص القلب وصفاءه هي المصابيح التي تنير طريق المؤمن وتكشف خبايا هذا الكنز الميسر للمؤمنين إنشاء الله ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ .

وبشاشة الإيمان كما لا يخفى لا تدرك بكثير علم في الشرع ولا باللغة ولكن بنور الله الذي يعطاه من اصدق الله ونصره . فما سبق الناس أبوبكر بكثرة الصيام ولا قيام ولكن سبقهم بشيء في قلبه . وبالعبادة يرقى العبد إلى أعلى عليين فيدفعه ذلك إلى التعطش للمعرفة والتقرب إلى الله من خلال الحديث إليه مباشرة والأخذ من مآدبه : الا أن مآدبة الله القرآن : فيجد المسلم - والحال كذلك - نفسه مدفوعاً إلى تعلم العربية وفنونها وهو الأفضل لأن الحاجة لتعلمها تأتي من خلال الحاجة لاستعمالها وذلك هو المحك الرئيسي للعلم وهذا

ما فعله ويفعله المسلمون الخالص كل يوم وبلغ به الاعاجم مكانة في اللغة بزوا فيها العرب  
وما كانوا ليلغوها لولا هذا الحافظ الديني .

كان هذا القدر كافياً في الدلالة على أنه ليس ثمة ما يحرم ترجمة معانى القرآن لأى لغة  
أخرى بغرض تبليغ الدعوة الإسلامية إلى القاصى والدانى . وما دامت الترجمة لم تحرم  
بالنص الشرعى ولم يجمع على تحريمها بناء على ذلك فقد أصبحت من الأمور الجائزة شرعا  
عملا بقاعدة : «إن الأصل فى الاشياء الاباحة ما لم يرد الحظر» .

ولكن الترجمة فى نظرى تتمتع بما هو اكثر من الجواز الشرعى فبينما انعدمت واندفعت  
النصوص والادلة المانعة لها تضافرت الادلة القوية المجوزة والموجبة لها . ابتداء من عمل  
واقرار الرسول ﷺ للترجمة وانتهاء بالشروح والتفسيرات والتخریجات المبنية على النصوص  
القرآنية والأحاديث النبوية وسبل الاجتهاد الأخرى .

وفوق هذا وذاك هناك توجيه ثالث ينبغى أن لا يفوت على المسلمين : ذلك أن  
الرسول ﷺ قد ابتعثه الله خاتماً للنبيين وأرسله إلى الناس كافة بالهدى ودين الحق ليظهره  
على الدين كله ولو كره المشركون ارسله بشيراً ونذيراً ليخرج الناس من عبادة العباد إلى  
عبادة الله ومن جور الاديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة . فقال  
تعالى :

١ - ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ (٢٨) .

٢ - ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا إليكم نورا مبيناً﴾ (٢٩)

٣ - ﴿وأوحى إلى هذا القرآن لاندركم به ومن بلغ﴾ (٣٠) .

وأمر الرسول ﷺ باداء هذه الرسالة وتبليغ الأمانة . فقال تعالى : ﴿يا أيها الرسول بلغ  
ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ (٣١) . وقال ﷺ فى نهاية وصيته  
لأصحابه فى حجة الوداع : «ألا هل بلغت» . قالوا : بلى . قال : «اللهم فاشهد ثلاثاً . ليلغ  
الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى ممن سمع» . كما ينبغى أن يؤدى الواجب وأمر  
المسلمين أن يحملوا الراية من بعده إلى يوم الدين إذ لا نبى بعده .

وكما يقول الإمام الشاطبى : وذلك أن العالم وارث النبى ﷺ فالبيان فى حقه لا بد منه  
من حيث هو عالم والدليل على ذلك أمران : أحدهما : ما ثبت من كون العلماء ورثة الأنبياء  
وهو معنى صحيح ثابت ويلزم من كونه وارثاً قيام مورثه فى البيان وإذا كان البيان فرضاً  
على المورث لزم أن يكون فرضاً على الوارث أيضاً . ولا فرق فى البيان بين ما هو مشكل أو

مجمل من الأدلة وبين أصول الأدلة في الاتيان بها فأصل التبليغ بيان لحكم الشريعة وبيان المبلغ مثله بعد التبليغ .

والثانى : ما جاء من الأدلة على ذلك بالنسبة إلى العلماء فقد قال : ﴿ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البيان والهدى﴾ .

﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ .

﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ . والآيات كثيرة وفي الحديث : «الايبلغ الشاهد منكم الغائب» . وقال : «لا حسد إلا في اثنين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها» . وقال : «من اشراط الساعة - أن يرفع العلم ويظهر الجهل» . والأحاديث في هذا كثيرة ولا خلاف في وجوب البيان على العلماء والبيان يشمل البيان الابتدائي والبيان للنصوص الواردة والتكاليف المتوجهة فثبت ان العالم يلزمه البيان من حيث هو عالم (٣٢) .

ومعلوم لدى الكافة أن الرسالة الإسلامية لم تصل بل ولم تبلغ صحيحة لكثير من أمم العالم اليوم فما على المسلمين إلا أن يشمروا وساعد الجد وأن يسعوا في تبليغها حية وصحيحة بكل سبيل إلى الناس أجمعين وما الترجمة إلا واحد من هذه الوسائل التي يمكن أن يؤدي بها هذا الواجب الذي حملوه عن الرسول ﷺ ومن الله من قبل حيث قال : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ (٣٣) .

وصحيح ما اعرب عنه الكثيرون من أن الترجمة لا يمكن أن تنقل المعانى القرآنية بكل دلالاتها وايقاعاتها . بكل سحرها وروعها المؤثرة في النفوس المليئة للقلوب . إلا أنه ومن خلال التجارب والترقى في فنون الترجمة القرآنية سيصل المسلمون - ما اخلصوا النية - إلى مستوى من الترجمة معقول ومقبول . ولقد نشأت الآن بعض الدراسات ورصدت بعض الملاحظات التي من شأنها ان تهدي إلى إزالة كثير من القصور الذي صاحب التراجم الأولى وعلى كل فما يدرك كله لا يترك كله ويقرر ذلك في بساطة الأستاذ محمد أسد في مقدمة ترجمته للقرآن فيقول : دون سائر الكتب فإن معانى القرآن وتعبيراته اللغوية يكونان كلاً لا ينفصل فيه أحدهما عن الآخر، ذلك أن مكان الكلمة من الجملة وموسيقى العبارات والتركيب العضوى للجمل القرآنية والهئية المثلى التي تندفق فيها العبارات القرآنية الرمزية إلى دلالات واقعية حية بايقاعات ونبرات محكمة مؤثرة . كل هذا يجعل من القرآن عملاً فريداً يعجز البشر عن ترجمته وفقاً لهذه الخصائص إلى أى لغة أخرى إلا أنه من الممكن أن

ترجم رسالته «معانيه» بلغة معبرة ومفهومة لقوم كالغربيين لا يعرفون العربية البتة وكمعظم المسلمين غير العرب الذين لا تسعفهم حصيلتهم من العربية إلى أن يجدوا سبيلهم إلى القرآن دون مساعدة (٣٤) .

إن واجب المسلمين تجاه العالم اليوم لأكبر من أن يؤدي بمجرد ترجمة القرآن وإنما يحتاج لمجهود أكبر من ذلك . فهو عالم حائري يتخبط ذهبت به المادة مذاهب ليس فيه المزيد من القوى لتحملها كما لم يعد في المادة نفسها مزيدا من البريق والجاذبية لتلهيه وتجذبه . . . فضل أيها ضلال فما على المسلمين إلا أن يقدموا له الإسلام حيا يسعى باعمالهم قبل اقوالهم .

ولكى يتسنى للمسلمين أن يضطلعوا بهذا الدور الكبير والخطير لا بد من ان يحرروا له فكرهم من معتقات عصر الجمود الطويل ومن شعاراته التي تقول : ليس في الامكان أحسن مما كان هذا وان التحرر الفكري للاجتهد العصري لن يتم بمجرد الوعي بأهميته وإنما لا بد له من فهم واسع وعميق للشريعة واستخدام صحيح للطبيعة على ضوءه . إذا لن يتأتى اسهام فكري وعلمي جديد ذو شأن في هذا العصر إلا كان ناتجه رائداً على ناتج المعدلات الفكرية والعلمية الحاضرة والمتصورة . وحيث أن المعدلات الراهنة تتنافس في حيز ضيق في القمة ، فدرها قد اصبح مسدوداً لكل طامح . ولا يلوح في الأفق فكر - سوى الإسلام - يمكن أن يأتي بمعدلات جديدة . وذلك لما فيه من امكانية التزاوج بين علوم الشريعة والطبيعة بما يحقق التكامل الفطري الذي يفتقده الإنسان المعاصر . لان الحضارة المادية سلبته جل مقوماته الروحية ، وأى تصحيح لها من داخله سيقلب كفة الميزان على غير هدى كما نشاهده في حركات الرفض الغربية والتصوف الإسلامية والرهينة النصرانية ، وما يرشح الإسلام للقيام بهذا الدور هو قدرته على الاحتفاظ بكفتي الميزان في اعتدال . ومن هنا يأتي الإسهام بمعدلاته الجديدة الكاسحة إن شاء الله - فقد يتطلب الأمر من المسلمين فهما للإسلام أكثر احاطة وعمقاً لكل من علم الوحي المنزل - الشريعة - وعلم الكون المفتوح - الطبيعة ومن ضمن ما ينبثق عن علم الوحي الاستخدام الصحيح لعلم الطبيعة حتى يتم التزاوج بين العلمين في اتساق وانسجام يعطى كفاية انتاجية عالية . لأن تفجير طاقات الإنسان بواسطة هذا التزاوج الواعي يفوق كل أسباب الدفع والخوافز الحالية . بل إنها جميعاً كسر صغير من أسباب الدفع الديني في الحياة تحت ظل العقيدة الإسلامية .

## خاتمة

ولقائل أن يقول علام هذا الجهد في أمر قد أصبح مطروقا ومألوفاً ومعمولاً به عند الناس؟ وهو اعتراض صحيح من وجه ولكن رغم العمل والألفة فما زال يحيك في صدور الكثيرين مناشيء من الوجع وعدم الاطمئنان لموضوع الترجمة مثلاً في الاعتراضات القوية التي اثبتناها من قبل. وما مثل هذا الجهد المتواضع إلا كمثل إبراهيم عليه السلام حين سأل ربه ضارعا: ﴿ربى أرنى كيف تحبى الموتى. قال: أولم تؤمن. قال: بلى ولكن ليطمئن قلبى. قال: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم أجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ (٣٥).

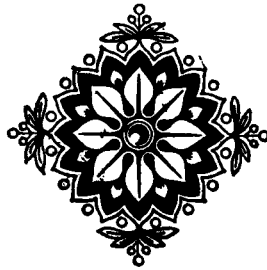
فلو افلح هذا في ادخال الطمأنينة إلى نفوس أولئك الذين كانت تحيك في صدورهم اشياء من الترجمة لكفى به جهدا والله المستعان وعليه التكلان.



## المراجع

- (١) الاحكام في أصول الاحكام: لابي الحسن على بن ابي على بن محمد الامدى: (٨٢/١). مطبوعات محمد على صبيح. بميدان الأزهر بمصر.
- (٢) أصول فخر الإسلام - اليزدوى مع كشف الاسرار لعبد العزيز البخارى: (٢٥-٢١/١) ١٣٠٧.
- (٣) تفسير النيسابورى المطبوع بها من تفسير الطبرى: لمؤلفه الحسن بن على محمد بن حسين القصى النيسابورى (٨٠/١) المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر - ١٢٢٣ - الطبعة الأولى.
- (٤) المرجع السابق.
- (٥) المرجع السابق.
- (٦) كشف الاسرار لعبد العزيز اليزدوى البخارى: (٢٦-٢٧/١).
- (٧) تفسير النيسابورى بها من تفسير الطبرى: (٨٠/١).
- (٨) القوانين الفقهية لابي القاسم محمد بن أحمد بن جزي (ص: ٤٤). الطبعة الأولى ١٩٧٧. دار القلم - بيروت - لبنان.
- (٩) تفسير النيسابورى اعلاه (٨١/١).
- (١٠) فتح البارى: لابن حجر العسقلانى: (٢٩٩/١٧-٣٠٠).
- (١١) كشف الاسرار: (٢٦-٢٥/١).
- (١٢) الفرقان لمحمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب: (ص: ٢٢١) الطبعة الأولى (١٣٦٧-١٩٤٨) مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة.
- (١٣) دلالة الالفاظ للدكتور إبراهيم انيس: (ص: ١٨٦) الطبعة الثانية: (١٩٦٣) مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة.
- فن التدريس للتربية الإسلامية لمحمد صالح سمك - فصل ترجمة القرآن (ص: ٥١٩ - ٥٢٠) مكتبة الانجلو المصرية.
- الفرقان: (ص: ١٧٠-٢٢٨).
- (١٤) فتح البارى بشرح البخارى: (١٧/٢٩٩-٣٠٠) شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر: (١٣٨٧-١٩٥٩).

- (١٥) فتح الباريء: لابن حجر العسقلاني: (١٩ / ٢٩٩-٣٠١) .
- (١٦) انظر: ص
- (١٧) اعجاز القرآن لأبى بكر الباقلاني الموضوع بها من الاتفاق في علوم القرآن للسيوطى الطبعة الثالثة: (١٣٧٠ - ١٩٥١) .
- مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر .
- (١٨) الفرقان: (ص: ٢٢٢) .
- (١٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل - لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري .  
انتشارات آفتاب، طهران - ايران .
- والاجلاء أى الالتزام بالإيمان بدون تحكيم للعقل والفهم والدليل .
- (٢٠) فن التدريس للتربية الإسلامية: (ص: ٥٢٢) .
- (٢١) ترجمة بتصرف .
- (٢٢) المرجع السابق: ترجمة بتصرف .
- (٢٣) الفرقان: (ص: ٢٢٨) .
- (٢٤) الاتقان في علوم القرآن: (٢ / ١١٦-١١٧) .
- (٢٥) المرجع السابق .
- (٢٦) المرجع السابق: (ص: ١١٩) .
- (٢٧) تفسير القرآن العظيم: «المعروف بتفسير ابن كثير» للإمام اسماعيل بن كثير .
- المرجع السابق: (ص: ١٢١) . تفسير سورة المدثر: (ص: ٤٤٣) . مطبوعات دار الفكر .
- (٢٨) الفرقان: (١) .
- (٢٩) النساء: (١٧٤) .
- (٣٠) الأنعام: (١٩) .
- (٣١) المائدة: (٦٧) .
- (٣٢) الموافقات في أصول الاحكام لأبى اسحق إبراهيم بن موسى الشاطبى: (٣ / ١٧٦) . المطبعة السلفية بمصر .
- (٣٣) الأحزاب: (٧٢) .
- (٣٤) الترجمة بتصرف .
- (٣٥) البقرة: (٢٦٠) .





# تَعَدُّ زَوَّجَاتِ الرَّسُولِ ﷺ

-٢-  
للكنور ملك غلام مرتضى  
رئيس قسم الترجمة بالجامعة

في هذه الحلقة أتم ما بدأت من موضوع تعدد زوجات الرسول ﷺ فيما يلي :-

٨ - السيدة : جويرية بنت الحارث - رضى الله عنها :

وكانت أرملة ماتع بن صفوان الذى كان من ألد أعداء الإسلام وأشدهم خصومة للرسول ﷺ . كان قد قتل يوم المريسيع خلال غزوة بنى المصطلق وتركها فوَقعت أسيرة في يد المسلمين . وهى أيضا بنت الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق الذين كانوا يتآمرون على المسلمين وأحيانا يغيرون عليهم ويوقعون بهم الضرر .

وقد ورد في صحيح البخارى عن عائشة - رضى الله عنها تعالى - أنها قالت :-

أصاب رسول الله ﷺ نساء بنى المصطلق ، فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس ، فأعطى الفرس سهمين والرجل سهما ، فوَقعت (جويرية بنت الحارث) فى سهم ثابت بن قيس ، فجاءت إلى الرسول فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابنى من الأمر ما قد علمت ، وقد كاتبنى ثابت على تسع أواق ، فأعنى على فكاكى ، فقال عليه السلام : أوخير من ذلك ؟ . فقالت : ما هو ؟ . فقال أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك . فقالت : نعم يا رسول الله . فقال رسول الله : قد «فعلت» .

فلما علم أصحاب النبى ﷺ بهذا قالوا : أصهار رسول الله يسترقون ؟ . فأعتقوا ما كان فى أيديهم من سبى بنى المصطلق ، فبلغ عتقهم مائة بيت بزواجه عليه السلام بنت سيد بنى المصطلق .

ولم يسع لبنى المصطلق بعد اطلاق سراحهم والاحسان عليهم من قبل الرسول ﷺ والمسلمين إلا أن يسلموا ويتخلصوا من حقدهم على الإسلام والنبى ﷺ ويقلعوا عن جرائم قطع الطريق والغارات التى كانوا يشنونها على ديار المسلمين (كانت هذه القبيلة من قطاع الطريق) . وقد ورد فى بعض الروايات أنه وصل أبو السيدة جويرية لعتقها من الأسر قبل

زواجها بالرسول ﷺ وأراد أن يأخذها معه ويدفع تسع أوقيات من عنده وهنا ترك النبي ﷺ الأمر للسيدة جويرية أن تختار بين أمرين .

(١) إما أن تذهب إلى قبيلتها مع أبيها .

(٢) وإما أن تسلم وتختار الزواج بالرسول ﷺ فاختارت الإسلام والزواج بالرسول

ﷺ على الكفر والرجوع إلى أهلها وقبيلتها .

فكان هذا الزواج بركة عليها وعلى أهلها وقبيلتها لأنه كان سبباً لإسلامهم وعتقهم

وترك أعمال قطع الطريق . فقال الناس أن «جويرية أيمن امرأة على قومها» .

من هنا نرى أن هذا الزواج كان ميموناً على بنى المصطلق لأنه استبدل عداوتهم

للإسلام إلى حبه لله والرسول والإسلام وهو مبارك على المسلمين أيضاً لأنه خلصهم من

غارات بنى المصطلق ومؤامراتهم وبدأ بنو المصطلق يساعدون المسلمين ويجاهدون في سبيل

الله .

#### ٩ - السيدة : أم حبيبة - رضى الله عنها :

وهي بنت أبي سفيان الذي كان في جاهليته (ألد أعداء الإسلام بعد أبي جهل)

وكانت قد أسلمت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فرارا بدينها . ومات

زوجها في الحبشة فأصبحت وحيدة ليس لها كفيل ولا معين . إن هي عادت إلى أبيها في مكة

المكرمة فالنتيجة واضحة ، ستجبر على الرجوع إلى الكفر قهراً وإلا عذبت عذاباً شديداً ،

أما في المدينة المنورة فليس لها من يكفلها ويرعاها .

فلما علم الرسول ﷺ بوفاة زوجها ، خطبها وأرسل إلى النجاشي ملك الحبشة ليزوجه

إياها . فلما علمت السيدة أم حبيبة بما فعل الرسول ﷺ فرحت وسرت سرورا عظيماً ووافقت

على هذا الزواج . فزوجها النجاشي بالرسول ﷺ وأصدقها عنه أربعمئة دينار مع هدايا

أخرى ثمينة وبعث بها إلى النبي ﷺ مع شرحبيل بن حسنة فوصلت في سنة سبع من الهجرة

إلى المدينة المنورة . وكان عمرها حينئذ سبعمائة وثلاثين سنة ، ولما علم أبو سفيان بهذا الزواج

أقره وقال : «هو الفحل لا يقدر أنفه» . ونرى حكمة بالغة وراء هذا الزواج وهي تأليف قلب

أبي سفيان وقومه فصار هذا الزواج سبباً لتخفيف الأذى عن المسلمين في مكة المكرمة وأصبح

أكثر ميلاً إلى الصلح . فنراه قادماً إلى المدينة المنورة لتجديد الصلح ويزور ابنته في بيت

الرسول ﷺ والابنة تقنعه أنه لا كرامة لأى إنسان إلا بالإسلام وإن كان والدها . فمن الواقع

أن أبا سفيان ما جاء غازياً ضد أهل المدينة بعد هذا الزواج .

## ١٠ - السيدة : صفية - رضی الله عنها :

وكانت سيدة بنى قريظة وأيضا سيدة بنى النضير وهما قبيلتان من اليهود عقدتا صلحا مع الرسول ﷺ والمسلمين ثم نقضتا العهد غدرا وخيانة . والسيدة صفية ابنة حى بن أخطب الذى كان سيد بنى قريظة ومن ناحية الأم هى ابنة صيمويل الذى كان سيد بنى النضير . وكانت السيدة «صفية» قد أسرت بعد مقتل زوجها فى غزوة خيبر وروى أنها - رضی الله عنها - لما دخلت على النبى ﷺ قال لها : لم يزل أبوك من أشد اليهود عداوة لى حتى قتله الله . فقالت يارسول الله : إن الله يقول فى كتابه : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ . فقال لها النبى ﷺ : إختارى فإن إخترت الإسلام أمسكتك لنفسى ، وان إخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك ، فقالت : يارسول الله . لقد هويت الإسلام ، وصدقت بك قبل أن تدعونى إلى رحلك ومالى فى اليهودية أرب ، ومالى فيها والد ولا أخ ، وخيرتنى الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب إلى من العتق ، وأن أرجع إلى قومى . فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه . ونرى كثيرا من اليهود أسلموا بعد هذا الزواج ، ولا نراهم يتآمرون ويؤلبون قبائل العرب ضد رسول الله ﷺ بعده .

## ١١ - السيدة : ميمونة - رضی الله عنها :

كانت السيدة «ميمونة» قد تزوجت مرتين قبل زواجها بالنبى ﷺ ومات زوجها الثانى (أرحم بن عبد العزى) فى السنة السابعة من الهجرة ، وهى أيضا أخت أم المؤمنين «زينب بنت خزيمة» من ناحية الأم . وكان فى هذا الزواج مصلحة كبيرة لأن السيدة ميمونة كانت أخت زوج سيد بعض قبائل عربية تأمرت على الإسلام والمسلمين إذ طلبوا من الرسول ﷺ أن يرسل سبعين من الفقهاء ليعلموهم الدين وما لبثوا أن غدروا بهؤلاء المبعوثين فقتلهم عن بكرة أبيهم ، واستمروا على عدائهم ، حتى أن تمت مصاهرة النبى ﷺ لسيدهم بزواجه ميمونة - رضی الله عنها - وجدير بالذكر أن نقف برهة لنميز بين هذا النوع من الزواج بين ملوك وأباطرة العالم وبين الرسول ﷺ ، فإن مثل هذه الزيجات كانت معروفة لدى أباطرة العالم بمصاهرة أعدائهم إتقاء شرهم ولكسبهم إلى صفوفهم أو ضمان حيادهم على أقل تقدير ويكون الإصهار دائما فى جانب قوى . لا يتمكن الصهر من كسر شوكتهم . . . أما الرسول عليه الصلاة والسلام فلم يكن زواجه من هذا القبيل وإن اتفق فى النهاية بمصاهرة أقوام ناصبوه العداة فمصاهرته لم تكن خاضعة للمفاوضات والمبادلات ، ولكنه مصاهر بعد كسر

شوكتهم وتغلبه عليهم ودحرهم وحتى لم يكن هناك طلباً رسمياً مقدم إلى رئيس القبيلة أو القوم المعادين لهذه المصاهرة .

والجانب الآخر أن الإسلام لم يكن قط طريقاً للعبودية والسخرة التي دأبتها البشرية في عصورها وما تناله النساء خاصة بعد انكسار قواتهم في الحروب من هتك لأعراضهم وذل وعار بهيمى في الدرك الأسفل من البهيمية، فقد كان الرسول ﷺ بذاته قدوة للمؤمنين، خيرهن بين خير الإسلام وعتقهن . ومن ثم تشریفهن بالزواج بعد إيمانهن لا بالرق ليمثل به المؤمنون . . . والوقائع تشهد لنا بذلك والقرآن الكريم يؤكد هذا الأمر: ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾ .

مزاعم أعداء الإسلام ودفعها :

يزعم أعداء الإسلام أن الرسول ﷺ أنه عدد زوجاته لإشباع رغباته، وفيما سبق أشرت بإيجاز إلى الظروف والملابسات التي أدت إلى كل زيجة من زيجات النبي ﷺ ومنها يمكن أن يرد على أولئك الأعداء فيما يزعمون من جهة، ومن جهة أخرى لو أن الرسول ﷺ كما يزعمون لما ظل وفيما لخديجة - رضى الله عنها - التي كانت قد بلغت الخامسة والستين من العمر وهو ما يزال في الخمسين من عمره . فكيف يقنع بامرأة متقدمة في السن تكبره خمس عشرة سنة ولا يختار امرأة أخرى حتى توفيت وهي في الخامسة والستين من عمرها، فهل يمكن لرجل شهوانى أن يصبر على شهوته إلى هذا الحد حتى يهرم ويصير شيخاً كبيراً؟ . فضلا عن ذلك، فإن قریشا عرضت عليه ﷺ أن ينصبوه ملكا عليهم، وأن يزوجه أجمل النساء على أن يترك دعوته ولو كان كما يزعم أعداء الإسلام لرحب بهذا العرض، واختار لنفسه إحدى الشابات الجميلات . ولكنه عاش حياة البساطة والتقشف رغم أن الله تعالى يسر للمسلمين غنائم كثيرة . وأسوق شاهدا لهذا حادثين موجزين فيما يلي :-

١ - حادث الإيلاء :

عندما كثرت الفتوحات والغنائم والأموال، طالبت أزواج النبي ﷺ بزيادة يسيرة في نفقات المعيشة حتى ينتقلن من حياة الفقر إلى حياة اليسر والراحة مما أزعج النبي ﷺ إزعاجا شديداً . وعندما علم سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر بهذا جاءا إلى بنتيهما أم المؤمنين السيدة عائشة وأم المؤمنين السيدة حفصة ونبهاهما إلى قلق النبي ﷺ إزاء موقفهما . أما الأزواج الأخريات فلم يرق لهن تدخل أبى بكر وعمر وأصررن على المطالبة بزيادة النفقات على

أساس أن ما يطلبن يعتبر شيئاً يسيراً بل متوفراً لدى غالبية المسلمين . وجئن دليل قوياً وهو  
أنهن قد صبرن على آلام الفقر والحرمات والمسكنة في الماضي . أما بعد أن أفاء الله ب نعمائه  
و كثر الأموال والغنائم والجوارى فلم يبق أى مبرر لاستمرار حياة الفقر والمسكنة والجوع  
والفاقة .

فانزعج النبي ﷺ لدرجة أنه هجر أزواجه كلهن لشهر كامل والتزم الصمت معهن  
حتى ذاع بين الناس أنه قد طلقهن .

## ٢ - حادث التخيير :

هذا الحدث تنمة لحدث الإيلاء . فعندما ظلت أزواج النبي ﷺ مصرات على طلب  
زيادة النفقات ، أنزل الله سبحانه آيات التخيير وجعلهن يحترن بين أمرين :-  
(١) إما الحياة مع الرسول ﷺ مع الفقر والمسكنة .  
(٢) وإما الحياة بدون الرسول ﷺ مع رغد وبجوحة في العيش وأنزل الله سبحانه  
وتعالى قوله :-

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن  
وأسرحكن سراحاً جميلاً . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد  
للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾ . (سورة الأحزاب : ٢٨-٢٩) .

فخير النبي ﷺ زوجاته بين الأمرين وأسمعهن هذه الآيات . وقال للسيدة عائشة :  
تشاورى مع والديك ولا تتعجلي فى الأمر فردت على الفور: هل أتشاور فى الله والرسول  
يارسول الله؟ .

والمعروف أن كل واحدة من نساء النبي ﷺ اختارت الله سبحانه وتعالى والنبي ﷺ  
والدار الآخرة مع حياة الفقر والفاقة والمسكنة والتقشف والبساطة حتى شهد التاريخ أنه ما  
كان يوجد زيت للإضاءة فى بيت النبي ﷺ يوم انتقل إلى رحاب الله .  
فهل يمكن هذا لرجل غير النبي أن يعيش مثل هذه العيشة ويجبر زوجاته أيضاً  
عليها؟ .

والشخص الذى يتدبر هذه الأمور ويتعرف على سيرة النبي ﷺ لاسيما حياته العائلية  
لا يمكن أن يتهم الرسول الكريم ﷺ بالشهوانية والتكالب على الملذات الحسية لو كان لهذا  
الشخص أدنى وازع من الضمير أولديه ذرة من الحياء والحجل .

## المصالح والغايات وراء تعدد الزوجات :

وهي خمسة أقسام :-

(أ) المصالح التعليمية .

(ب) المصالح التشريعية .

(ج) المصالح الإجتماعية .

(د) المصالح السياسية .

(ر) المصالح الشخصية .

والآن لنتناول بإيجاز كل من هذه المصالح الخمس :-

أ - المصالح التعليمية : المرأة كما هو معروف نصف المجتمع لذلك كان لابد للنبي

ﷺ أن يهيئ معلمات ومفتيات لتبصير نساء المسلمين بأموال دينهن .

فهذه هي الحكمة الأساسية وراء تعدد الزوجات . وقد عرفنا أن السيدة عائشة ظلت

تدرس وتبلغ تعاليم الإسلام وتفتي في الكثير من المسائل الهامة ثماني وأربعين سنة بعد وفاة

النبي ﷺ وانتقل ربع الأحكام الشرعية إلى الأمة الإسلامية من خلال توجيهاتها ومساعدتها .

ومن هنا تتضح لنا المصلحة وراء زواجه ﷺ بالسيدة عائشة وهي صغيرة السن .

وكان النبي ﷺ «أشد حياء من العذراء في خدرها» وهكذا يكون الأنبياء فما كان

يمكنه أن يرد على كل سؤال يوجه إليه من جانب النساء بكل صراحة فكان يجب بأسلوب

الكناية أو يستعين بإحدى أزواجه ﷺ . ومن رواية السيدة عائشة - رضى الله عنها - أن امرأة

من الأنصار، سألت النبي ﷺ عن الغسل من المحيض فعلمها النبي ﷺ كيف تغتسل ، ثم

قال لها : خذي فرصة ممسكة (أى قطعة من القطن بها أثر الطيب) فتطهري بها ، قالت : كيف

أطهر بها ، قال : تطهري بها ، قالت : كيف يارسول الله أطهر بها؟ . فقال لها : سبحان الله

تطهري بها ، قالت : السيدة عائشة : فاجتذبتها من يدها فقلت ضعيفا في مكان كذا وكذا ،

وتبعى بها أثر الدم .

وهكذا كان هناك الكثير من الأسئلة المحرجة لاسيما عن أحكام الحيض والنفاس

والجنابة فكانت تجيب عنها زوجاته الطاهرات في أكثر الأحيان في حياته وبعد وفاته ﷺ والسنة

المطهرة بعد القرآن الكريم هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام وتشتمل على

أقوال الرسول ﷺ وأعماله وتقديره ولا يمكن لأحد أن يعرف ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو

عمل أو تقرير إلا أن يكون معه في جميع الأوقات حتى خلال أوقات فراغه متابعاً لكافة

حالات فرحه وغضبه ويسره وعسره ويصاحبه في كل أمور حياته مهما كانت هامة أو بسيطة ،  
عامة أو شخصية .

وهذا الشرف لم يقدره الله سبحانه وتعالى إلا لزوجاته ﷺ اللاتي ظللن يصحبنه طوال  
حياته إلى لحظة انتقاله إلى الرفيق الأعلى . فلهذا نرى أن كبار الصحابة رضوان الله عليهم  
أجمعين كانوا يستفتون أمهات المؤمنين - رضوان الله تعالى عليهن أجمعين - فيما يعن من أمور  
هامة في حياة المسلمين العامة والخاصة .

ويقول الإمام الزهري التابعي : « كانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكابر من  
أصحاب رسول الله ﷺ » . (طبقات ابن سعد : ج ٢ : قسم ٢ : ص ٢٦) .

ب - المصالح التشريعية : كما تزوج رسول الله ﷺ لتحقيق بعض الغايات التشريعية  
ومنها إبطال بعض العادات التي سادت زمن الجاهلية مثل التبني والتأخي .  
كان بعض الناس من العرب يقول للآخر : « أنت ابني » فكان يتخذة إينا حقيقيا  
فكان له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال ، في الزواج والطلاق ومحرمات النكاح  
ومحرمات المصاهرة والميراث .

وكذلك كان بعض الناس يقول للآخر : « أنت أخي » فكان يتخذة أخاً حقيقيا بنفس  
الطريقة وكان يحل له كل ما يحل للأخ الحقيقي ويحرم عليه كل ما يحرم على الأخ الحقيقي  
أيضاً .

فأبطل رسول الله ﷺ عادة التبني بزواجه بمطلقة متبناه زيد وهي أم المؤمنين السيدة  
زينب بنت جحش . الحق أن النبي ﷺ كان يخشى أيضا من السنة الناس ويتردد في هذا  
الزواج فنزلت الآية : ﴿ وتخشى الناس والله أحق أن تحشاه ﴾ . فالنقطة الهامة أنه ما كان لأى  
إنسان غير النبي يستطيع أن يبطل عادة التبني إذا لم يبطلها النبي ﷺ لخشيته من الناس .  
ففرض الله على النبي ﷺ هذا الزواج ليبطل نظام التبني .

وبالمثل فقد أبطل النبي ﷺ عادة التأخي بزواجه بأم المؤمنين السيدة عائشة لأنها ابنة  
أخيه في الإسلام سيدنا أبى بكر الصديق . وقال له رسول الله ﷺ كما سبق أن ذكرنا « أنت  
أخي في الإسلام » ولا يعنى هذا أنك أخي من ناحية النسب . ففرق رسول الله ﷺ بين  
التأخي في الإسلام والأخوة على أساس النسب .

ج - المصالح الإجتماعية : حاول رسول الله ﷺ أن يربط أهم وأبرز أعضاء الأمة الإسلامية بعضهم ببعض عن طريق المصاهرة فمثلاً زواجه بالسيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب جاء تنويحاً للوشائج الوثيقة التي ربطت بينه وبين أهم وأعظم أصحابه وهما سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر بن الخطاب اللذان أسديا خدمات جليلة للإسلام والمسلمين وقد تقلد كل منهما أمور المسلمين بعد وفاة المصطفى ﷺ .  
ومن ناحية أخرى فقد زوج الرسول ﷺ بعض بناته بسيدنا عثمان بن عفان ، وعلى ابن أبي طالب وقرىبها إليه وقد كان هذا حافظاً لهما بالتضحية في سبيل الله بكل شىء . وهكذا صار سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا على من أعظم الرجال وأتقاهم وأقربهم إلى قلب النبي ﷺ .

د - المصالح السياسية : ونرى الكثير من المصالح السياسية التي تحققت من وراء زيجات النبي ﷺ فمثلاً زواجه بالسيدة جويرية بنت سيد بنى المصطلق . وعتق أسرى بنى المصطلق فأسلموا وتحلوا عن أعمال قطع الطريق وغاراتهم التي كانوا يشنونها ضد المسلمين ولا نرى أية مؤامرة يحكها بنو المصطلق ضد المسلمين بعد هذا الزواج .  
وهكذا زواجه بالسيدة صفية بنت حى بن أخطب سيد بنى قريظة قد خفف بل قضى على موقف العداء الذى وقفه اليهود ضد الإسلام ووضع حداً لمؤامرتهم ضد النبي ﷺ بعد هذا الزواج . وهكذا زواجه بالسيدة أم حبيبه بنت أبى سفيان سيد قريش . فنرى أبى سفيان الذى كان ألد أعداء الإسلام قبل إسلامه ، خفيفاً غير ممعن في عداوته ضد الإسلام حتى جاء إلى المدينة المنورة يلتمس تجديد عقد صلح الحديبية ولا يأتى غازياً إلى المدينة المنورة بأحزابه بعد هذا الزواج .

وزواجه ﷺ بالسيدة ميمونه أخت زوج سيد بعض قبائل سعت فساداً في الأرض واغتالت سبعين من كبار الصحابة بالمكر والخديعة . كان له أثر بالغ في تلطيف مخاصمة هذه القبائل للمسلمين .

ر - المصالح الإنسانية : وهناك المصالح الإنسانية أيضاً وراء بعض زيجاته ﷺ . فقد تزوج النبي ﷺ بعض النساء رافة بهن بسبب ظروفهن الخاصة . وكانت هناك بعض النساء العجائز اللاتي مات عنهن أزواجهن فلم يبق لهن سند أو معين في الحياة أو هناك الأمهات اللاتي افتقدن الكفيل لهن ولأطفالهن . وكانت هناك بعض الأراامل اللاتي لورجعن إلى أهلهن لعذبن عذاباً شديداً ولفتن فتوناً كبيراً . فتزوجهن رسول الله ﷺ صيانة لهن ورعاية



لإنسانيتهم فمنهن السيدة سودة - رضى الله عنها - (عمرها ٥٥ سنة وقت الزواج) . والسيدة زينب بنت خزيمة (كان عمرها ٦٠ سنة حينئذ) . والسيدة أم سلمة - رضى الله عنها - (كان عمرها حوالى ٦٠ سنة حينئذ) .

فما رأى الأفاكين والمغرضين من المستشرقين فى زواج الرسول ﷺ بهؤلاء النسوة؟ ، هل تمت هذه الزيجات بدافع الأنانية كما يزعمون أو هو منتهى الإيثار والتضحية وتكريم الإنسانية؟ .

## ■ ■ الخاتمة ■ ■

إذا كان ذهن ومستوى فكر بعض الناس أضيق من أن يتصور حقيقة الكرامة والشرف للإنسان فما هو ذنب أهل الكرامة والشرف؟ . وما على هؤلاء الناس إلا أن يعالجوا أذهانهم ومستوى فكرهم ويوسعوا أفق تصورهم . إنما الحق أن زيجات الرسول ﷺ كلها تدل على نبوته ورسالته وهى دلائل قاطعة وبراهين ساطعة على أنه لم يأت ولن يأتى رجل مثل النبى ﷺ الذى ضحى بكل ما يملك مرضاة لله سبحانه ثم حباً للإنسانية .

إن الرجل هو فى الحقيقة أنقى وأطهر الناس فى العالم بدليل أنه لا يختار لنفسه إلا الأرامل والعجائز والوحيديات اللاتى فقدن كل سند ومعين فى الحياة .

والسيدة عائشة هى الوحيدة بين كل أمهات المؤمنين التى كانت بكرًا ، وأما الأخريات فهن كلهن أرامل ومسنات - هل هذه شهوانية وأنانية أم هذه قمة الإنسانية؟ . والأمراهام جدا أن نرى هذه الزيجات فى اطار الظروف والملابسات التى أحاطت الرسول الداعى إلى الإسلام وإمام الإنسانية . ما الذى كان يناسبه لنشر دعوته إلى الناس جميعا ، فمنهم الرجال والنساء ، ومنهم أصحابه وأعداؤه ومنهم قبائل العرب ودول العجم وقد أرسله الله رسولا إلى الناس كافة فكان عليه أن يؤم الحركة الإسلامية ويبلغ الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة . ويعطيها نفوذاً وقوة فى كل مجال وفى كل ناحية . فإذا نظرنا إلى زيجات الرسول ﷺ من هذه الناحية نرى أنها أمر لا بد منه وهكذا سنة النبيين جميعاً .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين . . .

# الإسلامُ والمسيحون في إنجلترا ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم

للككتور محمد إبراهيم الصيرم الجبوتى  
أستاذ بالدراسات العليا

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ربنا عليك  
توكلنا وإليك أنبنا، وإليك المصير، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من امرنا رشداً،  
وبعد ...

فإن الحديث عن الإسلام والمسلمين في بريطانيا يقتضينا أن نقدم له بتمهيد سريع عن  
نظرة أمم الغرب بوجه عام إلى الإسلام والمسلمين .

فكرة الغرب عن الإسلام ومصدرها :

مثل الشعب الإنجليزى مثل غيره من شعوب بلاد الغرب جميعاً في فكرتهم عن  
الإسلام والمسلمين، فقد ظلوا فترة يستقون معلوماتهم عن الإسلام مما يكتبه رجال الكنيسة  
والمبشرون، الذين دأبوا على تصوير الإسلام لهم بصورة منفرة، وتصوير المسلمين في صورة  
همجية بشعة، وقد ظلت هذه الفكرة سائدة عند عامة الناس في أوروبا بوجه عام حتى أوائل  
القرن العشرين الميلادى، وإن كان كثيرون من القادة ورجال الدين يعرفون الكثير عن  
حقائق الإسلام، ولكنهم كانوا يكتمون ذلك، ويقدمون للإسلام صورة مشوهة تعصباً منهم  
وحسداً، واستغلالاً لجهل السواد الأعظم من الأوروبيين بحقائق الإسلام الناصعة،  
وعقائده القويمة، ومثله العليا، وأخلاقه النبيلة، ومنهجه السوى المستقيم .

الإسلام يجذب أحرار المفكرين الغربيين :

فلما أتى لكثير من الأوروبيين أن يتعاملوا مع المسلمين مباشرة بعد موجة الاستعمار  
التي ملكوا فيها أغلب مقدرات العالم الإسلامى تهيأت عن طريق ذلك فرصة لكثير من  
أحرار مفكرهم أن يروا المسلمين في بلادهم، ويعرفوا عن دينهم ونيهم ﷺ الشىء الكثير،  
مما وجدوه مخالفاً كل المخالفة لما سمعوه من المبشرين ورجال الكنيسة على مدى القرون

الماضية، فبدأت فكرتهم عن الإسلام تتغير، حينما اطلعوا على ما فيه من سمو العقيدة وصفائها، وأخذ كثير منهم يتعرف على الإسلام مباشرة من مصادره الأولى، ويعرف المسلمين من خلال تعامله معهم، لا من خلال كتابات المستشرقين ورجال الدين، وقد هالهم أن وجدوا شيئاً فذاً بعيداً كل البعد عما حاول رجال الكنيسة أن يصبوه في عقول الناس ووجدانهم، وأثمرت حركة التعرف المباشر هذه ثمرتها، إذ اعتنق عدد من أحرار مفكرهم الإسلام، وأخذوا يكتبون عنه، وفي مقدمة هؤلاء عدد من الفرنسيين يقف في الطليعة منهم الفيلسوف المسلم «جينييه رينو»، أو الشيخ عبد الواحد يحيى، كما سمي نفسه بعد ذلك، ويبلغ من سيادة هذا الاتجاه بين أحرار الفكر الغربي أن كتب تولستوى الأديب الروسى المشهور مقالاً يعبر فيه عن إعجابه بعظمة رسول الله ﷺ مما أزعج الكنيسة والقائمين عليها، ولم تستطع الكنيسة أن تكتم ضيقها بمثل هذه الكتابات، فأصدرت قراراً بحرمان تولستوى خشية أن ينهج سواه على منواله، وقد كتب له الشيخ محمد عبده رسالتين يحيه فيها، ويشيد بشجاعته في الجهر بالحق، ويذكر له أن القرار الذى صدر بحرمانه، إنما هو وسام يعلى بين طلاب الحق مكانته في العالم كله، ومن يريد التعرف على المزيد من رجالات الفكر الغربى الذين اعتنقوا الإسلام فليقرأ كتاب الدكتور عبد الحليم محمود: «أوروبا والإسلام». وعلى الرغم من انبثاق هذا الاتجاه بين المثقفين إلا أنه ظل يمثل ظاهرة فردية، لم تتعد آثارها أصحابها إلى غيرهم من سواد الناس وعلى الرغم من ذلك، فقد شهدت هذه الفترة كتابات متحاملة على الإسلام، وتصدى علماء المسلمين للرد عليها، ومن أشهر هذه المعارك كتابات (هانوتو) الوزير الفرنسى عن الإسلام، وتصدى الشيخ محمد عبده للرد عليها وتفنيدها، وتجد وقائع هذه المعركة مسجلة في كتاب تاريخ الإمام محمد عبده الذى جمعه الشيخ محمد رشيد رضا في مجلدين .

### نشأة المجتمعات الإسلامية في أوروبا :

وكان من طلائع من أسلموا من الإنجليز في هذه الظروف رجل يسمى «اللورد هيدلى» وقد سمي نفسه عمر الفاروق، وقام برحلات متعددة إلى العالم الإسلامى، ولكن على الرغم من كل ذلك فإن الأمر ظل محصوراً في النطاق الفردى، ولم يتخذ شكلاً جماعياً، وظل كذلك. حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى، واضطرت الدول الغربية إلى الاستعانة بأعداد من سكان البلاد الواقعة تحت سيطرتهم، فنزحت لذلك، جماعات كثيرة من سكان المستعمرات إلى بلاد أوروبا، واستقرت بها، وما شجعها على الإقامة والاستقرار أنها وجدت فرصاً للعيش خيراً مما هو مهياً لها في بلادها، فأغراها ذلك بالبقاء، ونشأت جاليات في

انجلترا تنتمي غالبيتها إلى شبه القارة الهندية الهندي آنذاك - وتمثل حاليا باكستان وبنجلادش والهند، ثم باقى دول الكومنولث الأخرى، ويلاحظ أنه لم يشارك فى هذا الزحف إلى انجلترا من البلاد العربية إلا بعض الإخوة من اليمن الذين كانوا يعملون فى السفن، وترتب على ذلك أن تكونت منهم جاليات فى عدد من المدن الساحلية .

أولاً : مثل مدينة كارديف عاصمة ويلز، وليفربول فى شمال انجلترا، وساوث شيلد فى الشمال الشرقى، وجلاسجو عاصمة اسكتلندا وعدد آخر من المدن الصغيرة الواقعة على الشاطئ .

وثانياً : فى المدن الصناعية مثل شيفيلد وبرمنجهام ومنشستر وسواها، وقد لوحظ أنه كلما استقرت جالية يمنية فى مكان ما قامت بجانبها جالية صومالية تشاركها فى كل شىء . وعلى غرار نشأة المجتمعات أو الجاليات الإسلامية فى انجلترا قامت جاليات إسلامية تنتمى إلى بلاد أخرى فى عدد من بلاد أوروبا الغربية فتكونت جالية كبيرة من بلاد المغرب العربى فى فرنسا ربما كانت أكثر عدداً لقرب فرنسا من بلاد المغرب العربى، وتكونت كذلك جالية أندنوسية فى هولندا، وفى أعقاب الثورة الكمالية فى تركيا هاجر عدد من الأتراك إلى المانيا والنمسا حفاظاً على دينهم، ولحق بهم جماعات من أوروبا الشرقية بعد سيطرة الشيوعيين على بلادهم وهكذا نشأت الجاليات الإسلامية فى أوروبا الغربية وأخذت تنمو مع الأيام ويزداد عددها، وبدأت تستقر فى تلك البلاد الجديدة وتميل إلى الإقامة الدائمة بها بعد أن كانت قادمة بنية العودة إلى أوطانها بعد حين، ومن بينها انجلترا موضع حديثنا اليوم .

وقد لوحظ أن عدداً كبيراً من شباب البلدان التى منيت بالاستعمار قد رحلوا إلى طلب العلم فى جامعات البلاد المستعمرة، ولئن كان المستعمرون قد استهدفوا من وراء ذلك إعداد جيل من المثقفين بالثقافة الغربية ليكونوا همزة الوصل بينهم وبين شعوبهم، وليقوموا بالتبشير بالفكر الغربى والحضارة الغربية فى بلادهم، فإن جماعة من هؤلاء الوافدين استطاعوا أن يزاحموا بفكرهم الإسلامى فى خضم تيار الحياة الأوربية الجارف، وأن يسمعوا أصواتهم المسلمة فى ساحات البحث وعلى موائد الحوار مع كبار مفكرى الغرب، كما فعل الشيخ هداية الله الهندى، الذى دخل فى حوار مع سير جيمس أكبر علماء الفلك فى عصره، وانتزع منه شهادة إعجاب بالإسلام وتقدير لنبى الإسلام ﷺ وقد أورد وحيد الدين خان تفصيل هذا الحوار فى كتابه «الإسلام يتحدى». وكما صنع العلامة إقبال، فقد عاد إلى بلاده، وهو أشد حماساً للإسلام، وتفانياً فى الدعوة إليه، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إن بعضهم حاول تقديم الإسلام للغربيين فى لغاتهم كما فعل عبد الله يوسف على الذى عكف

على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية على مدى أربعين عاما قضاها في بلاد الإنجليز، ولا زالت ترجمته حتى الآن تعتبر أكثر الترجمات قبولا من جمهور المسلمين، وإن كانت لنا عليها بعض الملاحظات كنا ننبه إليها قراء الترجمة من المسلمين الإنجليز، أو الراغبين في اعتناق الإسلام .

والذي لاشك فيه أن حياة بعض الغربيين في بلاد المسلمين، وإقامة جاليات إسلامية في بلاد الغرب قد هيا فرصة لمزيد من المعرفة بالإسلام، والاهتمام به، والفهم الصحيح لأصوله مما سنرى آثاره فيما بعد، وترتب على ذلك أن توارت بعض كتابات المستشرقين التي كانت تحاول بكل ما أوتيت من وسائل الباطل أن تغض من قيمة الإسلام، وتسيء إلى كتابه ونبيه وتاريخه .

وليس يعنى ذلك أن هؤلاء قد كفوا عن هذا المنهج الظالم إلى الأبد، ولكنهم يحاولون أن يقدموا ما يريدون بطريقة ملتوية ماهرة، لا يظهر فيها أثر الهجوم السافر الملىء بالحق، الذى كان السمة الغالبة لكتابات المتقدمين منهم . والسبب فى ذلك أن مبادئ الإسلام أصبحت فى متناول الكثيرين، وأن ما يكتبه هؤلاء سيقراً بواسطة كثير من المسلمين الذين يتقنون لغات الغرب، ومن اليسير عليهم أن يظهروا زيفه، ويكشفوا خطأه مما يعرض سمعة الكاتب العلمية إلى السقوط، فأمسكوا عن مهاجمة الإسلام صراحة خوفاً على سمعتهم العلمية، لا اقتناعاً بالحق واكتفوا بمحاولة التأثير على طلابهم فى ساحات الدرس إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد وجد فى مراكز الدراسات الإسلامية عدد ممن اهتدوا إلى الإسلام، ولهم مكانتهم العلمية فى حقل الاستشراق، وكذلك كان لليقظة التى عمت العالم الإسلامى والمصالح المتبادلة بين الشرق والغرب أثر كبير فى أن يحسب هؤلاء ألف حساب وحساب حين يكتبون عن الإسلام .

عدد المسلمين الآن : لعلنا نتساءل بعد أن عرفنا كيف تكونت الجاليات الإسلامية فى أوروبا والمنابع التى جاءت منها، والجالية الإسلامية فى انجلترا بالذات أقول لعلنا نتساءل . كم عدد المسلمين الآن فى هذه البلاد؟ . والحق أنه ليس هناك إحصاء ثابت لعدد المسلمين هناك، ولكننا نستطيع على ضوء ما عرفناه من أحوالهم والعيش معهم عدداً من السنين أن نقول إن عدد المسلمين فى انجلترا الآن يتراوح ما بين المليون والمليون ونصف مليون مسلم، وأن الغالبية العظمى منهم قادمون من باكستان وبنجلاديش والهند .

وقد يتساءل البعض هل كل المسلمين في تلك البلاد من الوافدين من البلاد الإسلامية؟ أم أن هناك من المسلمين من ينحدر من أصل إنجليزي، والجواب عن هذا التساؤل أن هناك آلافاً عدة من الإنجليز الذين اعتنقوا الإسلام واتخذوه منهجاً لهم في الحياة، وقد كان إقبالهم على الإسلام في البداية بطيئاً جداً، إلا أن العقدين الأخيرين من هذا القرن قد شهدا تحول عدد كبير من أبناء الإنجليز إلى الإسلام، ولا زال هذا التحول في اضطراد مستمر .

نوعيات المقبلين على الإسلام : والمتنوع للنوعيات البشرية التي تقبل على الإسلام من بين الإنجليز يجدهم يمثلون كل المستويات الفكرية والاجتماعية، والأعمار المختلفة مع كثرة الشباب من الجنسين الذكور والإناث، فأنت تجد من بين هؤلاء الأستاذ في الجامعة والطالب وصاحب العمل والعامل، والرجل والمرأة، والكاتب والمفكر والرجل العادي، وهناك أعداد كبيرة تعيش مع الناس، ولا تكشف إسلامهم إلا إذا ساقتك الصدفة للالتقاء بهم، ومن هذا القبيل أن أحد الشباب تقدم لعدد من الجامعات بطلبات التحاق بقسم الدراسات العليا في إحدى كليات الزراعة وجاءه خطاب من إحدى الكليات بلندن يدعوه لمقابلة الأستاذ المشرف وحدد له الاسم واليوم والمكان والساعة، وفي الوقت والمكان المحددين كان الشاب يدق باب الحجر، فأذن له بالدخول واستقبله أحد الأساتذة المتخصصين في علم الحشرات ودار الحوار بينهما حول الموضوع الذي جاء الشاب من أجله، ثم أحضر الأستاذ كأسين زجاجين وتهيأ لتقديم تحية للضيف الشاب، وأبصر الشاب بجانب الأستاذ زجاجة مغلقة بغطاء مفضض، ونحن في الشرق قد تعودنا على أن ننظر إلى الزجاجات المغلقة بهذه الطريقة على أن بها شرباً محرماً، فاعتذر الشاب عن المشاركة في الشرب قائلاً باللغة الإنجليزية (I do not Drink wine) أنا لا أشرب الخمر، فطمأنه الأستاذ قائلاً له إنها ليست خمراً وإنما عصير فاكهة (This is not wine itis Frouit Joes) . ثم أفرغ من الزجاجات في الكأسين وقدم أحدهما للشاب الذي لم يتعود مذاق هذا العصير من قبل، فنحن نفضل في بلادنا أن نأكل الفاكهة طازجة ولم نكن تعودنا ذلك بعد، وكان ذلك منذ أكثر من خمسة عشر عاماً .

ولما رفع الشاب الكأس وامتنص رشفة منها وجد طعماً لم يألفه من قبل، فاضطرب ووضعها على المنضدة ثم اتجه إلى الأستاذ يسأله (Are you sure this is not wine) . هل أنت متأكد أن هذه ليست خمراً، فأجابه الأستاذ: أنا متأكد إنها ليست ليست خمراً أنا أعرف أنك مسلم لا تشرب الخمر، وأنا مسلم كذلك لا أشربها :

(yes iam sure I Know you are muslim you dont drink and lam muslim to)

وكانت المفاجأة للشباب الذي فتح فاه من الدهشة، ولكن الأستاذ ابتدره قائلاً: (Do not speak one word) لا تنطق بكلمة واحدة. ثم أصطحبه معه إلى منزله، وهناك وجد حجرة مخصصة للصلاة، وحينما أوشك على الانتهاء من الموضوع لحق بهما ثلاثة من أصدقاء أستاذ علم الحشرات، وصلوا العصر جماعة، وكان هذا الأستاذ يتردد فيما بعد على المسجد كما يجلس الطفل المتديء يحاول أن يتعلم كيف يقرأ سورة الإخلاص وسواها من آيات القرآن الكريم وينطقها نطقاً عربياً سليماً، وكنت تلمح السعادة تغمر آفاق وجهه كلما أحس من نفسه تقدماً في استظهار سورة وقراءتها قراءة عربية صحيحة.

هذا مثل من أمثلة كثيرة تجده منتشراً بين رجال الجامعات ومن في مستوياتهم الثقافية والفكرية، وياحبذا لو استطعنا ان نتعرف على هذه النماذج في المؤسسات العلمية والجامعات لنستعين بهم إذا احتجنا إلى خبرات علمية لإنجاز بعض المشروعات في بلادنا وما أكثرها، فإن ذلك سيكون من ورائه خير لنا ولهم وإعزاز لرابطة الإسلام التي تجمعنا وإياهم.

أما المثل الآخر فقد بدأت وقائعه في ساحات المركز الإسلامي في لندن، وكان ذلك في أواخر عام ١٩٦٧ الميلادي حين زار المركز رجل وامرأة، وطلب الرجل الحديث إلى أحد المسؤولين، وبدأ حديثه قائلاً: إنه زار الأردن، وأبصر المسلمين يصلون، فتذوق طعماً جديداً لم يستشعره من قبل، وإنه يرجو أن يجد غذاءً يشبع به هذا الإحساس الجديد، وتعبيره بالإنجليزية هكذا؛

(I have been Jurdon to I have seen Muslims Praying I tested some thing new, I want Food)

ولما نصح بأن يواصل القراءة عن الإسلام في بعض الكتب المقترحة لتزويده بمعلومات أكثر أجاب قائلاً: (No Sir; I want a Life Example to talk to him and talk to me) وترجمتها: «لا يا سيد إنني أريد مثلاً حياً يتحدث إلى وأتحدث إليه، وهنا تم الاتفاق على اللقاء من وقت لآخر حسبما تواتى ظروف العمل مع توجيهه للالتقاء ببعض المسلمين من الإنجليز الذين أوتوا حظاً وافراً من المعرفة، وقبل أن ينصرف طلب في أدب جم أن يؤذن له بحضور صلاة الجمعة في اليوم التالي، واستجيب إلى طلبه على الرحب والسعة، وأقبل في اليوم التالي وهو مطبق على خير وجه قول الله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾. وأخذ مكانه في المسجد إلى جانب المصلين فاستمع إلى تلاوة للقرآن الكريم، وألقيت الخطبة، فلما تهيأنا للصلاة وكان قد طلب إليه أن يظل جالساً ولا حرج عليه ولكنه قام للمشاركة في الصلاة معنا وكذلك فعل لما أتينا بالنافلة بعد الصلاة، وقبل أن ينصرف أقبل شاكرًا وهو يقول في أدب

جم : (Would you please Let me know which Chapter was decided to day)

قل لى من فضلك أى سورة كانت تقرأ اليوم ، فأخبر أن القراءة كانت من سورة آل عمران بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، ثم غاب الرجل عن بصرى فترة ، وذات يوم وأنا داخل المسجد لأداء صلاة العصر إذا بى أبصره جالساً ينتظر الصلاة وبعد أن أدينا الصلاة أقبلت عليه محيياً وأن أقول كيف حالك يا مستر : ثم انتظرت ليذكر لى اسمه ، فأجابنى قائلاً : اسمى الآن عبد القادر ، ودار بيننا حديث طويل أخبرنى فيه أنه قام برحلة إلى المغرب العربى وهناك فى مدينة (مكناس) التقى بأحد الشيوخ الأتقياء ، واعتنق الإسلام على يديه ، وكانت السعادة والبهجة تطلان من خلال كلماته ، وهو يحدثنا عن رحلته إلى النور الذى قذفه الله فى قلبه ، وكتب له الهداية إلى الإسلام ، فانعكس ذلك سلاماً فى نفسه ، وطمأنينة فى قلبه ، وإشراقاً فى أسارىره .

ولم يلبث ان عاد بعد أيام ، وبصحبتة بعض الشباب الذين فتح الله قلوبهم للإيمان ، وطلب أن يتلقوا دروساً فى القرآن والحديث كل أسبوع ، وأتخذت الترتيبات لذلك ، وأخذوا يترددون على مبنى المركز فترة من الزمن زاد فيها عددهم ونها ، ورأوا أن يتخذوا لهم مقراً فى أحد أحياء لندن يباشرون منه نشاطهم فى دعوة الناس إلى الإسلام ، وكان أمرهم عجباً حقاً فى تلك الفترة فقد حصلوا من بلدية لندن على الإذن باستعمال إحدى المباني التى تقرر إزالتها ولكنها أرجئت إلى حين بعد أن هجرها سكانها فلم يكن بها إلا الجدران والأبواب ، فتعاونوا على إعادة الكهرباء إليها وإدخال المياه ، وإجراء الإصلاحات اللازمة لاستئناف الحياة بدون أن يكلفهم ذلك شيئاً لأنهم تولوا تنفيذ ذلك بأنفسهم كل فى مجاله ، وسرعان ما أخذوا فى استقبال الزائرين من المسلمين وغير المسلمين ، وقد زارهم فى مقرهم هذا الشيخ صالح القزاز الأمين الأسبق لرابطة العالم الإسلامى وبصحبتة الأستاذ على حافظ صاحب مجلة أخبار العالم الإسلامى الذى كتب عن هذه الزيارة فى حينها ، ثم زارهم شيخ الأزهر الأسبق الدكتور عبد الحليم محمود - رحمه الله - وأخذ عددهم يتزايد بشكل ملحوظ ، وتزوج فتيانهم من فتياتهم ، وبدأ التفكير فى ضمان جو إسلامى خالص للنشئ الجديد ، فبدأ لهم أن يقيموا قرية إسلامية فى قلب انجلترا فأخذوا يعدون العدة لذلك .

وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا يملكون شيئاً إلا أنهم كانوا على يقين أن ذلك الأمل سيتحقق ، وأعدوا كتباً بفكرتهم بعثوا بها إلى عدد من حكام العالم الإسلامى يدعوهم إلى معاونتهم على تحقيق الفكرة التى ييغون من ورائها أن يهيئوا لأنفسهم جو إسلامياً خالصاً يعيشون فيه فى قلب الحضارة الغربية ، وقد حقق الله لهم ما أرادوا بفضل صدق إيمانهم وإخلاصهم ، فاشترى قرية فى مقاطعة «نورج» . بشرق انجلترا ، بها عدد من الأبنية اتخذوا



إحداها مسجداً، وأقاموا في واحد منها مطبعة لنشر الكتب الإسلامية وطبعها، واتخذوا لهم مساكن فيها، ثم أخذوا يستغلون الأرض لتربية الطيور والأغنام التي تهيم لهم مصدراً للطعام الخلال بعيداً عن أى شبهة، وقد تركتهم منذ أكثر من خمس سنوات، وهم يستعدون لاستغلال مساحة الأرض البالغة حوالى سبعين فداناً في الزراعة، وقد أعانهم الله فافتتحو مسجداً في عاصمة المقاطعة التي تبعد عدة كيلومترات عن القرية حضرت الصلاة الأولى فيه مع ساحة المرحوم الشيخ عبد الله المحمود الرئيس العام للمركز الإسلامى بالشارقة، والذي قدم لهم ثمن القرية البالغ ستين ألف جنيه استرليني تبرعاً من سمو الشيخ سلطان القاسمى حاكم الشارقة .

وحسبكم أن تعلموا أن هؤلاء الإخوة قد انتقلوا بنشاطهم إلى أمريكا وغيرها من بلاد أوربا، ومنها قرطبة بأسبانيا وقد تحدثوا إلى بما يدور في خواطرهم عن الإسلام في أسبانيا وأنهم يريدون أن يجد العالم مسجد قرطبة وقد أفتتح للصلاة بعد هذه القرون العدة من تعطيل الصلاة فيه وأعتقد أنهم بدأوا الطريق لتحقيق هذا الهدف .  
ومن المؤلف إذا حضرت صلاة الجمعة في مسجد لندن أن ترى أعداداً منهم يشاركون في الصلاة .

وأصبحت قريتهم مقصد كثيرين من رجال الدعوة والمشتغلين بالعمل الإسلامى ، فقلما يمر أحدهم بلندن إلا ويتطلع لرؤية هذا النموذج ويقدم لهم المعونات المادية والأدبية وأعتقد أن رابطة العالم الإسلامى تستضيف عدداً منهم في موسم الحج من كل عام ، ولهم مجلة فصلية باسم الإسلام تصدر باللغة الإنجليزية .  
ومن ميزاتهم أنهم كلما وجهوا لأمر من الأمور وعرفوا أنه من سنن الإسلام أخذوا أنفسهم به وحرصوا عليه .

بقى ان تعرف أن الشخص الذى بدأ هذا التحرك كاتب ومؤلف مسرحى كان يكتب للإذاعة والتلفزيون من قبل ، فلما اعتنق الإسلام وقف قلمه على الإسلام والدعوة إليه ، ولست أنسى يوماً التقيت فيه بمدير المركز الإسلامى فى وشنطن الدكتور محمد عبد الرؤوف فإذا به يخبرنى عن مقال فى جريدة (الهيرالد تريبون) الأمريكية عن الإسلام كتبه رجل يسمى . إيان دلاس ، ويبدى إعجابه الشديد بما فى المقال من معلومات قيمة وصحيحة عن الإسلام ثم يعلق قائلاً : إننا حينما نبعث لأصحاب هذه الصحف لا ينشرون لنا ولكن حينما يأتيهم اسم غريب ينشرون له بدون تأخير وكانت سعادتة وسعادتى بالغة حينما أخبرته أن إيان دلاس هذا هو عبد القادر المسلم الذى نتحدث عنه .

وهكذا أصبح المجتمع الإسلامي في انجلترا يتكون أولا من المهاجرين من البلاد الإسلامية عربية وغير عربية، وقد شهدت السنوات الأخيرة استقرار أعداد ضخمة من المثقفين من البلاد العربية في انجلترا من أطباء ومهندسين وعلماء ورجال أعمال وسواهم .  
وثانيا من أهل البلاد الأصليين الذين أقبلوا على اعتناق الإسلام بكثرة ملحوظة .



## احتمال المشاق في سبيل الرغائب

قال عمر بن عبد العزيز :  
إن لي نفسا تواقه ، وإن نفسي تآقت إلى أشرف منازل الدنيا ، فلما بلغت  
وجدتها تتوق إلى أشرف منازل الآخرة .  
«ولا يخفى أن عمر بن عبد العزيز هذا تولى الخلافة فكان أعدل خلفاء  
بنى أمية» .

وقال حكيم :

لا ينبغي للعاقل أن يكون إلا في إحدى منزلتين : إما في الغاية من طلب  
الدنيا ، وإما في الغاية من تركها . ولا ينبغي له أن يرى إلا في مكانين : إما مع  
الملوك مكرما ، وإما مع العباد متبتلا . ولا يعد الغرم غرما إذا ما ساق غنما ، ولا  
الغنم غنما إذا ساق غرما .

وقال كعب بن زهير :

وليس لمن لم يركب الهول بغية وليس لرحل حظه الله حامل  
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخفا أصبت حليما أو اصابك جاهل

مَنْزِلَةٌ

شَاطِرٌ



# الملك عبد العزيز آل سعود

## بين

## نصره لله ونصر الله له

للشيخ إبراهيم الصميم محمد حسن الجمك  
المدرس بالمعهد الثانوي التابع للجامعة

إن المتتبع لسيرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود رحمهم الله ليلمس أن توفيق الله العليّ القدير كان دائماً يلازمه، ولم يكن نصره سبحانه وتعالى، وتأيدته له، وعنايته به، إلا لنشره دعوته، ولتثبيت عقيدته، وأى دعوة أحب إلى الله جل وعلا، وإلى رسوله ﷺ من إعلاء شأن الدين والتمسك بكتابه الكريم، والسنة الشريفة، وأى عقيدة أسمى من عقيدة التوحيد، التي سار عليها الملك عبد العزيز في كل حياته، حتى أفناها في سبيل ذلك .

قال رحمه الله :

«إنني والله لا أحب إلا من أحب الله حبا خالصا من الشرك والبدع، وأنا والله لا أعمل إلا لأجل ذلك، ولا يهمني أن أكون ملكا أو فقيراً» .  
وقال أيضا :

«والله ثم والله إنني لأفضل أن أكون على رأس جبل، آكل من عشب الأرض وأعبد الله وحده من أن أكون ملكا على سائر الدنيا وما فيها»<sup>(١)</sup>.

ونصر الله وتأيدته لا يكونان لذات شخص، ولا لإظهار إنسان؛ فكم من قادة وأبطال ملكوا كل مقومات الحرب، والقتال من قوة وعتاد، وشجاعة وبسالة، لم تلحظهم عناية الله؛ لأن ما قاموا به لم يكن لنصرة الله، ولا لتثبيت كلمته، ولا للدعوة إلى دينه، وإنما لإشباع رغبة، وإظهار شخصية، ولتحقيق هدف دنيوي، فارتدت إليهم سهامهم فخارت قواهم من حيث لا يدرون، ولا يعرفون لذلك سببا، ولم يعرفوا الاستقرار، والاطمئنان والهدوء، ومنوا بالهزيمة والخذلان :

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

(١) مع عاهل الجزيرة العربية : لعباس محمود العقاد : (ص : ١٩) «من أحاديث وأقوال الملك عبد العزيز آل سعود» .

فنصر الله وعنايته إذا لاحظت إنسانا أو مجتمعا، فليس في حاجة إلى القوة الزائدة، وليس في حاجة إلى كثرة العدد والمعدات، وإنما هو في حاجة إلى إيمان عميق، وقرب منه سبحانه وتعالى بالدعاء والتضرع، والإخلاص لوجهه الكريم، ثم بعد ذلك الاستعداد والأخذ بالأسباب .

وما أرى الملك عبد العزيز إلا قد أخذ بكل هذه الأسباب، فكم من موقعة دخلها، ومن معركة خاضها، وكان العدو الذي أمامه أكثر عدة، وسلاحا ونفرا، ولكن نصر الله كان معه، فتنهى المعارك بالتأييد والغلبة . ﴿وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾ (الأنفال : ١٠)

ولعلنا نذكر دائما تلك الحفنة من التراب التي أخذها الرسول ﷺ من الأرض، ثم رمى بها القوم، حينما أراد الهجرة من مكة إلى المدينة، وقد تجمعوا حول بيته طوال الليل، ينتظرون خروجه لقتله، وقد كانوا مدججين بالسلاح، في جمع غفير من مشركي أهل مكة، تجمعوا على الباطل، وعلى إطفاء كلمة الله، فلم تغن عنهم أعدادهم، ولا وفرة ما كان معهم من وسائل القوة، وكأنها حفنة التراب هذه، كانت محملة بمادة كيماوية، تنشر سحابة ضبابية، تحجب الرؤية عندما تتدخل المقادير، فتمنع النور أن يصل إلى الأبصار . ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾

(يسن : ٩) .

ولحفنة التراب موقعة أخرى، ورمية ثانية، وكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يؤكد لنا أن نصره لعباده المخلصين لا يكون بما يقدمون، ويستطيعون من قوة، ومن رباط الخيل وحده، وإنما النصر والفوز من عنده سبحانه وتعالى ؛ فنحن ما نزال نقرأ ونسمع ونلتمس العلل والأسباب، ونذكر يوم بدر والرسول الأعظم ﷺ يدعو الله، ويتضرع إليه، ثم يسجد لربه جل وعلا، ويطيل السجود، ثم يرفع بصره إلى السماء، وقد رمى ﷺ القوم بحفنة من التراب وقال :

«شاهت الوجوه»<sup>(١)</sup>

ثم يستمر في تضرعه ومناجاته قائلا :

«اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك

هذه العصابة، لا تُعبد في الأرض بعد»<sup>(٢)</sup>

(١) حياة محمد : لهيكل : (ص : ٢٧٩) .

(٢) سيرة الرسول ﷺ للإمام محمد بن عبد الوهاب .

ولقد مَنَّ الله على عبده ورسوله محمدٍ ﷺ بالنصر على أعدائه، مع الفارق الكبير في العتاد والعدة، فكان هذا تأييدا منه سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ الذي يدعو إلى سبيله، وينشر دعوته، ويجاهد لتكون كلمة الله هي العليا .

يقول عز من قائل :

﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم ﴾ (الأنفال: ١٧) .

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .  
(الأنفال: ٩-١٠)

﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ . (الأنفال: ١٣)

وليست عناية الله، ونصره سبحانه وتعالى، خاصين بزمن الرسول ﷺ بل هما لكل زمان ومكان، ولكل من يدعو إلى الله، وإلى كل من تمسك بدينه القويم، وشريعته الغراء إلى يوم القيامة: ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيديهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (المجادلة: ٢٢) .

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم . ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ﴾ . (فصلت: ٣٠-٣٣) .

وإن الملائكة على استعداد للقتال فى صفوف الداعين إلى الله المخلصين لدعوته، والمتمسكين بشريعته، إلى أن تقوم الساعة، إذا استغاث بالله داع إلى سبيله، ومتبع لشريعته، ومنفذ لأحكام كتابه، وسنة نبيه .

﴿ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ . (الأحزاب: ٦٢) .

ولقد قال الذين رأوا الملك عبد العزيز، عقب كل معركة ينصره الله فيها، أو عندما يأتيه خبر نصر، وتأييد له من الله فى مكان ما، إنه كان يخرّ ساجدا لله، شاكراً له حسن

تأييده، ورعايته له بما أولاه من نعمة الانتصار، وكثيرا ما كانت دموع الفضل والعرفان بما منّ الله عليه من كرمه، تنهمر من عينيه رحمه الله .

لا يصلح كل شخص لأن يقوم بمهمة فينجح في أدائها، ويوفيهما حقها، إلا إذا كان خليقا بأن يتحمل متاعبها وآلامها، ثم إنه لا يستطيع أن يتحمل أعباءها إلا إذا كان عنده قدرة فائقة، يتفوق بها على أقرانه والمناوئين له .

لقد أعطى الله الإمام عبد العزيز آل سعود العقل الراجح والذهن الثاقب، وهياً لدعوته سبحانه وتعالى، فعمل على نشر التوحيد وإقامة الحدود، ودعا إلى أخوة الإسلام وإلى الجهاد في سبيل الله، فاستطاع أن يوحد البلاد تحت راية الإسلام، وأن يجمع المسلمين على التضحية والفداء، حتى استقرت الأمور في هذه البلاد .

قال الملك فيصل رحمه الله :

وما أحسب أن شبه الجزيرة العربية رأيت من وحدها، ولمّ شتاتها إلا في الزمان الأول من تاريخنا الإسلامي، ومن أعاد إليها الأمن والنظام تحت راية الإسلام الخالدة، فنفذ شريعته الغراء، وأقام حدوده وقوانينه فيها، وكانت من قبل بقاعاً تسودها الفوضى، ويهددها الخوف في طرقاتها وأرجائها، وتتألف من مقاطعات، وإمارات شتى، في مساحات واسعة إلا الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله<sup>(١)</sup>.

لقد حمل مشعل النور والهداية التي دعا إليها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وهي الدعوة الصحيحة التي كان عليها الأوائل من الصحابة والتابعين - رضى الله عنهم أجمعين - والتي دعا إليها الرسول الأمين ﷺ ثم حملها الشيخ آل سعود، وجعل منهم القادة والأئمة، فأخلصوا لله سبحانه وتعالى، وبنوا الملك له جل وعلا، وجاهدوا، وصابروا، وصبروا، فكانوا بين الجهاد المستميت، والتمسك بعقيدة التوحيد، والتفانى في سبيلها، وثبتوا أمام الطغاة، والجاهلين بأمر الدين الصحيح، والمؤلّيين عليهم الدول والأمصار، فلم يهنوا، ولم يضعفوا، واستشهدوا في ساحات الجهاد هنا وهناك، بعيدا عن بلادهم وأوطانهم، وصمدوا للفتن والخلافات التي كثيرا ما أثارها الأعداء والحاقدون .

وقفوا أمام الصليبية العالمية التي يقض مضجعها دعوة الإسلام الصحيحة، والتي يرون فيها توحيد صفوف المسلمين، وتأليف قلوبهم، ووعيا صادقا لدينهم .

(١) من مقال : للملك فيصل - رحمه الله - شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز: لخير الدين الزركلي (ج: ١ ص:



قال الدكتور/ مصطفى الحفناوى : يوضح لنا دور فرنسا، التي كانت تتزعم دائما الدور الصليبي في الشرق، والتي كانت تتولى دور إضعاف الدين الصحيح، حتى لا يتحد المسلمون، فهي ترى في اتحادهم على الطريق المستقيم قوه، لا يمكن لأى قوة دنيوية أن تقف أمامها، فبدأت في محاولة تأليب الباب العالي بتركيا على دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله .

قال الدكتور / الحفناوى :

«عشرت أثناء بحثى بملفات وزارة الخارجية الفرنسية، حين كنت مستشارا صحفيا بها، على مكاتبات متبادلة بين الوزارة وسفرائها في الشرق أثناء الحملة الفرنسية على مصر، وعلى وثائق تلقى الضوء على شدة اهتمام فرنسا بل أوروبا جميعها بأمر محمد بن عبد الوهاب داعية الجزيرة العربية، ومحاولة تأليب الباب العالي عليه، للتقليل من شأن دعوته، التي كان يقوم بها حينئذ لجمع العالم الإسلامي، وتكتله مرة ثانية ضد الحروب الصليبية، التي بدأت تشنها بزعامة فرنسا لغزو الشرق الإسلامي مبتدئة بمصر»<sup>(١)</sup>.

لقد استجاب لهم الباب العالي بتركيا، من غير وعى أو تفكير، فأرسلت الجيوش تلو الجيوش، واجتمعت الفئة الضالة والجاهلة بأمر هذا الدين الحنيف، فقتلت وخربت، وأفسدت، لكن الله ردهم مدحورين منهزمين، وبقيت كلمة الله تسرى في طريق النور، تتحدى الظلام والانقسامات والخلافات، حتى حمل لواءها الرجل الصالح الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود - رحمهما الله - فقد جاهد وكافح وسط فتن وخلافات، وابتلاء واختبار، ثم دفعه رحمه الله إلى ابنه الشاب عبد العزيز، الذي كان على موعد مع القدر، كى ينفذ أمر الله سبحانه وتعالى .

كانت مقومات الملك عبد العزيز آل سعود فريدة، فقد خصه الله بصفات نادرة، حتى يستطيع أن يقوم بدوره فيجاهد، ويكافح لتكون كلمة الله هي العليا، كما أرادها الله، لا كما يريدونها أصحاب الغايات، للوصول بها إلى حكم، ليحققوا من ورائها ما يريدون، ويستحلوا به سلطانا، يجدون فيه متعة، ورغبات دنيوية فانية .

هذه الصفات منها ما هي خُلُقِيَّة، ومنها ما هي خُلُقِيَّة :

أما الصفات الخُلُقِيَّة : فلقد كان - رحمه الله - طويلا بائن الطول، قالوا عنه : يبلغ سته أقدام وأربع بوصات، مفتول الساعد، شديد العصب، متين البناء، ضخم الجسم،

(١) كتاب آل سعود : لأحمد على : (٤١، ٤٢) .

رأسه كبير يناسب هذا البناء الشامخ، خفيف العارضين، عريض المنكبين، رحب الذراع؛ ولهذا الجسم من القدرة الفائقة على التحمل الشيء الكثير، فقد بلغ من القوة الجسمية لغا عظيما .

قال فيه صاحب كتاب صقر الجزيرة :

إذا وقف المرء تجاهه، شعر بضآلته تجاه جسمه الصلب الوثيق الفارع، وإذا نظر إلى وجهه، زادته هيبة غير رابعة عن التحديق فيه، فيختلس النظر إليه، يتملى محياه الباسم، وطلعته القوية البارزة، وتفيض مهابته على مجلسه، فلا يطيق أحد الكلام إلا إذا مد له جبل تواضعه وسماحته، بل إن بعض من يحضرون للسلام عليه، يفاجأون بمهابته، فما يستطيعون النطق بحرف، فيبسم لهم، ويهدىء منهم، ويستدرجهم إلى البوح بما في أنفسهم، ويدنو إليهم، ويسألهم عن حالهم، حتى يتكلموا، ويشعروا كأنهم بمحضر صديق أو أب رحيم، ويفارقونه، وما يزال في نفوسهم رنين صوته العذب، وذكريات عن تواضعه، وسماحة نفسه، ورجاحة عقله، وصفاء قلبه، وحسن نيته، وطيب سريره<sup>(١)</sup>.  
وتلك - لعمري - صفات العبقرية .

ولقد قالوا في تحمل هذا الجسم الشامخ ما وقع في وقعة «كنزان»: فقد هاجمه الأعداء في الليل، وانهمز جنده، فرجع معهم، وفي أثناء سيره لحق به اثنان من خدم أخيه سعد، كانا مرافقين لأخيه، فسأل عن أخيه فقيل: قتل !!  
فقال: سعد لم يقتل . . . أصيب، وترك . . . وأنا يجب أن أرجع إليه .  
فقالوا له :

إن الأعداء كانوا قابضين على زمام فرسه وقتلوه . . .  
ولكنه عاد، ولما عرف الأعداء شخصية سعد، قالوا: عبد العزيز لن يترك سعدا، وسوف يعود إليه، فتركوه ملقى على أرض المعركة، وكمنا حواليا، ينتظرون قدوم عبد العزيز .

فلما رأى بياض سعد في الليل، نزل عن فرسه، وحمله، وصار يقبله، فأطلقوا النار عليه، فأصاب الرصاص حزامه المملوء بالرصاص حول وسطه، فانفجرت أربع أو خمس رصاصات منها، وشقت بطنه، شقا تدلت منه أمعاؤه، فأسرع إلى ربطها بعمامته، ولما عاد إلى خيمته طلب قماشا وشاشا، ولما فك الحزام، وجد أن الجرح مفتوح حوالى ١٥

(١) صقر الجزيرة : لأحمد عبد الغفار عطار: (٣: ٥٠٣) .

سنتيمترا، وكان الشحم على الامعاء، فأعيدت الامعاء والشحم، وربط الشاش على الإصابة، ولو كان جسمه عاديا ما تحمل كل هذه الطلقات، ولأثرت فيه تأثيرا كبيرا، ولكنه تحمل لقوته، ومناعة جسمه، وكان كلما سئل عما أصابه أجاب قائلا: إن الإصابة بسيطة في جلد الفخذ، حتى لا يضعف من الروح المعنوية في جنده .

ولقد قالوا : إنه خطب في تلك الليلة امرأة من الأحساء وتزوج . . . ولم يكن ذلك رغبة في الزواج، ولكن لإيهاً أعوانه أن إصابته خفيفة<sup>(١)</sup>.

وقالوا : إنه لكز جملا له في بعض غزواته - وهو في سن العشرين - فركض الجمل، ووقع رحمه الله على الأرض في الزحام، فوطئته جمال رجاله، ولكنه استطاع أن يركب، ويحارب في اليوم الثاني عدوا جبارا يفوقه أضعافا في الرجال والعتاد .

وقف مرة على ظهر فرس له، وكان نائرا غاضبا، فأثر فيه تأثيرا كبيرا، ولقد أعطاه الله ساعدين قويين لا يكلان، زادهما المران قوة، فقد تدوم المعركة ساعات متواليات، ويده فيها تتحرك، فتلقى بالأعداء، تصيب هذا، وتعجز ذاك، ويفر من أمامه الجبان والشجاع على السواء، وهو بطول قامته ماشيا، أوراكبا .

ومما تفرد به الملك عبد العزيز، وما لا نسمع بمثله إلا عن قليل ممن أعطوا قوة الجسم، وتحمله فوق المعتاد، أنه لا يحتاج للنوم كما يظهر كثيرا، ولا ينام إلا حين لا يرى أحدا غيره ساهرا، وإذا نام، فلا ينام إلا ثلاث أو أربع ساعات، ولو خير لجلس الليل كله، يتحدث إلى أحد رجاله، من الذين يروق له حديثهم، وتلد له عشرتهم .

وتلك - لعمري - صفات العبقرية .

أما الصفات الخلقية : فقد تجمعت فيه كل الصفات الكريمة، التي تعارف عليها الناس، فنراها متأصلة فيه، ومكتملة بلا حدود، ولقد برز فيها، وفاق الخاصة والعامه، وأصبحت وكأنها علمٌ عليه وحده؛ لأنها نابعة من وجدانه وقلبه، ومن ذكائه النادر، لقد كان فريدا في كل ما كان يقوم به، وقد استفاد مما لاقاه في صغره، وقد ترك عاصمة ملك آبائه وأجداده، واتجه إلى الصحراء القاتلة متحملا شظف العيش، وقسوة الأيام، يتنقل من مكان إلى مكان، إلى أن وصل إلى الكويت، وهناك كانت العبرة والعظة .

ولقد ترك فيه أعظم الأثر الروح الدينية العالية، والعقيدة الصافية الصحيحة، التي آلت إلى الإمام الوالد - رحمه الله - وهي التي توارثها عن الأجداد، وعض عليها بالنواجذ،

(١) شبه الجزيرة العربية : (ج : ٣ : ص : ٩٢٣) .

واسلمها إلى ابنه عبد العزيز الذي توسم فيه الخير، فعاهد الله على الحفاظ عليها، وبناء الدولة من أجلها، وظلت تنبع من كوامنه، وقلبه وعقله، ولم يفضل عليها أبدا غيرها .  
«والله ثم والله إن العجوز القابعة في وكرها، والتي لا تملك من الثياب إلا الأطمار البالية، وهي تعبد الله وحده عبادة خالصة، هي أحب إلى قلبي من أي إنسان بلغ من العظمة والشأن ما بلغ، إذا كان لا يؤمن بالله إيمانا صادقا خالصا، ولا يعمل بما جاء في كتاب الله»<sup>(١)</sup>.

من هذا المنبع الأصيل، ومن هذا البيت العريق، ومن الدين القويم، استمد الإمام عبد العزيز كل صفاته، فجاءت نموذجا لا يبارى .

كان رحمه الله كريما، وهى أول صفة يجب أن يتحلى بها أصحاب المبادئ والقيادات، وإذا تحلى المرء بهذه الصفة، فقد هانت بعدها كل الصفات؛ لأن الكرم أول انطلاقة للإنسان ليمحوبها الحرص على الحياة، ويقضى على الاستهاتة في سبيلها، وإذا هان المال في عين الإنسان، فليس في الدنيا عزيز يقلل من همته .

لقد كان الإمام كريما إلى حد الإسراف في الجود والعطاء، فهو سمح لا قيمة للمال عنده ما دام ينفق في سبيل الله، وفي أوجه الخير، وإنه ليصطحب معه دائما في سيارته بَدْرًا من الريالات، يوزعها على الفقراء في طريقه في ذهابه إلى مقر عمله الرسمي، وفي عودته .

أعطى ذات مرة فقيرا صرة من المال، فأخبره السائق أنها صرة من الجنيهات لا الريالات الفضية، وبها ٣٠٠ جنيه ذهبي، فنادى السائل، ولما أقبل قال له رحمه الله :

«أردت أن أهبك ريالات، وما نويت إلا هذا، ولكن الله هو الذي وهبك هذا الذهب، فاشكر الله وحده، واشتر بها أخذت نخيلا، واعمل ولا تكسل»<sup>(٢)</sup>.

ولقد عتب عليه أحد رجاله يوما، وسأله أن يفكر بالإقتصاد قليلا، فقال له :

«وهل أغنت عن عبد الحميد ملايينه، إن أجدادى لم يحملوا في خزائهم فلسا، وأنا أسير سيرتهم، وأفعل ما فعلوا» .

قال له يوما بعض الناس : «إنك تعطى كثيرا!! فلو اقتصدت !!» .

فقال :

«إن الله عودنى عادة أن يتفضل علىّ وعودتُ عباده عادة أن أوسع عليهم، فأخاف أن

(١) مع عاهل الجزيرة العربية : لعباس العقاد : (ص : ٢٠) .

(٢) مع عاهل الجزيرة العربية : (٢٩) .

أقطع عادتي، فيقطع الله عادته عني، وأنا لن أبني بها قصرا، ولن أشتري بها مزرعة. كل ما يرد أنفقه على المسلمين؛ وهذا حق لهم»<sup>(١)</sup>.

وسمعت من أحد كبار العلماء الأفاضل، وهو واحد من ثلاثة، أتوا إلى الملك عبد العزيز، ليعرضوا عليه مشروع نشر بعض كتب السلف، من التفسير والحديث والمذهب الحنبلي والتاريخ الإسلامي، وكان - رحمه الله - يعرف جهدهم، وخبرتهم، مما اطلع عليه من تحقيق وتأليف لهم، وحدث في أثناء وجودهم معه أن جاء أول مبلغ من البترول، وكان مبلغا لا يستهان به في ذلك الوقت، فقسمه ثلاثا، وأعطاهم الثلث قائلا :  
«انثروا ما استطعتم من كتب السلف» .

إن كرمه وجوده كان مضرب المثل . فقد روى الذين أرخوا لسيرة جلالته : أنه كان جوادا سمحا لين العريكة سريع النجدة والنخوة، فقد كان يرى في المال أنه حطام الدنيا، والحطام فان والروح باق خالد .  
ولقد نصحه أصدقاؤه بالكف عن البذل والسخاء والكرم، فقال له :  
«ما أغنت قارون خزائنه» .

والمال كالعلم يربو بالانفاق، وأي إرباء خير من أن يمحوه عن المحتاجين الآمهم، ويأسو كلومهم<sup>(٢)</sup>.

وأما الشجاعة فهي صفة متأصلة في عبد العزيز منذ صغره، وهي فائقة فيه، فلم ير له نظير في إقدامه على المخاطر، وغزواته التي غزاها دليل قوى على شجاعته، فليس في نجد والأحساء على سعة مساحتها أرض لم يقاتل عليها .

وهذه الشجاعة البالغة لازمته منذ أن كان صبيا لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، وقد أخذ الغضب منه مأخذه، وهو يرى الأعداء يحيطون بالرياض بلده الحبيب، وعاصمة ملك الآباء والأجداد، وقد أخذ الحماس منه مأخذه، ورأى رجلا من الأعداء، قد قُتل فرسه، وراح يحمل على عاتقه كل ما خف حمله، طالبا النجاة، ولكن عبد العزيز الصبي الشجاع الغيور على وطنه، ومسقط رأسه، وثب على الرجل وضربه بسيفه ضربة أودت بحياته<sup>(٣)</sup>.

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز : (ج : ٣ : ص : ٩١٩) .

(٢) صقر الجزيرة : (ج : ٣ : ص : ٥١٣) .

(٣) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز : (ج : ١ : ص : ٥٩) .

وينقل عنه رحمه الله :

أنه أحسن استعمال البندقية، وركوب الخيل كأحد الفرسان، وهو في سن الصبا، وأنه كان في السابعة حاد الطبع، دائم الحركة، لا يستطيع الاستقرار في مكان واحد فترة طويلة .

ومواقفه البطولية كثيرة، ولا يخلو يوماً من مواقف مشهورة نذكر منها موقفه في معركة «الحريق»<sup>(١)</sup> فقد هاجمها - رحمه الله - من بطن الوادي، وكان أهل الحريق متمنعين بأعلى الجبل، وعندما هاجمهم ومعه جيشه، أمطروهم بوابل من الرصاص من أعلى الجبل، ومن جوانبه، ففر جيش الملك عبد العزيز، وكان هو في المؤخرة يمشى على رجليه، ومعه سائسه يقود فرسه، وعندما قابله جيشه منهزماً، أخذ ييث فيهم النخوة، ولكن القوم لم يلتفتوا إليه، فما كان منه إلا أن سلّ سيفه، وضرب عضد فرسه، وقطعه .

وقال : «... لا تقولوا ما رأينا عبد العزيز، فالذي يريد أهله فهم أمامه، والذي يريد طريقى، فأنا هاجم وحدى» .

هجم عليهم وحده، مخالفاً بذلك قومه، فتوقفوا وصاروا ينظرون إليه، فلما وجدوه سائراً وحده، رُدّت إليهم روحهم المعنوية، وهجموا معه، ولم يتوقفوا إلا في داخل البلد، وهم محتلوهُ<sup>(٢)</sup>.

ورغم شجاعته الفريدة التي كان نسيج وحدها، وانتصاراته المتوالية، فإنه لم يركن إلى قوته، وإنما كان دائماً يركن إلى إيمانه القوى، فهو يؤمن بالله، ويؤمن بأن له أجلاً لا يتقدم ولا يتأخر، وكان حينما ينتهي من معركة بالنصر، يدخل خيمته ويسجد لله، ويطلب السجود شاكراً لله على تفضله عليه بالرعاية والتأييد .

كان رحمه الله لا يميل - رغم شجاعته - إلى سفك الدماء، وكان يتجنب بقدر الإمكان إشعال الحرب، ويدفع في سبيل تجنبها أى ثمن لدرجة أن المحيطين به كانوا يشكون - بعض الأحيان - في شجاعته .

لقد كان يميل إلى الأناة والروية، حتى قال له بعض قواده، وقد طال حصارهم لعدة، وهو يتعجل الهجوم :

«سوف نتهم بالجبن!!» .

فاجابه : «الرأى الرأى ! الأناة... الأناة!!» .

(١) وقعة بين جبلين .

(٢) مقال للأمير عبد الله الفيصل حفيد الملك عبد العزيز : «شبه الجزيرة» : (ج : ٣ : ص : ٩٢٢) .

أما إذا كان لابد من الحرب، فهو الفارس المغوار، الذي لا يشق له غبار، ولكن أعظم من الشجاعة أن يملك الإنسان نفسه فلا يتهور، فما أكثر الشجعان الذين أدت بهم شجاعتهم إلى ما لا تحمد عقباه، لكن الملك عبد العزيز كان أملك لها، ولا يدعها تكون عليه، بل دائما كانت له .

كثيرا ما سنحت الفرصة لينتقم من أعدائه، وكثيرا ما أتى له بالجلادين والسفاحين، والدم يتقطر من سيوفهم، بل وكثيرا ما حاصر المعتدين في أماكنهم، وكان في إمكانه أن يشعل فيهم النار جزاء صنيعهم، ولكنه كان يقدر على أن يتحكم في نفسه، وأن يكظم غيظه، وأن يعفو عنهم، بل وأن ينزلهم منزلة أولاده وأهله، وهو يحمد الله على أن أعانه على وجهة الخير التي جبله عليها .

لقد كان بين الملك عبد العزيز والحكام في تركيا عداء مستحکم في ذلك الوقت، وإبان الحرب العالمية الأولى انتهز الانجليز الفرصة فأشاروا على الملك بأن يقوم بعمل ضد تركيا وهي مشغولة بالحرب، فأبى أن ينتهز هذا الموقف لصالحه، فدل ذلك على الحزم والصرامة والنخوة والعفو .

وهذا تفصيل ما حدث .

فلقد كان الانجليز يؤلبون العرب على تركيا، التي انضمت إلى المانيا في الحرب العالمية الأولى، وحاربت الانجليز، وبالرغم من أن تركيا لا تزال يتساقط من يديها دم الجريمة في حق آل سعود وعبد العزيز، فقد حضر مبعوث الانجليز السير يرسى كوكس، ودار بينه وبين عبد العزيز الحديث التالي :

قال السير :

أتذكريا طويل العمر ما قاسيت من نجدات الترك لعدوك ابن الرشيد؟

قال :

ما حان لى أن أنسى !! .

قال السير :

ألا ترى ما يراه الناس من تحفز العراق والشام والحجاز للثورة على الترك؟ .

قال :

أرى !! .

قال السير :

ألا تكون رايتهم رايتك، ولك بعد ذلك ملك العرب، وإن شئت فخلافة الإسلام؟ .

قال رحمه الله :

لا !! .

قال السير :

ألا تنتهز الفرصة فتنتم؟ .

قال :

لا . . . لن يقول الناس : ثار عبد العزيز على دولة تتسمى بدولة الخلافة في عهد

محتتها(١).

وذلك - لعمري - أروع ما أعطى الله من جمال التخلق بخلق الدين الحنيف .

إن الملك عبد العزيز - رحمه الله - أول من رسم السياسة الواضحة الخالية من المداهنة والمرادغة، وإلباس الباطل ملابس الحق، والقول «لا» حينما يجب أن يقول «نعم» والقول «نعم» حينما يجب أن يقول «لا» .

كلام لم يحدث منه ذلك أبدا، بل كان صادقا في أحلك الأيام التي لوداهن أوراوغ لقضى على كثير من المشاكل، لكنه لم ينحرف أو يترك جانب الصدق الواضح والخالي من كل ما يشوبه .

كان يكره المراءاة والكذب والخداع، فإذا ابتلى بمن يتحلون بهذه الصفات ظل بهم حتى يجبروا على أن يظهرها ما أخفوه، ويُعرفوا على حقيقتهم، ولذلك فإن المولى سبحانه وتعالى كان دائما ناصره ومؤيده عليهم .

وهذا ما أجبر كل من اتصل به من الحكام والملوك على احترامه وتقديره، ولقد كان له قدرة عجيبة في عمق تفهمه للأمر، ودقة إجابته عما يُسأل، وإقناع من أمامه بوجهة نظره، حتى يضطره إلى التسليم له بما يريد .

ولقد شهد له كل من رأوه وجالسوه، من أهل الخبرة والمعرفة، سواء أكانوا من العرب الأذكياء، أم من غيرهم ممن لهم دراية بأخلاق الرجال .

قال الدكتور : فون وايزل الكاتب النمساوي، وقد خبر الملك عبد العزيز وجالسه

فكتب الكثير عنه، ومما قاله :

«حسبي أن أقول إنني معجب به، فقد خيّل إليّ وأنا أحادثه أني أمام بسمرک منشيء

الوحدة الألمانية . ولا أظنكم تخالون أني أبالغ في القول» .

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز : (ج : ١ : ص : ٢٦) .



لقد عاش الملك عبد العزيز في الصحراء، وتعلم في البيئة والبادية، وعاشر الأحداث الجسام، لكنه كان يزن كل ما عرفه بميزان ما تعلمه من الشريعة الغراء، واخضاع كل الحوادث لما عرف وتعلم من مدرسة محمد بن عبد الله ﷺ ولم يذهب إلى الشرق أو الغرب، لكنه أدهش الناس بتفكيره وآرائه .

قال الدكتور • فون :

«وقد اتضح لى أن ابن سعود يشبه الساسة الانجليز كثيرا في سياسته وخطه . فهو مثلهم لا يضيع الوقت بإعداد النظريات ورسمها . لكنه يصبر متحينا الفرصة إلى أن تسنح فينتهزها» .

وقال أيضا :

«وفى ابن سعود ميزة أخرى هي أنه كريم صادق، وحادثته مرتين في شئون مختلفة، كان بعضها دقيقا جدا، فلم الحظ قط أنه يلبس الباطل ثوب الحق» .  
«نعم كان سياسيا أحيانا في أجوبته، فلا يقول كل ما يعرفه، ولكنه لم يتلفظ بكلمة واحدة غير صادقة» .

ويكمل الرجل الألماني حديثه فيقول :

«والظاهر أن هذا شأنه مع الجميع، فإنى لما قابلت القناصل في جدة . قالوا لى :  
إذا قال لك ابن سعود شيئا، فثق أنه يقول لك الحقيقة التى لا تشوبها شائبة<sup>(١)</sup>.  
والفضل ما شهد به الأعداء .

أما الإمام - رحمه الله - فقد قال، وعمل بما قال، وكان يعرف جيدا أن مقت الله وغضبه على المؤمن أن يقول ما لا يفعل، وكان يعى قول الحق سبحانه وتعالى :  
﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ . (الصف : ٢-٣) .

قال رحمه الله :

«أنا ترعرعت في البادية، فلا أعرف آداب - تنظيم - الكلام وتزويقه، ولكنى أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق» .

---

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز : (ج : ١ : ص : ٣٠٣) .

«أنا لست من رجال القول الذين يرمون القول بغير حساب ، فأنا رجل عمل إذا قلت فعلت ، وعيب علىّ في ديني وشرفي أن أقول قولاً لا أتبعه بالعمل ، وهذا شيء ما اعتدت عليه ولا أحب أن اتعوده أبداً»<sup>(١)</sup>.

لقد أجمع كل الذين عرفوا الملك عبد العزيز، سواء أكانوا من الأصدقاء أم من غيرهم ، على ما يميزه من صفات ، وعلى ما وهبه الله مما يميزه به عن غيره ، والتي أثارت الإعجاب والدهشة ، ولعل المستر تشارلز رجل الاقتصاد الأمريكي ، الذي ما أظنه إلا موفداً من قبل الإدارة الأمريكية لمهمة ، أرسل من أجلها رسالة إلى الرئيس الأمريكي المستر فرانكلين روزفلت في عام ١٣٥٨هـ ، وهذه الرسالة نضيفها إلى الكثير ممن قابلوا الملك عبد العزيز وكتبوا عنه ، وبالرغم من قصر المدة التي عاشها تشارلز في المملكة إلا أنه استطاع أن يعي كل الوعي هذه الشخصية الفذة :

يقول مستر تشارلز :

«إن الملك عبد العزيز شخصية إسلامية كبرى يعمل من أجل دينه وعقيدته ، وهو أعظم من ظهر في جزيرة العرب منذ عهد الرسول ﷺ . . . . . وإنه رجل إداري قدير في إدارة شؤون دولته وبلاده ، وقد سار على نهج السلف الصالح ، وطبق تعاليم الشريعة الإسلامية . . . . .»

ولقد استطاع استرداد حكم نجد ، موطنه الأصلي ، وهو في سن يقارب التاسعة عشرة سنة ، وبعدها أخذ يضم باقي أجزاء الجزيرة العربية بشكل تدريجي ، وفي فترات زمنية متلاحقة ، حتى أصبح بعد ذلك أقوى قوة في الجزيرة العربية .

إنه رجل حلیم ، ويعتمد في معاملاته على الحلم ، وما تبعه من صفات ، وبالحلم والأخلاق كان يدير شؤون بلاده ، وكانت هذه الصفات هي نهجه في معاملاته مع أبناء شعبه .

ثم يكمل رسالته فيقول :

«إنني التقيت ببعض خصوم الملك السابقين ، فوجدتهم الآن من أكبر أعوانه ، ومن أكبر المطيعين ، والمؤيدين له ، ويعود هذا إلى معاملة الحلم ، وهي النهج والأسلوب الذي كان يعامل به خصومه بعد انهزامهم أو استسلامهم» .

---

(١) المصحف والسيف : (ص : ١١٠) .

«إن الملك كان يقول : إن هدفي هو مصالحتهم والتوافق معهم ، وكلى أمل في أن يعيشوا في جو من السعادة والاطمئنان»<sup>(١)</sup> . . .

ليس من السهل أن تلتبس الثناء على إنسان من مسئول أوربي أو أمريكي إلا إذا كان يستحق هذا الثناء، وعن جدارة، وحكمهم على إنسان إنما يكون بعد دراسات مستوفاة، واختبارات قلما تخطيء، أو يجيب ظن الواحد منهم؛ فلهم من الذكاء والتجربة ما يجعلهم صادقين في حكمهم، نافذين في نظراتهم .

ولقد زار الملك عبد العزيز إبان جهاده، وبعد استقراره في حكم البلاد كثيرا من الرؤساء والكتاب والمسؤولين فكلهم أجمعوا على أن الملك عبد العزيز من الشخصيات النادرة التي لا يوجد الدهر بثلها إلا نادرا، بل لقد أجمعوا على أن من النادر جدا أن يعطى رجل القوة والتوفيق بمثل ما أوتي الملك عبد العزيز .

وهذا ما نلمسه فيما كتبوا عنه وصرحوا به :

قال د . جرمانوس المستشرق المجرى :

«الملك الذي جرد السيف في سبيل دينه وعقيدته، يجمع في طبيعته روح الحرب . وروح السلم، لا يقاتل الناس، ولا يعتدى عليهم، وإنما يحارب الجهل، ويقاوم الجمود، ويكافح التأخر»<sup>(٢)</sup> .

وقال الكاتب الأمريكي روي لبيكيتشر :

«كان أبرز ما ظهر من صفات ابن سعود بعد استيلائه على الرياض : القوة، والشجاعة، والحيوية البالغة، والجاذبية الخلابه، والشخصية المحبوبة، وصواب الفكرة، والإستقامة التامة، مضافا إليها خلق المقدره على العفو عن أعدائه من جهة، والشدة بل القسوة من جهة أخرى عند الاقتضاء»<sup>(٣)</sup> .

وقال تونشل :

«من عادة ابن سعود أن يعالج الأمور بحنكته وسياسته السلمية، فإذا اضطر إلى امتشاق الحسام لم يتردد»<sup>(٤)</sup> .

(١) المتوكل على الودود : لمحمد منير البديوي : (ص : ٣٤١ ، ٣٤٢) .

(٢) شبه الجزيرة : (ج : ٢ : ص : ٧١٨) .

(٣) ، (٤) مختارات من موضوع «في كلمات للسياسيين وكبار الكتاب الأجانب» شبه الجزيرة : (ج : ٢ : ص :

٧١٥-٧٢٢) .

وقال الكاتب الانجليزي كنث وليمز :

«من النادر أن تجد رجلا تجمعت فيه المزايا التي تجمعت في ابن سعود: موفق ظافر، ومصالح ومبدع مبتكر، وتقى ورع صالح، وإنسان لطيف مهذب، وجواد سخى سمح، وراسخ وطيد متين، وذكى حاذق لبيب، وشجاع جرىء مقتحم، نبيل في تواضعه، جليل في احتشامه»<sup>(١)</sup>.

وقال حاكم كندا لورد أوف اثلود :

«شهدت بنفسى عندما زرت المملكة العربية السعودية، ماذا صنع الملك عبد العزيز لرفاهية شعبه، لقد استقر بفضل السلام والأمن في البلاد التي كانت من قبل تمزقها المنازعات الداخلية .

واتيح لى أن أشهد كيف تم الاعتراف به ملكا وزعيما على شعبه الذى أضاء له حكمه الطريق إلى الارتقاء فى جميع المناحى الاجتماعية والثقافية»<sup>(٢)</sup>.

وكان للكاتبات الغربيات مجال كبير فى الكتابه عن الملك عبد العزيز، فقد تناولن شخصيته وسيرته بكثير من الدراسة والتحليل، بل إن بعضهن تكلفن المشاق لرؤية هذا البطل العظيم ومن كتبن عنه الكاتبة الفرنسية أندريه فيوليس فى مارس ١٩٣٧م قالت :  
«حاد النظرات، كثير الحذر فى حديثه، ينظر إلى محدثه ويدرسه دراسة سريعة، هذا هو ملك الجزيرة العربية، الذى قام بما يشبه المعجزات، وأسس ملكه بين عشية وضحاها، بغير وجل، وهو بعيد المطامح طويل التروى، لا يجب المجازفة، ويعتقد أن الإستعداد للأمر ودراسته هما الوسيلتان للنجاح»<sup>(٣)</sup>.

ولقد تناول الكُتَّابُ العرب شخصية الملك عبد العزيز وسيرته العطرة على طول وعرض الوطن العربى بالإكبار والإجلال جزاء ما قدم للإسلام ولبلاد المسلمين من تضحية وفداء .

قال عبد الرحمن عزام :

«تميز الملك عبد العزيز، فوق خصال الشجاعة والكرم والعقل، بتبسطة فى الحديث، وعدم التكلف فيه، والمؤانسة لزائره، وهو فى جزيرة العرب ليس ملكا فحسب، بل رئيس أسرة، ومن عجيب شأنه أن هذه الأسرة جمعت خصومه الأولين وأعداءه وأولياه فى ساحته .

(١)، (٢)، (٣) مختارات من موضوع «فى كلمات للسياسيين وكبار الكُتَّاب الأُجانب» شبه الجزيرة (ج: ٢) : ص :

وكان مما يعجبني ، وقد تشرفت بأن كنت ضيفاً له مرتين ، أن أرى على مائدته أوفى الصيد معه ، أولئك الذين قاتلهم أو قتل آباءهم من قبل ، يعاملون معاملة الإخوة والأبناء»<sup>(١)</sup>.  
وقال الكاتب المشهور محمود أبو الفتح في عام ١٩٣٠ م :

«ليس ابن سعود من أعظم رجال القرن العشرين فحسب ، بل هو من أعظم رجال التاريخ . . . ولست أنا الذي أصدر هذا الحكم ، وإنما أصدره انكليزي عرف عبد العزيز من زمان طويل ، وتتبع سيرته منذ كان فتى شريداً طريداً إلى أن أصبح الملك المطلق في جزيرة العرب»<sup>(٢)</sup>.

وقال عوني عبد الهادي في عام ١٩٣٦ م :  
«شيئان هائلان في الجزيرة . . .

الصحراء وابن سعود عبارة عن عالمٍ في رجل . ملّم كل الإلام بدخائل مُلكه ، مؤمن متدين إلى حد عظيم . قالوا : إن الذي يصغى إليه وهو يقرأ كتاب الله في الليل لا يملك نفسه من البكاء»<sup>(٣)</sup>.

وقال القائد عزيز على المصري وهو من أعظم القادة العرب في العصر الحديث :  
«اهتمام ابن سعود بالأسلحة الحديثة وشجاعته ، وقدرته على تحمل المشاق ، وبعده عن الترف ، وذكائه ، وصدق عزمته ، وسخاؤه ، كل هذا يجيز أن نتظر منه العظائم»<sup>(٤)</sup>.  
هذا إجماع من كل الذين عنوا بدراسة شخصية هذا الرجل الموهوب الموفق ، وما أكثرهم من جميع الأجناس والبلاد ، وما اعتقد أن رجلاً حاز إعجاب جميع الناس بمثل ما ناله الملك عبد العزيز آل سعود فهو جدير بأن يقتدى به ويتخذ مثلاً أعلى في سيرته وأعماله .  
وإذا كان الكتاب والمفكرون والساسة في جميع أنحاء العالم قد شغلهم ظهور هذه الشخصية الفذة ، فقد أجمعوا على الحب والتقدير والإعجاب بما قام به الملك عبد العزيز ، فقد تسابق رؤساء الدول الكبيرة إلى اللقاء به ، ورؤيته عن قرب ، وإلى الاجتماع به للصدقة ، ولصالح العالم ، ولمعرفة رأيه في كثير من المشاكل الدولية ، ولقد حرص الرئيس الأمريكي فرانكلن روزفلت رئيس الجمهوريات الأمريكية على رؤيته والتحدث إليه ، ففي

(١) شبه الجزيرة : (ج : ٢ : ص : ٧٣٩).

(٢) المصدر نفسه : (ج : ٢ : ص : ٧٣٨).

(٣) المصدر نفسه : (ج : ٢ : ص : ٧٣٨).

(٤) المصدر نفسه : (ج : ٢ : ص : ٧٣٧).

إبان الحرب العالمية الثانية طلب الاجتماع بالملك عبد العزيز، وكان روزفلت بمصر والحرب لا تزال مستمرة، والمانيا موجهة كل عتادها إلى منطقة الشرق الاوسط، لذلك فقد كان أمر هذه المقابلة في غاية السرية خوفا من الطائرات، ووافق الملك، فجاء أحد الطرادات الامريكية إلى جدة، وأبحر الملك عبد العزيز ومن معه إلى قناة السويس، ثم إلى البحيرات المرة قريبا من مدينة الاسماعلية، حيث كان الرئيس ينتظره على سطح طراد آخر .

رحب الرئيس روزفلت بالملك عبد العزيز، وقال :

«إن على رؤساء العالم أن يتحینوا الفرص، ليتحدث بعضهم إلى بعض، ويتفاهموا، ويتعاونوا على حل ما استعصى عليهم من أمورهم»<sup>(١)</sup>.

ولقد أعجب روزفلت بابن سعود إعجابا لا حد له، فلقد بهرته شخصية الزعيم العربي الأكبر، وقد طابق ما سمع عنه ما رأى الآن، بل ما رآه كان أعظم بكثير مما سمع، وقال له :

«كنت أود أن أجمع بك قبل هذا» .

ولقد أبدى الرئيس سرورا وفهما لكل ما عرضه عليه الملك عبد العزيز من أمور دولية، واقتنع بوجهة نظر الملك، ووافق على كل ما ذكره، ووعد بحل كل مشكلة عرضها عليه، وكان في مقدمة ما عرضه عليه استقلال سوريا ولبنان - وكانتا لا تزالان ترزحان تحت الحكم الفرنسي .

ولقد قال المقربون من الرئيس روزفلت :

إن الرئيس روزفلت لم يكن يتوقع أن يرى في ابن سعود الذي طلب مقابلته ما رآه فيه، ولقد رأى أنه رجل ذو مهابة خارقة وقوة عظيمة، فلقد ولد جنديا وقضى حياته كلها في خوض المعارك، وهو عربي من أوله إلى آخره، وفي كل وقت<sup>(٢)</sup>.

ولما رجع الرئيس روزفلت إلى أميركا قال في الكونجرس عن الملك - رحمه الله :

«فقد وعيت مثلا عن مسألة الجزيرة العربية، تلك المشكلة بحذافيرها، مشكلة

المسلمين، ومشكلة اليهود، وعيت عنها في حديث دام خمس دقائق مع ابن سعود أكثر مما كنت أستطيع معرفته بتبادل ثلاثين أو أربعين رسالة»<sup>(٣)</sup>.

(١) شبه الجزيرة : (ج : ٤ : ص : ١١٥٨) .

(٢) شبه الجزيرة : (ج : ٤ : ص : ١١٦٣) .

(٣) شبه الجزيرة : (ج : ٤ : ص : ١١٦٥) .

ولقد علقت مجلة «تايم» الأمريكية على تلك المقابلة فقالت :  
«لعل الكثيرين دهشوا لاجتماع هاتين الشخصيتين المختلفتين النشأة والتربية، ولكن  
الواقع أن مقابلة الرئيس الأمريكى الذى نشأ فى هايد بارك، ودرس فى جامعتى جرتون  
وهارفارد، وعاهل بلاد العرب الذى لم يدرس إلا فى مدرسة الإسلام والقرآن الكريم، ولم ير  
إلا الصحراء المحيطة به من كل جانب، هذه المقابلة كانت ناجحة إلى حد بعيد، وقد  
استمرت المحادثات بينهما فترة طويلة ظهر خلالها بوضوح مقدار ما يمكنه كل منهما للآخر من  
صداقة وتقدير» (١).

كان مستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا، قد رغب فى اللقاء مع الملك عبد العزيز  
وكان قد اجتمع بالرئيس الأمريكى، فسهلت له الدبلوماسية البريطانية هذا اللقاء، فهياؤا  
كل شىء ليتم اللقاء فى الفيوم، وكانت السرية قد خفت برحيل الرئيس الأمريكى إلى  
بلاد، فركب الملك عبد العزيز ومن معه الطراد إلى مدينة الإسمايلية، ومنها اتجه الركب  
ليلا إلى القاهرة، واخترقوا وسطها إلى الجيزة، فطريق الفيوم الصحراوى، حتى وصلوا إلى  
مكان الإقامة وهو فندق الفيوم على بحيرة قارون وذلك فى يوم الجمعة ٣ ربيع الأول عام  
١٣٦٤هـ، وفى اليوم التالى حضر إلى الملك عبد العزيز فى الفندق الملك فاروق، وكان معه  
الرئيس السورى شكرى القوتلى، وفى اليوم الثالث وصل إلى الفندق رئيس الوزراء  
البريطانية، ومعه وزير الخارجية، وآخرون من كبار السياسيين، والقادة العسكريين، فانفرد  
بهم وقتا غير قصير، وكلهم أبدى إعجابهم بتفكير الملك، وعرض آرائه، فكان موضع  
إعجاب وتقدير. ثم عاد إلى بلاده بعد أن وعد الملك فاروق - رحمه الله - بزيارة خاصة  
لمصر (٢).

وهكذا كلما تطرقنا لصفة من الصفات التى تحلى بها الملك عبد العزيز آل سعود،  
وجدنا أنه قد فاق فيها أقرانه، وقد ضرب لنا على الطريق العملى أمثالا وأمثالا ملاء بها حياته  
المباركة .

(١) نفس المصدر : (ج : ٤ : ص ١١٦٧) .

(٢) لقد برّ الملك عبد العزيز بوعده، وزار مصر زيارة رسمية وشعبية فى صفر عام ١٣٦٥هـ وقوبل من الشعب  
المصرى والحكومة بما لا لم يقابل به أحد من قبل لا فى السابق ولا فى اللاحق من التكريم والحفاوة والترحيب والحب  
والإخلاص، وسيظل كل هذا عنوانا على تقدير مصر لما قام به الملك عبد العزيز من أعمال عظيمة، وبخاصة ما قام به تجاه  
الحرمين والأراضى المقدسة، وستفرد لهذه الزيارة بحثا آخر إن شاء الله .

فمن هذه الصفات الشجاعة التي أصبحت جزءاً من حياته - رحمه الله - في كل المجالات التي صادفته، والحزم الذي لازمه في كل ما قام به من أعمال، والصراحة التي كانت نبراسه في كل ما تحدث عنه صغراً أو كبيراً، والخشونة التي عاشها منذ صغره، وكان لها أثرها البعيد في كل ما قابله من مصاعب ومتاعب، والغيرة على الشرف، وعلى حدود الله وشريعته، وهي من أوائل ما دعاه إلى القيام بما قام به من حروب وقاتال، والنجدة لكل من طلب مساعدته، وهذا ما جعله يستجيب لنداء الشيخ مبارك فيذهب إليه في أحواله، والنظام وقد تعلمه من مواظبته على الصلاة، وإقامتها في أوقاتها الخمسة المنتظمة في اليوم والليلة، ومحافظته الدائمة عليها، وعلى كل عمل قام به فكان عمله منتظماً طيلة حياته لم يغيره، والطاعة، وتظهر واضحة في أمثاله لكل ما يأمر به والده الإمام عبد الرحمن - رحمهما الله - وتقديره لكل واجب عليه، والإيمان بالحق الذي يطالب به، وحب الانجاز في حدود التبعات وهو الذي جره إلى أعظم عمل قام به وهو فتح «الرياض» .

إن هذه الصفات كلها متمثلة فيه، ولم تتخل عنه واحدة، حتى أصبحت من خصائصه، ولقد قالوا إن هذه الصفات، وهذه الخصائص قد تجمعت بعد الوفاة السنين من تجارب الأمم في تعبئة الجيوش، حتى عرف الناس أخيراً أنها لازمة للقائد، والجندي الموهوب في أمثل حالاته، فما من خاصة منها يستغنى عنها القائد الكامل الذي يتحلى بأجمل الصفات .

وإنها متكاملة ومتأصلة كلها في الملك عبد العزيز آل سعود، وقلما تتجمع إلا فيمن وهبهم الله من الصفات ما لم يهبها سبحانه وتعالى لغيرهم .  
ومن تفرد بهذه عن غيره، فهو جدير بأن يوصف بالعبقرية، ولقد أصبح من المسلم به، أن الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - كان عبقرياً .





أحمد بن محمد

البربر

الله سلاوي



# تَحْقِيقُ جُزْءِ الضَّعْفَاءِ وَالمُتْرُوكِينَ

للإمام الدارقطني  
-٢-

للسيخ عبد الرصيم محمد القسقرى  
مؤاضر بكلية الحديث الشريف بالجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيين وبعد :  
فان علم الحديث يحتاج إلى معرفة الرواة الذين أوصلوا السنة النبوية إلينا من حيث

جرحهم وتعديلهم ولما كان كتاب الإمام الدارقطني من الأصول المهمة في هذا الفن والذي  
طوته ايد الاهمال في عدم اخراجه عزمت على نشره في مجلة الجامعة الإسلامية ليتسنى لأكبر  
قدر ممكن من طلاب العلم الوقوف عليه والاستفادة منه .

وها أنذا اطرح الحلقة الثانية من كتاب الضعفاء والمتروكين لخاتمة الحفاظ ارجوان  
اكون قد وفقت على اقل تقدير في تصحيح النصوص الواردة في كتاب المصنف .

وقد سبق وان قمت بتحقيق كتاب أسئلة البرقاني للإمام الدارقطني تحقيقاً واستفدت  
فيه من كتاب الضعفاء .

وسيقدم الكتاب المذكور للطبع بعد الانتهاء من الدراسة العلمية حول المصنف  
وكتابه السؤالات .

ارجو الله ان يوفقني في اخراجه وان ينفع به طلاب العلم . انه على كل شىء قدير .

## حرف الحاء

- ١٥١ - الحارث بن عبد الله الأعور. كوفي همداني<sup>(١)</sup>.
- ١٥٢ - الحارث بن عمران. أبو سهل الجعفرى. كوفي عن محمد بن سوجه وهشام بن عروة<sup>(٢)</sup>.
- ١٥٣ - الحارث بن نبهان الجرمى. بصرى عن عاصم بن بهدله. وأيوب السختياني. والأعمش. ليس بالقوى<sup>(٣)</sup>.
- ١٥٤ - الحارث بن شبل البصرى. عن أم النعمان. مقل. وليست بمعروفة<sup>(٤)</sup>.
- ١٥٥ - الحارث بن سريج البقال. بغدادى. عن ابن عيينه. ويحيى القطان. ويزيد ابن زريع، غمزه يحيى بن معين. وهو كما قال<sup>(٥)</sup>.
- ١٥٦ - الحارث بن حصيره. يغلوا فى التشيع<sup>(٦)</sup>.
- ١٥٧ - الحارث بن حجاج بن أبى الحجاج. مجهولان<sup>(٧)</sup>.
- ١٥٨ - حكم بن ظهير الفزارى. عن عاصم. وعلقمه بن مرثد السدى. يروى عنه مروان الفزارى. يقول ابن أبى خالد.
- ١٥٩ - حكم بن عبد الله بن سعد الأيلى. قرشى. عن القاسم بن محمد وابن أبى مليكة والزهرى وابن أبى على. متروك<sup>(٨)</sup>.
- ١٦٠ - حكم بن عبد الله. أبو مطيع الخراسانى. بلخى. عن إبراهيم بن طهمان. وأبى حنيفة.
- ١٦١ - حكيم بن جبير. كوفي عن سعيد بن جبير. والنخعى والشعبى.

---

(١) قال ابن حجر : كذبه الشعبى فى رأيه ورمى بالرفض . وفى حديث ضعف - على - تقريب التهذيب ٦٠  
(٢) ضعيف رماه ابن حبان بالوضع من التاسعة - ق - تقريب التهذيب ٦٠  
(٣) متروك من الثامنة - ت ق - تقريب التهذيب ٦١ .  
(٤) لسان الميزان ١٥٢/٢ .  
(٥) لسان الميزان ١٤٩/٢ .  
(٦) ميزان الاعتدال ٤٣٢/١ .  
(٧) قال ابن حجر : قال الدارقطنى مجهولان لسان الميزان ١٤٩/٢ .  
(٨) قال الذهبى : ضعفه ولم يترك ديوان ٧١ .

- ١٦٢ - حماد بن عمرو النصيبى . أبو اسماعيل عن الأعمش . وزيد بن رفيع (١) .
- ١٦٣ - حماد بن عيسى . غريق الجحفة (٢) .
- ١٦٤ - حماد المالكي . قدرى . عن الحسن . كذاب .
- ١٦٥ - حميد بن عطاء وقيل ابن عامر المكتب ، عن عبد الله بن الحارث ، متروك .
- ١٦٦ - حفص بن عمر الفرخ العدنى ، عن الحكم بن ابان (٣) .
- ١٦٧ - حفص بن عمر بن أبى سليمان أبو عمران الإمام النجار الواسطى .
- ١٦٨ - حفص بن سليمان بن المغيرة أبو داود . هو القارى وهو حفص بن أبى داود سليمان .
- ١٦٩ - حبيب . كاتب مالك . متروك .
- ١٧٠ - حبيب الاسكاف . أبو عميره كوفى عن أنس (٤) .
- ١٧١ - حبيب بن حبان . هو ابن أبى الأشرس . ضعيف .
- ١٧٢ - حجاج بن بصير . بصرى . أجمعوا على تركه .
- ١٧٣ - حجاج بن فروخ . واسطى ، عن العوام بن حوشب ، وابن جريج متروك .
- ١٧٤ - حبان بن على العنزى . عن الأعمش . وليث بن أبى سليم . ضعيف وأخوه مندل ضعيف أيضا .
- ١٧٥ - حرام بن عثمان مدنى . عن ابنى جابر (٥) .
- ١٧٦ - حبه بن جوين العرنى . عن على رضى الله عنه (٦) .
- ١٧٧ - حصين بن مخارق . متروك .
- ١٧٨ - حصين بن عمر أبو عمر الاحمسى . كوفى عن مخارق بن عبد الله . واسماعيل بن أبى خالد (٧) .

(١) انظر ميزان الاعتدال ١/٥٩٨ .

(٢) قال ابن حجر : حماد بن عيسى بن عبيده غرق بالجحفة سنة ثمان ومائتين . تقريب التهذيب ٨٢ .

(٣) قال ابن حجر : حفص بن عمر الفرخ بالفاء وسكون الراء والحاء المعجمة . تقريب التهذيب ٧٨ .

(٤) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك . ميزان الاعتدال ١/٤٥٦ .

(٥) قال الإمام أحمد : ترك الناس حديثه ميزان الاعتدال ١/٤٦٨ .

(٦) قال الذهبى : قال الدارقطنى ضعيف ديوان ٤٩ .

(٧) قال ابن حجر : متروك من الثامنة - ت - تقريب التهذيب ٧٦ .

- ١٧٩ - حمزة بن أبي حمزة النصيبى . عن أبى الزبير . وعمر بن دينار<sup>(١)</sup> .
- ١٨٠ - حسام بن مصك أبو سهل . بصرى . عن قتادة<sup>(٢)</sup> وعبد الله بن بريده .
- ١٨١ - حديج بن معاوية الكوفى . يغلب عليه الوهم . عن أبى اسحاق .
- ١٨٢ - حسان بن سياه . كوفى . عن ثابت وعاصم بن أبى النجود .  
آخر ما وجد فى كتاب البرقانى .
- ١٨٣ - حسن بن دينار وقيل ابن واصل وقيل ابن دينار زوج امه عن الحسن وابن سيرين وأيوب<sup>(٣)</sup> .
- ١٨٤ - حسن بن عمارة كوفى<sup>(٤)</sup> .
- ١٨٥ - حسن بن زياد اللؤلؤى<sup>(٥)</sup> .
- ١٨٦ - حسن بن على الهاشمى ، عن الأعرج . عن أبى هريرة<sup>(٦)</sup> .
- ١٨٧ - حسن بن أبى جعفر . وفى نسخة حسن بن أبى جعفر الجفرى . بصرى . يروى . عن أيوب . ومحمد بن جحادة . وأبى الزبير<sup>(٧)</sup> .
- ١٨٨ - حسن بن يحيى الخشنى شامى . عن هشام بن عروه . متروك .
- ١٨٩ - حسين بن عبد الله بن ضميرة . عن أبيه عن جده مدنى<sup>(٨)</sup> .
- ١٩٠ - حسين بن علوان . عن هشام بن عروة . والأعمش . كذاب .
- ١٩١ - حليس بن محمد المصرى . الكلبي . عن الثورى<sup>(٩)</sup> .
- ١٩٢ - حسين بن قيس الرحبى . ويقال حنش . عن عكرمه . وعن عطاء واسطى<sup>(١٠)</sup> .
- ١٩٣ - حسين بن خالد الأشقر . كوفى . عن شريك وقيس وجعفر الأحمر وهريم بن سفيان . ليس بالقوى .

(١) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك . ميزان الاعتدال ١/٦٠٦ .  
(٢) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك . ميزان الاعتدال ١/٤٧٧ .  
(٣) قال ابن حجر : تركه وكيع وابن حنبل . لسان الميزان ٢/٢٠٣ .  
(٤) قال ابن حجر : متروك من الثامنة - ت ق - تقريب التهذيب ٧١ .  
(٥) قال الذهبى : كذبه ابن معين ديوان ٥٧ .  
(٦) قال ابن حجر : ضعيف من الثامنة - ت ق - تقريب التهذيب ٧١ .  
(٧) ميزان الاعتدال ١/٤٨٢ .  
(٨) قال البخارى : منكر الحديث التاريخ الكبير ٢/٢٨٨ .  
(٩) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك الحديث . ميزان الاعتدال ١/٥٨٧ .  
(١٠) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك . ميزان الاعتدال ١/٥٤٦ .

## باب الخاء

- ١٩٤ - خالد بن القاسم أبو الهيثم مدائني من الحفاظ . عن كعب بن سعيد وهشيم<sup>(١)</sup> .
- ١٩٥ - خالد بن الياس مدني . عن ربيعه بن أبي عبد الرحمن وهشام بن عروة<sup>(٢)</sup> .
- ١٩٦ - خالد العبدي بصري . أكثر روايته عن الحسن . متروك .
- ١٩٧ - خالد بن يزيد بن أبي مالك . شامي . عن أبيه . وأبوه من الثقات .
- ١٩٨ - خالد بن محدوج . أبو روح واسطي . عن أنس<sup>(٣)</sup> .
- ١٩٩ - خالد بن عمرو الأموي . كوفي . عن الثوري والناس من ولد سعيد بن العاص<sup>(٤)</sup> .
- ٢٠٠ - خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين . بصري عن أبيه عن جده .
- ٢٠١ - خليل بن دعلج . شامي . عن قتادة والحسين<sup>(٥)</sup> .
- ٢٠٢ - خارجه بن مصعب سرخسي عن العالم<sup>(٦)</sup> .
- ٢٠٣ - خصيب بن جحدر . بصري عن أبي صالح . وعمرو بن دينار والنعمان ابن نعيم لا يعرف إلا برواته .
- ٢٠٤ - خصيب عنه خالد بن اسماعيل . أبو الوليد المخزومي مدني .
- ٢٠٥ - خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت . مدني ضعيف .

---

(١) قال يعقوب بن شبويه : خالد المدائني صاحب حديث متقن . متروك الحديث . ميزان الاعتدال ١/٢٣٨ .  
(٢) قال ابن حجر : متروك الحديث من السابعة - ت ق - تقريب التهذيب ٨٧ .  
(٣) قال الذهبي : ديوان ٨٣ . ميزان الاعتدال ١/٦٤٢ .  
(٤) رماه ابن معين بالكذب من التاسعة - د ق - تقريب التهذيب ٨٩ .  
(٥) قال النسائي : ليس بثقة الضعفاء والمتروكون ٣٧ .  
(٦) قال النسائي : متروك الحديث الضعفاء والمتروكون ٣٧ .

## حرف الدال والذال

- ٢٠٦ - داود بن المحبر يضع بصرى كان ببغداد متروك .  
٢٠٧ - داود بن عبد الجبار أبو سليمان . كوفى . عن إبراهيم بن جرير وسلمه بن المجنون (١) .  
٢٠٨ - دجين بن ثابت أبو الغصن بصرى عن أسلم مولى عمر . وعن هشام بن عروه (٢) .  
٢٠٩ - دينار أبو سعيد عقيصا . كوفى عن على مناكير . رماه أبو بكر بن عياش بالكذب .  
٢١٠ - دهثم بن قران قدم المدينة عن يحيى بن أبى كثير ونحران لا يعرف الا به مجهول (٣) .  
٢١١ - درست بن زياد القشيرى . بصرى عن يزيد الرقاشى وابان بن طارق . لا يروى عنه غيره (٤) .  
٢١٢ - درست بن حمزة بصرى . عن مطر الوراق (٥) .  
٢١٣ - ذؤيب بن عمارة بن عمرو السهمى . عن مالك والمدنيين (٦) .

## حرف الراء

- ٢١٤ - ربيع بن بدر . ويقال عليلة بن بدر . بصرى عن الأعمش . ويونس بن عبيد . منكر الحديث . عن مالك والمدنيين (٧) .  
٢١٥ - ربيع بن حبيب . أخو عابد كوفى عن نوفل بن عبد الملك عن أبيه عن على .

(١) قال الذهبى : تركوه . ديوان ٩٢ .

(٢) قال الذهبى : بصرى لا يحتج به . ديوان ٩٥ .

(٣) قال ابن حجر : متروك من الثامنة - ق - تقريب التهذيب ٩٨ .

(٤) قال ابن حجر : ضعيف من الثامنة - دق - تقريب التهذيب ٩٧ .

(٥) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى . ديوان ٩٥ .

(٦) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى . ديوان ٩٨ .

(٧) قال الذهبى : تركه الدارقطنى وغيره ، ديوان ١٠٠ .



- ٢١٦ - فاما الربيع بن حبيب الرقاشى . فهو بصرى مقل يروى عن المصريين لا يترك<sup>(١)</sup> .
- ٢١٧ - ربيع بن سهل بن الدكين . كوفى عن سعيد بن عبيد . وعبد الله بن شريك العامرى .
- ٢١٨ - رشدين بن سعد أبو الحجاج . بصرى . ضعيف .
- ٢١٩ - رشدين بن كريب مدنى<sup>(٢)</sup> .
- ٢٢٠ - رشيد الهجرى . عن أبيه عن عبد الله بن عمرو<sup>(٣)</sup> .
- ٢٢١ - روح بن أسلم . أبو حاتم بصرى عن حماد بن سلمة .
- ٢٢٢ - روح بن عطاء بن أبى ميمونه عن أبيه .
- ٢٢٣ - روح بن مسافر . كوفى عن أبى إسحاق . وحبيب بن أبى ثابت . كناه لؤى . أبو المعطا .
- ٢٢٤ - روح بن غطيف جزرى . عن الزهرى . وعمرو بن مصعب الكوفى .
- ٢٢٥ - رباح بن عبيد الله بن عمر القرشى . قال بعضهم أبو بكر مدنى .
- ٢٢٦ - ركن بن عبد الله الشامى . عن مكحول . مقل .
- ٢٢٧ - رواد بن الجراح أبو عصام عسقلانى . عن الثورى وسعيد .

### حرف الزاي

- ٢٢٨ - زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . عن أبيه منكر الحديث .
- ٢٢٩ - زيد بن الحسن بصرى . يحدث عن مالك بن أنس بمنكير .
- ٢٣٠ - زيد بن جبيرة بن محمود بن أبى جبيرة الانصارى . عن أبيه لا يعرف أبوه إلا به . وعن داود بن الحصين<sup>(٤)</sup> .
- ٢٣١ - فهد بن عوف أبو ربيعة ويقال زيد . بصرى عن حماد بن سلمة<sup>(٥)</sup> .

(١) وثقه الإمام أحمد وابن معين ، ميزان الاعتدال ٤٠/٢ .

(٢) ميزان الاعتدال ٥١/٢ .

(٣) ميزان الاعتدال ٥١/٢ .

(٤) قال ابن حجر : متروك من الثامنة - ت ق - تقريب التهذيب ١١٢ .

(٥) قال الذهبى : زيد بن عوف ولقبه فهد . قال الدارقطنى ضعيف . ميزان الاعتدال ١٠٥/٢ .

- ٢٣٢ - زياد بن المنذر أبو الجارود . كوفي عن أبي الطفيل ، وأبي جعفر محمد بن علي (١) .
- ٢٣٣ - زياد بن أبي حسان . أبو عمار بصري عن أنس وعن عمر بن عبد العزيز (٢) .
- ٢٣٤ - زياد بن ميمون أبو عمار عن أنس (٣) .
- ٢٣٥ - زياد بن أبي زياد الجصاص عن الحسن وابن سيرين وأبي عثمان النهدي (٤) .
- ٢٣٦ - زياد بن المنذر . وإنما هو منذر بن زياد الطائي . بصري عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر حديث منكر وله أيضا مناكير (٥) .
- ٢٣٧ - زكريا بن حكيم الحبطي . كوفي عن الشعبي .
- ٢٣٨ - زكريا بن يحيى الكسائي . الكوفي عن يحيى بن سالم الأسدي . متروك أيضا .
- ٢٣٩ - زنفل أبو عبد الله العرنى . عن ابن أبي مليكة .
- ٢٤٠ - زبير بن سعيد الهاشمي النوفلي . مدني حمل عنه ابن المبارك وجريير بن حازم . يعتبر به بما رواه عن عبد الله بن علي بن زيد بن ركانه فأما ما يرويه عن محمد بن المنكدر فإنه يترك (٦) .

## حرف السين

- ٢٤١ - سلمة بن صالح الأحمر . كوفي سكن واسط وبغداد عن أبي إسحاق وحماد بن أبي سليمان . ومالك بن أوس الحدثاني (٧) .
- ٢٤٢ - سلمه بن وردان . مديني عن أنس (٨) .
- ٢٤٣ - سليمان بن عبد الله بن سليمان . أبو بكر الهذلي . بصري عن الحسن وابن سيرين .

- 
- (١) قال الإمام أحمد متروك . ديوان ١١٢ .
- (٢) قال الذهبي : تركه الجماعة . ديوان ١١١ .
- (٣) قال الذهبي : يقال له زياد بن أبي حسان وزياد بن أبي عمار هالك اعترف بالكذب . ديوان ١١٢ .
- (٤) قال الذهبي : تركوه ١١٢ .
- (٥) قال الذهبي : قال الدارقطني : منذر بن زياد الطائي ، متروك وهم فيه من قبله فقال زياد بن المنذر ، ميزان الاعتدال . ١٨١/٤ .
- (٦) قال ابن حجر : لين الحديث من السابعة - د ت ق - تقريب التهذيب ١٠٦ .
- (٧) قال الذهبي : تركوه ، ديوان ١٢٨ .
- (٨) قال ابن حجر : ضعيف من الخامسة - بخ ت ق - تقريب التهذيب ١٣١ ديوان ١١٦ .

- ٢٤٤ - سرى بن اسماعيل الكوفى . عن الشعبى . ضعفه يحيى القطان وغيره .  
 ٢٤٥ - سرى بن عاصم بغدادى . عن أيوب وحفص بن غياث . وغندر والناس (١)  
 ٢٤٦ - سليمان بن أرقم أبو معاذ . عن الزهرى وابن سيرين وقيل أن داود عن الزهرى  
 حديث الصدقات أنه هو .  
 ٢٤٧ - سليمان بن الحكم بن عوانه . واسطى . عن الأعمش .  
 ٢٤٨ - سليمان بن خالد واسطى . عن قتاده وطلحة بن مصرف . هو أخو العلاء بن  
 خالد والعلاء يعتبر به .  
 ٢٤٩ - سليمان بن داود الخولانى . عن الزهرى .  
 ٢٥٠ - سليمان بن داود أبو أيوب الشاذكونى . بصرى .  
 ٢٥١ - سليمان بن زيد أبو ادام . عن ابن أبى أوفى (٢) .  
 ٢٥٢ - سليمان بن سفيان مدينى . أبو سفيان . عن عبد الله بن دينار وبلال بن يحيى .  
 سمع منه أبو عامر العقدى ومعمار بن سليمان (٣) .  
 ٢٥٣ - سليمان بن سفيان الجهنى مداينى . عن قيس بن الربيع عن ورقاء (٤) .  
 ٢٥٤ - سليمان بن عمرو النخعى . أبو داود كوفى (٥) .  
 ٢٥٥ - سليمان بن يسير . أبو الصباح كوفى . عن النخعى والحكم وقيس بن رومى  
 وقال سليمان بن بشير (٦) .  
 ٢٥٦ - سليمان بن أبى سليمان القافلانى . أبو محمد بصرى . عن الحسن وابن سيرين  
 روى عنه عبيد الله بن موسى . فقال سليمان الخوزى (٧) .

---

(١) قال الذهبى : متهم ، ديوان ١١٦ .  
 (٢) قال ابن معين : ليس بثقه ، التاريخ ٢/٢٣١ .  
 (٣) قال ابن معين : ليس بثقه ، التاريخ ٢/٢٣١ .  
 (٤) قال الذهبى : ضعفه ، ديوان ١٣١ .  
 (٥) قال الذهبى : كذاب ، ديوان ١٣٢ .  
 (٦) ميزان الاعتدال ٢/٢٢٨ .  
 (٧) قال الذهبى : متروك الحديث بصرى مقل ، ميزان الاعتدال ٢/٢١٠ .

- ٢٥٧ - سالم بن عبد الأعلى أبو الفيض . كوفي عن نافع وغيره (١) .
- ٢٥٨ - سالم الخياط . عن الحسن وابن سيرين (٢) .
- ٢٥٩ - سليمان بن أبي سراج (٣) .
- ٢٦٠ - سلم بن سالم البلخي . عن عبيد الله بن عمر . وابن جريج والثوري (٤) .
- ٢٦١ - سليمان بن مسلم الخشاب . مكى . عن ابن جريج والمكيين (٥) .
- ٢٦٢ - سلام بن أبي خبزه بصرى . عن العالم
- ٢٦٣ - سلام بن سليمان وقيل ابن سلمان وقيل ابن سالم الطويل . المدائنى . متروك  
عن زيد العمى .
- ٢٦٤ - سعد بن طريف الاسكاف . كوفي عن عكرمه والاصبغ (٦) .
- ٢٦٥ - سعد بن سنان وقيل سنان بن سعد . عن أنس . روى عنه يزيد بن أبي  
حبيب (٧) .
- ٢٦٦ - سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبرى . أخو عبد الله (٨) .
- ٢٦٧ - سعيد بن سلام العطار . أبو الحسن بصرى نزل مكة عن الثورى والعالم (٩) .
- ٢٦٨ - سعيد بن سنان أبو مهدي . حمصى . عن أبي الزاهرية (١٠) .
- ٢٦٩ - سعيد بن زون بصرى . عن أنس (١١) .
- ٢٧٠ - سعيد بن زربى أبو معاوية بصرى . عن ابن سيرين وأبي المليح متروك .

- 
- (١) ميزان الاعتدال ١١٢/٢ .
- (٢) هو سالم بن عبد الله الخياط ، قال ابن حجر : صدوق سىء الحفظ من السادسة ، تقريب التهذيب ١١٥ .
- (٣) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى ، ديوان ١٣١
- (٤) ديوان ١٢٧ .
- (٥) ميزان الاعتدال ٢٢٣/٢ .
- (٦) ميزان الاعتدال ١٢٢/٢ .
- (٧) قال ابن حجر : صدوق له افراد من الخامسة - دت ق - تقريب التهذيب ١١٨ .
- (٨) قال ابن حجر : لين الحديث من الثامنة - ق - تقريب التهذيب ١١٨ .
- (٩) قال الذهبى : قال الإمام أحمد ، كذاب ، وتركه الدارقطنى ، ديوان ١٢١ .
- (١٠) قال الذهبى : هالك - ق - ديوان ١٢١ .
- (١١) سعيد بن زون بضم الزاى وسكون الواو وبعدها نون - ضعيف عندهم - ديوان ١٢٠ .

- ٢٧١ - سعيد بن عبد الجبار الحمصي . العطار . عن أبي بكر بن أبي مريم  
والحمصيين<sup>(١)</sup> .
- ٢٧٢ - سعيد بن واصل أبو عمرو والحري . ويقال أبو عمر بصرى عن شعبة<sup>(٢)</sup> .
- ٢٧٣ - سعيد بن راشد أبو محمد السماك المازني . بصرى عن عطاء والزهرى<sup>(٣)</sup> .
- ٢٧٤ - سهيل بن ذكوان واسطى . عن عائشة<sup>(٤)</sup> .
- ٢٧٥ - سكين بن عبد العزيز العطار . بصرى<sup>(٥)</sup> .
- ٢٧٦ - سوار بن مصعب<sup>(٦)</sup> .
- ٢٧٧ - سويد . أبو حاتم بصرى . عن قتادة<sup>(٧)</sup> .
- ٢٧٨ - سدیر بن حكيم الصيرفي . كوفي له مقاطيع .
- ٢٧٩ - سيف بن محمد بن أخت الثورى . كوفي عن الأعمش . وحصين  
والثورى<sup>(٨)</sup> .
- ٢٨٠ - سيف بن هارون البرجمي . عن اسماعيل بن أبي خالد . كوفي أخو سنان .  
وسنان يعتبر به<sup>(٩)</sup> .
- ٢٨١ - سيف بن عمر الأسيدى . كوفي عن العالم . الكوفيين والبصريين  
والحجازيين<sup>(١٠)</sup> .
- ٢٨٢ - سيف بن أبي المغيرة كوفي . عن مجالد وغيره<sup>(١١)</sup> .

---

(١) قال النسائي ليس بثقة الضعفاء والمتروكين ٥٢ .  
(٢) قال النسائي : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٥٤ .  
(٣) قال النسائي : متروك بصرى الضعفاء والمتروكين ٥٤ .  
(٤) قال الذهبي : متروك ، ديوان ١٣٧ .  
(٥) قال ابن حجر : صدوق يروى عن الضعفاء . تقريب التهذيب .  
(٦) قال أحمد والدارقطني : متروك ، ديوان ١٣٨ .  
(٧) هو سويد بن ابراهيم ، ميزان الاعتدال ٢/٢٤٧ .  
(٨) قال ابن حجر : كذبوه من صغار الثامنة - ت - تقريب التهذيب ١٤٢ .  
(٩) قال ابن حجر : ضعيف افحش ابن حبان القول فيه من صغار الثامنة ، تقريب التهذيب ١٤٢ .  
(١٠) قال ابن حجر : ضعيف في الحديث . عمدة في التاريخ ، تقريب التهذيب ١٤٢ .  
(١١) قال الذهبي : ضعفه الدارقطني ، ديوان ١٤٠ .

## حرف الشين

- ٢٨٣ - شبيب بن سليم بصرى . له مقاطع .  
٢٨٤ - شبيب بن شبيه أبو معمر الخطيب . بصرى . عن البصريين وهشام بن عروة<sup>(١)</sup> .

## حرف الصاد

- ٢٨٥ - صالح بن بشير المرى . رجل صالح قل ما يوافق فيما يرويه عن الحسن والجريرى .  
٢٨٦ - صالح بن حسان مدنى . عن محمد بن كعب القرظى . وعروة<sup>(٢)</sup> .  
٢٨٧ - صالح بن حبان . كوفى عن ابن بريده روى عنه زهير وسماه واصل وهم فى اسمه ليس بالقوى .  
٢٨٨ - صالح بن محمد بن زايده أبو قدامه الليثى . مدنى ضعيف .  
٢٨٩ - صالح بن موسى بن عبد الله الطلحى . كوفى عن منصور وعبد العزيز ابن ربيع وهشام وعبد الله بن الحسن بن الحسن أبو ثقة روى عنه أبو اسامة وعيسى بن داود .  
٢٩٠ - صالح بن أحمد بن مقاتل القيراطى . حدثونا عنه .  
٢٩١ - صلة بن سليمان واسطى . يترك حديثه عن ابن جريج وشعبة ويعتبر بحديثه عن اشعث بن عبد الملك الحمرانى .  
٢٩٢ - صالح بن سهل أبو سهل . كوفى سكن البصرة عن حصين بن عبد الرحمن ومحمد بن عمرو .  
٢٩٣ - صلت بن دينار . أبو شعيب المجنون بصرى متروك .  
٢٩٤ - صفذى بن سنان . بصرى اسمه عمر عن يونس وخالد<sup>(٣)</sup> .  
٢٩٥ - صدقة بن عبد الله السمين أبو معاوية شامى ضعيف .

(١) قال الذهبى : ضعفه ، ديوان ١٤٢ .  
(٢) قال الذهبى : ضعفه أبو حاتم والناس ، ديوان ١٤٧ .  
(٣) ميزان الاعتدال ٣١٦/٢ .

## باب الضاد والطاء

- ٢٩٦ - ضحاك بن حمزة واسطى سكن الشام (١) .  
 ٢٩٧ - ضحاك بن نبراس . بصرى . عن ثابت ويحيى بن أبى كثير (٢) .  
 ٢٩٨ - ضرار بن ضرر . أبو نعيم كوفى (٣) .  
 ٢٩٩ - ضرار بن عمرو . ببغداد والبصرة عن يزيد الرقاشى يروى عن بكر بن حبيش القاص متروك أيضا .  
 ٣٠٠ - طلحة بن عمرو . المكى عن عطاء وابن المنكدر (٤) .  
 ٣٠١ - طلحة بن زيد الشامى . عن الأوزاعى والوضين بن عطاء (٥) .  
 ٣٠٢ - طريف بن سليمان . أبو عاتكة . كوفى عن أنس (٦) .  
 ٣٠٣ - طريف بن عيسى جزرى (٧) .  
 ٣٠٤ - طريف بن عبيد الموصلى . حدث عنه الشافعى أبو بكر (٨) .  
 ٣٠٥ - طريف بن شهاب السعدى . أبو سفیان . ضعيف .

## حرف العسین

- ٣٠٦ - عبد الله بن زياد بن سمعان . مدنى متروك ، وسعيد بن سمعان ثقة تابعى مدنى .  
 ٣٠٧ - عبد الله بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى . أبو عباد مدنى وأخوه يحيى متروك .  
 ٣٠٨ - عبد الله بن مسلم بن هرمز . مكى . عن مجاهد وعطاء (٩) .

- 
- (١) قال الذهبى : يضع الحديث قاله الدارقطنى ، ديوان ١٥٢ .  
 (٢) قال النسائى : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٥٨ .  
 (٣) قال النسائى : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٥٩ .  
 (٤) قال النسائى : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٦٠ .  
 (٥) قال النسائى : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٦٠ .  
 (٦) قال النسائى : ليس بثقة ، الضعفاء والمتروكين ٦٠ .  
 (٧) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى ، ديوان ١٥٤ .  
 (٨) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى ، ديوان ١٥٤ .  
 (٩) قال ابن حجر : ضعيف من السادسة - يخ مد ت ق - تقريب التهذيب ١٨٩ .

- ٣٠٩ - عبد الله بن واقد . أبو قتادة الحراني (١) .
- ٣١٠ - عبد الله بن سلمة الأفطس . عن الأعمش وهشام (٢) .
- ٣١١ - عبد الله بن جعفر بن نجيح المدني . والد علي كثير المناكير .
- ٣١٢ - عبد الله بن ميسرة الكوفي عن الشعبي وإبراهيم بن أبي حره يكنية هشيم أبا إسحاق ، وأبو عبد الجليل وغيره يكنيه أبا ليلي (٣) .
- ٣١٣ - عبد الله بن عامر الأسلمي . مدني ضعيف .
- ٣١٤ - عبد الله بن بشير الشامي . عن عبد الله بن بسر وأبي كبشه صحابيان وقيل أن اسم أبي كبشه عمر بن سعيد .
- ٣١٥ - عبد الله بن حكيم أبو بكر الداھري . أصله بواسط عن هشام بن عروة (٤) .
- ٣١٦ - عبد الله بن محرر بصرى سكن الشام . عن الزهري وقتادة (٥) .
- ٣١٧ - عبد الله بن عبد القدوس . كوفي . سكن الري . عن الأعمش (٦) .
- ٣١٨ - عبد الله بن عمرو بن حسان الواقعي بصرى . يكذب عن شريك .
- ٣١٩ - عبد الله بن لهيعة بن عقبة وربما نسب إلى جده يعتبر بما يروى عنه العبادة ابن المبارك والمقرئ وابن وهب .
- ٣٢٠ - عبد الله بن مسور . أبو جعفر المدايني . يرسل عن النبي ﷺ وعن ابن مسعود وابن عباس .
- ٣٢١ - عبد الله بن محمد بن سنان الدوحى . متروك حدث بالدينور وولى قضاءها
- ٣٢٢ - عبد الله بن خراش كوفي عن العوام بن حوشب (٧) .
- ٣٢٣ - عبد الله بن حمدان بن وهب الدينورى . حدثونا عنه (٨) .

---

(١) قال ابن حجر : متروك من التاسعة ، تقريب التهذيب ١٩٣ .

(٢) قال النسائي متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٦٥ .

(٣) قال الذهبي : عبد الله بن ميسرة أبو ليلي وهو أبو إسحاق وأبو جرير وأبو عبد الجليل كناه هذه الأربعة هشيم يدلسه ، ميزان الاعتدال ٥١١/٢ .

(٤) ميزان الاعتدال ٤١٠/٢ .

(٥) قال ابن حجر : متروك من الثامنة - ق - تقريب التهذيب ١٨٧ .

(٦) صدوق رمى بالرفض وكان أيضا يخطئ من التاسعة - خت ت - تقريب التهذيب ١٨٠ .

(٧) ضعيف واطلق عليه ابن عمار الكذب .

(٨) قال الذهبي : متهم ، ميزان الاعتدال ٤١٢/٢ .



- ٣٢٤ - عبيد الله بن زحر. عن علي بن زيد نسخة باطلة .
- ٣٢٥ - عبيد الله بن الوليد الوصافي . كوفي عن عطية<sup>(١)</sup> .
- ٣٢٦ - عبيد الله بن تمام بن قيس . بصرى عن التيمى وداود بن أبى هند ويونس مقلوبه<sup>(٢)</sup> .
- ٣٢٧ - عبيد الله بن أبى حميد . وهو ابن غالب بصرى عن أبى المليلح<sup>(٣)</sup> .
- ٣٢٨ - عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عبد الرحمن بن عبد الله العمرى عن أبيه وعمه سعيد وأخوه القاسم . متروك .
- ٣٢٩ - عبد الرحمن بن قيس الزعفرانى . أبو معاوية بصرى خرج إلى نيسابور . عن شعبة والثورى وحميد ومحمد بن عمرو<sup>(٤)</sup> .
- ٣٣٠ - عبد الرحمن بن مالك بن مغول . كوفي عن أبيه وعبيد الله بن عمر<sup>(٥)</sup> .
- ٣٣١ - عبد الرحمن بن مسهر . أخو على بن مسهر عن أبى سعد البقال وهشام بن عروه . وأخوه ثقة .
- ٣٣٢ - عبد الرحمن بن يزيد بن تميم . شامى أبو أسامة يغلط في نسبه يروى عن الزهرى واسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر الدمشقى واسماعيل هذا ثقة .
- ٣٣٣ - عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى . ليس بالقوى .
- ٣٣٤ - عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث أبوشيبه<sup>(٦)</sup> واسطى عن النعمان بن سعد . عن أبيه . لا يعرف إلا به .
- ٣٣٥ - عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العزرمى . أخو إسحاق وإسحاق متروك أيضا ولهما أخ ثالث يسمى حسن له مقاطيع يعتبر به .
- ٣٣٦ - عبد الرحمن بن أبى المليكى . ابن أخى بن أبى مليكة عن ابن أبى مليكة والزهرى<sup>(٧)</sup> .

(١) قال الذهبى : ضعفه، ديوان ٢٠٦ .

(٢) ميزان الاعتدال ٤/٢ .

(٣) قال النسائى : متروك الحديث، الضعفاء والمتروكين ٦٧ .

(٤) قال النسائى : ضعيف مدنى، الضعفاء والمتروكين ٦٧ .

(٥) قال الذهبى : يأتى بالطامات، ديوان ١٩٠ .

(٦) قال ابن حجر : ضعيف - دت - تقريب التهذيب .

(٧) قال ابن حجر : ضعيف من السابعة - زق - تقريب التهذيب ١٩٩ .

٣٣٧ - عبد الرحمن بن إسحاق . يعرف بعباد . يرمى بالقدر ضعيف الحديث روى عن الزهري . روى عنه ابراهيم بن طهمان واسماء وعباد والبصريون رروا فقالوا عبد الرحمن بن إسحاق<sup>(١)</sup> .

٣٣٨ - عبد الرحيم بن زيد العمى . بصرى عن أبيه . أبوه صالح<sup>(٢)</sup> .

٣٣٩ - عبد الواحد بن زيد القاضي . بصرى عن الحسن وثابت<sup>(٣)</sup> .

٣٤٠ - عبد الواحد بن قيس .

٣٤١ - عبد الواحد بن ميمون . أبو حمزة مدنى . عن عروة<sup>(٤)</sup> .

٣٤٢ - عبد الوهاب بن مجاهد . مكى . عن أبيه وعطاء<sup>(٥)</sup> .

٣٤٣ - عبد الوهاب بن الضحاك العرضى . حمصى عن اسماعيل بن أبى عياش له

مقلوبات وبواطيل .

٣٤٤ - عبد الأعلى بن أبى المساور . كوفى عن حماد والشعبى<sup>(٦)</sup> .

٣٤٥ - عبد العزيز بن ابان . أبو خالد القرشى كوفى عن الثورى<sup>(٧)</sup> .

٣٤٦ - عبد العزيز بن عمران أبو ثابت الزهري مدنى<sup>(٨)</sup> .

٣٤٧ - عبد العزيز بن عبد الرحمن البالى عن خصيف<sup>(٩)</sup> .

٣٤٨ - عبد الحميد بن سليمان مدنى . أخو فليح عن أبى حازم وأخوه ثقة .

٣٤٩ - عبد الحميد بن الحسن الهلالى . كوفى حدث بالبصرة عن أبى إسحاق . وعبد

الملك بن عمير<sup>(١٠)</sup> .

٣٥٠ - عبد الصمد بن سليمان الواسطى . الأزرق ، ضعيف عن الضعفاء عن

سليمان بن أبى سراج وخصيب بن جحدر مترك .

---

(١) قال ابن حجر صدوق روى بالقدر من السادسة - خت يخ م ع - تقريب التهذيب ١٩٨ .

(٢) انظر تقريب التهذيب : ٢١٢ ، تهذيب التهذيب ٤٠٨/٣ .

(٣) انظر لسان الميزان ٨٠/٤ .

(٤) قال النسائى : ليس ثقة الضعفاء والمتر وكين ٦٩ .

(٥) قال النسائى : مترك الحديث الضعفاء والمتر وكين ٦٩ .

(٦) قال النسائى : مترك الحديث الضعفاء والمتر وكين ٧٠ .

(٧) قال النسائى : مترك الحديث الضعفاء والمتر وكين ٧٢ .

(٨) قال النسائى : مترك الحديث الضعفاء والمتر وكين ٧٢ .

(٩) قال النسائى : ليس بثقة الضعفاء والمتر وكين ٧٢ .

(١٠) قال ابن حجر : صدوق يخطىء من الثامنة - ت - تقريب التهذيب ١٩٦ .

- ٣٥١ - عبد الرزاق بن عمر. الشامي ضعيف .  
 ٣٥٢ - عبد الجبار بن عمر الايلي . ضعيف .  
 ٣٥٣ - عبد الغفار بن القاسم . أبو مريم كوفي ضعيف حدث عنه شعبة ولعله لم  
 يجزه .  
 ٣٥٤ - عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعيد . أبو الصباح الواسطي له عن أبي هاشم  
 الرماني نسخة .  
 ٣٥٥ - عبد الخالق بن زيد بن واقد دمشقي . عن أبيه وأبوه ثقة روى عن حزام بن  
 حكيم ومكحول (١) .  
 ٣٥٦ - عبد المنعم بن ادريس بن سنان . سكن بغداد عن أبيه وأبوه متروك عن وهب  
 ابن منبه (٢) .  
 ٣٥٧ - عبد المنعم بن نعيم أبو سعيد بصري رياحي . عن يحيى بن مسلم مجهول لا  
 يعرف إلا به وعن الأعمش (٣) .  
 ٣٥٨ - عبد الكريم بن أبي المخارق . أبو أمية البصري . عن نافع وابن سيرين  
 والحسن . يروى عنه ابن أبي ليلى . ويروى عنه وعن الجزري الثوري . وابن جريج يرويان  
 عنه وعن عبد الكريم الجزري (٤) .  
 ٣٥٩ - عبد الملك بن هارون بن عنتره الكوفي . روى عن حبيب بن أبي ثابت وأبي  
 إسحاق (٥) .  
 ٣٦٠ - عبد الملك بن حسين أبو مالك النخعي . عن البصريين والكوفيين .  
 ٣٦١ - عبد السلام بن أبي الجنوب . عن الزهري وخالد بن قدامة .  
 ٣٦٢ - عبد القدوس بن حبيب . شامي أبو سعيد عن الشعبي وعكرمة والحسن  
 والزهري (٦) .  
 ٣٦٣ - علاء بن زيدل . بصري عن أنس .

(١) قال النسائي : ليس بثقة ، ديوان ١٨٥ .

(٢) انظر ديوان ١٥ - ٢٠١ .

(٣) قال الذهبي : مقل ضعفه الدارقطني ، ديوان ٢٠١ .

(٤) قال ابن حجر : عبد الكريم بن أبي المخارق ضعيف من السادسة وقد شارك الجزري في بعض المشايخ فربما التبس به على

من لا فهم له ، تقريب التهذيب ٢١٧ .

(٥) قال الذهبي : تركوه ، ديوان ٢٠١ .

(٦) قال الذهبي : متروك لقي التابعين ، ديوان ١٩٧ .

- ٣٦٤ - علاء بن زيد . أيضا . متروك من أهل البصرة .
- ٣٦٥ - عمر بن هارون البلخي . ضعيف .
- ٣٦٦ - عمر بن رباح الضرير بصري . ويقال عمر بن أبي عمر عن ابن طاوس وهشام بن عروة<sup>(١)</sup> .
- ٣٦٧ - عمر بن حفص أبو حفص بصري . عن ثابت ويزيد الرقاشي .
- ٣٦٨ - عمر بن اسماعيل بن مجالد . بغدادى عن أبيه وأبى معاوية ويحيى الأموى .
- ٣٦٩ - عمر بن موسى بن وجيه الوجيهي . كوفى عن أبى الزبير وأبى إسحاق وقتادة يروى عنه يحيى بن يعلى الاسلمى . فيقول : عن عبيد الله بن موسى وقيل انه عمر هذا<sup>(٢)</sup> .
- ٣٧٠ - عمر بن سعيد أبو حفص الدمشقى . عن سعيد بن عبد العزيز وسعيد بن بشير بواطيل .
- ٣٧١ - عمر بن صالح بن أبى الزاهرية واسطى عن أبى حمزة .
- ٣٧٢ - عمر بن غياث وقيل عمرو كوفى . عن عاصم وعبد الملك بن عمير<sup>(٣)</sup> .
- ٣٧٣ - عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفى . عن أبيه عن جده وأبوه لا يعرف إلا به ، وروى أيضا عن زياد بن علاقه عن المنهال بن عمرو<sup>(٤)</sup> .
- ٣٧٤ - عمر بن محمد بن صهبان . مدنى عن الزهرى وأبى حازم<sup>(٥)</sup> .
- ٣٧٥ - عمر بن قيس . سندل مكى . عن الزهرى وعطاء وعمرو بن دينار .
- ٣٧٦ - عمر بن راشد اليمامى . عن يحيى بن أبى كثير .
- ٣٧٧ - عمير بن عمران الحنفى . عن علاء بن خالد والعلاء يعتبر به .
- ٣٧٨ - عمارة بن جوين . أبو هارون العبدى متلون خارجى وشيعى يصلح أن يعتبر له بما يرويه عنه الثورى والحمادان<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر ميزان الاعتدال ١٩٧/٣ .

(٢) انظر ميزان الاعتدال ٢٢٤/٢ .

(٣) انظر ميزان الاعتدال ٢١٦/٢ .

(٤) قال الذهبى : قال الدارقطنى ، متروك ، ميزان الاعتدال ٢١١/٣ .

(٥) قال الذهبى : قلت هو عمر بن صهبان نسب إلى جده ، ميزان الاعتدال ٢٢٠/٣ .

(٦) قال الذهبى : قال الدارقطنى ، متلون خارجى وشيعى فيعتبر بما روى عنه الثورى ، ميزان الاعتدال ١٧٣/٣ .

- ٣٧٩ - عمارة بن زاذان الصيدلاني . بصرى عن ثابت وأبى غالب جزور<sup>(١)</sup> .  
 ٣٨٠ - عباد بن جويريه بصرى . عن الأوزاعى .  
 ٣٨١ - عباد بن كثير بصرى . نزل مكة عن الحسين .  
 ٣٨٢ - عباد بن كثير . رملى فلسطينى . عن البصريين وعن قتيلة عن ابنها .  
 ٣٨٣ - عمرو بن جابر أبو زرعة . مصرى تابعى عن جابر .  
 ٣٨٤ - عمرو بن جميع . كوفى . وكان بحلوان .  
 ٣٨٥ - عمرو بن عطية العوفى . ضعيف .  
 ٣٨٦ - عمرو بن أبى روق<sup>(٢)</sup> .  
 ٣٨٧ - عطيه بن الحارث . ضعيف .  
 ٣٨٨ - عمرو بن الحصين العقيلى . متروك عن الأعمش ويحى بن سعيد وابن

جريح .

- ٣٨٩ - عمرو بن زياد الثوبانى . يضع الحديث .  
 ٣٩٠ - عمرو بن عثمان الكلابى . ضعيف .  
 ٣٩١ - عمرو بن واقد دمشقى . عن عمر بن يزيد البصرى ويونس بن مسرة<sup>(٣)</sup> .  
 ٣٩٢ - عمرو بن الأزهر بصرى . قاضى جرجان كذاب . عن البصريين .  
 ٣٩٣ - عبيد بن القاسم كوفى ضعيف .  
 ٣٩٤ - عبيد بن إسحاق العطار . كوفى ضعيف .  
 ٣٩٥ - عمرو بن جرير أبو سعيد البجلي . كوفى . عن محمد بن عمرو واسماعيل بن

أبى خالد<sup>(٤)</sup> .

- ٣٩٦ - عمرو بن قائد بصرى . قد روى عن بصريين ومكيين ومدنيين .  
 ٣٩٧ - عمرو بن شمر أبو عبد الله . كوفى . عن جابر وعن جعفر بن محمد .  
 ٣٩٨ - عمرو بن عبيد أبو عثمان . بصرى عن الحسن .

(١) قال الإمام أحمد : كذاب ، ديوان ١٦٠ .

(٢) قال الذهبى : اسم أبيه عطيه ضعفه الدارقطنى ، ديوان ٢٣٥ .

(٣) قال ابن حجر : متروك من السادسة - دق - تقريب التهذيب ٢٦٣ .

(٤) قال الذهبى : متهم واه ، ديوان ٢٣٤ .

- ٣٩٩ - عمرو بن ثابت بن هرمز. أبو المقدام. كوفي (١).
- ٤٠٠ - عمرو بن خالد أبو خالد الواسطي. كذاب. عن أبي هاشم الرماني وزيد بن علي.
- ٤٠١ - عثمان بن عبد الرحمن يعرف بالوقاصي مدني. عن الزهري وابن أبي مليكة.
- ٤٠٢ - عثمان بن مقسم البري بصري. أبو سلمه عن يحيى بن سعيد وهشام بن عروة (٢).
- ٤٠٣ - عثمان بن عمير أبو اليقظان. كوفي. عن أبي الطفيل وسعيد بن جبير.
- ٤٠٤ - عثمان بن مطر بصري. عن ثابت.
- ٤٠٥ - علي بن يزيد الدمشقي. أبو عبد الملك بن القاسم.
- ٤٠٦ - علي بن أبي علي اللهبي. مكى. عن ابن المنكدر وجعفر بن محمد والزهرى.
- ٤٠٧ - علي بن حزور. وهو ابن أبي فاطمة. كوفي عن أصبغ بن نباته وأبي مریم الحنفى (٣).
- ٤٠٨ - علي بن ظبيان. كوفي عن عبيد الله بن عمر وأبي حنيفة.
- ٤٠٩ - عاصم بن سليمان الكوزى. بصري كذاب. عن هشام وغيره.
- ٤١٠ - عيسى بن أبي عيسى الحنات. مدني. عن الشعبي وأخوه موسى بن أبي عيسى صالح الحديث واسم أبي عيسى ميسره (٤).
- ٤١١ - عيسى بن ميمون. عن القاسم بن محمد وهشام بن عروه.
- ٤١٢ - فأما عيسى بن ميمون المكي. فهو ثقة يعرف بابن دايه يروى عن ابن أبي نجيج سكن البصرة.
- ٤١٣ - عيسى بن قرطاس. كوفي عن عكرمه والنخعي.
- ٤١٤ - عيسى بن هاشم البري. أبو معاوية.
- ٤١٥ - عيسى بن المسيب. كوفي. عن عطية والشعبي.

(١) قال الذهبي : تركوه، ديوان ٢٣٤ .

(٢) قال الذهبي : كذبه جماعة ديوان ٢١١ .

(٣) قال الذهبي : قال الدارقطني ضعيف، ويقال له علي بن أبي فاطمة يدللس بذلك، ميزان الاعتدال ١١٨/٣ .

(٤) قال الذهبي : عيسى بن أبي عيسى ميسرة المدني الحنات وهو الخياط. والخياط، ميزان الاعتدال ٣٢٠/٣ .

- ٤١٦ - عيسى بن مهران المستعطف . بغدادى . رجل سوء ومذهب سوء . روى عنه ابن جرير الطبرى (١) .
- ٤١٧ - عنيسة بن سعيد أخو الربيع السمان اشعث بن سعيد . ضعيف . عن الزهرى .
- ٤١٨ - عيسى بن ميمون بصرى . أبو عبيدة عن يزيد الرقاشى ويحيى بن أبى كثير .
- ٤١٩ - عنيسة بن عبد الرحمن القرشى . أظنه بغدادى عن زيد بن أسلم وعبد الله بن نافع .
- ٤٢٠ - عقبه بن عبد الله الرفاعى . الاصم بصرى عن عطاء بن أبى رباح والحسن .
- ٤٢١ - عطاء بن عجلان بصرى . عن أنس وأبى ضمرة (٢) .
- ٤٢٢ - عباس بن بكار الضبى بصرى . كذاب .
- ٤٢٣ - عباس بن الفضل الانصارى موصلى . ضعيف .
- ٤٢٤ - عطاف بن خالد المخزومى مدنى . ضعيف (٣) .



(١) قال الخطيب : كان من شياطين الرافضة ومردتهم وقع إلى كتاب من تصنيفه فى الطعن على الصحابة وتضليلهم واكفارهم وتفسيقهم فوالله لقد وقف شعرى عند نظرى فيه ، وعظم تعجبنى مما أودع ذلك الكتاب من الاحاديث الموضوعه . تاريخ بغداد ١٦٧/١١ .

(٢) قال الذهبى : قال الدارقطنى . ضعيف لا يعتبر به وقال مرة متروك ، ميزان الاعتدال ٧٥/٣ .

(٣) فى أصل المخطوط عطاف بن خالد العزرمى ، والتصويب من كتب الرجال ، انظر ميزان الاعتدال ٦٩/٣ ، تقريب التهذيب ٢٤٠ .

## المروءة

قدم وفد على معاوية فقال لهم :

ما تعدون المروءة؟

قالوا :

العفاف وإصلاح المعيشة .

وقيل للأحنف :

ما المروءة؟

قال :

العفة، والحرفة .

وقال :

لا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لبخيل، ولا ورع لسيء الخلق .

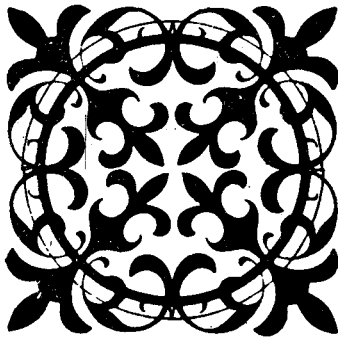
وقال العتبي عن أبيه :

لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس :

أن يكون عالما، صادقا، عاقلا، ذا بيان، مستغنيا عن الناس .

وقال الشاعر :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففى صالح الأعمال نفسك فاجعل









# رسائل لم يحملها البريد

صنّف جبر الروف اللبدي  
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

أختي العزيزة هل :

في رسائل التسع السابقة كان حديثي إليك عن همزة الاستفهام الداخلة على «لم» النافية الجازمة للفعل المضارع، وقد انتهى ذلك الحديث واكتمل، أما في رسالتي العاشرة هذه فسوف أحدثك عن شيء جديد هو حالي مع لا النافية للفعل المضارع .

لقد جئت أنا همزة الاستفهام مع لا النافية هذه على صور متعددة وصيغ مختلفة كان أكثرها وروداً ﴿أفلا تعقلون﴾ ، فقد جاءت هذه الصيغة في أربع عشرة آية من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ الآية (٤٤) من سورة البقرة .

وقد نزلت هذه الآية في أحبار اليهود من زمن الرسول ﷺ ، كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وعمل الخير واتباع ما جاء في التوراة - وفيها صفة الرسول ﷺ والأمر بتصديقه - ثم هم لا يتبعون ما جاء فيها، مع أنهم يقرءونها ويعلمون ما اشتملت عليه .

وفي هذه الآية ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك الأحبار ويوبخهم وينعى عليهم أن يجمعوا بين هاتين الحالتين : أن يأمروا الناس بالبر وأن يتركوا هم أنفسهم فعله، مع أنهم يتلون التوراة وفيها النهي عن هذا الوصف الذميمة، غير أن معنى الإنكار والتوبيخ عام يشمل كل ما يسلك سبيل أولئك الأحبار فيخالف عمله قوله : يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويأتيه .

وقد ختمت هذه الآية بقوله تعالى ﴿أفلا تعقلون﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع ، يخاطب الله سبحانه وتعالى به أحبار اليهود أولئك، وينكر عليهم انتفاء العقل عنهم وقبح إدراكهم وسوء تفكيرهم، ويوبخهم على ذلك ويقرع . إذ لو كان فيهم إدراك سليم وفهم مستقيم لمنعهم ذلك من قبح ما ارتكبوه من أمر غيرهم بالبر وإمساك أنفسهم

عنه، فحالمهم هذه حال من سلب عقله، لأن العاقل يسعى أولاً إلى تحصيل الخير لنفسه، ثم بعد ذلك إلى تحصيل الخير لغيره .

الآية الثانية قوله تعالى ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الآية (٧٦) من سورة البقرة .

تبين هذه الآية الكريمة أن منافقِي اليهود في المدينة زمن الرسول ﷺ كانوا يقولون للذين آمنوا إذا لاقوهم قد آمنوا بما أمتم به، ويذكرون لهم أن سبب إيمانهم ما وجدوه في التوراة من نعت النبي ﷺ والتبشير به، وإذا خلا اليهود بعضهم إلى بعض بعيداً عن المؤمنين أخذ الفريق الذي لم يؤمن ولم يوافق ينكر على الفريق الآخر المناق أن يحدثوا المؤمنين بأن التوراة قد ذكرت صفة النبي ﷺ وبشرت به، لأن عاقبة ذلك أن يكون للمؤمنين في هذا الحديث حجة عليهم عند ربهم، ثم يخطمون إنكارهم قائلين لهم ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكرون عليهم عدم التعقل ويوبخونهم على غروب الفهم السليم عنهم ﴿ فيما يزعمون ﴾ ، ويقرعونهم على انتفاء الإدراك القويم ﴿ فيما يظنون ﴾ ، إذ لو كان لديهم بصرف في الأمور وحسن إدراك للعواقب ما حدثوا ذلك الحديث الذي يكون حجة للمؤمنين على المنافقين عند الله يوم يقوم الحساب .

الآية الثالثة قوله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الآية (٦٥) من سورة آل عمران .

جاء في تفسير ابن كثير : ( ج ١ ص ٣٧٢ ) : عن ابن عباس رضی الله عنه قال : اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله ﷺ ، فتنازعوا عنده . فقالت الأخبار ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانياً، فأنزل الله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ . . . الآية . أى كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهودياً وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى، وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانياً وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر، ولهذا قال ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ . اهـ ماجاء في تفسير ابن كثير .

فهذا الاستفهام ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك اليهود والنصارى ادعاء كل منهم أن إبراهيم عليه السلام كان على شريعته، والحال أن شريعتيهما متأخرتان عنه في الوجود، فكيف يكون إبراهيم على إحداهما مع تقدمه عليهما .

وهو أيضا استفهام توبيخ على ذلك الادعاء، لأنه ادعاء من لا يعقل، إذ أن العقل يمنع من ذلك لاستحالته، فما هو إلا غلط وخلط ومكابرة .

الآية الرابعة قوله تعالى : ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب وهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ الآية (٣٢) من سورة الأنعام .

﴿أفلا تعقلون﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله جل وعلا على المكذبين بالبعث القائلين ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾ ويوبخهم على انتفاء العقل عنهم وعدم التدبر والتفكير في حال الدنيا وحال الآخرة :

في أن الحياة الدنيا لعب وهو، ليس لها نفع يدوم، وليس من ورائها طائل، فالانصراف إلى اللعب واللهو فيها اشتغال بما لاغنى فيه ولا فائدة من ورائه .

وفي أن الحياة الآخرة هي خير للذين يتقون الله بطاعته واجتناب معاصيه، فالآخرة هي التي تدوم وتبقى، لا يدركها فناء ولا موت، فالاشتغال بأعمالها والانصراف إلى ما ينفع فيها هو ما يقتضيه العقل السليم والنظر الثاقب .

الآية الخامسة في قوله تعالى : ﴿وقطعناهم في الأرض أما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون (١٦٨)﴾ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يأخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ - الآيتان (١٦٨-١٦٩) من سورة الأعراف .

تقدم ما تضمنته هاتان الآيتان الكريمتان في الرسالة التاسعة عند بيان معنى الاستفهام في قوله تعالى ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب﴾ . . . الآية .

أما الاستفهام الذي جاء في قوله تعالى : ﴿أفلا تعقلون﴾ فهو استفهام إنكار وتوبيخ لهؤلاء الخلف من اليهود الذين ورثوا التوراة عن أسلافهم يأخذون العرض الأدنى والرشا الخسيسة على أحكامهم المخالفة لما جاء في التوراة ويقولون سيغفر لنا الله .

إنكار وتوبيخ لهم أن لم يدركوا أن ما عند الله في الدار الآخرة خير للذين يتقون ربهم فيحكمون بين الناس بالعدل ، خير لهم من هذا العرض الأدنى والرشا الخسيسة التي يستعجلونها في هذه الدنيا بالحكم على خلاف ما أمر الله ، والقضاء بين الناس بالكذب المفترى على التوراة .

الآية السادسة في قوله تعالى : ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما

يوحى إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم (١٥) قل لو شاء الله ما تلوته عليكم  
ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ﴿ (١٦) - الآيتان (١٥ - ١٦) من  
سورة يونس .

تتضمن الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين أن كفار قريش الذين لا يؤمنون  
بالبعث كانوا يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم حين يتلو عليهم آيات من القرآن  
واضحات نيرات ليس فيها لبس ولا غموض ، كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا القرآن  
الذي تتلوه علينا أو بدل بعض آياته وغير من أنماطه ، فيقول لهم الرسول ﷺ لا أستطيع أن  
أفعل ذلك من قبل نفسي ، فأنا لا أتبع إلا ما يوحى إليّ من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل  
ولا تحريف ولا افتراء ، أنا عبدٌ مأمورٌ مبلغٌ ، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم .  
وفي الآية الثانية أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن يقول لهؤلاء الكفار محتجا عليهم  
موبخا لهم : لو شاء ربي ما تلوت هذا القرآن عليكم ولا أعلمكم به على لساني ، فأنا أتلوه  
عليكم بمشيئته تعالى ، فما هذا التكذيب الذي تكذبون ، لقد لبثت فيكم من قبل هذا  
أربعين سنة أو تزيد ، تشهدون لي بالأمانة والصدق ، لم تأخذوا عليّ نقیصة ولا  
غمصاً ، فكيف أصبح فجاءة كاذبا على الله بهذا القرآن . لقد ضاعت عقولكم ، وسقم  
فهمكم ، وساء تفكيركم ، وضل عنكم الهدى والرأى أيها المكذبون .

فلا استفهام في قوله تعالى : ﴿ أفلا تعقلون ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله  
سبحانه وتعالى على أولئك المشركين ويوبخهم على أن لم يعقلوا أن من لبث فيهم عمراً  
طويلاً لم يأخذوا عليه نقیصة ، ولم يرتكب فيهم إثماً ، ولم يأت شيئاً من هذا اللهو والعبث - لا  
يمكن بعد هذا أن يفترى على الله الكذب ، وأن يدعى أنه رسول ، وأن يجيء بهذا القرآن  
العظيم من عنده .

الآية السابعة في قوله تعالى : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم  
من إله غيره إن أنتم إلا مفترون (٥٠) يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الذى  
فطرني أفلا تعقلون ﴾ . (٥١) - الآيتان (٥٠ - ٥١) من سورة هود .

﴿ أفلا تعقلون ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر هودٌ عليه السلام على قومه ويوبخهم  
أن لا يعقلوا أن من ينصح قومه وهم أقرب الناس إليه لا يبتغى من وراء ذلك أجراً منهم ،  
وإنما يبتغى ثواباً من عند الله الذى خلقه - ينبغى أن يصدقوه حين ينصح لهم أن ينبذوا  
الأصنام ، وأن يستجيبوا إلى ما يدعوهم إليه من عبادة الله وحده ، وأن يؤمنوا بأنه رسول الله  
إليهم .

الآية الثامنة قوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾ . الآية (١٠٩) من سورة الكهف .

تتضمن هذه الآية الكريمة : وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى ، فلم يكونوا نساء ولا ملائكة ولا أعرابا ، فإرسالنا إياك ليس بدعا بين الرسل . ثم ينكر الله سبحانه وتعالى على المكذبين بمحمد ﷺ ويوبخهم على أن لم يسيروا في الأرض فينظروا الدمار والهلاك والعذاب الذى حل بالأمم التى كذبت الرسل ، فيعتبروا ويؤمنوا وينالوا بإيمانهم نعيم الآخرة الذى هو خير وأبقى .

وفى ختام هذه الآية يقول جل وعلا ﴿أفلا تعقلون﴾ ، وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك المكذبين ويوبخهم على أن لم يكن لهم عقول تتدبر وتفكر ، وتنظر فى عواقب الأمور وتبصر ، فترى كيف كان عاقبة المكذبين بالرسل من قبل ، فتؤمن بدل أن تكفر ، وتصدق برسول الله ﷺ بدل أن تكذب هذا التكذيب القائم على الجهل والعناد وسوء الفهم وضياح العقل السليم .

الآية التاسعة قوله تعالى : ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ الآية (١٠) من سورة الأنبياء .

﴿أفلا تعقلون﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على كفار قريش ويوبخهم على إغفالهم التعقل والتفكير وتركهم النظر والتدبر فيما جاء فى هذا القرآن العظيم الذى أنزله جل وعلا إليهم وفيه موعظة وتذكرة لهم .

الآية العاشرة فى قوله تعالى : ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم﴾ (٦٦) أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ . (٦٧) الأيتان : (٦٦) - (٦٧) من سورة الأنبياء .

تتضمن هاتان الأيتان الكريمتان أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه الذين يعبدون الأصنام موبخا لهم : أتعبدون أصناما لا تستطيع أن تأتى بشيء من الخير ، ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها ولا عنكم شيئا من الضر ، وتركون عبادة الله القادر على كل شيء ؟ ! . ثم أظهر تضجره منهم ومن أصنامهم فقال : قبحاً لكم ولهذه الأصنام التى تعبدونها من دون الله ، وختم قوله بهذا الاستفهام ﴿أفلا تعقلون﴾ ، وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر عليهم ويوبخهم ألا يعقلوا ويفهموا قبح ما يفعلون ، قبح عبادة أصنام لا تعقل ولا

تملك القدرة على القول، ولا تستطيع أن تجلب لهم أولئفسها الخير، ولا أن تدفع عن نفسها أوعنهم الشر، وقبح ترك عبادة الخالق الرازق القادر على كل شىء .  
الآية الحادية عشرة فى قوله تعالى : ﴿وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون (٧٨) وهو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون (٧٩) وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾ . الآيات (٧٨ - ٨٠) من سورة المؤمنون .

تتضمن هذه الآيات الكريمة الثلاث أن الله جل وعلا قد أنشأ للناس السمع والأبصار والأفئدة، وجعل فيها من المنافع الدينية والديوية ما يفوق العدّ والوصف، فهى من أعظم النعم التى أنعمها الله تعالى على عباده، فكان حقاً عليهم أن يعملوا هذه الأعضاء فيما خلقها الله جل وعلا من أجله، فيسمعوا آياته التى تسمع، ويبصروا آياته التى تبصر، ويستدلوا بقلوبهم على أن الذى خلق هذه الآيات كلها واحد لا شريك له، فيشكروا له عز وجل هذه النعم ومن شكر النعم الإقرار بالمنعم بها ونفى الند والشريك له، ولكن الناس قليلا ما يشكرون الله تعالى وهو الذى خلقهم فى هذه الأرض وبثهم فيها وإليه يرجعون ليجازيهم على أعمالهم . وهو الذى يحيى ويميت، وهو الذى جعل الليل والنهار يتعاقبان فى دقة وإحكام، ويختلفان على تقدير وانتظام، وفى ذلك عبرة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا .  
وفى ختام هذه الآيات قال تعالى ﴿أفلا تعقلون﴾، وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على هؤلاء الناس الذين لا يؤمنون، ينكر عليهم ألا يكون عندهم عقل يفكر وينظر ويستبصر وقلب يفقه، ويوبخهم على أن لم يتدبروا آيات الله التى يسمعون، وآياته التى يبصرون، ومنها آية الليل ليسكنوا فيه وآية النهار المبصر ليبتغوا فيه من فضله، يتعاقبان بدقة ويختلفان بانتظام، ويتواليان بحساب فلا خلل ولا اضطراب، يوبخهم على أن لم يتدبروا ذلك فيدركوا أن الله الذى خلق هذه الآيات وهو الذى يحيى ويميت هو الواحد الذى لا شريك له، وهو القادر على أن يعيد الحياة مرة ثانية إلى من أماته بعد إحيائه أول مرة .

الآية الثانية عشرة قوله تعالى : ﴿وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾ . الآية (٦٠) من سورة القصص .  
تتضمن هذه الآية الكريمة أن ما تُعطونه أيها الناس من أشياء حسنة طيبة تفرحون بها وتستمتعون، وأشياء جميلة تتخذونها زينة لكم تتباهون بها وتفخرون، أمدها قليل لا يطول ولا يعمر وسرعان ما تولى وتدبر .



أما ما عند الله من الثواب الذى أعده لعباده المؤمنين فهو الدائم الباقي لا يفنى ولا يندثر .

وقوله تعالى فى ختام هذه الآية ﴿أفلا تعقلون﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر عليهم ويوبخهم أن لم يعقلوا ويدركوا أن نعيم الآخرة الذى لا انقضاء له ولا فوت ، ولا فناء معه ولا موت ، خير لهم من طيبات هذه الحياة الدنيا وزينتها ، تلك التى لا تدوم لهم ولا يدومون لها . فأين العقول السليمة التى تحسن الاختيار ، فتؤثر نعيم دار القرار على نعيم دار الزوال .

الآية الثالثة عشرة فى قوله تعالى : ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون (٦٦) ولو نشاء لمسخناهم على مكائهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون (٦٧) ومن عمره نكسه فى الخلق أفلا يعقلون﴾ . الآيات (٦٦ - ٦٨) من سورة ياسين . تتضمن هذه الآيات الكريمة الثلاث أن الله سبحانه وتعالى لو يشاء أن يعمى الكافرين جزاء كفرهم لأعماهم فما استطاعوا أن يبصروا الطريق الذى يريدون ولا الجهة التى يسلكون .

ولو يشاء أن يقعدهم فى مساكنهم وأن يفقدهم قواهم فى منازلهم جزاء كفرهم لفعل ، فما استطاعوا ذهاباً إلى أمام ولا رجوعاً إلى خلف . ولكنه سبحانه وتعالى لم يشأ أن يطمس على أعينهم ولا أن يمسخهم على مكائهم رحمة منه تعالى بهم وإمهالا لهم .

وتتضمن أيضاً أن كل من يطيل الله عمره ينكسه فى الخلق فيرده بعد أن بلغ أشده إلى حال شبيهة بحال الطفولة فى ضعف البنية وقلة التمييز والإدراك فلا يعلم من بعد علم شيئاً .

وفى ختام الآية الثالثة قال تعالى ﴿أفلا يعقلون﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على هؤلاء الكافرين ويوبخهم أن لم يعقلوا ويدركوا أن الله القادر على أن ينكس العمر فى الخلق قادر - لو يشاء - أن يطمس على أعينهم وأن يمسخهم على مكائهم جزاء كفرهم ، فالله على كل شىء قدير .

الآية الرابعة عشرة فى قوله تعالى : ﴿وإن لوطا لمن المرسلين (١٣٣) إذ نجيناه وأهله أجمعين (١٣٤) ؛ إلا عجوزا فى الغابرين (١٣٥) ثم دمرنا الآخرين (١٣٦) وإنكم لتمرون عليهم مصبحين (١٣٧) وبالليل أفلا يعقلون﴾ (١٣٨) . الآيات (١٣٣ - ١٣٨) من سورة الصافات .

قوله تعالى ﴿أفلا تعقلون﴾ استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على كفار مكة ويوبخهم أن يغرب عنهم العقل وأن يغيب عنهم التدبر والتفكير وإنهم ليمرون على ديار قوم لوط ليلا ونهارا وهم في طريقهم إلى الشام للتجارة، فلا يعتبرون بتدمير تلك الديار على أهلها قوم لوط جزاء كفرهم وتكذيبهم رسولهم، وانغماسهم في المعاصي الخبيثة التي كانوا يفعلون .

أختى العزيزة هل :

أكتفى بهذا الذي كتبت من هذه الرسالة، وأسأله تعالى أن يعين على رسالة قادمة يكون فيها الخير والنفع والسداد .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

أختك

همزة الاستفهام

### المراجع

١ - البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي - الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض ج ١ ص ١٨٢ / ج ١ ص ٢٧٢ / ج ٢ ص ٤٨٤ / ج ٤ ص ١٠٨ / ج ٤ ص ٤١٧ / ج ٥ ص ١٣١ / ج ٥ ص ٢٣٢ / ج ٥/٣٥٢ / ج ٦ ص ٢٩٩ / ج ٦ ص ٣٣٦ / ج ٦ ص ٤١٧ / ج ٧ ص ١٢٧ / ج ٧ ص ٣٤٥ / ج ٧ ص ٣٧٤

٢ - تفسير أبي جعفر بن جرير الطبري - الناشر : شركة الحلبي بمصر - الطبعة الثالثة : ج ١ ص ٢٥٨ / ج ١ ص ٣٧٢ / ج ٣ ص ٣٠٤ / ج ٧ ص ١٨٠ / ج ٩ ص ١٠٧ / ج ١١ ص ٩٥ / ج ١٢ ص ٥٧ / ج ١٣ ص ٨٠ / ج ١٧ ص ٤٢ / ج ١٨ ص ٤٦ / ج ٢٠ ص ٩٦ / ج ٢٣ ص ٢٥ / ج ٢٣ ص ٩٧ .

٣ - تفسير أبي السعود - الناشر : مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد - القاهرة : ج ١ ص ٩٧ / ج ١ ص ١١٧ / ج ٣ ص ١٢٥ / ج ٣ ص ٢٢٨ / ج ٤ ص ١٢٨ / ج ٤ ص ٤٠٤ / ج ٦ ص ٧٦ / ج ٦ ص ١٤٦ / ج ٧ ص ٢٠ / ج ٧ ص ١٧٧ / ج ٧ ص ٢٠٥ .

٤ - الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين - الناشر : الحلبي

بمصر :

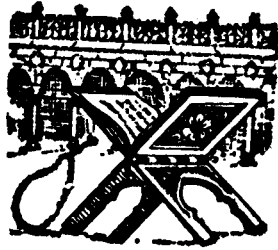
ج ١ ص ٤٧ / ج ١ ص ٦٨ / ج ٢ ص ٢٢ / ج ٢ ص ٢٠٦ / ج ٢ ص ٣٣٨ / ج ٢ ص ٤٨٧ / ج ٣ ص ١٢١ / ج ٣ ص ١٤٦ / ج ٣ ص ٥٥٢ .

٥ - تفسير ابن كثير - الناشر : الحلبي بمصر :

ج ١ ص ٣٧٢ / ج ٢ ص ٢٦٠ / ج ٢ ص ٣٣٨ / ج ٣ ص ٢٥١ / ج ٤ ص ٢٠ .

٦ - تفسير الكشاف للزمخشري - الناشر : الحلبي بمصر :

ج ١ ص ٢٧٧ / ج ٢ ص ٢٧٥ / ج ٣ ص ٤٠ / ج ٣ ص ٣٢٩ .



## رديلة السعاية

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوّة . فقال لأصحابه : إذا شتمت فقوموا . فلما تهيأ الرجل للكلام قال له عبد الملك : إياك . أن تمدحني فأنا أعلم بنفسى منك ، أو تكذبني فإنه لا رأى لكذوب ، أو تسعى إليّ بأحد ، وإن شئت أقلتك . فقال الرجل : أقلني يا أمير المؤمنين .

## الشاعر الإسلامي

# أحمد محرم في رأى النقاد

-٢-  
للككتور صلاح الدين محمد عبد التواب  
أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

لم يكن ديوان (مجد الإسلام) للشاعر أحمد محرم هو كل ما صدر عن ذلك الشاعر الذي أجله معاصروه فقد كان له بجانب ذلك ديوان كبير في جزأين (صدر الجزء الثانى منه فى سنة ١٩٢٠م) وهو فى شعره يصدر عن نزعة إنسانية محبة للحق وللخير وللتألف، وقد أذكى من هذه النزعة فى نفسه ما استقاه من دينه الإسلامى دين الفطرة الخالصة . . فهو فى كل ما يعبر عنه إنما يصدر عن تلك النزعة التى كانت تثب لتعلن عن نفسها دائماً فى شعره، من مثل قوله فى حائثه المشهورة التى يحث فيها على نبذ التناحر والشقاق والعودة إلى حياة الحب والإخاء :

فيم التناحر والخلائق أخوة  
والدهر سمح والحياة خصيبة  
أنظّل فى الدنيا يفرق بيننا  
ما بالننا نشقى لتنعّم عصبية  
والعيش حق للجميع مباح؟  
والرزق جمّ والبلاد فساح  
بغضّ ويجمعنا وغى وكفاح؟  
ملكّت، فلا رفق ولا إسجاج؟

ومن مثل قوله فى الدعوة إلى الإتحاد وضم الصفوف: (١)

ليس الشقاء بزائل عن أمة  
من لى يشعب فى الكنانة لا القوى  
متألب بيغى الحياة كأنه  
حتى يزول تفرق وتحزب  
تنشق منه ولا الهوى يتشعب  
جيش على أعدائه يتألب

ثم هاهو ذا يؤكد أنه لا عز ولا قوة ولا إستقرار إلا فى التمسك بالدين وقيمه والعمل

بمبادئه فيقول: (٢)

(١) ديوان محرم ج-٢ ص ١٢٥ .

(٢) ديوان محرم ج-١ ص ١١٣ .

هل الدين إلا معقل نحتمى به  
هو الدين إن يذهب فلا عز بعده  
ولا دين حتى ينزعوا عن ضلالهم  
وحتى يصونوا للكتاب زمامه  
هنالك يقوى منهم ما تضععا

\* \* \*

ومن أجل الدعوة إلى قيام جامعة عربية قوية (١) كانت صرخة الشاعر محرم:

أمم العروبة جاء يومك فاعلمى  
لك في فم الأحداث دعوة صارخ  
فدعى المضاجع وانفضى عنك الكرى  
ضمي القوى وتجمعي في وحدة  
هذا زمان ليس يفهم أهله  
كثرت لغات العالمين وهذه  
والعدل أكثر ما يكون حديثه  
أم العروبة جد جدك فانظمي  
لك أن تسودي تحت رايتك التي

\* \* \*

بهذه الروح العالية المتوثبة . . . وبتلك الشاعرية الفياضة المتدفقة جاء شعر أحمد محرم،  
سواء ما جاء منه في الديوان بجزئيه أو ما هتف به في ديوانه (مجد الإسلام) وهو يمضي في إتجاه  
جيل بأكمله أتى بعد البارودي وهو جيل الشعراء المحافظين، حيث حرص ذلك الجيل على  
رصانة الشعر وقوته وسلامة قافيته مع الإحتفاظ بالنغم الموسيقى واللفظ المنتقى ووضوح  
المعنى وإشراق الصورة، والسير على نهج الأقدمين في نظام القصيدة وأغراض الشعر إلا ما  
اقتضته ظروف البيئة والعصر .

(١) راجع الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د: محمد محمد حسين ص ١٧٥ - ١٧٦ .

ولقد برز من الأدباء والنقاد في عصرنا الجديد من قَدَّرَ شاعرية أحمد محرم . . من أمثال خليل مطران الذي كان ينعت أحمد محرم «بشاعر العربية الفحل وأديبها الكبير». (١) .

كما يقول ولي الدين يكن: «أحمد محرم في شعره نسيج وحده، وهو أقرب الشعراء المعاصرين ديباجة من شعراء العرب، وما زال يعاني ذلك في أول أمره معاناة حتى ملكه اليوم، وصار ملكة في طبعه، وليس في طبع الشعراء طبع أدل من طبعه وطبع حافظ إبراهيم على جودة الألفاظ، وكما أن خليل مطران فاق النظراء، بل فاق كثيرا من القدماء في معانيه، فكذلك أحمد محرم وحافظ فاقتا النظراء، بل فاقتا كثيرا من القدماء في ألفاظها وتراكيبها. . وأقرب وصف في هذا الباب أن يقال: أن خليلا أبلغ شعراء زماننا، وأن محرمًا وحافظ أفصحهم» (٢) .

أما رأي (أحمد زكي أبوشادي) في الشاعر أحمد محرم فيأتي من خلال تعقيبه على الكلام السابق لولي الدين يكن فيقول: «بيد أن الشعر ليس مسألة فصاحة ألفاظ، ومهما يكن الجرس الموسيقي رائعاً في شعر محرم، ومهما تكن فصاحته ناصعة وديباجته مشرقة، فليس شيء من هذا بالذي يكفي وحده ليخلق له منزلة فنية، وإنما الذي خلق له تلك المنزلة - قبل كل اعتبار آخر - حرارة عاطفته، وحرارة إيمانه القوي، وتذوقه الجمال، وتحليق خياله، وذكائه الخارق الذي يجعل تأملاته عميقة نافذة» (٣) .

ثم يعود (أبوشادي) بعد تعقيب على بعض أشعار أحمد محرم فيقول: وشاعرنا المعلم الحكيم المربي لأمته، المدافع عن بيضة الإسلام . . والمتصرف في فنون البلاغة تصرفاً أجله أمثال الرافعي وعبد المطلب والجارم، كما تأثر به جيل لاحق من أمثال أحمد رامى وعلى محمود طه وعزيز أباطه - هو هو عينه الشاعر المستقل الرومانطيقى، المفصح عن شخصيته النبيلة في جميع شعره، شأن الشاعر الحر المطبوع، وقد نوه الشاعر الجهير حسن كامل الصير في عبقريته فقال: «إنى لأقرأ البيت من شعر محرم فأحس كأن صدى أنغام عذبة تطوف على خاطري في حلم جميل، وإلى جانب هذه الموسيقى التي يتساءل عنها في قصيدة (وجودى) والتي يلمس تأثيرها في أنفوس قرائه فيقول:

(١) شعراء العرب المعاصرون: أحمد زكي أبوشادي ص ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٩ .

(٣) شعراء العرب المعاصرون ص ٤٩ - ٥٠ .

أمن أدبي تبيت الطير تبكى فما أدبي : أشدُّ وأمرين ؟

تتجلى تلك الדיباجة العالية وتلك الجزالة السامية التي يقدرها فيه أدباؤنا ولن أكون إلا محققاً حين أقول أنه كان يمتاز على حافظ إبراهيم في الرنين العذب الذي صحب شعره الناضج ولازمه، إلا أن مرض الشرق الذي يظمىء الفنان الموهوب، والالتفات الدائم إلى صوتٍ أو صوتين دون أن يلتفت إلى بقية الأوتار الجميلة التي تؤلف أنشودة الخلود حالاً دون التقدير الكافي لشاعرية أحمد محرم»<sup>(١)</sup>.

ولعل الشاعر الناقد حسن كامل الصيرفي يثير في قوله السابق إلى بعض الآراء الأخرى التي تغمط الشاعر أحمد محرم حقه ولا تقدره قدره ولا تنظر إلى شعره عامة أو إلى شعره في ديوانه (مجد الإسلام) خاصة نظرة عدل وإنصاف .

ولقد كان الدكتور شوقي ضيف من الذين لا يرون في ديوان مجد الإسلام للشاعر أحمد محرم ما يستحق أن يقدر له من حيث الشاعرية . . . وكان أن عرض نماذج لبعض أشعاره ثم عقب عليها في النهاية بقوله: <sup>(٢)</sup> «وأكبر الظن أنه وقد اتضح لنا الآن صوت «محرم» في هذه الإلياذة بكل سماته وخصائصه، فهو لا يكتب ملحمة كالملاحمة التي كتب فيها «هومير وس» إلياذته، إنما يكتب أو قل ينظم سيرة الرسول، وفرق بين نظم السير والشعر القصصي، ذلك لأن الأول عمل آلي، فالشاعر يقرأ التاريخ ثم يحوله شعراً، أو قل: يحوله نظماً، وهو لذلك لا يعالج حرباً ولا ملحمةً يعيشها وإنما يعالج سيرةً مطولة فيها الحرب وفيها غير الحرب .

ثم هذه الإلياذة الإسلامية كما سماها «محرم» لا تتناول حرباً واحدة من حروب الرسول، وإنما تتناول مجموعة كبيرة من حروبه، وهي تقف عند كل حرب فتعرضها علينا عرضاً تاريخياً صادقاً ما أمكن، فيكون تاريخ ولا يكون شعر، ولا يكون شاعر له انطلاقاته الواسعة، ومن أين يكون الشعر والشاعر وقد حدد نفسه بحقائق التاريخ يحصيها في إيجاز بالغ، حتى وكأنه يؤلف متناً من متون التاريخ، فلا شرح ولا حاشية من خيال وحلم يمثل لنا مشاهد الموقعة وكأنها تبعث من جديد بتفاصيلها، إنما هي المشاهد نفسها تصاغ من جديد» .

(١) شعراء العرب المعاصرون أحمد زكي أبو شادي ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) دراسات في الشعر العربي المعاصر. د شوقي ضيف ص ٥٤ - الطبعة السادسة .

ثم في معرض المقارنة بين «الإلياذة» لهوميروس ، وديوان مجد الإسلام للشاعر أحمد محرم يقول الدكتور شوقي ضيف : «وهذا هوميروس لم ينظم الآلاف المؤلفة من إلياذته في حرب طروادة كلها التي ظلت عشر سنوات طويلاً ، وإنما نظمها في حوادث سنتها الأخيرة ، وأفسح لخياله في العدو والانطلاق ، فإذا هو يعطينا هذا العمل الخالد ، ولست أقصد الحقيقة التاريخية كما هي ، وإنما أقصد حقيقة فنه التي لا تنحرف بالتاريخ ولا تختلف معه ، ومع ذلك فهي أروع منه ومن حقائقه الجافة . . . وهل من شك في أن «الإلياذة» محرم جافة جفافاً شديداً وأنه لم يستطع أن يدخل على التاريخ المرقم في سيرة الرسول الزكية حياة وجمالاً؟ . . . أنها لا تزال كما هي في كتب السيرة ، لولا أن خصائصه كشاعر غنائي تظهر من حين إلى حين ، ولكن الكثرة يظل فيها التاريخ ويظل فيها الإحصاء ، وتظل الأرقام ، يظل كل ذلك كما هو بدون أي تعديل أو اختلاف» (١) .

ثم يعود الدكتور شوقي ضيف ليضيف : «والخلاصة أن إلياذة (محرم) ليست كما يظن حدثاً جديداً في أدبنا بل هي عمل مسبق ، وأن من الخطأ أن نسميها أو يسميها صاحبها إلياذة ، وإنما هي مجموعة من القصائد في سيرة الرسول وغزواته ، وهي أشبه ما تكون بالقصائد الغنائية ومع ذلك فغنائيتها ضعيفة إذ ليس فيها مشاعر مثيرة ولا صور حية ناضرة ، فلا تقرؤها حتى تحس أنها زاخرة بالفتور ، وسرعان ما يملؤك السأم والملل ، وهي لذلك شيء بين الشعر الغنائي والشعر التعليمي الجاف» (٢) .

تلك بعض أقوال الدكتور شوقي ضيف في نقده لشعر أحمد محرم وبخاصة ما جاء في ديوان (مجد الإسلام) . . . ولى في هذا النقد ملاحظات . وأولى هذه الملاحظات أن الشاعر أحمد محرم لم يدع أن شعره في ديوانه من الشعر القصصي ولم يرفيه أحد ذلك حتى ينقده الدكتور شوقي ضيف على أنه من الشعر القصصي . . . وواضح أن شعر محرم من ذلك النوع الغنائي الذي يبعث الشاعر فيه مشاعره وإحساساته إزاء ما تأثر به من مواقف وأحداث تستدعي الوقوف والتأمل ثم التعبير بما تجود به القريحة وما تفيض به الشاعرية ثم إنه لم تكن هناك في شعر محرم تلك الآلية التي تحول التاريخ شعراً كما يقول الدكتور ضيف ، وأين تلك الآلية عندما يقف الشاعر أحمد محرم - مثلاً - عندما تهزه من أعماقه تلك البطولات الفذة التي تجلت في مواقف شهداء بدر حيث يقول فيهم : (٣)

(١) دراسات في الشعر العربي المعاصر ص ٥٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٦ - ٥٧ .

(٣) ديوان مجد الإسلام ص ٥٤ .



والثم بأفياء الجنان تراها  
فانشق وصف للمؤمنين شذاها(١)  
من نور رب العالمين سناها  
عزا لهم من دونه أو جاها  
موتا إذا نشروا البنود طواها  
المصطلين من الحروب لظاها  
يغنون عند إلههم محياها  
دينا ولا عبدوا سواه إلهها  
لا يتغنون لدى الجهاد سواها

فسل الصخور: أما عرفن قواها؟  
بيضا شواهق ما تنال ذراها  
وتقيم من أجدادها وعلاها

\* \* \*

بلغ المدى بعد المدى فتناهى  
ملء الحوادث يدفعون أذاها  
وجعلتموه شريعة نرضاها  
فدم الشهيديين عن معناها  
بلغت من المجد العريض مناها

\* \* \*

ولئن كنت قد أطلت في ذكر هذا النموذج الفذ من شعر أحمد محرم في ديوانه مجد الإسلام، فإنما لأتحسس ما لاحظته الدكتور شوقي ضيف من تلك الآلية التي تحول التاريخ إلى نظم حتى لكأنه يؤلف متناً من متون التاريخ، أو كما وصف هذا الشعر في مكان آخر بأنه جاف جفافاً شديداً، وأن إلياذة «هومير وس» أروع منه ومن حقائقه الجافة !!! .

لم أجد تلك الآلية وقد تتبعت ديوان مجد الإسلام ولم أجد ذلك الجفاف الشديد وإنما وجدت الشعور المتدفق الفياض وجدت تلك الصور الحية النابضة ووجدت تلك العبارة

(١) ضاع: فاح وانتشر .

القوية المؤثرة والألفاظ الجزلة الأسرة ووجدت الفكرة المثلى والحقيقة السامية . . كل أولئك في إطار شعري إمتزج بإحساس الشاعر فأبرزه صادقاً في عاطفته حاراً في إيمانه مؤثراً في تعبيره رائعاً في تصويره . . ولنستمد مثل قوله في شهداء بدر:

هم في حمى الإيمان أول صخرة فسل الصخور أما عرفن قواها؟  
أوفى قوله:

من رام تفسير الحياة لقومه فدم الشهيديين عن معناها  
لولا الدماء تراق لم نر أمة بلغت من المجد العريض مناها

\* \* \*

فهل تخلو حقاً تلك الأبيات وغيرها كثير - والديوان كله حافل بمثل تلك العاطفة القوية وذلك الشعور المتدفق - هل تخلو تلك الأبيات وأمثالها من المشاعر المثيرة والصور الحية الناضرة كما يقول الدكتور شوقي ضيف . . ؟ .

وهل حقاً يحس القارئ لديوان أحمد محرم (مجد الإسلام) أن هذا الشعر زاخر بالفطور وسرعان ما يملؤه السأم والملل من هذا الشعر التعليمي الجاف؟ .

أرى أن هذا النقد لم يضع الشاعر أحمد محرم في وضعه الصحيح وكأنى بالشاعر محرم وقد أحس بأنه لم يوضع في موضعه ولم يقدر حق تقديره كأنى به أسمعته وهو يقول قبل وفاته في عام ١٩٤٥ م:

ظمئت، وفي في الأدب المصطفى  
ظلمت أبى ونفسي، أن مثلى  
كريم تدفع الأخلاق عنه  
أقول فيفزع الشعراء صوتي  
لربى ما علمت وعند قومي  
وضعت وفي يدي الكنز الثمين  
لغال في النوابغ لا يهون  
ويمنع ركنه الأدب الحصين  
وما أنا في بنى وطني ظنين  
ديونى حين تلتمس الديون

\* \* \*

وأذكر ما قاله أحمد زكى أبوشادى في تقديره لشاعرية أحمد محرم ضمن الذين قدروه:  
«إن أحمد محرم بنظمه ونثره عاطفة وتصويراً ونقداً . . لثروة غالية للأدب العربى الحديث جديدة بأن تدرس من جميع جوانبها وبأن ينوه بنفائسها تنويهاً أجلاً في أقطار الضاد جميعها» (١).

(١) قضايا الشعر المعاصر ص ٥٩ .

# وَصِيَّةٌ لِمَتَخَرِّجٍ

لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ زُرَيْبَانَ الْغَامِدِيِّ  
وَكَلِيلِ عَمَّادَةَ سُنُونِ الطَّلَابِ بِالْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

هذه القصيدة القاها الشاعر في حفل التخرج الذي اقامته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في نهاية العام الدراسي الماضي ١٤٠٢-١٤٠٣ هـ

هبّت رياح القوافي بعدما سكنت  
فلك المعاني ببحر العلم يدفعها  
رست على شاطئ العرفان يعرفها  
ألفت بضاعتها، فالسابقون شروا  
فقدم النثر ألواناً متنوعة  
والمزن بالخير قد هلت سحائبها  
وأينعت من ثمار العلم أطيبها  
اليوم تجنى ثمار العلم يانعة  
يوم بجامعة الإسلام في بلد  
يوم بجامعة الإسلام يشهده  
مواكب من بنى الإسلام قد حملت  
في كل أرض بدت آثاره وغدت  
العلم ما جاء في آي الكتاب وما  
وطالب العلم محتاج لأربعة  
ومن تفتته فقد بانت خسارته  
تقوى الإله أساس العلم فاحض بها  
كذاك إخلاص علم في متابعة

وبشرت أن في طياتها مطرا  
موج المحبة لا يرضى لها ضررا  
أهل البيان وحقاق من الشعرا  
من كل فن، ولم يظفر بها الفقرا  
وأورد الشعر عذبا بعدما صدرا  
وأخرجت ودقها هتانة دررا  
تنبي بطيب الذي يسقى ومن بذرا  
ويفرح اليوم من ضحى ومن صبرا  
قد ضم خير الورى أكرم به بشرا  
ضيف أجاب لداعى العلم قد حضرا  
من مهبط الوحي علماً نفعه انتشرا  
تعيد من تالد الإسلام ما انحسرا  
في سنة المصطفى، فاعلم وكن حذرا  
من الشروط وإن لم يوفها خسرا  
يلقى الذي قد مضى من سعيه هدرا  
من يتخذها سبيلاً يدرك الظفرا  
لأكرم الخلق كنز للذي ادخرا

كذا التواضع شرط للتعلم من  
وآية العلم في فعل يصدقه  
إن ضل قوم بما نالوا وأدركهم  
فطالب العلم في رضوان خالقه  
كلاهما عاش في الدنيا وسار بها  
والفرق شتان بين السالكين فذا  
وكم من الهالكين اليوم يقذفه  
يظن من جهله أن السعادة في  
وأن لذاتها تبقى له أبدا  
حتى إذا ما تمادى في غوايته  
وسره كثرة الأصحاب تصحبه  
أتته من ربه عقبي ضلالتة  
والمال مال به نحو الهلاك له  
وخانه المال والأصحاب ما ثبتوا  
تحول العز ذُلًا، والرضى سخطاً  
فيا سعادة من رام النجاة غدا  
ويا شقاوة من ضل الطريق وقد  
يا طالب العلم، بعض الناس قد زهدوا  
ولو وعوها تمام الوعي لاطلعوا  
من كل نافع علم للورى جمعت  
وللعلوم رجال لا يصددهم  
يستسهل الصعب من رام الوصول إلى  
فاصبر وشمّر لنيل العلم مدكرا  
(لا تحسب المجد ثمراً أنت آكله  
ويبتلى المرء كي تقوى عزيمته

حاز التواضع نال الخير واشتهرا  
يبقى لصاحبه من بعده أثرا  
من وزره بين طيات الثرى وسرى  
يثاب حياً وميتاً بعدما قبرا  
ونال مما بها - في عمره - وطرا  
يسير في دربه ناجٍ وذا عثرا  
هواه نحو الردى يوماً وما شعرا  
ما يشتهييه من الدنيا ولو حظر  
ولا مرد إلى المولى ولا وزرا  
وغره ما يرى من صحة وثرى  
وإن تذكره بالرحمن ما ادكرا  
تبدل الصفو من لذاته كدرا  
وقد رأى منه من قبل اللظى شررا  
كبيرهم - حين حل الخطب - قد صغرا  
وصار في الناس من بعد الثنا خبرا  
فما توانى عن الخيرات أو قصر  
بانته له عبر كبرى فما اعتبر  
علم الشريعة، قالوا: علم اندثرا  
فيها من العلم ما في غيرها اندرا  
وبينت سره لكن لمن بصرا  
عن نيلها عائق عنها ولو عسرا  
أوج المعالى ويمشى السهل والوعرا  
ما قيل من شاعر ماضى وقد اثرا  
لن تبلغ المجد حتى تعلق الصبرا)  
ويذبل الزهر حتى يخرج الثمرا

وكن شكوراً إذا أعطى له شكراً  
 وألجأ إلى الله فيما قل أو كثراً  
 ما خاب من عامل الرحمن واتجراً  
 من المهالك أو ما يوجب الضرراً  
 بما نهى الله عنه أو به أمراً  
 وإن فيه لأصحاب الحجاء عبراً  
 ما حل بالناس مما أفسد الفطراً  
 بين الشباب الذى قد حقق النظراً  
 ربح المعاصى ولو أعصارها كبراً  
 يحيون من سنة الإسلام ما فترا  
 فى جيلهم سيرة الصديق أو عمراً  
 قد ضمه الروح لما جاءه بحراً

فاصدق مع الله فى قول وفى عمل  
 واعمل بعلمك فى سر وفى علن  
 نعم التجارة لا تخشى خسارتها  
 لا خير فى العلم إن لم ينج صاحبه  
 لا خير فى العلم إن لم يدر صاحبه  
 فيما يراه الفتى من دهره عجب  
 يكاد قلب الغيور اليوم يصدعه  
 لكن يعزیه ما قد لاح من رشد  
 على الطريق استقاموا لا ترزعهم  
 للحق ساروا رسول الله قدوتهم  
 فليحفظ الله فيهم دينهم لنرى  
 أزكى الصلاة على خير البرية من

\* \* \*

## فى الشدائد يعرف الاخوان

قيل : خير الاخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان .

وقيل لبعض الولاة : كم صديقاً لك؟

قال : لا أدرى ، الدنيا مقبلة على ، والناس كلهم أصدقائى ، وإنما

أعرف ذلك إذا أدبرت عنى .

وقال الشاعر :

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة ولدى الشدائد تعرف الاخوان

قال غيره :

فإن أولى الموالى من تواليه عند السرور لمن واساك فى الحزن

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

## من تراثنا الشعري

مناسبة القصيدة :

لما استوزر باديس بن حيوس الصنهاجي صاحب غرناطة اليهودي يوسف بن إسماعيل المعروف بابن تغزلة ، استغل هذا اليهودي منصبه في الدولة فقرب إخوانه اليهود ومكثهم من مناصب الدولة ، وأطلق أيديهم في الأموال فاستغلوا خيرات البلاد ، واستخفوا بالمسلمين وأذلّوهم ، فأحفظ هذا المسلك من اليهودي ابن تغزلة وإخوانه الشاعر الزاهد أبا إسحاق إبراهيم بن مسعود التجيبي الإلبيري الأندلسي فأنشأ هذه القصيدة يخاطب فيها صنهاجة ويغريها باليهود ويحرّض على ذبحهم والضغط عليهم لقاء ما اقترفوا من ذنب وما نكثوا من عهد ، وما أذلوا من نفوس .

وقد كان لهذه القصيدة ما أراد صاحبها ، فقد وثبت صنهاجة على اليهود يومئذ واعملت فيهم سيوفها وفيهم الوزير يوسف بن تغزلة .

وفيما يلي نص القصيدة :

ألا قل لصنّهاجة أجمعين	بدور التّدى وأسدّ العرين
لقد زلّ سيدكم زلّة	تقرّ بها أعين الشامتين
تخيّر كاتبه كافراً	ولو شاء كان من المسلمين
فعزّ اليهود به وانتخوا	وتاهوا وكانوا من الأزدلين
ونالوا مناهم وجازوا المدى	فحان الهلاك وما يشعرون
فكم مسلم فاضل قانت	لأزدل قرد من المشركين
وما كان ذلك من سعيهم	ولكن منّا يقوم المعين
فهلّا اقتدى فيهم بالألسي	من القادة الخيرة المتقين
وأنزلهم حيث يستأهلون	وردّهم أسفل السافلين
وطافوا لدينا بأخراجهم	عليهم صغار وذل وهون
وقمّوا المزابل عن خرقه	ملوّنة للثّار الدّفين
ولم يستخفّوا بأعلامنا	ولم يستطيلوا على الصّالحين

وَلَا جَالِسُوهُمْ وَهُمْ هُجْنَةٌ  
 أَبَادِيْسُ أَنْتَ أُمْرُوْهُ حَاقِقٌ  
 فَكَيْفَ اخْتَفَتْ عَنْكَ أَعْيَانُهُمْ  
 وَكَيْفَ نُحِبُّ فِرَاحَ الزِّنَا  
 وَكَيْفَ يَتِمُّ لَكَ الْمُتَرَقَى  
 وَكَيْفَ اسْتَنْمَتَ إِلَى فَاسِقِي  
 وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ فِي وَحْيِهِ  
 فَلَا تَتَّخِذْ مِنْهُمْ خَادِمًا  
 فَقَدْ ضَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْ فِسْقِهِمْ  
 تَأْمَلُ بَعِيْنِيكَ أَقْطَارَهَا  
 وَكَيْفَ انْفَرَدْتَ بِتَقْرِيْبِهِمْ  
 عَلَيَّ أَنْكَ الْمَلِكُ الْمُتَرْضَى  
 وَأَنَّ لَكَ السَّبْقَ بَيْنَ الْوَرَى  
 وَإِنِّي اِحْتَلَكُ بِغَرْنَاطَةٍ  
 وَقَدْ قَسَمُوهَا وَأَعْمَاهَا  
 وَهُمْ يَقْبِضُونَ جَبَايَاتَهَا  
 وَهُمْ يَلْبَسُونَ رَفِيْعَ الْكِسَا  
 وَهُمْ أُمْنَاكُمْ عَلَيَّ سِرِّكُمْ  
 وَيَأْكُلُ غَيْرُهُمْ دِرْهَمًا  
 وَقَدْ نَاهَضُوكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ  
 وَقَدْ لَابَسُوكُمْ بِأَسْحَارِهِمْ  
 وَهُمْ يَذْبَحُونَ بِأَسْوَاقِهَا  
 وَرَحْمَ قِرْدُهُمْ دَارَهُ  
 فَصَارَتْ حَوَائِجُنَا عِنْدَهُ  
 وَيَضْحَكُ مِنَّا وَمَنْ دِينِنَا  
 وَلَوْ قُلْتَ فِي مَالِهِ إِنَّهُ

وَلَا وَاكْبُوهُمْ مَعَ الْأَقْرَبِيْنَ  
 تُصِيبُ بِظَنِّكَ نَفْسَ الْيَقِيْنَ  
 وَفِي الْأَرْضِ تُضْرَبُ مِنْهَا الْقُرُونُ  
 وَهُمْ بَغَضُوكَ إِلَى الْعَالِيْنَ  
 إِذَا كُنْتَ تَبْنِي وَهُمْ يَهْدُمُونَ  
 وَقَارَنْتَهُ وَهُوَ بِيْسَ الْقَرِيْنَ  
 يُحَذِّرُ عَنْ صُحْبَةِ الْفَاسِقِيْنَ  
 وَذَرَهُمْ إِلَى لَعْنَةِ السَّلَاعِيْنَ  
 وَكَادَتْ تَمِيْدُ بِنَا أَجْمَعِيْنَ  
 تَجْدِهِمْ كِلَابًا بِهَا خَاسِيْنَ  
 وَهُمْ فِي الْبِلَادِ مِنَ الْمُبْعَدِيْنَ  
 سَلِيْلُ الْمَلِكِ مِنَ الْمَاجِدِيْنَ  
 كَمَا أَنْتَ مِنْ جِلَّةِ السَّابِقِيْنَ  
 فَكُنْتُ أَرَاهُمْ بِهَا عَابَثِيْنَ  
 فَمِنْهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ لَعِيْنَ  
 وَهُمْ يَخْضِمُونَ وَهُمْ يَقْضِمُونَ  
 وَأَنْتُمْ لِأَوْضَعِهَا لَابَسُونَ  
 وَكَيْفَ يَكُونُ خَوْوُنٌ أَمِيْنُ؟  
 فَيَقْصِي وَيُدْنُونَ إِذْ يَأْكُلُونَ  
 فَمَا تَمْنَعُونَ وَلَا تُنْكِرُونَ  
 فَمَا تَسْمَعُونَ وَلَا تُبْصِرُونَ  
 وَأَنْتُمْ لِأَطْرَافِهَا آكِلُونَ  
 وَأَجْرِي إِلَيْهَا نَمِيرَ الْعُيُونِ  
 وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ قَائِمُونَ  
 فَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاجِعُونَ  
 كَمَا لِكَ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَ

فَبَادِرْ إِلَى ذُبْحِهِ قُرْبَةً  
وَلَا تَرْفَعِ الضَّغْطَ عَنْ رَهْطِهِ  
وَضَحَّ بِهِ فَهُوَ كَبَشٌ سَمِينٌ  
فَقَدْ كَنَزُوا كُلَّ عِلْقٍ ثَمِينٌ

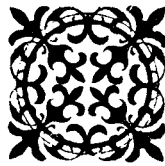
وَفَرَّقْ عِدَاهُمْ وَخُذْ مَا لَهُمْ  
وَلَا تَحْسَبَنَّ قَتْلَهُمْ غَدْرَةً  
وَقَدْ نَكثُوا عَهْدَنَا عِنْدَهُمْ  
وَكَيْفَ تَكُونُ لَهُمْ ذِمَّةٌ  
وَنَحْنُ خَمُولٌ وَهُمْ ظَاهِرُونَ

وَنَحْنُ الْأَذْلَةُ مِنْ بَيْنِهِمْ  
فَلَا تَرْضَ فِينَا بِأَفْعَالِهِمْ  
وَرَأَيْتَ إِيَّاهُمْ فِي حِزْبِهِ  
وَنَحْنُ الْأَذْلَةُ مِنْ بَيْنِهِمْ  
فَلَا تَرْضَ فِينَا بِأَفْعَالِهِمْ  
وَرَأَيْتَ إِيَّاهُمْ فِي حِزْبِهِ



## وصية

أوصى عمر بن حبيب رضى الله عنه بنيه فقال :  
يا بنى إياكم ومخالطة السفهاء، فإن مجالستهم داء، وإن من يحلم عن  
السفيه يسر بحلمه، ومن يجبه يندم، ومن يقرّ بقليل ما يأتى به السفيه يقر  
بالكثير، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه قبل  
ذلك على الأذى، وليوقن بالثواب من الله عز وجل، ومن يوقن بالثواب من الله  
عز وجل فلا يجد مسّ الأذى!!!









# المسافر الغريب

الدكتور عبد الله بن أحمد قاري  
رئيس شعبة الفقه بالدراسات العليا

إلى جاكرتا :

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر :

اعتدنا أن نأخذ بطاقة الركوب بالأرقام وكل واحد منا بجانب صاحبه أما هذه المرة فكانت بطاقتنا بدون أرقام وقال لنا عبد الله : إننا أحرار نختار المقاعد التي نريد، هكذا فهم، وعندما صعدنا إلى الطائرة وجدناها قد ملئت بالحمير الإنسية من الأوربيين والأمريكيين والإستراليين، فأخذنا ننظر في الصفوف لعلنا نحصل على مقعدين متجاورين أنا والشيخ عبد القوي، فوجدنا مقعدين أحدهما أمام الآخر، فقال لي أي المقعدين تريد قلت هذا، ولم أدقق النظر في الجيران إذ ظننت أنهم كلهم رجال، فلما قعدت بدت مجاورتي التي عن اليمين امرأة، وبدأت الحمير تحتك ببعضها مع سوء أدب فكنا بينهم كأننا على شوك السعدان أوفي سجن ضاق بناؤه وجاء المضيفون بالطعام والشراب فأخذوا يأكلون ويشربون ولما لم أتناول أنا شيئاً التفتت إلى الجارة قائلة : رمدان - أي رمضان - قلت : يس وكانت تلعب مع جارها والله أعلم ما صلتها به بأوراق القمار .

وهنا ذكرت صورة مصغرة لقول الرسول ﷺ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» .

وأنشأت هذه الأبيات :

بشر عبد الله بالمقاعد	فقلت في نفسي أريد النافذة
فقلت في نفسي أريد النافذة	لكن رأينا بصعود الطائرة
لكن رأينا بصعود الطائرة	واخترت مقعداً ظننت أنه
واخترت مقعداً ظننت أنه	بأنها حسب اختيار القاعد
بأنها حسب اختيار القاعد	كعادتى مع الأيادي الآخذة <sup>(١)</sup>
كعادتى مع الأيادي الآخذة <sup>(١)</sup>	أن ملئت بفاجر وفاجرة
أن ملئت بفاجر وفاجرة	بين رجال لا نساء حوله
بين رجال لا نساء حوله	

(١) أي كما اعتدت مع الكون الذي هو من نعم الله انظر إليه متفكراً .

وبعد الاستقرار صارت واحدة  
وظهرت أمامى المعاكسة  
فقلت ياربى إنى صائم  
وجاء بعد ذلك الغداء  
فسألت شيطانة اليمين  
ثم التفت لزميلى القارى  
من الخبيثات فقلت: إننا  
وقد جعلت ذكر ربي حاليا

- لا واحدا - عن اليمين قاعدة  
بلا حيا كعادة الأبالسة  
وقد غدت تحيط بى البهائم  
فما التفت نحو من قد جاؤا  
أرمضان؟ قلت: «يس» دعيني  
مبتسما وقد وقاه البارى  
بين العدا فى الجوضاق سجننا  
ودفترى وقلمى وقائيا

وكان إقلاع الطائرة من مطار دمباسار فى الساعة الثالثة إلا ربعا وهبطت بنا فى مطار  
جاكرتا فى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة .

ونزلنا فى فندق: سبنج الذى يسمى بالاسلامى . وكانت مظاهره الإسلامية وجود  
المصحف المترجم والسجادة والإشارة إلى جهة القبلة بسهم على الباب من الداخل هكذا  
➡==== ولكنه مثل غيره فى بيع الخمر، ولا أدرى عن لحم الخنزير؟! .

زيارة بعض المسئولين فى المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الإسلامية :

١٧/٩/١٤٠٠ هـ :

زرنا الدكتور محمد ناصر رئيس المجلس ومساعدته الدكتور رشيدى وقد كان الأول  
رئيس وزراء سابقا، وكان الثانى وزيرا للشئون الدينية سابقا، وللرجلين جهود مشهورة فى  
محاولة ربط الشعب الأندونيسى فى منطلقاته السياسية والاقتصادية بالإسلام وشعبيتها تبدو  
واضحة فى الجمعيات الاسلامية والشباب .

وأهدى لنا الدكتور محمد ناصر سلسلة من الكتب الاسلامية التى وضعت لتربية  
الأطفال وربط العلوم الكونية بالآيات القرآنية موضحة بالصور وهدفها تقوية الإيمان بالله  
وتثيئته فى نفوس الشباب عن طريق العلوم الكونية التى يتلقونها فى المدارس مجردة عن ذكر  
مصدرها الذى أوجدها بنظامها العجيب المدهش .

والمسلمون هناك فى قلق من نشاط النصارى فى كل المجالات لأنهم يحاولون أن  
يستولوا على المراكز الحساسة فى الأمن والتعليم والاقتصاد والطب وغيرها، يساعدهم فى  
ذلك عملاء علمانيون من المسلمين الذين ابتعثوا للدراسة فى الخارج - فى أوربا وأمريكا

وفرنسا - فحملوا مؤهلات وأسندت إليهم وظائف حساسة في الدولة وهم يحاربون الاسلام - علنا - أكثر من محاربة النصارى - وإن كان النصارى هم الموجهين والمحركين ومن ذلك محاولة إلغاء المساجد في الجامعات وحرمان أبناء المدارس الحكومية من الاجازة في رمضان وقد كانوا يستفيدون من هذه الاجازة التعليم في المدارس الإسلامية والمساجد حيث يتعلمون أمور دينهم التي لا يجدونها في المدارس الحكومية .

وهكذا نجد الشكاوى من العلمانيين الذين رباهم أهل الغرب في أغلب الشعوب الاسلامية حيث يكونون معاول هدم سافرة بأيدي أسيادهم الذين نصبوهم في شعورهم لهدم أركان العقيدة ومقومات الأمة .

### مع سفير المملكة العربية السعودية في جاكرتا

في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، كنا في سفارة المملكة العربية السعودية حيث كنا على موعد مع سعادة السفير الأستاذ/ بكر عباس خميس الذي استقبلنا ببشاشة وكان الحديث معه ممتعا ورأينا في الرجل حماسا لنشر الدعوة الاسلامية وايجاد وسائل ذلك كترجمة الكتب الاسلامية وطبعها وطبع المصحف الشريف .

وأطلعناه على ما قمنا به في زيارتنا للمؤسسات الإسلامية في جاوة الشرقية وجزيرة بالي ونقلنا إليه شكر بعض تلك المؤسسات التي تلقت إعانات عن طريقه من المملكة العربية السعودية .

كما نقلنا له رغبة مؤسسات أخرى في أن تحظى بمثل تلك المساعدات .

وطلب منا ابلاغ فضيلة نائب رئيس الجامعة رسالة شفوية تتضمن عرض التعاون في المجالات التي تحقق أهداف الجامعة الاسلامية في الدعوة إلى الله في أندونيسيا وأبدى استعداده بالاشراف على ترجمة بعض الكتب الإسلامية وطبعها وتوزيعها في أندونيسيا من الكتب المفيدة التي تختارها الجامعة الإسلامية . وذكرت له كتاب الدكتور محمد على البار: خلق الانسان بين الطب والقرآن وأنه مجهود علمي مفيد في بابه ويمكن أن يستفيد منه المثقفون ويهديهم إلى الإسلام فطلب مني سعادته بعث الكتاب إليه ليتولى الاشراف على ترجمته وطبعه وتوزيعه في أندونيسيا وكانت معي نسخة فبعثتها له في اليوم الثاني .

ثم شكرناه على حسن استقباله وما يقوم به من أعمال طيبة وودعناه .

## سراب بقيعة :

ذهبنا - بعد ذلك - إلى برج الاستقلال الذى يشرف على المدينة وهو قريب من مسجد الاستقلال وكانت تذاكر الطلوع معنا من قبل إذ وجدناه مزحوما فأجلنا الطلوع إلى وقت آخر وعندما اقتربنا من البرج رأينا الساحة المحيطة به فارغة وكذلك الأبواب والممرات المؤدية إليه فسررنا بذلك وقلنا هذه فرصتنا حتى لا نجد أولئك الأجانب يزاحموننا وكنا نظن أن الناس فى هذا الوقت بعد الظهر فى راحة وعندما وصلنا إلى قرب المصعد وجدنا جندياً حارساً قال : إلى أين قلنا إلى المصعد للطلوع فقال : إن المصعد تحت الإصلاح ولا يمكن الصعود الآن فعرفنا أن الفرصة التى ظنناها سنحت كانت سرايا خادعا .

## الجهود موجودة والتخطيط مفقود :

زارنا بعد صلاة العشاء فى الفندق فضيلة الشيخ محمد المجذوب وفضيلة الشيخ ناصر الطريفى وهما مبعوثان من قبل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد للاطلاع على أحوال الدعاة الذين أوفدتهم الرئاسة للدعوة إلى الله وهم من خريجي الجامعة الاسلامية وتقديم تقارير عنهم للاستفادة منها .

وجرى نقاش بيننا فى أمور الدعوة واختلفت وجهات النظر فى بعضها والذى بقى عندى هو أن المؤسسات الاسلامية تبذل جهوداً تحتاج إلى المضاعفة والتعاون فيما بينها والتنسيق لأن الدعوة الاسلامية تواجه تيارات وأحزاباً ومؤسسات عقائدية ومخططات عظيمة وذلك يقتضى التخطيط السليم والتنظيم والتنسيق والجهود المضاعفة وما دامت المؤسسات الاسلامية لا تبذل جهوداً فى التخطيط العلمى الدقيق والتنسيق فيما بينها فإن الجهود القليلة ستبقى مبعثرة قليلة الجدوى بالنسبة لما ينبغى أن يكون .

وزارنا كذلك بعض طلبة الجامعة الاسلامية الأندونيسيين الذين تخرجوا فيها وتذاكرنا معهم ما بقى لنا من الزيارات .

## ٩ / ١٨ إلى باندونج :

كنا قد طلبنا من الأخ حلمى أمين الدين - وهو من مبعوثى إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، ويعمل فى مكتب الملحق الدينى وقد تخرج فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - أن يحجز لنا على الخطوط الأندونيسية إلى باندونج فاتصل بالأخ عبد الله

باهرمز وأخبره بأن الطائرة تقلع من جاكرتا إلى باندونج في الساعة الثانية عشرة والنصف وأن علينا أن نغادر الفندق إلى المطار في الساعة الحادية عشرة والنصف .

ولكن عبد الله خرج لحاجة وتأخر كثيرا فعاتبناه على ذلك واستأجر لنا سيارة وعندما ركبنا قال للسائق: جلن جلن، يأمره بالسرعة وكان وصولنا إلى المطار - وهو داخل - في الساعة الثانية عشرة ودقائق .

وأدركنا الطائرة التي أقلعت في الساعة الواحدة إلا عشرين دقيقة .

مع الشيخ المكي وابنه المدني :

وكان في استقبالنا فضيلة الشيخ الحاج أنور مسدد وابنه عبد الحلیم الذي تخرج هذا العام في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . والشيخ أنور مسدد يبلغ من العمر اثنين وسبعين عاما قضى منها في مكة المكرمة أحد عشر عاما، قال : وأنا مشهور في مكة بمسدد قارود، درست في مدرسة الفلاح سنة ١٩٣٠ م . وكان يديرها السيد الطيب المراكشي ، ثم السيد أبو بكر الجيشى وكانت في القشاشية وتخرجت في هذه المدرسة عام ١٩٣٤ م وعملت بها مدرسا إلى عام ١٩٤١ م حيث رجعت إلى بلدى أندونيسيا عند نشوب الحرب العالمية الثانية .

وأخذ الشيخ يسرد لنا شيئا من تاريخ حياته والأحداث التي عايشها فقال :

في سنة ١٩٤٢ م جاء اليابانيون إلى أندونيسيا فاستعمروها مدة ثلاث سنوات ، استقلت سنة ١٩٤٥ م وكنت مع سوكارنو في وزارة الشؤون الدينية رئيسا لقسم شئون المساجد ، ثم عينت أستاذا في الجامعة في جوكرتاكرتا إلى سنة ١٩٦٧ م ، ثم مديرا للجامعة الإسلامية الحكومية في باندونج وقمت أنا بإنشائها ، إلى سنة ١٩٧٣ م ، ثم صرت مدرسا فيها وفي عام ١٩٧٥ م أحلت إلى التقاعد وكنت عضوا في البرلمان لمدة عشرة أعوام عن حزب نهضة العلماء ، وعينت وكيلا للرئيس العام لنهضة العلماء وبعد أن توفي الرئيس العام أصبحت أنا الآن رئيسا لنهضة العلماء وكان الرئيس الذي قبلني هو الحاج نصرى سنشورى .

وذكر لنا أعماله : أنه أحد أعضاء اللجنة التي تولت ترجمة القرآن الكريم التي طبعتها وزارة الشؤون الدينية ، وأحد أعضاء اللجنة التي تولت تفسير القرآن الكريم باللغة الأندونيسية وقد تم هذا التفسير الذى طبع منه أربعة مجلدات في كل مجلد ثلاثة أجزاء والباقي تحت الطبع .

وسألناه عن مراجع هذا التفسير فقال: المراجع منها القديم مثل تفسير ابن كثير والقرطبي والبيضاوي وتفسير الزمخشري ومنها الحديث كتفسير المراغي وتفسير القاسمي والتفسير الواضح قال وقد ترجمنا القرآن أيضا إلى لغة جاوة الغربية المعروفة بالسنداوية وقد طبع في أربعة مجلدات .

قلت له: ما دمتم قد وفقتم لترجمة كتاب الله وتفسيره فينبغي أن تجتهدوا في ادخال بعض أجزاء هذا التفسير في الجامعات، فقال: أدعو الله لنا أن يعيننا وأشار إلى أننا في حاجة إلى الامكانيات لطبع كمية كبيرة وتوزيعها على الجامعات والمكتبات. قال: وكنت في سنة ١٩٥٥م مطوفاً لسوكارنو .

وسألته هل ترددت على مكة كثيرا قال: نعم وكان آخرها هذا العام المنصرم وكنت في اليوم الأول من شهر محرم في داخل الحرم عندما قام الذين ادعوا أن المهدي قد ظهر بحادثة الحرم قلت له كيف خرجت وكيف كان شعورك في هذه الحادثة قال: أما خروجي فقد كنت في الطابق العلوي ورأيت الباب مفتوحا والناس يخرجون منه فخرجت. وأما الحالة التي حصلت فقد آلمتنا وأنزلت الحسرة في نفوسنا عندما كنا نرى الرصاص يطلق في داخل الحرم الذي جعله الله أمنا والحمد لله الذي قضى على أولئك المعتدين .

قلت له: ما الفرق بين مكة الآن وبينها في الأيام التي كنت فيها طالبا ومدرسا من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٤١م فقال: الفرق كبير أصبحت الآن متقدمة في كل شيء .

هل كانا من أولى الأحلام والنهي؟

قال الحاج أنور وقد كنت مع سوكارنو في القاهرة عندما زارها في عهد عبد الناصر وصليت إماما في الجامع الأزهر وهما ورائي، قلت: وهل كانا من أولى الأحلام والنهي؟ قال: لا .

أساتذة الشيخ في مكة :

سألناه عن أساتذته في مكة فقال: قرأت على السيد علوي مالكي رياض الصالحين وشائل الترمذي وألفية ابن مالك، ومن أساتذتي الشيخ عمر حمدان التونسي والشيخ محمد العربي، وقرأت على الشيخ أمين الكتبي الجوهر المكنون في البلاغة، وحفظت عليه القرآن الكريم. وعلى الشيخ على حسن السناري التوحيد .



## إلى م يعود الضمير؟

من نكات الشيخ المكى فى المسجد الحرام أنه كان يقرأ مع زملائه على الشيخ علوى مالكى باب «كم» فى ألفية ابن مالك، وكانت تلك الليلة ليلة زفاف الشيخ علوى مالكى مدرس الألفية، فقال الشيخ علوى إلى م يعود الضمير فى قول ابن مالك : «واستعملنها». ونص البيت كما يلي :

واستعملنها مخبرا كعشره أو مائة ككم رجال أو مره

فقال الطالب أنور الضمير ياسيدى يعود إلى مرة فى آخر البيت، هناك قال وكنت أقصد بالبيت بيت أستاذنا، لأنه فى ليلة زفافه وهو يدرسنا ونحن كنا نحب أن يتفرغ فى هذه الليلة التى تعتبر ليلة سرور لعدة أسر ولزملاء الشيخ وتلاميذه. قال ففهم الشيخ المقصود وضحك كثيرا وبعض الحاضرين لم يفهم<sup>(١)</sup>.

وذكر الشيخ المكى من زملائه فى الدراسة فى مكة السيد عبد الرحيم الأهدل الذى يعمل فى الزراعة فى المدينة المنورة، قال كنت أنا وهو فى فصل واحد قلت له : أنا وعبد الرحيم من قبيلة واحدة وهو صديقى .

## إلى جايمس :

وكلف الشيخ أنور سائق سيارته أن يوصلنا إلى بلدة جايمس التى تقع شرق باندونج على بعد ٢٥٠ كيلو .

وكان الطلبة الأندونيسيون قد طلبوا منا زيارة هذه البلدة التى يقع بها معهد دار السلام وبه تقام دورة لمدرسى اللغة العربية والمواد الإسلامية وعددهم يقارب الخمسين، ونفقات الدورة كانت إعانة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقد التقينا بأحد طلبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى باندونج وهو فى طريقه لزيارة الدورة .

قل له : إننا نحب هذه المنظر ونريد التمتع بها :

كان السائق يجب السرعة التى كنا نحن نكرهها فكان يحاول تجاوز أى سيارة تسير أمامه، وكان يخالف قواعد المرور فتجاوز فى المنحنى الذى لا يرى فيه السيارة المقابلة وكان

(١) وذكرتنى هذه النكتة بنكتة بعض علماء السودان مع الشيخ محمد الأمين الشنقيطى فى رحلته من موريتانيا إلى المملكة العربية السعودية عندما نظر إلى ثيابه المطوية فظن العالم السودانى أنه يريد أن يغير ثيابه، فقال : ولسراويل بهذا الجمع شبه أفضى عموم المنع .

الشيخ عبد القوي ذو الخبرة بحوادث السيارات يثن كلما رأى مخالفة ويطلب من عبد الله باهرمز أن يكلم السائق ليخفف من السرعة ويلتزم بقواعد المرور، وفجأة وقفت السيارة في الطريق، فنزل السائق ونظر إلى آلة التحريك فوجد مكان الخلل فرجع إلى صندوق السيارة وأخذ ما يسمى : «بوجي» وركبه وواصل السير على عادته وكان عبد الله باهرمز - هداه الله - لا يصارحه كما نريد فقلت له : قل للسائق إن هذه المناظر أعجبتنا ونحب أن نستمتع بها فليخفف السرعة ففعل وكان قصدي أننا نريد أن نحافظ على أرواحنا لأن التمتع بالمنظر لا يمكن إلا إذا بقيت أرواحنا في أجسادنا .

### عظة وذكرى :

وبعد قليل مررنا بسيارة على يميننا في الشارع مقلوبة على ظهرها رافعة عجلاتها إلى السماء كأنها تستغيث وكنا نود أن نقف لنرى ماذا جرى لأن الحادث جديد ولكن المكان لا يصلح للوقوف فكانت عظة وذكرى لسائقنا .

### وجاء الليل عصرا :

وكانت السحب السوداء المتراكمة قد غطت الأفق وحالت بيننا وبين السماء واجتمع ذلك مع ارتفاع الجبال وكثرة الغابات في القمم والوديان والسفوح وبدأ المطر ينزل قليلا قليلا ثم انهمر بغزارة حتى غشينا الليل ونحن في النهار وحتى نسيت أننا لازلنا في وقت العصر فقلت للإخوة انظروا في هذه القرية لعلنا نجد ما نفطر به فنظر الأخ عبد الله في ساعته وقال بقي من الوقت إلى المغرب ساعتان ونحن سنصل إلى معهد دار السلام قبل ذلك إن شاء الله - وكان هذا ما حصل فعلا فقد وصلنا إلى مقر المعهد وبقينا ما يزيد على نصف ساعة ولما يؤذن أذان المغرب - ولكن الذي لا يدري عن الوقت عن طريق الساعة يظن أنه قد صلى الناس المغرب ودخل وقت العشاء .

### إزالة غابات لزراعة غابات :

وكنا نرى قبل هذه الظلمة قطعا من الأرض قد أزيلت عنها الغابات في الوديان والجبال وبدأ الأهالي بزراعة بعض الأشجار المثمرة مكانها وهكذا يفعلون في تلك البلدان يقدرون زمنا معيننا تزال فيه غابات تدريجيا من الأشجار التي لا تثمر وأنها غير مفيد كثيرا ويزرع مكانها غابات من الأشجار المثمرة فتصبح غابة مثمرة بدل غابة غير مثمرة .

فساعدنى اذا على بقاء سيارتى :

قال عبد البر سائلا السائق كم سنة لهذه السيارة معكم؟ فقال السائق - عن طريق الترجمة - هى عندنا من عام ١٩٦٢م فقال عبد البر ثمانى عشرة سنة!؟ وهل غيرتم مكنتها قال: لا فتعجب من ذلك فقلت له ما رأيك يا عبد البر فى سيارتنا التى مضى عليها عندنا خمس سنوات فقط قال: تعتبر من صنع عام ١٩٨٠م قلت: الحمد لله فساعدنى على بقاء سيارتى .

وكان هو وإخوانه يسمعون بعض زملائى ينتقدون بقاء سيارتى هذه معى لمضى هذه المدة عليها، لأن التغيير أصبح عندنا مرضا للسيارات والعمارات والأثاث والملابس لأن المقياس الذى نسير عليه هو الهوى والتقليد الأعمى ولو أن المقياس هو الاسلام لما جمع الغرب أموالنا فأوعى وإخواننا فى كثير من الشعوب الاسلامية يموتون جوعا أو بردا أو حرا أو حربا فلا يجدون القوت . وكان وصولنا إلى بلدة جايمس فى الساعة السادسة إلا ربعا .

وأسالت نخيل المدينة المنورة للعباب فى جايمس :

عندما أذن المؤذن لصلاة المغرب أخرج أحد طلبة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الذى كان يرافقنا فى هذا السفر اليوم علبة تمر من حقييته وقال: هذا من تمر المدينة فتسأقت الأيدى وسال اللعاب لتمر المدينة المنورة فأفطرنا وصلينا المغرب ثم رجعنا إلى الغرفة التى أعدت لنا لنرتاح من التعب . وحدد لنا الأخوة الساعة التاسعة بعد صلاة العشاء لنتلقى بأعضاء هذه الدورة لالقاء كلمة فيهم .

كيف نتعلم اللغة العربية :

فى الساعة التاسعة جاء الاخوة يطلبون منا أن نحضر إلى قاعة المحاضرات فحضرنا وقرأ الشيخ عبد القوى بعض الآيات القرآنية ثم طلب منى أن ألقى كلمة تتضمن رسم الطريق لتعلم اللغة العربية . فكانت كما يلى :

١ - بينت أن من أهم الأسباب التى يعين على أى أمر من الأمور - بعد الاستعانة بالله - هو قوة الإرادة .

## ٢ - شدة الرغبة .

ويجب أن تكون الرغبة موجودة وشديدة كما يجب أن تكون إرادتكم قوية لأن هذه اللغة بالنسبة لكم لغة دينكم وكتاب ربكم فتعليمها يعتبر عبادة وهذا ما يقوى الإرادة والرغبة في تعلمها .

٣ - الإكثار من قراءة القرآن الكريم وحفظه أو حفظ كثير منه مع تعلم مفرداته من كتب المفردات القرآنية أو كتب التفسير أو القواميس العربية، وهكذا إذا قرأ الطالب في كتاب حديث أو فقه أو تاريخ أو أدب أو غيرها من العلوم العربية فإن عليه ألا يمر بكلمة لا يعرفها دون أن يبحث في معناها ويفهمها وهذا قد يكون صعباً وبطيئاً ولكنه مفيد جداً .

٤ - حفظ نصوص كثيرة من النثر والشعر الجاهليين مع فهم مفرداتها وتراكيبها والإكثار من قراءة كتب الأدب المفيدة كالعقد الفريد .

٥ - حفظ متون في علوم اللغة العربية (النحو والصرف والبلاغة والعروض) وفهمها فهما جيداً لأن حفظ القواعد يذكر الانسان ويعصمه من الخطأ .

٦ - التطبيق العملي لما تعلمه الطالب، كرفع الفاعل ونصب المفعول وضبط الأوزان ومعرفة التشبيه وأنواعه .

## معلومات عن معهد دار السلام :

وبعد إلقاء المحاضرة جاء الأخ وحى الدين ابن مدير المعهد الحالى الشيخ عرفان حلمى يعتذر لأبيه الذى كان على موعد مهم مع العلماء - كما قال - قلت له : لا بأس ولكن يجب أن تعطينا نيابة عن أبيك معلومات فأعطانا المعلومات الآتية : وكانت إجابة عن أسئلتى له : -

— فى معهد دار السلام توجد المراحل الخمس التالية :

روضة الأطفال، إبتدائى، ثانوى، العالية، كلية الشريعة . وعدد طلاب المعهد كلهم سبعائة .

— الساكنون فى المعهد أربعائة والباقون يسكنون فى منازل أسرهم .

— أسس هذا المعهد عام ١٩٣٥م أسسه الشيخ أحمد فاضل، وقد توفى رحمه الله، وخلفه فى إدارته الشيخ عرفان حلمى، قال : وستقدم للجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة منهج المعهد لمعادلته وإعانتته بمنح دراسية وغيرها .

— وعدد الأساتذة فى الروضة اثنان - وفى الإبتدائى عشرة . وفى الثانوى سبعة عشر،

وفي العالية خمسة وعشرون . وفي الشريعة عشرون ، والجملة أربعة وخمسون مدرسا .  
— ويدرس في المعهد أيضا طالبات من الثانوية إلى كلية الشريعة وعددهن يزيد على  
مائة طالبة .

— وقد ساعدت الحكومة الأندونيسية في بناء المعهد .

— ويقوم المعهد بنشاطات إجتماعية وثقافية . منها : الكشافة ، والتدريب المهني  
كالخياطة والزراعة والنجارة والتطريز والصحف الحائطية ، والمحاضرات التي تقام كل يوم  
سبت .

ويحضر المجتمع - يعنى أهل البلدة من أولياء أمور الطلبة وغيرهم . كل يوم الجمعة  
إلى المعهد من الساعة السابعة صباحا إلى الساعة الحادية عشرة للاستماع إلى محاضرة عامة  
في المسجد .

وينتشر الطلاب في أيام الأجازات للدعوة بتخطيط من المعهد ويدير هذه النشاطات  
كلها هيئة من الطلاب تحت إشراف المدير .

### محاضرة الصباح :

وبعد أن صلينا الفجر مرة أخرى في قاعة المحاضرات وكانت المحاضرة بعنوان «صفقة  
أولياء الله مع الله» وكان محور المحاضرة قواه سبحانه وتعالى : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين  
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في  
التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك  
هو الفوز العظيم﴾ .

### إلى معهد مانجاية :

طلب منا أن نزرع معهد مانجاية ، وهو يبعد عن معهد دار السلام مسافة مقدارها  
إثنا عشرة كيلومتر تقريبا ، وهكذا تجد في أندونيسيا كثرة المعاهد والمدارس وبعضها بجوار  
بعض وصلنا إلى مقر المعهد في الساعة السادسة والنصف ، وكنا نظن أن المسؤولين في المعهد  
قد بلغوا بزيارتنا ولكننا عندما وصلنا لم نجد إلا ثلاثة أو أربعة من الطلبة قاعدين قرب باب  
المعهد بملابس نومهم ، وكنا ماشين لأن السيارة لا تصل إلى مقر المعهد بسبب المزارع فلما  
رأونا بلباس عربي اضطربوا وأسرعوا لإخبار بعض المسؤولين فخرج وكيل المعهد - بعد أن  
أيقظوه من نومه - فلما رأنا ورحب بنا ذهب هو أيضا ليقظ مدير المعهد على رغم محاولتنا صده

عن ذلك وطلبنا منه أن يجلس معنا قليلا دون حاجة إلى إزعاج المدير أو غيره لأننا على سفر فلم يجبه المدير في أول الأمر لأنه كان مستغرقا في نومه فرجع إلينا وكنا نؤكد عليه عدم إيقاظ أحد وهو لا يزيد على الابتسامة . وسمعنا مكبر الصوت ينادى من المسجد ويذكر المملكة العربية السعودية والمدينة المنورة وأصبح المعهد في حالة طوارئ فأنكرنا ما حصل ، وصاحبنا لا يزيد على الابتسامة شيئا وهذه عادة الأندونيسيين إذا أرادوا شيئا نفذوه وهم يتسمون أردته أم لم ترده دون أن يجادلوك أو يثير وا ضجيجا أو ايمانا وعليك أن تتحمل نتائج إبتساماتهم أنت كذلك دون جدال لأنه لا ينفع كثيرا .

ولم يقدر على بقاء المدير نائما فذهب يطرق عليه الباب مرة أخرى حتى جاء به من نومه مبتسما مثله ، خرج المدير لابسا ثوبا وعمامة ملونة (شال) ملتحفا بأخرى على كتفه على هيئة لباس علماء الحضارم ، وهو ملتح يميل لونه إلى السمرة يتهادى في مشيته مع وقار واعتزاز بنفسه فسلم علينا ورحب بنا وأخذ يشرح لنا حالتهم وحالة هذا المعهد فقال : أسسنا هذا المعهد سنة ١٩٦٧م وكنا قبل ذلك مع قومنا في الجبال والغابات نجاهد الشيوعيين والجمهورية - كما قال - .

وعندما أسسنا هذا المعهد أقبل عليه الطلاب إقبالا شديداً وبلغ عددهم ألفا ومائتي طالب وطالبة ، والمباني الموجودة لا تتحمل في الأصل إلا خمسمائة ولكن لشدة الحاجة سكن في هذه المباني هذا العدد الكبير .

### الأمير السعودي :

وقال : ان الأمير السعودي - هكذا كانت عبارته - وهو يقصد جلاله الملك - رجل كريم يساعد كل المؤسسات الاسلامية وأنا كتبت له عن طريق البريد ثم كتبت له عن طريق السفير في جاكرتا (وأعطانا صورة الخطاب) ولكني لم أتلق منه شيئا منذ ست سنوات وطلب منا إبلاغ الأمير السعودي رغبته في المساعدة .

والدراسة في المعهد ست سنوات على طريق حلقات المساجد وطلب منا أن نجتمع بالطلبة الموجودين الذي يبلغ عددهم ثلاثمائة وهم الذين بقوا ولم يذهبوا في الاجازة إلى أسرهم ، فذهبنا إلى المسجد ووجدناهم قد اجتمعوا مبتسمين مسرورين على الرغم أنهم قاموا لتوهم من النوم وقد كانوا سهرانين طول الليل فقرأ الشيخ عبد القوى ما تيسر من القرآن وهم يرددون عند مقاطع الآيات : الله . . الله بعاطفة يبدو عليها الصدق وطلب مني أن ألقى

خطابا - كما قال - فاعتذرت لأنى كنت متعباً فقال الشيخ عبد القوى جزاه الله خيرا وكانت أول مبادرة منه : أنا أنوب عنك قلت نعم فقال للطلبة يجب عليكم أن تؤدوا واجبكم لأنكم جيل المستقبل ودعا لهم وهم يؤمنون ثم خرجنا وهم ملتفون حولنا يودعوننا وكان المطر نازلاً - خفيفاً - فقال لا تذهبوا حتى نغطيكم بتأثير من المطر فقلنا لا حاجة لأنه خفيف والسيارة قريبة فأصر على عدم خروجنا لأن المطريورث المرض - أى الزكام - لاسيما عندما يكون موسم الأمطار في أوله ثم واصلنا السير إلى باندونج ، وكنت مع شدة التعب وقلة النوم أحاول أن أغمض عيني لأنعس ولكن مفاجآت وقوف السيارة عدة مرات كانت تطرد النوم عنى ، كان خروجنا من المعهد في الساعة الثامنة والنصف تقريبا ووصولنا إلى باندونج في الساعة الثانية عشرة وعندما وصلنا إلى باندونج كنا نرغب في مواصلة السفر إلى جاكرتا إذا وجدنا طائرة ، ولكن لم نجد فحجزنا لنسافر غدا ونزلنا في فندق «هومان» وهو من الفنادق الممتازة ، حجرة واسعة ويلحق بكل حجرة قاعة واسعة وشرفة واسعة ، وأثاث الفندق فاخر وهو في غاية النظافة ويمتاز بالهدوء التام والخدمة السريعة .

وهو يقع بجانب المبنى الذى عقد فيه مؤتمر باندونج الشهير وهو المؤتمر الآسيوى الأفريقى الذى عقد عام ١٩٥٥م وحضر عن المملكة جلالة الملك فيصل رحمه الله ، ويسمى هذا المبنى : مبنى الاستقلال .

قال فى القاموس السياسى : واشتركت فيه ٢٧ دولة مستقلة هى : جمهوريات الهند وسيلان وأندونيسيا ومصر والصين الشعبية وكمبوديا ولبنان ولاوس والفلبين وسوريا وتايلاند وتركيا وفيتنام الجنوبية والسودان وساحل الذهب (غانا) والدول الملكية الآتية : أفغانستان وأثيوبيا وإيران والعراق والأردن وليبيا ونيبال والمملكة العربية السعودية واليمن . (١) .  
وفى المساء تجولنا فى بعض الأسواق فى باندونج لشراء بعض الأغراض .

٢٠/٩ صاحب العزة :

دعانا الشيخ أنور مسدد لتناول طعام السحور عنده وطلب منى أن ألقى محاضرة الصباح فى المسجد الجامع الذى يصلى بالناس فيه وهو من مؤسسات نهضة العلماء وقال : إن هذا الجامع يجتمع فيه خمسة آلاف فليت رغبته .

(١) القاموس السياسى : أحمد عطية الله ص ١٨٠ . وقد أصبحت هذه الدول كلها جمهوريات ماعدا المملكة العربية السعودية

ومملكة نيبال .

وذهبنا إلى المسجد قبل أذان الفجر مع الشيخ أنور، وكان أبناء المدارس من بنين وبنات في أعمار متفاوتة ينتظرونه قرب المحراب وعدد كبير وعندما وصل أخذ يكتب لهم دروسا في اللوح المسند إلى جوار المسجد باللغة العربية في الأعلى وباللغة الأندونيسية في الأسفل وهم يتزاحمون ليكتبوا الدرس وذكرنا أن هؤلاء الأولاد يكتبون الدرس ويحفظونه ويشرح لهم في وقت آخر .

وبعد صلاة الفجر قرأ الشيخ عبد القوى ما تيسر من القرآن ثم أعلن الشيخ المكي أن فلانا سيلقى محاضرة فتقدمت وكان الشيخ هو المترجم وكان عنوان المحاضرة «من أين تطلب العزة» . وعناصرها كما يلي :

١ — ما من أمة إلا وهي تدعى أنها تريد العزة والمجد .

٢ — مالك العزة هو الله «من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعا» فمن طلبها من مالكتها أعطيها . «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء، وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير» .

٣ — قد يغتر بعض الأغبياء بمُلكٍ أو مال فيظن أنه يستطيع أن يعز غيره أو يذله وهو غرور خادع جعل رئيس طغاة المنافقين يهدد رسول الله ﷺ وأصحابه بالاذلال والافقار ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا والله خزانة السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل والله العزة لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ .

٤ — وسيلة العزة هي الأمر بالعروف والنهي عن المنكر بمعناها العام الشامل ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ . وكذلك الوفاء بصفقة البيع والشراء التي تضمنتها الآية الكريمة : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ إلى قوله : ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ .

٥ — وفقدنا العزة عندما طلبناها من غير الله من اليهود والنصارى في الغرب أو الشرق : ﴿أبيتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾ .

والذين طلبنا منهم العزة يتعاونون علينا اليهود والنصارى والشيوخيون ، كما هو الحال في إيران ولبنان وقبرص وتشاد وأوغندا وإثيوبيا والصومال وأفغانستان والفلبين وقبل ذلك فلسطين .



٦ - وهذه القدس يعلن رسميا أنها عاصمة إسرائيل الخالدة بين المسلمين الذين يبلغ عددهم ألف مليون تقريبا .

(وكان هذا بعد يوم أو يومين من إعلان إسرائيل ذلك) .

ومن المصادر المذلة التي يطلب المسلمون الآن فيها العزة هيئة الأمم ومجلس الأمن . وبعد أن انتهت المحاضرة التي استغرقت أكثر من ساعة طلب الشيخ المكي من الناس الذين ينتظرون لمصافحتنا أن ينظموا أنفسهم صفوفًا ففعلوا ذلك ووقفنا نصافحهم حتى تعبنا من الوقوف .

**أنا قلت : كأنه :**

وقال الشيخ المكي والناس يصافحونا : من صافح أحداً من أهل المدينة فكأنه صافح الرسول ﷺ قلت له : استغفر الله فقال أنا قلت : كأنه قلت ولولا تجوز هذه المبالغات . ثم ودعناه وودعنا وذهبنا نحن إلى الفندق للاستعداد للسفر .

**إلى جاكرتا :**

وجاءنا في الساعة الثامنة والنصف الأخ عبد الحليم ولد الشيخ المكي - وهو أحد الطلبة الأندونيسيين الذين تخرجوا هذا العام في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو شاب صالح يرجي له الخير إن شاء الله (ولا أركى على الله أحدا) فنقلنا إلى مطار باندونج للسفر إلى جاكرتا، وأقلعت الطائرة في الساعة التاسعة والنصف . وهبطت في مطار جاكرتا في الساعة التاسعة والدقيقة الخمسين .

ويشكو المثقفون من وجود الفساد الإداري على مستويات عليا وهم لذلك يخشون من كوارث تهدد البلاد .

غادرنا المطار إلى فندق «سبنج» الذي كنا فيه قبل السفر إلى باندونج .

**إلى الفضاء :**

في الساعة السابعة والنصف مساء ذهبنا إلى القبة السماوية لمشاهدة فيلم عن بعض الكواكب المشهورة وبدأ العرض في الساعة الثامنة وكان غالبه في حركة الشمس والكواكب

حولها واستغرق العرض ساعة كاملة ، وكان المتحدث إذا وجد فرصة ألقى نكتة يضحك بها الحاضرين الذين اشتدت أبصارهم إلى السماء وطال إنصاتهم للشرح في الظلمة التي لا تخففها إلا أنوار الكواكب المصورة .

فعندما عرض حركة القمر وهو يسير إلى الغرب ، قال المتحدث : نحن الآن في الساعة الرابعة - أى صباحا ، مع إنا كنا في الساعة الثامنة والنصف مساء - هذا هو وقت السحر فمن شاء منكم أن يدرك السحور فليتسحر .

وكذلك عندما عرض نزول الشهب قال : إن بعض الناس يعتقدون أن الدعاء يستجاب عند نزولها فادعوا (وهذه النكتة ما كان ينبغي أن تقال ولكن الأستاذ جاهل وكان ينبغي تنبيهه . ولكن عند الانتهاء يشعل الأنوار ويبدأ الناس في الخروج ولا يعرف المتحدث من غيره) .

### محطة الهبوط :

وكان هبوطنا من القضاء في فندق يقيم فيه فضيلة الشيخ محمد المجذوب المدرس بالجامعة الإسلامية والشيخ ناصر الطريفي المدرس بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية وهما متدبان من قبل الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد للاتصال بمبعوثي الرئاسة للدعوة في أندونيسيا ووجدنا عندهما بعض هؤلاء المبتعثين ممن تخرجوا في الجامعة الإسلامية كما إلتقينا عندهما بالأخ الشيخ عبد العزيز عمار مدير المركز العربي السعودي لتدريس اللغة العربية في جاكرتا ودارت مناقشات في شؤون الدعوة الإسلامية اجتمعت الآراء بعدها في أنه يجب التنسيق بين المؤسسات الإسلامية والتعاون في هذا الصدد حتى لا تبعثر الجهود، وحتى يمكن الوقوف ضد مخططات أعداء الإسلام من الشيوعيين واليهود والنصارى بأساليب علمية قوية . وطلب منا الأخ عبد العزيز عمار زيارة المركز فوعدنا بالزيارة مساء غد ثم عدنا إلى الفندق .

### ٩/٢١ - عبث وتواضع :

في الساعة العاشرة تجولنا في بعض أسواق جاكرتا ثم ذهبنا إلى برج الاستقلال الذي يرتفع - كما قال لنا باهرمز - مائة وخمسة وأربعين مترا ، وقد توج أعلاه بما يشبه الشعلة قال عبد الله وغيره من الطلبة الأندونيسيين أنها من الذهب ، قلت وإلى أمثال هذا البرج الذي تنفق فيه أموال المسلمين في كثير من الشعوب الإسلامية - مع شدة حاجة المسلمين إلى

الأموال التي تنفق في ذلك - أشار البارى سبحانه بقوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ﴾ فكم من آيات عبث شيدت في الشعوب الإسلامية ولم يكتف في تشييدها بمواد البناء العادية بل أضيف الذهب الذي يكون وبالأعلى كائنه فكيف بالعابث به؟! .

ويحيط بالبرج في أسفله بهو واسع وحجرات فيها صور مجسمة تمثل تاريخ أندونيسيا القديم والحديث: صور مجسمة للناس: الشعب والزعماء والرؤساء وأعضاء البرلمان والوقت الذي يستغرقه المسافر في هذا المصعد من أسفل البرج إلى أعلاه دقيقة ونصف الدقيقة .

وألقينا نظرات على مساكن الأندونيسيين في العاصمة (جاكرتا) التي تشبه ظهور الجمال - لكن بدون أسنمة - مكسوة بالأجر الأحمر الداكن الهادي - مثل هدوء ساكنيتها - قصيرة غير مرتفعة - كذلك - إلا بعض العمارات التابعة لبعض الشركات كالفنادق ونحوها تنتشر هنا وهناك شبيهة بالأشباح التي يقيمها الزراع في مزارعهم لتخويف الحيوانات التي تعبت بالمزارع لإيهاها بأنها حراس .

### فلفل الهندي وفنجان النجدي :

إتصل بنا الأخ الشيخ عبد العزيز عمار وأصر على أن يضيفنا على طعام العشاء وجاءنا في الساعة السابعة والنصف مساءً وذهب بنا إلى مطعم هندي يديره مسلمون ويسمى : مطعم عمر الخيام فتناولنا طعام العشاء بفلافه وذهبنا بعد ذلك إلى مكتب الأخ عبد العزيز فقدم لنا الشاهي الذي كنا نتمنى أن نذوقه في رحلتنا هذه فلم نذقه إلا عنده وعند الشيخ ناصر الطريفي في الليلة الماضية وزادنا الشيخ العمار القهوة العربية التي صنعها الشيخ<sup>(١)</sup> القصيمي بعد أن كفكف كُمية عن ذراعيه وأزال طاقيته عن رأسه وأخذ يصب واقفا تلك الوقفة النجدية الكريمة وبعد أن شربت حتى رويت حاولت إقناعه بالكف عن الصب فقال : فنجان واحد بس وخرج النجدي هنا عن عادته فصب حتى إمتلأ الفنجان بدلا من صب القليل في أسفله فشربت ودعوت له . قلت : لقد جمع الله لنا هذه الليلة بيد فلفل الهندي وفنجان النجدي ، ثم تجولنا في المعهد الذي نظم تنظيمها جيدا ولازال إعداده مستمرا .

(١) أحد أساتذة المركز .

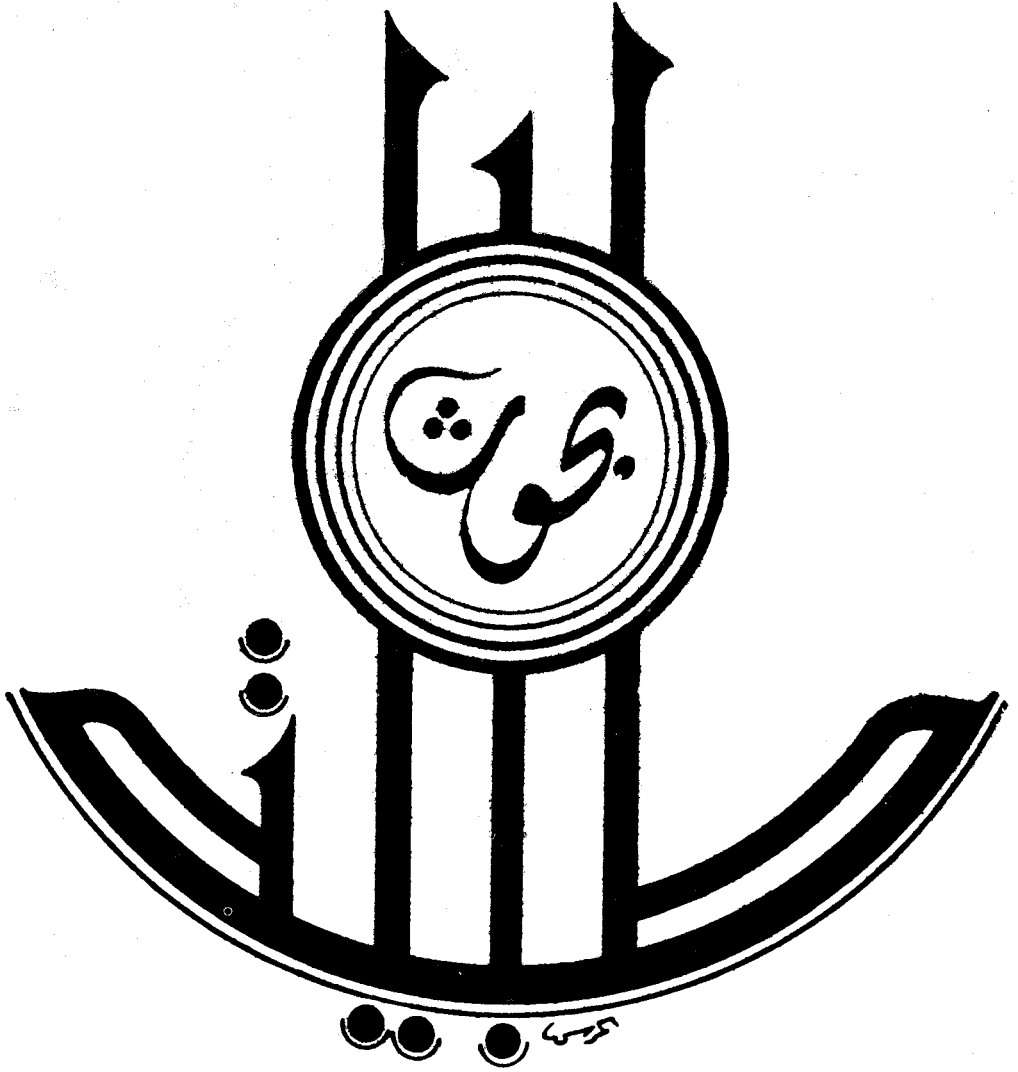
والشيخ العمار متفائل كثيراً بهذا المركز بعد تجربة المدة الماضية التي لا تزيد عن سنة دراسية حقق الله له تفاعله وبارك في جهوده وجهود كل العاملين لنشر الدعوة الإسلامية ووسائله .

وقد طلب منا الأخ العمار تزويد مكتبة المعهد بمجلة الجامعة وما يستجد من الكتب النافعة .



## العلم وفضيلته

روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال :  
تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح،  
والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة . . .  
وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين  
والمصبر على البساء والضراء .  
يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم، أدلة في  
الخير، تقتفى آثارهم، وترمق أفعالهم .  
يبلغ العبد به منازل الأبرار، والدرجات العلا، والتفكر فيه يُعدل  
بالصيام، ومدارسته بالقيام .  
به يطاع الله عز وجل، وبه يُعبد، وبه يوحد ويمجد وبه يتورع وبه  
توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام .  
وهو إمام والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء .





# أَسْتِعْمَالُ الْأَدْوِيَةِ

د. فوزي محمد سالم

أخصائي الأذن والأنف والحنجرة بمستشفى الجامعة

هناك علاقة مترابطة بين كل من الدواء ، والطبيب ، والمريض ، والمرض . والطبيب والمريض يقفان صفا ضد المرض بسلاح الدواء ، وهذه حقيقة لا تحتاج إلى تفسير . ولابد أننا بالطبيب لوجدنا أنه الذي أعطاه الله ميزة لم تعط لغيره ، كما فرض عليه التزام لم يفرض على سواه ، وهو معالجة المريض ، وهذا يحتاج إلى علم ومعرفة في العلاج وأساليبه فهو يصف الدواء ضد المرض محاولا علاج المريض وتخليصه من آلامه .

ويجب علينا أن نعرف استعمالات الدواء حتى لا تنتج نتائج عكسية من سوء استعماله . والدواء يستعمل في المجالات الآتية :

١ - مجالات تشخيصية .

٢ - مجالات وقائية .

٣ - مجالات علاجية .

والدواء أصبح سببا في إحداث أنواع من الأمراض إذا أسىء استعماله . وتأثيرات الدواء الضارة يمكن أن تصيب كل عضو وجهاز في جسم الإنسان .

ذلك لأن الدواء الذي يُستعمل دون توجيه طبي يكون خطراً ، إذ أن مستعمله قد لا يدري إن كان هذا الدواء مخدراً أو مهبطاً أو حتى قاتلاً ، فربّ مريض عالج نفسه من زكام بالسلفوناميد أو البنسلين فيموت من الدواء لا الداء .

وقد عرفت بالتجربة الشخصية أن أغلب أساتذتي لا يستعمل أكثر من أربعين أو خمسين مركبا ، يعرفون فاعليتها وأمانها فيصفونها لمرضاهم فيأتي الشفاء بإذن الله على أيديهم بسبب هذه الأدوية . إلا أن كثرة التردد على الأطباء يجعل المريض يستعمل أكثر من دواء ، وكل دواء به أكثر من مركب .

وبملاحظة أحد المرضى تردد على خمس عيادات في دورة واحدة ، وجد أنه وصفت له خمس وصفات بها أكثر من اثني عشرة صنفاً من الدواء يحتوى على ما لا يقل عن ثلاثين مركباً . وهذه المركبات لها آثارها لاشك في جسم الإنسان .

وقد لوحظ أكثر من ٢٥ - ٤٥٪ من المرضى يخطئون في استعمال الأدوية الموصوفة لهم مما يؤدي إلى حدوث تأثيرات عكسية بسبب سوء استعمال الدواء ، وهناك صنف من المرضى يبلغون حوالي ٣٠٪ من مجموع المرضى لا يتناولون الأدوية التي توصف لهم ولكنها هوية العرض على الطبيب أو عدم الاقتناع أساساً بالدواء الموصوف ، وهناك صنف آخر يرجون من الدواء أن يفعل فعل السحر بتناول جرعة واحدة أملاً في الشفاء العاجل وإلا كان مصير باقى الدواء صناديق القمامة .

وهناك صنف من المرضى يخطئون في تناول ما يشترونه من الدواء بدون إرشاد الطبيب فضلاً عن أنهم لا يقرأون ما كتب من تعليمات لتناول الدواء ، بل إن بعضهم لا يهتم بما كتب الطبيب أصلاً .

وهناك صنف آخر أشد خطراً وهم الذين يتركون الدواء بعد الجرعات الأولى عندما يحسون بمظاهر التحسن .

وسوء استعمال الدواء ينجم عنه ما يأتى :

- ١ - نقص في مفعول الدواء ذاته .
- ٢ - حدوث تفاعلات عكسية من الدواء .
- ٣ - تفاعلات مضادة باستعمال عدة أدوية في نفس الوقت .

ولابد من القول بأنه لا يمكن بحال من الأحوال مراقبة المريض خارج المستشفى أو العيادة في أخذ جرعات الدواء المناسبة .

فالأدوية مواد كيميائية غريبة ، يمكنها أن تحدث استجابات مناعية معينة ، لكن بعض المرضى يكونون مستعدين للإصابة بتفاعلات عكسية ، لذلك فمن الجرعة الأولى يحدث التفاعل الدوائى المعاكس ، ووجود مرض الكلى أو الكبد أو الأمعاء يزيد من تفاعلات الدواء المعاكس .

ونتيجة لتعدد الأدوية ، تزيد مشكلة المرض الناتج عن استعمال الدواء باطراد . والتفاعلات أو الآثار الجانبية للدواء تنقسم إلى ما يلي :



- ١ - منها ما يقرب من ٣٠٪ - مظاهر معدية ومعوية خاصة القيء والإسهال .
- ٢ - ومنها حوالي الخمس - آثار عصبية ونفسية .
- ٣ - ومنها العشر تقريبا - عوارض قلبية .
- ٤ - ومنها ٥٪ - تغيرات دموية وتأثيرات أخرى .

والآثار المعوية والمعدية تعادل في النساء ضعف ما يحدث للرجال ، ونسبة الوفيات بسبب الدواء من العلاج ببعض المستشفيات تتراوح بين ١ - ١٠٪ . وأكثرها نتيجة لاستعمال « البنسلين » و « الديجتالس » .

وهنا يتبادر للذهن سؤال هام ، ألا وهو :

**ما هي الأسباب لهذه التفاعلات الدوائية ؟**

وهذا الموضوع في الحقيقة لبّ البحوث الطبية في أنحاء البشرية ، ذلك أن التفاعلات الدوائية تعود لسببين : إما في الدواء نفسه ، وإما في المريض ذاته .

أو أن الشخص تبدولديه حساسية غير عادية لتأثيرات الدواء .  
وربما يكون عند المريض مناعة لهذه المركبات من الأصل خلقياً .

والتفاعلات بصورها الثلاث هي :

(١) مُسهّلة : إذا التهابت الأمعاء .

(٢) مُشوهة : إذا أحدثت تشوهات لأجنة الحوامل .

(٣) سُمية .

فإذا كان تفاعل العلاج يعود للدواء ذاته ، فعلاجه يكون بإنقاص الجرعة ، وإذا كان السبب لنقص في المناعة ، فهذه هي المشكلة ، ذلك أن الخلل يكون عادة في الامتصاص أو التركيز في الدم أو الإفراز ، أولوراثة شاذة كما عند بعض الأطفال الذين تعوزهم « خميرة جلوكوز - ٦ - فوسفات »

**تفاعل الدواء مع الدواء :**

إن الطريقة الشائعة باستعمال أدوية عديدة ، تزيد من التفاعل القوي على المرض أو تزيد من خطر التسمم ، وربما تمنع الفائدة الكلية أو الجزئية للدواء .

وفي هذا المجال نضرب أربعة أمثلة لأدوية متداولة :

١ - مثال التفاعل لإحداث أثر قوى : لو أعطى مركب السلفاميد مع مريض يأخذ «تولبوتاميد» فإن هذا يزيد من نقص السكر بالدم .

٢ - أما التسمم : فلوتعاطى مريض مركب «الجانتاميسين» ومعه «حمض الأتاكين» لعلاج الأذن ، لفقدت الأذن حاسة السمع .

٣ - ولو تناول مريض شراباً ضد الحموضة : «به مركبات الألومنيوم» وتناول مركب «التراسيكلين» . . لأدى هذا إلى اضطراب في الامتصاص المعدي المعوي .

٤ - ولو أعطى مركب الحديد وهو أصلاً يعالج «بالتراسيكلين» لتوقف امتصاص الأخير تماماً في الجسم ولا مفعول له .

ظواهر التفاعلات الدوائية :

لابد لنا من جولة مع الآثار الجانبية للتفاعل الدوائي في الجسم وما يترتب عليه من آثار على أجهزة الجسم المختلفة ، مع ذكر بعض أسماء من الأدوية التي يعرفها الجميع وربما تناولها . ويمكن أن نبين الآثار الجانبية على كل عضو على حده فيما يلي :

أولاً : الجلد :

الجلد هو أكثر أعضاء الجسم تأثراً بالتفاعل الدوائي بل إنه المرآة الصادقة للأثر الناجم عن أى دواء ، والعلامات التي يظهرها الجلد هي :

أ - الطفح الجلدي : ذات الشكل الحصى وهو شائع بين معظم الأدوية .

ب - الحكمة : كثيرة الحدوث مع الطفح أو بدونه .

ج - تغير لون الجلد : وهذا ينتج عن فرط استعمال فيتامين « أ » وكذلك استعمال مانعات الحمل الفمية .

د - سقوط الشعر : مع مركبات الهيبارين - والكلوشيسين .

ثانياً : الجهاز الهضمي :

أ - بداية من الغثيان - القيء - الإسهال - آلام البطن - التهاب اللثة - قرحة المعدة

التي تحدث غالباً من كثرة تناول الأسبرين ومضادات التجلط .

ب - تليف الكبد ، هالوثان .

### ثالثاً : الدم :

إن حدوث تغييرات في عناصر الدم المكونة شائع الحدوث في بعض الأدوية ، إلا أن منها ما لا تأثير له على الدم ، ولازال مركب البنسلين هو الدواء الذي لا يحدث تغيراً في مكونات الدم :

أ - نقص عناصر الدم : يحدث مع الكلورامفينكول ، الفنيل بيوتازون .

ب - انحلال الدم : مع مركبات السلفا .

ج - فقر الدم : مضادات حمض الفوليك .

د - نقص الصفائح الدموية : المسكنات والمهدئات .

### رابعاً : الحمى :

قد تكون حدوث الحمى ظاهرة منفردة للحساسية الدوائية ، وأغلب المستحضرات قد تُحدث تفاعل حُمى مع الجرعات الأولى للدواء أوفى الأسبوع الثاني من العلاج . والحمى ترافق أحياناً مع زيادة كريات الدم البيضاء ، وتزول تدريجياً بعد إيقاف الدواء بفترة قصيرة .

### خامساً : الاضطرابات العصبية :

هناك تظاهرات عصبية خلال المعالجات الدوائية ، وأكثرها شيوعاً حدوث تغييرات في الوعي أو نعاس كما يحدث مع المهدئات والأتروبين والديجتالس . لكن أشد هذه خطورة الإدمان لمركبات المورفين والبيتدين .

### سادساً : القلب :

أ - عدم انتظام ضربات القلب مع مركبات الديجتالس ، الأتروبين ، الكينين .

ب - قصور القلب وضعف عضلة القلب مع مركب الإيمينين .

سابعاً : الكلى :

أ - الخلل الكلوى أو القصور الكلوى وهذا ينتج عن مركبات الديالتين ، السلفميد ، الكلوشيسين .

ب - حصيات الكلى : الكثرة فى تناول فيتامين « د » .

ثامناً : العين :

أ - اضطرابات عضلة العين مع مركبات بوليميكسين « ب » .

ب - اعتلال الشبكية .

ج - التهاب العصب البصري مع ستر بتوميسين ، كلورامفينيكول ، مانعات الحمل الفمية .

تاسعاً : الأذن :

بعض الأدوية يسبب صمماً للعصب السمعى ، وأهم هذه الأدوية هى :  
الاستر بتومايسين - النيومايسين - الكاناميسين - الكلوربورمازين .

عاشراً : الجهاز التنفسى :

والاضطرابات الدوائية على صورة ربو - أوضيق فى التنفس ، مع مركبات الأسبرين والأندوسيد .

تشخيص التفاعل الدوائى :

هنا يكون الدور الرئيسى للطبيب ، الذي تتبين مهارته فى البحث عن هذه التظاهرات الناجمة ، هل هى من الدواء نفسه أم من مناعة المريض ، أم هى نسبة لمرض عضوي أصلاً .

على هذا فإن عدداً من الأمور لابد وأن تتبادر فى ذهن الطبيب وهى :

١ - معرفة الدواء أو الأدوية المتعاطاة .

٢ - تقدير إمكان حدوث تفاعلات بين هذه الأدوية .

٣ - العلاقة الزمنية بين إعطاء الدواء وحدث المرض .

٤ - المعرفة والإلمام بالظواهر التى تسببها بعض الأدوية .

فالتعرف على المرض الحاد نتيجة الخاصة الدوائية للعلاج أسهل بكثير من التعرف على المرض الناجم عن المناعة .

فعلى سبيل المثال : من السهل معرفة اضطراب القلب مع مريض يتناول الديجيتالس ، أو معرفة السبب في نقص السكر في مريض علاجه الإنسولين أو التزيف في مريض يُعطى مضادات التجلط . بينما لا يكون سهلاً معرفة السبب في حدوث الحمى والطفح الجلدي . فإذا أوقف العلاج عند حدوث التفاعل . و زال التفاعل ، كان هذا دليلاً قاطعاً على العلاقة بين العلاج والتفاعل الواضح . كذلك إذا خفت الجرعة ، يقل التفاعل ، لكن توجد صعوبة إذا كان المريض يتعاطى أكثر من صنف من الأدوية .

والجديد في الطب الآن هو معرفة مستوى الدواء في دم المريض وفي بوله أيضاً لتعرف درجة التركيز بهما ، والحكم عليها بمعايير معينة للحكم عليها إن كانت الجرعة سمية أو غير سمية .

أما عن سؤال المريض وسرد قصته السريرية للمرض ، وهل عندك حساسية لأي نوع من الدواء ، فهذا هام في التشخيص .

### المعالجة والوقاية من الدواء :

مهما كان السبب فلا بد أخي القارئ من أخذ مشورة الطبيب في الدواء ، ولا تأخذ وصفةً من صديق على أنها مجربة ، فإن ما يصلح لمريض لا يصلح لغيره ، ويجب الحذر من تعاطى أنواع كثيرة من الدواء ، منعاً للتفاعل . ولا بد لك من سؤال : هل مرضك يستحق تعاطى هذه الأدوية كلها ؟

ليس من المعقول أن يخوض المريض حرباً مع المرض بدون القائد وهو الطبيب ، فربما كان السيف الذي يجمله وهو الدواء يصل إلى أن يغمد في صدره لا في مرضه .

أما لو حدثت تفاعلات دوائية ، فعلاجها وقف العلاج فوراً . وينصح بإعطاء مضادات الهستامين ، وفي بعض الأحيان مركبات الكورتيزون .

أما إزالة الحساسية الناجمة عن دواء ما ، فهذا يتأتى بإعطاء جرعات صغيرة متدرجة تدرجاً تصاعدياً في الكمية ، لحث الجسم على بناء مناعة ضد هذه الحساسية المعينة .

وفي نهاية هذا البحث أؤكد أنني أردت منه أن تأخذ جانب الحذر عند استعمال الأدوية ، ولابد من استشارة الطبيب في استعمالها ، ومع ذلك يجب أن نقتل من الدواء بقدر ما نستطيع ، ذلك أن بعضها يقتل ، وبعضها يؤدي .

ولقد منّ الله سبحانه وتعالى علينا بجنود داخل أجسامنا تقاوم الأمراض وتصارعها ، فلا تقلل من قوتها بكثرة الدواء .

اسأل الله العافية والصحة للجميع .

## التفضيل بين المنطق والصمت

قال الذين يذهبون إلى تفضيل المنطق :

إنما بعثت الأنبياء متكلمين ، ولم يبعثوا صامتين . وبالكلام وصف فضل الصمت ، ولم يوصف القول بالصمت . وبالكلام يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، والبيان من الكلام هو الذي منّ الله به على عباده ، فقال : ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ .

والعلم كله لا يؤديه إلى أوعية القلوب إلا اللسان ، فنفع المنطق عام لقائله وسامعه ، ونفع الصمت خاص لفاعله .

قالوا : وأعدل شيء قيل في الصمت والمنطق قولهم :

الكلام في الخير كله أفضل من الصمت ، والصمت في الشر كله أفضل من الكلام .

قال عبد الله بن المبارك يرثي الإمام مالك بن أنس :

صموت إذا ما الصمت زين أهله

وفتاق أبقار الكلام المختم

وعى ما وعى القرآن من كل حكمة

ونيطت له الآداب باللحم والدم

# مِنْ أَهْلِ سَلَامَةِ عَيْنِكَ

د. فكري السيد عوض

انفصالي العيون بمستشفى الجامعة

لقد أنعم الله على الإنسان بنعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى ، ومن بين هذه النعم  
نعمة الإبصار . ولا ينكر إنسان أهمية الإبصار وقيمته في الحياة ، ولذلك كان ولا يزال  
الاهتمام بالعين عظيماً .

ولكى نحافظ على سلامة هذا الجهاز الرباني الدقيق فإنه يجب معرفة بعض الأشياء  
الضرورية المتعلقة بسلامة العين ، فالوقاية دائماً خير من العلاج ، ولذلك فإن الطب  
الوقائي يعتبر جزءاً هاماً من فروع الطب .

وستعرض في بحثنا هذا بعون الله وتوفيقه للنقاط الأساسية الآتية :

- \*\* متى تبدأ العناية بالعين ؟
- \*\* كيفية الوقاية من أمراض العيون ؟
- \*\* بعض الأمراض التي تؤثر على قوة الإبصار ؟
- \*\* ماذا يعني احمرار العين ؟ ونزف العين ؟
- \*\* ماذا تفعل إذا دخل جسم غريب في عينك ؟
- \*\* ما هو تفسير ما يسمى « بالذبابة الطائرة » وهل لها علاج ؟
- \*\* فيتامينات تتعلق بسلامة العين .
- \*\* ما يتعلق بالنظارات بجميع أنواعها .

\*\* متى تبدأ العناية بالعين ؟

أولاً : قبل الزواج :

وهو يتعلق باختيار الزوج لزوجته حيث يجب مراعاة عوامل الوراثة فهناك بعض  
الأمراض التي تصيب العين تنتقل بالوراثة وتكون الإصابة بها أشد لو كان الزوجان من عائلة  
واحدة وكل منهما حامل لعامل الوراثة .

فمثلاً إذا كان الأب مصاباً بقصر نظر شديد ، والأم مصابة بنفس المرض فالغالب أن يكون الأطفال مصابين بنفس المرض وربما يكون بدرجة أعلى كثيراً من نفس النسبة لو أن كلا منهما تزوج بآخر سليم .

وكذلك حالات الضمور الشبكي التلوني الذي تبدأ علاماته في وقت مبكر وتزداد الحالة سوءاً حتى يفقد الشخص بصره في أوائل سن الشباب ، وليس لهذا المرض علاج حتى الآن .

### ثانياً : بعد الزواج وأثناء الحمل :

وهذا يتعلق بالرعاية الصحية للأم أثناء فترة الحمل ، وعدم إهمال علاجها ، والعناية بتغذيتها وإعطائها الكميات اللازمة من فيتامينات وأملاح كالكالسيوم . فالأم تحتاج إلى فيتامين « أ » أثناء الحمل ، لأن الجنين يمتص هذا الفيتامين من الأم ، ولذلك فإن على الحوامل الإكثار من أكل الخضروات ، والجزر ، واللبن ، والبيض ، والكبد ، والزيت الحيوانية .

ومعروف أن نقص فيتامين « أ » يؤدي إلى عدم الرؤية ليلاً ، وإلى جفاف العين ، وكثرة التعرض لحدوث القرحة في القرنية .

وفي نفس الوقت نحذر من المبالغة في تناول فيتامين « أ » على هيئة حبوب أو حقن لأن ذلك قد يؤدي إلى حدوث مضاعفات في الجهاز العصبي ، والعظمي ، . . . الخ .

وفي هذه الأيام التي يكثف فيها استعمال أقراص منع الحمل ، لوحظ أنها تتسبب في بعض حالات داخل الجسم الزجاجي وفي الشبكية .

وبعض السيدات تحاول إجهاض أنفسهن بمركبات « الكينين » التي ربما تتسبب في فقد أبصارهن لتأثير هذه المركبات على الشبكية .

### ثالثاً : بعد الولادة :

يجب على الأم والأب الانتباه إلى عيني وليدهما منذ اللحظة الأولى لولادته ، هل لون عينيه غريب ؟ هل حجمهما أكبر من المعتاد ؟ هل تتحركان حركة بندولية باستمرار ؟ هل تساعدان الطفل في مشيته ؟ وإذا لاحظنا شيئاً من ذلك فلا بد من عرضه على الطبيب قبل أن يفوت الأوان .



كذلك فإنه من المعروف أن عين الطفل لا تدمع قبل مرور عشرة أيام على الأقل بعد الولادة ، ومن هنا يجب التنبيه إلى أن أى تدميع من العين قبل هذا الوقت قد يكون أولى علامات الرمذ الصديدي في الأطفال الحديثي الولادة ، وقد يتطور بعد ذلك ويظهر المرض في صورته الكاملة من إفراز صديدي من العين واحمرار للملتحمة ، وتورم للجفون . وخطورة هذا المرض تكمن في مضاعفاته مثل قرحة في القرنية أو سحبات بالقرنية . ولذلك يجب الوقاية من هذا المرض قبل حدوثه عند أقل اشتباه في حدوثه لأن الكثير من حالات العمى قد تنتج من هذا المرض .

#### رابعاً : المحافظة على نظافة العينين :

المحافظة على نظافة العينين بغسلها مرتين على الأقل في اليوم وعدم لمسها بالأيدى المتسخة أو المناديل الغير نظيفة .  
ومن المعروف أن العين ترعى نفسها بنفسها ، ولا لزوم لاستعمال القطرات أو المراهم .

#### خامساً : راحة العينين :

ويتم ذلك عن طريق راحة البدن ، وتوفير الظروف الملائمة لقيام العينين بوظيفتهما مثل الإضاءة ، والغذاء الجيد ، والهواء الطلق .

#### سادساً : القراءة وعين الطفل :

تعتبر القراءة عملية مركبة تعتمد على عدة عوامل أهمها الإبصار ، والإضاءة ، وعمر الشخص ، ودرجة ذكائه ، وخبرته في القراءة ، واللغة ، ومدى إلمام القارئ بها ، وطريقة الطباعة ، وحجم الحروف ونوع الورق ، ولذا فإنه يجب عند طبع كتب الأطفال مراعاة الدقة ، فالحروف لا بد أن تكون كبيرة ومطبوعة على ورق جيد ذات ألوان جذابة .

ويجب توفير الإضاءة المناسبة للطفل أثناء القراءة ، وعدم تقرب الكتاب من العينين .

وكذلك يجب مراعاة ظروف الإضاءة في الفصول الدراسية بالمدارس بحيث لا يكون الضوء مبهرًا ولا خافتًا ، وأن تكون المقاعد التي يجلس عليها الأطفال بحيث لا يضطر الطفل إلى الانثناء بجسمه أو رقبته على مكتبه .

والقراءة في ظروف إضاءة مناسبة لا تسبب أى إجهاد للعينين أو احمرار فيهما أو صداع . فإذا حدث شىء من ذلك فيجب استشارة الطبيب لأنه قد يكون الطفل مصاباً بطول نظر أو قصره أو بحول ظاهر أو بحول غير ظاهر .

### سابعاً : التليفزيون والعين :

إذا كانت العين سليمة فإنه يمكن مشاهدة التليفزيون بدون تعب إذا توافرت الشروط السليمة لذلك .

ولا أساس لما يقال إن مشاهدة التليفزيون تستهلك العينين .

كذلك فإن التليفزيون لا يسبب انكسار العين ( من طول أو قصر النظر ) ولكن قد يحدث أن شخصاً ما عنده بالأصل قصر نظر وعندما يشاهد التلفزيون يكتشف أن الصورة لا تتضح له إلا إذا اقترب من الشاشة ، فقصر النظر موجود فعلاً بالعين ومشاهدته للتلفزيون جعلته يشعر بهذا القصر .

ويجب اتباع الشروط التالية أثناء المشاهدة :

#### ١ - وضوح الصورة :

فإذا كانت الصورة غير واضحة ، أو كانت مهزوزة فإن العين تبذل جهداً مضاعفاً في سبيل رؤيتها .

#### ٢ - إضاءة الحجرة :

فإذا كانت الشاشة مضيئة ، وبقية الغرفة مظلمة ، فإن ذلك يجهد العين . فيجب أن تكون الحجرة محتوية على إضاءة بسيطة وغير مباشرة .

#### ٣ - وضع الجهاز :

وأفضل مكان هو أن تكون الشاشة في مستوى النظر ، وتكون أمامها مباشرة وليس على أحد جوانبها .

#### ٤ - المسافة الصحيحة :

وهذا يتوقف على حجم الجهاز ، فإذا كان الجهاز كبيراً ، وضع على مسافة بعيدة . وعلى العموم فإنه لا يجب أن تقل المسافة في حالة الجهاز الصغير عن مترين . وكذلك لا يصح وضع جهاز كبير في غرفة صغيرة .

ولا شك أنه بعد ساعات من المشاهدة تشعر العين بالإجهاد ، وهذا شىء طبيعي ،  
ولذا ينبغي أن تريح العين بعض الوقت على فترات أثناء المشاهدة .  
وبعد اتباع كل هذه الشروط ومراعاة هذه الأوضاع السليمة ، إذا حدث إجهاد للعين  
فإن المشكلة إذن تكون في العين ، ويجب استشارة الطبيب .

## \* \* \* وماذا عن الغذاء والعين ؟

والتغذية لا تعنى الشبع والارتواء ، ولكنها تعنى الغذاء الشامل المحتوى لجميع  
العناصر اللازمة لقيام جميع أجهزة الجسم بوظائفها وتمكنه من الوقاية من الأمراض ،  
والاستغناء عن الدواء .

والعين من أهم الأعضاء التي تتأثر بالطعام ، وهناك فيتامينات تتعلق بسلامة العين  
ومن أمثلتها :

### ١ - فيتامين « أ » :

وهو يمتص عن طريق الأمعاء ويدخل الدورة الدموية ويقوم الكبد بتخزينه ويحتوى  
كبد الإنسان على مخزون كبير من فيتامين « أ » يكفى لعدة شهور .

وتزداد حاجة الجسم إلى الفيتامينات خلال سنوات النمو ، أو عند القيام بمجهود  
عضلى ، أو عند الإصابة بالمرض .

وفيتامين « أ » يلعب دورا هاما في حماية سطح القرنية والملتحمة ، والرؤية ليلا . وهو  
موجود في مصادر نباتية مثل الجزر والأوراق الخضراء . وكذلك في مصادر حيوانية مثل اللبن  
والبيض والزيت الحيوانية .

ملحوظة : يجب معرفة أن الطعام العادى يوفر للجسم احتياجاته من المواد المختلفة  
وأن زيادة بعض المواد عن احتياجات الجسم لا تكون ذات فائدة بل تسبب أضرارا في بعض  
الأحيان .

### ٢ - فيتامين « ب » المركب :

نقص هذا الفيتامين يؤدى إلى التهاب في الأعصاب وخاصة العصب البصري . وهو  
موجود في البقول واللحوم الحمراء ، وخميرة البيرة ، والكبد ، والبيض ، واللبن ،  
والفواكه ، والسّمك . وهو يساعد على بقاء القرنية شفافة .

### ٣ - فيتامين « ج » :

يوجد في الخضروات والفواكه الطازجة ( يفقد مفعوله بالتسخين ) وخصوصا الليمون ، والجوافة ، والطماطم ، والموالح .  
ونقصه يؤدي إلى حدوث أنزفة في بياض العين ( تحت الملتحمة ) والتهابات في القرنية .

### ٤ - فيتامين « د » :

وهو موجود في الزيوت الحيوانية - ويعمل الجسم على إيجاده عند التعرض للشمس - ونقصه يؤدي إلى الكتاركتا وقصر النظر .

**\*\* بعض الأمراض التي تؤثر على قوة الإبصار :**

### أولاً : مرض البول السكري :

في بداية مراحل هذا المرض تحدث أنزفة دقيقة وارتشاحات في الشبكية ، ومع ضبط السكر بالعلاج تختفي هذه الظاهرة تماما .

ومع مرور السنين وعدم الانتظام في العلاج : تحدث تغيرات كبيرة في جدران الأوعية الدموية وفي الدم نفسه يؤدي إلى زيادة الارتشاحات والأنزفة في الشبكية ، وتتكون تورمات في الأوعية الدموية . وقد يؤدي ذلك إلى التأثير السىء على النظر .

وهناك حقيقة علمية تتعلق بهذا المرض وهي أن كمية الدم الشرياني الواصلة إلى الشبكية لا تكفى لتغذيتها ويترتب على ذلك تكوين أوعية دموية جديدة ذات جدران ضعيفة سهلة الإدماء ، ولذلك يحدث النزيف المتكرر الذي يؤدي إلى فقد البصر .

ويمكن تشخيص هذه الحالات في وقت مبكر بواسطة تصوير قاع العين بصبغة الفلوريسين .

ويمكن علاج هذه الحالات بأشعة الليزر التي توجه إلى حرف الشبكية فتدمره وبذلك يصبح الدم الشرياني الواصل للشبكية كافيا لتغذية المنطقة الهامة للبصر والقراءة .

ونسبة حدوث الكتاركتا ( المياه البيضاء ) أكثر حدوثاً في مرضى السكر الذين لا يواظبون على العلاج .

وعدم ضبط السكر قد يؤدي كذلك إلى التهاب في الأعصاب وشلل في أعصاب وعضلات العين ( ارتخاء الجفون . . . قلة أو عدم حركة العين نحو اتجاه معين . . . ) لكن العلاج المبكر يؤدي إلى الشفاء .

### ثانياً : ضغط الدم :

كثيراً ما ينتج عن ارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين حالات من النزيف في قاع العين أو جلطة دموية في قاع العين .

### ثالثاً : اليرقان :

حيث يلاحظ وجود اصفرار شديد بالعين الناشئ عن وجود مادة الصفراء في الدم وانتشارها في أغشية العين المختلفة ، ويصاحب ذلك زغللة في الإبصار .

### رابعاً : الضعف الشديد :

في حالات الانيميا الشديدة يلاحظ المريض وجود زغللة في النظر ، كما أنه يفقد الإبصار لفترة قصيرة وخاصة عندما يقف فجأة .

وفي هذه الحالة يكون قاع العين سليماً ويكون العلاج بتعاطي الدواء اللازم لمعالجة الضعف العام .

### خامساً : أمراض أخرى :

مثل : البولينيا - تسمم الولادة - نقص فيتامينات - التهابات بالأسنان أو بالأذن أو بالجيوب الأنفية - وأورام المخ .

### \*\* ماذا عن احمرار العين ؟

إن احمرار العين يعتبر بمثابة إنذار يدق ويعلن أن هناك خطراً يترتب بالعين ويجب معرفة مصدره والتغلب عليه ( مثل ما إذا حدث ارتفاع في درجة حرارة الجسم فإن ذلك إنذار بأن هناك خطراً يهاجم الجسم ويجب اتخاذ الوسائل الكفيلة بالقضاء عليه ) .

وأكثر حالات احمرار العين تعتبر بسيطة وعلاجها بسيط ، ولكن المشكلة تنحصر في كيفية التفريق بين الأسباب البسيطة والأسباب الخطيرة .  
ومن هذه الحالات :

( أ ) حالات احمرار المتحمة : وهو يحدث نتيجة لأحد الأمراض الآتية :

١ - التهابات المتحمة نتيجة الإصابة بالميكروبات :

حيث يكون احمرار العين داكنا وواضحا ، مع وجود إفرازات كثيرة من العين ( مخاط أو صديد ) .

ويكون علاجها بغسل العين بمحلول مطهر عدة مرات يوميا واستعمال القطرات والمراهم التي تحتوي على المضادات الحيوية . وإذا كانت الالتهابات شديدة فإنه يضاف إلى العلاج مضادات حيوية عن طريق الفم .

٢ - نتيجة حساسية المتحمة :

حساسية لعوامل عدة في الجو من أشعة الشمس والأتربة أو بعض الروائح أو غير ذلك . الاحمرار يكون فاتح اللون مع الرغبة الشديدة في دعك العين لشعور المريض بأكلان شديد .

وعلاج ذلك باستعمال النظارات الشمسية ، وقطرات مسكنة وأحيانا مكمدات مياه مثلجة في الحالات الشديدة .

٣ - أسباب عامة :

مثل الإلراف في التدخين والمشروبات الكحولية .

مثل عدم النوم لفترة كافية والإجهاد الطويل .

يكون الاحمرار بدرجة بسيطة غير مصحوبة بأية إفرازات أو دموع ، وتظهر بوضوح عند الاستيقاظ من النوم صباحا .

وعلاجها بتلافي الأسباب التي أدت إلى ذلك .

( ب ) حالات الاحمرار الأكثر خطورة :

وهي حالات الاحمرار الهدبي ، حيث يكون الاحمرار في بياض العين في الجزء المحيط بالقرنية وتخف درجته كلما بعدنا عن القرنية .

وهذا النوع يكون علامة رئيسية للأمراض الآتية :

( ١ ) التهاب القرنية :

والقرنية هي الجزء الملون من العين والذي يعطي العين لونها .  
يكون مع احمرار العين ألم شديد داخل العين مع صعوبة فتح العين في الضوء وربما  
يصحبه نقص في الإبصار ولكن بدرجة بسيطة .  
ولا بد من استشارة طبيب العيون على الفور .

( ٢ ) قرحة القرنية أو التهاب القرنية :

ويكون مع احمرار العين ألم شديد ووخز شديد بالعين مع كثرة الدموع بدرجة كبيرة .  
ولا بد من استشارة الطبيب سريعا .

( ٣ ) ارتفاع ضغط العين الحاد :

وهو ما يسمى بالمياه الزرقاء .  
ويكون احمرار العين مصحوبا بصداع نصفية شديد يصل أحيانا إلى درجة القيء مع  
نقص كبير ومفاجيء في قوة الإبصار .  
ويجب عرض الحالة على الطبيب في أسرع وقت لشدة خطورتها وتطورها السريع  
الذي قد يؤدي إلى فقد البصر .  
\*\* وماذا عن الذبابة الطائرة ؟

عبارة عن نقطة أو مجموعة من النقاط أو الخيوط السوداء التي تتحرك أمام الإنسان مع  
حركة عينيه ، وقد تظهر بعض الوقت ثم تختفي .

ومعظم الحالات تكون العين سليمة تماما وقاع العين طبيعيا .  
وفي بعض الأحيان تكون ناتجة عن وجود مرض في العين يظهر بعد ذلك بفحص قاع  
العين .

\*\* وماذا تفعل إذا دخل جسم غريب في عينك ؟ .

(١) كثيرا ما يحدث أن تدخل في العين حبة تراب صغيرة . أو قطعة ( رايش )  
صغيرة من الحديد أو من نشارة الخشب . وعندما يحدث ذلك فإن الدموع تنسكب من العين  
بكميات كثيرة قد تكفي هذه الدموع في بعض الحالات لإزالة الجسم الغريب . . . ولكنها  
قد لا تفيد .

وأسوأ ما يعمل في هذا الوقت هو دحك العين لأن ذلك قد يؤدي إلى دفع الجسم الغريب إلى الداخل أكثر فأكثر ويزيد من احتمالات الإصابة بالميكروبات الضارة بالعين .  
والواجب في هذه الحالة وضع قطرة مضادة للميكروبات وربط العين والإسراع للطبيب .

( ٢ ) وقد تكون الإصابة بجسم غير حاد ( مثل الكرة ، قبضة اليد ) فيحدث تورم الجفون وكدمات بها .

ويساعد على سرعة الشفاء عمل كمادات باردة في أول يوم ثم كمادات ساخنة بعد ذلك لسرعة امتصاص النزيف تحت الجلد . ويختفى الدم في خلال أسبوعين .

( ٣ ) وقد تكون الاصابات بالكيماويات ( الأحماض والقلويات أو الزيت الساخن ) خاصة في المصانع والمعامل ، أو في المنازل ( مساحيق الغسيل ) .  
وهي تسبب حرقا كيمياويا في الجفون والعين .

وأهم شيء يمكن عمله هو تخفيف هذا الحامض بالماء فوراً ، أى غسل العين بالماء كثيرا حتى يتم العرض على الطبيب بأقصى سرعة .

( ٤ ) الأشعة فوق البنفسجية :

يكثر التعرض للأشعة فوق البنفسجية في بعض المهن مثل اللحام بالكهرباء أو العاملين في قطاع الكهرباء بدون استعمال النظارات الواقية .  
وهي تسبب التهاب القرنية المنقط .  
وقد يشعر المريض بألم شديد في العين مع احمرارها وزيادة إفراز الدموع وعدم المقدرة على مواجهة الضوء .

( ٥ ) التهاب الشبكية الناتج من كسوف الشمس :

بعض الناس ينظرون بعيونهم مباشرة إلى كسوف الشمس فينتج حرق في الشبكية يؤثر على قوة الإبصار ولذلك يجب استعمال النظارات الشمسية .  
نسأل الله تعالى أن يمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ويجعله الوارث منا .  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



بَابُ

الْفِتَاوَى

الْحَرْفُ



# حول مشروعية نقل الحيوان من استراليا إلى بلادنا

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز  
الرئيس العام لإدارة التوجيه العلمي والإفتاء والدعوة والإرشاد

الدكتور : ( ت . عبد الهادي اسكينر ) . من استراليا وجه سؤالاً حول نقل الحيوان من استراليا إلى الشرق الأوسط . . . وما يتعرض له من ظروف الشحن السيئة طالبا من فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ان يجيبه على سؤاله . . . وكان جواب فضيلة الشيخ كما يلي :

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى جناب الأخ المكرم الدكتور: ت . ج . عبد الهادي اسكينر وفقنا الله وياه .

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد :

فقد اطلعت على رسالتكم بخصوص ما رغبتم في كتابته منا في موضوع نقل الحيوان من بلادكم باستراليا إلى الشرق الأوسط وما يتعرض له من ظروف الشحن السيئة واحوال السفن التي ينقل عليها وما ينتج من الزحام وما إلى ذلك . وإذ ندعو الله ان يسلك بنا وبكم واخواننا المسلمين صراطه المستقيم لنشكركم على اهتمامكم بهذا الجانب المهم . كما تسرنا اجابتكم على ضوء نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة الواردة بالحث على الاحسان الشامل للحيوان مأكول اللحم وغير مأكوله مع طائفة من الاحاديث مما صحح في الوعيد لمعذبه سواء كان ذلك نتيجة تجويع أو اهمال في حالة نقل أو سواه .

فمما جاء في الحث على الاحسان الشامل للحيوان وسواه قوله تعالى : ﴿ واحسنوا ان الله يحب المحسنين ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان ﴾ الآية وقول النبي ﷺ فيما رواه مسلم وأصحاب السنن : « ان الله كتب الاحسان على كل شئ ء فإذا قتلتم فاحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبح وليحد احدكم شفرته فليرح ذبيحته » ، وفي رواية : « فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

وفي اغاثة الملهوف منه صح الخبر بعظيم الأجر لمغيثه وغفران ذنبه وشكر صنيعه فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - ان رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش .

فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى فنزل البئر فملاً خفه ماء ثم امسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . فقالوا يا رسول الله ان لنا في البهائم لاجرا . فقال فى كل كبد رطبة أجر .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ «بينما كلب يطيف بركة قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بنى اسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته اياه فغفر لها به» . رواه مسلم فى صحيحه ، وكما حث الإسلام على الاحسان وأوجبه لمن يستحقه نهى عن خلافه من الظلم والتعدى فقال : ﴿ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾ . وقال تعالى : ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا﴾ . وفى صحيح مسلم : ان ابن عمر -رضى الله عنهما- مر بنفر قد نصبوا دجاجة يترامونها فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها . فقال ابن عمر : من فعل هذا؟ ان رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا . وفيه عن أنس -رضى الله عنه- «نهى رسول الله ﷺ ان تصبر البهائم : أى تحبس حتى تموت» وفى رواية عن النبي ﷺ انه قال : «لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا» . وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- ان النبي ﷺ نهى عن قتل اربع من الدواب : النحلة والنملة . والهدهد . والصدرد . رواه ابن داود باسناد صحيح . وفى صحيح مسلم ان رسول الله ﷺ قال : «عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى اطعمتها وسقتها ان هى حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض» ج ١٦ : ص ١٧٢م / دار الفكر ، وفى سنن أبى داود عن أبى واقد قال : قال رسول الله ﷺ «ما قطع من البهيمة وهى حية فهى ميتة» . واخرج الترمذى ما قطع من الحى فهو ميت .

وعن أبى مسعود قال كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته فأبى حمرة معها فرخان فاخذنا فرخيها فجاءت الحمرة تعرض فجاء النبي ﷺ فقال : «من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال من حرق هذه . قلنا نحن . قال انه لا ينبغى ان يعذب بالنار إلا رب النار» . أبى داود ص ٤١٩-٤٢٠ المجلد : (٥) .

وعن ابن عمر -رضى الله عنهما- ان رسول الله ﷺ قال : «ما من إنسان قتل عصفورا فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عز وجل عنها . قيل يا رسول الله وما حقها . قال ان يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها فيرمى بها» . رواه النسائى والحاكم وصححه . وهذا موجب لترك ذلك وهو عين الرحمة بهذه الأنعام وغيرها .

وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- ان النبي ﷺ مر على حمار قد وسم وجهه فقال : «لعن الله الذى وسمه» . رواه مسلم ، وفى رواية له (نهى رسول الله ﷺ عن الضرب فى الوجه وعن الوسم فى الوجه) . وهذا شامل للإنسان وللحيوان .

فهذه النصوص وما جاء في معناها دالة على تحريم تعذيب الحيوان بجميع انواعه حتى ما ورد الشرع بقتله كالخمس الفواسق: الغراب والعقرب والفارة والحدأة والكلب العقور. وعند البخارى والحية ومنطوق هذا ومفهومه عناية الإسلام بالحيوان سواء ما يجلب له النفع أو يدرأ عنه الأذى. فالواجب جعل ما ورد من ترغيب في العناية به وما ورد من ترهيب في تعذيبه في أى جانب يتصل به ان يكون نصب الاعين وموضع الاهتمام ولاسيما النوع المشار إليه من الأنعام لكونه محترما في حد ذاته اكلًا ومالية ويتعلق به احكام شرعية في وجوه الطلعات والقربات من جهة ومن أخرى لكونه عرضة لأنواع كثيرة من المتاعب عند شحنه ونقله بكميات كبيرة خلال مسافات طويلة ربما ينتج عنها تزامم مهلك لضعفها وجوع وعطش وتفشى امراض فيما بينها وحالات أخرى مضرّة تستوجب النظر السريع والدراسة الجادة من أولياء الأمور بوضع ترتيبات مريحة شاملة لوسائل النقل والترحيل والاعاشة من الطعام والسقى وغير ذلك من تهوية وعلاج وفصل الضعيف عن القوى الخطر والسقيم عن الصحيح في كل المراحل حتى تسويقها قدر المستطاع وهو اليوم شىء ممكن للمؤسسات المستثمرة والافراد والشركات المصدرة والمستوردة وهو من واجب نفقتها على ملاكها ومن هى تحت يده بالمعروف .

ومما يؤسف منه ويستوجب الانكار وجاء البيان والتحذير منه : (الطرق المستخدمة اليوم في ذبح الحيوان مأكول اللحم في أكثر بلدان العالم الاجنبى وما يمهد له عند الذبح منه بأنواع من التعذيب كالصدمات الكهربائية في مركز الدماغ لتخديره ثم مروره بكلايب تحطفه وتعلقه منكسا وهو حى مارا بسير كهربائى حتى موضع من يتولى ذبحه لدى بعض مصانع الذبح والتعليب ومنها تنف ريش الدجاج والطيور وهى حية أو تفتطيسها في ماء شديد الحرارة وهى حية أو تسليط بخار حار عليها لازالة الريش زاعمين انه اوفر بما يراد ذبحه من الحيوان . حسبما هو معلوم عن بعض تلك الطرق للذبح وهذا فيه من التعذيب مالا يخفى مخالفته لنصوص الأمر بالاحسان إليه والحث على ذلك في الشريعة الإسلامية السمحاء وكل عمل مخالف لها يعتبر تعديا وظلما يحاسب عليه قاصده لما سلف ذكره ولما صح في الحديث ان الله ليقتص للشاء الجلهاء من الشاة القرناء . فكيف بمن يعقل الظلم ونتائجه السيئة!!! وبناء على النصوص الشرعية ومقتضياتها بوب فقهاء التشريع الإسلامى ما يجب ويستحب أو يجرم ويكره بخصوص الحيوان بوجه عام وبما يتعلق بالزكاة لمباح الأكل بوجه تفصيلى خاص نسوق طائفة مما يتعلق بجانب الاحسان إليه عند تذكيته ومنه : المستحبات الآتية :

١ - عرض الماء على ما يراد ذبحه للحديث السابق : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء » . الحديث .

٢ - ان تكون آلة الذبح حادة وجيدة وان يمرها الذابح على محل الذكاة بقوة وسرعة ومحلة اللبة من الابل والحلق من غيرها من المقدور على تزكيتها .

٣ - ان تنحر الابل قائمة معقولة يدها اليسرى ان تيسر موجهة إلى القبلة .

٤ - وذبح غير الابل مضجعة على جنبها الأيسر إن كان ايسر للذابح ويضع رجله على حفة عنقها غير مشدودة الأيدي أو الارجل وبدون لى شىء منها أو كسره قبل زهوق روحها وسكون حركتها ويكره خلع رقبتها ذلك أو ان تذبح وأخر تنظر .

وهذه المذكورات مما يستحب عند التذكية للحيوان رحمة به واحسانا إليه ويكره خلافها مما لا احسان فيه كجره . فقد روى عبد الرزاق موقوفا ان ابن عمر رأى رجلا يجرشاة برجلها ليذبحها . فقال له : . ويلك قدها إلى الموت قودا جميلا .

أو ان يحد الشفرة والحيوان يبصره وقت الذبح لما ثبت في مسند الإمام أحمد عن ابن عمر- رضى الله عنهما - أمر رسول الله ﷺ ان تحد الشفاروان توارى عن البهائم . وما ثبت في معجمى الطبرانى الكبير والاوسط ورجاله رجال الصحيح عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - قال مر رسول الله ﷺ على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهى تلحظ إليه ببصرها . قال : افلا قيل هذا؟ اتريد ان تميتها موتتين .

أما غير المقدور على تذكيته كالصيد الوحشى أو المتوحش وكالبعير يند فلم يقدر عليه فيجوز رميه بسهم أو نحوه بعد التسمية عليه مما يسيل الدم غير عظم وظفر . ومتى قتله السهم جاز أكله لأن قتله بذلك فى حكم تذكية المقدور عليه تذكية شرعية ما لم يحتمل موته بغير السهم أو معه .

وهذا جرى ذكره منا على سبيل الافادة بمناسبة طلبكم لا على سبيل الحصر لما ورد وصح نقله بشأن الحيوان على اختلاف انواعه فالإسلام دين الرحمة وشريعة الاحسان ومنهاج الحياة المتكامل والطريق الموصلة إلى الله ودار كرامته فالواجب الدعوة له والتحاكم إليه والسعى فى نشره بين من لا يعرفه وتذكير عامة المسلمين بما يجهلون من احكامه ومقاصده ابتغاء وجه الله فمقاصد التشريع الإسلامى فى غاية العدل والحكمة فلا حرمان من كل نافع حيوان خلافا لما عليه البوذيون ولا اباحة لكل ضار منه خلافا لما عليه أكلة الخبائث من الخنزير والسباع المفترسة وما فى حكمها ولا ظلم ولا اهدار حرمة كل محترم من نفس أو مال أو عرض فنشكر الله على نعمه التى اجلها نعمة الإسلام مع الابتهاال إليه ان ينصر دينه ويعلى كلمته

وان لا يجعلنا بسبب تقصيرنا فتنة للقوم الكافرين وصلى الله وسلم على نبينا محمد المبلغ  
البلاغ المبين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

## الأمية

كثيرا ما نرى بعض الداعين إلى العلم يشجبون الأمية ويعددها من علامات  
التخلف ، والله تعالى وصف هذه الأمة بالأمية فقال : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا  
منهم ﴾ . فأرجو أن توضحوا ذلك وشكرا . . .  
وكانت اجابة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز كما يلي :

كانت أمة محمد ﷺ من العرب والعجم لا يقرأون ولا يكتبون ولهذا سموا أميين وكان  
الذين يكتبون ويقرأون منهم قليلين جدا بالنسبة إلى غيرهم وكان نبينا محمد ﷺ لا يقرأ  
الكتابة ولا يكتب كما قال الله سبحانه ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا  
لا رتاب المبطلون ﴾ . وكان ذلك من دلائل صدق رسالته ونبوته عليه الصلاة والسلام لأنه  
اتى إلى الناس بكتاب عظيم اعجز به العرب والعجم أوحاه الله إليه ونزل به عليه الروح  
الأمين جبرائيل عليه الصلاة والسلام وأوحى إليه سبحانه السنة المطهرة وعلوما كثيرة من  
علوم الأولين وأخبره سبحانه بأشياء كثيرة مما كان في غابر الزمان ومما يكون في آخر الزمان ومما  
يكون في يوم القيامة كما أخبره بأحوال الجنة والنار وأهلها وكان ذلك مما فضله الله به على  
غيره وارشده به الناس إلى منزلته العالية وصفة رسالته عليه الصلاة والسلام وليس وصف  
الأمة بالامية المقصود منه ترغيبهم في البقاء عليها وإنما المقصود الاخبار عن واقعهم وحالهم  
حين بعث الله إليه محمدا ﷺ وقد دل الكتاب والسنة على الترغيب في التعلم والكتابة  
والخروج من وصف الأمية فقال الله تعالى : ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا  
يعلمون ﴾ وقال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا  
يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم  
درجات ﴾ . الآية ، وقال سبحانه : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ . الآية ، وقال النبي ﷺ  
« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة » . رواه الإمام مسلم في  
صحيحه . وقال أيضا عليه الصلاة والسلام : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » متفق  
على صحته والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وبالله التوفيق . . .

## أتدرون من المفلس . . . ؟

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :  
أتدرون من المفلس؟ . قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع،  
فقال: إن المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد  
شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى  
هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه،  
أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار .  
(رواه مسلم والترمذى)

## أشد الناس بلاء . . .

قال رسول الله ﷺ :  
أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . يبتلى الرجل على حسب  
(وفى رواية: قدر) دينه فإن كان دينه صلباً أشد بلاءه وإن كان في دينه رقة ابتلى  
على حسب دينه . فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه  
خطيئة . . .  
(رواه الترمذى)



# مختارات من

كتبي





## رجعية التقدميين

ينادى بعض الكتاب (التقدميين) المعاصرين من خلال دراساتهم الإسلامية الشباب الدارسين إلى إعادة النظر في مادة القدماء . وقد يتصور الناس أنهم اكتشفوا مفاهيم جديدة لم يطلع عليها القدماء في مجال العلم والمعرفة لفقد الوسائل التي حصلت للإنسان بعد التطور العلمي والصناعي .

غير أن استعراض افكارهم يخيب الأمل حيث لا يجد الإنسان عندهم اكتشافاً جديداً أو موضوعاً طريفاً يستحق الاهتمام والتنويه وكل ما يجده في افكارهم هي جاهلية العصور الأولى . عصور كثيرة الفرق وتضارب الاهواء في الملل والنحل بسبب استيراد التصورات اليونانية الوثنية في الإلهيات . ومباحث ما وراء الطبيعات .

والشيء الذي يبعث على الضحك والبكاء معاً هونداً هؤلاء الكتاب إلى احياء الفكر الاعتزالي وقضايا: تعطيل الرب من الصفات . وايجاب الاصلح عليه . ومنح الإنسان حرية خلق افعاله . واستقلاله عن الوحي . والإيمان بمنزلة بين منزلتي الكفر والإيمان . وجعل المعاد، والجنة والنار . وكل ما يتعلق بالحياة الأخروية رموزاً . واشياء فنية - كل هذه الآراء اثرت اثناء غزو الفكر اليوناني عن الكون والحياة، غير انها تبخرت امام الفكر الإسلامي الصحيح وبوقوف العلماء المخلصين في وجه هذا التيار المنحرف .

ويندهش الإنسان أمام رجعية الكتاب المنورين التقدميين اليوم . حينما ينادون - إلى احياء تلك الاضاليل من جديد حيث انهم رغم كل ادعاءاتهم عن تمجيد العقل . والبلوغ إلى مراتب الاجتهاد العليا لا يستطيعون إلا بنش قبور الاولين من المعتزلة والخوارج والجهمية . والفرق المنحرفة الأخرى والتوقف عند ما توصلت إليه عقولهم قبل قرون من الزمان .

لذا لا نبالغ حينما نقول ان كتابات كافة ادعياء (التنور) و(العقلانية) والتقدم في هذا العصر لا يؤكد إلا حقيقة واحدة وهي انهم اغبياء رغم دعاويهم عن الاجتهاد والتعقل ، جنباء رغم تظاهرهم بالشجاعة ، رجعيون رغم هتافاتهم عن (التنور) و(العقلانية) .

اغبياء... لانهم ما استطاعوا زيادة شىء على ما يؤثر عن الفرق المنحرفة من الافكار والاراء بل ما استطاعوا استيعاب تلك الاراء وادراكها، ادراكا صحيحا، لاننا لا نجد عندهم شجاعة ادبية في نسبة الافكار إلى المصادر التي يأخذون منها من كتب الملل والنحل بواسطة المستشرقين من أئمتهم الذين اغترفوا ايضا من تلك المياه العكرة . رجعيون... لانهم لا يقدرّون على نقد افكار أئمة الضلال بل يقبلون كل ما ينزل عليهم من سحاب الاعتزال أو غيوم الاستشراق كالوحي المنزل من السماء . لا تؤكد كتاباتهم . ودراساتهم إلا هذه الحقيقة .

فهل يتنبه الشباب المسلمون إلى تضليل هذه الفئة من الناس التي تتفنن في الاساليب اثناء الحديث عن التراث . وأصول الدين . والتاريخ والأدب...؟  
ولا يحمل هؤلاء الناس على الكلام حول غياب الإنسان غياب الوعي من التراث إلا غياب الإيمان من نفوسهم ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾...  
«عن البلاغ - العدد ١٦٩٤ لسنة ١٤٠٣هـ»

---

### تصحیح

ورد خطأ مطبعی في العدد الماضي «٥٩» في الآية القرآنية التي جاءت في صفحة رقم (١٤) حيث وردت كلمة : فسینسره، والصحيح : ﴿فسینسره﴾ .

وكذلك في الآية التي جاءت في صفحة رقم (٢٣) حيث وردت كلمة : تصغر، والصحيح : ﴿تصعّر﴾ .

---

# إِخْبَارُ الْجَامِعَةِ

إِعْتِدَادُ إِدَارَةِ الْعَلَاقَاتِ الْعَامَّةِ بِالْجَامِعَةِ

## الْهُنُورُ وَالْجَلَى نَتَائِجُ اَلْمُحَانِتِ بِالْجَامِعَةِ

فِي الْعَامِ الْخَامِسِ ١٤٠٢-١٤٠٣ هـ

فِي مَجَالِ الدِّرَاسَاتِ الْعَلِيَا :

١ - بَلَغَ عِدَدُ الْحَاصِلِينَ عَلَي دَرَجَةِ الدِّكْتُورَاهِ عَامَ ١٤٠٢/١٤٠٣ هـ خَمْسَةَ عَشَرَ طَالِباً مِنْهُمْ سِتَّةُ طُلَّابٍ سَعُودِيَّوْنَ . وَالبَاقُونَ يَتَمَوَّنُونَ إِلَى الْأُرْدُنِّ ، وَالسُّودَانِ ، وَفُولْتَا الْعَلِيَا وَالْهِنْدِ وَالْيَمَنِ وَلِبْنَانَ .

وَقَدْ حَصَلَ أَرْبَعَةُ عَشَرَ مِنْهُمْ عَلَي دَرَجَةِ الدِّكْتُورَاهِ بِمَرْتَبَةِ الشَّرْفِ الْأُولَى .

٢ - وَبَلَغَ عِدَدُ الْحَاصِلِينَ عَلَي دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ فِي نَفْسِ الْعَامِ خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ طَالِباً مِنْهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ سَعُودِيَّوْنَ . وَالبَاقُونَ يَتَمَوَّنُونَ إِلَى الْأُرْدُنِّ وَأَنْدُونِيْسِيَا وَبَاكِسْتَانَ وَبُورْمَا وَرَاوَنْدِي وَالسُّودَانَ وَالصُّومَالَ وَمِصْرَ وَنِيْبَالَ وَالْهِنْدَ وَالْيَمَنَ الْجَنُوبِيَّ .

حَصَلَ أَحَدٌ عَشَرَ مِنْهُمْ عَلَي دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ بِتَقْدِيرِ «مَمْتَاز» وَثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ بِتَقْدِيرِ «جَيِّدٌ جَدًّا» . وَوَاحِدٌ فَقَطْ بِتَقْدِيرِ «جَيِّدٌ» .

ثَانِيَا : كَلِيَاتِ الْجَامِعَةِ :

١ - كَلِيَةِ الشَّرِيْعَةِ : بَلَغَ عِدَدُ الطُّلَّابِ الَّذِينَ حَصَلُوا عَلَي دَرَجَةِ الشَّهَادَةِ الْعَالِيَةِ «الليسانس» فِي الدُّورِ الْأَوَّلِ لِعَامِ ١٤٠٢/١٤٠٣ هـ مَائَةٌ وَخَمْسَةٌ وَأَرْبَعِينَ طَالِباً . مِنْهُمْ سَبْعَةُ عَشَرَ طَالِباً بِتَقْدِيرِ «مَمْتَاز» . وَسَبْعَةٌ وَخَمْسُونَ بِتَقْدِيرِ «جَيِّدٌ جَدًّا» . وَسِتَّةٌ وَسِتُّونَ طَالِباً بِتَقْدِيرِ «جَيِّدٌ» . وَخَمْسَةُ طُلَّابٍ بِتَقْدِيرِ «مَقْبُولٌ» . وَمِنْهُمْ سِتَّةُ عَشَرَ سَعُودِيَّيَا ، وَالبَاقُونَ يَتَمَوَّنُونَ إِلَى تِسْعِ وَثَلَاثِينَ جَنَسِيَّةً مِنْ أُنْحَاءِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَبِلَادِ الْأَقْلِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

وَبَلَغَ عِدَدُ الطُّلَّابِ الَّذِينَ دَخَلُوا امْتِحَانَ الدُّورِ الثَّانِيِّ سِتِّينَ طَالِباً . نَجَحَ مِنْهُمْ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ . فَيَكُونُ عِدَدُ الْحَاصِلِينَ عَلَي اللِّيْسَانْسِ مِنْ كَلِيَةِ الشَّرِيْعَةِ لِعَامِ ١٤٠٢/١٤٠٣ هـ سَبْعَةً وَسَبْعِينَ وَمِائَةً طَالِباً .

٢ - كلية الدعوة وأصول الدين : بلغ عدد الطلاب الحاصلين على الشهادة العالية «الليسانس» من كلية الدعوة وأصول الدين في امتحان الدور الأول ستة ومائة طالب ينتمون إلى ثلاث وثلاثين جنسية . حصل منهم اثنا عشر على تقدير «ممتاز» . وتسعة وعشرون على تقدير «جيد جدا» . وثمانية وخمسون على تقدير «جيد» . وسبعة طلاب فقط على تقدير «مقبول» .

هذا بالإضافة إلى خمسين طالباً كان لهم حق امتحان الدور الثاني كلهم غير سعوديين نجح منهم أربعة عشر طالبا . فيكون عدد الحاصلين على شهادة الليسانس من كلية الدعوة لهذا العام مائة وعشرين طالبا .

٣ - كلية القرآن الكريم : بلغ عدد الطلاب الذين حصلوا على شهادة الليسانس في الدور الأول ستة عشر طالباً ينتمون إلى خمس جنسيات منهم طالب سعودي . وحصل أربعة منهم على تقدير «ممتاز» وأربعة على تقدير «جيد جدا» وثمانية على تقدير «جيد» . وكان أربعة عشر طالبا غير سعوديين لهم حق دخول الدور الثاني نجح منهم سبعة طلاب في الدور الثاني .

٤ - كلية الحديث الشريف : بلغ عدد الحاصلين على شهادة الليسانس في الدور الأول خمسة وأربعين طالباً . منهم ستة طلاب سعوديون ، والباقيون ينتمون إلى سبع عشرة جنسية . وحصل أربعة منهم على تقدير «ممتاز» . وستة عشر على تقدير «جيد جدا» . وأربعة وعشرون على تقدير «جيد» ، وواحد فقط على تقدير «مقبول» . وكان خمسة وثلاثون طالبا يحق لهم دخول الدور الثاني منهم طالب سعودي واحد . نجح ممن دخلوا امتحان الدور الثاني منهم اثنا عشر طالبا .

٥ - كلية اللغة العربية : بلغ عدد الحاصلين على الليسانس ستين طالباً منهم اثنان سعوديان والباقيون ينتمون إلى ثلاث وعشرين جنسية . حصل منهم واحد فقط على تقدير «ممتاز» وخمسة وعشرون على تقدير «جيد جدا» . والباقيون وعددهم أربعة وثلاثون على تقدير «جيد» . وكان يوجد ٢٩ طالبا جميعهم غير سعوديين يحق لهم دخول امتحان الدور الثاني . نجح ممن دخلوا الامتحان منهم أحد عشر طالبا .



أقامت الجامعة الإسلامية المخيم الصيفي التربوي - الذي تقيمه كل عام للطلاب في اجازة الصيف لمدة شهر - وقد أقيم هذا المخيم في الفترة من ٧/١٠/ إلى ٩/١١/١٤٠٣ هـ بمدينة الناص . بمنطقة عسير «أبها» . وشارك فيه ثلاثة وسبعون طالبا من مختلف الجهات التعليمية بالجامعة يمثلون سبعا وعشرين جنسية .

اشتركت الجامعة الإسلامية بمائة طالب في تخيم الحج الثالث من ٦ ذى الحجة إلى ١٤ ذى الحجة لطلاب جامعات الخليج . وقد بلغ عدد الطلاب المسجلين بالمخيم من طلاب الجامعات الخليجية حوالى ألف وخمسمائة طالب .

وقد أسهمت الجامعة بتقديم تسهيلات كبيرة للمشاركين في هذا المخيم . إذ وفرت لأعمال المخيم ١٦ «ست عشرة» ناقلة لتنقلات طلاب الجامعات المشاركين . كما استضافت طلاب الجامعات الخليجية المشاركين بالمخيم أثناء زيارتهم للمدينة المنورة .

وكان لإسهام الجامعة ومشاركتها أثره - بفضل الله - في إنجاح المخيم . وقد تلقى معالى الدكتور : عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة برقية شكر من الدكتور : محمد الأحمد الرشيد مدير مكتب التربية العربى لدول الخليج . الذى كان مديرا للمخيم ، على ما قامت به الجامعة من دور كان له أبرز الأثر فى إنجاحه .



عقدت الأمانة العامة لندوة عمادات شؤون الطلاب بجامعات المملكة اجتماعا بمقر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة يوم الأربعاء ٢٨ من شهر ذى الحجة ١٤٠٣ هـ برئاسة فضيلة الشيخ عوض بن أحمد سلطان الشهرى عميد شؤون الطلاب بالجامعة - والأمين العام للندوة .

ونوقش فى هذا الاجتماع الموضوعات والمقترحات التى أعدتها اللجان المتفرعة من الأمانة العامة للندوة الخامسة القادمة والتى من المقرر - إن شاء الله - أن تعقد فى رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .



## توقيع عقد المخطط العام والتصميمات المعمارية

### للمشروع العام للجامعة

فى تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/١٢/١٤٠٣ هـ تم توقيع عقد إعداد المخطط العام والتصميمات المعمارية والهندسية للمشروع العام للجامعة

الإسلامية الذي يتضمن إنشاء مدينة جامعية متكاملة على أحدث المستويات العالمية تشتمل على كل ما تتطلبه المدينة الجامعية من وحدات للجهات التعليمية والاجهزة الإدارية والمرافق العامة، وسكن للطلبة والموظفين . . . الخ .

وقد وقع العقد عن الجامعة معالي الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة وعن شركة آرثر أريكسون - التي تشرف على تنفيذ المشروع - السير ديفيد جويس . ويأتى هذا المشروع في نطاق اهتمام حكومة جلالته الملك - أيدها الله - بالجامعة الإسلامية، والنهوض بها دوماً إلى الامام .

وقد صرح معالي الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة بمناسبة توقيع العقد بقوله :

لقد تحقق بتوقيع عقد إعداد المخطط العام لمشروع الجامعة أمل منسوبي الجامعة الإسلامية في النهوض بهذه الجامعة لتأخذ مكانتها اللائقة بين جامعات العالم حتى تؤدي رسالتها التي أقيمت من أجلها .

وقد وعد صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز المعظم في لقائه بأبنائه طلاب الجامعة في شهر محرم من هذا العام بأن «هذه الجامعة سوف تقام بشكل مناسب وملائم فيما يتعلق بمبانيها وجميع أمورها التي تعود بالفائدة الكبرى . كما أكد جلالته بأن المملكة العربية السعودية - حكومة وشعباً - لا يمكن أن تبخل بأى شىء فيه دعم الجامعة حتى تأخذ مستواها اللائق بها» .

وهكذا - وقبل نهاية العام - تحقق توقيع هذا العقد الذي يترجم اهتمام حكومة جلالته الملك وفقها الله بالجامعة الإسلامية، وبه يبدأ عهد جديد من التقدم المرجو لها . وبهذه المناسبة أتقدم بوافر الشكر لحضرة صاحب الجلالة وسمو ولي عهده . وأدعو الله أن يوفقه لمزيد من عمل الخير في سبيل دعم الأمة العربية والإسلامية، كما أقدم شكري للاخوة العاملين في الجامعة وعلى رأسهم المهندسون والعاملون بإدارة المشروع العام في الجامعة لما بذلوه من جهد في ابراز هذا المشروع . كما أقدم شكري للاخوة في وزارة المالية والاقتصاد الوطنى وعلى رأسهم معالي الشيخ محمد أبا الخيل وللإخوة في وزارة التخطيط وعلى رأسهم معالي الشيخ هشام ناظر على الجهد الذى قاموا به من أجل استكمال الدراسات والإجراءات المالية والنظامية والقانونية لإخراج هذا المشروع إلى حيز الوجود . وبصورة متكاملة . . . وأسأل الله للجميع التوفيق والسداد .

صياغة الشيخ محمد صالح



# محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

- قبس من كتاب الله .....  
— من نور النبوة .....  
— حكمة العدد .....  
— كلمة التحرير .....  
د. جمعة على الخولي ..... ١٣

## ■ التفسير وأصوله ■

- الأمر باعداد القوة لمواجهة الأعداء .....  
للشيخ أبي بكر الجزائري ..... ١٧

## ■ الحديث وأصوله ■

- فضل أهل الحديث .....  
صلاة الجماعة .....  
د. ربيع بن هادي مدخلي ..... ٢٣  
د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ..... ٣٥

## ■ العقيدة ■

- وجوب عبادة الله وحده .....  
الفكرة السنية والحاجة إليها .....  
لسناحة الشيخ عبد العزيز بن باز ..... ٤٩  
للشيخ محمد اسحاق الصديقي ..... ٥٢

## ■ الفقه وأصوله ■

- نظام الاثبات في الفقه الإسلامي .....  
د. عوض عبد الله أبو بكر ..... ٧٣

## ■ ثقافة إسلامية ■

- ترجمة القرآن .....  
تعدد زوجات الرسول ﷺ .....  
الإسلام والمسلمون في إنجلترا .....  
للأستاذ أحمد على عبد الله ..... ٨٣  
د. ملك غلام مرتضى ..... ١٠٥  
د. محمد إبراهيم الجيوشي ..... ١١٤

# محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

## ■ سيرة وتاريخ ■

الملك عبد العزيز آل سعود بين نصره لله

ونصر الله له

للشيخ إبراهيم الجمل ..... ١٢٥

## ■ إحياء التراث الإسلامى ■

تحقيق جزء الضعفاء والمتروكين

للشيخ عبد الرحيم القشقرى ..... ١٤٧

## ■ لغة وأدب ■

رسائل لم يحملها البريد

للشيخ عبد الرؤوف اللبدي ..... ١٧١

الشاعر الاسلامى أحمد محرم فى رأى النقاد

د. صلاح الدين عبد التواب ..... ١٨٠

وصية لمتخرج (قصيدة)

للشيخ محمد عبد الله زربان ..... ١٨٧

من تراثنا الشعرى

..... ١٩٠

## ■ جولات عالمية ■

فى المشارق والمغرب

د. عبد الله بن أحمد قادرى ..... ١٩٥

## ■ بحوث طبية ■

إستعمال الأدوية

د. فوزى أحمد سلام ..... ٢١٥

من أجل سلامة عينيك

د. فكرى السيد عوض ..... ٢٢٣

# محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

## ■ الفتاوى ■

٢٣٥	.....	حول شرعية نقل الحيوان من استراليا إلى بلادنا
٢٣٩	.....	الأمية

## ■ مختارات من الصحف ■

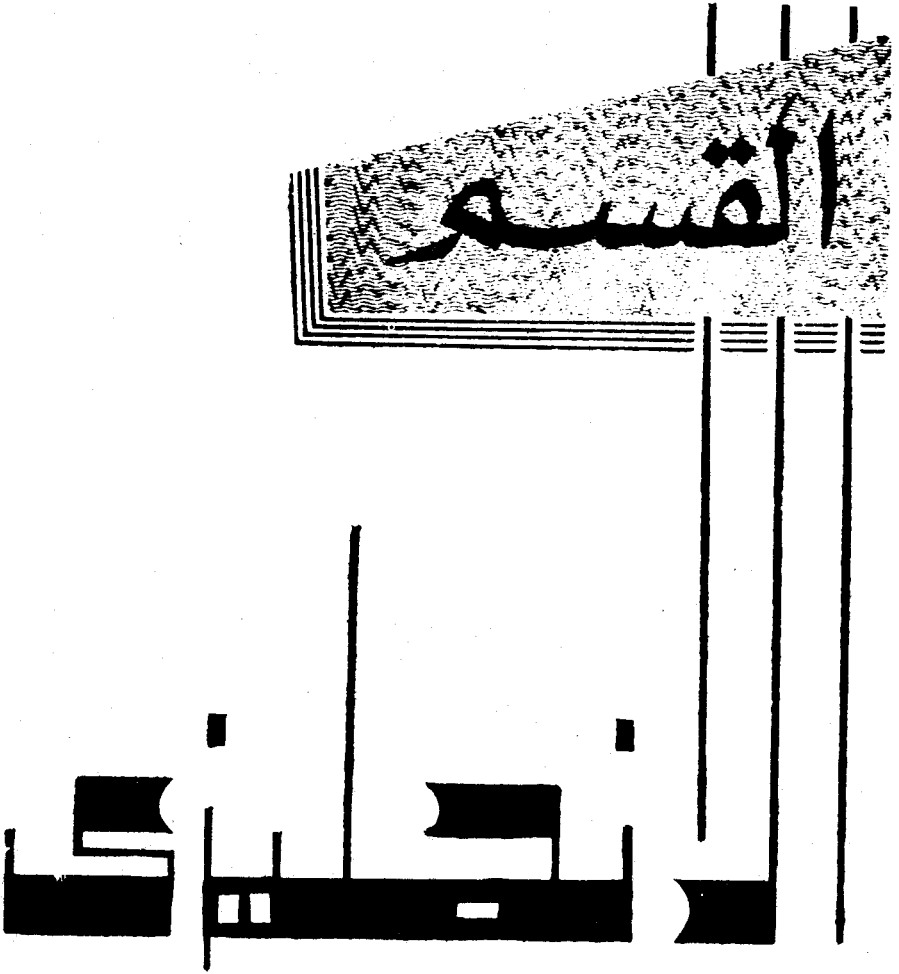
٢٤٣	.....	رجعية التقدميين
٢٤٥	.....	أخبار الجامعة
٢٤٩	.....	محتويات العدد
٢٥٣	.....	القسم الإنجليزى



مجلة جامعة الإسلاميين

بريد البحوث والمقالات التي لم تنشر  
إلى كتابها ولا بإيداء أئمة علم نشرها.







The central point of the message of the prophet was the doctrine of 'Unity of God and equality of mankind'. Islam included this principle among people, and it allowed the widest scope to the human conscience. Islam brought to them practical equality in the eye of the law. Consequently, wherever the Muslim preacher appeared, he was hailed by the masses and the persecuted classes as the harbinger of freedom and emancipation .

The governmental system of the early Caliphates brings into view a clear idea of the latitude of human rights in the Islamic law .

The law was the same for the poor as for the labourer in the field. The tribunals were not dependent on the government, their decisions were supreme; the early Caliphs could not assume the power of pardening those whom the regular tribunals had condemned .

Islam gave to the world a code of laws which was capable of the greatest development in accordance with the progress of material civilisation based on a just appreciation of human duties and human rights .

.....

the serfs or villains were either annexed to the manor, and were bought and sold with the land to which they belonged or were annexed to the person of the lord, and were transferable from one owner to another. They could not leave their lord without his permission and if they ran away, or were purloined from him, might be claimed and recovered by action, like beast or other chattles. They held, indeed, small portions of land by way of sustaining themselves and their families, but it was at the mere will of the lord, who might dispossess them whenever he pleased. A villain could acquire no property, either in lands or goods: but if he purchased either, the lord might enter upon them, oust the villain, and seize them to his own use .

“The best testimony to the toleration of the early Muslim government is furnished by the Christians themselves. In the reign of Osman (the third Caliph), the Christian patriarch of Merv, addressed the Bishop of Fars, named Simeon, in the following terms. “The Arabs who have been given by God the kingdom (of the earth) do not attack the Christian faith, on the contrary they help us in our religion; they respect our God and our Saints, and bestow gifts on our churches and monasteries”.

“In order to avoid the least semblance of high-handedness no Muslim was allowed to acquire the land of ‘Zimmi’ even by purchase. Neither the Imam nor the sultan could dispossess a Zimmi of his property. The Muslims and the Zimmis were absolutely equal in the eyes of the law. “Their blood”, said Ali the Caliph “was like our blood”. Many modern governments, not excepting some of the most civilised, may take Muslim administration for their model. In the punishment of crimes there was no difference between the rulers and the ruled. Islam’s law is that if a Zimmi is killed by a Muslim, the latter is liable to the same penalty reverse case .

“In their anxiety for the welfare of the non-Muslim subjects the Caliphs of Bagdad, like their rivals of Cordova, created a special department charged with protection of the Zimmis and safeguarding of their interests” (The Spirit of Islam, Ch. VII) .



The above principles of human relations apply to states and governments in the same way they apply to individuals and communities. In fact what an individual is required to do is also expected from a community as represented in the state. Islam, therefore, recognised human cooperation and communal amity as the spring of human brotherhood and world understanding. It also condemns the attempt of the developed country for domination over backward people or countries. In this way Islam called to sweep away all artificial differences and fractions from the human community .

Examining the influence of Islam on humanity in general and on the destiny of mankind, the great scholar and the learned author, Amir Ali, explains the state of things existing in the world until the prophet Muhammad proclaimed the practical equality of mankind and broke the chains which had held in bond the nations of the earth to pieces. He abolished every privilege of caste and emancipated labour:

“In the West, as in the East, the condition of the masses was so miserable as to defy description. They possessed no civil rights or political privileges. These were the monopoly of the rich and powerful, or of the sacerdotal classes. The law was not the same for the weak and the strong, the rich and the poor, the great and the lowly. In Sassanide Persia, the priests and the landed proprietors, the ‘Dehkans’, enjoyed all power and influence, and the wealth of the country was concentrated in their hands. The peasants, and the poorer classes in general, were ground to the earth under a lawless despotism. In the Byzantine Empire, the clergy and the great magnates, courtezans and other nameless ministrants to the vices of Caesar and proconsul, were the happy possessors of wealth, influence and power. The people grovelled in the most abject misery. In the barbaric kingdoms — in fact, wherever feudalism had established itself — by far the largest proportion of the population were either serfs or slaves .

“Villainage or serfdom was the ordinary status of the peasantry. At first there was little distinction between preadial and domestic slavery. Both classes of slaves, with their families, and their goods and chattles, belonged to the lord of the soil, who could deal with them at his own free will and pleasure. In latter times

It means : “ Would you compel people until they are believers”. It has ensured all the human freedoms, namely those of faith, speech, work and residence. The general human brotherhood was recommended by Islam as a code of conduct among people of different religions, races and lands. The Quran has also strictly forbidden any interference in the affairs of non-Muslims in an Islamic State, and guaranteed their liberties in all walks of life:

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ (المتحنة ٨) .

It means: “Allah forbids not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes, that you should show them kindness and deal justly with them. Lo: Allah loves the just dealers” .

5 — Human Unity: By strictly forbidding any kind of compulsion in faith, doctrine or work, by establishing necessity to believe in all prophets imperatively, and by calling the people to work for communal amity and harmony, Islam aims at establishing human brotherhood and human unity in the world. The following Quranic verse emphasises that the belief in One God and one human community is an essential part of Islamic faith. God Says:

﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ (المؤمنون ٥٢) .

It means: “Lo (O mankind): This your community is one community. And I am your Lord. So keep your duty unto Me” .

It means: “Help you one another unto righteousness and pious duty. Help not one another unto sin and aggression” .

2 — Justice: Justice is the only criterion whereby Islam regulates relations between people in both peace and war times. it is the dominant feature of Islam in its relations with friendly or hostile people .

The Holy Quran has stressed this ideal principle in following Verse:

﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة ٨) .

It means: “Let not hatred of any people seduce you that deal not justice. Do justice that is nearer to your duty (towards Allah)”. 5:8 .

3 — Human dignity: Islam through its principles and teachings, foster dignity and self-respect in the hearts of its followers and educates them to respect dignity and honour of others. This honour is due for man’s humanity and not because of his colour, race, or social status. To make distinction between people according to their colour or race is the fundamental cause of crisis on this earth. There could be no justice and peace in this world without respect for human dignity in every man and on every land. The Quran declares this basic principle in the following Verse:

﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ (الاسراء ٧٠) .

It means: “Verily We have honoured the children of Adam and We carry them on the land and sea, and have made provision of good things for them and, have preferred them above many of those whom We have created with a marked preferment”. It is a common privilege for all people .

4 — Human freedom: Islam has totally rejected any kind of compulsion as means for driving people to embrace a certain religion, faith or doctrine. Forbidding such compulsion God says in His Holy Book:

﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس ٩٩) .

(You all are Adam's offspring, and Adam is of earth) .

The difference of people, in colour, tongue, tribes and races are due to different areas and climates. The creation of earth and the skies and the difference of colours and tongues of the people, despite their common parentage, are of the signs of God in the Universe and its aspects:

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ (الروم ٢٢) .

It means: “And of His signs is the Creation of heavens and earth and the difference of your languages and colours”. This difference would not clash with the principle of unity of mankind nor should it be the cause of conflict but rather of acquaintance with each other and of mutual friendship. God Says:

﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات ١٣) .

It means: “And We have made you nations and tribes that you may know one another” .

Islam promulgated the rules and laws of individual, social, national and international relations in the following cardinal principles:

1 — Human equality: The Holy Quran declared in clear verses that the ultimate purpose of differences among people, in races and tribes, is their acquaintance with each other and promotion of understanding and cooperation among individuals and societies. This acquaintance and cooperation could exist only between two equals and not between parties of differing ranks. Among the causes of human miseries in our contemporary age is unjust fanaticism and racial discrimination in the human treatment and understanding. Islam, therefore, announced the principle of relations and cooperation among people in the following Words:

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة ٢) .

# HUMAN RIGHTS IN ISLAM BY

**Dr. Mohiaddin Alwaye**  
**Prof. Islamic University**  
**Madinah**

Islam organises the course of Human relations on the basis of the “Common Origin of all mankind. It condemns any form of discrimination whether it is class division or racial prejudices between man and man. The Holy Quran, the eternal miracle of Islam declares that all people are one community; they emanate from one origin and share the same end though they differ in races, colours, tongues, tribes or nations. The Holy Quran says :

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء﴾ (النساء ۱) .

It means: “O mankind: Be careful of your duty to your Lord Who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain hath spread a multitude of men and women”. The theory of-common origin of mankind was stressed by the prophet:

﴿كلکم لآدم وآدم من تراب﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي  
لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي  
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

الكهف ١٠٩

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

*Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."*

(Qur'an 18:109)



*Journal of*

**THE ISLAMIC  
UNIVERSITY**

OF  
MADINAH MONAWWARAH

SHAWWAL—DHUL-KEIDAH—  
DHUL-HIJJAH 1403 H.

[ QUARTERLY ]

15<sup>th</sup> YEAR

60

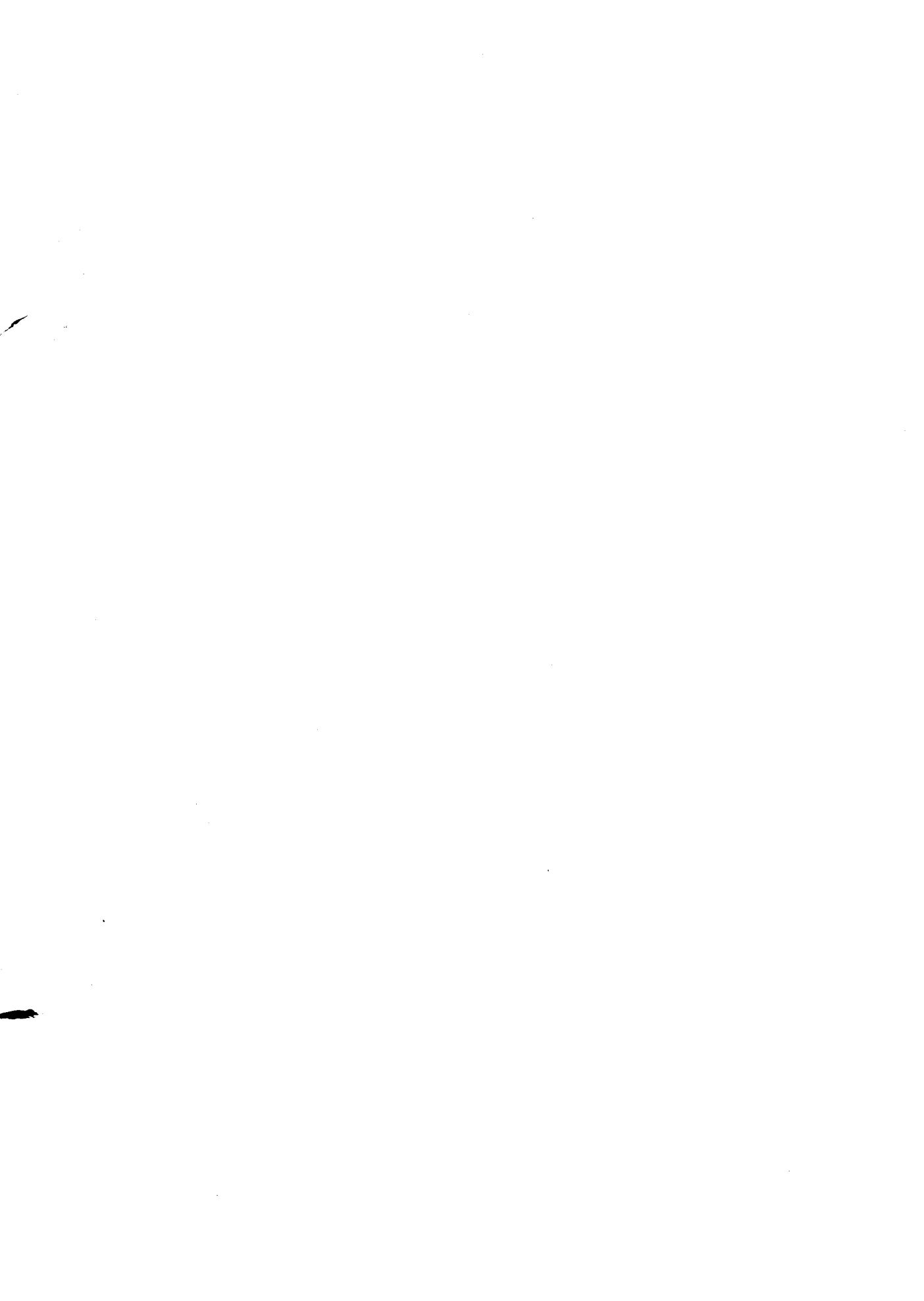




السنة  
١٦

العدد  
٦١

المحرم - صفر - ربيع الأول ١٤٠٤ هـ  
مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

رئيس التحرير

الأعضاء

د. أحمد بن عطية الغاندي

د. محمد بن علي الشولي

د. صلاح بن محمد البعوي

مدير التحرير

د. علي سلطان الشامي

د. محمد بن علي الرجواني

د. بزوف بن هياك الزفوني

الرسالة: ترسل باسم مدير التحرير - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



قَبَسٌ  
مِنْ  
كِتَابِ اللَّهِ

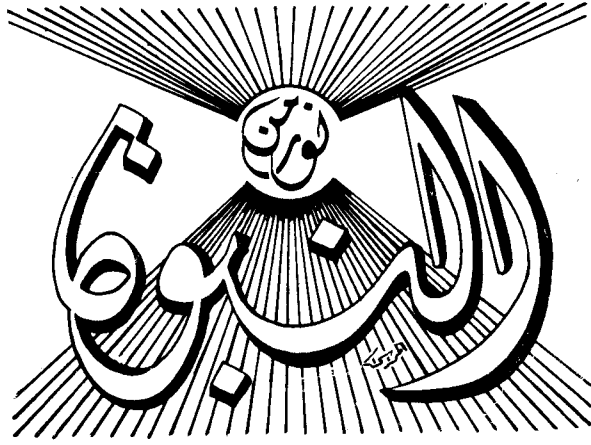
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا  
وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ  
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ  
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا  
حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا  
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ  
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٦﴾

من سورة آل عمران







قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ

كَالْبُنْيَانِ

يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا

رَوَاهُ مَسْنَم



# حكمة العبد

قَالَ تَعَالَى: إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ  
وَقَدْ شَبَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَعْضَاءِ  
الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْكُفْرِ  
بِاللَّهِ مِنَ الْأَخْتِلَافِ وَالنَّنَازِعِ وَلَوْ فِي الْأُمُورِ الْعَادِيَّةِ  
وَلَمَّا كَانَ الْأَخْتِلَافُ فِي الْفَهْمِ وَالرَّأْيِ مِنْ طِبَاعِ الْبَشَرِ  
وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ  
خَلَقَهُمْ<sup>(١)</sup> - حُصَّ الْأَخْتِلَافُ لِهَذَا مَوْجُودٌ فِي الْإِسْلَامِ بِمَا كَانَ  
عَنْ تَفَرُّقِ أَوْسَبَابِ التَّفَرُّقِ، وَجَرَى عَلَى ذَلِكَ السَّافِلُ الصَّالِحُ  
فَحَظَرَ وَافْتَحَ بَابَ الْأَرَاءِ فِي الْعَقَائِدِ وَأَصُولِ الدِّينِ وَحَتَمُوا  
الْاِعْتِصَامَ فِيهَا بِالْمَأْثُورِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ، وَخَصُّوا الْاجْتِهَادَ  
بِالْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ، وَلَا يَسْتَمِ الْمَعَامَلَاتِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَعْذَرُ  
كُلَّ مَنْ خَالَفَ فِي الْمَسَائِلِ لِاجْتِهَادِيَّةِ وَلَا يَكْفِيهِ مُوَافَقَتُهُ فِي فَرْعِهِ.

١- الآية ٩٢ سورة الأنبياء - ٢- الآيات ١١٨، ١١٩ سورة لقود "عن كتاب الوجوه الاسلاميه لمحمد شبرهنا"



افترنا حتمنا العبد



# الدَّعْوَةُ إِلَى اللَّهِ وَالْوَاقِعَ الْمَعَاصِرَ

الشيخ محمد بن عبد الله الصالح العبيد  
رئيس جامعة الأرسطية بمدينة المنيرة

الحمد لله العزيز القائل ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير محمد النبي الأمين خير من دعا إلى الله وآمن به وعمل لشعره فكان القدوة المثلى والأسوة الحسنة ورضى الله عن أصحابه واتباعه إلى يوم الدين . وبعد :

فإنه لشرف للجامعة الإسلامية أن تحتضن المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة الذي ينعقد تحت موضوع « سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين » وفي نطاق الاستعداد لهذا المؤتمر يشرفها كذلك أن تصدر هذا العدد الخاص من « مجلة الجامعة الإسلامية » الذي يضم بعض المقالات والبحوث والدراسات عن الدعوة من خلال اهتمامات المؤتمر .

وبين يدي هذه المناسبة أطرح هذه الأسطر التي تتعلق بمنهج الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ومتطلباتها إذ لعل في مناقشتها ما يلقي بعض الضوء في طريق الوصول إلى الحكمة المنشودة في هذا السبيل .

## أهمية الدعوة :

تكتسب الدعوة إلى الله أهميتها من أنها رسالة الله إلى الخلق وأمر الله الذي أراد من عباده أن ينهجوه ، ومن هذه الأهمية يتسابق محبوا الخير ، وفي السباق يكون التنافس ومعروف أنه إذا لم يحكم التنافس منهج وضوابط فإنه يورث الحقد والكراهية والحسد . والضوابط التي يضعها الله سبحانه هي القول الحسن في الدعوة ، والعمل الصالح في سبيلها ، والانتفاء الصادق لجماعة المسلمين ، حيث يقول سبحانه ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ وهي مع هذه الالتزامات لا تقف على وسيلة معينة ولا على جماعة مخصصة أو بلاد محددة ، إنها رسالة المسلم حيث وجد على ظهر

الأرض أياً كان عمله وأينما كان مركزه وكيفما كان موقعه ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ ، وللحكمة أبعادها وآفاقها وللموعظة حكمها. وأساليبها وللمجادلة أسبابها وآدابها والأمر مع كل ذلك لا يعني أن العمل في مجال الدعوة مطلق للفرد على عواهنه فالفرد يخسر بمفرده لكن للنجاة من الخسار عليه أن يعمل مع الآخرين لهدايتهم ومع الآخرين للاستعانة بهم يقول عز وجل ﴿ والعصر ، إن الإنسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

ومع هذه المسئولية الكبيرة والرسالة العظيمة يصبح من نافلة القول الاطالة في الحديث عن أهمية العلم والمعرفة للإنسان ولجماعة المسلمين قبل الدخول في مجالات العمل ، ذلك أن المعرفة في دين الله وفي أصول الدعوة إذا لم تقم وتبنى على العلم الشرعي فسوف تقام وتبنى على غيره وأمر الله لا يقوم إلا على شرعه ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ ومن المسلم به عقلاً وشرعاً ألا يعبد الله إلا بما شرع . فالعلم بشرع الله أولاً ثم الالتزام بالدعوة إليه ثانياً . من خلال المسئولية الفردية والتعاون الجماعي وعلى الأصل المشار إليه يتشكل منهج الدعوة إلى الله سبحانه ثم إن الدعوة بهذا تعتبر حركة مستمرة لا تنتظر مؤتمرات تعقد ولا اجتماعات ترتب إلا أن الاجتماع على الخير أمر مطلوب وتدارس أحوال الدعوة والدعاة إلى الله أمر مرغوب « ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

## واقع الدعوة :

ويعيش المسلمون هذه الفترة من حياتهم على الكثير من الخلافات والصراعات القائمة بينهم وبين أعدائهم من جهة وبينهم وبين أنفسهم من جهة أخرى . ويصعب في الوقت الحاضر التفريق بين الواجهتين الداخلية والخارجية ذلك أن الأعداء نقلوا المعركة من المواجهة العسكرية المكشوفة بعد فشلهم فيها وتحرر بعض البلدان الإسلامية من ربطة الاستعمار ، نقلوها في كثير من المواقع إلى مواجهات بين المسلمين أنفسهم من خلال زرع بذور الفتنة والخلافات العنصرية والعصبية والقبلية وأن يتسمى بالمسلمين من ليس منهم فيؤسسون الجمعيات وقيمون الجماعات كيما يضرب المسلمون رقاب بعض ويستعين بعضهم بأعداء الله لقتال البعض بل لقتال المستقيمين منهم على أمر الله . لقد كان من المقبول في السابق أن تعيش القبيلة على تعدد فصائلها والدولة على شتات أقاليمها واختلاف تضاريسها وخلفياتها أيام الاستعمار . أما الآن فأصبح ذلك من سمات التخلف



وصفات الماضي التي يجب أن لا تعود وأضحى من اللازم أن تتفرع القبيلة وتشتت الأسرة الكبيرة وتتوزع الدولة إلى دويلات كيما تكون دواعي الاقتراق أقوى من دواعي الالتقاء وعوامل الاختلاف أكبر من عوامل الائتلاف وليس بخاف على كل مسلم مدرك ما يعايشه المسلمون اليوم من جراء ذلك ولكن بفضل الله ومنتته - تولدت بين المسلمين عودة إلى دين الله واستعادة لمنهج الله فبقدر ما لقوا من العناء وما كابدوا من الشقاء عملوا بقوة واندفاع لاستعادة المكانة وإعادة البناء ، وفي ظل هذه الظروف وملاساتها كانت الصحوة الإسلامية المعاصرة التي بدأت بيئية واقليمية بحكم المعيشة للظروف المحلية ثم انتقلت إلى صيغة الشمول والعالمية بحكم ما جد في العلاقات والاتصالات والمصالح والروابط الدولية ، لقد حققت الدعوة الإسلامية في العصر الحديث جانبا هاما في سبيل التضامن الإسلامي وتحقيق وحدة المسلمين ، ولكن ما يخشى هو ألا تستمر الجماعات والجمعيات الإسلامية في أداء هذا الدور بل إن ما يخشى منه أكثر أن تكون بعض تلك الجماعات والجمعيات نقطة ضعف في تضامن المسلمين وتحقيق وحدتهم ولذا فلا بد من مواجهة الواقع من قبل العاملين في مجال الدعوة الإسلامية ومن قبل القادة والمسؤولين في مجال تلك الجماعات والجمعيات بدراسة الوضع ومعالجته . وليست هذه العجالة مكانا لتشخيص الداء ولا لوصف الدواء ، ولكن بقدر ما تقدم من لمحة عن أهداف الدعوة إلى الله وما يستعرض من أسباب أدت إلى الصحوة الإسلامية المعاصرة بما فيها من سلبيات وإيجابيات ما يمكن أن ينظر على ضوءه - وما يمكن أن يضاف عليه - في منهج للتفكير في مواجهة التحديات الجديدة والصراعات القائمة .

## من أسباب وظواهر الصحوة الإسلامية :

إن من أهم الأسباب التي أدت إلى الصحوة الإسلامية المعاصرة وما اكتنف تلك الأسباب من سلبيات ما يلي :

أولا : إن المسلمين قد تجاوزوا مرحلة من مراحل الجهل التي ضربت أطنابها على بقاعهم فانتشر التعليم وتوسعت دوائر المعرفة وتعددت وسائل الإعلام والنشر وأصبحت وسائل التعريف بالدعوة بين المسلمين في وضع أفضل مما كانت عليه في الفترة الممتثلة لعصر التخلف والانحطاط . ومع أن المناهج والبرامج التعليمية والإعلامية لم توجه التوجيه الديني الكافي إلا أن التوجيه الديني كان قويا حتى بين صفوف المشتغلين بالعلوم التطبيقية والذين حصيلتهم الدينية من خلال المناهج التربوية بسيطة وعمامة . إلا أن الوسائل والمؤسسات

العاملة في مجالي التعليم والإعلام لم تسلم من التأثيرات الخارجية وضعف التجربة الذاتية .  
كما أن الكتاب الإسلامي لم يسلم من سبل الارتزاق والمتاجرة .

ثانيا : قيام بعض الحركات الاصلاحية في الجزيرة العربية والهند ومصر والسودان وتونس وغيرها من بلاد المسلمين مثل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمهدية والسنوسية وأهل الحديث وأنصار السنة والجماعات الإسلامية والإخوان المسلمون وما تولد عن تلك الحركات من نشاطات وما صاحب ذلك من توضيحات بالأموال والأنفس والثمرات وما نتج عن ذلك كله من تمدد وانكماش وما رافق العنف الذي حوربت به تلك الحركات والنشاطات من تعاطف مع التوجيه الديني فالملاحظ أن الضربات التي واجهت تلك الحركات قد أضعفت الحركة نفسها لكنها ضاعفت من النشاط الإسلامي من المتعاطفين مع العمل الإسلامي حتى أصبحنا نرى ما بين فينة وأخرى ميلاد جماعات جديدة وأصبحت العواطف وردود الفعل هي الموجه حتى كان حرب القلم واللسان التي مر بها العالم الإسلامي في مرحلة ما تعود اليوم وقد حملت مع القلم واللسان السيف والسنان .

ثالثا : الاتجاه الرسمي الجديد من قبل بعض القيادات السياسية في العالم الإسلامي إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية مثل ما حصل في باكستان والسودان مما يدل على فشل النظم والمبادئ المستوردة ، وإن الممارسات المبنية على تلك النظم والمبادئ لم تحقق آمال وتطلعات المسلمين في تحكيم شريعة الله في الأرض . لقد أعطى هذا الاتجاه التوجه لمراجعة حصيلة المسلمين من العلوم والمعارف الشرعية واجراء المزيد من الدراسة والبحث في تلك العلوم والمعارف من أجل التطبيق على أرض الواقع كما بعث روح التفكير في طبيعة الحياة الإسلامية المتكاملة لدى المسلمين وغيرهم وما يمكن أن تقدمه التجربة الإسلامية في مثل تلك البلدان بعد أن مرت بالعديد من التجارب ذلك أن النظام العام لا يمس كل فرد في الدولة فقط بل يتعداه إلى من هم خارج الدولة بحكم العلاقات المتبادلة ووسائل الاتصال المترابطة وعلى كل فليس ما تم أو أعلن عن التوجه إليه في تطبيق أحكام الشريعة هو نهاية المطاف إذ أن ذلك انما يمثل جانبا من جوانب تحقيق حكم الله سبحانه وتعالى في الأرض . ذلك أن الأمر يتطلب إعادة النظر في البناء الاقتصادي والسياسي والتربوي في تلك البلدان

رابعاً : اهتمام الطبقة المثقفة والمتعلمة من غير المسلمين بدراسة الإسلام والتعرف عليه واعلان العديد منهم اعتناق الإسلام وكان من أشهر من أسلم منهم من رجال الدين

خليل إبراهيم ومن الأدباء ميشيل سركيوسكي ومن الباحثين فنان منتيل ومن المؤرخين بنواميشان ومن الفلاسفة روجي جارودي .

قد دفع إسلام هؤلاء وما يقومون به من أبحاث ودراسات ، دفع من يختلط بهم من المسلمين بحكم التعامل إلى العودة لتاريخهم وتراثهم كما وفر الكثير من القناعة لدى الشباب المسلم الذي انبهر بحضارة الغرب بضرورة العودة إلى دينه الأصيل والنهل من منابعه الصافية التي لم تكدرها التحزبات والطوائف والتجمعات المنحرفة .

خامسا : دعم بعض الدول الإسلامية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية - التي قامت على أساس تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية - والمؤسسات والهيئات والأفراد في تلك الدول للنشاط الإسلامي مادياً ومعنوياً مما ساعد الهيئات والمنظمات والجماعات الإسلامية على تخطي بعض الصعاب وتجاوز بعض العقبات . إلا أن تلك المساعدات قد لا تنفق في وجهها المشروع مما جعل الثقة في بعض المشاريع الإسلامية تضعف وتهتز .

سادسا : قيام بعض التنظيمات والروابط الدولية وشبه الدولية بين بلدان العالم الإسلامي مثل رابطة العالم الإسلامي والبنك الإسلامي للتنمية والدعوة للتضامن الإسلامي التي تولاهها جلالة الملك فيصل رحمه الله وما أسفرت عنه من عقد مؤتمر القمة الإسلامي وما انبثق عنه من منظمات ومقررات ومواقف . وقد كان لهذه الجوانب تأثيراً إيجابياً في سبيل تحقيق الشعور بالذات بين المسلمين وتقوية وتنمية الروابط فيما بينهم كأمة واحدة دولا وأقليات ولاجئين إلا أن هذه التنظيمات والروابط تحتاج إلى المزيد من الشعور بالأهمية والالتزام بالمسئولية من جانب جميع الدول الإسلامية من أجل تنفيذ القرارات وتحقيق الأهداف الإسلامية في كافة المجالات .

## الحاجة لمراجعة واقع الصحوة :

وعند الرغبة في التفصيل فإن هذه العناصر تحتاج إلى المزيد من التفسير والتفريع ، إلا أن الحاجة القائمة تدعو إلى تجاوز ذلك إلى النظر في توجيه هذه الصحوة من حيث الدوافع والمقاصد والنتائج .

إن هذه الصحوة في معظم دوافعها ومقاصدها قد ارتبطت بمواجهة التخلف من جهة ومقاومة الاستعمار من جهة أخرى ولذا فقد اتسمت بالاندفاع الشديد المرتبط بالقوة العسكرية من جانب والاندفاع الفكري والجدلي من جانب آخر وهي أمور فرضتها الظروف

وقد حققت تلك الأمور الكثير مما نتج عنه هذه الصحوة الإسلامية التي تعم ليس فقط أرجاء العالم الإسلامي بل العالم أجمع . وإذا كان ذلك أمر تطلبه وضع الدفاع فإن الأمر يحتاج اليوم إلى إعادة النظر في الأمور من أجل ترميم المواقع وترتيب الصفوف والاستعداد للمرحلة القادمة .

لقد كان من نتائج هذه الصحوة عودة الأذان إلى منابر الأندلس في الغرب وإلى منائر الصين في الشرق وإلى مواقعه القديمة في عمق العالم الإسلامي التي اسكت فيها فترة من الزمن كما امتد الأذان إلى مآذن جديدة في مواقع جديدة في أوروبا وأمريكا وأستراليا وأفريقيا وآسيا ولكن السؤال المطروح هو هل متطلبات ودوافع العمل الإسلامي في المستقبل هي نفس متطلبات ودوافع ذلك العمل في الماضي ؟

ولن تكون الإجابة على هذا السؤال متطابقة نتيجة للظروف التي يعايشها المسلمون وهي ظروف متعددة ومتغيرة ، ومع أن هذا التعدد والتغاير يكون في كثير من الأحيان مجالا للخلاف في الرأي والتباين في وجهات النظر إلا أنه ينبغي ألا يخرج إلى حد نقل المعركة من المسلمين وأعدائهم إلى ما بين المسلمين أنفسهم .

لقد بات من الملاحظ وجود فراغات في بنية العمل الإسلامي وأخطاء في الممارسات القائمة في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فالدعوة تعاني من تشتت الجهود بل تعارضها وتصادمها في كثير من الأحيان حتى انشغلت بعض الجماعات الإسلامية في محاربة بعضها بدلاً من توجيه السهام إلى العدو المشترك ، كما تعاني من الشقاق داخل الجماعة الواحدة حتى أصبح منها اليمين واليسار والحائم والصقور واندرست في صفوف الدعوة جيوش النفاق التي كانت عاملاً من عوامل ذلك الشقاق وتشتت الجهود . كما كان من اهتمام بعض الجماعات الإسلامية بتكثير السواد وتجميع الاتباع أن يتحدث عن الإسلام من لا يعرفه ويدعو إليه من لا يلتزم به .

## متطلبات الدعوة :

وأمام هذا الجانب من الصورة وهو الجانب السلبي نحتاج إلى وقفة وفي هذه الوقفة نستعرض شيئاً مما يدعو إليه ديننا الحنيف وما يأمر به من توجيهه في مجال أدب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

يقول سبحانه وتعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ ويقول سبحانه ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ، وقال إنني من المسلمين ﴾ ويقول سبحانه ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ ويقول سبحانه ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ ويقول سبحانه ﴿ إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم ﴾ ذلكم هو منهج كتاب الله ووصف الله للمؤمنين العاملين والدعاة الصادقين . أما رسول الهدى ونبي التقى فيقول « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر » ويقول « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ويقول عليه الصلاة والسلام « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » وذلكم هو منهج رسول الله وخلق رسول الله ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ .

وعلى ضوء هذه الأوامر والتوجيهات يمكن التركيز على أن المتطلبات والمقاييس الثابتة للدعوة هي :

أولاً : الانطلاق من وحدة الفكر والهدف من خلال التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى مهما كانت الظروف المكانية والمصالح الزمنية والتحديات الحضارية .

ثانياً : العلم بشرع الله والفهم الصحيح له على هدى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ .

ثالثاً : العمل على أساس الصدق والاخلاص والتضحية والتجرد والتحلي بالحكمة والبصيرة في التلقي والتلقين لدعوة الله .

## بين الواقع والمستقبل :

وعلى ضوء هذه المتطلبات والمقاييس يجب وضع الضوابط الخاصة بطبيعة العمل وطريقة التحرك لمواجهة الظروف المكانية والمصالح الزمنية والتحديات الحضارية المعاصرة وهي أمور بلاشك تختلف في عدة جوانب عن الظروف والمصالح والتحديات التي دعت إلى نشأة بعض الحركات الإسلامية وحددت منهج العمل فيها . لقد انتقل التحدي الاستعماري من العمل العسكري إلى العمل الفكري ، كما انتقلت مواجهة من الشخصية الأجنبية إلى الشخصية الوطنية وذلك في معظم المواقع . لقد ارتحل الاستعمار بعساكره من بعض البلدان

لكن قوافل الصليب ومناجل الحاد قد تكالبت على نشر الفساد في البلاد والكافرين العباد ، ومن جهة أخرى فإن الاستقرار الذي تم في بعض البلاد الإسلامية وتطلعها إلى تحكيم شرع الله يتطلب توفير الأسس والتطورات والأساليب والاجراءات الخاصة بتطبيق تحكيم الشريعة في تلك البلدان في كافة الشؤون الاقتصادية والسياسية والتربوية والفكرية ويجب ألا يكون العاملون في مجال الدعوة إلى الله في غيبة عن هذه المواقع لأنها المحك العملي والممارسة الفعلية لتطبيق الشريعة الإسلامية في بلاد المسلمين .

## أمل ورجاء :

ومن هذا التصور اتطلع إلى أن يلتقي العاملون في مجال الدعوة إلى الله وأن تكون هذه المقاييس والمتطلبات ضابطاً للجميع فيما يقولون ويعملون وأن تكون عونهم فيما يواجهون .

وما مناسبة انعقاد المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة في رحاب الجامعة الإسلامية إلا إحدى الظروف المناسبة لمناقشة مثل هذه الأمور ودراستها والتفكير فيما يمكن أن يعمل من أجلها وأسأل الله سبحانه على الا يقتصر هذا الاجتماع على اضافة اضبارة إلى خزانة الأوراق أو كسب ورقة في مجال الدعاية والاستهلاك والله سبحانه وتعالى هو المسئول أن ينسر دينه وأن يعلي كلمته وأن يوفق عباده إلى الخير والسداد والهدى والرشاد انه ولي ذلك والقادر عليه .



# آيَةُ الْعَدَدِ

لِلشيخ أبي بكر الجزائري  
رئيس قسم التفسير بالجامعة

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ . وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ . الآية : « ١٠٢ » وبعض الآية : « ١٠٣ » من سورة آل عمران .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، وآله وصحابه أجمعين .

وبعد فهذه آية العدد نقدم شرحها لأبنائنا طلبة العلم على طريقتنا في التفسير التحليلي فنبدأ بذكر مناسبة الآية لما قبلها من الآيات ، ثم نذكر الغرض الذي سبقت له الآية ثم نشرح مفرداتها ، ثم نذكر معنى الآية المراد فهمه منها ثم نختم الشرح للآية بذكر ما فيها من هداية قرآنية راجين أن يهتدى بها الطالب إلى ما يزكى نفسه ، ويكمل أخلاقه ومعارفه ، وبسم الله نبدأ ، ومنه نستمد العون والتوفيق فنقول :

## مناسبة الآية لما قبلها :

لقد جاء في السياق قبل هذه الآية قول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ . وهو إخبار منه تعالى لعباده المؤمنين بأنهم إن أطاعوا بعض أفراد اليهود أو النصارى بأن سمعوا منهم واستجابوا لما يقولون لهم أدّى بهم ذلك إلى الردّة والعياذ بالله تعالى ، وهو إخبار بمعنى الإنشاء ؛ إذ مراد الله تعالى من هذا الخبر نهيه عز وجل المؤمنين عن طاعة أهل الكتاب لما قد تفضى بهم تلك الطاعة إلى الكفر والعياذ بالله . ومن هنا ناسب أن يأمرهم بما يكون عصمة لهم من الوقوع في الردّة والكفر بعد الإيمان والإسلام فقال عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ . ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ . فهذا وجه المناسبة بين الآيتين وهو ظاهر والحمد لله .

الغرض الذى سيقته له الآية :

إنَّ الغرض الذى سيقته له هذه الآية هو الأمر بتقوى الله عز وجل وذلك بفعل مأمور الله عز وجل وهو الإيمان والعمل الصالح ، وترك منهيه تعالى وهو الشرك والمعاصى بترك واجب أو فعل منهى وبذل الجهد فى تحقيق هذه التقوى ، والصبر عليها مع الاعتصام بدين الله وعدم التفرُّق فيه ، حتى الموت على الإسلام .

مباحث الالفاظ :

من مباحث الالفاظ هذه الآية ما يلى :

التقاة : اتقى يتقى اتقاءً وتقاءً ، وهى بمعنى التقوى التى هى الاسم من اتقى .

حق تقاته : هذا من إضافة الصفة إلى الموصوف ؛ إذ الأصل اتقوا الله التقاة الحقة .

ولا تفرقوا : تفرقوا أصلها : تفرقوا فحذفت إحدى التائين تخفيفاً .

إلا وأنتم مسلمون : الجملة حالية ، والاستثناء فيها مفرغ من أعم الأحوال إذ

المعنى : ولا تموتن على أيِّ حال من الأحوال إلا على حال أنتم مسلمون .

شرح الكلمات :

آمنوا : اذعنت قلوبهم للتصديق بوجود الله تعالى رباً لكلِّ شىءٍ والهاً لكلِّ العالمين . موصوفاً بكلِّ كمال ، منزهاً عن كلِّ نقصان ، وللتصديق بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً للعالمين ، وبكلِّ ما جاء به من الدين ، وأخبر عنه من أمور القدر والغيب ، وللتصديق بالبعث والجزاء فى الدار الآخرة بالنعيم المقيم ، أو العذاب المهين .

اتقوا : أمر بالتقوى ، والتقوى الاسم من فعلٍ ، اتقى ، ومعناه : اتخذوا الإيمان والاعتصام بالطاعة وقاية تقيكم وتحفظكم مما تخافون من العذاب المترتب على الكفر والمعاصى .

الله : اسم الجلالة الأعظم : وهو عَلَمٌ على ذاتِ الربِّ المعبود بحق ، واشتقاقه من اله ياله إلهة وتألهاً . إذا عبد فاذعن وأطاع حبا وتعظيماً . فمعنى الله : المعبود الذى تتحير الافكار فى حقائق صفاته ، وتطمئن القلوب إلى ذكره ، وتفرح النفوس بمعرفته ، وتولع الخليقة بدعائه والتضرع إليه ، ولا تفرغ عند الشدائد إلا إليه سبحانه لا يدرك كنه ذاته ، ولا تعلم حقائق صفاته .



حق : يقال حَقَّ الشيء يحق إذا ثبت ووجب .

التقاة : مصدر بمعنى التقوى، ومعنى المتضايفين ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ : اتقوا الله التقاة الحقة الواجبة لله تعالى الثابتة له بهاله من قوة لا تحدد، وقدرة لا تعجز، وسلطان لا يقهر .

ولا تموتن : الواو<sup>(١)</sup> عاطفة للجملة على سابقتها وهي : اتقوا الله حق تقاته . ولا : أداة نهى وجزم وتموتن : مضارع مات يموت ؛ إذا فارقت الحياة، وهو مسند إلى واو الجماعة دخل عليه الجازم فحذف نون الرفع، فصار ولا تموتوا، فأكد بنون التوكيد فالتقى ساكنان فحذفت الواو لوجود ما يدل عليها وهي الضمة فصارت الكلمة ولا تموتن .

إلا وأنتم مسلمون : إلا أداة استثناء وهو هنا مفرغ من أعم الأحوال، والواو للحال وجملة «أنتم مسلمون» خبرية مؤلفة من مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال . ومعنى الجملة : لا تموتن أيها المؤمنون على أي حال من الأحوال إلا على الحال التي أنتم فيها مسلمون، والجملة متضمنة النهى عن الردة بعد الإسلام، فلا يحل للمؤمن أن يكفر بعد إسلامه . كما يريد ذلك كفار أهل الكتاب .

واعتصموا : الاعتصام : التمسك بالشيء بشدة حتى لا يسقط منه، مأخوذ من معصم اليد، إذ قوة التمسك بالشيء تابعة لقوة معصم الإنسان وساعده .

حبيل الله : الحبيل لغة السبب، وما يتوصّل به إلى الشيء أو ما يتمسك به طلبا للنجاة والمراد به هنا : القرآن الكريم، والدّين، وجماعة المسلمين ؛ إذ التمسك بهذه يُنجي من السقوط والهبوط في الدنيا والآخرة .

جميعا : حال من ضمير واعتصموا، والمعنى تمسكوا بكتاب الله ودينه وجماعة المسلمين حال كونكم مجتمعين لا يتخلف منكم أحد أبداً .

ولا تفرقوا : الواو عاطفة، ولا ناهية جازمة . وتفرقوا مضارع مجزوم بحذف النون، والواو فاعل . والتفرق لا يكون إلا بعد الاجتماع، وعليه فالجملة مؤكدة لسابقها ؛ إذ الأولى

---

(١) إن قيل : لم شرح هذه الجزئيات، والتعرض للإعراب؟ قلنا : إن المجلة مجلة طلبة العلم وهم ينتفعون بمثل هذا التحليل اللفظي والمعنوي .

فيها أمر الله تعالى للمؤمنين بالتمسك بدينهم ، وفي هذه نهيه تعالى عباده المؤمنين عن التفرق المفضى بعدم التمسك بالمأمور به .

### معنى الآية الكريمة :

ينادى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بوصف الإيمان : يا أيها الذين آمنوا؛ إذ بالإيمان حياتهم فهم بإيمانهم أحياء غير أموات يقدرون على فهم الخطاب ، وعلى القول والعمل ، يناديهم ليأمرهم بما فيه سلامتهم من كل مرهوب ، وظفرهم بكل مرغوب محبوب من سعادة الدارين ألا وهو تقوى الله الحقة الواجبة له على عباده ، والمتمثلة في امتلاء القلب بخشيته ومحبتة ، وانقياد الجوارح كل الجوارح لطاعته ، حتى يطاع فلا يُعصى ، ويذكر فلا يُنسى ويشكر فلا يكفر . ولينهاهم عن الكفر بعد الإيمان ، والردة بعد الإسلام «ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون» . فليثبتوا على إيمانهم ، وليستمرروا على إسلامهم لربهم مطيعة قلوبهم وجوارحهم لا يفارقون الطاعة حتى تفارقهم الحياة ، ابقاء على نور قلوبهم ، وزكاة أنفسهم ، وطهارة أرواحهم ؛ ليكونوا أهلاً لمواكبة الرفيق الأعلى والنزول في منازل الأبرار ، والفوز بالنعيم المقيم في جوار الرب الرحيم .

وناداهم ليأمرهم بالاعتصام بكتابه ودينه ، وعهده الذي أخذه عليهم لما شهدوا له بالوحدانية ، ولنبيّه بالرسالة ، والاعتصام بكتابه يعنى العمل بما فيه فيعملون بمحكمه ، ويؤمنون بمتشابهه ، ويحلّون حلاله ويحرمون حرامه ، ويلتزمون بأدابه ، ويتحلّون بأخلاقه . والاعتصام بدينه يعنى التمسك بعقائده ، واداء فرائضه ، واقامة حدوده ، والتأدب بأدابه ، والتجمل بأخلاقه ، مع ملازمة أهله القائمين به والداعين إليه . والاعتصام بعهده يعنى الوفاء لله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ، وذلك في المنشط والمكروه ، والعسر واليسر ، وفاءً دائماً ، لا يُخلّون به حتى تفارق الحياة أبدانهم ، وتباينهم أرواحهم ، وناداهم أيضاً لينهاهم عن التفرق بعد التجمع ، وعن الاختلاف بعد الائتلاف ؛ لما في تفرقهم من فشلهم وذهاب ريحهم ، ولما في اختلافهم من سوء أحوالهم وفساد بالهم ، والقعود بهم عن مواكبة الصالحين في الدارين .

### هداية الآية :

إن من بين الهدايات القرآنية التي تضمّنتها هذه الآية الكريمة الهدايات التالية :

١ - تقوى الله عز وجل ، وذلك لأن الله تعالى بيده ملكوت السموات والأرض يحيى ويميت ويعطى ويمنع ويضر وينفع ، يُغنى ويفقر ، يُعزّ ويذل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ،

فدرة لا تُحَدِّد، وسلطانه لا يقهر، فهو لذلك يجب أن يتقى، ولكن لا بالحصون والأسوار العالية، ولا بالقوات الضاربة، من رجال وسلاح، على اختلافه وتطوره حتى لو كان سلاح الذرة والهدروجين، وإنما يتقى الله جل جلاله وعز سلطانه، وهو الذى ذلت له رقاب الجبابرة، وانحنت أمام جبروته هامات القياصرة والاكاسرة، يتقى بشيء واحد ألا وهو العبودية الحقّة الممتثلة في إسلام القلوب والجوارح له، فالقلوب تؤلِّفه رهبة ورغبة، ومحبة وتعظيماً. والجوارح انقياداً لأمره، ولنهيته تركاً. بهذا فقط يتقى الله ذو الجبروت والمملك والملكوت، فمن طلب النجاة من العار والنار، وأحب الفوز بالجنة دار الأبرار فليثق بالله الواحد القهار، فإن ذلك له، ومردّه إليه، وتقواه عز وجل هي مفتاح بابه، وسلم الوصول والارتقاء إليه، وهما هي آيات كتابه تنبئ عن قلناه، وترجم للقارىء معناه، قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾ [الطلاق: ٤].

﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً، ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم﴾

[الأنفال: ٢٩].

﴿تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ [مريم: ٦٣].

﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ [القلم: ٣٤].

﴿إن للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً وكواعب أتراباً وكأساً دهاقاً﴾ [النبأ: ٣١، ٣٤].

كل هذا الخير، وغيره كثير إكسير ملكه تقوى الله بطاعته والانقياد إليه.

هذه هداية وأخرى :

٢ - الموت على الإسلام :

إن مما تهدى إليه هذه الآية: الموت على الإسلام، والموت على الإسلام هو الغاية التى ما وراءها غاية، والأمل الذى دونه كل أمل ولنشهد هذه الحقيقة من خلال القصة التالية: جلس على عرش مصر نبي الله ورسوله الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم - عليه السلام - ورفع أبويه فوق عرشه فأجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وجلس اخوته الأحد عشر ائماً بين يديه وقد تم له الملك بحذافيره، وجاءته الدنيا طائعة، وحفل الكون به من حوله. هنا ابتهل يوسف إلى ربّه قائلاً: ﴿ربّ قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض، أنت وليّى فى الدنيا والآخرة، توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين﴾ .

إن هذه القصة تقول : ان المال والملك والسلطان واجتماع الشمل بالأهل والأخوان ليس بالغاية المطلوبة ولا بالأمل المرجوع عند الأبرار الأطهار الأخيار، وإنما الغاية المرغوبة والأمل المنشود: الوفاة على الإسلام، واللحاق بمواكب الصالحين .  
وإن قيل : وهل الإنسان يملك أن يموت على الإسلام، أو على غيره من الأديان؟ .

قيل له : نعم؛ إذ عدم الردة عن الإسلام هي الموت عن الإسلام، ومن شبَّ على شيء شاب عليه، ومن لازم شيئاً في حياته وأثره على غيره مات عليه، يضاف إلى هذا ان التكليف بملازمة الإسلام وعدم الارتداد عنه ليس تكليفاً بما لا يطاق، لاسيما وأن الإسلام دين الفطرة فلا يوجد في النفس البشرية من نوازع تدافع الإسلام وتأباه، والردة المحذر منها قد تأتي من خارج النفس لا من داخلها، تأتي من طريق الاستجابة للشيطان وإخوان الشيطان : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾ .

هذه هداية وثالثة :

٣ - الاعتصام بحبل الله تعالى :

إن مما تهدي إليه هذه الآية من أسباب الكمال والسعادة الأمر بالاعتصام بحبل الله تعالى الذي هو كتابه الكريم، ودينه القويم، وجماعة عباده الصالحين .

والاعتصام بكتاب الله تعالى يكون باعتقاد الحق الذي جاء به من التوحيد والنبوة، والبعث والجزاء، وتحليل حلاله وتحريم حرامه من المقول والمفعول : كالصدق وقول الحق والمعروف، والمطاعم والمشارب والمناكح والمكاسب، كما يكون بإقامة حدوده والتزام آدابه ومحاسن أخلاقه بعد دراسته وفهمه وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار .

والاعتصام بدينه يكون بإقامة فرائضه والمحافظة على سنته، وتطبيق شرائعه والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه بعد معرفة أحكامه وحفظ قواعده، كما يكون بالدعوة إليه، والموالاتة فيه، والمعاداة عليه .

والاعتصام بجماعة عباده الصالحين يكون بموالاتهم، وتحريم معاداتهم، وبحبهم، والحب لهم وصدقهم وتصديقهم، والصلاة معهم وعليهم، والجهاد مع إمامهم وحرمة الخروج عليه وعليهم ما أقيمت الصلاة فيهم .

هذه هداية ورابعة :

#### ٤ - حرمة الفرقة والاختلاف :

إن هداية هذه الآية تقول : إن الفرقة والاختلاف محرمان ممقوتان ، وكونها بعد الاجتماع والائتلاف اشدّ حرمة وأكبر مقتاً ، إن من هداية هذه الآية تحريم الفرقة والاختلاف في الكتاب والدين والجماعة ، أما الاختلاف في الكتاب فإنه لا يكون في الفاظه وكلماته ؛ إذ قد تولى الله منزله سبحانه وتعالى حفظه من الزيادة والنقصان ، والتبديل والتغيير ، حيث جمع أمة الإسلام عليه منذ نزوله فلم تختلف فيه ولن تختلف بإذن الله تعالى فيه . وإنما الاختلاف في الكتاب يكون في معانيه وما يدل عليه ، والعصمة من ذلك في الأخذ بالسنة والتمسك بها ؛ إذ هي الشارحة لألفاظه ومعانيه ، والمبيّنة لمجمله ، والمخصّصة لعمومه ، والمقيّدة لمطلقه . وذلك بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله وأحكامه وأقضيته ، وسياساته ، وفي سيرة أصحابه من بعده حصن حصين ، وسياج منيع من الفرقة والاختلاف في كتاب الله أيضاً . ولهذا فالأمة المرحومة وهي أهل السنة والجماعة لم تختلف في كتاب الله ، وإنما اختلف فيه من رد سنة رسول الله التي وردت من غير طريق من فتن بهم ، وكفر أصحاب رسول الله ، وغض من شرفهم وأهدر كرامتهم ، ولعنهم وأبغضهم . والعياذ بالله تعالى من ضلال الطوائف والفرق المنتسبة إلى الإسلام باطلاً وزوراً . وكذباً وميناً .

وأما الاختلاف في الدين فإنه ذو خطورة كبيرة على أمة الإسلام ، ولذا كان من هداية هذه الآية التصريح بتحريمه والتحذير من آثاره المدمرة ، وفي الكتاب الكريم الأمر بإقامة الدين وعدم التفرق فيه ، والتوصية بذلك قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ .

ولكى تُتجنب الفرقة في الدين يلزم اتباع ما يأتي :

(١) اعتقاد ان الدين هو ما شرع الله ورسوله ، ورفض كل تشريع يخالفهما ، أولاً ينبع

منهما .

(٢) تقديم الكتاب في الاستدلال ثم السنة ، ثم الاجماع ، ثم القياس ، ولا يجوز

العمل بقياس لا يشهد له كتاب ولا سنة ولا إجماع بصحة ولا اعتبار .

(٣) اعتبار المذاهب الأربعة الحنفى والمالكي والشافعي والحنبلى مذاهب حق ، وذلك

لاتفاقها في أصول الدين وشرائعه، وعدم تعمد أصحابها الخروج عن الكتاب والسنة بأي حال من الأحوال. وعدم وجود خروج فيها عن الكتاب والسنة وإن قل .

(٤) اعتبار هذه المذاهب الأربعة مذهباً واحداً موسعاً يستعان بها على فهم الكتاب والسنة والعمل بهما، ولذا على هيئة الإفتاء في البلد الإسلامي أن تنظر فيها مجتمعة ثم تصدر فتواها نابعة عنها مؤثرة في ذلك الدليل من الكتاب والسنة وشواهد الإجماع والقياس الصحيح .

(٥) تأليف كتب فقهية على غرار «بداية المجتهد» و«منهاج المسلم» تعرض للمذاهب الأربعة وتؤيد ما يؤيده الدليل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس وتشر تلك الكتب الفقهية الجامعة الموحدة وتعممها على سائر المسلمين .

(٦) ترويض الأفكار الخاصة والعامة على انتهاج هذا المنهج الذي يجمع أمة الإسلام ولا يفرقها، ويوحدها ولا يخالف بينها، عملاً بقول الله تعالى: ﴿أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه﴾ . وأخذاً بهداية هذه الآية في الاعتصام بالدين وعدم التفرق فيه: ﴿وأعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ .

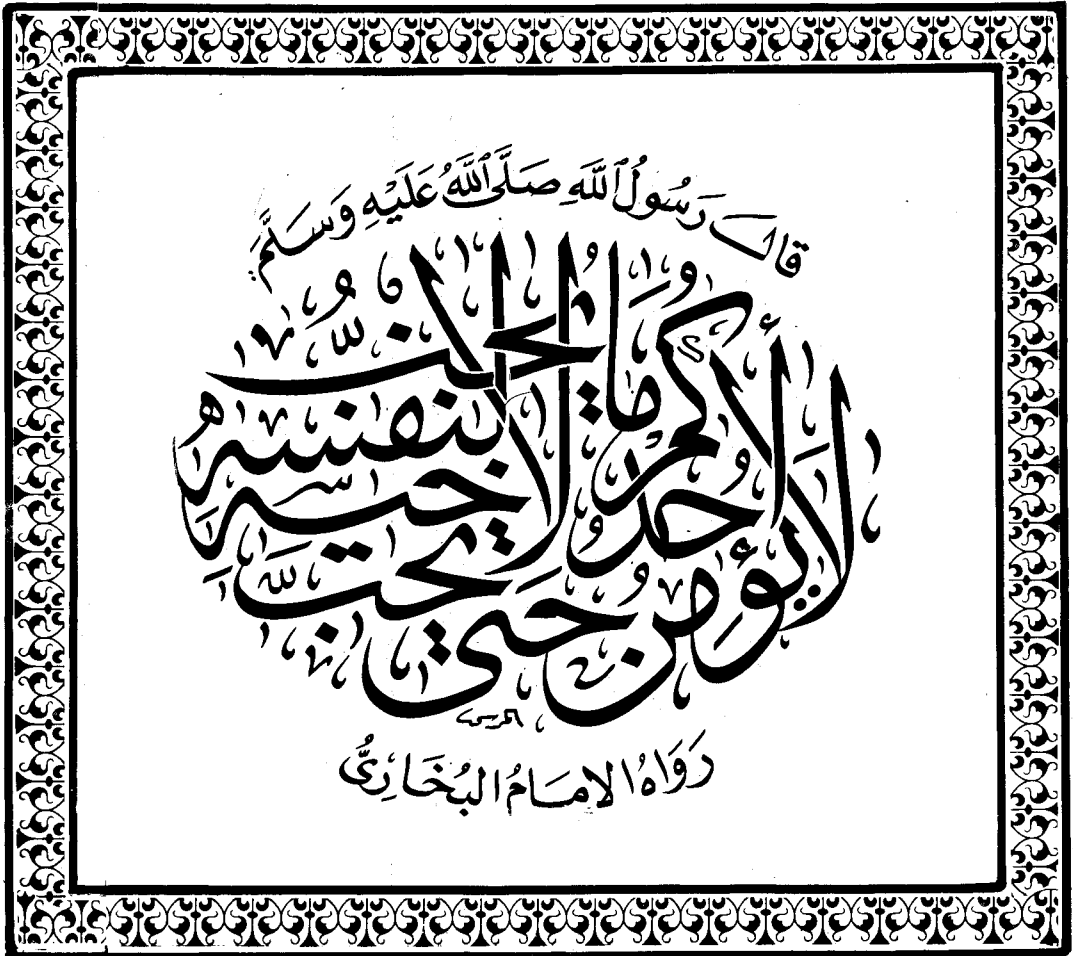
وترويض الأفكار يكون بإلقاء الدروس والمحاضرات في المعاهد والمساجد في كل ديار المسلمين بأن الله تعالى لم يتعبدنا إلا بما شرع لنا في كتابه وعلى لسان رسوله، وأن التعصب لما في مذهب معين ولو خالف الحق لا يجوز أبداً لما يلزم عنه من ردّ الكتاب والسنة وردهما ردة أو شبهها، والعياذ بالله تعالى . وأن العلماء مجتمعون على أن لا معصوم في هذه الأمة إلا رسولها محمد ﷺ .

وبذلك يتقارب أهل الحق من هذه الأمة، وتتم وحدتهم، وتنتهي الفرقة بينهم ويسيرون صفاً واحداً يحيون ميّت الإسلام ويجددون بناء ما انهدم منه بعامل الفرقة والخلاف قروناً طويلة .

وأما الاختلاف في الجماعة فإنه وإن كان أقل خطراً من الاختلاف في الدين فإنه معوق لأمة الإسلام عن النهوض والتقدم، ومعرض لها أيضاً لأوخم العواقب، واسوأ الأحوال، ودليل ذلك أنها ما وقعت في براثن الاستعمار الغربي ردحا من الزمن غير قليل يسومها الخسف ويصب عليها سياط العذاب والإهانة إلا بعد أن تفرقت جماعتها، وقاتل بعضها بعضاً، وإنها - والله - اليوم لعرضة لمحنة قاسية أشد من محنة الاستعمار السابقة وذلك لما تعيش عليه من الفرقة والاختلاف في كل شيء فلذا وجب على المصلحين أن يسارعوا إلى تلافي

الموقف بجمع الأمة المحمدية تحت لواء واحد وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله فلا يعبد في ديارها إلا الله، ولا يتابع إلا رسول الله ﷺ .

وأحسب أن ما تقدم في الأرقام الستة السابقة كاف في بيان الطريق الذي يتم به وحدة المسلمين وجمعهم على منهج الله ليكملوا ويسعدوا عليه دنيا وأخرى . . . والله المستعان، وعليه وحدة التكلان . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . . .



# الْجَمَاعَةُ

## فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

للدكتور محمد الغزويني بحمد الله المحمدي  
عميلة الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .  
وبعد . . . فهذا بحث يتناول موضوعاً يهم المسلمين جميعاً إذ تتوقف على تحقيقه  
سعادتهم في الدنيا والآخرة . كما تتوقف عليه سعادة البشر جميعاً لأن الإسلام دين عالمي وقد  
جاءت الأوامر الالهية فيه بضرورة تكوين الجماعة الإسلامية التي تنتظم المؤمنين بهذا الدين  
من جميع البشر .

تمهيد :

الإسلام دين الجماعة لأن الله جلّ وعلا شرع هذا الدين ليجمع البشر جميعاً على  
منهج واحد للوصول إلى هدف واحد .  
والجماعة من لوازم قيام هذا الدين لأنه لا يمكن تطبيقه تطبيقاً كاملاً إلا بوجود  
الجماعة، ولذلك جاءت بعض تشريعات الإسلام على اعتبار وجود الجماعة المؤمنة سواء في  
مجال العبادات أو المعاملات، كما جاءت التوجيهات الإسلامية في الحث على لزوم الجماعة  
والتحذيرات الشديدة من مفارقة الجماعة .

وسيتبين لنا من هذا العرض الموجز لبعض ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله  
(ﷺ) من الاهتمام بالجماعة كيف أن الله جل وعلا بهذا الدين العظيم كان يريد قيام الجماعة  
الإسلامية القوية المتماسكة التي هي على مستوى البشر جميعاً، وحماها جل وعلا بتشريعات  
محكمة حتى أصبحت من القوة والرسوخ بحيث تندق دون الوصول إلى تفكيكها معاول  
المخربين والمفسدين في الأرض .

وقد كان عنوان البحث المقترح ضمن الخطة التي وضعها منظموا هذا المؤتمر (الوحدة  
الإسلامية في القرآن والسنة) ولكن اللفظ الذي تكرر في الكتاب والسنة كثيراً هو لفظ الجماعة  
ولذلك آثرت أن يكون عنوان هذا البحث (الجماعة في ضوء الكتاب والسنة) .



## الجماعة هي الأصل والفرقة أمر حادث :

كان الناس في أصل وجودهم على هذه الأرض أمة واحدة تنحدر من نسب واحد، وكانوا على الإسلام دين أبيهم آدم - عليه السلام - فاختلّفوا على هذا الدين وتفرّقوا فبعث الله النبيين عليهم السلام لبيّنوا للناس الطريق المستقيم الموصل إلى رضا الله تعالى مبشرين من اتبعه بالسعادة ومنذرين من حاد عنه بالشقاء، قال تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾. (البقرة: ٢١٣).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما : كان بين نوح و آدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلّفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: هي في قراءة عبد الله: «كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا»<sup>(١)</sup>.

فالله سبحانه أراد للبشر أن يكونوا أمة واحدة كلهم على الهدى ولكنهم اختلفوا فتفرّقوا .

ولو تذكر الناس دائماً أن أباهم واحد وأمهم واحدة لكان ذلك دافعاً لهم إلى الاجتماع والتآلف، ولذلك ذكرهم الله تعالى بهذا حيث يقول: ﴿يا أيها الناس إنّنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير﴾. (الحجرات: ١٣).

فالله جل وعلا قسمهم إلى شعوب وقبائل ليعرف بعضهم بعضاً فيتواصلوا لما بينهم من الرحم لا ليفتخروا بأنسابهم ويختلفوا، ولذلك قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

## عوامل تكوين الجماعة الإسلامية :

لقد شرع الله جل وعلا أسباباً لتكوين الجماعة الإسلامية ثم لتقويتها فمن ذلك :

### ١ - الإيمان بالإسلام عن وعى وبصيرة :

إن أول ما يشعر الإنسان بانتائه لجماعة المسلمين هو دخوله في الإسلام عن وعى وفهم وبصيرة، ذلك أن مجرد فهمه للهدف الذي يسعى إلى تحقيقه هو والمسلمون جميعاً وهو عمارة الأرض بطاعة الله تعالى وابتغاء مرضاته يجعله يشعر بالرابطة التي يجتمع المسلمون جميعاً

(١) تفسير ابن كثير : (١/٢٥٩).

عليها لبلوغ هذا الهدف، وشعوره بهذه الرابطة هو أول عنصر من عناصر تكوين الجماعة الإسلامية .

فالمسلم حينما يرسخ الإيمان في قلبه يبحث فوراً عن المؤمنين الذين يشاركونه في السعي لبلوغ هذا الهدف، والذي أمره الله جل وعلا أن يصبر نفسه معهم على عبادة الله وابتغاء مرضاته، ثم هو يبحث دائماً عن تكاليف هذا الدين التي نظمت علاقاته مع إخوانه في الإيمان، التي تهدف في النهاية إلى إيجاد المجتمع المسلم .

## ٢ - الأمر بلزوم الجماعة :

علمنا أن الإيمان بهذا الدين يقتضى ضرورة الانتماء إلى جماعة المسلمين، ومع ذلك جاءت الأوامر الشرعية مؤكدة ضرورة لزوم هذه الجماعة، وذلك :

أولاً : لأن النفوس تغفل كثيراً عن فهم واجباتها، كما أنها تتكاسل أحياناً عن أداء الواجب .

وثانياً : لأن التفلت من الجماعة وعدم الاهتمام بأمور المسلمين له خطره العظيم على حياة هذه الأمة في الدنيا والآخرة .

ولذلك لما أمرنا الله جل وعلا بالالتزام بهذا الدين العظيم الذي هو حبل الله المتين كان أمره بأن نلتزم به جميعاً ونهانا عن التفرق حيث يقول تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ . (آل عمران : ١٠٣) .

قال أبو جعفر بن جرير في تفسير هذه الآية : يعنى بذلك جل ثناؤه : وتعلقوا بأسباب الله جميعاً، يريد بذلك تعالى ذكره : وتمسكوا بدينه الذى أمركم به وعهده إليكم فى كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله، ثم استدل على ذلك بما أخرجه عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - من طريقين أنه قال فى هذه الآية : حبل الله الجماعة .

وفى هذه الآية دليل على أن لزوم جماعة المسلمين من ضرورات هذا الدين، ومما يوضح ضرورة لزوم جماعة المسلمين مع التمسك بأصول الدين ما أخرجه الإمام مالك وأحمد من حديث أبى هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم، ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال، وكثرة السؤال»<sup>(١)</sup> .

(١) مسند أحمد : (٣٧٧/٢)، موطأ مالك، كتاب الكلاء : (ص ٩٩٠)

وهذا صريح في أن المسلمين لن يجوزوا رضا الله جل وعلا عنهم إذا رضوا بالتفرق والانقسام ولم ينصحوا لولاة أمورهم بما ينجيهم واياهم من المسئولية أمام الله تعالى وإن كانوا قد عبدوا الله وحده ولم يشركوا به شيئاً لأن ذلك من تحقيق توحيده .

وقد جاء الأمر صريحاً من رسول الله (ﷺ) بلزوم الجماعة كما جاء في حديث عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال : خطبنا عمر بالجابية . فقال : يا أيها الناس انى قمت فيكم كما قام رسول الله (ﷺ) فقال أوصيكم بأصحابي . . . إلى أن قال : عليكم بالجماعة واياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، من اراد بحبوة الجنة (١) . فليلزم الجماعة ، من سرتة حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن . رواه الإمام أحمد والترمذى وعبد الرزاق الصنعاني (٢) .

ولزوم الجماعة من أسباب التحلى بالأمانة والبراءة من الخيانة كما جاء في قوله (ﷺ) : «ثلاث لا يُغفل عليهن قلب أمرىء مسلم : اخلاص العمل لله ، والنصيحة لكل مسلم ، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعاءهم محيط من ورائهم» . (اخرجه الإمام الدارمى) (٣) .

وقوله : «يغل» بضم الياء وكسر الغين من الاغلال وهو الخيانة ، ويروى بفتح الياء وكسر الغين من الغل وهو الحقد - ذكره ابن الاثير فى النهاية - ولعل قوله : من الاغلال بمعنى الخيانة اقرب إلى معنى الحديث لأن المعنى أن هذه الخصال الثلاث لا يتصور أن تقع الخيانة فيهن من مؤمن صادق فى إيمانه إذ أن الخيانة فى خصلة من هذه الخصال تتنافى مع الإيمان .

وقد شدد رسول الله (ﷺ) النكير على من فارق الجماعة فاعتبره مخالفاً لهدى الإسلام وطريقه القويم ، فقد اخرج الإمام أحمد من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى (ﷺ) قال : الصلاة إلى الصلاة التى قبلها كفارة والجمعة إلى الجمعة التى قبلها كفارة والشهر إلى الشهر الذى قبله كفارة إلا من ثلاث قال : فعرفنا أنه من أمر حدث : إلا من الشرك بالله ونكث الصفقة وترك السنة قال : قلنا يا رسول الله هذا الشرك بالله قد عرفناه فما نكث الصفقة وترك السنة؟ قال : أما نكث الصفقة فان تعطى رجلاً بيعتك ثم تقاتله بسيفك ، وأما ترك السنة فالخروج من الجماعة (٤) .

(١) بحبوة الجنة يعنى وسطها ، يقال تبحيح إذا تمكن وتوسط المنزل - النهاية .

(٢) مسند أحمد : (٢٦/١) . سنن الترمذى : كتاب الفتن باب رقم (٧) ، المصنف رقم : (٢٠٧١٠) .

(٣) سنن الدارمى : (ص ٧٦) .

(٤) مسند الإمام أحمد : ( / ٥٠٦ ) .

### ٣ - الالتزام بالاخوة الإيمانية :

أمر الله جل وعلا المسلمين جميعاً بالتآخي وشرع التعامل بينهم على أساس الاخوة في الله فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ ﴾ . (الحجرات : ١٠) ، فجعل الله تعالى الأمر بالاصلاح بين المؤمنين مرتباً على ما بينهم من الأخوة في الله ، ذلك لأن شعور المسلم بانه يتعامل مع أخيه يزيل ما في نفسه من الاخلاق السيئة كالحسد والاثرة وسوء الظن ، كما أن شعوره بأنه أخوه يمنعه من الاعتداء عليه ويوجب عليه نصرته ، وفي هذا المعنى يقول رسول الله (ﷺ) : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرؤ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » . اخرجه الإمام مسلم (١) .

وإذا وجدت الأخوة الإسلامية فإن المسلمين سيجمعون على هدف واحد ومنهج واحد وهذه هي الجماعة التي أمر الله جل وعلا بلزومها .

ومن ابرز ما يقوى الأخوة الإسلامية التعارف بين المسلمين وقد جعل الله سبحانه التعارف حكمة لتقسيم الناس إلى شعوب وقبائل ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ . (الحجرات : ١٣) . يعني ليتم التعارف بينكم فترتب عليه الصلة والمحبة لا التفاخر بالنسب والتباغض .

وقد شرع الله جل وعلا للمسلمين ما يقرب بعضهم من بعض ويكون وسيلة للتعارف بينهم فمن ذلك :

#### (أ) تبادل التحية :

فقد أمرنا رسول الله (ﷺ) بإفشاء السلام واعتبره دافعاً إلى المحبة التي هي شرط الإيمان حيث يقول : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا ادلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ . افشوا السلام بينكم » . اخرجه الإمام مسلم (٢) .

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر رقم : (٣٢) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث رقم : (٩٣) .

والسلام ليس على من نعرف فقط بل هو أول السبل إلى التعارف ولذلك لما سئل رسول الله (ﷺ) أى الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف». أخرجه الإمام البخارى ومسلم<sup>(١)</sup>.

فالسلم على من نعرف لتوثيق المحبة والأخوة، والسلم على من لا نعرف لايجاد التعارف الذى هو مدخل الاخوة الإسلامية .

ومن أجل ان تتوثق الصلة بين المؤمنين وتتقوى روابط الجماعة بينهم أمرنا الله عزوجل برد التحية بأحسن منها فقال تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾. (النساء: ٨٦)، لأن الذى بدأ بالتحية قد تقدم بالفضل فينبغى لمن يرد عليه أن يبادلـه الفضل بالمبالغة فى التحية .

### (ب) التزاور بين المؤمنين :

لقد ارشدنا رسول الله (ﷺ) إلى تبادل الزيارات لأن ذلك يقوى الصلة، ويثبت الأخوة فقد بين (ﷺ) الجزء الأعظم للمتزاورين فى الله حيث يقول: «إذا عاد الرجل أخاه أو زاره قال الله له: طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلاً فى الجنة». أخرجه الإمام البخارى فى الأدب المفرد<sup>(٢)</sup>.

وكما فى قوله (ﷺ): «قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فى والمتجالسين فى والمتزاورين فى والمتبازلين فى». أخرجه الإمام مالك فى الموطأ<sup>(٣)</sup>.

ففى هذه الأحاديث وغيرها حث المسلمين على مبادلة الزيارات بينهم حتى تتقوى الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع الإسلامى .

وربما يكون الإخوان المتحابون فى الله متفرقين فى البلاد فيصيبهم الكسل وتقعدهم بهم العوائق الدنيوية عن السفر من أجل زيارة إخوانهم فقد جاءت التوجيهات النبوية تبشرهم بما أعدده الله لمن تحمل مشقة السفر لا لغرض من اغراض الدنيا بل لزيارة أخ له فى الإسلام حيث أخرج الإمام مسلم من حديث أبى هريرة -رضى الله عنه- عن النبى (ﷺ): «أن

(١) صحيح البخارى، كتاب الإيمان حديث رقم: (٢٨) .

صحيح مسلم، كتاب الإيمان حديث رقم (٦٣) .

(٢) الأدب المفرد ص (٩٦) رقم: (٣٥١٠) .

(٣) الموطأ، كتاب الشعر رقم: (١٦) .

رجلا زار أحواله في قرية أخرى فأرصد الله على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال : أين تريد؟ . قال : أريد أحوالي في هذه القرية، قال : هل لك عليه من نعمة تريها؟ . قال : لا غير أنى أحبته في الله عز وجل ، قال : فانى رسول الله إليك : بأن الله قد أحبك كما أحبته فيه»<sup>(١)</sup> .

وفي هذا رفع اللهم المريضة المتعاسة عن المزيد من توثيق عرى الروابط الاجتماعية بين المتعارفين بتوثيق المحبة المتبادلة التى يثبتها ويرسخها فى النفوس كثرة الزيارات فإنها من العوامل المهمة لبناء صرح الاخوة الإسلامية وحمائتها من التصدع والانهيار .

#### ٤ - عمارة المساجد بطاعة الله تعالى :

فالمسجد هو مركز اجتماع أهل الحى بواسطته يتعارفون ، وبتجدد اللقاء يتآلفون ، وهو وسيلة من وسائل جمع شمل الأمة وتوثق رابطة الأخوة الإسلامية ثم هو بالتالى من دعائم تكوين الجماعة الإسلامية التى هى ضرورة من ضرورات هذا الدين .

وبواسطة المسجد يعرف المسلمون أحوال جيرانهم ، فيتعرفون على أخبارهم ، فمن مرض منهم عادوه وقدموا له ما يحتاج من المساعدة، ومن غاب منهم تفقدوا أحوال أسرته وقاموا بما كان يقوم به إذا حضر، ومن عليه دين فاعسر أو نزلت به نائبة واسوه باموالهم حتى يزول عنه عسره .

وبهذا يصبح الجيران فى الحى الواحد كأنهم أسرة واحدة وبغير المسجد لا يستطيع الجيران أن يتعارفوا ولا أن يتآلفوا وبالتالي تسود فى المجتمع الانانية والفردية فلا يجد الفقير والمريض من يمد إليه يد المساعدة ولا يأمن الإنسان على أهله إذا غاب عنهم لأنه ليس بينه وبين جيرانه ألفة ومودة .

وعلى هذا النحو تسير المجتمعات البعيدة عن الإسلام لأنها لا تملك المبادئ السامية التى توجد الاخاء والتكامل الاجتماعى .

وقد يضم الحى الواحد طبقات متفاوتة فى الغنى والجاه . . . وبالتالي تتفاوت درجاتها فى مظاهر الحياة من مسكن ومركب وملبس ، وهذه المظاهر تزيد من الفجوة بين الطبقات لأن من يسكن فى القصور الشاهقة ويركب فى المراكب الفخمة قد يتكبر على من بجواره من اصحاب المساكن المتواضعة والمعيشة البسيطة ، وهؤلاء فى نفس الوقت لا يحاولون التعرف

(١) صحيح مسلم : كتاب البر رقم : (٣٨) .

على الكبراء لأنهم يرون أنهم طبقة أعلى منهم وبالتالي تنفصم الروابط الاجتماعية وتحصل الفجوة بين أفراد هذه الطبقات حيث تضعف الأخوة الإسلامية وتتضاءل دوافع التكامل الاجتماعى وبالتالي يختل الأمن فى المجتمع وتكثر حوادث الاعتداء وتبقى بعض طبقات المجتمع فى حالة شديدة من البؤس والشقاء .

ولكن بوجود المسجد تزول هذه الفوارق لأن الجميع يصفون صفاً واحداً خلف إمام واحد وليس لاحد أفضلية على أحد، وفى صلاة الجماعة فى المسجد فرصة كبيرة للكبراء كى يتذكروا بأنه ليس باستطاعتهم فى كل وقت أن يتعالوا على الضعفاء، وبالتالي يتضاءل ما فى نفوسهم من التكبر عن الاجتماع مع من هم دونهم منزلة فى الحياة الدنيا، كما أن فى ذلك فرصة للفقراء كى يسموا بأنفسهم ويعلموا بأن الفقر لا يحول بينهم وبين الوقوف جنباً إلى جنب مع الأغنياء .

ولذلك كانت صلاة الجماعة فى المسجد تفضل صلاة الرجل بسبع وعشرين درجة كما أخرج الإمام البخارى من حديث ابن عمر -رضى الله عنهما- أن رسول الله (ﷺ) قال: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة». وفى رواية أخرى للبخارى: «صلاة الرجل فى الجماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمساً وعشرين ضعفاً»، وفى هذه الرواية دليل على أن صلاة الجماعة لا يعتبر لها هذا الثواب إلا إذا كانت فى المسجد<sup>(١)</sup>.

ومسجد الحى هو بداية التعارف والتآلف لأن مداومة اللقاء فى جو المسجد الروحى والصلاة جماعة فيه من أقوى الروابط التى تربط بين جماعة المسلمين اضافة إلى ما يقوم به إمام المسجد من تذكير الجماعة بواجبهم فى التآلف والتآخى وإصلاح ذات البين .

وهذا التعارف والتآخى مرحلة لتعارف أكبر وتآلف اشمل حيث يجتمع المسلمون فى القرية الواحدة أو أهل جزء من المدينة يوم الجمعة فى مسجد واحد، ومهمة خطيب الجمعة فى هذا المجال أن يكمل ما بدأه المسلمون من التآخى فى أحياء مختلفة ومساجد متعددة وذلك بالتركيز على معانى الأخوة الإيمانية ولزوم الجماعة الإسلامية . . . حتى يخرج المسلمون من المسجد وهم يشعرون بأن لهم أخوة فى الله كثير ون يكفى أنهم يرون منهم يوم الجمعة هذا الحشد الكبير .

(١) صحيح البخارى : كتاب الصلاة حديث رقم : (٦٤٥-٦٤٧)

إن المسلم يوم الجمعة ليس بإمكانه أن يتعرف على من في المسجد من الأمة ولكن يكفى شعوره بأن جميع من صلوا معه أخوة له في الإيمان وان يشعر بأن هؤلاء ليسوا إلا نموذجاً واحداً لمجموعات كبيرة من اخوته في الله في سائر بقاع المعمورة .

إن موضوع التذكير بواجبات الأخوة الإسلامية والتركيز على لزوم الجماعة من أهم الموضوعات التي يجب على خطيب الجمعة أن يهتم بها لأنها تجسم الحكمة التي من أجلها شرعت صلاة الجمعة والجماعة .

ونظراً لما لصلاة الجمعة من الأهمية البالغة في الإسلام فقد جاء التخليط الشديد في وعيد تاركها كما أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة وابن عمر - رضى الله عنهما - أنها سمعاً رسول الله (ﷺ) يقول على أعواد منبره: «ليتتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين» .

وهل أعظم غفلة ممن حرم نفسه من استماع الموعظة الأسبوعية الوحيدة التي فرض عليه سماعها واداء الصلاة جماعة مع العدد الكبير من إخوانه المسلمين .

ثم تتجلى رابطة الجماعة الإسلامية بشكل آخر حيث يخرج المسلمون في صلاة العيد مرتين في العام خارج البلد .

ثم هناك الاجتماع السنوي الكبير حينما يفد الحجاج إلى بيت الله الحرام فإن فيه مجالاً كبيراً لتعارف المسلمين وتآلفهم وكم من تعارف وإخاء كان مبدؤه اللقاء في الحج ثم ينمو ويبقى بعد ذلك بالاتصال المتكرر .

وليت المسلمين الذين يحجون هذا البيت الحرام يدركون هذا المعنى السامى فيخططون للاستفادة الكاملة من الحج في هذا المجال فإنه من حكم الحج وأسراره .

وهذه الاجتماعات المتكررة التي أمر الله بها جل وعلا عن طريق العبادات التي شرعت لتزكية النفوس وجمع شمل المسلمين تتكون الجماعة الإسلامية على مستوى الحى فالقرية فالأمة من جميع اقطار الإسلام ، وبملازمة هذه العبادات والادراك السليم لحكمة تشريعها تنمو جامعة الإسلام وتقوى ثم تؤتى ثمارها المطلوبة في حماية الإسلام والمسلمين ونشر الإسلام في ربوع هذه الأرض .



## أثر الجماعة في قوة الأمة

حينما تكون الأمة مجتمعة على هدف واحد وتسير صفاً واحداً فإن دولتها تكون قوية مهيبة الجانب ولا يطمع الأعداء في اقتطاع جزء منها، وحينما تتفرق إلى دويلات وتتعدد أهدافها يسهل على الأعداء أضعاف قوتها والاستيلاء على ما يريدون منها، هذا على مستوى الأمة، وكذلك على مستوى الأفراد، فالجماعة وإن كان فيهم بعض الضعفاء لهم من القوة والهيبة ما ليس للأفراد وإن كانوا اقوياء، وفي هذا المعنى يقول رسول الله (ﷺ): «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً - وشبك بين أصابعه - أخرج الشيخان<sup>(١)</sup> فالبناء مكون من مجموعة من المواد المتناثرة التي يسهل على اللصوص اختطاف شيء منها ولكن حينما تجتمع هذه المواد وتدخلها يد الفن والتعمير تصبح قصراً شاهقاً يصعب اقتطاع جزء منه ويصبح له كيان يدهش الناظر ويعجب المتأمل .

وحينما كانت الأمة الإسلامية دولة واحدة لم يكن الأعداء يقدمون على الاستيلاء على أراضيها بالرغم من ضعف دولة الإسلام آنذاك وحينما استطاع الأعداء أن يقضوا على الخلافة الإسلامية هان عليهم الاستيلاء على أجزاء كثيرة من بلاد الإسلام .

ولقد وقف الأعداء حائرين زمناً طويلاً أمام وحدة هذه الأمة فلم يستطيعوا أن يقتطعوا منها شيئاً لأن هيبة الدولة الإسلامية واجتماع الكلمة كانت تقف سداً منيعاً أمام كل محاولاتهم بالرغم مما كان يعترى وحدة الأمة الإسلامية من التصدع والضعف، ولكن اجتماع الكلمة مهما كانت نسبته من القوة والتماسك خير من الفرقة والخلاف .

## أثر لزوم الجماعة في النصر على الأعداء

إن الجماعة المؤمنة حينما تكون صفاً متماسكاً وتواجه أعدائها وهي كتلة واحدة جديرة أن تظفر بنصر الله جل وعلا وأن تحول بين أعدائها ومحاوله تفتيت شملها واضعاف قوتها . ذلك أنه مهما قل عددها وقلت عدتها فانها قوية بتماسكها واجتماع كلمتها أمام أعدائها الذين مهما بلغ عددهم وقويت عدتهم فانهم ضعفاء بتفرق كلمتهم واختلاف مقاصدهم، إذ أنه لا يمكن لجماعة على وجه الأرض ان يتآلف أمرها وتجتمع كلمتها بالمستوى الذي تكون عليه الجماعة الإسلامية ولا بمستوى يقرب منه، ذلك أن الذي ألف بين الجماعة

(١) صحيح البخارى : كتاب الصلاة رقم : (٤٨١)، صحيح مسلم : كتاب البر رقم : (٦٥) .

الإسلامية هو الله جل وعلا والذي يؤلف بين الجماعات الأخرى هم البشر أنفسهم ، ولا يمكن بحال أن يوضع تشريع الله جل وعلا في المقارنة مع تشريع البشر، بل إن مجرد التفكير في ذلك يعتبر انحطاطاً في التفكير وانقلاباً في المفاهيم حتى رسول الله (ﷺ) الذي هو أفضل البشر وأقدرهم على جمع الكلمة ما كان باستطاعته لولا وحى الله الذي يتنزل عليه أن يؤلف بين قلوب البشر: ﴿وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ . (الأنفال : ٦٣) .

أضف إلى ذلك أن الهدف الذي من أجله جمع الله المؤمنين وشرع لهم الجهاد وهو ابتغاء رضا الله جل وعلا والسعادة في الدار الآخرة يدفع المؤمنين إلى التضحية بالأموال والأنفس لأن هذه التضحية هي الطريق الصحيح لبلوغ هذا الهدف، وكلما بالغ المؤمن في بذل ماله ونفسه في سبيل الله كان أسرع إلى بلوغ هذا الهدف السامى .

أما الجماعات الأخرى فان مقاصدها قريبة وأهدافها مقصورة على الحياة الدنيا والسبيل الأمثل للوصول إلى هذه الأهداف هو استبقاء الحياة لا طول فترة ممكنة حتى يتمتع الإنسان بثمرات انتصاره وبالتالي يقع الفشل والتراجع أمام اقدام الجماعة الإسلامية على بذل الأموال والأنفس في سبيل الله .

وبينما نجد الجماعات الدنيوية تتنافس على الوصول إلى هذه الأهداف التي تفرض عليها الاحجام والتردد وتفرق الكلمة فإننا نجد أن الجماعة الإسلامية تتنافس في الوصول إلى هدف يفرض عليها الاقدام والتضحية واجتماع الكلمة .

ومن هنا نعلم أن أعداء المؤمنين مهما كثروا وقويت عدتهم فهم ضعفاء لدناءة مقاصدهم وتفرق كلمتهم . وان أظهروا الاجتماع على حرب المسلمين: ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ . (الحشر: ١٤) . والمسلمون مهما قلوا وضعف استعدادهم فهم أقوى باتحاد هدفهم وسمو مقصدهم واجتماع كلمتهم ماداموا مؤمنين حقا بالإسلام .

وفي هذه الآية الكريمة أقوى رادع للمؤمنين عن التفرق واختلاف الكلمة لأنهم حينما يتفرقون لا يظفرون بحب الله جل وعلا والمحروم من الخير من حرم من محبة الله سبحانه وتعالى .

ولقد أثبت الله جل وعلا محبته للمؤمنين الذين يقاتلون أعداءهم صفا متماسكا: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ . (الصف : ٤) .

وحينما يتفرقون تكثر الفجوات التي ينفذ منها الأعداء إلى جسم الأمة الإسلامية فيسهل عليهم القضاء عليها خصوصاً إذا بلغ المسلمون من ضعف الإيمان إلى الحد الذي يخل فيه بعضهم بعضاً ويتيحون الفرصة للأعداء كي يقضوا عليهم .

## عوامل تفريق الجماعة

وبعد أن عرفنا عوامل تقوية الجماعة الإسلامية فإن هناك أسباباً تضعف الجماعة أو تفرق شملها فمن هذه الأسباب :

### ١ - الدعوة إلى العصية :

علمنا مما مضى أن سر اجتماع المسلمين جميعاً في جماعة واحدة على مختلف أجناسهم ولغاتهم والوانهم هو كونهم جميعاً ينشدون الوصول إلى هدف واحد هو طلب رضوان الله عز وجل ، ومعلوم أن الوصول إلى تحقيق هذا الهدف يفرض عليهم الاجتماع والتآخي والتآلف ، فإذا ما أوجدوا لأنفسهم مقاصد مخالفة وأهدافاً متضاربة فإنهم تبعاً لذلك يختلفون ويتناحرون وتنحل جماعتهم وبالتالي تضعف قوتهم وتذهب ريحهم .

ولقد أدرك أعداء الإسلام فعالية هذا السلاح المدمر فحاولوا اشعال نار الفتنة بين المسلمين منذ بزوغ شمس هذا الدين وقيام الجماعة الإسلامية ، وأول من حاول تفريق جماعة المسلمين هم اليهود وذلك عند تكوين أول جماعة إسلامية في المدينة المنورة حيث كانوا يذكروهم بحروبهم الجاهلية وعصبيتهم الممقوتة فمن ذلك ما حدث من أحد كبار اليهود حيث أمر شاباً منهم أن يعمد إلى مجلس الأنصار فيذكرهم بيوم بعث آخر أيام حروبهم في الجاهلية وأن ينشدهم ما قيل فيه من الأشعار، فثارت بينهم حمية الجاهلية وتواعدوا للقتال في الحرة خارج المدينة ولما خرجوا للقتال علم رسول الله (ﷺ) فخرج إليهم مع بعض الصحابة فأدركهم قبل أن يقتتلوا فقال : «يا معشر المسلمين ، الله الله ابدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم من الكفر وألف بين قلوبكم» . فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله (ﷺ) سامعين مطيعين . وقد ذكر ابن إسحاق هذه الرواية مطولة (١) .

(١) سيرة ابن هشام : (٣٩٦/٢) ، تفسير الطبري : (٥٦/٧) .

وهكذا أدركهم النبي (ﷺ) قبل أن يتفرقوا وكان لهم من إيمانهم القوى ما غطى علي نزعة الجاهلية، ولكن المسلمين بعد عصر الصحابة - رضى الله عنهم - قد استجابوا اما قليلا وإما كثيراً لنداء العصبية الجاهلية فقامت بينهم بسبب ذلك الحروب الطاحنة التي اضعفتهم على مدى العصور وكان آخر ذلك الدعوة للقوميات التي شتت شمل الأمة حتى استطاع الأعداء بسبب ذلك أن يقضوا على الخلافة الإسلامية وأن يقسموا بلاد الإسلام إلى دويلات صغيرة .

## ٢ - انتشار الأخلاق السيئة في المعاملات :

وذلك فيما يتعلق بأفراد المجتمع في تعاملهم فيما بينهم ، فمن الأخلاق السيئة التي تدمر جماعة الأمة الكذب والغيبة والنميمة وسوء الظن ، فالكذب خلق ذميم يدل انتشاره في المجتمع على انحطاطه وانهايار تحصيناته الواقية من الرذائل .

فالتحرز من الكذب يقى المجتمع من الأخبار المختلفة التي يقصد من وراء اختلاقها وترويجها افساد الأمة واطعاف معنويتها وقد تؤدى إلى التناحر والشقاق بين الأمة الواحدة .

والتحرز من الكذب ينتج معاملات سليمة لا غش فيها ولا خداع ولا تزوير ، والتعامل النزيه كما أنه يقى المجتمع من التفكك الذى يحدثه التباغض والاثرة فإنه يعطى الأمة سمعة جيدة تجعل الأمم الأخرى تحترمها وتحاول تقليدها .

ولهذا فإن النبي (ﷺ) نفى الإيمان عن الكذابين كما أخرج الإمام مالك عن صفوان ابن مسلم قال : قيل لرسول الله (ﷺ) : أياكون المؤمن جباناً؟ فقال : نعم ، فقيل له : أياكون المؤمن بخيلاً؟ فقال : نعم ، فقيل له : أياكون المؤمن كذاباً؟ فقال : لا (١) .

والإسلام كما حرم الكذب فقد حرم عيب المؤمنين في حال غيبتهم وإن لم يشتمل ذلك على الكذب لأن كلام المغتاب حينما يبلغ من وقع عليه يؤثر على ما بينهما من رابطة الأخوة فيبدأ التفكك من داخل المجتمع ، وأشد من ذلك ضرراً وأبلغ أثراً في تقطيع أوصال الأمة نقل كلام المسلمين في إخوانهم على وجه الافساد بينهم .

ولذلك كثرت في الكتاب والسنة التحذيرات المنفرة من الغيبة والنميمة قال تعالى : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً يجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾ . فاعتبر جل

(١) الموطأ : كتاب الكلام رقم : (١٩) .

وعلا الغيبة قتلاً للأمة فالذى ينتهك أعراض المسلمين إنما يقطع جسم الأمة ، فليتصور أمتة وهى أشلاء ممزقة فإنه فى تمزيقها سهم وافر .

كما جعل الله جل وعلا الغيبة والنميمة من أخلاق أعتى الكفار وأعنفهم حيث قال تعالى : ﴿ هَٰمَزٌ مَّشَاءٌ بِنَمِيمٍ ﴾ .

أما سوء الظن فهو الشرارة الأولى فى إحراق جبل الأخوة الإسلامية لأن الإنسان قد يسمع من أخيه كلاماً فيه احتمال الخير والشر فإذا خلا الإنسان إلى تفكيره بعد ذلك وسوس إليه الشيطان فقلل فى فكره جانب الخير وضخم جانب الشر حتى يوقع بين المؤمنين ثم قد يبنى على سوء الظن هذا تصرفات أخرى حيث ينظر إليها من زاوية الشر فتقع بعد ذلك القطيعة بين أفراد المجتمع ، والمجتمع مكون من الأفراد فإذا كثر التقاطع بينهم أثر ذلك على تماسك الجماعة وقوتها ، ولذلك حذرنا الله جل وعلا من سوء الظن فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ . (الحجرات : ١٢) . وقال رسول الله (ﷺ) : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » . أخرجه الإمام مسلم<sup>(١)</sup> .

### مظاهر الانتماء للجماعة :

إن الانتماء إلى جماعة الإسلام له مظاهر تبين صدق هذا الانتماء ومقدار قوته من ضعفه ومدى فعاليته فى المجتمع فمن ذاك :

١ - طاعة الإمام المسلم فى الحدود التى أوجبها الله تعالى وذلك لأن المجتمع لا ينتظم أبداً بغير طاعة ولى الأمر ومن يوليهم نوابا عنه .

٢ - الالتزام بأنظمة المجتمع التى تنبثق من الإسلام أو التى يرى علماء الدين أنها توافق الإسلام ولا تتنافى مع تشريعاته الحكيمة ، إذ أن التمرد على هذه الأنظمة أو استغلال غفلة الرقباء على تنفيذها يحدث خللاً فى المجتمع فيضعف الشعور بالمسئولية ويسود الرعاع من الناس الذين لا يحاولون فهم هذه الأنظمة ولا يراعون حرمتها ، وبذلك تسود الفوضى ويعم الفساد فى الأرض .

(١) صحيح مسلم : كتاب البر رقم : (٢٨) .

٣ - الاهتمام بأمور المسلمين فلا يكون المسلم ملتزماً بالجماعة حتى يهتم بأحوال  
اخوانه المسلمين في جميع بقاع الأرض ويشعر بمشاعرهم فيفرح لفرحتهم ويغتم إذا حل بهم  
مكروه ويشاركهم في مصائبهم فيبذل لهم من نفسه وماله ويكثر من الدعاء الخالص لهم حتى  
يزول كربهم وتصلح أحوالهم .

فالذين يعيشون حياتهم وليس لهم صلة باخوانهم المسلمين في بقاع الأرض فلا  
يسألون عن أخبارهم ولا يهتمون بها إذا سمعوا عنها ولا يفرحون لانتصار المسلمين ولا  
يغتمون لهزيمتهم ولا يحاولون المشاركة في نجاتهم بما استطاعوا . . . هؤلاء مقصرون في  
لزوم جماعة المسلمين وأن كانوا ملتزمين بالإسلام في بعض تشريعاته .

وبعد :

فهذه لمحات موجزة أردت فيها أن أسلط الأضواء على هذا الموضوع الهام من باب  
التذكير بالواجب علينا جميعاً من أجل أن نخرج من هذا الاجتماع وقد علمنا تكليفاً كلفنا به  
الله تعالى ورسوله (ﷺ) نحولزوم جماعة المسلمين ولم أرد أن يكون بحثاً علمياً وإفياً نحو هذا  
الموضوع فليس هذا المجال مما يسمح بمثل هذا البحث والله وحده المستعان فهو جل وعلا  
حسبنا ونعم الوكيل . . .

# صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ

- ٢ - للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي  
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

الرخصة في إعادة الجماعة لمن صلاها منفردا :

١ - حديث أبي ذر الغفاري :

قال : قال لي رسول الله ﷺ : «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يميئون الصلاة، أو قال : يؤخرون الصلاة عن وقتها. قلت : ما تأمرني؟ قال : صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة» (١).

وفي رواية مسلم : عن أبي العالية البراء قال : أخرجني الصلاة، فأتاني عبد الله بن الصامت، فألقيت له كرسيًا فجلس عليه، فذكرت له صنع زياد فعرض علي شفتيه، وضرب علي فخذي، وقال : إني سألت أبا ذر كما سألتني ففخذي كما ضربت فخذك، وقال : إني سألت رسول الله ﷺ كما سألتني ففخذي كما ضربت فخذك. فقال رسول الله ﷺ : «صل الصلاة لوقتها فإن أدركت معهم فصل، ولا تقل إني قد صليت فلا أصلي» .

قال النووي : وفيه دليل على أن الإمام إذا أخرج الصلاة عن أول وقتها، يستحب للمأموم أن يصلها في أول الوقت منفرداً، ثم يصلها مع الإمام. فيجمع فضيلتي أول الوقت والجماعة .

٢ - حديث ميمون الأودي :

قال : قدم علينا معاذ بن جبل اليمن رسول رسول الله ﷺ إلينا، قال : فسمعت تكبيره مع الفجر، رجل أجش الصوت قال : فألقيت عليه محبتي فما فارقت حتى دفتته بالشام ميتاً. ثم نظرت إلى أفضه الناس بعده، فأتيت ابن مسعود فلزمته حتى مات. قال : قال لي رسول الله ﷺ : كيف بكم إذا أتت عليكم أمراء يصلون الصلاة لغير ميقاتها؟ قلت : فما

(١) رواه مسلم : (١٤٧/٥) مع النووي) وأبو داود (٢٤٨/١) مع المنذري) والترمذي (٥٢٤/١) مع التحفة) والنسائي (٧٥/٢) وابن ماجه (٣٩٨/١) كلهم عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر - رضي الله عنه .

تأمرني ان أدركني ذلك يارسول الله؟ قال: صل الصلاة لميقاتها، واجعل صلاتك معهم سبحة<sup>(١)</sup>. . . سبحة: أى نافلة. أجش الصوت: أى غليظ الصوت بغنة .

وقد روى مثل هذا الأسود، وعلقمة، عن ابن مسعود في سياق أطول من هذا وهو الآتى .

وعمر بن ميمون الأودى أبو عبد الله، ويقال أبو يحيى، مخضرم مشهور وثقه ابن معين، والنسائي .

وهذا الحديث لم أجد من أخرجه غير أبى داود .

### ٣ - حديث ابن مسعود :

قال : قال لى رسول الله ﷺ : «لعلكم ستدركون اقواما يصلون الصلاة لغير وقتها، فان أدركتموه فصلوا الصلاة لوقتها وصلوا معهم ، واجعلوها سبحة» .

رواه النسائي وابن ماجه<sup>(٢)</sup> من حديث أبى بكر بن عياش عن عاصم ، عن زر، عن ابن مسعود . ورواه مسلم<sup>(٣)</sup> من حديث إبراهيم عن الأسود، وعلقمة قالاً : أتينا عبد الله بن مسعود في داره في سياق أطول من الحديث المذكور أعلاه .

وأما قول المنذرى : أخرج البخارى ومسلم والترمذى من حديث أبى عمرو، سعد ابن اياس الشيبانى عن ابن مسعود فهو في سياق آخر .

### ٤ - حديث محجن :

قال : أنه كان في مجلس مع النبى ﷺ فأذن بالصلاة، فقام رسول الله ﷺ فصلى ورجع ، ومحجن في مجلسه، فقال له رسول الله ﷺ : «ما منعك أن تصلى مع الناس ، ألسنت برجل مسلم؟» . قال : بلى يارسول الله ، ولكنى قد صليت في أهلى ، فقال له رسول الله ﷺ : «إذا جئت المسجد وكنت قد صليت ، فأقيمت الصلاة ، فصل مع الناس وان كنت قد صليت» .

(١) رواه أبو داود : (٢٤٨/١) قال المنذرى : حسن .

(٢) النسائي : (٧٥/٢) وابن ماجه : (٣٩٨/١) .

(٣) مسلم : (١٦-١٥/٥) .



رواه مالك في الموطأ، والنسائي، وأحمد في مسنده، والحاكم في المستدرک، (١) بطرق عن زيد بن أسلم، عن بسر بن محجن، عن أبيه .  
قوله : بسر : بضم الموحدة، وسكون المهملة، كذا قال مالك في روايته عن زيد بن أسلم . وقال الثوري عن زيد بن أسلم عن بشر- بكسر الموحدة، وبالشين المعجمة . والصواب ما قاله مالك . نص على ذلك أبو نعيم، وابن عبد البر، وابن حبان، وغيرهم . وهكذا رواه أحمد في مسنده عنه أيضا .

وبسر هذا تابعي مشهور، جزم بذلك البخاري والجمهور، وذكره البغوي وغيره في الصحابة . وأخرجوا من طريق ابن إسحاق، عن عمران بن أبي أنس، عن حنظلة بن علي، عن بسر بن محجن، قال : صليت الظهر في منزلي ثم خرجت بإبل لي لأضربها فمررت برسول الله ﷺ وهو يصلي في مسجده . . . الخ . ذكره الحافظ في الإصابة (٢) ، في القسم الرابع وهو خاص بمن ذكر في الصحابة على سبيل الوهم والغلط . ولذا عقب بعد ذكر الاسناد بقوله : وقد سقط من الاسناد قوله عن أبيه .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح . وقال الذهبي : تفرد عن محجن ابنه . ولكن عرفت ان ابن محجن وهو بسر من التابعين الثقات . فلا يضر تفرده .

#### ٥ - حديث يزيد بن الأسود :

قال : شهدت مع رسول الله ﷺ حجته، فصليت معه صلاة الصبح في مسجد الخيف، فلما قضى صلاته انحرف، فإذا هو برجلين في آخر القوم لم يصليا معه، فجيء بهما ترعد فرائضهما، فقال : ما منعكما ان تصليا معنا؟ . فقالا : يارسول الله انا كنا قد صلينا في رحالنا . قال : فلا تفعلنا، إذا صليتما في رحالكما، ثم أتيتما مسجد الجماعة فصليا معهم فإيتا لكما نافلة .

رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وأبوداود الطيالسي، وأحمد، وابن أبي شيبة، والحاكم (٣) بطرق عن يعلى بن عطاء عن جابر بن يزيد بن الاسود عن أبيه . قال الترمذي حسن صحيح .

(١) مالك : (٤٠٥/١) مع الزرقاني) والنسائي (١١٢/٢) وأحمد (٣٤/٤) والحاكم (٢٤٤/١) .

(٢) الإصابة : (١٨١/١) .

(٣) أبو داود (٢٩٩/١) والترمذي (٣/٢) والنسائي (١١٢/٢) وأبوداود الطيالسي (١٢٤٧) وأحمد (١٦٠/٤) وابن أبي شيبة

(٢٧٤/٢) والحاكم (٢٤٤/١) .

ونسب الحافظ في التلخيص<sup>(١)</sup>، لابن حبان والدارقطني أيضا، ونقل تصحيحه عن ابن السكن ثم قال: قال الشافعي في القديم: إسناده مجهول. قال البيهقي: لأن يزيد بن الأسود ليس له راو غير ابنه، وهو جابر، ولا لابنه جابر راو غير يعلى. إلا أن الحافظ استبعد هذا الطعن. فقال: يعلى بن عطاء من رجال مسلم، وجابروثقه النسائي وغيره، وقد وجدنا لجابر بن يزيد راويا غير يعلى، أخرجه ابن مندة في المعرفة من طريق بقية، عن إبراهيم بن ذى حمية، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر. انتهى.

أقول: بقية وهو ابن الوليد والمعروف أنه مدلس، إلا أنه صرح بالسماع في رواية الدارقطني<sup>(٢)</sup>. عن إبراهيم.

ثم تواتر هذا الحديث عن يعلى بن عطاء. قال الحاكم<sup>(٣)</sup> روى عنه شعبة، وهشام بن حسان، وغيلان بن جامع، وأبو خالد الدالاني، وأبو عوانة، وعبد الملك بن عمير، ومبارك ابن فضالة، وشريك بن عبد الله، وغيرهم، وقد احتج مسلم بيعلى بن عطاء، انتهى. ووافق على ذلك الذهبي. ويبدو من هذا أن عبد الملك بن عمير روى مرة عن جابر مباشرة، ومرة عن يعلى بن عطاء عن جابر.

وعبد الملك هذا رمى بالاختلاط لكبر سنه لأنه عاش مائة وثلاث سنين. وأخرج له الشيخان من رواية القدماء عنه في الاحتجاج، ومن رواية بعض المتأخرين عنه في المتابعات.

٦ - حديث يزيد بن عامر:

قال: جئت والنبي ﷺ في الصلاة فجلست، ولم أدخل معهم في الصلاة، فانصرف علينا رسول الله ﷺ فرأى يزيداً جالساً فقال: ألم تسلم يا يزيد. قال: بلى يا رسول الله قد أسلمت. قال: فما منعك أن تدخل مع الناس في صلاتهم. قال: إني كنت قد صليت في منزلي، وأنا أحسب أن قد صليتكم. فقال: إذا جئت إلى الصلاة فوجدت الناس فصل معهم، وإن كنت قد صليت تكن لك نافلة، وهذه مكتوبة، رواه أبو داود<sup>(٤)</sup>.

(١) التلخيص: (٢٩/٢).

(٢) الدارقطني: (٤١٢/١).

(٣) المستدرک: (٢٤٥/١).

(٤) (٣٠١-٣٠٠/١).

قال النووي في الخلاصة : اسناده ضعيف ، نقل عنه الحافظ الزيلعي في نصب  
الراية<sup>(١)</sup>، ولم يبين موضع الضعف . وبين ذلك الحافظ في التهذيب، فقال : فيه نوح بن  
صعصعة حجازي جعله الدارقطني مجهولا، لأنه لم يروى عنه سوى سعيد بن السائب  
الطائفي ولم يوثق . وقال في التقريب : هو مستور .

وقد ذهب البعض إلى أن يزيد بن الأسود، ويزيد بن عامر رجل واحد .

ومنهم من قال : قصة محجن شبيهة بقصة يزيد بن عامر ليتسنى له تضعيف قصة  
محجن، لأن في قصة يزيد : نوح بن صعصعة ضعيف .

#### ٧ - حديث أبي أيوب الأنصاري :

سأل رجل من بني أسد بن خزيمة أبا أيوب الأنصاري، فقال : يصلى أحدنا في منزله  
الصلاة، ثم يأتي المسجد، وتقام الصلاة، فأصلى معهم، فأجد في نفسي من ذلك شيئا .  
فقال أبو أيوب : سألنا عن ذلك النبي ﷺ فقال : فذلك له سهم جمع . رواه أبو داود مرفوعا،  
ومالك موقوفا، والبيهقي بوجهين<sup>(٢)</sup>، قال المنذرى : فيه رجل مجهول .

وهو الصواب فإنني لم أجد من سمي هذا الرجل من بني أسد بن خزيمة . قوله : سهم  
جمع : أى يضعف له الأجر فيكون له سهمان منه قاله ابن وهب وقال غيره : جمع هنا أى  
الجيش كقوله تعالى : ﴿ سيهزم الجمع ﴾ . قال ابن عبد البر : أى له أجر الغازي في سبيل  
الله . والأول أشبه واصوب . وقد أوصى المنذرى الزبير لفلان كذا، ولفلان كذا، ولفلان  
سهم جمع، فسئل عن ذلك فقال : نصيب رجلين .

هذه الأحاديث تدل على جواز إعادة الصلاة بالجماعة لمن صلاها في منزله منفردا . وهو  
أمر متفق لدى جمهور العلماء على سبيل الاختيار والإيثار لإدراك فضيلة الجماعة .

وقد خالفه في ذلك بعض من لا يعتد بقولهم . وكانت حجتهم حديث ابن عمر مرفوعا  
« لا تصلوا صلاة في يوم مرتين » .

رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، والدارقطني، وابن حبان، وابن أبي شيبة<sup>(٣)</sup> .  
كلهم بطرق عن عمرو بن شعيب، عن سليمان بن يسار مولى ميمونة . وسياق الحديث :

(١) (١٥٠/٢) .

(٢) أبو داود مع المنذرى، الطبعة الباكستانية . (٣٠١/١) ومالك (٤٠٧/١) والبيهقي (٣٠٠/٢) .

(٣) أبو داود (٣٠١/١) والنسائي (٢١٤/٢) وأحمد (١٩/٢، ٤١) والدارقطني (٤١٥/١)، وابن حبان (موارد الظمان ١٢١)

وابن أبي شيبة (٢٧٦/٢) .

يقول سليمان، أتيت على ابن عمر وهو بالبلاط، والقوم يصلون في المسجد، قلت ما يمنعك ان تصلى مع الناس، أو القوم؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تصلوا صلاة في يوم مرتين» .

قال المنذرى: وفي اسناده عمرو بن شعيب، وقد تقدم الكلام عليه، وهو محمول على صلاة الاختيار، دون ماله سبب، كالرجل يصلى ثم يدرك جماعة فيصلى معهم. وقد كان صلى ليدرك فضيلة الجماعة، جمعا بين الأحاديث .

أقول: إن النقاد اتفقوا على أن عمرو بن شعيب إذا حدث عن سعيد بن المسيب، أو سليمان بن يسار مولى ميمونة، أو عروة، فهو ثقة عن هؤلاء. نص على ذلك اسحاق بن منصور، ويحيى بن معين وغيرهما .

وقال ابن حبان: عمرو بن شعيب في نفسه ثقة يحتج بخبره إذا روى عن غير أبيه<sup>(١)</sup>. وقد صحح النووى اسناد هذا الحديث وذكروا عدة تأويلات، منها:

(١) المنع من أداء الصلاة مرتين اختيارا من غير سبب .

(٢) المنع لمن صلى الفرض مرتين بنية الفرض . وهو تأويل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، فانها قالا: ان يصلى الرجل صلاة مكتوبة عليه، ثم يقوم بعد الفراغ منها فيعيد لها على جهة الفرض، وأما من صلى الثانية مع الجماعة على أنها نافلة اقتداء بالنبي ﷺ في أمره بذلك فليس ذلك من إعادة الصلاة في يوم مرتين، لأن الأولى فريضة، والثانية نافلة فلا إعادة حينئذ. كذا نقل الشيخ عبيد الله المباركفوري<sup>(٢)</sup>.

(٣) يحمل حديث ابن عمر على من صلى بالجماعة في المرة الأولى، والأحاديث الأخرى على من صلى منفردا. والحمل على هذا واجب لما روى مالك في الموطأ<sup>(٣)</sup> عن نافع عن ابن عمر أن رجلا سأله فقال: إني أصلى في بيتي ثم ادرك الصلاة مع الإمام فأصلى معه؟ قال: نعم. قال: فأيهما أجعل صلاتي؟ قال ابن عمر: ليس ذلك إليك إنما ذلك إلى الله .

(١) أنظر تهذيب التهذيب (٤٩/٨) ونصب الراية (١٤٨/٢) .

(٢) أنظر المرعاة: (١٤٠/٢) .

(٣) الموطأ: (٤٠٦/١) .

قال البيهقي : فهذا يدل على أن ما رواه عنه سليمان محمول على ما إذا صليت في جماعة<sup>(١)</sup>، وقال السيوطي : وإلى هذا التأويل أشار المصنف (أى النسائي) في الترجمة (وهي سقوط الصلاة عن صلي مع الإمام في المسجد جماعة) وبوب أبو داود بلفظ : إذا صلي جماعة، ثم أدرك جماعة هل يعيد الصلاة ؟

فكأن ابن عمر خص النهي الوارد في حديثه لمن صلي الأولى بالجماعة فلا يعيد، وأما من صلي الأولى منفردا فلا حرج في إعادتها بالجماعة .

مذاهب العلماء في الصلوات التي تجوز إعادتها :

الأول : تجوز إعادة الصلوات الخمس :

وبه قال الشافعي وأحمد، واستدلوا في ذلك بعموم الأحاديث الواردة في الباب، ولأن النبي ﷺ قال : إذا صلي أحدكم في رحله، ثم أدرك الإمام فليصل معه . فلم يستثن صلاة دون صلاة . وكذلك الصلوات التي لها سبب لا يدخل فيها الكراهة .

قال النووي في شرح مسلم<sup>(٢)</sup> معلقا على حديث أبي ذر «وفي هذا الحديث أنه لا بأس بإعادة الصبح والعصر والمغرب كباقي الصلوات، لأن النبي ﷺ أطلق الأمر بإعادة الصلاة، ولم يفرق بين صلاة، وصلاة . وهذا هو الصحيح في مذهبنا . ثم قال : ولنا وجه أنه لا يعيد الصبح والعصر لأن الثانية نفل، ولا تنفل بعدهما، ووجه أنه لا يعيد المغرب لثلاثي شفعاً وهو ضعيف» .

وقال في شرح المذهب<sup>(٣)</sup> وفي وجه شاذ يعيد الظهر والعشاء فقط «ثم قال : « والمذهب استحباب الإعادة مطلقا . ومن صرح بتصحيحه الشيخ أبو حامد، ونقل انه ظاهر نضه في الجديد، والقديم، وصححه أيضا القاضي أبو الطيب، والبندنجي، والماوردي، والمحاملي، وابن الصباغ، والبغوي، وخلائق كثير ون لا يحصون، ونقله الرافي عن الجمهور: هذا هو المذهب الصحيح عند الشافعي وينبغي ذكر هذا الرأي عند الاطلاق . وأما أحمد فقد قال ابن قدامة عنه في المغنى<sup>(٤)</sup> : ان من صلي فرضه ثم أدرك تلك الصلاة في

(١) أنظر التلخيص للحافظ (٢/٢٩)، وزهر الربى للسيوطي (٢/١١٤) مع سنن النسائي .

(٢) شرح النووي : (٥/١٤٨) .

(٣) شرح المذهب : (٤/١٢١) .

(٤) المغنى : (٢/٩٢) .

جماعة استحَب له إعادتها، أى صلاة كانت بشرط أن تقام وهو في المسجد، أو يدخل المسجد وهم يصلون وهذا قول الحسن والشافعي وأبي ثور .

وسئل الإمام أحمد عن إعادة المغرب : فقال : نعم إلا أنه يشفع . ونقل ابن قدامة عن الشافعي مثله ودليله في ذلك ما رواه صلة، عن حذيفة أنه لما أعاد المغرب قال : ذهبت أقوم في الثالثة فأجلسني . «وهذا يحتمل أنه أمره بالاعتصار على ركعتين لتكون شفعا، ويحتمل أنه أمره بالصلاة مثل صلاة الإمام» .

ثم قال ابن قدامة : «إن هذه الصلاة نافلة، ولا يشرع التنفل بوتر، فكان زيادة ركعة أولى من نقصانها لثلاثا يفارق إمامه قبل إتمام صلاته» انتهى .

أقول : هذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف<sup>(١)</sup> وابن أبي شيبة<sup>(٢)</sup> عن الثوري عن جابر، عن سعيد بن عبيد، عن صلة بن زفر العبسي . وجابر هذا هو ابن يزيد بن الحارث الجعفي . وقال الحافظ : ضعيف، وصلة بن زفر من الثقات .

وروى ابن أبي شيبة أيضا عن علي أنه قال : يشفع بركعة يعني إذا أعاد المغرب<sup>(٣)</sup> . وفيه : الحارث الأعور وهو كذاب . وذكر بعض الآثار الأخرى من التابعين وأتباعهم .

الثاني : يكره المغرب فقط وهو قول الإمام مالك :

واستدل في ذلك بأثر ابن عمر، رواه عن نافع عنه قال : من صلى المغرب، أو الصبح، ثم أدركها مع الإمام فلا يعد لها<sup>(٤)</sup> ورواه<sup>(٥)</sup> عن ابن جريح عن نافع . ثم قال مالك في الموطأ أيضا : «ولا أرى بأسا أن يصلى مع الإمام من كان يصلى في بيته إلا صلاة المغرب فإنه إذا أعادها كانت شفعا» انتهى .

(١) مصنف عبد الرزاق : (٢/٤٢١) .

(٢) ابن أبي شيبة : (٢/٢٧٦) .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الموطأ : (١/٤٠٨) .

(٥) مصنف عبد الرزاق : (٢/٤٢٢) .

وقد علل محمد بن الحسن عدم إعادة المغرب بان الإعادة نافلة، ولا تكون النافلة وترا .

قال ابن عبد البر : هذه العلة أحسن من تعليل مالك .

وكان أبو قلابة أيضا يكره إعادة المغرب . ذكره عبد الرزاق في المصنف . وأما ابن قدامة فنقل عن مالك إعادة المغرب إن صلى وحده، وعدم الإعادة إذا صلاها بالجماعة .

وهذا يخالف ما رواه الأئمة المالكية . ففي المدونة (١) « إذا دخل الرجل المسجد، وقد صلى وحده في بيته فليصل مع الناس إلا المغرب فإنه إن كان قد صلاها ثم دخل المسجد فأقام المؤذن صلاة المغرب فليخرج » ومثله في حاشية الدسوقي (٢) وفي شرح الزرقاني على الموطأ (٣) .

### الثالث : لا يعيد من الصلوات إلا الظهر والعشاء :

وهو رأى الإمام أبي حنيفة وصاحبيه . والضابط في ذلك ما ذكره الإمام الطحاوي في شرح معاني الآثار (٤) « كل صلاة يجوز التطوع بعدها فلا بأس من إعادتها على أنها نافلة له، غير المغرب، لأنها إن أعيدت كانت تطوعا، والتطوع لا يكون وترا، إنما يكون شفعا » . ثم قال : واحتجوا في ذلك بما تواترت به الروايات عن رسول الله ﷺ في نهيهِ عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس . ثم قال : وهذه ناسخة (لأحاديث الباب) .

واستدل الشيخ ابن الهمام في شرح فتح القدير (٥) بحديث رواه الدارقطني عن ابن عمر وهو أن النبي ﷺ قال : « إذا صليت في أهلك، ثم أدركت الصلاة فصلها إلا الفجر والمغرب » .

قال عبد الحق : تفرد برفعه سهل بن صالح الانطاكي وكان ثقة . وإذا كان كذلك فلا يضر وقف من وقفه لأن زيادة الثقة مقبولة . وإذا ثبت هذا فلا يخفى وجه تعليل أخراجه الفجر، بما يلحق به العصر . انتهى كلامه .

(١) المدونة : (٨٧/١) .

(٢) حاشية الدسوقي : (٢٩٦/١) .

(٣) شرح الزرقاني : (٤٠٨/١) .

(٤) شرح معاني الآثار : (٣٦٤/١) .

(٥) شرح فتح القدير : (٣٣٧/١) .

ولم أجد هذا الحديث في سنن الدارقطني في مظانه، وكذلك لم أقف على من رفعه في الكتب، وقد سبق ذكره موقوفاً على ابن عمر عند مالك .

ثم ظفرت بكلام الشيخ عبيد الله المباركفوري في المرعاة (١) أنه نسب الوهم إلى الملا على القارى في المرقاة لأنه أيضاً من نسب هذا الحديث إلى الدارقطني مرفوعاً ونص المباركفوري: «لم أجد هذا الحديث في سنن الدارقطني لا مرفوعاً، ولا موقوفاً، والظاهر أنه من وهم القارى» .

وأما سهل بن صالح الانطاكى هذا فهو أبو سعيد البزار قال فيه أبو حاتم: ثقة، وقال النسائي: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: ربما اخطأ .

وأما صلاة المغرب: ففي الهداية «في ظاهر الرواية التنفل بالثلاث مكروه، وفي جعلها أربعاً مخالفاً لإمامه» قال الشيخ ابن همام «احتراز عما روى عن أبي يوسف أنه يدخل معه ويتمها أربعاً» .

وحديث يزيد بن الأسود متأخر عن أحاديث النهي عن الصلوات في الاوقات المكروهة بالتأكيد، لوقوعه في حجة الوداع، ثم فيه نص صريح بصلاة الصبح .

قال الخطابي: «وظاهر الحديث حجة على جماعة من منع عن شىء من الصلوات كلها، ألا تراه يقول: إذا صلى أحدكم في رحله ثم أدرك الإمام فليصل معه» . ولم يستثن صلاة دون صلاة . ثم قال: فأما نهيه ﷺ بعد الصبح حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب، فقد تأولوه على وجهين :

أحدهما: ان ذلك على معنى انشاء الصلاة ابتداء من غير مناسب، فأما إذا كان لها سبب مثل ان يصادف قوما يصلون جماعة، فانه يعيدها معهم ليحرز الفضيلة .

والوجه الآخر: أنه منسوخ، وذلك ان حديث يزيد بن الأسود متأخر لأن في قصته أنه شهد مع رسول الله ﷺ حجة الوداع . وفي قوله ﷺ «أنها نافلة» دليل على صلاة التطوع جائزة بعد الفجر قبل طلوع الشمس إذا كان لها سبب . انتهى (٢) .

(١) المرعاة: (١٢٠/٢) .

(٢) معالم السنن مع مختصر المنذرى: (١/٣٠٠) من الطبعة الباكستانية .



وقال السندي معلقا على حديث جابر بن يزيد بن الأسود في حاشية النسائي (١) «هذا تصريح في عموم الحكم في أوقات الكراهة أيضا، ومانع عن تخصيص الحكم بغير أوقات الكراهة لاتفاقهم على أنه لا يصح استثناء المورد من العموم، والمورد صلاة الفجر». وقال: «ولا يمكن ان يتوهم نسخ هذا الحكم لكون ذلك في حجة الوداع» .

وقد زعم بعض العلماء أن في حديث يزيد بن الأسود اضطرابا لا يصلح ان يكون حجة في الباب وملخص قوله: أنه ورد في كتابي الآثار لمحمد وأبي يوسف، وفي كتابي البدائع والمبسوط وغيرها ان تلك الحادثة كانت في صلاة الظهر.

ولكن الذي يبدو من دراسة هذه الأحاديث ان القصة التي وقعت في صلاة الظهر هي قصة بسر بن محجن الدثلي كما في بعض الروايات . فقد روى الإمام الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢) بطريق ابن أبي داود قال: ثنا يحيى بن صالح الوحاطي قال: ثنا سليمان بن بلال قال ثنى زيد بن أسلم، عن بسر بن محجن الدثلي عن أبيه قال: صليت في بيتي الظهر والعصر. الخ .

وروى أحمد في مسنده (٣) بسياق آخر قال ثنا يعقوب، ثنا أبي، عن ابن إسحاق، قال حدثني عمران بن أبي أنس، عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن رجل من بني الدليل قال: صليت الظهر في بيتي، ثم خرجت بأباعرلى لأصدرها، إلى الراعي، فمررت برسول الله ﷺ وهو يصلي بالناس الظهر، فمضيت فلم أصل معه، فلما أصدرت أباعري، ورجعت ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال لي: ما منعك يا فلان أن تصلي معنا حين مررت بنا. قال: فقلت يارسول الله اني كنت قد صليت في بيتي . قال: وإن .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد، رواه أحمد ورجاله موثقون (٤) .  
وأما من اعتذر عن إعادة صلاة المغرب بحجة أنها تطوع، والتطوع لا يكون وترا . فيجاء ان صلاة الوتر من باب التطوع وهو نظير في الموضوع . والشارع لم يخصص شيئا من عموم قوله فتخصيص شيء بالقياس بدون حاجة لا يجوز والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) النسائي : (١١٣/٢) .  
(٢) شرح معاني الآثار : (٣٦٣/١) .  
(٣) أحمد : (٢١٥/٤) .  
(٤) مجمع الزوائد : (٤٤/٢) .

## المسألة الثانية : أى الصلاتين تكون مكتوبة؟ .

القول الأول : ان الأولى هى المكتوبة . وبه قال الجمهور من الفقهاء وهو مذهب أبى حنيفة وأحمد ، وأظهر القولين عند الشافعى كما نص على ذلك الإمام النووى فى روضة الطالبين (١) وشرح المهذب (٢) وشرح مسلم (٣) وذكر أقوال العلماء الشافعية فى هذه المسألة عند شرحه لحديث أبى ذر فى صحيح مسلم (٤) فبلغت أربعة وهى : ان الفرض هى الأولى للحديث ولأن الخطاب سقط بها ، والثانى : ان الفرض أكملها ، والثالث كلاهما فرض ، والرابع الفرض أحدهما على الايهام ، يحتسب الله تعالى بأيهما شاء وأما الحنفية فلا خلاف عندهم فى فرضية الأولى ولذا وقع الخلاف فى إعادة صلاتى العصر والفجر لأجل النهى عن التطوع بعدهما .

واستدل هؤلاء بالأحاديث التى مر ذكرها وهى حديث أبى ذر ، وأبى مسعود ، ويزيد ابن الأسود ، ومحسن الدئلى وغيرها . لأنه وقع التصريح فى هذه الأحاديث بأن الثانية تكون نافلة .

قال ابن قدامة : ولان الأولى وقعت فريضة ، واسقطت الفرض ، بدليل انها لا تجب ثانيا ، وإذا برئت الذمة بالأولى ، استحال كون الثانية فريضة ، وجعل الأولى نافلة . قال حماد ، وقال إبراهيم : إذا نوى الرجل صلاة ، وكتبها الملائكة فمن يستطيع أن يحولها فما صلى بعدها فهو تطوع (٥) .

القول الثانى : الثانية هى مكتوبة ، إذا صلى الأولى فرادى . وهو قول الشافعى فى القديم . واستدل له بحديث يزيد بن عامر الذى وقع فيه التصريح بأن الثانية مكتوبة .

يجاب عن هذا بان حديث يزيد بن عامر ضعيف وسبق بيان ذلك والشيخ الألبانى صحح هذا الحديث فى حاشية المشكاة (٦) مع وجود رجل مستور فيه ، وهو نوح بن صعصعة . وحديث يزيد بن الأسود أولى منه وأثبت .

(١) روضة الطالبين : (٣٤٤/١) .

(٢) شرح المهذب : (١٢٣/٤) .

(٣) شرح مسلم : (١٦/٤) .

(٤) شرح مسلم : (١٤٨/٥) .

(٥) أنظر المغنى : (٩٤/٢) .

(٦) المشكاة : (٣٦٤/١) .

وحاول الشيخ الشوكاني الجمع بين الحديثين فقال في نيل الأوطار<sup>(١)</sup> : «وعلى فرض صلاحية حديث يزيد بن عامر للاحتجاج به ، فالجمع بينه وبين حديث الباب ممكن ، بحمل حديث الباب على من صلى الصلاة الأولى في جماعة ، وحمل هذا على من صلى منفرداً كما هو الظاهر من سياق الحديثين» .

إلا أنه جمع يعيد فإن من صلى الأولى منفرداً بنية الفرض كيف تنقلب إلى النافلة وقد انتهى منها .

ثم يجب ان ينتهى هذا الخلاف فان الحديث ضعيف والقول الراجح عند الشافعى هو أن الأولى هى المكتوبة .

الثالث : التفويض إلى الله سبحانه وتعالى فى قبول ما شاء من الصلاتين . وهو المشهور من مذهب المالكية . واستدل هؤلاء بأثر ابن عمر -رضى الله عنه - رواه مالك فى الموطأ<sup>(٢)</sup> عن نافع ، ان رجلاً سأل عبد الله بن عمر : فقال : انى أصلى فى بيتى ، ثم أدرك الصلاة مع الإمام فأصلى معه ؟ . فقال عبد الله بن عمر : نعم ، فقال الرجل : أيهما أجعل صلاتى ؟ . فقال له ابن عمر : أو ذاك إليك ؟ . إنما ذلك إلى الله يجعل أيهما شاء .

وذكر الزرقانى : روى ابن أبى ذئب ، عن نافع ، ان ابن عمر قال : ان صلاته هى الأولى . وقوله هذا مخالف لرواية مالك . فكأن ابن عمر شك فى أول الأمر ، ثم بان له أن الأولى هى الفرض فرجع من شكه إلى اليقين ، ولا يقال عكس هذا . فمن المحال ان يرجع إنسان من اليقين إلى الشك . إلا أن المذهب المختار عندهم هو هذا . قال ابن عبد البر : حسب النظر الفقهي الدينوى الفريضة هى الصلاة الأولى ، وأما باعتبار الأخرى فالأمر مفوض إلى الله تعالى - ولهذا لا يجوز لمن صلى فى بيته ثم أتى المسجد ، فاقامت الصلاة أن يتقدمهم لأنه لا يدرى أيتها صلاته .

وهذا هو مذهب المدونة وعليه العلماء المالكية راجع التفاصيل فى حاشية الدسوقى<sup>(٣)</sup>

(١) نيل الأوطار : (١١٤/٣) .

(٢) الموطأ : (٤٠٦/١) .

(٣) حاشية الدسوقى : (٢٩٨-٢٩٧/٢) .

وبعد هذه الدراسة المستفيضة لا يشك أحد في أن الفرض هو الأولى وتقع الثانية نافلة . والله تعالى أعلم بالصواب .

#### الخامس : حضور النساء في الجماعة :

لا خلاف بين العلماء بأن حضور النساء وشهودهن الجماعة ليس فرضا لما صح من الآثار بأن نساء النبي ﷺ كن في حجرهن ولا يخرجن إلى المسجد .  
واختلفوا في أي الأمرين يكون أفضل لهن أصلاتهن في بيوتهن ، أم في المساجد في الجماعات ؟ .

القول الأول : ان الأفضل حضورهن في الجماعات في المساجد بناء على عموم قول النبي ﷺ : « ان صلاة الجماعة تفضل صلاة المفرد بسبع وعشرين درجة » . وهو مذهب أهل الظاهر . قال الإمام ابن حزم : وهذا عموم لا يجوز ان يخص منه النساء من غيرهن (١) .

وقد قال قبل هذا : فان استأذن الحرائر ، أو الإماء ، بعولتهن أو ساداتهن في حضور الصلاة في المسجد ففرض عليهم الأذن لهن ، ولا يخرجن إلا تفلات غير متطيبات ولا متزينات فان تطيبن أو تزينن لذلك ، فلا صلاة لهن ، ومنعهن حيثن فرض (٢) .

القول الثاني : ان صلاتهن في البيت أفضل وهو مذهب الجمهور من الفقهاء . وقد وردت في ذلك عدة أحاديث منها :

(١) إذا استأذن نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن . (رواه الجماعة إلا ابن ماجه عن ابن عمر ، وفي لفظ عند أحمد وأبي داود : لا تمنعوا النساء ان يخرجن إلى المسجد وبيوتهن خير لهن) هذه الزيادة أخرجها أيضا ابن خزيمة في صحيحه .

(٢) عن أم سلمة ان رسول الله ﷺ قال : خير مساجد النساء قعر بيوتهن . رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير وفيه : ابن لهيعة وفيه كلام (٣) .

(٣) عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها جاءت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إنني أحب الصلاة معك . قال : قد علمت انك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير

(١) المحلى : (٢٧٧/٤) .

(٢) المحلى : (٢٦٥/٤) .

(٣) انظر مجمع الزوائد : (٣٣/٢) .

من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك  
-خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في  
مسجدي . قالت : فأمرت فبنى لها مسجد في أقصى بيتها وأظلمه فكانت تصلى فيه حتى  
لبثت الله عزوجل . رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن سويد الأنصاري وثقه  
ابن حبان .

(٤) حديث ابن مسعود : قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة المرأة في بيتها أفضل من  
صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها . رواه أبو داود ، وسكت  
عليه المنذرى . قال النووي اسناده على شرط مسلم (١) . المخدع : البيت الصغير داخل  
البيت الكبير .

هذه هي بعض الأحاديث التي رويت في هذا الموضوع وقد ذكر الهيثمي في مجمع  
الزوائد الأحاديث الأخرى والآثار من الصحابة .

استدل جمهور الفقهاء بهذه الأحاديث بان صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في  
المسجد إلا أنه لم يكره أحد العلماء حضورهن الصلوات بالجماعات لما ثبت عن النبي ﷺ انه  
أذن للنساء في الحضور في صلاة الجماعة . وكانت النساء في عهد النبي ﷺ يحضرن الجماعة .

وقد استدل الإمام البخاري بحديث عائشة : اعتم رسول الله ﷺ في العشاء حتى  
ناداه عمر : قد نام النساء والصبيان . . . كانوا حضورا في المسجد وبوب على هذا الحديث  
بأنه : باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس .

وقال العلماء انهن إذا طلبن الأذن من أزواجهن للخروج إلى المسجد فعلى الأزواج  
أن لا يمنعهن ، وقد شدد البعض فقال يجب عليهن اذنهن للخروج وهو مخالف للنص وإلا  
لا معنى للأذن إذا . الا أنهم شرطوا أن لا يخرجن متطيبات فعلى الرجال أن يمنعا النساء  
إذا خرجن متطيبات .

وقد قال رسول الله ﷺ : ايما امرأة أصابت بخورا فلا تشهدن معنا العشاء الآخرة .  
رواه مسلم وأبو داود والنسائي وأحمد (٢) .

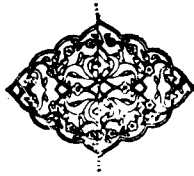
(١) أنظر شرح المهذب : (٨٣/٤) .

(٢) مسلم : طبعة فواد (٣٢٨/١) وأبو داود (٤٠٢/٤) والنسائي (١٥٤/٨) وأحمد (٣٠٤/٢) .

وقد أحدثت النساء في زمن عائشة -رضي الله عنها- ما أزعجته، فقالت: لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدثت النساء لمنعهن كما منعت نساء بنى اسرائيل. رواه الشيخان. قال الحافظ ابن حجر: وتمسك بعضهم بقول عائشة في منع النساء مطلقا وفيه نظر. إذ لا يترتب على ذلك تغير الحكم إنها علقته على شرط لم يوجد بناء على ظن ظنته فقالت: لو رأى لمنع فيقال عليه: لم ير، ولم يمنع، وان كلامها يشعر بأنها كانت ترى المنع. وقال: وأيضا فالأحداث إنما وقع من بعض النساء لا من جميعهن، فان تعين المنع فليكن لمن أحدثت(١).

قال الشوكاني: وقد حصل من الأحاديث المذكورة في هذا الباب أن الاذن للنساء من الرجال إلى المساجد إذا لم يكن في خروجهن ما يدعو إلى الفتنة من طيب أو حلى أو أى زينة واجب على الرجال، وانه لا يجب مع ما يدعو إلى ذلك ولا يجوز، ويحرم عليهن الخروج لقوله: «فلا تشهدن» وصلاتهن على كل حال في بيوتهن أفضل من صلاتهن في المساجد(٢).

وقوله: واجب على كل الرجال فيه نظرا لأن قول النبي ﷺ: «لا تمنعوا اماء الله مساجد الله». نهى تنزيهه لأن حق الزوج في ملازمة المسكن واجب فلا تتركه للأفضلية. قال به النووي(٣). والحمد لله رب العالمين.



- 
- (١) أنظر فتح البارى : (٢/٣٥٠).
  - (٢) أنظر نيل الأوطار : (٣/١٦٢).
  - (٣) أنظر شرح المهذب : (٤/٨٣).

# مِنْ مَزَايَا التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ

بِحَمْدِ بْنِ نَوَاصِرٍ السَّحَيْبِيِّ

عَمِيدِ الْقَبُولِ وَالتَّحْقِيقِ بِالْجَامِعَةِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ تسليما وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن هذا الدين لازال يتعرض للهجمات من قبل أعدائه من اليهود والشيوعيين والنصارى والمنافقين وغيرهم من المبطلين، وتتفاوت هذه الهجمات من حرب ساخنة إلى حرب باردة. من تقتيل أتباع هذا الدين من المسلمين وطردهم وتشريدتهم، ومن سخرية بالله سبحانه وبرسوله عليهم أفضل الصلاة والسلام خاصة الرسول الخاتم محمد ﷺ، إلى استنقاص الشريعة الإسلامية في أصولها وفروعها في معتقداتها وأحكامها .

وكل هذا يعتبر مصداقا لقوله تعالى : ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ . (سورة البقرة: ٢١٧) .

وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته، ولكن الهدف يظل ثابتا، أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا، وكلما انكسر في يدهم سلاح انتصوا سلاحا غيره، وكلما كلت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها . . . (١) .

ومساهمة رمزية في صد بعض هذه الهجمات في مجال النقد الذي يوجهه الأعداء إلى الشريعة الإسلامية . وما يحاولونه من التناول على أحكامها باستنقاصها وإخفاء مزاياها وتحاسنها، لإيقاع السذج والأغرار من المسلمين . . . فقد رأيت من باب المساهمة الرمزية وجهد المقل أن أكتب هذه المقالة عن مزايا التشريع الإسلامي، ثم أتبعها إن شاء الله - بمقالة أخرى عن العقوبات الإسلامية والدفاع عنها، لأنها أكثر الأحكام الإسلامية تعرضا

(١) في ظلال القرآن : (ج ١ ص ٢٢٨) .

للقصد والاستنفاص . والله أسأل أن يحسن مقاصدنا وغايتنا وأن يوفق الجهود، ويسدد الخطأ إنه سميع مجيب .

### المقصود بالتشريع الإسلامى :

قبل أن نتحدث عن مزايا التشريع الإسلامى ينبغى أن نحدد ما هو المقصود بهذا التشريع ، فنقول مستعينين بالله سبحانه .

لفظ الشريعة فى أصل الاستعمال اللغوى الماء الذى يردده الشاربون ، ثم نقل هذا اللفظ إلى معنى الطريقة المستقيمة ، التى يفيد منها المتمسكون بها هداية وتوفيقا . . . ويختص هذا اللفظ فى عرف الفقهاء بالأوامر والنواهى والإرشادات التى وجهها الله تعالى إلى عباده ليكونوا مؤمنين عاملين صالحين ، سواء أكانت متعلقة بالأفعال أم بالعقائد أم بالأخلاق . . . الخ (١) .

ويقول الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله - فى تعريفها : والشريعة هى النظم التى شرعها الله أو شرع أصولها ، لياخذ الإنسان بها نفسه فى علاقته بربه وعلاقته بأخيه المسلم وعلاقته بأخيه الإنسان وعلاقته بالكون والحياة (٢) .

ومن هذا نستطيع أن نقول إنه يقصد بالتشريع الإسلامى كل ما شرعه الله سبحانه فى القرآن الكريم من أمر ونهى أو شرعه رسوله ﷺ ، وما سنه الخلفاء الراشدون ، وكذلك ما أجمع عليه علماء المسلمين ومجتهدوهم ، وما توصلوا إليه بالاجتهاد ، يقول جل ذكره مخاطبا الرسول ﷺ وأُمَّته تبع له فى ذلك : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ . (سورة الجاثية : ١٨) . ويقول جل ذكره : ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾ . (سورة النساء : ٥٩) ، ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾ . (سورة آل عمران : ٣١) . ويقول سبحانه : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ . (سورة الحشر : ٧) . والآيات فى هذا كثيرة جدا . وفى الحديث : «إذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم» (٣) . وفى الحديث الآخر . «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى» (٤) .

(١) مدخل الفقه الإسلامى : الدكتور محمد سلام مذكور .

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة : محمود شلتوت : (ص ٢٢) .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه أبو داود والترمذى .



فالحاصل أن التشريع الإسلامي يقصد به كل ما شرعه الله من أصول الدين وفروعه في العقائد أو العبادات أو المعاملات أو الحدود أو القصاص أو غير ذلك مما يحتاجه الناس في حياتهم (فتشمل الشريعة أحكام الله لكل من أعمالنا من حل وحرمة وندب وإباحة . وذلك ما نعرفه اليوم باسم الفقه) (١) .

ولعل أجمع كلمة تحدد المقصود من التشريع ما قاله سماحة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله - في رسالته منهج التشريع الإسلامي وحكمته حيث قال : والتشريع هو وضع الشرع ، والشرع هنا هو النظام الذي وضعه خالق السموات والأرض على لسان سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام ، ليسير عليه خلقه فيحقق لهم به سعادة الدارين على أكمل الوجوه وأحسنها (٢) .

إن هذا التشريع الذي يحقق السعادة في الدارين لمن آمن به وعمل بمقتضاه يمتاز بمزايا عديدة وخصائص فريدة . ولعل أبرز خصائصه ومميزاته أنه من عند الله سبحانه ، وما كان من عند الله فلا بد أن يتصف بكل صفات الكمال ولا بد أن يبرأ من كل صفات النقص ، يتناول جل ذكره في معرض حديثه عن القرآن الكريم الذي يعتبر أحد المصدرين الأساسيين لتشريع الإسلامى : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ . (النساء : ٨١) . ويقول سبحانه : ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ . (هود : ١) .

ويقول عز ذكره : ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ . (الاسراء : ٩) . ومن هنا نستطيع أن نشير إلى بعض المميزات ، فمنها :-

**الأولى :** شمول التشريع الإسلامى لجميع شؤون الحياة وإحاطته بها :  
لقد أنزل الله سبحانه هذه الشريعة وجعلها منهاجاً لهذه الأمة وطريقاً تسلكها في جميع شؤونها . فهذه الشريعة شاملة لجميع شؤون الحياة ومرافقها ، فانتظمتها جميعاً بأحكامها العادلة وتوجيهاتها الحكيمة .

وعندما ننظر في أحكام الشريعة وموقفها من شؤون الناس وأحوالهم نجدها على ثلاث أضرب :-

**الضرب الأول :** من شؤون الناس والحياة ، أمرت به الشريعة ودعت إليه ، وقد يكون هذا الأمر على وجه الالتزام أو على غير وجه الالتزام .

(١) المدخل لدراسة الفقه الإسلامى : الدكتور محمد يوسف موسى .

(٢) منهج التشريع الإسلامى وحكمته : (ص ٢٣) .

الضرب الثاني : من شئون الناس والحياة نهى عنه الشارع وحذر منه ، وقد يكون هذا النهى كذلك على وجه الالزام أو على غير وجه الالزام .

الضرب الثالث : ما سكت عنه الشارع ، وهذا السكوت ليس عن غفلة ولا نسيان ، وإنما بقصد التخفيف ، ويوضح ذلك حديث رسول الله ﷺ : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » . رواه الدارقطني .

ونحن نستدل لعموم الشريعة وشمولها جميع شئون الحياة بدليلين :

الدليل الأول : النص من الكتاب والسنة وواقع الأمة الإسلامية خاصة في عصرها الزاهر عصر النبوة والخلافة الراشدة ، فقد وردت عدة آيات وأحاديث تدل على أن الشريعة عامة في كل شيء يقول جل ذكره : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ﴾ . (النحل : ٨٩) وفي الآية الأخرى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ . (الأنعام : ٣٨) . قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره للآية الأولى : قال ابن مسعود - رضى الله عنه - قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء ، وقال مجاهد - رحمه الله - كل حلال وكل حرام وقول ابن مسعود أعم وأشمل ، فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي وكل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم (١) .

وقريبا من هذا القول ما ذكره الفخر الرازي - رحمه الله - عند تفسيره الآية الثانية (٢) ، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : ﴿ وأن احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم ﴾ . (المائدة : ٥٠) ، فالأمر قد ورد فيها مطلقا من كل قيد ، وكذلك قوله سبحانه : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ . (النور : ٥٢) . وكذلك قوله جل ذكره : ﴿ ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء ﴾ . (يوسف : ١١١) . وقال سبحانه حكاية عن الجن : ﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾ . (الجن : ١٤) . ولوتبعنا هذه الآيات الواردة بهذا الصدد والإشارة إلى دلالتها المباشرة وغير المباشرة على عموم الشريعة وشمولها لاحتجنا إلى صفحات كثيرة ، وأما الأحاديث ، فقد وردت عدة أحاديث بهذا المعنى . فقد ورد أن سلمان

(١) تفسير ابن كثير : (ج ٢ ص ٥٨٢) .

(٢) تفسير الفخر الرازي : (ج ٢ ص ٢١١) . وراجع تفسير القرطبي : (ج ٦ ص ٤٢٠) . وأضواء البيان للشنقيطي فقد تكلم

على هذه الآية بأسهاب ونقل كلاما للسيوطي من كتابه الاكليل في استنباط التنزيل حول هذا المعنى : (ج ٣ ص ٣٠٦) .

الفارسي - رضى الله عنه - قيل له : علمكم نبيكم كل شىء حتى الخراة . فقال سلمان : أجل نهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول . . . الحديث (١) .

وعن حذيفة - رضى الله عنه - قال : لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله . . . الحديث (٢) .

وفي الحديث : «تركتم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» .

وفي الحديث : «اعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى ومنها . . . وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» . متفق عليه .

وفي بعض الروايات : «وبعثت إلى الجن والانس» .

قال ابن الجوزى فى كتابه الوفاء : فإن قال قائل كيف قال : «وبعثت إلى الخلق كافة» . ومعلوم أن موسى لما بعث إلى بنى اسرائيل لوجاءه غيره من الأمم يسألونه تبليغ ما جاء به لم يجز له كتبه بل يجب عليه إظهار ذلك لهم .

ثم قد أهلك الخلق فى زمن نوح ، وما كان ذلك إلا لعموم رسالته فقد أجاب عن هذا ابن عقيل فقال : إن شريعة نبينا جاءت ناسخة لكل شريعة قبلها ، وقد كان يجتمع فى العصر الواحد نبيا وثلاثة يدعو كل واحد إلى شريعة تخصه ، ولا يدعو غيره من الأنبياء إليها ولا ينسخها .

بخلاف نبينا محمد ﷺ فإنه دعا الكل ونسخ وقال : «لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعى» . وما كان يمكن عيسى أن يقول هذا فى حق موسى ، وأما نوح فلم يكن فى زمنه نبي يدعو إلى ملته (٣) .

أما واقع الأمة الإسلامية بالنسبة للعهد النبوى فتعتبر أفعاله عليه الصلاة والسلام من سنته ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يرعى جميع أحوال المسلمين ، ويتولى جميع شئونهم الدينية والدينية فيفتى ويقضى فى الحقوق والحدود ، ويقود الجيوش ويقسم الغنائم ويؤم المسلمين فى الجمع والجماعات ، ويكتب الملوك ويدعوهم إلى الإسلام ، ويصالح الأعداء إذا رأى مصلحة المسلمين فى ذلك ، ويتفقد أحوال المسلمين فى تعاملهم بالبيع والاجارات وأنواع المزارعة وفى النكاح والطلاق والرجعة وفى الاستطباب وتجهيز الأموات وقسمة الموارث فلا يمكن أن يتم أمر فى المدينة من أحوال الناس وشئونهم إلا وله عليه الصلاة والسلام

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

(٢) الوفا بأحوال المصطفى : (ج ١ ص ٣٧١) .

(٣) أخرجه البخارى . انظر فتح البارى : (ج ١١ ص ٤٩٤) .

حكمة في ذلك من إقرار أو إنكار، وبالنسبة لعهد الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم وعن الصحابة أجمعين - فكذلك، ما كان بيت في أمر من الأمور الدقيقة أو الجلييلة إلا بالرجوع إلى كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، أو بالاجتهاد وفق أصول الشرع وقواعده .

وما نقل عن أحد من الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم - أنه اعتذر عن أمر من الأمور بأنه غير داخل في اختصاصه، بل إنهم ينظرون إليه باعتباره حقا فيقرونه وينفذونه، أو باطلا فينفذونه ويقمعونه، كمحاربة المرتدين وجمع القرآن وتدوين الدواوين وقمع البدع ومحاربتها . . . الخ .

ومن يطالع تاريخ الخلفاء الراشدين وسيرتهم يجد الأمر في غاية الوضوح . . .

وعلى كل حال فمسألة شمول الإسلام وإحاطته بجميع شئون المسلمين كما أمر الله كانت واضحة تماما في هذا العصر الزاهر الذى يعتبر امتداداً لعصر النبوة ولا زال الأمر كذلك في العصور الإسلامية التالية، مع شىء من الضعف الذى أصبح شديداً فى القرون المتأخرة، حيث غلبت العادات القبلية والتقاليد الواردة من الأمم الأخرى على الأحكام الشرعية، نتيجة لعوامل متعددة لعل أهمها بعد كثير من المسلمين عن الإسلام، وضعف الإيمان فى نفوس كثير منهم، حتى وصلنا إلى هذه المرحلة التاريخية التى نعيشها، حيث ابتعد الناس أفرادا وجماعات وحكومات عن الشريعة الإسلامية والالتزام بأحكامها وتوجيهاتها إلا من عصم الله، حتى صار العلماء والمفكرون من المسلمين يبذلون الجهود الكبيرة لاقناع الناس والمنفذين منهم خاصة بشمول الإسلام وعمومه وإحاطته بكل شىء، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

**الدليل الثانى :** وهو دليل العقل والاستنتاج حيث لا يتصور أن الله سبحانه يترك خلقه مهملين دون ما رعاية ترعاهم وعناية تحوطهم فى كل ما يحتاجون إليه من أمور دينهم وديانهم، لأن هذا لو حصل لاعتبر تقصيرا وتفريطا لا يليق بالله سبحانه وحاشاه من ذلك، خاصة وأن هذه الشريعة هى خاتمة الشرائع بنبيها وكتابها، فنبينا محمد ﷺ هو خاتم النبيين وكتابنا القرآن هو خاتم الكتب الناسخ لها المهيمن عليها فهى شريعة لا تحد بزمان ولا مكان ولا بجنس فهى عامة لكل البشر صغيرهم والكبير ذكرهم وأنثاهم عرباً وعجماً فى أى مكان كانوا وأى زمان وجدوا .

ونجد من الآيات ما يسند هذا الاستدلال كقوله تعالى : ﴿ أفحسبتم أنها خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ . (المؤمنون : ١١٥) . أى أننا لم نخلقكم عبثاً بل لغاية وقصد

وهذا يقتضى وجود الأحكام التى تنظم شئون الأدميين . وكذلك قوله سبحانه : ﴿أحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ . (القيامة : ٣٧) . أى هملا دون ما عناية أو رعاية أى لا يمكن أن يكون ذلك لأنه عبث ينزه الله عنه .

فالتشريع الإسلامى يشمل أحوال الناس وينظمها فى كل الأحوال ينظم أحوال الفرد والأسرة ، وينظم شئون الدولة فى الثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد ، يحدد السياسة الداخلية والخارجية وصلة الدولة بالأعداء والأصدقاء فى حالة السلم والحرب ، ويحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم والعلاقة بين العامل ورب العمل وبين الابن وأبويه والزوج وزوجه ، إذن فنحن نخرج من هذا بأن عموم الرسالة وشمولها يقتضى ما يلى :-

أولا : عمومها الزمانى : فهى الشريعة الواجبة الاتباع من حين ما بعث محمد ﷺ إلى قيام الساعة لا يجوز أن تراجها أو تنافسها شريعة أو مذهب أو نظام .

ثانيا : عمومها المكانى : فهى شريعة الأرض دون منافس أو مزاحم فهى شريعة الأرض بسهولة وجبالها ووديانها وبحارها وأنهارها وأعماقها وأجوائها بل هى شريعة الكون بكل أجزائه : ﴿إن كل من فى السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبدا﴾ . (مريم : ٩٣) .

ثالثا : عمومها البشرى : فهى الشريعة الواجبة الاتباع من كل البشر على اختلاف الأجناس والأعراق وحتى الجن ، فهى شريعة كل إنسان كيفما وجد وإينما وجد ، مكث فى الأرض أو صعد فى السماء أو نزل الأجرام الأخرى . «إن استطاع إلى ذلك سبيلا» .

فهى شريعته التى لا يجوز له أن ينفك عنها أو يفلت منها أو يفر : ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ . (الذاريات : ٥٦) . ﴿قل يا أيها الناس انى رسول الله إليكم جميعا﴾ . (الأعراف : ١٥٨) .

رابعا : عمومها وشمولها الموضوعى : فهى لكل شىء ولكل شأن من شئون الأحياء والأشياء ، بل وحتى الأموات رعت ما لهم من حقوق وحرمة بعد موتهم ، وعينت بالحيوانات رفقا وعناية وعظفا ، وبالذول والمجتمعات والكون والكائنات : ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ . (الأنعام : ٣٨) .

يقول الدكتور : محمد سلام مذكور فى كتابه مدخل الفقه الإسلامى :-  
وقد تضافرت النصوص الإسلامية وعلم من الدين بالضرورة عموم رسالة الإسلام :  
﴿وما ارسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ . (سبأ : ٢٨) . ﴿تبارك الذى نزل الفرقان

على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴿١﴾ . (الفرقان : ١) . ﴿قل يا أيها الناس انى رسول الله إليكم جميعاً﴾ . (الأعراف : ٥٨) .

لهذا قام محمد رسول الله ﷺ بتبليغ هذه الرسالة إلى من استطاع تبليغهم من الأمم متمثلين بالحكام كهرقل إمبراطور الروم وكسرى ملك الفرس والمقوقس حاكم مصر والحارث الغساني ملك الحيرة، والحارث الحميري ملك اليمن والنجاشي ملك الحبشة، تاركاً لخلفائه من بعده القيام بتبليغ الدعوة إلى بقية الأمم وقد اهتدى بعض تلك الأمم فأمن بدعوته إنصافاً للحق، كما انصفه من اتبعه من قومه، وقد اعترف توماس في كتابه الدعوة إلى الإسلام، بأن الكتب التي أرسلها محمد بن عبد الله إلى حكام الأمم المختلفة، يدعوهم فيها إلى الإسلام، تدل بوضوح على ما تردد ذكره في القرآن من مطالبة الناس جميعاً بقبول الإسلام (١) .

هذا وقد اعتبر العلماء أن من ينكر شيئاً من ذلك - أى عموم الرسالة وشمولها - فهو كافر مرتد عن الإسلام، فمن ينكر عموم الرسالة أو يرى أن أحداً مهما كان يسعه الخروج منها فرداً أو جماعة أو دولة فهو كافر، أو زعم أنها خاصة بجنس من الأجناس أو عصر من العصور، وأنها لا تعنى بتنظيم شؤون الناس في الاقتصاد والاجتماع والسياسة من اعتقد ذلك فهو مرتد عن الإسلام يستتاب فإن تاب وإلا قتل (٢)

### الثانية : العدالة :

إن وجوه العدالة في التشريع الإسلامى كثيرة متعددة، يدركها من يعنى النظر في أحكامه ويتدبرها بتجرد وإخلاص، فأحكامه الخاصة بالأسرة وتكوينها وتنظيمها وحقوق الأفراد وواجباتهم في الأسرة لا تماثلها أحكام مما تواضع عليه البشر واعتادوه، فالأب له حقوقه وعليه التزاماته، والأم كذلك، والأبناء المكلفون كذلك، ونجد هذه القاعدة الفريدة في التعامل بين الزوجين المتمثلة في قوله تعالى : ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ . (البقرة : ٢٩٩) .

وأحكامه الخاصة بالميراث وتوزيعه على الورثة تعتبر كذلك من العدالة بمكان، فللأب نصيبه وللأم نصيبها، وللزوج نصيبه وللزوجة نصيبها، بحسب الحال من وجود أولاد أو عدم وجود أولاد، ووجود أخوة أو عدم وجود أخوة، وللأبناء نصيبهم والبنات وللأخوة

(١) مدخل الفقه الإسلامى : الدكتور محمد سلام مذكور: (ص١٣) .

(٢) انظر رسالة البرهان والدليل على كفر من حكم بغير التنزيل : أحمد بن ناصر المعمر: (ص٤٨) .

والأخوات، والأعمام والعمات، وهكذا تتدرج الحقوق حتى تصل إلى أصحابها مهما بعدوا، وفي الأحكام الخاصة بمعاملة الأعداء، نجد العدالة في أرقى صورها وأعلى درجاتها يقول جل ذكره: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ . (المائدة: ٨). أى لا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا في حقهم، ويقول سبحانه: ﴿فاعدلو ولو كان ذا القربى﴾ . (الأنعام: ٢٥٢) .

أما في مجال العقوبات فعندما نلاحظ أن القصاص هو العقوبة الرئيسية لأكثر الجرائم الشخصية التي تقع على الأشخاص مباشرة، فإن هذا يعتبر منتهى العدالة وغاية الانصاف، وكذلك الحدود فإنها عقوبات عادلة إذا أدركنا فداحة الجرائم التي فرضت من أجلها، والله تعالى يقول: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ . (الشورى: ٤٠). ويقول: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ . (النحل: ١٢٦) .

وباختصار، فإدمننا نسلم ونعتقد بأن الأحكام الشرعية منزلة من عند الله سبحانه، الذى يعتبر العدل صفة من صفاته، فلا بد أن تكون هذه الأحكام عادلة متقنة .

وإذا كانت العدالة هي من أبرز خصائص الأحكام الشرعية الواردة بالنص في القرآن والسنة، فإن هناك أحكاماً اجتهادية، وهناك أيضاً تطبيق الأحكام إن كانت نصية أو اجتهادية، فنجد بالنسبة لهذين الأمرين أن الإسلام حض المسلمين والعلماء منهم خاصة وولادة الأمر على تحرى العدل في تطبيق الأحكام، أو عند استنباطها، فوضع قوالب عامة ومعايير دقيقة ومقاييس عادلة لاستنباط الأحكام، فالأحكام الاجتهادية ليست عشوائية في استنباطها ولا ارتجالية في وضعها، ولكنها محكومة بقواعد وأصول فلا بد أن تكون منسجمة مع الأصول العامة للشريعة، والقواعد الأساسية، والغايات والأهداف الكبرى، ويمكن الرجوع إلى هذا الموضوع في كتب أصول الفقه .

وفي مجال التطبيق كذلك فقد حث الله سبحانه المسلمين عامة وولادة الأمر بصفة خاصة على العدل، وحث على ذلك رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة، بل إن الله سبحانه أمر به أمراً صريحاً، يقول جل ذكره: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾ . (النساء: ٥٨). أى ويأمركم إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، والأمر كما هو معروف عند علماء الأصول يقتضى الوجوب إلا أن يصرفه صارف عن ذلك، وفي الآية الأخرى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى﴾ .

(النحل : ٩) . ويقول سبحانه فيما خاطب به رسوله ﷺ : ﴿وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم﴾ . (الشورى : ١٥) .

وإلى جانب الآيات فهناك الأحاديث الكثيرة والوقائع المشهورة التي حصلت في عهد رسول الله ﷺ أوفى عهد الخلفاء الراشدين ، ففي الحديث المتفق عليه : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» - وعد منهم الإمام العادل - وفي الحديث الآخر : «إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا» . رواه مسلم . وجاءه عليه الصلاة والسلام زيد بن سعدة قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه ، فجبذ ثوبه عن منكبه ، وأخذ بمجامع ثيابه ، وأغلظ له ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب مطل ، فانتهره عمر وشد له في القول ، والنبي ﷺ يبتسم ، فقال رسول الله ﷺ : «أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر ، تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضى . . . الحديث (١) .

ويمكن عكاشة أن يقتض منه ، وكذلك الأعرابي الذي تعلق في زمام ناقته فانتهره مرارا فلما لم ينتهره ضربه (٢) . وغير ذلك من الحالات والوقائع المماثلة كثيرة وليس هذا مجال سردها فليرجع إليها في كتب التاريخ والسير ، لتجد الصفحات البيضاء من صفحات العدل ، ومن هذا نخرج بنتيجة وهي أن العدالة صفة رئيسية من صفات التشريع الإسلامي ، خاصة فيما ورد فيه نص صريح من القرآن ، أو نص صريح صريح من سنة ، كما يجب أن تراعى العدالة في جانبين .

أولاً : في الجانب التشريعي الاجتهادي : أى الأحكام الاجتهادية فيما لم يرد به النص كما في حالة سن الأنظمة اللازمة للناس ، كأنظمة البلديات والمرور ، وأنظمة العمال والموظفين والشركات وأصحاب المهن المختلفة ، وغير ذلك مما يستجد من أمور الناس وشئون الحياة ، فيجب على كل من يضعون هذه الأنظمة ويسنونها أن يراعوا جانب العدالة فيها ، فلا يغلبوا مصلحة فئة على فئة أخرى ، ولا جانباً على جانب ، إلا بحق واضح تقتضيه مصلحة عامة راجحة ، ويجب أن تكون هذه الأنظمة وأمثالها متمشية مع أصول الشريعة منسجمة مع قواعدها الكلية ، غير متعارضة مع أحكامها الثابتة ولا متباينة مع الأهداف والغايات والمقاصد التي توخاها الشارع واعتبرها .

(١) ذكره القاضى عياض فى كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى : (ج ١ ص ١٠٩) . وانظر كذلك الوفى بأحوال المصطفى

لابن الجوزى : (ج ٣ ص ٤٢٥) .

(٢) الشفا : (ج ٢ ص ١٩٩) .



ثانيا : في الجانب التطبيقي : فيجب على الحاكم أن يتقى الله في حكمه ، ويتحرى العدالة في تطبيق الأحكام التي أنزلها الله ، فلاشك أنها عادلة ، ولكن التطبيق قد يكون جائراً ، فعليه أن يتقى الله فلا يحكم بأى حكم اجتهادى تبين له ظلمه واجحافه ، وعليه أن يترض عليه ويبدى رأيه فيه .

### الثالثة : الرحمة :

إن الرحمة تعتبر أمراً زائداً على العدالة ، فالعدالة رحمة ولاشك ، ولكن الرحمة عدالة وزيادة ، أما العدل فإن فيه رحمة للكافة وللمجتمع بصفة عامة ، ولكن قد لا يكون فيه رحمة للمحكوم عليه في ظاهر الأمر ، مع انه في الحقيقة رحمة ، إذا نظرنا إلى المسألة نظرة ثاقبه تنفذ من الدنيا إلى الآخرة .

ويرى الأستاذ محمد أبو زهره - رحمه الله - خلاف ذلك ، فهو يرى أن الرحمة والعدل مترادفان ، فهو يقول : ولذلك كانت رحمة النبوة الأولى هي العدل ، فالعدل في ذاته هو الرحمة الشاملة ، ويقول : فالعدالة الحقيقية هي الرحمة الحقيقية (١) .

ولكني أقول ليس الأمر كذلك ، لأن الرحمة أوسع وأشمل ، فهي كما قلت عدل وزيادة ، وكل الأطراف ترضى بالرحمة ، ولكن ليس كلها يرضى بالعدل ، مع أن العدل يعتبر رحمة عامة ولكنه قد لا يكون كذلك في ظاهره ومما يدل على ذلك حديث رسول الله ﷺ في قصة الزبير مع الأنصارى فانه في أول الأمر قال : «إسق يازبير ثم أرسل الماء إلى جارك» . فلما غضب الأنصارى واتهم رسول الله ﷺ بالتحيز لابن عمته . قال ﷺ : «يازبير إسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر» . فإن الحكم الأول لرسول الله ﷺ مبنى على الرحمة ، فقد أمر الزبير بأن يسقي أرضه شيئاً يسيراً ثم يرسل الماء ، ولم يعطى الزبير كامل حقه ، فانه قريبه ويدل عليه فلما تبين هذا الموقف من هذا المنافق ، حكم بالعدل وأعطى كل ذى حق حقه ، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام النووى - رحمه الله - في شرح مسلم (٢) .

وكذلك حديث الرجل الذى كان منقطعاً لعبادة الله مدة طويلة ، فلما مات سأله الله تعالى هل أدخلك الجنة بعملك أم برحمتى ؟ . فقال : بل بعملى ، فلما حاسبه الله بالعدل استوجب النار ، لكن الله سبحانه عامله بالرحمة التي هي أوسع من العدل فأدخله الجنة .

(١) الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامى : القسم العام . (ص٦-٧) . محمد أبو زهره .

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووى : (ج١٥ ص١٠٨) .

وقد جاءت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة كلها تصف هذه الشريعة بالرحمة، وتصف رسول الله ﷺ بها، وتصف المسلمين بالتراحم بينهم وتأميرهم به، يقول جل ذكره في معرض وصفه لرسول الله ﷺ: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾. (الأحزاب: ٤٣). وعن المؤمنين: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾. (الفتح: ٢٩). وكان رسول الله ﷺ ينهى عن قتل المرأة الكافرة، والطفل والشيخ الكبير والمنقطعين للعبادة من الرهبان وغيرهم، مالم يشتركوا في الحرب، وفي الحديث: «من لا يرحم لا يرحم». والآيات والأحاديث والوقائع في هذه كثيرة لا تنحصر.

#### الرابعة : اليسر :

من مزايا التشريع الإسلامي الاتجاه إلى التيسير على الناس وعدم إيقاعهم في الحرج والضيق والمشقة وهذا واضح من الآيات والأحاديث الكثيرة يقول جل ذكره: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾. (البقرة: ١٨٥). ويقول سبحانه: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾. (النساء: ٢٨).

ويقول عز وجل: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾. (الحج: ٧٨). وفي الحديث: «يسروا ولا تعسروا»<sup>(١)</sup>. وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين الا أخذ ايسرهما مالم يكن اثماً»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث الأعرابي الذي بال في المسجد قال لهم عليه الصلاة والسلام: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين». أخرجه البخاري عن أبي هريرة.

وهذا واضح في العبادات من صلاة وصوم وحج، وكذلك في المعاملات فإنها مبنية على التيسير على الناس وعدم إيقاعهم في المشقة والحرج، أما فيما يتصل بحقوق الناس إن كانت في الأموال أو الدماء أو الأعراض، فهذه ينبغى أن يمكن صاحب الحق من حقه، ولكن برفق كما قال جل ذكره: ﴿فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾. (البقرة: ١٧٨). لذلك فإن أى نظام يسن ينبغى أن يراعى فيه التيسير والرفق بمن وضع لهم والرحمة بهم.

#### الخامسة : الحكمة :

تعرف الحكمة بأنها وضع الشيء في موضعه المناسب، وعرفها العلامة محمد الأمين

(١) الحديث متفق عليه . انظر رياض الصالحين للنووي بتحقيق الألباني : (ص٧٥).

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر رياض الصالحين للنووي بتحقيق الألباني : (ص٧٦).

الشنقيطى - رحمه الله - بقوله : والحكمة فى الاصطلاح هى وضع الأمور فى مواضعها وإيقاعها فى مواقعها (١) .

وتلاحظ الحكمة فى التشريع الإسلامى فى عدة مواضع ، فمنها فيما يختص بالإرث وتقسيمه بنسب معينة ، نلاحظ أنها فى منتهى الحكمة ، فعندما نقارن بين أنصبة البنين وبنات والأخوة والأخوات والأبوين والزوجين ، نجدها تتناسب مع مسؤولياتهم ومع واجباتهم وصلتهم بالميت ، وعندما نلاحظ العقوبات وتفاوتها من حد إلى حد ومن جناية إلى جناية نجد التناسب التام والانسجام الدقيق بين العقوبة والجريمة ، وكذلك نجد الحكمة فى تفاوت أنصبة الزكاة ومقاديرها من مال إلى مال ، كذلك العبادات فأحكامها فى غاية الحكمة ، وهذا شأن التشريع الإسلامى وصفته المميّزة له الحكمة ، فهو من لدن عليم حكيم ، وقد تكلم ابن القيم - رحمه الله - فى كتابه المشهور أعلام الموقعين ، عن هذا الموضوع بالتفصيل ، وأورد كثيراً من الشبه وردّها ، وبين الحكمة فى تفاوت العقوبات من ذنب إلى ذنب ومن جناية إلى أخرى ، كما بين الحكمة فيما شرع من التماثل بين الجناية والجزاء ، والحكمة فيما لم يشرع فيه التماثل ، كما تطرق إلى كثير من الأحكام وبين وجه الحكمة فى الاختلاف والاتفاق فى كثير من صورها وفروعها ، وذلك فى حديثه عن القياس وهو كلام جيد نفيس (٢) .

#### السادسة : الخلود والديمومة :

كما المحت آنفاً أن هذا التشريع يمتاز بأنه خالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لا يتطرق إليه التعديل أو التبديل ، لذلك فإننا نلاحظ هذه الشريعة مرنة فى أحكامها ، ولكنها راسخة الأصول ، أو كما وصفها أحد الكتاب شجرة ثابتة الأصول متحركة الفروع ، وبما يدل على خلود الشريعة وديمومتها واستمرارها وشمولها قوله تعالى : ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ . (الصف : ٩) . فهذا نص مطلق غير مقيد بزمن وكذلك قوله جل ذكره : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ . (الحجر : ٩) . وفى الحديث : « ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورّة لا يضرهم من خذلهم ﴾ . رواه مسلم .

(١) منهج التشريع الإسلامى وحكمته .

(٢) انظر أعلام الموقعين : (الجزء الثانى من أوله إلى ص ١٨٧) .

### السابعة : العناية بالدنيا والآخرة :

إن من المميزات الرئيسية للتشريع الإسلامى بصفة عامة، انه شامل للدنيا والآخرة، علاج للظاهر والباطن، فهو لا يكتفى بعلاج الظاهر دون الباطن، ولا يكتفى بالحديث عن الدنيا دون الحديث عن الآخرة .

ولذلك فإن النظم الإسلامية كلها يجب أن تكون مبنية على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر وبالبعث بعد الموت والمجازاة بالعمل إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرراً، ولاشك أن النظم التي تركز على هذه القواعد العظيمة، وتعتبر مستمدة من المنهج الالهى، لاشك أنه سوف يكون لها قدسية في نفوس الناس وأثر كبير وهيبة عظيمة، وإن المسلم الذى يعتقد أنه ان افلت في الدنيا من قبضة الحاكم فلن يفلت في الآخرة من قبضة الله سبحانه وأنه له بالمرصاد، وأن اعماله وحركاته وسائر تصرفاته مرصودة وأن أنفاسه محسوبة معدودة .

لاشك أن مثل هذا الاعتقاد وهذا التصور له دور كبير في تهذيب النفوس وصقلها وردعها عن الشرور وزجرها عن الجريمة، ولذلك نلاحظ أن النصوص الإسلامية لم ترد مجرد أوامر جافة، بل نجدها تخاطب في الإنسان قلبه ولبه وضميره وأحاسيسه، وتحرك كوامن الإيمان فيه وتوقظ ضميره، إن كنتم مؤمنين، لعلكم تتقون، لعلكم تذكرون، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر... الخ .

فمثل هذا الخطاب يحرك جذوة الإيمان في نفس المسلم، فيكون أدعى للاستجابة وأقرب للالتزام والانضباط .

وهذا بخلاف القوانين الوضعية التي لا تركز على دعائم من الإيمان في جوهرها، ولا تراعى احساس الإنسان ومشاعره في اسلوبها، فهي مجرد أوامر ونواه جافة، تكتفى بعلاج الظاهر والحديث عن الدنيا على ضعف في العلاج وقصور في الحديث وركاكة في الاسلوب .

### الثامنة : العصمة والصدق :

يعتبر هذا التشريع معصوماً عن الخطأ، معصوماً عن التحريف والتبديل والتغيير، كما يعتبر مصيماً في أحكامه لأنه من عند الله، صادقاً في أخباره ووعدته ووعيده . يقول جل ذكره في حق الرسول ﷺ : ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ . (الحاقة : ٤٤-٤٧) . ويقول سبحانه حكاية عن

المشركين : ﴿ آيت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن ابدله من تلقاء نفسى إن اتبع إلا ما يوحى إلى ﴾ . (يونس : ١٥) .

ويقول الشاطبى - رحمه الله - فى كتابه الموافقات : إن هذه الشريعة معصومة كما أن صاحبها ﷺ معصوم ، وكما كانت أمتة فيما اجتمعت عليه معصومة ثم أورد دليلين :  
أحدهما :

من القرآن فاستدل بقوله سبحانه : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ . وقوله : ﴿ كتاب احكمت آياته ﴾ .

والثانى :

دليل الاعتبار الوجودى الواقع من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن (١) .  
وكما يعتبر معصوما فإنه يعتبر صادقا مصيبا يقول جل ذكره : ﴿ ومن أصدق من الله - حديثا ﴾ . (سورة النساء : ٨٧) . ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ . (النساء : ١٢٢) . ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ . (الأسراء : ٩) . ويقول جل ذكره متحدثا عن القرآن : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ . (النساء : ٨٢) . وفى الحديث : « إن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدى هدى محمد » .  
والتشريع الذى يتميز بالعصمة والصدق والاتقان وعدم التفاوت والاختلاف ، لاشك أنه التشريع الواجب الاتباع .

التاسعة : السلطة التشريعية فى التشريع الإسلامى : جعلها الله فى أهل الذكر من العلماء ، وهم المجتهدون الذين يكلفهم الشارع استنباط الأحكام للوقائع من النصوص أو الامارات ، على وفق نظم الإسلام وقواعده من غير جور ولا تحيف ، بخلاف السلطة التشريعية فى القوانين ، فانها تتولاها هيئة معينة يحددها دستور الدولة ، وقد يكون الخطأ أقرب إليها من الصواب (٢) .

هذه بعض المزايا التى وقفت عليها أو وفقت إليها ، وقد يكون فيها شىء من التداخل أو الازدواج وقد يكون بعضها مستلزما للبعض الآخر ، ولكن زيادة فى الايضاح وحرصا على التبليغ أفردتها فى فقرات ليسهل استيعابها والرجوع إليها .

(١) الموافقات : (ج ٢ ص ٤٠) .

(٢) مدخل الفقه الإسلامى : محمد سلام مذكور : (ص ٢٣) .

وبهذه المناسبة فقد لاحظت أن بعض الكتاب في حديثهم عن مزايا التشريع الإسلامي ، يتكلمون عن مزايا التشريع الجنائي ، فبعض الباحثين يرى أن التشريع الجنائي الإسلامي له خصائص معينة تميزه عن أقسام التشريع الأخرى فمن ذلك فيما يرى هؤلاء :

أولاً : التدرج :

يقول الاستاذ أحمد فتحى بهنسى فى كتابه السياسة الجنائية فى الشريعة الإسلامية : أن سياسة التجريم التى ينفجها أى مشرع وضعى تأتى تدريجياً ، وخاصة إذا كانت الأفعال التى يخضعها للتجريم مباحة فى الأصل .

وهذه السياسة هى التى سبقت بها الشريعة الإسلامية منذ القدم ، ونذكر أمثلة التجريم التى يظهر فيها هذا التدرج التشريعى فى الشريعة الإسلامية . ثم أورد بعض الأمثلة منها حد الزنا (١) .

والزنا باعتباره جريمة حرم دفعة واحدة ، ولم يتدرج فيه ولكن التدرج حصل فى العقوبة فقد كانت الحبس والأيذاء ، ثم صارت الجلد والتغريب أو الرجم .

ثم ذكر حد شرب الخمر (٢) . وفعلاً فقد حصل - التدرج فى تحريمها بوضوح حيث أن المجتمع فى ذلك الوقت قد ابتلى بعادة الشرب وارتكس فيها .

ولكن ينبغى أن يلاحظ أن هذه المحرمات التى حرمت بالتدرج ، أو فرضت عقوباتها بالتدرج ، أن هذا أمراً خاصاً بها ، وفى ذلك الوقت خاصة . فانه بعد تحريمها بصفة نهائية لا يجوز التدرج فى تحريمها ، فى حق المجتمع الأخر ولا يقاس عليها غيرها من الجرائم ، ولو توافرت فى هذا المجتمع مثل هذه الظروف .

والحكمة فى التدرج والله أعلم هو أن المجتمع الإسلامى فى أول أمره كان ضعيفاً قليل العدد ، ولم تكن له القاعدة الشعبية التى تحميه وتؤازره ، فى حالة الرفض وعدم الاستجابة من قبل الآخرين ، فلما قوى المجتمع الإسلامى وازداد عدد المسلمين لم تكن هناك حاجة للتدرج ، يدل لذلك أنه فى عهد رسول الله ﷺ وفى آخر أيام حياته وكذلك فى عهد الخلفاء الراشدين لما فتحوا بلاد الكفار من النصارى والمجوس وغيرهم لم يتدرجوا معهم فى التجريم والعقوبة ، مع أن هذه المجتمعات كانت قد ابتليت بالزنا والربا وشرب الخمر ، ومع

(١) السياسة الجنائية فى الشريعة الإسلامية : (ص ١٠) .

(٢) السياسة الجنائية فى الشريعة الإسلامية : (ص ١٠) .

ذلك فقد ابلغوا بالإسلام كاملا، وطولبوا بالالتزام به جملة واحدة، ويدل لذلك موقف الرسول ﷺ مع بعض الوفود، كوفد عبد القيس، ووفود اليمن وثقيف، فانهم عندما أسلموا استأذن بعضهم رسول الله ﷺ في شرب الخمر لأنهم يحتاجون إليها للتدفئة فلم يأذن لهم رسول الله ﷺ وعندما قال أحدهم: إن الناس ليسوا بتاركى هذا الشراب أمره رسول الله ﷺ بمقاتلتهم، ومنهم من استأذن في الزنا أو في ترك الصلاة فكلهم لم يأذن لهم رسول الله ﷺ بذلك، نأو أن هناك تدرجاً لاستجاب لهم رسول الله ﷺ ولتدرج معهم .

ولكن لا مانع أن تستخدم سياسة التدرج في التجريم والعقوبة في الجرائم التعزيرية، فعندما يتلى الناس بعبادة سيئة، أو ينتشر بينهم خلق دميم، فلا مانع من التدرج في تحريم ذلك بتتبع مصادره أولاً، وإيجاد البديل عنه، ثم تحريمه ثانياً، والمعاقبة على فعله بالعقوبة المناسبة .

ثانياً : عدم رجعية التشريع الجنائي على الماضي :

وينبنى على هذا التدرج التشريعي أن المذنب لا يعاقب إلا بمقتضى النص الذى يكون سارياً وقت ارتكابه جريمته، أى أن النص لا ينسحب على ما مضى من الوقائع، ثم أورد بعض الأدلة من القرآن .

ثالثاً : الاقتصار على الكليات دون الجزئيات والعموميات دون الخصوصيات : ثم تكلم عن النسخ . والواقع أن ما اشير إليه من هذه الأمور على أنها خصائص التشريع الجنائي لا يبدوا ذلك واضحاً، بل الذى يظهر ان هذه الأمور ليست خاصة بالتشريع الجنائي دون غيره من أقسام التشريع الإسلامى، إن كانت فى العبادات، أو الشؤون المالية أو الاسرية أو شؤون الحرب .

فكثير من التشريعات نلاحظ فيها التدرج كالزكاة والصلاة والصيام والجهاد، فليس التدرج مقتصرًا على التجريم والعقوبة، بل نستطيع أن نقول أن التدرج يعتبر صفة عامة للتشريع الإسلامى .

كذلك عدم رجعية التشريع الجنائي على الماضي ليست مقتصرة على الجنائيات بل هى صفة عامة للتشريع الإسلامى بجميع أقسامه، والآية التى يستدلون بها وهى قوله تعالى : ﴿ قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾ . (الأنفال : ٣٨) . وردت عامة مطلقه فى كل شىء من الجنائيات وغيرها .

أما الاقتصار على الكليات دون الجزئيات والعموميات دون الخصوصيات ، والنسخ فهذه المسائل من الوضوح بحيث لا يحتاج الأمر إلى الكتابة عنها ، فهذه من المسائل الخاصة بكثير من الأحكام كالمعاملات ، والشئون الاقتصادية ونظام الحكم ، وليست مقتصرة على قسم دون آخر ، وليس من المناسب الإشارة إليها في معرض الحديث عن خصائص التشريع الجنائي لأنها عامة تشمل كثيراً من الأحكام كما ذكرت .

ومن هذا يتضح لنا أن التشريع الجنائي الإسلامي ليست له خصائص تميزه عن بقية أقسام التشريع ، هذا إذا نظرنا إلى التشريع الجنائي بمفهومه العام الذي يدخل فيه الاعتداء على حقوق الله سبحانه وحقوق الناس والاعتداء على الاموال والاعراض والأبدان .

إنما نلاحظ في التشريع الجنائي الخصائص المشار إليها في التشريع الإسلامي بصفة عامة من عدالة وحكمة ورحمة ويسر وغير ذلك من المزايا التي اشرنا إليها .

**وجوب تطبيق التشريع الإسلامي والالتزام به وتنفيذه :**

إن التشريع الإسلامي على اختلاف أقسامه إن كان جنائياً أو مالياً أو في العبادات أو في الحرب وشئونها ، يعتبر روح الأمة الإسلامية ، فبدون هذا التشريع لا يعتبر للأمة الإسلامية كيان ولا وجود ، إلا وجوداً شكلياً وكياناً صورياً ، أى كالجسد الميت الذى لا روح فيه ولا حياة .

وما لم ينفذ المسلمون حكماً ومحكومين التشريع الإسلامي في كل مجالات الحياة ، فإنه في هذه الحالة لا يعتبر لهم وجود شرعى ، ولا كيان حقيقى ، فالمسلمون ملزمون بتطبيق الشريعة الإسلامية خاصة ولاية الأمر ، يقول جل ذكره : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ . (الجنائىة : ١٨) . فاتباع الشريعة واجب في كل ما جاءت به من كليات أو جزئيات وأصول أو فروع ، والحكم بما أنزل الله واجب لا بد منه في حق الحكام والمحكومين : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ . (المائدة : ٤٤) . ﴿ وأولئك هم الظالمون ﴾ . (المائدة : ٤٥) . ﴿ وأولئك هم الفاسقون ﴾ . (المائدة : ٤٧) . ويقول سبحانه : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (النساء : ٦٥) . ويقول عليه الصلاة والسلام : « والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » . وفى الحديث : « وما لم يحكم أمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم » .



إن هذه المسألة من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى زيادة تفصيل، يدركها كل مسلم يتلو كتاب الله ويتدبره، ويقرأ أحاديث رسول الله ﷺ ويفقهها .

وينبغي أن نلاحظ أنه لا بد من تطبيق الشريعة عامة بكل أحكامها، وإلا فلا يعتبر المجتمع ملتزماً بشريعة الله ولا مطبقاً لها، يقول جل ذكره: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ . (البقرة: ٨٥) .

ويقول سبحانه: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ . (النساء: ١٥٠-١٥١) . فلا شك أن الذي يطبق الإسلام في جانب ويحول بينه وبين التطبيق في جانب آخر، لا شك أن هذه الآيات تنطبق عليه وهو على خطر عظيم من الكفر والنفاق . والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

## نعيم الإيمان

إن اللذة والفرحة والسرور وطيب الوقت والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه إنما هو في معرفة الله سبحانه وتعالى، وتوحيده، والإيمان به وانفتاح الحقائق الإيمانية والمعارف القرآنية . . .  
وقد قال بعضهم :

لتمر على القلب أوقات يرقص فيها طرباً، وليس في الدنيا ما يشبه نعيم  
الآخرة إلا نعيم الإيمان والمعرفة . . .

(شيخ الإسلام: ابن تيمية)

مَنْهَجُ السَّلَفِ فِي الْعَقِيدَةِ وَآثَرُهُ فِي :

# وَحْدَةِ الْمُسْلِمِينَ

الرَّكْنُ صَبَّاحُ السُّعُودِ السَّحِيمِي  
أَسَازَسَاعِدُ بَطَلِيَّةِ الشَّرِيعَةِ

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد

فهذا جهد متواضع أساهم به لبيان المنهج الذي كان عليه السلف الصالح في العقيدة ومدى مخالفة الناس لذلك المنهج مما فرق كلمة المسلمين وأضعف وحدتهم .

وجعلت عنوان البحث : منهج السلف في العقيدة وآثره في وحدة المسلمين وقد حملني على ذلك إهمال كثير من الباحثين لهذا الجانب ، أعنى جانب العقيدة ، والذي هو العامل الأول والركيزة الأساسية التي يبنى عليها كيان المجتمع الإسلامي ، وتنضوي تحت لوائها صفوف المسلمين . منها يستلهمون طريق وحدتهم ، وعلى ضوئها يشقون طريقهم إلى أعلى قمم المجد والعلو ، وبهداها ومبادئها القيمة يفتحون القلوب قبل أن يفتحوا الأمصار والأقطار ، ولقد كثرت المؤلفات والخطب والمحاضرات والمواظع والندوات التي تنادي بوحدة المسلمين وجمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم بالأساليب المتعددة ، وطرح الحلول الكثيرة ، لكن هذه الأساليب والحلول ، ناقصة وغير تامة نظراً لاهتمامها بالجوانب الفرعية فقط . فنجد ان جماعة ممن يهتمون بعوامل التضامن الإسلامي يركزون جل اهتمامهم على الجانب السياسي . ونجد جماعة أخرى تركز على الجانب الأخلاقي ، ونجد جماعة ثالثة تركز على جوانب الترغيب والترهيب والزهد والورع . وقل أن تجد بين هؤلاء من يهتم بالجانب الأساسي والركن العظيم ، والذي هو الحصن الحصين ، والمنطلق المتين لجمع كلمة

المسلمين ، الا وهو عقيدة التوحيد الذى جمعنا الله به بعد الفرقة ، وألف بين قلوبنا بعد التمزق ، حتى أصبحنا به أمة واحدة ذات هدف واحد ومنطلق واحد ، وعقيدة واحدة ، هى مصدر عزتنا ، وعنوان سعادتنا ، ومناط وجودنا فى هذه الحياة . إنها عبادة الله الذى لا إله غيره ، ولا رب سواه إنه الهدف الأسمى ، والمقصد الأعلى الذى خلقنا الله له ، وأوجدنا من أجله ، كما قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ فاعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ .

إذا تأملنا هذه الآيات الكريمة وما جاء فى معناها ، وما أكثره فى كتاب الله ، وجدنا أن أساس كل عمل فى الإسلام إنما ينطلق من العقيدة ، ويرتكز عليها ، كما يرتكز البناء على أركانه .

والبيت لا يبنى إلا له عمداً ولا عماد إذا لم ترس أوتاد  
إذا عرفنا ذلك فإن أية دعوة إلى التضامن الإسلامى ، إذا لم ينطلق أصحابها من هذا المبدأ الأساسى ، ولم تؤسس على هذا البناء الراسخ ، ولم تقم على تحقيق التوحيد ، وتحليصه من شوائب الشرك ، والبدع ، والمعاصى ، فإنها دعوة سيكتب لها الفشل لا محالة . عاجلاً أم آجلاً لأن البناء ، لا يقوم فى الهواء ولا يمكن تشييده إلا على أرض صلبة حتى لا يتعرض للانهار يوماً من الأيام .

قال تعالى : ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ .

وحينما نقول إن مبنى التضامن الإسلامى على عقيدة التوحيد وعندما ندعوا إلى وجوب الانطلاق من هذا المبدأ ، فإن ذلك لا يعنى إهمال الجوانب الأخرى التى أشرنا إليها أو إلى بعضها فى ما مضى ، وإنما نعنى وجوب التأسيس وذلك بأن نبدأ أعمالنا كلها من هذا المنطلق .

فعلى ضوئه تكون السياسة ، وعلى منهجه تبنى الآداب ، والأخلاق ، وفى حدوده ندعوا إلى الترغيب ، والترهيب ، وعلى مبادئه يوجد بإذن الله المجتمع الإسلامى الصالح المنشود ، وتوجد السعادة البشرية فى الدنيا والآخرة ، ويعود الناس إلى دين الله أفواجا

فينعمون بالخير ، والأمن ، والطمأنينة وفق هدى العقيدة الخالصة الوارفة الظلال ، فيتخلصون بذلك من أدران الوثنية ، وأوضار الجهل ، وحينئذ تصفوقلوبهم ، وتخلص لله وتخلع ربقة الشرك الذى ران عليها سنين طويلة ، والذى هو أعظم ذنب عصى به الله عز وجل ، منذ أن انحرف الناس عن الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها حتى وقعوا فيها ووقعوا فيه من الإفراط والتفريط والغلو والتقصير ، فلقد كان الإنسان فى أول خلقه على المنهج الربانى الصحيح ، عقيدة وسلوكاً ، وأخلاقاً ، وعبادة ، ومعاملة ، حقبة من الزمن .

يذكر علماء التاريخ ، والسير بأنها تقدر بعشرة قرون ، إلى أن بدأ الانحراف فى العقيدة ، فى أولئك القوم الذين بعث الله فيهم نوحاً عليه الصلاة والسلام ، بعد أن زين لهم الشيطان عبادة الأصنام ، والأوثان ، بسبب الغلو فى الصالحين . فقد روى البخارى رحمه الله فى صحيحه عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ وقالوا لا تدرن آهتكم ولا تدرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ . قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح . فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبت . فانظر كيف بدأ الانحراف عن الصراط السوى نتيجة للغلو ، بطريق التدريج ، وذلك أنهم كانوا يتبركون بدعائهم ، وكلما مات منهم أحد مثلوا صورته وتمسحوا بها زمناً طويلاً إلى أن عبدوها باستدراج الشيطان لهم . ثم صارت سنة فى الناس يهرم عليها الكبير ، ويشب عليها الصغير إلى أن بعث الله فيهم نوحاً عليه الصلاة والسلام فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى توحيد الله ونبذ عبادة ما سواه فأصروا واستكبروا واستكباراً ، ولم يؤمن منهم إلا النزر اليسير .

وما كان عليه حال قوم نوح هى نفس الحال التى ارتكس فيها الناس بعد ذلك من الغلو ، ومجازة الحد ، واتباع الهوى الذى أدى بالناس إلى عبادة غير الله سبحانه وتعالى . وأخطر هذه الأسباب هو الغلو الذى حذر الله منه فى غير ما آية .

والغلو هو مجاوزة الحد فى مدح الشئ أو ذمه ، وضابطه تعدى ما أمر الله به وهو الطغيان الذى نهى الله عنه فى قوله تعالى : ﴿ ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ﴾ . وكذا قال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ﴾ . أى لا تتعدوا ما حد الله لكم .

وأهل الكتاب هنا ، هم اليهود ، والنصارى ، فنهاهم عن الغلو فى الدين ، ونحن كذلك ، كما قال تعالى : ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ﴾ .

والغلو كثير فى النصارى فإنهم غلوا فى عيسى عليه الصلاة والسلام ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله ، يعبدونه كما يعبدون الله ، بل غلوفيمن زعم انه على دينه من اتباعه ، فادعوا لهم العصمة ، واتبعوه فى كل ما قالوه سواء كان حقاً أم باطلاً ، ناقضتهم اليهود فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام ، فخطوا من منزلته حتى جعلوه ولد بغى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى ، وغلا فى الدين بافراط أو تفريط ، وضاهاهم فى ذلك ، فقد شابههم ، كالخوارج المارقين من الإسلام لذين خرجوا فى خلافة علي بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقاتلوهم حين خرجوا على المسلمين بأمر النبى ﷺ ، كما ثبت ذلك من عشرة أوجه فى الصحاح ، والمسائيد وغير ذلك ، وكذلك من غلا فى دينه من الرافضة والقدرية والجهمية ، والمعتزلة . وقال أيضا : فإذا كان على عهد النبى ﷺ من انتسب إلى الإسلام وقد مرق منه مع عبادته العظيمة ، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة فى هذه الأزمان ، قد يمرق أيضاً من الإسلام ، وذلك بأسباب منها الغلو الذى ذمه الله فى كتابه ، حيث قال : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ﴾ . أه

وهذا الكلام يدل دلالة واضحة على أن أعظم فتنة ابتليت بها البشرية إنما هى فتنة الغلو الذى جاء التحذير منه فى غير ما آية وحديث ، وقد تقدم من الآيات ما يوضح ذلك . أما الأحاديث فمنها ما ثبت فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى ﷺ ، قال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » . وثبت فى سنن أبى داود والترمذى ، وابن ماجه ، من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « إياكم والغلو فإن ما أهلك من كان قبلكم الغلو » .

وهذه نصوص صريحة ، وواضحة فى أن سبب الانحراف عن العقيدة الصحيحة والفتنة السليمة إنما هو ذلك الغلو ومجاوزة الحد الذى أدى بالتالى الى صرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى ، الأمر الذى من أجله بعث الله الرسل لإعادة الناس من عبادة العباد إلى

عبادة رب العباد . ذلكم هو الهدف الأسمى الذى أوجد الله من أجله الثقيلين ، الجن ، والإنس . فكل عاقل فى هذا الوجود يعرف أنه مخلوق لخالق ، ومربوب لرب أوجده بعد العدم .

لو طرح سؤال مفاده : لماذا خلقت فى هذه الحياة ؟ ولماذا فضلت على سائر الكائنات الأخرى ؟ وما هى مهمتك فى هذه الحياة ؟ . . فإن الجواب عند المؤمن حاضر بكل بساطة : إن كل صانع يعرف سر صناعته ، لماذا صنعها . . ولماذا صنعها على نحو معين دون غيره . . .

والله تعالى هو صانع الإنسان وخالقه ، ومدبر أمره فلنسأله : يارب لماذا خلقت هذا الإنسان ؟ هل خلقتة لمجرد الطعام والشراب ؟ هل خلقتة للهو واللعب ؟ هل خلقتة لمجرد أن يمشى على التراب ، ويأكل مما خرج من التراب ، ثم يعود كما كان إلى التراب ، فإذا لم يكن الأمر كذلك فما سر هذه القوى والملكات التى أودعها الله الإنسان من عقل وإرادة وروح .

لقد جاء جواب ذلك بما يشفى ، ويكفى فى الكتاب العزيز الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ، ولا من خلقه تنزيل من حكيم حميد ، حيث نص تبارك وتعالى على أنه خلق هذا الإنسان ليكون خليفة فى الأرض .

قال تعالى : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة . قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ . وهذه الخلافة معناها أن يعرف الإنسان ربه حق معرفته ، ويعبده حق عبادته .

قال تعالى : ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ، ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن ، لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً ﴾ .

ويقول الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق ، وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ .

وإذن ، فالجواب البدهى الذى تنطق به الفطرة فى هذا الكون ، أن الإنسان عبد لله خلق لذلك ، وسخر الله له ما فى السموات ، وما فى الأرض ، من أجل تحقيق الغرض .

ومن هنا يعلم كل ذى فطرة سليمة ، وعقل متجرد ، أن عبادة الإنسان ، لقوى الطبيعة ومظاهرها من فوقه ، ومن تحته كالشمس ، والقمر ، والنجوم ، والأنهار ، والأبقار ، والأشجار ، ونحوها قلب للوضع الطبيعي ، وانتكاسُ بالإنسان أى انتكاس !! والإنسان إذن ، بحكم فطرته ، ومنطق الكون ، إنما هو مربوب لله سبحانه لا لغيره ، لعبادته وحده ، لا لعبادة بشر ، ولا حجر ، ولا بقر ، ولا شجر ، ولا شمس ، ولا قمر ، وكل عبادة لغير الله إنما هي من تزيين الشيطان عدو الإنسان .

ولذا نرى أول نداء يوجهه الله لرسله هو الأمر بعبادته ، وبيان أنه لا إله غيره ، ولا رب سواه ، اقرأ مثلاً : قوله تعالى : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ .

هذه العبادة لله وحده هي العهد القديم الذى أخذه الله على بنى الإنسان ، ورسخه فى فطرهم البشرية ، وغرسه فى طبائعهم الأصيلة ، منذ خلقهم ، وصورهم ، وجعلهم فى أحسن تقويم ، وأوجد فيهم العقل الواعى ، الذى يتميزون به على سائر الكائنات ، وجعل كل ما حولهم من الآيات البيّنات دليلاً قاطعاً على وحدانيته سبحانه ، وافراده بكامل العبودية ، وأخذ العهد عليهم حيث قال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ .

ومن هنا نعلم أن كل عبادة لغير الله ، وإن ظهرت فى صورة عبادة حجر ، أو شجر ، أو مدر ، أو هوى ، إنما هو من إيجاء الشيطان ، وتزيينه ، ووسوسته بشكل مباشر أو غير مباشر ، بغض النظر عن القالب الذى ظهرت فيه تلك العبادة ، ولذا نرى أن الله تبارك وتعالى قد أخذ العهد على بنى آدم منذ أن كانوا فى صلب أبيهم آدم .

هذا العهد بين الله وعباده ، هو الذى صوره القرآن فى أروع صورة ، وبلاغة ، حين قال : ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا . ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ .

فلا عجب أن يكون المقصود الأعظم من بعثة النبيين وإرسال المرسلين ، وإنزال الكتب المقدسة ، هو تذكير الناس بهذا العهد القديم ، وإزالة ما تراكم على معدن الفطرة من غبار الغفلة أو الوثنية ، أو التقليد الأعمى .

ولا عجب أن يكون النداء الأول لكل رسول : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله

غيره » .

بهذا دعا قومه ، نوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، ولوط ، وشعيب وكل رسول بعث إلى قوم مكذبين . قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ . وقال تعالى بعد أن ذكر قصص طائفة كبيرة من الأنبياء : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ . وكما قال تعالى : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم . وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ .

وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ أى الموت . كما قال تعالى على لسان قوم : ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين ﴾ . وهو الموت . فالتكليف بالعبادة لازم له حتى يلقي ربه .

ولم تسقط عنه بسمو الروح ، ولا بالاتصال القوى بالله كما يدعي غلاة الصوفية .

وقال تعالى فى شأن عيسى بن مريم الذى رفعه قومه إلى مرتبة الألوهية ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون . ومن يستنكف عن عبادته ، ويستكبر ، فسيحشرهم إليه جميعاً . فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات ، فيوفىهم أجورهم ، ويزيدهم من فضله ، وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً ، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ، ولا نصيراً ﴾ .

ويعرض لنا القرآن مشهداً من مشاهد يوم الحشر . يسأل الله فيه المسيح عليه السلام عما نسبوه إليه ، وافتروه عليه ، فيجيب فى أدب العبودية مترثاً مما صنعوا : ﴿ وإذ قال الله : يا عيسى بن مريم : أنت قلت للناس : اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك : ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك . إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد ﴾ .

فالأديان كلها دعوة إلى عبادة الله وحده . والأنبياء جميعاً أول العابدين لله . وعبادة الله وحده هى - إذن مهمة الإنسان الأولى فى الوجود كما بينت ذلك كل الرسالات .

قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم ، وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ . فقد دلت الآية



الكرامة وما في معناها على وحدة الهدف والعقيدة التي هي محور دعوة جميع الرسل من لدن نوح عليه السلام إلى خاتمهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ ، الذي بعثه الله رحمة للعالمين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ولينقذهم من أحوال الشرك ، وأدران الوثنية ، فكان بذلك نبراساً للأمة ينير لها الطريق ، ومشعلاً يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم .

وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يترسمون تلك الخطأ النبوية ، ويستلهمون سر وحدتهم من صفاء العقيدة الخالصة التي لم تشبها شائبة ، فأصبحوا بذلك سادة الدنيا ، وفتح الله لهم أبواب الخير من كل مكان ورفعوا راية التوحيد في مشارق الأرض ومغاربها . وكل عاقل يدرك ان هذا النصر المؤزر الذي حققه الله على أيديهم لم يكن وليد الصدفة ، ولم يكن بسبب العدد والعدة ، وإنما تحقق ذلك ، بسبب اعتمادهم على الله ، والتوكل عليه مع الأخذ بالأسباب المشروعة ، وبدئهم بالأهم قبل المهم ، وانطلاقهم في دعوتهم من تحقيق كلمتي التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، لأن ذلك هو الأساس الذي أمروا أن يبدأوا به ، قال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

ومن السنة ما ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس قال : « لما بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن قال : انك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ان لا إله إلا الله . . . . الحديث » .

ومما يدل على أهمية العقيدة ، وكونها أساس كل عمل ، تكفيرها للذنوب والكبائر ، إذا صدرت عن إخلاص وقوة إيمان ، يدل لذلك ما رواه الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص من حديث صاحب البطاقة حيث ينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ، ثم يؤتى ببطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ، فتوضع السجلات في كفه ، والبطاقة في كفه فتطيش السجلات ، وتثقل البطاقة .

وإذا فتوحيد الله تعالى ، هو رأس الأمر كله ، والجسد لا يستقيم بلا رأس ، كما قال ﷺ رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله .

وهذه نصوص صريحة دالة على وجوب البدء بالدعوة إلى توحيد الله تعالى ، قبل جميع التكاليف ، لأن قبول جميع التكاليف مرهون بتحقيق ذلك ، وهذا ما سار عليه السلف الصالح في دعوتهم ، مما حقق لهم النجاح في برهة وجيزة ، أذهلت العقول ، وتحطمت أمامها عروش الكفر والطغيان .

وقد استمر الأمر على هذا الحال ثم بدأ الانحراف بعد ذلك عن هذه الجادة بسبب الانصراف عن الكتاب والسنة اللذين يجب أن نأخذ العقيدة منهما والاشتغال بالفلسفة والمنطق ، اللذين لم يستفد منهما المسلمون غير تخريب العقيدة ، والقيـل ، والقال ، والجدل الذى لا طائل تحته ولا جدوى من ورائه حتى قال قائلهم :  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

الأمر الذى حدا بكثير من الناس إلى تعطيل صفات الله عزوجل ، أو تفويضها ، أو تأويلها ، أو تمثيلها ، وكذلك الحال فى عبادة الله عزوجل حيث لم يقتصر الأمر على التقيد بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح فى ذلك ، حتى أصبح الناس فى العبادة نتيجة لجهلهم بما كان عليه السلف الصالح من صحة الاعتقاد ، أصبحوا ما بين مُفْرِطٍ ومُفْرِطٍ ، فالمفراطون أسرفوا فى دعوى المحبة حتى أخرجهم ذلك إلى نوع من الرعونة والدعاوى التى تنافى العبودية ، وثبت الربوبية أو شيئاً منها لغير الله ، ومعلوم أن الرب والمعبود هو الله وحده ، ومع ذلك يدعى هؤلاء دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين - فضلاً عن عامة الناس ، أو يطلب من غير الله ما لا يصلح بكل وجه إلا الله ، لا يصلح للأنبياء ولا للمرسلين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ ( يعنى شيوخ المتصوفة ) وسببه : ضعف تحقيق العبودية التى بينها الرسل ، وحددها الأمر والنهى ، الذى جاءوا به ، بل ضَعَفُ العقل الذى به يعرف العبد حقيقته .

وإذا ضعف العقل ، وقل العلم بالدين ، وفى النفس محبة طائشة جاهلة ، انبسطت النفس بحمقها فى ذلك ، كما ينبسط الإنسان فى محبة الإنسان مع حمقه وجهله ، ويكون سببا لبغض المحبوب له ، ونفوره منه ، بل سببا لعقوبته .

وكثير من السالكين سلكوا فى دعوى حب الله أنواعاً من أمور الجهل بالدين ، إما من تعدي حدود الله ، وإما من تضييع حقوق الله ، وإما من ادعاء الدعوى الباطلة التى لا

حقيقة لها ، كقول بعضهم : « أئُّ مرید لی ترک فی النار أأنا بریء منه ، وقال الآخر :  
أئ مرید لی ترک أأنا من المؤمنین یدخل النار فأنا منه بریء » .

فالأول : جعل مریده ینخرج کل من فی النار .

والثانی : جعل مریده یمنع أهل الكبائر من دخول النار .

ویقول بعضهم : إذا كان یوم القیامة نصبت خیمتی علی جهنم ، حتی لا یدخلها  
أحد ، وأمثال ذلك من الأقوال التي تؤثر عن بعض المشایخ المشهورین - وهی إما كذب  
علیهم ، وإما غلط منهم . أه .

وإذا كانت هذه المقالات الإلحادیة قد وجدت فی عهد شیخ الإسلام ابن تیمیة ،  
وقبله ، فإن فی عصرنا من الدعاوی التي تبلغ حد التألیه ، ما هو أدهی وأمر .

من ذلك قول أحد زعماء الطرق الصوفیة المعاصرین :

قد خصنی بالفضل والتشرف إن قلت كن یكن بلا تسویف

ویدعی هذا الكذاب الأشرأن رجلا نصرانیا دخل الجنة بسبب انه عاش امرأة من  
اتباع ذلك الشيخ ، معاشرة غیر شرعیة مع ان المرأة التي عاشها كما یقول لیست ملتزمة  
بالطریقة ، ولكنه دخل الجنة ببركة شیخ الطریقة التي تنتمی إليها هذه المرأة ، ویقول أحد  
الأفاكین من هؤلاء إن من ضرورات مذهبهم أن لأئمتهم درجة لا یبلغها ملك مقرب ، ولا  
نبي مرسل إلى غیر ذلك من المقالات الكفریة والالحادیة ، القديمة والحديثة ، والتي لا  
تكاد تعد ولا تحصى .

تُرى ماذا ترك هؤلاء الملاحدة لله من العبودیة ، إذا ادعوا بلوغ مثل هذه المراتب ،  
وإذا سئلوا عن تفسیر هذه التراہات ، ادعوا انهم كانوا فی حالة سكر یحب الإله .

قال الشاعر فی التهكم بهم ووصف أحوالهم التي یزعمون أنها عبادة :

ألا قل لهم قول عبد نص	وح حق النصیحة أن تستمع
متی علم الناس فی دیننا	بأن الغناسنة تتبع ؟
وان یأكل المرء أكل الحمار	ویرقص فی الجمع حتی یقع
وقالوا سكرنا بحب الإله	وما أسكر القوم إلا القصع
كذاك البهائم إن أشبعت	یرقصها ربها والشبع
ویسكره النای ثم الغنا	ویس لو تلیت ما انصدع

ألا منكر منكمو للبدع  
وتكرم عن مثل ذاك البيع

فيا للعقول ويا للنهى  
تهان مساجدنا بالسماح

وقال آخر :

لكنه إطراق ساهٍ لاهي  
والله ما رقصوا لأجل الله  
فمتى رأيت عبادة بملاهي  
تقييده بأوامر ونواهي  
زجراً وتخويفاً بفعل مناهي  
شهواتها، ياذبحها المتناهي  
فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه  
أسبابه، عند الجهول الساهي؟  
خمر العقول مماثل ومضاهي  
وانظر الى النسوان عند ملاهي  
من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي  
تحريم والتأثيم عند الله؟

تلى الكتاب فأطرقوا، لاختيفةً  
وأتى الغناء، فكالحمير تناهقوا  
دفً ومزمار، ونغمةً شادن  
ثقلَ الكتاب عليهم لما رأوا  
سمعوا له رعداً وبرقاً، إذ حوى  
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن  
وأتى السماع موافقاً أغراضها  
أين المساعد للهوى من قاطع  
إن لم يكن خمر الجسم فإنه  
فانظر إلى النسوان عند شرابه  
وانظر الى تمزيق ذا أثوابه  
واحكم فأى الخمرتين أحق بالـ

وما وصفه الشاعر من أحوال هؤلاء الناس يعطى صورة حقيقية عن مدى الانحراف  
الذى وقعوا فيه حيث بلغ بهم الحال الى اعتبار الرقص والغناء عبادة تقربهم إلى الله بدعوى  
ان تلك الرقصات والأنغام الصوفية إنما هي نابعة من قلب مفعم بالمحبة ، فجعلوا محبتهم  
للخالق مشابهة لمحبة المخلوق للمخلوق من وجود العتاب ، والعدل واللوم والغرام ، ونحو  
ذلك مما يجب ان ينزه الله عنه . لأنه لا يليق بجلال الله وعظمته .

ولكن الدليل والبرهان على محبة القلب لله وخضوعه له إنما يتجسد في اتباع رسوله  
ﷺ ، قال تعالى : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ . فلا يكون محبا لله إلا  
من اتبع رسوله .

وطاعة الرسول ، ومتابعته لا تكون إلا بتحقيق العبودية .

وكثير ممن يدعى المحبة يخرج عن شريعته وسنته ﷺ ويدعى من الحالات ما لا يتسع  
هذا الموضوع لذكره ، حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر . وتحليل الحرام له ، وغير ذلك مما  
فيه مخالفة لشريعة الرسول وسنته وطاعته .

بل قد جعل الله أساس محبته ومحبة رسوله ، الجهاد في سبيله . والجهاد يتضمن كمال محبة ما أمر الله به . وكمال بغض ما نهى الله عنه . ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه : ﴿ أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ﴾ . ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم . وأكمل هذه الأمة في ذلك هم أصحاب محمد ﷺ ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل .

« هذا صنف » .

والصنف الثاني وهم المُفَرِّطُونَ الذين غلطوا في فهم حقيقة العبادة وهم الذين ظنوا ان المحبة تنافي أدب العبودية ، ولا تصاحب خشية الله ومخافته التي يجب ان يتصف بها كل عبد لله . كما ظن ان المحبة لا تتحقق من المخلوق للخالق ، إنما المطلوب منه الطاعة والخضوع فقط .

ولذا نجد بعضهم يقول اللهم إنى أعبدك لا طمعاً في ثوابك ولا خوفاً من عقابك ، فانظروا أختي المسلم ، كيف فصلوا بين العبادة وبين الخوف والخشية ، والمحبة ، والرجاء .

والحقيقة أن المحبة لا تنافي الخشية ، والمخافة بل الخوف لازم للمحبة ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، إذ ليس عند القلب السليم أحلى ، ولا ألد ، ولا أطيب ، ولا أسرو ولا أنعم من حلاوة الإيثار المتضمن عبوديته لله ، ومحبته له ، وإخلاص الدين له .

وذلك يقتضى انجذاب القلب إلى الله ، فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه ، راغباً راهباً ، كما قال تعالى : ﴿ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ . إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه أو عدم حصول مرغوبه ، فلا يكون عبداً لله ، ومحبه ، إلا بين خوف ورجاء . كما قال تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ .

فقد دلت الآية الكريمة على أن كل عبد مخلص لله لا بد أن يكون مع عبادته بين الخوف والرجاء ، وقد نص العلماء رحمهم الله على أنه ينبغي للمسلم أن يُغلب جانب الخوف في الصحة حتى لا يأمن من مكر الله ، وان يُغلب جانب الرجاء في المرض حتى لا يئأس من روح الله ، والآية الكريمة نزلت في أناس من الإنس كانوا يعبدون نغراً من الجن ،

فأسلم الجن ، وبقى الإنسان على عبادتهم إياهم ، فأخبر الله تعالى ، إن هؤلاء المدعوين يطلبون القربة إلى الله ، عز وجل ، بالعمل بما يرضيه ، خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه ، وهذا ينطبق على كل من يدعو غير الله في الوقت الذي يكون المدعو أحوج ما يكون إلى عبادة الله . كما يقال « فاقد الشيء لا يعطيه » ومع ذلك نجد كثيراً ممن انتكست فطرتهم ، يعكف عند ميت في قبره ، يطلب منه قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، ويزعم انه يعلم الغيب ، ويعطى الولد ، وغير ذلك ، مما لا يقدر عليه إلا الله .

ولا نكاد نجد بلداً من بلاد الإسلام ، إلا وفيه أنماط من هذه الطقوس التي حالت بين الناس ، وبين فهم العقيدة الصحيحة . ومن هنا تبدو الحاجة ملحة إلى بيان تلك العقيدة الصافية ، الخالصة ، التي تركز على نصوص الوحيين الكتاب والسنة .

فالإنسان في كل زمان ، ومكان ، في حاجة ماسة إلى عقيدة تحدد له غايته ، وتوضح له منهجه الذي يسير عليه لتحقيق هذه الغاية ، ولكنه عندما تنتكس فطرتة ، وتطول غفلته ، وينقلب فهمه ، حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن ، عندها تتحول عقيدته إلى حجر يقده ، أو شجر يعظمه ، أو شمس تضيء نهاره ، أو قمر ينير ليله ، أو بحر تتلاطم أمواجه ، أو نار تتلظى ، أو حيوان يهابه ، أو إنسان يكبر في نفسه ، أو أى مخلوق يرى له فضلا عليه من ملك ، أو جنى ، أو نبي ، أو ولى ، ميت أو حى ، فيتعلق من ذلك كله بما هو أوهى من خيوط بيت العنكبوت .

قال تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ .

وقد يكون ذلك منه لمجرد التقليد من غير وعي ، أو تفكير : ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون . أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ .

وقد يكون الانحراف في العقيدة ، باتباع الهوى الذى ذمه الله في غير ما آية ، قال تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون . وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم أن هم إلا يظنون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ .

وفي هذا العصر الذى ادلهمت فيه الظلمات ، وانقلبت فيه الحقائق ، وتغيرت فيه المفاهيم ، يتساءل الفرد المسلم عن طريق الخلاص ، يتساءل وهو حائر بين هذه الجماعات المتصارعة ، والأحزاب المتناحرة ، والدعوات المتفرقة ذات المناهج المختلفة التى تدعى لنفسها السير على المنهج الصحيح .

وكل يدعى وصلاً ليلى ولىلى لا تقرر لهم بذلك

وهذه الدعوات لا يخلو أمرها من حالين :

أحدهما : الخطأ فى المنهج والسلوك :

كمناهج الطرق الصوفية التى ذكرنا فيما سبق بعض مقالاتهم الإلحادية التى لا تمت إلى الدين بصلة بل صرفت اتباعها عن الاعتقاد على الكتاب والسنة اللذين هما مصدر شريعة الإسلام .

والحال الثانية : الخطأ فى الفكر :

كمثل جماعات الدعوة الإسلامية المعاصرة ، التى تنطلق فى دعواتها من منطلق حزبي ضيق .

الأمر الذى بعد بهم عن منهج السلف الصالح ، إذ أن هذه الجماعات لم تؤسس بناء دعوتها على توحيد الباري جل وعلا . والعقيدة السلفية الصافية من الشوائب .

فإن من تأثر بتلك الدعوات ان كان من أهل العقيدة أصلاً لا يكون ولاؤه لها ، ولا يكون فكره متفقاً معها ، بسبب سيطرة هذه المناهج على أفكاره ، حتى ماتت العقيدة فى نفسه ، فأصبح لا يدعو لها وان كان يعتقد أنها ، لكنه بعد عنها تحت تأثير المنهج الحزبي ، لأنه يوالى ، ويعادى على ذلك الفكر الضيق ، الذى بنى على غير أسس سليمة ، فلا يكون للعقيدة مكان ولا مجال فى التطبيق العملى ، ولا تعطي ثمراتها الطيبة الياضة ، فهى لا تفيد معتقديها ، لأنها قد فقدت روحها ، فأصبحت ، بلا روح كالجدوة التى استترت وانغمرت تحت الرماد .

وخطورة هذا الأمر لا تقل خطورة عن الجهل بالعقيدة ، فإن من يعرف العقيدة ولا يدعو إليها ، هو كالجاهل بها سواء بسواء . وهو لاء إنما أصيبوا بالخرس عن الدعوة الى

العقيدة بدعوى ان ذلك يفرق الأمة ، ويمزق كيانها . لأنهم يريدون ان يجمعوا تحت لوائهم من هب ودب . لا فرق في ذلك عندهم بين ملتزم بالعقيدة الصحيحة وغيره . إذ ان الهدف الذى يقصدونه هو مجرد الجمع دون تمييز .

وهذا منهج بلا شك سينتهى بأصحابه الى الفشل الذريع ، نظراً لكونه قد بنى على غير أسس سليمة . وذلك ان أصحاب هذا المسلك أتوا من عدم الفهم ، والادراك الصحيح حيث لم يفرقوا في الدعوة ، بين الأصول ، والفروع ، فتراهم يبدؤون بالدعوة الى بعض الفروع ، ويزعمون انه متى أقيم هذا الفرع ، فإنه سوف يوجد الأصل تلقائياً ، ولذا نرى كثيراً منهم يهتمون بالجانب السياسى ، بدعوى انه متى وجدت الدولة التى ينشدونها عند ذلك تصلح العقيدة ، وغيرها ، مما فسد من أحوال المسلمين ، وهذا تصور غير صحيح ، لأن صاحب هذا التصور ذكر شيئاً ، وغابت عنه أشياء .

نعم الإسلام دين ، ودولة ، وعقيدة ، وشريعة ، ولكن يجب أن نأخذ كوحدة متكاملة بحيث ينطلق فى سياسته ، وجميع أموره من العقيدة الاسلامية المستمدة من الكتاب والسنة ، وهما كفيلاان ببيان منهج الدعوة الاسلامية . كما فصلنا ذلك فيما تقدم .

لا بمجرد الدعاية والأناشيد الحماسية واهتافات ، والشعارات الجوفاء التى لم يستفد منها المسلمون سوى القضاء على الدعوة وأهلها فى كثير من البلاد ، حيث يهيجون الشباب المسلم ، ويلهبون حماسه ، ويستثيرونه ، إلى أن يثور ، ويتحرك ، فيقع فى أيدي الطغاة الظلمة ، أعداء الإسلام ، والمسلمين ، فيقضون على هؤلاء الشباب ، ويهدرون هذه الطاقة نتيجة لذلك المسلك الخاطىء ، الذى تسلكه تلك الجماعات فى دعوتها . وإذا أردنا ، أن يتحقق للمسلمين ، ما يصبون إليه ، وما يتطلعون إليه ، من العودة بالمسلمين الى الاسلام الصحيح ، فعلينا أن نسلك بهم طريق التعليم ، والتربية ، وتفقيه الشباب المسلم فى دينه ، وتبصيرهم فى ذلك حتى تزول بإذن الله تلك الشوائب التى علقت بالدين ، ودعوته ، وتلك الرواسب التى أكل عليها الدهر ، وشرب ، والتى انحرفت بالمسلمين عن الجادة الصحيحة التى رسمها لهم الله عز وجل ، فى كتابه المبين ، وبينها رسول الهدى ﷺ فى سنته المطهرة ، ولنا أسوة حسنة فى أولئك الدعاة المصلحين الذين أسسوا دعوتهم على عقيدة الإسلام ، وبدأوا بتطهيرها من شوائب الشرك والخرافات .

الأمر الذى تحقق بسببه رفع راية التوحيد ، خفاقة فى ربوع الجزيرة العربية ، بعد ان ران عليها الجهل ، وخيم عليها الظلام ، عدة قرون . وعاد كثير من الناس الى الشرك ،



والخرافات ، فانقشع ذلك الجهل ، وتحول ذلك الظلام إلى نور ، على يد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، الذى بدأ بتعليم الناس ، العقيدة الصحيحة ، وقامت بفضل هذه العقيدة ، دولة التوحيد ، منذ أن قام الإمام محمد بن سعود رحمه الله ، مؤسس هذه الدولة المباركة بتبني ، هذه الدعوة ، فكتب الله لها بذلك النصر ، والبقاء ، وزالت مظاهر الشرك ، والوثنية فى برهة وجيزة ، وهى لم تكن لتزول ، لو لم تنطلق هذه الدعوة من روح العقيدة .

ولست مبالغاً حينما أذكر هذه الحقيقة ، فإنها حقيقة يسلم بها الأعداء ، فضلاً عن الأصدقاء ، والحق ما شهدت به الأعداء .

وخلاصة القول أنه لا صلاح لنا ، ولا فلاح ، ولا نجاح لدعوتنا ، إلا إذا بدأنا بالأهم ، قبل المهم ، وذلك بأن ننطلق فى دعوتنا من عقيدة التوحيد ، نبني عليها سياستنا ، وأحكامنا ، وأخلاقنا ، وآدابنا ، ننطلق فى كل ذلك من هدى الكتاب ، والسنة ، بلا افراط ، ولا تفريط ، ذلكم هو الصراط المستقيم ، والمنهج القويم ، الذى أمرنا الله تعالى ، بسلكه ، فقال : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمُ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ . وقال رسول الهدى ﷺ : « تركت فيكم أمرين ، لن تضلوا بعدى ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنتي » . ويقول الإمام مالك بن أنس رحمه الله : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

اللهم إنا نسألك أن ترد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً ، ونسألك أن ترينا الحق حقاً ، وترزقنا اتباعه ، والباطل باطلاً ، وترزقنا اجتنابه وأن لا تجعله ملتبساً علينا فنضل . انك ولى ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه واتباعهم باحسان الى يوم الدين .

# أثر العقيدة الإسلامية

## في رضائن ووهرة الأمة الإسلامية

الدكتور أحمد سعد الفارسي

أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله الأمين وبعد :

فإن احساس الأمة المسلمه بحاجتها إلى اللقاء . . . وإلى التعاون . . . احساس منطقي وواقعي . . . ذلك لأنها قد اضررت بها الخلافات . . . وانهكتها النزاعات . . . والتي كانت سبباً لضعفها وضياع حقوقها في عصر لم يعد يسمع فيه لصوت الضعفاء ولا لأنين الجرحى .

قال تعالى : ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ . (الانفال : ٤٦) .

فارتفاع الأصوات المسلمة من هنا وهناك تنادى بضرورة وحدة الأمة واجتماع كلمتها . أصوات صادقة ينبغي أن تتجاوب لها الأقطار الإسلامية لتنقذ نفسها وتحمي حقها .

قال تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ . (آل عمران : ١٠٣) . ولكنه لا بد للأمة المسلمة - وهي تلم شعنها وتوحد صفوفها - لا بد لها من ادراك صحيح للأسباب التي كانت وراء هذا الواقع وللأسس التي ينبغي عليها والوسائل التي يمكن ان تتحقق بها تلك الأسس . وذلك لثلاث تتنقل من واقع منحرف إلى واقع آخر منحرف .

وان المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة والدعاة . الذي ستعقدته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في شهر ربيع الأول لهذا العام ١٤٠٤ هـ والذي سيكون موضوعه «سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين» . هو استجابة موفقة لمدرسة السبل التي تؤدي إلى وحدة الأمة .

وهذا بحث موجز بعنوان «أثر العقيدة الإسلامية في تضامن المسلمين ووحدة الأمة الإسلامية» . أحببت أن أشارك به في هذا المؤتمر راجياً من الله أن ينفع به .

ويتضمن هذا البحث أربعة أقسام تحت كل قسم منها عدة قضايا شارحة له ثم ألحقت بها خاتمة موجزة بينت فيها أهم ما اشتمل عليه هذا البحث .

## أقسام البحث :

القسم الأول : واقع الأمة الإسلامية :

أولاً : فى العقيدة .

ثانياً : فى العبادة .

ثالثاً : فى الشريعة .

القسم الثانى : أسباب هذا الواقع :

أولاً : الجهل بدين الله .

ثانياً : تمزيق الاستعمار لبلدان المسلمين .

ثالثاً : الغزو الفكرى .

القسم الثالث : أسس وحدة الأمة الإسلامية :

أولاً : وحدة العقيدة .

ثانياً : وحدة الغاية .

ثالثاً : وحدة القيادة .

رابعاً : وحدة المنهج .

القسم الرابع : وسائل تحقيق أسس الوحدة :

أولاً : التعليم الموجه .

ثانياً : الإعلام الملتزم .

ثالثاً : الاقتصاد المستقل .

رابعاً : إيجاد مراكز علمية .

## الخاتمة

وأخيراً أسأل الله عز وجل أن يهئ أسباب الوحدة الصحيحة وأن يجمع كلمة الأمة على الحق إنه سميع مجيب .

القسم الأول : واقع الأمة الإسلامية :

واقع الأمة الإسلامية واقع مكشوف لا يكاد يجهله أحد . فقد تعرض لأمرض متعددة

وانحرافات متنوعة بحيث لا يكاد يسلم منه شيء . . . لا في العقيدة . . . ولا في العبادة : . . .  
ولا في الشريعة . . . وسنحاول هنا الإشارة إلى ذلك الواقع بشيء من الإيجاز :

أولاً : في العقيدة :

إن أخطر الانحرافات التي تعرضت لها الأمة المسلمة هي الانحرافات في العقيدة ولا نستطيع هنا استيعابها وتفصيلها ولكننا سنكتفى بالتنبيه على بعضها .

(١) انحرافات الحادية : هدف أصحابها استبدال المبادئ الكافرة بعقيدة الإسلام . . . وهم طوائف متعددة : منهم من يعلن عقيدته الاحادية ويظهر كفره بالله ورسوله واليوم الآخر ومنهم من يخفى ذلك وراء شعارات ظاهرها الدعوة إلى الإصلاح وباطنها الكفر والاحاد .

(٢) انحرافات طائفية : تتمثل في طوائف مستقلة - كالقاديانية والبهائية ونحوها من الطوائف التي خرجت على عقيدة الإسلام بدعوى النبوة لزعمائها ونزول الوحي عليهم وهي تستتر في كثير من البلدان باسم الإسلام وهي خارجة عليه لمخالفتها لعقيدة ختم النبوة التي هي جزء من عقيدة المسلمين .

(٣) انحرافات طائفية قديمة : لازالت قوية ونشطة في دعواتها رغم انحرافها وفساد معتقداتها ومن تلك الطوائف .

طائفتا الشيعة والصوفية :

فالأولى تقوم على عقيدة تخالف عقيدة الإسلام التي جاء بها رسول الله ﷺ ومن ذلك إسباغ صفات الألوهية على أئمتهم وادعائهم أنهم يعلمون الغيب ثم تدعى كذلك أنهم يتلقون الوحي من السماء وفي كلا الأمرين إساءة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ .

واخيراً فإنها تقع في أصحاب رسول الله ﷺ وتتهمهم بالخيانة والردة .

وهذا جميعه ينتهي إلى الغاء الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ .

فالأئمة يعلمون الغيب وإذا أراد الله عز وجل ان يحدث أمراً استشارهم - كما في أصول الكافي لهم - وهذا إساءة إلى الله .

والأئمة يوحى إليهم مع العلم أن رسول الله ﷺ قد أخبر بانقطاع الوحي . . . وهذا يصادم خبره . . .

والصحابة قد خابوا في دين الله . . . فالإسلام الذى نقلوه غير موثوق فيه . . . وبهذا  
فالإسلام غير موثوق به . . .

إذن فليعد الناس إلى المجوسية الفارسية . . . وهذا هو المطلوب للحركة الشيعية .

وأما الصوفية فقد ابتدعت تقديس الأفراد ودعوى رفع التكاليف عن بعض الناس كما  
أعادت إلى الأذهان تلك الطقوس الكنسية التى أفسدت الدين النصرانى حيث اتخذت من  
البشر وسائط عند الله بها تقضى الحاجات وتغفر الزلات إلى عشرات أخرى من  
الانحرافات .

كما أنها تدعى الاستقلال فى معرفة الشريعة إذ أن الأولياء يأخذون حاجتهم من اللوح  
المحفوظ مباشرة وهذا كلام يخرج صاحبه من الإسلام .

وقد كان التصوف من الأسباب المباشرة بظهور الشرك فى الأمة بتقديس الأموات  
وطلب حاجاتهم منهم واتخاذ قبورهم مزارات وأماكن للعبادة وزاحم تعظيم الأموات توحيد  
الله عز وجل فى القلوب . فكثرت الأضرحة وتعددت الفرق والأحزاب لكل حزب ضريح به  
يستغيثون وعنده ينيخون وإليه عند نزول الحوادث يلجأون .

انحرافات فى الجانب النظرى : «العلمى» من العقيدة وهو ما يتعلق بأسماء الله  
وصفاته وأفعاله فقد وجدت الاتجاهات المنحرفة التى تنكر لهذا الجانب أو لبعضه فأولت  
الآيات القرآنية والأحاديث المتواترة وردت الأحاديث الأخرى التى تعرف الناس برهم عز  
وجل وأنه عليم حكيم سميع بصير يقول ما يريد ويفعل ما يشاء يأمر وينهى وأنه استوى على  
عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته .

فكان من ثمرات ذلك الرد والتأويل أنها حالت بين الناس ومعرفة ربهم فأنتهى بهم  
هذا إلى الالحاد والتعويل .

وقد أتى القوم من ضلال عقولهم القاصرة وظنهم أن اثبات تلك الصفات الواردة فى  
كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ يقتضى التشبيه بالمخلوق .

وهذا إساءة إلى الله ورسوله حيث أن فى هذا الكلام اتهام لله ورسوله بالعجز عن  
البيان . . . لأنهم لم يفهموا من تلك الآيات والأحاديث إلا التشبيه . . . والله عز وجل يقول :  
﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ . وقد فروا من تشبيهه إلى تشبيهه .

فإنكار كلام الله عز وجل لثلاث يشبه الإنسان المتكلم - كما زعموا - تشبيهه لله عز وجل

بالجماد فلم يسلموا من التشبيه على مذهبهم .

ولكن الاعتقاد الصحيح اثبات ما أثبتته الله عز وجل واثبتته رسوله ﷺ على ما يليق  
بجلاله .

ثانياً : في العبادة :

لم تسلم العبادات - كذلك - من الشوائب حيث تعرضت لأنواع متعددة من  
الانحرافات والبدع نورد طرفاً منها .

(١) الغلو المفرط في أدائها والذي كان يمثله فيما سبق طائفتا الخوارج والصوفية حيث  
كان لكل منهما غلو مفرط في جانب أو جوانب من الإسلام .

فالخوارج كانوا يصومون النهار ويقومون الليل حتى أصبحت أجسادهم شاحبة نحيلة  
من طول القيام وشدة الجوع والعطش .

والصوفية بالغوا في الذكر والزهد حتى كان أحدهم يعيش على الصدقات والهبات  
ويخلو بنفسه في الزوايا المظلمة ليصل بزعمه إلى درجة اليقين فتسقط عنه التكاليف .

(٢) الإهمال المطلق للعبادات والاكتفاء بلفظ الشهادتين وهذا الانحراف كان من  
ثمرات الإرجاء الذي لا يعطى للعمل اهتماماً إذ أن الإيمان يثبت عند المرجئة بالقول فقط أو  
به وبالاعتقاد فقط .

وقد أصبح في الآونة الأخيرة ترك العبادات ظاهرة بارزة في أغلب المجتمعات  
الإسلامية ولاشك أن هذا لا يتفق مع أصول الدين .

(٣) عدم التزام كثير من المسلمين بالأداء الصحيح للعبادات فهو يؤديها بصورة ناقصة  
أو محرفة وهو لا يشعر بذلك وقد يظن أنه يؤديها بالصورة الصحيحة فكان من نتائج ذلك  
حرمانهم من لذة العبادة وثمراتها .

ثالثاً : في الشريعة :

لم تقتصر الانحرافات على الجانبين السابقين بل شملت - كذلك - الشريعة حيث  
تعرضت في الآونة الأخيرة التي تمزقت فيها الأمة وتحطمت فيها الخلافة الإسلامية - تعرضت  
إلى انحراف وفساد بل إلى حرب وعداء في كثير من البلدان الإسلامية نذكر طرفاً من  
ذلك :

(١) محاربة الشريعة واستبدال القوانين الوضعيه بها وذلك من آثار الاستعمار العسكري والفكري الذي مزق الأمة وأفسد عقليتها بحضارته وصناعته وكفره وجحوده . . . فوجد في المسلمين من يتحمس لتلك القوانين ويتبنى ذلك الكفر والضلال . هذا إلى جانب ما خلفه الاستعمار في بلدان المسلمين من أنظمة كافرة لازالت تسيطر على كثير منها إلى اليوم بعد أن كانت تحكمها الشريعة الإسلامية .

(٢) محاولة التوفيق بين الشريعة الإسلامية والأنظمة الوضعية فيؤخذ من الشريعة الإسلامية ما يتعلق بالأمور الشخصية وبعض الجوانب الأخرى ثم تكمل من القوانين الوضعية .

وهذا وإن كان أصحابه أخف من المتقدمين ولكنه كذلك طعن في الشريعة الإسلامية واعتقاد نقصها وحاجتها إلى أنظمة أخرى مشاركة .

هذا عرض مجمل لواقع المسلمين الذي قد أصيب في كل من جوانبه مما كان له أسوأ الأثر على وحدة الأمة واجتماع كلمتها . . . فقد أصيبت في عقائدها . . . وعباداتها . . . وشريعتها . . . وما لم يصحح هذا الواقع على ضوء الكتاب والسنة فلن تقوم للأمة قائمة ولن تجتمع لها كلمة . . .

القسم الثاني : أسباب هذا الواقع :

لقد كانت «نكأ أسباب متعددة وراء ذلك الواقع نذكر طرفاً منها - أو أهمها - وهي :

أولاً : جهل الأمة بدينها :

إذ لولا الجهل بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ لما وجدت تلك الضلالات طريقاً إلى المسلمين لا في عقيدتهم ولا في عبادتهم ولا في شريعتهم فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : «تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكنم بهما كتاب الله وسنة رسوله» (١) . فلولم تصاب الأمة بداء الجهل بهما لما وصلت إلى حيث ما وصلت إليه .

ونحن نلمس أصابع الغزو الاستعماري في مناهج التعليم في كثير من بلدان المسلمين والتي قد خلت أو قلصت منها المواد الدينية حتى أن المتخرج من تلك المدارس لا يكاد يحسن

(١) رواه مالك في الموطأ في القدر رقم (٣) باب النهى عن القول بالقدر . والحاكم : (١ : ٩٣) عن ابن عباس وعن أبي هريرة .

فهم دينه . . . بل لا يفهم من دينه إلا أنه مجموعة من العبادات المحدده فقط .  
وهذا الجهل هو الذى يمهد الطريق لكل وارد غريب يتسلل إلى البلدان الإسلامية .

ثانياً : تمزيق الاستعمار لبلدان المسلمين :

كانت الأمة الإسلامية أمة واحدة تستظل براية واحدة وتخضع لقيادة واحدة فكانت ذات شوكة ومنعة ثم لم تلبث أن سرت فيها أمراض فتاكه خلخلت بناءها وأفسدت أبنائها فضعفت قوتها وذلت عزتها فسهل على أعدائها القضاء عليها وتمزيقها إلى دويلات وامارات واستولت على كثير منها فترات طويلة ثم خرجت منها مخلفة وراءها آثارها الاستعمارية التى لا تزال إلى اليوم .

وقد ركز الاستعمار أثناء وجوده على إحياء القوميات الجاهلية التى كانت عليها قبل الإسلام فاستجاب لها بعض المسلمين فحملوا لواءها ودعوا إليها فكان من ثمار ذلك تعميق الاختلاف وازعاف الروابط بين أفراد الأمة .

ثالثاً : الغزو الفكرى المنظم :

هناك عدة جبهات اشتركت فى غزو البلدان الإسلامية أهمها ثلاث جبهات :

أولها : الصليبييه الحاقدة والتى قد دخلت البلاد الإسلامية مستعمرة مخربة وبقيت فيها فترة طويلة تحارب الإسلام بشتى الوسائل وتبشر بالنصرانية ثم رحلت مخلفة وراءها بقايا الفساد بعد أن ربت جيلاً يعرى ذلك الفساد وينشره ولا زالت جيوش الغزو الصليبي تعيث فى الأرض فساداً .

والجبهة الثانية : هى «اليهودية» الأثمة التى يتمثل دورها فى تصنيع المذاهب المنحرفة والافكار المضلة وتصديرها إلى بلدان المسلمين .

والجبهة الثالثة : هى « الشيوعية الملحده» والتى هى من ثمرات اليهودية وقد أصبح لها كيان ودولة وهى تنشر أفكارها والحادها بشتى الوسائل إبتداءً بالدعوة السلمية وانتهاءً بقوة الحديد والنار .

وقد أصبح لها فى بلاد المسلمين أتباع وأنصار يفرقون الأمة ويمزقون وحدتها .  
فهذه الجبهات الثلاث قد اشتركت فى غزو المسلمين ومحاربة دينهم وتمزيق صفوفهم



فانسمت الأمة الإسلامية وتعدد ولاؤها بحسب الجبهة التي تقودها وتسير على خطاها ولا يكاد يسلم من الأمة أحداً إلا من رحم ربك وقليل ما هم .

القسم الثالث : أسس الوحدة الإسلامية :

إن الأمة الإسلامية تملك أسساً مشتركة تستطيع بها أن تجمع شتاتها وتوحد كلمتها . . . فهي أمة واحدة . . . ذات دين واحد . . . وكتاب واحد . . . ورسول واحد . . . هذه هي الأصول الثابتة التي تشترك فيها الأمة . فإذا ما أدركتها جيداً والتزمت بمقتضياتها فإن ذلك يجعل منهم أمة واحدة تلتقى على :

وحدة الغاية .

وحدة العقيدة .

وحدة القيادة .

وحدة النهج .

فهذه الأسس التي تجتمع عليها الأمة وتكون عليها الوحدة الإسلامية الشاملة . . . وأي خلل أو نقص فيها فإن ذلك يؤدي إلى استمرار الواقع المؤلم . . . واقع التفرق والنمق . وفيما يلي نبين بإيجاز تلك الأسس .

أولاً : وحدة الغاية :

إن لهذا الإنسان الذي يعيش على ظهر هذه الأرض «غاية» يؤديها في وجوده فإذا عرفها وتمثلها في حياته فإنه يسعد في الدنيا والآخرة وإذا جهلها وأعرض عنها فإنه يشقى في الدنيا والآخرة .

هذه الغاية هي «العبادة» لله عز وجل والقيام بدور الخلافة الصحيح في الأرض كما قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ . (الذاريات : ٥٦) . فهذه هي الغاية .

والمسلمون ولله الحمد قد أدركوا هذه الغاية التي حرمها كثير من الشعوب فضلوا وشقوا وذلك ظاهر لكل متأمل في أحوالهم وشئونهم وإن ملكوا وسائل الانتاج واكتشفوا كثيراً من قوانين المادة فإن ذلك لم يخفف من وطأة الشقاء النفسي لتلك المجتمعات .

ولكن المسلمين رغم إدراكهم لهذه الحقيقة فإنهم قد فرطوا فيها وأعرضوا عن تحقيقها فكان ذلك سبباً في شقائهم وضعفهم وتسلب عدوهم عليهم .

فلا بد من العودة الصادقة إلى تحقيق هذه الغاية والالتزام بمقتضياتها لنحقق لأنفسنا السعادة في الدنيا والآخرة .

وتحقيق هذه الغاية « العبودية لله عز وجل » سيكون سبباً من أسباب الوحدة للأمة فإنه إذا توحدت غايات الشعوب المسلمة وغايات القيادات المسلمة فإنه ولاشك ستتحد الآمال والأهداف التي تجمع الأمة .

ولكنه إذا تعددت الغايات وكان لكل بلد من البلدان الإسلامية غاية أو غايات أخرى كلها من صنع البشر . . . فارتبطت بشهواتها وأطماعها العاجلة فإن ذلك لا يقطعها عن العالم الإسلامي فحسب بل يقطع صلتها بالله عز وجل وانتسابها إلى الإسلام . . . لأن الإسلام يحدد للإنسان غايته في هذه الحياة فإن التزمها الإنسان في حياته صحت نسبته إلى الإسلام وإن أعرض عنها فقد قطع صلتها بهذا الدين .

ولو لم تضعف هذه الحقيقة في نفوس المسلمين لما حدثت الانقسامات بينهم ولما استطاع أعداء الإسلام أن يجدوا رواجاً لأفكارهم الضالة في بلدان المسلمين لأن الإسلام نور وغيره ظلام ومن كان في النور فإنه لا يرضى بالظلام بديلاً قال تعالى : ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ .

ثانياً : وحدة العقيدة :

لقد تعرضت العقيدة الإسلامية في كثير من البلدان الإسلامية وعلى مدار التاريخ إلى انحرافات خطيرة وتصورات خاطئة شوهت جمال العقيدة وأوجدت في الأمة الواحدة مذاهب متعددة وطوائف متفرقة لكل منها أتباع وأنصار . . . وما ذلك إلا لانتشار الجهل في صفوفهم .

لهذا فإنه لا بد من إعادة النظر في ذلك الانحراف وتصحيحه بما يوافق الكتاب والسنة وتجريد العقيدة من الآراء البشرية التي لحقت بها ليتيسر للأمة الاجتماع واللقاء .

فإن العقيدة هي الأساس الذي يرتفع عليه بناء الدين فإذا قوى الأساس وخلص من الانحراف سهل على الأمة تصحيح بقية الانحرافات الأخرى وأمكن لها الاجتماع واللقاء . . . وإلا فلا اجتماع ولا لقاء .

فالله عز وجل هو رب العالمين ومدبر الكون ومالكه وما عداه مخلوق مربوب محتاج فقير .

والله هو وحده المستحق للعبادة لا رب غيره ولا إله، وغيره عبد ذليل .

والله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العليا لا نحرف ولا نعطل ولا نشبه ولا نمثل  
﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ . ولا ننسى بقية أركان الإيمان من الإيمان بملائكة  
الله وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

هذا مجمل عقائد الإسلام فإذا ما رسخت هذه الحقيقة في نفوس الأمة وأصبحت  
واضحة في القلوب بلا غش ولا خفاء أمكن للأمة أن تلتقى وتتحد . . . إذ صفاء الاعتقاد  
وسلامته من الآراء الدخيلة عليه يعنى إزالة الحواجز التي قامت بين الأمة وفرقتها إلى شيع  
وأحزاب .

### ثالثاً : وحدة القيادة :

لقد شاء الله عز وجل أن يكون الإسلام آخر الرسالات السماوية إلى الأرض . . . وأن  
يكون محمد ﷺ آخر الرسل فيه أكمل الله الدين وبه ختم المرسلين فلا دين بعد دينه ولا نبي  
بعد .

فالإسلام هو الدين الذي رضيه الله لنا ديناً نتعبده به ونلتزم بشريعته .

والرسول محمد ﷺ هو القائد الذي يجب أن نسير خلفه ونقتفى أثره .

وكل قيادة أخرى تحاول أن تلغى هذه القيادة أو تقلل منها فإنها قيادة خارجة عن  
الإسلام محاربة له . . . بل كل قيادة تتمرد هي في ذات نفسها عن هذه القيادة أو تنحرف عن  
متابعتها فهي قيادة منحرفة .

هذه حقيقة ينبغي أن تتضح في أذهان المسلمين إذ بقدر وضوحها والتزامهم بها بقدر ما  
يتيسر للأمة الاجتماع والاتحاد . . . وبقدر جهلها أو تجاهلها بقدر ما تبتعد الشقة ويتعذر  
اللقاء .

فإن إدراك الأمة لهذه الحقيقة يعنى «توحيد القيادة» فالجميع يلتقون على قيادة واحدة  
بها يتأسون وعلى خطاها يسرون فمنها يتلقون التوجيهات ومنها يعرفون الأحكام  
والعبادات . . . فالخلال ما أخبر بحله والحرام ما نهى عنه . . . والخير ما دل عليه . . . والشر  
ما حذر منه ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ .

فليس هناك قيادة أخرى لها هذا الحق ولا بعضه وإنما تأتي لها الحقوق بمقدار متابعتها  
لهذه القيادة .

#### رابعاً : وحدة المنهج :

من الأسباب الرئيسية لتمزيق الأمة الإسلامية تعدد المناهج التي تتبعها في مجتمعاتها . . . تلك المناهج التي لا صلة لها بها ولا علاقه لها بدينها . . . بل هي مضادة لدينها محاربة لعقيدها . . . فكان من نتائج ذلك أن اختلفت الأمة وتعددت مناهجها . . . فوقعت الفجوة بين المناهج والواقع . . . وبين القيادات والشعوب . . . بل بين القيادات نفسها . . . فانعكست تلك الخلافات على الأمة الإسلامية .

وما لم يتحد المنهج للأمة الإسلامية فيكون منهجها واحداً كما يقتضيه دينها فإن كل محاولة لوحدة الأمة أو لجمع شتاتها فإنها محاولة خاسرة .

وهذا المنهج الذى يجب اتباعه ليس له إلا مصدر واحد وهو الله سبحانه وتعالى فهو الذى يضعه لخلقه ويحدده والبشر عبيده وخلقه لا يجوز لهم أن يختاروا أو يرفضوا وإلا فإن ذلك يعرضهم لمقته وسخطه : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ .

هذا هو حال المسلم مع شريعة ربه ومنهجه ، فإذا اتضحت هذه الحقيقة في أذهان المسلمين تمثلوها في واقعهم فإنه ييسر لهم اللقاء والاتحاد .

#### القسم الرابع : وسائل تحقيق الوحدة :

عرضنا في المبحث السابق الأسس التي لا بد منها لتوحيد الأمة الإسلامية وهي وان كانت شرطاً في تحقيق إيمان المسلم فلا يكون مسلماً بدونها . . . فإنها شرط في تحقيق وحدة الأمة واجتماع كلمتها .

ولكن هذه الأسس - كما رأينا من قبل - قد تعرضت للفساد والانحراف واختفت أو تشوهت في كثير من المجتمعات الإسلامية فكان لا بد من إظهار ما اختفى منها وتصحيح ما تشوه .

وهذا أمر يحتاج إلى وسائل متعددة للقيام بذلك الدور ورعايته في المجتمعات الإسلامية . ومن تلك الوسائل ما يأتى :

#### التعليم الموجه :

فإن المؤسسات التعليمية من أهم الوسائل الموجهة في المجتمع . . . وكثيراً ما ينعكس أثرها على المجتمع . . . سواء كان ذلك الأثر خيراً أم شراً .

والمدرسة هي منهج ومعلم . . . فإذا صلحا صلحت الأجيال وإذا فسدا فسدت الأجيال - إذا شاء الله ذلك .

لذا فإنه لا بد من إعادة صياغة المناهج في مدارس المسلمين وجامعاتهم بحيث يراعى في وضعها تلك الأسس التي تمثل قاعدة الوحدة الإسلامية فتشتمل المناهج على بيان العقيدة والغاية والقيادة والمنهج وتعمق هذه المعاني في نفوس أبناء الأمة ويبين لهم أن هذه أسس الإيمان التي يكون بها الإنسان مسلماً . . . ويكون بها المجتمع جزءاً من الأمة الإسلامية .

وبهذا تنهياً للمسلمين أسباب الاجتماع والاتحاد .

وإلى جانب هذا البناء الإيماني للفرد المسلم يبين كذلك فساد المذاهب البشرية التي تسود كثيراً من المجتمعات البشرية اليوم وأنها مذاهب ضالة باطلة لا حق لها في الوجود ولا في البقاء .

كما يبين كذلك انتهاء دور الديانات النسائية الأخرى التي كانت قبل الإسلام وأنها قد نسخت بالإسلام كما أنها قد تعرضت للفساد والتحريف . . . فهي لا تمثل الدين الذي أنزله الله عز وجل .

وهذا البيان هو بمثابة الصيانة والحماية لتلك الأسس الإسلامية .

ثانياً : الإعلام المتلزم :

لقد أصبح للإعلام في العصر الحاضر - بكل وسائله المسموعة والمرئية والمقروءة - دور خطير في الحياة الإنسانية . . . فهو يقتحم كل بيت ويصل إلى كل إنسان .

ووسائل الإعلام اليوم في كثير من البلدان الإسلامية غير ملتزمة بالمنهج الإسلامي الذي يثبث الخير وينشر الفضيلة ويحذر من الشر والأخلاق الرذيلة . . . بل إن بعض تلك الوسائل تحارب الإسلام وتسيء إلى أهله بما تنشره من البرامج السيئة والحلقات المنحرفة . . . وهذا كله مضاد لدين الأمة ومفرقة لجمعها وهادم لأسس الوحدة التي تقوم عليها .

ولن يكون هناك لقاء أو اتحاد واعلام المسلمين أو بعضه بهذه الصورة .

فلا بد إذن من إعادة البناء الإعلامي بناءً صحيحاً بحيث يكون قادراً على توجيه الأمة وتعميق العقيدة في نفوسها وتذكيرها بخاصيتها في هذه الحياة والنهج الذي اختاره الله عز

وجل لها كما تبين إلى جانب ذلك وحدة القيادة للأمة الإسلامية وأنه لم يعد هناك مجال لظهور قيادات أخرى تنازع القيادة المحمدية أو تزاحمها .

فإذا استطاع الإعلام في البلدان الإسلامية أن يثبت هذه القضايا الأساسية في نفوس الأمة فإنه عندئذ يكون قد أدى دوره الصحيح في المجتمع وساهم في وحدة الأمة . . . وإلا فلا وحدة ولا اجتماع .

ويتحقق ذلك بالاختيار الأمين للعاملين بالإعلام فتختار الكفاءات المؤمنة التي تدرك أهداف الأمة وغايتها .

### ثالثاً : الاقتصاد المستقل :

إن التشابك المعقد في العلاقات الدولية - اليوم - واختلاف الأنظمة الاقتصادية في العالم والذي انعكس أثره على أكثر المجتمعات الإسلامية فتعددت فيها الأنظمة الاقتصادية تبعاً للاتجاه الذي يغلب على كل بلد - كان له آثاره السلبية على وحدة الأمة الإسلامية .

ومحاولة عودة الأمة إلى دينها يلزم منه التحرر من تلك الأنظمة الدخيلة على المجتمعات الإسلامية بالعودة إلى النظام الإقتصادي الإسلامي الذي هو جزء من ذلك المنهج الشامل الكامل الذي هو جزء من دين الأمة لا يتم بل لا يوجد بدونه والذي هو أحد الأسس التي تلتقى عليها الأمة .

ولابد من إيجاد اقتصاد إسلامي مستقل ليس مرتبطاً بأي نظام آخر لئلا يبقى بين الأمة فجوات تحول دون وحدتهم .

ويتم ذلك بإيجاد أسواق مشتركة وعملة موحدة وهيئة اقتصادية مشتركة تشرف على ذلك الاقتصاد الإسلامي المستقل .

وبهذا تستقل عن التبعية الاقتصادية الضارة وتقيم لها وحدة اقتصادية قوية على أسس إسلامية . . .

والاقتصاد في الحقيقة هو ضمن المنهج الإسلامي الذي يعتبر أحد الأسس للوحدة الإسلامية . . . والذي أريده هنا هو التعاون العام وتوحيد الأسواق والعملات الذي يعطى للأمة شخصيتها المستقلة ويمهد السبيل للوحدة واللقاء .

رابعاً : إيجاد مراكز علمية :

لما كانت هذه الوسائل المتقدم ذكرها لا بد لها من إعداد وتخطيط بحيث تظهر بالصورة الصحيحة كان لا بد من مراكز علمية مختلفة تكون مهمتها التخطيط الدقيق لتلك الجوانب إلى جوانب أخرى تتعلق بحياة الأمة .

فتلك المراكز متعددة الأغراض تمثل الهيئة الاستشارية والمخططة لتوحيد الأمة وتكاملها ونموها في جميع الجوانب بحيث تتحد الأمة في كل المظاهر إلى جانب اتحادها في القواعد .

الخاتمة :

في نهاية هذا البحث الموجز نذكر أهم القضايا التي اشتمل عليها هذا البحث وهي :  
إن واقع الأمة واقع مؤلم قد تخلله الفساد وسرى فيه الانحراف .  
وأن هذا الواقع المنحرف لا يمكن معه اللقاء والاتحاد .  
وأن وحدة الأمة لا تتم إلا بتصحيح هذا الواقع على ضوء الكتاب والسنة .

والله وحده عز وجل هو المسؤول أن يصلح الأمة الإسلامية وأن يجمع كلمتها على الحق إنه سميع مجيب . . .

## ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :  
«ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون  
وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف  
يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن  
ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن وليس وراء  
ذلك من الإيوان حبة خردل» .

(رواه مسلم)

# العِبَادَاتُ فِي الْإِسْلَامِ وَآثَرُهَا فِي: تَضَامُنُ الْمُسْلِمِينَ

للدكتور يحيى محمد اللطيف ترهه  
أستاذ مشارك بكلية الدعوة وأصول الدين

العبادة في اللغة :

أصل العبادة في اللغة : التذليل من قولهم طريق معبد أى بكثرة الوطاء عليه ، ومنه أخذ العبد لذله لمولاه .

« والعبادة والخضوع والتذلل والاستكانة قرائب في المعانى يقال تعبد فلان لفلان ، أى تذلل له .

وكل خضوع ليس فوqe خضوع : فهو عبادة ، طاعة كان للمعبود أو غير طاعة وكل طاعة لله على وجه الخضوع والتذلل فهى عبادة .

والعبادة : نوع من الخضوع لا يستحقه إلا المنعم بأعلى أجناس النعم كالحياة والفهم والسمع والبصر»<sup>(١)</sup> .

والعبدية ، والعبودية ، والعبودة ، والعبادة : الطاعة .

والاعتباد ، والاستعباد : التعبيد .

وتعبد أستنسك ، وتعبد فلانا : اتخذه عبدا<sup>(٢)</sup> .

العبد : الانسان حرا كان أو رقيقا ، يذهب بذلك الى أنه مربوب لباريه عز وجل .

والعبد المملوك خلاف الحر . قال سيبويه : هو فى الأصل صفة . قالوا : رجل عبد ،

ولكنه استعمل استعمال الأسماء والجمع أعبد وعبيد . مثل أكلب وكليب . وهو جمع عزيز

وعباد وعبد ، مثل : سقف وسقاف وسقف .

وأنشد الأخفش :

(١) المخصص لابن سيدة : ٩٦/١٣ .

(٢) القاموس المحيط : ٣١١/١ .



انسب العبد إلى آبائه أسود الجلد من قوم عبد  
وقال الليث : في قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ أى نطيع الطاعة التى يخضع معها ،  
وقيل إياك نوحده .

قال : ومعنى العبادة فى اللغة : الطاعة مع الخضوع . ومنه طريق معبد . إذا كان  
مذلا بكثرة الوطء . وقوله تعالى : ﴿ وقومهما لنا عابدون ﴾ أى دائنون وكل من دان لملك  
فهو عابد له .

قال ابن الأبارى : فلان عابد ، وهو الخاضع لربه المنقاد لأمره .

وقوله تعالى : ﴿ اعبدوا ربكم ﴾ أى أطيعوا ربكم .

والمتعبد : المفرد بالعبادة .

والمعبد : المكرم المعظم . كأنه يعبد . قال :

تقول : ألا تمسك عليك فأنسى أرى المال عند الباخلين معبدا

والتعبيد : التذليل . وبغير معبد : مذلل . وطريق معبد : مسلوك مذلل (١) .

والتأمل فى هذه النقول التى أوردتها عن فقهاء اللغة يجد أن المعانى التى ذكروها بيانا

هذه الكلمة ، أعنى العبادة لا تتجاوز هذه المعانى :

الخضوع ، الطاعة ، التذلل ، التنسك .

### العبادة فى الشرع :

عبارة عما يجمع كمال الخضوع والمحبة ، والخشية لله تعالى .

يقول ابن تيمية رحمه الله ( والعبادة : أصل معناها الذل . يقال طريق معبد ، إذا

كان مذلا قد وطئته الأقدام . لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ، ومعنى الحب

فهى تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له ، فإن آخر مراتب الحب : هو التتيم ،

وأوله : العلاقة لتعلق القلب بالمحبيب ، ثم الصباية لانصباب القلب إليه ، ثم الغرام :

وهو الحب الملازم للقلب ، ثم العشق ، وآخرها التتيم .

يقال : تيم الله . أى عبد الله ، فالمتيم : المعبد المحبوب ، ومن خضع لإنسان مع

بغضه له لا يكون عابدا له . ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له . كما قد يحب

الرجل ولده وصديقه .

(١) لسان العرب لابن منظور: ٢٦٤/٤ .

ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله ، بل يجب أن يكون الله أحب الى العبد من كل شىء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شىء بل لا يستحق المحبة ، والخضوع التام إلا الله تعالى .

وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة ، وما عظم بغير تعظيم أمر الله فتعظيمه باطل ، قال الله تعالى : ﴿ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم ، وإخوانكم ، وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ [التوبة : ٢٤] .

فجنس المحبة تكون لله ورسوله ، كالطاعة ، فان الطاعة لله ورسوله ولا رضاء الله ورسوله ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ﴾ [التوبة : ٦٢] .

والإيتاء لله ورسوله ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ﴾ [التوبة : ٥٩] (١) .

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى : ( العبادة : تجمع أصليين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، والعرب تقول : طريق معبد ، أى مذلل والتعبد : التذلل والخضوع ، فمن أحببته ، ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له ، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له ، حتى تكون محبا خاضعا ) (٢) .

ويقول ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ( والعبادة في اللغة : من الذلة . يقال طريق معبد أى : مذلل ، وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع ، والخوف ، وقدم المفعول ، وهو إياك وكرره للاهتمام والحصر ، أى لا نعبد إلا إياك ، ولا نتوكل إلا عليك ، وهذا هو كمال الطاعة ، والدين يرجع إلى هذين المعنيين .

وهذا كما قال بعض السلف : الفاتحة سر القرآن ، وسرها هذه الكلمة ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فالأول : تبرؤ من الشرك ، والثانى : تبرؤ من الحول والقوة . والتفويض الى الله عز وجل ، وهذا المعنى في غير ما موضع من القرآن الكريم كما قال تعالى ﴿ فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ [هود : ٢٣] ﴿ قل هو الرحمن أمنا به وعليه

(١) العبودية لابن تيمية : ٥٥-٤٤ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم : ٢٤/١ .

نوكلنا ﴿ [الملك : ٣٩] ﴾ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ﴿ [المزمل : ٩ ]  
وكذلك هذه الآية الكريمة ﴿ اياك نعبد و اياك نستعين ﴾ [الفاطحة : ٤] <sup>(١)</sup> .  
ومن هنا نستطيع أن ندرك أن العبادة التي قصد إليها الشارع ، والتي تعالى الانسان  
وتشرفه ، وترفع من قدره ومكانته ، وتجعله يحس بأنسانيته وكرامته ، هي تلك التي تجمع  
بين الخضوع لله تعالى ، والمحبة له ، والخشية منه .

وكلما اكتملت هذه المعانى فى عبد كان أقرب الى ربه ، وأكرم عليه من غيره ، وأحق  
بالأمانة فى الدين ، وقيادة المتقين ، والحديث عن رب العالمين .  
وأساس الخضوع لله تعالى هو : الإحساس الصادق بهيئته وعظمته ، وسلطانه  
وقدرته ، وأنه المعطى المانع ، الضار النافع ، المحيى المميت ، الخافض الرافع ، المعز  
لمذل ، السميع البصير ، الغنى عن كل ما سواه ، والمحتاج اليه جميع ما عداه .  
والانسان يكون فى قمة التواضع ، إذا سجد لخالقه ومولاه ، وقام بحق من خلقه  
وصوره ، وشق سمعه وبصره ، وهو فى ذلك يكون فى أسمى حالات القرب ، وأرجى  
أسباب القبول . يقول رسول الله ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ،  
فأكثروا الدعاء » <sup>(٢)</sup> .

وفى معناه قول الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ فاسجد واقترب ﴾ [العلق : ١٩] وفى السجود :  
كمال الخضوع والانقياد لمن بيده ملكوت كل شىء ، وهو الله رب العالمين وكمال الخضوع  
انما يتم اذا استجاب العبد لربه ، وآثره على ما سواه ، وقدم شريعته على كل الشرائع ،  
وأمره على كل الأمور ، وعرف معرفة الشاكرين عظيم حقه عليه ، ورحمته به ، وجميل  
إحسانه اليه .

والانسان الذى يحس بعظيم فضل ربه عليه وإحسانه الدائم ، وعفوه وستره . ورحمته  
ومغفرته ، فانه يحب ربه أعظم الحب ، ويتفانى فى ارضائه أشد التفانى ومعنى حبه لله ، أن  
يحب ما أحبه الله ، ويبغض ما أبغضه الله ، مسارعا إلى مرضاته ، فارا من سخطه الى  
رضاه ومن معصيته الى طاعته ، ومنه إليه .

والله سبحانه يحب من عباده صادق الايمان به وكامل الاخلاص له ، وعظيم التوكل

(١) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٢٥ .

(٢) رواه أحمد ومسلم .

عليه ، وجميل الثقة بوعده ثم هو يحب المتقين ، ويحب المحسنين ، ويحب الصابرين فهو يحب من الأعمال والناس ما أحبه الله ، فيبادله الله تعالى حبا بحب ، وودا بود ، قال تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ [مريم : ٩٦] . والذين عرفوا ربهم وأحبوه ، أحبوا رسوله محمدا ﷺ الذي عرفهم به ، ودلهم عليه ، بل لا يتم الإيمان حتى يكون الرسول ﷺ أحب الى الانسان من نفسه التي بين جنبيه يقول عليه الصلاة والسلام : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده ، والناس أجمعين » (١) .

ومحبة الله ورسوله هي : غاية الغايات ، ونهاية النهايات ومطلب الأخيار الأبرار ، اذ هي لذة القلب نعيمه وراحته ورحمته ، وجماله وأنسه وما من خلق قبل المحبة إلا هو طريقها ودليلها ، والموصل إليها كالتوبة والصبر ، إن محبة الله ورسوله إذا حلت في القلب آثرت المحبوب على كل ما عداه ، وقدمته على جميع من سواه ، وكل محبة بعد ذلك فهي تابعة كمحبة المؤمن لأخيه المؤمن ، وإيثاره على نفسه ، وتنفيس كربته وستر عورته .

وأما الخوف الذي أضافه ابن كثير إلى تعريف العبادة فهو يعطى أن عباد الله الذين عرفوا ربهم ، وخضعوا له واستجابوا لأمره ، وأثمرت لهم هذه المعرفة حبا وشوقا ، يخشون ربهم ، ويخافونه ، وهم دائما بين خوف ورجاء ، وقد امتدح الله عباده ، الذين يخشونه ويخافون حسابه ، قال تعالى : ﴿ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجملة ، أنهم الى ربهم راجعون ، أولئك يسارعون الى الخيرات وهم لها سابقون ﴾ [المؤمنون : ٥٧-٦١] .

وكلما قويت معرفة العبد بربه ، كلما اشتدت خشيته منه وتعظيمه له يقول عليه الصلاة والسلام : « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة » (٢) . وأدلج : سار من أول الليل . والمعنى : التشمير في الطاعة . والعبادة بعناصرها المتقدمة لا تكون صحيحة ومقبولة إلا إذا وقعت على الوجه المشروع ، وقصد بها صاحبها وجه الله وحده ، قال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وقال سبحانه : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [البقرة: ١١٢].

ويقول عليه الصلاة والسلام : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دينا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن الجوزي رحمه الله : ( واعلم أن الطريق الموصلة إلى الحق سبحانه ، يست مما يقطع بالأقدام ، وإنما يقطع بالقلوب ، والشهوات العاجلة قطاع الطريق ، «السييل كالليل المدلهم ، غير أن عين الموفق بصرفرس ، لانه يرى في الظلمة كما يرى في الضوء ، والصدق في الطلب منارأين وجد يدل على الجادة ، وإنما يتعثر من لم يخلص ، وإنما يمتنع الاخلاص ممن لا يراد فلا حول ولا قوة إلا بالله »<sup>(٢)</sup>.

أثر العبادات الاسلامية في تضامن المسلمين إجمالاً :

والعبادات التي تترك آثارها الطيبة ، ونتائجها العظيمة ، في وحدة المسلمين وتضامنهم ، ليست انطواء أو انزواء ، أو عزلة عن الحياة ، والأحياء ، للقيام ببعض الشعائر كالصلاة والذكر كما يتصور بعض الناس ، ويظنون أنهم اذا قاموا بذلك منقطعين عن الحياة والأحياء ، فهم العباد .

هذا مفهوم خاطيء ، وقاصر .

فمفهوم العبادة في الإسلام أرحب وأشمل ، وأدق وأعمق من هذا التصور المحدود . ان العبادة في الاسلام تشمل كيان الانسان كله كما تشمل الحياة بأسرها . ولذا فان العبادات إذا فهمت فهما صحيحا وطبقت تطبيقا دقيقا أعطت مجتمعا قويا متينا كالبنيان المرصوص ، يسعى بذمته ادناه ، ويكون يدا على من سواه .

والعبادات التي جاءت في حديث جبريل المشهور من صلاة وزكاة وصيام وحج ، أرسيت دعائمه عليها .

سئل الامام ابن تيمية ، عن قول الله عزوجل : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ .

(١) متفق عليه .

(٢) صيد الخطر لابن الجوزي : ٣٥٥ .

- ١ - ما العبادة ؟
- ٢ - وما فروعها ؟
- ٣ - وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟
- ٤ - وما حقيقة العبودية ؟
- ٥ - وهل هي أعلى المقامات في الدنيا والآخرة أم فوقها شيء من المقامات ؟  
وليسط لنا القول في ذلك .  
فأجاب رحمه الله إجابة مسهبة تضمنتها رسالته : العبودية .

قال رحمه الله : « العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان للجار واليتيم ، والمسكين وابن السبيل ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة ، وكذلك حب الله ورسوله ، وخشيته والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك هي من العبادة ، وذلك أن العبادة هي : الغاية المحبوبة والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٦٥] .  
وبها أرسل الله جميع الرسل كما قال نوح لقومه : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ [النحل : ٣٦] .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب لقومهم ، وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ [الاعراف : ٧٣] .

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٩٢] .  
كما قال في الآية الأخرى : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم ، وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ [المؤمنون : ٥١-٥٢] .  
وجعل ذلك لازما لرسوله ﷺ إلى الموت كما قال ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [الحجر : ٩٩] .

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى : ﴿ وله ما فى السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ [الأنبياء: ١٩].

وقال تعالى : ﴿ ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ [الاعراف: ٢٠٦].

وذم المستكبرين عنها بقوله : ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ [غافر: ٦٠].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى : ﴿ عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ﴾ [الانسان: ٦].

وقال سبحانه : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ [الفرقان: ٦٣].

ومن هذا البيان الرائع ، والتفصيل الممتع الذى ذكره الامام ابن تيمية<sup>(١)</sup> ، يظهر لنا أثر العبادات فى الأفراد والجماعات ، أما أثرها فى الأفراد فتتمثل فى تقويم أخلاقهم ، وتزكية نفوسهم وتوجيههم الوجهة النافعة ، وتصوغهم صياغة جديدة تركز على الصلة بالله ، والتعرف إليه ، وإبراز الخصائص العليا الكامنة فيهم ، وتطهيرهم من الغرائز السفلى وفى سبيل تحقيق هذه الغاية أوصى الله عباده بالفضائل وحذرهم من الرذائل فقال سبحانه : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ [النمل: ٩٠].

فأثر العبادات واضح فى تقويم الأخلاق وتزكية النفوس ، وشحز العزائم إلى جانب أنها تزكى فى العبد ملكة المراقبة لربه ، وترقى به إلى درجة الإحسان الذى قال عنه عليه الصلاة والسلام : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »<sup>(٢)</sup>.

وإذا نظرنا فى الأحاديث ، كهذا الذى مر آنفاً وكالحديث الذى يقول فيه عليه الصلاة والسلام لابن عباس وكان رديفة « يا غلام إنى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . . . الخ »<sup>(٣)</sup>.

إذا رأينا فى هذه الأحاديث الكلام الموجه للفرد فان المقصود به الأفراد ومن مجموع الأفراد تتكون الجماعات والأمم .

(١) العبودية لابن تيمية : ٣٨-٤٠ .

(٢) البخارى .

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وأثر العبادات في الجماعات ، ودعم روابطها وبناء علاقتها على أسس راسخة من العدل والإخاء والبر والإحسان . أثر واضح يتمثل في صياغتهم صياغة انسانية كاملة بتأليف بناء قوى متماسك قائم على العدل والمساواة ، والإحسان ، والإيثار ، والبر والرحمة ، والتعاون على جلب الخير ، ودفع الضرر . إن الجماعة التي ينشدها الإسلام هي الجماعة المتماسكة المترابطة التي تكونت من اللبنة الصالحة التي بدأت بالإخاء ، ثم تجاوزته إلى الحب ، ثم علت حتى صارت إلى الإيثار ، ومن هنا ندرك أن الجماعة التي يريد الإسلام لها سمات ومميزات :

أولاً : أنها الجماعة المؤمنة وباسم الإيمان ناداها رب العالمين في كثير من الآيات لتستشعر النعمة وتحس بالفضل قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ [آل عمران : ١٠٢-١٠٣] .

ثانياً : أنها الجماعة التي يحكمها العدل والانصاف يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧] .

ثالثاً : أنها الجماعة التي يقودها خيارها ، ويتولى أمرها حكماءؤها وعلماؤها .  
 رابعاً : أنها الجماعة التي تتواصى بالخير والحق ، وتتعاون على البر والتقوى وتتناصح على مكارم الأخلاق ، ومحاسن الصفات يقول الله سبحانه : ﴿ وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر] .  
 خامساً : أنها الجماعة التي تستعذب الجهاد في سبيل الله وتقدم النفس والنفس والأهل والولد ابتغاء مرضاة الله ورفعاً لدينه واعلاءً لكلمته ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهدته من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة : ١١١] .

وهذه الجماعة التي اصطفها الله لرسالته ، وخصها بكرامته فارقت إلى منصب العدالة ، وتسلمت درجة الشهادة ، يقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ ، وفي هذا



ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴿ [الحج : ٧٧-٧٨] .

وفي هاتين الآيتين الكريمتين نرى الأثر الواضح القوي للعبادات في الاسلام ، وأثرها في المؤمنين به فهيرينادهم بأحب نداء إليهم وهو الإيمان ويأمرهم بمجموعة من العبادات ويخص منها الركوع والسجود ثم الأمر العام بالعبادة ، والجهد في سبيل الله ، ويختصها بالأمر بالصلاة والزكاة والاعتصام بالله .

يقول الأستاذ سيد قطب في نهاية تفسيره للآيتين : ( فالصلاة صلة الفرد الضعيف الفاني بمصدر القوة والزاد ، والزكاة صلة الجماعة بعضها ببعض والتأمين من الحاجة والفساد والاعتصام بالله ، العروة الوثقى التي لا تنفصم بين المعبود والعباد )<sup>(١)</sup> .

وهذه الجسمعة التي انطبعت بطابع العقيدة وتأثرت بالتربية الربانية المتمثل في العبادات في الاسلام هذه الجماعة ليست خيالا ، ولا شيئا محالا ، وانما ظهرت في عالم الواقع في العصر النبوي الكريم ، وعصر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين ، ولهذا فقد أثنى الله عليهم في كتابه فقال : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقد أشار القرآن الكريم إلى ما سيكون لهذه الأمة من رفعة طالما كانت متمسكة بكتابه ، مستجيبة لأمره قائمة بالعبادات وعمل الصالحات خير قيام .

قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾ [النور : ٥٥] .

ويقول الله تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [التوبة : ٧٢] .

ويقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن عند تفسيره لهذه الآية<sup>(٢)</sup> : ( ان طبيعة المؤمن ، هي طبيعة الأمة المؤمنة ، طبيعة الوحدة ، وطبيعة التكافل ، وطبيعة التضامن ، ولكنه التضامن في تحقيق الخير ودفع الشر ﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن

(١) في ظلال القرآن ٢٤٤٦ .

(٢) في ظلال القرآن ص ١٦٧٥ .

المنكر ﴿ وتحقيق الخير ودفع الشر يحتاج إلى الولاية والتضامن والتعاون ، ومن هنا تقف الأمة الواحدة صفا واحدا لا تدخل بينها عوامل الفرقة وحيثما وجدت الفرقة في الجماعة المؤمنة فثمة ولا بد عنصر غريب عن طبيعتها ، وعن عقيدتها هو الذى يدخل بالفرقة ثمة غرض أو مرض يمنع السمة الأولى ويدفعها .

السمة التى يقررها العليم الخبير ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ يتجهون بهذه الولاية إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإعلاء كلمة الله ، وتحقيق الوصاية لهذه الأمة فى الأرض ﴿ وقيمون الصلاة ﴾ التى تربطهم بالله ، ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ الفريضة التى تربط بين الجماعة المسلمة ، وتحقيق الصورة المادية والروحية للولاية والتضامن .

﴿ ويطيعون الله ورسوله ﴾ فلا يكون لهم هوى غير أمر الله وأمر رسوله ولا يكون لهم دستور إلا شريعة الله ورسوله ، ولا يكون لهم منهج إلا دين الله ورسوله ، ولا يكون لهم الخيرة إذا قضى الله ورسوله .

وبذلك يوحدون نهجهم ، ويوحدون هدفهم ، ويوحدون طريقهم ، فلا تتفرق بهم السبل عن الطريق الواحد الواصل المستقيم ﴿ أولئك سيرحهم الله ﴾ والرحمة لا تكون فى الآخرة وحدها إنما تكون فى هذه الأرض أولا ، ورحمة الله تشمل الفرد الذى ينهض بتكاليف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وتشمل الجماعة المكونة من أمثال هذا الفرد الصالح ، رحمة الله فى اطمئنان القلب وفى الاتصال بالله ، وفى الرعاية والحماية من الفتن والأحداث ورحمة الله فى صلاح الجماعة ، وتعاونها ، وتضامنها ، واطمئنان كل فرد للحياة ، واطمئنانه لرضاء الله ( أه .

وبعد هذا العرض المجمع عن أثر العبادات فى إصلاح الأفراد والجماعات وعن مدى النتائج الحتمية لذلك وهو التعاون والتراحم والتضامن والتلاحم الذى تكون به قوتهم وعزتهم وسعادتهم فى الدارين .

والآن نتحدث عن أثر الصلاة والزكاة والصوم والحج فى جمع كلمة المسلمين .

## الصلاة :

الصلاة هى الفريضة الأولى بعد الإيمان بالله ورسوله ، وهى عماد الدين ، من وفق إليها ، وأعين عليها ، فهو الموفق السعيد ومن حرم منها فهو الشقى البعيد ، والصلاة التى نقصد الحديث عنها هى التى يخشع فيها صاحبها ، ويحافظ على شروطها وآدابها ، لا يقتصر دورها على أجر يثاب عليه المؤمن ، وعذاب ينجومنه ، وإنما تحفظه ، وتنفى عنه الشرك

الظاهر والخبفى ، وتعود به إلى صفوف المتواضعين إن كان فيه شىء من الكبر ، وترقى به إلى درجة الأعراء إن كان فيه شىء من الذلة والخنوع ، فالحاكم والمحكوم ، والرئيس والمرؤس ، وأصحاب الثروة والقوة ، والنفوذ والسلطان ، والذين ليس لهم من ذلك شىء ، كل هؤلاء متساوون فى الوقوف بين يدى الله والإقبال عليه ، لا فضل لأحد منهم على أحد ، إلا بمقدار ما فى قلبه من تقوى ، وما تثمره هذه التقوى من خيرات وما تحجز عنه من موبقات ، فكل أعمال الصلاة ترجع الأمر كله لله ، يقف المصلون جميعا بين يدى ربهم يأتمون بإمام واحد كأنهم بنىان مرصوص ، يعلنون الله أكبر ، وإنها لنعم الكلمة التى تفتح بها تلك العبادة ، إنها اعلان بأن الله أكبر من كل شىء ففى هذه الكلمة نفى للخوف والتردد ، وإبعاد لشبح الهلع والفرع والجبن لذلك كان المؤمنون هم الذين يحققون الحكم التى يمكن أن تثمرها هذه الصلاة .

لذا هيا الله تعالى بتشريعه وحكمته للصلاة ، جوا طيبا من الإجلال والتعظيم ، والخشوع والسكينة ، والتعاون والاجتماع ، ثم شرع الله تعالى الأذان للدعوة إليها وإلجمع عليها .

نداء لم تتجل فيه مقاصد الصلاة ومعانيها فحسب بل تجلت فيه كذلك مقاصد الإسلام ، وشعائر التوحيد ، ثم أقيمت لها المساجد تلك البيوت التى أذن الله فيها أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، والتى يتجلى فيها الوقار والسكينة ، والخشوع والخضوع ، فهى مهبط الرحمات ، وملتمقى الصالحين وموضع نظر الله فى الأرض ، فيها يتم التآلف والتعارف ، والتوحد والترابط ويتعرف كل على حاجة أخيه قال تعالى ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ [النور: ٣٦-٣٧] .

لقد كانت هذه المساجد مركز حياة المسلمين ، وتعلمهم ودراساتهم ومصدر الإصلاح والتوجيه ، تعالج فيها قضايا المسلمين الدينية والاجتماعية ويعرفون فى ساحاتها كل ما يرفع من شأنهم فى حياتهم ، ويكتب لهم السعادة بعد مماتهم ، وكان رسول الله ﷺ إذا حدث حدث أو نزل بالمسلمين أمر أن ينادى فى الناس ( الصلاة جامعة ) فيفيض إليهم بالنصح والتذكير ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويبصرهم بما يصلح من حالهم ، ويوقظ من قلوبهم ، ويشد من عزمهم ، وظلت المساجد هكذا تؤدى رسالتها العظيمة فى خدمة الاسلام ، ودعم وحدة المسلمين فكانت القطب الذى تدور حوله رحى الحياة ، وتتفجر فيها ينابيع العلم والهداية ، وتنبثق منها أنوار الإصلاح والإرشاد وتنطلق منها موجات الكفاح والجهاد .

والمساجد تتجلى فيها عظمة الله وحده ، فلا عظمة فيها لمخلوق ولا اختصاص لعظيم أو كبير ، ولا فضل لذي حسب أو نسب ، وهو مكان مشاع يتساوى فيه الناس جميعا ، الحرمهم والعبد ، والحاكم والمحكوم ، والغنى والفقير ، قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وشرع الله الجماعة للصلاة ، وأبان الرسول ﷺ عن فضلها فقال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة »<sup>(١)</sup>.

وقد توعد النبي ﷺ على تركها ، والتخلف عنها وأشار الى أن ذلك من سمات المنافقين فقال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم »<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالجماعة ، فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية »<sup>(٣)</sup>.

وإذا حضر المؤمن الجماعة ، عرف إخوانه وعرفوه فلو غاب عنهم سألوا عنه فإن كان غائبا دعوا له - ودعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة - وإن كان مريضا عادوه فأثبوا وأجروا ، وجبروا خاطرهم وأدخلوا السرور عليه ، وإن كان حاضرا زاروه ، فتوطدت أواصر الأخوة ، وتأكدت أسباب التضامن والمحبة .

بل إن في الجماعة بجانب ما سبق ، حكم جليلة ، ومصالح همة بعضها اجتماعي وخلقي كالوحدة والاجتماع ، والتعارف والتعاون ، وبعضها ديني أخروي ، كالمحافظة على الصلوات والتنافس في إحسانها واتقانها ، ومنها أن إخلاص المخلصين وخشوع الخاشعين يؤثر في الجماعة كلها ، ويرى نوره من خلالها فيوقظ النفوس الخاملة ، ويحرك الهمم الفاترة وقد يكون سببا في قبول عبادة الجميع .

واكرام بعض الناس ببعض ، أمر تقره قواعد الشريعة ويشهد به قول الرسول ﷺ « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »<sup>(٤)</sup>.

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه أبو داود .

(٤) رواه البخاري .

نعم إن لاجتماع المسلمين ، سرا عجيبا ، في تدفق الرحمت ، وهذا هو السر في صلاة الاستسقاء وجماعتها ، وقد كان رسول الله ﷺ شديد الاهتمام بتسوية الصفوف ، كثير الترغيب في إقامتها ووصلها ، وسد خللها ، شديد الإنكار على الإخلال بها والتفريط فيها ، ذلك لأن فوائده الجماعة لا تتحقق ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها ، وقيام المسلمين فيها كالبنيان المرصوص .

وشرع الله صلاة الجمعة ، واختصها بشروط وآداب تزيد في جلالها ، وترفع من شأنها ، وتورث مزيدا من الأهتمام بها في جمع شمل المسلمين ، تحت راية الدين ، وهيمنة رب العالمين ، وشرع الله الاغتسال في يوم الجمعة والتطيب والنظافة ، وبين ما يترتب على ذلك من عطاء أخروى ، إلى جانب ما نلمسه من أثر صحى واجتماعى .

يقول عليه الصلاة والسلام : « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهر ، ويدهن من دهنه ، أو يمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام ، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى »<sup>(١)</sup> . فإذا صعد الخطيب المنبر نصح الناس وذكرهم ، ودعاهم إلى الله ويعرفهم بأمر دينهم وديانهم .

وعلى ولاة الأمور من المسلمين تشجيع الخطباء ، وتقبل انتقاداتهم على أنها نصائح فإن الدين النصيحة ، وهى لله ولرسوله والأئمة المسلمين وعامتهم ، والملائكة تشارك المؤمنين في سماع خطبة الجمعة قال عليه الصلاة والسلام : « فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر »<sup>(٢)</sup> .

فإذا ما انتهت الخطبة ، أمهم إمام واحد ، فكانوا مترافعين متساويين يركعون ركوعا واحدا ، ويسجدون سجودا واحدا ويتجهون الى قبلة واحدة هى الرمز لوحدهم ، والجمع لكلمتهم والعنوان الكامل لترابطهم وتضامنهم .

وقد شرع الله للمسلمين صلاة العيدين ، يأتى عيد الفطر بعد شهر كامل يقضيه المسلمون ، بين الصيام والقيام ، والتلاوة والذكر والبر والمرحمة ، لقد جعله الله ميقاتا للعطاء ، والتشرف بضيافة الله ، وأما عيد الأضحى فيأتى فى آخر عشر ذى حجة ، وهى أيام وليال لها فضلها وميزتها ، وفيها ذكريات جليلة ، توقظ المشاعر ، وتبعث الهمم ، إنها ذكريات ابراهيم واسماعيل ومحمد عليهم جميعا الصلاة والسلام ، واذا كان ما يسمى

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى .

بالأعياد عند غير المسلمين مواسم تحرر وانطلاق ، ومناسبات لذة وتمتع تتناقض أشد التناقض مع العبادات ومفهومها ، فإن هذين العيدين ، يبدءان بالصلاة لله رب العالمين ، بشعار هو التكبير لدى الذهاب إلى الصلاة ، وفي انتظارها ، وفي الخطبة وبعدها ثم صدقة الفطر قبل صلاة عيد الفطر ، والأضحى بعد صلاة عيد الأضحى ، كما شرع في هذين العيدين الصلاة بالمصلى خارج البلد ، إظهار الشوكة للمسلمين ، وعنوانا على وحدتهم وتضامنهم ، وكتبنا لعدوهم وتكثيرا لجمعهم ، ليعظم لهم العطاء .

لقد كان للجمعة والجماعة ، والعيدين ، وصلاة الاستسقاء وصلاة الخوف في الأمصار والأقطار ، فضل كبير في حفظ هذا الدين ، وسلامة الشريعة والأوضاع الدينية ، وبقائها على ما تركها عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وبعدها عن تحريف المنحرفين وعبث العابثين ، فلو كان المسلمون - أعاذهم الله من ذلك - تركوا الجمعة والجماعة ، انفردوا بعباداتهم وصلواتهم في بيوتهم وقاموا بها منفردين منعزلين ، موزعين مشتتين ، لحرفت هذه الصلوات ومسخت مسخا كبيرا أفقدها أصالتها ووضعها الأول ، وتنوع المسلمون فيها ، وصاروا فرقا وأقساما كما في كثير من مظاهر حياتهم المدنية ، وآدابهم الاجتماعية وكان للصلاة أنماط ونماذج محلية كما هو حاصل لدى اليهود والنصارى .

لقد كانت هذه الجماعة عاملا كبيرا من عوامل وحدة المسلمين في العبادات وعاصما لأحكام الدين من التحريف ، كما كانت سببا عظيما في تضامنهم ، وجمع كلمتهم ، وبلغ من اهتمام الإسلام بالجماعة أنه رغب في إقامتها ، والحرص عليها حتى في أوقات المحن والشدائد ، حين يلقي المسلمون عدوهم ، ويواجهون خصومهم ، لأن الصلاة في ذاتها سبب المعونة الألهية ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣] . ولأن في إقامتها مع الجماعة مزيدا من العون والعطاء ، تتضاعف بركاتها ، وتكثر خيراتها قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ ، فَاذْأَسْجُدُوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك ، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ﴾ [النساء: ١٠٢]

ولم تجز الشريعة الإسلامية ترك الصلاة ، أو تأخيرها عن ميقاتها في أمن أو خوف ، شدة أو رخاء ، صحة أو مرض ، سفراً أو إقامة ، إلا أنه قد جعل لكل حالة وضعاً خاصاً

يتلاءم مع تلك الحالة ، يتحقق به التيسير ، ورفع الحرج الذي أكرم الله تعالى به هذه الأمة ، يقول الله تعالى : ﴿ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ، وقوموا الله قانتين ، فان خفتهم فرجالا أو ركبانا ، فاذا أمتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ [البقرة: ٢٣٨-٢٣٩] ،

## الزكاة :

لعل من نافلة الحديث أن نقول : إن المال مهم غاية الأهمية للأفراد والجماعات ، وأنه قوام الحياة ، وأساسها ، وعليه تقوم النهضات ، وتتقدم الحضارات ، به صيانة الحرية ، وقوة الشوكة ، والعزة والمنعة ، فذلك أمر واضح ، لا يحتاج الى بيان ، ويكفى أن يصفه القرآن الكريم بأنه قيام الحياة ، وينصح بالتوسط فيه إن ملكه المرء فلا يسرف حتى يقف عاجزا عن التصرف ، ولا يقتر حتى يتعرض للسخط والملامة قال تعالى : ﴿ ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما ﴾ [النساء: ٥] .

ويقول جل شأنه : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوما محسورا ﴾ [الاسراء: ٢٩] .

ويثنى على فريق من عباده بالتوسط في النفقة بين الإسراف والتقتير فيقول سبحانه : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ [الفرقان: ٦٧] .

ولما كانت للمال هذه الأهمية في إعداد العدة ، وأخذ الأهبة ، كان الجهاد بالمال مقدما في القرآن الحكيم على الجهاد بالنفس ، قال الله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [الصف: ١١] .

وكان للنفقة في سبيل الله امتيازها عن الإنفاق في وجوه الخير الأخرى بزيادة أجرها ، وكثرة أضعافها قال سبحانه : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

ثم كان للمال الأهمية البالغة في دفع الحاجات ، وتفريغ الكربات بأطعام الجائع ، وكسوة العارى ، وفك ضائقة المحتاج ، فإن الله تعالى أوصى بالبذل في هذه الوجوه ،

وفرض من ذلك نصيبا معروفا في أموال الأغنياء يرد على الفقراء ، وسمى ذلك زكاة تارة وصدقة تارة ، مشيرا بهذه الأسماء ، إلى أمور اتسم بها البذل والانفاق في الإسلام ، لأن الزكاة لغة : التطهير والنماء ، وهذا الجزء القليل الذي يبذله المؤمن الغنى من ماله يطهر صاحبه من رذائل الشح والبخل ، وقلة المبالاة بالناس ، وعدم الأهتمام بهم ، ثم يحليه بطائفة من الأخلاق الكريمة كالسخاء والإيثار ، وحب الخير للناس ، ورعاية المجتمع ، قال تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ، وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

وسماه الله صدقة لأن بذل المال لله ، وابتغاء مرضاته ، دليل الإيـان وآية اليقين ، وأمارة التصديق ، قال عليه الصلاة والسلام : « . . . والصدقة برهان »<sup>(١)</sup> .  
والصدقات في الإسلام تقوم بوظائف شتى لذلك كان القرآن الحكيم حريصا على بيان مصارفها بيانا قاطعا قال تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله ، وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم ﴾ [التوبة : ٦٠] .

والتأمل في هذا النص الكريم يرى ما ينطوى عليه نظام الصدقة من تكافل اجتماعي بين أبناء المجتمع الإسلامي ، بمواساة الغنى للفقير والمسكين ، ومراعاة المجتمع للذين يتفرغون لشئون المجتمع ، وإعانتهم على القيام بما ندبوا إليه من ذلك خير قيام ، ثم إعطاء المؤلفة قلوبهم وهم الذين دخلوا في الدين ولم يتمكن من نفوسهم التمكن الكامل ، ثم يعطى المكاتبون لاستخلاص رقابهم ، وشراء حريتهم ، وفي هذا دليل على أن الإسلام تواق إلى الحرية ، معين عليها ، مرغـب في منحها ، وهذا ملحظ سياسي واجتماعي عظيم ، ثم من أحاطت به المكاره والديون ، جعل الله له في ذلك المال نصيبا ، يسدده به دينه ، ويستأنف به حياته ، أما ابن السبيل وهو المسافر الذي نفذ ماله أوضاع فينبغي أن يعان من الزكاة حتى يبلغ أهله ، فإنه في هذه الحالة أخو الفقير والمسكين ، وإن كان في بلده غنيا ، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه ، أما الانفاق في سبيل الله فهو قمة الإنفاق يقول عليه الصلاة والسلام : « من جهز غازيا فقد غزا ، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا »<sup>(١)</sup> .

(١) جزء من حديث رواه مسلم .



ان الصدقات شرعت إذن سدا لحاجات الفقراء والمساكين ، وتفريحا لكرب المحتاجين ، وتثبيتا للايمان فى القلوب ، وتحريرا للرقاب من ذل الرق ، وإعزازا لدين الله ، وتدفاع عن حرمت الاسلام .

وهذا هو أحد جوانب الصدقات ، وهو جانب العطاء ، أما ما يترتب عليه وهو الذى يترتب عليه الجانب الاجتماعى ، فهو الوجه الآخر لتشريع الصدقات .  
ونستطيع أن نبين الأثر الاجتماعى للزكاة ، حين نطرح السؤال الآتى : ماذا يكون الحال لو بخل الأغنياء بأموالهم على الفقراء والمحتاجين وعلى البذل فى وجوه البذل الأخرى ؟

والجواب : إن صورة المجتمع تصبح صورة مخيفة مفزعة ، فالفقراء والمحتاجون تملىء صدورهم بالأحقاد والضغائن ، وتمتد أيديهم إلى هذه الأموال التى لم يحصلوا عليها طواعية ، ليستولوا عليها بوسائل أخرى يفسد بها نظام الحياة ويصبح المجتمع طوائف متناحرة تتربص كل منها بالأخرى ، وتغدوا الحياة جحيمًا لا يطاق .  
ويقول قائل : إن الدول والحكومات تقوم بضرائب وجبايات وتبذل صدقات ومعونات ، ألا تسد هذه مسد الزكاة ؟ ألا تصلح عوضا عنها ؟

والجواب : كلا ، لأن ما يفرضه البشر على البشر لا يمكن بحال أن يرقى إلى ما شرع الله لعباده ، فإن ما يفرضه البشر فيه قصورهم وأهواؤهم ، وكثيرا ما يحمل ألوانا من التسلط والابتزاز ، ثم هو فى أغلب الأحيان يوضع فى غير موضعه ، ويوجه الى غير مستحقه ، أما الزكاة التى شرعها العليم الحكيم لعباده فإن لها خصائص وسمات تميزها عما عداها ، فمن أبرز هذه الخصائص أنها قربة لله عز وجل ، تصحبها النية والإخلاص ، والاحتساب ، لتكون مقبولة ولا شىء من ذلك يقصد فى الضرائب ، بل أنها فى الأعم الأغلب تكون مصحوبة بروح السخى والمقت والاستئصال والإنكار ، لأن دافع هذه الضرائب لا يعتقد أنها مشروعة من الله تعالى ، ولا يرجو عليها ثوابا بل يعتقد أنها مفروضة عليه من أفراد منه مثله ، وربما أقل منه ، وأنها تنفق فى كثير من الأحيان فى الأهواء والشهوات ، احتفاظا بسلطة أو خدمة لأفراد محدودين ، لا يرافقها شىء من الترغيب فى الاخلاف والجزاء ، أو الترهيب من النكول والبخل ، بل إنها كثيرا ما تؤدى تحت ضغط التهديد والتغريم ، التى تزيد دافعها كراهية وسخا .

ولهذه الحكمة البالغة ، التى لا تتأتى إلا فيما شرع الله سبحانه جاءت الزكاة فى القرآن الكريم . وفى السنة المطهرة مشفوعة بما يرغب فى إخراجها بطيب نفس ، وصدق

نية ، وكريم احتساب ، وذلك بيان ما يترتب على إخراجها من نتائج وثمرات في الدنيا والآخرة من إخلاف وثواب ونمو وبركة .

يقول الله تعالى : ﴿ ان المصدّقين والمصدّقات ، وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ، ولهم أجر كريم ﴾ [الحديد: ١١] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « من تصدق بعُذْل تمرّة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يقبلها بيمينه ، ثم يربّيها لصاحبها كما يربّي أحدكم فلوه ، . حتى تكون مثل الجبل »<sup>(١)</sup> .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه »<sup>(٢)</sup> .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً »<sup>(٣)</sup> .

وينعى القرآن الكريم على أولئك الذين استولى الشح على نفوسهم فصاروا يعيشون في الحياة ، ولا هم لهم إلا الجمع والمنع ، يأخذونه من غير حله ، ولا يضعونه في محله ، فويل لهم حين أخذوه ، وويل لهم حين بخلوا به ، وويل لمن سلك في الجمع والمنع مسلكهم .

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحرار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم ، وجنوبهم ، وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥] .

ومن خصائص الزكاة ، أنها تؤخذ من الأغنياء ، وترد على الفقراء وهذا بخلاف الضرائب فإنها تؤخذ من الجميع ، ثم أنها تنفق في وجوه إذا وزنت بميزان الشريعة تبين انه إذا كان فيها الكريم المشروع ، ففيها الخبيث الممنوع لقد كانت الزكاة بهذا التوجيه الذي يرمى جانب الفقير ، ومصلحة الغنى كذلك .

فإذا كان المرء بالشهادتين يدخل في الاسلام ، فإنه بالصلاة قد أوفى بالجانب المهم في

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) متفق عليه .

عنده مع الله ، وهو بالزكاة يبدأ عهدا جديدا مع إخوانه في الدين ، وشركائه في المجتمع ،  
عهدا تترفرف عليه رايات الحب ، ويغمره التعاون والتراحم .  
ومن هذه الخصائص أنها وسيلة لتقويم مؤديها ، ورفعها إلى مقام المراقبة والإحسان ،  
وتخليته بالفضائل النفسية الرفيعة ، وقد أثنى الله عز وجل على المتصدقين من أجله ،  
والباذلين لأموالهم ابتغاء مرضاته .

وذكره لأوصافهم ومشاعرهم يدل على ما وصلوا إليه من سمو لا يدانى ولا يمكن  
بحال من الأحوال - أن يحصل فيما يشرع البشر للبشر . يقول الله سبحانه : ﴿ وَيُطْعَمُونَ  
الطَّعَامَ عَلَيَّ حَبَّةَ مَسْكِينٍ وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لُجَّةَ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا  
شُكْرًا ، إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فُوقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً  
وَسُرُورًا ، وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا مُتَكِّثِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرُونَ فِيهَا شُمْسًا  
وَأَبًا زَمَهْرِيرًا ﴾ [الانسان : ٨-١٣] .

ويقول سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ،  
أُولَٰئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٠-٦١] .

## الصيام :

لا نعتقد أنه بوسعنا ولا بوسع بشر ، مهما أوتى من علم ، ورزق من حكمة أن يحيط  
عنا بأسرار الله التي تضمنتها العبادات التي شرعها . والشعائر التي وضعها ، ولولا أن الله  
بمنه وكرمه - أوضح من ذلك جوانب ، وأشار إلى أخرى ، إيناسا للنفوس وجذبا  
للذلوب ، ما كان لبشر أن يخوض في ذلك أويتكلم فيه والتسليم معيار الإيمان ، وميزان  
الإخلاص ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا الله ورسوله ليحكم بينهم ، أن يقولوا سمعنا  
وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ، ويتقنه فأولئك هم  
الفلحون ﴾ [النور : ٥١-٥٢] .

وهذا الركن الذي نحن بصدد الحديث عنه وهو : الصيام له آثاره البعيدة المدى على  
النفوس ، وله فوائده المحققة على المجتمع ، في كافة جوانبه وأحواله ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .  
ويقول عليه الصلاة والسلام : « الصيام جنة »<sup>(١)</sup> ، وقد أمر عليه الصلاة والسلام ،  
من اشتدت عليه شهوة النكاح - ولا قدرة له عليه - بالصيام .

(١) رواه البخارى .

إن الفضائل النفسية ، والفوائد الاجتماعية التي يثمرها الصوم أجل من أن تحصى ،  
وإذا كان الصوم يثمر التقوى ، وعفة النفس واستقامة الجوارح ويقظة الضمير ، ورحمة  
القلب ، وخشية الرب ، فإن هذه الفضائل ، تنعكس على المجتمع كله ، وتنشر بركتها  
عليه .

والتقوى التي جعلها الله غاية للصيام ، والجنة التي وصف بها النبي ﷺ الصوم  
يمكن أن يندرج تحتها كل ما أدركنا ، وما لم ندرك من حكم الصيام ، فليس للتقوى حد  
تنتهي عنده ، أو غاية تنتهي إليها ، وكذلك الجنة ، قد تكون من التقصير والمخالفات ،  
وقد يرقى بها صاحبها ، فتكون من الشبهات ، وقد يزداد ريقاً فتصبح جنة من الغفلات  
والخطرات .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

« لما كان صلاح القلب واستقامته ، على طريق سيره إلى الله تعالى متوقفاً على  
جمعيته على الله ، ولم شعثه بإقباله بالكلية على الله فإن شعث القلب لا يلزمه إلا الاقبال  
على الله تعالى وكان فضول الطعام والشراب ، وفضول مخالفة الأنام وفضول الكلام ،  
وفضول المنام مما يزيده شعثاً ويشتته في كل واحد يقطعه عن سيره إلى الله تعالى ، أو يضعفه أو  
يعرقله ، اقتضت رحمة العزيز العليم بعباده أن شرع لهم من الصوم ، ما يذهب فضول  
الطعام والشراب ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى ،  
وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه ، ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة  
والآجلة » (١).

إن المجتمع الذي يستقيم على شريعة الصوم ، يكون مجتمعاً قوياً في عقيدته ، قوياً  
في استجابته لأمر ربه ، قوياً بتناسكه وتضامنه ، وتراحمه ، قوياً بأخلاقه الكريمة ، وشمائله  
النبيلة .

وقد اختار الله سبحانه بحكمته البالغة ، شهر رمضان المبارك ليكون موسم الصيام ،  
المفروض على المسلمين من كل عام ، وقد أشار القرآن الكريم إلى السرفى اختيار هذا  
الشهر لهذه الفريضة المباركة ذلك أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من  
الهدى والفرقان .

وبين الصوم والقرآن صلة متينة عميقة ، ولذلك كان رسول الله ﷺ أجود الناس ،  
وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من

(١) زاد المعاد لابن القيم : ١٦٨/١

رمضان فيدارسه القرآن ، فليرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة<sup>(١)</sup> .

لقد أصبح رمضان بما شرع فيه من صيام ، وسن فيه من قيام وما رغب فيه من عبادة ، وذكر وتلاوة للقرآن الكريم ، وصدقات وتراحم ، وبر وإحسان ، موسما فذا من مواسم العبادة المتعددة النواحي ، المتشعبة الجوانب ، تلك العبادات التي تطبع النفوس بطابع الرحمة والخير ، وتغمر المجتمع كله ، بموجة من الحب والود والتعاون والتضامن ، والتراحم .

وبجوار التعبد بقراءة القرآن في شهر القرآن ، تذكر لشريعة الله وما يريد رب العباد من العباد ، من صلاة وزكاة وصيام وحج وبر وتراحم ، وتحاب وتآلف وصدق حديث ، وأداء أمانة ورعاية للعهود ، وما يترتب على ذلك ، من عظيم الأجر والثواب في العاجلة والأجلة لمن أخلص ذلك لله وحده ، وابتغى به وجهه وقام به إيانا واحتسابا .

يقول الشيخ أحمد الدهلوي : ( والصوم إذا التزمته أمة من الأمم ، سلسلت شياطينها ، وفتحت أبواب جناتها وغلقت أبواب النيران عنها )<sup>(٢)</sup> .

ويقول في نفس المرجع ( وأيضا فإن اجتماع طوائف عظيمة من المسلمين على شيء واحد في زمان واحد ، يرى بعضهم بعضا معونة لهم على الفعل ميسر عليهم ، ومشجع أيهم ، وأيضا فإن اجتماعهم هذا لنزول البركات الملكية على خاصتهم وعامتهم ، وأدنى أن تنعكس أنوار كلهم على من دونهم ، وتحيط دعوتهم من وراءهم )<sup>(٣)</sup> .

وأیضا فان في الصيام آثارا عظيمة في إعداد المسلمين للعبادات وتأهيلهم لجنى ثمارها ، والانتفاع بخيراتها وبركاتها . وبالصيام تصبح النفوس مستعدة للخير ، راغبة في البر ، كارهة للشر ، نافرة من الفجور .

وإذا كانت تلاوة القرآن في رمضان عبادة لها ثمارها فإن هذه الثمار تكون أزكى وأسمى ، وأبقى ، إذا كان القلب مستعدا ، والنفوس متهيئة . يقول عليه الصلاة والسلام : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام رب منعتك الطعام بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : رب منعتك النوم بالليل فشفعني فيه قال : فيشفعان »<sup>(٤)</sup> .

(١) رواه البخاري .

(٢) حجة الله البالغة : ٥٩/١ .

(٣) حجة الله البالغة : ٣٧/٢ .

(٤) رواه أحمد .

## الحج :

الحج هو : الركن الخامس في الاسلام ، وهو الفريضة التي تستوجب مفارقة المؤلفات ، والعادات ، استجابة لرب العالمين ، المسلم حين يستعد لتلبية هذه الدعوة بالإحرام يطهر باطنه بالنية الصالحة ، والتوبة النصوح ، ويطهر ظاهره بالاغتسال فإنه يعلن استجابته لأمر ربه مضاعفة مكررة ، ولا يزال ذلك شعاره حتى يفرغ من حجه ( لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ) .

وفي الاحرام التمرين العملى على فضيلة المساواة بين الناس وفيه كذلك تذكير لهم بما كانوا عليه ، وبما سيصيرون إليه في الطريق الذى سبق هذه الحياة ، والطور الذى سيعقبها وإنما هم فيه من زينة الدنيا وزهرتها إنما هو عارية مستردة « والحج تدريب عملى للمسلم على المبادئ التى جاء بها الاسلام فقد أراد الاسلام ألا يكون مبادئه ، وقيمه الاجتماعية مجرد شعارات أو نداءات ، بل ربطها بعباداته وشعائره ، حتى تخط مجراها في عقل المسلم وقلبه ، فهما وشعورا ، ثم تخط مجراها في حياته سلوكا وتطبيقا ، وقد رأينا في صلاة الجماعة كيف تنمى معانى الأخوة ، والمساواة والحرية ، وهنا في الحج نرى معنى المساواة في أجل صورة وأتمها ، فالجميع قد طرحوا الملابس والأزياء المزخرفة ، التى تختلف باختلاف الأقطار واختلاف الطبقات ، واختلاف القدرات واختلاف الأذواق ، ولبسوا جميعا ذلك اللباس البسيط - الذى هو أشبه ما يكون بأكفان الموتى - يلبسه الملك والأمير ، كما يلبسه المسكين والفقير ، وأنهم ليطوفون جميعا بالبيت ، فلا تفرق بين من يملك القناطير المقنطرة ، ومن لا يملك قوت يومه » (١) .

وفي الحج ترى معنى الوحدة جليا كالشمس ، وحدة في المشاعر ، ووحدة في الشعائر ، ووحدة في الهدف ، ووحدة في العمل ، ووحدة في القول لا إقليمية ، ولا عصبية للون أو جنس أو طبقة ، إنما هم جميعا مسلمون ، برب واحد يؤمنون ، وبيت واحد يطوفون ، ولكتاب واحد يقرأون ، ولرسول واحد يتبعون ، ولأعمال واحدة يؤدون ، فأى وحدة أعمق من هذه وأبعد غورا ؟ (٢) .

والحج أكبر مؤتمر عالمى يجمع المسلمين من جميع أنحاء العالم جمعتهم رابطة الإسلام ، ووحدت بينهم كلمة الايمان ( في هذا المؤتمر يلتقى رجال العلم ، ورجال الاصلاح ، ورجال السياسة ، فما أجدرهم وقد التقوا على هدف واحد أن يتعارفوا ،

(١) العبادة في الاسلام للدكتور يوسف القرضاوى : ٢٨٩-٢٩٠ .

(٢) المصدر السابق : ٢٩٠ .

ويتفاهموا ، ويتعاونوا على تدبير أفضل الخطط وأحسن الوسائل ليبلغوا الأهداف ، ويحققوا  
الأمال (١).

في هذا المؤتمر العالمي يتذاكر المسلمون خطبة نبيهم ﷺ الجامعة على عرفه عام حجة  
الوداع والتي قد جاء فيها :

( . . . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي . . أيها  
الناس : اسمعوا قولي واعقلوه ، إن كل مسلم أخ للمسلم ، وإن المسلمين إخوة ، فلا يحل  
لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت ؟  
قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد ) والمسلم يذكر كذلك - في  
الحج - اكمال الدين واتمام النعمة على هذه الأمة حينما أنزل الله على رسوله ﷺ في هذا  
الموقف في يوم الجمعة عشية عرفة ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي  
ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ [المائدة: ٣].

وتتذكر كذلك أن الحج هو تعويد على مكارم الأخلاق ، ومقابلة السيئة بالحسنة ،  
ابتغاء وجه الله ، وإحسان إلى الناس طلبا للإحسان من الله رب العالمين ﴿ الحج أشهر  
معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من  
خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب ﴾  
[البقرة: ١٩٧].

ويقول عليه الصلاة والسلام : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم  
ولدته أمه » (٢).

والحق أن الحج به فيه من أوضاع وشعائر ، ودعوات ، وابتهالات وذكريات مدرسة  
تملأ القلب رضا وسكينة وإيمانا وطمأنينة وتغمره بالخير من جميع نواحيه فيعود مسلما مؤمنا ،  
حقا وصدقا مسارعا للاستجابة لربه الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى يصدق عليه قول  
الصادق المصدوق ﷺ : « ذاق طعام الإيثار من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا وبمحمد  
ﷺ نبيا ورسولا » (٣).

(١) المصدر السابق : ٢٩٢ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مسلم .

# النصائح من الله صلى

لسماته شيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز  
الرئيس العام لإدارة الدعوة والإفتاء والدعوة والإرشاد

الحمد لله وحده .. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. أما بعد :

فلا ريب أن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له كما قال عز وجل : ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بهذه العبادة وبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزل الكتب لبيان هذا الحق وتفصيله والدعوة إليه كما قال عز وجل : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ ومعنى قضى فى هذه الآية أمر ووصى وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ وقال سبحانه : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أن لا تعبدوا إلا الله انى لكم منه نذير وبشير ﴾ وقال تعالى : ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب ﴾ ففى هذه الآيات الكرييات الأمر بعبادته سبحانه والتصريح بأنه خلق الثقلين لهذه العبادة وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيانها والدعوة إليها .

وحقيقة هذه العبادة هى طاعة الله ورسوله ﷺ بالاخلاص لله فى جميع الأعمال والامتثال لأوامره والحذر من نواهيه والتعاون فى ذلك كله وتوجيه القلوب إليه سبحانه فى كل ما يهملها وسؤاله عز وجل جميع الحاجات عن ذل وخضوع وإيمان واخلاص وصدق وتوكل عليه سبحانه ورغبة ورهبة مع القيام بالأساليب التى شرعها لعباده وامرهم بها وإباح لهم مباشرتها .



وبهذا كله يستقيم أمر الدنيا والدين وتنظيم مصالح العباد في أمر المعاش والمعاد ولا صلاح للعباد ولا راحة لقلوبهم ولا طمأنينة لضمايرهم إلا بالأقبال على الله عز وجل والعبادة له وحده والتعظيم لحرماته والخضوع لأوامره والكف عن مناهيه والتواصي بينهم بذلك والتعاون عليه واقوف عند الحدود التي حد لعباده كما قال عز وجل ﴿ تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾ .

ومن المعلوم انه لا يتم أمر العباد فيما بينهم ولا تنتظم مصالحهم ولا تجتمع كلمتهم ولا يهابهم عدوهم إلا بالتضامن الإسلامى الذى حقيقته التعاون على البر والتقوى والتكافل والتناصر والتعاطف والتناصح والتواصى بالحق والصبر عليه . ولاشك أن هذا من أهم الواجبات الإسلامية والفرائض اللازمة وقد نصت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية . على أن التضامن الإسلامى بين المسلمين أفراداً وجماعات وحكومات وشعوباً من أهم المهمات ومن الواجبات التى لا بد منها لصلاح الجميع واقامة دينهم وحل مشاكلهم وتوحيد صفوفهم وجمع كلمتهم ضد عدوهم المشترك .

والنصوص الواردة فى هذا الباب من الآيات والأحاديث كثيرة جداً ، وهى وان لم ترد بلفظ التضامن فقد وردت بمعناه وما يدل عليه عند أهل العلم والأشياء بحقائقها ومعانيها لا بألفاظها المجردة فالتضامن معناه التعاون والتكاتف والتكافل والتناصر والتناصح والتواصى وما أدى هذا المعنى من الألفاظ .

ويدخل فى ذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله سبحانه وارشاد الناس إلى أسباب السعادة والنجاة وما فيه صلاح أمر الدنيا والآخرة .

ويدخل فى ذلك أيضاً تعليم الجاهل واغاثة الملهوف ونصر المظلوم ورد الظالم عن ظلمه واقامة الحدود وحفظ الأمن والأخذ على أيدي المفسدين والمخربين وحماية الطرق بين المسلمين داخلاً وخارجاً وتوفير المواصلات البرية والبحرية والجوية والاتصالات السلوكية واللاسلكية بينهم لتحقيق المصالح المشتركة الدينية والدنيوية وتسهيل التعاون بين المسلمين فى كل ما يحفظ الحق ويقيم العدل وينشر الأمن والسلام فى كل مكان .

ويدخل فى التضامن أيضاً الاصلاح بين المسلمين وحل النزاع المسلح بينهم وقتال الطائفة الباغية حتى تنفىء إلى أمر الله عملاً بقول الله عز وجل ﴿ فاتقوا الله واصلحوا ذات

بينكم ﴿ وقوله سبحانه ﴾ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴿ .

ففى هذه الآيات الكرييات أمر الله المسلمين جميعاً بتقواه سبحانه والقيام بالاصلاح بينهم عموماً وبالاصلاح بين الطائفتين المقتلتين منهم خصوصاً وقتال الطائفة الباغية حتى ترجع عن بغيها وأن يكون الصلح على أسس سليمة قائمة على العدل والانصاف لا على الميل والجور ، وفيها التصريح بأن المؤمنين جميعاً إخوة وإن اختلفت ألوانهم ولغاتهم وتناءت ديارهم فالإسلام يجمعهم ويوحد بينهم ويوجب عليهم العدل فيما بينهم والتصافى والكف عن عدوان بعضهم على بعض ويوجب على اخوانهم الاصلاح بينهم إذا تنازعوا . ثم ختم الله هذه الآية بالأمر بالتقوى وعلق الرحمة على ذلك فقال ﴿ واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ فدل ذلك على أن تقوى الله فى كل الأمور هى سبب الرحمة والعصمة والنجاة وصلاح الأحوال الظاهرة والباطنة .

ويدخل فى التضامن أيضاً تبادل التمثيل السياسى أو ما يقوم مقامه بين الحكومات الإسلامية لقصد التعاون على الخير وحل المشاكل التى قد تعرض بينهم بالطرق الشرعية واختيار الرجال الأكفاء فى عملهم ودينهم وأمانتهم لهذه المهمة العظيمة .

ويدخل فى التضامن أيضاً توجيه وسائل الإعلام إلى ما فيه مصلحة الجميع وسعادة الجميع فى أمر الدين والدنيا وتطهيرها مما يضاد ذلك .

وما ورد فى هذا الأصل الأصل وهو التضامن الإسلامى والتعاون على البر والتقوى قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ أمر الله سبحانه فى هذه الآية الكريمة عباده المؤمنين بأن يتقوه حق تقاته ويستمروا على ذلك ويستقيموا عليه حتى يأتيهم الموت وهم على ذلك ، وما ذاك إلا لما فى تقوى الله عز وجل من صلاح الظاهر والباطن وجمع الكلمة وتوحيد الصف واعداد العبد لأن يكون صالحاً مصلحاً وهادياً مهدياً باذلاً النفع لآخوانه كافاً للأذى عنهم معيناً لهم على كل خير ولهذا أمر الله المؤمنين بعد ذلك بالاعتصام بحبله فقال ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ وحبل الله سبحانه هو دينه الذى أنزل به كتابه الكريم وبعث به رسوله الأمين محمداً ﷺ والاعتصام

به هو التمسك به والعمل بما فيه والدعوة الى ذلك والاجتماع عليه حتى يكون هدف المسلمين جميعاً ومحورهم الذى عليه المدار ومركز قوتهم هو اعتصامهم بحبله وتحاكمهم إليه وحل مشاكلهم على نوره وهداه وبذلك تجتمع كلمتهم ويتحد هدفهم ويكون ملجأ لكل مسلم في اطراف الدنيا وغوثاً لكل ملهوف وقلعة منيعة وحصناً حصيناً ضد أعدائهم ، وهذا الاجتماع وهذا الاتحاد وهذا التضامن تعظم هيبتهم في قلوب أعدائهم ويستحقون النصر والتأييد من الله عز وجل ويحفظهم سبحانه من مكائد الأعداء مهما كانت كثرتهم كما وقع ذلك بالفعل لنبينا محمد ﷺ وصحابته الكرام رضى الله عنهم واتباعهم بإحسان في صدر هذه الأمة ففتحوا البلاد وسادوا العباد وحكموا بالحق وحقق الله لهم وعده الذى لا يخلف كما قال عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وَلِيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ أَنَا فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ اللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِن تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبَنَّ كَيْدَهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ . ففى هذه الآيات الكرييات حث المسلمين وتشجيعهم على التمسك بدينهم والقيام بنصره وذلك هو نصر الله فإنه سبحانه وتعالى في غاية الغنى عن عباده وإنما المراد بنصره هو نصر دينه وشريعته وأوليائه والله ناصر من نصره وخاذل من خذله وهو القوى العزيز وفي هذه الآيات أيضاً البشارة العظيمة بأن الله عز وجل ينصر من نصره ويستخلفه في الأرض ويمكن له ويحفظه من مكائد الأعداء .

فالواجب على المسلمين جميعاً أينما كانوا هو الاعتصام بدين الله والتمسك به والتضامن فيما بينهم والتعاون على البر والتقوى ومناصحة من ولاه الله أمرهم والحذر من أسباب الشقاق والخلاف والرجوع في حل المشاكل إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ والتواصي في ذلك كله بالحق والصبر عليه مع الحذر من طاعة النفس والشيطان وبذلك يفلحون ويسلمون من كيد أعدائهم ويكتب الله لهم العز والنصر والتمكين في الأرض والعاقبة الحميدة ويؤلف بين قلوبهم وينزع منها الغل والشحناء وينجيهم من عذابه يوم القيامة . وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا

تشرکوا به شیئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » . أخرجہ مسلم فی صحیحہ .

ومما ورد فی التضامن الاسلامی قوله جل وعلا : ﴿ وتعاونوا علی البر والتقوی ولا تعاونوا علی الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شدید العقاب ﴾ .

وهذه الآیة الکریمة من أصرح الآیات فی وجوب التضامن الإسلامی الذی حقیقته ومعناه التعاون علی البر والتقوی كما سلف بیان ذلك وفيها تحذیر المسلمین من التعاون علی الاثم والعدوان لما فی ذلك من الفساد الکبیر والعواقب الوخیمة والتعرض لغضب الله سبحانه وتسلیط الأعداء وتفريق الکلمة واختلاف الصفوف وحصول التنازع المفضی إلى الفشل والخذلان . نسأل الله للمسلمین العافیة من ذلك . وفي قوله سبحانه فی ختام الآیة : ﴿ واتقوا الله إن الله شدید العقاب ﴾ تحذیر للمسلمین من مخالفة أمره وارتکاب نیهه فینزل بهم عقابه الذی لا طاقة لهم به .

ومن الآیات الواردة فی التضامن أيضاً قوله عز وجل : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولیاء بعض یأمرون بالمعروف وینهون عن المنکر ویقیمون الصلاة ویؤتون الزکاة ویطیعون الله ورسوله ﴾ وهذه الصفات العظیمة هی جماع الخیر وعنوان السعادة وسبب صلاح أمر الدنیا والآخرة ولهذا علق سبحانه وتعالی رحمتهم علی هذه الصفات الجليلة فقال : ﴿ أولئک سیرحمهم الله إن الله عزیز حکیم ﴾ ، فتبین بذلك أن الرحمة والنصر علی العدو وسلامة العاقبة کل ذلك مرتب علی القيام بحق الله وحق عباده ولا یتم ذلك إلا بالتناصح والتعاون والتضامن والصدق فی طلب الآخرة والرغبة فیما عند الله والانصاف من النفس وتحری سبیل العدل وفي هذا المعنی يقول عز وجل ﴿ یاأیها الذین آمنوا کونوا قوامین بالقسط شهداء لله ولو علی أنفسکم أو الوالذین والأقربین إن یکن غنیاً أو فقیراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوی أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا ، فإن الله کان بما تعملون خبیراً ﴾ ، ويقول عز وجل فی سورة المائدة : ﴿ یاأیها الذین آمنوا کونوا قوامین لله شهداء بالقسط ولا یجرمنکم شنآن قوم علی ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوی واتقوا الله ان الله خبیر بما تعملون ﴾ وفي هاتین الآیتین أمر المؤمنین ان یقوموا لله بالقسط وان یشهدوا له بذلك فی حق العدو والصدیق والقرب والبعید . وقال تعالی : ﴿ یاأیها الذین آمنوا اطیعوا الله واطیعوا الرسول وأولی الأمر منکم فان تنازعتم فی شیء فردوه الی الله والرسول ان کنتم تؤمنون بالله والیوم الآخر ذلك خیر وأحسن تأویلاً ﴾ .

ومما ورد من الأحاديث الشريفة في التضامن الإسلامي الذي هو التعاون على البر والتقوى قول النبي ﷺ « الدين النصيحة » قيل لمن يارسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » أخرجه مسلم في صحيحه ، وقوله ﷺ : « المؤمن لدؤ من كالبيان يشد بعضه بعضا » وشبك أصابعه . وقوله ﷺ : « مثل المسلمين في تراحمهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر » ، أخرجهما البخارى ومسلم في صحيحهما .

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل دلالة ظاهرة على وجوب التضامن بين المسلمين والتراحم والتعاطف والتعاون على كل خير . وفي تشبيههم بالبناء الواحد والجسد الواحد ما يدل على انهم بتضامنهم وتعاونهم وتراحمهم تجتمع كلمتهم وينتظم صفوفهم ويسلمون من شر عدوهم فواجب المسلمين جميعاً أن يتعاونوا على البر والتقوى وأن يدعوا إلى الحق والهدى وأن يعنوا غاية العناية في الدعوة إلى تضامن المسلمين وأن يبذلوا جميعاً ما يستطيعون من الوسائل في نشر هذه الدعوة ومساندة الداعين إليها وشرح محاسنها ومصالحها لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم حتى يتحقق للجميع ما يرجونه من عز في الدنيا وسعادة في الآخرة ، عملاً بقول الله سبحانه ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ . وقوله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ .

وإمام الجميع في هذه الدعوة العظيمة وقودتهم في هذا السبيل القيم هو نبينهم وسيدهم وقائدهم الأعظم نبينا محمد رسول الله ﷺ فهو أول من دعا هذه الأمة إلى توحيد ربها والاعتصام بحبله وجمع كلمتها على الحق والوقوف صفاً واحداً في وجه عدوها المشترك ، وفي تحقيق مصالحها وقضاياها العادلة عملاً بقوله تعالى مخاطباً له : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾

وقد سار على نهجه القويم صحابته الكرام واتباعهم بإحسان رضى الله عنهم وارضاهم فنجحوا في ذلك غاية النجاح وحقق الله لهم ما وعدهم به من عزة وكرامة ونصر كما سبق التنبيه على ذلك والإشارة إليه أول هذه الكلمة ، ولا ريب أن الله عز وجل إنما حقق لهم ما تقدمت الإشارة إليه بإيمانهم الصادق وجهادهم العظيم وأعمالهم الصالحة وصبرهم ومصابرتهم وصدقهم في القول والعمل وتضامنهم وتكاتفهم في ذلك لا بانسابهم ولا

بأموالهم . كما قال تعالى : ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون ﴾ وكما قال النبى ﷺ « من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه » وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » اخرجها مسلم فى صحيحه فمن سار على سبيلهم ونهج نهجهم اعطاه الله كما اعطاهم وايده كما ايدهم فهو القائل عز وجل فى كتابه المبين : ﴿ انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وهم اللعنة وهم سوء الدار ﴾ وهو القائل سبحانه : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جنودنا لهم الغالبون ﴾ وهو القائل عز وجل : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ .

والله عز وجل المسؤول ان يجمع كلمة المسلمين على الهدى وان يفقههم فى دينه وان يصلح ولاية أمرهم ويهديهم جميعاً صراطه المستقيم وان يمنحهم الصدق فى التضامن بينهم والتناصح والتعاون على الخير وان يعيدهم من التفرق والاختلاف ومضلات الفتن وان يحفظهم من مكائد الأعداء انه ولى ذلك والقادر عليه . . . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

## قيادة مسلمة

عندما التقى المسلمون والفرس فى القادسية أمر سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - جنوده المسلمين بقراءة سورة الجهاد « الأنفال » فلما فرغوا منها قال لهم :

الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر، فإذا صليتم، فإني مكبر تكبيرة، فكبروا واستعدوا، فإذا سمعتم الثانية، فكبروا والبسوا عدتكم، فإذا سمعتم الثالثة فكبروا ونشطوا الناس، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا حتى تحالطوا عدوكم، وقولوا :

« لا حول ولا قوة إلا بالله » .

# الإسلام بسُّنَنِهِ وَالْفِرْقَةُ وَالْوَحْدَانِيَّةُ

## وَرِصُونُ عَوَامِلِ لَوْحَةٍ وَالْإِتِّلَافُ

لِلدُّكْتُورِ جَمْعَةَ عَلِيٍّ الْخَوَلِي  
رئيس قسم الدعوة بالجامعة

يحرص الإسلام حرصاً بالغاً على أن تبقى أواصر الود والائتلاف بين المسلمين متينة العود، صلبة القوام، لا يكدرها غيم، ولا يوهنها كيد... ولذلك نفر من كل ما من شأنه أن يوتر الصدور أو يوهي رباط الاخوة .

فحرم الغيبة والنميمة :

لما لها من أثر سيء على علاقات الناس، قال عليه الصلاة والسلام «كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله»<sup>(١)</sup> وجاء في خطبة الوداع «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»<sup>(٢)</sup> .

والغيبة كما قال عليه الصلاة والسلام هي «ذكرك أخاك بما يكره، فإن كان فيه فقد أغتبه وإن لم يكن فيه فقد بهته»<sup>(٣)</sup> ومعنى بهته افتريت عليه الكذب .

والنميمة هي نقل الكلام بين الناس على جهة الافساد، قال عليه الصلاة والسلام «لا يدخل الجنة نمام»<sup>(٤)</sup> وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «لا يبلغني أحد عن أصحابي شيئاً فإنني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»<sup>(٥)</sup> .

ونفر من المراء والجدال :

لما يولده ذلك من الخصومة والاختلاف، ويورثه من الفرقة والتعدد، روى ابن ماجة عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»<sup>(٦)</sup>

(٤) مسلم / ١٠٥ .

(٥) أبو داود ٤٨٦٠ والترمذي ٣٨٩٣ .

(٦) ابن ماجة ج١ / ١٩ .

(١) مسلم رقم ٢٥٦٤ ترتيب فزاد عند الباقي

(٢) البخاري ج١ - ١٤٥ / ١٦٧٩ .

(٣) مسلم ٢٥٨٩ .

ثم تلا هذه الآية ﴿بل هم قوم خصمون﴾ (الزخرف: ٥٨) وكذا رواه الترمذى وقال حسن صحيح .

وكذا روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال «من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة»<sup>(١)</sup> وقال أبو الدرداء «كفى بك إثما ألا تزال ممارياً» .

ونهى عن التباغض والتقاطع والتدابير :

وفى الحديث «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»<sup>(٢)</sup> .

وفيه أيضاً «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال «انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا»<sup>(٣)</sup> .

كما نهى عن احتقار المسلم ولمزه والسخرية به والتجسس عليه وسوء الظن به من غير ضرورة :

قال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ (الحجرات: ١١) .

وقال عليه الصلاة والسلام «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»<sup>(٤)</sup> وقال «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»<sup>(٥)</sup> .

وأتى برجل إلى ابن مسعود فقيل له «فلان هذا تقطر حيته حمراً، فقال: إنا نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به»<sup>(٦)</sup> .

(١) فى لفظ لابن ماجة ج١/ ٢٠ (من ترك الكذب وهو مبطل بنى له قصر فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له فى وسطها) ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها) .

(٢) البخارى ومسلم (انظر فتح البارى ج١٠/ ٤٠١) ومسلم ٢٥٥٩ .

(٣) مسلم ٢٥٦٥ .

(٤) مسلم ٢٥٦٤ .

(٥) البخارى ج١٠/ ٤٠٤) ومسلم ٢٥٦٣ .

(٦) أبو داود ٤٨٩٠ .



ونهى عن إظهار الشماتة بالمسلم :

عن وائلة بن الأسقع رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ «لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك»<sup>(١)</sup> والشماتة هي الفرحة ببلية الغير .

★ ★ ★ ★

وهكذا حاول الإسلام أن يبعد أتباعه عن كل ما من شأنه أن ينفر بعضهم من بعض ، أو يقطع صلوات بعضهم ببعض ، وكان رسول الله ﷺ شديد الكره للفرقة والاختلاف ، كثير التحذير من عواقبها السيئة ، ولذلك كان يحارب كل مظهر يشي بالفرقة والشذوذ ، أو يدل على التشتت والانقسام .

عن أبي ثعلبة . . كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشعاب والأودية - ولعل ذلك كان لتفهيؤهم الظل وأماكن الشجر - فقال النبي ﷺ إن تفرقكم هذا من الشيطان . . فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال «لو بسط ثوب عليهم لعمهم»<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «أما يخشى أحدكم - إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار»<sup>(٣)</sup> .

وهكذا ترهب السنة من الخروج على صورة التجمع الإسلامى وتهدد من يشذ عن الجماعة ولو كان يؤدي عبادة . روى الترمذى بسنده عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال «عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، ومن أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة» .

إن الحفاظ على وحدة الصف الإسلامى والابقاء على جماعته وأمته قرينة عظيمة يجب أن تمحى من أجلها كل ما يشينها أو يخلخلها ، ولذلك فإن الإسلام في الوقت الذى نفر فيه من عوامل الفرقة والاختلاف ، بارك كل ما من شأنه أن يقوى الروابط ، ويشيع الألفة ، وكافأ على ذلك الأجر الجزيل .

فدعا إلى التآخي والتواد والتحابب في الله :

قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات : ١٠) وجاء في الحديث القدسى

(١) الترمذى ٢٥٠٨ .

(٢) أبو داود كتاب الجهاد ج ٣/٩٥ وأحمد ج ٤/١٩٣ .

(٣) متفق عليه عن أبي هريرة ، البخارى كتاب الأذان ومسلم كتاب الصلاة .

«المتحابون في جلالى هم مناير من نور يغبطهم النبيون والشهداء»<sup>(١)</sup> وفي رواية للإمام مالك «وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في ، والمتزاورين في ، والمتبادلين في» .

وروى أبوداود بسنده عن عمر بن الخطاب قال ، قال رسول الله ﷺ «إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله ، قالوا يارسول الله تخبرنا من هم ، قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس ، وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية من سورة يونس ﴿ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون﴾<sup>(٢)</sup> .

ودعا إلى المصافحة والبشر عند اللقاء :

قال عليه الصلاة والسلام «إذا التقى المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا بصاحبه ، فإذا تصافحا أنزل الله عليهما مائة رحمة للبادى تسعون وللمصافح عشرة»<sup>(٣)</sup> وذلك لأن المصافحة كالبيعة ، ومن شرط الإيمان الأخوة والولاية ، فإذا لقي المسلم أخاه فصافحه فكأنه بايعه على هاتين الخصلتين - الأخوة والولاية - ففي كل مرة يلقاه يجدد بيعته ، فيجدد الله ثوابها كما يجدد للحامد على النعمة ثوابا على شكرها ، فإذا فارقه بعد مصافحته لم يخل في أثناء ذلك من خلل فيجدد عند لقائه ، فالسابق إلى التجديد له من المائة تسعون لاهتمامه بشأن التمسك بالأخوة والولاية ، ومسارعتة إلى تجديد ما وهى منها ، وحثه على ذلك وحرصه عليه»<sup>(٤)</sup> .

كما دعا إلى التعاون والتناصر ودعم أواصر الجماعة :

قال تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾<sup>(المائدة: ٢)</sup> .

ومن توجيهات الرسول ﷺ في هذا الباب ما يلى :

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك عليه الصلاة والسلام بين أصابعه»<sup>(٥)</sup> .

(٤) انظر فيض القدير ج١/٣٠١ .

(٥) البخارى كتاب الصلاة ومسلم كتاب البر .

(١) الترمذى وابن ماجه كتاب الزهد .

(٢) أبوداود ج٣/٧٩٩ ، كتاب البيوع .

(٣) البزار والطبرانى وحاكيم فى التوادى (نظر فيض القدير ج١/٣٠١)

«المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله» (١).

«المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه» (٢).  
«من دل على خير فله مثل أجر فاعله» (٣).

«من يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» (٤).  
«من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا. ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا» (٥).  
«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل يارسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، فكيف أنصره إن كان ظالماً؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره» (٦).

كما دعا الإسلام إلى التزاوير بين الإخوان في الله :

روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «أن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ أي تحفظها وتربيتها وتسعى في إصلاحها، قال: لا. غير أنى أحببته في الله. قال: فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه» (٧).

وروى الترمذى عن أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ «من عاد مريضاً أوزار أخاه في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلاً».

النزاع والشقاق مدمر للأمة مذهب لريحتها :

من قوانين المجتمعات الإنسانية التي لا تتخلف أن «الاتحاد قوة والتفرق ضعف» فإذا التحدت الأمة عز جانبها، وقوى سلطانها، واحترمها العدو والصديق، أما إذا تفرقت وتوزعت طمع فيها من لا يدفع عن نفسه. . . ولذلك بين الله عز وجل للأمة الإسلامية أن عقبى الخلاف والنزاع قاتلة وذلك في قوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾

(١) مسلم عن النعمان بن بشير - كتاب البر .

(٢) أبو داود والترمذى .

(٣) أبو داود وكتاب الأدب .

(٤) مسلم عن أبي هريرة كتاب الذكر .

(٥) البخارى كتاب الجهاد ومسلم كتاب الامارة .

(٦) البخارى كتاب المظالم ومسلم كتاب البر .

(٧) أحمد ج ٢/ ٤٢٩٢ . ٤٠٨ . ٤٦٢ .

(الأنفال: ٤٦) فالنزاع والخلاف واتباع الأهواء لن يورث إلا المذلة والفشل ، وقد جنت الأمة من وراء ذلك المر والحنظل ، كما ينبه الله في آية أخرى أن افتراق الأمة وتمزقها شيعا متناحرة إنما هو كارثة اجتماعية مدمرة لا تقل في خطورتها عن خطورة الكوارث الكونية الأخرى التي تبدل الأرض غير الأرض ، وذلك في قوله تعالى ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ (الأنعام: ٦٥) فالآية كما ترى تقرر الوعيد بافتراق الأمة شيعاً وأحزاباً بالكوارث الكونية المدمرة كالخرق والغرق .

وهذا يدل على أن تمزق الأمة من الداخل بلاء خطير يقضى عليها ولا تجد من يرثي لها ولقد ساق المفسرون عند شرح هذه الأحاديث عدة أحاديث منها ما رواه الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقتها ومغارها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربي لأمتى ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإنى أعطيت لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة ، وألا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من أقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً» (١) .

وهذا الحديث يعطى - ضمن ما يعطى - أن الأمة الإسلامية لا تزال قوة غالبية مادامت محتفظة بمقومات الغلبة والقوامة من الاجتماع على شريعة الله والاعتصام بحبله المتين ، عندئذ لا تستطيع قوة فى الأرض مهما بلغت من العتو والفجور أن تنال منها شيئاً ، ولو اجتمعت عليها من كل جانب . . . ومن هذا نفهم أن أخطر بلاء يصيب الأمة هو تمزيق وحدتها من الداخل . . . وأن الفرقة تصنع مالا يصنعه الأعداء . . . ولا شك أن الفرقة والاختلاف نتيجة حتمية لبعث الناس عن التطبيق النظرى والعملى لشرع الله ، عندئذ تلعب بهم الأهواء وتظهر القوميات والعصبيات وكل ما يجر الشقاق والبلاء ، ولذلك وجهنا القرآن الكريم إلى العصمة من هذا كله فقال ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (آل عمران: ١٠٣) .

(١) مسلم كتاب الفتن .

فالنجاة مما تعانیه الأمة من عواقب الفرقة والاختلاف تكمن في الاعتصام بحبل الله والتجمع حول عقيدته ونهجه ودينه، وليس على أى تصور آخر، أو تحت راية أخرى. ذكر ابن سحوق وغيره أن هذه الآية - والآيات قبلها - نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلاً من اليهود يدعى شاس بن قيس مر بملأ من الأوس والخزرج، فسأه ما هم عليه من الانساق والألفة، فبعث رجلاً معه، وأمره أن يجلس بينهم وأن يذكرهم ما كان بينهم من حروب. . . ففعل، فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم، وغضب بعضهم على بعض، وتناوروا، ونادوا بشعارهم، وطلبوا أسلحتهم، وتوعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم» وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا وألقوا السلاح رضى الله عنهم. . . وكذلك بين الله لهم فاهتدوا، وكذلك يبين الله لنا ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ .

#### مؤتمر على الطريق :

ولقد فطن المسئولون في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة إلى الخطر الذي يتهدد المسلمين من جراء فرقتهم واختلافهم. . . فدعوا إلى المؤتمر العالمى الثانى لتوجيه الدعوة واعداد الدعوة بناء على الموافقة السامية على انعقاده في شهر ربيع الأول من هذا العام سنة ١٤٠٤ هـ ، وإنها لبادرة طيبة ويقظة مباركة من الجامعة أن تجعل الموضوع الرئيسى للمؤتمر «سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامى ووحدة المسلمين» وذلك بعد أن تردى بالمسلمين الحال إلى درجة طمع فيهم عدوهم وتجراً عليهم أراذل خلق الله وأجبنهم من الصهاينة الذين وصفهم الله بقوله ﴿لا يقاتلوكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ (الحشر: ١٤) . أجل «إنها ليقظة جليلة موفقة - نسأل الله أن يباركها ويكتب لها العون والنجاح - جاءت في وقت اشتدت فيه حاجة المسلمين إلى التضامن والوحدة، ونبذ الخلافات والأهواء، والالتقاء على كلمة سواء» .

ومن يمن هذا المؤتمر أن ينعقد في طيبة الطيبة، مركز الهجرة، وعاصمة الدولة الإسلامية الأولى. . . فمن هذا المكان الطاهر المقدس جمع النبي ﷺ القبائل المتنافرة في حزمة متألفة وقضى على الأطماع الشخصية والرايات العنصرية ووجد الجميع تحت راية التوحيد فأصبحوا بنعمة الله إخواناً متحابين .

واليوم يجيء علماء الأمة من كل أصقاع الأرض إلى دار التوحيد والوحدة يحدوهم  
الأمل في أن يرسموا للأمة طريق الخلاص من واقعها الأليم . .

فاللهم إن هذه الجموع التي قطعت الفياض والقفار التقت قلوبها على محبتك، ونصرة  
دينك وبإعلاء كلمتك، فأيد اللهم يارب جهودها، وامنحها عونك ونورك، ورضاك  
وتوفيقك، وكلل عملها ومسعاها بالنجاح والفلاح، إنك يامولانا نعم المولى ونعم النصير .

# مُرْتَكزَاتُ التَّضَامُنِ وَالْوَحْدَةِ

لِلشَّيْخِ عَوَظِيَّةِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِي

المرين بالمسجد النبوي والقاضي بمحكمة المدينة المنورة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد :

ان الحديث عن التضامن الإسلامي والوحدة الإسلامية هو في حقيقته ومعناه حديث عن الإسلام، وعن الامة الإسلامية .

إذ أن التضامن كما يقال على وزن تفاعل ولا يكون إلا بين أطراف متعددة تعمل متضامنة على تحصيل ما يضمن لها تحقيق سعادتها ويكفل لها متطلبات حياتها في عزة وكرامة . وحرية إرادة، واقامة مجتمع فاضل تسوده العدالة وتظله الحرية ويعمه الأمن والرخاء .

وعليه فإن التضامن الإسلامي بهذا المعنى هو بعينه الدعوة إلى الإسلام بكل معانيه وتعاليمه ومناهجه .

بل ان مفهوم التضامن هو نتيجة حتمية لدعوة الرسل جميعا الذين دعوا أممهم لعبادة الله وحده والالتفاف حول ما دعوههم إليه ، والالتزام بما جاء وهم به من عند الله كما قال ﷺ نحن معاشر الأنبياء أبناء علات ديننا واحد . وقوله سبحانه في دعوة إبراهيم - عليه السلام - وإسماعيل في رفع بناء البيت : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله اباك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهنا واحدا ونحن له مسلمون ﴾ .

وبعد محاجة اليهود والنصارى وإبطالها أمر سبحانه المؤمنين أن يعلنوها صريحة :  
﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط  
وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له  
مسلمون﴾ .

فالدعوة إلى التضامن الإسلامى والوحدة الإسلامية دعوة إلى الإسلام الذى دعت  
إليه جميع الرسل فى جميع الأمم .

### تعدد الدعوات المعاصرة :

والدعوة إلى التضامن الإسلامى ووحدة العالم الإسلامى قد جاءت فى هذا العصر  
الذى كثرت فيه الدعوات وتميزت فيه التكتلات ، واختلفت فيه مناهج الحياة وكل حزب بما  
لديه فرحون . وقد غشيت العالم الإسلامى من هذا كله سحب معتمة حجبت عن  
الكثيرين أضواء الحقيقة . وغزت عقول المسلمين حملات فكرية مشككة أوقعت العوام فى  
حيرة وتركتهم فى متاهة . تشتت فيها الصفوف وتفرقت فيها الكلمة وضاعت فيها الشخصية  
الإسلامية السليمة فطمع فيهم العدو وعجز عن مساعدتهم الصديق .

فاغتصبت بلادهم ، ونهبت ثرواتهم ، ودنست مقدساتهم . وعجز العالم كله ماثلاً فى  
المنظمة العالمية (هيئة الأمم) أن يفعل لنا شيئاً مهماً كان الحق واضحاً والظلم فادحاً .  
وأصبحنا على كثرة عددنا نكاد لا يعبأ بنا فتخلفنا عن مكانتنا المرموقة وتخلينا عن مواقع  
قيادتنا الحكيمة .

بل أصبحنا تبعاً لغيرنا وبدون اختيارنا . الأمر الذى جعل المخلصين من ولاية أمورنا  
يبحثون عن الشخصية الإسلامية الضائعة وعن المنهج العملى الصالح ويتطلبون أقوم السبل  
التي تعيدنا إلى ما كنا عليه وترد لنا حقوقنا وتخلصنا من تبعيتنا لغيرنا ونصبح حيث وصفنا الله  
تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ .

فأيقن أولئك المخلصون أن لن يصلح آخر هذه الأمة إلا الذى أصلح أولها ألا وهو  
العودة إلى الإسلام وليست تلك الدعوات الزائفة ولا المفلسفة فدعوا إلى التضامن  
الإسلامى والوحدة الإسلامية .

وكان من فضل الله وتوفيقه أن يكون انطلاقتها من مهبط الوحي ومنطلق الرسالة  
يقودها خادم الحرمين الشريفين وتبناها رابطة العالم الإسلامى برحاب بيت الله تعالى .



ثم يأتي هذا المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة فينعقد وللدورة الثانية في مدينة رسول الله ﷺ التي انطلق منها الغزاة والدعاة على السواء .

وموضوعه الآن : سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين وقد حددت أهداف هذا المؤتمر في أهداف نبيلة بناء واضحة وافية وهي كالآتي :

### أهداف المؤتمر :

جاءت أهدافه محددة في خمس نقاط وهي :-

١ - تبصير الأمة بالطريق الذي رسمته الدعوة لتحقيق التضامن والوحدة لتعود كما كانت وكما يريد لها دينها أن تكون ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ . ﴿ان هذه أمتكم أمة واحدة﴾ .

٢ - تعميق الانتماء والولاء للأمة الواحدة عقيدة وسلوكا، والتجاوب مع مقوماتها من الأخوة والولاية، والتضامن، والاعتزاز بما اختصاصها الله به من الخيرية ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ . ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ .

٣ - إيجاد رأى عام إسلامي قوى يعي عن إيمان وبصيرة على هدى الكتاب والسنة حقيقة التضامن والوحدة، ويربط حركته بهما في كل جوانب الحياة واتجاهاتها .

٤ - تحكيم شريعة الإسلام بين جميع المسلمين والتسليم بها حكم به .

٥ - أن يتحقق للأمة الإسلامية ما تسعى إليه من التقدم والقوة، وأن يراها العالم في مكانتها التي يجب أن تكون فيها لكي تعطى ذلك المكان ما هو مفقود إليه لتصحيح أوضاعه وإصلاح حياته .

وهذه الأهداف كلها تلتقى مع العمل الجاد الأكيد الشامل لكل الأفراد وعلى مختلف المستويات للانضواء تحت راية الدعوة إلى التضامن الإسلامي وتطبيقه عمليا على واقع حياتنا وفي منهج سلوكنا .

وقد وضعت عناوين لمواضيع مختلفة كفيلة بتحقيق هذه الأهداف بلغ عددها الثلاثين عنوانا . . .

ومنها ومن أهمها الموضوع الثاني بعنوان مرتكزات التضامن والوحدة وبما أن المرتكزات في كل شيء وهى جمع ركيزة ما تكون بمثابة القواعد والأسس التى يقوم عليها وظهرت لى أهمية العناية بهذا الموضوع أحببت الكتابة فيه آملا التوفيق والسداد ومن الله تعالى العون والتأييد . . .

### تمهيد بين يدي الموضوع :

ان المتأمل لتاريخ الدعوات التى ظهرت فى المجتمع الإنسانى أيا كان شعارها وخاصة فى منطقة الشرق الأوسط وبالأخص فى دول المنطقة فان لكل دعوة مرتكزات تركز عليها، ومنطلقات تنطلق منها . وقد تزيف أو تفلسف بما يوهم العامة ويغريهم بها .

من ذلك الدعوة إلى القومية فإنها تركز على الجنس والعنصر ولا تبالى بالمبادئ ولا بالعقائد، أشبه ما تكون بدعوى الجاهلية من التعصب للقبيلة ويكفى لفساد هذه الدعوة أنها كانت ولا تزال السبب فى تمزيق الأمم التى تظهر فيها وأول خطر منها على العالم ضياع الدولة العثمانية إذ عمل اليهود على إثارة الأتراك ضد العرب وحرصوهم على اختصاص تركيا بالأتراك، فكانت ثورة (أنا ترك) وضياع الخلافة العثمانية وتمزيق العالم الإسلامى دويلات .

وفى أوروبا القومية الجرمانية وغير ذلك .

وآخر الدويلات التى جاءت بها دعوة القومية تقسيم قبرص بين الجنسية التركية والجنسية اليونانية .

ومما يندى له الجبين ما سمعته فى نجيريا فى رحلة داخلية ضمن بعثة الجامعة الإسلامية مع الزعيم الراحل أحمد بلو أنه أثناء الحرب الفلسطينية جهزت سفينة حربية لتتجه إلى فلسطين لانقاذ القدس فسمع المسؤلون التنادى بالقومية العربية وأن على العرب حماية القدس وعليهم مسؤلويتها، فقال المسؤلون هناك إذا كانت القضية الفلسطينية قضية عربية وليست إسلامية فلسنا بعرب وأمروا السفينة بالعودة .

ومن ذلك الدعوة إلى الوطنية . وكان من سوء نتائجها على الشعب البريطانى صاحب المدنية والحضارة حينما طرد عيذى أمين جميع الرعايا البريطانيين من بلده امتنع الشعب البريطانى فى بريطانيا أن يقبلهم بدعوى أنهم استوطنوا غير وطنهم . إلى غير ذلك مما شهده العالم أخيرا .

وكل تلك الدعوات مع خطورتها فإنها محدودة الأفق محصورة الموطن مهزوزة المرتكزات لم تلبث أن تنهار فتنهدم بأصحابها .

وبعض تلك الدعوات قد تأبأها فطر البشر فتفرض عليهم بقوة السلطة كالأشترابية والتمييز العنصرى، فتسلب الفرد أخص خصائص الإنسانية وهى حرية الاختيار، وتعطيل الإرادة وأهدار الكرامة .

### أما دعوة التضامن الإسلامى والوحدة الإسلامية :

فهى دعوة تتفق تماما مع فطرة الإنسان التى فطره الله عليها وتسائر طبيعته كل المسيرة وتتجاوب مع جبلته إلى أعماق نفسه .

ولهذا فلقد لمست شفاف القلوب واستجابت معها العواطف . فبرزت بين تلك الدعوات العديدة وكتب لها البقاء وقوبلت بقبول حسن لأنها ارتكزت على مرتكزات أصيلة وعميقة وعملية واقعية لم تخرج عن طبيعة الإنسان ولم تغاير عقيدته الإسلامية ولم تصطدم مع واقع حياته التى يحياها فى هذا العالم . وهذا هو الاطار الكلى للفرد المسلم وللمجتمع الإسلامى .

وتتلخص تلك المرتكزات فى نظرى فى ثلاثة أمور :-

(١) سنة الحياة وتكوين الإنسان .

(٢) منهج التشريع الإسلامى جملة وتفصيلا .

(٣) الواقع السياسى والوضع الاجتماعى الذى نعيشه مع العالم حولنا . . .

ولكل مرتكز من هذه المرتكزات معطياتها، وفعاليتها لو تأملها كل عاقل وكل مسلم لما حاد عنها ولبادر إلى الانتفاء إليها ولعرف أنها هى السبيل الوحيد التى تحقق له كل ما يتطلع إليه من استرجاع حقوقه المسلوبة والحاقه بأجداد اسلافه .

وسنحاول بعون الله تعالى وتوفيقه بيان كل مرتكز من هذه الثلاثة ومدى عطائه لدعوة التضامن والوحدة . . .

وانى لأمل أن أكون بهذا العمل المحدود وجهد الطاقة حسب ما أجتزؤه من الوقت وأزاحم به من الأعمال قد أسهمت ولو بأيسر اليسير بين الثلاثين موضوعا ومن بين العديدين من أفاضل الكتاب الذين تمكنهم ظروفهم من الاستيفاء والاستقصاء وبالله التوفيق . . .

## المرتكز الأول : تكوين الإنسان وسنن الحياة

قام تكوين الإنسان على أن يكون تعاونيا متضامنا مع غيره لا انعزاليا منفردا بنفسه .  
ولعل معنى إنسان من اليناس .

ففى تاريخ هذا الإنسان لم يستطع الإنسان الأول وهو أبو البشر آدم عليه السلام أن يعيش وحده ولو كان فى جنة الفردوس . فخلق الله له من نفسه زوجة يسكن إليها ﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ . (الأعراف : ١٨٩) .

قال ابن كثير فى تفسيره (ج ١ ص ٧٩) ويقال ان خلق حواء كان بعد دخوله الجنة كما قال السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة : أخرج ابليس من الجنة وأسكن آدم الجنة فكان يمشى فيها وحيشا ليس له زوج يسكن إليه فنام نومة فأستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها من أنت ؟ .

قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ . قالت : لتسكن لى . . .  
وذلك مايشعر بأن تكوين الإنسان أساسا تكويننا جماعيا تعاونيا .

ثم بعد هبوطه إلى الأرض كانت حاجته أشد إلى من يعاونه فيها فبدأ بالانجاب وتزواج الأولاد وإيجاد الأجيال والحفاظ على بقاء النوع . ومن ثم تقاسم أعباء الحياة .

ثم كانت الجماعة البشرية أمام العوامل الكونية التى اضطرتها اضطرارا على التضامن والتعاون والاتحاد لتواجه مجتمعة تلك العوامل التى لا يستطيع الفرد أن يواجهها كحماية أنفسهم من المخلوقات المتوحشة وكتذليل الصعاب فى الأرض لاستنبات نباتها ، واستحصاد زرعها ، واستخراج كنوزها ، وتصنيع موادها مما يحتاجونه فى حياتهم على هذه الأرض .

ثم بعد انتشار الجماعة وتكاثر الجماعات جاءت التنظيمات الجماعية التى تميزت فيها التخصصات الميدانية وتخصص لها بعض أفراد الجماعة .

١ - فتميز مثلا مجال الاقتصاد من مآكل وملبس ومسكن وتخصص له رجال يعملون وينتجون ما يوفر للجماعة حاجتها الاقتصادية .

٢ - وتميز مجال الدفاع وحفظ الأمن ، وتخصص له عسكريون ومدافعون .

٣ - وتميز مجال الطب والعلاج وتخصص له أطباء ومعالجون .

٤ - وتميز مجال التعليم وغير ذلك من المجالات بقدر ما تستجد حاجة الأمة .

٥ - ومن وراء ذلك كله السياسة والحكم والحكام والسياسيون مما هو في حكم الضرورة للجماعات البشرية ولا يمكن أن تقوم كلها ولا بعضها إلا بتعاون الأفراد بعضهم البعض بل ان كل تلك المجالات ذات الاختصاصات لا يمكن أن تقوم واحدة منها منفردة بدون معاونة مع الآخرين .

وانا للنمس ونشاهد ذلك في عالمنا المعاصر في جميع مؤسساته وفي مجموعها فيما بينها . ففى جميعها نجد أن كل مؤسسة تشتمل رئيسا ومرؤسين وجميعهم من القاعدة إلى القمة كل في موقعه يؤدي واجبه . ولا غنى لرئيس عن مرؤس .

وكذلك فيما بين تلك المؤسسات كل منها تؤدي دورها في خدمة المجتمع مما لا تؤديه غيرها . وكل منها خادم ومخدوم في دائرة التعاون والتضامن كما قيل :

الناس للناس من بدو وحاضرة      بعض لبعض وان لم يشعروا خدم  
فسنة الحياة تلزم الأحياء أفرادا وجماعات بالتضامن معا ، وقد امتد فشمّل هذا المرتكز الطبيعي جميع دول العالم كله اليوم طوعا أو كرها سواء كان في السلم أو في الحرب .

عن طريق تبادل منافعهم فيما بينهم فعند هذه سلع ونتاج ولتلك حاجة ماسة إليها وقد قامت السوق الأوروبية بين دول أوروبا بتنظيم هذه العلاقة بسبب تفاوت الثروات الطبيعية والكفاءات البشرية . فالسلعة التي تفيض عند هذه تحتاجها تلك وكذلك العكس وهلم جرا .

ولا يمكن لأمة اليوم أن تعيش في معزل عن العالم حيث ارتبطت كلها بمصالح مشتركة فهي تسير في نظام تضامن الزامى تمليه ظروف الحياة وتطورات العالم وعلى سبيل المثال ترابط العالم في تسيير الخطوط الجوية والخدمات البريدية ، والأعمال المصرفية ، والاصدارات المالية ، والتمثيل الدبلوماسى وغير ذلك مما له الصبغة العالمية .

ولا يبعد من يقول ان هذه السنة الكونية التعاونية ليست قاصرة على الإنسان بل هي أيضا موجودة في عالم الحيوانات والحشرات ولا أدل على ذلك من عالم النحل والنمل .

وعلى هذا فإن هذا المرتكز التضامنى فطرى كونى وهو الزامى جبرى ليس للإنسان فيه اختيار ولا له عنه استغناء .

فإذا كان هذا المرتكز الفطرى يقع فى اطار إسلامى ، وكانت دعوة التضامن من هذا المنطلق دعوة فطرية تسائر الفطرة وتساندها طبيعة الحياة .

وإذا كان لابد للإنسان أن يتضامن مع غيره ولكل جماعة أن تتعاون مع غيرها على أى مبدأ كان سواء كان عنصريا بالجنس أو وطنيا بالموطن أو اقتصاديا بالانتاج أو عسكريا بالأحلاف فلأن يكون باسم ومنهج الإسلام من باب أولى حيث أنه منهج التعاون على البر والتقوى . وأن الخلق كلهم عباد لله والأرض كلها له سبحانه . . .

### المرتكز الثانى : منهج التشريع الإسلامى :

ولكى نحدد معالم هذا المنهج نعود إلى مدلول التضامن والغرض منه وهو أن يجد الإنسان فردا كان أو جماعة ما يضمن له حياة أفضل يتوفر له فيها ما ينقصه ، ويسلم فيها مما يضره ومعلوم أن هذين المطلبين جلب النفع ودفع الضررهما مطلب كل عاقل كما قيل :

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما يراد الفتى كيما يضر وينفع  
أى يضر عدوه أو ينفع صديقه .

ومنهج الإسلام شامل لهذين المطلبين ومعهما الحث على مكارم الأخلاق وهو مطلب إنسانى كما قال أكثم بن صيفى حين بلغه أمر ظهور دعوة الإسلام فأرسل ولده ليأتيه بخبر محمد ﷺ وما يدعو إليه ، فرجع إليه وقال له : أنه يأمر بصلة الرحم وصدق الكلم وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وينهى عن كذا وكذا . . .

فقال أكثم : إنه والله يابنى إن لم يكن ديننا فهو من مكارم الأخلاق .

وقد شرع الإسلام عقود المعاملات لجلب النفع وتبادل المصالح لتوفير حاجيات الإنسان . من مطعم وملبس ومسكن فى صناعة وزراعة وتجارة .

كما شرع لدفع الضرر تحريم كل ضار بجواهر الحياة الخمسة - الدين - النفس - العقل - النسب والعرض . والمال . وجعل فيها حدودا رادعة وزاجرة .

كما أرشد ووجه لمكارم الأخلاق فى الروابط الاجتماعية ابتداء من حقوق الزوجين وبر الوالدين . وحسن المعاشرة من العفو عن المسيء والاحسان والايثار على النفس وغير ذلك ، وكذلك روابط الجوار وصلة الأرحام وكفالة الأيتام ومساندة الضعفاء . وعموم التعاون على البر والتقوى .

وتظهر صور التضامن والوحدة في منهج الإسلام مفصلة ابتداء من العقيدة السليمة ثم العبادات التي هي الغاية من خلق الثقلين الجن والإنس كما قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ . فجميع المسلمين يلتقون على عبادة الله تعالى وحده وبالوجه الذي يرضاه .

وهذا المنهج قد ربط بين جميع الأمم الإسلامية كما قال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ . فهي وحدة دينية تربط الحق بالخلق في إطار التشريع الإسلامي .

وكما تقدم قوله تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

وعقيدة التوحيد هي المرتكز والتي يجتمع عليها العرب والعجم ويستوى فيها الغنى والفقير والكبير والصغير ويلتقى عليها من بالشرق بمن بالمغرب . وهي العقيدة التي تحرر الإنسان من استعباد الإنسان ومن طغيان المادة وعوامل الطغيان لأن الفرد باحساسه بأن جميع الخلائق عباد لله ملتزمون بأوامر الله .

وفي العبادات تتجلى هذه الصور عمليا بصور ملموسة وذلك كالآتي :-

### (١) ففي الصلاة :

- أ - وحدة التوقيت مرتبطة بحركة كونية من طلوع الشمس إلى غروبها .
  - ب - واستجابة النداء حي على الصلاة حي على الفلاح الله أكبر : ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ .  
﴿ إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ﴾ .
  - ج - وحدة الوجهة إلى مركز العالم كله إلى البيت الحرام : ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ .
- تبدأ هذه الوحدة في استدارة حول الكعبة ثم تتسع حتى تشمل أقطار العالم شرقا وغربا شمالا وجنوبا .

### (٢) وفي الصيام :

- أ - وحدة الزمن في الصوم بشهر واحد للجميع : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ .

ب - وحدة الشعور بالتعاطف والتراحم - يبدأ بالامساك وينتهي بالاطعام وأخراج الفطرة طعمة للمساكين وطهرة للصائمين .

(٣) - أما الزكاة :

أ - فهي تضامن الزامى يربط مختلف الطبقات بعضها ببعض ويقارب بين من باعدت بينهم المادة ويجمع بين من فرق بينهم الغنى والفقير حيث يلتزم الغنى باخراج زكاة ماله : ﴿ وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ . ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها وصل عليهم ﴾ .

فالزكاة طهرة للنفوس من شح الأغنياء وحسد الفقراء ، وزكاة للمال فلا تنقص وتصون المجتمع من حرب الطبقات وغزو الدعايات .

أما الحج وهو الركن الأعظم :

فهو عين التضامن ومظهر الوحدة في أظهر الصور وأقوى المعاني يفد الحجيج من كل فج عميق ملبين الداعي لحج بيت الله العتيق . مجددين العهد القديم مستجيبين نداء إبراهيم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - يخرج الحاج من أهله ودياره مفارقاً زوجته وصغاره حتى يأتى الميقات فيتجرد من ثيابه متخلياً عن مظاهر دنياه . مُتدثر ارداداه وازاره متهيأ لحال اخراه .

هناك يعود الحجيج على مختلف ألوانهم وتباعد أقطارهم وتعدد لغاتهم يعودون إلى الفطرة التي فطرهم الله عليها . وتعود إليهم فطرتهم التي ابتعدوا عنها فطرة الوحدة والإخاء والمساواة . فيستوى غنيهم وفقيرهم وأميرهم ومأمورهم . ويستوى عربيهم وعجميهم . وقاصيهم ودانيهم وحدة في الشكل والصورة ووحدة في الهدف والغاية يهتفون لبيك اللهم لبيك .

ب - وفي أرض عرفات في ذلك المشهد الفريد في تاريخ البشرية حاضرها وماضيها حواضرها وبواديها . مشهد يذكر بالماضى في عالم الذرة ، حين أخرج الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ﴿ وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ . مشهد ينبههم لمستقبلهم يوم يجمع الله الخلائق ومحشرهم حفاة عراة . مشهد تذوب فيه فوارق الجنس والعنصر واللون وتتجلى فيه وحدة الأصل (كلكم لأدم وآدم من تراب) .

مشهد تفتح له حدود الأقاليم والأقطار والدول : ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ .



مشهد تلتقى فيه الأشباح وتتعانق فيه الأرواح ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ .  
ج - وفي منى يلتقى الجميع على موائد الهدى والاحلاص فيأكلون ويطعمون فكلوا  
منها وأطعموا القانع والمعتر .

أمانة الدعوة : ومن هناك يتحملون أمانة الدعوة والبلاغ عن رسول الله ﷺ حيث  
حمأها أصحابه لمن بعدهم : «بلغوا عنى ولو آية» . «رب مبلغ أوعى من سامع» . فيرجع  
الحجاج بمثابة السفراء إلى بلادهم الدعوة إلى ربهم وقد تعارف كل منهم على الكثيرين من  
أخوانهم ووثقوا عرى الأخوة والولاء ، قد ينتج عنها زيارة وصلة ونحو ذلك .

### الاجتماعيات :

وكما ظهر مدى التضامن والوحدة في العبادات يظهر كذلك وبقوة في مجال الاجتماعيات  
لأن الإسلام أقام المجتمع الإسلامي على قواعد مثالية عالية ترتفع عن مقاييس المادة  
والمعاوضة إلى حد البذل والايثار .

أ - ففي أصل تكوين المجتمع توجد المساواة في المبدأ : ﴿يا أيها الناس انا خلقناكم من  
ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ . ففيها وحدة الإنسانية جمعاء .

ب - وفي تكوين الأسرة التي هي لبنة بناء المجتمع . أقامها على روابط المودة والرحمة :  
﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في  
ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ . وجعل معادلة بين الزوجين غاية في تضامنها : ﴿ولهن مثل  
الذي عليهن﴾ .

فإذا جاء الأولاد : قابل بين عاطفة الأبوة بإيجاب بر البنوة وجعلها وفاء بحق قد  
استوفاه الأولاد من قبل ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ . ثم أظهر مدى حق الوالدين  
حين قرنه بحقه سبحانه في قضاء مبرم . ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين  
احسانا﴾ . ثم ان الولد سيستوفي مثل هذا الحق من أولاده ان هو أداه لأبويه . وهكذا  
دواليك .

ج - ثم هو يراعى هذا الصنف من الناس الذي حرم رعاية الأبوين وذاق بؤس  
القطيعة وذل العزلة ألا وهو اليتيم فكفله بالرعاية وأحاطه بالحنان وجعل ﷺ لكافله أعلى  
المنازل في الجنة .

وهذا من أقوى دلائل التضامن الإسلامي في المجتمع الإنساني . لأنه يطيب نفس  
الأب على ولده إذا حضرته الوفاة بأن المجتمع كافل له ولده .

ثم ان هذا الولد اليتيم المكفول اليوم سيصبح غدا رجلا ويكفل يتيماً غيره .

د - ثم يفسح المجال خارج نطاق الأسرة فيأتي للجوار فيقول ﷺ: «الجار أحق بصقبه». «ولا يزال جبريل - عليه السلام - يوصيه بالجار حتى ظن ﷺ أنه سيورثه» .

هـ - ثم يربط العالم كله برباط النصح والاخلاص ومحبة الخير «الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله . قال : لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» .

و - فتكون النتيجة ترابط العالم الإسلامي كالبناء الحصين «مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد» . «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا» فأى تضامن بعد هذا وأى وحدة بعد هذا وأى وحدة تضاهى ذلك .

ومن هنا حمل الإسلام جماعة المسلمين مسؤلية الحفاظ على تلك الوحدة وعلى هذا التضامن في السلم وفي الحرب أفراد أو جماعات .

(١) ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله﴾ . الآية . . .

(٢) «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيوان» .

«كلكم راع وكل مسئول عن رعيته» .

﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ .

وفرض حقوقا عامة على كل مسلم لأخيه المسلم : «حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه . وإذا دعاك فأجبه . وإذا عطس فحمد فشمته . وإذا استنصحك فانصح له . وإذا مرض فعده . وإذا مات فشيعه» .

وتلك حقوق متبادلة بين الأفراد يتقاضونها فيما بينهم وقد استوعبت كامل وضع الإنسان من أول لقائه بالسلام عليه إلى آخر وداعه بالتشجيع إلى مثواه الأخير .

ربط الإيوان بالمحبة والمودة والعاطفة والرحمة بينهم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» .

وحرم الجنة عليهم حتى تسودهم المحبة : «لن تدخلوا الجنة حتى تحابوا» .

فالدعاة إذا ما ركزوا دعوتهم إلى التضامن الإسلامي والوحدة الإسلامية على منهج الإسلام كان تركيزا قويا ينطلق من عواطف وشعور كل مسلم حيث يحقق للجميع أفرادا وجماعات كل ما يسمو إليه دون أن تعترضه العقبات ولا تكدره الشبهات .

وهناك مجال الحكم في سلطاته الثلاث :

السلطة التشريعية . والسلطة القضائية . والسلطة التنفيذية ، وهذه السلطات الثلاث وان كانت بصورها موجودة في كل دولة إلا أنها في الإسلام تتميز بصيغة خاصة تضىف عليها بهاء الرفق ورونق الاحسان .

فالسطة التشريعية في كل أمة هيئة متخصصة تنظر في ظروف وملابسات حياة الأمة فتشروع لها ما تراه صالحا .

ومهما يكن من شأن هذه الهيئة وتخصصاتها فهو عمل بشري جائز عليه الخطأ والصواب وهو ما يشهده العالم من طروء التغيير والتبديل فقد يكون ما رآه اليوم يكون غير صالح في الغد .

وان ما يطرأ على تلك الهيئات من سياسة داخلية واتجاهات فكرية قد تؤثر عليها إلى غير ذلك .

بينما التشريع في منهج الحكم الإسلامى مرجعه لله تعالى ولرسوله ﷺ والمختصون للتشريع بعد رسول الله ﷺ هم العلماء ورثة الأنبياء فإذا ما لزم نظروا تشريع لمستجد في الحياة فإنهم لن يخرجوا عن المنهج الإسلامى في حدود ما أنزل الله من كتابه وسنة رسوله ﷺ .

وقد نوه القرآن الكريم إلى أصل هذه السلطات وإلى تميزها عما سواها . في قوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز ﴾ فأرسال الرسل بالبينات من ربهم ، وإنزال الكتاب لتشريع مناهجهم والميزان للعدالة . . .

والسلطة القضائية ، ليقوم الناس بالقسط إذ القضاء تطبيق للمنهج التشريعى .

وأنزل الحديد اشارة إلى السلطة التنفيذية وأداة لنصرة دين الله فيكون المجتمع الإسلامى تحت سلطة حكم عادلة قوية حكيمة وأساس الحكم في البشر إنما هو الله خالقهم لا سواه ، وهو أعلم بمصالحهم وما يصلحهم . فهو كالعبادة سواء في قوله تعالى : ﴿ ان الحكم إلا لله أمر الا تعبدوا إلا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ . (يوسف : ٤٠) .

ومن هذا المنطلق في الحكم كان الظلم في غيره محققا في أى حكم سوى حكم الله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .

وفي مقابل ذلك لا يتم إيمان العبد حتى ينزل على حكم الله راضيا مسلما تسليما : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ . (النساء : ٥٥) .

ومن هذا المنطلق فان ارتكاز دعوة التضامن إلى منهج التشريع الإسلامي وفي ظل الحكم بما أنزل الله تكون دعوة ممتدا سببها بالله لا تلاقيها صعوبات ولا تعطلها عقبات وهي دعوة مضمون لها النصر من عند الله : ﴿ان تنصروا الله ينصركم . ويثبت أقدامكم﴾ . مضمونة نتيجتها للأمة سعادة في الدنيا وفلاحا في الآخرة .

### المرتکز الثالث : واقع الحياة الذي نعيشه والتيارات السياسية التي حولنا :

من الواضح البين حالة العالم السياسي والسياسة التي فرضت على الجميع وألزمت العالم كله العيش ضمن تكتلات سياسية ، وأحلاف عسكرية واتفاقيات اقتصادية . وليس بوسع أى دولة أن تعيش وحدها في معزل عن هذا العالم بعيدة عن تلك التكتلات لقوة ترابط الدول بعضها مع بعض شاءت أم أبت .

ولم تعد السياسة مجرد تنظيم لعلاقات الدولة في الخارج بل أصبح الداخل مرتبطا بالخارج في السلم وفي الحرب عن طريق الانتاج والتسويق . فهي منافع مشتركة ومصالح متبادلة . توثقت باتفاقيات عالمية أو ثقافية وأحلاف عسكرية . وأهم ذلك كله الأحلاف العسكرية لانها لحماية الدولة بكل مرافقها والداعى لكل ذلك من اتفاقيات وأحلاف هو شعور تلك الدول بالضعف وبالحاجة إلى تضامنها بعضها مع بعض وذلك منذ الحرب العالمية الأخيرة حيث كانت عصبة الأمم لدول أوروبا ضد هتلر والنازية لعجز تلك الدول منفردة عن مقاومتها .

وبعد عصبة الأمم جاءت هيئة الأمم وضمت دول العالم على امل الحياة في أمن وطمأنينة . ولكن هيئة الأمم لم تحقق للعالم ما أمله فيها حيث أقيمت في بادىء أمرها على التخصيص والامتياز فمنحت الدول الكبرى حق النقض (الفيتو) .

ومن العجب أن يمنح هذا الحق للدول القوية التي تستطيع أن تظلم وأن تتعدى مما يصعب معه استخلاص حق المظلوم أو استرجاع حق مغصوب .

وكان الأولى لو أجاز ذلك أن يعطى للدول الضعيفة لترد به عن نفسها .

وأن أحداث التاريخ وخاصة في الدول النامية لتشهد بذلك .

قامت جامعة الدول العربية وكان قيامها مظهرا من مظاهر تضامن دول المنطقة مهما قيل عن أسباب قيامها .

وكل تلك الهيئات والمؤسسات العالمية لم تستطع استتباب الأمن ولا منح الطمأنينة للعالم فنشأت كتكتلات وأحلاف عسكرية انطلقت في سياق التسليح النووي بما يهدد العالم كله بالدمار. وذلك في حلفى الناتو وحلف شمال الأطلسي .

وانقسم العالم إلى معسكرين اقتصاديين شيوعى فى الشرق ورأسمالى فى الغرب وما بقى من العالم يدعى بدول عدم الانحياز .

ولكن عدم انحياز لم يعزله عن غيره ولم يبعده عن الخطر ومن ثم أوجد لنفسه ارتباطات فيما بينه وعقدت له عدة مؤتمرات لدراسة وضعه ووضع التدابير لصالحه .

وأخر ما يكون ما حدث فى المنطقة من قيام مجلس تعاون دول الخليج دفع قيامه واقع العالم السياسى وحاجة دول المنطقة إلى التعاون الأخرى وقد شمل عدة مجالات عامة اقتصاديا وسياسيا وأمنيا وثقافيا واعلاميا . فهو أصدق صورة لما نرجوه للعالم الإسلامى من التضامن والوحدة .

ومع هذا كله فان هذه المؤسسات الدولية على اختلاف مناهجها وأشكالها فهى اما اقليمية محدودة واما عالمية غير عادلة .

أما التضامن الإسلامى فليس هو بالتضامن المادى النفعى وإنما هو تضامن أخوى عاطفى إنسانى دينى دعا إليه الإسلام والتزم المسلمون بمضمونه ولاغنى لهم عنه .

«المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يظلمه ولا يسلمه ، المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ، لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» .

وتحت هذا الشعار واستجابة لهذا النداء : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ يدعوا دعاة التضامن بكل قوة ووضوح .

### وحدة الأمة :

ان الوحدة والتضامن متلازمان ويلزم من وجود كل منهما وجود الآخر لأن الأمة المتحدة المتضامنة ، والأمة المتضامنة ، متحدة ، وهذا من خصائص الإسلام ونتائج منهجه وتشريعه .

ووحدة الأمة في نظر الإسلام وتعاليمه تركز على مرتكزين رئيسين :

(١) وحدة الجنس .

(٢) وحدة العقيدة .

ومن ورائهما عناية من الله وانعامه على عباده وامتنانه .

(١) أما وحدة الجنس ففي ارجاعهم إلى أبيهم آدم عليه السلام وأمهم حواء : ﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ ومن وراء هذا التعارف اخاء وتراحم : ﴿ إنما المؤمنون اخوة ﴾ . وقد صور الإمام علي - رضی الله عنه - معنى وحدة الجنس فقال في أبيات له :

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهموا آدم والأم حواء

(ب) أما وحدة العقيدة فهي الوحدة المعنوية التي تقابل الوحدة الحسية لأن العقيدة عمل القلب لا علاقة لها بالجنس ولا بالنون ولا بالمكان ولا بالزمان فيرتبط فيها جميع أبناء المعتقد الإسلامي فيؤمن أنه وكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وآمن بما آمن به السلف الصالح ودعا إليه الكتاب والسنة . شعريقتنا أن كل من دان بذلك أنه أخ له في دينه وملتمزم معه في تكاليفه فيرتبط آخر الأمة بأولها بل صالح هذه الأمة بصلحاء الأمم قبلنا وأقرأ قوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم ﴾ .

﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .

(ج) أما عناية الله في هذه الرحدة وانعامه على هذه الأمة فهو من تأليف هذه القلوب وتقارب هذه النفوس يلقي المسلم أخاه المسلم من أقصى الدنيا وأدناها . فإذا هويبادلته التحية ويتبادل معه التعاطف . وذلك تحقيق لقوله تعالى : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ . فهي نعمة امتن الله تعالى بها على هذه الأمة . وبعد امتنانه بها شرع ما يحفظها . وما يديمها فبعد قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله ﴾ .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ .

كما نهى عن سوء الظن وعن التجسس والغيبة . وهى كلها عوامل فرقة وتمزيق الوحدة  
بيننا دعا إلى تقوية هذه الوحدة بالتراحم والتعاون وحسن الجوار وكل ما فيه معانى الإنسانية  
من عفو وتسامح إلى حد الاحسان إلى المسيء : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس  
والله يحب المحسنين﴾ .

فهذه كلها روافد تصب في أصل أوجه الوحدة الإسلامية تروىها فتنمو على أثرها .

## الخاتمة :

وإذا كانت دعوة التضامن الإسلامى كدعوة ظهرت في هذا العصر متميزة من بين  
الدعوات التى انطلقت في العالم وخاصة بين المسلمين . من قومية ووطنية ومدنية ديمقراطية  
وشعارات متعددة .

فإن الدعوة إلى التضامن الإسلامى في هذا الوقت بالذات وبين هذه الدعوات  
والشعارات هى أولى وأحرى للأمة الإسلامية لتعود بها إلى صميم دينها والحفاظ على كيانها  
وأثبت شخصيتها وتثبيت دعائمها على تلك المرتكزات الثلاث . . .

وإذا كانت في ظهورها ومنطلقها من خادم الحرمين الشريفين ومن جوار القبلة المشرفة  
قبلة وجهتهم ومهوى أفئدتهم فإنها بلا شك قد لامست شغاف القلوب المؤمنة وأيقظت  
شعور الشعوب المسلمة ، ولا طفت عواطف كل مسلم في العالم فلقيت بحمد الله قبولاً لدى  
الجماعات واستقبلت بترحاب من الأفراد .

ولا نزال نسمع كل حين وآخر بنتائج عظيمة حيث تنادى بعض الدول بالعودة إلى  
الإسلام والتزامها بتنفيذ احكام الشريعة بدلا من القوانين التى كانت تسير عليها .

ومن ثم يلتقى قادة تلك البلاد بشعوبها وتلتف تلك الشعوب بقادتها وتواصل الأمة  
سيرها على نور الله .

واليوم ومن رحاب الجامعة الإسلامية ومن أرض المدينة المنورة مهد الدعوة ومنطلق  
الدعاة تتجدد تلك الدعوة من المؤتمر الثانى لإعداد الدعاة تنطلق في جدتها وجديد رونقها

وصفاء محاسنها بريئة من كل شائبة نزيهة عن كل غرض شخصى أو مادية بعيدة عن أى اتجاه سياسى أو فكر أجنبى مصطبغة بصبغة الله : ﴿ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾  
فإنها بحمد الله لتعلوا على الشبه وتسموعن الشكوك وتحلق فى سماء الحق معلنة أنها دعوة السلف وأمانة الخلف وانه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما قد أصلح أولها وسما بسلفها قمة المجد .

كما أنها بارتكازها على تلك المرتكزات الثلاث التى أسلفنا وهى مرتكز طبيعة تكوين الإنسان وسنة الحياة . ومركز منهج التشريع الإسلامى . ومركز الحالة السياسية والوضع الاجتماعى الذى نعيشه . فإنها تركز على عوامل قبولها وتحمل دواعى بقائها .

كما تحقق للأمة الإسلامية كل مطالبها وتمكن لها ما أراد الله منها : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ . ﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم﴾ . أى أن دعوة التضامن الإسلامى بما تشير إليه هذه الآية فى نهايتها لم يقتصر نفعها على المسلمين فحسب بل وعلى أهل الكتاب لو آمنوا بها وأيدوها .

ثم بين تعالى ما لو تم للعالم الإسلامى اتحاده وتضامنه وأخذ الأعداء يكيدون له أنهم سيندحرون كما قال : ﴿وان يقاتلوكم يولوكم الأذبار ثم لا ينصرون﴾ .

ونحن لا نبعد إلى هذا الحد ولا نفرط فى التفاؤل أو نتطلع إلى غير المسلمين وإنما ندعو إلى تضامن الأمة الإسلامية تحت شعار الوحدة والائخاء

وان دور الدعاة ابراز أهمية التضامن وضرورة الوحدة على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ومحاسن الإسلام وحكمة التشريع ما أمكن ذلك .

فإن العالم الغربى اليوم فى متاهة الخيرة وظلمة الضلالة ولو وجد ضياء من تعاليم الإسلام لبادر إليه .



وليس بعيدا عنا إسلام (الدكتور المسيحي) في المؤتمر الطبى . لما رأى ما فى الإسلام من تعاليم وما فى القرآن من اعجاز الأمر الذى جعله يعلن عن إسلامه فى قاعة المؤتمر عن قناعة وادراك ومعرفة .

وهاهى الأعداد الكثيرة التى يعلن عن إسلامها فى كثير من دول العالم . وفى هذه البلاد وفى المدينة بالذات لما يشاهدون من اخاء وتعاطف وتعاون وتراحم فالله الله فى الدعوة إلى الله وإلى التضامن الذى هو التطبيق العملى لدعوة الإسلام : ﴿وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله . والمؤمنون﴾ .

كما انا لنهيب بالجهات المختصة أن تمد يد العون وتبذل كل الجهد لمساعدة الدعوة إلى الله فى دول العالم بما يستطيعون به القيام بواجبهم وأداء عملهم على الوجه الذى يروونه وتتطلبه دعوتهم فى مراكز عملهم .

كما نأمل دوام انعقاد هذا المؤتمر وعلى فترات متقاربة لمدايسة أحوال الدعوة على ضوء واقع حياتهم وما يستجد أمامهم . وتقديم المساعدة إليهم قولاً وعملاً وبالله التوفيق . . . . . وصلى الله وسلم وبارك على إمام المرسلين وخاتم النبیین وعلى آله وصحبه وسلم . . . . .

## الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

عن حذيفة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال :  
«والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكن  
الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» .  
(رواه الترمذى)

# كَيْفَ أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ أَوَّلَ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى النَّضَامِ وَالْوَحْدَةِ؟

الدكتور محمد السيد طنطاوي  
رئيس جمعية تفسير الدرر بالدرر بالعليا بالجامعة

كلمتا التضامن والوحدة ، من الكلمات المحببة إلى النفوس ، لأنها تدلان على التكافل ، والترابط ، والتراحم ، بين الأفراد والجماعات .

وقد سما الإسلام بهاتين الكلمتين ، فجعلهما رمزاً للتعاون على البر والتقوى لا على الأثم والعدوان ، بعد أن كانتا في الجاهلية ، تخضعان للروابط العنصرية ، وللنزعات القبلية ، ولإرضاء ما جبلت عليه النفوس - التي استحوذ عليها الشيطان - من حب للسيطرة ، ومن التعالي على الغير ، وإخضاعه لسلطانه . . . فمثلاً ، قبل الإسلام ، تضامنت واتحدت قبيلة الأوس فيما بينها ، وقبيلة الخزرج فيما بينها ، على أن تنتقم كل قبيلة من الأخرى ، وأن تخضعها لسلطانها . . .

أما بعد أن وفق الله - تعالى - هاتين القبيلتين للدخول في الإسلام فقد صار هذا التضامن ، يقوم على الحب والإخاء والتعاطف بين الجميع ، بدون تفرقة بين قبيلة وأخرى .

ولقد أقام النبي ﷺ أول دولة إسلامية على التضامن والوحدة ، عن طريق التوجيهات القرآنية ، والإرشادات النبوية .

وذلك لأن القرآن الكريم ، هو الكتاب الذي أنزله الله - تعالى - على نبيه ﷺ ، لكي يخرج الناس به من الظلمات إلى النور ، وليكون هداية لهم إلى ما هو أقوم ، وليرشدهم إلى ما يسعدهم ويصلحهم ، وليجنبهم الوقوع في الأخطاء التي لا تحمد عقباها .

أما السنة النبوية فمن أهم وظائفها : تفصيل ما جاء في هذا القرآن من إجمال ، وتأكيد ما أمر به أو نهى عنه . . .

روى الإمام أبو داود في سننه عن المقدم بن معد يكرب ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الخمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السباع » (١) .

وهذه التوجيهات القرآنية ، وتلك الإرشادات النبوية ، قد سلكت في إقامة أول دولة إسلامية على التضامن والوحدة ، مسالك متنوعة ، من أهمها ما يأتي :

أولاً : أن القرآن الكريم ، قد بين للناس جميعاً ، أن الله - تعالى - قد خلقهم بقدرته من نفس واحدة ، فعليهم أن يعيشوا في هذه الحياة متآخين متحابين . . قال - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [ النساء : ١ ] .

والمعنى : يأبى الناس اتقوا ربكم بأن تطيعوه فلا تعصوه ، وبأن تشكروه فلا تكفروه ، فهو وحده الذى أوجدكم من نفس واحدة ، هى نفس أبيكم آدم ، وهو وحده الذى أوجد من هذه النفس الواحدة زوجها حواء ، وهو وحده الذى « بث » أى : نشر وفرق ، من تلك النفس الواحدة وزوجها ، على وجه التوالد والتناسل ، رجالاً كثيراً ، ونساء كثيرة .

فأنت ترى أن هذا النداء لجميع المكلفين ، قد نبههم إلى أمرين :

أولهما : وحدة الاعتقاد بأن ربهم واحد لا شريك له ، فعليهم أن يخلصوا له العبادة ، لأنه هو الذى خلقهم وهو الذى رزقهم ، وهو الذى يميئتهم وهو الذى يحييهم ، وهو الذى أوجدهم جميعاً - بقدرته النافذة - من نفس واحدة .

وثانيهما : وحدة النوع والتكوين ، إذ الناس جميعاً على اختلاف ألسنتهم وأشكالهم وأجناسهم ، قد انحدروا عن أصل واحد . .

ومادام الأمر كذلك فيجب أن يشعر الجميع بفضل الله عليهم ، وأن يبنوا علاقاتهم فيما بينهم على التضامن والتكافل والإخاء ، وأن يوقنوا بأنه لا فضل لجنس على جنس ، ولا للون على لون ، إلا بمقدار حسن صلتهم بربهم ، وطاقاتهم لخالقهم - عز وجل - .

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٧ .

وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى في كثير من أحاديثه ، ومن ذلك ما جاء في خطبته الجامعة في حجة الوداع ، فقد جاء فيها :

« أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود ، إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال ﷺ : فليلغ الشاهد الغائب » .

ثانيا : لقد صرح القرآن الكريم ، بحكمة التي من أجلها خلق الله - تعالى - الناس من ذكر وأنثى ، وجعلهم شعوباً وقبائل ، فقال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [ الحجرات : ١٣ ] .

وقوله « شعوباً » جمع شعب . وهو اجمع العظيم من الناس ، يجمعهم أصل واحد .

وقوله « قبائل » جمع قبيلة . والقبيلة : الجماعة من الناس يضمهم أب واحد .

والمعنى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وهما آدم وحواء ، ﴿ وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ .

أى : وجعلناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضاً ، فتصلوا الأرحام ، وتبينوا الأنساب ، وتعاونوا على ما ينفعكم ، ويصلح شأنكم .

فالتعارف - لا التناكر - هو أساس العلائق بين البشر ، وهو الحكمة التي من أجلها خلق الله - تعالى - الناس من ذكر وأنثى ، وجعلهم شعوباً وقبائل . ويجب أن يعود الناس إلى هذا التعارف والتآلف ، وأن يزيلوا ما نشب بينهم من خلاف ، وما دب فيهم من خصام ، حتى تتحقق الحكمة المنشودة من وجودهم في هذه الحياة .

ثالثا : لقد بين القرآن الكريم في كثير من آياته ، أن الأمة الإسلامية ، أمة واحدة في عقيدتها وفي شريعتها ، مهما تئات ديارها ، وتباعدت أوطانها ، واختلفت لغاتها ، ومن هذه الآيات قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ﴾ [ الأنبياء : ٩٢ ] .

وقوله - تعالى - : ﴿ وَأَنْ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون ﴾ [ المؤمنون :

٥٢ ] .

أى : إن هذه الأمة الإسلامية ، التى هى أمتكم - أيها المسلمون - « أمة واحدة » لأن إلهها واحد ، ودينها واحد ، وشريعتهما واحدة ، وقبلتها واحدة ، وأهدافها واحدة . . . « وأنا ربكم » لا شريك لى فى الربوبية « فاعبدون » أى : فأخلصوا لى العبادة والطاعة ، ولا تشركوا معى أحداً من خلقى فى ذلك .

وهذه الوحدة للأمة الإسلامية ، قد أكدها الرسول ﷺ تأكيداً قوياً ، عن طريق إرشاداته المتنوعة ، وتوجيهاته السامية .

وفى هذا المعنى يقبول بعض العلماء : لقد بين النبى ﷺ بأقواله وأفعاله ، الوحدة الإسلامية الجامعة لأمته ، فقد تضافرت عنه الروايات الدالة على الأخوة الإسلامية التى لا تفرق بين عربى وأعجمى ، ولا بين شريف وضعيف ، ولا بين إقليم وإقليم ، وقال فى عبارة جامعة : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . . .

وغير هذا مشهور مستفيض ، حتى إن ذلك ليتواتر فى المعنى ، فهو من المعانى التى تفهم من تعاليم الإسلام بالضرورة ، ولا يعد من المسلمين من ينكرها ، أو يخالفها جحوداً بها .

وأما أفعاله ﷺ المبينة لهذه الوحدة الجامعة ، فهى تلك المؤاخاة التى ربط بها بين القرشى ، والحزرجى ، والأوسى ، ومن كان من أصل غير عربى . . . المسلمون إذن أمة واحدة ، وتلك حقيقة يعد من نافلة القول بيانها ، فضلاً عن إقامة الدليل عليها ، لأنها مجمع عليها<sup>(١)</sup> .



رابعاً : أن القرآن الكريم ، قد بين للناس ، أن الرسالات الساوية جميعها ، قد اتفقت على إقامة الدين على إخلاص العبادة لله - تعالى - ، وعلى نبذ التفرق والاختلاف فى أحكامه . . .

قال - تعالى - : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ، ويهدى إليه من ينب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ﴾ [ الشورى : ١٣-١٤ ] .

(١) من مقال لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة - رحمه الله - نشره بمجلة « المسلمون » سنة ١٣٧١هـ ص ٣٦٤

والمعنى : إن الله - تعالى - سن لكم - يامعشر المسلمين - من الدين ، ما سنه لنوح والذين من بعده من الأنبياء إلى زمن نبيكم محمد ﷺ .

ثم بين - سبحانه - ما أمرهم به جميعاً فقال : ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ .  
أى : أن أقيموا الدين على ما أمركم به الله - تعالى - ، من توحيده وطاعته ، ولا تختلفوا في أحكامه التي أجمعت على صحتها شرائع الأنبياء السابقين ، فإن هذا الاختلاف يؤدي إلى فشلكم وذهاب ربحكم . . .

ثم بين - سبحانه - موقف المشركين من دين التوحيد فقال : ﴿ كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ .

أى : شق وعظم على المشركين ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله - تعالى - ، ومن ترك الاختلاف في أحكامه الدين الحق .

ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة ببيان من هم أهل لرضاه وهدايته فقال : ﴿ الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ .

أى : الله - تعالى - يصطفى من يشاء من عباده ، فيقربهم إلى محل كرامته ، ويوفق للعمل بطاعته من ينيب إليه ، ويسلم له وجهه .

ثم بين - سبحانه - الأسباب التي أدت بالناس إلى التفرق في أحكام الدين الحق ، فقال - تعالى - : ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم . . . ﴾ .

أى : وما تفرق هؤلاء السابقون بعد موت أنبيائهم ﴿ إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ الدال على صدق هؤلاء الأنبياء ، وكان الدافع لهم على هذا التفرق والاختلاف ، هو البغى والحسد وتجاوز الحدود التي شرعها الله - تعالى -

وقوله ﴿ إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ زيادة في في تقبيح أفعالهم ، فإن الاختلاف بعد مجيء العلم أشد في القبح والعناد .

فهم قد اختلفوا في الحق مع علمهم بأنه حق ، لأن العلم كالمطر ، فكما أن المطر لا تستفيد منه إلا الأرض الطيبة النقية ، فكذلك العلم لا ينتفع به إلا أصحاب النفوس الصافية ، والقلوب الواعية ، والأفئدة المستقيمة .

وبذلك نرى أن هاتين الآيتين الكريمتين ، قد بينتا للناس ، أن جميع الأنبياء قد دعوا أقوامهم إلى عبادة الله - تعالى - وحده ، وإلى اجتناب التفرق والاختلاف في أحكام

الدين ، التي أجمعت عليها الشرائع الإلهية ، والتي لا يترتب على الاختلاف فيها سوى الفساد والخسران .

خامساً : لقد ذُكر القرآن الكريم المؤمنين في كثير من آياته ، بسوء عاقبة الاختلاف والتنازع ، وحذرهم من طاعة أعدائهم ، وحرصهم على الاعتصام بحبل الله - تعالى - ، وعلى التآلف والتضامن فيما بينهم ، وهذه بعض الأمثلة لذلك :

أ - في أعقاب غزوة بدر ، تطلع بعض الناس إلى الغنائم ، واختلفوا في شأن تقسيمها ، فنزل قوله - تعالى - : ﴿ يسألونك عن الأنفال ، قل الأنفال لله والرسول ، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله ، إن كنتم مؤمنين ﴾ [الأنفال : ١] . وقد ذكر الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية ، عدداً من الروايات التي وردت في سبب نزولها ، ومن هذه الروايات ، ما أخرجه أبو داود ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن مردويه - واللفظ له - ، عن ابن عباس - رضی الله عنهما - قال :

. لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ من صنع كذا فله كذا ، فتسارع في ذلك شبان القوم ، وبقى الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغنائم ، جاءوا يطلبون الذي جعل لهم . فقال الشيوخ : لا تستأثروا علينا ، فإننا كنا رداءً لكم ، لو انكشفتم لثبتم إيلينا ، فتنازعوا ، فأنزل الله - تعالى - « يسألونك عن الأنفال . . . . . الآية » .

وروى الإمام أحمد - بسنده - عن أبي أمامة قال : سألت عبادة بن الصامت ، عن هذه الآية فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت ، حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا ، وجعله إلى الرسول ﷺ فقسّمه بين المسلمين عن بواء - أي على السواء - « (١) » .

والمعنى : يسألك بعض أصحابك يا محمد عن غنائم بدر كيف تقسم ؟ ومن المستحق لها ؟ قل لهم : الأنفال لله يحكم فيها بحكمه - سبحانه - ، ولرسوله ﷺ فهو الذي يقسمها على حسب حكم الله وأمره فيها .

فاتقوا الله - تعالى - أيها المؤمنون ، وأصلحوا ما بينكم من أحوال وروابط ، بأن يكون ما بينكم من صلوات ، يقوم على الألفة والمحبة والمودة وترك الخلاف . . .

وفي هذه الإجابة على سؤالهم ، تربية حكيمة لهم - بعد أول لقاء بينهم وبين

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٣ طبعة عيسى الحلبي .

أعدائهم - ، حتى يجعلوا جهادهم بعد ذلك خالصاً لوجه الله - تعالى - ، وحتى لا تكون أعراض الدنيا ، سبباً في اختلافهم . . .

ب - وفي السورة نفسها ، وفي أعقاب غزوة بدر - أيضاً - ، ناداهم بصفة الإيمان ، ودعاهم إلى الثبات عند لقاء الأعداء ، وإلى الإكثار من ذكر الله - تعالى - ، وإلى التزام طاعته وطاعة رسوله ﷺ ، ونهاهم عن التنازع ، وبين لهم سوء عاقبته فقال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [ الأنفال : ٤٥-٤٦ ] .

فقلوه - سبحانه - « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » نهي لهم عن الاختلاف المؤدى إلى الفشل وضياع القوة ، بعد أمرهم بالثبات والمداومة على ذكر الله - تعالى - وطاعته .

والتأمل في هاتين الآيتين الكريمتين ، يراهما قد رسمتا للمؤمنين في كل زمان ومكان ، الطريق التي توصلهم إلى الفلاح والظفر .

إنهما تأمران بالثبات عند لقاء الأعداء ، والثبات من أعظم وسائل النجاح ، وأقرب الفريقين إلى النصر ، أكثرهما ثباتاً . . .

وتأمران بمداومة ذكر الله ، لأن ذكر الله هو الصلة التي تربط الإنسان بخالقه الذى بيده كل شىء ، ولا يعجزه شىء . . .

وتأمران بطاعة الله ورسوله ، لأن طاعتها دليل على قوة الإيمان ، وصفاء النفوس ، وطهارة القلوب . . .

وتنهيان عن التنازع ، لأنه يؤدى إلى الضعف ، والتخاذل ، وهوان الأمر ، وذهاب القوة . . .

ثم تحثان بالأمر بالصبر ، الذى هو توطين النفس على ما يرضى الله ، وعلى احتمال المكارة والمشاق في جلد . وهذه الصفة لا بد منها لكل من يريد الوصول إلى آماله وغاياته .

ورحم الله الإمام ابن كثير فقد قال عند تفسيره لهاتين الآيتين الكريمتين : « هذا



تعليم من الله - تعالى - لعباده المؤمنين ، آداب اللقاء ، وطريق الشجاعة ، عند مواجهة الأعداء» (١) .



سادساً : أن القرآن الكريم قد أمر المؤمنين ، بأن يصلحوا بين إخوانهم في العقيدة ، إذا ما دب نزاع فيهم ، وأن يجبروا الفئة الباغية ، على الخضوع للحق والعدل ، حتى ولو أدى ذلك إلى قتالها . . .

قال - تعالى - : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ [ الحجرات : ٩ ، ١٠ ] .

ذكر المفسرون في سبب نزول هاتين الآيتين روايات منها ، ما أخرجه الإمام أحمد - بسنده - عن أنس بن مالك قال : قلت : يا نبي الله ، لو أتيت عبد الله بن أبي ؟ قال : فانطلق إليه النبي ﷺ فركب حمارا ، وانطلق المسلمون يمشون . . .

فلما أتاه النبي ﷺ قال : إليك عنى ، فوالله لقد آذاني نثن حمارك .

فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك .

فغضب لعبد الله رجل من قومه ، وغضب لكل واحد منها أصحابه ، فكان بينهم حرب بالجرید والأیدی . . فبلغنا أنه نزل فيهم قوله - تعالى - « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . . . الآية » (٢) .

ومن المعروف بين العلماء ، أن هاتين الآيتين وإن كانتا قد نزلتا في حادثة معينة ، إلا أن ما اشتملتا عليه من أحكام وآداب يعم الأمة الإسلامية كلها ، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما يقول أهل العلم .

والمعنى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » أى : تقاتلوا أودب بينهما ما يوجب حجزهما وردهما إلى المحبة والسلام .

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣١٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢١١ .

« فأصلحوا بينهما » عن طريق النصح ، وإزالة الشبهة وأسباب الخصام ، والدعاء إلى حكم الله - تعالى - والرضا به .

والأمر هنا للوجوب ، والخطاب لأولى الأمر ، ولكل من في إمكانه الإصلاح بين المسلمين .

وقوله - سبحانه - « فإن بغت إحداهما على الأخرى » أى : تعدت إحداهما على الأخرى بغير حق ، وأبت الصلح ، والاستجابة لحكم الله - تعالى - .

« فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله » أى : قاتلوا الباغية حتى ترجع إلى حكم الله - تعالى - ، وتقبل قضاءه عن سماع وطاعة .

قال الإمام القرطبي عند تفسيره لهذه الآية : قال العلماء : لا تخلو الفتان من المسلمين فى اقتتالهما ، إما أن يقتتلا على سبيل البغى منها جميعاً أولاً .

فإن كان الأول فالواجب فى ذلك أن يُمشى بينهما بما يصلح ذات البين ، ويشمر المكافئة والموادة .

فإن لم يتحاجزا ولم يصلحا وأقامتا على البغى ، صيرَ إلى مقاتلتها .

وأما إن كان الثانى وهو أن تكون إحداهما باغية على الأخرى ، فالواجب أن تقاتل فئة البغى إلى أن تكف وتتوب ، فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغى عليها بالقسط والعدل»<sup>(١)</sup> .

وقوله - سبحانه - : « فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » بيان لما يجب اتباعه مع الفئة الباغية ، إذا ما ثابت إلى رشدها ، وقبلت حكم الله - تعالى - .

أى : فإن رجعت الفئة الباغية إلى حكم الله ، فأصلحوا بين الفئتين بالعدل الذى أمر الله - تعالى - به ، وأقسطوا فى كل الأمور ، لأن الله - تعالى - يحب العادلين فى أحكامهم . وجمع - سبحانه - فى هذه الجملة بين الأمر بالعدل وبالقسط ، لتأكيد هذا الأمر ؛ لأن عدم العدل فى الأحكام ، كثيراً ما يؤدى إلى ازدياد التنازع والخصام .

ثم بين - سبحانه - الأسباب الداعية إلى وجوب المسارعة إلى الإصلاح بين المؤمنين فقال « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم » .

(١) تفسير القرطبي ج ١٦ ص ٣١٧ .

أى : إنما المؤمنون إخوة في العقيدة والدين ، فهم يجمعهم أصل واحد وهو الإيمان ، كما يجمع الإخوة أصل واحد وهو النسب .

بل إن أخوة الدين أثبت من أخوة النسب ، لأن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين ، أما أخوة الدين فلا تنقطع بمخالفة النسب .

قال الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين : « وخص الاثنين بالذكر في قوله ( فأصلحوا بين أخويكم ) لأنها أقل من يقع بينهما الشقاق ، فإذا لزم المصالحة بين الأقل ، كانت بين الأكثر ألزم ، لأن الفساد في شقاق الجماعة ، أكثر من في شقاق الاثنين » (١) .

ولقد أكد الرسول ﷺ بقوله وعمله ما دعا إليه القرآن من وجوب الإصلاح بين المسلمين إذا ما نشب بينهم نزاع .

أما قوله ﷺ في ذلك فمنه ما رواه الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : كل سُلامى (٢) من الناس عليه صدقة ، وكل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الاثنين صدقة » .

وأما عمله ، فقد كان ﷺ يسعى في الإصلاح بين الناس ، حتى ولو أدى ذلك إلى تأخير الصلاة ..

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد الساعدي - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ بلغه أن بنى عمرو بن عوف كان بينهم شر ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه ، فحبس ﷺ وحانت الصلاة ، فجاء بلال إلى أبي بكر فقال : يا أبا بكر ، إن رسول الله ﷺ قد حبس ، وحانت الصلاة ، فهل لك أن تؤم الناس ؟ قال : نعم إن شئت . . . . . الحديث » (٣) .



سابعاً : أستطيع أن أقول - على سبيل الإجمال - : إن تعاليم الإسلام ، قد أمرت باعتناق كل فضيلة ، تؤدي إلى وحدة المسلمين ، وتضامنهم ، وترابطهم ، وتكافلهم . . .

(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ١٧٩ .

(٢) السلامى - بضم السين وتخفيف اللام - : أصله عظام الأصابع وسائر الكف ، ثم استعمل في سائر عظام البدن .

(٣) رياض الصالحين : باب الإصلاح بين الناس ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

وحاربت كل رذيلة من شأنها التفريق بينهم ، وتشتيت كلمتهم ، وتمزيق وحدتهم ، وإشاعة البغضاء فيهم . . .

ولقد سقنا قبل ذلك من توجيهات القرآن الكريم ، ما فيه العبر والعظات ، لقوم يعقلون .

وبقى أن نسوق المزيد من سنة النبي ﷺ التي من أهم وظائفها ، تفصيل ما أجمله القرآن الكريم ، وتأکید ما أمر به أو نهى عنه . . .

أ - لقد حض النبي ﷺ أتباعه على التضامن والاتحاد ، في عشرات الأحاديث ، ومن ذلك ما رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري - رضی الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضاً « وشبك بين أصابعه » (١) .

ب - وحض على التمسك بكل فضيلة توصل إلى غرس روح المحبة والمودة بين المسلمين ، ومن ذلك أنه ﷺ : أمر بالتزاور والتواصل والتحاب في الله ، وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه .

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضی الله عنه - عن النبي ﷺ « أن رجلاً زار أخاه في قرية أخرى ، فأرصد الله - تعالى - على مدرجته - أى طريقه - ملكاً ، فلما أتى عليه قال له : أين تريد ؟ قال أريد أخاً لي في هذه القرية . قال : هل لك من نعمة تربها عليه (٢) ؟ قال : لا غير أنى أحببته في الله - تعالى - . قال : فإنى رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك كما أحببته » (٣) .

ج - وأمر بالتهادى ، وبالطيب من الكلام ، وبطلاقة الوجه عند اللقاء . روى الإمام الترمذى ، أن رسول الله ﷺ قال : « تهادوا فإن الهدية تذهب وقر الصدر » أى تذهب غله وغشه وبغضه .

وعن عائشة - رضی الله عنها - قالت : كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها .

وروى الشيخان عن عدى بن حاتم - رضی الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

(١) من كتاب رياض الصالحين ص ١٢٠ للإمام النووي . باب تعظيم حرمان المسلمين

(٢) تربها عليه : تقوم بها وتسعى في صلاحها .

(٣) رياض الصالحين : ص ١٧٦ . باب زيارة أهل الخير .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي ذر- رضى الله عنه - قال : « قال لى رسول الله ﷺ : لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » (١) .

د - هذه بعض الفضائل التى أمر النبى ﷺ أتباعه بالتخلق بها ، لأنها مدعاة إلى غرس روح الإخاء والمحبة فيهم . .

وقد نهى ﷺ فى مقابل ذلك عن كل ما من شأنه أن يزعزع وحدة المسلمين ، أو يضعف تضامنهم وتعاونهم على البر والتقوى .

وحسبنا أن نسوق فى ذلك هذا الحديث الجامع ، الذى رواه الشيخان ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث . ولا تجسسوا (٢) ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا تناجسوا (٣) ، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم .

المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره . التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، - ويشير إلى صدره - ﷺ .

بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه . إن الله لا ينظر إلى أجسادكم وصوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » (٤) .

ه - هذه بعض أقواله ﷺ الداعية إلى وحدة المسلمين وتضامنهم ، والناهية عن تفرقهم وتناكرهم وتباغضهم . .

فإذا ما اتجهنا إلى أفعاله ﷺ وجدناها تقوم على تأكيد هذا المعنى وتحقيقه عمليا ، ومن أبرز الأدلة على ذلك ما يأتى :

و - حرصه ﷺ على المؤاخاة بين المسلمين ، منذ السنوات الأولى للدعوة الإسلامية ، فقد ذكر أصحاب السير ، أنه ﷺ وهو بمكة ، آخى بين أبى بكر وعمر ، وبين الحمزة وزيد بن حارثة ، وبين الزبير وابن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث وبلال ، وبين أبى عبيدة وسالم - مولى أبى حذيفة - ، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله ، وبين

(١) رياض الصالحين : ص ٣١٢ . باب استحباب طيب الكلام .

(٢) التجسس : تتبع عورات الناس وعيوبهم .

(٣) التجسس : الزيادة فى السلعة للخديعة لغيره .

(٤) رياض الصالحين : ص ٦٠٢ . باب النهى عن التجسس . للإمام النووى .

عثمان وعبد الرحمن بن عوف . . . وهذه المؤاخاة في الدين والعقيدة ، تعتبر أول تنظيم  
للجماعة الإسلامية الأولى ، يقوم على الترابط ، والتكافل ، والتكاتف . . .  
ز - فلما هاجر ﷺ إلى المدينة ، وسَّع دائرة هذا التضامن والإخاء ، فجعله بين  
المهاجرين والأنصار .

قال ابن اسحاق - رحمه الله - : وأخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين  
والأنصار ، فقال - فيما بلغنا عنه ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - : « تَأَخَّوْا فِي اللَّهِ أَخْوِينَ  
أَخْوِينَ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : هَذَا أَخِي ، وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ  
وَمَعَاذُ بَيْنِ جَبَلِ أَخْوِينَ ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَخَارِجَةُ بْنُ زَهْرٍ أَخْوِينَ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ  
وَعُتْبَانُ بْنُ مَالِكِ أَخْوِينَ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدُ بْنُ مَعَاذِ أَخْوِينَ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَسَعْدُ  
ابْنِ الرَّبِيعِ أَخْوِينَ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ وَأَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ أَخْوِينَ ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ،  
وَكَعْبُ بْنُ مَالِكِ أَخْوِينَ ، وَمُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَأَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ أَخْوِينَ ، وَعِمَارُ بْنُ  
يَاسِرٍ وَحذيفة بن اليمان أخوين . . .

وبلال بن رباح وأبورؤيحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي أخوين . . .

فلما دون عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام ، فأقام  
بها مجاهدا ، فقال عمر لبلال : إلى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبي رويحة ، لا  
أفارقه أبدا ، للأخوة التي كان رسول الله ﷺ عقدها بينه وبينى ، فَضُمَّ إِلَيْهِ « (١) .

ح - وقد استمر ﷺ يؤكد هذا الإخاء بين المسلمين - بقوله وعمله - إلى أن لقي

ربه .

ولقد بلغ من حرصه على ذلك ، أنه عندما كان في سفر مع أصحابه ، ورأى أن  
القافلة حين تستريح يتفرق أهلها ، لم يعجبه هذا التفرق ، بل دعاهم إلى التجمع  
والتقارب . . .

روى أبو داود عن أبي ثعلبة الحُشَنِيِّ قال : كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا في  
الشعاب والأودية ، فقال النبي ﷺ : « إن تفرقكم هذا من الشيطان » فلم ينزلوا بعد  
منزلا ، إلا انضم بعضهم إلى بعض ، حتى قال : لو بَسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبَ لَعْمَهُمْ « (٢) .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٥٠٤ طبعة مصطفى الحلبي - بتصرف وتلخيص . .

(٢) مختصر سنن أبي داود ج ٣ ص ٤٣٠ . تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر - رحمه الله - .

هذه بعض الأحاديث من أقوال النبي ﷺ وأعماله ، ومنها نرى ، كيف كان ﷺ يحرص كل الحرص على وحدة المسلمين ، وعلى تضامنهم ، وعلى إخائهم وتربطهم ، ويسوق الإرشادات المتنوعة ، التي من شأنها أن تجعل المسلمين - متى اتبعوها - كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، ويحذر من الفرقة والتباغض وشق عصا المسلمين تحذيرا شديدا ، وأختتم هذه الأحاديث بما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن جابر - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم » (١) .

أى : ولكنه لم يئس من الإفساد بينهم ، وتغيير قلوبهم ، والعمل على تقاطعهم .. وبما رواه - أيضا - الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا ، فمنا من يصلح خبائه - أى خيمته - ، ومنا من ينتضل ، - أى يسابق بالرمى - ومنا من هو فى جشره - أى فى رعاية دوابه - ، إذ نادى منادى رسول الله ﷺ : الصلاة جامعة . فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال : « إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلم لهم . وإن أمتكم هذه جعلت عافيتها فى أولها (٢) ، وسيصيب آخرها بلاء وأمر تنكرونها ، وتجيء فتن يرقق بعضها بعضا (٣) ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه . فمن أحب أن يرحزح عن النار ، ويدخل الجنة ، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذى يجب أن يؤتى إليه . ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده ، وثمره قلبه ، فليطعه ، وإن جاء آخر ينازعه ، فاضربوا عنق الآخر . ومن مات وهو مفارق للجماعة ، فإنه يموت ميتة جاهلية » (٤) .



أما بعد : فإن التضامن والتراحم والاتحاد ، يزيد الأقوياء قوة على قوتهم ، ويرفع عن الضعفاء ضعفهم ...  
أما الشقاق والتفرق والتدابير ... فيضعف الأمم القوية ، ويمحق الأمم الضعيفة ...

(١) رياض الصالحين : ص ٦١٠ . باب تحريم الهجران بين المسلمين .

(٢) أى : جعلت سلامتها من الفتن فى أولها .

(٣) أى أن كل فتنة تكون ما بعدها أشد منها .

(٤) رياض الصالحين : ص ٣١٠ . باب وجوب طاعة ولاة الأمور فى غير معصية الله .

وقد فطن إلى هذا المعنى رجل حكيم ، فقد جمع أولاده عندما أحس بدنوا أجله ،  
- ليلقنهم درسا في فوائد الاتحاد - ، ثم أحضر حزمة من العصي قد اجتمعت عيدانها ،  
وطلب منهم أن يكسروها فعجزوا ، فلما فرق عيدانها سهل عليهم كسرها ، فقال لهم :  
كونوا جميعا يابنى إذا اعترى خطب ، ولا تتفرقوا أحادا  
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا فإذا انفردن تكسرت أفرادا  
وإذا كان أهل الباطل يتجمعون من أجل نصرة باطلهم . . .

فأولى ثم أولى بأهل الحق أن يتضامنوا ويتحدوا ، لإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل .  
إن العقلاء من الناس يختلفون في وجهات نظرهم ، ولكنهم لا يتباغضون ولا  
يتنابدون . . . بل يعيدون التشاور فيما بينهم ، حتى يصلوا إلى الحق الذى ينشدونه .  
إننا نتطلع إلى تضامن بين المسلمين ، يقوم على تعاليم الإسلام ، وتحرسه تشريعاته  
الحكيمة ، وتحميه من الانحراف آدابه القويمة ، وتوجهه إلى البر والتقوى آدابه  
الكريمة . . .

وهذا إنسا يتأتى ، متى صلحت النيات ، وصدقت العزائم ، وطهرت النفوس من  
الغل والحسد والأنانية والميل مع الهوى . . .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾  
﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين  
آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾





# الْفَتْحُ الْعُمَرِيُّ لِلْقَدِيسِ

نَمْوُزِجٌ لِلدَّعْوَةِ بِالْعَمَلِ وَالْقَدْرَةِ

وَبِنْفِثِجِ سَيِّدِ الْعَمَلِ مُحَمَّدٍ  
رَئِيسِ قَسَمِ التَّارِيخِ بِالْجَامِعَةِ

تمهيد :

وضع الإسلام معايير خاصة لسلوك المسلمين ، تجعل له طابعاً متميزاً ، وهذه المعايير مستوحاة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ومن التطبيق العملي لهذه الأخلاق وهذا السلوك ، كما قام بها ومارسها رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون وأصحابه والسلف الصالح جميعاً .

فلا إيمان بالقلب إلا إذا صدقه العمل وظهر على الجوارح بالعبادات والأخلاق والمعاملات . وقد كان التزام سلفنا الصالح بهذا الخلق سبباً لنيلهم خيري الدنيا والآخرة ، ومشاراً لإعجاب أعدائهم بهم ، وبعقيدتهم ودينهم الجديد . فدانت لهم الأمم ، وأعجبت بهم الشعوب ، ودخلت في دينهم زرافات ووحدانا طائعة مسرورة . وحتى الشعوب التي بقيت على دينها ، فإنها رأَت في الخضوع لسلطان المسلمين خلاصاً من ظلم مستعبيهم ولو كانوا من بنى جلدتهم ، ورأت في الوجود الإسلامي أمناً واطمئناناً على النفس والعرض والمال والولد والمعتقد والمقدسات .

لهذا فقد كان سلوك المسلمين أهم وسائل إظهار محاسن دينهم وكان لذلك أثره على الفرد والمجتمع ، كما كان تطبيقهم العملي لتعاليم ذلك الدين ، أهم وسائل الدعوة لهذا الدين ، فال مساواة ، والعدل ، والتواضع ، والإعراض عن الإغراق في متع الدنيا ، والرحمة ورعاية أهل ذمة الله ، رسوله ، كل تلك الصفات المثالية طبقتها المسلمون وخصوصاً في عصر النبوة والخلفاء الراشدين كما طبقتها من جاء بعدهم من الخلفاء المتقين أمثال عمر بن عبد العزيز وغيره .

وكنموذج لهذه الأخلاق الإسلامية ، وتطبيق لأهمية القدوة والعمل بالأخلاق الإسلامية في الدعوة الإسلامية ، أورد فيما يلي من خلال هذا البحث المتعلق بفتح القدس ، وصفاً لسلوك عمر بن الخطاب رضى الله عنه والمسلمون عامة ، مما كان له أطيب الأثر في نفوس النصارى . ودفعهم الى المطالبة بأن يكون الخليفة نفسه المتولي لاستلام مدينتهم . وزاد في ثقتهم في عدله وعدل المسلمين ، ما رأوه وجربوه من أخلاقه وأخلاق أصحابه ، فأعجبوا بهذا الدين الجديد الذي استطاع تحويل هؤلاء العرب الى اللين بعد القسوة ، والقناعة بعد الطمع ، والوحدة بعد الفرقة ، وحفظ العهد ورعاية الذمة بعد الغزو والنهب . فدفع ذلك معظم أهل الشام ومنهم أهل القدس إلى الاقبال على الدخول في الإسلام خلال سنوات ليست بالطويلة .

### أهمية القدس لدى المسلمين :

للقدس مكانة خاصة لدى المسلمين ، لا تقل عن مكانتها لدى أصحاب الديانات السماوية الأخرى ، فهي أولى القبلتين ، وثالث المسجدين الشريفين اللذين تشد إليهما الرحال ، وإليها أسرى بالرسول الكريم ﷺ ، ومنها عرج به إلى السماء ، وفيها صلى بالملائكة .

وقد نص القرآن الكريم على أنها مباركة ، باركها رب العالمين هي وما حولها وذلك في الآية الأولى من سورة الإسراء : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ . هذا بالإضافة الى ما ذكره المفسرون في تفسير بعض آيات القرآن الكريم وما حوته من إشارات إلى مكانة القدس في الإسلام .

كما أشار إليها الرسول الكريم ﷺ ، حينما حض على زيارتها في الحديث الصحيح « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى »<sup>(١)</sup> بالإضافة إلى العديد من الأحاديث التي أوردتها كتب الحديث ، وكتب الفضائل المتعلقة بأهمية القدس وفضلها وفضل الصلاة في مسجدها ، والإهلال منها بحجة أو عمرة ، والوفاء فيها .

(١) ابن حنبل : المسند ، ٢ : ٢٣٤ ، ٢٣٨ . مسلم : الصحيح ، ٢ : ٤١٥ ، ٥١٣ .

كما أنه ليس من المستغرب أن نعلم بأن معظم سكانها قبل الفتح كانوا من أصل عربي ، شأنهم شأن سكان فلسطين ، حيث كان جل سكانها من لحم وجدام الذين تنصروا<sup>(١)</sup> . ولورجعنا إلى التاريخ أكثر قليلاً لوجدنا أصل سكانها من اليوسيين الكنعانيين الذين هاجروا لبلاد الشام من السواحل الشرقية للجزيرة العربية .

## الروايات المختلفة في كيفية وتاريخ فتحها :

لهذا كله أهتم المؤرخون المسلمون بأخبار فتحها ، والسنة التي تم فيها الفتح ، كما أفاضت كتب التاريخ في ذكر أخبار محاصرة المسلمين لها ، وحضور الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتسلمها ومصالحة أهلها وإعطائهم عهد الأمان الذي عرف بالعهدة العمرية ، بالإضافة إلى بناء مسجده بساحة المسجد الأقصى .

ومن دراسة الروايات المختلفة يتبين لنا أن الروايات الشامية تؤكد أن هدف قدوم الخليفة عمر بن الخطاب من المدينة إلى الشام ، كان تسلم مدينة القدس بناء على طلب أبي عبيدة ، القائد العام للجيش الإسلامي المحاصرة لها ، وتلبية لرغبة بطيريكها . مما يؤكد أهمية القدس لدى المسلمين ، وهذا لا يمنع أن يكون الاجتماع بالمسلمين وتنظيم إدارة بلاد الشام أحد أهداف الخليفة عمر أيضاً من مسيره إلى الشام . فسار بعد تسلم القدس إلى الجابية حيث كانت غنائم اليرموك وغيرها موجودة هناك ، وقد أيد الشاميين في وجهة النظر هذه بعض الرواة الحجازيين . وإنني أميل إلى ترجيحها ، فأهل الشام قد يكونون أدري بفتوح بلادهم .

أما الروايات التي ذكرت بأن حضور الخليفة إنما كان بقصد الاجتماع بالقادة المسلمين في الجابية ، ثم اتفق ان طلبت القدس الاستسلام في ذلك الوقت فذهب إليها الخليفة وتسلمها ، فهي على الأغلب روايات كوفية ، بعيدة عن مجريات الأحداث ، إن لم نقل إن الغرض منها قد يكون إظهار ان القدس ليس لها فضل كبير على المدن الأخرى ، وذلك نكايه بالامويين الذين كانوا يظهرهم إهتماماً خاصاً بالقدس ، وهذا ينطبق على الروايات التي أفادت بأن خالد بن ثابت الفهري ، أو عمرو بن العاص هما اللذان حاصرا القدس واضطرا أهلها لطلب الصلح ، وكذلك الرواية التي ذكرت بأن العوام هم الذين صالحوا عمر بن الخطاب وليس البطيريك صفرونيوس .

(١) البلاذري : ٢٥٩ ، الواقدي : ١ : ١٧٠ .

أما عن السَّنة التي فتحت فيها القدس ، فقد ذكر الطبري عن سيف أنها كانت سنة ١٥هـ (١) . كما ذكر ابن سعد ، وخليفة بن خياط ، واليعقوبي ، وابن عساكر ، والواقدي ، والبلاذري ، والطبري في رواية أخرى عن سيف أن الفتح كان سنة ١٦هـ (٢) . كما ذكر ياقوت الحموي ، والبلاذري وابن اسحق ، والطبري في رواية سيف عن هشام بن عروة بأن الفتح كان سنة ١٧هـ (٣) . والأغلب أن عام ١٧هـ ، هو الأصح .

## أحداث الفتح والقدوة في سلوك الخليفة وأصحابه :

لقد تخللت أحداث الفتح مجموعة من المواقف ، ونماذج من السلوك صدرت عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن أصحابه ، كانت كما سبق أن ذكرت أكبر برهان على أثر الإسلام على معتنقيه من حيث إحداث التغيير الأساسي في الخلق والسلوك وتوجيهها نحو المثالية والكمال الذي طمحت وتطمح إلى بلوغه أو بلوغ شيء منه جميع الأمم والمصلحين . فكان أن أقبلت الشعوب على الدخول في ذلك الدين ، وانضوت تحت حكم المسلمين واثقة من عدالتهم ووفائهم بعهودهم ، ورأى قادة الروم والفرس أن أمية تعتق مثل هذا الدين لا يمكن أن تغلب أو تقاوم ، فانهارت مقاومتهم وعمهم الرعب وأزيلت أكبر امبراطوريتين في ذلك العهد ، رغم فارق العدد والعدة والغنى والخبرة بين المسلمين وبين أعدائهم .

ونلمس في أحداث فتح مدينة القدس معالم من هذا السلوك الإسلامي والمواقف الإنسانية منها :

ثقة القادة المسلمين بقيادتهم العامة وطلبهم الدائم لتوجيهاتها ، فنرى أبا عبيدة بعد انتصاره في معركة اليرموك وفتح مدينة دمشق ، يرسل رسوله ، عرفجة بن ناصع النخعي ، يطلب التوجيه من الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة ، فيأمر الخليفة قائده المظفر وصديقه الحميم بأن يتوجه بالمسلمين نحو القدس . وعند ذلك يوجه القائد أبو عبيدة جيوشه نحو القدس ، على هيئة كتائب يقود كل منها أحد القادة ، أمثال خالد بن الوليد ، وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وتضم كل منها خمسة آلاف جندي ويفصل بينها وبين

(١) الطبري : ١ : ٢٤٠٥ - ٢٤٠٦ .

(٢) ابن سعد : ٣ : ٢٠٣ . اليعقوبي : ٢ : ١٦٧ . ابن عساكر : ١ : ٥٥٣ . الطبري : ١ : ٢٤٠٨ . البلاذري : أنساب الأشراف ق ٢ ص ٤٩٥ عن الواقدي .

(٣) ياقوت : ٥ : ٥٩٨ - ٥٩٩ . البلاذري : فتوح : ١٣٨ - ١٣٩ . الطبري : ١ : ٢٣٦٠ .

الكتيبة الأخرى مسيرة يوم واحد . بالإضافة لجيش عمرو بن العاص الذي كان قد سبقهم إليها ، وإلى ضعفة الناس والنساء الذين سار بهم أبو عبيدة<sup>(١)</sup> على مهل رفقاً بهم .

وكدأب المسلمين في فتوحاتهم ، وجه أبو عبيدة رسالة لأهل القدس خيرهم فيها بين الدخول في الإسلام ، أو دفع<sup>(٢)</sup> الجزية ، أو القتال . فكان أن رفض بطريكها صفرونيوس - الذي تولى قيادتها بعد فرار بطريكها إلى مصر على إثر معركة أجنادين - رفض طلب أبي عبيدة ، وتحصن بالمدينة آملاً في وصول إمدادات ونجدات رومية إليه ، خصوصاً وهو يعلم أهمية القدس لدى الروم النصارى ، وظناً منه أن المسلمين لن يستطيعوا تحمل برد القدس الشديد ، مما سيضطّهرهم لفك الحصار عندما يشتد البرد .

وهنا تبدو مرة أخرى مقدرة المسلمين على تحطّي الشدائد ، فتحملوا بتجهيزاتهم البسيطة ، برد القدس الشديد وأمطارها الغزيرة ، ولاقوا من ذلك عنتاً كبيراً ولكن لم يفت في عزيمتهم ولم يفكروا في فك الحصار .

وعند حلول فصل الربيع ، رأى صفرونيوس أن ما توقعه لم يحدث ، فلا الروم أنجدوه ، ولا البرد أجبر المسلمين على فك الحصار . فلم يجد بدأً من عرض التسليم على أبي عبيدة ، ولكنه اشترط أن يحضر الخليفة بنفسه من المدينة المنورة<sup>(٣)</sup> ليتسلم القدس ويعطي أهلها عهداً ، وذلك لما كان يسمعه عن الخليفة عمر بن الخطاب من عدالة ، ورفق ، ووفاء بالعهد .

ورغم أن بعض قادة أبي عبيدة قد أشاروا عليه بمناجزة أهل القدس حتى يجبروهم على الاستسلام ، إلا أن ما رآه أبو عبيدة من شدة ما قاساه المسلمون من البرد ، وما قاساه أهل القدس من الحصار الذي طال أمده ، دفعه لأن يكتب للخليفة ، يخبره بأحوال المسلمين والنصارى ، وبما عرضه عليه من تسليم المدينة<sup>(٤)</sup> للخليفة شخصياً ، وأشار عليه بالحضور لأن في ذلك حقناً لدماء المسلمين .

أرسل أبو عبيدة رسالته مع رسول من المسلمين يرافقه وفد من أهل القدس أرسلهم صفرونيوس . وذكر أن أشد ما أثار دهشة وفد النصارى أن رسول أبي عبيدة أخذ يسأل عن

(١) الواقدي : ١ : ٢٢٩ .

(٢) مجير الدين : ١ : ٢٤٧ .

(٣) مجير الدين : ١ : ٢٤٩ .

(٤) مجير الدين : ١ : ٢٥٠ .

مكان الخليفة حتى وجده مستلقيا من الحر ، فقدم إليه وفد أهل القدس رسالة أبي عبيدة ، وجلس الرسول بجانبه ببساطة العربي وأخوة الإسلام يصف له أحوال المسلمين ويبلغه سلامهم ، في حين وقف وفد أهل القدس وهولا يكاد يصدق ، أن حاكم المسلمين الذين دَوَّخُوا دولتي الفرس والروم ، ليس له مقر معروف ، ولا حرس ولا حجاب ، وانه في مثل هذا الحال من البساطة في المظهر والمعاملة .

وهنا يلجأ عمر بن الخطاب لاستشارة الصحابة كدأبه في مثل هذه الأحوال ، فيشير عليه بعضهم بالخروج ويشير بعض آخر بعدم الخروج . ولكنه يفضل الخروج رغم مشاق السفر ، ويستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ويصطحب خادمه وبعض أصحابه منهم عبادة بن الصامت ، والزبير بن العوام ، والعباس بن عبد المطلب<sup>(١)</sup> .

وتبدو البساطة واضحة في تجهيزاته للخروج ، فيركب بغيره الأحمر ، ويضع عليه غرارتين في أحدهما سويق ، وفي الآخر تمر ، ويضع بين يديه قربة ماء وخلفه جفنة زاد . كل ذلك أمام وفد أهل القدس ودهشتهم .

ومن تواضعه أنه عندما وصل إلى مشارف بلاد الشام ، استقبله المسلمون بالرايات والسيوف والخيول وعلى رأسهم أبو عبيدة . وأقبل أبو عبيدة على الخليفة عندما رآه مسلماً عليه ومحاولاً أن يقبل يده تعظيماً له ، ثم تعانقا ، وقيل إن المسلمين قدّموا لعمر بردوناً وثياباً بيضاء ليكون مظهره مهيباً ، في قلوب الروم ، ولكنه رفض الثياب وركب البرذون ، فهملج به البرذون ، فنزل عنه مسرعاً وركب بغيره وقال : « لقد غيرني هذا حتى كدت أتغير وأنس نفسي »<sup>(٢)</sup> .

وروي أن عمر بن الخطاب وهو في طريقه من المدينة إلى القدس ، عرضت له مخاضة ، فنزل عن بغيره ، ونزع جرموقيه وأمسكها بيديه وخاض الماء ومعه بغيره ، فقال له أبو عبيدة : « لقد صنعت اليوم صنعا عظيماً عند أهل الأرض » فيما كان من عمر إلا أن صك أبا عبيدة في صدره قائلاً : « لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس ، فأعزكم الله بالإسلام »<sup>(٣)</sup> .

(١) الواقدي : ١ : ٢٣١ روى الطبري عن سيف أن عمر استخلف علي بن أبي طالب على المدينة . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ٦١/٧ .

(٢) مجير الدين : ١ : ٢٥٢-٢٥٠ . انظر ابن كثير : البداية والنهاية ٦١/٧ ، والطبري : ١ : ٢٤٠٨ .

(٣) مجير الدين : ١ : ٢٥٣ .

وزاد من دهشة النصارى أن عمر بن الخطاب عندما اقترب من القدس كان يركب ركوبة غلامه ، وكان غلامه يركب جملة الأحرار<sup>(١)</sup> ، فعندما رآه أهل القدس يركب حماراً صغيراً ، وقيل كان ماشياً والخادم يركب جملاً أحمر ، أكبروه وسجدوا له ، فقال : « لا تسجدوا للبشر واسجدوا لله » . فتعجب القسيسون والرهبان من ذلك وقالوا : « ما رأينا أحداً قط أشبه في وصف الحواريين من هذا الرجل »<sup>(٢)</sup> . وقال صفرونيوس باكياً « إن دولتكم باقية على الدهر ، فدولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة »<sup>(٣)</sup> .

كما تجلّى حرصه على أموال النصارى في تصرفه - لدى وصوله القدس - عندما علم بأن المسلمين قد استولوا على كرم من العنب يقع قرب المدينة ، وكان تحت يد الروم وقد غلبهم المسلمون عليه ، وكان الكرم لرجل من النصارى ، فأخذ المسلمون يأكلون من عنب ذلك الكرم ، فأسرع النصراني إلى عمر بن الخطاب شاكياً ، فدعا عمر ببرذون له فركبه عرياناً من العجلة ، ثم خرج يركض به ليردّ المسلمين عن الكرم ، فلقى في طريقه أبا هريرة يحمل فوق رأسه عنباً ، فقال له الخليفة عمر : « وأنت أيضاً يا أبا هريرة ؟ » . فقال أبو هريرة : « يا أمير المؤمنين ، أصابتنا مخمصة شديدة ، فكان أحق من أكلنا من ماله من قتلنا » . وعند ذلك استدعى عمر رضى الله عنه صاحب الكرم ، وطلب منه أن يقدر ثمن محصوله ، لأن الناس كانوا قد أكلوه ، فقدره الذمي ، ودفع له عمر ثمنه ، فما كان من الذمي إلا أن أسلم<sup>(٤)</sup> .

## وصف المصادر النصرانية لدخول الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه القدس :

وأذكر هنا ما أورده مؤلفا كتاب ( تاريخ القدس ودليلها ) وهما نصرانيان ، نقلاه بدورهما عن كتاب للآباء الفرنسيسكان وهم من أكثر الفئات تعصباً للنصارى ، فقد ذكرا بأن عمر بن الخطاب عندما قدم إلى القدس « استطلع أبا عبيدة على ما كان من أمر القتال ، فقص عليه أبو عبيدة تفصيلاً لما جرى ، وما أصاب المسلمين وأهل القدس من الضيق والشدة ، فبكى عمر ، وأمر فوراً بأن يبلغوا البطريك قدومه ، ففعل أبو عبيدة ما أمره

(١) ابن عساکر : ٧ : ٢٢٦ .

(٢) ابن عساکر : ٧ : ٢٢٦ .

(٣) ابن عساکر : ٧ : ٢٢٦ .

(٤) مجير الدين : ١ : ٢٥٣ .

به الخليفة . وعند ذلك خرج صفرونيوس ومعه الرهبان والصلبان ووجوه النصارى ، فلما انتهوا إليه ، خف للقائهم ، وقد حياهم بالسلام ، واقتبلهم بمزيد من الاحتفاء والإكرام . وبعد أن تجاذب والبطريق أطراف الحديث ، في شأن المعاهدة والتسليم ، أخذ قرطاساً وكتب لهم وثيقة أمانهم كما طلبوا . وقد رفض عمر عند دخوله المدينة أن يصلى في كنيسة القيامة وصلى على مقربة منها . وعندما فرغ من صلاته قال للبطريك : أيها الشيخ لو أنني أقمت الصلاة في كنيسة القيامة ، لوضع المسلمون عليها أيديهم في حجة إقامة الصلاة فيها ، وأني لأبى أن أمهد السبيل لحرمانكم منها ، وأنتم بها أحق وأولى «<sup>(١)</sup>» .

## وصف المصادر الإسلامية لدخول المسلمين مدينة القدس :

أما المصادر الإسلامية فتذكر أن الخليفة كتب للبطريك صفرونيوس عندما حضر لاستقباله على جبل الزيتون كتاباً ، أمنهم فيه على دمائهم وأمواهم وكنائسهم ، إلا أن يحدثوا حدثاً عاماً ، شريطة أن يدفعوا الجزية<sup>(٢)</sup> . وقد ذكرت المراجع الإسلامية والنصرانية ، نصوصاً مختلفة لهذا العهد الذي عرف بالعهد العمرية لا مجال للتفصيل فيها . ثم دخل الخليفة يرافقه قادة المسلمين وأربعة آلاف جندي منهم ، لا يحملون إلا السيوف في أعمادها خوفاً من الغدر ، فزار كنيسة القيامة وصلى على مقربة منها ، ثم طلب من صفرونيوس أن يدلّه على مسجد داود عليه السلام ، الذي أسرى بالرسول ﷺ إليه حيث صلى فيه وعُرج به منه إلى السماء . فطاف به صفرونيوس على عدة أماكن ، وعمر ينظر إليها ثم ينكرها ، لمخالفتها للوصف الذي وصفه الرسول ﷺ يوم سرى به ، فلما وصل به صفرونيوس إلى ساحة المسجد الأقصى ، وكانت مليئة بالزبل ، نظر عمر يميناً ويساراً ثم كبر قائلاً : « هذا والله مسجد داود عليه السلام الذي وصفه لنا رسول الله ﷺ » فأزال المسلمون الزبل عن المكان ، فصلى فيه وقيل طلب من المسلمين ألا يصلوا فيه حتى تصيبه ثلاث مطرات<sup>(٣)</sup> .

## المسجد الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب في ساحة المسجد الأقصى :

قال عمر بن الخطاب لكعب الأحمار : « يا أبا اسحق ، أتعرف موضع الصخرة ؟ » . فقال كعب : « اذرع من الحائط الذي يلي وادي جهنم ، كذا وكذا ذراعاً ، ثم احفر فإنك

(١) خليل طوطح ورفيقه : ٢٣-٩ ، انظر الأباء الفرنسيسكان : السير السليم من يافا إلى أورشليم القدس ١٨٩٠ م .

(٢) اليعقوبي : ٢ : ٤٦ .

(٣) مجير الدين : ١ : ٢٥٥ .



تجدها» . وعندما حفر عمر ومن معه ظهرت الصخرة . وقيل إن عمر رضى الله عنه عاد فسأل كعباً : « أين ترى أن نجعل المسجد ؟ - أوقال القبلة - » قال كعب : « اجعله خلف الصخرة ، فتجتمع القبلتان ، قبله موسى عليه السلام ، وقبله محمد ﷺ » . فقال له عمر - بعد ان صكه بيده في صدره - : « لقد ضاهيت اليهودية يا أبا اسحق ! خير المساجد مقدمها . فنجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله ﷺ قبله مساجدنا صدورها . إذهب ، إليك عني ، فإننا لم نؤمر بالصخرة ، وإنما أمرنا بالكعبة . وما الصخرة إلا قبلة منسوخة » (١) .

## مكان المسجد :

**قال الواقدي :** لقد خط عمر مسجده إلى الجنوب الغربي من الصخرة المشرفة (٢) . وذكر البكري وابن حبيش والمقريزي في الخطط وجمال الدين في مثير الغرام ونقل عنه السيوطي أن عمر بنى مسجده أمام الصخرة المشرفة (٣) . وذكر مجير الدين أن بداخل المسجد الأقصى في صدره من جهة الشرق مجمع معقود بالحجر وأشيد به محراب ، ويقال لهذا المجمع جامع عمر ، لأنه من بقية بناء عمر عند الفتح (٤) . وذكر كروزيل بأن المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب كان مكان المسجد الأقصى اليوم ، ونقل ذلك عن كليرمنت غانو (٥) .

## وصف المسجد الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب :

لم يشر البلاذري ( ت ٨٦٨ م ) ، والطبري ( ت ٩١٥ م ) ، واليعقوبي ( ت ٨٧٤ م ) ، وابن الفقيه ( ت ٩٠٣ م ) . إلى المسجد الذي بناه الخليفة عمر بن الخطاب عندما تعرضا لفتح القدس ، ووصفا الحرم القدسي في أيامه الأولى ، وهذا أمر يدعو إلى الاستغراب .

وقد وصفه الواقدي فقال : « وخط عمر بن الخطاب مسجده إلى الجنوب الغربي من الصخرة وصلى وأصحابه به صلاة الجمعة . وكان البناء من الخشب ، ويتسع لحوالي ثلاثة آلاف مصلي ، وغادر القدس بعد أن أقام بها عشرة أيام (٦) .

(١) الواقدي : ١ : ٢٤٢ ، الطبري : ١ / ٢٤٠٩ عن رجاء بن حيوة عن شهد الفتح .

(٢) الواقدي : ١ : ٢٤٢ .

(٣) ابن البطريق : نظم الجواهر ٢ : ١٧٠ .

(٤) مجير الدين : ١ : ٣٦٧ .

(٥) Greswell L. P.11

(٦) الواقدي : ١ : ٢٤٢ .

وأقدم وصف لهذا المسجد أورده أحد السائحين الفرنجة إلى الشرق وهو الأسقف اركولف ، اسقف غاليا ( فرنسا اليوم ) ، حيث زار القدس بقصد الحج عام ٦٧٠م أي بعد الفتح الإسلامي بحوالي اثنين وعشرين عاماً فقط . فقال إن عمر بن الخطاب بنى بساحة الهيكل مسجداً مربع الشكل ، يتسع لحوالي ثلاثة آلاف مصلي ، ويقع إلى جوار الحائط من الشرق ، وهو مبني من بقايا أعمدة وجذوع أشجار ، وغير مسقوف . كما ذكر لي سترانج بأن المؤرخ الرومي ثيوفانوس ( ٧٥١-٨١٨ م ) قد وصف المسجد الذي بناه عمر فقال : « إن الخليفة عمر بن الخطاب بدأ يبني مسجده في منطقة الهيكل سنة ٦٤٣م ( ٢٢ هـ )<sup>(١)</sup> ، لهذا ظل الغربيون والنصارى عامة يطلقون إسم ( مسجد عمر ) على المسجد الأقصى ، مع أن ( مسجد عمر ) عند المسلمين هو المسجد الصغير المقام أمام كنيسة القيامة على المكان الذي صلى فيه عمر بن الخطاب عندما فتح القدس .

## خاتمة :

وبعد فهذه عجالة سريعة ، وصورة خاطفة ومشهد قصير في مدته ضيق في مساحته ، ولكنه كملايين المشاهد الخالدة مليء بالمفاخر التي حققها سلفنا الصالح ، صحابة النبي ﷺ . فكان أن فتحت عليهم المشارق والمغارب ، ودانت لهم الجبابرة ، وعم على أيديهم نور الإسلام أنحاء المعمورة . فكانوا قدوة للعالمين في تمسكهم بعقيدتهم ، والتزامهم بتعاليم دينهم ، وفي وحدتهم وتناصحهم وجهادهم ، بعد أن كانوا في جاهليتهم مضرباً للمثل في الفرقة ، والفردية الأنانية ، والذل ، وما ذلك إلا بإرادة الله وفضل الإسلام . والله الموفق .

## المصادر والمراجع

- ١ - ابن البطريق ، اوثيشيوس الاسكندري ( المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ) : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق . بيروت ١٩٠٤ م .
- ٢ - ابن حنبل ، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن محمد بن محمد . . . بن هلال ( ١٦٤-٢٤١ هـ ) : المسند ، تعليق أحمد محمد شاكر . القاهرة ١٩٤٦ م .
- ٣ - ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ، أبو عبد الله : الطبقات الكبرى . بيروت ١٩٥٧م

- ٤ - ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله . . . الدمشقي الشافعي ، أبو القاسم ( ٤٩٩-٥٧١ هـ ) : تاريخ دمشق وأخبارها ( التاريخ الكبير ) . دمشق ١٣٢٩ هـ .
- ٥ - الأزدي ، محمد بن عبد الله . . . البصري ، أبو إسماعيل البصري : فتوح الشام . كلكتا ١٨٥٤ م .
- ٦ - البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي ( القرن الثالث الهجري ) : فتوح البلدان . نشر صلاح المنجد ، القاهرة ١٩٥٦ ، انساب الاشراف . القاهرة .
- ٧ - Greswell ( K.A.C. ) : Early Muslem Architecture Ymmayyads 622-750 Lsted. Oxfod 1940 .
- ٨ - خليفة بن خياط ، أبو عمر بن خياط بن أبي هبيرة . . . الليثي ، العصفري ، الملقب بشهاب ( القرن الثالث الهجري ) تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق أكرم ضياء العمري . بغداد ١٩٦٧ م .
- ٩ - خليل طوطح ، وبولس شماده : تاريخ القدس ودليلها . القدس ، بدون تاريخ .
- ١٠ - Strange ( Guy Le ) : Palestine Under The Muslims : London 1980 .
- ١١ - الطبري ، أبو جعفر ، محمد بن جرير ( ٢٢٤-٣١٠ هـ ) : تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٠-١٩٦٩ م .
- ١٢ - مجير الدين العليمي ، عبد الرحمن بن محمد . . . العليمي المقدسي ( ٨١٠-٩٢٧ هـ ) : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل . عمان ١٩٧٧ م .
- ١٣ - مسلم ، الإمام مسلم أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم الفشيري ( ٢٠٦-٢٦١ هـ ) : الجامع الصحيح . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة ١٩٥٥ م .
- ١٤ - الواقدي ، أبو محمد عبد الله بن عمر ١٣٠-٢٠٧ هـ : فتوح الشام . عمان ١٩٧٥ م .
- ١٥ - ياقوت ، بن عبد الله الرومي الحموي ( ٥٧٥-٦٢٦ هـ ) : معجم البلدان . بيروت ١٩٥٥ م .
- ١٦ - اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، اسحق بن جعفر بن وهب بن واضح ، العباسي المعروف بابن واضح ، وابن اليعقوبي ( المتوفى ٢٨٤ هـ ) : تاريخ ابن واضح . النجف ١٣٥٨ هـ .

# الإسلامُ والمسلمون في إنجلترا ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم

- ٢ - للدكتور محمد إبراهيم الهيم الجبوري  
أستاذ بالدراسات العليا

مشاكل المسلمين : بعد أن عرفنا أن المسلمين في إنجلترا يبلغون زهاء المليون ونصف ، وأنهم اتخذوها وطناً لهم ، فإننا نتساءل :

كيف يباشرون عباداتهم اليومية في تلك البلاد وكيف يحصلون على طعام حلال لا شبهة فيه ؟ وكيف تتعرف الأجيال الناشئة في وسط هذا المجتمع الغريب عن الإسلام على مبادئ الدين وسلوكه وأخلاقه ومنهج حياته ؟

في الحقيقة إن كل سؤال من هذه الأسئلة يمثل مشكلة تواجه كل مسلم يستقر في هذه البلاد ، ويحاول أن يجد لها حلاً ، وبعض هذه المشاكل قد وجدت لها حلول كاملة ، وبعضها الآخر اهتدت إلى حلول جزئية تحتاج إلى متابعة .

١ - فبالنسبة لمشكلة الطعام الحلال : لقد حلت هذه المشكلة ، بواسطة المحلات والمطاعم الإسلامية المنتشرة في كل مدينة وحى وقرية يسكنها مسلمون ، وقد يدرك ذلك إخواننا الذين يترددون على لندن من وقت لآخر .

٢ - وأما بالنسبة لأماكن العبادة : فقد واجهها المسلمون باتخاذ أماكن للعبادة مؤقتة أو دائمة ، وسبيلهم إلى ذلك يبدأ بتجمع السكان المسلمين في كل حى ، ثم يؤلفون جمعية من أنفسهم تتخذ لها مقراً مؤقتاً في الحى ، وغالباً ما تبدأ باستئجار أحد المنازل تجتمع فيه لتدارس أمورها ، ثم تخصص جانباً منه للصلاة وجانباً للاجتماعات ، وجانباً لتعليم الأطفال إن أمكن ، وينمو هذا الاتجاه بسرعة أو ببطء حسب نشاط القائمين على الجمعية ، وغالباً ما ينتهى بشراء مكان خاص يتخذ مسجداً ، وتقوم من حوله أوجه النشاط الأخرى ، وعن هذه الطريقة أصبحت لا تجد حياً في مدينة لندن أو سواها من المدن التي يقطنها المسلمون إلا وبه مسجد يصلى فيه المسلمون ، ويباشرون أنشطتهم الدينية الأخرى ،

وترتب على ذلك أن أقيمت مساجد جديدة على الطراز الإسلامي كما هو الحال في المركز الإسلامي ومسجد لندن المركزي ، وهو أكبر المؤسسات الإسلامية هناك ، وسعود الحديث عنه ، ومسجد ويمبلدن ، ومسجد شرق لندن ، ومسجد نور الإسلام بكارديف ، ومسجد ساوث شيلد ، ومساجد برينجهام ومنشستر ، وليفربول وشيفيلد وسواها كثير .

وأحيانا يشتري المسلمون كنيسة أو معبدا يهوديا ثم يحولونه إلى مسجد كما هو الحال بالنسبة لبرستول ونيوكاسل ، وأماكن متعددة في لندن ، ومن ألطف ما يذكر في هذه المناسبة أن عددا من التجار السوريين يقيمون في مدينة منشستر كانوا أول من اشترى كنيسة وحولوها إلى مسجد وأطلقوا عليه اسم الجامع الأزهر تيمنا بالأزهر ودوره في نشر الثقافة الإسلامية . وأحيانا يشتري المسلمون بناية ويحولونها إلى مسجد ، وهذا هو الغالب في الأماكن التي تتخذ مساجد في انجلترا الآن لأن تكاليفه أقل من إقامة مبنى جديد ، وحسبك أن تعلم أنه يوجد في لندن وحدها الآن قرابة مائتي مكان للصلاة منتشرة هنا وهناك ، وبهذه الوسائل حلت هذه المشكلة . وقد أصبح من المؤلف الآن أن ترى في مدن انجلترا المختلفة مآذن المساجد مرتفعة هنا وهناك ، وليس غريبا أن أصبح مسجد لندن المركزي أحد المعالم الرئيسية للمدينة ، وقد تكلف بناؤه الجديد أكثر من خمسة ملايين جنيه استرليني ، ويتألف البناء من المسجد الذي يتسع من داخله لأكثر من ألفي مصل . يرتفع العدد إلى سبعة آلاف حينما يستعمل الطابق السفلي والرحبات المحيطة بالمسجد من الغرب والشمال والشرق ، ويلمس الزائر للندن في الصيف هذه الأعداد الضخمة فعلا تحضر صلاة الجمعة في المسجد الذي يقدم صورة صادقة للأخوة الإسلامية الخالصة تلتقي في رحاب بيت من بيوت الله .

ويضم المبنى أيضا مكتبة إسلامية ضخمة صممت لتسع خمسة وسبعين ألف كتاب عن الإسلام باللغات المختلفة ، وكان الأمل معقودا أن تتخذ هذه المكتبة مركز انطلاق للدراسات الإسلامية في قلب أوروبا يقوم على توجيهها علماء مسلمون ، ولعل ذلك يتحقق قريبا إن شاء الله تعالى .

ويضم المبنى أيضا إدارة المركز الإسلامي وصلات الاجتماعات التي تعقد فيها الندوات والمؤتمرات ، ويستقبل فيها وفود الزوار من الراغبين في التعرف على الإسلام ، وعادة ما يكون هؤلاء من طلاب المدارس العليا والجامعات حيث يستمعون إلى محاضرة عن

الإسلام يعقبها نقاش حول بعض القضايا وموقف الإسلام منها ، وأحيانا يسبق ذلك أو يلحقه عرض أحد الأفلام الذى يقدم صورة إسلامية حضارية أو تاريخية أو عبادية .

ومن معرفة الفضل لأهله أن نذكر هنا أن المغفور له جلالة الملك فيصل قد أسهم بالنصيب الأكبر فى تكاليف إقامة هذا البناء ، وأن المغفور له جلالة الملك خالد قد وقف على المسجد والمركز مبلغ مليون ومائتى ألف جنيه استرليني يستغل فى بعض المشاريع النافعة وينفق من ريعه على احتياجات المسجد ونشاطات المركز التى تزيد سنويا عن مائتى ألف جنيه استرليني .

ومن طريف ما يذكر هنا أن أقدم مسجد أقيم فى لندن كان فى حديقة أحد القصور المطلة على نهر التيمس ، أقامته سيدة إنجليزية تدعى ليدى استانلى هوب Lady Stanly Hope منذ حوالى ثمانين عاما ، كانت معنية بالبحث فى تاريخ طائفة الدروز ، ورحلت إلى دمشق ، وأقامت فى ضيافة إحدى الأسر السنية هناك ثم استضافت فيها بعد رب الأسرة فى لندن ، وأقامت له مسجدا فى حديقة القصر حتى يؤدى صلواته فيه أثناء إقامته بلندن ، وقد حافظ أحفاد هذه السيدة على المسجد وظلوا يفتحونه لصلاة العيدين فى كل عام ، ومنذ اثنى عشر عاما عرض القصر للبيع ، وجاء مالكوه إلى المركز الإسلامى يعلنون عن رغبتهم فى أن يشتريه أحد المسلمين حتى يحافظ على المسجد ، إلا أننا للأسف لم نوفق فى ذلك الوقت إلى من يرغب فى شرائه من المسلمين . ولست أدرى ماذا آل إليه أمره الآن .

ج - أما كيف تربي الأجيال المسلمة الناشئة : فهذه هى المشكلة التى يتوقف على النجاح فى علاجها مستقبل الإسلام فى هذه البلاد وقد تجسم الإحساس بهذه المشكلة بعد أن نشأت أجيال ولدت فى انجلترا وشعر الآباء بالحاجة الملحة فى تنشئة أبنائهم حسب تعاليم دينهم ، ولم يشعر الجيل الأول القادم إلى تلك البلاد بهذه المشكلة ، لأنه قدم إليها بعد ما استوى عوده ، ونشأ فى بلاده على الأخلاق الإسلامية ، والسلوك الإسلامى ومرن على القيام بواجباته الدينية ، فلم يكن من السهل أن تجرفه التيارات والاتجاهات المخالفة لما ألفه فى بلاده وتربى عليه ، بل إن عددا منهم كان يبنى مسجدا صغيرا فى حديقة منزله مماثلا للمساجد فى بلده التى عاش فيها ونشأ وكان إذا اضطر لبيع المنزل يشترط على المشتري أن يحافظ على المسجد ويبقيه مفتوحا للمسلمين فى الصلوات الخمس ، رأيت هذا المثل فى مدينتين ساحليتين من ضواحي كارديف تسمى إحداهما نيوبورت يعنى الميناء الجديد ، وتسمى الثانية بارى أيلند يعنى جزيرة بارى ، لذلك لم يكن هناك خوف على هؤلاء الذين

قدموا ولهم من الحصانة الدينية ما يحميهم من المغريات .

فلما نشأت أجيال جديدة ليست وثيقة الصلة ببلادهم الأولى ، ولا يستطيعون أن يتحدثوا لغة الآباء إلا بصعوبة بالغة بدت في الأفق دلائل الخطر التي تهدد الأجيال الناشئة بالضيق ، فتحرك الآباء والمهتمون بأمر الدعوة الإسلامية هناك ، وأخذوا في البحث عن علاج لهذه المشكلة ، قبل أن يستفحل خطرها ، وتستعصى على الحل . وسارت الحلول في اتجاهات متعددة ، تمثلت في افتتاح فصول في آخر الأسبوع في أماكن تجمعات المسلمين يتعلم فيها أبناءهم الضروري من أمور دينهم وتسمى هذه الفصول مدارس آخر الأسبوع Week and Schools واستطعنا أن نرتفع بعدد تلاميذ هذه الفصول في لندن وحدها في فترة ما إلى ألفى تلميذ ، وحاولت بعض الجمعيات الإسلامية أن تهيب فترة يومية لأبناء المسلمين في المساجد والجمعيات الإسلامية بعد انتهاء اليوم الدراسي ، وقام آخرون بالاتصال بمديري المدارس الحكومية التي يوجد بها تلاميذ مسلمون ، وخصصت لهم أوقات محددة -حوالي عشرين دقيقة في الصباح قبل بداية اليوم الدراسي مرتين أو أكثر أسبوعيا يسمح فيها لأحد المدرسين المسلمين بالتحدث إلى التلاميذ المسلمين بالمدرسة عن الإسلام ، وهو جهد قليل الجدوى على الرغم من الإخلاص البادى في القائمين عليه ومما لاشك فيه أن هذه المحاولات تعكس اهتمام الآباء بمصير الأبناء إلا أنها ليست كافية لمواجهة المشكلة والتغلب عليها ، وذلك لأن الأوقات المخصصة للدراسة ليست مناسبة لأنها إما أن تكون بعد أن يقضى التلميذ يوما مرهقا في المدرسة يحتاج بعده إلى الراحة والاستجمام . أو أنها في يوم الراحة الأسبوعية وهو ضروري من الناحية التربوية لاستمرار نشاط التلميذ في الإقبال على دروسه بدون ملل أو سأم ، أو أنها في أوقات مبكرة قبل بداية اليوم الدراسي مما يجعلها ثقيلة على الأطفال غير محبة إليهم وآثارها النفسية في هذه الحالات معروفة للجميع هذا بالنسبة للوقت أما بالنسبة للأمكنة فإن كثير من القائمين على هذه الفصول لم تساعد إمكانياتهم المادية والتربوية على تهيئة الاستعداد الكافي الذي يناسب مستويات هذه البلاد وطبيعتها وتبدو الآثار الضارة لهذا التفاوت في الاستعدادات حينما يقارن الطفل بين ما يجده في مدرسته التي يشارك فيها الآخرين من أبناء الشعب الانجليزي ، وبين هذه الفصول التي يتلقى فيها تعليمات باسم الإسلام مما يجعله يحس بالفرق بين ما ينتسب للإسلام وما ينتسب إلى سواه ، وهذا يسبب خطرا نفسيا يتعرض له أطفال المسلمين في تلك البلاد .

وبالنسبة للمدرس والكتاب فلم يكن هناك مدرس متخصص أو منهج متكامل ، وقد دعانا ذلك إلى الاستعانة بعدد من طلاب الدراسات العليا بين المسلمين ليقوموا بعملية

التعليم ، وأما موضوع الكتاب فقد أمكن التغلب على النقص في المنهج بإعداد سلسلة من الكتب المدرسية باللغة الانجليزية تقدم المعلومات الضرورية للناشئة المسلمين من سن الخامسة حتى الخامسة عشرة .

وعلى الرغم من كل ذلك فإن المشكلة لاتزال قائمة تحتاج إلى حل عاجل ، ومن استعراض هذه النماذج التي أشرنا إليها نرى أن مدارس آخر الأسبوع أكثرها فائدة ، وقد أشرف المركز الإسلامي في لندن على إدارة أعداد منها في لندن وضواحيها وقدم المساعدات المالية والثقافية للقائمين عليها في الأماكن المختلفة ، ولكن ذلك كله لا يقدم حلا جذريا لهذه المشكلة .

لكل هذه الظروف وانطلاقا من الإحساس بالخطر المقبل ، ومحاولة تأمين مستقبل النشء المسلم في تلك البلاد إلى جانب ما لاحظناه من أن عددا من أسر المسلمين في الشرق العربي والإسلامي يبعثون بأبنائهم إلى المدارس الانجليزية الخاصة ويقدمون في سبيل ذلك نفقات باهظة ليتلقى أبنائهم تربية تختلف في أهدافها ومناهجها وقيمها عن أهداف الإسلام وقيمه ومناهجه فإذا ما أكملوا دراستهم وعادوا إلى بلادهم شعروا أنهم غرباء بين أهليهم وذويهم وعاشوا في صراع معلن أو خفي والخاسر في كل الحالات هو العالم الإسلامي لهذا رأينا أن نتقدم بمشروع إنشاء مدرسة إسلامية كاملة تحقق للنشء المسلم ما نريد ، وتحميه من الضياع وتكون نموذجا يحتذى لمن يريد أن يشارك في هذا المجال ويتلخص المشروع فيما يلي :

١ - تتكون المدرسة من مراحل التعليم المختلفة من الروضة إلى نهاية المرحلة الثانوية .

٢ - تزود المدرسة بكل ما تستلزمه التربية الحديثة من استعدادات من ملاعب وصلات اجتماعات ودور للعرض وحمامات للسباحة إلى جانب المسجد الذي ترتبط المدرسة به ارتباطا وثيقا ، ويراعى في مواعيد الدراسة عدم تعارضها مع أوقات الصلاة .

٣ - يدرس الطلاب المناهج الانجليزية كاملة ، مضافا إليها دراسة الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخا وحضارة وأخلاقا وسلوكا ، ودراسة اللغة العربية وآدابها دراسة تمكن الطلاب من إتقانها فهما ونطقا وكتابة .

٤ - إعطاء عناية خاصة للقرآن الكريم والسنة النبوية وتقديم جوائز لمن يثبت تقدما في حفظ الكتاب والإمام بالسنة .



٥ - إعداد مساكن خاصة بالطلاب ، ومعلوم أن هذا الاقتراح لو أخذ في تطبيقه فسيكون هناك مدارس خاصة بالبنات على نفس المستوى ونتيجة هذا الاقتراح حينها يطبق أن المتخرج من هذه المدارس سيكون من الممكن بالنسبة له الالتحاق بأى جامعة فى أى بلد إسلامى أو عربى بدون إحساس بوجود أى فرق بينه وبين الطلاب الآخرين لأن ما درسه من العلوم الإسلامية والعربية سيهيىء له ذلك على أحسن وجه ، فإذا التحق بجامعة فى بلد أوروبى لا يخشى عليه من الاندفاع وراء الدعوات البراقة لأنه قد تلقى من الدراسات الإسلامية والعربية ما زوده بزيادة كاف للصمود فى وجه الإغراءات السلوكية والفكرية التى تعج بها الحياة فى تلك البلاد .

وقد قدم نص المشروع كاملا إلى مجلس أعضاء المركز الإسلامى بلندن منذ أكثر من اثنى عشر عاما ، ولكنه لازال ينتظر من يوفقه الله فيضعه موضع التنفيذ ، ومن الممكن الحصول على نسخ منه لمن يريد وياحبذا لتوثبت الجامعة الإسلامية تحقيقه ، فسيكون ذلك بلا شك حسنة تضاف إلى حسناتها المتعددة .

وإنى على يقين أن هذا المشروع لورأى النور بصورة شاملة فلن يكون هناك خطرا على ناشئة الإسلام فى تلك البلاد .

هذه هى المشكلات الرئيسية التى تواجه المسلم هناك وقد بقيت بعض المشكلات السهلة الحل مثل عقود الزواج حسب الشريعة الإسلامية ، وقد نظم ذلك منذ البداية وأصبح واحدا من المهام الرئيسية التى يباشرها المركز الإسلامى فى لندن والمراكز المماثلة فى المدن الأخرى وإيجاد مقابر خاصة بالمسلمين وإجراء مراسم الدفن والغسل حسب الشريعة الإسلامية .

### مهمة المؤسسات الإسلامية :

أ - تهتم المؤسسات الإسلامية فى تلك البلاد بالدرجة الأولى بالحفاظ على أبناء المسلمين وحمائهم من الدوبان فى المجتمع الأوروبى ، وذلك عن طريق التعليم واللقاءات والندوات والاهتمام بالمناسبات الإسلامية والإعداد الخاص لها مثل شهر رمضان والاحتفال بالعيدين الفطر والأضحى والأيام الهامة فى تاريخ المسلمين ، والهدف من ذلك هو ربط الناشئة بتاريخهم ، ومن الوسائل التى تعكس هذا الاهتمام طبع مواقيت الصلاة على مدى العام وإعداد إمساكية شهر رمضان ، وإعداد تقاويم إسلامية يبين فيها التاريخ الهجرى مع التاريخ الأفرنجى .

ب - إعداد ونشر المطبوعات الإسلامية التي يحتاج إليها المسلمون والراغبون في التعرف على الإسلام من غير المسلمين ، وقد كنا منذ حوالي خمسة عشر عاما نعاني نقصا كبيرا في تقديم مطبوعات إسلامية باللغة الإنجليزية تمثله الصورة التالية : كنا نملك في مكتبة المركز عددا محدودا من ترجمة معاني القرآن الكريم يطالع فيها من يتردد على المكتبة ، فإذا جاء راغب في الازدياد من المعرفة بالإسلام لم نجد ما نقدمه له إلا الكتب العربية وهولا يعرف العربية ، وحدث ذات يوم أن كنت في أحد الشوارع التي تقام فيها الأسواق أيام السبت من كل أسبوع ، فوجدت قسيما يدعو الناس إليه ويوزع عليهم نسخا من الإنجيل مطبوعة طبعا أنيقا باللغة الإنجليزية ، وأغراني المنظر وأنا وصاحبي فتقدمنا منه ، فدفع بنسخة إلى كل منا ، ولما تفرس وجوهنا أدرك أننا لسنا من أهل البلاد فسألنا عن لغتنا الأصيلة وما كاد يعرف أنها العربية حتى مد يده إلى أحد الرفوف فاستخرج نسختين من الإنجيل باللغة العربية ، ونسختين من أسطوانات عليها تراويل باللغة العربية أيضا وأخذني العجب من استعداد هؤلاء الناس ونشاطهم ، وأخذت أقارن في نفسي بين اهتمام هؤلاء بالترجيع لباطلهم ، وبين تهاوننا في إيضاح الحق الذي بين أيدينا ، وعدم قيامنا بما يجب علينا نحو الدعوة إلى عقيدتنا أو اتخاذ الاستعداد الضروري لتقديم بيان لمن يسأل أو يريد أن يعرف .

والدليل على هذا الفرق تلك الصورة التي عرضتها من الواقع الذي لمستته ، وفيها تقدم الكنيسة نسخ الإنجيل إلى من تلقاه عرضا باللغة العربية في قلب لندن ، ويعجز المركز الإسلامي هناك أن يقدم ترجمة لمعاني القرآن الكريم لمن يريدتها . وكلما زار المركز أحد الفضلاء من المسلمين قصصت عليه هذه القصة ، ولكن الله تداركنا برحمته ، فلم نلبث إلا قليلا حتى أخذت تتوارد على المركز مئات النسخ من ترجمة معاني القرآن الكريم ، وكان السيد حسن الشربتلي صاحب النصيب الأوفر في ذلك العمل جزاه الله خيرا ، وقد غادرت المركز منذ قرابة أربع سنوات ، وبه آلاف النسخ والحمد لله غير ما كنا نبعث به لكل طالب فردا أو مؤسسة أو هيئة ، ويندر أن تجد مدرسة أو جامعة أو مركزا من مراكز الثقافة أو سجننا إلا وتجد في مكتبة كل منها عددا من نسخ ترجمة معاني القرآن الكريم والكتب الإسلامية الأخرى .

وأصبح من الممكن لأي راغب في التعرف على الإسلام أن يجد من المطبوعات الإسلامية باللغة الإنجليزية ما يقدم له صورة وافية عن مبادئ الإسلام وعقائده وعباداته .

ج - استقبال وفود الطلاب أو المؤسسات الراغبة في التعرف على الإسلام من شباب المعاهد والجامعات وأعضاء الهيئات والجمعيات ويقدم لهم برنامج يبدأ بعرض فيلم عن الإسلام يتناول موقفا تاريخيا أو صورة حضارية أو يقدم عرضا لبعض العبادات في الإسلام كالحج مثلا ، ثم يعقب ذلك حديث عن الإسلام ، تدور بعده مناقشة حول النقاط التي يرغب الحاضرون في مزيد من الاستيضاح عنها سواء حول ما شاهدوه أو سمعوه أو كان من القضايا التي يريدون أن يعرفوا موقف الإسلام منها وبخاصة ما يتعلق بالزواج أو الطلاق أو حقوق المرأة في الإسلام أو نظرة الإسلام إلى أهل الديانات الأخرى وكيفية تعامله معهم .

وقد تبين من واقع التجربة أن عرض فيلم لبعض المشاهد الإسلامية يعتبر وسيلة ناجحة في جذب انتباه أبناء تلك البلاد . وقد لوحظ أن كثيرين ممن يحضرون في هذه الوفود يبعثون بعد عودتهم مباشرة في طلب مطبوعات إسلامية يستعينون بها في إعداد بحوث عن الإسلام في معاهدهم ، وبخاصة هؤلاء الذين ينتسبون إلى المدارس العليا التي تسمى High Schooles .

د - وأحيانا توجه هذه المؤسسات الدعوة إلى أحد العلماء المسلمين للتحدث إلى طلابهم عن الإسلام بالصورة التي قدمنا تفصيلا لها ، وقد يستبد العجب بالكثير منا حينما يعلم أن الكنائس أيضا كثيرا ما توجه الدعوات إلى المتخصصين للحديث عن الإسلام في صالات اجتماعاتها إلى جمهور المترددين على الكنيسة ، لأنهم يرون في ذلك وسيلة إلى جذب أكبر عدد ممكن للتردد على الكنيسة .

هـ - استقبال الراغبين في التعرف على الإسلام واعتناقه ، وتنظيم لقاءات متعددة بهم ينم خلالها عرض شامل لمبادئ الإسلام ، ثم يزودن بعدد من الكتب الإسلامية لدراستها ، ومناقشتهم في محتوياتها في اللقاءات التالية ، وعادة ما ينتهي كل ذلك بدخول هؤلاء في الإسلام وحصولهم على وثيقة من المركز بدخولهم في الإسلام .

وقد لوحظ أن أعداد هؤلاء الراغبين في اعتناق الإسلام في تزايد مستمر في السنوات الأخيرة ، وأن أغلبهم من الشباب من الجنسين ، ويتضح من المناقشات التي تدور مع هؤلاء ضعف ارتباطهم بالدين المسيحي وعدم اقتناعهم بما تسير عليه الكنيسة من طقوس لا تمس القلوب . وإنما تهتم بالشكليات فقط ، ولقد حاولت الكنيسة إغراءهم بالتردد عليها حتى إنها لجأت إلى بعض الأساليب التي تنفر منها الأديان ، وسهلت التقاء الفتى بالفتاة ، ولا عليها بعد ذلك أن تكون الكنيسة موثلا للعشاق والمراهقين .

والحقيقة أن انصراف الشباب عن الكنيسة قد دفع الكثيرين من علماء اللاهوت إلى البحث عن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى موقف الشباب ، واضطروا إلى إعادة النظر في المسيحية ككل ، ومن الغريب أنهم وصلوا بعض ما قرره الإسلام منذ البداية بالنسبة للعقيدة المسيحية من أنها غير مقنعة حتى انتهوا إلى اعلان أن فكرة ألوهية المسيح فكرة خرافية ، ودعوا إلى تطوير العقيدة المسيحية لتتنشى مع الواقع وتقبلها العقول ، وقد وصلوا إلى هذه النتيجة من خلال بحوث عكفوا عليها وسجلوها ونشروها في كتاب طبع عام ١٩٧٦م بعنوان The Myth of God In Carnate وترجمته خرافة الإله المتجسد ، ولاشك أن مثل هذه الاتجاهات والبحوث تعكس الأزمة التي تمرّ بها الكنيسة ، وهذا يتطلب منا أن نتقدم بذكاء لنقدم البديل الذى يقنع العقل ، ويملأ القلب ، ويلبى هواتف الروح ، ويقدم المنهج العملى الذى يحقق التوازن النفسى بالمواءمة بين حاجات الجسد ، ورغائب الروح عملا بقول الله تعالى : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ وقول النبى ﷺ : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، حينئذ تجد الحياة طريقها السوى ، وتخلو من المادية القاسية الجافة التى تमित نوازع الخير فى الإنسان ، وتفيض منابع الحب فيه وتقضى على الرهينة السلبية التى تعتبر هروبا من الحياة لا يتفق مع المقصود من حكمة خلقها . ﴿ هو الذى أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ .

والحق الذى لا مرية فيه أن الطريق مهياً أمام الإسلام ، ولكن العقبة الحقيقية تكمن فى المسلمين أنفسهم ، ويوم أن يغيروا من أوضاعهم سيتغير كل شىء ، كما يقول الحق سبحانه : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

و- وتقوم المؤسسات الإسلامية فى انجلترا بدور اجتماعى فعال ، تابع من منطلق الأخوة الإسلامية ، فهناك العديد من الأسر المسلمة التى تتلقى معونات مادية تساعدها على التغلب على مشاق الحياة ، وتحفظ لها ماء وجهها ، وهناك كذلك الكثير من الطلاب الذين انقطعت بهم السبل يجدون من المؤسسات الإسلامية وبخاصة من المركز الإسلامى عوناً صادقا يتحمل عنهم نفقات دراساتهم عند الأزمات التى يمرون بها ، وتستغل حصيلة الزكاة فى القيام بهذه الالتزامات إلى جانب ما يقدمه القادرون من أهل الخير واليسار للإنفاق منه فى هذه الحالات .

نظرة إلى المستقبل : تقوم حركة نشيطة الآن فى أنحاء انجلترا تهدف إلى بناء مساجد ومراكز إسلامية ، وهى حركة يسودها فى الغالب الإخلاص ، ولكنها ينقصها التخطيط

وحسن القيادة ، وقد يترتب على انعدام التخطيط وحسن القيادة أن تضيق أموال المسلمين وتنفق في غير الهدف الذي جمعت من أجله ، إذ كثيرا ما أدى التنافس الشخصي أو التعصب لبلد أو إقليم أو جماعة إلى تعطيل أعمال هامة كان من الممكن أن يستفيد منها المجموع ، ولم يخل الجوال الإسلامي هناك من انتهازيين يريدون ركوب موجة التدين ، والتظاهر بالغيرة الإسلامية لتحقيق نفع مادي لأنفسهم ، ولهذا تجد أعدادا ضخمة من الرسائل والطلبات تقدم إلى الحكومات والمؤسسات الإسلامية في العالم العربي تطلب مساعدات مادية لإقامة بعض المشروعات الإسلامية ، وقد تكون الحقائق الواقعة لهذه المشروعات أقل بمراحل مما هو مسطر في الكتابات أو تكون مجرد فكرة فقط يبغى صاحبها من ورائها أن يجد وسيلة للسفر والوجهة عند بعض المسئولين ، وضمانا لأن توجه المساعدات التوجيه الصحيح أضع الاقتراحات التالية :

أ - أن تنشأ لجنة تسمى لجنة المساجد والمؤسسات الإسلامية يمثل فيها أعضاء من سفارات الدول التي تقدم المساعدات المالية للأغراض الإسلامية وعضو من المركز الإسلامي بلندن ويحال إلى هذه اللجنة كل الطلبات التي تأتي من الجمعيات لطلب المساعدة لتدرسها وترى مدى جدتها وأهميتها ، وتحول في الوقت نفسه الدول والمؤسسات المبالغ التي ترصدها للعمل الإسلامي في ذلك البلد مثلا إلى نفس اللجنة ، وتعطى صلاحيات توزيع ما تراه مناسبا على أصحاب هذه الطلبات حسبما يبدو من الدراسة التي تجريها حول المشروع ومدى أهميته للمسلمين والاطمئنان إلى استقامة القائمين عليه وجديتهم . وأعتقد أننا نستطيع بهذه الطريقة أن نؤدى خدمة جلية للمسلمين في تلك البلاد ونوجه أموال المسلمين إلى الوجهة النافعة .

ب - أن تعد لجنة أخرى من المهتمين بأمر التعليم والثقافة الإسلامية ، وتضع خطة منظمة لإقامة مدارس إسلامية على غرار الاقتراح السابق تعدله ميزانية خاصة ، وتتولى اختيار الأساتذة الصالحين للتدريس بهذه المدارس ، وهذا اللون من المدارس موجود في بلادنا للجاليات غير الإسلامية التي تعيش في العالم الإسلامي فلماذا لا نقيم لأبناء المسلمين مدارس مماثلة .

وعن هذا الطريق نكون قد خطونا الخطوة الأولى في تأمين مستقبل الأجيال القادمة وتزويدهم بثقافة إسلامية كافية إلى جانب ما يتلقونه من معارف العصر وعلومه ، والواقع أن هذا هو العمل الباقي الذي أخبر عنه النبي ﷺ حين قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » .

ج - إقامة دار نشر متخصصة تقوم بطبع الكتب الإسلامية وإصدار صحف ومجلات إسلامية للكبار والصغار على السواء من رجال ونساء ، وتتعب ما ينشر عن الإسلام والعالم الإسلامي فتقر الصحيح وترد على غير الصحيح .

د - إقامة مصرف إسلامي وشركات بناء إسلامية يقوم المصرف بالأعمال التجارية والاستثمارية حسب شريعة الإسلام ، ويحمي التجار المسلمين من المضاربات غير المأمونة ، ومن التعامل بالربا مع البنوك الأجنبية .

وقد دفعني إلى تقديم هذا الاقتراح حوار دار بيني وبين أحد التجار المسلمين في لندن ، قال لي فيه : إنه يكون أحيانا أمام بعض الصفقات التجارية ، ويحتاج إلى التقدم لشرائها ، ولكنه ليس في يده مال سائل في ذلك الوقت ، فهل يلجأ إلى البنك يقترض منه بالفائدة ليتم صفقته ؟

فقلت له : إن الفائدة ربا ، والربا حرام .  
فعلق قائلا : وماذا نضع ، وسيؤول الأمر أن نترك المجال للتجار غير المسلمين ، إذا أخذنا بما تشير به .  
فقلت له : إن ذلك لا يبرر أن يتعامل بالفائدة .  
فتساءل : وما الحل إذن ؟

فأجبت : إن علينا أن ننشئ شركات استثمار وبنوك إسلامية تقدم العون للتجار المسلمين في هذه الحالات ، وتدخل شريكا معهم حسب ما هو معروف في المضاربة في الفقه الإسلامي ، وأعتقد أن الأوان قد آن لتحقيق ذلك ، فإن المال بيد المسلمين كثير ، وسبل الكسب الحلال ميسر للجميع .

أما شركة البناء الإسلامية فاقترحتها نابع من الظروف التي يعيش في ظلها المسلمون في إنجلترا ، فقد يرغب أحدهم في شراء مسكن له ولأولاده ، ولكنه ليس لديه من الثمن إلا بعضه ، فيتقدم إلى شركة البناء التي تدرس الموضوع من جانبها ، وتعرف مستوى دخل الشخص وقيمة البيت ، فإن اقتنعت قبلت أن تدفع باقى الثمن ، وتمكن الشخص من استغلاله نظير مبلغ يدفع شهريا لمدة عشرين عاما مثالا يؤول المسكن بعده إلى المشتري ، فإذا ذهبت تحسب المبلغ الذى استردته الشركة وجدته قد زاد أضعافا مضاعفة على المبلغ الذى دفعته ، وقد نصحننا المسلمين أن لا يتعاملوا بهذه الطريقة ، ونرى أن البديل لذلك أن

تمشأ شركات مباني إسلامية يتوفر لديها رأس المال ، وتكون على استعداد لأن تحل محل شركات البناء الأجنبية ، ولكن من منطلق إسلامي ، يهيم لها ربحا حلالا ، ويريح المسلم من التعامل بالربا ، وكيفية ذلك أن يتقدم الراغب في الشراء إلى الشركة فتجرى الدراسات اللازمة للاطمئنان إلى سلامة الإجراءات . فإذا اقتنعت قبلت أن تدخل مع المشتري بصفة شريك حسب المبلغ الذي تقدمه ، ويتم البيع على هذه الصفة ، ثم تمكن الشركة المشتري من استغلال المسكن نظير مبلغ يدفع شهريا ، تحتسب نسبة منه إيجار نصيب الشركة ، ويعتبر القدر الباقي سدادا من ثمن نصيب الشركة ، فإذا استوفى الأجل الذي اتفق عليه آل لمنزل كله إلى ملك المشتري ، وبذلك ترباح الشركة ربحا حلالا ، وينجو المسلم من استغلال الشركات الأجنبية له استغلالا ربويا ، ويتحقق بذلك التعاون بين أفراد المجتمع لمسلم وهيأته ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

والذي لا ريب فيه أننا لو أخذنا في الاعتبار هذه الخطوات جميعها لأمننا مستقبلا زاهرا للإسلام والمسلمين في الغرب ، وصدق الله العظيم : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ أأهل بلغت ، اللهم فاشهد .



# المسافر المنار

الدكتور عبد الله بن أحمد قاري  
رئيس جمعية الفقه بالدرجات العليا

التبشير بالانجيل وسنة المعوقين :

في هذا اليوم نشرت جريدة «كومباس» الصادرة في جاكرتا عدد «٣٦» في ٢ أغسطس «السنة ١٦» نشرة مقتضبة عن نتائج المؤتمر الدولي لمجلس الكنائس البروتستانتية تتضمن أربع مسائل :

الأولى : التضامن مع الشعب الأندونيسي : (أغلبية الشعب مسلمة) والمؤتمر مسيحي دولي ، وحقد المسيحيين وسعيهم الحثيث في القضاء على الإسلام والمسلمين معروفان . فما معنى التضامن مع الشعب الأندونيسي وهل المقصود - هنا - الشعب الذي يخططون له ليكون في المستقبل مسيحيا أو أغلبية مسيحية؟ . هذا ما يبدو .

الثانية : التبشير بالانجيل : (والتبشير حاصل ولكن الظاهر ان المقصود مضاعفة الجهد في ذلك حسب الخطط المرسومة) .

الثالثة : تجديد الكنائس وتعميرها وتوحيدها .

الرابعة : مسائل عامة : ومنه اقرار البانتشاسيلا (الشعار الذي تضمن المبادئ الخمسة) وسيأتي قريبا إن شاء الله شرح هذا الشعار من منشورات الحكومة الأندونيسية التي توزع في طائرتها وما تيسر من التعليق عليه لبيان هدفه وموقف العلماء هناك منه وفهمهم له . ومن الأمور التي أقرها المؤتمر ان السنة المقبلة ١٩٨١ هي سنة المعوقين .

ويرى القاريء من هذه الأمور المقتضبة جدا أن التبشير بالانجيل مقترن بمغريات من المادة: تعمير الكنائس وتجديدها وسنة المعوقين والمعوقون كثيرون في كل شعب من شعوب العالم، والمعوق يضيق من بقاءه في الأرض عندما يكون فقيرا وأسرته فقيرة ويضيق



مه أسرته ومجتمعه ويتمنى لو نزل به الموت وتتمنى أسرته ذلك .

والصابرون على البلاء هم المؤمنون حقا وأين هم هؤلاء المؤمنون حقا؟ . لذلك يتمنى المعوق: الأعمى المشلول، المقعد . . . بأن الذى يهتم به وينفق عليه ويكسوه ويعلمه ويؤنسه يشعر بأن له عليه فضلا كبيرا وأنه يجب أن يكافئه، والنصرانى بينى الملاجىء هؤلاء المعوقين والمستشفيات والمدارس وما الذى يمكن أن يقدمه هذا المعوق من مكافأة لهذا المتفضل عليه المحسن الكريم، وما الذى يريد المحسن من هذا المعوق من مكافأة؟! .

ان المكافأة التى يريد هذا النصرانى هى ان يتنازل هذا المعوق (المسلم) عن إسلامه أولا، وأن يكون بعد ذلك نصرانيا. وهذا المعوق الذى كشرت الدنيا فى وجهه ونال هذه العناية من هذا النصرانى جاهل بدينه لا يعرف قيمة عقيدته ويسهل عليه أن يلبي رغبة من أحسن إليه فيتنازل عن عقيدته فى سبيل أنه ينال عاطفة كانت مفقودة .

ثم سبرى أن الشهوات فى الدين الجديد مباحة له، لا قيد ولا عيب .

نعم : الانجيل وسنة المعوقين، وهذا يعنى أن الدعوة إلى النصرانية يرافقها خدمات اجتماعية مغرية فأين هذا الذى يصدر من أعداء الدين مما يقدمه دعاة الإسلام والمؤسسات الإسلامية: أين مدارسهم؟ . أين مستشفياتهم؟ . أين ملاجئهم؟ . أين مساجدهم؟ . أين مؤسساتهم الثقافية؟ . أين . أين . أين؟؟؟ . قد يجب محجب ذاكر بعض المراكز الإسلامية النيلية أو بعض المساجد أو بعض المساعدات الخفيفة .

ولكن الذى يجب أن يعلم أن ذلك شىء لا يذكر بجانب ما يبذله أعداء الحق وانصار الباطل . فليتنق الله المسلم الذى عنده ما يقدر على الاسهام به فى أبواب الخير التى تحصن المسلمين من دعوات أعداء الله الهدامة وليقدم فى سبيل الله ما استطاع بما منحه الله ليبتليه فيه ويجازيه عليه .

لعل جنيا أدخل السحور : «٢٢ / ٩ / ١٤٠٠ هـ» :

نام عبيد الله الأربعة كلهم، ولعلى كنت آخرهم نوما فى هذه الليلة وكان من عادة الأخ عبد الله باهرمز أن يطلب من مديرى الفندق أن يبعثوا لنا بطعام السحور فى الساعة الثالثة صباحا وما فاتنا السحور طيلة أيام رمضان إلا هذه الليلة . قام الشيخ عبد القوى قبل آذان الفجر بثلاث دقائق تقريبا فأيقظنى قائلا: ذهب الوقت . فقامت مسرعا إلى الماء

فشربت . وشرب هو . وقلت له : اتصل بصاحبنا فاتصل هاتفيا ونادى المؤذن بالصلاة . فقال عبد الله : السحور موجود عندنا هنا في الحجرة لا أدري من أدخله ومن فتح الباب !! ثم أخذ عبد الله وعبد البر كل منهما ينسب إلى الآخر فتح الباب للفرّاش الذى أدخل السحور . فقال عبد الله : أنت فتحت الباب له ثم نمت ولم توقظنا . فقال عبد البر : بل أنت أنا ماقت من نومى - وكان الباب مقفلا - فقلت : لعل جنيا غير مسلم أدخل السحور وأراد الاضرار بنا فلم يوقظنا من النوم . وقد فات السحور فلا داعى للنزاع . ثم قلت للأخ عبد الله : الاحتمال القوى أنك أنت كنت مستغرقا فى النوم وفتحت الباب ورجعت لتنام (شوية) حسب اصطلاح الشيخ عبد القوى فلم تفق إلا بايقاظنا أما عبد البر فإن نومه ثقيل يستبعد قيامه قبلك والله أعلم بالصواب . قال عبد الله : كأن الله أراد لكم أن يكون آخر ما تذوقون فى أندونيسيا الشاهى السعودى والقهوة السعودية . قلت والماء الأندونيسى .

### إلى هونغ كونغ :

وفى الساعة السابعة إلا ربعا ذهبنا إلى مطار جاكرتا ، وبعد الفراغ من الجمرى والجوازات ودعنا الأخ عبد الله فدخلنا إلى قاعة الانتظار ثم صعدنا إلى الطائرة التى أقلعت فى الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين ، وجالت بنا فوق جاكرتا . ذات المنازل القصيرة المسنمة ، وترى العمارات الكبيرة متناثرة هنا وهناك .

### ملحوظات

وحيث أن هذه النظرة من نافذة الطائرة إلى مدينة جاكرتا عاصمة الشعب الأندونيسى هى النظرة الأخيرة فى هذه الرحلة فانه لابد من ابداء بعض الملحوظات لهذا الشعب المسلم .

### الملحوظة الأولى : البانتشاسيلا :

١ - ان هذا الشعب هو أكثر الشعوب الإسلامية عددا ، ومنظمات هذا الشعب الإسلامية - على قلة امكاناتها - تكافح وتناضل من أجل نشر مبادئ الإسلام وتثبيت قواعده لالتفاف هذا الشعب حوله والولاء لله ورسوله وللمؤمنين ، الولاء الذى يجب أن يتميز به المسلم عن غيره وإلا لما كان هنالك فرق بينه وبين غيره ممن تعدد ولاءاتهم قال تعالى : ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون﴾ . وقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم ان

الله لا يهدى القوم الظالمين ﴿١﴾ . وهذا الولاء يجمع المسلمين في كل أقطار الأرض فالمؤمن في انجلترا والمؤمن في أمريكا والمؤمن في مكة ولدى المؤمن في باريس ولندن والشعوب الإسلامية بعضها ولدى بعض لا فرق بين شرقى وغربى ولا بين عربى وعجمى . وعندما كان هذا الولاء محققا في الإسلام كانوا كلهم أعداء لأعداء الله يدعونهم إلى الله ويجاهدون من كفر بالله حتى كان الابن يقتل هو وأبوه في معركة واحدة وكذلك الأخ وأخوه والقريب مع قريبه مهما كانت القرابة حتى جعل الله كل علاقات الإنسان من مال وقرابة وغيرهما في كفة ، وجعل تعالى طاعته والجهاد في سبيله ومحبته في كفة من رجح الكفة الأولى على الثانية كان فاسقا بعيدا عن هدى الله مستحقا لوعيده في الدنيا والآخرة ، ومن رجحت كفة الله على علاقته كلها كان وليا لله مهتديا مستحقا نصره ورضوانه ، كما قال تعالى : ﴿٢﴾ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴿٣﴾ .

وعندما كان الولاء محققا في المجتمع الإسلامي حقق الله لهم العزة والنصر والغلبة على أعدائهم على الرغم من كثرتهم وكثرة عددهم وعندما ضاع هذا الولاء وحلت محله ولاءات أخرى لشعارات جاهلية باسم الأرض ، أو باسم الجنس أو باسم أى مبدأ آخر تفرقت كلمة المسلمين فصارت كل طائفة توالى هذه الأرض أو هذا الجنس أو هذا المبدأ أدلهم الله وأذهب شوكتهم وأنزل الرعب في قلوبهم بدلا من أنزاله في قلوب أعدائهم .

وقد أدرك أعداء الله الكافرون أن ولاء المسلمين بعضهم لبعض إذا تحقق أخضع الله به لهم راية الكفر ورفع لهم راية الإسلام ، وإذا تشتت هذا الولاء دب فيهم الضعف والوهن وكانوا أذنانا لغيرهم من أمم الكفر فوضعوا خططهم لايجاد شعارات كثيرة تتعدد لها ولاءات الشعوب كما وضعوا شعارات كثيرة في داخل الشعوب تتعدد لها ولاءات الأحزاب وقد نجحوا في ذلك ايما نجاح عندما جعلوا العرب وهم حملة رسالة وأهل الولاء الأصيل لله ولكتابه ورسوله وللمؤمنين يتركون الدعوة إلى الولاء لكلمة التوحيد وينادون بالولاء للجنس أو القوم ورفعت راية القومية العربية بدلا من الجامعة الإسلامية وهكذا أصبح لكل شعب من شعوب المسلمين راية قومية يدعون لها ويلتفون في الظاهر حولها هذا تركى وهذا هندي ، وهذا افريقى وهذا أندونيسى حتى أصبح بعض المنتسبين للإسلام لورأى كتاب الله يداس بالاقدام أو كلمة لا إله إلا الله يستهان بها لم يتحرك قلبه ولم يتغير وجهه غضبا لذلك ولكنه لو رأى علم بلاده وقد رسم فيه حيوان أو غيره ينزل من مكانه ضاق بذلك ذرعا وغضب وعمل

كل ما يقدر عليه للانتقام من فاعل ذلك بعلم بلاده .

والحكام الذين لا يريدون الإسلام أو يخافون من انتشاره وسيطرة أحكامه على نفوس شعوبهم يحاولون إيجاد كل الوسائل لإيجاد شعارات ومبادئ وطقوس يخلونها محل لا إله إلا الله محمد رسول الله ويدعون طوائف شعوبهم على اختلاف أديانهم لموالاة بعضهم بعضاً على أساس تلك الشعارات أو المبادئ ويوهمونهم أن في ذلك عزتهم وقوتهم وأن ولاءات الدين تغرق الشعوب وتضعفها . وهذا المعنى هو الذى يظهر المراد بأول مبدأ من المبادئ الخمسة التى تضمنها شعار: «البانتشاسيلا» على الرغم من التحفظ الذى يبدو فى أسلوب الشارح باللغة العربية .

**المبدأ الأول :** الربانية للمتفردة، قال المعلق: «ولقد وضع الشعب - مبدأ الإيمان بالربانية المتفردة - فى المقام الأول من فلسفة حياته ويعتقد الشعب طائفة من الأديان، فهناك من يدينون بالإسلام، وهناك من يدينون بالنصرانية، ومن يدينون بالهندوكية، أو البوذية أو غير ذلك من المعتقدات .

**المبدأ الثانى :** الإنسانية العادية المهدبة، والمقصود بها ولاء الإنسان لأخيه الإنسان بصرف النظر عن الدين والعقيدة والخلق - وهى دعوى نظرية يصعب تطبيقها على الرغم من اصطدامها بأصل من أصول الإسلام وهو موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه - وأول ما تصطدم به هو :

**المبدأ الثالث :** الذى هو الوحدة القومية الأندونيسية، فالوحدة ليست إنسانية وإنما هى أندونيسية وكل قوم يدعون وحدة منسوبة إلى أرضهم أو جنسهم كالوحدة القومية العربية، ثم الوحدة المدعاة بين شعبيين، ثم الوحدة المدعاة لشعب بعينه .

**المبدأ الرابع :** سلطة الشعب الموجهة بالحكمة والحصافة فى الشورى النيابية، وهذا المبدأ يصطدم اصطداماً مباشراً مع مبدأ الطاعة المطلقة لله وحده ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، فالسلطة فى الدين الإسلامى لله وحده وإن كان أولوا الأمر يجتهدون فى تطبيق النصوص الإسلامية إذا لم يرد بصفة معينة، كما أنهم يجتهدون فى قياس ما لم يرد فيه نص على ما ورد فيه نص، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ .

المبدأ الخامس : العدالة الاجتماعية لكافة الشعب الأندونيسى ، وهذا المبدأ مبني على المبادئ الأولى التي منها المبدأ الرابع الذي يجعل السلطة للشعب - والمقصود أفراد من الشعب يغلبهم الهوى والجهل فيظلمون الشعب ويسمون ظلمهم عدالة .

وبعد أن أشار إلى هذه المبادئ صرح بأنها هي الأساس والمنطلق في السياسة والاقتصاد والثقافة والتربية والتعليم ومختلف النشاطات الاجتماعية الأخرى . فالشعار بهذا المفهوم هو مصدر النشاط الأندونيسى ، وكأنه يقول إذا كان المسلم مأمورا أن يقول : ﴿ قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ . فان الأندونيسى مسلما وغير مسلم يجب أن يقول ان نشاطي كله (للبنتشاسيلا) .

وقد رحب بهذا الشعار غير المسلمين ، كما نص أن المؤتمرين النصارى أيدوا البنتشاسيلا في مؤتمره .

أما المسلمون فمنهم الجاهل الذي لا يفرق بين الجمرة والتمررة إلا بعد الندم ولات ساعة مندم . . . ومنهم الذي ضعف إيمانه فيحاول التوفيق بين هذه المبادئ وبين الإسلام بطرق معوجة وتحريف الكلم عن مواضعه ، ومنهم من ينكرو ويصرو لو أحاطت به الاخطار ويقول : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ . كما قال إبراهيم ومحمد ﷺ .

ومن الأدلة الواضحة ان هذا الشعار قصد به صرف المسلمين عن ولاء الله ورسوله والمؤمنين . أن رئيس الجمهورية (سوهارتو) يصرح في كل مناسبة أن أندونيسيا لا دينية ومن ذلك تصريحه في مؤتمر الإعلام الإسلامى الذى نظمته رابطة العالم الإسلامى فى جاكرتا . فقد قال : أننا نرحب بكم فى أندونيسيا وان كانت دولتنا لا دينية والشعار يمثل ذلك ويدل عليه .

وهذا يوجب على علماء الإسلام ان تكون تربيتهم لأبناء المسلمين مبنية على أصل العبودية المطلقة لله تعالى الذى له وحدة الألوهية المطلقة وأن يؤصلوا فى نفوسهم معنى الموالاتة والمعاداة فى الله التى أهتم بها علماء السلف وألفوا فيها المؤلفات لعلمهم بما يترتب على ذلك من ترابط المسلمين وقوتهم .

### الملحوظة الثانية :

ان الجمعيات والمنظمات الإسلامية تبذل جهودا قوية لتحسين أبناء المسلمين من

الكفر بأنواعه: النصراني والشيوعي والخرافي على الرغم من قلة الامكانيات المادية، والذي يؤخذ على كثير من علماء هذه الجمعيات السكوت عن كثير من المنكرات التي حرمها الإسلام، إذ يكتفى الكثير منهم بالمواعظ العامة ولا يمسون الجوانب السلوكية كالسفور بالنسبة للمرأة، والاختلاط - اختلاط الرجال والنساء - في المدارس والجامعات والمجامع العامة مع وجود الاغراء ووسائل الفتنة وغير ذلك فيما لايجوز السكوت عليه، كما أن بعض المؤسسات على الرغم من قيامها على أساس الإسلام - يوجد هذا الاختلاط فيها وكذلك اللباس غير ساتر. وهذا ما رأيت في كثير من المقاطعات التي زرتها ووجدنا بعض الشباب المتحمس يشكو من سكوت كبار علمائهم عن هذه الأمور وينتقدونهم .

### الملحوظة الثالثة :

ان وجود ثقة المسلمين في أندونيسيا - وربما في غيرها من الشعوب الإسلامية - في البلدان العربية جعلهم ينظرون إلى العرب الذين يزورونهم نظرا احترام ومحبة، وقد يدعوهم ذلك إلى الاقتداء بهم وكثير من العرب الذين يزورن تلك البلدان لا يلتزمون بأوامر الإسلام ولا يجتنبون نواهيه وقد يظن الجهال في الشعوب الإسلامية ان تصرفات هؤلاء العصاة من الإسلام .

ومما ذكره بعض الشباب منكرا له أن بعض كبار الموظفين من بعض البلدان العربية المهمة كان يصحب معه قرينته التي ماكان لباسها يختلف عن لباس المرأة النصرانية أو غير المنتزعة بالدين والخلق وكان هؤلاء الشباب مستائين جدا من هذا التصرف الذي كانوا يودون أن يحصل عكسه وهو الالتزام بالإسلام، وأدابه ليكون ذلك حافزا للفتيات الأندونيسيات على الاقتداء به .

ومما يدل على ثقة المسلمين بالشعوب العربية ان الطلبة الذين يجيدون اللغة العربية يتجمعون أمام الجدران التي تعلق عليها الصحف العربية لقراءتها بشغف مع أن تلك الصحف يصدر أكثرها من دول عربية معادية للإسلام وصحفها تحمل أفكار زعمائها .

لهذا كله فانه ينبغي أن تهتم الدول التي تدين بالإسلام ببيع الكتب الإسلامية والجرائد والمجلات الإسلامية لتملأ الفراغ الذي جعل لصحف أعداء الإسلام رواجاً هناك .

ويجب كذلك أن يتقى الله زوار تلك البلدان من الشعوب العربية ولاسيما الشعوب

التي ينظر إليها المسلمون في العالم انها قدوة فيلتزموا بالإسلام ولا يكونوا دعاة شر وفساد بأعمالهم السيئة .

#### الملحوظة الرابعة :

ينبغي للجامعات الإسلامية والمؤسسات الإسلامية في الشعوب العربية أن تقوى صلاتها بالجامعات والمؤسسات الإسلامية في أندونيسيا بتبادل الزيارات والاكتثار من المنح الدراسية الشاملة بمعنى أن يكون الطلاب من جميع مناطق الجزر الأندونيسية لا من منطقة دون أخرى، وان كان لا يمنع ذلك أن تكون الكثرة من بعض المناطق لاعتبارات راجحة . وكذلك ينبغي أن تخصص اعانات مالية لمساعدة تلك الجامعات والمؤسسات وكتب علمية مفيدة وغير ذلك مما يرفع معنويات المسلمين هناك الذين يواجهون تيارات مدعومة من دول ومؤسسات ضد مبادئ الإسلام .

#### الملحوظة الخامسة :

ينبغي أن تختار كتب ورسائل إسلامية مفيدة وترجم وتطبع في داخل أندونيسيا لتوزع على الجمعيات والمؤسسات الإسلامية هناك بدون مقابل أو تباع في الاسواق بأثمان مستطاعة .

وأقترح الكتب الآتية : ويمكن اقتراح غيرها :

(١) كتاب العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٢) السياسة الشرعية له .

(٣) الحسبة في الإسلام له .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم له .

(٥) كتاب الصلاة لابن القيم .

(٦) مفتاح دار السعادة له .

(٧) زاد المعاد له .

(٨) تحفة الودود في أحكام المولود له .

(٩) جامع العلوم والحكم لابن رجب .

(١٠) الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (وقد ترجم كتاب التوحيد الشيخ

عارفين أحد علماء سورابايا ويمكن النظر في هذه الترجمة فإذا كانت صحيحة طبعت وهو كتاب مطبوع أخذنا منه نسخة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) .

- (١١) مبادئ الإسلام للأستاذ المودودي .  
 (١٢) تذكرة دعاء الإسلام له .  
 (١٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للأستاذ أبي الحسن الندوي .  
 (١٤) رسالة التعاليم للأستاذ البنا .  
 (١٥) رسالة إلى أي شيء ندعو الناس له .  
 (١٦) خصائص التصور الإسلامي لسيد قطب .  
 (١٧) معالم في الطريق له .  
 (١٨) منهاج التربية الإسلامية (بقسميه) لمحمد قطب .  
 (١٩) كتاب التوحيد بجزئيه له .  
 (٢٠) كتب توحيد الخالق باجزائه الستة للزنداني :

ويتوحيد الخالق سبحانه - استودعك الله يا أندونيسيا، راجيا أن تهيمن كلمة الله على كل جزء من أجزائك ويحملها كل قلب من قلوب أبنائك مجاهدا في سبيلها مواليا من ولاها معاديا من عادها: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ .

### عروس تهديها عرائس

وأخذت الطائرة تنهب الجونها، فوق المحيط الهادي، الذي كانت قوافل السحاب تتناثر بيننا وبينه، فظهر بها كبساط أزرق مائل إلى الخضرة، وشبه أبيض، وكنا نشاهد قوافل الأمواج الهائجة صفوفًا يتبع بعضها بعضًا، كما كانت السحب الخفيفة الحمل طائرة فوق الطائرة سائرة إلى حيث أمرها الله، وبدا القمر على يسارنا على شكل نصف دائرة، والسحب العالية تحجبه عنا تارة وتكشف نفسها عن وجهه تارة أخرى .

حقا لقد كانت مناظر عجيبة، ولقد شبهت طائرتنا، وهي تسير في هذا الجوبالعروس التي تهديها عرائس، وهي جميلة، وكل واحدة منهن أجمل وزاد جمالها على جمالهن بسبب وقوعها في وسطهن مثل البدر الذي أحاطت به هالته .

وكنت لا أدري إلى أين ألتفت لأتمتع بتلك المناظر التي قد لا تحصل لمسافر - هكذا مجتمعة - شمس ساطعة، وسحب جميلة متفرقة، على بحر أمواجه هائجة ترى من بعد



تصفوف المصلين ذوو اللباس الأبيض ، وقمر يداعبه السحاب فيحجبه تارة ويكشف عنه أخرى ، الله أكبر ما أعظم خالق هذا الكون الجميل المنسق الذي يتعاون تناسقه على جماله ، ولو أن بنى البشر تعاونوا فيما بينهم على حياة سعيدة في هذه الدنيا ، فأثر بعضهم بعضا ، وكف بعضهم ظلمه عن بعض وبذل كل واحد وسعه في ايجاد الأمن والاستقرار واجتهد أولياء الله في نشر دينه واعلاء كلمته فأمن الناس على دمائهم وأعراضهم وأموالهم لاكتمل الجمال جمال الحياة البشرية وجمال الكون العظيم : ﴿ أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إله مع الله بل هم قوم يعدلون ﴾ .

وبدأت تظهر بعض الجزر المستديرة التي تشبه قصعات الطعام الموضوعة على طاولة مكسوة بالجوخ الأخضر ، وصغارها تبدو كعيون البقر ، والمحيط الهادئ يحتضنها من جميع جوانبها ولم يغمرها يا الله ما الذي يمنعه عنها غير خالقها وخالقه .

وظهرت جزر مكسوة بالغابات : جبالها وسهولها ، وهي تفاخر البحر المحيط بها بملابسها الموشاة بالزهور المختلفة ، وكأنها تقول له : إذا كنت تجود للناس بأسماكك ولآلئك بعد أن يقتحموا الصعاب ويتجشموا الأخطار ومنهم من لا ينجو من قسوتك وعنقوانك على الرغم من اتعاب أنفسهم في اتخاذ وسائل الوصول إليك ، فاني أمد يدي بالخير لكل الناس قلوبهم وضعيفهم بثمر النارجيل ، والموز والبرتقال والباباي والتفاح والأناناس بدون مشقة ولا خطر . ثم جاء قوس قزح ليشارك بالوانه الجميلة فاضاف إلى الجمال . . . . جمالا . . . .

### الحمد لله :

وفي هذا الجوامع الممتع المريح الذي يربط المخلوق بالخالق ذكرنا المضيفون بقول رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » . فقد كنا فعلا - ولكن القليل منا - نتمتع بالفطرة ونشعر بالغبطة والسرور ، ولكن المضيفين بدأوا يغلقون النوافذ من أجل عرض فيلم الرحلة (وأفلام الرحلات كلها ثقيلة علينا) الثقيل ولعل القارئ يدرك من عاطفتي مع الكون ورغبتى في صحبته باستمرار ان غلق النافذة بالنسبة لى يعتبر سجنا .

وأخذت أقرأ بعض الجرائد السعودية التي حصلت عليها من مكتب الأخ الشيخ عبد العزيز العمار في جاكرتا ، وكان الفيلم قدرا في ميزان ذوى العقول ولا سيما عند المسلم ، ولذلك

قال الشيخ عبد القوي: يعملون هذا وهم في الجوما يخافون من ربهم، قلت: ان الله يمهلهم ولا يمهلهم وهو من ورائهم محيط .

وبعد أن قرأت بعض أخبار الجرائد ومقالاتها أخذتني غفوة سمعت على أثرها الشيخ عبد القوي وهو يقول: الحمد لله، فنظرت إلى الفيلم فوجدت أنه انتهى . فقلت مثل هذا الشيخ: الحمد لله، وفتحت النافذة ورجعت إلى كتاب الله المنظور .

وعلى الرغم من بعد المسافة بيننا وبين البحر فان أثر هياجه كان واضحا في بياض الماء الذي كان كل صف منه يتبع الآخر على أثر ارتطام أمواجه بعضها ببعض .

### ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ :

رأيت باخرة كبيرة، وهي تمخر عباب المحيط، وقد امتد وراءها انخفاض واضح كأنه واد بين جبلين - وهو الأثر الذي حدث من شقها طريقها في البحر - فأحسست بطارق ينبهني إلى آيات الله القرآنية الواردة في تسخير الله تعالى لهذا الإنسان السماء والبحر وغيرها، كقوله تعالى: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الإنسان لظلوم كفار﴾ . وقوله تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس أن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ . إلى قوله تعالى: ﴿وسخر لكم ما في الأرض والفلك تجرى في البحر بأمره ان في ذلك لآية لقوم يذكرون، وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ .

ان حكمة الله في هذا التسخير لهذه النعم لهذا الإنسان هي ان تعم رحمته خلقه وان يشكر هذا الإنسان الخالق المنعم: ﴿ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ .

ولكن هذا الإنسان - إلا من شاء الله - كلما زاده الله من نعمه زاد طغيانه وتمرده . ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الإنسان لظلوم كفار﴾ .

ويرى العاقل هذا الظلم وهذا الكفران في هذا الإنسان في السفر في الجووف في البحر وفي البر، وفي الحضرة في كل مكان . قد غفل - أومات قلبه - عن التفكير في نعم الله التي يجب أن تطرق قلبه في كل وقت ليعود إلى المنعم فيعبده ويشكره .

وعدد البواخر التي شاهدتها في المحيط في هذه الرحلة أكثر من عشر كانت الأولى أكبرها .

### مظاهرة عارمة :

وكان منظر السحاب في هذا اليوم - يأخذ بالألباب - وقد شبهته بعدة تشبيهات حسب الحالة التي رأيته عليها :

فشبهته مرة بصفوف المصلين الذين اجتمعت حشودهم في مصلى العيد في الصحراء - كما هي السنة - كل إنسان بجانب صاحبه، وكل صف وراء أخيه وهكذا كان السحاب : كل سحابة بجانب أختها وكل صف من السحاب وراء الصف الذي قبله . ورأيته تارة على هيئة نخيم الحجيج في منى وقد ربطت كل خيمة في وتد أختها وبين كل جملة من الخيام وأخرى ممر .

ثم بدأ لى - تارة أخرى - كأنه مدينة واسعة، ذات قصور عالية متناسقة خطت شوارعها بحكمة واتقان، إلا أنه لا يوجد في تلك الشوارع الزرقاء إلا تتابع الأمواج الهادرة، ومساحة هذه المدينة لا تقاربها مساحة أى مدينة من مدن العالم البشرية .

وأخر قافلة رأيته كانت تشبه أسرابا من الطائرات الحربية تحلق فوق هذه الأجواء الواسعة إلا أنها لا تلقى قنابل النابالم المحرقة، ولا تقذف الصواريخ المدمرة وإنما كانت - في ذهني - تقذف بالحق على الباطل فيدمغه . وكأنها في مظاهرات عارمة ضد الملحدين : ﴿ ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ .

وشاهدت جزيرة صغيرة من اليابس تحيط ببحيرة صغيرة من الماء وأمواج المحيط الهادى تتلاطم حولها، وهما على هيئة قذيفة صاروخية هكذا .

جزيرة صغيرة ←←  
بحيرة صغيرة ←←  
المحيط الهادى ←←

ورأيت خضرة على اليابسة تشبه العشب لم أتبين ماهي لبعدها . والظاهر أن البحر يغمر هذه الجزيرة عندما يشتد هياجه ، فتغدو كلها من قاعه ، ويولى عنها عند جزره وهدوئه - النسبي - فتنكشف مرتفعاتها ويبقى البحر الصغير - البحيرة - في وسطها .

### في مطار هونغ كونغ :

ثم أخذت الطائرة في الهبوط رويدا رويدا فرأينا الجبال القريبة من هونغ كونغ في وسط البحر ورأينا القوارب الصغيرة وهي تتحرك في البحر في كل اتجاه مثل الاسماك . وهبطت الطائرة في مطار هونغ كونغ في الساعة الواحدة إلا عشر دقائق بتوقيت جاكرتا الثانية إلا ربعا بتوقيت هونغ كونغ فكانت مدة الطيران أربع ساعات كاملة .

### دبر نفسك :

ودخلنا قاعة الجوازات فكان امامنا في الصلاة هو شيخنا في اللغة وقف الشيخ عبد القوي امام الموظفة فرطنت باللغة الانجليزية - بلهجتها الصينية السريعة التي يختلط على السامع مخارج حروفها - فلم يفهمها ، فختمت له ومشى ، فقلت له : لا تبعد عنا لانا لا نستطيع التفاهم معها - أصلا - فقال : دبر نفسك ، وبدأت ترطن لى فناديته فجاء فتكلمت بكلام لم يفهمه فاشارت إليه ان يعود إلى مكانه وقالت لى : نوانجلس فهزرت لها رأسى فختمت جوازى وجواز الابن عبد البر ونذرت صوما ، وقلت عندئذ للشيخ عبد القوي : لقد كادت الرؤوس تتساوى - أى فى اللغة .

### أخافتهم الغترة عند الدخول :

ذهبنا إلى قاعة الجمرک فتسلمنا عفشنا وأخذ الموظفون يفتشون كل شىء بدقة ، وكان الموظف - على الرغم من التفتيش الدقيق - يسأل أعندكم سلاح . والشيخ يقول له : نو . قلت له : لا تجبه يكفيه ما يفعل .

وبعد أن فرغ من تفتيش الحقائب وكدنا نفارقه نظر إلى عبد البر فرأى رأسه مغطى بالغترة - أما الشيخان فكانا مكشوفى الرأس - فأخذ الموظف يمر بيديه على رأس عبد البر متحسسا ، وكأنه ظن أن تحت هذا الغطاء مفرقات أو غيرها من الاسلحة ، فاقتربت أنا من الموظف وأشرت له إلى رأسى - أى فتش رأسى أيضا ، فابتسم وفهم اننا نستغرب تفتيش الرأس .

## الفندق قبل السيارة :

خرجنا من قاعة المطار فلم نجد أحدا ينتظرنا وكنا قد اتصلنا من جاكرتا بمنزل الأخ «مظهر السيد» (باكستاني مقيم في هونغ كونغ يشتغل بالتجارة) الذي كنت قد التقيت به في المرة الأولى عندما كنا في طريقنا من اليابان بعد زيارة أمريكا . ووقفنا ننتظر سيارة أجرة وكنا كلما أشرنا لسائق تجاوزنا إلى غيرنا من الواقفين ، فاستغربنا ذلك . وبعد وقوف طويل كان يأتينا بعض الشباب يسألنا ماذا تريدون؟ . فنقول : نريد استئجار سيارة فيتركنا ويذهب يوقف سيارة لغيرنا ويضع له أثاثه في صندوق السيارة بنفسه ويفتح له الباب وإذا ركب أغلقه وودعه . فأخذنا نتساءل : ما سبب صدور الناس عنا أهو لباسنا العربي؟! .

ثم قلت لشيخنا القاري - شيخ اللغة الانجليزية - انظر إلى هذه اللافات التي يقف لناس تحتها فتأتيهم السيارة بسهولة ويجدون من يحتفى بهم دوننا ، فنظر فوجد أسماء فنادق . من أختار أحدها وقف تحت لافتته فجاءته السيارة التابعة لذلك الفندق فتوصله إليه ، فقلت : اذن يجب أن نختار الفندق قبل السيارة ، فأختر لنا ما تشاء فاختار فندق «امباسدور» وعندها يسر الله عسرنا ، وكان من فنادق الدرجة الأولى .

## جوهرة في مزبلة :

ونزلنا في هذا الفندق ، واتصلنا بالأخ مظهر السيد الذي وعدنا بالمجيء إلينا ، فاسترحنا ، وجاءنا في الساعة السادسة ونزلنا إلى السوق لشراء بعض المأكولات للأفطار وذهينا إلى مسجد كولون الذي هدم ليبنى من جديد ، وهو في دور التأسيس ، وقد شاركت فيه رابطة العالم الإسلامي في اعانته وشارك غيرها من الكويت وبعض تجار المسلمين في هونغ كونغ ولا زالوا يجمعون له المساعدات لأنه سيبنى من طابقين وكان قد بنى قبل ثمان عشرة سنة بتتبه بريطانيا للمسلمين الذين شاركوا في فتح البلدان لها مع جيشها وهم من الهند والباكستان ، وكنت زرت هذا المسجد قبل ثلاث سنوات . وكان إمامه شيخا باكستانيا كبير السن ذكر لنا حاجته إلى بناء جديد وضمنت التقرير الذي قدمته للجامعة الإسلامية هذا لطلب وبعثت بصورة منه إلى فضيلة الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ، ولعله على أثر ذلك قدمت المساعدة من الرابطة .

وقد منحت الحكومة في هونغ كونغ المسلمين قطعة أرض بجوار المسجد مباشرة اعارة يؤدون فيها صلاتهم حتى يتم بناء المسجد وقد بنوا على هذه القطعة مسجدا مؤقتا من الخشب وغطوه بغطاء من البلاستيك ليقبهم من حر الشمس والمطر .

وعندما وصلنا إلى هذا المسجد وجدنا المسلمين مجتمعين وقد وضعوا سفر الإفطار على بسط المسجد وضعوا القصعات على تلك البسط ووضعوا أمام كل واحد من المصلين الذين لا يقلون عن ثلاثمائة مصل حبات تمر وشيئا من الفاكهة - برتقال أو تفاح - وخبزا محشو بخضرة ولحم (سمبوسة) وقعب نحاس ملىء بشربة أرز وعدس ولحم ورحبوا بنا وفرحوا عندما رأونا ونحن فرحنا أيضا بهذا الجمع الغفير من المسلمين يفطرون كلهم في مكان يصلون بعد الإفطار وراء امام واحد والبيئة التي تحيط بهذا المسجد كلها بيئة كفر ترى فيها النساء العاريات والأخلاق الفاسدة والغفلة عن الله وعن اليوم الآخر فكان وجود هذا المسجد في هذا المكان بهذه الأوصاف مثل الجوهرة المرمية في مزبلة ولعل هذه الجوهرة تحول تلك المزبلة كلها إلى جواهر في يوم من الأيام وما ذلك على الله بعزيز .

فقد كانت الأرض كلها مابلة عندما بعث رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الله في مكة المكرمة .

#### راحت تتعجب فدخلت تلعب :

هذا مثل يمى حفظته وأنا صغير ، ومعناه - في الأصل - خرافي فهناك مرض يسمى بمرض الزار، إذا مرض شخص أى مرض أقعده في منزله جاء بعض المرتزقين وأوهموه بأن شيطان الزار قد أصابه بهذا المرض ولا بد من ذبح بعض الحرفان ودعوة الناس للأكل منها لاسيما هيئة شيطان الزار الذين هم رئيس الهيئة - رجل أو امرأة - وضاربو الدفوف وصاحب المزمارة والمصفقون ويحضر المريض - أو تحضر الهيئة عنده إن كان لا يستطيع هو الحضور - فيأخذ ضاربو الدفوف في ضرب دفوفهم ، ويأخذ صاحب المزمارة في زمره ، ويصفق المصفقون ، ويبدأ المريض يهز رأسه شيئا فشيئا ، وبعد أن يسخن جسمه تشتد حركته فيرقص ويغيب عقله ويقال أنه عندئذ يحضر شيطان الزار ثم يتقدم شيطان الأنس رئيس هيئة الزار ويغمز بعض أجزاء جسمه ويتحدث مع المريض والمريض يأتي بألفاظ غريبة وكأنه يتحدث على لسان شيطان الزار، ويخبر عن الأسباب التي جعلته يدخل الضرر على المريض ويشترط شروطا لابتعاده عنه يضمن له رئيس هيئة الزار تحقيقها ثم يصحو المريض ، وقد يشفيه الله ابتلاء وقد ينتقل إلى الدار الآخرة مشركا بالله معتقدا أن الجن تنفع وتضر ، وتمرض وتشفى . هذه نبذة مختصرة لوصف مرض الزار وليس هذا هو المقصود ، والظاهر أن القارئ قد ضاق صدره لادخال هذا المرض ووضع في هذا المكان من هذه الرحلة وتعب في ربط هذا الكلام بالعنوان ، فليصبر على ذلك وإليه بيان المراد .

تستأذن بعض النساء من أولياء أمورهن لحضور حفلة الزار لتتفرج وهي ليست مريضة، وعندما تقف في الصف تنظر إلى المريض وهو يرقص فترتعش هي وتدخل تفعل مثل ما يفعل المريض (فليل راحت تتعجب فدخلت تلعب) فصار ذلك مثلاً يضرب لمن قلده شخصاً أو حاكاه في أمر ما كان ينبغي له أن يحاكيه أو يقلده لاستغناؤه عن ذلك. وقد انطبق هذا المثل على الشيخ عبد القوي - والمثل يحكى كما هو ولا يغير - فقد اجتمع حولنا بعض الباكستانيين والهنود الذين يتحدثون باللغة العربية المفهومة، ولم يكونوا يظنون أن الشيخ يتحدث اللغة الأردنية فتبادلنا الحديث معهم قليلاً ثم لم يقدر الشيخ أن يستمر في التحدث معهم باللغة العربية فانطلق يتكلم باللغة الأردنية ولا سيما عندما كان بعض المتحدثين باللغة العربية يترجمون لبعض أصدقائهم باللغة الأردنية فأوقفت الشيخ عن التحدث بلغته. وقلت له: اعطهم فرصة ليتمرنوا على اللغة العربية وذكرت عندئذ في نفسي هذا المثل وسجلته في مذكرتي: (راحت تتعجب فدخلت تلعب).

### الجوهياً للدعوة الإسلامية في الصين الشيوعية :

التقينا بشاب عربي مسلم جاء لتوه من الصين الشيوعية، فاشتقنا لنسمع منه عن المسلمين في الصين، وكان هذا الشاب قد تلقى بعض العلوم التجريبية في الصين، فسألناه أن يحدثنا عن أحوال المسلمين في الصين، فأعطانا خلاصة للحالة التي كانوا عليها في عهد ماوتسي تونغ، فقال: لقد كانوا في عهده مضطهدين مطاردين غير مسموح لهم بدخول المساجد والصلاة فيها بل هدمت كثير من مساجدهم وقتل الكثير منهم.

أما الآن فقد حصل شيء من التسامح من الحكومة الجديدة، وسمحوا للمسلمين أن يقيسوا شعائر دينهم في مساجدهم، بل إن الحكومة رمت لهم بعض المساجد المتهدمة كما سمحت لهم بتداول المصحف الشريف وكتبهم الدينية بل سمحت الحكومة ببناء الكنائس والمساجد وقد شرع المسيحيون في بناء عشرين كنيسة في بيكين.

ولو أن المسلمين في الدول العربية وغيرها أمدوا إخوانهم المسلمين الآن في الصين بالمصاحف المطبوعة والمسجلة والكتب الإسلامية والعربية وساعدوهم في بناء المساجد لكان ذلك خيراً من التأخر لأن المسلمين في الصين سيصابون بخيبة أمل إذا أبطأ إخوانهم عن مساعدتهم وهم يرون المسيحيين تنهال منهم الاعانات والمساعدات على بنى دينهم.

وقال الأخ المذكور: إن الجو الآن مهياً للدعوة الإسلامية في الصين ولكنه يحتاج إلى خطة مدروسة وأسلوب مناسب لحالة الانفتاح الاقتصادي في الصين، ولو وجد دعاة

مسلمون على هيئة تجار فإنهم يقدرون على الاتصال بالمسلمين ومساعدتهم وتفقيهم في دينهم .

وقال ان المصاحف والكتب يمكن بعثها إلى بعض تجار المسلمين الصينيين في هونغ كونغ وهم يبعثونها إلى أقربائهم في الصين ويمكن بعثها إلى جامع بيكين مباشرة .

زرع المسلمون وحصد غيرهم : « ٢٣ / ٩ / ١٤٠٠ هـ »

جاء إلينا الأخ يوسف كريم ، وهو صيني مولود في هونغ كونغ . وشاب نشيط متحمس لدينه الإسلامي ، جاء إلينا في الساعة العاشرة صباحا وكانت معه شابة مسلمة مشهورة - أيضا - بالنشاط الإسلامي ولها كتابات في المجلات والجرائد عن الإسلام ، وبدأنا نتشاور في كيفية اللقاء بالمنظمات الإسلامية واعضاءها في لقاء واحد يتم في مسجد كولون بعد عصر غد الثلاثاء ، وطلبوا مني عنوانا لموضوع محاضرة تلقى في هذا الاجتماع فاخترت لهم هذا العنوان : « أثر الإيمان في حياة الإنسان » .

وطلبت منا الأخت ربيعة أن نتصل بالسيدة سعاد الفاتح السودانية التي كانت تعمل عميدة لكلية البنات في الرياض لما بلغها عنها من تحمس للإسلام وثقافة إسلامية طيبة ، قالت : ان وجودها هنا سيساعدنا كثيرا على اجتذاب الفتاة المسلمة إلى مبادئ دينها .

وقالت المناسبة لدعوتها هي أننا نريد أن ننظم ندوة عن المرأة في الإسلام بمناسبة الاحتفال بالهجرة ، وتقوم ربيعة بعمل سكرتيرة لجنة الاحتفال هذا الذي تشترك فيه جميع المنظمات الإسلامية .

وقال الأخ يوسف كريم : أننا نعاني عدم وجود من يقوم بتدريس اللغة العربية لأبناء المسلمين ، والشيخ صلاح السوداني لا يكفي وحده وعندنا الكلية الإسلامية لو أن الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة منحتها مدرسين لأفادوا فيها ، فسألت عن هذه الكلية وعن نشأتها وطلابها وأساتذتها ومناهجها ، فأخبرت أن الذي أسسها رجل مسلم صيني اسمه قاسم تويت وهو رئيس الجمعية الإسلامية الصينية في هونغ كونغ وقد التقينا به فيما بعد وأنه أسس هذه المدرسة ، في الأصل - لأبناء المسلمين ولكن لجهل المسلمين وعدم وجود مدرسين متفهمين في الدين منهم يضعون المنهج الإسلامي ويدرسون مواده . تسلمت المدرسة السلطات الحكومية - لا قهرا ولكن خداعا من جانبها وعجزا من جانب المسلمين - ووضعت مناهجها مثل مناهج بقية مدارسها وأساتذتها من رجال الحكومة نصارى أو صينيين وأكثر طلابها من غير المسلمين ، ونسبة المسلمين فيها ١٠٪ فقط .



قلت : لقد زرع المسلمون وحصد غيرهم ، ويجب أن تبذلوا جهدكم في تعديل المناهج وإيجاد المدرسين المسلمين ليقوموا بتدريس الطلاب الدين الإسلامى وتكثروا من أبنائكم فى المدرسة حتى تؤثروا أنتم فى غيركم بالمنهج والكتاب والمدرس لا غيركم يؤثر فيكم كما هو الشأن الآن .

قال الأخ يوسف : نحن لا نقدر على ذلك بدون مساعدة منكم فانقلوا رغبتنا إلى المسئولين فى المملكة العربية السعودية فى أن يساعدونا بمدرسين لأبنائنا وكتب إسلامية ووضع مناهج .

وقال الأخ يوسف : ادخلت الآن فى مناهج المدرسة هذه مادة التاريخ الإسلامى ويدرسها الأستاذ صلاح شيخ ومن تدريسه لها يستطيع أن يعطى الطلبة فكرة عن مبادئ الدين الإسلامى وهى مادة يدرسها المسلمون وغير المسلمون . وقال : توجد فى هونغ كونغ ثلاث جامعات : جامعة هونغ كونغ الأم ، وجامعة صينية يشترك فيها الصينيون والأوروبيون ، وجامعة أمريكية تبشيرية كاثوليكية ولم يعترف بشهاداتها إلى الآن ، ويستفيد الأوروبيون من الجامعة الصينية بل يكادون يسيطرون عليها .

وكثير من الشباب الإسلامى تكون صلتهم بالمنظمات الإسلامية ونشاطاتها الإسلامية جيدة ولكنهم عندما يدخلون فى هذه الجامعات ينزلون عن اخوانهم وقد لا نراهم إلا بعد تخرجهم وذلك بسبب الواجبات الملقاة عليهم فى الدراسة وخشية فشلهم فيها وهم هنا لا بد أن يتعبوا أنفسهم ليحصلوا على وسيلة جلب رزقهم .

وقال : ان المنظمات هنا لها كامل الحرية فى نشاطاتها لا فرق بين المنظمات اليهودية والنصرانية والصينية ، وكذلك المنظمات الإسلامية فتستطيع أى منظمة أن تقوم بأى عمل دون أن تصطدم بالمنظمات الأخرى ، واليهود هم الذين يسيطرون على الاقتصاد العام ورئيس الجهاز التعليمى يهودى . والبوذيون أغنياء بالأراضى والعمارات .





أختي العزيزة « هل » :

هذه هي الرسالة الحادية عشرة أبعث بها إليك لأحدثك فيها عن الصيغة الثانية من هذه الصيغ التي تدخل فيها أختك همزة الاستفهام على (لا) النافية للفعل المضارع، وهذه الصيغة هي «أفلا تتقون» وقد وردت في اثنتي عشرة آية من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى : ﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ . الآية (٦٥) من سورة الأعراف .

الآية الثانية قوله تعالى : ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ . الآية (٣١) من سورة يونس .

الآية الثالثة قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ . الآية (٢٣) من سورة المؤمنون .

الآية الرابعة في قوله تعالى : ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٣١) فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ . الآيتان : (٣٢-٣١) من سورة المؤمنون .

الآية الخامسة في قوله تعالى : ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم (٨٦) سيقولون لله قل أفلا تتقون﴾ (٨٧) . الآيتان : (٨٧-٨٦) من سورة المؤمنون .

الآية السادسة في قوله تعالى : ﴿وإذ نادى ربك موسى أن أنت القوم الظالمين (١٠) قوم فرعون ألا يتقون﴾ (١١). الآيتان : (١٠-١١) من سورة الشعراء .

الآية السابعة في قوله تعالى : ﴿كذبت قوم نوح المرسلين (١٠٥) إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون﴾ (١٠٦). الآيتان : (١٠٥-١٠٦) من سورة الشعراء .

الآية الثامنة في قوله تعالى : ﴿كذبت عاد المرسلين (١٢٣) إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون﴾ (١٢٤). الآيتان : (١٢٣-١٢٤) من سورة الشعراء .

الآية التاسعة في قوله تعالى : ﴿كذبت ثمود المرسلين (١٤١) إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون﴾ (١٤٢). الآيتان (١٤١-١٤٢) من سورة الشعراء .

الآية العاشرة في قوله تعالى : ﴿كذبت قوم لوط المرسلين (١٦٠) إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون﴾ (١٦١). الآيتان : (١٦٠-١٦١) من سورة الشعراء .

الآية الحادية عشرة في قوله تعالى : ﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين (١٧٦) إذ قال لهم أخوهم شعيب ألا تتقون﴾ (١٧٧). الآيتان : (١٧٦-١٧٧) من سورة الشعراء .

الآية الثانية عشرة في قوله تعالى : ﴿وإن إلياس لمن المرسلين (١٢٣) إذ قال لقومه ألا تتقون﴾ (١٢٤). الآيتان : (١٢٣-١٢٤) من سورة الصافات .

هذه الصيغة : «أفلا تتقون» جاءت في الآيات المتقدمة على لسان رسل يخاطبون بها أقواما كافرين .

وقد سُمي معظم هذه الآيات أسماء الرسل الذين قالوا هذه الصيغة وأسماء الأقسام الذين خاطبوا بها، ولم ترد هذه التسمية في ثلاث آيات، ولكن سياق المعنى في الآية الثانية والآية الخامسة يدل على أن القائل لهذه الصيغة هو محمد ﷺ خاطب بها المشركين من قريش .

أما الآية الرابعة فليس فيها ولا فيما اكتنفها من الآيات ما يدل على اسم الرسول القائل لها ولا اسم القوم الذين خاطبوا بها .

وهمة الاستفهام في هذه الصيغة تفيد الإنكار والتوبيخ :

لقد أنكروا هؤلاء الرسل على أولئك الكافرين الذين خوطبوا بهذه الصيغة، أنكروا عليهم تركهم تقوى الله تعالى والخشية من عقابه، ووبخوهم على ذلك .  
وقبل أن أنتقل بك إلى الصيغة التالية أحب أن أنبهك على أشياء :

لعلك تسألين وتقولين إن هذه الصيغة التي جاءت في الآية السادسة على لسان موسى يخاطب بها قوم فرعون جاءت بياء الغيبة «ألا يتقون» ولم تجيء بتاء الخطاب «ألا تتقون»، ثم إنه لم يذكر قبلها (قال) أو (قل) كحال هذه الصيغة في آياتها الأخرى، فكيف يصح أن تقولى قالها موسى يخاطب بها قوم فرعون؟! .

لقد أجاب الطبري في تفسيره عما تسألين، فقد جاء فيه عند تفسيره لهذه الآية :  
﴿قوم فرعون ألا يتقون﴾ . . . ومعنى الكلام قوم فرعون فقل لهم ألا يتقون، وترك إظهار (فقل لهم) للدلالة الكلام عليه، وإنما قيل «ألا يتقون» بالياء، ولم يقل «ألا تتقون» بالتاء لأن التنزيل كان قبل الخطاب . . . اهـ .

والشيء الثاني أن هذه الصيغة جاءت في خمس آيات من آياتها الاثنتي عشرة بصورة «أفلا تتقون» بالفاء فاصلة بين همزة الاستفهام و«لا» النافية، وهذه الصورة لا نزاع في أن الهمزة فيها للاستفهام، والفاء عاطفة، و«لا» نافية للفعل المضارع .

أما الصورة الأخرى التي جاءت عليها هذه الصيغة وهي «ألا تتقون، ألا يتقون» بدون فاء فاصلة بين الهمزة و«لا» فقد وقع فيها النزاع والخلاف :

جاء في البحر المحيط لأبي حيان في تفسيره لهذه الآية : ﴿وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون﴾ جاء فيه : «والظاهر أن (ألا) للعرض المضمن الحض على التقوى، وقول من قال إنها للتنبية لا يصح، وكذلك قول الزمخشري : إنها للنفي دخلت عليها همزة الإنكار» اهـ .

وجاء في الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين عند تفسير هذه الآية : «وفي السمين أن (ألا) للعرض، وقال الزمخشري : إنها لا النافية دخلت عليها همزة الإنكار، وقيل هي للتنبية» اهـ .



وعبارة الزمخشري في تفسيره لهذه الصيغة في هذه الآية : «ويحتمل أن يكون (لا يتقون) حالاً من الضمير في الظالمين أى يظلمون غير متقين الله وعقابه ، فأدخلت همزة الإنكار على الحال ، وأما من قرأ (ألا تتقون) على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم وجبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم» اهـ .

وتفيد عبارة الزمخشري هذه أن الهمزة هنا تفيد الإنكار على كلتا القراءتين : القراءة بياء الغيبة والقراءة بتاء الخطاب .

والرأى - فيما يبدو لى - مع الزمخشري ، لأن هذه الصيغة جاءت اثنتى عشرة مرة ، خمس منها بالفاء ، وهذه لا نزاع فى أن الهمزة فيها للاستفهام و(لا) نافية ، وفاء العطف الفاصلة بين الهمزة ولا النافية هى التى تقضى بذلك .  
وسمع منها بدون فاء ، وهذه تحتمل أن تكون (ألا) فيها مكونة من همزة الاستفهام ولا النافية وتحتمل أن تكون (ألا) كلمة واحدة تفيد العرض .

ولما كان القائل لهذه الصيغة فى آياتها جميعاً واحداً وهم الرسل ، وكان المخاطب بها واحداً وهم الكفار ، وكانت الحال البلاغية التى تقتضى أسلوباً معيناً من القول واحدة وهى كفر المخاطبين وتكذيبهم الرسل وإنكارهم البعث ، لما كان الأمر كذلك كان الصواب أن تحمل هذه الصيغة فى آياتها جميعاً على معنى واحد هو الاستفهام الذى يفيد التوبيخ والتقريع والإنكار .

ثم إننا إذا نظرنا إلى هذه الصيغة التى وقع فيها الخلاف فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبِّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ . وجدنا أن هذه الصيغة قد سبقت بها لم تسبق به فى الآيات الأخرى ، فقوله تعالى ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبِّكَ مُوسَى ﴾ يدل على عظم ما نودى موسى من أجله ، وهذا الأمر ﴿ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ يوحى بالقوة والشدة والإسراع ، ثم إن وصف القوم بالظالمين وأنهم قوم فرعون يدل على سخط عليهم وغضب . فمن ذا الذى يتوقع بعد هذا كله أن يكون ما حمله موسى إلى قوم فرعون غير ما يدل على الإنكار والتقريع والتوبيخ . إن العرض وحتى لو ضمن معنى التحضيض يأباه كل الإباء سياق الكلام المتقدم الموحى بالسخط عليهم والغضب ، وأخذهم بالشدة والغلظة والعنف .

الشيء الثالث : أصل (تتقون) فيما يتخيله علماء الصرف (تَوْتَقِيُونَ) ، على وزن تفتعلون ، استثقلت الضمة على الياء فحذفت ، فالتقى ساكنان : الياء التى هى لام الكلمة وواو الجماعة ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين ، وضمت القاف التى قبلها لمناسبة واو

الجماعة، ثم إن الواو التي هي فاء الكلمة أبدلت تاء لوقوعها قبل تاء الافتعال ثم أدغمت في تاء الافتعال، فصارت الكلمة تتقون على وزن تفتعون؛ والفعل المجرد لهذا الفعل المزيد هو: وقى يقى .

أختى العزيزة : «هل» :

انتقل بك الآن إلى الصيغة الثالثة من هذه الصيغ التي تدخل فيها أختك همزة الاستفهام على «لا» النافية للفعل المضارع، وهذه الصيغة هي «أفلا تتذكرون»، وقد وردت هذه الصيغة في تسع آيات من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى : ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمَهُ قَالَ أَتَحَاجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ . الآية (٨٠) من الأنعام .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن قوم إبراهيم عليه السلام جاءوه يجادلونه في توحيد الله سبحانه وتعالى وفي نبذ الأصنام التي يعبدونها من دون الله، ويخوفونه أن تمسه هذه الأصنام بسوء .

فأجابهم إبراهيم عليه السلام منكرًا عليهم هذا الحجاج والجدال قائلاً : أتحاجونني في توحيدى الله تعالى وإخلاصى العمل له دون سواه وقد هدانى إلى أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له!!! .

أما أصنامكم هذه التي تعبدونها من دون الله وتخوفونني إذاها فلا أخافها، إنها لا تستطيع أن تدفع عن نفسها الأذى، فمن أين لها القدرة على الإيذاء!!! .  
إنها لا تضر ولا تنفع إلا أن يشاء ربي بي شيئاً فإنه ينالني، فهو القادر على كل شيء ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض، قد وسع علمه كل شيء فلا تخفى عليه خافية .

ثم ختم محاجته بقوله «أفلا تتذكرون» وهو استفهام إنكار وتوبيخ :  
ينكر عليهم ويوبخهم ألا يتعظوا ويتدبروا هذا الأمر الذي وقع فيه الحجاج والجدال، وكأنه يقول لهم : أفلا تتعظون أيها الأغبياء الجاهلون وتعقلون فتدركوا أن هذه الأصنام لا تفقه ولا تعقل ولا تملك نفعا ولا ضرا ولا تستحق العبادة، وأن الله العالم بكل شيء والقادر على كل شيء والخالق الرازق الذى بيده ملكوت كل شيء هو وحده الذى يستحق العبادة .

الآية الثانية قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ . الآية (٣) من سورة يونس .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن ربكم أيها الناس هو الله المعبود بحق ، وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش مدبراً أمر ملكه على أكمل وجه ، لا يشاركه أحد في التدبير ، ولا يصيب تدبيره خللٌ واضطراب ، ولا يشفع عنده يوم القيامة إلا من يأذن له . ذلكم أيها الناس هو الله الذي خلق هذا الخلق العظيم ودبر أمور هذا العالم أكمل التدبير ، ذلكم هو ربكم الحق الذي ينبغي أن تخلصوا له العبادة وأن تفردوه بالربوبية وأن تتقربوا إليه بالطاعات ، وليس هناك من شيء يستحق أن يُعبد من دون الله ولا أن يُتخذ شريكاً له .

وفي ختام هذه الآية قال تعالى : ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ . وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على المشركين ويوبخهم أن لا يفكروا في خلقه العظيم خلق السموات والأرض ، وفي تدبيره المحكم لأموال خلقه فيدركوا ما هم فيه من خطأ فاحش وضلال بعيد وإشراك بالله بغير حق ، ومن عبادة من لا يضر ولا ينفع ولا يقدر على شيء ، فيدركوا ذلك وينيبوا إلى الله جلّت قدرته وعظم تدبيره ويوحده ويفردوه بالعبادة .

الآية الثالثة قوله تعالى : ﴿مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ . الآية (٢٤) من سورة هود

تتضمن هذه الآية الكريمة شبه الكافر والمؤمن : فالكافر الذي عمي قلبه فلم ير الحق والهدى والإيمان ، وصمّت أذنه عن سماع الفهم والتدبير لآيات القرآن ، يشبه الإنسان الأعمى الأصم الذي لا يبصر بعينه الطريق الذي يوصله إلى غايته ، ولا يسمع بأذنه كلاماً ينتفع به في حياته ، ووجه الشبه إخفاق كل منهما في الوصول إلى ما فيه النفع والخير والفلاح .

والمؤمن الذي أراه الله الحق والإيمان ، وفهم وتدبر بسمعه آيات القرآن ، يشبه الإنسان البصير السميع الذي يرى بعينه طريقه الذي يوصله إلى غايته ، ويسمع بأذنه كلاماً ينتفع به

في حياته ، ووجه الشبه فوز كل منهما بما فيه النفع والخير والفلاح .

والتشبيه في الموضوعين من تشبيه المعقول بالمحسوس ، وهذا هو الغالب على تشبيهات القرآن الكريم ، لأن المشبه به المحسوس أوضح تصويراً للمشبه وأدق ، وأشد تأثيراً في النفوس وأعمق .

ومن هذين التشبيهين يتبين أن الكافر والمؤمن ليسا سواء عند الله تعالى فشتان ما بين الضلال والهدى ، وشتان ما بين الكفر والإيمان .

وفي ختام هذه الآية قال تعالى : ﴿ أفلا تذكرون ﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على الكافرين ويوبخهم أن لا يتدبروا ويفكروا في حال كل من الكفر والإيمان وما بينهما من اختلاف وتباين ، في أيهما الخير والفلاح ، وفي أيهما الشر وسوء المنقلب ، فيرتدعوا عما هم فيه من الضلال إلى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان .

الآية الرابعة في قوله تعالى : ﴿ ويأقوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقور بهم ولكنى أراكم قوما تجهلون (٢٩) ويأقوم من ينصرنى من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ﴾ (٣٠) . الآيتان : (٢٩-٣٠) من سورة هود .

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن نوحا عليه السلام قال لقومه : يا قوم أنا أدعوكم إلى عبادة الله وحده لا تشركون به شيئا ، ولا تظنوا أنى أطمع من وراء ذلك في مال تعطوننى إياه أجرا على ذلك ، إنما أجرى على الله تعالى ، فهو الذى يثيبنى وعنده حسن الجزاء .

أما هؤلاء الذين تزعمون أنهم أرادلكم وتطلبون منى أن أطردهم وأعرض عنهم فما أنا بطاردهم ، وكيف أطردهم وقد آمنوا بالله لا يشركون به شيئا ، ثم إنهم ملاقور بهم ، وأى شرف أعظم من هذا اللقاء؟! .

ولكنى أراكم قوما تجهلون أن لهم فضلا عليكم وزلفى عند الله بهذا الإيمان ، وأن أموالكم وأحسابكم ليست بالتي تقربكم عند الله شيئا .

ومن يمنعنى يا قوم من عقاب الله إن طردتهم وهم المؤمنون به الملاقون له المقربون عنده؟! .

وفي ختام هذه الآية قال لهم ﴿ أفلا تذكرون ﴾ وهو استفهام إنكار وعتاب :

ينكر نوح عليه السلام على قومه ويعتب أن لا يتدبروا أمرهم وأمر المؤمنين من قومهم فيدركوا أن الإيمان بالله وباليوم الآخر ونبذ الآلهة التى تعبد من دون الله هو الفوز والفلاح



والعلو والشرف، وأن الإِشراك بالله وإنكار البعث والحساب هو الخسران المبين .

الآية الخامسة في قوله تعالى : ﴿خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون (٣) خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين (٤) والأنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون (٥) ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون (٦) وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم (٧) والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون (٨) وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين (٩) هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون (١٠) ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون (١١) وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون (١٢) وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون (١٣) وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٤) وألقى فى الأرض رواسي أن تيد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون (١٥) وعلامات وبالنجم هم يهتدون (١٦) أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴿ (١٧) . الآيات : (٣-١٧) من سورة النحل .

تبين هذه الآيات الكريمة خلائق عظيمة خلقها الله تعالى لعباده، ونعما جليلة أنعم بها سبحانه وتعالى عليهم، وفى ختام هذه الآيات جاءت الآية الكريمة : ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ .

وقد تضمنت هذه الآية الكريمة التباين بين من يخلق وينشئ ويبدع ابتداء وهو الله جل وعلا وبين من لا يخلق شيئا ألبتة ولا يستطيع أن يخلق وهى الأصنام ممن يعبد من دون الله .

وفى ختام هذه الآية جاء قوله تعالى : ﴿أفلا تذكرون﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على الناس الذين لا يفرّدونه بالعبادة ويوبخهم على غفلتهم وجهلهم وسوء نظرهم وعدم تنبههم لأمر واضح جلي يدرك بأقل تفكير، ويعرف بأدنى تذكر، وهو أن من يخلق هذه الخلائق العظيمة وينعم بهذه النعم الجليلة هو المستحق لأن يفرّد بالعبادة، وأن من لا يخلق شيئا ولا يستطيع أن يخلق هو شئىء لا يستحق عبادة ما أبدا .

الآية السادسة في قوله تعالى : ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون (٨١) قالوا إذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون (٨٢) لقد وعدنا نحن وآبائنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين (٨٣) قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون (٨٤) سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾ (٨٥) . الآيات : (٨٥-٨١) من سورة المؤمنون .

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن المشركين من كفار مكة قالوا مثل ما قال أسلافهم الأقدمون الذين كذبوا من أرسله الله تعالى إليهم ، قالوا لهم إذا متنا وبليت أجسامنا وصارت ترابا وعظاما ، أئنا لمبعوثون من قبورنا أحياء كما كنا من قبل الممات؟! إن هذا لن يكون .

وتتضمن أيضا أن المشركين من كفار مكة قالوا للرسول ﷺ أنت يا محمد تعدنا أننا سنبعث بعد الممات ، وهذا وعد قد وعده آباءنا من قبل أناس قالوا عن أنفسهم إنهم رسل الله ، فما هذا الوعد إلا أكاذيب سطرها الأولون في الكتب .

وتتضمن أيضا أن الله سبحانه وتعالى قال لرسوله ﷺ : قل يا محمد لقومك المكذبين بالبعث : «لمن ملك هذه الأرض ومن فيها من الخلائق إن كنتم تعلمون ذلك؟» .

ثم أعلمه الله سبحانه وتعالى أن قومه سيقولون في جواب هذا السؤال مقرين : إنها ملك لله وحده ، ثم أخبره سبحانه وتعالى أن يقول لهم بعد أن يجيبوا هذا الجواب : «أفلا تذكرون» وهو استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر عليهم أن لا يتدبروا ويعقلوا أن من قدر على خلق هذه الأرض ومن فيها بدءاً وإبداعاً قادر على إعادتهم إلى الحياة مرة ثانية خلقاً سوياً كما بدأهم أول مرة .

الآية السابعة قوله تعالى : ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾ . الآية (٤) من سورة السجدة .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، فهو المتفرد بهذا الخلق العجيب العظيم ، فليس لكم أيها الناس من ناصر ينصركم منه إن أراد بكم ضراً ، وليس لكم من شفيع يشفع لكم عنده إن عاقبكم على مخالفتكم أمره .

وفي ختام هذه الآية الكريمة قال تعالى : «أفلا تتذكرون» وهو استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على الكافرين ويوبخهم أن لا يفكروا في قدرته العظيمة المبدعة وفي تفردته بتدبير أمور خلقه لا شريك له ، فيدركوا أنه وحده المستحق للعبادة ، وأن من دونه لا يستحقون شيئا .

الآية الثامنة في قوله تعالى : ﴿ فاستفتهم ألبك البنات ولهم البنون (١٤٩) أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون (١٥٠) ألا إنهم من إفكهم ليقولون (١٥١) ولد الله وإنهم لكانذبون (١٥٢) أصطفى البنات على البنين (١٥٣) مالكم كيف تحكمون (١٥٤) أفلا تذكرون ﴾ (١٥٥) . الآيات : (١٤٩-١٥٥) من سورة الصافات .

مما تضمنته هذه الآيات الكريمة أن مشركى قريش كانوا يقولون إن الملائكة بنات لله ، وقد وبخهم الله سبحانه وتعالى بأنهم لا يرضون الإناث لأنفسهم فكيف يرضون ذلك الله رب العالمين .

ومما تضمنته أيضا تبيان كذبهم بأنهم لم يحضروا ولم يروا خلق الله تعالى للملائكة حين خلقهم فمن أين عرفوا أنه جل وعلا قد خلقهم إناثا ، وكيف يحكمون بهذا الحكم دونها حجة ولا برهان .

وفي ختام هذه الآيات قال تعالى : «أفلا تذكرون» وهو استفهام توبيخ وإنكار :  
يوبخ الله سبحانه وتعالى مشركى قريش وينكر عليهم أن لا يتدبروا ما يقولون ، وأن لا يفكروا فيما يحكمون ، فيعرفوا ما فى قولهم من خطأ وجهل وما فى حكمهم من إفك وبهتان ، فيرجعوا عن الضلال ويثوبوا إلى الرشد .

الآية التاسعة قوله تعالى : ﴿ أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ . الآية (٢٣) من سورة الغاشية .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن من اتخذ معبوده ما تمواه نفسه ، وأضله الله على علم منه بأنه لا يهتدى ولو جاءتة كل آية ، وختم على سمعه فلا يسمع آيات الله ويتدبرها ويدرك ما فيها من نور وهداية ، وختم على قلبه فلا يفقه به حقا ، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر آيات الله المنبثة فى جنبات الأرض وآفاق السماء الدالة على قدرته ووحدانيته فيعلم أنه لا إله

إلا هو، إن من كان على هذه الصفة لن يستطيع أن يهديه أحد من بعد الله تعالى .

وفي ختام هذه الآية جاء قوله تعالى : «أفلا تذكرون» وهو استفهام توبيخ وإنكار :  
يوبخ الله سبحانه وتعالى أولئك المشركين وينكر عليهم أن لا يتدبروا أن معبوداتهم من دون الله لا تنفعهم إن أراد الله بهم ضراً، وأنها لا تغني عنهم من الله شيئاً، وأنه وحده الهادى إلى الصراط المستقيم، وأنهم لن يجدوا لأنفسهم من دونه ولياً مرشداً .

### أختى العزيزة «هل» :

في ختام هذه الرسالة أحب أن أنبهك على أن هذه الصيغة قرئت في بعض آياتها بتاءين «أفلا تذكرون» وفي معظم آياتها بتاء واحدة «أفلا تذكرون»، وما جاء بتاءين فعلى الأصل، والتاء الأولى هي تاء المضارعة، والتاء الثانية هي تاء تفعّل الزائدة في الفعل الماضي، وحين يجتمع تاءان في أول مضارع تفعّل يجوز أن لا تخففيهما فتبقيان على حالهما، ويجوز أن تخففيهما فتحذف إحدى التاءين، وقد اختلفوا أيهما المحذوفة. فرأى سيبويه: أن المحذوفة هي الثانية لأن الثقل منها نشأ، ولأن حروف المضارعة زيدت على تاء تفعّل لتكون علامة دالة على معنى المضارعة فهي أولى بالبقاء. وقال الكوفيون: المحذوفة هي الأولى، وجوز بعضهم الأمرين .

ومهما يكن من أمر فقراءة التاءين جاءت على الأصل، وقراء التاء الواحدة جاءت على التخفيف .

### أختى العزيزة :

أستودعك الله تعالى، وأسأله جل وعلا أن يعين على رسالة قادمة يكون فيها الخير والرشاد .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . . .

أختك

همزة الاستفهام

## مراجع ماجاء في هذه الرسالة

(أ) المراجع على وجه الإجمال :

- ١ - تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري - الطبعة الثالثة - الناشر: الحلبي بمصر .
- ٢ - تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي . الناشر: مكتبة ومطابع النصر احديثة بالرياض .
- ٣ - تفسير أبي السعود . الناشر: دار المصحف - مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة .
- ٤ - الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين . الناشر: الحلبي بمصر .
- ٥ - تفسير ابن كثير . الناشر: الحلبي بمصر .
- ٦ - تفسير الكشاف للزمخشري . الناشر: الحلبي بمصر .
- ٧ - تفسير القرطبي «نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية» . الناشر: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .
- ٨ - شرح شافية ابن الحاجب للرضي - تحقيق محمد نور حسن وزميليه . الناشر: محمود توفيق ، مطبعة حجازي بالقاهرة .

(ب) المراجع على وجه التفصيل :

- ١ - مراجع صيغة «ألا تتقون» في آياتها الاثنتي عشرة :
- الآية الأولى (٦٥) الأعراف: تفسير أبي السعود (ج ٣ ص ٢٣١) . تفسير البحر المحيط: (ج ٤ ص ٣٢٣) . تفسير الطبري: (ج ٨ ص ٢١٥) .
- الآية الثانية: (٣١) يونس: أبو السعود: (ج ٤ ص ١٤) . البحر حيط: (ج ٥ ص ١٥٤) . الطبري: (ج ١١ ص ١١٤) . القرطبي: (ج ٨ ص ٣٣٥) .
- الآية الثالثة: (٢٣) المؤمنون: أبو السعود: (ج ٥ ص ١٣٠) البحر المحيط: (ج ٦ ص ٤٠٢) . الطبري: (ج ١٨ ص ١٦) .
- الآية الرابعة: (٣٢) المؤمنون: الطبري: (ج ١٨ ص ١٩) .
- الآية الخامسة: (٨٧) المؤمنون: الطبري: (ج ١٨ ص ٤٧) . البحر المحيط: (ج ٦ ص ٤١٨) . القرطبي: (ج ١٢ ص ١٤٥) . حاشية الجمل: (ج ٣ ص ٢٠٠) .
- الآية السادسة: (١١) الشعراء: الطبري: (ج ١٩ ص ٦٤) القرطبي: (ج ١٣ ص ٩١) . البحر المحيط: (ج ٧ ص ٧) . الزمخشري: (ج ٣ ص ١٠٦) أبو السعود: (ج ٦ ص ٢٣٦) حاشية الجمل: (ج ٣ ص ٢٧٣) .
- الآية السابعة: (١٠٦) الشعراء: البحر المحيط: (ج ٧ ص ٣٠) . الطبري: (ج ١٩ ص ٩٠) . أبو السعود: (ج ٦ ص ٢٥٤) القرطبي: (ج ١٣ ص ١١٩) .
- الآية الثامنة: (١٢٤) الشعراء: البحر المحيط: (ج ٧ ص ٣٣) . الطبري: (ج ١٩ ص ٩٢) .

الآية التاسعة : (١٠٢) الشعراء: الطبري: (ج ١٩ ص ٩٩) .  
 الآية العاشرة: (١٠٠) الشعراء: الطبري: (ج ١٩ ص ١٠٥) .  
 الآية الحادية عشرة : (١٧٧) الشعراء: الطبري: (ج ١٩ ص ١٠٧) . القرطبي: (ج ١٣ ص ١٣٥) .  
 الآية الثانية عشرة : (١٢٤) الصافات: الطبري (ج ٢٣ ص ٩١) . أبو السعود: (ج ٧ ص ٢٠٣) .

٢ - مراجع صيغة «أفلا تذكرون» في آياتها التسع :  
 الآية الأولى : (٨٠) الأنعام: البحر المحيط: (ج ٤ ص ١٧٠) . الطبري: (ج ٧ ص ٢٥٣) .  
 أبو السعود: (ج ٣ ص ١٥٥) . ابن كثير: (ج ٢ ص ١٥٢) .  
 الآية الثانية : (٣) يونس: البحر المحيط: (ج ٥ ص ١٢٤) . الطبري: (ج ١١ ص ٨٣) . ابن  
 كثير: (ج ٢ ص ٤٠٦) . الزمخشري: (ج ٢ ص ٢٢٥) .  
 الآية الثالثة : (٣٤) هود: البحر المحيط: (ج ٥ ص ٢١٣) . أبو السعود: (ج ٤ ص ١٩٩) .  
 الطبري: (ج ١٢ ص ٢٥) . حاشية الجمل: (ج ٢ ص ٣٩٠) .  
 الآية الرابعة : (٣٠) هود: البحر المحيط: (ج ٥ ص ٢١٨) . أبو السعود: (ج ٤ ص ٢٠٣) .  
 الطبري: (ج ١٢ ص ٣٠) .  
 الآية الخامسة : (١٧) النحل: البحر المحيط: (ج ٥ ص ٤٨١) . الطبري: (ج ١٤ ص ٩٢) .  
 أبو السعود: (ج ٥ ص ١٠٤) .  
 الآية السادسة : (٨٥) المؤمنون: البحر المحيط: (ج ٦ ص ٤١٨) . أبو السعود: (ج ٦ ص ١٣٠) .  
 الطبري: (ج ١٨ ص ٤٧) . حاشية الجمل: (ج ٣ ص ٢٠٠) . القرطبي: (ج ١٢ ص ١٤٥) .  
 ابن كثير: (ج ٣ ص ٢٥٣) . الزمخشري: (ج ٣ ص ٤٠) .  
 الآية السابعة : (٤) السجدة: أبو السعود: (ج ٧ ص ٨٠) . الطبري: (ج ٢١ ص ٩١) .  
 القرطبي: (ج ١٤ ص ٨٦) . ابن كثير: (ج ٣ ص ٤٥٦) .  
 الآية الثامنة : (١٥٥) الصافات: البحر المحيط: (ج ٧ ص ٣٧٧) . أبو السعود: (ج ٧ ص ٢٠٨) .  
 الطبري: (ج ٢٣ ص ١٠٦) . القرطبي: (ج ١٥ ص ١٣٤) .  
 الآية التاسعة : (٢٣) الجاثية: الطبري: (ج ٢٥ ص ١٥١) . القرطبي: (ج ١٦ ص ١٦٩) .

٣ - مرجع ما ورد من صرف في صيغة «أفلا تتذكرون» :  
 شرح شافية ابن الحاجب للرضي: تحقيق محمد نور حسن وزميليه: (ج ٣ ص ٢٩٠) .

★ ★ ★ ★ ★

# حَدِيثٌ مَعَ الْبُلْبُلِ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ زُرِّيَّانُ الْغَامِرِيُّ  
وكيل عمادة شؤون الطلاب بالجامعة

يفيض على القلب طيب النسم  
عهدنا ترددها من قدم  
غناؤك مازال أم بي صمم  
لقد زال عهد الرضا وانصرم  
من العيش فيه ويخشى النقم  
سواى يشاركنى فى النغم  
وغنيت من كل لحن لهم  
وتصفى له عربها والعجم  
وأدركنى الليل يهدى الظلم  
فزاد بظلمته وادلهم  
ليطلع فجر يضىء الأكم  
عهدت فلم يبق فيها علم  
ويكى نهاية من قد ظلم  
ولم يبق من بعد إلا الرخم  
وغربان تبحث بين الرمم  
تقاد لأعدائها كالنعم  
وترمى الموائيق لا تحترم  
واما الهوى فأجابوا نعم  
ومن قد مضى قبلهم من أمم  
وحل بهم من عظيم النقم  
وفيها الهداية والمعتصم

ايا بلبل الروض اين النغم  
واين الأغاريد تلك التى  
فقد غاب صوتك عنى فهل  
فقال وفى مقلتيه الدموع  
وجاء زمان يحار اللبيب  
لقد كنت اشدوا وما فى الحمى  
تتقلت من فوق غصن لغصن  
وصوتى يردد فى العالمين  
أمنت فمنت لرجع الصدى  
فقلت: أيا ليل هل تنقضى  
أما آن ياليل أن تنجلى  
افقت إذا الأرض غير التى  
سوى طلل يندب السابقين  
فأين صقور الحمى هاجرت  
وبوم يعشش بين الخراب  
أمن بعد أن قادت العالمين  
تقول فمن يستمع قولها؟!  
إذا ما دعوا للهدى أدبروا  
أما قرأوا سيرة السابقين  
وكيف انتهى منهم الظالمون  
وأى الكتاب وهدى الرسول

وتنذر بالويل من قد ظلم  
 يذوب لها القلب مما ألم  
 فإن يشك عضو تداعى الألم  
 وشد على بعضه فاحتكم  
 ففى كل واد جرى منه دم  
 عليه ايدى الردى فانهدم  
 واضحوكة تعتلى كل فم  
 وفيه التنافس إلا القيم  
 يرون النصوص لهم متهم  
 فأين الشهامة أين الشيم؟  
 وأوقف سرى وشد القدم  
 لقد بح صوتى وجف القلم  
 وتبقى صريع الأسى والألم  
 يشع بأنواره فى القمم  
 وقد كظم الحزن ثم ابتسم  
 دنا جرحنا للشفاء والتأم  
 لقاء بطيبة أرض الحرم  
 على الخير والكل منهم عزم  
 تحيط بها حالكات الظلم  
 عدو ينادى عدوا هلم  
 وهذا حقوق دعا نقتسم  
 إلى الفى سبيل الهوى كالغنم  
 تقاذفه اليم يم ليم  
 فعاث بهم موجهها والتطم  
 وعضوا جميعا اكف الندم  
 وما كان من زلة للقدم  
 أمانة علم، فأعلوا الهمم  
 لأفئدة بالظى تضطرم

طريق النجاة لمن رامها  
 وبعد اجتماع نرى فرقة  
 وأمتنا جسد واحد  
 وصرح تماسك بنيانه  
 ولكنه اليوم جسم جريح  
 واهمل بنيانه فاعتدت  
 وبعد السيادة العوبه  
 ترى كل شىء غلا سعره  
 نصحت وأدركت من نصحهم  
 وقلت لغيرى ألا تنصحون  
 ترامى لسمعى صوت حزين  
 وقال وفى عينه دمعة  
 ايا بلبل الروض لا تياسن  
 فقد لاح فى الأفق فجر يضىء  
 فأصغى إلى: أحقا نقول؟  
 فقلت له خفف الروع قد  
 أما تبصر الجمع قد ضمهم  
 وفى مهبط الوحي حين التقوا  
 أيا قادة العلم فى أمة  
 تداعى عليها الأعادى فكم  
 فذا طامع حاسد غيره  
 وهذا الغشاء وقد ساقهم  
 والقى بهم فى بحور الضلال  
 وسارت بهم فى عميق البحار  
 فخافوا وكل بكى نفسه  
 ألا فاذكروا اليوم تفريطكم  
 أيا قادة العلم هملتكم  
 ففى جمعكم أمل يرتجى



تطاع فيكم الا حققوا  
وأدوا الأمانة في همة  
فما قام حق واربابه  
إذا باطل قام في غفلة  
افاق له الحق في عزة  
فتحيا البلابل في روضها  
مناها فكم مسها من سقم  
تكونوا منارا لمن بعدكم  
يرون المقيم له متهم  
من الحق ثم انتشى وانتقم  
فعاد لادراجه وانهمزم  
وتهتف فيه بشكر النعم

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَأَنْتُمْ عَرَفْتُمْ نَسْلَ الْبِجَارِ

وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ <sup>الأنفال</sup> (٤٦)



## من تراثنا السعري العاصر

# المواخاة بين المرءاجرين والأنصار

للشاعر أحمد محمد

حييت من أسرة، بوركت من دار  
يدعو البنين فلبوا غير أغمار<sup>(١)</sup>  
واستحصد الحبل من شد وإمرار<sup>(٢)</sup>  
يحمى الذمار، ويرعى حرمة الجار  
وليس يعطيه إن أعطى بمقدار  
ويبذل المال في يسر وإعسار  
في صورة الفرد، فانظر قدرة الباري  
يا عصابة الله من صحب وأنصار  
بين القبائل دين الجهل والعار  
دنيا صفت بعد أقذاء وأكدار  
تشقى النفوس بداء منه ضرار  
يومي إليكم بآمال وأوطار<sup>(٤)</sup>  
تطغى على أمم شتى وأقطار؟  
ولن أسالم منهم كل جبار  
رمى الضعاف بأنياب وأظفار؟  
أقطارها بين آثام وأوزار<sup>(٥)</sup>  
إذا تكشفت عن وجه لها عار؟  
تستفرغ الكبر من هام وأبصار  
هل يخلق الله قوماً غير أحرار؟  
بواحدٍ غالب السلطان قهار؟

الأسرة أجمعت في الدار واحدة  
مشى بها من رسول الله خير أب  
تأكد العهد مما ضم ألفتهم  
كل له من سراة المسلمين أخ  
يطوف منه بحقٍ ليس يمنعه  
يجود بالدم، والآجال ذاهلة  
هم الجماعة، إلا أنهم برزوا  
صاح النبي بهم، كونوا سواسية<sup>(٣)</sup>  
هذا هو الدين، لا ماهاج من فتن  
ردوا الحياة فما أشهى مواردها  
الجاهلية سُم نافع وأذى  
تأهبوا، إن ديناً قام قائمه  
أما ترون رياح الشرك عاصفة  
لن أترك الناس فوضى في عقائدهم  
أكلها ملك الأquam مالكهم  
الشُرغطى أديم الأرض فارتكست  
أخفى محاسنها الكبرى، فكيف بكم  
لأنزلن ذوى الطغيان منزلة  
ظنوا الضعاف عبيداً، بئس ما زعموا  
ما غرهم إذ أطاعوا أمر جاهلهم

(١) غير أغمار: غير حاقدين .

(٢) استحصد: قوى والإمرار: القتال .

(٣) سواة .

(٤) الأوطار: الحاجات ويومي يشير .

(٥) أديم الأرض: وجهها ارتكس الرجل والشىء انتكس .

يرمى العروش إذا استعصت ويبعثها  
بعثت بالحق يهدى الجاحمين كما  
أدعوا إلى الله بالآيات واضحة

فمن أبى فدعائى كل ذى شطب  
الله أكبر. هل فى الحق معتبة  
ألم يكن أخذ الميثاق من قدم  
إن الألى اتخذوا الأصنام آلهة  
يستكبرون على من لا شريك له  
راحوا يجلونها من سوء ما اعتقدوا  
لكل قوم إله يؤمنون به  
النار أعظم سلطاناً ومقدرة  
سبحانه من إله شأنه جليل  
لأكشفن عن الأبصار إذ عميت  
ما للسراحين بد من مصارعها  
ضموا القوى، إلهادنيا الجهاد بدت  
لابد من غارة للحق بأسلة  
خير الذخائر أبقاها، ولن تجدوا  
لا تنقضوا العهد، إن الله منزله  
قالوا: عليك صلاة لله إن بنا  
أخيت بين رجال يصدقون إذا  
جنود ربك، إن قلت: اعصفوا عصفوا  
من كل منغمس فى النفس مرتجس

مبثوثة فى جناحى عاصف ذار<sup>(١)</sup>  
يهدى الحيارى شعاع الكوكب السارى  
تهدى الغوى وتنهى كل كفار

ماضى الرسالة فى الهامات بتار<sup>(٢)</sup>  
لمستخف بعهد الله غدار؟  
فما المقام على كفر وإنكار؟  
على شفا جرف من أمرهم هار  
ويسجدون على هون لأحجار  
والله أولى باجلال وإكبار  
ما يبتغى الله من إيمان فجار؟  
فى رأى عبادها، أم خالق النار؟  
يهدى النفوس بآيات وآثار  
ما أسدل الجهل من حجب وأستار  
إذا انتضت سطوات الضيغم الضارى<sup>(٣)</sup>  
أشراطها، وترأى زندها الوارى  
وجحفل من جنود الله جرار  
كالعهد يرعاه أخيار لأخيار  
على لسان رسول منه مختار  
ما الله يعلم من عزم وإصرار  
زلت قوى كل خداع وختار<sup>(٤)</sup>  
يرمون فى الحرب إعصاراً باعصار<sup>(٥)</sup>  
وكل منبجس بالبأس فوار<sup>(٦)</sup>

(١) من ذرت الريح إذا هاجت التراب .

(٢) الشطب الطرائق فى السيف والبتار القاطع .

(٣) السراحين الذئاب والضيغم الضارى الأسد المفترس .

(٤) الختار الغدار .

(٥) الإعصار الريح العاتية تثير السحاب، أو التى يكون فيها برق ورعد .

(٦) ارتجست الساء رعدت، والسحاب صوت . وانبجس الماء ونحوه تفجر، والنقع الغبار يثور من حدة المعركة .

# الرأى العام فى المجتمع الإسلامى

بإسناد من زبىر الكلى فى  
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

## الرأى العام فى المجتمع الإسلامى —

الحمد لله رب العالمين وبه أستعين والصلاة والسلام على نبيه الكريم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بأحسان إلى يوم الدين وبعد :  
فقد رأيت أن أكتب فى الرأى العام فى المجتمع الإسلامى من خلال النقاط التالية :

- ٢ — تعريف الرأى العام .
- ٢ — تكوين الرأى العام والمؤثرات فيه .
- ٣ — وظيفة الرأى العام .

## الرأى العام :

تعريفه : وردت تعاريف متعددة للرأى العام منها : « أنه ميول الناس نحو قضية ما ، إذا كان هؤلاء الناس من فئة اجتماعية واحدة »<sup>(١)</sup> .  
ومنها : « أنه الحكم الذى تصل إليه الجماعة فى قضية ما ذات اعتبار ما » .  
ومن هذين التعريفين يتبين أن الرأى العام هو نتيجة أمور عديدة منها :  
١ — أن تكون هناك قضية مطروحة .  
٢ — أن تكون مناقشات وافية حول القضية المطروحة .  
٣ — أن يكون « الحكم » الذى تصل إليه الجماعة أو « الرأى » متفقاً مع :<sup>(٢)</sup>  
أ — عقيدة الأمة .

(١) E.S.Bo gardus. the Making of Public opinio - P.5

والإعلام والدعاية نظريات وتجارب . د : محمد عبد القادر حاتم (ص : ١٢٣) .  
(٢) المرجع السابق .

ب — ملبياً لحاجاتها محققاً لمصلحتها .

ومن الجدير بالذكر أن الرأي العام الذى ينشده الإسلام في المجتمع الإسلامي هو الرأي العام الصالح المتفق مع عقيدة الأمة وقيمها .

ومن الأهمية بمكان أن نقول إن هذا الرأي العام هو ثمرة ارتباط أفراد المجتمع الإسلامي برباط ثقافي موحد مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن شأن أفراد أن يرجعوا إلى حكم الله فيما يعرض لهم من حوادث ، وأن ينطلقوا من القيم الإسلامية مهتدين بهديها ليكون الرأي العام فيها وليد عقيدتهم ، راجعاً إلى هدى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

### تكوين الرأي العام :

يتكون الرأي العام في المجتمع الإسلامي نتيجة للاطار الثقافي الذى وضع القرآن الكريم حدوده، وبينته السنة المشرفة، والمبادئ الإسلامية التالية من شأنها أن تبين معالمة :

١ - من مبادئ الإسلام أن يرجع المسلم في أموره كلها إلى حكم الله قال تعالى : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ . (الأحزاب : ٣٦) .

٢ - من مبادئ الإسلام ألا يتسرع المسلم بالحكم على شىء قبل معرفة حكم الله به قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ . (الحجرات : ١) .

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية : «أى لا تتسرعوا في الأشياء بين يديه ، أى قبله بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعى حديث معاذ - رضى الله عنه - حيث قال له النبي (ﷺ) حين بعثه إلى اليمن : «بم تحكم؟» . قال : بكتاب الله تعالى ، قال (ﷺ) : فإن لم تجد؟ قال : بسنة رسول (ﷺ) ، قال : فإن لم تجد؟ قال - رضى الله عنه - : أجتهد رأياً ، فضرب في صدره وقال : «الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله (ﷺ) لما يرضى رسول الله (ﷺ) . » . رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه - قال ابن كثير : فالغرض منه أنه أحر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ، ولو قدمه قبل البحث عنها لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله (١) .

(١) تفسير ابن كثير : (٤/٢٠٦) . ط دار الفكر .

٣ - حدد الإسلام المصدر الوحيد لتلقى الثقافة وهو الكتاب والسنة، ولا يجوز للمسلم أن يشوه فكره بثقافة مغايرة، وعلى أولى الأمر في المجتمع الإسلامي أن يحموا أفراد المجتمع من منابع الفكر الغريب المنحرف، حتى لا تقع الأمة في مدارس فكرية مختلفة، فيحصل الانقسام، والفرقة، والتفكك، ومن المناسب هنا أن نذكر غضب رسول الله (ﷺ) واستنكاره عندما رأى صحيفة من التوراة بيد عمر بن الخطاب - رضی الله عنه - وبين أن موسى عليه السلام لو كان حياً لما وسعه إلا أن يتبع رسالة خاتم الرسل ومكمل الرسالات السابقة برسالته محمد (ﷺ) .

المؤثرات في تكوين الرأي العام في المجتمع الإسلامي :

في ظل هذه المبادئ والأسس التي رسمها الإسلام للمجتمع، نجد أن الإسلام دعا إلى قيام المؤسسات التوجيهية التي تربي أفراد الأمة تربية إيمانية صالحة على عقائد الإسلام وقيمه واتجاهاته ليكون الرأي العام في المجتمع الإسلامي الثمرة المباركة لهذه المؤسسات وهي :

(١) المسجد :

كانت إقامة المسجد العمل الأول الذي بدأ به رسول الله (ﷺ) في المدينة المنورة .

رسالة المسجد في الإسلام :

وليس المسجد في الإسلام مكاناً للعبادة فحسب، أنه مدرسة توجيه وارشاد يلتقى فيه أفراد الحي كل يوم خمس مرات فيستمعون كتاباً واحداً هو القرآن الكريم ويتلقون توجيهاً واحداً من هدايته، ويستشعرون رابطة الوحدة والأخوة التي تجمعهم وهم صفوف مستوية مترابطة تقتدى بإمام واحد .

(٢) العلماء :

وفي المسجد تلقى دروس العلم، ويلتقى أبناء الحي يتلقون ثقافة واحدة من هدى الكتاب والسنة وشروح العلماء .

وفي المسجد يلتقى أبناء الحي وتدور بينهم المناقشات حول قضاياهم الاجتماعية والاقتصادية التي من شأنها أن توحد رأيهم وتجمعهم على طريق سواء .

وللعلماء والعاملين الذين يتصفون بغزارة العلم، والزهد، والصدق والاخلاص والجرأة في قول الحق دور كبير في تكوين الرأي العام وتوجيهه نحو الخير .

فالعالم العامل حين يكون قدوة حسنة بعلمه ونزاهته وزهده وجرأته وصدقه وإخلاصه جديراً به أن يؤثر بالجهامير ويقودها، ولقد حفل تاريخنا الإسلامي بالأمثلة العديدة لهذه القيادة التي قاد بها العلماء الرأى العام لمواجهة بدع المعتزلة في خلق القرآن وتأثير الفلسفة اليونانية في الفكر الإسلامي وضرب هذا الاتجاه الفلسفى ضربة قاصمة بعلمه وصبره وجهاده وثقة الناس به الإمام أحمد بن حنبل - رضى الله عنه - والشيخ العزبن عبد السلام - رضى الله عنه - قاد الرأى العام في المجتمع الإسلامى لمواجهة الحاكم الذى تعاون مع الصليبيين ضد المسلمين، ولمواجهة الانحراف في المجتمع والفساد الذى كان وراءه بعض الافراد .

والإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وتلميذه ابن القيم قاد الرأى العام وأذكى شعلته لمواجهة التتار من جهة . ولمحاربة البدع والافكار الدخيلة في المجتمع من جهة أخرى، وكان جهاده في ميدان الفكر كجهاده في ميدان المعركة يعطى الصورة الكريمة للعالم المسلم القادر على قيادة الجماهير بعلمه وموقفه، بقلمه وجهاده، حتى لا ينفصل العلم عن الموقف، ولأن الناس لا ينظرون إلى العلماء بالقابهم ووظائفهم ورتبهم فحسب، وإنما ينظرون إليهم بسيرتهم وحسن اقتدائهم برسول الله (ﷺ) جهاداً ودعوة .

### (٣) فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

والعلماء في المجتمع الإسلامى هم المسؤلون بالدرجة الأولى عن القيام بفريضة لأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وللقيام بهذه الفريضة آثارها الكبيرة في إيجاد الرأى العام لصالح في المجتمع الإسلامى، ولهذا كانت الآيات الكثيرة في القرآن الكريم مبينة هذه الفريضة داعية الأمة إلى القيام بها. ومنها :

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ . (آل عمران : ١٠٤) .

ومن صفات المؤمنين الصالحين أنهم : يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

﴿يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة﴾ . (التوبة : ٧١) .

— وهناك مؤثرات أخرى في تكوين الرأى العام، عمل الإسلام على توجيهها وربطها بقواعده ومبادئه وهى :

(أ) البيت : وقد أشار القرآن الكريم إلى الذرية الصالحة التى تتبع الوالدين على

طريق الإيمان ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم﴾ . (الطور: ٢١) ،  
وأشار إلى خطر انفصال الولد عن أبيه والأسرة عن بعضها إذا انحلت عرى الإيمان فقال :  
﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو  
أبناءهم أو إخوانهم﴾ . (المجادلة: ٢٢) .

وفي الحديث الشريف : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو  
ينصرانه<sup>(١)</sup> . «وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» .

(ب) المدرسة : وهى بيوت العلم التى حرص الإسلام على أدائها لرسالتها مهتدية  
بقواعد الإسلام ومبادئه فى المنهج، والكتاب، والعلم، وحذر أشد التحذير من انحرافها عن  
الكتاب والسنة، ووجه لأن تكون العلوم المختلفة خادمة العقيدة والإيمان بالله ووحدانيته،  
حتى لا يتناقض ما يقرأه الطالب فى درس التربية الإسلامية عما يقرأه فى المباحث الأخرى،  
ولتكون الثقافة الواحدة التى يتربى عليها أفراد المجتمع فى المدارس ثقافة واحدة، توحد  
الفكر ولا تمزقه، وتساعد على إيجاد رأى عام واحد صالح يخدم أهداف الإسلام ويرعى  
مبادئه .

لقد أثمرت الثقافة الإسلامية الواحدة التى تلقىها الأمة فى المسجد والمدرسة وحدة فى  
الاتجاه العام والرأى العام جعل أبناءها فى العصور السالفة على اختلاف تخصصاتهم  
العلمية فى الحديث، والتفسير، والفقه واللغة، والفلك والكيمياء والفيزياء والطب والهندسة  
أبناء ثقافة واحدة، تسلك طريقهم، وتوحد خطاهم فى المجتمع، وتصنع وحدتهم وتقييم  
أواصر التعاون فيما بينهم . وحين وقع الانفصال بين الجامع والجامعة، وبين المدرسة  
والمسجد، وبين مصادر التوجيه، والدين، وأخذت تتسرب للأمة الثقافات المتعددة نتيجة  
الغزو الفكرى الاجنبى، وسيطرة المستشرقين وتلاميذهم على معظم الجامعات فى البلاد  
الإسلامية . . . وانتقل هذا التأثير المنحرف إلى المناهج والكتب المدرسية فى مراحل الدراسة  
الابتدائية والاعدادية والثانوية فى بلاد المسلمين، حين حصل هذا وقع الانفصال بين ثقافة  
الأمة وشخصيتها الحضارية المستمدة من دينها وتاريخها وأصولها . وأصبح الرأى العام يتأثر  
تأثراً كبيراً بقيم جديدة وثقافات غريبة أوجدتها مراكز التوجيه المنحرفة . وأصبحت مهمة  
العلماء صعبة شاقة، ورسالتهم كبيرة ضخمة لايجاد التغيير فى المجتمع، والعودة إلى قيادة  
الأمة والرأى العام فيها من جديد .

(١) متفق عليه .



بالإضافة إلى المؤثرات الاقتصادية والاجتماعية الأخرى التى شغلت الناس بالمادة  
عن الله وعبادته .

٤ - من مبادئ الإسلام أن يرجع المسلم إلى العلماء المشهود لهم بالصدق والنزاهة  
للتعرف على أحكام الله ، ومتابعتهم قال تعالى : ﴿فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا  
تعلمون﴾ .

﴿ولورده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ .  
(النساء : ٨٣) .

٥ - من مبادئ الإسلام أن الذى يصيب مسلماً بسوء يصيب المجتمع كله ، ومن هنا  
حرم الإسلام الاشاعات الباطلة ونزلت الآيات فى حديث الافك تربية للأمة وتطهيراً للرأى  
العام فيها وصيانة له من الانحراف والجرأة على الباطل بدون بينة<sup>(١)</sup> .

٦ - من مبادئ الإسلام فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والآيات كثيرة تدل  
على وجوبها .

وسائل الإعلام والتوجيه المختلفة :

لوسائل الاعلام من إذاعة وتلفزيون وصحافة أثرها فى ايجاد الرأى العام ، فالرأى العام  
هو أساس الإعلام . . . فهدف الإعلام الأول ايجاد الرأى العام أو توجيهه نحو قضية ما أو  
وجهة نظر مطلوبة وتأثير الإعلام فى الرأى العام راجع إلى اتصاله المباشر بالجمهور على  
اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم الثقافية .

ورجل الإعلام الناجح هو الذى يعرف نفسية الجمهور ورغباتهم ويحاول توجيهها  
إصالح فكرته ومؤسسته .

ودخول وسائل الإعلام كل بيت بغير استئذان ، وعرضها للفكرة بوسائل الاقناع  
المختلفة فى أوقات النهار المختلفة يجعل لها التأثير البالغ على عقول الجمهور ويجاد الرأى  
العام فى الأمة .

ومن هنا كانت خطورة أجهزة الإعلام وأهميتها البالغة إيجاباً أو سلباً ، ومن هنا كان  
على العلماء فى البلاد الإسلامية واجب كبير فى توجيه هذه الأجهزة والسيطرة عليها حتى  
تكون معبرة عن عقيدة الأمة وحضارتها ، داعية إليها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذا  
يقضى أن تكون لهذه الأجهزة رسالة وفلسفة واضحة تلتقى مع رسالة أجهزة التوجيه

(١) نزلت «١٨» آية فى سورة النور فى هذا الموضوع .

الأخرى في المجتمع وهي : المسجد والمدرسة والصحافة والكتاب ، حتى لا تتناقض هذه الأجهزة ولا يهدم جهاز ما بينه الآخر، ولا تحدث الصراع والتمزق في نفوس أبناء الأمة . كما يقتضى حسن اختيار العاملين في هذه الأجهزة كفاءة وديناً وخلقاً ليكون رجال الإعلام القدوة الحسنة لما يدعون إليه الناس بسيرتهم وخلقهم ، ولتكون دعوتهم مؤثرة فاعلة في الجماهير .

إن انفصال رجل الإعلام عن قيم الإسلام وأخلاقه بسيرته وسلوكه جريمة كبرى في أى بلد إسلامى تجعل من اللص «محافظة على بيت المال» . «والمجرم» مسؤلاً عن حفظ الأمن .!!

كما تقيم الهوة السحيقة بين أجهزة الإعلام وثقة الناس بها . ومن هنا كان من أعظم الواجبات التى يجاهد لتحقيقها العلماء انقاذ أجهزة الإعلام من التوجيه الفاسد المنحرف فى البلاد الإسلامية . والقيام بمسؤولياتهم فى توجيه الأمة من خلالها بلغة العصر وأسلوبه وكفاءته .

### (٣) وظيفة الرأى العام :

للرأى العام فى المجتمع الإسلامى وظائف عديدة من أهمها :

- ١ - رعاية تطبيق الاحكام الشرعية .
- ٢ - حراسة المبادئ الإسلامية وصيانتها ومساندة هيئات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى هذا المجال
- ٣ - حسن استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها فى الكتاب والسنة عن طريق اعطاء الثقة بأهل الحل والعقد من العلماء والعاملين .
- ٤ - رفع الروح المعنوية للأمة وتقوية أواصرها وتعاونها .
- ٥ - استثارة مشاعر الأمة للقيام بواجب معين .

### ١ - رعاية تطبيق الأحكام الشرعية :

الأمة الإسلامية مخاطبة جميعها بتطبيق الأحكام الشرعية ، والخطاب فى القرآن فى هذا المجال يتناول أفراد الأمة جميعاً . فقوله تعالى فى سورة النور مثلاً : ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ . موجه لكل فرد فى الأمة . ونظراً لأن الأفراد لا يستطيعون القيام بهذه المسؤلية متجمعين فلا بد أن يختاروا من يقوم عنهم بهذه المهمة وهو الحاكم أو الإمام فالحاكم فى الدولة الإسلامية وكيل الأمة فى اقامة أحكام الله المطلوبة منهم جميعاً .

ومن هنا كان للرأى العام سلطانه فى دعوة الحكومة لتطبيق أحكام الله تعالى والتقييد بها وعدم الخروج عنها إلى قوانين وضعية أو مشاريع مستوردة .

يقول الإمام النسفى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ . والخطاب للأئمة لأن اقامة الحد من الدين ، وهى على الكل إلا أنهم لا يمكنهم الاجتماع فينوب الإمام منابهم (١) .

٢ - حراسة المبادئ الإسلامية وصيانة قيمتها فى المجتمع :

ومن هذا المبدأ كانت مسؤلية الأمة عامة عن حراسة مبادئ الشريعة وقيمتها ، وكان الرأى العام فى المجتمع الإسلامى ذا سلطان قوى فى حراسة هذه المبادئ ورعاية هذه القيم وصيانتها .

وقد وجه القرآن الكريم الأمة الإسلامية ودعاها مجتمعاً متعاونة لترفع صوتها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومساندة العلماء الذين يقومون بهذه المسؤلية . والأمر بالمعروف يعنى الأمر بما قرره الكتاب والسنة من مبادئ وقيم وأحكام للمجتمع ، والنهى عن المنكر يعنى النهى عما نهى عنه الكتاب والسنة من معاصى تعتبر خروجاً عن المبادئ الإسلامية وقيمتها .

ومن المناسب ايراد النصوص التالية من الكتاب والسنة التى تصور حرص الإسلام على مساندة تعاليمه وأحكامه بسلطان الرأى العام المسلم :

(١) قال الله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ . (آل عمران : ١٠٤) .

(٢) عن النعمان بن بشير - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ : « مثل القائم فى حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » (٢) .

فالرأى العام مدعو هنا للتوجيه واصلاح الخطأ وانقاذ نفسه مع انقاذ المرتكبين للخطأ ،

(١) تفسير النسفى : (٣/٣٢٣) .

(٢) رواه البخارى والترمذى : الترغيب والترهيب (٤/٤٠٥) .

إن الحديث الشريف يجذر الجماعة من شعور «اللامبالاة» وعدم الاهتمام بقضايا الجماعة العامة بحجة أن الذين يرتكبون الفساد قوم غيرهم .

(٣) والمسلم . . مدعواً للجهاد والتضحية في سبيل نصرة أحكام الشريعة إذا انتهك حرمتها حاكم ظالم . عن جابر - رضی الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه ، فقتله» (١) .

إن الجمع بين حمزة بن عبد المطلب - رضی الله عنه - الذي أبلى بلاء حسناً في قتال المشركين والتنكيل بهم حتى قضى شهيداً في غزوة أحد ، وبين من جهر بكلمة الحق في وجه إمام ظالم ، يصلنا بطبيعة المعركة التي خاضها حمزة - رضی الله عنه - في وجه الجاهلية وظلمها ، ويخوضها إخوان حمزة في طريق العمل لاستئناف الدولة الإسلامية ، أو في مواجهة محاولات الظالمين لابعاد أحكام الشريعة عن التطبيق بالتدرج وبالوسائل المختلفة . إن ظهور أمثال هؤلاء الرجال في ساحات المجتمع الإسلامي ومواجهة أعداء الشريعة من شأنه الهاب مشاعر الجماهير المسلمة وضاءة الطريق أمام الرأي العام ليقول كلمته ويتحمل مسؤوليته .

(٤) ان دعوة الرأي العام في المجتمع المسلم ليقف في وجه الانحراف والفساد ومحاولات الخداع والتمويه تظهر صريحة في حديث النبي الكريم : عن ابن مسعود - رضی الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» . (٢)

(٥) ويجذر الإسلام افراد المجتمع المسلم من الجبن في نصرة الحق والوقوف في ذلة الجبن والخور أمام رأى الأكثرية الفاسدة .

عن ابى سعيد الخدرى - رضی الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يُحْقَرَنَّ أحدكم نفسه ، قالوا : يارسول الله وكيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال : يرى أن عليه مقلاً ، ثم لا

(١) رواه الترمذی والحاكم : وقال صحيح الاسناد / الترغيب (٤ / ص ٤) .

(٢) رواه مسلم : الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى (٥ / ٤) .

يقول فيه، فيقول الله عز وجل يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول خشية الناس: فيقول فأياي كنت أحق أن تخشى». (١)

(٦) ويحذر الله الجماعة المسلمة أن يفلت من يدها زمام الأمر فتغلب المعاصي وتنتشر الفاحشة فيستحقوا عذاب الله. وقد سألت عائشة - رضی الله عنها - رسول الله ﷺ: «أنهلك وفيما الصالحين؟ قال: نعم إذا كثرت الخبث». (٢)

وعن جرير بن عبد الله - رضی الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه، ولا يغيرون إلا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا». (٣)

وعن أبي بكر الصديق - رضی الله عنه - قال: يا أيها الناس انكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم...﴾ (المائدة: ١٦٠) وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب عن عنده». (٤)

### الرأى العام ودوره في مقاطعة مجالس المنكرات :

ومن خير ما تتجلى به حراسة الرأى العام في المجتمع الإسلامى لمبادئ الشريعة وقيمها الحكم الشرعى الذى يأمر الجماعة المسلمة وكل فرد مسلم بمقاطعة مجالس المنكرات، والأماكن التى يوصى فيها الله، والمحافل التى يستهزأ فيها بدين الله، قال تعالى :

﴿وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً﴾ . (النساء: ١٤٠) إن المسلم مدعو إذا لم يستطع أن يغير المنكر بيده ولسانه، أن يغيره بقلبه والتغيير بالقلب ليس حركة انفعالية نفسية ولا تظهر أثراً إيجابياً فى زانة المنكر، بل هى حركة انفعالية نفسية عملية تساعد على التغيير بالانسحاب من مجلس يعصى فيه الله، وهذا ما عبر عنه النبى ﷺ فى حديث له: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فقلبه وذلك اضعف الإيوان» .

إن كلمة: «فبلسانه» و«فقلبه» متعلقتان بالفعل فليغيره، والتقدير: فليغيره بيده،

(١) رواه ابن ماجه : ورواته ثقات - المرجع السابق (٦) .

(٢) رواه البخارى : عن زينب بنت جحش - رضی الله عنها - المرجع السابق (٦/)

(٣) رواه ابو داود : المرجع السابق (٨/)

(٤) رواه ابو داود والترمذى .

أوفليغيره بلسانه أوفليغيره بقلبه . . . ولا يكون بالقلب تغيير إلا بحركة هي اضعف الحركات واقلها بعد اليد واللسان هي حركة الانسحاب من مجالس المنكرات ومقاطعتها

الرأى العام ودوره فى مقاطعة من عصى :

والرأى العام فى الإسلام حين يخاصم ويقاطع هدفه الإصلاح والعلاج ، لا التشهير والهدم ، وهذا ما يميزه عن المجتمعات المادية ، فالثلاثة الذين خلفوا عن الجهاد بغير عذر وأمر الرسول ﷺ الأمة بمقاطعتهم واستعمل رسول الله ﷺ سلاح الرأى العام هذا وسيلة صالحة لابرأز أثر التخلف عن الجهاد على الأمة ، وقيام الأمة جميعها بواجب المقاطعة ، حتى أقارب المقاطع وزوجه يقاطعون .

حتى إذا حققت المقاطعة ثمرتها التربوية للمتخلفين خاصة ، وللأمة عامة نزل الحكم من السماء بإنهاء المقاطعة والتوبة على الذين تخلفوا وتابوا وأنابوا .

قال تعالى : ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم أنه بهم رؤوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ . (التوبة : ١١٧-١١٨) (١) .

إن سلاح المقاطعة يمثل قمة التربية الإيمانية للشخصية المسلمة حين تحب فى الله ، وتبغض فى الله ، وتصل فى الله ، وتقطع فى الله ، وتحارب فى الله وتسلم فى الله .

وإن العقيدة التى توحد رأى أبنائها فى اصدار حكم على شخص بمقاطعته لانه تخلف عن الجهاد ، أو جاهر بمعصية لتمثل لنا اسلوباً من أساليب الدعوة الإسلامية فى تربية الجماعة واصلاحها ، والدارس للتاريخ الإسلامى يجد تطبيقاً كريماً لهذه المبادئ فى محيط الأسرة ، أو محيط الجماعة حين يخرج أحدهم عن الجادة ، ويجاهر بمعصية الله فيهجر فى الله ، وتعطى الأمة برأىها فيه بالمقاطعة العلنية .

وقد ظهر هذا الأسلوب فى مرحلة الدعوة الأولى فى مكة قبل الهجرة حين أمر رسول الله ﷺ بان يهجر المجالس التى لا توقر فيها آيات الله وشرائعه فقال تعالى : ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ﴾ . (الأنعام : ٦٨) .

(١) انظر قصتهم فى صحيح البخارى كتاب المغازى وفى الطبرى (٥٨/١١) .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية : «من خاض في آيات الله تركت مجالسته وهجر مؤمناً كان أو كافراً . . . وقد قال بعض أهل البدع لأبي عمران النخعي : اسمع مني كلمة فـعرض عنه وقال : «ولا نصف كلمة» (١) وروى عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله ﷺ : «من قرصاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام» (٢) .

٣- حسن استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها، واعطاء الرأى فى قضايا الأمة المهمة :

المقصود بهذا العنوان اظهار الاهمية التى يعطيها الإسلام للرأى العام من خلال بيان الرابطة بين جمهور الأمة وأهل الحل والعقد فيها، وبيان صلاحيات أهل الحل والعقد، ودورهم فى بيان احكام الشريعة باعتبارهم ممثلين شرعيين لجمهور الأمة، ومعبرين عن رأياها العام فى أمور الشريعة، وهذا يقتضى التعريف بأهل الحل والعقد وأهم اعمالهم .

أهل الحل والعقد كما يسميهم جمهور العلماء، أو أهل الاختيار كما يسميهم الماوردى وغيره (٣) أو أهل الاجتهاد كما يسميهم البغدادى (٤) هم جماعة معينة من فضلاء الأمة يوكل إليهم النظر فى مصالحها الدينية والدنيوية ومنها اختيار رئيس الدولة، فهم المسؤولون عن تصفح احوال الذين يمكن صلوحهم لتولى هذا المنصب الخطير، والاجتهاد فى ذلك، وهذه الجماعة لا تقوم باختيار الإمام إلا نيابة عن الأمة جميعاً، فهم بمباشرتهم هذا الاختيار لا يمثلون أنفسهم، بل يمثلون الأمة كلها، ولهذا فإنه عند مبايعة أهل الحل والعقد للإمام تجب مبايعته والانقياد له على سائر افراد الأمة (٥) .

وقد بين العلماء أن أهل الحل والعقد هم : «العلماء والرؤساء، ووجوه الناس الذين يتيسر اجتماعهم» (٦) ويرى الشيخ محمد رشيد رضا أن أهل الحل والعقد هم المقصودون بأولى الأمر فى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ إِذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ . (النساء : ٨٣) . وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ . (النساء : ٥٩) . وليس المراد بأولى الأمر فى الآيتين الأمراء والسلاطين كما يرى بعض العلماء بدليل أن الآية الأولى

(١) تفسير القرطبي : (١٣/٧) .

(٢) المرجع السابق، وانظر تفسير المنار (ج ٥٠٦/٧) والتحرير والتنوير (ج ٢٨٨/٧) للشيخ محمد بن عاشور .

(٣) الأحكام السلطانية للماوردى (ص ٦) والأحكام السلطانية لأبى يعلى .

(٤) (٥٠٤) رئاسة الدولة فى الفقه الإسلامى . د : محمد رأفت عثمان (٢٥٦-٢٥٧) ط دار الكتاب الجامعى - القاهرة

(٦) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج لشمس الدين محمد بن أبى العباس الرملى (٧/٣٩٩٠) .

نزلت في أولى الأمر الذين كانوا على عهد الرسول ﷺ، ولم يكن هناك امرء ولا سلاطين، قال: «وما كان هناك إلا أهل الرأي من كبار الصحابة - عليهم الرضوان - الذين يعرفون وجوه المصلحة مع فهم القرآن . . .» وهكذا يجب أن يكون في الأمة رجال أهل بصيرة ورأى في سياستها، ومصالحها الاجتماعية، وقدرة على الاستنباط، يرد إليهم أمر الأمن والخوف وسائر الأمور الاجتماعية والسياسية وهؤلاء الذين يسمون في عرف الإسلام أهل الشورى وأهل الحل والعقد . . . (١) .

فيفهم من هذا القول ومما ذكره الفقهاء أن أهل الحل والعقد هم المتبوعون في الأمة الحائزون على ثقتها ورضائها لما عرفوا به من التقوى والعدالة (٢) .

أما علاقة أهل العقد والحل في الأمة فهي علاقة النائب والوكيل (٣) أما كيف ينالون هذه المنزلة فإن الأمة هي التي ترفعهم إلى هذه المنزلة باختيارها لهم صراحة أو ضمنا، وأن السوابق التاريخية تبين لنا وكالة أهل الحل والعقد عن الأمة في عصر الإسلام الأول - عصر الخلفاء الراشدين - كانت وكالة ضمنية لأنهم كانوا معروفين بتقواهم وإخلاصهم وكفاءتهم وعلمهم شهد لهم القرآن الكريم والنبى صلوات الله وسلامه عليه بالثناء العام والخاص عليهم، فما كان هناك من حاجة لقيام الأمة بانتخابهم وتوكيلهم عنها صراحة .

ومن المقاييس المهمة في معرفة نيل هذا العالم أوداك لثقة الجماهير رجوعها إليه في الفتوى، وحضورها دروسه، وترددتها على مجالسه، وأخذها برأيه، في أمور حياتهم المختلفة .

ومع ذلك فإننا إذا أخذنا في الوقت الحاضر بنظام الانتخاب المباشر لأهل الحل والعقد ضمن شروط يقرها الإسلام، منها أنه يجب أن تتوافر فيمن يرشح نفسه للانتخاب :

(أ) العدالة الجامعة لشروطها .

(ب) العلم .

(ج) الرأي والحكمة والخبرة (٤) .

وإن مثل هذا الانتخاب على هذا النحو المذكور جدير بأن يترجم ارادة الأمة صراحة وتوكيلها لهؤلاء، وهو المناسب لعصرنا لأن اجازة التوكيل الضمنى في هذا الزمن قد يفتح

(١) تفسير المنار : للشيخ السيد محمد رشيد رضا (١١/٧) .

(٢) أصول الدعوة للدكتور: عبد الكريم زيدان (١٩٩/) وتفسير المنار: (١٨١/٥) .

(٣) المرجع السابق (١٩٩/) .

(٤) الأحكام السلطانية للهاوردى (٦/)، وأصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (٢٠٠/) .



باب شر خطير ويؤذن بالفوضى التي تضعها المزاعم الكاذبة والدعاوى الفارغة (١) .

الفرق بين سيادة الرأي العام في الإسلام والنظم الديمقراطية :

(أ) ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن الأمة حين تبدى رأياً عن طريق ممثليها في قضية من القضايا فلرأيها السيادة ولحكمها النفاذ في النظم الديمقراطية الغربية، أما في الإسلام فإن أهل الحل والعقد لا ينفذ رأيهم إلا في الأمور التي لم ينص عليها الشرع . . . فإذا جاء الله بحكم فليس لجماعة من الأمة أن تعارضه وليس للأمة بمجموعها أن تبطله .

ومن هنا كانت المسائل الفقهية الخاضعة لرأي الجماعة مقيدة بأمرين :

١ - ألا يكون قد نزل فيها نص صريح .

٢ - أن يرجع أهل الحل والعقد في بيان الرأي فيها إلى أصول الشريعة ومقاصدها

العامّة .

(ب) أن القانون أو الحكم حين تصدره الدولة نابعاً من عقيدة الأمة ودستورها، تجدد اقتناع الرأي العام به قوياً صادقاً، وتنفيذه سهلاً ميسوراً، بينما نجد حرمان القوانين الوضعية من هذه الميزة . وخير مثال يوضح هذه الفكرة المقارنة بين تحريم الخمر في الإسلام الذي تهبأ الرأي العام لقبوله وبين تحريمه في أمريكا . . . فنجح في المجتمع الإسلامي ولم ينجح هناك .

٤ - رفع الروح المعنوية للأمة وتقوية أواصرها وتعاونها :

من أهم وظائف الرأي العام في المجتمع الإسلامي رفع الروح المعنوية عند الجماهير التي تكونه، لأن وحدة الجماعة المسلمة على رأى واحد من شأنه أن يبرز قوة هذه الجماعة وتعاونها، ويعطيها الزاد والقوة على تحقيق أهدافها مهما بلغت التكاليف .

لقد وضع القرآن الكريم القاعدة المباركة لوحدة الجماعة المسلمة على الهدف الكريم بقوله: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان﴾ . (المائدة: ٢) .  
وبقوله: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ . (الصف: ٢) .  
وبقوله ﷺ: «ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» (٢) .

(١) المرجع السابق (٢٠١/).

(٢) رواه البخارى .

وتظهر أثر هذه التربية الإيمانية للجماعة المسلمة في وحدتها وتآلفها، في وقوفها في وجه المحن والشدائد صفاً واحداً، ومن ابرز الامثلة على ذلك في تاريخ الإسلام خروج المسلمين، في اليوم التالي لغزوة أحد، للتأثر من عدوهم، ومسح آثار مصيبتهم، وهذا ما عبر عنه القرآن بقوله: ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم وأتقوا أجر عظيم﴾ (آل عمران: ١٧٢).

لقد حرص الإسلام على دعم أهدافه بسلطة الرأي العام، وإيجاد روح التعاون بين أبناء الأمة الإسلامية، والتقارب بين فئات الشعب، لتتوحد اتجاهاتها، وتسيطر على مبدأ أساسى في حياة الأمة، وهو الاتفاق على الاهداف، وهذا الاتفاق يؤدي حتماً إلى نجاح الأمة في بلوغ غايتها وتحقيق أمانيتها.

إن الأذان الذى يتردد كل يوم خمس مرات، عالياً مدوياً معبراً عن أهداف الإسلام الكبيرة، وإن الصلوات التى تقام كل يوم خمس مرات جامعة للأمة موحدة لرأيها، وان الجُمع، والجماعات، وفريضة الحج التى من شأنها أن يظهر وحدة الأمة على أهدافها، وان القرآن الذى يتلى في كل صلاة جامعاً للأمة على اهدافه وغاياته، ان هذا كله جدير بأن يحقق في المجتمع الإسلامى وحدة الاهداف ووحدة الرأي العام على هذه الأهداف، ويرفع معنويات الأمة لأداء دورها الكبير ورسالتها العظيمة في الحياة، ولتأمل في روح العزة التى يصنعها الإسلام بالإيمان والعمل الصالح ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾.

﴿كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾.

وإلى رفع هذه الروح المعنوية في ضمير الأمة بالتقائها على أهدافها ووحدة رأيها يشير النبى ﷺ بقوله:

«يد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار».

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (١).

إن البنيان الذى يشد بعضه بعضاً يصور لنا الروح المعنوية العالية التى يعطيها وحدة رأى العام لافراد الأمة كما يصور لنا معانى التعاون على أهداف الإسلام الكريمة في

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

الحياة، وان الجماعة التي تباركها يد الله وترعاها وتنصرها جديدة بأن تتغلب على أسباب الضعف وتحقق أسباب قوتها ونموها وازدهارها .

استشارة مشاعر الأمة للقيام بواجب معين :

في كل مسجد جامع منبر وظيفته مخاطبة الرأي العام كل أسبوع يدعو إلى واجب أو يحذر من أمر، أو يبصره بقضية لها أهميتها في حياته .

لقد سن رسول الله ﷺ للأمة كيف تكون يدا واحدة في مواجهة الاحداث، يأخذ قوتها بيد ضعيفها، وغنيها بيد فقيرها، وأنه من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

والدارسون لسيرة رسول الله ﷺ وسير الخلفاء الراشدين والتابعين لهم باحسان، يجد أن النبي الكريم كان يدعو المسلمين إلى المسجد عند كل حدث مهم يخبرهم به، أو واجب يدعوهم إليه، حين يوجه الحملات للجهاد، فيدعو إلى البذل والنفقة، كما يدعو إلى المشاركة بالجهاد .

وحين يرى طائفة من المسلمين تعاني ضائقة مالية فيدعو المسلمين إلى مساعدتهم وكذلك كان الصحابة - رضوان الله عليهم - فأبوبكر - رضى الله عنه - يوجه الجيوش لفتح الشام والعراق، وكلما دعا الداعي لامداد جيش وجه النداء للأمة وندبها إلى الخروج مع هذا القائد أو تلك الحملة .

وفي تهيئة الأمة لقبول حكم معين كان الخليفة يوم الجمعة يعلن في الناس ويمهد لقراره ويقنع الجماهير به، ففي مسألة تحديد المهور استشار عمر الناس في المسجد فردت عليه امرأة رأيته بالآية الكريمة: ﴿وَأْتَيْتُم مَّكَّةَ تَحِيَّاتٍ فَأَنَّ فِيهَا كُفْرًا كَثِيرًا مَّا كُنْتُمْ عَلَّمُونَ﴾ . فأعلن رجوعه عن رأيه وقال: «اللهم، غفرا كل الناس افقه من عمر، أخطأ عمر واصابت امرأة» (١) .

وفي الصورة المقابلة نجد خطبة الجمعة التي من شأنها أن تعالج قضايا الأمة يعرضها أولو الأمر من العلماء والحكام لتقوم بتهيئة الرأي العام لقبول القرار الذي ستتخذه الدولة أو رفضه بمناقشته وبيان مدى تحقيقه لأهداف الشريعة ومقاصدها .  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) حقوق النساء في الإسلام للشيخ محمد رشيد رضا (ص ١٣) .

# دَوْرُ الإِعْلَامِ فِي: النُّضَامِ مِنَ الإِسْلَامِ

الدكتور نور الدين ربيع  
أستاذ بطنية الدعوة وأصول الدين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فإن التضامن الإسلامي هو المبادرة النابعة من أصول العقيدة الإسلامية، لإرساء قواعد الحياة على أسس متينة في عالم تتنازعه المطامع، وتشن فيه المبادئ الملحدة حرباً شرسة ضد التراث الحضاري الإسلامي بقيمه النبيلة، ولقد كان التضامن هو السرفيا حقت الأمة الإسلامية من مجد وسؤدد، يوم كانت متمسكة بدينها حق التمسك، آخذة بتعاليمه حق الأخذ .

وتكمن إحدى معجزات الإسلام الكبرى في قوة التضامن، عندما وحد بين قلوب القبائل المتنافرة، ثم بين الأقطار والشعوب المتباينة، وأصبح التضامن من أهم سمات الحياة الإسلامية وليست رابطة الأرض أو مكان الإقامة أو الولادة كما هو الحال في الفكر الغربي، لأن مفهوم الأمة في الإسلام يقوم على الاشتراك في وجهة عامة، فقد أشار القرآن الكريم إلى المسلمين على أنهم أمة واحدة، فلم يفرق بين شعب وشعب، ولم يخص بلداً أو قبيلة أو فئة بالأمر بالوحدة، بل كان خطابه عاماً شاملاً يضم كل من آمن بالرسالة المحمدية وتبع هديها وطريقها. قال تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (١) وقال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ (٣) وقال عز من قائل: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ (٤) .

(١) الأنبياء : ٩٢ .

(٢) آل عمران : ١١٠ .

(٣) الحجرات : ١٠ .

(٤) آل عمران : ١٠٣ .

ويشير القرآن الكريم إلى إعجاز الوحدة الإسلامية وعظمة ما تعنيه في مدلولها فيقول تعالى: ﴿هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت مافى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ (١) .

فالأمر الألهى بالتضامن فرض جوهرى فى صلب العقيدة الإسلامية ، والأخوة هى إحدى النعم الكبرى التى من الله بها على عباده المسلمين ، وقد برأ الله تعالى رسوله الكريم من العاملين على تفرقة كلمة المسلمين وهدم وحدتهم ، فيقول جل جلاله : ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء﴾ (٢) .

ويؤكد الرسول الكريم ﷺ أهمية الأخوة الإسلامية والتضامن بين المسلمين ، ولا يدع فرصة مواتية إلا وعبر عن أهميتها فيقول ﷺ : (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) .

وقال ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وقال أيضاً : (من خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها فليس منى ولست منه) .

لقد كان الرسول الكريم ﷺ يحث على الإخاء الإسلامى على مستوى الأفراد والجماعات فأوصى بالمودة بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الإخوان والجيران ، وهكذا تلتئم خلايا المجتمع التاماً متدرجاً حتى يتم بناء الأمة الإسلامية بأسرها على أسس من المحبة والود والإخاء والتضامن .

### الإعلام سلاح فى يد الأعداء

فالتضامن الإسلامى فرض من فروض الإسلام على الأمة أن تنهض به ، وهو ليس مجرد عمل سياسى أو شعاراً مؤقتاً وإنما هو جزء لا يتجزأ من جوهر الدعوة الإسلامية ، ولا يستقيم للمسلمين عمل ولا حال إلا إذا تحققت أركان التضامن بينهم .

ومن واجب الدولة الإسلامية أن تحقق التضامن ، وأن تسعى إلى تثبيت أصوله وحمائته من التصدع ، ولا ينبغى أن يسعى إقليم أو قومية أو دولة لتحقيق مصالحها على حساب الوحدة الإسلامية ، إذ أن هذه الآفة هى التى حركت مطامع الدول الأجنبية فى المسلمين وشجعتها على الانفراد بكل قطر على حدة .

(١) الأنفال : ٦٢ .

(٢) الأنعام : ١٥٩ .

ولقد دبر أعداء المسلمين شتى الخطط التآمرية على الأقطار الإسلامية ولجأوا إلى مختلف الطرق والأساليب من أجل إضعاف التضامن، ووضع العقبات والعوائق للحيلولة دون اتصال المسلمين ببعضهم وتحقيق تضامنهم. وقد كان الإعلام من أهم الأسلحة المستخدمة لبت روح الفرقة والانقسام بين المسلمين، إذ أن أعداء الإسلام يعلمون تماماً أنهم ما كانوا ليحققوا ما حققوه لو أن الصف الإسلامي كان موحداً ومتماسكاً وقويًا .

## الإعلام الطباعي

لقد كانت المطبعة هي السلاح الأول الذى جلبه الصليبيون والمبشرون إلى العالم العربى لشن حملاتهم التبشيرية عن طريق الكتاب والصحيفة، ففي أحد الأديرة المارونية فى لبنان وفى دير قزحيا طبع كتاب المزامير سنة ١٦١٠ بالحرف السريانى، ثم أنشأ الشماس عبد الله زاخر أول مطبعة عربية سنة ١٧٣١ بقرية الشوير اللبنانية، وتخصصت هذه المطبعة فى نشر كتب التبشير المسيحى .

وفى سنة ١٨٣٤ أنشأ المبشرون الأمريكيون من أمثال كورنيليوس فان دايك، ووليم ورتبات وغيرهما مطبعة فى بيروت لطبع الانجيل، وتزويد الجمعيات التبشيرية بالكتب الدينية، ومن المعروف أن هذه الجمعيات كانت تضم الكثير من القسس والأطباء والعلماء الذين نذروا أنفسهم للتبشير بين المسلمين فى العالم العربى .

وأنشأ المبشرون مدارس دينية ومدرسة عليا هى الكلية السورية الانجيلية التى تحولت إلى الجامعة الأمريكية فى بيروت، ومن الغريب أن هذه المعاهد قد اتخذت من بيروت والقاهرة ولاهور وأنقرة، وهى من أركان العالم الإسلامى، مراكز للتبشير فى جميع أجزاء العالم الإسلامى، وبث الفرقة بين أقطاره المختلفة، وكان الإعلام الطباعى يغذى هذه الحركات التبشيرية بالكتب والصحف والمجلات والأطالس .

وخاف اليسوعيون الكاثوليك أن يتفوق الأمريكيون البروتستانت عليهم فى مضمار الإعلام التبشيرى المسيحى والدعوة الصليبية بفضل مطبعتهم، فقرروا فى سنة ١٨٤٨ إنشاء مطبعة يواجهون بها منافسيهم، فاستوردوا من فرنسا مطبعة كبيرة طبعوا عليها الكتب الدينية والأدبية والعلمية، وفى الربع الأخير من القرن الماضى أصبحت طابعات هذه المطبعة الكاثوليكية تدار بالبخار لأول مرة فى لبنان .

لقد كانت خطة الأمريكيين البروتستانت والفرنسيين الكاثوليك هي تعليم اللبنانيين والسوريين طرق التبشير وفنون الكتابة وأساليب الإعلام وأصول التحرير الصحفي، وتقنيات الطباعة لكي يصيروا دعاة لهم في جميع أنحاء العالم العربي، ثم في جميع أركان العالم الإسلامي، لبث الفرقة والانقسام بين أبنائه، والحيلولة دون تضامن العالم الإسلامي بأى شكل من الأشكال.

وبالفعل نجد أن ناصيف اليازجي وبطرس البستاني في لبنان وبلاد الشام، ثم يعقوب صروف الذي أنشأ مجلة المقتطف، وشاهين مكاروريوس وفارس نمر اللذان اشتركا في تأسيس المقطم مع خليل ثابت، بالإضافة إلى شبلى شميل وأنطون فرح، ثم سلامة موسى ولويس عوض، وهم جميعا من أنصار الاتجاهات المادية والاشتراكية، فضلا عن الترويج للمذهب الدارويني في النشوء والتطور، والهجوم على كل ما يتصل بالإسلام.

ولا يفوتنا ذكر ما لقيته الصوفية المنحرفة، من تشجيع فقد أنشأ الإيطالي (بلفنطى) مطبعته الحجرية التي طبعت بعض الدواوين الصوفية إلى جانب الكتب المسيحية، فالتبشير المسيحي يهتم بالتصوف الذى يحث على التواكل والتكاسل، ويشجع انتشار روح الفرقة بين المسلمين، ويعبر المستشرقون في كتاباتهم عن الاعجاب الشديد بالفلسفات الشرقية الغنوصية، وبالشطحات الصوفية مثل الفتوحات المكية لابن عربي وقصائد الحلاج وكتابات السهروردي وغيرها من الأفكار المدسوسة على الإسلام بما فيها من جبرية ووحدة الوجود ومذهب الحلول المنحرف الكافر.

## الإعلام الصهيونى

ولقد تسابق اليهود والمسيحيون في إرساء قواعد الإعلام عن طريق إنشاء المطابع في فلسطين، ففي سنة ١٨٣٠ أنشأ نسيم باق مطبعته في القدس لطبع كتب الديانة اليهودية، وكانت حروف تلك المطبعة عبرية، وفي سنة ١٨٤٨ أسس جماعة من الانجليز مطبعة بالقدس أسموها مطبعة لندن لانتشار الانجيل، كما أنشأ الأرمن في السنة نفسها مطبعة وضعوها بديرهم المجاور لجبل صهيون، ولم يكتف اليهود بمطبعة نسيم باق بل ثنوها بمطبعة أسسها داويد ساسون سنة ١٨٥٠.

وهكذا أخذت المطابع اليهودية ترتبط بالحركة الصهيونية، وكانت الدعاية توجه إلى يهود العالم، ثم إلى العالم المسيحي توطئة للأحداث المؤسفة التي فرقت شمل العالم

العربي ، وعملت على تمزيق الصف الاسلامي أيضا ، وليس مجرد صدفة أن معظم قادة اليهود من رجال الإعلام والصحافة بدءاً من تيودور هرتزل الذي ترأس مؤتمر بازل في سويسرة سنة ١٨٩٧ حتى رجال الصحافة والسينما والتلفزيون الذين يهيمنون على وكالات الأنباء والصحف وغيرها من دور النشر والإذاعة والسينما .

ويكفي أن نلقى نظرة سريعة على اهتمام اليهود بالإعلام والصحافة بوجه خاص ، فهم يملكون :

١ — ٢٤٤ صحيفة في الولايات المتحدة الأمريكية ، منها ١٥١ دورية .

٢ — ٣٠ دورية في كندا .

٣ — ١١٨ صحيفة في أمريكا اللاتينية .

٤ — ٣٤٨ صحيفة في أوروبا بجميع اللغات الأوروبية .

٥ — ٣ صحف في الهند .

٦ — خمس دوريات في تركيا .

٧ — ٤٢ دورية في أفريقيا .

وتعلن إسرائيل رسمياً أن الصهيونية تسيطر على ٨٨٩ صحيفة في الدول الغربية .

وقد استطاع الصهيوني روبرت مردوخ أن يشتري أعظم صحف بريطانيا وأقواها نفوذاً وهي صحيفة التايمز التي كان يملكها اللورد طومسون .

وقد عرضت مجلة نيوزويك الأمريكية المشهورة للبيع فاشترى أكثر أسهمها أحد اليهود بمبلغ ٨٠٠ ألف دولار ، وأصبحت هذه المجلة التي لها شهرتها وانتشارها وتأثيرها سلاحاً دعائياً جديداً في يد الصهيونية ، وكم قامت هذه المجلة وغيرها بتشويه صورة الإسلام والمسلمين ، وبذر روح الفرقة والانقسام بينهم ! .

### الإذاعات التنصيرية

وهكذا استطاع اليهود والصليبيون السيطرة على وسائل الإعلام في العالم وسخروها لخدمة أهدافهم الشيطانية ولم يستطع الإعلام الاسلامي حتى الآن أن يتغلب على هذه القوى الشريرة ، لذا استطاع الإعلام الصهيوني أن يوجب الاهتمام بالقضايا التي تهم عالمنا الإسلامي حتى تموت في ضمير المسلمين ، وفي نفس الوقت يركز على قضايا جانبية أوظاهر



فيها الخطر المحقق بمجتمعاتنا الإسلامية يمهد لها ويعمل على نشرها وبث الزخارف المضللة حولها كالأفكار والمذاهب الهدامة والاباحية إلى غير ذلك .

وقد سخروا لهذا أحدث أنواع الأساليب والوسائل الإعلامية من مجلات ونشرات وجرائد ونشرات متخصصة حتى للأطفال والنساء بصورة جذابة وبمختلف اللغات ينفقون عليها حتى تظهر بصورة مغرية جذابة منها ما يوزع مجاناً ومنها ما يوزع بثمن ضئيل .

كما أن هناك معاهد متخصصة في هذا المجال في أمريكا وغيرها، وقد سخرت مطابع ودور نشر لهذه الأغراض علاوة على طباعة الانجيل ونشره وتوزيعه وترجمته إلى لغات عديدة . هذا في مجال الكلمة المطبوعة أما في الكلمة المسموعة فقد بلغت شأواً بعيداً في هذا المضمار حيث أنشئت برامج إذاعية تنصيرية بل أنشئت محطات خاصة للتصير في مناطق عديدة منها :

- ١ — إذاعة ساعة الإصلاح بالخرطوم في السودان .
- ٢ — إذاعة نور على نور في مرسليليا .
- ٣ — صوت كلمة الحياة في مالاكا بأسبانيا .
- ٤ — نداء الرجاء في شتوتجارت بألمانيا الغربية .
- ٥ — إذاعة المحبة والوفاء في بيروت .
- ٦ — إذاعة مونت كارلو بمونت كارلو .
- ٧ — المدرسة الاذاعية الانجيلية مرسليليا .
- ٨ — المركز المعمداني في بيروت .
- ٩ — دار الهداية بسويسرا .
- ١٠ — الاذاعة التنصيرية في ليبيريا .
- ١١ — الاذاعة التنصيرية في سيشيل .

هذا وقد عقدت المؤتمرات واللقاءات في هذا المضمار حيث عقد في هوس بنيجيريا اجتماع ضم حوالي أربعين من زعماء الكنائس الأفريقية اللوثرية ومديرى المحطات الاذاعية ورجال الاعلام لبحث تضافر الجهود وتطوير أسلوب الاذاعات التنصيرية في غرب أفريقيا، كما عقد اجتماع في تنزانيا في مارس ١٩٨١ خاص بشرق أفريقيا .

وفي أكتوبر عام ١٩٨٠ عقد مؤتمر كبير في سوزايلند ضم مجموعة من العاملين في مجال البث الاذاعي يمثلون ١٢ دولة من أفريقيا حضر معهم مجموعة من المراقبين في أوروبا .

ومن المعروف أن للطائفة المعمدانية فقط حوالي ١١١ محطة إذاعية تنصيرية منتشرة في ثمانية وثمانين بلداً. كما تم تخصيص عشرين مليون دولار ابتداء من عام ١٩٨٠ لتقوية إذاعة آسيا التنصيرية لمنطقة جنوب شرق آسيا خاصة وقارة آسيا عامة وهذه الإذاعة متمركزة في الفلبين وتبث برامج بلغات كثيرة بلغت ٢٨ لغة آسيوية .

أضف إلى ذلك محاولة تجنيد رجال التنصير في المؤسسات الإعلامية في الدول الإسلامية ليضمنوا السيطرة بشكل أو بآخر على هذه الأجهزة، بل تعدى الأمر إلى انتاج برامج خاصة بالتنصير بأساليب خادعة لتفوت على رجال الرقابة في المؤسسات الإعلامية الإسلامية المسموعة والمرئية .

### الفيلم وقضايا المسلمين

وعلى حين تغطي أفلام الترفيه والضياع أسواق العالم الإسلامي في السينما والتلفزيون، فإن القضايا الإسلامية الخطيرة، ومشاكل المسلمين العديدة، لا تجد مجالاً في تلك الأسواق. فمثلاً قضية فلسطين وهي أكبر تحد واجهه المسلمون منذ ضياع الأندلس، تقف إمكانات المسلمين عاجزة عن انتاج فيلم واحد يشرح قضيتها، ويبصر الناس بمأساتها، في حين أن اليهود قد عرضوا في عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ أكثر من ٣٠٠ فيلم في المهرجان اليهودي الدولي للسينما والتلفزيون .

وقد بذل مجلس الجامعة العربية جهوداً كبيرة للحصول على أفلام يوزعها على مراكزه في الخارج، وفي سنة ١٩٦٤ اعتمد المجلس مبلغ نصف مليون دولار لانتاج فيلم عن فلسطين بالتعاون مع منتج معترف به دولياً، غير أن الفيلم لم يظهر إلى الوجود نظراً للعجز في الامكانيات، ولعل الحقيقة تكمن في العقبات التي يضعها أعداء الإعلام الإسلامي في سبيل إنجاز أى انتاج يكون له تأثير على الرأى العام .

ومع ذلك فعندما احتج سفراء الدول العربية والاسلامية على عرض فيلم «الخروج» الذى يقدم دعاية سافرة عن إسرائيل واليهود، قامت قيامة الصحف الغربية، وأخذت تكيل السباب والشتائم للعرب والمسلمين .

### مسؤولية الاعلام عن بث روح التضامن

والحق إن من أهم وظائف الإعلام تنوير العقول وتهذيب النفوس في ضوء تعاليم

الإسلام، فمن واجب الإعلام الإسلامي الدعوة لوحداية الله، وتحرير الإنسان من عبودية العباد وانقاذه من سيطرة الأهواء والشهوات والغرائز .

فالإعلام مرفق هام من مرافق الدولة الإسلامية ولا ينبغي العبث به أو استخدامه لإثارة الشهوات، وتحريك الرغبات الدنيا بين الشباب والناشئة، بل من المفروض أن ترقى اتهامات الناس، وأن يسمو الإعلام بعقولهم وعواطفهم .

ولعل الهدف الأسمى للإعلام هو توحيد الأمة فكراً وسلوكاً وولاء وإيجاد التعارف والتآلف بين أبنائها، والإصرار على معاني الأخوة والتراحم والتواد بين أفرادها، بل يجب على السلطان أن يضرب بيد قوية على كل من تسول له نفسه العبث بوحدة الأمة، أو تعريض وحدتها للخطر، وهذه جريمة من جرائم الخيانة العظمى .

ولاشك أن أهم ما ينبغي أن نسارع إليه هو وقف حملات التشهير والسباب والشتم والمهاترات بين أقطار العالم الإسلامي، كما يجب مواجهة الحملات الإعلامية المعادية، والتفرغ للدفاع عن الأمة ومقدساتها وتنشيط الروح الجهادية عند المسلمين .

وبدلاً من إذاعة برامج لتعليم اللغة الانجليزية بالراديو أو نشر اللغة الفرنسية أو غيرها من اللغات الأجنبية، ينبغي أن تتوفر إذاعاتنا الإسلامية على نحو الأمية بأشكالها المختلفة، ونشر التعاليم الإسلامية، ومحاولة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

وبدلاً من الدعاية للحضارة الغربية، والتحدث عنها باكبار وتقدير، وتقديم نماذج للشباب يقتدون بها، يجب على الإعلام في الدولة الإسلامية أن يتخذ مثله العليا من أبطال الإسلام وعلمائه، مع تعرية الحضارة الغربية والثقافة الشيوعية والدعاية الصهيونية والمذاهب المنحرفة، وتسليط الأضواء على المعطيات الحضارية للإسلام .

إن الطالب في كثير من الجامعات التي تنتشر في العواصم الإسلامية يعرف عن فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وأمريكا أضعاف أضعاف ما يعرف عن أندونيسيا والباكستان ونيجيريا والعراق، ويعرف عن فولتير وشكسبير وروسو ولويس التاسع ودانتى أكثر بكثير مما يعرف عن عبد الرحيم الغافقي ومحمد الفاتح وحسان بن ثابت والمنتبى والجاحظ وابن قتيبة .

ولعل من أهم أسباب تقوية روح التضامن الإسلامي العمل على تعميم وسائل الإعلام، بنشر بعض الصحف اليومية لكي يتداولها الناس في جميع العواصم الإسلامية باللغة العربية وبعض اللغات الإسلامية الحية، على أن تبني هذه الصحف القضايا الإسلامية وتطالب بحقوق المسلمين المستضعفين وتعرف الناس بالأقليات الإسلامية وما

تعرض له من مشكلات ، ولا شك أن اطلاق القمر الصناعي العربي بعد تسعة أشهر - بإذن الله - سوف يتيح فرصاً سانحة عظيمة لنشر الدعوة الإسلامية وربط أواصر العالم الإسلامي والعمل على تضامنه ووحدته .

### الاعلام وأصالة التضامن الإسلامي :

والتضامن الإسلامي ليس دعوة مستحدثة ، ولا فكرة جديدة ، ولا هو عمل سياسى لغايات مؤقتة ، وعلى الإعلام أن يرسخ في أذهان المسلمين أن التضامن هو جوهر الدعوة الإسلامية ، وبغيره لا يمكن أن يستقيم للمسلمين حال ، ولا أن ينتظم عمل ، ولا أن يحقق الإسلام ذاته في ديار المسلمين .

إن وحدة المسلمين واتفاق كلمتهم قد جعلت من العرب قوة ناجزت أعظم قوتين في العالم هما دولة الفرس ودولة الروم ، كما سارت مواكب المجد الإسلامي - بفضل الوحدة - مشرقة ومغربة توسع ديار الإسلام ، رافعة رايته خفاقة ، وحاملة رسالته مضيئة منيرة مشعة في الخافقين .

والمسلمون لا يجهلون أن سقوط الأندلس يرجع إلى تمزق الصف العربى والإسلامى وكثرة دويلات المسلمين ، وتسلل العناصر المتآمرة إلى صفوف تلك الدويلات ، والركون إلى الترف والتعرض للأفكار المنحرفة والعقائد الشاذة .

على أن الحاجة إلى تنظيم الدعوة للتضامن قد أصبحت ملحة للغاية ، ولا بد أن تقوم على أسس مدروسة وخطط علمية ، وهنا يقوم الاعلام بدور هام في تعميق الاحساس بالحاجة إلى التضامن ، وتصوير الإطار الذى تدور فيه كل الوسائل والعوامل السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية المؤدية إلى وحدة الأمة الإسلامية وتضامنها بما هو يعود على دينهم ودنياهم بالخير والنفع والبركة .

### الإعلام وتحقيق التضامن الإسلامي :

ولا تخلو الساحة الإسلامية من الجهود الطيبة لاذكاء روح التضامن ، مثال ذلك إنشاء رابطة العالم الإسلامي التى تعتبر بحق من أروع مظاهر التضامن الإسلامي ، وهى التى تبذل جهوداً طيبة في حقل الإعلام لتجسيد دعوة التضامن وأبرازها إلى حيز الوجود على أسس عملية وعلمية في آن واحد .

لقد ظهرت رابطة العالم الإسلامي بنتيجة القرار الذي اتخذته « المؤتمر الإسلامي » الذي انعقد في مكة المكرمة عام ١٣٨١ هـ ، وقد عبرت المقررات التي اتخذها المؤتمر عن مدى الأحساس بضرورة تقوية الروابط بين المسلمين ، وتحقيق التقارب والتعاون فيما بينهم ، فجاء في مقدمة تلك القرارات :

« يؤكد المؤتمر الإسلامي إيمانه برابطة الأخوة بين المسلمين ، ويعتبرها الرابطة الحقيقية بين سائر الشعوب الإسلامية ، كما يعلن المؤتمر أن أخوة الإسلام فريضة الله على كل مسلم تربطه بأخيه المسلم مهما كان جنسه ووطنه ، وأن هذه الأخوة ظلت دائماً ركيزة القوة وخصيصة المجتمع الإسلامي في كل عهود العزة والمنعة في تاريخ المسلمين ، وأن كل عصبية دون الإسلام تقع تحت قول رسول الله ﷺ « ليس منا من دعا إلى عصبية » وكل دعوى باسم القومية أو غيرها تفرق بين المسلمين وتتخذ بطانة من دونهم هي من دعاوى الجاهلية الباطلة التي أنكرها رسول الله ﷺ ، ولا يستفيد منها إلا أعداء الإسلام والمسلمين » .

« ويجد المؤتمر من واجبه أن يهيب بالعرب خاصة أن يذكروا أن اجتماع شملهم إنما كان في حجر الإسلام أول مرة ، وأنه لم يجتمع لهم شمل إلا في ظل أحكامه وسلطانه ، وأنهم حملوا رسالة الإسلام إلى الدنيا فدانت لدعوتهم شعوب آثرت أخوة الإسلام على قومياتها ، وأصبح ولاؤها منذ أسلمت للإسلام وأمة الإسلام ، فجدير بالعرب حملة الرسالة الأولى أن يكونوا القدوة في الحفاظ على أخوة الإسلام ، وأن يعتبروا كل توهين لها عدواناً على تاريخهم وانتقاصاً من قوتهم ، وانحرافاً عن طريق وحدتهم » .

والذي يهمننا في هذا الصدد هو دور الإعلام في تحقيق التضامن الإسلامي عن طريق التعاون الثقافي بين الدول الإسلامية ، وتعريف كل من الشعوب الإسلامية بالمعطيات الثقافية التي أنتجتها شعوب إسلامية أخرى ، وبأوضاع كل دولة إسلامية وحياتها ومشكلاتها وانجازاتها .

ومن الممكن إنشاء مؤسسة ثقافية إسلامية كبرى ذات نشاط إسلامي شامل تمارس عملها في جميع أنحاء العالم سواء بنشر المؤلفات أو ترجمتها أو باصدار الكتب والصحف الإسلامية التي تنطق باسم المسلمين جميعاً وتكون ذات شكل إعلامي حديث عصري متطور ، بالإضافة إلى تبادل الخدمات والبرامج والأشخاص بين المؤسسات الإعلامية الإسلامية .

وإن الدور الذى يلعبه التعاون الثقافى والإعلامى بين الدول الإسلامية كفىل بتنظيم الرأى العام الإسلامى وتوجيهه وفق مقتضيات مبادئ التضامن الإسلامى بأشمل معانيه وكافة تفاصيله ، كما يمكنه قيادة تطوير المجتمع الإسلامى نفسه على ضوء الشريعة الإسلامية ، وتحقيق التجانس والتقارب بين فئاته بصورة تجعل كل شعب إسلامى قادراً على الاستفادة من التجارب المفيدة للشعوب الإسلامية الشقيقة الأخرى .

### أساليب الإعلام والدعوة الإسلامية :

ويتمثل الدور الذى يقوم به الإعلام فى تحقيق التضامن الإسلامى فى عدة أمور أهمها تبليغ دعوة الإسلام وشرح مبادئها وتعاليمها ودحض الافتراءات والشبهات عنها ، ومجاهدة المؤامرات الماكرة الخطيرة التى يريد بها أعداء الإسلام من الصهاينة والشيوعيين والصلبيين فتنة المسلمين عن دينهم وتمزيق وحدتهم وأخوتهم .

ومن أهم وسائل الدعوة اجتماع علماء المسلمين المرموقين وكبار دعاة الإسلام لتبادل الرأى وتنسيق الجهود والنظر فى تقوية وسائل الدعوة وتجديدها باستمرار ، وتبادل الخبرات والتجارب فى ميدان الدعوة والإعلام الإسلامى .

ولما كان الحج من أهم المواسم الدينية والإعلامية فى وقت معاً ، كان من الضرورى انتقاء صفوة من أقوى الدعاة بمختلف اللغات لإذكاء مشاعر الأخوة والتضامن ، مع عقد ندوات كبيرة لقيادة الرأى والتوجيه ، لاتخاذ القرارات والتوصيات فى المشكلات والقضايا الإسلامية ، هذا بالإضافة إلى تحقيق التعارف والمودة بين الحجيج .

كما ينبغى دعم أجهزة الاذاعة الإسلامية بالرجال والبرامج وبعده لغات حتى تبلغ الدعوة آذان أكبر عدد ممكن من الناس ، وهنا ينبغى الاستفادة من القمر الصناعى العربى لتحقيق وصول الدعوة الإسلامية إلى جميع أركان المعمورة ، لأن الإسلام دين عالمى شامل وعام . وينبغى ألا تكتفى الإذاعات الإسلامية بتلاوة القرآن الكريم وتقديم بعض المواعظ ، إذ أن العبرة تكمن فى تقديم البرامج العامة أدبية وعلمية وسياسية من منطلقات إسلامية ، وعلى هدى تعاليم الإسلام ومبادئه ، أما أن تترك البرامج سادرة فى غيرها ومتردية فى شكلها ومضمونها ، فذلك مما يتنافى مع طبيعة الإعلام الإسلامى .

### الإعلام قوة حضارية إسلامية :

لقد سارت خطوات التضامن الإسلامى سريعة إلى الأمام بفضل النظرة الشاملة

لعوامل الاخاء والتعاون . ولعل أهم معالم هذه النظرة الشاملة تبدو فيما قرره مؤتمر وزراء خارجية ثلاث وعشرين دولة إسلامية الذي انعقد في كراتشي سنة ١٩٧٠م وبحث موضوع إنشاء مصرف إسلامي دولي تساهم فيه جميع الدول الإسلامية ويستفاد منه في مشروعاتها الإنشائية ، كما درس موضوع إنشاء وكالة أنباء إسلامية دولية تكون هي المصدر الرسمي لأبناء الوطن الإسلامي في العالم كله ، كما بحث موضوع دعم المراكز الثقافية الإسلامية في العالم أجمع ، وإنشاء مراكز إسلامية جديدة ، كما درس موضوع تعميم الثقافة الإسلامية وترسيخ قواعدها وجعلها ثقافة عصرية حضارية تقيس على أسس ثابتة من القيم الإسلامية ، كما كان موضوع الحق الإسلامي في فلسطين على رأس الموضوعات .

وهكذا يتضح لنا الفهم الحقيقي للإعلام على أنه قوة حضارية تتفاعل مع سائر القوى السياسية والاقتصادية والثقافية الأخرى ، فجاء الاهتمام بإنشاء وكالة الأنباء الإسلامية حتى نتخلص من الاعتماد على الوكالات الأوروبية والأمريكية الدولية في استقاء أخبار العالم الإسلامي بوجه خاص والعالم الدولي بوجه عام ، فالاستقلال الاقتصادي بإنشاء المصارف الإسلامية يسير جنباً إلى جنب مع الاستقلال الإعلامي بتقوية وكالة الأنباء الإسلامية التي أقيمت في جدة ، ثم تعزيز المراكز الثقافية الإسلامية في العالم كله للحفاظ على ذاتية الحضارة الإسلامية وتفردا باعتبار أن الأمة الإسلامية هي أمة متفردة في العالم كله .

لذلك يسعى الإعلام إلى تعزيز روح التضامن بين البلاد الإسلامية وتهيئة الجولروح الوحدة ، مع الاهتمام بإشاعة روح التعاون والمساواة التامة بين الدول الإسلامية في الحقوق والواجبات ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، واحترام سيادة كل دولة ووحدتها ، وحل المنازعات بالطرق السلمية الإسلامية عن طريق التفاوض والمناقشات الودية الأخوية ، وتعزيز المبادئ الإسلامية والعمل بمقتضاها ، مع احترام حقوق الإنسان وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية السمحة .

وينبغي على الإعلام الإسلامي أن يعمل على نشر اللغة العربية الفصحى بين الشعوب المسلمة وجعلها لغة التفاهم بين الجميع ، على أن تخصص الصحف والإذاعات برامج مدروسة لتعليم اللغة العربية وتداولها بين المسلمين .

**الإعلام وإشاعة روح التضامن :**

أهم ما يسعى إليه الإعلام في الأمة الإسلامية العمل الإيجابي على بث روح

التضامن والوحدة بين أجزائها . يقول عليه الصلاة والسلام : ( ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى ) . وأقدس واجبات الإعلام ، ومسؤوليته العظمى تكمن في السهر على إشاعة روح الترابط والتماسك للمحافظة على كيان الأمة وحمايتها من الأخطار .

يقول عز من قائل : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾ (١) .

وكما تنضم خلايا الجسم لتكوين الجسد الحي ، فإن الأفراد ينضمون بعضهم إلى بعض ليكونوا الأمة . والسرفى هذا الانضمام هو تولد روح التضامن والتكامل التي تؤدي إلى الترابط والتماسك ، فالمجتمع الإسلامي ينشأ من حمل فرد مثلاً أعلى إلى آخر وهذا هو التبليغ .

والرابطة التي تربط الأمة هي العقيدة الواحدة والهدف الواحد ، والمثل الأعلى الواحد ، والكتاب الواحد والسنة الواحدة ، والثقافة الواحدة والقيم الواحدة والشريعة الواحدة .

والتبليغ وهو الإعلام واجب مقدس لإشاعة روح الترابط والتضامن في الأمة الإسلامية ، وكتمان هذا البلاغ من كبائر الذنوب .

﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلناه من بينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ (٢) ولا يكون البلاغ إكراهاً ﴿ لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي ﴾ (٣) وإنما يكون إقناعاً وترغيباً ، وأما من يعرضون عن البلاغ المبين فهم الذين لا يعلمون أو الذين لم يبذل الجهد الكافي لإقناعهم ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ﴾ (٤) .

مسؤولية الإعلام الإسلامي ومستقبله :

ومما يؤسف له أن الإعلام في البلاد الإسلامية كان مسرحاً للقوى الاستعمارية

(١) الشورى : ٥٢-٥٣ .

(٢) البقرة : ١٥٩ .

(٣) البقرة : ٢٥٦ .

(٤) الأنبياء : ٢٤ .



والمؤامرات الصهيونية والأفكار الشيوعية التي اصطنعت أقلاماً ووجوهاً تنشر المبادئ الهدامة والقيم غير الإسلامية . وحسبنا في هذا الصدد كلمات صدرت عن المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة الذي عقد في صفر سنة ١٣٩٦ هـ . بالمدينة المنورة ، فقد ورد في قرارات المؤتمر :

« ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التي تردى إليها إعلامنا ولا يزال يتردى ، فبدلاً من أن يكون منارة إشعاع ، ومنبر دعوة إلى الخير ، صار صوت إفساد وسوط عذاب وسكت القادة فأقروا بسكوتهم ، أوجاوزوا ذلك فشجعوا وحمو ، وخفت صوت الدعوة وسط ضجيج الإعلام الفاسد ولم يعد الأمر يحتمل السكوت » .

ونأمل أن ينهض الإعلام بالمسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقه وأن تعود الصحافة الإسلامية إلى سابق مجدها ، فقد لمعت والحمد لله صحف فذة من أمثال المنار للشيخ محمد رشيد رضا ووادي ميزاب للعلامة الجزائري عبد الحميد بن باديس ، وقد قامت الصحافة بدور خطير في قيادة الرأي العام الجزائري لمقاومة الاستعمار بفضل صحيفة البيان وصحيفة الشريعة .

وقد أصدر الحزب الإسلامي في أفغانستان مجلة إسلامية اسمها « الموقف » وأصدرت جمعية أفغانستان الإسلامية مجلة « صوت الجهاد » لتتخط بلسان المجاهدين هناك ، وهاتان المجلتان صدرتا بعد الاحتلال الشيوعي الغاشم لأفغانستان المسلمة ، وهذا دليل على قوة الصحوة الإسلامية ، وقدرة الإعلام على المشاركة في الجهاد .

وإن واجب الإعلام أن يبين للأمة سبل التضامن ، ويقيننا أن الركب واصل - بإذن الله تعالى - إلى هدفه المنشود ، لجمع ما تشتت من شمل الأمة ، ولإعادة بناء ما تهدم من بنيانها ، ولفتح صفحات جديدة في تاريخ العالم ، مؤكداً أن أمة محمد عليه الصلاة والسلام لن تموت ما وفيت للرسالة ، وما قامت بالدعوة ، وما عملت بالأمر الآلهي بالوحدة والتضامن والتآلف والتعاقد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحابه والتابعين .

# مِنَ الْفَتَاوَى الشَّرْعِيَّةِ

## حُكْمُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالِإِشَارَةِ إِلَيْهَا بِالْحُرُوفِ

لِسَمَاعَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَازٍ  
الرَّئِيسِ الْعَامِ لِلدَّارَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَالرَّعْوَةِ وَالْإِثَارَةِ

● سألتنا الأخت : «س : ر : ج» من الكويت عن حكم الإشارة إلى اسم رسول الله ﷺ بحرف أو بعدة حروف . . . وقد تلقينا من فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ما يفى الغرض من مشروعية الصلاة على النبي ﷺ وعدم الإشارة إليها ببعض الحروف .

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه أما بعد :-

فقد ارسل الله رسوله محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا، ارسله بالهدى والرحمة ودين الحق، وسعادة الدنيا والآخرة لمن آمن به وأحبه واتبع سبيله ﷺ، ولقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده فجزاه الله عن ذلك خير الجزاء وأحسنه وأكمله .

وطاعته ﷺ وامثال أمره واجتناب نهيهِ من أهم فرائض الإسلام وهي المقصود من رسالته . والشهادة له بالرسالة تقتضى محبته واتباعه والصلاة عليه في كل مناسبة وعند ذكره لأن في ذلك أداء لبعض حقه ﷺ وشكراً لله على نعمته علينا بإرساله ﷺ .

وفي الصلاة عليه ﷺ فوائد كثيرة منها امثال أمر الله سبحانه وتعالى والموافقة له في الصلاة عليه ﷺ والموافقة لملائكته أيضاً في ذلك قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .

ومنها أيضاً مضاعفة أجر المصلى عليه ورجاء إجابة دعائه وسبب لحصول البركة ودوام محبته ﷺ وزيادتها وتضاعفها وسبب هداية العبد وحياة قلبه فكلما أكثر الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره ولا شك في شيء مما جاء به .

كما أنه صلوات الله وسلامه عليه رغب في الصلاة عليه بأحاديث كثيرة ثبتت عنه منها ما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا» وعنه رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم» وقال ﷺ: «رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على» .

وبما أن الصلاة على النبي ﷺ مشروعة في الصلوات في التشهد ومشروعة في الخطب والادعية والاستغفار بعد الأذان وعند دخول المسجد والخروج منه وعند ذكره وفي مواضع أخرى فهي تتأكد عند كتابة اسمه في كتاب أو مؤلف أو رسالة أو مقال أو نحو ذلك لما تقدم من الأدلة . والمشروع أن تكتب كاملة تحقيقاً لما أمرنا الله تعالى به ، وليتذكر القارئ عند مروره عليها ولا ينبغي عند الكتابة الاقتصار في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ على كلمة (ص) أو (صلعم) وما أشبهها من الرموز التي قد يستعملها بعض الكتبة والمؤلفين لما في ذلك من مخالفة أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ مع أنه لا يتم بها المقصود وتندم الافضلية الموجودة في كتابة «ﷺ» كاملة . وقد لا ينتبه لها القارئ أولاً يفهم المراد بها ، علماً بأن الرمز لها قد كرهه أهل العلم وحذروا منه .

فقد قال ابن الصلاح في كتابه علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح في النوع الخامس والعشرين من كتابة الحديث وكيفية ضبط الكتاب وتقييده قال ما نصه :

التاسع : أن يحافظ على كتابة الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ عند ذكره ولا يسأم من تكرير ذلك عند تكرره فإن ذلك من أكبر الفوائد التي يتعجلها طلبة الحديث وكتبته ومن أغفل ذلك فقد حرم حظاً عظيماً . وقد رأينا لأهل ذلك منامات صالحة ، وما يكتبه من ذلك فهو دعاء يشبهه لا كلام يرويه فلذلك لا يتقيد فيه بالرواية . ولا يقتصر فيه على ما في الأصل .

وهكذا الأمر في الثناء على الله سبحانه عند ذكر اسمه نحو عز وجل وتبارك وتعالى وما ضاهى ذلك إلى أن قال: «ثم ليتجنب في إثباتها نقصين أحدهما أن يكتبها منقوصة صورة رامزاً إليها بحرفين أو نحو ذلك ، والثاني : أن يكتبها منقوصة معنى بالأا يكتب وسلم وروى عن حمة الكنانى - رحمه الله تعالى - أنه كان يقول كنت أكتب الحديث وكنت اكتب عند ذكر النبي صلى الله عليه ولا اكتب (وسلم) فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لى مالك لا تتم الصلاة على؟ . قال: فما كتبت بعد ذلك صلى الله عليه إلا وكتبت (وسلم) إلى أن قال ابن

الصلاح : قلت ويكره أيضاً الاقتصار على قوله (عليه السلام) والله أعلم . انتهى المقصود من كلامه - رحمه الله تعالى ملخصا .

وقال العلامة السخاوى - رحمه الله تعالى - في كتابه فتح المغيث شرح الفية الحديث للعراقى ما نصه : واجتنب أيها الكاتب (الرمز لها) أى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ في خطك بأن تقتصر منها على حرفين ونحو ذلك فتكون منقوصة صورة كما يفعله (الكسائى) والجهلة من أبناء العجم غالبا وعموم الطلبة فيكتبون بدلا من ﷺ (ص) أو (صم) أو (صلعم) فذلك لما فيه من نقص الأجر لنقص الكتاب خلاف الأولى .

وقال السيوطى - رحمه الله تعالى - في كتابه تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى : ويكره الاقتصار على الصلاة أو التسليم هنا وفى كل موضع شرعت فيه الصلاة كما فى شرح مسلم وغيره لقوله تعالى : ﴿ صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ إلى أن قال : ويكره الرمز إليها فى الكتابة بحرف أو حرفين كمن يكتب (صلعم) بل يكتبها بكاملها . انتهى المقصود من كلامه - رحمه الله تعالى مخلصا .

هذا وصيتى لكل مسلم وقارىء وكاتب أن يلتمس الأفضل ويبحث عما فيه زيادة أجره وثوابه ويتعد عما يبطله أو ينقصه . نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا لما فيه رضاه انه جواد كريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

## السفر إلى بلاد الكفرة

● تقوم بعض المؤسسات بالنشر فى الصحف داعية أبناء المسلمين لقضاء العطلة الصيفية فى البلاد الغربية لتعلم اللغة الانكليزية .

وللأجابة على ذلك نشر توضيح فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز حول هذا الموضوع :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده نبينا محمد وعلى آله وأصحابه واتباعه إلى يوم الدين أما بعد . . .

فقد أنعم الله على هذه الأمة بنعم كثيرة وخصها بمزايا فريدة وجعلها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . وأعظم هذه النعم نعمة الإسلام الذى ارتضاه الله لعباده شريعة ومنهج حياة وأتم به على عباده النعمة وأكمل به

الدين قال تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ . ولكن أعداء الاسلام قد حسدوا المسلمين على هذه النعمة الكبرى فامتألت قلوبهم حقداً وغيظاً وفاضت نفوسهم بالعداوة والبغضاء لهذا الدين وودوا لو يسلبون المسلمين هذه النعمة أو يخرجونهم منها كما قال تعالى فى وصف ما تختلج به نفوسهم : ﴿ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء﴾ . وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عتتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون﴾ . وقال عز وجل : ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألستهم بالسوء وودوا لو تكفروا﴾ . وقال جل وعلا : ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا﴾ . والآيات الدالة على عداوة الكفار للمسلمين كثيرة . والمقصود أنهم لا يألون جهداً ولا يتركون سبيلاً للوصول إلى أغراضهم وتحقيق أهدافهم فى النيل من المسلمين إلا سلكوه ولهم فى ذلك أساليب عديدة ووسائل خفية وظاهرة فمن ذلك ما ظهر فى هذه الأيام من قيام بعض مؤسسات السفر والسياحة بتوزيع نشرات دعائية تتضمن دعوة أبناء هذا البلد لقضاء العطلة الصيفية فى ربوع أوروبا وأمريكا بحجة تعلم اللغة الانجليزية ووضعت لذلك برنامجاً شاملاً لجميع وقت المسافرين . وهذا البرنامج يشتمل على فقرات عديدة منها ما يلى :

(١) اختيار عائلة انجليزية كافرة لإقامة الطالب لديها مع ما فى ذلك من المحاذير الكثيرة .

(ب) حفلات موسيقية ومسارح وعروض مسرحية فى المدينة التى يقيم فيها .

(ج) زيارة أماكن الرقص والترفيه .

(د) ممارسة رقصة الديسكو مع فتيات انجليزيات ومسابقات فى الرقص .

(هـ) جاء فى ذكر الملاهى الموجودة فى إحدى المدن الإنجليزية ما يأتى (أندية ليلية ،

مراقص ديسكو، حفلات موسيقى الجاز والروك، الموسيقى الحديثة، مسارح ودور سينما وحانات انجليزية تقليدية) .

وتهدف هذه النشرات إلى تحقيق عدد من الأغراض الخطيرة منها ما يلى :

١ - العمل على انحراف شباب المسلمين واضلالهم .

٢ - إفساد الأخلاق والوقوع فى الرذيلة عن طريق تهيئة أسباب الفساد وجعلها فى

متناول اليد .

- ٣ - تشكيك المسلم في عقيدته .
- ٤ - تنمية روح الاعجاب والانبهار بحضارة الغرب .
- ٥ - تخلقه بالكثير من تقاليد الغرب وعاداته السيئة .
- ٦ - التعود على عدم الاكتراث بالدين وعدم الالتفات لأدابه وأوامره .
- ٧ - تجنيد الشباب المسلم ليكونوا دعاة التغريب في بلادهم بعد عودتهم من هذه الرحلة وتشبعهم بأفكار الغرب وعاداته وطرق معيشتة .

إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد الخطيرة التي يعمل أعداء الإسلام لتحقيقها بكل ما أوتوا من قوة وبشتى الطرق والأساليب الظاهرة والخفية وقد يتسترون ويعملون بأسماء عربية ومؤسسات وطنية امعانا في الكيد وابعادا للشبهة وتضليلا للمسلمين عما يرومونه من أغراض في بلاد الإسلام . لذلك فإننى أحذر إخوانى المسلمين في هذا البلد خاصة وفي جميع بلاد المسلمين عامة من الانخداع بمثل هذه النشرات والتأثر بها وادعوهم إلى أخذ الحيطة والحذر وعدم الاستجابة لشيء منها فإنها سم زعاف ومخططات من أعداء الإسلام تفضى إلى إخراج المسلمين من دينهم وتشكيكهم في عقيدتهم وبث الفتن بينهم كما ذكر الله عنهم في محكم التنزيل قال تعالى : ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ الآية كما أنصح أولياء أمور الطلبة خاصة بالمحافظة على أبنائهم وعدم الاستجابة لطلبهم 'سفر إلى الخارج لما في ذلك من الاضرار والمفاسد على دينهم وأخلاقهم وبلادهم كما أسلفنا وارشادهم إلى أماكن النزهة والاصطياف في بلادنا وهي كثيرة بحمد الله والاستغناء بها عن غيرها فيتحقق بذلك المطلوب وتحصل السلامة لشبابنا من الأخطار والمتاعب والعواقب الوخيمة والصعوبات التي يتعرضون لها في البلاد الأجنبية . هذا وأسأل الله جل وعلا أن يحمى بلادنا وسائر بلاد المسلمين وأبنائهم من كل سوء ومكروه وأن يجنبهم مكائد الأعداء ومكرهم وأن يرد كيدهم في نحورهم كما أسأله سبحانه أن يوفق ولاية أمرنا لكل ما فيه القضاء على هذه الدعايات الضارة والنشرات الخطيرة وأن يوفقهم لكل ما فيه صلاح العباد والبلاد إنه ولى ذلك والقادر عليه صلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه واتباعه بإحسان إلى يوم الدين .



## آراء وتوافق هلاله الملك لخدمة الإسلام بمناسبة اختياره لجائزة الملك فيصل

استقبلت الاوساط العالمية والثقافية في العالمين العربي والإسلامي . . . نبأ اختيار جلالة الملك فهد من قبل جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام . . . بارتياح كبير . . . لتجاوبه مع طبيعة قناعاتها بعظمة الدور الذي يضطلع به جلالاته على الساحتين لخدمة العقيدة الإسلامية ونشرها في مختلف ربوع الأرض، ورعاية شؤون المسلمين، وخدمة مصالحهم في كل مكان من هذا العالم . . .

### ● حيثيات القرار :

أولاً : اجتمعت اللجنة على اختيار جلالاته فائزاً وحيداً بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام وذلك لما عرف به جلالاته شرقاً وغرباً قبل توليه رئاسة الدولة وبعدها من عزيمة ثابتة وجهد صادق وعمل في خدمة الإسلام والمسلمين في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . . . وغيرها وعلى الأخص فيما يأتي :

(١) جهود جلالاته الخيرة في جمع الشمل ورأب الصدع للأمة العربية والإسلامية . . . ومسعى المملكة العربية السعودية بقيادته لتحقيق التضامن الإسلامي . وما بذله وبذله من جهود جادة ومستمرة من أجل انهاء مشكلة لبنان وتخفيف آلامه، ودعم القضية الفلسطينية . . .

(٢) اسهامات جلالاته الخاصة والرسمية باسم المملكة في كل ما يضمه جراح المسلمين من آثار المحن والكوارث ومد يد العون لجميع الأقليات الإسلامية في بلاد العالم والوقوف بجانبها . . .

(٣) تركيز الدعوة إلى الله ونشرها وحمايتها ومساندتها بما يرسل من دعاة يتحملون أعباء هذه الأمانة في مختلف البلاد الإسلامية وغيرها . . .

(٤) العمل المستمر في سبيل نهضة البلاد وعمله المتميز المتواصل في سبيل خدمة الحرمين الشريفين ورعاية وفود الرحمن وتيسير اداء مناسك الحج والعمرة إليها . . .

من هذه الحثيات نخرج بأن اختيار جلالته جاء إقراراً لواقع قائم بالفعل فلا أحد يطاوله بل ولا أحد يمكن أن يقترب من درجته في الوقت الراهن فيما أدى للإسلام من خدمات وفيما اسبغ على الأمة الإسلامية من رعاية وعناية . فجلالته على مسرح الأحداث العربية والإسلامية . . . بل وكذلك الدولية يصول ويجول يهدى من عقيدته الراسخة ويهدى من تعاليم الإسلام القوية . . . فهو في كل سلوكه انما يتصرف تصرف المؤمن الذي يخشى الله ويتقيه فخشية الله تنسحب على منهاج حياته كإنسان وكمسئول . . .

### ● الإسلام في سلوك الفهد :

فمنذ أن كان جلالته ولياً للعهد كانت اهتمامات جلالته إسلامية بحتة . . . ففي لقاء مع اعضاء ندوة دور المساجد في المجتمع المعاصر والتي عقدت في الرياض في ١٣٩٨/٣/٨ هـ أكد جلالته أن هدف المملكة نصرته الإسلام والمسلمين ونصرة العقيدة وقال جلالته : أن العالم في جميع قاراته يحمل العرب مسؤولية كبيرة تجاه نشر العقيدة . وقال : ان دفع التضامن الإسلامي والاستمرارية في الدفاع عن العقيدة الإسلامية هي مسؤولية الجميع امام الله وامام الأجيال . وأكد جلالته ان المملكة تبذل محاولة أكيدة مع الدول الصديقة في جميع القارات لفتح مدارس إسلامية من أجل تثقيف بنين وبنات المسلمين للمحافظة على عقيدتهم ولغتهم . . . وبهذه المناسبة نذكر ان جلالته عندما كان ولياً للعهد تبرع بمبلغ ٢٩٦٨٦ دولار لمشروع شراء مركز إسلامي وبناء مسجد فيه بولاية انديانا بأمریکا (في ١٣٩٩/٨/٢٤ هـ) .

وكذلك أقام جلالته الملك فهد وعلى نفقته الخاصة أيضا مشروع مسجد ومدرسة ومستوصف وصالة للألعاب الرياضية ومكتبة تضم الآف الكتب وذلك بمدينة طنجة بالمغرب (في ١٤٠٣/٥/٢١ هـ) .

هذان النموذجان لاهتمام جلالته الفهد بالدعوة الإسلامية وهو ولي للعهد ثم وهو ملك انهما مثالان فقط . . .

وسنأخذ خطاب جلالته عندما كان ولياً للعهد وذلك في ١٣٩٨/١٢/٧ هـ الذي وجهه جلالته للحجاج كنموذج لمفهوم الإسلام عند جلالته الفهد قال جلالته :  
«أيها الأخوة في الله يسعدني وقد التقى جمعكم الكريم هذا في أقدس البقاع وأطهرها



املا في الرحمة ورجاء في المغفرة وتطلعا إلى خير العواقب وإنى أرحب باسم جلالة الملك خالد وباسمى واسم اخوانكم شعب وحكومة المملكة العربية السعودية واتمنى لكم حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا . . .

أيها الأخوة في الله ان المملكة العربية السعودية قادرة بعون الله وتوفيقه على تحمل مسئولياتها التاريخية تجاه الأمة الإسلامية والعربية تجاه الإنسانية بأسرها وسعيدة بما شرفها الله من خدمة لضيوف بيته العتيق . . . ونحن ننتقل في هذا من منطلقين هما :  
أولا : تعزيز الدعوة إلى الله ونشرها والعمل على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم ودعم قدراتهم حتى يتمكن معا من استرداد الحق التاريخي لهذه الأمة الرائدة ونجعلها من جديد في مصاف الأمم القوية القادرة على أن تؤكد وجودها وتحقق أدوارا هامة وتساهم في صناعة وبناء المجتمع البشرى إن شاء الله . .

ثانيا : تكريس الأمن والاستقرار في الداخل ليكونا اساسا في التعامل مع الغير ومنطلقا إلى خدمة الأمم الأخرى والعيش ضمن اطار الاسرة الدولية على أرفع درجات . . .

أيها الأخوة في الله ان الأمة الإسلامية العظيمة يجب ان تقوم بدورها الصحيح الطبيعي في انقاذ البشرية من الضلال وقيادتها من الظلام إلى النور . . .  
وعائنا أن ندرك تماما بان لا عزة لنا بدون الإسلام . والخطاب يسير على هذا المنوال من وضع دستور اخلاقي يحدد منهج العمل في المملكة العربية السعودية ونظرتها نحو الإسلام ونحو الدعوة الإسلامية ونحو الإنسان المسلم القوى القادر الذي يجيا بين حضارة تقوم على أعظم رسالة عالمية هي الإسلام ولو كان الأمر فيه متسعا لاتينا على باقى هذا الحديث الذى يصدر من قلب مؤمن بالله محب لجميع المؤمنين والمسلمين .

وقد أكد الفهد على قوة المسلم وذلك في حديث نشرته جريدة البلاد بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٣٩٩ هـ وكان وليا للعهد . قال جلالتة :

«إذا كان هناك خيار بين الحرب والسلم فنحن نختار السلام القائم على العدل والحق . أما إذا فرضت علينا الحرب فإننا لن نتخاذل ونبذل كل قوانا ومجهوداتنا فيها» .

وقال : جلالتة أننا نؤمن دوما ان النجاح في السلام أوفى الحرب مرهون بقوتنا كأمة وبوحدتنا وتضامنا . . .

وأشار جلالته ان القوة الحقيقية هي قوة الإنسان وقال: ان طريقنا الوحيد لحل مشكلاتنا هو تحقيق القوة في الفرد العربي والمجتمع والقوة بتوحيد الجهود المبعثرة... .  
وفي حديث لمجلة نيوزويك الأمريكية ونشر في صحيفة الرياض بتاريخ ١١/٢/١٣٩٩هـ :

كرر جلالته القول : «بأننا دعاة وحدة الكلمة وجمع الشمل على الصعيدين الإسلامي والعربي... . ونحن دعاة السلام العادل الشامل الذي يرضى أصحاب الحق بالدرجة الأولى». وقال جلالته: «نحن دعاة الرخاء وتوازن الاقتصاد العالمي على ان نكون جميعا شركاء في مسئولية اتاحة الرخاء والتوازن العالمي» .

وفي كلمة ألقاها جلالة الفهد أمام أعضاء المؤتمر الجغرافي الإسلامي الذي عقد اجتماعاته في الرياض في ٢٢/٢/١٣٩٩هـ عندما كان وليا للعهد طالب بتصحيح العقيدة الإسلامية... . والعناية بها والتجمع على اساسها إذا ما أرادوا اليوم ان ينهضوا وأكد جلالته على أهمية العقيدة الإسلامية في جمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم .

وحرصا من جلالته على سلامة القرآن الكريم فقد أصدر جلالته تعليماته وتوجيهاته إلى الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية في ٢٦/١/١٤٠٠هـ بتعميم قرار مجلس هيئة كبار العلماء القاضي بتحريم كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية أو غيرها من حروف اللغات الأخرى - على السفارات في الخارج لتقوم بابلاغه لجميع الجهات والهيئات والجمعيات العاملة في مجال العمل الإسلامي لتكون على علم ودراية لما تقرر... .

وفي ٣٠/٢/١٤٠٠هـ نشرت هذه الصحيفة هذا الخبر :  
«أصدر صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز توجيهاته بضرورة العناية بمنطقة المشاعر حتى يمكن للمسلمين قضاء مناسكهم بسهولة ويسر بحيث تعبر هذه العناية عن تلبية احتياجات المسلمين ومتطلباتهم .

وقد تضمنت هذه التوجيهات توسعة منطقة الجمرات بمنى بزيادة عرض الشوارع الفردية لها إلى ٣٥ مترا خصوصا شارعى جلالة الملك فيصل وسوق العرب وذلك لضمان انسياب افواج ضيوف الرحمن بسهولة ويسر... .

كما أصدر سموه توجيهاته بدراسة انشاء ٦ انفاق في منطقة المشاعر لتسهيل المواصلات مما يقضى على الأختناقات وتبلغ التكاليف الاجمالية لتنفيذ هذه المشروعات ٢٠٠ مليون ريال... .

وفي أول خطاب ملكي وجهه جلالة الملك فهد والذي حدد فيه ابعاد المرحلة القادمة قال جلالاته (في ٢٤ شعبان ١٤٠٢هـ) مركزا على ضرورة التمسك بكتاب الله وسنة رسوله إذ لا تقدم إذا ما انفصلت الأمة عن تراثها الديني والحضاري وقال: «ان الإنجاز الأساسي قبل كل شيء هو العقل فصناعة الإنسان هي الأساس فالمال يذهب والرجال وحدهم الذين يصنعون المال إننا نريد قاعدة شعبية متعلمة وهذا هو السر في التركيز على بناء المدارس والجامعات ومعاهد التدريب . . .

وأكد جلالاته على التضامن العربي والإسلامي لتحقيق رفعة الأمة الإسلامية وتمكينها من أن تبدأ وضعها الطبيعي في العالم ولتمكينها من التصدي للأطماع والأخطار . . .

وأكد جلالاته على التوجيه الإنساني من مفهوم تردى الحضارة المادية واستبعادها عن العامل الروحي الذي يحدث التوازن والذي يحول بينها وبين النزعات الشريرة والعدوانية . . . ويتأتى ذلك بتكثيف الدعوة الإسلامية .

وفي خطاب جلالة الملك فهد امام رؤساء بعثات الحج والشخصيات الإسلامية وضيوف الرحمن في ١٥ ذى الحجة ١٤٠٢هـ قال جلالاته :

«إننا لا نكتفى إن شاء الله بما تحقق من انجازات وسوف نواصل العمل على تطوير مناطق الحج في مكة المكرمة والمشاعر المقدسة وعلى تطوير مدينة الرسول ﷺ المدينة المنورة» .  
وقال جلالاته : «إننا مهما بذلنا من جهد فهو أقل من طموحنا ولا يزال امامنا الكثير مما نريد عمله بعون الله وتوفيقه حتى نخفف مما يلاقيه الحاج من مصاعب ونحن نعلم مهما بذلنا من الجهود ان المشقة جزء من أداء المناسك وقد قال تعالى في محكم كتابه : ﴿ ما كنتم بباليغيه إلا بشق الأنفس ﴾ ولا شك أن هذه إرادة الله سبحانه وتعالى ليجزل لعباده في الأجر والثواب والمغفرة في هذا النسك العظيم . . .

واستطرد جلالاته يقول :

«اننى أعلنها صريحة امامكم انه ليس لدينا التزامات أو ارتباطات مع اية دولة أجنبية على حساب عقيدتنا أو على حساب وطننا ومواطنينا أو على حساب دولة شقيقة عربية كانت أم إسلامية .

وفي الحفل الأول لجائزة الدولة التقديرية في الأدب في ٢٨ محرم ١٤٠٤ دعا جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى الأمة العربية إلى التمسك بالعبقيرة الإسلامية وأكد جلالاته أنه لن يكون للأمة العربية أى وزن وقيمة إلا إذا عادت إلى القاعدة الصحيحة . وهى

القاعدة الإسلامية وهكذا نرى جلالته في كل مناسبة يدعو فيها إلى التمسك بأهداب الإسلام والقيم الإسلامية والعودة إلى الأصالة . . .

● الاهتمام بفلسطين من منطلق إسلامي :

تقع فلسطين عامة والقدس خاصة في قلب اهتمامات جلالة الملك فهد وهذا الاهتمام يأتي أساسا من منطلق إسلامي لما للقدس من موقع هام في المقدسات الإسلامية .

وقد امتد اهتمام جلالة الملك بفلسطين والقضية الفلسطينية منذ أن كان وليا للعهد .

فجلالته في خطابه في بون بالمانيا الغربية امام المستشار هيلموت شميت مستشار المانيا الغربية طالب الدول الأوروبية بالمساهمة في حل القضية الفلسطينية وقال :

«لاشك ان دول أوروبا تستطيع أن تلعب دورا رئيسيا وبناء في حل هذه القضية حلا عادلا وسريعا يعيد الحق إلى نصابه والأرض إلى أصحابها ويمكن الشعب الفلسطيني من الوصول إلى حقوقه . والقدس يا صاحب الدولة لا بد أن تعود إلى وضعها الطبيعي تقام فيها شعائر الأديان كما كان في الماضي ويتم فيها الوصول إلى المثل العليا التي تنادي بها تلك الأديان ونادي بها كل الأنبياء» .

وفي تصريح لجلالته أدلى به لمندوب وكالة الأنباء السعودية حول نتائج مؤتمر القمة العربي التاسع الذي انهى اعماله ببغداد ونشرته صحيفة المدينة في ٧/١٢/١٣٩٨ هـ قال جلالته : «ان المملكة لا تقبل المساس بأي قضية إسلامية في أي مكان ومن باب أولى القدس الشريف» .

وفي حديث نشرته صحيفة البلاد في ٢٣/١/١٣٩٩ هـ أكد جلالته الملك أن سياسة المملكة كانت ولا تزال محددة وثابتة بالنسبة للقضية الفلسطينية لا تردد فيها ولا تعديل وهي من حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى أرضه وتقرير مصيره وبناء دولته المستقلة وعودة الأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧م بما فيها القدس إلى العرب وان الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني هي منظمة التحرير الفلسطينية .

وفي حديث لجلالة الفهد في باريس أمام الصحفيين أكد جلالته ان المملكة العربية السعودية لها موقف عربي وإسلامي ثابت تجاه القدس العربية . . . وقال جلالته ان هذا الموقف يتطلب بالضرورة استعادة القدس إلى الأمة العربية سواء تم ذلك من خلال السلام أو عن طريق الحرب (في ١٨/٦/١٣٩٩ هـ) .

وفي روما أدلى جلالته بتصريح للصحفيين في ٢١/٦/١٣٩٩هـ أكد فيه أن حل مشكلة القدس ضرورة لحل مشكلة الشرق الأوسط وأكد جلالته على عدالة القضية العربية المؤيدة من قبل الأمم المتحدة والمجتمع الدولي .

وعند وصول جلالته إلى الرياض في ٢٣/٦/١٣٩٩هـ بعد جولة في عدد من الدول الأوروبية صرح جلالته بقوله : «القدس بالنسبة لنا حياة أو موت ولا خلافات إلا في خيال مختلقها فقط .

وفي حديث صحفي لجلالته لصحيفة (لوموند الفرنسية) أكد جلالته ان التزام المملكة العربية السعودية تجاه حق الشعب الفلسطيني في العودة إلى أرضه وتقرير مصيره وضمان استقلاله يتساوى مع التزامها بالدفاع والحفاظة على سيادتها . وقال جلالته : «ان حقوق الشعب الفلسطيني جزء لا يتجزأ من تراثنا العربي والوطني والإسلامي والاخلاقي وانه لا يمكن ان يتخلى إنسان عن كل هذه القيم» .

وقال جلالته في حديث لمجلة الحوادث اللبنانية :

«يمكنكم أن تنقلوا على لساني أنه لا سلام بلا القدس العربية وبلا حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره» .

وأضاف جلالته يقول : «لا بد أن يبارس الفلسطينيون حقهم في تأسيس دولة لهم مثل أي شعب مستقل آخر» .

وفي تصريح لوكالة الأنباء السعودية نشرته (عكاظ) في ٣/١٠/١٤٠٠هـ أكد جلالته أنه لا بد أن نقف جميعا وقفة واحدة في معركة واحدة مع اسرائيل مهما طال زمنها وارتفع ثمنها وأن نضع فيها كل الإيثار والتصميم والطاقات والإمكانات وكل غال ورخيص .

وقال جلالته حول اقدام اسرائيل على اعلان كل القدس عاصمة لها أنه عندما بدأت الحركة الصهيونية مدعمة بعصابات الارهابية التي كان مناحم بيجن يتزعم واحدة منها باغتصاب اجزاء من فلسطين عام ١٩٤٨م اعلنت بعض الاوساط العربية حينذاك الجهاد المقدس ضد تلك الغزوة الصهيونية . . . واليوم تعلن اسرائيل كل القدس عاصمة موحدة وابدية لها متحدية مشاعر العرب والمسلمين . . . فهل يلومنا العالم بعد اليوم إذا ما أخذنا الأمور بأيدينا وتصدينا للدفاع عن مقدساتنا ضد هذه الحملة الصهيونية الدينية والعسكرية .

هذا وقد قوبلت دعوة الفهد إلى الجهاد المقدس بالتأييد من العالم العربي والإسلامي كله .

وفي ١٤٠١/١/٥ هـ أكد جلالته الفهد عن أهمية الجهاد المقدس وقال جلالته : « ان الدعوة إلى الجهاد المقدس لم تكن فقط دعوة المسلم إلى حمل البندقية والسيف والتوجه إلى القدس ولكنها دعوة عامة للمسلمين عموما ومن الممكن تنظيمها في مؤتمر القمة أو المؤتمر الإسلامي حتى تكون الدعوة للجهاد دعوة كاملة .

وفي حديث جلالته لضيوف الرحمن في ١٤٠٢/١٢/٧ هـ قال : « لقد شهد العالم الإسلامي في العام الهجري الحالي قضايا ومشاكل بعضها جديد وبعضها قديم متجدد وتعرض لحروب وصراعات دامية وهذه الحروب والصراعات وغيرها استنزفت بلايين الآلاف من المسلمين وان أكثر هذه الأحداث مأساه واثارة للأحزان والآلام المذبحة التي تعرض لها أخواننا الفلسطينيون واللبنانيون في نخمى صبرا وشاتيلا في بيروت مؤخرا وبما يزيد من عمق الأحزان ان الضحايا كانوا من المدنيين العزل من السلاح .

وبهذه المذبحة المنروعة تضيف اسرائيل حلقة سوداء إلى عدوانها الشامل الاجرامى الذى قامت به هذا العام على المقاومة الفلسطينية والشعب اللبناى . . . وانى إذ أحيى بطولة الشعب الفلسطينى والشعب اللبناى المجاهدين الصامدين فى معركة بيروت الخالدة لآمل من قادة وشعوب الأمة الإسلامية تقديم الدعم الكامل والفعلى للمقاومة الفلسطينية ماليا وعسكريا وهى تدخل مرحلة جديدة من الكفاح» .  
واستطرد جلالته يقول :

إننا نجتمع اليوم فى هذه الرحاب الطاهرة بعد ان جمع الله كلمة أمتنا العربية فى فاس ووجد صفوفها وهداها إلى هذه القرارات التاريخية ولله الحمد على جمع صفوفها وتنسيق جهودها والعودة إلى التضامن والتعاون حيث أثبت قدرتها التحدث بلغة واحدة فيها من وضوح الرؤية والتحسب لابعاد المصير ما يدعوننا إلى التفاؤل بمستقبل مشرق لقضايانا إن شاء الله خصوصا إذا وضعت أمتنا الإسلامية ثقلها كما تفعل دائما مع أشقائها العرب وخصوصا إذا تحملت الدول المحبة للسلام فى العالم مسؤولياتها تجاه الضغط على اسرائيل وحملها على قبول السلام العادل المنصف الذى يعطى الأخوة الفلسطينيين حقهم فى تقرير مصيرهم وحقهم فى انشاء دولتهم المستقلة بما فى ذلك عاصمتها القدس الشريف واعادة الأرض العربية إلى أهلها وضمان حق الجميع فى العيش بسلام» .

## ● جلالة الملك وباكستان :

وباكستان من الدول المسلمة تلقى التأييد من جلالة الفهد الذى يؤمن بعزة الإسلام ومنعته والذى يرى فى قوة البلاد الإسلامية قوة للإسلام نفسه .

وفى زيارة قام بها جلالة الفهد «سمو الأمير فهد فى ٢/٢/١٤٠١هـ» لباكستان صرح جلالته بان العالم الإسلامى يواجه تحديات خطيرة . وقال ان المملكة العربية السعودية قوة مساندة لباكستان المسلم . ودعا جلالته الأمة الإسلامية إلى تحكيم الشريعة فى حياتها .

وقال جلالته :

«لابد لنا ونحن فى مطلع القرن الخامس الهجرى من وقفة لالقاء نظرة كاملة بعيدة على أوضاع المسلمين فى كل مكان وعلى حقوقنا وواجباتنا وأن نعد أنفسنا لمواجهة التحديات الخطيرة التى نواجهها وأن نعمل جاهدين ومؤملين بان يشهد هذا القرن عزة المسلمين واحقاق حقوقهم التى أهدرت فى القرن الماضى وان نشهد سلاما قائما على العدل فى العالم» .

«ودعا جلالته كل المسلمين إلى تحكيم كتاب الله فى كل شئونهم وألا يستسلموا لأسباب الفرقة» .

وقال جلالته : «باكستان القوية بقوة إيمانها وعقيدة شعبها هى صمام امان للإسلام» .  
وقال جلالته أيضا : «المملكة العربية السعودية والباكستان متضامتان تحت راية الإسلام» .

## ● أفغانستان البلد المسلم :

قال جلالة الفهد أثناء استقباله لاعضاء المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى فى ٤ ديسمبر ١٩٨٣م : «ان الأمة الإسلامية تواجه الآن الكثير من المخاطر والتحديات ولا بد من أن تصمد امام كل هذه المصاعب وأن تثبت انها أمة قوية بالحق وراسخة برسوخ العقيدة المتمكنة فى نفوس أبنائها» . . . . . وادرف يقول جلالته : «بان الأمة الإسلامية تستطيع ان تكرر كل عوامل الأمن والاستقرار والطمأنينة فى العالم إذا تمسكت بشريعة الله وحافظت عليها وسعت إلى تبنيتها فى حياتها ومعاشها ولم تنجرف وراء المادة وتفقد خصائصها المتميزة .

من هذا المنطلق يقف جلالته بكل حزم وصلابة ضد الغزو السوفيتى الشيوعى لافغانستان الدولة المسلمة وعداء جلالته للشيوعية القديم . . . . . ويبرز هذا العداء فى حديث جلالته عندما كان وليا للعهد فى ٨/٣/١٣٩٨هـ أمام أعضاء ندوة دور المسجد فى المجتمع .

فقد أكد جلالتة ان هدف المملكة هو نصرته الإسلام ونصرة العقيدة . وأشار جلالتة إلى المبادئ والعقائد الهدامة التي تحاول النيل من العقيدة فأكد ضرورة التصدي لها واطهار العقيدة الإسلامية على حقيقتها وفي اطارها الصحيح وقال أن عقيدتنا لم تمنع شيئاً إلا وفيه خير للبشرية ولم تمدح شيئاً إلا لصالح البشرية جمعاء .

وأضاف جلالتة ان العقيدة الإسلامية استمرت شامخة رغم محاولات التصدي المتكررة التي تعرضت لها من المستعمرين في كافة البلدان التي غزوها .

وفي حديث لجلالتة لمجلة نيوزويك الأمريكية في ١٨/٢/١٣٩٩ هـ قال جلالتة : « ان المملكة لا تغير مبادئها في تطبيق الشريعة السمحاء ومحاربة الاحاد . . نحن دعاة سلام ولكن نسعى للسلام المبني على العدل .

وفي ٢/٢/١٤٠١ هـ توجه جلالتة اثناء زيارته لباكستان إلى مدينة بيشاور ولاهور للالتقاء بالمجاهدين الافغان وصرح جلالتة : « ان على الاتحاد السوفيتي ان يرحل عن افغانستان وان ينسحب من الأراضي الافغانية حتى يتمكن الشعب الافغاني من ان يحكم نفسه بنفسه» .

وقال الفهد امام اللاجئين الافغان في ٣/٢/١٤٠١ هـ : « ان الازمة الافغانية جرح عميق في العالم الإسلامي» .

وردا على سؤال عن المساعدات التي تقدم للاجئين الافغان قال جلالتة : «هذا واجب إسلامي ونأمل ان تنتهي هذه المشكلة ويترك الشعب الافغاني في تقرير ما يريد بنفسه وفي نفس الوقت نأمل من جميع الدول ان تساعد الشعب الافغاني سواء في الداخل أو في الخارج بالمساعدات الاستثنائية مثل المواد الغذائية والطبية وما يحتاجه الإنسان واعتقد ان هذا شيء مجاز في أي ظروف كانت ومن المعروف ان الشعب الافغاني يحتاج إلى مثل هذه الأمور وبالأخص اللاجئين الافغان إلى الباكستان حيث لمست حاجتهم إلى مثل هذه الأمور» .

وفي البيان السعودي الباكستاني المشترك الذي أذيع في إسلام آباد والرياض عقب انتهاء زيارة جلالة الفهد لباكستان جاء تأكيد حق تقرير المصير للشعب الافغاني ومساندة نضاله العادل ودعا البيان القوى العظمى إلى عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء .

وفي كلمة جلالتة إلى حجيج بيت الله في ٧/١٢/١٤٠٢ هـ قال جلالتة عن أفغانستان :



«وفي ناحية أخرى من العالم الإسلامي يجارب أخوة لكم في افغانستان من أجل دينهم والمحافظة على استقلالهم وان حركة المقاومة الافغانية تستحق من العالم الإسلامي وكل الشعوب المحبة للسلام التأييد الكافي لتحقيق أهدافها في الحرية والسيادة .  
كما أننا نتطلع ان يأخذ قادة الاتحاد السوفيتي بعين الاعتبار مشاعر العالم الإسلامي تجاه هذه القضية وتأثير ذلك على علاقته ببلادهم وفي مقدمة هذه الاعتبارات حق افغانستان في تقرير المصير والمحافظة على استقلاله .

### ● الدعوة إلى سوق إسلامية مشتركة :

كان جلاله الفهد من أول الداعين لإقامة سوق إسلامية مشتركة وفي ذلك قال جلالته :

«إذا ما نظرنا إلى اقتصاديات الشعوب الإسلامية نجد أن كثيرا من البلاد الإسلامية تعاني من زيادة السكان والبطالة والتضخم .

وهذا الوضع يدعونا إلى النظر بجديّة إلى إقامة سوق إسلامية مشتركة ومنح الأفضلية والأولوية في التجارة وتشغيل العمال والاستثمارات بين الدول الإسلامية وسيكون لذلك إن شاء الله أثر مهم في تخفيف المشاكل الاقتصادية في الدول الإسلامية وزيادة المنافع بين المسلمين وتقوية الروابط الإنسانية والسياسية بينهم وتقليل الاعتماد على الآخرين» .

من هذا المنطلق دعت المملكة في مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي الرابع عشر الذي انعقد في دكا في اوائل ربيع أول سنة ١٤٠٤ هـ إلى أن يولى الجانب الاقتصادي اهتماما بالغا أصبح حقيقة بارزة وملموسة وذلك بمساعدة الدول الإسلامية عن مجابهة الصعوبات التي تعترضها لانجاز مشاريع تتجهها وقد استعرض مندوب السعودية في المؤتمر ما تم من انجازات في هذا المجال من خلال الجهود التي بذلت عبر منظمة المؤتمر الإسلامي واللجان والمؤسسات المختلفة التي كرستها لهذه الاغراض مثل البنك الإسلامي للتنمية وصندوق التضامن الإسلامي وأكد أن المملكة قد أدت واجبها ووفت بجميع التزاماتها وبها وعدت بتقديمه وهو مبلغ ١٠٠٠ مليون دولار الذي أعلنه جلاله الملك فهد بن عبد العزيز المفدى أثناء انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي في مكة المكرمة والذي خصص لدعم برنامج التنمية .

وقال رئيس وفد المملكة في المؤتمران مجموع القروض الانهائية الميسرة التي اعتمدها الصندوق السعودي للتنمية للدول الإسلامية منذ اعلان مكة المكرمة حوالي ٥٢٣٢ مليون ريال سعودي خصصت للمساهمة في تمويل ٧٣ مشروعا في ٢٥ دولة من دول الاعضاء في

منظمة المؤتمر الإسلامي بالاضافة إلى ما تقدمه المملكة بصورة مباشرة للدول الإسلامية من مساعدات غير مستردة وقروض نقدية ميسرة . مؤكدا ان المملكة العربية السعودية بقيادة جلالة الفهد لم ولن تتوقف عن بذل كل جهد وسلوك كل سبيل يؤدي إلى تدعيم هذا التعاون وتقويته وترسيخه إلى الغاية التي يرنو إليها كل مسلم .

### ● الإسلام والسلام :

وحول سؤال عن ما إذا كان في نية جائزة الملك فيصل التوسع وإيجاد جوائز جديدة في ميادين جديدة واستحداث جائزة للسلام في ظل ظروف الحرب التي تضم اجزاء كثيرة من العالم قال سمو الأمير خالد الفيصل : ان كل الجوائز العالمية المنبثقة عن جائزة الملك فيصل هي جوائز للسلام . فخدمة الإسلام جزء من السلام فالإسلام يدعو إلى السلام والمحبة والاخاء والتعايش السلمى بين أبناء البشر .

فالجائزة التي نالها بحق جلالة الفهد وهي جائزة خدمة الإسلام إنما هي أيضا جائزة للسلام . وجلالة الفهد بذل في سبيل السلام ما لم يبذله أحد قط . فهو في خدمة الإسلام كان يسعى إلى السلام والتضامن والوفاق بين الشعوب الإسلامية .

● أليس هو الذي سعى للوفاق والسلام بين سوريا والأردن .

● أليس هو الذي سعى إلى السلام والوفاق بين سوريا والعراق .

● أليس هو الذي سعى إلى السلام وحقن الدماء وانهاء الحرب العراقية - الإيرانية والتي قال عنها أنها لا تخدم هدفا وليس فيه منتصر ومنهزم وأنها دماء تسيل بغير طائل وكان اجدر بها ان تسيل من أجل استعادة الحقوق المسلوبة في فلسطين .

● أليس هو الذي حقن دماء الطوائف اللبنانية المتشاحنة في لبنان وأن السلام الذي ينعم به اللبنانيون الآن في هذه الهدنة إنما هو من صنع يديه الكريمتين .

● أليس هو الذي حقن دماء الفلسطينيين الذين اقتتلوا فيما بينهم من غير طائل ولا هدف .

إن جلالة الملك بحق صانع السلام في هذا العصر ولذلك استحق جائزة خدمة الإسلام . لكل هذا فإن الجائزة . . . اعتراف بالجهود الكبيرة التي صنعت الاستقرار والسلام . . . بدافع من اخلاقيات القرار السعودي الذي يعمل على تكريسه جلالة الملك فهد .

وهي في نفس الوقت تعبير مخلص من مؤسسة علمية كبيرة . . . في عالمنا الإسلامي عما تكنه الشعوب الإسلامية لشخص جلالة الملك فهد من عرفان ومن اعزاز لخدمة قضاياها ورعاية شئونها . . .

« جريدة عكاظ »

أحداث العالم الإسلامي  
لعولمة الشيخ محمد محمد صالح

## جائزة الملك فيصل العالمية

صاحبها جلالة الملك فهد بن عبد العزيز

بنال جائزة في مجال خدمة الإسلام

●● أعلن يوم الأربعاء الموافق الثالث من ربيع الأول ١٤٠٤هـ أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية. وقد اهتمت الأوساط العلمية والثقافية في العالم العربي والإسلامي والمحيط الدولي بخبر الإعلان عن أسماء الفائزين بهذه الجائزة ذلك لما جاء فيهم من شخصيات لها تأثيرها الفعال في مجريات الأحداث السياسية والأدبية والثقافية والعلمية.

فقد حصل جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المعظم حفظه الله على جائزة الملك فيصل العالمية في مجال خدمة الإسلام - فقد قدرت لجنة الاختيار ما قام به جلالتة من جهود وعمل دءوب في خدمة الإسلام والمسلمين في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

●● وفاز الشيخ مصطفى الزرقا بجائزة الملك فيصل للدراسات الإسلامية لما قام به من دراسات علمية دينية قامت على إبراز سمو الشريعة الإسلامية بمقارنة الفقه الإسلامي بالقانون وقد قدم هذه الدراسة في موسوعة فقهية رائعة، وفضيلته عضو بارز في المجمع الفقهي منذ إنشائه ١٣٩٨هـ وقدم للمجمع عدة دراسات فقهية في مواضيع معاصرة.

●● وفاز الأستاذ محمود محمد شاكر بجائزة الملك فيصل في مجال الأدب العربي على كتابه الممتع «المتنبى» والأستاذ شاكر من أعلام الحركة الفكرية والأدبية في العالم العربي وقام بجهود بارزة مشكورة في مجال خدمة التراث العربي والإسلامي. بما حققه من كتب الأدب واللغة والشعر.

●● ومنحت جائزة الطب مناصفة بين كل من الأستاذ جون س فورديتران رئيس قسم الأمراض الباطنية بكلية الطب بجامعة بيلر في دالاس تكساس بالولايات المتحدة

الأمريكية . ونصّفت جائزة الطب بينه وبين المجموعة المكونة من الدكتور وليام جرينوف مدير مركز أمراض الإسهال العالمى فى بنجلاديش ، والدكتور مايكل فيلد الأستاذ بقسم المعاقين ووظائف الأعضاء بجامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية .

●● ومنحت جائزة الملك فيصل العالمية فى مجال العلوم مناصفة بين اثنين من علماء الفيزياء أحدهما العالم الالمانى جيرد بيننج . وثانيهما العالم السويسرى هايزيخ روهير .

هذا وإن اجماع لجنة الاختيار على اختيار صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز للجائزة فى مجال خدمة الإسلام هو اعتراف من الأمة الإسلامية بالخدمات والأعمال الجليلة التى يوالى جلالته تقديمها للإسلام ومد يد العون للمسلمين فى جميع أنحاء الأرض ووقوفه بجانبهم ونصرة قضاياهم .

والفوز بهذه الجائزة لا ترجع قيمته إلى الجانب المادى بل إلى الجانب المعنوى الذى يقدم برهان وفاء من الأمة الإسلامية للعاملين بإخلاص وصدق فى سبيل اعزازها وتوحيدها تحت راية الإسلام .

## قرارات وتوصيات

### مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية

أنهى وزراء خارجية الدول الإسلامية مؤتمرهم الرابع عشر فى يوم الأحد ٧ ربيع الأول ١٤٠٤هـ فى دكا عاصمة بنجلاديش واتخذ الكثير من القرارات والتوصيات التى تناولت أهم القضايا التى تشغل أذهان المسلمين فى العالم الإسلامى .

● فقد ندد المؤتمر بالتدخل العسكرى السوفيتى المستمر فى افغانستان وناشد الدول الاعضاء مراعاة سيادة افغانستان وهويتها الإسلاميه .

● واثنى المؤتمر على الأعمال التى تقوم بها لجنة التضامن الإسلامى مع شعوب الساحل الافريقى وما تقوم به اللجنة المنبثقة عنها واقرت برنامجها وتوصياتها . وحث المؤتمر الدول الإسلاميه إلى الاستجابة إلى النداءات التى توجهها اللجنة للحصول على مساعدات والعمل على تنفيذ البرامج التى وضعتها بلدان الساحل المتضررة من الجفاف .

● وناشد المؤتمر الدول الأعضاء جعل فلسطين وجغرافيتها مادة اجبارية فى المناهج الإسلاميه .

● وأدان المؤتمر المشروع الإسرائيلي لثقب قناة تربط البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر مؤكداً أن هذا المشروع يشكل عدواناً على الحقوق المشروعة والموارد الطبيعية والمصالح الحيوية للشعب الفلسطيني والأردن فضلاً عن كونه يهدد السلام والأمن .

● فيما يتعلق بمسئمة الفلبيين دعا المؤتمر حكومة الفلبيين إلى تطبيق اتفاقية طرابلس والبدء في اجراء مفاوضات مع جبهة مورو، وطلب من جبهة مورو ومن قاداتها اتخاذ موقف موحد قبل البدء في المفاوضات .

● دعا المؤتمر الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي إلى مواصلة تنفيذ خطة الاعلام التي وافق عليها المؤتمر الإسلامي الحادى عشر وحث الدول الأعضاء على تقديم مساهمة طوعية لتنفيذ هذه الخطة .

● وفي مجال الاتصالات أوصى المؤتمر الدول الأعضاء بخفض تعريفه استخدام قنوات الاقمار الصناعية إلى مستوى يناسب موارد وكالات الأنباء لتيسير وسائل الاتصال الحديثة أمام وكالة الأنباء الإسلامية الدولية .

● وأحاط المؤتمر الوزراء بالتوصية المقدمة للجنة الدائمة للشئون الإعلامية والثقافية بخصوص عقد اجتماع لوزراء الإعلام بهدف بحث مشكلات وكالات الأنباء عن كثب . . . واتخاذ التدابير اللازمة لتعزيز وضع وكالة الأنباء الإسلامية الدولية .

● وفيما يتعلق بمنظمة اذاعات الدول الإسلامية اعرب المؤتمر عن تقديره للمملكة والكويت والدول الأخرى التي قدمت اسهامات طوعية لدعم نشاطات المنظمة وبرامجها .

## الكيان الصهيوني : يهدد أمن العالم الإسلامي ويهدد سلام العالم

أكد مندوب المملكة سمير الشهابى فى كلمة ألقاها مساء الجمعة ٥ ربيع الأول ١٤٠٤هـ (١٠ ديسمبر ١٩٨٤م) أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة التى تناقش الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط . أكد أن الصهيونية العالمية والكيان الصهيونى يتحملان مسئولية الجرائم ضد الفلسطينيين فى الأراضى العربية المحتلة ودول وشعوب الشرق الأوسط . وندد مندوب المملكة بالجرائم التى يرتكبها هذا الكيان فى الضفة الغربية وغزة وبالمجازر التى تقوم بها فى لبنان ضد كل العرب من فلسطينيين ولبنانيين وسوريين ودعا الذين يقدمون العون

للكيان الصهيوني وخاصة الولايات المتحدة إلى وقف هذا الدعم الذي سيؤدي إلى استمرار هذا العدوان على الدول العربية .

وأضاف إن هذا الكيان الإسرائيلي يهدد أمن المنطقة وهو ما أكدته قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن وتشهد به أعمال إسرائيل العدوانية المستمرة . . . وإن أمن المنطقة يرتكز على السلام العالمي الذي برهن العرب على أنهم دعائه . على شرط أن يكون سلاماً قائماً على الحق والعدل . ولكن الصهيونية لا تكف عن استخدام كل صور الإرهاب . وليس السلام من مخططات اليهود والصهيونية العالمية ومن الحق أن نقول . . ان هذا العدو الشرس تسانده كل قوى الشر والعدوان من الصهيونية العالمية والاستعمار الغربي بكل اتجاهاته ومسمياته التي تجمعها الصليبية الحاقدة على الإسلام والمسلمين . والشيعية والحاد . . . ولا علاج لهذه المأساة إلا بوحدة إسلامية شاملة تصد هذه الأطماع وتردع هذا العدوان . فمتى يتوحد المسلمون . . ؟ وكيف . . ؟ هذا ما ستجيب عنه الأيام . . .

## القاديانية الكافرة : تسعى لهدم الشريعة الإسلامية

بعث معالي الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي رسالة هامة عاجلة إلى المسلمين عامتهم وخاصتهم يحذرهم من فتنة الجماعة المسماة «بجماعة الأحمدية : القاديانية» .

وجاء في هذه الرسالة : لا يخفى عليكم أن جماعة الأحمدية «القاديانية» طائفة كافرة تتعاون مع الدول الاستعمارية، وتسعى إلى هدم الشريعة الإسلامية . وتتستر باسم الإسلام لتضليل المسلمين وتمزيق وحدتهم .

وأضاف معاليه : قد صدر بشأنها قرارات عديدة تؤكد على خروج هذه الطائفة من الإسلام واعتبارها فئة غير إسلامية، ومنها القرار الصادر من حكومة باكستان ١٣٩٤هـ والمؤكد بآخر عام ١٤٠٠هـ وكذا بشأنها قرارات اتخذها مؤتمر المنظمات الإسلامية العالمية الذي انعقد بمكة عام ١٣٩٤هـ ومجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي .

# نداءُ الملكِ فهدٍ إلى الإخوةِ المتقاتلين في لبنان

نقلت وكالة الأنباء السعودية في نهاية الأسبوع الثاني من شهر صفر نداء صاحب الجلالة الملك المفدى فهد بن عبد العزيز حفظه الله إلى الإخوة العرب المتقاتلين على أرض لبنان .

ويسرنا أن نسجل هذا النداء الصادر من قلب رجل مؤمن يشعر بالمسئولية تجاه إخوانه العرب والمسلمين في كل مكان :

بسم الله الرحمن الرحيم : إخواني أبناء الشعب العربي على أرض لبنان :  
أخاطبكم اليوم مجددا باسم جميع ما يصل بيننا في المملكة العربية السعودية وبين كل فرد منكم على أرض لبنان . وفي كل موقع نضال فلسطيني من روابط العقيدة والدم والعرق واللغة والتاريخ . أخاطبكم من أعماق قلب عربي أدمته المأساة التي حلت بأبناء الأمة العربية في أكثر من بقعة على صعيد المنطقة . ولعل أكثرها خطورة وأشدّها ألما ما يحدث الآن في مدينة طرابلس . وحول المخيمات الفلسطينية شمال لبنان . رغم قرار وقف القتال ، وما يتكرر كل يوم في مختلف الجبهات اللبنانية من قتال عنيف ودمار ساحق مخيف رغم الاتفاق اللبناني الشامل على وقف إطلاق النار . . .

أيها الاخوة : إن على لسان كل عربي يعيش اليوم في هذا العالم سؤالاً يتردد حتما كل صباح ومساء . سؤال حائر يتكرر : لماذا يراق الدم العربي بيد يجري في عروقها الدم نفسه؟ . لماذا يحرق العربي أرضه ، ويشتت أهله ، وينسف داره؟ .

ماذا نقول للعالم الغربي الذي يراقب صراع الأشقاء الدامي ثمانية أعوام في لبنان . . ؟ وكيف نقنع دول هذا العالم بعدالة قضيتنا وكيف نطالبه بالوقوف معنا لاسترداد أرضنا وحقوقنا وأوطاننا إذا نحن لم نستطع أن نعدل بين أنفسنا لنصرة قضايانا . . ؟ .

أيها الاخوة في لبنان : وعلى أرض القتال : لقد رأينا منذ أيام شعاعا من الأمل يضيء السدروب أمامكم إثر وقف القتال والتقاء قادتكم لأول مرة منذ بدء المأساة على كلمة سواء بينكم عليها تجتمعون ، ومنها تنطلقون للبحث عن أفضل الوسائل للعيش في ظل رفاه وطني شامل . وأخشى ما أخشاه أن يضيع من أعيننا هذا الشعاع قبل رؤية الطريق السوي لمسيرة العودة والمحبة والصفاء على طريق الوحدة المتكاملة .

أيها الاخوة الأشقاء : أليس من الأجدر بنا أن ندخر شبابنا ونحتفظ بسلاحنا وقدراتنا، وقواتنا لمواجهة أعداء الأمة العربية والإسلامية في معركة المصير بدلاً من أن يستدرجنا العدو الجاثم على صدورنا لاستنفاد طاقاتنا البشرية والآلية كي ينقض علينا بعد ذلك حيث لا خيل لدينا ولا رجل . . ؟ .

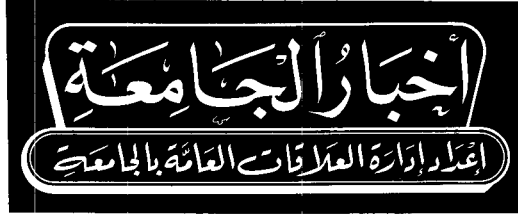
إنى أصارحكم اليوم بكل صدق ووفاء بأنى لا أكاد أجد أى سبب أو دافع يبرر ما يجرى الآن على أرض لبنان مهما كانت الأسباب والدوافع ، بل لا أكاد أعتقد بوجود عامل خارجي يبيح للأخ سفك دم أخيه ، ولنفترض جدلاً بوجود عامل أو آخر فأين رجاحة العقل . . ؟ وأين الحكمة في وزن الأمور وضبط المشاعر ، وكبح جماح النفس برفض تلك العوامل والدوافع مهما كانت أنواعها ومصادرها فمن البطولة الإيثارية في ساحات القتال ، ومن أرقى مراتب القيادة إنكار الذات . . .

أيها الاخوة هل نسينا العدو المتر بص من حولنا؟ أم تناسينا نضالنا من أجل تحرير القدس وتطهير كل شبر من أرضنا في كل موقع دنسه العدو بأقدامه؟ .

لنا حقوق مشروعة يعرفها العالم بأسره فإن نحن أضعناها في خضم صراعاتنا وخلافاتنا فكيف نطالب بها؟ ومن نطالب؟ .

أيها الاخوة : لا أخاطبكم اليوم من موقع مسئوليتي كخادم للحرمين الشريفين فحسب ولكنى أخاطبكم بوصفى الأخ العربي الشقيق لكل فرد منكم أشارككم الأفراح والأتراح وأشاطركم الآلام والآمال وأتطلع وإياكم إلى يوم النصر على خطى وحدة المصير . كما أوجه ندائى المخلص بعد ذلك لجميع زعماء وقادة الأمة العربية أن يبادروا لعمل فوري موحد لوقف هذه المأساة الدامية التى كلما أوقفنا نزيه شريان منها انفجر فيها شريان جديد وعلينا أن نواصل جهادنا ونكثف جهودنا في غير ما يأس أو تهاون حتى يحقق الله آمالنا ، ويسدد خطانا على طريق الخير لكل شعوبنا والله وحده القادر على تأليف القلوب . ومنه النصر وإليه المصير .





## تعيينات في المناصب العليا في الجامعة

الأمين العام للجامعة

صدر قرار مجلس الوزراء رقم «٢٣١» في ١٤٠٣/٩/٩ هـ بتعيين فضيلة الدكتور محمد حمود الوائلي أمينا عاما للجامعة الإسلامية لمدة ثلاث سنوات. وبلغ هذا القرار بخطاب معالي وزير التعليم العالي رقم ٨٠٣٤/٥/٥/٣٩ في ١٤٠٣/١٠/٢٢ هـ ومعه خطاب رئيس ديوان مجلس الوزراء رقم ٧/ع/٢٤٤٩ في ١٤٠٣/١٠/١٨ هـ المبلغ لقرار مجلس الوزراء.

وكان فضيلته يشغل منصب رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة بعد أن شغل منصب عميد كلية الشريعة لعدة سنوات . . .

### نائب رئيس الجامعة

كما صدر قرار مجلس الوزراء رقم «٨» في ١٤٠٤/١/٢٥ هـ بتعيين فضيلة الشيخ صالح العبد الله المحيسن نائبا لرئيس الجامعة الإسلامية وذلك لمدة ثلاث سنوات .

وفضيلته أحد الكفاءات العلمية والادارية الممتازة. وقد شغل منصب عميد كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة لعدة سنوات. وقد اشترك في إعداد النظام الأساسي واللائحة التنفيذية والمناهج الدراسية في الجامعة .

### ضيوف ووفود في زيارة الجامعة

●● زار الجامعة الإسلامية خلال الأشهر الثلاثة الماضية المحرم وصفر وربيع الأول ١٤٠٤ هـ الشخصيات والوفود التالية :

● وفد تونس يتكون من ٢٥ عضوا تلبية للدعوة الموجهة إليه من الرئاسة العامة لرعاية الشباب في المملكة، وقد اجتمع الوفد مع فضيلة الدكتور محمد بن حمود الوائلي الأمين العام

للجامعة وفضيلة الشيخ عوض الشهرى عميد شؤون الطلاب . . . كما قام الوفد بزيارة المكتبة المركزية واطلع على قسم المخطوطات بها .

● سماحة الشيخ الحبيب بلخوجة مفتى تونس بعد أن شارك في لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية وقد اجتمع سباحته مع معالى الدكتور عبد الله العبيد رئيس الجامعة ومع فضيلة الدكتور محمد بن حمود الوائلى أمين عام الجامعة .

● وفد من ماليزيا يمثل معهد السلطان زين العابدين للدراسات العربية والإسلامية . . . وقد التقى الوفد بمعالى الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة ومع فضيلة الشيخ محمد بن ناصر السحيبانى عميد القبول والتسجيل ومع الشيخ مصطفى القناص مدير شعبة اللغة العربية لغير الناطقين بها . وبحث الوفد مع المسئولين في الجامعة مدى إمكان حصول بعض طلاب المعهد على منح دراسية ومعادلة شهادة المعهد لدى الجامعة .

● سعادة الأستاذ ناصر الدغيشم الملحق التعليمى بسفارة الكويت بجدة والتقى مع فضيلة الأمين العام وعميد القبول والتسجيل وعميد شؤون الطلاب .

● الشيخ أيوب شريف إمام مسجد بليبريا . والشيخ كوكوتارا عضو الجمعية الإسلامية بغينيا . ووفد من مسلمى تركستان والتقوا بكبار المسئولين بالجامعة وزودوا بكتب دينية مما يقوم مركز شؤون الدعوة بتوزيعه على ضيوف الجامعة .

● كما استقبلت الجامعة وفد الأدباء العرب الذين شاركوا في حفل جائزة الدولة التقديرية للأدب وأقامت الجامعة حفلا ترحيبيا بهذه المناسبة .

### رسائل الماجستير والدكتوراه من قسم الدراسات العليا بالجامعة

● فى مساء يوم الخميس ٧/١/١٤٠٤هـ نوقشت رسالة الماجستير المقدمة من الطالب : إبراهيم أحمد سليمان . عمانى الجنسية . وموضوعها : «الأهلية عند الأصوليين وعوارضها المكتسبة» . وتكونت لجنة المناقشة من الدكتور عبد العظيم فياض ، والدكتور يوسف عبد المقصود ، والدكتور جلال بن عبد الرحمن .

● وفى مساء يوم الخميس ١٤/١/١٤٠٤هـ نوقشت رسالة الماجستير المقدمة من الطالب : سليمان بن صالح الحزى . سعودى الجنسية . وموضوعها : «التشريعات الاجتماعية في سورة النور» . وتكونت لجنة المناقشة من الشيخ عبد القادر شبية الحمد والشيخ أبو بكر الجزائرى والدكتور أحمد إبراهيم مهنا .

● وفي مساء يوم الخميس ٢١/١/١٤٠٤هـ نوقشت رسالة الماجستير المقدمة من الطالب :  
حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي . سعودي الجنسية . وموضوعها : «منهج القرآن في دعوة أهل  
الكتاب إلى الإسلام» . وتكونت لجنة المناقشة من الدكتور عبد المنعم حسنين والدكتور محمد  
إبراهيم الجيوشي والدكتور جمعه على الخولي .

● وفي مساء يوم الخميس ٢٧/١/١٤٠٤هـ نوقشت رسالة الدكتوراه المقدمة من الطالب :  
على الشيخ أحمد أبوبكر . صومالي الجنسية . وموضوعها : «الدعوة الإسلامية المعاصرة في  
القرن الأفريقي» . وتكونت لجنة المناقشة من الدكتور عبد المنعم حسنين والدكتور محمد  
إبراهيم الجيوشي . والدكتور سيد نعمان عبد الرازق .

● وفي مساء يوم الخميس ١٨/٣/١٤٠٤هـ نوقشت رسالة الدكتوراه المقدمة من الطالب :  
محمد يوسف عيد . صومالي الجنسية . وموضوعها : «المنافقون في القرآن الكريم» . وتكونت  
لجنة المناقشة من الدكتور أحمد إبراهيم مهنا والدكتور محمد سيد طنطاوي والدكتور محمد أحمد  
القاسم .

### نشاط الموسم الثقافي بالجامعة

١ - نظمت عبادة شؤون الطلاب ندوة مفتوحة يوم الأربعاء ٢٧/١/١٤٠٤هـ في  
بداية الموسم الثقافي شارك فيها : فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد رئيس المجلس  
العلمي وفضيلة الشيخ عبد الله محمد الغنيان رئيس قسم الدراسات العليا . وفضيلة الشيخ  
على عبد الرحمن الحذيفي وكيل كلية القرآن الكريم بالجامعة ، وحضر الندوة كثير من طلاب  
الجامعة ومنسوبيها ، وأجاب أصحاب الفضيلة علي ما قدمه الطلاب من أسئلة  
واستفسارات .

٢ - وألقى فضيلة الشيخ أبوبكر الجزائري الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العليا  
بالجامعة محاضرة موضوعها : «علة الحياة وسر الوجود» . وذلك عقب صلاة المغرب من يوم  
الأربعاء ٥/٢/١٤٠٤هـ بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة .

٣ - وفي يوم الأربعاء ١٢/٢/١٤٠٤هـ ألقى فضيلة الشيخ عبد الفتاح عشاوي  
المحاضر بكلية الحديث محاضرة وموضوعها : «أحلام تقع أم هي أضغاث» . بقاعة  
المحاضرات الكبرى بالجامعة .

٤ - كما ألقى فضيلة الدكتور مرزوق بن هياس الزهراني عميد كلية الحديث الشريف محاضرة موضوعها: «كيف تدعو إلى الله عز وجل». وذلك عقب صلاة المغرب يوم الأربعاء ١٩/٢/١٤٠٤هـ في إطار الموسم الثقافي الذي تنظمه عمادة شؤون الطلاب .

٥ - وفي مساء يوم الأربعاء ٢٦/٢/١٤٠٤هـ ألقى فضيلة الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي الأستاذ المساعد بكلية الحديث الشريف بالجامعة محاضرة وموضوعها: «دراسة الأديان في ضوء القرآن» .

٦ - وفي مساء يوم الأربعاء ٣/٣/١٤٠٤هـ ألقى فضيلة الدكتور صالح بن سعد السحيمي محاضرة وموضوعها: «منهج السلف في العقيدة وأثره في وحدة المسلمين» .

٧ - وفي مساء يوم ١٠/٣/١٤٠٤هـ ألقى فضيلة الدكتور عبد الله بن أحمد قادري رئيس قسم شعبة الفقه بالدراسات العليا محاضرة وموضوعها: «منطلقات إسلامية للكفاءة الإدارية». وذلك بقاعة المحاضرات في إطار الموسم الثقافي .

### رؤساء الشعب في الدراسات العليا

أصدر معالي رئيس الجامعة قرارا بتعيين رؤساء للشعب في قسم الدراسات العليا

على النحو التالي :

- فضيلة الدكتور : عبد الله بن أحمد قادري رئيسا لشعبة الفقه .
- فضيلة الدكتور : محمد أمان علي الجامي رئيسا لشعبة العقيدة .
- فضيلة الدكتور : جلال الدين عبد الرحمن رئيسا لشعبة أصول الدين .
- فضيلة الدكتور : محمد عبد الله قناوي رئيسا لشعبة اللغويات .

# محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

- قبس من كتاب الله .....  
 — من نور النبوة .....  
 — حكمة العدد .....  
 — افتتاحية العدد- الدعوة إلى الله والواقع المعاصر  
 ١٥ ..... د. عبد الله الصالح العبيد  
 ٢٣ ..... للشـيخ أبي بكر الجزائري  
 ٣٢ ..... د. عبد العزيز عبد الله الحميدى  
 ٤٧ ..... د. محمد ضياء الرحمن الأعظمى  
 ٦٣ ..... للشـيخ محمد بن ناصر السحيبانى  
 — منهج السلف فى العقيدة وأثره فى وحدة المسلمين.  
 ٨٢ ..... د. صالح سعد السحيمى  
 — أثر العقيدة الاسلامية فى تضامن ووحدة الأمة الاسلامية.  
 ٩٨ ..... د. أحمد سعد الغامدى  
 — العبادات فى الاسلام وأثرها فى تضامن المسلمين.  
 ١١٢ ..... د. على عبد اللطيف منصور  
 ١٣٦ ..... لساحة الشيخ عبد العزيز بن باز  
 — الإسلام يسد منافذ الفرقة والاختلاف ويصون عوامل الوحدة والائتلاف .  
 ١٤٣ ..... د. جمعة الخولى  
 ١٥١ ..... للشـيخ عطية محمد سالم  
 — كيف أقام النبى ﷺ أول دولة إسلامية على التضامن والوحدة .  
 ١٧٠ ..... د. محمد السيد طنطاوى  
 — الفتح العمري للقدس . . تمودج للدعوة بالعمل والقذوة .  
 ١٨٥ ..... د. شفيق جاسر  
 ١٩٦ ..... د. محمد إبراهيم الجيوشى  
 ٢٠٨ ..... د. عبد الله أحمد قادرى  
 — الاسلام والمسلمون فى انجلترا .  
 — فى المشارق والمغرب .

# محتويات العدد

الصفحة	الموضوع
٢٢٦	رسائل لم يحملها البريد .
٢٣٩	حديث مع البلبل (شعر) .
٢٤٢	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار(شعر) .
٢٤٤	الرأى العام فى المجتمع الاسلامى .
٢٦٠	دور الاعلام فى تحقيق التضامن الاسلامى .
٢٧٤	فتاوى شرعية .
٢٧٩	مختارات من الصحف
٢٩١	أحداث العالم الاسلامى
٢٩٧	أخبار الجامعة
٣٠١	محتويات العدد
٣٠٤	القسم الإنجليزى

مجلة الجامعة الإسلامية

برية البحوث والمقالات التي لم تنشر  
إلى كتابها ولا بإيداء أئمتنا عدم نشرها.



﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾ (النساء : ٨٧) .

i.e. “And whose word is truer than Allah’s”? (IV, 87) .

**Ninthly** and lastly: Legislation in Islam has been entrusted to highly qualified Scholars “Mujtahideen” who are well conversant with disciplines pertaining to the holy Quran and the Sunnah, and are thus capable to adopt the appropriate religious viewpoints, and deduce the suitable rulings according to the ever-recurring events in the lives of Muslims .

These have been some of the great characteristics of Islamic legislation. I have endeavoured to highlight them so that it will be easy for the reader to get some glimpses of the excellence and grandeur underlying the Message of Allah, namely, the Faith of Islam. I sincerely hope that this modest effort will help enlighten the hearts and minds of those who aspire, truly, to reach the truth.

May Allah, the Creator of the Universe, guide us all along the path of righteousness and piety .

N.B. The reader may kindly refer to the Arabic Text for further details .



grieves him that you should perish, Ardently anxious is he over you, to the believers is he most kind and merciful (IX 128) .

The prophet P.B.U.H. says: “whosoever treats others mercilessly, will be treated likewise”. He forbade the killing of female infidels, the aged, children, worshipping monks unless they share in the warfare .

**Fourthly :** Another characteristic of Islamic legislation is its practicability with ease so as to relieve Muslims from embarrassment. This is quite manifest in many verses and traditions. Allah the Almighty says,

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (البقرة: ١٨٥) .

“i.e. Allah intends every facility for you; He does not want to put you to difficulties”. (II, 185) .

The Prophet, P.B.U.H., says “make things easy and do not mak them difficult” .

**Fifthly :** Wisdom which is defined as placing things in their proper places. (1)

In fact, wisdom is considered the keynote of the vast body of Islamic legislation in many a place. This is obvious in ordinances bearing on inheritance, penalties, alms-giving, etc..

**Sixthly :** Immortality and constancy of Islamic Shari’a. It is everlasting till Doomsday, as it is not subject to modification or alteration. Meanwhile, its rulings are so flexible that they are applicable at all times and places. Islamic Shari’a, indeed, is like a tree, that is firm in roots and movable in branches .

We had better refer, in this regard, to Ibn Al-Qaim who has dealt with this subject in detail in his book “T’ilam al Muwaqq’een” .

**Seventhly :** Caring for worldly life as much as for the Here-after. No doubt, Islamic institutions are based on deep faith in Allah, His angels, His apostles, His scriptures, the Last Day, Predestination, Resurrection, and accountability for one’s deeds on the Day of judgement, be they good or evil, even if one manages to escape punishment in this temporal life. This belief, naturally, helps to curb a Muslim’s evil propensities and develops his good, virtuous inclinations. That is why religious injunctions and prohibitions appeal to both heart and mind .

In addressing the believers, the Quranic verses abound in such phrases as, “if you reason” “if you are pious” “if you remember”, “that who believes in Allah, and the Last Day. etc...

**Eighthly :** Infallibility and truthfulness. Being divinely revealed, Islamic Shari’a is characterized by infallibility. It is immune against interpolation and distortion. Allah, the Almighty, says :

---

(1) Vide “Method and wisdom of Islamic legislation” by Sheikh Muhammad Al-Shanqeety .

To sum up, the comprehensiveness and universality of the Message of Islam is quite manifest, as it is addressed to all humanity at large, for all times and all places. All creatures, be they human beings or Jinns, living on earth or other planets, are bound to adhere to it, for Allah the Almighty says :

﴿وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون﴾ (الذاريات : ٥٦) .

“i. e. I have only created jinns and men, that they may serve Me” (II,56) .

And :

﴿قل يا أيها الناس انى رسول الله إليكم جميعا﴾ (الأعراف : ١٥٨) .

“i.e. Say, O men! I am sent unto you all” (VII,158) .

**Secondly :** Another feature of Islamic legislation is: -

Justice which is exclusively incomparable to man-made laws. For, so long as we firmly believe in the divine origin of Islamic Shari’a, that is, it has been revealed by Allah the Almighty of whom perfect Justice is one of His sublime attributes, so, the rulings of this Shari’a must naturally be equitable and fair, particularly in two respects :

I As regards juristic judgements and laws deduced by Muslim Scholars through reasoning and analogy on matters that were not explicitly dealt with either in the holy Quran or the Sunnah, as in the case of promulgating rules and regulations relating, for instance, to municipalities, traffic, labour, etc... the legislator must all the time, be motivated by a keen sense of justice and impartiality taking the general weal of the people into consideration. Thus, all laws should be in harmony with the true spirit of Shari’a .

II while putting the principles and tenets of Shari’a into practical application, the ruler should take the utmost care to be fair and just in settling the people’s problems and disputes .

**Thirdly :** Among other fine qualities Islamic Shari’a takes much pride in, is mercy. Numerous Quranic verses and prophetic traditions have laid much emphasis on this aspect of Shari’a describing the prophet, P.B.U.H. as being merciful and ordaining Muslims to treat each other with mercy, and compassion .

Allah, the Almighty, says : —

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾  
(التوبة : ١٢٨) .

“i.e. Now hath come unto you an Apostle from amongst yourselves: it

responded, Oh yes ! the prophet has even forbidden us to face Qibla while urinating or answering the call of nature<sup>(1)</sup> .

Abu-Hudhaifa, too, may Allah be pleased with him, said, “The Prophet, P.B.U.H., has delivered a sermon in which he dealt, at length, with different subjects, known or unknown; even those pertaining to the Day of Resurrection<sup>(2)</sup> .

As regards the state of affairs in the Muslim nation, it is noteworthy to refer to the golden epoch of Prophethood and caliphate. The prophet’s Sunnah, i.e. his deeds and sayings, represent the second source of Muslim Shari’ a. The Prophet, being the spiritual and temporal leader of the Muslims, attended to their affairs, decided on various issues, laid down the boundary-lines of the Muslims’ rights and obligations, prescribed the appropriate penalties, took the lead in the battlefield, divided the spoils, led the Muslims in congregational prayers, corresponded with monarchs inviting them to join the fold of Islam. Besides, he regulated all matters relating to sale, lease, marriage, divorce, medication, burial procedures, inheritance, etc .

On the other hand, none of the righteous Caliphs has reportedly excused himself from dealing with any problem or issue under the pretext that it did not fall within his jurisdiction. If it was in compliance with the main tenets and teachings of Islam, the Caliph would undertake it; if it was otherwise, he would condemn it.

II The second evidence: that which is based on the faculty of reason and inference. It is quite inconceivable that Allah the Almighty, the Creator of the entire Universe, may abandon His creatures without catering for them in all their religious as well as mundane affairs .

So, the Islamic legislation is an overall, all-embracing code bearing on the various aspects of the life of the individual and the society as well. It touches on all spheres of human knowledge, viz. economics, sociology, internal and foreign policies, the relationship between the Muslim State and its friends as well as its enemies, in time of war and peace, between the ruler and the subjects; between the employer and the employees; and finally between husband and wife, father and son. Allah the Almighty says .

﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام : ٣٨) .

“i.e. Nothing have We omitted from the Book,” (VI, 38) .

(1) Narrated by Muslim, Abi Daud & Tirmidhi .

(2) Narrated by Al-Bukhari; Vide Fathul-Bari V. XI P. 494 .

He said in his treatise on “Method and wisdom of Islamic legislation.<sup>(1)</sup>”:  
“Legislation is the attitude of Shar’i which is the divine institution revealed by the Lord of the Universe upon the prophet Muhammad, P.B.U.H. so that the entire mankind should abide by it, thus attaining felicity in this worldly life as well as the Here-after” .

This divine Law which seeks man’s happiness and well-being is characterized as stated before, by countless, unique excellences, being Allah’s eternal revelation. It is perfect and integrated, free from all deficiencies and imperfections. Allah the Almighty says about the holy Quran, the first of the two essential sources of Islamic Law (Shari’a) :

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ (النساء : ٨١) .

“i. e. Had it been from other than Allah they would surely have found therein much discrepancy”

And :

﴿كتاب أحكمت آياته﴾ (هود : ١) .

i. e. “(This is) a Book with verses basic or fundamental of established meaning (XI,1) .

From the above-quoted verses and the like, we learn the following facts:

**First :** The Islamic Shari’a, by its very comprehensive nature, encompasses all domains of life, laying down the principles and guidelines regulating man’s life in all its aspects .

To substantiate this fact, we cite the following two evidences :

**I The first evidence :**

— Quotations from the holy Quran and the prophet’s traditions as well as examples derived from the living reality of the Muslim nation, especially during the splendid, flourishing era of prophethood, and the righteous Caliphs. Allah the Almighty says :

﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء﴾ (النحل : ٨٩) .

“i.e.” and We have sent down to thee the Book explaining all things” (XVI,89) .

Salman al Farisi, may Allah be pleased with him, was told that the prophet, P.B.U.H. had taught the Muslims everything including reading; to this, Salman

---

(1) Vide Muhammad Al-Shanqeety treatise “The Method and Wisdom of Islamic Legislation” P. 23 .

**In the Name of Allah, most Gracious, most Merciful**

# **GLIMPSES OF THE MERITS OF ISLAMIC LEGISLATION**

**By : Sheikh Muhammad Bin Nasser Al-Suhaibani**  
**Translated by : Muhammad Kamal Ali El-Sayed**  
**( Translation Dept. )**

All praise be to Allah, and blessings and peace be upon His prophet Muhammad, his family and his companions .

It is a well known fact that the great religion of Islam is still , most regrettably, exposed to the vilest forms of attack launched by its vicious enemies in many ways varying in strength and weakness with a view to undermining its edifice. Muslims are subject to a long series of torture, murder, rape and expulsion from their homelands .

This malignant campaign against Islam aims, further, at discrediting and sowing seeds of suspicion into it in an attempt to veil its numerous excellences and merits. This is in keeping with Allah's words :

﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا﴾ (البقرة: ٢١٧) .

“i.e. Nor will they cease fighting you until they turn you back from your faith if they can” .

Attempting to repel these wicked attacks and refute the false allegations raised against the divine Message of Islam, I have written this article with the intention of presenting the salient characteristics of the Muslim Faith, revealing its unique distinction and grandeur .

To begin with, I should like to define Islamic Legislation, pointing out the various efforts exerted by Muslim scholars in this respect. It may be deemed appropriate to quote sheikh Muhammad Al-Shanqeety, may Allah's mercy be upon him .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِثْقَالَ رَيْبٍ  
لَتَفِدَاكَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي  
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِ مَعْدَادٍ

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

*Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."*

(Qur'an 18:109)



**Journal of**

**THE**  
**ISLAMIC**  
**UNIVERSITY**

**OF**  
**MADINAH MONAWWARAH**

**AL-MUHARRAM — SAFAR —**  
**RABI-AL-AWWAL 1404 A. H.**

**QUARTERLY**

**61**

**16<sup>th</sup> Year**





السنة  
١٦

مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام

العدد  
٦٢

ربيع الآخر - جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ

الجامعة الإسلامية  
بالتبصرة  
مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام

السَّنة ١٦

العَدَدُ

٦٢

ربيع الآخر - جمادى الأولى - جمادى الآخرة - ١٤١٥ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

رئيس التحرير

د. أحمد بن عطية الغامدي

الأعضاء

د. محمد بن علي الثوي

د. صلاح بن عبد الله العبد

د. علي سلطان الحاسمي

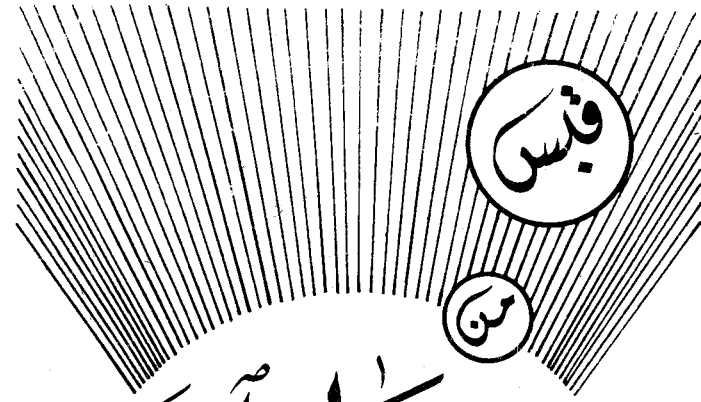
د. بزوف بن هادي الزهراني

مدير التحرير

د. محمد بن علي البرجاني

المراسلات: ترسل باسم مدير التحرير. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة





# كُنَا بِلِلَّهِ

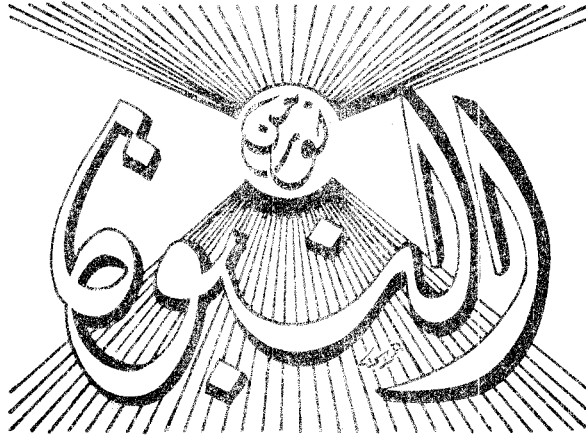
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ  
اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ  
مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ  
الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٦﴾

من سورة النحل







عَنْ أَبِي مَالِكٍ عَنِ أَبِيهِ قَالَ :  
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يَقُولُ :

« مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا  
يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، حَرَّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ  
وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ . »

رَوَاهُ مُسْلِمٌ



# حكمة العبد

مِنْ خُطْبَةٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرٍ بنِ عَبْدِ الْغَرِيزِ  
عَلَى مِنْبَرِ مَسْجِدِ بَنِي أُمَيَّةٍ فِي دِمَشْقِ :

أَيُّهَا النَّاسُ، لَيْسَ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ بَعْدَ  
الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابِي، فَمَا أَحَلَّ اللَّهُ عَلَيَّ  
لِسَانَ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا حَرَّمَ  
اللَّهُ عَلَيَّ لِسَانَ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.  
أَلَا إِنِّي لَسْتُ بِقَاضٍ، وَإِنَّمَا أَنَا مُنْفَذٌ، وَلَسْتُ  
بِمُبْتَدِعٍ، وَلَكِنْ مُتَّبِعٌ، وَلَسْتُ بِمُخَيِّرِكُمْ، وَإِنَّمَا أَنَا  
رَجُلٌ مِنْكُمْ إِلَّا أَنِّي أَثْقَلُكُمْ حِمْلًا.  
أَلَا لَأَسْلَمَةَ لِأَمْرِي فِي خِلَافِ السُّنَّةِ، وَلَا طَاعَةَ  
لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ .



# كَلِمَةُ التَّحْرِيرِ

لِلدُّكْتُورِ صَبَاحِ بْنِ حَبِيبٍ (رَبِّ الْعَبُودِ)  
رئيس قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين .

أما بعد : فإن مجلة الجامعة الإسلامية حين تحفل بمواضيع مكثفة في العقيدة الإسلامية، عقيدة أهل السنة والجماعة فإنما تنطلق من هدف الجامعة وهو تعميق التدين المبني على اخلاص العمل الصالح لله وحده، وعلى الالتزام بسنة رسوله ﷺ في ذلك . وهذا هو جوهر العقيدة الإسلامية ومرتكزها . . .

والعقيدة : ضرورة حيوية للإنسان الحي مضطراً أن يعتقد عقيدة ما . يتحرك من أجلها ويدور عليها حبه وبغضه عن اقتناع ، لأن الإنسان حساس متحرك بارادة تنبثق عن عقيدة وقناعة ولو خلا الحي من عقيدة ما كان ذا حركة إرادية ولكن إن كانت عقيدته صحيحة كانت حركته سليمة صالحة، وإن كانت عقيدته فاسدة كانت حركته خطرة مفسدة .

ولو تحسنا أسباب فرقة المسلمين لوجدناها تكمن في الشبهات التي طرأت على بعضهم وفي الشهوات أيضاً فبسبب ذلك فارقت فرق المسلمين التي تصل إلى اثنتين وسبعين جماعة أهل السنة والجماعة، وهذه الشبهات والشهوات ما هي إلا فساد في العقيدة . وإذا ألقينا نظرة في عالم هذا العصر نجده يموج ويتجاذب بعقائد جازمة وأيديولوجيات حادة، كالشيوعية والديمقراطية والقومية على المفهوم الغربي مثلاً، ونجد أصحابها يتمسكون بها أشد التمسك ويتحركون من أجلها أعظم حركة، ويبد كثير منهم دولاً كبيرة لها ثقلها الراجح في ميزان الأكثرية من الناس، ولهم قوة مادية هائلة، وقد أخذوا بزمام الصناعة والتقدم التكنولوجي والتفوق العسكري، هذا فضلاً عن حصولهم على مباحج الشهوات الدنيوية وحضارتها ونظرتها، إلا أننا نرى الإنسان في الحقيقة تحت ظل تلك العقائد والأيديولوجيات قلقاً حائراً مضطرباً خائفاً لا يقرله قرار، ولا يعرف طريق الاستقرار، قد شقى في دنياه وأضاع نصيبه من أخراه، وعموماً فهو منساق في متاهات الضلال وأحوال الفساد والشرور ومته إلى الهلاك والدمار، والشقاء والخسران .

وحين نختار العقيدة الإسلامية فإننا نختارها على غيرها من العقائد لأنه ثبت في علم اليقين وعين اليقين أن كل عقيدة تخالفها غير صحيحة ولا صالحة فإما أن تكون مخالفة للواقع أو مخالفة للعدل .

أما العقيدة الإسلامية فقد احتوت كل الصحة والصلاح ، فالصحة فيها هي مطابقتها للواقع علماً ومعرفةً وتصوراً سواء في النفي أو الاثبات ، والتزامها العدل في العمل والارادة والتصديق فعلاً وتركاً ، أخذاً واجتناباً ، وحظاً ومنعاً .

وهذا ما تفيده شهادة أن لا إله إلا الله ، لأن هذه الشهادة تعنى أن يعتقد العبد بعلم ويقين ، وصدق وإخلاص أنه لا إله يتصف بالتفرد بالاسماء الحسنى وصفات الكمال المطلق واستحقاق العبودية على الحقيقة إلا الله تبارك وتعالى وهذا الاعتقاد صحيح مطابق للواقع ، وتعنى تلك الشهادة أن يعمل العبد بمقتضاها فلا يصرف شيئاً من عبادته كالحب والارادة والدعاء والندر لغير الله تعالى لأن ذلك ونحوه من الأعمال التعبدية التي شرع الله أن يعبد بها لا يستحقه إلا الله فصرفه أو صرف نوع منه لغير الله ظلم عظيم ﴿ان الشرك لظلم عظيم﴾ وإخلاصه لله تعالى هو العدل الذي لا عدل فيما خالفه .

والمخالفون لأهل السنة والجماعة إذا لم يخلصوا عبادتهم لله وأشركوا مع الله غيره لم يكونوا عابدين لله وإن كانوا يقصدون بشركهم التقرب والتزلف إلى الله قال تعالى : ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ . وإذا عينوا الله بصفات نفى أو اثبات ليست واردة في الكتاب والسنة فإن ما عينوه بتلك الصفات ليس هو الله في الحقيقة والواقع ، كما إذا قائلهم ليس الرحمن على العرش استوى . أو قال : «إن الله لم يتكلم بالقرآن ، وإنما القرآن عبارة عن كلام الله» فهذا القائل إذا عبد من يعتقد هذا الوصف لم يكن عابداً لله وإن قصد الله بعبادته بل يكون عابداً لما اعتقده معطلاً عن وصف لكمال .

والله برىء من عبادته لأن موصوفه ليس هو الله فتصرف عبادته إلى غير الله كما انصرف سبُّ قريش عن محمد ﷺ قال عليه الصلاة والسلام : «ألا ترون كيف يصرف الله عنى سب قريش ، يسبون مذمماً» أى أنه محمد لا مذموم . اللهم صل وسلم عليه .

وبالجملة ، فإن كل من لم يؤمن بما وصف به الرسول ﷺ ربه فهو في الحقيقة لم يعبد ما عبده الرسول ﷺ وقس على هذا .

وأما صفة الصلاح في العقيدة الإسلامية فهي بناؤها على شهادة أن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله، ومعنى ذلك اعتقاد أنه ﷺ عبد لا يعبد ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتبع ويصدق فيما أخبر ويحتمل ما نهى عنه وزجر ولا يعبد الله إلا بما شرع ويرفض ما يعارض من ذلك من عقل وذوق وسياسة وعرف وتقليد وعادة .

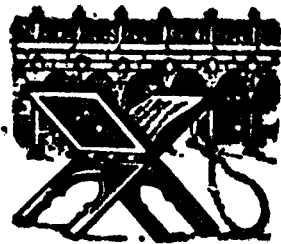
وبهذا صارت العقيدة الإسلامية هي الصالحة المقبولة، وصارت مادة للحياة الطيبة، وإذا لم تكن الحياة طيبة لم تكن حياة حقيقية، قال تعالى : ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره : «هذه مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً أي في الضلالة هالكاً حائراً فاحياه الله أي أحي قلبه بالإيمان وهداه له ووفقه لاتباع رسوله» . اهـ .

وقال الله تعالى : ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ .

ولقد سمى الله ما أنزله على رسوله ﷺ روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه ونوراً لتوقف الهداية عليه، فقال تعالى : ﴿يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ ، وقال تعالى : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ .

ومما تقدم يتبين لنا أن العقيدة الإسلامية هي روح الحياة ونور الهداية، فلا أشرف ولا أطيب من حياة تنبئ عليها ولا أصلح ولا أهدى من عمل يسير بمقتضاها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله وسلم على رسوله الأمين وأصحابه الغر الميامين وأتباعهم ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين . . .







التفسير



صوته



# الْقُرْآنُ يَتَّخِذُ . . !

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
رئيسة جمعية النفس بالدراسات العليا

قال الله تعالى : ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ . «سورة البقرة : ٢٢ - ٢٤» .

بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى الناس بعبادته في قوله تعالى : ﴿ياأيها الناس أعبدوا ربكم﴾ . وساق من الأدلة المقنعة ما يحملهم على اعتناق عقيدة التوحيد، ونبذ عقيدة الشرك . . . أتبع ذلك بإيراد الأدلة على صدق النبي ﷺ فيما يبلغه عن ربه، وعلى أن هذا القرآن ليس من صنع بشر، وإنما هو كلام واهب القوى والقدر . . .

ففي هاتين الآيتين انتقال لإثبات الجزء الثاني من جزأى الإييان، وهو صدق النبي ﷺ في رسالته، بعد أن تم إثبات الجزء الأول من ذلك وهو وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته .

والمعنى : وإن ارتبتم أيها المشركون في شأن هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد على مهل وتدريج، فأتوا أنتم بسورة من مثله في سمو الرتبة، وعلو الطبقة، واستعينوا على ذلك بأهتكم وبكل من تتوقعون منهم العون، ليساعدوكم في مهمتكم، أوليشهدوا لكم أنكم أتيتم بما يباثله، إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم تقدررون على معارضة القرآن الكريم .

والمقصود بقوله : ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا . . .﴾ نفى الريب عن المنزل عليه بنفيه عن المنزل .

والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب للإيدان بأن أقصى ما يمكن صدوره عنهم هو الارتياب في شأنه، أوللتنبيه على أن كلامهم في شأن القرآن هو بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح الدلائل الدالة على أن القرآن من عند الله تعالى .

وعبر بقوله : ﴿وإن كنتم في ريب﴾ . ولم يقل : وإن ارتبتم فيما نزلنا . للإشارة إلى أن ذات القرآن لا يتطرق إليها ريب ، ولا يطير إلى أفقها شرارة من شك ، وأنه إن أثير حوله أى شك فمرجهه إلى انطماس بصيرتهم ، وضعف تفكيرهم ، واستيلاء الحقد والعناد على نفوسهم .

وأتى بيان المفيدة للشك مع أن كونهم في ريب ، مما نزل على النبي ﷺ أمر محقق ، تنزيلاً للمحقق منزلة المشكوك فيه ، وتنزيهاً لساحة القرآن عن أن يتحقق الشك فيه من أى أحد ، وتوبيخاً لهم على وضعهم الأمور في غير مواضعها .

ووجه الإتيان بفي الدالة على الظرفية ، للإشارة إلى أنهم قد امتلكهم الريب وأحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف .

وقال : ﴿نزلنا﴾ دون أنزلنا ، لأن المراد النزول على سبيل التدرج ، ومن المعروف أن القرآن قد نزل منجماً في مدة تزيد على عشرين سنة .

قال صاحب الكشاف : «فإن قلت : لم قيل : ﴿مما نزلنا﴾ على لفظ التنزيل دون الإنزال؟ قلت : لأن المراد النزول على سبيل التدرج والتنجيم وذلك أنهم كانوا يقولون : لو كان هذا القرآن من عند الله ، لم ينزل هكذا نجوماً سورة بعد سورة ، وآيات غب آيات ، على حسب النوازل ، وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد حيناً فحيناً ، حسب ما يعين لهم من الأحوال المتجددة . . . فقيل لهم : إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدرج ، فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه ، وهلموا نجماً فرداً من نجومه : سورة من أصغر السور ، أو آيات شتى مفتريات ، وهذا غاية التبكيك ومنتهى إزاحة العلل» . (١)

والمراد بالعبد في قوله تعالى : ﴿على عبدنا﴾ محمد ﷺ وفي إضافته إلى الله تعالى تنبيه على شرف منزلته عنده ، واختصاصه به .

وفي ذكره - صلوات الله عليه - باسم العبودية تذكير لأمته بهذا المعنى ، حتى لا يغالوا في تعظيمه فيدعوا ألوهيته كما غالت بعض الفرق في تعظيم أنبيائها أو زعمائها فادعت ألوهيتهم .

(١) تفسير الكشاف : ج ١ ص ٩٧ .

والسورة : الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص ، والتي أقلها ثلاث آيات ،  
والضمير في قوله ﴿من مثله﴾ يعود على المنزل وهو القرآن .

والمراد من مثل القرآن : ما يشابهه في حسن النظم ، وبراعة الأسلوب وحكمة  
المعنى . وهذا الوجه من الإعجاز يتحقق في كل سورة .

وقيل : إن الضمير في قوله ﴿من مثله﴾ يعود على المنزل عليه القرآن ، وهو النبي ﷺ  
ولكن الرأى الأول أرجح .

قال الإمام الرازى ما ملخصه : «وعود الضمير إلى القرآن أرجح لوجوه أحدها : أن  
ذلك مطابق لسائر الآيات الواردة في باب التحدى لاسيما ما ذكره في سورة يونس من قوله :  
﴿فأتوا بسورة مثله . . .﴾ .

وثانيها : أن البحث إنما وقع في المنزل وهو القرآن ، لأنه قال : ﴿وإن كنتم في ريب مما  
نزلنا . . .﴾ فوجب صرف الضمير إليه ، ألا ترى أن المعنى ، وإن ارتبتم في أن القرآن منزل  
من عند الله فهاتوا أتم شيئاً مما يمثله ، وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً إلى رسول الله  
ﷺ أن يقال : وإن ارتبتم في أن محمداً منزل عليه فهاتوا قرآناً مثله .

وثالثها : أن الضمير لو كان عائداً إلى القرآن لاقتضى كونهم عاجزين عن الإتيان  
بمثله سواء اجتمعوا أو انفردوا وسواء أكانوا أميين أو عالمين ، أما لو كان عائداً إلى محمد ﷺ  
فذلك لا يقتضى إلا كون آحادهم من الأميين عاجزين عنه ، لأنه لا يكون مثل محمد إلا  
الشخص الأُمى ، فأما لو اجتمعوا وكانوا قارئين لم يكونوا مثل محمد ، لأن الجماعة لا تماثل  
الواحد ، والقارئ لا يكون مثل الأُمى ، ولا شك أن الإعجاز على الوجه الأول أقوى .

ورابعها : أننا لو صرفنا الضمير إلى محمد ﷺ لكان ذلك يوهم أن صدور مثل القرآن  
ممن لم يكن مثل محمد في كونه أُمياً ممكن ، ولو صرفناه إلى القرآن لدل ذلك على أن صدور  
مثله من الأُمى ومن غير الأُمى ممتنع فكان هذا أولى<sup>(١)</sup>

وقوله تعالى : ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ معطوف على قوله : ﴿فَاتُوا  
بِسُورَةٍ﴾ .

وادعوا : من الدعاء ، والمراد به هنا : طلب حضور المدعو أى نادوهم .

(١) تفسير الرازى : ج ١ ص ٢٢٢ .

وشهداءكم : أى : آهتكم ، جمع شهيد وهو القائم بالشهادة ، فقد كانوا يزعمون أن آهتهم تشهد لهم يوم القيامة بأنهم على حق . وقيل : الشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو الناصر أو الإمام ، وكأنه سمي به لأنه يحضر المجالس وتبرم بمحضره الأمور .

ودون : بمعنى غير ، وتطلق في أصل اللغة على أدنى مكان من الشيء ، ومنه تدوين الكتب لأنه إيداء البعض من البعض ، ودونك هذا أى : خذه من أدنى مكان منك ، ثم استعير للتفاوت في الرتب فقول : زيد دون عمرو . أى : في الشرف ، ومنه الشيء دون ، ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد ، وتخطى أمر إلى أمر .

قال الجمل : والمعنى : وادعوا إلى المعارضة من حضركم أوردتكم معونته من إنسكم وجنكم وآهتكم غير الله ؛ فإنه لا يقدر على أن يأتي بمثله إلا الله . . . أو ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتم به مثله ، ولا تستشهدوا بالله ، فإن الاستشهاد به من عادة المبهور العاجز عن إقامة الحجة أو شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله آلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة (١) .

وفي أمرهم بدعوة أصنامهم وهى جماد ، وفي تسميتها شهداء مع إضافتها إليهم مع أنها لا تعقل ولا تنطق ، في كل ذلك أقوى ألوان التهكم ، لكى يثير في نفوسهم من الألم ما قد يكون سبباً لتنبههم إلى جهلهم ، وانصرافهم عن ضلالهم .

وقوله تعالى : ﴿إن كنتم صادقين﴾ جملة معترضة في آخر الكلام . وجواب الشرط محذوف دل عليه الكلام السابق دلالة واضحة حتى صار ذكره في نظم الكلام مما ينزل به عن مرتبة البلاغة .

والمعنى : إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم تقدر على معارضة القرآن فاتوا بسورة من مثله . وادعوا آهتكم وبلغاءكم وجمع البشر ليعينوكم أولي شهدوا لكم أنكم أتيتم بما يائله في حكمة معانيه وحسن بيانه .

وفي هذه الآية الكريمة إثارة لحماستهم ، إذ عرض بعدم صدقهم ، فتتوفر دواعيهم على المعارضة التي زعموا أنهم أهل لها .

ثم قال تعالى : ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ .

(١) حاشية الجمل على الجلالين : ج ١ ص ٢٨ .

والمعنى : فإن لم تفعلوا أى : تعارضوا القرآن، وتبين لكم أن أحداً لا يستطيع معارضته، فخافوا العذاب الذى أعده الله للجاحدين وهو النار التى وقودها الناس والحجارة .

والوقود : ما يلقى فى النار لإضرارها كالخشب ونحوه، والحجارة : الأصنام التى كانوا يعبدونها من دون الله كما قال تعالى : ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ . (الأنبياء : ٩٨) .

واقتران المشركين بما كانوا يعبدون فى النار مبالغة فى إيلاهم وتحسيرهم . والاختصار على ذكر الناس والحجارة لا يؤخذ منه أن ليس فى النار غيرهما بدليل ما ذكر فى مواضع أخرى من القرآن أن الجن والشياطين يدخلونها .

قال صاحب الكشاف : «فإن قلت : انتفاء إتيانهم بالسورة واجب فهلا جىء بإذا الذى للوجوب دون إن الذى للشك؟ قلت : فيه وجهان :

أحدهما : أن يساق القول معهم على حسب حسابهم وطمعهم، وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لانكاهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام .

والثانى : أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يعاديه : إن غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه تهكما به»<sup>(١)</sup> .

وقال : فإن لم تفعلوا، ولم يقل فإن لم تأتوا بسورة من مثله، لأن قوله ﴿فإن لم تفعلوا﴾ جار مجرى الكناية التى تعطى اختصاراً ووجازة تغنى عن طول المكنى عنه، ولأن الإتيان ما هو إلا فعل من الأفعال، تقول : أتيت فلانا . فيقال لك : نعم ما فعلت .

وجملة : ﴿ولن تفعلوا﴾ جملة معترضة بين الشرط والجزاء، جىء بها لتأكيد عجزهم عن معارضته ؛ فإن فى نفيها فى المستقبل بإطلاق تأكيداً لنفيها فى الحال .

قال الإمام الرازى : فإن قيل : فيما معنى اشتراطه فى اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله؟ فالجواب أنه إذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله ﷺ وإذا صح ذلك ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار، فاتقاء النار يوجب ترك العناد، فأقيم

(١) تفسير الكشاف : ج ١ ص ١٠١ .

المؤثر مقام الأثر. وجعل قوله : ﴿فاتقوا النار﴾ قائماً مقام قوله فاتركوا العناد . وهذا هو الإيجاز الذى هو أحد أبواب البلاغة ، وفيه تهويل لشأن العناد ، لإنباء إتقاء النار منابه متبعاً ذلك بتهويل صفة النار(١) .

ومعنى : ﴿أعدت للكافرين﴾ هيئت لهم ، لأنهم الذين يخلدون فيها ، أو أنهم خصوا بها وإن كانت معدة للفاسقين - أيضاً لأنه يريد بذلك ناراً مخصوصة لا يدخلها غيرهم كما قال تعالى : ﴿إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار﴾ .

وفى هذه الآية الكريمة معجزة من نوع الإخبار بالغيب ، إذ لم تقع المعارضة من أحد فى أيام النبوة وفيما بعدها إلى هذا العصر .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو حتى يكون معجزة؟ قلت : لأنهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه ، إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال ، لاسيما والطاعنون فيه أكثر عدداً من الذابين عنه ، فحين لم ينقل علم أنه إخبار بالغيب على ما هو به ، فكان معجزة(٢) .

وقال بعض العلماء : هذه الآية الجليلة من جملة الآيات التى صدعت بتحدى الكافرين بالتنزيل الكريم . وقد تحداهم الله فى غير موضع منه فقال فى سورة القصص :  
﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها أتبعه إن كنتم صادقين﴾ .

وقال فى سورة الأسراء : ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ . وقال فى سورة يونس : ﴿أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ . وكل هذه الآيات مكية .

ثم تحداهم أيضاً فى المدينة بهذه الآية : ﴿وإن كنتم فى ريب . . .﴾ . الخ . فعجزوا عن آخرهم ، وهم فرسان الكلام ، وأرباب البيان ، وقد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الأمم ، جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة وفيهم غريزة وقوة . يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب . فيخطبون ، ويمدحون ، ويتوسلون ، ويتوصلون ، ويرفعون ، ويضعون ، فيأتون بالسحر الحلال . . . ومع هذا فلم يتصد لمعارضة

(١) تفسير الفخر الرازى : ج ١ ص ٢٢٤ .

(٢) تفسير الكشاف : ج ١ ص ١٠١ .



القرآن منهم أحد، ولم ينهض - لمقدار سورة منه - ناهض من بلغائهم، ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهاهم بالإفراط والمضارة... وقد جرد لهم النبي ﷺ الحجة أولاً، والسيف آخرًا فلم يعارضوا إلا السياف وحده، وما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أنهم أعجز من المعارضة وبذلك يظهر أن قوله تعالى: ﴿ولن تفعلوا﴾ معجزة أخرى، فإنهم ما فعلوا. وما قدروا...

وحيث عجز عرب ذلك العصر فما سواهم أعجز في هذا الأمر... فدل على أن القرآن ليس من كلام البشر، بل هو كلام خالق القوى والقدر، أنزله تصديقاً لرسوله، وتحققاً لمقوله<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

### أول «بيبلوغرافيا» تحصر ١٣٤٠ ترجمة لمعاني القرآن الكريم

قدمت منظمة المؤتمر الإسلامي أحد أكبر إنجازاتها وهو عن «البيبلوغرافيا» العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم، الذي قام بإعداده وتنفيذه مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة التابع للمنظمة ومقره في تركيا.

وهذه «البيبلوغرافيا» تضمنت ٢٧١٠ ترجمة وتفسيراً لمعاني القرآن، منها ١٣٤٠ ترجمة مطبوعة لمعاني القرآن كله و١٣٧٠ ترجمة لبعض المختارات من القرآن كتبت بإحدى وستين لغة مختلفة.

(١) تفسير القاسمي : ج ٢ ص ٧٧ .

## من أحب أن ينظر إلى القوى الأمين فليُنظر إلى هذا . . .

بينما عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فى أرض له فى العالفة فى ففم  
صائف إذ رأى رجلا فسوق جملفن وعلى الأرض مثل الفراش من الحرف فقال  
عثمان لمولى له : انظر من هذا؟ .  
فقال : أرى رجلا معمماً بردائه فسوق بكرفن ثم دنا الرجل فقال :  
أنظر من هذا؟ .

فنظر فإذا هو عمر بن الخطاب!! .

فقال : هذا أمفر المؤمنفن . فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فإذا  
لفح السموم فأعاد رأسه حتى إذا حاذاه قال : ما أخرجك فى هذه  
الساعة؟ . فقال : بكران من إبل الصدقة تخلفا وقد مضى إبل الصدقة  
للمرعى فأردت أن ألحقهما بالمرعى ونخشفت أن يضفعا ففسألنى الله عنهما  
فقال عثمان : هلم إلى الظل والماء ونكففك؟ .

قال عمر : عدُّ إلى ظلك!! قال عثمان : عندنا من كففك! قال  
عمر : عدُّ إلى ظلك! ومضى . . .

فقال عثمان : من أحب أن ينظر إلى القوى الأمين فليُنظر إلى

هذا . . .

أَلْحَدِيثُ

صَوْنُهُ



# الْقَوْلُ الْفَصْلُ :

## فِي الْعَمَلِ بِالْحَدِيثِ الْمُرْسَلِ

لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ ظَهْرَبَنْزَرٍ

الموصل - العراق

(١) توطئة :

الحمد لله الذي أنزل أحسن الحديث، وأودع درر بيانه في محكم الحديث، فكرم هذه الأمة - زادها الله شرفاً - بالاعتناء بتدوين ما جاء به رسول الله ﷺ حفظاً له على تكرر العصور والآباد. ونصب جهابذة من الحفاظ والنقاد، وجعلهم دائبين في إيضاح ذلك في جميع الأزمان والبلاد، باذلين وسعهم مستفرغين جهدهم في ذلك جماعات وأحاداً .  
والصلاة والسلام على من أوتى جوامع الكلم، وخصَّ ببدايع الحكم، سيدنا محمد المصطفى بتعميم دعوته ورسالته، المفضل على الأولين والآخرين من بريته، المشرف على العالمين قاطبة بشمول شفاعته، المخصوص بتأييد ملته وسماحة شريعته، المكرم بتوفيق أمته للمبالغة في إيضاح منهاجه وطريقته .

أما بعد . . . فإن الله سبحانه وتعالى فضل هذه الأمة بشرف الإسناد، وخصها باتصاله دون من سلف من العباد، وأقام لذلك في كل عصر من الأئمة الأفراد، والجهابذة النقاد، من بذل جهده في ضبطه وأحسن الاجتهاد، فظفر بنيل المراد وذلك من معجزات نبينا ﷺ التي أخبر بوقوعها فقال ﷺ : «تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم» .  
(رواه أبو داود بإسناده في سننه) .

فباتصال الإسناد عرف الصحيح من السقيم، وصان الله هذه الشريعة عن قول كل أفاك أثيم، فلذا كان الإرسال في الحديث علة يترك بها، ويتوقف عن الاحتجاج به بسببها، لما في إبهام المروى عنه من الغرر، والاحتجاج المبني على الخطر، وقد اختلف العلماء قديماً وحديثاً فيه وكثرت أقوالهم، وتباينت آراؤهم، وتعارضت أفعالهم .

فعمدت في عملي هذا إلى إيضاح ما هو إلى الصواب أقوم المسالك، جامعاً فيه بين طريقة أهل الحديث وأئمة الأصول، والفقهاء الذين في الرجوع إليهم أنفسهم حصول، ذاكراً من المنقول ما أمكن الوصول إليه، ومن المباحث النظرية ما يعول عند التحقيق عليه، مميّزاً في ذلك الغث من السمين، مبيّناً ما هو الضعيف من المتين .

## (٢) المقدمة :

يعرف علم الحديث الخاص بالرواية بأنه : علم يعرف به أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله ، وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها . وعلم الحديث الخاص بالدراية : علم يعرف منه حقيقة الرواية ، وشروطها وأنواعها وأحكامها ، وحال الرواة وشروطهم ، وأصناف المرويات وما يتعلق بها<sup>(١)</sup> .

والمتن هو ألفاظ الحديث التي تتقوم بها المعاني ، والسند هو الطريق الموصلة إلى المتن (أى أسماء رواة مرتبة) . أما الإسناد فهو حكاية طريق المتن .

إن متن الحديث نفسه لا يدخل في البحث عند أرباب الحديث إلا نادراً ، بل يكتب صفته من القوة والضعف ، بحسب أوصاف الرواة من العدالة والضبط والحفظ وخلافها ، أو بحسب الإسناد من الاتصال والإنقطاع والإرسال والاضطراب ونحوها .

وأول من صنف في الإصطلاح القاضي أبو محمد الرامهرمزي بكتابه «المحدث الفاضل» وتلاه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري ، لكنه لم يهذب ولم يرتب ، وتلاه أبو نعيم الأصبهاني ، ثم جاء بعدهم الخطيب البغدادي فوضع قوانين الرواية في كتابه «الكفاية» إلى أن جاء الحافظ الإمام بن الصلاح فوضع كتابه الشهير ، فهذب فنونه وجمع به علوم سابقه فكان من أئمة هذا الشأن .

لا تخرج أنواع الحديث عن ثلاثة : حسن صحيح ، وحسن ، وضعيف . لأنه إن اشتمل من أوصاف القبول على أعلاها فالصحيح ، أو بعلى أدناها فالحسن ، أو لم يشتمل على شيء منها الضعيف .

وقد صنف العلماء كالحاكم وابن الصلاح والنووي ، الحديث المرسل ضمن الأحاديث الضعيفة لما فيه من انقطاع في السند ، واختلفوا فيه بين قبول ورد وتفصيل . وقد عرف المرسل بأنه ما سقط منه الصحابي ، كقول نافع قال رسول الله ﷺ كذا ، وهو المشهور عند المحدثين . وقد يطلق المرسل على الحديث الذي قد سقط راو من رواة فيدخل فيه المعضل والمنقطع ، وهو رأى الفقهاء والأصوليين ، ومما يشهد للتعميم قول ابن القطان : «إن الإرسال رواية الرجل عمن لم يسمع منه» .

(١) التهانوي : قواعد في علوم الحديث . ص ٢٣ .

والمرسل على مراتب، أعلاها ما أرسله صحابي ثبت سماعه، ثم صحابي له رؤية فقط ولم يثبت سماعه، ثم المخضرم، ثم المتقن كسعيد بن المسيب، ويليهما من كان يتحرى في شيوخه، كالشعبي ومجاهد، وذونها مراسيل من كان يأخذ عن كل أحد كالحسن، أما مراسيل صغار التابعين كقتادة، والزهرى، وحמיד الطويل، فإن غالب رواية هؤلاء عن التابعين .

قال أبو داود في رسالته : وأما المراسيل فقد كان أكثر العلماء يحتجون بها فيما مضى مثل سفيان الثوري، ومالك، والأوزاعي . حتى جاء الشافعي - رحمه الله - فتكلم في ذلك وتابعه عليه أحمد وغيره، وقد وضعت قواعد معينة من قبل الفقهاء والأصوليين لتمييز المرسل المقبول والمردود لحفظ شطر السنة من الإهمال وإثراء الأحكام الشرعية بما تحويه هذه الأحاديث من أحكام ورفائق .

يتلخص في الاحتجاج بالمرسل عدة أقوال . حجة مطلقاً، لا يحتج به مطلقاً، يحتج به إن أرسله أهل القرون الثلاثة، يحتج به إن لم يرو إلا عن عدل، يحتج به إن أرسله صحابي . صنف في المراسيل أبو داود، ثم أبو حاتم، ثم البرديجي، ثم الخطيب البغدادي، ثم النووي، ثم الحافظ العراقي . ومن المتأخرين الحافظ أبو سعيد العلائي، والعجمي، وابن الهادي .

### (٣) الارسال بين اللفنة والاصطلاح :

المرسل وجمعه مراسيل باثبات الياء وحذفها أيضاً، وأصله من «رسل» التي تحمل عدة معاني حسب اشتقاقها اللغوية .

١ - تقول «أرسل» : (أطلق وأهمل)<sup>(١)</sup> فكأن المرسل أطلق الإسناد ولم يقيده براو معروف<sup>(٢)</sup>، أو أهمل ذكر راوٍ من رواة الإسناد .

٢ - «استرسل» : الطمأنينة إلى الانسان والثقة فيما يحدثه<sup>(٣)</sup> . وكأن التابعي الذي قد ذكر الحديث اطمأن ووثق بصحة ما يرويه عن النبي ﷺ ووثق بمن أخذ الحديث عنه، فلم

(١) ابن منظور : لسان العرب . ج ١١ ص ٢٨٣ .

(٢) العلائي : جامع التحصيل في أحكام المراسيل ص ١٤ .

(٣) الزبيدي : تاج العروس . ج ٧ ص ٣٤٥ .

يذكره . قال القرافي في شرح التنقيح «إنه ما سكت عنه (الراوى) إلا وقد جزم بعدالته ، فسكوته كإخباره بعدالته» (١) .

٣ - أرسل الحديث : لم يقيدته (٢) وكأن الراوى لم يقيد روايته باتصال الإسناد فأسقط ذكر الصحابي الذى تحمله عن رسول الله ﷺ .

٤ - مرسال : يقال ناقة مرسال أى سريعة السير (٣) فكأن المرسل أسرع فيه عَجلاً فحذف بعض اسناده .

٥ - أرسالاً : جاء القوم أرسالاً أى قطعاً متفرقين (٤) . قال ابن سيده : الرَّسَل بفتح الراء والسين القطيع من كل شىء والجمع أرسال ، وجاءوا رسالة أى جماعة ، فكأنه تصور من هذا اللفظ الاقتطاع ، فقيل للحديث الذى قطع اسناده وبقي غير متصل : مرسل ، أى كل طائفة منهم لم تلق الأخرى ولا لحقتها (٥) .

هذا ما يتعلق بهذا اللفظ من حيث اللغة ، وأما من ناحية الإصطلاح فلتعريف الحديث المرسل ومعرفة حده ينبغى علينا التمييز بينه وبين المنقطع والمعضل . أما المنقطع فقد ذهب الفقهاء والخطيب وابن عبد البر وغيرهم من المحدثين أن المنقطع ما لم يتصل اسناده على أى وجه كان انقطاعه ، وأكثر ما يستعمل فى رواية من دون التابعى عن الصحابي . وقيل هو ما اختل منه رجل قبل التابعى محذوفاً كان أو مبهماً (٦) . والمعضل - وهو بفتح الضاد - يقولون : أعضله معضل وهو ما سقط من اسناده اثنان فأكثر (٧) .

لقد عرّف الحاكم الحديث المرسل فقال : «إن مشايخ الحديث يختلفوا فى أن الحديث المرسل هو الذى يرويه المحدث بأسانيد متصلة إلى التابعى ، فيقول التابعى : قال رسول الله ﷺ (٨) . وهكذا عبر ابن الصلاح تبعاً للحاكم .

(١) القرافي : شرح التنقيح . ص ١٦٤ .

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة . ج ١ ص ٣٩٣ .

(٣) الشيخ أحمد رضا : معجم متن اللغة ج ١ ص ٣٩٣ .

(٤) السخاوى : فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعرافى . ص ١٢٨ .

(٥) العلائى : جامع التحصيل فى أحكام المراسيل . ص ١٤ .

(٦) السيوطى : تدريب الراوى . ج ١ ص ٢٠٧ .

(٧) نفس المصدر . ص ٢١١ .

(٨) الحاكم : معرفة علوم الحديث ص ٢٥ .



يقتضى كلام الحاكم أن إرسال صغار التابعين ومتأخريهم يلحق بالمرسل ، وإن كان ما يروون عن أدركوه من الصحابة يسيراً ، وجل رواياتهم إنما هي عن التابعين .

إن خلاصة أقوال المحدثين في الحديث المرسل بأنه ما رواه التابعي عن رسول الله ﷺ باتفاق على التابعي الكبير واختلافهم في التابعي الصغير هل هو مرسل أو منقطع . وقد وافق المحدثين جماعة من الأئمة كابن فورك ، أبي نصر بن الصباغ ، أبي المظفر بن السمعاني ، وكذلك القرافي .

أما مشايخ أهل الكوفة فيقول الحاكم عنهم بأن كل من أرسل الحديث من التابعين وأتباع التابعين ومن بعدهم من العلماء فإنه عندهم مرسل محتج به<sup>(١)</sup> . وهذا قول معظم الحنفية إلا من أطلق الإرسال على قول الراوي من الأعصار الثلاثة الأولى قال النبي ﷺ .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب في كتابه «الكفاية» : لا خلاف بين أهل العلم أن إرسال الحديث الذي ليس بمدلس ، هو رواية الراوي عن من لم يعاصره أو لم يلقه ، نحو رواية سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير ومحمد بن المنكدر والحسن البصري ومحمد بن سيرين وقتادة وغيرهم من التابعين عن رسول الله ﷺ ، بمثابة في غير التابعين نحو رواية ابن جريج عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواية مالك بن أنس عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، ورواية حماد بن أبي سليمان عن علقمة وكذلك رواية الراوي عن عاصره ولم يلقه كرواية سفيان الثوري ، وشعبة عن الزهري ، وكان نحو ذلك ما لم نذكره ، فالحكم في الجميع عندنا واحد<sup>(٢)</sup> .

والمشهور في الفقه والأصول أن «المرسل قول الإمام» من أئمة النقل وهو من له أهلية الجرح والتعديل (الثقة قال عليه الصلاة والسلام) كذا مقول القول (مع حذف من السند وتقييده) أي القائل أو الإمام القائل (بالتابعي أو الكبير منهم) أي كعبد الله بن عدى وقيس بن أبي حازم (إصطلاح) من المحدثين فدخل في التعريف (المنقطع) بالإصطلاح المشهور للمحدثين (والمعضل) المشهور عندهم<sup>(٣)</sup> . وهو كقول الخطيب وبه قال الشيخ موفق الدين الحنبلي في الروضة<sup>(٤)</sup> والآمدى في الأحكام<sup>(٥)</sup> . والغزالي في المستصفى<sup>(٦)</sup> .

(١) الحاكم : معرفة علوم الحديث . ص ٢٦ .

(٢) الخطيب البغدادي : الكفاية . ص ٣٨٤ .

(٣) ابن همام الدين : تيسير التحرير . ج ١ ص ١٠٢ .

(٤) موفق الدين الحنبلي : الروضة . ص ٦٤ .

(٥) الآمدى : الأحكام في أصول الأحكام ، ج ٢ . ص ١١٢ .

(٦) الغزالي : المستصفى . ج ١ . ص ١٦٩ .

من استقراء ما ذكرناه يبدو بأن اصطلاح المرسل لما ذكر من حيث اللغة ممكناً، وعلى هذا هو والمنقطع سيان لغة واصطلاحاً، ويبدو بأن المنقطع أكثر عموماً - وبه قال ابن عبد البر - عن المرسل إذ أن الأول يتحدد بكل ما لم يتصل سنده سواء كان يعزى إلى النبي ﷺ أو إلى غيره، أما الثاني فهو ما أرسله التابعي عن النبي ﷺ. والمحدثون كما ذكرنا سابقاً يفصلون بين المرسل والمنقطع ويجعلون بينهم اختلافاً واضحاً .

وقد جعل الحنفية وإمام الحرمين المعضل والمرسل سواء، وعند الجمهور يعتبر المعضل أخص، وعندنا المعضل والمرسل متباينان .

#### (٤) مذاهب العلماء في قبول الحديث المرسل والعمل به أو رده :

وقد اختلف العلماء في قبول الحديث المرسل بين القبول مطلقاً والرد مطلقاً أو التفصيل فيه .

ويرجع الخلاف في هذه المسألة إلى القواعد المتبناة من أئمة الأصول والفقهاء في أصول الرواية . أولها: قبول رواية المجهول العدالة والاحتجاج به، وثانيها: هل أن مجرد رواية العدل عن غيره تعديل له أم لا؟، وثالثها: قول الراوي حدثني من لا أتهم أو نحو ذلك هل يحتاج به إذا لم يسمعه أم لا؟. ورابعها: هل يقبل التعديل مطلقاً أم لا بد من ذكر سببه، وهل يشترط عدد معين في التعديل .

إن استقراء هذه القواعد ومناقشتها لتبين ما هو الحق منها، فتخرج في قبول المرسل أو رده إطلاقاً أو التفصيل في ذلك .

#### «أ» - المذهب الأول : قبول المرسل :

ممن قال بقبول الحديث المرسل والعمل به، مالك بن أنس، وأبو حنيفة، وجمهور أصحابها وأكثر المعتزلة كأبي هاشم، وأحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه وابن القيم وابن كثير وغيرهم، ولهم في قبوله أقوال .

أولها : قبول كل مرسل سواء بعد عهده وتأخر زمنه عن عصر التابعين حتى مرسل العصور المتأخرة، وهذا توسع غير مقبول، ومردود بالاجماع في كل عصر، ولو عمل به لزالته فائدة الاسناد وبطلت خصيصة هذه الأمة .

ثانيها : قبول مراسيل التابعين وأتباعهم مطلقاً، قال ابن الحنبلي في «قفو الأثر» : والمختار في التفصيل قبول مرسل الصحابي إجماعاً، ومرسل أهل القرن الثاني والثالث عندنا

(الحنفية) وعند مالك مطلقاً<sup>(١)</sup>. ومن الحجج لهذا القول: أن احتمال الضعف في التابعين، لاسيما بالكذب، بعيد جداً، فإنه ﷺ أثنى على عصر التابعين، ثم للقرنين الذين يلونه، فارسال التابعي وبقية القرون الثلاثة بالجزم من غير وثوق بمن قاله، مناف لها .

واوسع من هذا قول عمر - رضى الله عنه - «المسلمون عدول، بعضهم على بعض، إلا مجلوداً في حد، أو مجرباً عليه شهادة زور، أو ظنياً في ولاء أو قرابة» .

إلا إن كان المرسل معروفاً بالارسال عن غير الثقات، فإنه لا يقبل مرسله . وأما بعد العصر الثالث، فإن كان المرسل من أئمة النقل قبل مرسله<sup>(٢)</sup> وهو قول عيسى بن إبان، أبو بكر الرازي والبزدوى وأكثر المتأخرين من الحنفية، وقال القاضي عبد الوهاب المالكي، هذا هو الظاهر من المذهب عندى<sup>(٣)</sup> .

وثالثها: قبول إرسال التابعين على اختلاف طبقاتهم، وهو قول مالك وجمهور أصحابه، وأحمد بن حنبل وكل من يقبل المرسل من أهل الحديث .

ورابعها: قبول مراسيل كبار التابعين دون صغارهم لقللة روايتهم عن الصحابة كما حكاها ابن عبد البر في التمهيد .

واختلف القائلون بقبول المرسل في طبقتهم هل هو أعلى من المسند، أو دونه، أو مثله؟ . والقائلون بأنه أرجح وأعلى من المسند، وجهوه بأن من أسند فقد أحالك على إسناده، والنظر في أحوال روايته والبحث عنهم، ومن أرسل مع علمه ودينه وإمامته وثقته فقد قطع لك بصحته وكفاك النظر فيه . قال القرافي في شرح التنقيح «إن المرسل أقوى من المسند بهذا الطريق لأن المرسل - بكسر السين - قد تدمم الراوي وأخذه في ذمته عند الله تعالى، وذلك يقتضى وثوقاً بعدالته، وأما إذا أسند فقد فوّض أمره للسامع، ينظر فيه، ولم يتدممه، فهذه الحالة أضعف من الإرسال»<sup>(٤)</sup> .

وساوى بين المرسل والمسند في وجوب الحجة والقبول محمد بن جرير الطبري، وأبو فرج المالكي، وأبو بكر الأبهري، وعندهم متى تعارض مدلول حديث مرسل وآخر مسند فلا ترجيح إلا بأمر آخر خارجي . وقد قدم أكثر محققى المالكية والحنفية كأبى جعفر الطحاوى،

(١) ابن الحنبلى : قفو الأثر . ص ١٤ .

(٢) العلائى : جامع التحصيل فى أحكام المراسيل . ص ٢٧ .

(٣) المصدر نفسه : ص ٢٨ .

(٤) القرافى : شرح التنقيح . ص ١٦٤ .

وأبى بكر الرازى بتقديم المسند على المرسل عند التعارض، وأن المرسل دون المسند بالرغم من قبوله والعمل به .

- «ب» - المذهب الثانى : رد المرسل :

قال الإمام مسلم - رحمه الله - فى مقدمة صحيحه : والمرسل من الروايات فى أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة (١) .

وهو قول عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان وابن المدينى وابى خيثمة زهير بن حرب ويحيى بن معين وابن أبى شيبة والبخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم من أئمة الحديث (٢) .

قال ابن أبى حاتم : سمعت أبى وأبا زرعة يقولان : لا يحتج بالمراسيل ولا تقوم الحجة إلاّ بالأسانيد الصحاح المتصلة (٣) . وهو قول جمهور الشافعية واختيار اسماعيل القاضى وابن عبد البر وغيرهما من المالكية والقاضى أبى بكر الباقلانى وجماعة كثيرون من أئمة الأصول .

والحجة فى رد المرسل هو اننا إذا قبلنا خبر من لا نعلم حاله فى الصدق والعدالة ممن حاله على خلاف ذلك، فنقول على الدين والشرع ما لم نتحقق من صحته، قال تعالى : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ . وقال عز وجل : ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ .

وروى الحاكم فى كتابه علوم الحديث عن يزيد بن هارون قال : قلت لحماذ بن زيد ياأبا اسماعيل هل ذكر الله عز وجل أصحاب الحديث فى القرآن؟ قال : نعم، ألم تسمع إلى قوله عز وجل : ﴿ليتفقها فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ . فهذا فيمن رحل فى طلب العلم ثم رجع به إلى من وراءه ليعلمهم إياه، وقال الحاكم فى هذه الآية دليل على أن العلم المحتج به هو المسموع دون المرسل (٤) ومن الأدلة على رد المرسل ما رواه أبوداود فى سننه فى حديث عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : «تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم» وما رواه الشافعى - رحمه الله - قال : قال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال رسول الله ﷺ : «نضر الله إمرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها

(١) الإمام مسلم : الجامع الصحيح . ج ١ . ص ١٣٢ .

(٢) العلائى : جامع التحصيل فى أحكام المراسيل . ص ٣٠ .

(٣) ابن أبى حاتم : كتاب المراسيل . ص ٧ .

(٤) الحاكم : معرفة علوم الحديث . ص ٢٦ .

إلى من لم يسمعها». والحديثان دالا على أن شأن الرواية اتصال الاسناد، فمتى جوزنا للفرع قبول الحديث من شيخه من غير وقوف على اتصال السند الذي تلقاه شيخه أدى ذلك إلى إختلال السند لجواز أن يكون هذا الساقط غير مقبول الرواية، فلا يجوز الاحتجاج بخبره .

قال الإمام ابن عبد البر : الحجة في رد الإرسال ما أجمع عليه العلماء من الحاجة إلى عدالة المخبر عنه، وانه لا بد من معرفة ذلك، فإذا حكى التابعي عمن لم يلقه لم يكن بد من معرفة الوساطة، إذ قد صح أن التابعين أو كثيراً منهم رووا عن الضعيف<sup>(١)</sup>.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب : «إرسال الحديث يؤدي إلى الجهل بعين راويه ويستحيل العلم بعدالله مع الجهل بعينه»<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد وجد بعد الصحابة من القرنين، من وُجدت فيه الصفات المذمومة، لكن بقلّة، بخلاف من بعد القرون الثلاثة، إذ كثر آنذاك وانتشر، وقد روى الشافعي - رحمه الله - عن عمه : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه، قال : إني لاسمع الحديث أستحسنه، فما يمنعني من ذكره إلا كراهية أي يسمعه سامع فيقتدى به، وذلك أي أسمع من الرجل لا أثق به وقد حدث به عمن أثق به، أو أسمع من الرجل أثق به، قد حدث عمن لا أثق به . وهذا كما قال ابن عبد البر : يدل على أن ذلك الزمان، أي زمان الصحابة والتابعين كان يحدث فيه الثقة وغيره .

### «ج» - المذهب الثالث : التفصيل في المرسل :

للاحتجاج بالحديث المرسل عمد الفقهاء والأصوليون إلى إعتداد معيار لنقد الحديث المرسل وتمحيصه للتأكد من صلاحيته في استنباط الأحكام الشرعية .

قال الإمام الشافعي - رحمه الله : «وأحتجُّ بمرسل كبار التابعين، إذا أسند من جهة أخرى، أو أرسله من أخذ من غير رجال الأول، أو وافق قول الصحابي، أو أفنى أكثر العلماء بمقتضاه»<sup>(٣)</sup>. أما أئمة الجرح والتعديل كيحيى بن سعيد القطان وعلي بن المديني وغيرهما فوضعا قاعدة للتفصيل في قبول ورد الحديث المرسل وذلك في التفريق بين من كان لا

(١) ابن عبد البر النمري : التمهيد . ج ١ ص ٦ .

(٢) الخطيب البغدادي : الكفاية . ص ٣٨٧ .

(٣) النووي : المجموع . ج ١ . ص ٩٩ .

يرسل إلا عن ثقة، وبين من يعرف بإرساله عن كل أحد سواء كان ثقة أم ضعيفاً، فيقبل مرسل الأول ويرد مرسل الثاني. قال ابن أبي حاتم في بداية كتابه «المراسيل»: كان يحيى بن سعيد القطان لا يرى إرسال الزهري وقتادة شيئاً، ويقول هو بمنزلة الريح<sup>(١)</sup>.

إن عدالة كبار التابعين كسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح ومكحول وأمانتهم تحول دون روايتهم عن غير الثقة. فلا يستجيز هؤلاء الجزم بحديث إلا بعد التأكد من ثبوته وعدم وجود ما يقتضى القدح فى المرسل. والدليل على ذلك ما جاء عن ابن عمر -رضى الله عنهما- أنه كان يرسل إلى سعيد بن المسيب يسأله عن قضايا أبيه عمر -رضى الله عنه- وأحكامه مع علمه بأنه لم يدركه ولم يختلف عليه إثنان فى قبولها منه مرسله، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله: إذا لم يقبل سعيد بن المسيب عن عمر فمن يقبل<sup>(٢)</sup>.

وإذا جاء المرسل من وجهين، وكل من الراويين أخذ العلم عن شيوخ الأخر، فهذا يدل على صدقه، فان مثل ذلك لا يتصور فى العادة تماثل الخطأ فيه وتعمد الكذب، والعادة تمنع تماثلها فى الكذب عمداً وخطأً.

قال إمام الحرمين: إذا قال أحد أئمة الجرح والتعديل حدثنى الثقة أو حدثنى من لا أتهم ونحو ذلك وكان ممن يقبل تعديله ويرجع إليه فهو مقبول محتج به بالرغم من إرساله وذلك لأنه لا يقول ذلك إلا عند تحققه من ثقة ذاك الراوى وصدقه. وقد روى عروة بن الزبير لعمر بن عبد العزيز عن النبى ﷺ قوله: «من أحيا أرضاً ميتة فهى له» فأرسله ولم يسنده، فقال له عمر بن عبد العزيز أتشهد على رسول الله ﷺ بذلك؟ فقال: نعم أخبرنى بذلك العدل الرضى فلم يسم من أخبره، فاكتفى منه عمر بن عبد العزيز بذلك.

فالقول المختار فى التفصيل هو أن من عرف من عاداته أنه لا يرسل إلا عن ثقة عدل مشهور بذلك فمرسله مقبول ومن لم تكن عاداته ذلك فلا يقبل مرسله، وهذا القول يحصل الجمع بين الأدلة المتقدمة. فلا يمكننا إنكار قبول المرسل فى الصدر الأول وقد رد جماعة منهم الكثير من المراسيل، فيعزى قبولهم إلى الثقة بمن يرسل الحديث. وإلى هذا أشار ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: كنا إذا سمعنا أحداً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بأذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذل لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف.

(١) ابن أبي حاتم: كتاب المراسيل. ص ٣.

(٢) العلاءى: جامع التحصيل فى أحكام المراسيل. ص ٧٧.

وأما من يرسل عن غير المشهورين، وإن كانوا عنده ثقات فاحتمال جواز كونه ضعيفاً يبقى قائماً، ويندفع هذا الاحتمال ببعض الوجوه التي قالها الإمام الشافعي - رحمه الله - وبدونه لا يمكن اعتماد هذا المرسل .

### (٥) رواية المراسيل والموازنة بينهم :

قال الحاكم : وأكثر ما تروى المراسيل من أهل المدينة، عن ابن المسيب، ومن أهل مكة، عن عطاء بن أبي رباح، ومن أهل البصرة، عن الحسن البصري، ومن أهل الكوفة، عن إبراهيم النخعي، ومن أهل مصر، عن سعيد بن أبي هلال، ومن أهل الشام، عن مكحول<sup>(١)</sup>.

وقد صحح المحدثون مراسيل بعض الأئمة من التابعين، فمراسيل ابن المسيب في مقدمة المراسيل، قال الحاكم : وأصحها مراسيل ابن المسيب لأنه من أولاد الصحابة، وأدرك العشرة، وفقه الحجاز ومفتيهم، وأول الفقهاء السبعة الذين يعتد مالك باجماعهم كاجماع كافة الناس<sup>(٢)</sup>. أما مراسيل الشعبي، فقال أحمد العجلي : مرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحاً<sup>(٣)</sup>. ومراسيل إبراهيم النخعي صحيحة إلا حديث «تاجر البحرين» و«حديث القهقهة»<sup>(٤)</sup>.

وينبغي أن يكون مرسل شريح القاضي أيضاً صحيحاً كمراسيل ابن المسيب والنخعي، فإنه مخضرم ثقة من أجلة التابعين الكبار. أما مراسلات الحسن، فقال ابن المدينة : مراسلات الحسن التي رواها عنه الثقات صحاح، ما أقل ما يسقط منها<sup>(٥)</sup>، وكذا مراسيل ابن سيرين صحاح أيضاً .

ومن أرسل الحديث من ثقات التابعين، سعيد بن جبير، مجاهد، طاووس، عمرو بن دينار، ومراسلات مالك بن أنس أصحهم . واختلف في مراسيل الزهري لكن الأكثر على تضعيفها، قال يحيى بن معين : مراسيل الزهري ليست بشيء، وهو قول الشافعي أيضاً<sup>(٦)</sup>.

(١) الحاكم : معرفة علوم الحديث . ص ٢٥ .

(٢) الحاكم : معرفة علوم الحديث . ص ٢٦ .

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ . ج ١ ص ٧٩ .

(٤) الزيلعي : نصب الراية . ج ١ ص ٥٢ .

(٥) السيوطي : تدريب الراوي ج ١ ص ١٢٤ .

(٦) العلاءي : جامع التحصيل في أحكام المراسيل . ص ٤١ .

## خاتمة :

لقد تنازع الناس في قبول المراسيل وردها، فغالى البعض بالقبول بها مطلقاً وهذا غير مقبول، لأن هذا يؤدي إلى إزالة فائدة الإسناد، وغالى الآخرون برد المرسل مطلقاً، فرد بذلك شطراً من السنة ومصدراً من مصادر الأحكام الشرعية .

وأصح الأقوال أن منها المقبول، ومنها المردود، ومنها الموقوف، فمن علم من حاله أنه لا يرسل إلا عن ثقة : قبل مرسله، ومن عرف أنه يرسل عن الثقة وغير الثقة، فإن أرسله عمّن لا يعرف فهو موقوف، وما كان من المراسيل مخالفاً لما رواه الثقات كان مردوداً .

إن معيار نقد الحديث المرسل الذي تبناه كبار الفقهاء والأصوليون، كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، والغزالي، والآمدي، وغيرهم - رحمهم الله - يؤكد على :

- ١ - إعتضاد المرسل بمسند آخر .
  - ٢ - إعتضاد المرسل بمرسل آخر بمعناه عن آخر، فيدل على تعدد المخرج .
  - ٣ - موافقة قول بعض الصحابة للمرسل .
  - ٤ - أن يكون قول أكثر أهل العلم به .
- فإذا إعتضد المرسل المروي عمّن يروى عن الثقات بأحد هذه الأربعة دل على حجة صحته وإمكانية إعتماده في إستنباط الأحكام الشرعية .





## المراجع

- (١) ابن منظور: لسان العرب، الجزء الحادى عشر، ١٣٧٥هـ، الطبعة الأولى، دار صادر - بيروت .
- (٢) ابن همام الدين، كمال الدين محمد بن عبد الواحد. التحرير. الطبعة الأولى. ١٣٥١هـ. مطبعة بابى الحلبي - القاهرة .
- (٣) الشيخ أحمد رضا: معجم متن اللغة. الجزء الأول، الطبعة الأولى. ١٣٧٧هـ. دار مكتبة الحياة - بيروت .
- (٤) أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة. الجزء الأول. الطبعة الأولى. ١٣٦٦هـ. دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .
- (٥) الأمدى، سيف الدين أبى الحسن على بن أبى على بن محمد: الإحكام فى أصول الأحكام. الجزء الثانى. ١٣٨٧هـ. مؤسسة الحلبي وشركاؤه - القاهرة .
- (٦) البغدادى، الخطيب: الكفاية فى علم الرواية. الطبعة الأولى. ١٣٤٧هـ - حيدرآباد الدكن .
- (٧) الزبيدى: تاج العروس. الجزء السابع. الطبعة الأولى. ١٣٠٦هـ. دار ليبيا للنشر والتوزيع - ليبيا .
- (٨) الزيلعى: نصب الراية فى تخريج أحاديث الهداية. الجزء الأول. ١٣٥٧هـ. دار المأمون .
- (٩) السخاوى، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقى. الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ، المكتبة السلفية - المدينة المنورة .
- (١٠) العلائى، الحافظ صلاح الدين أبى سعيد خليل بن كيكلى، جامع التحصيل فى أحكام المراسيل. الطبعة الأولى. ١٣٩٨هـ. الدار العربية للطباعة - بغداد .
- (١١) السيوطى، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر: تدريب الراوى شرح تقريب النواوى. الطبعة الثانية. ١٣٨٥هـ. دار الكتب الحديثة - القاهرة .
- (١٢) النووى. الحافظ محى الدين أبوزكريا يحيى بن شرف. التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير. الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ. دار الكتب الحديثة - القاهرة .
- (١٣) المؤلف نفسه: المجموع شرح المهذب، الجزء الأول. الطبعة الأولى. بدون تاريخ. مطبعة العاصمة - القاهرة .

- (١٤) النيسابوري، الإمام الحاكم أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله، معرفة علوم الحديث. المكتبة العلمية - المدينة المنورة .
- (١٥) الحنبلي، رضى الدين، قفو الأثر. ١٣٢٦هـ. مطبعة السعادة .
- (١٦) القرافى، شرح التنقيح. الطبعة الأولى، ١٣٠٦هـ. المطبعة الخيرية القاهرة .
- (١٧) ابن أبي حاتم، المراسيل، بدون تاريخ .
- (١٨) القرطبي، ابن عبد البر النمري، التمهيد، الجزء الأول. ١٣٨٧هـ. الرباط .
- (١٩) الدكتور صبحى الصالح: علوم الحديث ومصطلحه. الطبعة العاشرة. ١٩٧٨. دار العلم للملايين - بيروت .
- (٢٠) القاسمي، محمد جمال الدين: قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث. الطبعة الثانية. ١٣٨٠هـ. دار إحياء الكتب العربية - دمشق .
- (٢١) التهانوى، ظفر أحمد العثماني: قواعد في علوم الحديث. الطبعة الثالثة. ١٣٩٢هـ. دار القلم - بيروت .

## ترجمان الشافعى

لما مرض الإمام محمد بن إدريس الشافعى - رحمه الله - مرضه الذى مات فيه، قال لمن كان عنده :

«إذا مت، فقولوا لفلان يغسلنى» .

فلما توفى وابلغوا كلمة الشافعى إلى ذلك الرجل قال :

اثنونى بتذكرته . فجىء بها فوجد فيها على الشافعى سبعين الف درهم لفلان وفلان، فكتبها الرجل على نفسه وقال :

«هذا هو الغسل الذى أراد» . . .

العقيدة



# أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَيَّ لِيُطْفِئَ عِبَارَةَ اللَّهِ تَعَالَى

وَضَوْعِ ذَلِكَ فِيهِ كِتَابُ اللَّهِ وَدَعْوَاتِ الرَّسُولِ

لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْغَنِيمَانِ

رئيس قسم الدراسات العليا

①

الحمد لله الغنى الحميد، المبدىء المعيد، غنى بذاته عن كل من سواه، وكل من سواه فقير إليه، وصائر إليه، وهو تحت قهره وتصرفه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين . . .

وبعد . . . فإن الله تعالى خلق الإنسان وفضله على كثير من خلقه، بالعقل والفكر والنطق والبيان، ووهبه القدرة على الكسب والقوة على العمل، ليكون مؤهلاً للأمر والنهي، وجعل له دارين، داراً للابتلاء والاختبار والتمييز بين الصالح والفساد، ومحلاً لكسب الاعمال، التي بها يستوجب الثواب أو العقاب، وجعل لها مدة محددة، وأجلاً قصيراً، ثم ينقل إلى الدار الأخرى التي لا تنتهى ولا تنقطع، قال تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾ .

فإن الله تعالى أوجد الإنسان بعد أن كان معدوماً، واعطاه ما يحتاج إليه في حياته وما يكون سبباً لسعادته من العقل والفكر الذي يميز به ما ينفعه مما يضره وما يلزم لذلك من السمع والبصر، والقوى التي يتمكن بها من العمل . قال تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل إما شكوراً وإما كفوراً﴾ . (الإنسان: ١ - ٥) فقوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ . وقوله: ﴿نبتليه﴾ هذا ما خلق الإنسان من أجله، وقد بين ذلك تعالى بيانياً واضحاً وضوح النهار .

قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله، واجتنبوا الطاغوت، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ . (النحل: ٣٦) . وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون﴾ . (الأنبياء: ٢٥) .

وفي القرآن آيات كثيرة تنص على وجوب عبادة الله تعالى ، وتبين لزوم ذلك للإنسان لزوم أمر أوجبه الله تعالى عليه ، وأكثر تعالى من التهديد والوعيد لمن تركه ، وأعرض عنه ، ومن الترغيب والوعد بالجزاء الجميل لمن امتثل ذلك واتبع الرسل ، ومع وضوح هذا الأمر وكثرة ما أحيط به من ترغيب في فعله في الدنيا والآخرة ، ومن ترهيب لمن أعرض عنه وجانبه مع ذلك كله فقد ضل عنه أكثر الخلق إما جهلاً ، وإما عمداً وعناداً ، وذلك أن الذي يحمل العبد على امتثال أمر الله واتباع رسله هو قوة الإيمان بالله ، وبما أعده لمن آمن به وعمل صالحاً وما أعده لمن عصاه وبارزه بالمعاداة والمحاربة .

ومع الإيمان فلا بد من العلم بأمره وشرعه ، ومع فقد هذين الأمرين يستحكم الضلال ، والبعد عن كل خير ، لهذا صار أهم ما على العبد معرفته ما أوجبه الله عليه ، والعمل به ، وأول ما أوجب الله تعالى على العبد وأعظمه هو الإيمان به تعالى وبرسوله - ثم الاهتداء إلى ذلك وتفصيله بالوحي الذي جاء به النبي ﷺ قال تعالى : ﴿ قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي ﴾ . (سبأ : ٥٠) فالاهتداء يكون بالوحي ولهذا أمر الله تعالى أهل العقل بتدبر القرآن واستماعه والانصات لتلاوته ، وحض فيه على التدبر والتفكير والتذكر والعقل والفهم والتأثر منه بالوجل ، والبكاء والخشية لما فيه من العلم والهدى ، والمقصود من ارسال الرسل إلى العباد ، وانزال الكتب عليهم إصلاح أحوالهم في الدنيا والآخرة ، وأن يعرفوا ما خلقوا من أجله ويصلوا إليه وهو عبادة ربهم وحده لا شريك له .

والعبادة أصلها عبادة القلب ، المستلزمة لعبادة الجوارح ، فإن القلب هو الملك ، والاعضاء جنوده ، وإذا صلح الملك صلحت الجنود ، كما قال ﷺ : « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسدت لها سائر الجسد ألا وهى القلب » (١) .

والقلب بعبادة الله تعالى والاستعانة به : معتصم مستمسك قد لجأ إلى ركن وثيق ، واعتصم بالدليل الهادى والبرهان المتين ، فلا يزال في زيادة من العلم والإيمان ، أو سلامة من الجهل والضلال ، سالماً من جهل أهل التصوف وعباد الخلق ، وضلال المتكلمين أهل الشك والحيرة والخذلان . والعبد لما كان مخلوقاً مربوباً ، عاد في علمه وعمله إلى خالقه وباريه فبه

(١) رواه البخارى ومسلم أنظر الفتح ج ١ ص ١٢٦ وج ٤ ص ٢٩٠ ومسلم ج ٣ ص ١٢٢٠ .

يهتدى وله يعمل، وإليه يصير، فلا غنى له عنه، وانصرافه إلى غيره هو عين هلاكه وفساده، وبالله له عن كل شيء عوض، وليس لكل شيء عن الله عوض وليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المرادة له والتي خلق من أجلها، فما سوى ذلك إما فضل نافع أو فضول غير نافعة أو فضول ضارة، ولهذا صارت دعوة الرسل لأمرهم إلى الإيمان بالله وعبادته، فكل رسول يبدأ دعوته بذلك كما يعلم من تتبع دعوات الرسل في القرآن، بخلاف الطرق الكلامية الفلسفية فإنهم يبدأون بنفوسهم فيجعلونها هي الأصل الذي يفرعون عليه، فيتكلمون في ادراكاتهم للعلم، أنه مرة يكون بالحس ومرة بالعقل، أو بهما .

ويجعلون العلوم الحسية والبديهية هي الأصل الذي لا يحصل علم إلا بها على حد زعمهم، مثل الأمور الطبيعية والحسائية، والأخلاق، وبنوا سائر العلوم على هذه الأمور الثلاثة، ولهذا كانوا يمثلون بها في أصول العلم والكلام كقولهم: إن الواحد نصف الاثنين، والعشرة أكثر من الخمسة، والجسم لا يكون في مكانين، والضدان لا يجتمعان كالسواد والبياض، هذا في الحسائية والطبيعية، وأما الأخلاق فمثل استحسان العلم، والعدل والعفة والشجاعة .

ثم إذا تجاوزوا هذه الأمور إلى العالم العلوي فمقصودهم اثبات خالق العالم والدلائل التي بها تثبت النبوة على طريقهم فإذا ثبتت النبوة تلقوا عنها السمعيات، وهي الكتاب والسنة والاجماع، وهذه الطريقة فيها فساد كثير في وسائلها ومقاصدها كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كثير من كتبه، أما الوسائل مع صعوبتها ففيها خطورة ومزلات عظيمة وأما مقاصدها فغايتها اثبات ربوبية الله تعالى للكون فهي كما قيل لحم جمل غث، على رأس جبل وعمر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل، مثال ذلك قولهم كما في نهاية المرام والارشاد وغيرهما: «إن الله لا يعرف إلا بآيات حدوث العالم ثم الاستدلال بذلك على محدثه، والدليل على أن العالم حادث، ما فيه من الأعراض، والأعراض هي صفات الاجسام»<sup>(١)</sup>، وجمهور المتكلمين يستدلون بهذا الدليل بعينه على نفى صفات الله تعالى حيث قالوا: إن حركات الاجسام واعراضها هو الذي دل على حدوثها، وسموا الصفات أعراضاً مثل العلم والرحمة والغضب والرضا وغير ذلك وقالوا: إذا اتصف بذلك صار محلاً للحوادث، وما كان محلاً للحوادث فهو حادث .

(١) انظر غاية المرام ص ٧ وانظر الارشاد ص ١٨ .

[والقدرية من المعتزلة يعتقدون أن اثبات الرب تعالى لا يمكن إلا بعد اعتقاد أن العبد هو المحدث لافعاله، وإلا انتفض الدليل]. وكثير منهم جعل سلوك هذا متعيناً لأنه الموصل إلى معرفة الله، ومن لم يسلك ذلك لم يعرف ربه. وبطلان هذا معلوم بالكتاب والسنة واجماع أئمة المسلمين. قال الله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾. (البينة: ٥). وقال تعالى: ﴿فاعبدوا الله مخلصاً له الدين﴾. (الزمر: ٢). وقال: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾. (البقرة: ٢١). وهذا كثير فى القرآن يأمر الله تعالى أن يعبد ويخلص له الدين، وأن يؤمن به ابتداءً، وكذلك النبى ﷺ لم يدع الناس إلى النظر ابتداءً إلى الاستدلال على وجود الله تعالى، ولا إلى مجرد اثبات وجوده، بل أول ما دعاهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وكان يأمر رسله والدعاة الذين يبعثهم لنشر دعوته بأن يبدؤا بدعوة الناس إلى أن يوحدوا الله أولاً بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما فى حديث معاذ المتفق على صحته حينما بعثه إلى أهل اليمن قال: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم». (١) وقوله فى حديث أبى هريرة الذى فى الصحيحين وحديث ابن عمر: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وانى رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». (٢) وقد أجمع الصحابة وأئمة المسلمين من بعدهم على أن الكافر يدعى إلى الشهادتين مهماً كانت عقيدته وعمله فإذا أجاب ونطق بالشهادتين حكم بإسلامه ظاهراً، فإن كان صادقاً فى نطقه فهو مسلم ظاهراً وباطناً، وإن كان كاذباً فى الباطن فهو منافق.

وليس فى كتاب الله أن النظر أول الواجبات، بل ولا فيه ايجاب النظر على كل أحد، وإنما فيه الأمر بالنظر لبعض الناس الذين لا يحصل لهم الإيذان إلا به كقوله تعالى: ﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين، أولم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون﴾. (الأعراف: ١٨٤-١٨٥). فقول الجوينى مثلاً فى الارشاد (ص ٣): «أول ما

(١) البخارى انظر الفتح ج ٣ ص ٢٦١، ٣٢٢، ٣٥٧ ومواضع أخر وانظر مسلم ج ١ ص ٥٠.

(٢) البخارى ومسلم انظر الفتح ج ٣ ص ٢٦٢ ج ١٢ ص ٢٧٥ وانظر مسلم ج ١ ص ٥٢-٥٣.



ما يجب على العاقل البالغ، باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعاً، القصد إلى النظر الصحيح المفضى إلى العلم بحدوث العالم» ومثل ذلك قال الرازي (انظر المحصل ص ٤٧) وكذلك الايجي في المواقف (ص ٣٢) وغيرهم، وهذا كلام مخالف لكتاب الله تعالى ولما علم من دعوة رسول الله ﷺ، ولما أجمع عليه أئمة المسلمين، وإذا سلم لهؤلاء، «أن أول الواجبات هو النظر، أو المعرفة أو حتى الشهادتين كما هو الصحيح قال ابن المنذر: «اجمع كل من احفظ عنه من أهل العلم على أن الكافر إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وإن كل ما جاء به محمد حق، وأبرأ من كل دين خالف دين الإسلام، وهو بالغ صحيح العقل أنه مسلم، فإن رجع بعد ذلك فإظهار الكفر كان مرتداً، يجب عليه ما يجب على المرتد» (الوسط: ص ٧٣٥) فكيف يجب على البالغ أن يفعل عقب البلوغ وقد فعله قبل ذلك، وخصوصاً إذا كان النظر مستلزماً للشك المتأني لما حصل له من المعرفة والإيمان، فيكون التقدير أن يقال: اكفر ثم آمن، واجهل ثم اعرف وهذا كما أنه محرم شرعاً، فهو ممتنع في العقل، فإن تكليف العالم الجاهل من باب تكليف ما لا يقدر عليه، فإن الجاهل يمكن أن يصير عالماً أما العالم فلا يقدر أن يصير جاهلاً.

كما أن من رأى الشيء وسمعه لا يمكن أن يقال لا يعرفه، فمن كان الله قد انعم عليه بالإيمان وشرح صدره للإسلام قبل بلوغه كيف يؤمر بما يناقض إيمانه ومعرفته .  
والسلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، وأن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك بعد البلوغ .

والشهادة تتضمن الاقرار بالله تعالى وبرسوله، لكن مجرد معرفة الله تعالى لا يصير بها الإنسان مؤمناً وإن كان يعلم أنه رب كل شيء فلا بد للإيمان من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهذا هو الذى دل عليه كتاب الله تعالى . قال الله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ . (الذاريات : ٥٦) فالعبادة هي الغاية المقصودة من الخلق التى أرادها الله منهم بأمره وشرعه، وبها يحصل محبوبه تعالى، وتحصل سعادتهم ونجاتهم، وهذا لا يخالف كون كثير منهم لم يعبد، لأن الله تعالى لم يجعلهم عابدين له، لما فى ذلك من تفويت محبوبات له أخرى، هي أحب إليه من عبادة أولئك وحصول مفاصد أخرى هي أبغض من معصيتهم كما قال تعالى : ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ . (هود : ١١٩) فهو تعالى أراد بخلقهم ما هم صائرون إليه من الرحمة والاختلاف ارادة كونية قدرية، ففى قوله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ . ذكر الغاية

التي أمروا بها، وفي قوله تعالى: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾. ذكر الغاية التي يصيرون إليها، وكلاهما مرادة له تعالى تلك مرادة بأمره وشرعه، والموجود منها مراد بخلقه وأمره، والأخرى مرادة بخلقه، والمشروع منها مراد بخلقه وأمره، وهذا معنى ما يروى عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿إلا ليعبدون﴾. قال معناه: إلا لأمرهم أن يعبدون، وادعواهم إلى عبادتي، وقاله مجاهد أيضا.

وقال ابن عباس: ﴿إلا ليعبدون﴾. ليقروا لي بالعبودية، طوعاً وكرهاً.

وقال السدي: خلقهم للعبادة، فمن العبادة عبادة تنفع، ومنها عبادة لا تنفع كما قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾. (لقمان: ٢٥) فهذا منهم عبادة ولكنها لا تنفعهم، وقال الكلبي: إلا ليوحدوني، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة، والبلاء دون النعمة والرخاء، كما قال تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾. (العنكبوت: ٦٥) (١).

وهذه الأقوال تبين أن جميع الانس والجن مقرون بالخالق معترفون به، خاضعون لعبوديته طوعاً وكرهاً، وهذا يقتضى أن هذه المعرفة من لوازم نشأتهم لا ينفك عنها أحد منهم، وبه يعلم أن أصل الاقرار بالله تعالى، والاعتراف به رباً مستقر في قلوب جميع الانس والجن، وأنه من لوازم خلقهم، ضروري فيهم، وإن قدر أن الاقرار بالرب تعالى أنه يحصل بسبب يعرض للإنسان في حياته فهو في الحقيقة يظهر بذلك ويرز، وهذا والله اعلم هو الاقرار والشهادة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾. (الأعراف: ١٧٢-١٧٣). وشهادة المرأ على نفسه في القرآن يراد بها اقراره، فمن أقر بحق عليه فقد شهد به على نفسه كما قال تعالى: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾. (التوبة: ١٧). لأنهم كانوا مقرين بما هو كفر، فصار ذلك شهادة منهم على أنفسهم وقال تعالى: ﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾. (الأنعام: ١٣٠). فشهادتهم على أنفسهم هو اقرارهم على أنفسهم.

(١) انظر تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٤٠١-٤٠٢. ط. الشعب.

وقولهم : ﴿بلى شهدنا﴾ أى أنهم أقروا بأن الله ربهم ، ومن أخبر بأمر عن نفسه فقد شهد به على نفسه . وقوله : ﴿واشهدهم﴾ يدل على أنه هو الذى جعلهم شاهدين على أنفسهم بأنه ربهم ، وهذا الاشهاد مقرون بأخذهم من ظهور آبائهم ، وهو أخذ المنى من أصلاب الآباء ونزوله فى أرحام الأمهات فالمعنى : أذكر حين أخذوا من أصلاب الآباء فخلقوا حين ولدوا على الفطرة مقرين بالخالق شاهدين على أنفسهم بأن الله ربهم ، فالأخذ يتضمن خلقهم ، والاشهاد يتضمن هداه إلى الاقرار بأنه ربهم .

ولهذا صار الاقرار بوجود الله تعالى مما لا يحتاج إلى برهان ، فإن الفطر الإنسانية السليمة تشهد بضرورة فطرتها ، وبديهية فكرتها على خالق حكيم ، قادر عليم ﴿أفى الله شك فاطر السماوات والأرض﴾ . ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ . (الزخرف : ٨٧) .

ومن غفل عن هذه الفطرة فى حال السراء فإنه يلوذ بها فى حال الضراء ﴿فإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ . (الأسراء : ٦٧) . ولهذا لم يأت الأمر التكليفي بوجود معرفة وجود الله تعالى خلافاً لما يقوله أهل الكلام ومن سلك طريقهم ، وإنما جاء الأمر بوجود عبادته وتوحيده ونفى الشرك كما قال ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» . وقال تعالى : ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾ . (محمد : ١٩) . وهذا هو محل النزاع بين الرسل وأمهم كما قال تعالى : ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ . (النحل : ٣٦) .

وهذا هو التوحيد الواجب على كل الخلق ، وهو مبنى على أن الله واحد فى الهيته لا ند له ، وواحد فى ذاته وصفاته وأسمائه لانظير له ، وواحد فى ملكه وأفعاله لاشريك معه ، فلا بد أن يعبد الله وحده لا يشرك معه غيره ، والشرك فى العبادة هو أن يجعل معه إله آخر يتوجه إليه بنوع من أنواع العبادة ، وهذه أقسام التوحيد الثلاثة ، توحيد العبادة ، وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات وهذا هو الدين الذى جاءت به الرسل من عند الله موجبين على الخلق أخذه والإيمان به وهو اخلاص التآله والتوجه إلى الله وحده ، وعبادته بأسمائه وصفاته ، وفعل أمره ، واجتناب نهيهِ .

### ثمره التوحيد

والتوحيد الخالص هو الذى يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الاغيار ويفك إرادتهم من أسر الرؤساء الروحانيين كما يسمون ، وشيوخ الطرق الباطلة والدجل ، والضلال

والتعلقات بالاحياء والأموات ، ويخلصها كذلك من إله المادة والتعلق بالطواغيت الماديين وكل مخلوق ، فيطلق عزائمهم من قيود العبودية لغير الله والتعلقات بالاحياء والأموات ، فيكون المؤمن مع الناس حراً عزيزاً كريماً ، ومع الله عبداً خاضعاً ذليلاً خائفاً ، فهذا الذى يجب على العبد أن يعتنى به أشد الاعتناء ، ويحذر أشد الحذر أن ينحرف عنه ، لأن الانحراف عنه هو الهلاك المحتم والخسران الأكبر والخلود فى جهنم ، مع أن أقسام التوحيد الثلاثة متلازمة ولكن توحيد الربوبية أمر فطرى خلقى : «والرب هو المربى الخالق الرازق الناصر الهادى» (١) .

«فالرب هو الذى يربى عبده فيعطيه خلقه الذى تتم حياته به ، ثم يهديه إلى جميع مصالحه» (٢) . فتوحيد الربوبية هو العلم بأن الله تعالى هو مالك الأشياء كلها ، ومصرفها على ما يريد فالأمر كله راجع إليه تعالى ، من خلق السماوات وما فيها ، وتصريف شأنها ، وخلق الأرض ومن عليها ، وما فيها من معادن ، وأسرار ، وخلق الرياح وتصريفها ، والسحب وتسخيرها تحمل الماء إلى ماشاء الله تعالى من الاماكن ، فينزله ، وبه تحي الأرض الميتة وايجاد الأرزاق للحيوانات والدواب والأناسى ، والاحياء والاماتة ، وتنظيم أمور الكون كله من بداية وجوده إلى نهايته ، وإلى ماشاء الله تعالى ، فالجميع ملك الله تعالى وتحت قهره وتصرفه ، حسب ارادته جل وعلا ، وهذا يقربه كل المكلفين من مؤمن وكافر إلا من عاند وكابر منهم ، والمعاند لا تجدى فيه الأدلة ، ولا تزيده المجادلة إلا تماديا فى ضلاله ، وإنما خلق له الحديد الذى فيه البأس الشديد . قال الله : ﴿فانهم يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ . (الأنعام : ٣٣) . فبين الله تعالى أن الكفار يعلمون ان ما جاء به الرسول ﷺ حق ، وقال تعالى : ﴿انك لا تسمع الموتى ، ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ، وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ . (النمل : ٨٠-٨١) . وأشهر من عرف فى الماضى فى تجاهله وإنكاره لله تعالى هو فرعون ، وكان مستقينا فى قلبه وجود الله تعالى ، وأنه مالك كل شىء كما قال تعالى عن موسى أنه قال له : ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾ . ﴿الأسراء : ١٠٢﴾ . وقال تعالى مخبرا عنه وعن قومه : ﴿وجحدوا بها ، واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا﴾ . (النمل : ١٤) . ولهذا قال منكرأ على موسى : ﴿ومارب العالمين﴾ . (الشعراء : ٢٣) . فقال له موسى : ﴿رب السماوات والأرض ، وما بينهما ان كتتم موقنين ، قال لمن حوله : ألا تستمعون ، قال :

(١) مجموع الفتاوى ج ١٤ ص ١٣ .  
(٢) المصدر نفسه .

ربكم ورب آبائكم الأولين، قال إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون، قال: رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴿٢٤- ٢٨﴾ وما زعمه بعضهم أن قول فرعون: ﴿ومارب العالمين﴾. استفهام استعلام، وسؤال عن ماهية، وأن موسى عجز عن الجواب، لأن الله تعالى لا ماهية له. هو زعم باطل بل الاستفهام للانكار كما دلت عليه الآيات الأخرى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾. وقوله: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾. وكل من انكر وجود الله تعالى فلا يخلو من العناد والكبر.

أما غير المعاند فإنه يعترف بأن الله لا منازع له فى الملك والايجاد والقهر والتدبير ولا مشارك له فيه ولا معين، كما قال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض، وما لهم فيها من شرك، وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾. (سبأ: ٢٢- ٢٣).

والله عز وجل فطر جميع خلقه على معرفة هذا النوع من التوحيد، فلذلك يلجئون إليه عند النوائب، ويفزعون إلى الله كلما الجأتهم الازمات، وألمت بهم الكربات، وأصابتهم النكبات، فيخلصون له العبادة عند ذلك، كما لجأ إليه كبراء الملاحدة وقت الشدة مثل فرعون وذويه، فقد أخبر الله تعالى أنهم أنكروا وجود الله تعالى، وقت المجادلة لموسى عليه السلام عند العافية، فلما أدركهم الغرق، ذهب عنادهم، واعترفوا بالحق الذى كانوا ينكرونه عناداً وتكبراً، قال الله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا اسرائيل﴾. (يونس: ٩٠).

وقال تعالى: ﴿قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين، بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾. (الأنعام: ٤٠- ٤١). وهذا صريح فى أنهم يعلمون أن الله هو المالك لكل شىء المتصرف فيه بما شاء، ولهذا صار الاقرار بهذا النوع من التوحيد لا ينفع ولا ينجى من العذاب حتى ينضاف إليه توحيد القصد والنية والارادة والتوجه، والمقرب بتوحيد التصرف والملك لا يصير به مسلماً كما دلت على ذلك آيات كثيرة من كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ولئن سألت من خلقهم ليقولن الله﴾. (الزخرف: ٨٧). وقال تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض، أمن يملك السمع والابصار، ومن يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ومن يدير الأمر فسيقولن الله فقل أفلا تتقون﴾. (يونس: ٣١).

وقال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله ﴾ . (العنكبوت : ٦٣) . وآيات القرآن في هذا كثيرة، وهي تدل على أن الكفار يؤمنون بهذا القسم من التوحيد ولم يجعلهم ذلك مسلمين، بل فوق هذا كانوا يخلصون الدعاء لله - الذى هو توحيد العبادة - في حالة الاضطرار، ثم يعودون إلى شركهم في الرخاء، كما قال الله تعالى عنهم : ﴿ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ . (العنكبوت : ٦٥) . ومعنى قوله تعالى : ﴿ دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ أنهم توجهوا إلى الله وحده بالعبادة، من الدعاء، والذل، والخضوع، والرغبة والخوف، والألتجاء، لعلمهم أن شركاءهم لا يملكون لهم نفعاً، ولا يستطيعون دفعاً عنهم، وإنما الأمر كله بيد الله تعالى وحده والذى صيرهم مشركين وأوجب خلودهم في النارهم زعمهم أن أصنامهم ومن يتوجهون إليهم يشفعون لهم عند الله كما قال الله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبؤن الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ . ﴿ يونس : ٢٨) . والمعنى أن الله لا يعلم أحداً يشفع عنده لهؤلاء لا من أهل السماء ولا من أهل الأرض، لأن الشفاعة لله وحده ولا أحد يستطيع أن يشفع عنده حتى يأمره بذلك ويأذن له فيمن يشفع فيه، وإذا كان الله تعالى لا يعلم شافعاً لهم لا في السماوات ولا في الأرض فالشافع لا وجود له .

روى الحاكم والدارقطنى وابن مردويه : أن النبي ﷺ لما فتح مكة فر عكرمة بن أبى جهل فركب البحر، فأصابهم عاصف، فقال أصحاب السفينة : اخلصوا فإن آهتكم لا تغنى عنكم هاهنا شيئاً، فقال عكرمة : والله لئن لم ينجنى في البحر إلا الاخلاص، لا ينجينى في البر غيره اللهم إن لك على عهداً ان عافيتنى مما أنا فيه أن أتى محمداً حتى أضع يدي في يده فلا أجدره إلا عفواً كريماً . قال : فنج فأسلم (١) .

قال قتادة : « الخلق كلهم يقرون لله أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك » (٢) .

المشركون اليوم أعظم شركاً ممن بعث فيهم رسول الله ﷺ وبهذا يتبين سفاهة عقول مشركى هذا الزمان، وعظم شركهم، وأنه لم يصل إليه شرك السابقين . فمشركوا وقتنا هذا يخلصون الدعاء وتزداد انابتهم، ويتضاعف ذلهم وخضوعهم لمن يعبدونه من دون الله تعالى ممن يدعون لهم بالولاية، عندما يقعون في الشدائد،

(١) الاصابة ج ٥ ص ٥٣٩ وانظر البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩٨ .

(٢) انظر تفسير الطبرى ج ١٣ ص ٧٨ .

والكربات، ويشركونهم مع الله تعالى حتى في الربوبية، ويجعلون لهم التصرف، والهداية وجلب النفع، ودفع الضرر بخلاف مشركى العرب زمن الرسول ﷺ فما كان أحد منهم يدعى ذلك لآلهته وإنما كانوا يقولون: إنها تشفع لهم عند الله، وتقرهم إليه تعالى، كما قال تعالى عنهم: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾. (الزمر: ٣) ومع ذلك لم يكن شركهم مستمرا في كل وقت كهؤلاء المشركين الذين يزعمون أنهم مسلمون، بل في وقت الشدائد يخلصون العبادة لله تعالى كما سبق بعض الأدلة على ذلك .

ومن سفاهة هؤلاء أنهم جعلوا الشرك الذى هو أعظم الذنوب أفضل أعمالهم، ورموا من أنكر عليهم ذلك بالجفاء، وتنقص الأنبياء والأولياء، وبأنهم خوارج يكفرون المسلمين .

وذلك لأنهم جهلوا معنى العبادة، ومعنى الإله، فظنوا أن معنى الإله الرب الخالق المحيى الميت، القادر على كل شىء، وظنوا أن الدعاء والاستغاثة ليست عبادة، وسموا ذلك توسلا وتعلقا، لأن القرآن صرح أن عبادة غير الله كفر، وأستبعدوا أن تكون هذه الأعمال التى أدركوا عليها آباءهم وقومهم شرك من أعمال المشركين، فسموا العبادة بغير اسمها لجهلهم دين الإسلام ولغته .

وجهلوا الشرك، فظنوا أنه السجود للصنم، والصلاة له، واعتقاد أنه تدبير الأمور مع الله والتصرف فى الكون، واعتقدوا أن المشركين السابقين يعتقدون فى آلهتهم هذا المعنى، فحملوا آيات القرآن فى الشرك على هذا المعنى .

قال صاحب فرقان القرآن فى (ص ١١١) فى تعريفه العبادة: «الإتيان بأقصى غاية الخضوع قلبا باعتقاد ربوبية المخضوع له أو قالبا مع ذلك الاعتقاد، فإن انتفا ذلك الاعتقاد لم يكن ما أتى به من الخضوع الظاهرى من العبادة شرعا فى كثير ولا قليل، مهما كان المأتى به ولو سجودا» .

وقال فى (ص ٨٧): «توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية متلا زمان عرفا وشرعا، فالقول بأحدهما قول بالآخر، والاشراك فى أحدهما اشراك فى الآخر، فمن اعتقد أنه لا رب ولا خالق إلا الله لم ير مستحقا للعبادة إلا هو ومن اعتقد أنه لا يستحق العبادة غيره فذلك بناء منه على أنه لا رب إلا هو، ومن أشرك مع الله غيره فى العبادة كان لا محالة قائلا بربوبية هذا الغير هذا ما لا يعرف الناس سواه» . . .

ونقل محمود حسن عن هذا الرجل أنه قال فى مؤلف له آخر: «ان من ود الرب تعالى أنزال الغوث والرحمة على من يذكر أحبائه ويناديمهم ويستغيث بهم ولو كانوا غائبين أو متوفين» . (ص ٦٥): كشف الشبهات .

وقال محمود حسن ربيع في كتابه كشف الشبهات أيضا : « ان استعانتك بالأولياء الذين تعتقد أن لهم حياة وتصرفا بأقدار الله ، ليس شركاً ، وان الشرك لو اعتقدت فيهم ربوبية» (ص ٥٧) . وقال في (ص ٥٨) : « فمن أخذ من الأنبياء والأولياء وسيلة إلى الله جلب نفع أو دفع ضرر من الله فهو سائل الله» . . . «ومن قال يارسول الله أريد أن ترد على عيني ، أو ترفع عنا الجذب ، أو يزول عنا المرض ، وهو من المؤمنين كان ذلك دليلاً على أنه يطلب من الله» .

فهذه التعريفات للعبادة والشرك أخذت من الواقع الذي عاش فيه هؤلاء وأحزابهم لا من الشرع الذي جاء به الرسول ﷺ فأراد هؤلاء أن يكون الواقع الذي هم عليه متفقاً مع دين الإسلام ، فجمعوا بين المتضادات ، وقلبوا الحقائق . فجعلوا الشرك توحيداً ، والتوحيد ضلالاً ، وسلوكاً لطريق الخوارج الذين يكفرون المسلمين ، واستبعدوا أن تكون هذه الأوضاع المنتشرة في سائر أنحاء البلاد الإسلامية هي التي كان يفعلها المشركون السابقون مع معبوداتهم ، لذلك حاولوا تبرير أفعالهم وجعلها على نهج الإسلام بأحاديث ملفقة أو موضوعة مكذوبة أو حكايات لا قيمة لها في الشرع الإسلامي ، وأقل ما يقال في تلك الأحاديث أنها ضعيفة لا يجوز أن يعتمد عليها في فرع من فروع الشرع ، فكيف في أصل الأصول - العبادة - التي خلق الجن والإنس من أجلها ، وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب لاقامتها وإخلاصها لله .

ان دعاة الوثنية لا يفتنون يؤلفون الكتب ، ويزوقون الكلام بتحسين الشرك والثناء على أهله ، وتقبيح التوحيد ، وعيب أهله ودعاته ، ورميهم بالعظائم اتباعاً لأهوائهم ، واغراضهم الدنيوية ، فهم يجهدون في تحريف أدلة الكتاب والسنة حتى تتفق مع ما يقولونه أو يفعلونه ، أو يفعله معظموهم من الرعاع أتباع كل ناعق ، ولهذا قال هؤلاء : «العبادة هي الاتيان بأقصى غاية الخضوع قلباً وقلبا باعتقاد ربوبية المخضوع له ، فإن انتفى ذلك الاعتقاد - يعني اعتقاد الربوبية - لم يكن المأتى به من العبادة في كثير ولا قليل ولو كان سجود» .

فهل يصدق العاقل أن المشركين في عهد النبوة الذين نزل فيهم القرآن - وهم أكمل عقولاً من هؤلاء - يعتقدون أن الاحجار هي ربهم الذي يحيهم ويميتهم ، وينزل عليهم المطر وينبت الزرع والكلاء ، وما يفتاتونه هم وأنعامهم . قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ، والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشا



والسماء بناء، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴿١﴾. أى تعلمون أن الله تعالى هو الفاعل لما ذكر في الآية من خلقهم وخلق من قبلهم، وخلق الأرض وجعلها فراشا لهم يفرشونها ويتنفعون بها بما شاءوا وخلق السماء وبنائها وأنزل من السماء ماء فانبت به الثمرات والأرزاق لكم ولأنعامكم فكيف تعبدون معه غيره مع علمكم أنه لا مشارك له في الخلق والرزق والاحياء والإماتة، وتصريف أمور الكون.

«وحال مشركى العرب مع أوثانهم معلومة، وأنهم إنما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها، والاستغاثة بها، والاعتماد عليها فى حصول ما يرجونه منها ويؤملونه ببركتها وشفاعتها، فالتبرك بالصالحين وبقبورهم هو عين فعل المشركين باللات والعزى، ومناة وسائر أوثانهم» (١).

وهو العبادة التى أوجبت لهم الخلود فى النار، وحرمت عليهم الجنة، وأخبر الله تعالى أنه لا يغفر ذلك إلا بالتوبة منه وفعل التوحيد الذى هو ضده.

وتسمية هذه الأفعال تبركا، أو توسلا أو غير ذلك لا يغير من الحقائق شيئا، فالشرك هو الاتجاه بالعبادة إلى غير الله مهما سمي ذلك، (وهو نوعان: شرك فى الربوبية وشرك فى الإلهية).

فالأول: اثبات فاعل مستقل غير الله تعالى كمن يجعل الإنسان مستقلاً بأحداث فعله مهما كانت مرتبة نبياً فيما دونه، وكذا من يجعل الكواكب أو الاجسام الطبيعية، أو العقول كما تقوله الفلاسفة، أو النفوس كما يقوله عباد القبور، أو الملائكة أو غير ذلك من المخلوقات، من جعل شيئا من ذلك مستقلاً بشيء من الأحداث فهو مشرك فى الربوبية.

«وكل ما سوى الخالق الواجب الوجود بنفسه مفتقر إلى غيره، فلا يتم به حدوث حادث، ولا وجود ممكن، وجمهور العرب لم يكن شركها من هذا النوع، بل كانت مقرة بأن الله خالق كل شيء وربهم ومليكه، وإنما كان من الشرك فى العبادة».

والنوع الثانى من الشرك: الشرك فى الإلهية، وهو أن يجعل مع الله أحداً من خلقه يتوجه إليه فى عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه، أو أنابته أو أى نوع من أنواع العبادة، وضد هذا الشرك التوحيد فى الإلهية، وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فإن المشركين المقرين بأن الله رب كل شيء كانوا يتخذون آلهة يستجلبون بعبادتها المنافع، ويستدفعون بها

(١) الضياء الشارق ص ١٨٣.

المضار، ويتخذونها وسائل تقربهم إلى الله زلفى، وشفعاء يستشفعون بها إليه، وهذه الآلهة خلق من خلقه لا يملكون لأحد نفعاً ولا ضرراً إلا بأذنه، فكل ما يطلب منهم لا يحصل منه شيء إلا بأذن الله تعالى، وهو عز وجل لم يأمر بعبادة غيره، ولم يجعل هؤلاء شفعاء ووسائل تقرب إليه، قال تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾. (الزخرف: ٤٥). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾. (الأنبياء: ٢٥). وقال تعالى: ﴿وَيُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ، وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، قُلْ اتَّبِعُوا اللَّهَ يَكُنْ لَهُمْ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾. (يونس: ١٨).

(والمعنى أن الله تعالى لا يعلم أن أحداً يشفع عنده لهؤلاء لا في السماوات ولا في الأرض فلا وجود لذلك) . . .

فبين الله تعالى في هذه الآيات وغيرها أنه لم يشرع عبادة غيره، ولا أذن في ذلك، بل أخبر أنه لو كان في السماوات أو الأرض آلهة إلا الله لفسدتا، فإنه كما يمتنع أن يكون غيره ربا فاعلاً منصرفاً، يمتنع أن يكون إلهاً معبوداً<sup>(١)</sup>.

«والإنسان بل وجميع الكائنات عباد الله تعالى، فقراء إليه مماليك له، وهو ربهم المتصرف فيهم، وهو إلههم لا إله إلا هو، فالمخلوق ليس له من نفسه شيء أصلاً، بل نفسه وصفاته وأفعاله، وما ينتفع به أو يستحقه إنما هو من خلق الله تعالى. هو الذى أوجده ومن به، وفقر المخلوق وعبوديته أمر لازم له، لا ينفك عنه بحال، ولا وجود له بدونه والحاجة ضرورية لكل المخلوقات لأنها ملك لخالقها وموجدها إذ لا قيام لها بدونه، ولكن الناس أو أكثرهم تعذب قلوبهم عن شهود هذه الحاجة الملحة وهذا الفقر الاضطرارى»<sup>(٢)</sup>. وتشهد توحيد الربوبية العام، الذى تشترك في شهوده سائر المخلوقات، وهو أنه لا خالق إلا الله تعالى، فلا يستقل شيء سواه باحداث أمر من الأمور، بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فكل ما سواه إذا كان سبباً فلا بد له من شريك معاون، وضد معوق، فإذا طلب العبد من غير الله إحداث أمر من الأمور، فقد طلب منه ما لا يستقل به، ولا يقدر عليه وحده، حتى أفعال العبد الاختيارية لا يستطيع فعلها إلا بإعانة الله له عليها بأن يجعله فاعلاً بها يخلقه فيه من الإرادة الجازمة، والقدرة على ذلك الفعل.

١ (١) درأ تعارض العقل ج ٧ ص ٣٩١ بتصرف .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ج ١٤ ص ٣١ .

فمشيئة الله وحده هي المستلزمة لكل ما يريد، فما شاء كان، وما لم يشاء لم يكن وما سواه لا تستلزم إرادته شيئاً، بل ما أَرادَه لا يكون إلا بأمر خارجة عن مقدوره، إن لم يعنه الرب بها لم يحصل مراده، ونفس إرادته لا تحصل إلا بمشيئة الله تعالى كما قال تعالى : ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ .

وبهذا يتبين أن السائل للمخلوق يسأله مالا يستقل بملكه، هذا إذا كان المسؤول بمقدوره ظاهراً، فكيف إذا سأله مالا يقدر عليه أصلاً مثل الشفاعة عند الله لأنها لا تكون إلا بإذنه، ومثل هداية القلوب، وشفاء الأمراض ونحو ذلك .

والراجح لمخلوق، طالب بقلبه لما يريد من ذلك المخلوق، والمطلوب منه عاجز عن المطلوب، ولهذا صار ذلك من الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه .

ومن نعم الله على عبده أن يمنع مطلوبة بالشرك، ليصرف قلبه إلى توحيد الله تعالى فإن وحدَه توحيد الألهية حصلت له سعادة الدنيا والآخرة، وإن كان ممن قال الله فيهم : ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه، أو قاعداً، أو قائماً، فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضره﴾ . (يونس : ٢٢) كان ما حصل له من توحيد حجة عليه، كما احتج سبحانه على أمثاله من المشركين، الذين يقرون بأنه خالق كل شيء ثم يشركون غيره معه في العبادة، ولا يخلصونها له، قال تعالى : ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله، فقل أفلا تذكرون، قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون لله، قل أفلا تتقون، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل فأنى تسحرون﴾ .<sup>(١)</sup> (المؤمنون : ٨٤) . وهذا كثير في القرآن، وهو يدل على ما تقدم من أن الإقرار بتوحيد الربوبية، وبوجود الله تعالى أمر فطري مسلم به عند جميع الخلق، إلا من أخذته العزة بالاثم فكابر عقله، وخالف فطرته، وعاند الحق، ولهذا لم تكن رسالة الرسل في دعوة الناس إلى الإيمان بوجود الله تعالى، والاقرار بربوبيته، إذ كان هذا مستقراً في القلوب .

ولذلك جعل الله تعالى هذا دليلاً وحجة على وجوب التزام القسم الثاني من التوحيد، الذي هو توحيد العبادة .

(١) انظر مجموع الفتاوى ج ١٠ ص ٣٣١ .

فالإقرار بالخالق، وكماله يكون فطرياً ضرورياً في حق من سلمت فطرته من الانحراف، ومع ذلك فقد قامت عليه الأدلة الكثيرة، لأنه قد يحتاج إليها كثير من الناس لفساد فطرتهم وتغيرها ولأحوال تعرض لهم، وإن كانت مسألة الإقرار بوجود الله - كما قلنا - ليست من المسائل التي تحتاج إلى برهان، «فإن الفطر الإنسانية السليمة تشهد بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على خالق حكيم، قادر عليم». ﴿أفئ الله شك﴾ . ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ ومن غفل عن هذه الفطرة في حال السراء، فإنه يلوذ إليها في حال الضراء. ﴿فإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾ .

فالأدلة على الله تعالى كثيرة : منها ما شهدت به الفطر السليمة من احتياج المخلوق إلى مدبر هو منتهى طلبه، يرغب إليه، ولا يرغب عنه، ويستغنى به، ولا يستغنى عنه، ويفزع إليه في الشدائد، واحتياج الإنسان في نفسه أوضح من احتياج الممكن الخارجي إلى موجد، والحادث إلى محدث، ولهذا ذكر الله تعالى هذا المعنى محتجاً به على وجوب عبادته كما قال تعالى : ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون﴾ . (النمل : ٦٢) ومن رجع إلى نفسه أدنى رجوع عرف احتياجه إلى ربه في تكوينه، وبقائه، وتقلبه في أحواله . وكذلك النظر في آيات الآفاق، والملوكوت تدل دلالة واضحة على الله تعالى، ولكن المعارف التي تحصل من تعريفات أحوال الاضطرار أشد رسوخاً في القلب من المعارف التي هي نتائج الأفكار في حالة الاختيار<sup>(١)</sup>.

وكذلك النظر في مخلوقات الله تعالى، وما فيها من العجائب، واتقان الصنعة، وباهر الحكمة، وتقلب الليل والنهار، ودوران الشمس والقمر والنجوم، وما يتجدد في طلوعها وغروبها، ودوران الافلاك، وهبوب الرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء إلى حيث يشاء الله، وعوالم المخلوقات مما يطول وصفه .

ومن ذلك خلق الإنسان من نطفة مستوية الأجزاء، متنقلة الاطوار، من نطفة إلى علقة، ومن علقة إلى مضغة، ثم خلق منها لحماً وعظاماً وعصبا، وبصراً وعقلاً وإدراكاً، وما يشم، وما يطعم، وما يمشى على بطنه وما يمشى على أربع وما يمشى على رجلين، وذكر وأنثى، وهل يمكن أن يكون المداد بنفسه كتاباً معرباً مرتب المعاني والمواضيع منسق الكتابة والحروف بطبيعة المداد من غير كاتب عالم. ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ . . . الآيات .

(١) انظر نهاية الاقدم ص ١٢٤ .

ومن ذلك المعجزات التي جاءت بها الأنبياء وهي من أوضح الدلائل على الله تعالى مثل إحياء الموتى ، وجعل العصا التي هي عود يابس مقطوع من شجرة حية تلتهم ما أمامها ، وفتق البحر بضره بالعصا ، وقلب طبيعة النار ومنعها من الاحراق ، وانباع الماء من أصباع الرسول ﷺ حتى يتوضأ منه الجمع الكثير ، وتكثير الطعام القليل حتى يتزود منه الجيش بأكمله وغير ذلك كثير جدا .

ولما كان الطريق إلى الحق هو السمع والعقل ، وهما متلازمان ، كان من سلك الطريق العقلي دله على الطريق السمعي ، وهو صدق الرسل ، ومن سلك الطريق السمعي بين الأدلة العقلية ، كما بين ذلك القرآن .

وكان الشقى المعذب من لم يسلك لا هذا ولا هذا كما قال أهل النار : ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير ﴾ (الملك : ١٠) . قال الله تعالى : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ . (الحج : ٤٦) .

والألحاد يعرض لكثير من الناس ، ويتبيناه بعضهم إما ظاهراً دون باطن كحال فرعون ونحوه من المجرمين ، وإما باطناً وظاهراً كحال ملاحدة اليوم .

والألحاد لا يمنع أن تكون معرفة الله مستقرة في الفطرة ، ثابتة بالضرورة ، لأن إنكار وجود الله تعالى حال تعرض لكثير من الناس عمداً أو خطأ واغتراراً ، مع أن كثيراً من الناس قد ينازع في كثير من القضايا البديهية ، والمعارف الفطرية ، من الحسيات والحسابيات ، والالهيات ، ومن تأمل ما يذكره أصحاب المقالات في العلوم المختلفة رأى عجائب وغرائب ، فمن الطرائف في هذا ما ذكر أن رجلاً صنّف كتاباً في نفى العلوم فهات له ولد قد قارب الحلم فقال : أسفت لموت ولدى قبل أن يقرأ كتابي ، فقيل له : وما يدريك أنه كان لك ولد ، وأنه مات ، وأنه لم يقرأ كتابك ، وما يدريك أنك موجود وأنك صنفت كتاباً فلم يدر ما يقول .

وبنو آدم لا ينضبط ما يخطر لهم من الآراء والارادات ، فإنهم جنس عظيم التفاوت ، فليس في المخلوقات أعظم تفاوتاً وتفاضلاً منهم ، فخيرهم خير المخلوقات أو من خيرهم ، وشرارهم أشر المخلوقات كما قال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، وهم اعين لا يبصرون بها وهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ . (الأعراف : ١٧٩) .

ولكن الحق عزيز ، ومع عزته كل يدعيه ، ودعواهم الحق تحجبهم عن مراجعة الحق ،

ان على الباطل ظلمة، وان الحق نور، ولا يبصر نور الحق إلا من حشى قلبه بالنور ﴿ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور﴾ (١).

القسم الثانى من التوحيد : توحيد الأسماء الصفات، وهذا القسم شبيه بالذى قبله - توحيد الربوبية - من حيث ثبوته فى الفطر، وكثرت الأدلة عليه، كثرة عظيمة، وكون الأمم السالفة لم تنكره إلا من شذ وندر، وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم فى كثير من آيات الاحكام، ولم يختلفوا فى شىء من آيات الصفات وأخبارها، بل اتفقوا على اقرارها على ظاهرها مع فهمهم معانيها، واثبات حقائقها، وذلك لأنها أعظم عناية، وأوضح بياناً من آيات الاحكام، ومن يقرأ كتاب الله تعالى، ويستعرض سنة رسوله ﷺ يرى مدى العناية بهذا القسم، واثباته بطرق مختلفة، وكثرت النصوص فيه فما سر ذلك؟ وما مغزاه؟ ذلك لأنه منبع الإيمان والمعرفة بالله على بصيرة وهدى، وهو مصدر التوحيد الكامل فأكمل الناس توحيداً أعلمهم بهذا القسم، وابصرهم بمعانيه وفقهه، والفقهاء فيه هو الفقهاء الأكبر .

إن معرفة الله تعالى على التفصيل لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الوحي الذى جعله الله لعباده روحاً ونوراً وهدى، والله تعالى أعلم بنفسه وبغيره من خلقه ورسوله ﷺ أعلم الخلق بالله، وما يجب له، وما يمتنع عليه، وما ينزهه منه، وما وصف الله به نفسه وجب قبوله والإيمان به وأنه الحق، وكذا ما قاله الرسول ﷺ وهو أفصح الخلق واقدروهم على البيان، وأنصح الخلق لأمتهم، وقد بين للناس ما نزل إليه من ربه، وأعظم ذلك معرفة الله تعالى التى هى بها هداية القلوب، فقد بين ﷺ أوصاف الله تعالى التى تعرف بها إلى عباده، وأمرهم بدعوته بها، إذ هى الطريق إلى معرفة الله تعالى وعبادته .

فكل اسم من أسمائه الحسنى له تعبد يختص به علماً وحالاً، وأكمل الناس عبودية لله المتعبد بجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا التى يعرفها الخلق، فلا تمنعه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، وهو جل وعلا يجب مقتضى أسمائه وصفاته، فلمحبته التوبة والمغفرة والعفو، خلق من يتوب عليه، ويغفر له، ويعفو عنه كما جاء فى الحديث : «لوم تذبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم» (١).

وإذا كان الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته فرض على العبد، لأنه داخل فى الإيمان بالله تعالى، ومعلوم عجز العقول عن الوصول إلى معرفة ذلك بدون هداية الوحي لأن ذلك

(١) انظر صون المنطق ص ١٩٨ ج ١ .

(١) درأ تعارض العقل ج ٧ ص ٣٩١ .

من الغيب، فلا بد أن تعتصم من الزلل والاضطراب بعاصم وليس ذلك إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ففي ذلك فقط تحديد المسلك الصحيح الذي يهتدى المرأ بارتياحه، كما فيه أيضا التحذير من السبل الأخرى التي إذا سلكها الإنسان وترك فيها وشأنه لا يمكن أن يجنى إلا الحيرة والاضطراب، كما وقع لكثير من أذكىاء علماء الكلام الذين فتحوا المجال لعقولهم تجول في كل طريق وفي النهاية أصبح أخذهم يتمنى أن يموت على عقيدة العجائز.

إن الكون مفتوح أما العقل فعليه أن يعبر وينظر ما يريد، أما أن يحاول ارتياد الغيب بلا عاصم وبدون دليل من الوحي الإلهي، فمن الحق أن يقال له حينئذ «ليس هذا بعشك فادرجي» ولكن عليه أن يقبل من الغيوب ما جاء به الكتاب والسنة، ومن ذلك ما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه الرسول به بدون تأويل أو تبديل بل يؤخذ على ظاهره، وذلك أن الوحي أنزل للهدى والبيان، وهو كما قال الله تعالى: ﴿نور ورحمة، وبصائر للناس﴾. فمن غير المعقول أن الله تعالى يصف القرآن بأنه هدى للناس، ونور، وبيان، ورحمة ثم يخاطب الخلق فيه بألفاظ لا يقصد منها ما تدل عليه ظاهراً، بل يكون ظاهرها التشبيه والكفر كما أنه محالاً أن تكون آياته رموزاً والغازاً أشير بها إلى معان باطنة لا تفهم إلا بصعوبة بالغة ولا يصل إليها إلا النادر من الأذكىاء كما يقوله الذين لم يؤمنوا بالله ورسوله. قال تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾. (الزمر: ٦٩). وقال تعالى: ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين﴾. (سورة ص: ٧٥). وقال تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة، أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾. (الأنعام: ١٥٨).

فهذا التقسيم والتنويع يبطل تأويل اتيان الرب تعالى باتيان أمره أو الملائكة كما يقوله أهل التحريف، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وجاء ربك والملك صفافاً﴾. وقال تعالى: ﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾. (طه: ٤٦).

والآيات في ذكر أوصاف الله تعالى كثيرة جداً، والإيمان بها على ظاهرها من غير تحريف لها ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل هو سبيل المؤمنين - صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم باحسان، وقد قال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾. (النساء: ١١٥). فمن سبيلهم الإيمان بصفات الله تعالى واسمائها التي وصف بها نفسه، وسمى به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله، من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها، ولا تأويل لها بما

يخالف ظاهرها، ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين، لأنهم تيقنوا أن المتكلم بها صادق، وأراد منهم اعتقاد معانيها فصدقوه، وسكتوا عما لم يعلموه من حقيقة معناها، وأخذ ذلك الآخر عن الأول، ووصى بعضهم بعضاً بحسن الاتباع، والوقوف حيث وقف أولهم، وحذروا من التجاوز لمذهبهم، والعدول عن طريقته.

وبرهان ذلك أنهم نقلوا إلينا القرآن العظيم، وأخبار الرسول ﷺ نقل مصدق لها مؤمن بها، قابل لها، غير مرتاب فيها، ولا شك في صدق قائلها ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها، ولا تأولوا، ولا شبهوه بصفات المخلوقين. إذ لو فعلوا شيئاً من ذلك لنقل عنهم، ولا يجوز أن يكتم بالكلية إذ لا يجوز التواطؤ على الكتمان لما يحتاج نقله ومعرفته.

«للبحث صلة»

## أصاب الشيخ وأخطأت أنا

مر أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك بالمدينة - وهو يريد مكة - فأقام بها أياماً فقال :

هل بالمدينة أحد أدرك أحداً من أصحاب النبي ﷺ ؟

قالوا له : أبو حازم . فأرسل إليه ، فلما دخل عليه قال :

يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟

قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين وأي جفأ رأيت مني ؟

قال : أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني .

قال : يا أمير المؤمنين أعيدك بالله أن تقول ما لم يكن . ما عرفتني قبل

هذا اليوم، ولا أنا رأيتك .

فالتفت أمير المؤمنين إلى محمد بن شهاب الزهري فقال :

أصاب الشيخ وأخطأت أنا . . .



# منهج الأشاعرة

## في العقيدة

لشيخ سفر بن عبد الرحمن الحارثي  
محاضر بكلية الدعوة وأصول الدين



الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد :  
فقد اطلعت على ما نشرته مجلته (المجتمع) في الأعداد من رقم ٦٢٧ - ٦٣٢ ،  
والمقابلة السابقة لها وكذلك المقالين المتضادتين في العدد ٦٤٦ مما كتبه الشيخان الفوزان  
والصابوني عن مذهب الأشاعرة .

وإذا كان من حق أي قارئ مسلم أن يهتم بالموضوع وأن يدلي برأيه إن كان لديه  
جديد، فكيف بمن هو متخصص في هذا الموضوع مثلي؟ .

فالأشاعرة جزء من موضوع رسالتي للدكتوراه «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي»  
إذ هي أكبر فرق المرجئة الغلاة. ولن أستعجل نتائج بحثي ولكن حسبي أن أدعى دعوى  
وأطرحها للمناقشة وأقبل بكل سرور من يدلي بوجهة نظره فيها .

فمن واقع إسلامي وتخصصي رأيت أن أقول كلمة عسى الله أن ينفع بها، - ويعلم  
الله أنني لو لم أشعر أن قولها واجب ضروري لما سطرناها - ولكن الموضوع أكبر من أن يسكت  
عليه أو يجامل فيه .

ولي على كلا الشيخين ملاحظات :-

(١) أما الصابوني فلا يؤسفني أن أقول إن ما كتبه عن عقيدة السلف والأشاعرة يفتقر  
إلى أساسيات بدائية لكل باحث في العقيدة كما أن أسلوبه بعيد كثيراً عن المنهج العلمي  
الموثق وعن الأسلوب المتعقل الرصين .

وقد استبشرت بالبيان الأخير خيراً وحسبته بيان رجوع وبراءة فإذا هو بيان اصرار  
وتوكيد .

ونظراً لكونه ليس إلا جزءاً من تيار بدعى يراد له اكتساح الأمة . ونظراً لتعرضه لقضايا بالغة الخطورة تحتاج إلى بحث مستفيض لا تسعه المقالات الصحفية فسوف أرجىء الكلام عنه إلى حين يتسرى بإذن الله اخراج الرد في الصورة التي أراها .

وليكن معلوماً أن هذا الرد الموعود ليس مقصوداً به الصابونى ولا غيره من الأشخاص فالمسألة أكبر من ذلك وأخطر، انها مسألة مذهب بدعى له وجوده الواقعى الضخم فى الفكر الإسلامى حيث تمتلىء به كثير من كتب التفسير وشروح الحديث وكتب اللغة والبلاغة والأصول فضلاً عن كتب العقائد والفكر، كما أن له جامعاته الكبرى ومعاهده المنتشرة فى أكثر بلاد الإسلام من الفلبين إلى السنغال .

وقد ظهرت فى الآونة الأخيرة محاولات ضخمة متواصلة لترميمه وتحديثه تشرف عليها هيئات رسمية كبرى ويغذوها المستشرقون بما ينشونه من تراثه ويخرجون من مخطوطاته .

ولهذا وجب على كل قادر أن يبين لأمتة الحق وينصح لها مهما لقى فإن مما كان يبايع عليه النبى ﷺ أصحابه النصح لكل مسلم وأن يقولوا الحق لا تأخذهم فيه لومة لائم .

أما فضيلة الشيخ الفوزان فقد أحسن إلى (المجتمع) وقراءتها بتلك المقالة القيمة، فقد عرض فيها - على قصرها - حقائق أصولية مركزة فى أسلوب علمى رصين .

وله العذر كل العذر - إذا لم يستوف الرد على الصابونى وبيان التناقضات التى هى سمة من سمات المنهج الأشعرى نفسه، لأن الموضوع أكبر من أن تحيط به مقالة صحفية .

ولهذا رأيت من واجبى أن أضيف إلى ما كتبه فضيلته مستدركاً مالا يجوز تأجيله إلى ظهور الرد المتكامل :-

أولاً : فات فضيلته أن يرد على الصابونى فيما عراه إلى شيخ الإسلام - مكرراً إياه - من قوله «الأشعرية أنصار أصول الدين والعلماء أنصار فروع الدين» .

ولعل الشيخ وثق فى نقل الصابونى مع أن الصابونى - على ما أرجح - أول من يعلم بطلان نسبة هذا الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولغة العبارة نفسها ليست من أسلوب شيخ الإسلام، والغريب حقاً أنه أعاد هذا العزوفى بيانه الأخير بالعدد ٦٤٦ مؤكداً إصراره على التمويه والتدليس .

وأنا أطلب من كل قارئ أن يراجع النص فى ج ٤ ص ١٦ من مجموع الفتاوى ليجد بنفسه قبل تلك العبارة نفسها كلمة «قال» فالكلام محكى منقول وقائله هو المذكور فى أول الكلام - آخر سطر من ص ١٥ - حيث يقول شيخ الإسلام :

«وكذلك رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد فتوى طويلة . . . قال فيها : « إلى أن يقول :

«قال : وأما لعن العلماء الأئمة الأشعرية فمن لعنهم عزرو عادت اللعنة عليه . . . وال العلماء أنصار فروع الدين والأشعرية أنصار أصول الدين .

قال : وأما دخولهم النار . . . الخ

وفي آخر هذه الفتوى نفسها يقول شيخ الإسلام (ص ١٥٨- ١٥٩) ، وانظر أيضاً (١٥٦) .

«وأيضاً فيقال لهؤلاء الجهمية الكلامية كصاحب هذا الكلام أبي محمد وأمثاله كيف تدعون طريقة السلف وغاية ما عند السلف أن يكونوا متابعين لرسول الله ﷺ ؟» .

إلى أن يقول «وأبو محمد وأمثاله قد سلكوا مسلك الملاحدة الذين يقولون إن الرسول لم يبين الحق في باب التوحيد»<sup>(١)</sup> . الخ .

وبهذا يتضح قطعاً :

(أ) أن العبارة المذكورة ليست من قول شيخ الإسلام بل قائلها أشعري يمدح مذهبه<sup>(٢)</sup> .

(ب) أن شيخ الإسلام نسب هذا القائل ومذهبه إلى الجهمية الكلابية واتباع طريقة الملاحدة وأنكر عليهم ادعاء طريقة السلف وهذا ينفي ما حاول الصابوني تدليس به في مقالاته الست تماماً .

وبالمناسبة أذكر بعض ما يحضرنى من الكتب التي ألفها شيخ الإسلام في الرد على الأشاعرة نصاً غير التي رد عليهم فيها مع غيرهم :-

١ - درء تعارض العقل والنقل وهو كله رد عليهم بالأصالة كما نص في مقدمته . حيث استفتحه بذكر قانونهم الكلى الآتى في ص ١٢ .

(١) وأنظر أيضاً ص ١٥٦ من الجزء نفسه وهذا الكلام المنقول من ص ١٥٨ لا بد أن الصابوني قرأه لأنه استشهد بكلام بعده في ص ١٦٧ من الفتوى .

(٢) قائلها هو أبو محمد الجويني والد أبي المعالي (توفي ٤٤٠) وقد رجع في آخر عمره إلى عقيدة السلف وشهد له بذلك شيخ الإسلام في مواضع ، وكتب في توبته «النصيحة» المطبوعة مع المجموعة المنيرية ، وطبعها المكتب الإسلامي معزوة إلى ابن شيخ الحزاميين وهو خطأ . ومناسبة فتواه هذه هي صدور مراسيم سلطانية بلعن أصحاب البدع - ومنهم الأشاعرة - على المنابر ، أنظر المنتظم لابن الجوزي حوادث سنة ٤٣٣ وما بعدها .

٢ - بيان تلبس الجهمية المسمى نقض التأسيس ، رد فيه على إمامهم الثاني «الفخر الرازي» . صاحب تأسيس التقديس أو أساس التقديس .

٣ - التسعينية وهي التي كتبها في الأشهر الأخيرة من حياته - رحمه الله - جواباً عن محاكمة الأشاعرة له<sup>(١)</sup> .

٤ - شرح العقيدة الأصفهانية وهي شرح لعقيدة الشمس الأصفهاني التي جرى فيها على أصول الأشاعرة .

٥ - الفتوى الحموية : معروفة .

٦ - الرسالة المدنية : وهي في الجزء (٦) من مجموع الفتاوى .

٧ - النبوات : وهو نقض لكلام الباقلاني خاصة والأشاعرة عامة في النبوات .

٨ - الإيمان : وهو نقد للأشاعرة في الإيمان وذكر بقية المرجئة تبعاً .

٩ - القاعدة المراكشية : وهي كاليان لمذهب الإمام مالك وائمة المالكية في العقيدة ضد المتأخرين من مالكية المغاربة المائلين إلى مذهب الأشعرى ، وهي في الجزء الخامس من مجموع الفتاوى وطبعت محققه .

١٠ - المناظرة في العقيدة الواسطية : ألفها في محاكمة الأشاعرة له بسبب الواسطية وهي في الجزء الثالث من مجموع الفتاوى .

١١ - الاستقامة : كتبه نقضاً لكتاب القشيري الصوفي الأشعرى وبين فيه أن عقيدة أئمة السلوك المعتبرين هي مذهب السلف وأن بداية الانحراف في العقيدة عند المنتسبين للتصوف في الجملة إنما جاءت متأخرة في أوائل القرن الخامس حين انتشر مذهب الأشعرى . ولتلميذه ابن القيم - رحمه الله - في الرد على الأشاعرة كتب منها :-

(١) مختصر الصواعق المرسله ناقش فيه أصولهم ومنها موقفهم من النصوص .

(٢) شفاء العليل : معظمه عنهم .

(٣) العقيدة النونية : معظمها عنهم .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية : كله رد على مذهبهم خصوصاً في نفى العلو. هذا

---

(١) وهي أول رسالة في المجلد الخامس من الفتاوى الكبرى (الطبعة الطويلة) وهي تشمل الجزء الخامس كله من الطبعة التي قدم لها مخلوف ، وسمعت أنها تحقق بجامعة الإمام وهي جديرة بالعناية .

ولم يصدر من شيخ الإسلام مدح مطلق للأشاعرة أبداً وإنما غاية مدحه لهم (كما في ج ١٢ من الفتاوى) أن يصفهم بأنهم أقرب من غيرهم وأن مذهبهم مركب من الوحي والفلسفة أو يمدح المشتغلين منهم بالحديث لا لكونهم أشاعرة ولكن لاشتغالهم بالسنة مع سؤال المغفرة لهم فيما وافقوا فيه متكلمى مذهبهم. لكن هذا أقل بكثير من المواضيع التي صرح فيها بتبديعهم وتضليلهم وفساد منهجهم فهي أكثر من أن تحصر. كما أنه حدد - رحمه الله - متى يعد المنتسب إلى الأشعرى من أهل السنة فقال :

«أما من قال منهم بكتاب الإبانة الذي صنفه الأشعرى في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة، لكن مجرد الانتساب إلى الأشعرى بدعة لاسيما لأنه بذلك يوهم حسنا لكل من انتسب هذه النسبة وينفتح بذلك أبواب شر»<sup>(١)</sup>. . . . أى أن من كان على عقيدة السلف منهم لا ينبغي له الانتساب للأشعرى لأنه بدعة ومذمة .

ثانياً : أحسن الشيخ في مطالبة الصابونى بأى دليل صحيح على مسألة تكفير الأشاعرة، ويضاف إلى كلام فضيلته :

إن الحاصل فعلاً هو العكس فالأشاعرة هم الذين كفروا وما يزالون يكفرون أتباع السلف بل كفروا كل من قال إن الله تعالى موصوف بالعلو - كما سيأتى هنا - وحسبك تكفيرهم واضطهادهم لشيخ الإسلام وهو ما لم يفعله أهل السنة بعالم أشعرى قط . وقد سطر - رحمه الله - بعض جورهم عليه في أول التسعينيات وصرح به كل من كتب عن سيرته . ولولا الإطالة لأوردت بعض ما تصرح به كتب عقيدتهم من اتهامه بالزندقة والكفر والضلال . ومن الأمثلة المعاصرة كتب الكوثرى ومقالاته وكتاب «براءة الأشعريين» وكتاب «ابن تيمية ليس سلفياً» وبعض ما في كتاب «أركان الإيمان»<sup>(٢)</sup> .

فيا عجباً لهؤلاء القوم يكفرونه ثم يدعون أنهم وإياه على مذهب واحد ويشملهم جميعاً اسم «السنة والجماعة» !! وإذا كانت كتب الأشاعرة تتبرأ من «الحشوية والمجسمة والناطقة» وغير ذلك مما يلقبون به أهل السنة والجماعة فكيف يكونون وهم سواء !!

(١) مجموع الفتاوى : ٣٥٩/٦ .

(٢) وانظر عن القدامى : الرد الوافر على من زعم أن ابن تيمية شيخ الإسلام كافر، وكتاب الحصنى : دفع شبهة من شبه وتمرد . وللعلم فبعض هذه الكتب المعاصرة باسم مستعار، ومن اعترف بموقفهم من شيخ الإسلام الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه ابن تيمية ص ٥٦ ومن ذلك قول صاحب حواشى على شرح الكبرى للسنوسى قوله : «ابن تيمية . . . أى الحنبلى المشهور زنديق وبغضه للدين وأهله لا يخفى» ص ٦٢ . وأنظر فى كتاب وهبى غاوجبى أركان الإيمان ص ٢٩٧-٢٩٩ .

ثالثاً : كان بودى أن يفصل الشيخ معنى مصطلح أهل السنة ودخول الأشاعرة فيه أو عدمه وهى التى يدندن حولها الصابونى ، وأنا أوجزه جداً فأقول :  
إن مصطلح أهل السنة والجماعة يطلق ويراد به معنيان :

(أ) المعنى الأعم : وهو ما يقابل الشيعة فيقال : المتسبون للإسلام قسماً : أهل السنة والشيعة ، مثلما عنون شيخ الإسلام كتابه فى الرد على الرافضى «منهاج السنة» وفيه بين هذين المعنيين<sup>(١)</sup> وصرح أن ما ذهبت إليه الطوائف المبتدعة من أهل السنة بالمعنى الأخص . وهذا المعنى يدخل فيه كل من سوى الشيعة كالأشاعرة . لاسيما والأشاعرة فيما يتعلق بموضوع الصحابة والخلفاء متفقون مع أهل السنة وهى نقطة الاتفاق المنهجية الوحيدة كما سيأتى .

(ب) المعنى الأخص : وهو ما يقابل المبتدعة وأهل الأهواء وهو الأكثر استعمالاً وعليه كتب الجرح والتعديل فإذا قالوا عن الرجل أنه صاحب سنة أو كان سنياً أو من أهل السنة ونحوها فالمراد أنه ليس من إحدى الطوائف البدعية كالخوارج والمعتزلة والشيعة وليس صاحب كلام وهوى .

وهذا المعنى لا يدخل فيه الأشاعرة أبداً بل هم خارجون عنه وقد نص الامام أحمد وابن المدينى على أن من خاض فى شىء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة وأن اصاب بكلامه السنة حتى يدع الجدل ويسلم للنصوص ، فلم يشترطوا موافقة السنة فحسب بل التلقى والاستمداد منها<sup>(٢)</sup> فمن تلقى من السنة فهو من أهلها وإن أخطأ ومن تلقى من غيرها فقد أخطأ وإن وافقها فى النتيجة .

والأشاعرة - كما سترى - تلقوا واستمدوا من غير السنة ولم يوافقوها فى النتائج فكيف يكون من أهلها .

وسنأتى بحكمهم عند أئمة المذاهب الأربعة من الفقهاء فما بالك بأئمة الجرح والتعديل من أصحاب الحديث :-

#### ١ - عند المالكية :

روى حافظ المغرب وعلمها الفذ ابن عبد البر بسنده عن فقيه المالكية بالمشرق ابن

(١) ج ٢ ص ١٦٣ تحقيق محمد رشاد سالم .

(٢) أنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائى، تحقيق الاخ أحمد بن سعد بن حمدان :

١٦٥، ١٥٧/١ .

خويز منداذ «أنه قال في كتاب الشهادات شرحاً لقول مالك لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء، وقال :

«أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ويهجر ويؤدب على بدعته فإن تمادى، عليها استتيب منها»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن عبد البر نفسه في «الانتقاء» عن الأئمة الثلاثة «مالك وأبي حنيفة والشافعي» نهيهم عن الكلام وزجر أصحابه وتبديعهم وتعزيرهم ومثله ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية فماذا يكون الأشاعرة إن لم يكونوا أصحاب كلام؟.

## ٢ - عند الشافعية :

قال الإمام أبو العباس بن سريج الملقب بالشافعي الثاني وقد كان معاصراً للأشعري: «لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام أبو الحسن الكرجي من علماء القرن الخامس الشافعية ما نصه : «لم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا إلى الأشعري ويتبرأون مما بنى الأشعري مذهبه عليه وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حوالبه على ما سمعت من عدة من المشايخ والأئمة، وضرب مثلاً بشيخ الشافعية في عصره الإمام أبو حامد الاسفرائيني الملقب «الشافعي الثالث» قائلاً :

«ومعلوم شدة الشيخ على أصحاب الكلام حتى ميز أصول فقه الشافعي من أصول الأشعري، وعلق عنه أبو بكر الراذقاني وهو عندي، وبه اقتدى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتابيه اللمع والتبصرة حتى لو وافق قول الأشعري وجهاً لأصحابنا ميّزه وقال : «هو قول بعض أصحابنا وبه قالت الأشعرية ولم يعدهم من أصحاب الشافعي، استنكفوا منهم ومن مذهبهم في أصول الفقه فضلاً عن أصول الدين»<sup>(٣)</sup> اهـ .

(١) جامع بيان العلم وفضله ١١٧/٢ تحقيق عثمان محمد عثمان، وهو في ٩٦/٢ من الطبعة المنيرية .  
(٢) توفي ابن سريج سنة ٣٠٦ : أنظر تاريخ بغداد ٢٩٠/٤ وسير أعلام النبلاء ٢٠١/١٤ والظاهر أنه توفي قبل رجوع الأشعري لمذهب السلف، والأشعري توفي ٣٢٤ أو ٣٣٠ على قولين . وأنظر عقيدة ابن سريج في اجتماع الجيوش الإسلامية ٦٢ .

(٣) التسعينية : ٢٣٨- ٢٣٩ وأنظر شرح الاصفهانية : ٣١ من ج ٥ من الفتاوى الكبرى نفسها وانظر عن الكرجي وعقيدته : اجتماع الجيوش الإسلامية ومختصر العلولة ترجمة في طبقات الشافعية لابن السبكي وطبقات الشافعية لابن كثير (مخطوط) .

وبنحو قوله بل أشد منه قال شيخ الإسلام الهروي الأنصاري<sup>(١)</sup>.

٣ - الحنفية : معلوم أن واضع الطحاوية وشارحها كلاهما حنفيان ، وكان الإمام الطحاوي معاصراً للأشعري وكتب هذه العقيدة لبيان معتقد الإمام أبي حنيفة وأصحابه وهي مشابهة لما في الفقه الأكبر عنه وقد نقلوا عن الإمام أنه صرح بكفر من قال إن الله ليس على العرش أو توقف فيه ، وتلميذه أبو يوسف كفر بشراً المريسي ، ومعلوم أن الأشاعرة ينفون العلو وينكرون كونه تعالى على العرش ومعلوم أيضاً أن أصولهم مستمدة من بشر المريسي !!<sup>(٢)</sup>.

٤ - الحنابلة : موقف الحنابلة من الأشاعرة أشهر من أن يذكر فمنذ بدع الإمام أحمد «ابن كلاب» وأمر بهجره - وهو المؤسس الحقيقي للمذهب الأشعري - لم يزل الحنابلة معهم في معركة طويلة ، وحتى في أيام دولة نظام الملك - التي استطالوا فيها - وبعدها كان الحنابلة يخرجون من بغداد كل واعظ يخلط قصصه بشيء من مذهب الأشاعرة ، ولم يكن ابن القشيري إلا واحداً ممن تعرض لذلك ، وبسبب انتشار مذهبهم واجماع علماء الدولة سيما الحنابلة على محاربتهم أصدر الخليفة القادر منشور «الاعتقاد القادري» أوضح فيه العقيدة الواجب على الأمة اعتقادها سنة ٤٣٣ هـ<sup>(٣)</sup>

هذا وليس ذم الأشاعرة وتبديعهم خاصة بأئمة المذاهب المعترين بل هو منقول أيضاً عن أئمة السلوك الذين كانوا أقرب إلى السنة واتباع السلف ، فقد نقل شيخ الإسلام في الاستقامة كثيراً من أقوالهم في ذلك وانهم يعتبرون موافقة عقيدة الأشعرية منافياً لسلوك طريق الولاية والاستقامة حتى أن عبد القادر الجيلاني لما سئل «هل كان لله ولي على غير اعتقاد أحمد بن حنبل؟» قال : ما كان ولا يكون<sup>(٤)</sup>.

فهذا موجز مختصر جداً لحكم الأشاعرة في المذاهب الأربعة فما ظنك بحكم رجال الجرح والتعديل ممن يعلم أن مذهب الأشاعرة هورد خبر الأحاد جملة وأن في الصحيحين

---

(١) يلاحظ أن كلام الشافعية والحنابلة يدعى الهروي لمذهبهم ورجح شيخ الإسلام أنه يأخذ من كليهما ويتبع الأثر. أنظر (شيخ الإسلام عبد الله الهروي ص ٩٦) وقوله فيهم نقله في التسعينية : ٢٧٧ عن كتاب ذم الكلام «وهو يحقق بجامعة الامام كما قرأت . وأنظر أيضاً عن موقف الشافعية دره التعارض ١٠٦/٢ .

(٢) أنظر غير ما ذكر سير اعلام النبلاء ترجمة بشر ٢٠٠/١٠ - ٢٠١ والحموية : ١٤ - ١٥ طبعة قصي الخطيب .

(٣) أنظر المنتظم لابن الجوزي احداث سنة : ٤٣٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧٥ وغيرها ج ٨ و ج ٩ .

(٤) ص ٨١ - ٨٩ و ١٠٥ - ١٠٩ .



أحاديث موضوعة أدخلها الزنادقة . . . وغيرها من العوام وأنظر إن شئت ترجمة إمامهم المتأخر الفخر الرازى فى الميزان ولسان الميزان .

فالحكم الصحيح فى الأشاعرة أنهم من أهل القبلة لاشك فى ذلك أما أنهم من أهل السنة فلا وسأتى تفصيل ذلك فى الموضوعات التالية :

وهاهنا حقيقة كبرى أثبتها علماء الأشعرية الكبار بأنفسهم - كالجوينى وابنه أبى المعالى والرازى والغزالى وغيرهم - وهى حقيقة إعلان حيرتهم وتوبتهم ورجوعهم إلى مذهب السلف، وكتب الأشعرية المتعصبة مثل طبقات الشافعية أوردت ذلك فى تراجمهم أو بعضه فما دلالة ذلك؟ .

إذا كانوا من أصلهم على عقيدة أهل السنة والجماعة فعن أى شىء رجعوا؟ . ولماذا رجعوا؟ . وإلى أى عقيدة رجعوا؟ .

رابعاً : دعوى الأشاعرة أن أكثر أئمة المسلمين على مذهبهم دعوى عارية عن الدليل يكذبها الواقع التاريخى، وكتب الأشاعرة نفسها عند تعريف مذهبى السلف والخلف تقول إن مذهب السلف هو مذهب القرون الثلاثة وبعضها يقول إنه مذهب القرون الخمسة<sup>(١)</sup> فماذا بقى بعد هذه القرون؟

وصدقوا فالثابت تاريخياً أن مذهب الأشاعرة لم ينتشر إلا فى القرن الخامس أثر انتشار كتب الباقلانى<sup>(٢)</sup> .

ولولا ضيق المجال لسردت قائمة متوازية أذكر فيها كبار الأشاعرة ومن عاصرهم من كبار أهل السنة والجماعة الذين يفوقون أولئك عدداً وعلماً وفضلاً، وحسبك ما جمعه ابن القيم فى اجتماع الجيوش الإسلامية والذهبية فى العلو وقبلهما اللالكائى .

أما عوام المسلمين فالأصل فيهم أنهم على عقيدة السلف لأنها الفطرة التى يولد عليها الإنسان وينشأ عليها المسلم بلا تلقين ولا تعليم (من حيث الأصل) فكل من لم يلقنه المبتدعة بدعتهم ويدرسوه كتبهم فليس من حق أى فرقة ان تدعيه إلا أهل السنة والجماعة .

ومن الأدلة على ذلك الإنسان الذى يدخل فى الإسلام حديثاً، فهل تستطيع أى فرقة ان تقول أنه معتزلى أو أشعري؟ أما نحن فبمجرد اسلامه يصبح واحداً منا .

(١) ومنها شرح الباجورى - أو البيجورى - على الجوهرة ١/٨٢ طبعة محمد على صبيح .

(٢) أنظر الاستقامة : ١٠٥ وتبين كذب المفترى : ابن عساكر . ٤١٠ بتحقيق الكوثرى .

وإن شئت المثل على عقيدة العوام فاسأل الملايين من المسلمين شرقاً وغرباً هل فيهم من يعتقد أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته كما تقول الأشاعرة .

أم أنهم كلهم مفطورون على أنه تعالى فوق المخلوقات، وهذه الفطرة تظل ثابتة في قلوبهم حتى وإن وجدوا من يلقيهم في أذهانهم تلك المقولة الموروثة عن فلاسفة اليونان<sup>(١)</sup> .

وقس على هذا نظرية الكسب والكلام النفسى ونفى التأثير وأشباهاها مما سترى في عقائد الأشاعرة على أن الموضوع الذى يجب التنبيه إليه هو التفريق بين متكلمى الأشاعرة كالرازى والآمدى والشهرستانى والبغدادى والإيجى ونحوهم وبين من تأثر بمذهبهم عن حسن نية واجتهاد أو متابعة خاطئة أو جهل بعلم الكلام أو لا اعتقاده أنه لا تعارض بين ما أخذ منهم وبين النصوص ومن هذا القسم أكثر الأفاضل الذين يحتج بذكرهم الصابونى وغيره وعلى رأسهم الحافظ ابن حجر - رحمه الله - .

ولست أشك أن الموضوع يحتاج لسط وإيضاح ومع هذا فإننى أقدم للقراء لمحة موجزة عن موقف ابن حجر من الأشاعرة :

من المعلوم أن إمام الأشعرية المتأخر الذى ضبط المذهب وقعد أصوله هو الفخر الرازى (ت ٦٠٦هـ) ثم خلفه الآمدى (٦٣١هـ) والأرموى (٦٨٢هـ) فنشرا فكره فى الشام ومصر واستوفيا بعض القضايا فى المذهب (وفكر هؤلاء الثلاثة هو الذى كان الموضوع الرئيسى فى كتاب درء التعارض) وأعقبهم الأيجى صاحب المواقف (الذى كان معاصراً لشيخ الإسلام ابن تيمية) فألف «المواقف» الذى هو تقنين وتنظيم لفكر الرازى ومدرسته وهذا الكتاب هو عمدة المذهب قديماً وحديثاً .

وقد ترجم الحافظ الذهبى - رحمه الله - فى الميزان وغيره للرازى والآمدى بما هم أهلهم، ثم جاء ابن السبكى - ذلك الأشعرى المتعصب - فتعقبه وعنف عليه ظلماً . ثم جاء ابن حجر - رحمه الله - فألف لسان الميزان فترجم لهما بطبيعة الحال - ناقلاً كلام ابن السبكى ونقده للذهبي<sup>(٢)</sup> - ولم يكن يخاف عليه مكانتها وإمامتها فى المذهب كما ذكر طرفاً من شنائع الأرموى ضمن ترجمة الرازى

---

(١) بل إن متكلمى الأشاعرة الذين ينفون العلوبكل جرأة ويستندون إلى شبهات كثيرة، تجد فى خبايا كلامهم اقراراً به دون أن يشعروا . لأن مغالبة الفطرة من أصعب الأمور .

فالرازى مثلاً - مع انكاره الشديد للعلو فى (التأسيس والتفسير) قال فى التفسير إن الله (خسف بقارون فجعل الأرض فوقه ورفع محمداً ﷺ فجعله قاب قوسين تحته) ٢٤٨/١ . ط . بيروت .

(٢) ترجمة الرازى : ٤٢٦/٤ والآمدى : ١٣٤/٦ .

فإذا كان موقف ابن حجر لأن موقفه هو الذى يحدد انتماؤه لفكر هؤلاء القوم أو عدمه؟ إن الذى يقرأ ترجمتهما فى اللسان لا يمكن أن يقول إن ابن حجر على مذهبهما أبداً كيف وقد أورد نقولاً كثيرة موثقة عن ضلالهما وشنائعهما التى لا يقرها أى مسلم فضلاً عما هو فى علم الحافظ وفضله؟ .

على أنه قال فى آخر ترجمة الرازى «أوصى بوصية تدل على أنه حسن اعتقاده» .  
وهذه العبارة التى قد يفهم منها أنها متعاطفة مع الرازى ضد مهاجميه هى شاهد لما نقول نحن هنا فإن وصية الرازى التى نقلها ابن السبكى نفسه صريحة فى رجوعه إلى مذهب السلف .

فبعد هذا نسأل :

أكان ابن حجر يعتقد أو يؤيد عقيدة الرازى التى فى كتبه أم عقيدته التى فى وصيته؟  
الأجابة واضحة من عبارته نفسها .  
هذه واحدة .

والأخرى : أن الحافظ فى الفتح قد نقد الأشاعرة باسمهم الصريح وخالفهم فيما هو من خصائص مذهبهم فمثلاً خالفهم فى الإيثار ، وإن كان تقريره لمذهب السلف فيه يحتاج لتحرير . ونقدهم فى مسألة المعرفة وأول واجب على المكلف فى أول كتابه وآخره (١) .

كما أنه نقد شيخهم فى التأويل «ابن فورك» فى تأويلاته التى نقلها عنه فى شرح كتاب التوحيد من الفتح وذم التأويل والمنطق مرجحاً منهج الثلاثة القرون الأولى كما أنه يخالفهم فى الاحتجاج بحديث الأحاد فى العقيدة (٢) وغيرها من الأمور التى لا مجال لتفصيلها هنا .

والذى أراه أن الحافظ - رحمه الله - أقرب شىء إلى عقيدة مفوضة الحنابلة كأبى يعلى ونحوه ممن ذكرهم شيخ الإسلام فى درء تعارض العقل والنقل (٣) ووصفهم بمحبة الآثار والتمسك بها لكنهم وافقوا بعض أصول المتكلمين وتابعوهم ظانين صحتها عن حسن نية .

وقد كان من الحنابلة من ذهب إلى أبعد من هذا كأبن الجوزى وابن عقيل وابن الزاغونى . ومع ذلك فهؤلاء كانوا أعداء الداء للأشاعرة، ولا يجوز بحال أن يعتبروا أشاعرة فما بالك بأولئك .

(١) أنظر فتح البارى : ٤٦/١ ، ٣٥٧/٣ - ٣٦١ ، ٣٤٧/١٣ - ٣٥٠ .

(٢) أنظر فتح البارى : ٤٦/١ ، ٣٥٧/٣ - ٣٦١ ، ٣٤٧/١٣ - ٣٥٠ .

(٣) المصدر السابق : ٢٥٣/١٣ ، ٢٥٩ ، ٤٠٧ وغيرها كثير .

والظاهر أن سبب هذا الاشتباه في نسبة بعض العلماء للأشاعرة أو أهل السنة والجماعة هو أن الأشاعرة فرقة كلامية انشقت عن أصلها «المعتزلة» ووافقت السلف في بعض القضايا وتأثرت بمنهج الوحي ، في حين أن بعض من هم على مذهب أهل السنة والجماعة في الأصل تأثروا بسبب من الأسباب بأهل الكلام في بعض القضايا وخالفوا فيها مذهب السلف . فإذا نظر الناظر إلى المواضيع التي يتفق فيها هؤلاء وهؤلاء ظن أن الطائفتين على مذهب واحد . فهذا التداخل بينهما هو مصدر اللبس .

وكثيرا ما تجد في كتب الجرح والتعديل - ومنها لسان الميزان للحافظ ابن حجر - قولهم عن الرجل أنه وافق المعتزلة في أشياء من مصنفاته أو وافق الخوارج في بعض أقوالهم وهكذا ومع هذا لا يعتبرونه معتزليا أو خارجيا، وهذا المنهج إذا طبقناه على الحافظ وعلى النووي وأمثالهما لم يصح اعتبارهم أشاعرة وإنما يقال وافقوا الأشاعرة في أشياء، مع ضرورة بيان هذه الأشياء واستدراكها عليهم حتى يمكن الاستفادة من كتبهم بلا توجس في موضوعات العقيدة<sup>(١)</sup> .

خامسا : قال فضيلة الشيخ الفوزان عن الأشاعرة : «نعم هم من أهل السنة والجماعة في بقية أبواب الإيمان والعقيدة وليسوا منهم في باب الصفات» .

وهذا سبق قلم من فضيلته ومثل هذه الدعوى هي التي يهش لها الأشاعرة المعاصرون ويروجونها ، لأنه إذا كان الفارق هو الصفات فقط قالوا إن الخلاف فيها أصله الاجتهاد والكل متفقون على التنزيه فكأنه لا خلاف إذن . . . وربما قالوا نحن مستعدون أن نثبت لله يداً وعيناً وسائر الصفات في سبيل توحيد الصف ووحدة الكلمة !!!

وليكن معلوماً أن ابتداء أمر الأشاعرة أنهم توسلوا إلى أهل السنة أن يكفوا عن هجرهم وتبديعهم وتضليلهم وقالوا : نحن معكم ندافع عن الدين وننازل الملحد<sup>(٢)</sup> ، فاغتر بهذا بعض علماء أهل السنة وسكتوا عنهم فتمكن الأشاعرة في الأمة ثم في النهاية استطالوا على أولئك واستأثروا بهذا الاسم دون أهله ، وأصبحوا هم يضللون أهل السنة ويضطهدونهم ويلقبونهم بأشنع الألقاب . فحتى لا تتكرر هذه المشكلة واحققا للحق رأيت

---

(١) وقد رأينا في واقعنا المعاصر علماء فضلاء وافقوا الاشتراكيين أو الديمقراطيين أو القوميين في أشياء للأسباب نفسها . ولم يعد لهم أحد اشتراكيين أو قوميين .

(٢) أنظر سير أعلام النبلاء : ٩٠/١٥ ، مقابلة الأشعرى لامام السنة في عصره «البرهاري» أنظر ترجمته في طبقات الحنابلة ورسالة القيمة في السنة ، التي ساقها صاحب الطبقات .

من واجبي أن أسهم بتفصيل مذهب الأشاعرة في كل أبواب العقيدة ليتضح أنهم على منهج فكري مستقل في كل الأبواب والأصول، ويختلفون مع أهل السنة والجماعة من أول مصدر التلقى حتى آخر السمعيات ماعدا قضية واحدة فقط .

وإليك هذه الأصول المنهجية في مذهبهم موجزة وميسرة ما أمكن - عدا أقوالهم في الصفات وعدا الفرعيات التي لا تدخل تحت حصر - مع التنبيه مقدما إلى ما بينها من تناقض لا يخفى على القارئ الفطن :

#### الأول : مصدر التلقى :

(أ) مصدر التلقى عند الأشاعرة هو العقل وقد صرح الجويني والرازي والبغدادي والغزالي والآمدى والآيجي وابن فورك والسنوسي وشراح الجوهرة وسائر أئمتهم بتقديم العقل على النقل عند التعارض، وعلى هذا يرى المعاصرون منهم، ومن هؤلاء السابقين من صرح بأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة أصل من أصول الكفر وبعضهم خففها فقال هو أصل الضلالة !!

ولضرورة الاختصار أكتفى بمثلين مع الاحالة إلى ما في الحاشية لمن أراد المزيد :

الأول : وضع الرازي في أساس التقديس القانوني الكلي للمذهب في ذلك فقال :  
«الفصل الثاني والثلاثون في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية فكيف يكون الحال فيها ؟

أعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة :

(١) أما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال .

(٢) وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال .

(٣) وإما أن يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية وذلك باطل .

لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية اثبات الصانع وصفاته وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ وظهور المعجزات على محمد ﷺ .

ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متها غير مقبول القول . ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة .

فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضى إلى القدح في العقل والنقل معا وأنه باطل .

ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية - القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية اما أن يقال انها غير صحيحة<sup>(١)</sup> . أو يقال إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها .

ثم ان جوزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع<sup>(٢)</sup> بذكر تلك التأويلات على التفصيل . وان لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى . فهذا هو القانون الكلى المرجوع إليه في جميع المتشابهات وبالله التوفيق» أه .

الثانى : يقول السنوسى (ت ٨٨٥) فى شرح الكبرى :  
«وأما من زعم أن الطريق بدأ إلى معرفة الحق الكتاب والسنة ويحرم ما سواهما فالرد عليه أن حجتيهما لا تعرف إلا بالنظر العقلى ، وأيضا فقد وقعت فيهما ظواهر من اعتقادها على ظاهرها كفر عند جماعة وابتدع» .  
ويقول : «أصول الكفر ستة . . . » ذكر خمسة ثم قال :

سادسا : التمسك فى أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية» .

(ب) صرح متكلموهم - ومنهم من سبق فى فقرة «أ» أن نصوص الكتاب والسنة ظنية الدلالة ولا تنفيذ اليقين إلا إذا سلمت من عشر عوارض منها : الاضمار والتخصيص والنقل والاشترار والمجاز . . الخ . وسلمت بعد هذا من المعارض العقلية بل قالوا : من احتمال المعارض العقلية !!

(ج) موقفهم من السنة خاصة أنه لا يثبت بها عقيدة بل المتواتر منها يجب تأويله واحادها لا يجب الاشتغال بها حتى على سبيل التأويل ، حتى إن إمامهم الرازى قطع بأن رواية الصحابة كلهم مظنونة بالنسبة لعدالتهم وحفظهم سواء ، وانه فى الصحيحين أحاديث وضعها الزنادقة . . إلى آخر ما لا استجيز نقله لغير المختصين ، وهو فى كتابه أساس التقديس والأربعين .

---

(١) يلاحظ أن الدلائل النقلية تشمل نصوص الكتاب والسنة معا فكيف يقال أنها غير صحيحة دون تفريق بينهما، مع أن مجرد اطلاقها على السنة وحدها فى غاية الخطورة .

(٢) هل وصلت قيمة نصوص الوحي إلى حد أن الاشتغال بتأويلها - الذى هو تحريف لها يعتبر تبرعا واحسانا؟!!

(د) تقرأ في كتب عقيدتهم قديمها وحديثها المائة صفحة أو أكثر فلا تجد فيها آية ولا حديثاً لكنك قد تجد في كل فقرة «قال الحكماء» أو «قال المعلم الأول» أو «قالت الفلاسفة» ونحوها . . .

(هـ) مذهب طائفة منهم وهم صوفيتهم - كالغزالي والحامى - في مصدر التلقى هو تقديم الكشف والذوق على النص وتأويل النص ليوافقه وقد يصبحون بعض الأحاديث ويضعفونها حسب هذا الذوق كحديث إسلام أبوى النبي ﷺ ودخولها الجنة بزعمهم . ويسمون هذا «العلم اللدنى» جرياً على قاعدة الصوفية «حدثنى قلبى عن ربى»<sup>(١)</sup> .

### الثانى : اثبات وجود الله :

معلوم أن مذهب السلف هو أن وجوده تعالى أمر فطرى معلوم بالضرورة والأدلة عليه فى الكون والنفس والآثار والأفاق والوحى أجل من الحصر، ففى كل شىء له آية وعليه دليل .

أما الأشاعرة فعندهم دليل يتيم هو دليل «الحدوث والقدم» وهو الاستدلال على وجود الله بأن الكون حادث وكل حادث فلا بد من محدث قديم، وأخص صفات هذا القديم مخالفته للحوادث وعدم حلولها فيه ومن مخالفته للحوادث اثبات أنه ليس جوهرًا ولا عرضًا ولا جسمًا ولا فى جهة ولا مكان . . . الخ . ثم أطالوا جدا فى تقرير هذه القضايا هذا وقد رتبوا عليه من الأصول الفاسدة ما لا يدخل تحت العد مثل انكارهم لكثير من الصفات كالرضا والغضب والاستواء بشبهة نفى حلول الحوادث فى القديم ونفى الجوهرية والعرضية والجهة والجسمية . . . إلى آخر المصطلحات البدعية التى جعلوا نفيها أصولاً وأنفقوا الأعمار والمداد فى شرحها ونفيها . ولو أنهم قالوا الكون مخلوق وكل مخلوق لا بد له من خالق لكان أيسر وأخصر مع أنه ليس الدليل الوحيد ولكنهم تعمدوا موافقة الفلاسفة حتى فى ألفاظهم<sup>(٢)</sup> .

(١) أنظر عن مصدر التلقى عندهم : درء تعارض العقل والنقل فهو كله رد عليهم وقد استفتحه بذكر قانونهم الكلى فى التعارض، أساس التقديس للرازى : ١٦٨ - ١٧٣ ، الشامل للجوينى : ٥٦١ ، الارشاد له : ٣٥٩ - ٣٦٠ ، شرح الكبرى للسوسى : ٥٠٢ الموافق للايجى : ٣٩ - ٤٠ ، مختصر الصواعق ٣٣ ، ٢٥٨ ، مشكل الحديث لابن فورك : مقدمته وخاتمته .

أصول الدين للبغدادى : ١٢ ، كبرى اليقينيّات : محمد سعيد رمضان البوطى الاهداء ، ٣٢ - ٣٣ ، الرسالة اللدنية للغزالي : ١١٤ / ١ - ١١٨ من مجموعة القصور العوالى .

(٢) أنظر الأبواب الأولى من أى كتاب فى عقيدتهم ، ومجموع الفتاوى : ٢ / ٧ - ٢٣ وأول شرح الاصبهانية . ويلاحظ أن تعمدهم استخدام كلمة (حادث) سببه أنهم لوقالوا (مخلوق) لألزمهم الفلاسفة بان هذا هو موضع النزاع ولا يستدل بالدعوى على نفسها فى نظرهم ، ومع هذا فالفلاسفة يقولون الكون قديم ولا نسلم أنه حادث ، فالأشاعرة كما قال شيخ الاسلام (لا للاسلام نصرًا ولا للفلاسفة كسرًا) .

### الثالث : التوحيد :

التوحيد عند أهل السنة والجماعة معروف بأقسامه الثلاثة وهو عندهم أول واجب على المكلف، أما الأشاعرة قدماءهم ومعاصروهم فالتوحيد عندهم هو نفى التشية أو التعدد ونفى التبعض والتركيب والتجزئة أى حسب تعبيرهم «نفى الكمية المتصلة والكمية المنفصلة» ومن هذا المعنى فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر على الاختراع وأنكروا بعض الصفات كالوجه واليد والعين لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم .

أما التوحيد الحقيقي وما يقابله من الشرك ومعرفته والتحذير منه فلا ذكر لها في كتب عقيدتهم اطلاقاً ولا أدرى أين يضعونه أفي كتب الفروع؟ فليس فيها أم يتركونه بالمرّة فهذا الذي أجزم به .

أما أول واجب عند الأشاعرة فهو النظر أو القصد إلى النظر أو أول جزء من النظر أو... إلى آخر فلسفتهم المختلف فيها وعندهم أن الإنسان إذا بلغ سن التكليف وجب عليه النظر ثم الإيمان واختلفوا فيمن مات قبل النظر أو في أثناءه . أم يحكم له بالإسلام أم بالكفر؟! .

وينكر الأشاعرة المعرفة الفطرية ويقولون إن من آمن بالله بغير طريق النظر فإنما هو مقلد ورجح بعضهم كفره واكتفى بعضهم بتعصيته، وهذا ما خالفهم فيه الحافظ ابن حجر - رحمه الله - ونقل أقوالاً كثيرة في الرد عليهم وان لازم قولهم تكفير العوام بل تكفير الصدر الأول<sup>(١)</sup> .

### الرابع : الإيمان :

الأشاعرة في الإيمان مرجئة جهمية أجمعت كتبهم قاطبة على أن الإيمان هو التصديق القلبي، واختلفوا في النطق بالشهادتين أيكفى عنه تصديق القلب أم لا بد منه، قال صاحب الجوهرية :

وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق

(١) عن هذه الفقرة أنظر : نهاية الأقدام للشهرستاني : ٩٠ ، شرح الكبرى : ٣٠٤ ، غاية المرام للأمدى : ١٤٩ ، كبرى اليقينيّات : ٩٢-٩٣ ، الله جل جلاله : سعيد حوى : ١٣١ أركان الإيمان لوهبي غاوي : ٣٠ . وبخصوص أول واجب والمعرفة الفطرية أنظر : درء تعارض العقل والنقل ج٧ ، ٨ ، ٩ كلها . الانصاف للباقلاني : ٢٢ ، الارشاد : ٣ . المواقف : ٣٢-٣٣-الشامل : ١٢٠ ، أصول الدين للبغدادي : ٢٥٤-٢٥٥ ، فتح الباري ٣/٣٥٧ ، ٣٦١ . ٣٤٧/١٣ . ٣٥٨ .



وقد رجح الشيخ حسن أيوب من المعاصرين أن المصدق بقلبه ناج عند الله وإن لم ينطق بهما ومال إليه البوطي . فعلى كلامهم لاداعى لحرص النبي ﷺ أن يقول عمه أبو طالب لا إله إلا الله لأنه لاشك في تصديقه له بقلبه ، وهو من شابهه على مذهبهم من أهل الجنة !!

هذا وقد أولوا كل آية أو حديث ورد في زيادة الإيمان ونقصانه أو وصف بعض شعبه بأنها إيمان أو من الإيمان<sup>(١)</sup> .

ولهذا أطال شيخ الإسلام - رحمه الله - الرد عليهم بأسمائهم كالأشعري والباقلاني والجويني وشراح كتبهم وقرر أنهم على مذهب جهنم بعينه . وفي رسالتي فصل طويل عن هذه القضية فلا أطيل به هنا .

#### الخامس : القرآن :

وقد أفردت موضوعه لأهميته القصوى ، وهو نموذج بارز للمنهج الأشعري القائم على التلفيق الذي يسميه الأشاعرة المعاصرون «التوفيقية» حيث انتهج التوسط بين أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة في كثير من الأصول فتناقض واضطرب .

فمذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه تعالى يتكلم بكلام مسموع تسمعه الملائكة وسمعه جبريل وسمعه موسى - عليه السلام - ويسمعه الخلائق يوم القيامة .

ومذهب المعتزلة أنه مخلوق .

أما مذهب الأشاعرة فمن منطلق التوفيقية - التي لم يحالفها التوفيق - فرقوا بين المعنى واللفظ . فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو معنى أزلي أبدي قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت ولا يوصف بالخبر ولا الانشاء .

واستدلوا بالبيت المنسوب للأخطل النصراني :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا  
أما الكتب المنزلة ذات الترتيب والنظم والحروف - ومنها القرآن - فليست هي كلامه  
تعالى على الحقيقة بل هي «عبارة» عن كلام الله النفسى . والكلام النفسى شئ واحد في

(١) أنظر الانصاف : ٥٥ ، الارشاد : ٣٩٧ ، غاية المرام : ٣١١ ، المواقف : ٣٨٤ الايمان لشيخ الإسلام : أكثره رد عليهم فلا حاجة لتحديد الصفحات ، تبسيط العقائد الإسلامية ، حسن أيوب : ٢٩ - ٣٣ كبرى اليقينيات : ١٩٦ .

ذاته لكن إذا جاء التعبير عنه بالعبرانية فهو توراة وان جاء بالسريانية فهو انجيل وان جاء بالعربية فهو قرآن، فهذه الكتب كلها مخلوقة ووصفها بأنها كلام الله مجاز لأنها تعبير عنه .

واختلفوا في القرآن خاصة فقال بعضهم : « ان الله خلقه أولاً في اللوح المحفوظ ثم أنزله في صحائف إلى سماء الدنيا » فكان جبريل يقرأ هذا الكلام المخلوق ويبلغه لمحمد ﷺ . وقال آخرون : ان الله أفهم جبريل كلامه النفسى وأفهمه جبريل لمحمد ﷺ فالنزول نزول إعلام وافهام لا نزول حركة وانتقال (لأنهم ينكرون علو الله) ثم اختلفوا في الذى عبر عن الكلام النفسى بهذا اللفظ والنظم العربى من هو؟ . فقال بعضهم : هو جبريل ، وقال بعضهم : بل هو محمد ﷺ !!

واستدلوا بمثل قوله تعالى : ﴿ انه لقول رسول كريم ﴾ . في سورتي الحاقة والانشقاق حيث أضافه في الأولى إلى محمد ﷺ وفي الأخرى إلى جبريل بأن اللفظ لأحد الرسولين «جبريل أو محمد» وقد صرح الباقلانى بالأول وتابعه الجوينى .

قال شيخ الإسلام : « وفي اضافته تعالى إلى هذا الرسول تارة وإلى هذا تارة دليل على أنه اضافة بلاغ وأداء لا اضافة احداث لشيء منه وانشاء كما يقول بعض المتدعة الأشعرية من أن حروفه ابتداء جبريل أو محمد مضاهاة منهم في نصف قولهم لمن قال انه قول البشر من مشركى العرب» (١) .

وعلى القول أن القرآن الذى نقرؤه في المصاحف مخلوق سار الأشاعرة المعاصرون وصرحوا، فكشفوا بذلك ما أراد شارح الجوهرة أن يستره حين قال : « يمتنع أن يقال إن القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم» (٢) .

### السادس : القدر :

أراد الأشاعرة هنا أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية فجاءوا بنظرية الكسب وهى في مآلها جبرية خالصة لأنها تنفى أى قدرة للعبد أو تأثير أما حقيقتها النظرية الفلسفية فقد عجز الأشاعرة أنفسهم عن فهمها فضلاً عن افهامها لغيرهم ولهذا قيل :

(١) مجموع الفتاوى .

(٢) عن القرآن عندهم أنظر: الانصاف: ٩٦-٩٧ وما بعدها، الارشاد: ١٢٨-١٣٧، أصول الدين: ١٠٧، المواقب: ٢٩٣، شرح الباجورى على الجوهرة ٦٤-٦٦، ٨٤. متن الدردير ٢٥ من مجموع مهات المتون، التسعينية وقد استغرق موضوع الرد عليهم في القرآن أكثر مباحثها ومن أعظمها وأنفسها ما ذكره في الوجه السابع والسبعين فليراجع .

كما يقال ولا حقيقة تحته معقولة تدنوا إلى الأفهام  
الكسب عند الأشعري والحال عند البهشمي وطفرة النظام  
ولهذا قال الرازي الذي عجز هو الآخر عن فهمها : «ان الإنسان مجبور في صورة  
مختار» .

أما البغدادي فأراد أن يوضحها فذكر مثالا لأحد أصحابه في تفسيرها شبه فيه اقتران  
قدرة الله بقدرة العبد مع نسبة الكسب إلى العبد «بالحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل  
ويقدر آخر على حمله منفردا به فإذا اجتمعا جميعا على حمله كان حصول الحمل بأقواهما، ولا  
خرج أضعفها بذلك عن كونه حاملا» !!

وعلى مثل هذا المثال الفاسد يعتمد الجبرية وبه يتجرأ القدرية المنكرون، لأنه لو أن  
الأقوى من الرجلين عذب الضعيف . وعاقبه على حمل الحجر فانه يكون ظالما باتفاق  
العقلاء، لأن الضعيف لا دور له في الحمل، وهذه المشاركة الصورية لا تجعله مسؤولا عن  
حمل الحجر .

والارادة عند الأشاعرة معناها «المحبة والرضا وأولوا قوله تعالى : ﴿ولا يرضى لعباده  
الكفر﴾ بأنه لا يرضاه لعباده المؤمنين! فبقى السؤال واردا عليهم : وهل رضيه للكفار أم  
فعلوه وهو لم يرده؟ .  
وفعلوا بسائر الآيات مثل ذلك .

ومن هذا القبيل كلامهم في الاستطاعة، والحاصل أنهم في هذا الباب خرجوا عن  
المنقول والمعقول ولم يعربوا عن مذهبهم فضلا عن البرهنة عليه !!<sup>(١)</sup>.

### السابع : السببية وأفعال المخلوقات :

ينكر الأشاعرة الربط العادي باطلاق وأن يكون شيء يؤثر في شيء وأنكروا كل «باء  
سببية» في القرآن، وكفروا وبدعوا من خالفهم ومأخذهم فيها هو مأخذهم في القدر، فمثلا  
عندهم : من قال ان النار تحرق بطبعها أو هي علة الأحراق فهو كافر مشرك لأنه لا فاعل  
عندهم إلا الله مطلقا حتى أن أحد نحاة الأندلس من دولة الموحدين التومرتية الأشعرية هدم  
«نظرية العامل» عند النحاة مدعيا ان الفاعل هو الله !!

(١) الانصاف : ٤٥-٤٦، بهوامش الكوثري، الارشاد: ١٨٧-٢٠٣، أصول الدين : ١٣٣، نهاية الاقدام:

٧٧، المواقف : ٣١١، شفاء العليل ٢٥٩-٢٦١ وغيرها .

ومن قال عندهم ان النار تحرق بقوة أودعها الله فيها فهو مبتدع ضال، قالوا ان فاعل الاحراق هو الله ولكن فعله يقع مقترنا بشيء ظاهري مخلوق، فلا ارتباط عندهم بين سبب ومسبب أصلا وإنما المسألة اقتران كاقتران الزميلين من الأصدقاء في ذهابهما وإيابهما .

ومن متونهم في العقيدة :

والفعل في التأثير ليس إلا للواحد القهار جل وعلا  
ومن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الملة  
ومن يقل بالقوة المودعة فذاك بدعى فلا تلتفت  
والغريب أن هذا هو مذهب ما يسمى المدرسة الوضعية من المفكرين الغربيين  
المحدثين ومن وافقهم من ملاحدة العرب، وما ذاك إلا لأن الأشاعرة والوضعيين كلاهما ناقل  
عن الفكر الفلسفى الاغريقى (١).

الثامن : الحكمة الغائبة :

ينفى الأشاعرة قطعاً أن يكون لشيء من أفعال الله تعالى علة مشتملة على حكمة  
تقضى ايجاد ذلك الفعل أو عدمه، وهذا نص كلامهم تقريبا، وهو رد فعل لقول المعتزلة  
بالوجوب على الله حتى انكر الأشاعرة كل لام تعليل في القرآن وقالوا ان كونه يفعل شيئا لعلة  
ينافى كونه مختارا مريدا. وهذا الأصل تسميه بعض كتبهم «نفى الغرض عن الله» ويعتبرونه  
من لوازم التنزيه، وجعلوا أفعاله تعالى كلها راجعة إلى محض المشيئة ولا تعليق لصفة  
أخرى - كالحكمة مثلا - بها، ورتبوا على هذا أصولا فاسدة كقولهم بجواز أن يخلد الله في  
النار أخلص أوليائه ويخلد في الجنة افجر الكفار، وجواز التكليف بها لا يطاق ونحوها .

وسبب هذا التأصيل الباطل عدم فهمهم ألا تعارض بين المشيئة والحكمة أو المشيئة  
والرحمة . ولهذا لم يثبت الأشاعرة الحكمة مع الصفات السبع واكتفوا باثبات الارادة مع أن  
الحكمة تقتضى الارادة والعلم وزيادة حتى أن من المعاصرين من أضافها مثل سعيد  
حوى (٢).

(١) المصادر السابقة في القدر، وشرح الكبرى: ١٨٤، شرح أم البراهين: ١١، ٨٠-٨١، منظومة الدردير ٢٤٠  
وقد أفردناها عن القدر لأنهم يفردها وقد يقدمونها باعتبارها من قضايا الكفر والإيمان !!  
وعن المدرسة الوضعية أنظر «المنطق الوضعى» زكى نجيب محمود فهو أحدهم .

(٢) انظر المواقف: ٣٣١، شرح الكبرى: ٤٢٣ ٣٢٢، شرح أم البراهين: ٣٦، النبوات ١٦٣-٢٣٠، مجموع  
الفتاوى: ٢٩٩/١٦، وقد أطال ابن القيم في رد شبه الأشاعرة في شفاء العليل: أنظر مثلا من ٣٩١ إلى ٥٢١، حيث رد =

## التاسع : النبوات :

يختلف مذهب الأشاعرة عن مذهب أهل السنة والجماعة في النبوات اختلافا بعيدا، فهم يقررون أن ارسال الرسل راجع للمشيئة المحضة - كما في الفقرة السابقة - ثم يقررون أنه لا دليل على صدق النبي إلا المعجزة، ثم يقررون أن أفعال السحرة والكهان من جنس المعجزة لكنها لا تكون مقرونة بادعاء النبوة والتحدى، قالوا: ولو ادعى الساحر أو الكاهن النبوة لسلبه الله معرفة السحر رأسا وإلا كان هذا اضلالا من الله وهو يمتنع عليه الاضلال... إلى آخر ما يقررونه مما يخالف المنقول والمعقول، ولضعف مذهبهم في النبوات مع كونها من اخطر أبواب العقيدة إذ كل أمورنا متوقفة على ثبوت النبوة اغروا اعداء الإسلام بالنيل منه واستطال عليهم الفلاسفة والملاحدة .

والصوفية منهم كالغزالي يفسرون الوحي تفسيراً قرمطياً فيقولون هو انتقاش العلم الفائض من العقل الكلي في العقل الجزئي<sup>(١)</sup>.

أما في موضوع العصمة فينكرون صدور الذنب عن الأنبياء ويؤولون الآيات والأحاديث الكثيرة تأويلا متعسفا متكلفا كالحال في تأويلات الصفات<sup>(٢)</sup>.

## العاشر : التحسين والتقييح :

ينكر الأشاعرة أن يكون للعقل والفطرة أي دور في الحكم على الأشياء بالحسن والقبح ويقولون مرد ذلك إلى الشرع وحده، وهذا رد فعل مغال: لقول البراهمة والمعتزلة ان العقل يوجب حسن الحسن وقبح القبيح، وهو مع منافاته للنصوص مكابرة للعقول، وبما يترتب عليه من الأصول الفاسدة قولهم ان الشرع قد يأتي بما هو قبيح في العقل فالغاء دور العقل بالمرّة أسلم من نسبة القبح إلى الشرع مثلا ومثلوا لذلك بذبح الحيوان فإنه ايلام له بلا ذنب وهو قبيح في العقل ومع ذلك اباحه الشرع، وهذا في الحقيقة هو قول البراهمة الذين يحرمون أكل الحيوان فلما عجز هؤلاء عن رد شبهتهم ووافقوهم عليها انكروا حكم العقل من أصله وتوهموا أنهم بهذا يدافعون عن الإسلام. كما أن من أسباب ذلك مناقضة أصل من قال بوجود الثواب والعقاب على الله بحكم العقل ومقتضاه<sup>(٢)</sup>.

= عليهم من ٣٦ وجها ومنهاج السنة: ١/١٢٨ الطبعة القديمة. الله جل جلاله: ٩٠ وقد ذكر الحكمة ضمن الظواهر ولم يذكرها ضمن الصفات .

(١) أنظر الارشاد: ٣٠٦، ٣٥٦، نهاية الاقدام: ٤٦١، أصول الدين: ١٧٦، المواقب: ٣٥٩-٣٦١، غاية المرام: ٣١٨، الرسالة اللدنية: ١: ١١٤-١١٨ (من مجموعة القصور العوالي) .

(٢) نهاية الاقدام: ٣٧٠، شرح الكبرى: ٤٢٩، غاية المرام: ٢٣٤. المواقب: ٣٢٣، مجموع الفتاوى: ٤٣٢/٨-٤٣٦، التسعينية: ٢٤٧ .

## الحادى عشر : التأويل :

ومعناه المبتدع صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى احتمال مرجوح لقريظة فهو بهذا المعنى تحريف للكلام عن مواضعه كما قرر ذلك شيخ الإسلام .

وهو أصل منهجى من أصول الأشاعرة وليس هو خاصا بمبحث الصفات بل يشمل أكثر نصوص الإيمان خاصة ما يتعلق باثبات زيادته ونقصانه وتسمية بعض شعبه إيمانا ونحوها وكذا بعض نصوص الوعد والوعيد وقصص الأنبياء خصوصا موضوع العصمة، وبعض الأوامر التكليفية أيضا .

وضرورته لمنهج عقيدتهم أصلها أنه لما تعارضت عندهم الأصول العقلية التي قرروها بعيدا عن الشرع مع النصوص الشرعية وقعوا في مأزق رد الكل أو أخذ الكل فوجدوا في التأويل مهربا عقليا ومخرجا من التعارض الذى اختلقته أوهامهم ولهذا قالوا اننا مضطرون للتأويل وإلا أوقعنا القرآن في التناقض . وان الخلف لم يؤولوا عن هوى ومكابرة وإنما عن حاجة واضطراب؟ فأى تناقض في كتاب الله يامسلمون يضطرر معه إلى رد بعضه أو الاعتراف للأعداء بتناقضه ؟

وقد اعترف الصابونى بأن في مذهب الأشاعرة «تأويلات غريبة» فما المعيار الذى عرف به الغريب من غير الغريب ؟

وهنا لابد من زيادة التأكيد على أن مذهب السلف لا تأويل فيه لنص من النصوص الشرعية اطلاقا ولا يوجد نص واحد - لا فى الصفات ولا غيرها - اضطر السلف إلى تأويله والله الحمد، وكل الآيات والأحاديث التى ذكرها الصابونى وغيره تحمل فى نفسها ما يدل على المعنى الصحيح الذى فهمه السلف منها والذى يدل على تنزيه الله تعالى دون أدنى حاجة إلى التأويل .

أما التأويل فى كلام السلف فله معنيان :

(١) التفسير كما تجد فى تفسير الطبرى ونحوه «القول فى تأويل هذه الآية» أى تفسيرها .

(٢) الحقيقة التى يصير إليها الشئ كما فى قوله تعالى : ﴿ هذا تأويل رؤياى من قبل ﴾ . أى تحقيقها . وقوله : ﴿ يوم يأتى تأويله ﴾ . أى تحقيقه ووقوعه .  
أما التأويل فله مفهوم آخر : راجع الحاشية .

وان تعجب فاعجب لهذه اللفظة النابية التي يستعملها الأشاعرة مع النصوص وهي أنها «توهم» التشبيه ولهذا وجب تأويلها فهل في كتاب الله إيهام أم أن العقول الكاسدة تتوهم والعقيدة ليست مجال توهم .

فالعيب ليس في ظواهر النصوص - عيادا بالله - ولكنه في الافهام - بل الاوهام السقيمة . أما دعوى ان الإمام أحمد استثنى ثلاثة أحاديث وقال لا بد من تأويلها فهي فرية عليه افترأها الغزالي في (الاحياء وفيصل التفرقة) ونفاها شيخ الإسلام سندا ومتنا .

وحسب الأشاعرة في باب التأويل ما فتحوه على الإسلام من شرور بسببه فانهم لما أولوا ما أولوا تبعتهم الباطنية واحتجت عليهم في تأويل الحلال والحرام والصلاة والصوم والحج والحشر والحساب، وما من حجة يحتج بها الأشاعرة عليهم في الاحكام والاخرة إلا احتج الباطنية عليهم بمثلها أو أقوى منها من واقع تأويلهم للصفات . وإلا فلماذا يكون تأويل الأشاعرة لعلو الله - الذى تقطع به العقول والفطر والشرائع - تنزيها وتوحيدا وتأويل الباطنية للبعث والحشر كفرا وردة؟ (١) .

أليس كل منهما ردا لظواهر النصوص مع أن نصوص العلو أكثر واشهر من نصوص الحشر الجسماني؟ . ولماذا يكفر الأشاعرة الباطنية ثم يشاركونهم في أصل من أعظم أصولهم؟

---

(١) عن التأويل جملة أنظر كتاب ابن فورك كاملا، والانصاف: ٥٦، ١٦٥، وغيرها والارشاد: فصل كامل له، اساس التقديس: فصل كامل أيضا. وعن الثلاثة الأحاديث أنظر: أحياء علوم الدين طبعة الشعوب: ١٧٩/١ والرد عليه في مجموع الفتاوى ٣٩٨/٥ وأنظر كذلك ٣٩٧/٦، ٥٨٠ تبنيه حول التأويل: التأويل الذى يذكره الفقهاء في باب البيعة وقد يرد في بعض كتب العقيدة لا سيما في موضوع التكفير والاستحلال هو غير التأويل المذكور هنا وإن كانت أكثر الكتب تسمية تأويلا وهو في الحقيقة تأويلا لان الفعل الماضى منه «تأول» .

فالتأول هو: وضع الدليل في غير موضعه باجتهاد أو هو شبه تنشأ من عدم فهم دلالة النص، وقد يكون المتأول مجتهدا مخطئا فيعذر وقد يكون متعسفا متوها فلا يعذر وعلى كل حال يجب الكشف عن حاله وتصحيح فهمه قبل الحكم عليه ولهذا كان من مذهب السلف عدم تكفير التأول حتى تقام عليه الحجة مثلما حصل مع بعض الصحابة الذين شربوا الخمر في عهد عمر متأولين قوله تعالى ﴿ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ الآية . ومثل هذا من أول بعض الصفات عن حسن نية متأولا قوله تعالى ﴿ليس كمثل شيء﴾ فهو مؤول متأول ولا يكفر، ولهذا لم يطلق السلف تكفير المخالفين في الصفات أو غيرها لأن بعضهم أو كثير منهم متأولون، أما الباطنية فلا شك في كفرهم لأن تأويلهم ليس له أى شبهة بل أرادوا هدم الإسلام عمدا بدليل أنهم لم يكتفوا بتأويل الأمور الاعتقادية بل أولوا الأحكام العملية كالصلاة والصوم والحج . الخ . . .

## الثانى عشر : السمعيات :

يقسم الأشاعرة أصول العقيدة بحسب مصدر التلقى إلى ثلاثة أقسام :

(١) قسم مصدره العقل وحده وهو معظم الأبواب ومنه باب الصفات ولهذا يسمون الصفات السبع «عقلية» وهذا القسم هو «ما يحكم العقل بوجوبه» دون توقف على الوحي عندهم .

(٢) قسم مصدره العقل والنقل معا كالرؤية - على خلاف بينهم فيها - وهذا القسم هو «ما يحكم العقل بجوازه استقلالاً أو بمعاوضة الوحي .

(٣) قسم مصدره النقل وحده وهو السمعيات أى المغييات من أمور الآخرة كعذاب القبر والصراط والميزان وهو عندهم : ما لا يحكم العقل باستحالته لكن لو لم يرد به الوحي لم يستطع العقل إدراكه منفردا . ويدخلون فيه التحسين والتقبيح والتحليل والتحرير .

والحاصل أنهم فى صفات الله جعلوا العقل حاكما وفى اثبات الآخرة جعلوا العقل عاطلا وفى الرؤية جعلوه مساويا . فهذه الأمور الغيبية تتفق معهم على اثباتها لكننا نخالفهم فى المأخذ والمصدر، فهم يقولون عند ذكر أى أمر منها تؤمن به لأن العقل لا يحكم باستحالته ولأن الشرع جاء به ويكررون ذلك دائما، أما فى مذهب أهل السنة والجماعة فلا منافاة بين العقل والنقل أصلا ولا تضخيم للعقل فى جانب واهدار فى جانب وليس هناك أصل من أصول العقيدة يستقل العقل باثباته أبدا كما أنه ليس هناك أصل منها لا يستطيع العقل اثباته أبدا .

فالإيمان بالآخرة وهو أصل كل السمعيات ليس هو فى مذهب أهل السنة والجماعة سمعيا فقط بل أن الأدلة عليه من القرآن هى فى نفسها عقلية كما أن الفطر السليمة تشهد به فهو حقيقة مركوزة فى أذهان البشر ما لم يحرفهم عنها حارف . لكن لو أن العقل حكم باستحالة شىء من تفصيلاته - فرضا وجدلا - فحكمه مردود وليس إيماننا به متوقفا على حكم العقل . وغاية الأمر أن العقل قد يعجز عن تصوره أما أن يحكم باستحالته فغير وارد والله الحمد(١) .

(١) أنظر الإرشاد: ٣٥٨، ٣٤٠، الأنصاف: ٥٥، المواقف: ٢٣، شرح الاصفهانية: ٤٩، النبوات: ٤٨،

وأنظر الجزء الثانى من مجموع الفتاوى ٧ - ٢٧ .



### الثالث عشر : التكفير :

التكفير عند أهل السنة والجماعة حق لله تعالى لا يطلق إلا على من يستحقه شرعا ولا تردد في اطلاقه على من ثبت كفره بشروطه الشرعية .

أما الأشاعرة فهم مضطربون اضطرابا كبيرا فتارة يقولون نحن لا نكفر احدا وتارة يقولون نحن لا نكفر إلا من كفرنا وتارة يكفرون بأمور لا تستوجب أكثر من التفسيق أو التبديع وتارة يكفرون بأمور لا توجب مجرد التفسيق وتارة يكفرون بأمور هي نفسها شرعية ويجب على كل مسلم أن يعتقدتها .

فأما قولهم لا نكفر أحدا فباطل قطعاً إذ في المنتسبين إلى الإسلام فضلا عن غيرهم كفار لاشك في كفرهم وأما قولهم لا نكفر إلا من كفرنا فباطل كذلك إذ ليس تكفير أحد لنا بمسوغ أن نكفره إلا إذا كان يستحق ذلك شرعا .

وأما تكفير من لا يستحق سوى التبديع فمثل تصريحهم في أغلب كتبهم بتكفير من قال إن الله جسم لا كالأجسام وهذا ليس بكافر بل هو ضال مبتدع لأنه أتى بلفظ لم يرد به الشرع والأشاعرة تستعمل ما هو مثله وشر منه . وأما تكفير من لا يستحق حتى مجرد الفسق أو المعصية فكما مر في الفقرة السابعة من تكفيرهم من قال أن النار علة الاحراق والطعام علة الشبع .

وأما التكفير بما هو حق في نفسه يجب اعتقاده فنحو تكفيرهم لمن يثبت علو الله ومن لم يؤمن بالله على طريقة أهل الكلام وكقولهم ان الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر كقولهم أن عبادة الأصنام فرع من مذهب المشبهة ويعنون بهم أهل السنة والجماعة . ومن شواهد تكفير بعضهم قديما وحديثا لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وحسبك ما في كتب الكوثري وتلميذه مؤلف براءة الأشعريين<sup>(١)</sup> .

### الرابع عشر : الصحابة والامامة :

من خلال استعراض لأكثر أمهات كتب الأشاعرة وجدت أن موضوع الصحابة هو الموضوع الوحيد الذي يتفقون فيه مع أهل السنة والجماعة وقريب منه موضوع الامامة . ولا

(١) أنظر المواقف : ٣٩٢ ، ومصادر المبحث «السابع» ، اساس التقديس : ١٦ ، ١٩٦ ، شرح الكبرى ٦٢ أركان

الإيمان : ٢٩٨ - ٢٩٩ .

يعنى هذا الاتفاق التام بل هم مخالفون في تفصيلات كثيرة لكنها ليست داخلية في بحثنا هنا لأن غرضنا - كما في سائر الفقرات - إنما هو المنهج والأصول .

### الخامس عشر : الصفات :

والحديث عنها يطول وتناقضهم وتحكمهم فيها أشهر وأكثر، وكل مذهبهم في الصفات مركب من بدع سابقة وأضافوا إليه بدعا أحدثوها فأصبح غاية في التفريق المتنافر .

ولن أتحدث عن هذا الباب هنا لأننى التزمت ببيان الأصول التى خالفوا فيها أهل السنة والجماعة عدا الصفات . أما مخالفتهم في الصفات فمعروفة وان كان كثير من أسس نظرياتهم فيها يحتاج لتجلية ونسف . ولعل هذا ما يكون في الرد المتكامل بإذن الله .

### هل بقى شك ؟

بعد هذه المخالفات المنهجية في أبواب العقيدة كلها وبعد هذا التميز الفكرى الواضح لمذهب الأشاعرة اضافة إلى التميز التاريخى هل بقى شك في خروجهم عن مذهب أهل السنة والجماعة الذى هو مذهب السلف الصالح .

لا أظن أى عارف بالمذهبيين ولو من خلال ما سبق هنا يتصور ذلك .

ومع هذا فسوف أضيف فوارق منهجية أخرى وضوابط في علم الفرق والمقالات لايشك في صدقها مطلع بل سأكتفى بفارق واحد وضابط واحد :

### فارق منهجى نموذجى : التناقض ومكابرة العقل :

ليس هناك مذهب أكثر تناقضا من مذهب الأشاعرة - اللهم إلا مذهب الرافضة لكن الرافضة كما قال الإمام أحمد : «ليست الرافضة من الإسلام في شىء» . وكما قال شيخ الإسلام : «ان الرافضة قوم لا عقل لهم ولا نقل» ، أما هؤلاء فيدعون العقل ويحكمونه في النقل ثم يتناقضون تناقضا يبرؤ منه العقل ويخلو مذهب أهل السنة والجماعة من أدنى شائبة منه والله الحمد ، وكما سيلاحظ القارىء هنا يرجع معظم تناقضهم إلى كونهم لم يسلموا للوحى تسليما كاملا ويعرفوا للعقل منزلته الحقيقية وحدوده الشرعية ولم يلتزموا بالعقل التزاما واضحا ويرسموا منهجا عقليا متكاملا كالمعتزلة والفلاسفة بل خلطوا وركبوا فتناقضوا واضطربوا .

### وإليك أمثلة سريعة للتناقض ومكابرة العقل :

١ - قالوا : أنه لا يجوز أن يرى الأعمى بالمشرق البقعة بالأندلس .

٢ - قالوا : ان الجهة مستحيلة في حق الله ثم قالوا باثبات الرؤية ولهذا قيل فيهم :  
«من انكر الجهة واثبت الرؤية فقد أضحك الناس على عقله» .

٣ - قالوا : ان الله سبع صفات عقلية يسمونها «معاني» هي «الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام ولم يكتفوا بهذا التحكم المحض ، بل قالوا ان له سبع صفات أخرى يسمونها «معنوية» وهي «كونه حيا وكونه عالما وكونه قادرا وكونه مريدا وكونه سميعا وكونه بصيرا وكونه متكلمًا» ثم لم يأتوا في التفريق بين المعاني والمعنوية بما يستسيغه عقل بل غاية ما قالوا أن هذه الاخيرة احوال فإذا سألتهم ما الحال؟ . قالوا صفة لا معدومة ولا موجودة . . .

٤ - قالوا : انه لا أثر لشيء من المخلوقات في شيء ولا فعل مطلقا ثم قالوا ان للإنسان كسبا يجازى لاجله ، فكيف يجازى على ما لا أثر له فيه مطلقا (راجع فقرتي : السادس والسابع) .

٥ - قالوا : بنفى الحكمة والتعليل في أفعال الله مطلقا ثم إن الله يجعل لكل نبي معجزة لأجل اثبات صدق النبي فتناقضوا بين ما يسمونه «نفى الحكمة والغرض وبين اثبات الله للرسول تفريقا بينه وبين المتنبىء .

٦ - قالوا : بأن أحاديث الاحاد مهما صحت لا يبنى عليها عقيدة ثم أسسوا مذهبهم وبنوه في أخطر الأصول والقضايا (الإيمان ، القرآن ، العلو) على بيتين غير ثابتين عن شاعر نصراني - الاخطل - هما :

(١) ان الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا  
(٢) قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq

٧ - قالوا : بأن رفع النقيضين محال - وهو كذلك - محتجين بها في مسائل ثم قالوا في صفة من اعظم واين الصفات «العلو» : إن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله . . . وقالوا عن الأحوال : هي صفات لا معدومة ولا موجودة فرفعوا النقيضين معا .

٨ - قالوا : ان العقل يقدم على النقل عند التعارض بل العقل هو الأصل والنقل إن وافقه قبل وان خالفه رد أو أول ، ثم قالوا ان العقل لا يحسن شيئا ولا يقبحه ، فجعلوا - مثلا - نصوص علو الله معارضة للقواطع العقلية في حين جعلوا قبح الزنا والكذب مسألة سمعية . . .

٩ - قالوا : إن تأويل آيات الصفات واجب يقتضيه التنزيه وتأويل آيات الحشر والأحكام كفر يخرج من الملة . . . أما من دعا غير الله أو ذبح له واستغاث به أو تحاكم إلى الطاغوت فلم يتعرضوا لذكره أصلا .

١٠ - قالوا : إن من قال إن النار تحرق بطبعها كافر مشرك ومن أنكر علو الله على خلقه موحد منزه .

١١ - جزموا بأن من لم يبلغه الشرع غير مؤاخذ باطلاق وردوا أو أولوا النصوص في ذلك . ثم قالوا : ان على كل مكلف وان كان مولودا من ابوين مسلمين في ديار الإسلام وهو يظهر الإسلام - عليه إذا بلغ سن التكليف ان ينظر في حدوث العالم ووجود الله فإن مات قبل النظر أو في اثنايه اختلفوا في الحكم بإسلامه وجزم بعضهم بكفره<sup>(١)</sup> .

هذا غيظ من فيض من تناقضهم مع أصولهم ومكابرتهم للعقل السليم ومن اراد الاستزادة والتفصيل فليراجع التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

وهناك قضية بالغة الخطورة لاسيما في هذا العصر وهي الاخطاء العلمية عن الكون التي تمتلىء بها كتب الأشاعرة والتي يتخذها الملاحدة، وسيلة للطعن في الإسلام وتشكيك المسلمين في دينهم .

من ذلك ما حشده صاحب المواقف في أول كتابه من فصول طويلة عن الفلك والحرارة والضوء والمعادن وغيرها مما قد يكون ذا شأن في عصره لكنه اليوم اشبه بأساطير اليونان أو خرافات العجائز .

ومن ذلك قول البغدادي إن أهل السنة<sup>(٢)</sup> اجمعوا على وقوف الأرض وسكونها<sup>(٣)</sup> واستدل على ذلك في كتابه أصول الدين «بمعنى اسم الله الباسط» قال : لأنه بسط الأرض وسماها بساطا خلاف زعم الفلاسفة والمنجمين أنها كروية<sup>(٤)</sup> ومثله صاحب المواقف الذي أكد أنها مبسوطة وأن القول بأنها كرة من زعم الفلاسفة<sup>(٥)</sup> .

(١) شرح الباجوري : ٣١ ، شرح الكبرى : ٣٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، حاشية الدسوقي : ٥٤ - ٧٠ - ٩٧ ، مصادر الموضوعات السابقة .

(٢) يعني بهم الأشاعرة كعادته هو وبعض أصحابه ولهذا يجب التفطن لمثل هذا عند النقل من كتبهم .

(٣) الفرق بين الفرق : ٣١٨ .

(٤) أنظر ص ١٢٤ .

(٥) أنظر المواقف : ١٩٩ ، ٢١٧ ، ٢١٩ .

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية ما كان أعظمه حين قال :  
«والخطأ فيما تقوله المتفلسفة في الالهيات والنبوات والمعاد والشرائع أعظم من خطأ المتكلمين .

وأما فيما يقولونه في العلوم الطبيعية والرياضية فقد يكون صواب المتفلسفة أكثر من صواب من رد عليهم من أهل الكلام ، فإن أكثر أهل الكلام في هذه الأمور بلا علم ولا عقل ولا شرع<sup>(١)</sup> .

#### ضابط من ضوابط معرفة الفرق واختلافها :

من المعلوم لدى الباحثين في الفرق واختلافها أن لكل فرقة أساسا منهجيا تتفق عليه طوائفها وترجع إليه أصولها وقواعدها ومن خالف فيه خرج عن انتسابه لها ومن لم ينطبق عليه لم يدخل فيها .

فمثلا كل من قال بالأصول الخمسة فهو معتزلي وكل من قال ان الانسان مجبور على افعاله فهو جبري وكل من قال إن الإيمان هو المعرفة أو التصديق فهو مرجي ء وكل من قال بالكلام النفسى والكسب فهو أشعري . . . إلى آخر ما هو معروف .

وهذا ضابط منهجى يحدد به الباحث الفرقة والانتماء إليها .

وبتطبيق هذا الضابط الذى لا خلاف في تحديده يتبين قطعا ان المرجئة والقدرية والمعتزلة ليسوا من أهل السنة والجماعة وهذا ما تقوله الأشاعرة ولا تخالف فيه .

ومن الثابت عن كثير من السلف وعليه جرى المصنفون في الفرق والمقالات من أهل السنة والأشاعرة أن أصول الفرق الثنتين وسبعين الخارجة عن أهل السنة والجماعة أربع «القدرية، والشيعية، والخوارج، والمرجئة» .

#### فنقول بعد ذلك :

إذا كان المرجى ء والقدرى ليسا من أهل السنة فما حكم من جمع بين الأرجاء والقدر أو الارجاء والجبر أو جمع بين أصول المعتزلة وقول الرافضة؟ .

أىكون هذا من أهل السنة والجماعة؟ أم أكثر بعدا عنهم؟ .

والجواب الطبيعى معروف . وعليه نقول :

١ - إذا كانت المرجئة الخالصة (أى التى لم تخلط بالأرجاء شيئا من البدع فى الصفات

(١) الرد على المنطقيين : ٣١١ .

أو غيرها) ليست هي أهل السنة والجماعة ولا منهم، فكيف يكون حال الأشاعرة الذين جاءوا بالأرجاء كاملا وزادوا عليه بدعا أخرى في أبواب العقيدة الأخرى كما مر سابقا .

٢- إذا كانت الجبرية الخالصة ليست هي أهل السنة والجماعة ولا منهم فكيف يكون حال الأشاعرة الذين جاءوا بالكسب (الذى اعترف كثير منهم بأنه جبر وإن لم يكن جبرا فهو بدعة على أى حال) وزادوا عليه كما سبق .

أضف إلى هذا أن كل ذم للصوفية فللأشاعرة منه نصيب لأن أكثر أئمة الصوفية المنحرفين كالغزالي وابن القشيري كانوا أشاعرة . . .

٣- هل يرضى الأشاعرة أن يقال عنهم معتزلة فإن قالوا: لا . وهو المتوقع قلنا: وأهل السنة والجماعة لا يرضون ان يقال عنهم أشاعرة ابدأ، فإن خالفونا . قلنا: تعالوا لنقيس نحن وأنتم المسافة بينكم وبيننا وبين المعتزلة وعندنا ترون انكم اقرب إليهم منكم إلينا وإن كنتم اقرب إلينا منهم .

٤- لو أن أى باحث فى الفرق يعرف أصولها وضوابط تحديدها اطلع على كتب فرقة من الفرق أو علم من الاعلام فوجدها مملوءة شتما وتضليلا وتبديعا وتكفير لفرقة معينة فهل يجوز له أن يكتب فى بحثه ان هذه الفرقة وتلك سواء أو أن هذه جزء من هذه وهل يقبل هذا منه أى أستاذ للفرق والمذاهب؟ .

بل لو سمعت أحدا من العامة يشتم طائفة من الناس فقلت له أنت منهم، ايرضى بهذا أم يعتبره شتما له؟ .

فما القول إذن فى الأشاعرة الذين تمتلىء كتبهم بشتم وتضليل وتبديع أهل السنة والجماعة وأحيانا بتكفيرهم أيصح بعد هذا ان نقول إنهم منهم؟ .

وإن اردت التأكد فاسأل أى أشعري ما المراد بقول الرازى أو الجوينى أو الايجى . . . الخ . (الحشوية، المجسمة، النابتة، مثبتو الجهة، القائلون بان الحوادث تحل فى الله . . . الخ) (١) .

ان الأجوبة كلها بدهية ولكن ماذا نصنع وقد ابتلينا بمن ينكر البدهات .

---

(١) ومن العجيب أن الماتريديّة يخرجون الأشاعرة من أهل السنة ويدعونهم لأنفسهم وهم أكثر فرقتين فى الإسلام تقاربا واشتركا فى الأصول .

أنظر حاشية على شرح العضدية : ٣٨ .

أما ما يتعلق بالخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة فهو برمته خلاف داخلى ضمن المدرسة العقلية «التي هى مدرسة الهوى والبدعة ولا بأس أن يستفيد أهل السنة من رودود الأشاعرة عليهم إذا كانت حقا .

## أيهما الفرقة الناجية؟

قد أوضحنا فيما سبق أن أهل السنة والجماعة والأشاعرة فرقتان مختلفتان، وهذا يستلزم تحديد أيهما الفرقة الناجية؟ .

وما أوضح هذا التحديد وأسهله، لكن مكابرة بعض الأشاعرة بادعاء ان الأشاعرة وأهل السنة والجماعة كلاهما ناج يجعلنا نبدأ بالقاء سؤال عن الفرقة الناجية :  
أهى فرقة واحدة أم فرقتان؟

والجواب : - مع بداهته لكل ذى عقل - مفروغ منه نصا، فقد أخبر النبي ﷺ في روايات كثيرة لحديث افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة : «انها كلها فى النار إلا واحدة» .

وما قال ﷺ ولا أحد من أصحابه ولا تابعيهم انها اثنتان . وعليه جاء تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أن الطريق المستقيم هو السنة والسبيل هى الأهواء، وما هو إلا طريق واحد كما خط النبي ﷺ بيده .

وعلى هذا سارت كتب الفرق - السننى منها والبدعى - فهى تقرران الفرقة الناجية واحدة ثم تدعى كل فرقة انها هى هذه الواحدة .

بقى إذن أن يقال :

ما هى صفة هذه الفرقة وعلامتها؟

والجواب أنه جاء فى بعض روايات الحديث نفسه - من طرق يقوى بعضها بعضا - انها «ما أنا عليه وأصحابى» ومعناها قطعا صحيح، ولا تخالف فيه الأشاعرة بل فى الجوهرية : وكل الخير اتباع من سلف وكل شر فى ابتداع من خلف  
فتقول لهم إذن :

أكان مما عليه النبي ﷺ وأصحابه وسلف الأمة : تقديم العقل على النقل أو نفى الصفات ما عدا المعنوية والمعانى ، أو الاستدلال بدليل الحدوث والقدم، أو الكلام عن الجوهر والعرض والجسم والحال . . . أو نظرية الكسب، أو ان الإيمان هو مجرد التصديق القلبي، أو القول بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته، أو الكلام النفسى

الذى لا صيغة له ، أو نفى قدرة العبد وتأثير المخلوقات ، أو انكار الحكمة والتعليل . . . إلى آخر ما فى عقيدتكم ؟

اننا نربأ بكل مسلم أن يظن ذلك أو يقوله .

بل نحن نزيدكم ايضاحا فنقول :

ان هذه العقائد التى ادخلتموها فى الإسلام وجعلتموها عقيدة الفرقة الناجية بزعمكم . هى ما كان عليه فلاسفة اليونان ومشركو الصابئة وزنادقة أهل الكتاب .

لكن ورثها عنهم الجهم بن صفوان وبشر المريسى وابن كلاب وأنتم ورثتموها عن هؤلاء ، فهى من تركة الفلاسفة والابتداع وليست من ميراث النبوة والكتاب .

ومن أوضح الأدلة على ذلك أننا ما نزال حتى اليوم نرد عليكم بما ألفه أئمة السنة الأولون من كتب فى الردود على «الجهمية» كتبوها قبل ظهور مذهبكم بزمان ، ومنهم الإمام أحمد والبخارى وأبو داود والدارمى وابن أبى حاتم . . .

فدل هذا على أن سلفكم أولئك الثلاثة واشباههم مع ما زدتهم عليهم وركبتم من كلامهم من بدع جديدة .

على أن المرء حول الفرقة الناجية ليس جديدا من الأشاعرة فقد عقدوا لشيخ الإسلام ابن تيمية محاكمة كبرى بسبب تأليفه «العقيدة الواسطية» وكان من أهم التهم الموجهة إليه أنه قال فى أولها : «فهذا اعتقاد الفرقة الناجية . . .» .

إذ وجدوا هذا مخالفا لما تقرر لديهم من الفرقة الناجية هى الأشاعرة والماتريدية<sup>(١)</sup> .

وكان من جواب شيخ الإسلام لهم أنه أحضر أكثر من خمسين كتابا من كتب المذاهب الأربعة وأهل الحديث والصوفية والمتكلمين كلها توافق ما فى الواسطية وبعضها ينقل اجماع السلف على مضمون تلك العقيدة .

وتحداهم - رحمه الله - قائلا :

«قد أمهلت كل من خالفنى فى شىء منها ثلاث سنين فإن جاء بحرف وإحد عن أحد من القرون الثلاثة . . . يخالف ما ذكرت فأنا ارجع عن ذلك» .

(١) أنظر تفصيل المناظرة فى مجموع الفتاوى ج ٣ .



قال : « ولم يستطع المتنازعون مع طول تفتيشهم كتب البلد وخزائنه ان يخرجوا ما يناقض ذلك عن أحد من أئمة الإسلام وسلفه<sup>(١)</sup> .

فهل يريد الأشاعرة المعاصرون ان نجدد التحدى ونمدد المهلة أم يكفي ان نقول لهم ناصحين :

انه لا نجاة لفرقة ولا لاحد في الابتداء وإنما النجاة كل النجاة في التمسك والاتباع . . .

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجرى على اليبس من أهل القبلة لا من أهل السنة :

تبين مما تقدم أن الأشاعرة فرقة من الثنتين وسبعين فرقة وان حكم هذه الفرق الثنتين وسبعين هو :

(١) الضلال والبدعة .

(٢) الوعيد بالنار وعدم النجاة .

وهذا مشارجدل كبير ولغظ كثير ممن يجهلون مذهب أهل السنة والجماعة في الوعد والوعيد إذ ما يكادون يسمعون هذا حتى يرفعوا عقيرتهم باننا ندخل الأشاعرة النار ونحكم عليهم بالخروج من الملة - عياذا بالله .

ونحن نقول أنه لا يصح تفسير الفاظ أو اطلاقات مذهب السلف في الوعد والوعيد إلا من خلال أقوالهم هم وعلى الذين يجهلونه ان يستفصلوا قبل أن يتسرعوا بادعاء التكفير .

وهذا موجز لمذهب السلف في الفاظ الوعيد ونصوصه :

(١) فمن الفاظ الوعيد «الضلال» وهو ليس مرادفاً للكفر باطلاق إلا عند من يجهلون أوضح بدهيات العقيدة، فإذا اطلق على أحد من القبلة فالمراد به المعصية في الاعتقادات كما ان لفظ «الفسق» يطلق على المعصية في الاعمال .

مع أن الضلال والفسق يطلقان على الكفر أيضاً كما في قوله تعالى : ﴿ومن يشرك

(١) أنظر المصدر السابق : ١٦٩ ، ٢١٧ .

بالله فقد ضل ضللاً بعيداً. وقوله: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ .

لكن إذا كانت كلمة الكفر نفسها تطلق في الأحاديث ولا يراد بها الكفر الأكبر المخرج من الملة كما في قوله ﷺ في الصحيح: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» فكيف بلفظتي الفسق والضلال اللتين دون ذلك في الوعيد .

والقرآن - على الصحيح - لم يأت فيه إطلاق الكفر إلا على الكفر الأكبر المخرج من الملة، أما الضلال فورد فيه بمعنى الانحراف عن الحق والصواب مطلقاً غير وروده بمعنى الكفر كما سبق .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ . ومعلوم أنه ليس كل عاص كافر .

وقوله تعالى عن أصحاب الجنة المذكورين في سورة القلم: ﴿فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾ . وهم لم يشهدوا على أنفسهم بالكفر .

وقوله تعالى: ﴿ان تضل احداهما فتذكر احدهما الأخرى﴾ . أى تخطىء فتذكرها الأخرى .

والحاصل أن قولنا أن الأشاعرة فرقة ضالة يعنى أنها منحرفة عن طريق الحق ومنهج السنة ولا يعنى مطلقاً خروجها عن الملة وأهل القبلة وهذا يتضح بالفقرة التالية :

(٢) نصوص الوعيد ومنها قوله ﷺ: «كلها في النار إلا واحدة» لها منهجها المنضبط في مذهب السلف عند الاطلاق وعند التعيين .

فنحن نعلم جميعاً أن الله توعد قاتل النفس التي حرم الله والزاني وأكل مال اليتيم بالنار بصريح القرآن لكن هل يعنى هذا، أن كل قاتل وزان وأكل مال يتيم يدخل النار قطعاً وأننا لورأينا أحدا منهم بعينه يجوز لنا أن نعتقد دخوله النار؟

ليس هذا من مذهب السلف ابداً، وإنما مذهب السلف أن هذه النصوص تبين وتقرر حكم من فعل هذه الذنوب أما تحقق هذا الحكم فيه وتطبيق الوعيد وتنفيذه فيه فهو متوقف على شروط لا بد من تحققها وموانع لا بد من انتفائها<sup>(١)</sup> .

(١) أنظر تفصيل ذلك في مجموع الفتاوى : ٤٧٩/١٢ - ٥٠١ .

فقد يقتل الرجل نفسا مؤمنة متأولا مجتهدا - كما كان من اقتتال الصحابة رضى الله عنهم - ويكون هذا الذنب في حقه مثل النقطة السوداء في بحر من الحسنات واعمال التقوى .

وقد يقتله ظالما معتديا وليس له رصيد من الخير يكفر عنه هذا الجرم .  
فليس هذان عند الحكيم الخبير سواء وليس حكمهما في مذهب السلف واحدا .  
وكذلك الفرق بين زان، وزان، شارب خمر وآخر، وسارق وسارق، وأكل مال يتيم ومثله . . .

وقد صح عن النبي ﷺ لعن شارب خمر ومع هذا صح عنه النهي عن لعن الصحابي الذي شربها وجلده الحد فلعله بعضهم فيها وشهد له بأنه يجب الله ورسوله .  
فحب الله ورسوله في هذا المعين مانع من تحقق الحكم المطلق فيه وهو الوعيد لشارب الخمر في الدنيا والآخرة .  
وهكذا معاملة أهل القبلة في مجال العقيدة .

فإن أصحاب المناهج والفرق البدعية منهم من هو على الحد الأدنى منها وله مع ذلك علم وعبادة وجهاد وإخلاص في نصرة الدين ومنهم من يكون رأسا في البدعة داعيا إليها بقصد وسوء نية بل وربما تكون هذه البدعة مجرد ستار لعقائد أخطب يضمورها في نفسه .  
فمع اشتراك هذين في أصل المنهج وشمول الاسم لهما معا وتناول الوعيد المطلق لكل منهما يظل الفرق بينهما حقيقة قائمة لاشك فيها .  
فالمنهج له حكمه والافراد كل بحسب حاله وتقويم الفكرة في ذاتها غير تقويم حاملها كل على حدة .

حتى منهج السلف نفسه يتفاوت أصحابه فيه جدا فمنهم من هو في غاية التمسك به قولاً وعملاً واعتقاداً ودعوة ومنهم من هو على الحد الأدنى منه .

بل نحن نقول أن بعض المنتسبين أو المنسوبين إلى مناهج بدعية ليس منهم أصلاً ولكنه متوهم يحسب أنهم على الحق وإن الانتساب إليهم لا ضير فيه مع أنه لا يوافقهم في مذهبهم لو عرفه حق معرفته أو أنهم مخطئون في نسبتهم لمذهبهم ولو فتننا لما وجدنا فيه مما يدعون شيئاً .

ولهذا كانت هذه الأمة - والله الجمد - أكثر أهل الجنة مع ان الفرقة الناجية منها واحدة فقط ، وما هذا إلا لأن المعدودين حقاً من الفرق الثنتين وسبعين لا يساوون بالنسبة لسلف

الأمة وخلفها إلا نذرا يسيرا أما من اتبعهم عن جهل أو خطأ أو حسن نية أو تأثر بهم دون أن يشعر فله حكم آخر<sup>(١)</sup>. والله تعالى حكم قسط ورحمته أوسع وفضله أعظم .

والحاصل ان احكام الآخرة ومنازل الناس فيها خاضعة لأمر احكام الحاكمين واعدلهم ، أما نحن في الدنيا فمأمورون ان نحكم على كل منهج أو فرد بما حكم الله به عليه من غير افراط ولا تفريط ونتقيد بالضوابط التي جاءت في مذهب السلف .

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في مناظرته للأشاعرة والماتريدية أثناء المحاكمة التي اشرفنا عليها :

فأجبتهم عن الأسئلة :

بأن قولي اعتقاد الفرقة الناجية، هي الفرقة التي وصفها النبي ﷺ بالنجاة حيث قال : «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي .

فهذا الاعتقاد (يعنى ما في الواسطية) هو المأثور عن النبي ﷺ وأصحابه - رضى الله عنهم - وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية . فإنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة بالاسانيد أنه قال الإيذان يزيد وينقص ، وكل ما ذكرته في ذلك فانه مأثور عن الصحابة بالاسانيد الثابتة لفظه ومعناه وإذا - خالفهم من بعدهم لم يضر في ذلك .

ثم قلت لهم : وليس كل من خالف في شىء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكا . فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطاه . وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة ، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته .

بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد ، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا ، كما يقال من صمت نجا<sup>(٢)</sup> .

وقال في الإيذان :

«وكذلك سائر الثنتين وسبعين فرقة ، من كان منهم منافقا فهو كافر في الباطن ، ومن لم يكن منافقا بل كان مؤمنا بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافرا في الباطن وان اخطأ في التأويل كائنا ما كان خطؤه وقد يكون في بعضهم شعبة من شعب النفاق ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الاسفل من النار .

(١) أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة الكلام عن حديث ٢٠٤ .

(٢) مجموع الفتاوى : ١٧٩/٣ .

ومن قال : ان الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفرا ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة واجماع الصحابة - رضوان الله عليهم اجمعين - بل واجماع الائمة الاربعة وغير الاربعة ، فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة ، وإنما يكفر بعضهم بعضا (من تلك الفرق) ببعض المقالات ، كما قد بسط عليهم في غير موضع<sup>(١)</sup> .  
ولهذا نجد ان من كفر الجهمية من السلف مثل ابن المبارك ووكيع اخرجوهم من الثنتين وسبعين فرقة والحقوهم بالسبئية والغرابية وأمثالها .

وحتى في المناهج الجامعية نجد أن كليات أصول الدين مثل كليتي مكة والمدينة حاليا تفصل بين الفرق الخارجة عن الإسلام وبين الفرق الأخرى .

فالأمر واضح لا لبس فيه إلا عند المعاندين أو المعذورين من غير المتخصصين . وكيف يكون عند الأشاعرة لبس في موقف أهل السنة والجماعة منهم وهم يقفون نفس الموقف من المعتزلة فهم يصفونها بالضلال في كتبهم ولا يقولون ان هذا يعني اخراجهم من الملة فمن حقنا أن نلزمهم من واقع كتبهم .

وإذا تقرر هذا تبين أنه لا مبرر لمطالبة الأشاعرة بادخالهم في أهل السنة والجماعة بدعوى أن هذا يجنبهم تهمة الخروج من أهل القبلة لأن ذلك يعنى هدم هذه القاعدة كلها إذ لو أدخلناهم لأدخلنا غيرهم حتى لا يبقى من تلك الفرق الثنتين وسبعين فرقة إلا دخلت . وهذا ليس في أيدينا ولا في يد بشر إنما نحن متبعون لا مبتدعون .

أما باب الدخول الحقيقي فمفتوح على مصراعيه فمن الذي منعهم أن يرجعوا إلى عقيدة أهل السنة والجماعة التي هي عقيدة القرون الثلاثة والائمة الأربعة وسائر أئمة الهدى في هذه الأمة المعصومة؟

وهذا خير لهم في الدنيا والآخرة من بقائهم على بدعتهم وتفاجرهم بأنهم أقرب الفرق لأهل السنة والجماعة وقد سمعت هذا التفاخر من بعضهم - فعجبت لمن يعرف الحق ويفتخر بقربه منه ثم لا يكون من أهله ودعاته .  
ولكن لله في خلقه شؤون . . .

وأخيرا : كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة :

ونأتى أخيرا إلى الشعار الذى اتخذه القوم ستارا للطعن فى عقيدة السلف سرا وجهرا حتى إذا قام أحد يرد عنها السهام صاحوا فى وجهه : «لا تفرق كلمة المسلمين ، إن وحدة الكلمة أهم من هذه القضايا ، لماذا تثير خلافات عفى عليها الزمان واندثرت؟ لماذا الاهتمام بالقشور والشكليات؟ .

والحق أنه لو سكت كل أعداء الحق عن محاربتة - ولن يسكتوا أبدا - لما جاز لنا أن نسكت عن بيانه للناس ودعوتهم إليه فكيف يجوز أن نسكت وهو يجارب والذى يطالبنا بالسكوت هو المحارب المهاجم .

هذه الأمة الممزقة المقطعة الأوصال يراد منا أن نسكت عن بيان طريق الخلاص لها وندعها تتخبط فى ظلمات البدع حتى لا نفرقها بزعمهم . وكأن القوم لا يعلمون ما الذى فرقها بعد أن كانت مجتمعة . إن دعوى تقديم توحيد الكلمة على كلمة التوحيد مصادمة للحق من جهة ولسنن الله فى الحياة من جهة أخرى :

وامام القائلين بها خياران لا ثالث لهما :

(١) إما أن يلتزموا تعميم هذا الحكم على كل من انتسب للإسلام وعليه فلا يجوز أن تثير أو نبحت خلافا أو نكتب ردا على أى فرقة تدعى الإسلام كالقاديانية والبهائية والدروز والنصيرية والروافض والبهرة والصوفية الحلولية وسائر الطوائف الكافرة بل ندعوها جميعا إلى جمع الصف ووحدة الكلمة لمحاربة الشيوعية والصهيونية وما منها إلا من هو مستعد لذلك إن صدقا وإن كذبا .

ومن لوازم هذا - على كلامهم - حرق أو اخفاء كتب عقيدة الأشاعرة لأنها تثير الخلاف مع المعتزلة وغيرهم فهى اذن تمزق الصف وتشتت الكلمة بل هى كما يعلم الصابونى وأمثاله تشتم أهل السنة والجماعة وهم أكثر المسلمين ، ومما يجب اعدامه أيضا مقالات الصابونى نفسها لأنه كرر فيها حكمه بالتضليل للخوارج والرافضة وهذا بلا شك يغضب الشيعة والاباضية فهو - على كلامه - قد فرق كلمة المسلمين أيما تفریق !!

(٢) وأما أن يقولوا : كلا ، لا يعم هذا الحكم كل المنتسبين للإسلام بل لا بد من بيان كفر وضلال تلك الفرق وليس فى ذلك تفریق ولا تمزيق ، وإنما نريد توحيد صف أهل السنة والأشاعرة أو الفرق التى ليست ضالة ولا منحرفة !!

فنقول لهم حينئذ :

أولا : قد نقضتم قاعدتكم بأنفسكم فلا ترفعوا هذا الشعار إلا مقيدا مشروطا ان كتمت صادقين ، لكن أخبرونا بأى معيار من معايير العدل تريدون السكوت عن اثاره الخلاف مع هذه وتحكمون بعدم ضلالها ووجوب اثارته مع تلك وتحكمون بعدم ضلالها ووجوب اثارته مع تلك وتحكمون . بضلالها أنهاجم الأباضية وتآخى مع الرافضة مثلا أم العكس؟ أو نشنع على الرافضة ونصمت عن الصوفية؟ أم ماذا؟ ما هو المعيار؟ وهل هناك حقا فرق ضالة فأخبروني ما هو الضلال إذن؟ . . .

قد تقولون : «نتعاون جميعا فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه» .

فنقول :

انه ما من فرقة ظهرت على الأرض تدعى الإسلام إلا ونحن متفقون معها على أشياء ومختلفون على أشياء ، حتى القاديانية نتفق معها على الإيـان بالله وصحة نبوة محمد ﷺ والإيـان بالآخرة وتعظيم القرآن ، وهم يعلنون محاربة الشيوعية والصهيونية . وغير ذلك ، فإذا عذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه مثل نبوة أحمد القاديانى ونسخ شريعة محمد ﷺ ونحوهما ، فماذا تكون النتيجة؟ وهل ترضون ذلك أم نعود من جديد للمطالبة بالمعيار الذى به نرد القاديانية ونقبل غيرها مع اشتراك الكل فى أصل الضلال والانحراف .

ان سلمتم ان كل ضال لابد من بيان ضلاله وأن المسلمين لن يجتمعوا إلا على الحق فقد بينا لكم - وما نزال مستعدين لمزيد بيان - أن الأشاعرة فرقة ضالة عن المنهج الصحيح ، فهأهى ذى إذن الفرصة الذهبية لتوحيد المسلمين ، وهى أن يعلن الأشاعرة فى كل مكان رجوعهم إلى مذهب السلف ومنهج الحق وحينئذ يتحقق هذا الحلم الرائع الجميل .

فإن لم تفعلوا فاعلموا أن غيركم أبعد عن الأجابه لأنكم أنتم أقرب الفرق إلينا وترفضون فما بالكم بالبعيدىن ، فلا تناقضوا أنفسكم إذن وترفعوا شعار الوحدة وأنتم أول من يعاديه ويأباه ، وتعلمون منافاته لسنة الله فى المبتدعة والزائغين الذين أشربوا فى قلوبهم البدعة بضالهم . واعلموا ان هذا الشعار ان صلح فى موقف سياسى أو حركى معين فهو عن المبادئ والأصول ابعـد شىء .

ثانيا : ان دعوتونا إلى ان نتحد نحن وأنتم فقط ضد سائر الفرق كاخوارج والرافضة وغيرها وضد الشيوعية ومن شايعها قلنا قد سهل الخطب إذن ، لكن لابد لكم من بيان منطلق التوحيد وموقعة وذلك بان تلتزموا بوضوح بأحد قولين .

(١) أما انكم أنتم وحدكم أهل السنة والجماعة ولكن تقبلون التوحيد معنا تنازلا

وتفضلا على ما فينا بزعمكم من «تشبيه وتجسيم وحشو وكفر وضلال» .

(٢) واما انكم لستم من أهل السنة والجماعة ولكن تريدون التوحد معهم طالين منهم التنازل والتفضل بقبولكم على ما فيكم من بدعة وضلالة .

فإذا حددتم أحد الموقعين امكن بعد ذلك عرض موضوعكم اما على أصول العقيدة وقواعدها ان اخترتم الأول وأما على ضوابط المصلحة وحدودها الشرعية ان اقرتم بالآخر فامامكم الخيار وانا لفي الانتظار .

اما ان نظل نحن وأنتم مختلفين متصارعين منذ أيام أحمد بن حنبل وابن كلاب ثم أيام البرهاري والأشعري ثم أيام الشريف أبي جعفر وابن القشيري ثم أيام عبد القادر الجيلاني وأبي الفتوح الاسفرائيني ثم أيام شيخ الإسلام والسبكي ثم أيام محمد بن عبد الوهاب ومعاصريه منكم ، ثم أيام المعلمي والكوثري ثم أيام الالباني وأبي غدة وأخيرا إلى الفوزان والصابوني . . .

وبعد هذا كله ومعه تقولون أننا وإياكم فرقة واحدة ومنهج واحد فهذا مالا يعقله عقل ولا يصدقه تاريخ .

غير أننا لا بد أن نذكر بحقيقة كبرى هي أن النبي ﷺ قد قال : «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة» وهذا الخبر الصادق لا يمكن معه اختصار الفرق إلى سبعين ولا إلى سبع فضلا عن واحدة فالخير إذن كل الخير ان يبحث الإنسان عن الحق ويعتقده ويدعو إليه وان خالفته الدنيا كلها وان يجتنب الضلال ويدعو إلى نبذه ولو داهنه أصحابه كلهم ، هذا هو الذي سار عليه رسل الله وأمر به الله فلا تصادموا سنة الله وتخالفوا منهج رسله والحمد لله رب العالمين . . .



# اضطراب الناس في مسألة الكلام

مع بيان الحق الذي تدل عليه الأدلة وتشهد به الفطرة السليمة

للسائح محمد الكريم مراد

استاذ مشارك بكلية الشريعة

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد : فهذا بيان موجز لأقوال الناس واضطرابهم في مسألة هي من أهم مسائل الدين وهي مسألة الكلام مع بيان الحق الذي تدل عليه الأدلة وتشهد به الفطرة السليمة . أقول وبالله التوفيق : الكلام والقول واحد وهو في عرف الناس ولغاتهم اسم للفظ والمعنى معا فاللفظ بمفرده لا يسمى كلاماً ولا المعنى بمفرده كلاماً إلا مع قرينة .

ولهذا تجد الكثيرين من المصنفين في أصول الفقه من جميع الطوائف من أتباع الأئمة الأربعة إذا تكلموا في الأمر والنهي ذكروا : أن الأمر والنهي هو اللفظ والمعنى معا وخالفوا من قال : إن الأمر والنهي هو المعنى<sup>(١)</sup> قال الشيخ الموفق في روضة الناظر (٢/٦٣) وللأمر صيغة مبنية تدل بمجرد على كونها أمراً إذا تعرت عن القرائن وهي «أفعل» للحاضر «وليفعل» للغائب . هذا قول الجمهور وزعمت طائفة من المبتدعة أنه لا صيغة للأمر بناء على خيالهم الفاسد : أن الكلام معنى قائم بالنفس . فخالفوا الكتاب والسنة واللغة والعرف . !

وعلى هذا مضى السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولم يكن بينهم أى نزاع في معنى الكلام ومعناه . وهل يعقل أن ينازعو فيها هو من أجل الأمور عند الناس مثل الماء والنار والرأس واليد ونحو ذلك .

والكلام تكلم به الأولون والآخرين منذ خلقوا وهل يقول عاقل : إنهم ما فهموا معنى الكلام ومسماه .

(١) مجموع الفتاوى : (١٢/٣٥-٣٦) .

ولو ترك الناس على فطرهم السليمة وعقولهم الصحيحة لم يقع بينهم نزاع في مثل ذلك من الضروريات ولكن الشياطين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا فيضلون ويضلون غيرهم . ونعوذ بالله من فتن المضلين .

وإنما حصل النزاع في معنى الكلام ومسماه عند المتأخرين بعد ما حدثت البدع وكثرت بها الشبه والشكوك فمرضت القلوب وفسدت العقول وكثر القيل والقال .

فقال بعضهم : الكلام حقيقة في اللفظ مجازي في المعنى تسمية المدلول باسم الدال وقال آخرون : عكس ذلك .

وقيل : يطلق الكلام على اللفظ والمعنى بطريق الاشتراك اللفظي وقيل : حقيقة في كلام الناس لأن لكلامهم حروفاً وأصواتاً تقوم بهم ومجازي في كلام الله عز وجل<sup>(١)</sup> والصواب في ذلك هو ما ذكرناه آنفاً بأن الكلام مجموع اللفظ والمعنى فمسماه مركب .

### الكلام من صفات الله تعالى :

قد تواتر عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام : أن الله تعالى متكلم موصوف بالكلام حيث أخبروا عن الله عز وجل بأنه : أمر بكذا ونهى عن كذا وأخبر بكذا، وكل ذلك من أقسام الكلام .

ووصف الله تعالى نفسه المقدسة بالكلام كما وصف نفسه بالعلم والقدرة والإرادة ونحو ذلك من صفات الكمال .

وصفاته جل وعلا لا تماثل صفات المخلوقين فهي صفات كمال تختلف عن صفات المحدثات كما تختلف ذاته المقدسة عن ذواتهم، ليس كمثله شيء .

وذلك أن المعاني والصفات التي تطلق على الخالق والمخلوق بالاشتراك لها اعتباران :

١ - اعتبار العموم والتجريد من الإضافة نحو : الحياة والعلم والقدرة والكلام، فهي بهذا الاعتبار مشتركة بين الخالق وبين المخلوق .

ولا يلزم من اشتراكهما في الأسماء والمعاني من حيث العموم وعدم الإضافة تشبيه ولا تمثيل لأن هذا المشترك مطلق كلي لا وجود له في الخارج والواقع وإنما يفرضه الذهن والذهن يفرض المحال .

(١) شرح العقيدة الطحاوية .

## ب - اعتبار الخصوص والتقييد والإضافة :

والإضافة تارة تكون إلى الرب جل جلاله نحو : وجود الله وحياة الله وكلام الله ، فهذا المضاف إليه سبحانه مختص به لا يشركه فيه أحد من خلقه . والله المثل الأعلى . وتارة تكون الإضافة إلى العبد نحو : وجود العبد وحياته وعلمه وكلامه .

فهذا المضاف إلى العبد مختص به والله تعالى منزّه عن مشاركة العبد في صفاته وخصائصه : فالصفة تابعة للموصوف فإن كان الموصوف بها هو الغنى الحميد فصفاته كما يليق به وإن كان الموصوف هو العبد الفقير فصفاته كما يليق بحاله من الفقر والحدوث والفناء . (١) .

## اختلاف الناس في حقيقة كلام الله تعالى :

قد تنازع الناس في حقيقة كلام الرب وتفرقوا واختلفوا بالأهواء بعد مضي خير القرون من الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

قال عز من قائل : ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد﴾ .

(٢ : ١٧٦) .

(١) وأبعد ما قيل في كلام الله سبحانه : إنه فيض من المعاني يفيض من الملاء الأعلى على النفوس الشريفة بواسطة العقل أو غيره فيكسبها أنواعا من العلوم من تصورات وتصديقات بحسب استعداد تلك النفوس وقبولها لذلك الفيض . وهذا قول المتفلسفة القرامطة مثل : الفارابي وابن سينا والطوسي .

ويزعم هؤلاء الملاحدة أن موسى عليه السلام سمع كلام الله من سماء عقله أي كلمه بكلام حدث في نفسه لم يسمعه من خارج وأن أهل الرياضة والصفاء يصلون إلى ما وصل إليه موسى فيسمعون ما سمعه موسى كما سمعه موسى عليه السلام ويرى هؤلاء أن لتلك النفوس قوتين :

١ - قوة التصور وبها تدرك من المعاني ما يعجز عنه غيرها .

ب - قوة التخيل وبها تستطيع أن تتصور المعقول في صورة المحسوس فتتخيل صوراً نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الأذان .

(١) مجموع الفتاوى : (٣٦/١٢) والتدمرية (٤٤) .

وربما تقوى هذه القوة على إسماع ذلك لغيرها وعلى تشكيل تلك الصور النورانية لعين الرائي فيرى الملائكة ويسمع كلامهم وكل ذلك من الوهم والخيال .

وهؤلاء الملاحدة لما علموا أن الرسول ﷺ أخبر عن الله تعالى بأنه : « قال : وكلم تكليماً » قالوا مصانعين للمسلمين : إن القرآن كلام الله وما جاء به الأنبياء كلام الله ، ولكن حقيقة كلام الله عندهم هو ما ذكرنا فحرفوا نصوص الكتاب والسنة الدالة على كلام الله وتكليمه لعباده على طريقة إخوانهم في تحريف الكلم عن مواضعه .

والنبوة عند هؤلاء مكتسبة وحشر الأجساد عندهم مستحيل والرب سبحانه لا يعلم الجزئيات إلى غير ذلك من الكفر والضلال .

والذى قاد هؤلاء إلى هذا الكفر الصريح هو عدم إيمانهم بما جاء به الرسول ﷺ وأخبر به عن الله تعالى وعن المعاد ولكن لما بهرت عقولهم شمس الرسالة حتى شهد شاهد منهم بأنه لم يطرق العالم ناموس أفضل من هذا الناموس ولم يوافق ما جاء به الرسول ﷺ أصولهم الفاسدة وآراءهم الكاسدة أصبحوا حيارى نحو ذلك .

فمنهم من لم يؤمن بكثير من ذلك بل يشك فيه أو يكذبه ومنهم من يقول إن ما جاء به الرسول ﷺ تخييل للحقائق وأمثلة مضرورية لتقريبها إلى أفهام العامة . والأنبياء والرسل قد فعلوا ذلك للمصلحة نعوذ بالله من ذلك .

هذه طريقة الفارابي الملقب بالمعلم الثاني لهم وابن سينا الملقب بالشيخ الرئيس لهم والطوسي الملقب بالمحقق عندهم من المتفلسفة في الإسلام .

يذكر الحافظ ابن قيم في النونية مذهب هؤلاء في كلام الله فيقول :

وأتى ابن سينا القرمطى مصانعاً للمسلمين بإفك ذى بهتان  
فراه فيضاً فاض من عقل هو الفعال علة هذه الأكوان  
حتى تلقاه زكى فاضل حسن التخيل جيد التبيان

(٢) والقول الثاني في كلام الله تعالى قول أهل وحدة الوجود كابن عربي الطائى والصدر القنوى وحزبهما .

قالوا : كل كلام في الوجود كلام الله تعالى نظماً كان أو نثراً ، صدقاً كان أو كذباً .

وقال عارفهم :

كل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وهذا القول الذى لا يخفى فساده على كل من عنده مسكة عقل وهو فرع مذهبهم الفاسد وهو أن الله تعالى عين هذا الوجود وأن تلك الكثرة وهم وخذاع من الحس لا حقيقة لها من الواقع .

ولازم هذا الهذيان والكفر الصريح أن كلام هذه المخلوقات وسائر صفاتها محمودة كانت أو مذمومة هي عين كلام الله وصفاته إذ هي عينه . تعالى الله عما يقولون الظالمون علوا كبيرا .

ويصور لنا ابن القيم رحمه الله مذهب هؤلاء في نونيته بقوله :

وأنت طوائف الاتحاد بملة	طمت على ما قال كل لسان
قالوا كلام الله كل كلام هذا	الخلق من جن ومن إنسان
نظما أو نثرا زوره وصحيحه	صدقا وكذبا واضح البطلان
فالسب والشتم القبيح وقذفهم	للمحصنات وكل نوع أغان
والنوح والتعزيم والسحر المبين	وسائر البهتان والهذيان
هو عين كلام الله جل جلاله	وكلامه حقا بلا نكران
هذا الذى أدى إليه أصلهم	وعليه قام مكسح البنيان
إذ أصلهم أن الإله حقيقة	عين الوجود وعين ذى الأكوان
فكلامها وصفاتها هو قوله	وصفاته ما ههنا قولان .

(٣) والقول الثالث قول نفاة الصفات من جهمية ومعتزلة .

قالوا : الرب متكلم بكلام حرف وصوت يُخلق ذلك في بعض مخلوقاته .

فكلامه عندهم مخلوق كسائر المخلوقات .

يقول القاضى عبد الجبار المعتزلى في كتابه المغنى في التوحيد والعدل (٣/٧) اختلف الناس في كلام الله تعالى والذى عليه شيوخنا : أن كلام الله عز وجل من جنس الكلام المعقول في الشاهد وهو حروف منظومة وأصوات مقطعة وهو عرض يخلقه الله تعالى في بعض الأجسام على وجه يسمع ويفهم معناه . يؤدى الملك ذلك المعنى إلى الأنبياء عليهم السلام بحسب ما يأمر به الله عز وجل ويعلمه صلاحاً .

ويقول في القرآن الكريم (٧/ ٢٢٤) : إن الله خلق القرآن وأحدثه لمصالح العباد .

وهذا القول الفاسد فرع أصلهم الفاسد وهو : النفى المجمل ان الله تعالى : (ليس

محلا للحوادث) ولا يقوم به وصف ولا فعل .

فجردوه سبحانه مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال .

ومن لوازم هذا القول الفاسد في مسألة الكلام أن يكون الله تعالى متكلماً بكل كلام يحدثه في الجمادات أو يخلقه في الحيوانات حقاً كان أو باطلاً، صدقاً كان أو كذباً . وقد طرد ذلك الاتحادية، تعالى الله عن ذلك كله .

وجر هذا القول الفاسد قائله إلى القول: إن إضافة الكلام إلى الله تعالى إضافة تشریف مثل: بيت الله وناقة الله ونحو ذلك .

وبطلان ذلك لا يخفى على ذي البصيرة وذلك لأن الإضافة إلى الرب تعالى نوعان :

أ- إضافة معان وصفات نحو: حياة الله وعلمه وقدرته وكلامه ونحو ذلك فهذه من إضافة الصفة إلى الموصوف، ولا يقال في إضافة شيء من صفاته إليه تعالى إضافة تشریف إذ صفاته سبحانه ليست خارجة عن مسمى اسمه بل يمتنع وجود ذاته بدون صفاته اللازمة لها وإن كان الذهن يفرض ذاتاً وحدها وصفة وحدها .

ب- إضافة ذوات وأعيان نحو: عبد الله وبيت الله وأرض الله ونحو ذلك فهذه من إضافة المخلوق إلى خالقه جل ذكره .

وإضافة المخلوق إلى الخالق نوعان :

أ- إضافة عامة لا تشریف فيها وذلك أن يضاف إليه سبحانه شيء من المخلوقات نظراً لكونه مخلوقاً مربوباً له سبحانه .

فهذا المعنى العام موجود في جميع المخلوقات من غير فرق بين مخلوق وآخر ولك بهذا الاعتبار أن تقول في إبليس عليه اللعنة، خلق الله ولا تشریف في ذلك .

ب- إضافة خاصة تقتضي التشریف والتكريم للمضاف إلى الله تعالى وذلك أن يضاف إليه سبحانه شيء من المخلوقات لمعنى خاص يوجد في ذلك المخلوق يحبه الله به ككونه نبياً وكون الكعبة قبلة للمسلمين فإذا قيل في أحد أنبياء الله: عبد الله أوقيل في الكعبة الشريفة بيت الله، فهذه إضافة تشریف .

وعلم بذلك أن إضافة المخلوق إلى الخالق لا تكون إضافة تشریف على وجه الإطلاق .

وأول من علم منه إنكار التكليم والمخالفة هو جعد بن درهم في أوائل القرن الثاني للهجرة وشدد عليه في النكير علماء التابعين مثل الحسن البصرى وغيره وأفتوا بقتله فقتل

بسبب ذلك قتله خالد بن عبد الله القسرى أمير واسط بالعراق يوم الأضحى وقال للناس فى خطبته : أياها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإنى مضح بجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً .

تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً . ثم نزل فذبحه .

ثم تولى كبر هذه المقالة الشنعاء وهى مقالة تعطيل الأسماء والصفات بعد جعد بن درهم تلميذه جهم بن صفوان السمرقندى ونشرها فاشتهرت فى الناس بمقالة الجهمية وهذا الأخير لقى أيضاً مصرعه بسبب زيغته وزندقته .

ويذكر ابن القيم مذهب هؤلاء فى النونية بقوله :

والقائلون بمشيئة وإرادة أيضاً فهم صنفان أحدهما جعلته خارج ذاته كمشيئة للخلق والأكوان قالوا : صار كلامه إضافة ما قال عندهم ولا هو قائل فالقول مفعول لديهم قائم هذى مقالة كل جهمى وهم فيها الشيوخ معلموا الصبيان

(٤) والرابع من الأقول قول الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستانى المتوفى عام ٢٥٥هـ قالوا : كلام الله تعالى حروف وأصوات حادثة تكلم الله بها بمشيئة وقدرة بعد أن لم يكن متكلماً أى حدث له صفة الكلام .

وفساد هذا القول ظاهر حيث جعلوه تعالى فى الأزل غير قادر على الكلام ثم جعلوا الكلام ممكناً له تعالى مقدوراً له من غير حدوث شىء أوجب القدرة والإمكان .

ويقول فى النونية عن هؤلاء :

والقائلون بأنه بمشيئته فى ذاته فهم نوعان أحدهما جعلته مبدوءاً به نوعاً حذارٍ تسلسل الأعيان فيسد ذاك عليهم فى زعمهم إثبات خالق هذه الأكوان

(٥) والخامس قول السالمية أتباع محمد بن أحمد سالم المتوفى عام ٢٩٧ للهجرة .

قالوا : كلام الله تعالى حروف وأصوات أزلية قديمة ولها معان تقوم بذات الرب تعالى .

ولا يخفى فساد هذا القول بمجرد تصوره .

(٦) والسادس قول الكلابية والأشاعرة .

قالوا : كلام الله تعالى معنى واحد قائم بذات الله لازم له لزوم الحياة والعلم والقدرة أى صفة ذاتية لازمة غير مقدورة وليس لكلامه حرف ولا صوت يسمع .  
وذلك المعنى الواحد هو الأمر والنهى والخبر والاستخبار وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرانية كان تورا وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً . فاختلقت العبارات لا المعنى .

قال سيف الدين الأمدى فى كتابه «غاية المرام فى علم الكلام» (٨٨) : ذهب أهل الحق من الإسلاميين إلى كون البازى تعالى متكلما بكلام قديم أزلّى أحدىّ الذات ليس بحروف ولا أصوات . اهـ .

وقال شارح المواقف (٢٩٨) : كلامه تعالى عندنا واحد وهو المعنى القائم بالنفس الذى يعبر عنه بالألفاظ .

وأما انقسامه إلى الأمر والنهى والخبر والاستفهام والنداء فإنها هوبحسب التعلق فذاك المعنى الواحد باعتبار تعلقه بشىء على وجه خاص يكون أمراً وباعتبار تعلقه على وجه آخر يكون خبراً وهكذا البواقى . اهـ .

هذا الذى قاله الكلابية والأشاعرة فى كلام الله عزوجل هو من أفسد ما قيل فى كلامه سبحانه وكلما تأمل العاقل هذا القول تبين له فساده وعلم مخالفته للكتاب والسنة وكلام سلف الأمة .

ومن اللوازم الفاسدة لهذا القول لا مفر لهم منها :

أ- إن القرآن المنزل على خاتم النبيين ﷺ مخلوق فإنه كلام عربى مؤلف من حروف وهؤلاء نفوا أن يكون لكلامه تعالى حرف .

ب- إن القرآن الكريم ليس كلام الله تعالى عندهم حقيقة .

ج- إن القرآن المنزل على محمد ﷺ هى التوراة المنزلة بالعبرية على موسى وهو الإنجيل المنزل بالسريانية على عيسى عليهما السلام .

د- إن معنى قوله تعالى : ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكوة﴾ هو معنى قوله تعالى : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ .



وهل يقول ذلك عاقل وهو يدري ما يقول؟ .

ونفى الكلابية والأشاعرة أن يكون كلام الرب يتعلق بمشيئته وقدرته زعما منهم أنه لو كان مقدورا ومراداً له لكان حادثاً فيلزم على هذا قيام الحوادث بالرب سبحانه .

وقد وافق هؤلاء نفاة الصفات من جهمية ومعتزلة على أصلهم الفاسد وهو نفيهم المجمع «ان الله ليس محلاً للحوادث» ولكن فرقوا بين الصفات الذاتية وبين الصفات الاختيارية فقالوا: تقوم به تعالى الصفات الذاتية مثل الحياة والعلم والقدرة وجعلوا منها الكلام وقالوا لا يلزم من ذلك أى محذور لأنها صفات لازمة الذات .

ونفوا أن تقوم به تعالى الصفات الاختيارية مثل الاستواء والنزول والغضب والرضى ونحوها مما يتعلق بإرادته وقدرته فرارا من أن يلزم به سبحانه قيام الحوادث .

والجواب عن قولهم «ليس الرب تعالى محلاً للحوادث» أن هذا لفظ مجمل لا يقبل على إطلاقه بل يفسر ويفصل كالاتى :

فإن أريد بهذا النفى المجمع : أن الله تعالى ليس محلاً للحوادث أى ليس داخل ذاته المقدسة شىء من المخلوقات المحدثه فهذا حق .

فإن أريد بهذا النفى المجمع : أن الله تعالى ليس محلاً للحوادث أى ليس داخل ذاته المقدسة شىء من المخلوقات المحدثه فهذا حق .

أو أريد بذلك نفى تجدد وحدوث صفاته فهو أيضاً حق لأن صفاته تعالى قديمة أزلية إذ هي صفات كمال وفقدتها عيب ونقص لا يليق بالإله جل جلاله .

وإن أريد بهذا النفى المجمع «وهو مراد النفاة» نفى وإنكار ما وصف الله تعالى به نفسه وما وصفه رسوله ﷺ فهو نفى مردود على قائله لأن المؤمن لا يخطر بباله أن الله تعالى قد يصف نفسه أو يصفه أعلم الخلق بالله وهو الرسول ﷺ بكلام يكون ظاهره كفراً يجب تأويل ذلك .

بل جميع ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله ﷺ صفات كمال ظواهرها تليق بجلال الله تعالى تختلف عن الظواهر المشاهدة عند المخلوق كما تختلف ذاته عن ذواتهم . ليس كمثل شىء .

وأول ما ظهر إنكار أن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت فى عهد أبى العباس المأمون بن هارون الرشيد الخليفة العباسى وذلك أن نفاة الصفات من معتزلة وغيرهم قبل ذلك كانوا

أذلاء مهانين فلما أدخلوا المأمون في مذهبهم وتأثر بآرائهم ظهر أمرهم ورفعوا رؤسهم فعظمت الفتنة والمحنة وثبت الله أهل الإيمان وورثة الأنبياء على ما ورثوه من الحق والقول الثابت وعلم الناس سوء مذهب النفاة وما فيه من تعطيل الرب تعالى من صفات الكمال من الكلام وغيره ظهر في ذلك الوقت رجل هو: أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصرى المتوفى بعد سنة (٢٤٠) للهجرة بقليل .

وأثبت الصفات مثل الحياة والعلم والقدرة والكلام ونحوها ونفى أن تكون صفات الله تعالى مخلوقة ردا على النفاة القائلين إن كلام الله مخلوق فقال: إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه لازم له ليس له حرف ولا صوت .

فسلك مسلكا خالف فيه المعتزلة ولم يوافق أهل الحديث في جميع ما قالوه وإنما قابل بدعتهم ببدعة ورد باطلهم بباطل .

وأنكر ذلك الإمام أحمد بن حنبل والبخارى وغيرهما من أئمة السنة الذين كانوا في زمنه وبعده .

يقول عبد الله بن أحمد: قلت لأبى يابى إن قوما يقولون إن الله تعالى لم يتكلم بصوت، فقال يابى: هؤلاء الجهمية إنما يدورون على التعطيل يريدون أن يلبسوا على الناس بل تكلم بصوت . . .

قال في النونية عن هؤلاء :

ثم الألى قالوا بغير مشيئة	وإرادة منه فطائفان
إحداهما جعلته معنى قائما	بالنفس أو قالوا بخمس معان
والله أحدث هذه الألفاظ كى	تبديه معقولا إلى الأذهان
وكذلك قالوا إنها ليست	هى القرآن بل دلت على القرآن
ولربما سمى بها القرآن تسمية	المجاز وذلك وضع ثان

والحق في المسألة هو ما ذهب إليه أئمة السنة والحديث من أن الكلام صفة كمال لله عز وجل كسائر الصفات فهو لم يزل ولا يزال متكلم متى شاء وكيف شاء ولكلامه حرف وصوت يسمع والكلام على هذا القول صفة ذات وفعل قديم النوع حادث الأفراد .

وذلك أن للكلام اعتبارين بالنسبة إلى المتكلم .

١ - كون الكلام صفة معنوية للمتكلم فهذا الاعتبار يصح أن يقال: الكلام معنى قائم بنفس المتكلم وصفة قائمة بذاته . والصفة لا تقوم إلا بالموصوف .

ب - كون الكلام مسموعاً من المتكلم إذا تكلم بحرف وصوت فهذه هي حقيقة الكلام الخارجية وهي بالنسبة إلى المتكلم من المخلوقين مشاهدة لا ينكرها إلا مكابر . وبالنسبة إلى الخالق جل وعلا فقد دلت الأدلة على أن لكلامه سبحانه حرفاً وصوتاً فقد وصف نفسه بالقول والتكليم وبالمناداة في غير ما آية .

والنداء هو الصوت ويقال : ناداه مناداة ونداء أى صاح به .

واستفاضت الأحاديث من الرسول ﷺ والآثار من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ومن بعدهم من أئمة السنة بأن الله تعالى ينادى بصوت ويتكلم بالوحي بصوت . وكان أئمة السنة رضى الله عنهم يعدون من أن أنكر كلام الرب تعالى بصوت من الجهمية .

ومن تأمل نصوص الكتاب والسنة وكلام السلف لا يبقى عنده أى شك في ذلك ولا سيما أحاديث الشفاعة وحديث المعراج وأحاديث الرؤية وأحاديث الحساب وأحاديث تكليمه سبحانه ملائكته وأنبيائه ورسله وأهل الجنة إلى غير ذلك من الأحاديث .

ومن أحاط بها علماً ومعرفة يقطع بان الله تعالى موصوف بالكلام على وجه يليق بكرامته وأن لكلامه سبحانه صوتاً يسمع بل الرب جل جلاله أحق بهذه الصفة وأولى من كل أحد .

### مراجع البحث

- ١ - الأعلام للزركلى .
- ٢ - الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- ٣ - الرسالة الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية .
- ٤ - روضة الناظر لابن قدامه .
- ٥ - شرح العقيدة الطحاوية .
- ٦ - شرح المواقف .
- ٧ - غاية المرام في علم الكلام للآمدى .
- ٨ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد .
- ٩ - القصيدة النونية لابن القيم .
- ١٠ - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام .
- ١١ - مختصر الصواعق المرسله لابن القيم .
- ١٢ - المغنى في التوحيد والعدل للقاضى عبد الجبار المعتزلى .

## أخلاق أمراء الصحابة

لما تم الصلح بين أمير جيوش المسلمين في فتح الشام وبين أحد قواد الروم، جاءه أمير الروم بطعام فاخر، وقال له :  
هذا طعام الأمير .

فقال له أبو عبيدة : وأطعمتم الجند مثل هذا الطعام؟ .

قال : لم يتيسر مثله للجند .

فقال أبو عبيدة :

لا حاجة لنا فيما يقتصر علينا وحدنا من ألوان الطعام . وبئس المرء أبو عبيدة إن صحب جندا من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه، أو لم يهرقوا، فاستأثر عليهم بشيء يصيبه . لا والله لا نأكل إلا مما يأكلون .

الفقه



أصوله



# نظام الإثبات في الفقه الإسلامي

للككتور عوض عبد الله أبو بكر  
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

دراسة مقارنة

- ٤ -

## الحكم بالفراصة والقرائن

أولا : الحكم بالفراصة :

من وسائل الإثبات المختلف فيها عند فقهاء الشريعة الحكم بالفراصة، وهل تصلح دليلا يعتمد عليه القاضى فى بناء أحكامه، أم لا تصلح دليلا لبناء الأحكام القضائية. وقبل أن نعرض آراء الفقهاء ينبغى معرفة المقصود من الفراصة .

الفراصة لغة :

الفراصة بالكسر من التفرس . يقال تفرس الشيء إذا توسمه، وتفرست فيه خيرا، توسمته، وهو يتفرس يتثبت وينظر، فالتفرس والتوسم معناهما واحد أى يفسر أحدهما بالآخر (١) .

الأصل فى الفراصة ومعناها الفقهى :

الأصل فى الفراصة قوله تعالى : ﴿إن فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾ . (الحجر: ٧٥) . فذكر أهل التفسير أن المتوسمين يعنى المتفرسين، وذلك اعتمادا على ما أثر عنه ﷺ . فقد روى أبو سعيد الخدرى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : «إتقوا فراصة المؤمن فإنه ينظر بنور الله . ثم تلا الآية» (٢) .

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم» (٣) .

(١) تاج العروس «فصل الفاء من باب السين» .

(٢) نواذر الأصول فى معرفة أخبار الرسول للحكيم الترمذى ص ٢٧١ . ط . العثمانية .

(٣) مجمع الزوائد للهيثمى ٢٦٨/١ .

يقول الألوسى : « قال الجلال السيوطى : هذه الآية أصل فى الفراسة»<sup>(١)</sup> .  
معنى هذا أن الفراسة قد ورد اعتبارها فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأنها سمة  
من سمات المؤمنين، إذ أن الأحاديث مادحة للمتفرسين وأن الفراسة مدرك من مدارك  
المعاني لأن المؤمن المتفرس ينظر بنور الله، فالله عز وجل هو الذى يريه ويفيض عليه .  
فإذا ثبت هذا فلينظر كيف سارت تفسيرات العلماء للفراسة :

يقول ابن العربى المالكى فى تفسير الآية السابقة : التوسم - هو تفعل من الوسم وهى  
العلامة التى يستدل بها على مطلوب غيرها . وهى الفراسة وحقيقتها الاستدلال بالخلق  
على الخلق، وذلك بجودة القرىحة، ووحدة الخاطر، وصفاء الفكر<sup>(٢)</sup> .

ويقول القرطبى : «هى العلامة التى يستدل بها على مطلوب غيرها... وقال  
ثعلب<sup>(٣)</sup> : النظر من القرن إلى القدم واستقصاء وجوه التعريف . وذلك يكون بجودة  
القرىحة، وحدة الخاطر، وصفاء الفكر، وزاد غيره وتفرغ القلب من حشو الدنيا وتطهيره من  
أدناس المعاصى، وكدورة الأخلاق وفضول الدنيا»<sup>(٤)</sup> .

ويفسرها الحكيم الترمذى بقوله : « والتفرس أن يركض بقلبه فارساً بنور الله إلى أمر  
لم يكن فيدركه... وإذا أمتلأ القلب من نور الله تعالى نظرت عينا قلبه بنوره فأدرك فى صدره  
مالا يحاط به وصفا»<sup>(٥)</sup> .

ويفسرها ابن الأثير بقوله : «الفراسة بمعنيين : أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث،  
وهو ما يوقعه الله فى قلوب أوليائه، فيعلمون أحوال الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن  
والحدس . والثانى : يعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق»<sup>(٦)</sup> .

نلاحظ أن هذه التفسيرات مترددة بين اتجاهين :

الأول : إن الفراسة علامة يستدل بها على مطلوب غيرها - وأصحاب هذا التفسير  
يوافقون المعنى اللغوى، ويقولون إن العلامات لما كانت متفاوتة منها ما يظهر من أول وهلة

---

(١) تفسير روح المعانى لشهاب الدين الألوسى . ط . دار احياء الكتب العربية وأنظر تفسير ابن كثير . ط . المنار .

(٢) أحكام القرآن ج ٣ ص ١١١٩ .

(٣) هو أحمد بن يحيى بن زيد الشيبانى المعروف بثعلب امام الكوفيين فى النحو واللغة كان رواية للشعر ومحدثا مشهورا  
ومن كتبه «معانى القرآن» و «مجالس ثعلب»، «وما تلحن فيه العامة» توفى سنة ٢٩١ هـ .

(٤) تفسير القرطبى ج ١٠ ص ٤٤ .

(٥) نواذر الأصول ص ٢٧١ .

(٦) النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج ٣ ص ١٩١ . ص ١٩١ . ط . العثمانية .



ولكل فرد من الناس ، ومنها ما كان خفياً لا يدرك بباديء النظر، كان الخفى منها لا يعرفه إلا ذوو التجربة وصفاء الفكر، والفراسة في جميع هذه الأحوال استدلال بالعلامة لا مدخل للالهام فيها، بل إن أصحاب هذا القول استنكروا على الصوفية وغيرهم ممن يرون أن الفراسة نوع من الالهام والكرامة .

وقد تمثل هذا الإتجاه في قول ابن العربي وبه أخذ القرطبي وثعلب، وهو المعنى الثاني عند ابن الأثير .

الثاني : إن الفراسة خاطر إلهامي يوقعه الله سبحانه وتعالى في قلوب الصالحين من عباده، فيعرفون به أحوال الناس ، ويطلعون على ما لا يطلع عليه العامة، وقد يدركون به أمراً لم يكن بعد .

وهذا يتمثل في تفسير الحكيم الترمذى والمعنى الأول عند ابن الأثير وإليه أشار القرطبي بقوله : إنها تكون لمن صفى قلبه من كدورات الأخلاق وتفرغ القلب من حشو الدنيا . . . الخ .

سواء كانت الفراسة استدلالاً بالعلامة أو خاطراً الهامياً، فإن المتفق عليه في هذه التفسيرات هو أن سبيل الإدراك بالفراسة مستتر، وطريق المعرفة بها طريق خفى، وخطوات الاستنتاج فيها غير ظاهرة إلا لمن صفى فكره وكان حاد الذكاء، أو كان من المؤمنين الصادقين الذين مدحتهم الآية والأحاديث وذكرت أنهم ينظرون بنور الله فتكون فراستهم صادقة ويترد صوابها .

وجدير في هذا المقام، وحتى يتبين لنا معنى الفراسة، أن نذكر جانباً من الآثار التي أوردها الفقهاء تمثيلاً للفراسة .

أولاً : ما روى من فراسة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه :

(أ) إنه قال : يارسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم صلى . ونزلت الآية

﴿واتخذوا من مقام إبراهيم صلى﴾ . (البقرة: ١٢٥) .

(ب) إنه قال : يارسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن . فنزلت آية الحجاب .

(ج) إنه قال حين اجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة : عسى ربه إن

طلقكن أن يبده أزواجاً خيراً منكن . فنزلت كذلك . (التحریم: ٥) (١) .

---

(١) صحيح مسلم مع شرح النووي ج ١٥ ص ١٦٦ وفيه جاء قال عمر: وافقت ربي في ثلاث مقام إبراهيم وفي =

(هـ) إنه دخل عليه قوم فيهم الأشتر فصعد فيه النظر وصوره، وقال : أيهم هذا؟ قالوا: مالك بن الحارث، فقال: ماله قاتله الله إنى لأرى للمسلمين منه يوما عصيبا، فكان منه في الفتنة ما كان<sup>(١)</sup>.

ثانيا : ما روى عن ذى النورين عثمان - رضى الله عنه :

(أ) إنه دخل عليه بعض الصحابة، وكان قد مر بالسوق فنظر إلى امرأة فلما نظر إليه عثمان قال : يدخل أحدكم علىّ وفي عينيه أثر الزنا. فقال له : أوحيا بعد رسول الله ﷺ . قال عثمان : لا ولكن فراسة صادق<sup>(٢)</sup>.

(ب) إنه لما تفرس أنه مقتول ولا بد، أمسك عن القتال والدفع عن نفسه لئلا يجرى بين المسلمين قتال وآخر الأمر يقتل هو، فأحب أن يقتل دون أن يقع قتال بين المسلمين<sup>(٣)</sup>.

ثالثا : ما روى من فراسة عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - في الحسين بن على - رضى الله عنهما لما ودعه قال : استودعك الله من قتيل، ومع الحسين - رضى الله عنه - كتب أهل العراق تناشده الحضور لنصرته، فكانت فراسة ابن عمر أصدق من كتبهم<sup>(٤)</sup>.

رابعا : ما روى من فراسة الشعبي - رحمه الله - أنه قال لداود الأزدي - وهو يباريه - إنك لا تموت حتى تكوى في رأسك . فكان كذلك<sup>(٥)</sup>.

والأمثلة من هذا القبيل كثيرة تجل عن الحصر، ولكن الذى يبدو كما ذكرت هو خفاء طريق الاستنتاج، وأن المتفرس يدرك الأمر بأسلوب مستتر، فقد يكون استنتاجه هذا مبني على علامات خفية تفرسها، وقد يكون مبني على خواطر الهامية قذفها الله في قلبه ونطق بها لسانه .

---

= الحجاب وفي أسارى بدر. وفي رواية أخرى عند مسلم قال عليه السلام «إنه كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم» ج ١٥ ص ١٦٦ . ومحدثون أى ملهون - جاء في تحفة الاحوذى ج ٤ ص ٣١٧ . قال الأكثر: إنه ملهم وقيل تكلمه الملائكة من غير نبوة - وورد في حديث أبي سعيد مرفوعا: قيل يا رسول الله وكيف يحدث، قال: تتكلم الملائكة على لسانه وقد روينا في فوائد الجوهري وحكاية القاسمى اهـ .

(١) نوادر الأصول للحكيم الترمذى ص ٢٧١ .

(٢) الطرق الحكيمية لابن القيم ص ٣٦ . تبصرة الحكام لابن فرحون ج ٢ ص ١٠٣ .

(٣) الطرق الحكيمية ص ٣٦ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) تفسير الفخر الرازى ج ٥ ص ٤٩٦ .

## القضاء بالفراصة في آراء الفقهاء :

لما كان الاستدلال بالفراصة لا يقوم على أسس واضحة ظاهرة حيث أن خطوات الاستنتاج فيها خفية غير معروفة لغير المتفرس فقد منع جمهور الفقهاء بناء الأحكام القضائية على الفراسة، وقالوا إنها لا تصلح مستندا للقاضي في فصل الدعوى، إذ أن القاضي لا بد له من حجة ظاهرة يبنى عليها حكمه .

يقول الشيخ الدردير المالكي فيما يتصف به القاضي : «المطلوب الدهاء ويندب ألا يكون زائدا فيه عن عادة الناس ، خشية أن يحمله ذلك على الحكم بين الناس بالفراصة وترك قانون الشريعة من طلب البينة وتجريحها، وتعديلها، وطلب اليمين ممن وجهت إليه وغير ذلك»<sup>(١)</sup>.

ويقول ابن العربي المالكي : «إذا ثبت أن التوهم والتفرس من مدارك المعاني ، ومعالم المؤمنين ، فإن ذلك لا يترتب عليه حكم ، ولا يؤخذ به موسوم ولا متفرس ، فإن مدارك الأحكام معلومة شرعا ، مدركة قطعاً ، وليست الفراسة منها»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في تبصرة الحكام لابن فرحون قوله : «والحكم بالفراصة مثل الحكم بالظن والحرز والتخمين ، وذلك فسق وجور من الحكم ، والظن يخطيء ويصيب<sup>(٣)</sup> ، ثم بين الشاطبي في كتابه الموافقات : أن الفراسة لا تصلح مستندا للقاضي في حكمه لأن الاعتبار الغيبية لا دخل لها في بناء الأحكام القضائية ، فالرسول ﷺ - وهو أعظم المتفرسين - لم يعتبرها دليلاً يعتمد عليه فقال : «انكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أحن بحجته من بعض ، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنها أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها» . فقيده الحكم بمقتضى ما يسمع وترك ما وراء ذلك»<sup>(٤)</sup>.

كما أن صاحب معين الحكام الحنفى قد ذكر من القول في منع الحكم بالفراصة مثل ما قدمناه عن صاحب تبصرة الحكام ، وأن الحكم بها حكم بالظن والتخمين<sup>(٥)</sup>.

(١) الشرح الكبير بهامش حاشية الدسوقي ١٣٦/٤ .

(٢) أحكام القرآن ١١١٩/٣ .

(٣) تبصرة الحكام ١٠٤/٢ .

(٤) أنظر الموافقات للشاطبي ١٨٥/٢ والحديث رواه البخارى عن أم سلمة - رضى الله عنها - صحيح البخارى

كتاب الشهادات باب «من أقام البينة بعد اليمين» .

(٥) معين الحكام للطرابلسى ص ٢٠٤ . ط . الأميرية .

رأى ابن القيم :

خالف ابن القيم جمهور الفقهاء وذهب إلى القول بجواز الحكم بالفراصة وقال إنها مدرك صحيح للأحكام، واستخراج الحقوق وفصل الدعاوى، ومن قوله في ذلك: «ولم يزل حذاق الحكام والولاة يستخرجون الحقوق بالفراصة والامارات، فإذا ظهرت لم يقدموا عليها شهادة ولا اقراراً»<sup>(١)</sup>.

وهو في ذلك يرى أن الفراسة من القرائن، ويفسرهما بالعلامة، ويظهر ذلك من فحوى اعتراضه على تفرقة أبي الوفاء بن عقيل - أحد فقهاء الحنابلة - بين الفراسة والامارات. قال: وسئل أبو الوفاء بن عقيل عن هذه المسألة - أى مسألة الحكم بالقرينة والامارات - فقال: إن الحكم بالقرينة ليس من باب الحكم بالفراصة التي تختفى فيها خطوات الاستنتاج.

فاعترض ابن القيم قائلاً: «وقول أبي الوفاء بن عقيل ليس هذا فراصة فيقال: لا محذور في تسميته فراصة، فهي فراصة صادقة، وقد مدح الله الفراسة وأهلها في مواضع كثيرة من كتابه فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾. وهم المتفرسون الآخذون بالسيا وهي العلامة»<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا يتضح لنا أن ابن القيم لا يفرق بين الاستدلال بالعلامات كانت هذه العلامات خفية لا تدرك إلا للمتفرسين، أم كانت ظاهرة تدرك لكل أحد، ومع أنه قد ذكر جانباً من الأمثلة التي تقدمت عن الفراسة التي يختفى فيها طريق الاستدلال بالعلامة ويتضح فيها جانب الإلهام كتلك التي قدمناها عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، إلا أنه يرى أن كل ذلك استدلال بالعلامة ويجوز بناء الأحكام القضائية عليه.

وزيادة على ذلك فقد استدل ابن القيم على القضاء بالفراصة بما كان يفعله إياس بن معاوية وشريح، إذ اشتهر عنهما ذلك، وذاع ذكاؤهما وحسن فراستهما - وقد أورد ابن القيم في الطرق الحكمية آثاراً كثيرة عنهما تنم عن ذكاء وصفاء فكر وحدة فراصة تميزا بها في إرجاع الحقوق إلى أهلها.

تعقيب :

ومن رأينا أن الفراسة لا تصلح مستندا لحكم القاضى وفصل الدعاوى وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء خلافا لابن القيم، وذلك للأسباب التالية :

(١) الطرق الحكمية ص ٢٨

الأول : إنه لم يرد في الشرع الحكيم ما يدل على اعتبارها والأخذ بها في القضاء، ومع أن الله عز وجل قد مدح المتفرسين، وأنه تعالى هو الذي يفيض عليهم ويهديهم هذه المعارف التي لا يدركها غيرهم، إلا أن مدارك الأحكام القضائية معلومة شرعا، وقد وضحها النبي ﷺ، وأنه ﷺ خير المتفرسين وأفضلهم وأعرف الناس بالناس. قال: انكم تختصمون اليّ . . . الحديث. فلم يجعل للاعتبارات الخفية مدخلا، ولم يترك لوسائل الاستنباط غير المنضبطة والمسترة مجالا .

ثانيا : لما كانت الفراسة غير مدركة بالعين الحسية، فقد يكون الاحتجاج بها مدخلا لذوى النفوس المريضة والأغراض والدعاوى الباطلة، فيحكمون بها يوافق أهواءهم وأطماعهم مما يؤدي إلى اختلاف الأحكام وفساد القضاء .

ثالثا : إذا كنا قد وافقنا الفقهاء القائلين بعدم السماح للقاضي القضاء بعلمه لكون طريق الاثبات غير معروف لغير القاضي، فمن باب أولى ألا نوافق في القضاء بالفراسة لنفس السبب. وإن كان فساد الزمان من أسباب منع القاضي أن يقضى بعلمه فهو أيضا سبب كاف لمنع الحكم بالفراسة<sup>(١)</sup>.

رابعا : قول ابن القيم - رحمه الله - إن الفراسة من الاستدلال بالعلامة محل نظر لوجود حالات كثيرة للفراسة يخفى فيها الاستدلال بالعلامة، وفيما قدمنا من أمثلة دليل صادق على صحة قولنا. أما الفراسة التي يكون الاستدلال فيها مبني على العلامة الظاهرة فتحكمها ملحق بحكم العمل بالقرائن والعلامات وهو ما سيأتى الحديث عنه إن شاء الله تعالى .

أما فعل إياس بن معاوية وشريح، فقد رجعت إلى كثير من القضايا الماثورة عنهما ووجدت استدلالهم بالعلامة الظاهرة واضحا، غير أنه يظهر جليا ذكأؤهما وفراستهما في الوصول إلى هذه العلامة. ثم إن القضاة ليسوا كأياس وشريح حتى يسيروا سيرهما. كما أن جمهور الفقهاء لا يتفق معهم على الأخذ بمنهجها في القضاء .

وعلى هذا أرى أن الفراسة لا تصلح أن تكون طريقاً من طرق الاثبات في الفقه الإسلامي .

(١) يراجع مقالنا في العدد (٦٠) من هذه المجلة .

ثانيا : الحكم بالقرائن :

معنى القرينة لغة :

القرينة، جمعها قرائن، قارن الشيء يقارنه مقارنة وقرانا، اقترن به وصاحبه . وقارنته قرانا : صاحبتة، وقرينة الرجل امرأته، وسميت الزوجة قرينة لمقارنة الرجل إياها . وقرينة الكلام ما يصاحبه ويدل على المراد به . والقرين المصاحب والشيطان المقرون بالإنسان لا يفارقه وفي الحديث «ما من أحد إلا وكل به قرينه»<sup>(١)</sup> أى مصاحبة من الملائكة والشياطين<sup>(٢)</sup> .

معنى القرينة اصطلاحا :

لم أعثر فيها أطلعت عليه من كتب الفقه القديمة على تعريف للقرينة إلا ما ورد في كتاب «التعريفات» للجرجاني حيث يقول : «القرينة أمر يشير إلى المطلوب»<sup>(٣)</sup> . وما نقله العلامة ابن نجيم المصرى الحنفى عن ابن الغرس من قوله : «من جملة طرق القضاء القرائن الدالة على ما يطلب الحكم به دلالة واضحة بحيث تصيره في حيز المقطوع به»<sup>(٤)</sup> . وأيضا ما جاء في مجلة الأحكام العدلية من أن : «القرينة القاطعة هى الأمانة البالغة حد اليقين»<sup>(٥)</sup> .

هذه التعريفات وان اختلفت كلماتها إلا أنها تتفق على أن القرينة أمر أو أمانة أى علامة تدل على أمر آخر وهو المراد، بمعنى أن هناك واقعة مجهولة يراد معرفتها فتقوم هذه العلامة أو مجموعة العلامات بالدلالة عليها، وهى لا تختلف عن المعنى اللغوى لأن هذه العلامات تصاحب الأمر المجهول فتدل عليه، أى تدل عليه لمصاحبتها له .

والقرينة فى مجال الإثبات هى العلامات التى تدل على الواقعة المجهولة التى يراد اثباتها عند انعدام أدلة الإثبات الأخرى الأقوى من اقرار أو بينة .

مثال ذلك : أن يرى شخص يحمل سكيناً ملطخة بالدماء وهو خارج من خربة خائفا يرتجف، فيدخل شخص أو أشخاص الخربة على الفور فيجدون آخر مذبوحاً لتوه مضرجا بدمائه وليس فى الخربة غيره . فالواقعة المراد اثباتها هى شخصية القاتل والعلامات التى تدل عليها هى خروج ذلك الرجل وبتلك الهيئة التى تحمل على الاعتقاد أنه القاتل ، وذلك عند

---

(١) الحديث رواه مسلم انظره مع شرح النووى ١٧ / ١٥٦ وتامه «قالوا يارسول الله وإياك، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير» .

(٢) لسان العرب (حرف النون فصل القاف) تاج العروس (فصل القاف فى باب النون) الصحاح (مادة قرن) .

(٣) التعريفات للجرجانى ص ١٥٢ .

(٤) البحر الرائق ٧ / ١٥٢ .

(٥) مجلة الأحكام العدلية المادة (١٧٤١) .

عدم اعترافه أو قيام البينة على القاتل . فالاعتراف والبينة دليلان يتناولان الواقعة المجهولة مباشرة، أما العلامات فإنها تدل عليها دلالة أى يؤخذ منه بالدلالة والاستنتاج حكم الواقعة المجهولة .

### الفرق بين القرينة والفراسة :

بناء على ما قدمنا من تعريف للقرينة، وبناء على ما قدمنا من قول فى الفراسة فىمكن تلخيص الفرق بين القرينة والفراسة فى النقاط التالية :

أولاً : إن القرينة علامة ظاهرة مشاهدة بالعيان ، كمن يرى رجلاً مكشوف الرأس وليس ذلك من عادته يعدو وراء آخر هارباً ويبد الهارب عمامة وعلى رأسه عمامة ، فهذه قرينة مشاهدة بالعين الحسية ودلالاتها كما يقول العلماء واضحة على أن العمامة للرجل مكشوف الرأس ، ولا يقال عمن يرى هذه العلامة ويستنتج هذا الحكم إنه متفرس .

ثانياً : إن رؤية القرينة لا تتطلب مواصفات معينة فى الرأى ، كصدق الإيمان وصفاء الفكر وحدة الذكاء ، وذلك لأن خطوات الاستنتاج فيها ظاهرة واضحة ، حتى أن الدقيق منها كتلك التى تقوم على التجارب العلمية لها أسسها وضوابطها وقانونها الذى يسهل الاطلاع عليه ومعرفته ، أما الفراسة فهى تتطلب مواصفات معينة فى المتفرس ، صدق إيمان أو حدة ذكاء وصفاء فكر ، وذلك لأن خطوات الاستنتاج فيها مستترة خفية .

ثالثاً : إنه يمكن ان تقام البينة على وقوع القرينة ويتأكد القاضى من ثبوتها ففى المثال المتقدم قد يشهد أثنان أو أكثر على رؤية الواقعة ، أما الفراسة فلا يتوفر فيها ذلك ، فلا يستطيع أحد الشهادة عليها وإن صح وقوعها على قلب اثنين أو أكثر فتلك حالة نادرة .

رابعاً : القرينة قد تصلح دليلاً لبناء الأحكام القضائية ومستنداً للقاضى فى فصل النزاع كما سنبين ذلك . أما الفراسة فلا يصح الحكم بها على قول جمهور الفقهاء خلافاً لابن القيم .

### القرينة والعرف :

وقبل أن نبين آراء الفقهاء فى القضاء بالقرينة نشير إلى ما لاحظناه من ارتباط وثيق بين القرينة والعرف .

والعرف هو ما تعارف عليه الناس وساروا عليه من قول أو فعل أو ترك بحيث لا يخالف دليلاً شرعياً أو يحل حراماً أو يبطل واجباً ، والعرف بهذا المفهوم قد راعته الشريعة طالما أن

الناس تعارفوا عليه واتفق مع حاجاتهم ومصالحهم ، فقد راعى الشارع الحكيم عرف العرب  
ففرض الدية على العاقلة واعتبر العصبية في الأثر ولهذا يقول الحنفية : «المعروف عرفا  
كالمشروط شرطا» و«الثابت بالعرف كالثابت بالنص» وقد غير الإمام الشافعي - رحمه الله -  
بعض أحكام مذهبه بعد أن ذهب إلى مصر لاختلاف أعرافهم عن أعراف أهل العراق<sup>(١)</sup> .

ويظهر ارتباط القرينة بالعرف في صوريشكل فيها العرف قرائن تجب مراعاتها  
وملاحظتها، مثال ذلك : لقد تعارف الناس على البيع بالتعاطى وهو التبادل بين المتعاضين  
من غير لفظ، فهذا عرف وهو في نفس الوقت قرينة دالة على رضا الطرفين بالبيع، وقد  
استجاب الفقهاء لمتطلبات العرف وتحرروا بموجب هذه القرينة عن التقيد بشكلية اللفظ .

ومن أظهر الصور التي جعلوا فيها العرف قرينة تجب مراعاتها في فهم الدعوى مسألة  
تنازع الزوجين في متاع البيت وفي هذا يقول القرافي المالكي : «إن الإشهاد بين الزوجين  
يتعذر لأنها لو اعتمدا ذلك، وأن من كان له شيء أشهد عليه أدى إلى المنافرة وعدم الوداد  
بينهما، وربما أفضى إلى الطلاق والقطيعة فهما معذوران في عدم الإشهاد وملجآن إليه، وإذا  
الجا لعدم اشهاد فلوم يقض بينهما بالعادة لأنسد الباب بينهما»<sup>(٢)</sup> .

ومن ذلك أيضا قولهم إن الزوجين إذا اختلفا في قدر المعجل والمؤجل في المهر ولا بينة  
لأحدهما فالقول لمن شهد له العرف<sup>(٣)</sup> .

يستفاد من هذا أن العرف قد يكون قرينة تدل على ما يطلب معرفته فلذلك كان لا بد  
من ملاحظته ومعرفته عند نظر الدعوى . لأجل هذا فقد نبه الفقهاء على القاضي بالتعرف  
على أحوال الناس وعاداتهم وما تواضعوا عليه لأنه بذلك تتبين له الدعوى ويعرف المحق من  
المبطل . ومن يرجع إلى ابن القيم في كتابيه الطرق الحكمية واعلام الموقعين، وابن فرحون في  
تبصرته، والطرابلسي في كتابه معين الأحكام، لوجد ما فيه الكفاية من حث القاضي على  
معرفة العرف . ثم إن الفقيه الحنفى ابن عابدين قد ألف رسالة في هذا الشأن أسماها «نشر  
العرف في بناء بعض الأحكام على العرف»<sup>(٤)</sup>

(١) الأشباه والنظائر لابن القيم وشرح الجموى على الأشباه ١٢٦/١ وانظر علم أصول الفقه وخصاله تاريخ  
التشريع الإسلامى للمرحوم عبد الوهاب خلاف ص ٩٧ .

(٢) الفروق ٣/١٤٩ .

(٣) الاختيار لتعليل المختار ٢/١٧٧ .

(٤) رسائل ابن عابدين ٢/١٢٨ .



ومع هذا التداخل بين القرينة والعرف يجب ألا يغيب عن نظرنا التفرقة بينهما، فالقرينة كما قدمنا هي العلامات التي يستنتج منها الواقعة المجهولة التي يراد اثباتها أو الحكم فيها، فقد تكون هذه العلامات مستفادة من أعراف الناس وما تواطأوا عليه، وقد تكون من غير ذلك. بمعنى آخر إن للقاضي أن يبنى حكمه بناء على قرينة تعارف الناس على كذا، وقد يبنيه على علامات أخرى في الدعوى ليست مستفادة من العرف والعادة. ومن ثم فإن دائرة القرينة في مجال الإثبات أوسع لأنها تضم العرف وغيره.

### القضاء بالقرينة :

لم تحظ القرينة بالاتفاق على صلاحيتها كدليل لبناء الأحكام القضائية إلا أنه بالرغم مما يبدو لنا من خلاف حول تحكيم القرائن في فصل النزاع القضائي، فإن جميع المذاهب لا تخلو من اعمال القرائن في بعض المسائل حتى ولو كان ذلك تحت ستار العرف والعادة. ولكن هذا التحكيم للقرائن يختلف من مذهب لآخر، فيتسع مداه لدى فقهاء المالكية ومتأخري الحنابلة ويتوسط لدى الحنفية ويضيق عند فقهاء الشافعية والظاهرية.

وقبل أن نعرض أمثلة توضح أخذ المذاهب المختلفة بالقرائن نطرح أولاً أدلة الفريقيين، القائلين بتحكيم القرائن والمانعين لها.

### أدلة القائلين بالقرينة :

#### أولاً : القرآن الكريم :

لعل من نافلة القول أن نذكر أنه ليس في القرآن الكريم نص قطعي الدلالة على اعتبار القرينة في الأحكام أو عدم اعتبارها. ولكن القائلين بالقرينة قد استنبطوا اعتبارها بدلالة ظنية لبعض النصوص في القرآن الكريم ورأوا جواز الأخذ بها.

والآيات التي استنبط منها الفقهاء جواز الأخذ بالقرينة في الأحكام هي :

(١) قوله تعالى : ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب، قال بل سولت لكم أنفسكم

أمرأ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ . (يوسف : ١٨) .

(٢) قوله تعالى : ﴿واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب

قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هي راودتني عن نفسي، وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين، فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ . (يوسف : ٢٦-٢٨) .

ومحل الاستدلال الوارد في هذه الآيات ما ذكره المفسرون من أن يعقوب - عليه السلام - استدل بقريئة سلامة القميص من التمزيق على كذب دعوى اخوة يوسف - عليه السلام - بأن الذئب قد أكله . وكذلك استدل الشاهد بقريئة قد القميص من دبر على كذب امرأة العزيز وبراءة يوسف - عليه السلام .

ونرى الآن منهم في استنباط حكم القريئة من هذه الآيات .

### الشاهد الأول :

يقول ابن العربي المالكي عن قوله تعالى : ﴿وجاءوا على قميصه . . . الآية﴾ فيها ثلاث مسائل - نذكر منها :

**المسألة الأولى :** إنما أرادوا أن يجعلوا الدم علامة على صدقهم فروى في الاسرائيليات أن الله تعالى قرن بهذه العلامة علامة تعارضها، وهي سلامة القميص من التليب . والعلامات إذا تعارضت تعين الترجيح، فيقضى بجانب الرجحان وهي قوة التهمة لوجوه تضمنها القرآن، منها طلبهم إياه شفقة ولم يكن من فعلهم ما يناسبها فيشهد بصدقها بل كان سبق ضدها وهي تبرمهم، ومنها أن الدم يحتمل أن يكون في القميص موضوعا، ولا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهو لابس القميص ويسلم القميص من تحريق، وهكذا يجب على الناظر أن يلحظ الأمارات (العلامات) وتعارضها .

**المسألة الثانية :** القضاء بالتهمة إذا ظهرت كما قال يعقوب «بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل» ولا خلاف في الحكم بالتهمة . وإنما اختلف الناس في تأثير أعيان التهم . (١) .

ومن ذلك أيضا قول القرطبي في تفسيره «استدل فقهاؤنا بهذه القريئة على اعمال الأمارات في مسائل الفقه كالقسامة وغيرها، وأجمعوا على أن يعقوب - عليه السلام - استدل على كذبهم بصحة القميص وهكذا يجب على الناظر أن يلحظ الأمارات والعلامات إذا تعارضت فما ترجح منها قضى بجانب الترجيح وهي قوة التهمة ولا خلاف في الحكم بها» . (٢) .

(١) أحكام القرآن ٣/١٠٦٥ .

(٢) تفسير القرطبي ٩/١٥٠ .

## الشاهد الثاني :

إنه لما نشب النزاع بين يوسف - عليه السلام - وامرأة العزيز التي قذفته بما قذفته من إرادة الفاحشة ، قال يوسف - عليه السلام - مكذبا لها ، ودفعها لما نسب إليه ، ﴿ قال هي راودتني عن نفسي ﴾ فعند ذلك جاء دور الشاهد الذي وصفه القرآن الكريم بأنه من أهلها والذي فصل الخطاب بما ذكره من القرائن التي بان بها الحق وانفض بها النزاع .

والقرائن التي ذكرها الشاهد هي أنه إذا كان قميص يوسف قد من القبل فالمرأة صادقة في دعواها بأنه هو الذي أرادها ، أما إذا كان قد من دبر فهي كاذبة ويوسف برىء من التهمة . والحاصل أن القميص قد من دبر وهذا دليل إدباره عنها وهو دليل براءته<sup>(١)</sup> .

وقد يعترض على العلامة المذكورة إذ أنها لا تدل قطعا على براءة يوسف - عليه السلام - لاحتمال أن الرجل قصد المرأة بطلب الفاحشة فغضبت عليه المرأة فعدت خلفه لتضربه ، فعلى هذا الوجه قد يتمزق القميص من دبر ، والمرأة بريئة من الذنب .

وأجيب على هذا الاعتراض بأن القرائن كانت كثيرة وكفيلة بصرف هذه التهمة عنه ، أما القرينة المذكورة في الآية إنما جاءت دليلا مرجحا ومقويا لتلك القرائن ، ومن هذه القرائن التي ذكرها المفسرون أن يوسف - عليه السلام - كان عبدا في ظاهر الأمر والعبد لا يمكن أن يتسلط على مولاه إلى هذا الحد ، كما أنهم رأوا أن المرأة زينت نفسها على أكمل الوجوه ، ولم يكن على يوسف - عليه السلام - أثار للتعزين . ثم إن أحوال يوسف - عليه السلام - في المدة الطويلة تدل على براءته إذ لم يروا منه حالة تناسب إقدامه على مثل هذا الفعل المنكر وذلك مما يقوى الظن . وقيل إن زوج المرأة كان عاجزا وآثار طلب الشهوة في حق المرأة كانت متكاملة<sup>(٢)</sup> .

فلما حصلت هذه الأمارات الدالة على أن مبدأ هذه الفتنة كانت من المرأة استحيا الزوج وتوقف وسكت لعلمه بأن يوسف هو الصادق والمرأة كاذبة ، أظهر الله ليوسف دليلا يقوى تلك الدلائل فجاءت تلك القرينة على لسان الشاهد .

كما اعترض على هذه القرينة من ناحية الشاهد المذكور ، فقد اختلفوا فيه فقول إنه كان ابن عم المرأة وكان حكيما يستشره الملك ، وقيل إنه طفل تكلم في المهدي . فقالوا إن كان

(١) أحكام القرآن ٣/١٠٧٣ - تفسير الطبري ١٢/١١٦ ، تفسير الرازي ٥/١٧٩ .

(٢) تفسير الرازي ٥/١٧٩ ، تفسير الخازن ٣/١٦ .

الشاهد طفلا تكلم في المهدي لا يكون في الآية دليل على اعمال الأمارات إذ أن الدليل هو كلام الصبي في مهده .

وقد دفع هذا الاعتراض بأنه يستبعد أن يكون الشاهد صبيا بل كان رجلا حكيما وهو الذي يناسب سياق الآية ، فلو أنطق الله الطفل لكان كافيا قوله إنها كاذبة ولما احتاج إلى نصب العلامة ، ثم قوله تعالى ﴿شهد شاهد من أهلها﴾ ليكون أولى بالقبول في حق المرأة ولو كان صبيا لا يتفاوت الحال كونه من أهلها أو من غير أهلها . كما أن لفظ الشاهد لا يقع في العرف إلا لمن تقدمت معرفته بالواقعة وإحاطة بها<sup>(١)</sup> .

وقيل انه لا تعارض بين كونه صبيا تكلم في المهدي وبين الأمانة المنصوبة ، فقد يتكلم الصبي . ومع ذلك ينبههم إلى الدليل الذي غفلوا عنه وهي أمانة القميص<sup>(٢)</sup> . وهناك اعتراض ثالث هو أن هذه الآية تبين شرع السابقين وشرع من قبلنا لا يلزمنا . وقد أوجب على هذا الاعتراض بالأدلة التي يحتج بها مثبتو العمل بشرع من قبلنا إذا لم يرد دليل على نسخه عنا .

ثانيا : السنة الشريفة وعمل الصحابة - رضوان الله عليهم :

كذلك احتج القائلون بالقرينة في الأحكام بآثار كثيرة وردت عن النبي ﷺ وصحابته ، ومن هذه الآثار :

(١) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «بينما امرأتان معهما ابناهما ، جاء الذئب فذهب بابن احدهما ، فقالت لصاحبتها : إنما ذهب بابنك . وقالت الأخرى : إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود - عليه السلام - ففضى به الكبرى فخرجتا على سليمان بن داود - عليهما السلام - فأخبرته فقال : أتئوني بالسكين اشقه بينهما . فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله هو ابنها . ففضى به للصغرى»<sup>(٣)</sup> .

فاستدل بقرينة رضا الكبرى أن يشقه نصفين وعدم شفقتها عليه أنه ليس ابنها ، بينما اشفقت الصغرى وأمتنعت عن الدعوى حتى لا يذهب الطفل فهذا يدل على أنه ابنها إذ أن الله أودع في قلوب الأمهات الشفقة على ابنائهن .

(١) روح المعاني ١٢/٢٢٢ - أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٧١ ، والكشاف بهامشه الانتصاف ٢/٩٣ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٧٣ ، تبصرة الحكام لابن فرجون ٢/٩٣ .

(٣) صحيح البخاري ٤/١٠٤ «كتاب الفرائض» .

(١) ما روى عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال : أردت السفر إلى خيبر ، فقال لى رسول الله ﷺ : إذا جئت وكيلى فخذ منه خمسة عشر وسقا فإذا طلب منك آية فضع يدك على ترقوته (١) .

فأقام العلامة مقام الشهادة .

(٣) عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال : لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا يارسول الله وكيف إذن قال : إذن صماتها . أو قال : أن تسكت (٢) .

فجعل عليه الصلاة والسلام صماتها قرينة على الرضا .

(٤) إنه ﷺ حينما صالح يهود خيبر كان لحي بن أخطب مال كثير فأخفوه عن النبى ﷺ ، فسألهم عنه فقال ابن أبى الحقيق عم حي ابن أخطب . أدهبته الحروب والنفقات ، فقال ﷺ : العهد قريب والمال أكثر من ذلك . ثم دفعه إلى الزبير فضربه حتى أقرب بمكان المال (٣) . فيظهر اعتماده ﷺ على الأمارات وشواهد الحال قرب العهد وكثرة المال .

(٥) عن زيد بن خالد الجهنى أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن اللقطة فقال عرفها سنة ثم اعرف وكاءها ووعاءها وعفاصها ثم استنفع بها فإن جاء ربه فأدها إليه (٤) .  
فأمر رسول الله ﷺ الملتقط أن يدفع اللقطة إلى صاحبها بمجرد الوصف لأن وصفه لها بما يطابق الواقع قرينة على ملكيته .

(٦) أن ابني عفراء لما تداعيا قتل أبى جهل قال لهما رسول الله ﷺ : هل مسحتما سيفيكما؟ قالوا : لا . قال : فأريانى سيفيكما . فلما نظر فيهما . قال لأحدهما : هذا قتله وقضى له بسلبه (٥) .

(٧) أنه ﷺ حكم بالقافة وجعلها من أدلة ثبوت النسب وليس فيها إلا مجرد العلامات والأمارات (٦) .

(١) سنن أبى داود ٣/٣٥١ .

(٢) صحيح البخارى كتاب «النكاح» ٣/٢٠٧ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٣٧ . قال فى فتح البارى . أخرجه البيهقى باسناد رجاله ثقات . انظر فتح

البارى ٧/٣٨٦ .

(٤) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح - سنن الترمذى ٦/١٣٧ . ط . الصاوى - مصر .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/٦٢ .

(٦) القافة جمع قائف وباعة وهو من يعرف النسب بالشبه . وفى الصحيحين أن مجزأ المدلجى رأى اسامة =

(٨) حكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - برجم المرأة التي ظهر حملها ولا زوج لها ولا سيد. كما ورد في المتفق عليه قوله في شأن الرجم . «وإن الرجم حق في كتاب الله على من زنى إذا احصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الخبل أو الاعتراف»<sup>(١)</sup>.

(٩) كذلك ما ورد في الموطأ وكذلك عن مسلم عن عمرو وعثمان وابن مسعود - رضوان الله عليهم - بحد من وجدت منه رائحة الخمر<sup>(٢)</sup>.

هذا نذر قليل من الأدلة الكثيرة التي أوردناها مثبتو العمل بالقرائن في القضاء راعيت في اختياره قوة الثبوت ووضوح الدلالة، ولنقف الآن قليلا مع أدلة المانعين لأعمال القرائن في بناء الأحكام القضائية .

### أدلة المانعين :

تتركز حجة هؤلاء في خطورة الأخذ بالقرائن لما يحورها من الاحتمالات من شأنها أن تؤدي إلى القصاص من متهم برىء، أو إنزال العقوبة على شخص لا يستحق العقاب . ومن الآثار التي وردت في هذا المعنى :

(١) ما روى أنه أتى برجل وجد في خربة بيده سكين منطخة بدم . وبين يديه قتييل يتشحط في دمه ، فسأله على - رضى الله عنه - فقال : أنا قتلته . قال على : اذهبوا به فأقتلوه ، فلما ذهبوا به أقبل رجل مسرعا . فقال : يا قوم لا تعجلوا ردوه لى عسى . فردوه ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه . أنا قتلته فقال على للأول : ما حملك على أن قلت أنا قتلته ولم تقتله؟ قال : يا أمير المؤمنين وما استطيع أن أصنع وقد وقف العسس على الرجل يتشحط في دمه وأنا واقف وفي يدي سكين وفيها أثر الدم ، وقد أخذت في خربة ، فخفت ألا يقبل منى وأن يكون قسامة فاعترفت بها لم أصنع واحتسبت نفسى عند الله . فقال على : بثسما صنعت فكيف كان حديثك؟ قال : إنى رجل قصاب وخرجت إلى حانوتى في الغلس فذبحت بقرة وسلختها . فبينما أنا أصلحها والسكين في يدي أخذنى الثبر فأتيت

---

= وزيدا قد غطيا رءوسها وبدت أقدامها فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بعض ، فسر رسول الله ﷺ لكون المشركين كانوا يشككون في نسبها لاختلاف لونها .

انظر البخارى (باب الفرائض) ٣/١٣٩ ، مسلم بشرح النووى ١٠/٤٢ .

(١) بلوغ المرام مع سبيل السلام ٨/٤ .

(٢) الموطأ مع المتفقى ٣/١٤٢ . ط . السعادة . مصر ، وانظر صحيح مسلم مع شرح النووى ١١/٢١٦ .

خربة كانت بقربى ، فدخلتها ، فقضيت حاجتى ، وعدت أريد حانوتى فإذا أنا بهذا المقتول يتشحط فى دمه ، فراعنى أمره فوقفتم أنظر إليه والسكين فى يدى ، فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا وأخذونى . فقال الناس . هذا قتل هذا ، ما له قاتل سواه ، فأيقنت أنك لا تترك قولهم لقولى ، فاعترفت بما لم أجنه . فقال علىّ للمقر الثانى : فأنت كيف كانت قصتك؟ فقال : أغوانى الشيطان فقتلت الرجل طمعا فى ماله ، ثم سمعت حس العسس ، فخرجت من الخربة واستقبلت هذا القصاب على الحال التى وصف فاستترت منه ببعض الخربة حتى أتى العسس فأخذه وأتوك به ، فلما أمرت بقتله علمت أنى سأبوء بدمه أيضا ، فاعترفت بالحق . فقال للحسين - رضى الله عنه : ما الحكم فى هذا؟ قال : يا أمير المؤمنين إن كان قد قتل نفسا فقد أحيا نفسا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ . (المائدة : ٣٢) فخلى علىّ عنها وأخرج دية القتل من بيت المال<sup>(١)</sup> .

وقد وقع نظير تلك القضية فى عهده ﷺ إلا أنها ليست فى القتل .

عن علقمة بن وائل عن أبيه : أن امرأة وقع عليها رجل فى سواد الصبح وهى تعمد إلى المسجد بمكروه من نفسها ، فاستغاثت برجل مر عليها ، وفر صاحبها ، ثم مر ذوو عدد فاستغاثت بهم ، فأدركوا الرجل الذى كانت استغاثت به فأخذه ، وسبقهم الآخر . فجاءوا به يقودونه إليها فقال : أنا الذى أغتتك وقد ذهب الآخر ، فأتوا به النبى ﷺ . فقال الرجل : إنما كنت أعثتها على صاحبها - فأدركنى هؤلاء فأخذونى . فقالت : كذب ، هو الذى وقع علىّ . فقال رسول الله ﷺ : انطلقوا به فارجموه . فقام رجل فقال : لا ترجموه وارجمونى ، فأنا الذى فعلت بها الفعل واعترف . فاجتمع ثلاثة عند رسول الله ﷺ ، الذى وقع عليها والذى أغاثها والمرأة . فقال : أما أنت فقد غفر لك . وقال للذى أغاثها قولا حسنا . فقال عمر - رضى الله عنه - أرجم الذى اعترف بالزنا . فأبى رسول الله ﷺ وقال : لا ، لأنه قد تاب . وفى رواية فقالوا : يارسول الله أرجمه . فقال : لقد تاب توبة لوتأبها أهل المدينة لقبول منهم<sup>(٢)</sup> . وعند الترمذى أمر برجمه ، فقال أرجموه لقد تاب توبة لوتأبها أهل المدينة لقبول منهم<sup>(٣)</sup> .

مما لاشك فيه أن هذين الأثرين يوهنان الأخذ بالقرينة ويفتان فى عضد الاحتجاج بها ويقويان شبهة المانعين للعمل بها من حيث أن شواهد الحال كثيرا ما تكذب ، وأن الأمر قد

(١) الطرق الحكيمية ص ٦٧ .

(٢) الحديث رواه أبو داود فى سننه ٢٣٣/٤ مع حاشيته عون المعبود .

(٣) سنن الترمذى ٢٣٦/٦ .

يكون خلاف ما دلت عليه القرائن الظاهرة . فلو أخذنا بها لذهبت دماء وأموال لمجرد الاحتمال . غير أنه لا يفوتنا في هذه المقام أن نورد ما ذكره الإمام ابن القيم - رحمه الله - عن هذين الأثرين .

يقول ابن القيم عن القضية التي عرضت على أمير المؤمنين علي - رضى الله عنه : «وهذا إن كان صلحا وقع برضا الأولياء فلا اشكال ، وإن كان بغير رضاهم فالمعروف من أقوال الفقهاء أن القصاص لا يسقط بذلك ، لأن الجاني قد اعترف بما يوجب له ولم يوجد ما يسقطه فيتعين استيفاءه ، وبعد فالحكم أمير المؤمنين وجه قوى»<sup>(١)</sup> .

رأى ابن القيم أن القصاص قد وجدت موجباته فليس هناك ما يمنع استيفاءه ، اللهم إلا أن يكون قد تم ذلك برضاء الأولياء ، فكأنه يرى نقصان الرواية لكونها لم تبين وجه عدول أمير المؤمنين علي عن استيفاء القصاص .

أما الحديث الثانى فيقول عنه : «وهذا الحديث إسناده على شرط مسلم ، ولعله تركه لهذا الاضطراب في متنه» ويقصد بالاضطراب في المتن ورود رواية بعدم رجم الذى اعترف بالزنا . ورواية الترمذى أنه أمر برجمه . قال ابن القيم : «إن الراوى إما أن يكون قد جرى على المعتاد برجم المعترف ، وإما أن يكون اشتبه عليه أمره برجم الذى جاءوا به أولا ، فوهم وقال إنه أمر برجم المعترف . ثم بين أن الذين رجمهم رسول الله ﷺ معروفون ، ولم يكن هذا من بينهم . والظاهر أن راوى الرجم في هذه القصة استبعد أن يكون قد اعترف بالزنا عند رسول الله ﷺ ولم يرحمه ، وعلم أن من هديه رجم الزانى فقال : وأمر برجمه .

وبعد أن بين ابن القيم - رحمه الله - هذا الاضطراب في متن الحديث ، ووهم أحد رواته ذكر أن القرائن في هذا الحديث مع أنها دلت على خلاف الواقع ، إلا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد حكم القرائن أيضا ، وإلا فكيف أمر رسول الله ﷺ برجم المتهم الذى كان مغيبا للمرأة مع عدم اقراره ولم تقم شهادة على رؤية الزنا . قال : «فيقال - والله أعلم - إن هذا مثال إقامة الحد باللوث الظاهر القوى ، فإنه أدرك وهو يشتد هاربا بين أيدي القوم ، واعترف بأنه كان عند المرأة ، وأدعى أنه كان مغيبا لها ، وقالت المرأة : هو هذا . وهذا اللوث ظاهر ، وقد أقام الصحابة حد الزنا والخمر باللوث الذى هو نظير هذا أو قريب منه وهو الحمل والرائحة . . . ولما انكشف الأمر بخلاف ذلك تعين الرجوع إليه ، كما لو شهد أربعة بزنا المرأة لم يحكم برجمها إذا ظهر أنها عذراء أو ظهر كذبهم»<sup>(٢)</sup> .

(١) الطرق الحكمية ٦٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٠ - ٧١ .



يتبين من هذا أن الإمام ابن القيم يرى أن هذين الأثرين لا يمنعان العمل بالقرينة، إنما يؤيدان الحكم بالقرائن إذ أنه عليه السلام أمر بجرم الرجل الذي وجد عند المرأة وادعى أغاثتها وليس هناك ما يدعوه إلى اصدار هذا الحكم بالرجم إلا القرائن الظاهرة. ويرى ابن القيم أن في هذا الحديث تأييدا لمذهبه القاضى باعمال القرائن فى اثبات الحدود .

### رأينا فى الموضوع :

تبين مما سبق أن الحديث الذى استدل به من رفض القرينة اختلفت فيه أقوال الرواة فظهر الاضطراب فى متنه ، ومع ذلك ففيه الدلالة على تحكيم القرائن . وكذلك الأثر المروى عن على - رضى الله عنه - وأعوانه فيه اتهام بنقصان الرواية حيث لم تبين كل ظروف القضية المطروحة ، ومع ذلك فمن رأى أن القرائن فى هذا الأثر مع أنها دلت على خلاف الواقع إلا أن فيه دلالة على اعمالها أيضا ، فالمتهم الأول بالرغم من أنه لم يرتكب الجريمة إلا أنه علم أنه لا يستطيع دحض القرائن الظاهرة فأثر الاعتراف بما لم يجنه . ونفس هذه القرائن هى التى جعلت عسكر على - رضى الله عنه - يلقون القبض على المتهم ولو لم تكن القرائن دليلا فى الدعوى لما قبضوه ولما ذكروا أنه القاتل . وإلا كيف يكون الحال إذا وجدنا رجلا مذبوحا وإلى جواره آخر يحمل سكيننا مضرجة بالدماء ثم نتركه لاحتمال أن يكون القاتل غيره ، فإن صح وجود قاتل غيره كما فى هذا الأثر فإنه فى حكم النادر .

ففى اعتقادى أنه لا خلاف فى أن القرائن لا تخلو من بعض الاحتمالات التى توهن اعتبارها وتضعفها كدليل ، ولكن يمكن القول بأن هذه الاحتمالات - كما تدخل فى القرينة - قد تدخل فى غيرها من طرق الاثبات فالبينة قد يتطرق إليها كذب الشهود أو نسيانهم ، والاقرار قد يدخل الغرض وتحقيق مصلحة ذاتية ، ومع ذلك لم يبلغ الشارع الحكيم اعتبارهما واعتمادهما كأدلة للاثبات لتوهم هذه الاحتمالات ، فالشريعة لها الظاهر والله يتولى السرائر . فإذا كان الاحتمال قد يدخل فى أقوى الحجج الشرعية ، فليس هو بحجة يمنع بها اعتبار القرائن ، وكما يكون هناك ضحايا فى القرائن فى مثل هذه الاحتمالات ، فلا تخلو الأدلة الأخرى أيضا من ضحايا .

ولكن هذه الاحتمالات ليس هى الغالب فى أحوال القرينة كما أنها ليست الغالب فى الاقرار والبينة . والشارع الحكيم قد عول على الظاهر ودلالة الحال فى مواطن كثيرة لا يمكن تجاهلها منها ما ذكرنا ومنها ما لا يتسع المجال لذكره . والرسول عليه الصلاة والسلام يقول :

«إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايان»<sup>(١)</sup>. فجعل الشهادة على إيمانه مبنية على الظاهر من حاله وهو ارتياد المساجد. وما الحكم بعدالة الشهود إلا بناء على الظاهر من حالهم، فالغالب من الأحوال أن الظاهر يطابق الواقع. أما الاحتمال فهو في حيز التوهم، فيجب ألا نلغى بالتعويل على القرائن لمجرده. ثم أننا بهذا القول الذي نطلب فيه من القاضى النظر إلى القرائن والأمارات نشترط عليه انعام النظر والفكر والتثبت فلا يحكم بالقرائن الضعيفة المتهاففة التي لا يقوى بها الظن على ظهور الحكم. فلا بد أن يؤسس حكمه على قرائن ظاهرة يتبين فيها وضوح الدلالة وقوة الحجة بحيث يكون مطمئنا لذلك الحكم منشرح الصدر.

ثم إن هؤلاء المانعين للعمل بالقرائن إذا كانوا قد عاشوا في مجتمعات سليمة غلب على الناس فيها الأمانة والصدق والورع، مما جعلهم يتورعون إلى هذا الحد ويوجبون على القاضى ألا يتعدى في أدلته على المذكور، فإن أعراف اليوم قد تغيرت تماما، وتعدت أسلوب الحياة، ومع هذا التعقيد انعدم الضمير والوازع، وانتشر الفساد وضرب أطنابه، وتكونت للسلب والنهب والسطو عصابات وجمعيات ليس في البلد الواحد فحسب بل أصبحت لها شبكات وفروع عالمية، وانتشرت دعاوى التزوير والغش، وسهل التعدى على النفس والعرض والمال، وكل ذلك يتم وقل أن يكون في حادثة منها شاهد عيان واحد، أو إقرار ممن قام بها، وليس هناك من الوازع الدينى أو الأخلاقى ما يجعل المتهم يقربحق عليه أو جريمة ارتكبها، ولو تركناه لليمين لخلقها وحلف عليها ألفا أنه ما فعل ولا أخذ. فلو قصرنا الإثبات على الأدلة المذكورة لما ثبتت جريمة ولا استخلص حق. ولعمري أن رجال هذا المذهب - مع قلتهم بالنسبة للقائلين بالقرائن - لو وقعت عليهم مثل ما يقع اليوم من الحوادث والقضايا، أو لو أنهم عاشوا حتى رأوا ما نرى لما توقفوا في الإفتاء بما يوافق متطلبات هذه الحوادث والمنازعات، خصوصا وقد عرف منهم حرصهم الشديد على إقامة الحق والعدل.

ثم إنه مع هذا التقدم العلمى الذى يشهده عالم اليوم أمكن التوصل إلى قرائن قوية تبين الحق وتعين على فهم الدعوى كالتحليلات العملية من فحص للدم وغيره ومطابقة بصمات الأصابع ومضاهاة الخطوط وغير ذلك. فإننا إذا أهملنا هذه القرائن وألقينا بها في البحر بحجة ما يتطرق إليها من الاحتمال لعرضنا الشريعة الإسلامية لتهمة الجمود وعدم

---

(١) سنن الدارمى ١/٢٢٢ وفي تخريج أحاديث الدارمى يقول عبد الله هاشم البيهقي: رواه أيضا أحمد والترمذى وقال: «حديث حسن غريب» وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد.

مسايرة العصر، وهذا ما لم يقله إلا المكابر، فهي شريعة كل وقت وقانون كل جيل، وما هذه الفتاوى المأخوذة من أصولها المعروفة إلا دليل مرونتها وقابليتها لحكم الأجيال المتعاقبة .  
وعليه فإنه لا مناص من الأخذ بالقرائن والرجوع إليها في بناء الأحكام القضائية إذ لم يكن من دليل غيرها وفقا على فتوى الكثيرين من الفقهاء - كما رأينا وسنرى إن شاء تعالى .

على أننا حينما نؤيد الأخذ بالقرائن ونرى ضرورة مراعاتها عند بناء الأحكام القضائية لا نلقى هذا القول على عواهنه ونطلقه بلا حدود، فالقرائن التي نرى الاحتكام إليها هي تلك القرائن التي تكون واضحة الدلالة في الدعوى ظاهرة في محل النزاع، لا القرائن الضعيفة التي يتسع فيها باب الشك والاحتمال .

كما أننا نرى ضرورة المحافظة على مقاصد الشرع الحكيم ومراعاة منهجه في الإثبات، فالدعاوى التي تكون منهج الشارع فيها التشدد في الإثبات والحيلة في تطبيق عقوباتها كجرائم الحدود ينبغي ألا يكون هناك توسع في اثباتها أو أعمال للقرائن لدرجة يخل بنظام الشارع، إذ أن هذا النوع من القضايا ليس متروكا لاقتناع القاضي بارتكاب المتهم للجريمة، ولذا فقد جعل له الشارع نظاما مقيدا في الإثبات، وزاد في أمر التثبت والنظردون ماهو معهود في غيرها من القضايا، كما طلب من القاضي أن يفسر كل شك يطرأ في الدعوى لصالح المتهم، فإذا وجد أى شبهة تصرف الحد عن المتهم دفع عنه الحد لأن الحدود تدرأ بالشبهات .

#### القرائن في نصوص الفقهاء :

ليس مقصودى في هذه الفقرة أن أسجل دراسة نصية للقرائن عند الفقهاء فإن ذلك لا يتسع له المجال . ثم إنى قد جعلت هذه الدراسة في كتاب أعد لطبعه بإذن الله تعالى . تناولت فيه أنواع القرائن وتطبيقاتها على الدعاوى سواء كانت دعاوى الجنائيات أو المعاملات أو الدعاوى التي تقع في دائرة الأحوال الشخصية كما تناولت فيه نظرة الفقه الإسلامى للقرائن المستحدثة التي أبرزتها العلوم المعاصرة . أما الذى أقصده من هذه الفقرة أن أبين فى عجلة ملاحظاتي عن تلك الدراسة .

الناظر في مذاهب الفقهاء يبدو له من أول وهلة أن الفقهاء على فريقين، فريق يرى عدم الاعتداد بالقرينة ويقول أنها لا تصلح حجة في بناء الأحكام القضائية وفريق آخر يراها حجة يجوز للقاضي عدها من أدلة الإثبات والفصل في الدعوى بناء على دلالتها .

لننظر مثلاً في هذا النص الذي نقلناه عن العلامة الحنفى ابن نجيم المصرى يقول في كتابه البحر الرائق: «إعلم أنه قد ظهر من كلام المصنف أن طرق القضاء ثلاثة: بيعة، واقرار، ويمين ونكول عليه. أو القسامة أو علم القاضى بما يريد أن يحكم به... قال ابن الغرس ولم أره حتى الآن لغيره أو القرائن الدالة على ما يطلب الحكم به دلالة واضحة بحيث تصيره في حيز المقطوع به، قال الخير الرملى - أى عن قول ابن الغرس في القرائن - هذا غريب خارج عن الجادة فلا ينبغي التعويل عليه ما لم يعضده نقل من كتاب معتمد<sup>(١)</sup>.

هذا النص يبين لنا اختلاف فقهاء المذهب الحنفى في الاحتجاج بالقرينة، ولكن عند التحقيق نجد أن فقهاء المذهب الحنفى قد اتفقوا على الاعتداد بالقرائن في بعض المواضع، ولذا فإننا نقول إنه لا يخلو مذهب من هذه المذاهب من الاحتجاج بالقرينة. ولكن هذا الاحتجاج يختلف من مذهب لآخر، فبينما يتسع مداه عند فقهاء المالكية ومتأخرى الحنابلة ليشمل اعمال القرائن في الحدود والقصاص، يضيق لدى فقهاء الشافعية والظاهرية الذى اقتصدوا في الاحتجاج بها ولم يأخذوا بها إلا حيث بلغت من القوة مبلغ اليقين وأصبح عدم الأخذ بها يخالف بداهة العقول أو يخالف النص الصريح.

ونسبرهن على صحة هذا القول بعرض موجز لبعض القرائن التى تحدث عنها الفقهاء، وساكفى بسرد موجز لأرائهم مشيراً إلى المواطن التى اعتمدت عليها في النقل عنهم حتى يتمكن من يريد الاستزادة في هذا الخصوص من الرجوع إلى هذه المصادر.

#### (أ) قرينة الحيازة ودالتها على الملك :

والحيازة هى وضع اليد على الشئ والاستيلاء عليه<sup>(٢)</sup>. ولا فرق بين الحيازة ووضع اليد عند فقهاء الشريعة إذ المقصود هو الاستيلاء على الشئ بصورة مختلفة. فإذا وضع شخص يده على دار أو أرض تصير تلك الدار أو الأرض في حيازته، وترتب على ذلك حماية تلك الحيازة واحترامها، وعد ذلك المال المحاز من أملاكه وذلك بناء على أمرين هامين :

الأول : القاعدة الفقهية التى تقضى بأن «الأصل فى الإنسان البراءة» وأن الناس محمولون على السلامة، فما لم يثبت أن الشخص مقيد أو غاصب فالأصل أنه برىء .

(١) البحر الرائق ٧/٢٠٥ وانظر بهامشه منحة الخالق وكذلك رسائل ابن عابدين ٢/١٢٨ .

(٢) الشرح الكبير للدرديرى بهامش حاشية الدسوقى ٤/٢٣٣ .

الثانى : ما جرت عليه العادة وما عرف من غالب أحوال الناس أنهم يتصرفون في أملاكهم، فإذا حاز الإنسان شيئاً وتصرف فيه، فالغالب أنه يتصرف في ملكه ما لم يرق دليل على عكس ذلك .

وبناء على ذلك فإن أقل أحوال ثبوت هذه اليد عند الفقهاء أنها تفيد الملك كما يدل عليه ظاهر الحيازة، وعليه فإنه يجب حماية هذه الحيازة وذلك بعدم انتقال الملكية من الحائز إلا بناقل أرجح من هذه القرينة الظاهرة، أى قرينة الحيازة، والناقل الأرجح عند الدعوى هو إما الاقرار أو البينة أو قرائن أخرى تكون دلالتها أقوى من دلالة الحيازة وأظهر في حجيتها من دلالة الظاهر .

هذا المعنى في الحيازة متفق عليه بين الفقهاء . ومن أهم مميزات هذه القرينة أنها وضعت حلاً للمشكلات التى تبدو في سبيل تمييز المدعى من المدعى عليه، مستفيدين بذلك من دلالة الظاهر التى تفيد أن الحائز يتصرف في ملكه، وعلى مدعى الملكية في مواجهة الحائز اثبات دعواه<sup>(١)</sup> .

#### (ب) قرينة الاستعمال وقرينة الصلاحية :

قلنا إن الفقهاء اتفقوا على أن الحيازة قرينة على الملكية لما تدل عليه شواهد الأحوال، غير أن الحيازة وحدها قد لا تضع حداً لكثير من المنازعات، وخاصة إذا كان الشئ المتنازع عليه في أيدي المتداعيين يستعملانه أو يتجاذبانه بحيث تكون يد كل واحد منهما عليه، لم يقف الفقهاء عند ذلك مكتوفي الأيدي إنما رجعوا للقرائن المرجحة، والقرائن المرجحة هى :

#### (١) قرينة الاستعمال :

وفكرة هذه القرينة تقوم على أساس أن اليد دليل الملك كما قدمنا، فإذا تداعا اثنان في الشئ وكان في يد أحدهما، قدم من كان في يده إذا لم يقدم المدعى بينة استحقاقه للشئ المتنازع فيه، فيترك لمن كان في يده، أما إذا تداعيا الشئ وكان في أيديهما، يقوم من كان استعماله للمال المحاز أظهر، ذلك أن الحيازة تقوم على أساس استعمال المال والتصرف فيه، إذ لا معنى لحيازة الشئ دون تصرف فيه، فالأموال جعلت للاستفادة منها . ومن ثم قالوا :

(١) يراجع في فقه المذاهب الأربعة والظاهرية مايلي : بدائع الصنائع للكاساني ٢٦٧/٦ . المبسوط للسرخسي ٣٤/١٨ . قوانين الأحكام الفقهية لابن جزى المالكي ص ٣٢٢، البهجة شرح التحفة للتسولي المالكي ٢٥٤/٢، مختصر المزني بهامش الأم للشافعي ١٦١/٥، شرح زكريا الأنصاري على متن البهجة لابن الوردي ٢٣٥/٥ المغني لابن قدامة ٢٣٠/١٠ المحلى لابن حزم ٥٣٣/٩ .

كلما كان أحد المتداعيين مستعملا للمال المتنازع فيه ، ومتصرفا فيه تصرفا يميزه عن الآخر بحيث يجعل سيطرته عليه أكثر وأرجح ، ترجح جانبه وقضى له بناء على قرينة استعماله لهذا المال .

ويظهر جليا اعتداد فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية بهذه القرينة في المسائل التي بحثوها في باب «مسائل الحيطان» أو باب «التنازع بالأيدى» أو باب «الشهادات» أو باب الدعوى والبيئات . ومن المسائل التي ظهر فيها اعتدادهم بهذه القرينة ، قولهم : إذا تداعيا حائطا وكان لأحدهما عليه جذوع ولا شيء للآخر يقضى به لصاحب الجذوع لأنه مستعمل للحائط والاستعمال دليل الصدق . وإذا تنازعا في دار يقدم ساكن الدار على الذى لا يسكنها . ومن حفر فيها بئرا أو أحدث فيها بناء يقدم على غيره . وإذا تنازعا دابة يقدم ركبها على المتعلق بلجامها . كل ذلك مع الاستهداء بما يقضى به العرف وشواهد العادات في مثل هذه الأحوال (١)

ومن الذين اقتصدوا في الاعتداد بهذه القرينة ابن حزم الظاهري فيرى فيما ذكرنا أن يد المتنازعين متساوية فيقسم المتنازع فيه بينهما (٢) .

### قرينة الصلاحية :

وتقوم فكرة هذه القرينة على أساس ترجيح أحد الجانبين بناء على صلاحية الشيء المتنازع فيه لأحد المتداعيين ، يعنى أن يكون ذلك الشيء ملائما له بحسب العرف والعادة ، كأن يكون أداة صنعته أو آلة حرفته ، أو من مستلزمات مظهره حسب نفوذه أو مركزه في المجتمع وما عرف به بين الناس ، ومن أمثلة ذلك الجلد للدباغ أو العطر للعطار أو السفينة للملاح أو الفرس للأمير وذى الجاه وغير ذلك من الأشياء التي تصلح لأحد الجانبين ، في الوقت الذى يكون هذا الشيء ليس من مستلزمات أو أداة حرفة للجانب الآخر ، وكما قلت أن أثر هذه القرينة يبدأ حينما يكون أيدي المتداعيين متساوية على الشيء المتنازع فيه .

وقد قال بالترجيح بهذه القرينة فقهاء المالكية والحنفية والحنابلة ، ومنع من الترجيح بها الإمام الشافعي وابن حزم الظاهري بحجة أن ذلك يخالف قاعدة الدعوة من أن كل من يدعى حقا فعليه اثبات دعواه ولا ينظر لصلاحية المدعى به له أو لغيره (٣) .

(١) جامع الفصولين فقه حنفى ٢/٢٧٧ ، المبسوط ١٧/٨٨ فتح القدير ٦/٢٥١ الفروق للقرافي ٤/١٠٣ المعنى ٩/٣٢٤ المهذب للشيرازى ٢/٣١٦ ، الطرق الحكمية ١٣٤ .  
(٢) جواهر الروايات للبيضاوى الحنفى ص ٤٣ . مجموعة رسائل ابن عابدين ٢/١٢٧ الفروق للقرافي ٢/١٥٠ الطرق الحكمية ص ١١١ - ١١٤ الأم للشافعي ٥/٩٥ . المهذب للشيرازى ٢/٣٣٥ . المحلى لابن حزم ٩/٥٣٣ .

(ج) فى دعوى ملكية اللقطة أخذ الفقهاء بقريضة مطابقة الوصف دليلاً على ملكية الواصف - بمعنى أن الواصف لللقطة إذا ذكرها وصفاً مطابقاً للواقع ، جاز للملتقط تسليمه اللقطة ، ومن ثم لا يلزمه ضمان المال إذا اتضح أن الواصف ليس هو المالك عند المالكية والحنابلة والظاهرية وهو الصحيح فى نظرى . ويلزم بالضمان عند الشافعية(١) .

(د) قريضة التهمة أدت إلى تقييد تصرفات المريض فى مرض الموت ، فلا تنفذ تصرفاته المنجزة سواء أكانت تبرعية أم بعوض إلا فى حدود ثلث أمواله مراعاة لحق ورثته . خالف فى ذلك ابن حزم الظاهرى ، ولم يعتد بقريضة التهمة وجعل تصرفات المريض نافذة كتصرفات الأصحاء . ورأى الجمهور هو الظاهر الغالب(٢) .

(هـ) لم يعتد جمهور الفقهاء بالقريضة فى إثبات الحدود ، وذهب فقهاء المالكية وابن تيمية وابن القيم وهو قول عن الإمام أحمد إلى القول بثبوت الحدود ببعض القرائن وهى قريضة الحمل فى الزنا فى المرأة التى لا زوج لها ولا سيد ، وقريضة الرائحة أو السكر أو القىء فى حد الخمر ، والتعريض مع دلالة القرائن الأخرى فى حد القذف . ولكل من الفريقين أدلة تؤيد مذهبه ، أقواها من جهة النقل أدلة المانعين لإثبات الحدود بالقرائن(٣) .

(و) يقول فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة إن الوسيلة المستخدمة فى القتل تدل على القصد الجنائى أو العمدية فإذا استخدم القاتل وسيلة معدة للقتل كالسلاح أو آلة تقتل غالباً كان ذلك قريضة على العمدية ، وكان القتل قتلاً عمداً ، ولم يأخذ بفكرة الوسيلة هذه مالك وابن حزم(٤) .

(ز) أخذ الفقهاء بالقرائن فى إثبات القسامة ، وهى اللوث عند جمهور الفقهاء وقريضة وجود القتل فى محله قدم عن الحنفية(٥) .

(ح) فى مجال إثبات الحقوق المترتبة على عقد الزواج يعد فقهاء الحنفية والحنابلة الخلوة الشرعية قريضة على الدخول الحقيقى ، فإذا ما ثبتت خلوة الرجل بزوجه خلوة

(١) كشف القناع للبهوتى ٢٢٠/٤ شرح الخطاب ٧٠/٦ المحلى ٢٩٦/٨ .

(٢) راجع مقالنا فى العدد ٥٩ من المجلة .

(٣) مختصر خليل وشرح الخطاب ٢٩٤/٦ ، الموطأ وشرح الزرقانى ١٥/٤ . السياسة الشرعية ابن تيمية ص ١١١ .

(٤) اعلام الموقعين ٣٧٤/٤ ، المغنى ٢١١/٨ ، المحلى ٣٣٩/١١ ، فتح البارى ١٢/١٣٠ .

(٥) الزيلعى على متن الكنز ٩٧/٦ الدر المختار ٤٤٦/٥ حاشية الشرقاوى . وتحفة الطلاب ٣٥٧/٢ كشف القناع ١٥١/٥ .

(٥) المهذب ٣٣٨/٢ تبصرة الحكام ٢٥٥/١ الخرشى ٥٦/٨ المغنى ٦٨/٨ .

صحيحة - وهى التى ينعدم فيها المانع الحقيقى الذى يمنع اتصاله بها كمرضه أو مرضها أو المانع الشرعى كالصوم أو الاحرام فى الحج أو المانع الطبيعى كوجود شخص ثالث - فالغالب أنه يجامعها . ولما كان اثبات هذا الجماع أمرا متعذرا قال هؤلاء بأنه يكفى المرأة اثبات الخلوة الصحيحة ، لتبالم حقوقها فى اثبات المهر وثبوت النسب والعدة ، ووجوب النفقة والسكنى وغير ذلك ، وجعل المالكية أيضا الخلوة قرينة على الوطاء ولذا قالوا لن تصدق المرأة فى دعواها الوطاء وعليها اليمين<sup>(١)</sup> .

وجعل الفقهاء كذلك قرينة الصلاحية معيارا لفض النزاع بين الزوجين فى متاع البيت وذلك بجعل ما يصلح للرجال من كتب وسلاح وغيره للرجل ، وما يعرف أنه من متاع النساء كالخلى والمغازل فهو للمرأة . خلافا للإمام الشافعى الذى لا يرى فض النزاع بالصلاحية<sup>(٢)</sup> .

وفى إثبات النسب بالقرائن ، أخذ الفقهاء من قرينة قبول الرجل التهنئة وشراء لوازم الولادة قرينة على أن الولد منه ، وقبل الحنفية وصف العلامة فى ثبوت نسب اللقيط . كما عد فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة والظاهرية قرينة القافة - أى النظر إلى الشبه - دليلا على ثبوت النسب . وخالف فيها فقهاء الحنفية<sup>(٣)</sup> .

(ي) قال فقهاء المالكية والحنابلة بثبوت الوقف بالقرائن ، فثبت وقف المسجد الذى بناه صاحبه وأذن بالصلاة فيه وإن لم يصرح بأنه وقف لأن القرائن تدل على الوقفية ، ويثبت وقف الفرس إذا كان موسوما بعلامة الوقف ، وتثبت وقفية كتب المدرسة التى يوجد عليها كتابة الوقف<sup>(٤)</sup> .

والحق أن القرائن التى حفلت بها كتب الفقهاء كثيرة ، ولكنى اكتفى بهذا القدر لعلنى أكون به قد أبرزت جانباً من أهمية القرائن ، وأنها دليل قوى قد يصل إلى درجة القطع ، وأنا إذا أغفلناه نكون قد عطلنا مدركا هاما من مدارك الأحكام ، فنعرض بذلك نظام الإثبات فى الفقه الإسلامى لتهمة الجمود ، كما أننا إذا افرطنا فى استخدامها نكون قد ضيعنا كثيرا من الحقوق .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الأمين .

(١) الفتاوى الطرسوسية ص ٤٠ المغنى ٦/٧٢٤ . تبصرة الحكام ١/٢٥٢ .  
(٢) المسبوط ٥/٢١٣ ، البدائع ٢/٣٠٩ الفروق ٢/١٥١ ، مختصر الخرفى والمغنى ٩/٣٢٠ ، الأم ومختصر المزنى ٥/٩٥ .  
(٣) المسبوط ٦/٢٩٩ ، البدائع ١٠/٢١٧ ، نهاية المحتاج ٨/٣٥٢ زاد المعاد ٤/١١٦ الفروق ٣/١٢٥ .  
(٤) تبصرة الحكام ٢/١٠٠ معين الحكام ص ٣٠٥ .



# الإمداد بأحكام الحداد

- ١ -  
للشيخ فحمان بن أبي المطر  
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

الحمد لله الكريم المنان المتفرد بصفات الكمال والجلال وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القوى المتعال وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله أكرم من مشى على وجه الأرض وتحت اديم السماء .

أما بعد : فقد كرم الله ابن آدم وميز بينه وبين سائر الحيوانات بنعمة العقل التي يفرق بها بين الخير والشر والضار والنافع فالإنسان يفكر ويتفكر ويأخذ ويعطى على حسب ما يراه من المصلحة ونتيجة لهذا العقل فهو يتفاعل مع المجتمع ويقيم الروابط بينه وبين الآخرين ومن أهم هذه الروابط وأجلها رابطة الزوجية التي قال عنها القرآن الكريم ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ ( الروم : ٢١) . فأى نعمة أعظم من هذه النعمة؟ . التي تكون بين الزوجين بسبب الرابطة الزوجية ولهذا فإن الشارع الحكيم جعل لكل منهما حقوقاً على صاحبه . فالزوجة لها حقوق على الزوج عظيمة لا يسمح له الشرع بالاخلال بشيء منها والانتقاص منها وكذلك الزوج له حقوق عظيمة على زوجته لم يجعل الشارع سبيلاً للزوجة كي تعبت بها وهي لا تستحق الإكرام إلا إذا قامت بهذه الحقوق خير قيام وهذا كله دليل على سماحة الشريعة الإسلامية وحرصها على جمع الكلمة وتقوية الروابط الفردية والاجتماعية وتأسيس الحياة الزوجية على أساس قوى يكتب له البقاء رداً من الزمن وفي هذا سعادة المجتمع وسعادة الفرد ولهذا وغيره من الأسباب أوجب الله الحداد على المرأة في حق زوجها المتوفى إظهاراً لحق الزوج ووفاءً بالعهد الذي كان بينهما على حد قوله تعالى ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ . (البقرة : ٢٣٧) .

نعم إن الفضل لا ينسى بين المسلمين وإنما يذكر أصحاب الفضل بالفضل . فالزوجة لا تنسى فضل زوجها وما كان بينهما من المحبة والمودة والعشرة الطيبة فمن الوفاء كل الوفاء القيام بحقه حياً وميتاً .

ومن هذا المنطلق فقد ساهمت بهذا الجهد المتواضع خدمة للشريعة الإسلامية فطالما كنت أفكر في الكتابة في هذا الموضوع لما له من الأهمية في حياة الفرد المسلم اليومية والموت سنة إلهية لا ينكرها أحد حتى أولئك الذين لا يعترفون بالإسلام ديناً، نجد أنهم لا ينكرون هذه السنة الإلهية فربما فقدت المرأة زوجها قبل الدخول أو بعده فتكون محتاجة إلى معرفة الأحكام المتعلقة بالإحداذ ولا تجد ما يحقق رغبتها اللهم إلا ما كان مبعثراً في المصادر القديمة مما يتعلق بالإحداذ وقد عازمت على الكتابة في هذا الموضوع تيسيراً وتسهيلاً على من يحتاج إلى ذلك مسترشداً بأفكار المتقدمين على ضوء الدليل والاستدلال والمناقشة وقد زادني رغبة سؤال أتاني من فتاة تدرس في معهد التمريض للبنات مفاده أن زوجها توفي عنها في حادثة سيارة قبل الدخول. فهل يجب عليها الإحداذ؟. ثم إذا كان يجب عليها فهل يجوز لها الخروج للدراسة وتأدية الامتحان. بالرغم من انه لا يوجد لها عائل يعولها؟. فأجبتها حسب علمي وأحلتها على شيخنا ساحة الوالد عبد العزيز بن عبد الله بن باز ليطمئن قلبي وقلبها وبحمد الله أفتاها بمثل ما أفتيتها به ومن هنا عقدت العزم على الكتابة وبدأت في جمع المادة من مصادرها وتقريبها في هذا البحث راجياً الله عزوجل أن ينفع به كل من قرأه واطلع عليه، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير .

أما أسلوب البحث فهو يتلخص في ما يأتي :

- (١) أذكر مذاهب الفقهاء الأربعة ما وجدت إلى ذلك سبيلاً معتمداً على المصادر المشهورة في كل مذهب ثم اعرج على المذاهب السنية الأخرى تتمياً للفائدة .
- (٢) اعرض المسألة وما فيها من الاختلاف فأذكر القول ودليله ومناقشة أدلة القول المرجوح ثم أخلص إلى الراجح حسبما يظهر لي ولا اعتمد في القول الراجح على ترتيب معين .
- (٣) أعزو الآيات والأحاديث والآثار إلى مصادرها فالآيات أعزوها إلى سورها في المصحف الشريف والأحاديث أعزوها إلى كتب المحدثين والآثار إلى كتب المحدثين وقد أكتفى بعزوها إلى كتب الفقه أحياناً .
- (٤) أجعل الفصل على مباحث والمبحث على مطالب والمطلب إلى فروع ما وجدت إلى ذلك سبيلاً حسبما يتطلبه ذلك الفصل .
- (٥) اقتبست أكثر أحكام الإحداذ من الأدلة التي تفيد إيجاب العدة على المتوفى عنها واستفدت من أقوال الفقهاء في هذا الباب وإلا فالأحكام التي ذكرت عن الإحداذ قديماً

قليلة جداً لا تتجاوز عشر صفحات في المطولات وإنما فعلت ذلك لكون الحداد وعدة المتوفى عنها - شقيقين - فهو يجب حيث تجب وينعدم حيث تنعدم ، ولم أجد من أفرد بالتأليف قبلي وأحسب أن هذا البحث باكورة ما كتب فيه .

أما الخطة فبينتها على ستة فصول وخاتمة ، الفصل الأول معنى الإحداد ، والفصل الثاني حكم الإحداد ، والفصل الثالث شروط الإحداد ، وفي هذا الفصل المباحث الآتية المبحث الأول كون الحادة عاقلة ، المبحث الثاني في اشتراط البلوغ ، المبحث الثالث في شرط الإسلام المبحث الرابع هل من شرط وجوب الحداد كونه من الوفاة؟ المبحث الخامس هل من شرط وجوب الحداد كون النكاح صحيحاً؟ . الفصل الرابع في أقسام الحداد والكلام فيه في مبحثين . الأول في الحداد الجائر والمبحث الثاني في الحداد الممتنع وقسمت كل مبحث إلى قسمين . الفصل الخامس في زمن الحداد وفيه مبحثان . المبحث الأول زمن الحداد على القريب الميت ، المبحث الثاني زمن الحداد على الزوج وفيه مطالب . المطلب الأول عدة غير ذات الحمل وفيه مسائل مبيّنة في موضعها ، المطلب الثاني في سبب وجوب الحداد ، المطلب الثالث في شرط وجوب عدة المتوفى عنها ، المطلب الرابع في وجوب الحداد على المطلقة إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها من الطلاق ، المطلب الخامس في إحداد المتوفى عنها الحامل ، الفصل السادس الآثار المترتبة على الحداد ، وفيه مباحث . المبحث الأول في الطيب ، المبحث الثاني عدم تزين المرأة في نفسها ، المبحث الثالث في زينة الثياب ، المبحث الرابع في منع الحادة من الحلوى ، المبحث الخامس في سكنى الحادة وفيه مطالب . المطلب الأول في مبيت الحادة في منزلها ليلاً ، المطلب الثاني خروج الحادة من منزلها نهاراً ، المطلب الثالث في وجوب السكّنى وعدمها سكن الحادة ، المطلب الرابع في نفقة الحادة

وأما الخاتمة فقد تكلمت فيها على النتائج التي ظهرت لى من خلال البحث وإليك تحرير المقام في ذلك كله .

### الفصل الأول : معنى الإحداد :

الإحداد له معنى في اللغة ومعنى في الاصطلاح أما معناه لغة فهو المنع لأن الإحداد صفة تتعلق بالمرأة المحدة فهو يمنعها من كثير مما كان مباحاً لها قبله . قال في القاموس : الحاد والمحدة تاركة الزينة للعدة تقول حَدَّتْ تَحِدُّ وَتَحِدُّ حِدًّا وَحِدَادًا وَأَحَدَتْ<sup>(١)</sup> ومنه سمي البواب

(١) انظر القاموس المحيط ج ١ ص ٢٩٦ (٢) فتح الباري ج ٩ ص ٤٨٥ .

حداداً لمنعه الداخِل وسميت العقوبة حدّاً لأنها تمنع عن المعصية وأما معناه في الاصطلاح فهو أن تجتنب المرأة المعتدة المتوفى عنها زوجها كلما يدعو إلى نكاحها ورغبة الآخرين فيها من طيب وكحل ولبس ومطيّب وخروج من منزل من غير حاجة .

قال ابن درستوية : «معنى الإحداد منع المعتدة نفسها الزينة وبدنها الطيب ومنع الخطاب خطبتها والطمع فيها كما منع الحد المعصية»<sup>(١)</sup> .

وقال الزيلعي : وهو «أى الإحداد» ترك الزينة والطيب<sup>(٢)</sup> .

ونشير هنا إلى أن الإحداد فيه لغتان وهما احدث احداداً فهي محدة فهذا من باب افعال، والثاني تحد من باب ضرب يضرب، ونصر ينصر، حدّاً فهي حاد<sup>(٣)</sup> .

هذا ما يمكن أن يقال عن معنى الاحداد ومنه يتبين ما بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحى من العلاقة فالمعنى اللغوى أعم من المعنى الاصطلاحى لأنه يراد به المنع مطلقاً .

أما المعنى الاصطلاحى فيراد به منع المعتدة من أمور خاصة إلى غاية معينة محدودة وهى مدة العدة .

فالعلاقة بين المعنيين علاقة عموم وخصوص كما ترى وهذا هو الشأن في معظم الأحكام التى لها معنى فى اللغة ومعنى فى الاصطلاح إن لم نقل كلها . . .

### الفصل الثانى : فى حكم الإحداد :

هذا وبعد عرض المعنى اللغوى والاصطلاحى للإحداد نرى أنه من المفيد أن نذكر حكمه لأن ذلك هو الهدف الأول من دراسة ما يتعلق به من أحكام بالنسبة للمرأة إذا توفرت شروطه فنقول اتفق كل من يعتد بقوله من أئمة الفتوى على وجوب الإحداد على المرأة التى مات زوجها من غير فرق بين ما إذا كانت مدخولاً بها أو غير مدخول بها بل هو واجب على الكل فلو أرادت المتوفى عنها زوجها تركه لم يكن لها ذلك لأن الواجب هو ما يثاب فاعله ويعاقب تاركه فى اصطلاح الأصوليين، فالمرأة التاركة للإحداد آئمة ولاشك لما ستعرف قريباً من المنقول والمعقول واجماع الصحابة على وجوب الإحداد ولم أجد فى هذا المعنى خلافاً

(١) فتح البارى ج ٩ ص ٤٨٥ .

(٢) تبين الحقائق ج ٣ ص ٣٤ .

(٣) المصدر السابق .

اللهم إلا خلافاً شاذاً مروياً عن الحسن البصرى والشعبى وسنذكر هذا الخلاف تمييزاً  
للفائدة وتبييناً للحق ، إذن المنقول فى ذلك من مذهب الجمهور وهو المعتمد والمشهور  
والمعمول به ومذهب الحسن البصرى والشعبى .

ولنبداً بمذهب الجمهور ونذكر أدلتهم ونشئ بالمذهب المخالف مع الإشارة إلى أدلة  
هذا المذهب وما أورد عليها من المناقشات .

فتقول وبالله التوفيق : ذهب جمهور الفقهاء قديماً وحديثاً من الصحابة والتابعين ومن  
بعدهم إلى وجوب الإحداد على المرأة المتوفى عنها زوجها على تفصيل فى ذلك نذكره قريباً  
إنشاء الله تعالى (١) .

وإنما ذهب الفقهاء هذا المذهب للمنقول والمعقول وإجماع الصحابة . أما المنقول  
فنورد منه ما يأتى :

(أ) عن حميد بن نافع عن زينب بنت أم سلمة أنها قالت دخلت على أم حبيبة حين  
توفى أبوها أبو سفيان فدعت أم حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت منه جارية ثم  
مست بعارضيتها ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله ﷺ يقول  
على المنبر : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج  
أربعة أشهر وعشراً » . قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفى أخوها  
فدعت بطيب فمست منه ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله  
ﷺ يقول على المنبر : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث  
إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » . قالت زينب وسمعت أمى أم سلمة تقول جاءت امرأة  
إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله ان أبتنى توفى عنها زوجها وقد اشتكت عينها  
افنكحلها؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول لا . ثم قال إنها هى أربعة  
أشهر وعشراً » . متفق عليه مختصراً .

(ب) عن أم سلمة أن النبى ﷺ قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد  
فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشراً » (٢) .

فقد دل هذان الحديثان وما فى معناه على وجوب الإحداد على المرأة المتوفى عنها  
زوجها وهما نص فى الموضوع ووجه الاستدلال من ذلك هو قوله ﷺ : « إلا على زوج أربعة

(١) تبين الحقائق ج ٣ ص ٣٤ والمدونة الكبرى ج ٢ ص ٤٣٠ ومغنى المحتاج ج ٣ ص ٣٩٨ والكافى لابن قدامه ج

٣ ص ٣٢٦ .

(٢) صحيح البخارى ج ٧ ص ٧٦ وصحيح مسلم ح ١٤٨٦ وسنن أبى داؤد ج ٢ ص ٧٢٣ وجامع الترمذى ح

١١٩٧ وسنن نسائى ج ٦ ص ٢٠٦ وسنن ابن ماجه ح ٢٠٨٤ .

أشهر وعشراً» وهذا على معنى الإيجاب لا على معنى الإباحة لأن ذلك مستثنى من التحريم وهو قوله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد» وهذا يقتضى أن لفظة افعل وهو قوله أربعة تكون بعد الحظر على بابها وهو الإيجاب فالحظر هنا التحريم فاستثنى منه الإيجاب كما نرى خلافاً لمن قال من الفقهاء انها تقتضى الإباحة .

فإن قيل الاستثناء في الحديث وهو قوله ﷺ: «إلا على زوج . الخ» قد وقع بعد النفي فيدل على الحل فوق الثلاث على الزوج لا على الوجوب قيل إن الوجوب استفيد من دليل آخر بالاضافة إلى ما قلنا وهذا الدليل هو الاجماع وهو ما سنبينه فيما يأتى .

وأما الاجماع فإنه روى عن جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن عمر وعائشة وأم سلمة وغيرهم - رضى الله عنهم - القول بوجوب الإحداد ولم يعرف لهم مخالف في عصرهم فكان إجماعاً من الصحابة - رضى الله عنهم (١)

ومستند الاجماع هو ما ذكرناه من النصوص الدالة على وجوب الإحداد .

وأما المعقول فهو يفيد إيجاب الإحداد على المعتدة من الوفاة أيضاً لأن الحداد إنما وجب إظهاراً لحق الزوج على زوجته تأسفاً على ما فاتها من حسن العشرة ودوام الصحبة إلى وقت الموت زد على هذا أن الحداد يكون واجبا لسبب آخر وهو فوات النكاح الذى هو نعمة في الدين خاصة في حقها لما فيه من قضاء لشهوتها وعفتها عن الحرام وصيانة نفسها عن الهلاك بدرور النفقة وقد انقطع ذلك كله بالموت فلزمها الإحداد اظهاراً للمصيبة والحزن (٢) .

فهذا هو النص والاجماع والمعقول كلها قاضية بإيجاب الحداد إذا وجد سببه وهو بين كما ترى والله أعلم .

ثانياً : ذهب الحسن البصرى والشعبى إلى عدم وجوب الإحداد على المعتدة من الوفاة وهو قول شاذ مخالف لاجماع أئمة المسلمين ولهذا رده بعضهم فإن الخلال نقل بإسناده عن أحمد عن هُسيم عن داؤد عن الشعبى أنه كان لا يعرف الإحداد قال أحمد : ما كان بالعراق اشد تبجراً من هذين - يعنى الحسن والشعبى - قال أحمد وخفى ذلك عليهما . قال ابن حجر فى الفتح : بعد إيراده ما ذكر (ومخالفتها لا تقدر فى الاحتجاج وإن كان فيها رد على من ادعى الاجماع) (٣) .

(١) بدائع الصنائع ج ٣ ص ٢٠٩ ، والمعنى ج ٧ ص ٥١٧ .

(٢) بدائع الصنائع ج ٣ ص ٢٠٩ .

(٣) فتح البارى ج ٩ ص ٤٨٦ .

وقال ابن قدامة في المغنى بعد ان ذكر خلاف الحسن لأئمة الفتوى : (وهو قول شذ به عن أهل العلم وخالف به السنة فلا يعرج عليه<sup>(١)</sup>).

هذا ما أورده أهل العلم على هذا القول الشاذ وعلى فرض التسليم بثبوته فالاستدلال له بمايأتى :

(١) ما روى عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن اسماء بنت عميس قالت : لما أصيب جعفر بن أبى طالب قال لى رسول الله ﷺ : (٢) تسليبي ثلاثا ثم اصنعى ما شئت (٣). (أخرجه أحمد).

(٢) عن اسماء بنت عميس أنها استأذنت النبى ﷺ أن تحمد على جعفر وهى إمراة فأذن لها ثلاثة أيام ثم بعث إليها بعد ثلاثة أيام أن تطهرى واكتحلى (٤).

فهذا دليل على عدم وجوب الإحداد على المعتدة من الوفاة أكثر من ثلاثة أيام وهو نص فى محل النزاع والجواب عن هذا الاستدلال من وجوه .

الوجه الأول : أنه شاذ لا يحتج به ولا يصلح عمدة لاثبات الأحكام قال ابن المنذر مجيبا عن ذلك : (وقد دفع أهل العلم هذا الحديث بوجوه وكان أحمد بن حنبل يقول هذا شاذ ولا يؤخذ به وقاله اسحق<sup>(٥)</sup>).

الوجه الثانى : أن هذا الحديث مخالف للأحاديث الأخرى الصحيحة ولعلها لم تبلغ القائلين بهذا القول إذ إنها لو بلغتهم لم يسعهم إلا التسليم لأنه لا يصح لمسلم كائنا من كان يبلغه حديث رسول الله ﷺ دال على حكم من الأحكام إلا القبول والتسليم قال ابن المنذر : بعد عرض المسألة وما فيها من خلاف : (كان الحسن البصرى من بين سائر أهل العلم لا يرى الإحداد وقد رد قول الحسن بأن الاخبار قد ثبتت عن النبى ﷺ بوجوب الحداد وليس لاحد بلغته إلا التسليم ولعل الحسن لم تبلغه أو بلغته فتأولها بحديث اسماء بنت عميس<sup>(٦)</sup> . الأنف الذكر .

(١) المغنى ج ٧ ص ٥١٧ .

(٢) عنه تسليبي - البى ثياب الحداد السود وهى السلاب ككتاب .

(٣) مسند الإمام احمد ج ٦ ص ٣٦٩ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) الجامع لاحكام القرآن ج ٣ ص ١٨١ .

(٦) المصدر السابق .

الوجه الثالث : لو سلمنا بصحة هذا الحديث فالأحاديث الدالة على الوجوب مقدمة عليه لكونها أصح منه ولا ريب في دلالتها على الوجوب فإن حديث التي شكت عينها والذي تم تثبته قريبا يفيد الإيجاب والا لم يمتنع التداوى المباح وأيضا السياق يدل على الوجوب فإن كل ما منع منه ودل دليل على جوازه كان ذلك الدليل دالاً بعينه على الوجوب كالتحтан والزيادة على الركوع في الكسوف<sup>(١)</sup>.

هذا ما يمكن أن يستدل به لهذا القول وما يمكن أن يجاب به عن الاستدلال .

والذي يترجح عندي هو القول بوجوب الإحداد إذا وجد سببه وتوفرت شرائطه وذلك لدلالة السنة والمعقول وإجماع الصحابة على ما بيننا فهل يقول مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ورسالة محمد ﷺ بعدم وجوب الإحداد بعد معرفة النصوص النبوية الشريفة التي تفيد بمنطوقها ومفهومها إيجاب ما دللت عليه . . . لا أعتقد أن احداً يقول بخلاف ذلك ولهذا انعقد إجماع الصحابة - رضى الله عنهم - على هذا المعنى وفي ظني ان الحسن البصري والإمام الشعبي لو بلغتهما هذه النصوص لما أحجبا عن القول بوجوب الإحداد لما عرف عنهما من الفضل والتقوى وإرادة الحق وهذا شأن كل مسلم لأن المسلم إنما سمي مسلماً لتنفيذه الأوامر الربانية واجتنابه النواهي السماوية وهو ما يفيد معنى الإسلام فإن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة فإذا كان المسلم قائماً بما أمر به مجتنباً لما نهى عنه استحق أن يوصف بوصف الإسلام والإيمان وإذا لم يكن كذلك فلا فرق بينه وبين سائر الناس الذين لا يؤمنون بالشرائع السماوية .

ونحن لا نقول إن المرأة المتوفى عنها زوجها إذا تركت الإحداد خرجت من الإسلام وإنما نقول إنها تركت واجباً من واجبات الإسلام يثاب فاعله ويعاقب تاركه فإن الإيجاب وعدمه لا يعرف إلا من قبل الشارع وهو الذي أوجب الإحداد على كل من توفى عنها زوجها من غير تفصيل .

### الفصل الثالث : في شروط الإحداد :

عرفت في الفصل الأنف الذكر حكم الحداد وأنه واجب في الشريعة الإسلامية وقد دل على وجوبه صريح السنة وإجماع الصحابة والمعقول على ما تم تثبته قريبا وبما أن الحكم

(١) فتح الباري ج ٩ ص ٤٨٦ .

على حد قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة (٥) وتكليف الصغير والنائم والمحنون ظلم .



الشرعى قد لا يوجد عادة إلا إذا توفرت له شروط خاصة ولكون الحداد من هذا القبيل كان من الضروري أن نشير إلى الشروط اللازمة لوجوب الإحداد والتي لا بد من وجودها لايجاب الإحداد على المرأة المحدة وهذه الشروط ليست محل اتفاق وإنما هى موضع خلاف عند أئمة الفتوى فما يراه البعض قد لا يراه البعض الآخر كذلك وبيان هذه الشروط على النحو الآتى وطبقا لما يقتضيه فن التأليف وجودة التنظيم . ونظرا لتعدد هذه الشروط فقد رأيت أن أجعل هذا الفصل مبنياً على المباحث الآتية . وقبل أن ندخل فى التفصيل . نشير هنا إلى أن شروط الحداد على قسمين قسم متفق عليه وقسم مختلف فيه .

فالقسم المتفق عليه هو أن تكون المعتدة عاقلة بالغة مسلمة من نكاح صحيح . وأما القسم المختلف فيه فهو سؤالب هذه الشروط وكذلك هل يشترط فى الحداد كون المرأة معتدة من وفاة أولا؟ ونحن نشير إلى ذلك كله بالتفصيل .

المبحث الأول : كون المرأة المعتدة عاقلة . اتفق الفقهاء على وجوب الحداد على المرأة العاقلة إذا وُجِدَت الشروط الأخرى التى سنذكرها قريبا وذلك لأن العقل نعمة أنعم الله بها على الإنسان وميزه بها عن سائر الحيوان فهو يميزها بين الحلال والحرام ، والضار والنافع ، ولذلك جعل الشارع العقل مناطاً للتكليف لعلمه أن فاقد العقل لا يفرق بين الضار والنافع وبالتالي لا يستطيع القيام بالأحكام التكليفية على الوجه الذى أمر الشارع أن تكون عليه ومن هذا المنطلق قالت الحنفية : بعدم وجوب الحداد على المجنونة<sup>(١)</sup> . أن العقل هو مناط التكليف كما قلنا والمجنونة فاقدة لهذه الوسيلة فلا يتوجه إليها أمر ولا نهى لأن الشريعة الإسلامية لا تكلف أحداً إلا بما هو فى مقدوره وتحت تصرفه على حد قوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ . (البقرة : ٢٨٦) . وقوله تعالى : ﴿ فأتقوا الله ما استطعتم ﴾ . (التغابن : ١٦) . ولا يوجد شىء من ذلك بالنسبة للمجنونة التى ذهب عقلها وحُرمت تلك النعمة ولهذا قالت العلماء إنها غير مخاطبة بالأحكام التكليفية والحداد من الأحكام التكليفية فلا يجب عليها . يحقق ذلك كله قوله ﷺ : «رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصغير حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق»<sup>(٢)</sup> . ورفع القلم هنا معناه عدم التكليف لأن من ذكر فى الحديث لو كان مخاطباً بالأوامر والنواهي لكان خطاباً بما لا يطاق والشريعة الإسلامية لا تقر هذا ولا يظلم ربك أحداً . هذا ما رآه الحنفية ولم ير

(١) بدائع الصنائع ج ٣ ص ٢٠٨ .

(٢) سنن ابن ماجه ج ١ ح رقم ٢٠٤١ .

الجمهور هذا الرأي بل قالوا بوجوب الحداد على المجنونة<sup>(١)</sup> لأنها زوجة فهي داخلة تحت عموم قوله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً»<sup>(٢)</sup> فهذا نص عام يفيد إيجاب الإحداد على كل زوجة من غير فرق بين ما إذا كانت عاقلة أو غير عاقلة، والقول بعدم وجوب الإحداد على المجنونة يحتاج إلى دليل مخصص لهذا العموم ولم يوجد فيبقى على عمومه دالاً على إيجاب الإحداد مطلقاً وستعرف في المبحث الآتي مزيداً من الأدلة للفريقين لما بين المبحثين من العلاقة وذلك لاشتراك الجنون والصغر في عدم التكليف .

### المبحث الثاني : كون المعتدة بالغة :

البلوغ هو مظنة رشد المكلف فإذا بلغ الصغير فإنه قد يعرف مصالح نفسه ويكون رشيداً يحسن التصرف في تعامله مع نفسه ومع غيره يبين ذلك قوله تعالى : ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم﴾ . (النساء : ٦) .

والبلوغ ضد الصغر والصغير هو من لم يبلغ النكاح والصغر مظنة لعدم الرشد لكون الصغير فاقداً لآلة الفهم والتمييز وإدراك الأشياء على حقيقتها التي تمكنه من معرفة مصالحه وعلى هذا فهل يجب الحداد على المرأة الصغيرة التي لم تبلغ مع اتفاق الفقهاء على وجوبه على المرأة البالغة العاقلة؟ .

أقول أختلف الفقهاء في وجوب الحداد على الصغيرة على قولين . القول الأول ذهب الجمهور إلى وجوب الحداد على الصغيرة فلا فرق عند هؤلاء بين الصغيرة والكبيرة إلا في الإثم<sup>(٣)</sup> . وقول الجمهور هنا موافق لقولهم في إيجاب الحداد على فاقدة العقل بسبب الجنون - كما تم ثبته قريباً - فلا فرق عندهم في إيجاب الإحداد على الزوجة بين أن تكون عاقلة أو غير عاقلة مادام أن اسم زوجية شامل لها .

الاستدلال لهذا القول استدلال أصحاب هذا القول بالمنقول والمعقول أما المنقول فهو العمومات التي تفيد إيجاب الإحداد على المرأة المتوفى عنها زوجها من غير فرق بين ما إذا كانت كبيرة أو صغيرة من مثل قوله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً» . وقد ذكرنا طرفاً من هذه العمومات عند

(١) المغنى ج ٧ ص ٥١٧ والمتقى للبايجي ج ٤ ص ١٤٥ ومغنى المحتاج - ج ٣ ص ٣٩٨ .

(٢) سبق تحريجه في الفصل الثاني .

(٣) المغنى ج ٧ ص ٥١٧ والمتقى للبايجي ج ٤ ص ١٤٥ ومغنى المحتاج ج ٣ ص ٣٩٨ .

الكلام على الفصل الثانى وهى قاضية بوجوب الحداد . شاملة بعمومها لكل احد واخراج الصغيرة من هذا العموم يحتاج إلى دليل ولا دليل عليه .

وأما استدلالهم بالمعقول فمن وجوه :

(أ) إن العدة تجب على الصغيرة اتفاقا فإذا كان الأمر كذلك فإن الحداد يجب عليها لكونه حكما من احكام النكاح فهو يشترك مع العدة فى ذلك بالإضافة إلى ما فيه من اظهار التأسف على فراق الزوج ونحن نعلم يقينا فراغ رحم الصغيرة ومع ذلك وجبت العدة عليها . فالعدة إنما وجبت عليها لحق الشرع لأن فراغ رحمها من ماء الزوج أمر مقطوع به ومع هذا وجبت عليها العدة فكذلك الحداد يجب عليها .

(ب) إن الصغيرة يحرم العقد عليها بل تحرم خطبتها مادامت فى العدة وهذا المعنى يوجد فى حق الكبيرة فظهر انهما يشتركان فى حكم الحداد أيضا (١) .

(ج) إن غير المكلفة تساوى المكلفة فى اجتناب المحرمات كالخمر والزنا وإنما يفرقان فى الإثم (٢) فإذا كان الأمر كذلك فإن ترك الحداد فعل محرم والصغيرة ممنوعة من ذلك ويكون المنع إلى وليها بمعنى أنه لا يمكنها من ترك الحداد كما أنه لا يمكنها من ترك العدة فتحريم الطيب وسائر أنواع الزينة عليها إنما هو لحق الشرع فالشرع هو الذى منعها من ذلك والغرض من هذا هو إظهار حق الزوج وهذا المعنى يستوى فيه البالغة وغيرها .

وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى عدم وجوب الحداد على الصغيرة وجعلوا ذلك مخصوصاً بالمرأة البالغة وإنما قالوا بذلك لما أتى (٣) :

(أ) أن الحداد حق من حقوق الشرع ولهذا لو أمرها الزوج بتركه لا يجوز لها تركه فلا تخاطب الصغيرة بذلك وكذا شرط الإيمان فيه حيث قال رسول الله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله وباليوم الآخر » . الحديث . ثانياً إن منع الصغيرة المتوفى عنها زوجها من اللبس والطيب هو فعلها الحسى محكوم بحرمته فلا بد فيه من خطاب التكليف بخلاف العدة وإنما قد تقال على كفى النفس عن الحرمات الخاصة وعلى نفس الحرمات وعلى مضى المدة وهى اللازمة لها على كل حال بمعنى أنه يثبت بعد الموت صحة نكاح الصغيرة إلى انقضاء مدة معينة وهى مدة العدة فإذا باشرها عقد النكاح قبل انقضاء عدتها لا يصح شرعاً ولا خطاب للعباد فيه تكليفى بل هو من ربط المسببات بالأسباب وهذا كله لا يوجد فى الحداد لأن

(١) فتح البارى ج ٩ ص ٤٨٥ والمنتقى للباغى ج ٤ ص ١٤٥ .

(٢) المغنى ج ٧ ص ٥١٧ .

(٣) انظر فتح القدير ج ٤ ص ٣٤٠ والمبسوط ج ٦ ص ٠٦ وبدائع الصنائع ج ٣ ص ٩ .

الخطاب به خطاب تكليفي فلو اكتحلن أو لبسن المزعفر واختضبن لا يأثم لعدم التكليف به<sup>(١)</sup>.

هذا ما استدل به الفريقان بالنسبة لهذه المسألة وهي مشكلة كما نرى ووجه الاشكال هو ان الصغيرة لا تخاطب بفروع الشريعة من الصوم والصلاة والحج لأنها فاقدة للاهلية وهي التكليف فالخطاب إنما يتوجه إلى المكلفين وعموم السنة التي استدل بها الفقهاء على وجوب الحداد قاضية بوجوب الحداد على كل امرأة من غير فرق بين الصغيرة والكبيرة زد على هذا ان العدة واجبة من غير فرق أيضا وقد قلبت النظر في هذه المسألة كثيراً لعلى أهتدى إلى الراجح منها وبعد نظر طويل وتفكير عميق شرح الله صدرى بترجيح القول الأول وهو وجوب الحداد عليها وذلك لما يأتى :

(١) إن الصغيرة المتوفى عنها زوجها لا يجوز لها أن تفعل شيئاً من المحرمات كالزنا والخمر والسرقه وغيرها المحرمات والولى مطالب بمنعها فإذا لم يمنعها من الوقوع فى الفعل المحرم فهو آثم ومن ذلك ترك الحداد وفعل ما ينافيه كالطيب وسائر أنواع الزينة فكما أن الولى لا يجوز له أن يمكنها من ارتكاب سائر المحرمات فكذلك لا يجوز له أن يمكنها من ترك الحداد وهو مخاطب بذلك كما يفيد عموم قوله ﷺ : ( مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع )<sup>(٢)</sup> . فلو لم يفعل الولى ذلك فهو آثم ولا شك وكذلك ما نحن فيه .

(٢) أن وجوب العدة على الصغيرة لا خلاف فيه عند أئمة الفتوى فيما علمنا يوضحه قوله تعالى : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ . (سورة البقرة : ٢٣٤) . والصغيرة زوجة والتنكير يفيد العموم والعدة عبادة وهي لازمة للصغيرة فهل يقول قائل انها تجب هنا ولا يجب الحداد هنالك فإن كان كذلك فهو مطالب بالدليل على وجود الفرق .

(٣) نعم الصغيرة لا تخاطب بفروع الشريعة وإنما الولى هو المطالب بمنعها من فعل المحرمات على ما بينا ألا ترى ان الولى لولى بالحج عن الصغيرة أو الصغير؟ . كانت احكام الحج لازمة لوليها بمعنى ان الولى لا يمكنه من فعل محظورات الاحرام من الطيب واللبس ونحو ذلك فلو فعل ذلك كان آثماً فأى فرق بين المسألتين اننى لا أجد فرقاً .

(١) فتح القدير ج ٤ ص ٣٤٠ / والمبسوط ج ٦ ص ٦٠ / بدائع الصنائع ج ٣ ص ٩ .

(٢) سنن أبى داؤد (ح ٤٩٥) مسند احمد ج ٢ ص ١٨٠ . موطأ مالك ج ١ ص ١٩٧ .

(٤) العمومات التي استدلت بها أصحاب القول الأول من مثل قوله ﷺ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشر». لم تفرق بينا إذا كانت الزوجة كبيرة أو صغيرة بل هي شاملة بعمومها لكل أحد (فقوله لامرأة) نكرة تفيد العموم وقد أكد هذا العموم بذكره النكرة بعد النفي وهذا زيادة في العموم كما تفيد قواعد الأصول وسيأتى تحرير المقام في قوله ﷺ (ان تؤمن) عند الكلام على حكم الحداد من الكتابية. ولا حجة في قوله ﷺ (امرأة) للقائلين بعدم وجوب الحداد على الصغيرة وذلك لأمرين :

الأمر الأول : أن الصغيرة تسمى امرأة فلها من الحقوق كالكبيرة وعليها ما عليها صحيح أنها لا تبتغى لطلب الولد لصغرها لكونها لا يوطأ مثلها بيد أن اللفظ شامل لها .  
الأمر الثاني : لو سلمنا أنها لا تسمى امرأة فلا دلالة فيه للمخالفين لاننا نقول إنه خرج مخرج الغالب فإن الغالب الكثير ان المرأة لا يفارقها زوجها إلا وهي كبيرة وليس معناه ان الحداد لا يجب على الصغيرة .

#### المبحث الثالث كون الحادة مسلمة :

اتفق الفقهاء فيما علمنا على أن الحداد يجب على المرأة الكبيرة العاقلة البالغة المسلمة على ما بيننا واختلف الفقهاء في سوابب ذلك ومنه اختلافهم في وجوب الحداد على الكتابية وتجدر الإشارة هنا إلى أن أئمة الفتوى لم يختلفوا في اباحة الحداد لكل من ذكرنا ومن سنذكر قريبا وإنما الخلاف في الوجوب أو السنة .

وبيان اختلافهم في وجوب الحداد على الكتابية كالآتى :

١ - ذهب الجمهور ومنهم الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد إلى وجوب الحداد على الكتابية وقد استدلوا لذلك بأدلة بيانها كالآتى : العمومات التي تفيد وجوب الحداد على الكتابية لأنها من جملة النساء والأحاديث لم تفرق بينا إذا كانت المرأة مسلمة أو كتابية واخراج الكتابية من هذا العموم يحتاج إلى دليل ولا دليل عليه ومن ادعى خروج الكتابية فعليه الدليل اضعف إلى هذا ان الكتابية زوجة وقد أوجب الله تعالى العدة على الزوجات من غير تخصيص . يوضحه قوله تعالى : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ . فهذا ايجاب من الله تعالى العدة على الزوجات من غير

(١) شرح الخرس ج ٤ ص ١٤٨ والمهذب ج ٢ ص ١٩١ وكشاف القناع ج ٥ ص ٤٩٦ .

فرق ولا تجب عدة الوفاة إلا حيث يجب الحداد لأن الحداد حق للزوج فهو يلتحق بالعدة في حفظ النسب فتدخل الكافرة في ذلك بالمعنى كما دخل الكافر في النهي عن السوم على سوم أخيه<sup>(١)</sup>.

فإن قيل كيف يكون الحداد واجباً على الكتابية وقد شرط رسول الله ﷺ في وجوبه الايمان بدليل قوله ﷺ: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله ان تحد. الخ). فهذا دليل على عدم وجوبه على الكتابية؟ قيل الجواب عن ذلك من أوجه:

(أ) ان شرط الايمان إنما ذكر تأكيداً للمبالغة في الزجر فلا مفهوم له كما يقال هذا طريق المسلمين وقد يشاركونهم غيرهم<sup>(٢)</sup>.

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم مجيباً عن هذا الاعتراض ومبيناً انه لا دليل فيه (وان المؤمن هو الذي يستثمر خطاب الشارع وينتفع به وينقاد له فلهذا قيد به<sup>(٣)</sup>).

اضف إلى هذا ان السبكي نقل في فتاويه عن بعضهم ان الذميمة داخلية في (تؤمن بالله واليوم الآخر)<sup>(٤)</sup>.

(ب) إن الحداد حق للزوجة على ما بينا فهو ملتحق بالنفقة والسكن فكما ان الزوج تجب عليه نفقة زوجته وسكنها فكذلك يجب على الزوجة الحداد على زوجها<sup>(٥)</sup>.

(ج) أن العدة لا تجب على الذميمة إلا إذا كان زوجها مسلماً أما إذا كان زوجها ذمياً فإن الحداد لا يجب عليها وأهل الذمة مطالبون بتنفيذ عقودهم مع المسلمين وهذا منها. قال ابن القيم في الهدى مشيراً إلى ما قلنا (ولكن عذر الذين أوجبوا الحداد على الذميمة انه يتعلق به حق الزوج المسلم وكان منه الزامها به كأصل العدة ولهذا لا يلزمونها به في عدتها من الذمى ولا يتعرض لها فيها فصار هذا كعقودهم مع المسلمين فإنهم يلزمون فيها باحكام الإسلام وإن لم يتعرض لعقودهم مع بعضهم بعضاً).<sup>(٦)</sup> وذهب الحنفية وبعض المالكية وأبو ثور إلى عدم وجوب الحداد على الذميمة سواء كان زوجها مسلماً أو ذمياً<sup>(٧)</sup>.

(١) فتح الباري ج ٩ ص ٤٨٦.

(٢) فتح الباري ج ٩ ص ٤٨٦.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٠ ص ١١٢.

(٤) فتح الباري ج ٩ ص ٤٨٦.

(٥) فتح الباري ج ٩ ص ٤٨٦.

(٦) زاد المعاد ج ٤ ص ٢٦٩.

(٧) المبسوط ج ٦ ص ٥٩ وفتح الباري ج ٩ ص ٤٨٦ والجامع لاحكام القرآن ج ٣ ص ١٧٩.

وقد استدل أصحاب هذا القول بما يأتي :

(١) إن الكتابية غير مخاطبة بحقوق الشرع والحداد من حقوقه يوضحه قوله عليه الصلاة والسلام : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر الخ) .

فالايمان شرط لوجوب الحداد وهو لا يوجد في الكتابية لكونه حقا من حقوق الشرع والذمية ليست أهلا لذلك يوضحه أن المسلمة لو أمرت بترك الحداد لم يكن لها ذلك فدل على أنه تكليفي والأحكام التكليفية خاصة بالمسلمين قال ابن القيم في الهدى مستدلا لهذا القول بأن النبي ﷺ (جعل الإحداد من احكام من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا تدخل فيه الكافرة ولأنها غير مكلفة بأحكام الفروع فعدوله عن اللفظ العام المطلق إلى الخاص المقيد بالايان يقتضى ان هذا من أحكام الايمان ولوازمه وواجباته فكأنه قال من التزم الايمان فهذا من شرائعه وواجباته) (١) .

هذا ما يمكن ان يستدل به بهذا القول وقد عرفت الجواب عن اشتراط الايمان في وجوب الحداد عند الكلام على أدلة الجمهور ونضيف هنا ما ذكره ابن القيم عند عرضه للمسألة حيث قال : (والتحقيق ان نفي حل الفعل عن المؤمنين لا يقتضى نفي حكمه عن الكفار ولا اثبات الحكم لهم أيضا وإنما يقتضى ان من التزم الايمان وشرائعه فهذا لا يحل ويجب على كل حال ان يلزم الايمان وشرائعه ولكن لا يلزم الشارع شرائع الايمان إلا بعد دخوله فيه وهذا كما لو قيل للمؤمن ان يترك الصلاة والحج والزكاة فهذا لا يدل على أن ذلك حل للكافر وهذا كما قال في لباس الذهب لا ينبغي للمتقين فلا يدل إنه ينبغي لغيرهم وكذا قوله لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعانا) (٢) .

كما عرفت مزيداً من أدلة الفريقين عند الكلام على وجوب الحداد على الصغيرة وسبب اختلاف الفقهاء في هذه المسألة راجع من حيث الجملة إلى أمرين : الأمر الأول الاختلاف في خطاب أهل الذمة بفروع الشرع هل يخاطبون بها أولاً؟ . فمن قال إنهم يخاطبون بها قال يجب الحداد على الذمية ومن قال إنهم لا يخاطبون بها قال لا يجب الحداد عليها . الأمر الثاني الاختلاف في العدة هل هي حق لله أم حق للزوج فمن قال انها حق لله قال لا تجب العدة على الذمية ومن قال انها حق للزوج قال تجب العدة عليها والذي يرجح عندي هو ان الذمية لا يجب عليها الحداد إلا إذا رفع ذلك إلى الحاكم المسلم فإنه يلزمها حينئذ بالحداد .

(١) زاد المعاد ج ٤ ص ٢٦٩ .

(٢) زاد المعاد المصدر السابق .

وأما إذا لم يترافعوا إلينا فلا تتعرض لهم ومن المعلوم انهم لا ينزجرون عن ارتكاب الذنوب والآثام ولا يتورعون عن فعل المحرمات على اختلاف أنواعها من ترك الصلاة والصوم والحج والزكاة وغير ذلك من صنوف الذنوب والآثام ولا ذنب اعظم من الكفر فكيف يرجى منهم فعل الحداد وهم لا يفعلون ما هو اعظم من الحداد وإلى ما قلنا اشار ابن القيم في الهدى بقوله (وسر المسألة أن شرائع الحلال والحرام والايجاب إنما شرعت لمن التزم أصل الإيمان ومن لم يلتزمه وخلى بينه وبين دينه فإنه يخلى بينه وبين شرائع الدين الذى التزمه كما خلى بينه وبين أصله ما لم يحاكم إلينا وهذه القاعدة متفق عليها بين العلماء<sup>(١)</sup>).

فهذا ابن القيم يرى أن الحدود لا يجب على الذميمة بإيجاب الشرع إلا أن يحصل الترافع منهم إلى المسلمين فحينئذ يلتزمون بأحكام الإسلام وإلا فهم لا يتورعون عن ارتكاب المعاصى من الكبائر والصغائر والإسلام لم يوجب على اتباعه إلزام أهل الذمة بشرائع الإسلام وإنما يخلى بينهم وبين أحكام الدين الذى يدينون به ما لم يترافعوا إلينا أو يتعرضوا للإسلام أو أحدٍ من اتباعه بالاهانة لأنهم بعقدهم الذمة مع المسلمين وفرض الجزية عليهم وهم صاغرون إنما هو لحفظ دمائهم وأموالهم وعدم التعرض لهم إلا فى الأمور التى فيها ضرر على الإسلام والمسلمين وإيجاب الحداد على الذميمة ليس فيه شىء من ذلك نعم الله عز وجل أراد منهم الإسلام ولكن هم لم يمثلوا فإذا دخلوا فى الإسلام وجب عليهم ما يجب على المسلمين

#### المبحث الرابع : هل شرط وجوب الحداد كونه من الوفاة :

اتفق الفقهاء على أن الحداد يجب على المعتدة من الوفاة إذا توفرت الشروط الأخرى التى ذكرناها آنفاً والتى سنذكرها قريباً ولا نعم فى هذا خلافاً إلا خلافاً شاذاً ذكرناه فى الفصل الثانى .

أما المعتدة من طلاق فهى على قسمين رجعية وبائن . فالرجعية لا يجب عليها الحداد اتفاقاً لأنها فى حكم الزوجات لها أن تتزين لزوجها وتستشرف له ليرغب فيها<sup>(١)</sup> فنعمة النكاح لم تفت بعد لأن الزوج له أن يراجعها والتزين مما يبعثه على مراجعتها فتكون مندوبة إلى التزين لهذا المعنى<sup>(٢)</sup> .

(١) زاد المعاد ج ٤ ص ٢٦٩ .

(٢) المغنى ج ٧ ص ٥١٨ شرح العناية ج ٤ ص ٣٤٠ .

(٣) المبسوط ج ٦ ص ٥٩ .



أما البائن فقد اختلف الفقهاء في وجوب الحداد عليها على قولين مع اتفاقهم على إباحة ذلك لها ونحن نبين هذين القولين وإدلة كل قول وما قد يرد على الدليل المرجوح من المناقشة مسترشدين في ذلك بالمراجع المعتمدة في كل مذهب فنقول :

(١) ذهب الجمهور ومنهم مالك والشافعي في الجديد وأحمد في أحد قوليه وبه قال عطاء وربيعة وابن المنذر إلى عدم وجوب الحداد على المبتوتة<sup>(١)</sup>.

الاستدلال لهذا الرأي :

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بالمنقول والمعقول .

أما المنقول فقد استدلوا منه بقوله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً »<sup>(٢)</sup> . وهذه عدة الوفاة فيدل على أن الإحداد إنما يجب في عدة الوفاة<sup>(٣)</sup> .

وأما استدلالهم بالمعقول فمن وجوه :

(أ) إن الحداد في عدة الوفاة إنما هو لإظهار الأسف على فراق زوجها وموته وهذا مالا يوجد في الطلاق فإنه فارقها باختيار نفسه وقطع نكاحها فلا معنى لتكليفها الحزن عليه .

(ب) إن المتوفى عنها لم أت بولد لحق الزوج الميت لكونه ليس له من ينفيه على فرض أنه ليس له فاحتيط عليها بالإحداد لئلا يلحق بالميت من ليس منه بخلاف المطلقة فإن زوجها باق فهو يحتاط عليها بنفسه وينفى ولدها إذا كان من غيره .

(ج) إن المبتوتة معتدة من غير وفاة فلا يجب عليها الحداد قياساً على الرجعية والمؤتوة بشبهة .

ثانياً وذهب أبو حنيفة وأصحابه وأحمد في إحدى الروايتين والشافعي في القديم وبعض المالكية وأبو ثور وأبو عبيد إلى وجوب الحداد على المبتوتة<sup>(٤)</sup> .

الاستدلال لهذا الرأي .

استدل أصحاب هذا الرأي بالمنقول والنظر .

(١) المنتقى للباجي ج ٤ ص ١٤٥ مغنى المحتاج ج ٣ ص ٣٩٨ المغنى ج ٧ ص ٥٢٧ .

(٢) تقدم تخرجه في الفصل الثاني .

(٣) المغنى ج ٧ ص ٥٢٨ .

(٤) المبسوط ج ٦ ص ٥٨ المغنى ج ٧ ص ٥٢٧ مغنى المحتاج ج ٣ ص ٣٩٨ فتح الباري ج ٩ ص ٤٨٦ .

أما المنقول فقد استدلووا منه بما يأتي ما روى أن النبي ﷺ : «نهى المعتدة ان تختضب بالحناء وقال الحناء طيب» (١).

فأنت ترى أنه لم يفرق بين معتدة الوفاة وغيرها فدل هذا على وجوب الحداد على المعتدة مطلقا كما يفيد عموم الحديث .  
ويجاب عن هذا الاستدلال بأمرين :

(أ) إنه ضعيف لا تقوم به حجة لأنه لم يذكر في كتب السنة المعتبرة ولو كان صحيحا لذكروه . والحديث الضعيف لا يحتج به في الأحكام .

(ب) لو سلمنا بصحته لم نسلم بعمومه في كل المعتدات فالرجعية لا يجب عليها الحداد اتفاقا فعلى هذا يكون محمولا على المعتدة من الوفاة وتخرج البائن من هذا العموم كما خرجت الرجعية (٢) . روى الطحاوي في شرح الآثار بإسناده إلى حماد عن إبراهيم قال : المطلقة والمختلعة والمتوفى عنها زوجها والملاعنة لا يختصن ولا يتطيبن ولا يلبسن ثوبا مصبوغا ولا يخرجن من بيوتهن .

وابراهيم ادرك عصر الصحابة وزاحمهم في الفتوى فيجوز تقليده (٣) .

ويجاب عن هذا الاستدلال بانه قول تابعي وقول التابعي ليس بحجة فإنه إذا وقع الاختلاف بين الفقهاء في الاحتجاج بقول الصحابي فعدم الاحتجاج بقول التابعي أولى زد على هذا أنه معارض لقول من قدمنا من الصحابة .

واما استدلالهم من طريق النظر فهو الحاق المبتوتة بالمتوفى عنها زوجها بطريق الدلالة وتقديره ان النص ورد في وجوب الإحداد على المتوفى عنها زوجها بلا خلاف ومناطق حكمه اظهار التأسف على فوت نعمة النكاح الذي هو سبب لصونها وكفاية مؤنها والإبانة اقطع لها من الموت حتى كان لها ان تغسله ميتا قبل الإبانة لا بعدها فكان الحاق المبتوتة بالمتوفى عنها زوجها كالحاق ضرب الوالدين بالتأفيف (٣) .

والجواب عن هذا الاستدلال من وجهين :

(أ) إن القياس غير صحيح وذلك لوجود الفارق بين المقيس والمقيس عليه فإن الحداد إنما وجب على المتوفى عنها زوجها إظهاراً للتأسف على فوت زوج وفي لها حتى الموت

(١) فتح القدير ج ٤ ص ٣٣٨ .

(٢) شرح معاني الآثار ج ٣ ص ٨١ .

(٣) شرح العناية ج ٤ ص ٣٣٨ .

(٤) المصدر السابق .

بخلاف المبتوتة فإن زوجها لم يكن وفيّاً لها بل على العكس من ذلك فإنه أوحشها بالابانة فلا تتأسف بفوته .

ومن جهة أخرى فإنه لا مناسبة بين البينونة وبين الموت إذ أن البينونة لا يمتنع معها عود النكاح بعقد جديد بخلاف الموت فإنه لا يتصور عود النكاح بعده ثم لو سلمنا بهذا في المطلقة لم نسلم به في المختلعة لأنها قد افتدت نفسها برضاها لطلب الخلاص منه فكيف تتأسف .

(ب) لو سلمنا بأن الحداد يجب على المبتوتة لفوات نعمة النكاح لقلنا بوجوبه على الأزواج أيضاً لأن نعمة النكاح مشتركة بينهما .

وهكذا تتصور المسألة بين القول والدليل والاستدلال والمناقشة والحق واحد ومصيبه واحد وسبب اختلاف الفقهاء في هذه المسألة راجع إلى أمرين :

الأمر الأول هل وجوب الحداد على المرأة لإظهار التأسف على الزوج أو لإظهار التأسف على فوات الزوجية ؟ فمن قال هو لإظهار التأسف على فوات الزوج قال بعدم وجوب الحداد على المبتوتة ومن قال هو لإظهار التأسف على فوات الزوجية وبيان ذلك هو أن الحداد لإظهار التأسف على فوت نعمة النكاح والوطء الحلال بسببه قال بوجوب الحداد على المبتوتة لأن عين الزوج ما كان مقصوداً لها حتى يكون التحزن بفواته بل كان مقصودها نعمة النكاح وهذا يفوتها في الطلاق والوفاة بصفة واحدة .

الأمر الثاني هل الحداد حق لله أو حق للزوج ؟

فمن قال هو حق لله قال بوجوب الحداد على البائن ومن قال هو حق للزوج قال بعدم وجوب الحداد عليها .

والذي أراه راجحاً في هذه المسألة هو عدم وجوب الحداد على البائن وإنما رجحت هذا القول لما يأتي :

(١) الأدلة التي استدل به القائلون بهذا القول أقوى في نظري من أدلة المخالفين فحديث الصحيحين الذي ذكرناه في الاستدلال يفيد أن الحداد لا يكون إلا على ميت كما هو ظاهر اللفظ ثم قيد الجواز بما ذكر في الحديث واستثنى من ذلك الحداد على الزوج الميت وبين المدة التي يكون بها الحداد فالمستثنى هنا من جنس المستثنى منه وكذلك الأدلة التي ذكرناها هنالك كلها تلتقى حول هذا المعنى وقد عرفت الجواب عن أدلة المخالفين عند ذكرها وهي كلها محتملة والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال .

(٢) إن الحداد حكم أوجبه الشارع على المرأة المتوفى عنها زوجها لأن تركه (أى الحداد) بفعل ما ينافيه من التطيب واللبس والتزين يدعو إلى الجماع فمنعت المرأة منه زجراً لها عن ذلك فكان ذلك ظاهراً في حق الميت لأنه يمنعه الموت عن منع المعتدة منه عن التزويج ولا تراعيه هى ولا تخاف منه بخلاف المطلق الحى فى كل ذلك ومن ثم وجبت العدة على كل متوفى عنها وإن لم تكن مدخولاً بها بخلاف المطلقة قبل الدخول فلا إحداد عليها اتفاقاً<sup>(١)</sup>.

(٣) إن المطلقة البائن يمكنها العود إلى الزوج بعينه بعقد جديد وليس الأمر كذلك فى المتوفى عنها زوجها فإن عودتها إلى الزوج الميت مستحيلة فليس ثمة ما يدعو إلى إيجاب الحداد على المبتوتة فإن قيل هذا لا يستقيم فى الملاعنة فإن تحريمها على الملاعن تحريم أبدي ومع هذا فلا حداد عليها قيل الجواب عن ذلك من وجهين : الوجه الأول ان تحريم الملاعنة على الملاعن ليس محل اتفاق عند أئمة الفتوى بل من الفقهاء من قال انها لا تحرم تحريماً ابدياً وإنما يكون الملاعن بعد الفرقة خاطباً من الخطاب وقد قال بهذا فقهاء الحنفية .

الوجه الثانى لوسلمنا بان الملاعنة تحرم على الملاعن على التأييد لم نسلم بالاعتراض لاننا نقول إن وجوب الحداد إنما هو لفقد الزوج بعينه لا لفقدان الزوجية .

(٤) إن الزوج الميت فارق زوجته وهو على نهاية الاشفاق عليها والرغبة فيها ولم تكن المفارقة من قبله فلزمها لذلك الإحداد واطهار الحزن والمطلقة فارقها مختاراً لفراقها مقابحاً لها فلا يتعلق بها حكم الإحداد كالملاعنة<sup>(٢)</sup>.

(٥) روت أم سلمة ان النبى ﷺ قال : « المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشق ولا الحلى ولا تحتضب ولا تكتحل »<sup>(٣)</sup>. رواه أبو داود والنسائى فهذا الحديث نص فى وجوب الحداد على المعتدة من الوفاة وهو مخصص لعموم الحديث الذى استدل به المخالفون على فرض صحته فإن قيل هذا الحديث لا يدل على عدم وجوب الحداد على المبتوتة بدليل آخر؟ . قلنا بل هو يدل على عدم وجوب الحداد عليها إذ أنه لم يوجد دليل أقوى منه بل ولا مساوياً له يفيد هذا الوجوب فلما لم يوجد ذلك دل على ان المصير إلى مدلوله واجب .

(١) فتح البارى ج ٩ ص ٤٨٦ .

(٢) المنتقى للباغى ج ٤ ص ١٤٥ .

(٣) سنن ابى داؤد ج ٢ ص ٧٢٧ سنن النسائى ج ٦ ص ٢٠٣ .

والحاصل ان الاقتصار على مورد النص هو الذى تقتضيه قواعد الشرع عملاً بالبراءة الأصلية فيما عداه فمن ادعى وجوب الحداد على غير المتوفى عنها زوجها فعليه الدليل إذا تبين هذا فاعلم انهم لم يختلفوا في عدم وجوب الحداد على المعتدة الرجعية على ما بينا بيد أن فقهاء الشافعية اختلفوا فيما بينهم هل يسن لها الحداد أولاً على قولين أحدهما يسن والثانى لا يسن لها الحداد بل أولى لها ان تتزين بما يدعو الزوج إلى رجعتها وضعف هذا الاحتمال أن يظن أنها فعلت ذلك إظهاراً للفرح بفراقه وعلى تقدير صحته فينبغى تخصيصه بمن ترجو عودته<sup>(١)</sup>. والمعمول به الأول .

كذلك لم يختلفوا فيما أحسب في إباحة الحداد على المتوتة بل إن فقهاء الشافعية يرون إن أقل اقواله الاستحباب لثلاث تدعو الزينة إلى الفساد .

وقد نقل صاحب المبدع الاجماع على جواز الحداد من المتوتة وبين أنه لا يُسنُّ لها<sup>(٢)</sup>. وبهذا تعلم ان اختلاف الفقهاء في هذه المسألة إنما هو في الوجوب فقط .

#### المبحث الخامس : هل من شرط وجوب الحداد كون النكاح صحيحاً ؟

النكاح الصحيح هو المستكمل لأركانه وشروطه من الايجاب والقبول والشاهدين والولى والمهر وخلو الزوجين من الموانع فإذا وجد النكاح على هذه الصورة وحصلت الفرقة بين الزوجين بالموت وذلك بأن توفى الزوج قبل الزوجة وجب الحداد على الزوجة العاقلة البالغة المسلمة من غير خلاف اعلمه عند أئمة الفتوى اللهم إلا ما نقل عن الحسن البصرى والشعبى من القول بعدم وجوب الحداد كما تمّ ثبته قريباً .

ولهذا اجمع الفقهاء على عدم وجوب الحداد على المرأة المنكوحه بنكاح فاسد أو نكاح شبهة .

أما المنكوحه بنكاح فاسد فلأنها ليست زوجة حقيقية والنبي ﷺ إنما أوجب الحداد على الزوجات وذلك بقوله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله باليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » فقوله ﷺ إلا على زوج يفيد بمنطوقه وجوب الحداد على الزوجة كما يفيد بمفهومه عدم وجوب الحداد على غيرها زد على هذا ان المنكوحه بنكاح فاسد لا تحزن على فقد الزوج لأنها لا يجب لها ما يجب للزوجة من الحقوق

(١) معنى المحتاج ج ٣ ص ٣٩٨ .

(٢) المبدع ج ١٤٠٨ .

فليس ثمة سبب يدعو إلى حدادها وأما المنكوحة بشبهة فكذلك لما بينا ولائها أى المنكوحة  
بنكاح فاسد أو شبهة ما فاتها نعمة النكاح والأصل هو الاباحة فى الزينة لاسيما فى النساء :  
(١) يحققه قوله تعالى ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ .  
(الاعراف : ٣١) .

فهذا دليل على اباحة الزينة مطلقا بما فيها زينة المرأة المعتدة بنكاح فاسد أو شبهة  
وتحريم ذلك عليهما يحتاج إلى دليل ولا دليل . ثم إن النكاح الفاسد ووطأ الشبهة كل منهما  
معصية فى الدين فيلزم الشكر على فواته لا التأسف عليه (٢) .

### الفصل الرابع : أقسام الإحداد :

عرفت فى الفصل الأول معنى الحداد وأنه فى اللغة المنع مطلقا وفى الاصطلاح منع  
المرأة نفسها الزينة والطيب وكلما يدعو إلى الرغبة فيها زمن الحداد وذكرنا هنالك فى أن المعنى  
اللغوى أعم من المعنى الاصطلاحى لأنه مجرد المنع مطلقا أما المعنى الاصطلاحى فهو المنع  
بالنسبة إلى شىء خاص وبناء على ذلك نرى أنه من المفيد أن نذكر أقسام الحداد الجائز منها  
والممنوع ليكون القارىء على بصيرة لأن الأشياء لا تعرف إلا باضدادها (وبضدها تتميز  
الأشياء) فالجائز يعرف ليعمل به والممنوع يعرف لتركه وإليك تحرير المقام فى ذلك ينقسم  
الحداد من حيث الجملة إلى قسمين جائز وغير جائز، والجائز قسمان حداد المرأة على زوجها  
الميت وحدادها على قريبها الميت فالتقسيم هنا من حيث النوع لا من حيث الحكم لأن  
الحكم لا يختلف فى القسمين إنما الاختلاف فى النوع أما زوجها الميت فليس فى وجوب  
الحداد عليه خلاف إلا خلافا شادا على ما بينا وقد عرفت الخلاف فى وجوب الحداد عليها  
عند أئمة الفتوى إذا كانت مبتوتة كذلك لم يختلف الأئمة فيما علمت فى جواز الحداد منها على  
قريبها الميت والمتبع لنصوص الشرع وقواعده العامة يرى أن الحداد إنما يشرع للنساء دون  
الرجال فالمرأة هى التى تحد على زوجها أو على قريبها لما بينا وما سنبينه قريبا وهاك الأدلة  
التى تفيد هذا المعنى وإن كنا قد ذكرناها قريبا إلا أن المقام يقتضى اعادتها هنا بايجاز

١ - قوله تعالى ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة  
أشهر وعشراً﴾ . فأنت ترى أن هذه الآية الكريمة قد تضمنت أمرين الأمر الأول أن  
التربص خاص بالمرأة التى مات زوجها خاصة بها وأن مدة التربص فى حقها أربعة أشهر  
وعشراً .

(١) شرح العناية ج ٤ ص ٣٤٢ .

(٢) حاشية الشلبى .

الأمر الثاني أن الزوج لا يجب عليه التربص بوفاة زوجته وبالتالي لا يجب عليه الحداد بل له أن يتزوج ثانية دون أن يكون منوطاً بمدة معينة والأول يفيد منطوق الآية والثاني يفيد مفهومها قال الشوكاني في شرح الآية ، ومعنى الآية ﴿والرجال الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً﴾ أى ولهم زوجات فالزوجات يتر بصن بعدهم وهو كقولك السمن منوان بدرهم أى منه وحكى المهدي عن سيبويه أن المعنى وفيما يتلى عليكم الذين يتوفون وقيل التقدير وأزواج الذين يتوفون منكم يتر بصن ذكره صاحب الكشاف وفيه أن قوله ويذرون أزواجاً لا يلائم ذلك التقدير لأن الظاهر من النكرة المعادة المغايرة وقال بعض النحاة من الكوفيين أن الخبر عن الذين متروك والقصد الاخبار عن أزواجهم بانهن يتر بصن<sup>(١)</sup> .

ثانياً : قوله ﷺ : ( لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً ) فقد تضمنت هذا الحديث ثلاثة أمور الأمر الأول جواز الحداد على القريب الميت وإن مدة ذلك ثلاثة أيام .

الأمر الثاني : الحداد على الزوج الميت أربعة أشهر وعشراً .

الأمر الثالث : هو أن حكم الحداد خاص بالنساء دون الرجال فالحديث وافق الآية الأنفة الذكر في وجه الدلالة في الأمرين الثاني والثالث وتضمن حكماً زائداً على ما دلت عليه الآية وهو الأمر الأول .

ثالثاً : الاجماع :

اجمع المسلمون من عصر الصحابة - رضى الله عنهم - إلى يومنا هذا على جواز القسمين السابقين وان الرجال لا يدخلون في هذا الجواز وإنما هو خاص بالنساء .

وقد عرفت قريباً عند الكلام على حكم الإحداد مزيداً من الأدلة التي تتعلق بهذا الموضوع وحاصلها بالإضافة إلى ما قلنا هو أن المرأة هي التي بحاجة إلى الرجل ولذلك وجب الحداد عليها لضعفها ولفوات نعمة النكاح عليها بموت العائل الذي يصونها ويحفظها ويرعى مصالحها على حد قوله تعالى ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم﴾ . (سورة النساء : ٣٤) ولهذا كان مطالباً بالانفاق على زوجته وكسوتها وسكنها إذا لم تكن ناشزة وهذا كله لا يوجد في الرجل ولذلك اجمع أئمة الفتوى كما بينا أكثر من مرة على أنه لا يجب الإحداد على الرجل لعدم وجود الحكمة التي من أجلها شرع الحداد فيه .

(١) فتح القدير ج ١ ص ٢٤٨ .

القسم الثانى من قسمى الحداد : الحداد الممنوع فى الإسلام :

عرفت آنفا القسم الأول من قسمى الحداد وهو القسم الجائز فى الإسلام وعرفت أنه قسمان من حيث النوع ، بقى أن تعلم القسم الذى لا يجوز وهو على ضربين أحدهما ما كان قبل الإسلام .

وثانيهما الإحداد فى عصرنا الحاضر بالنسبة للدول ونحن نفصل القول فى هذين الضربين بحسب الامكان والله المستعان فنقول :

الحداد فى الجاهلية :

كانت المرأة فى الجاهلية إذا توفى عنها زوجها تتجنب كل ملذات الحياة وتشق على نفسها فلا تستعمل طيبا ولا تغسل جسما ولا تقلم ظفراً وتلبس شرثياها وتعزل المجتمع فى بيت صغير وقديم تمكث فيه حولا كاملا تخرج بعده وهى فى أقبح صورة وأشنع منظرا وأساءة حالا مما كانت عليه فتعمد إلى دابة فتغسل بها فقلما تغسل بشىء إلا مات يحقق هذا قوله ﷺ للمرأة التى قالت له يارسول (إن ابنتى توفى عنها زوجها وقد اشتكت عينها افتكحلها فقال رسول الله ﷺ لا مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول لا ثم قال رسول الله ﷺ إنما هى أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحداكن فى الجاهلية ترمى بالبعرة على رأس الحول .

قال حميد فقلت لزيب وما ترمى بالبعرة على رأس الحول فقالت زيب كانت المرأة إذا توفى عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شرثياها ولم تمس طيبا حتى تمر بها سنة ثم توتى بدابة حمار أو شاة أو طائر فتفتض به فقلما تفتض بشىء إلا مات ثم تخرج فتعطى بعة فترمى بها ثم تراجع بعدما شاءت من طيب أو غيره<sup>(١)</sup>.

وقد تضمن هذا الحديث : ما كانت تعانيه المرأة فى الجاهلية من الظلم بسبب وفاة زوجها فمن حزن على فراق الزوج إلى حياة قاسية بعده لمدة حول كامل بقيت المرأة فى الجاهلية على هذا الحال واستمرت زمناً وهى تعانى منها فى بداية الاسلام يوضحه قوله تعالى ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ . (سورة البقرة : ٢٤٠) .

وبما أن الشريعة الاسلامية قائمة على العدل والانصاف وتحقيق المصالح الخاصة لأفراد المجتمع الاسلامى بشرط أن لا يتضرر أحد الطرفين بدفع الضرر عن الآخر فهى لا

(١) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٩ ص ٤٨٤ .



تقرظلما ولا تضيع حقا فقد نسخت ما كانت تعاني منه المرأة بسبب وفاة زوجها واستبدلته بحكم آخر يحفظ حقوق الطرفين أعنى الزوج والزوجة على السواء وذلك بقوله تعالى ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ (تقدم تخريجه).

فنسخت السنة المذكورة في الآية الأنفة الذكر بالمدة المذكورة في هذه الآية وحد الشارع للمرأة المتوفى عنها حدوداً وسن لها قيوداً في الإسلام ونسخت القيود التي كانت تعاني منها في اجاهلية وذلك بالاحاديث التي تم ثبوتها قريبا قال ابن حجر في الفتح بعد تقريره لهذا الحكم نقلا عن ابن دقيق العيد قال ابن دقيق العيد فيه (يعنى الزمن الذي يجب على الحادة في الإسلام اشارة إلى تقليل المدة بالنسبة لما كان قبل ذلك وتهوين الصبر عليهما ولهذا قال بعده وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمى بالبعرة على رأس الحول وفي التقييد بالجاهلية اشارة إلى أن الحكم في الإسلام صار بخلافه وهو كذلك بالنسبة لما وصف من الصنيع لكن التقدير بالحول استمر في الإسلام بنص قوله تعالى ﴿وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ ثم نسخت بالآية التي قبلها وهي ﴿يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ (١).

### القسم الثاني الحداد في العصر الحاضر

إعلم أنها قد انتشرت في عصرنا الحاضر ظاهرة مخالفة للإسلام التبس أمرها على بعض زعماء المسلمين وهي الحداد وتنكيس الأعلام لوفاة زعيم من الزعماء مدة معينة تقدر غالباً بثلاثة أيام أو سبعة أيام أو ثلاثين يوماً أو أربعين يوماً أو أكثر أو أقل وبما أن ذلك مخالف لتعاليم الإسلام فالواجب على العلماء تبين أمر هذه الشبهة لأبناء المسلمين الذين جهلوا أو تجاهلوا ودحضها بالأدلة الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة أداء للواجب على حد قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾. (آل عمران: ١١٠). وقوله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾. (آل عمران: ١٠٤) وحيث أنني واحد من المتخصصين في علوم الشريعة فقد رأيت أنه من الواجب على القيام بهذه المهمة حسب الإمكان لأن أمرها قد شاع وذاع في الأوساط الإسلامية حتى أصبحت من الأمور العادية المألوفة وصدق القائل حيث يقول (إذا كثر الامساس قل الإحساس فأقول وبالله التوفيق المسلم هو الذي يطبق أحكام الإسلام بفعل الأوامر واجتناب النواهي والأحكام الشرعية لا تعرف إلا بالأدلة الشرعية وقد دلت

(١) فتح الباري ج ٩ ص ٤٨٤.

النصوص النبوية والأدلة العقلية واجماع الصحابة الذين عاشوا أيام الرسالة على أنه لا يجوز العمل بخكم ما الا إذا كان له اصل يدل عليه دليل من الأدلة التي قررها أئمة الفتوى مصدراً للاستدلال ومن ذلك الحداد في العصر الحديث فانه لا دليل على جوازه ولا إباحته ويظهر ذلك فيما يأتي .

(١) لا ريب ان الحداد لا يشرع الا للمرأة في حق زوجها أو قريبها الميت وقد دلّ الدليل من الكتاب والسنة واجماع الصحابة على أنه ليس لغير المرأة أن تحد على ميت بل ذلك خاص بها فلاحديث الصحيحة التي تم ثبتهاً قريباً كلها تنهى عن الحداد وتحذر منه الا في حق الزوجة فانها تحد على زوجها أربعة أشهر وعشراً كما جاءت الرخصة عنه ﷺ للمرأة خاصة أن تحد على قريبها ثلاثة أيام فأقل كذلك الآيات القرآنية التي تفيد ايجاب العدة على المرأة المتوفى زوجها قاضية بعدم جواز الا حداد من غيرها وكذلك اجماع الصحابة الذي تم ثبته قريباً .

أما ما سوى ذلك من الحداد فهو ممنوع شرعاً وليس في الشريعة الكاملة من كتاب ولا من سنة ولا اجماع ولا قياس صحيح ولا قول صحابي ما يدل على ذلك فدل على أنه لا يجوز على ملك ولا زعيم ولا غيرها .

(٢) ان هذا العمل فيه مخالفة صريحة للشريعة المطهرة وأمر ترتب عليه اضرار كثيرة وتعطيل المصالح والتشبه بأعداء الإسلام وهو ممنوع شرعاً .

(٣) أنه قد مات في حياة النبي الكريم ﷺ ابنه ابراهيم وبناته الثلاث رقية وأم كلثوم وزينب وعمه حمزة واعيان آخرون في غزوة مؤتة فلم يحد عليهم ثم توفي النبي ﷺ وهو اشرف الخلق وافضل الأنبياء وسيد ولد آدم والمصيبة بموته أعظم مصائب لأن بموته ينقطع خبر السماء لكونه آخر الأنبياء ومع هذا لم يحد عليه الصحابة رضى الله عنهم ثم مات ابوبكر الصديق رضى الله عنه وهو افضل الصحابة واشرف الخلق بعد الأنبياء فلم يحد عليه ثم قتل عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وهم افضل الخلق بعد الأنبياء وبعد ابى بكر الصديق فلم يحدوا عليهم وهكذا مات الصحابة جميعاً فلم يحد عليهم التابعون وهكذا مات أئمة الإسلام وأئمة الهدى من التابعين ومن بعدهم كسعيد بن المسيب وعلى بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن على وعمر بن عبد العزيز والزهري والإمام أبى حنيفة وصاحبه والإمام مالك ابن أنس والازاعي والثوري والإمام الشافعي والإمام احمد بن حنبل واسحق بن راهويه

وغيرهم من أئمة العلم والهدى ولم يجد عليهم المسلمون ولو كان خيراً لكان السلف الصالح  
إليه اسبق والخير كله في اتباعهم والشرف في مخالفتهم .

(٤) ان الدين الإسلامي قد اكتمل بوفاة النبي الكريم على حد قوله تعالى ﴿اليوم  
أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ . (المائدة : ٣) فهل  
في شريعة الإسلام ما يشير ولو من طرف خفى الى جواز هذا الأمر؟ اننا لا نجد ما يدل على  
ذلك وفعله من زعماء المسلمين وقادتهم مع عدم وجوده في الشريعة المطهرة مخالفة ظاهرة لهذه  
الشريعة وقدح في كمالها وانتقاص لها وأنها لم تفي بما يجدر من الاحكام وقد قرر أئمة الهدى  
ومصاييح الظلام قديماً وحديثاً أنها صالحة لكل زمان ومكان شاملة لمصالح العباد ماضيها  
وحاضرها ومستقبلها<sup>(٥)</sup> إن الأحكام الشرعية توقيفية أعنى أنه لا يجوز إثباتها إلا من طريق  
الشارع خصوصاً ما يقدر بالزمن منها والا لجاز لكل احد أن يقول برأيه ما شاء فدل على أنه  
لا يجوز الحداد الا ما ورد به الحكم عن الشارع خصوصاً ما كان مقدراً بزمن معين وهذا الامر  
فيه تقدير بزمن وهو الحداد ثلاثة أيام أو سبعة أيام أو ثلاثون يوماً أو أربعون يوماً وهذا لا يكون  
الا بخبر السماء وتخبر السماء لا يعرف الا من طريق الأنبياء ولم يعرف عنهم جواز هذا العمل  
فدل على أنه مخالف لمنهج الله القديم .

إذا تبين هذا فالواجب على قادة المسلمين وأعيانهم ترك هذا الاحداد والسير على  
منهج سلفنا الصالح من الصحابة ومن سلك سبيلهم والواجب على أهل العلم تنبيه الناس  
على ذلك وأعلامهم به أداءً لواجب النصيحة وتعاوناً على البر والتقوى ولما أوجب الله  
سبحانه وتعالى النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم .



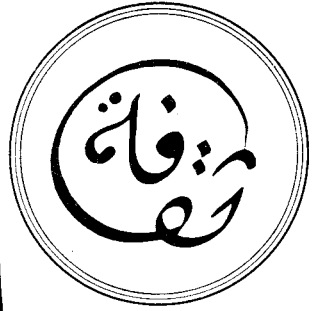
## اللقاء على العقيدة

في الإسلام يلتقى الناس على العقيدة في الله يلتقون لأن كلاً منهم  
يجب الله ورسوله، فلا تكون ذواتهم بارزة، ولا متوفرة لاقتناص المصلحة  
من الآخرين، إنما يكون الجانب البارز هو الحب، والحب عنصر سريع  
التلاحم شديد الالتصاق . . .

والإنسان المؤمن ليس في حاجة إلى توكيد ذاته بالبروز الزائد عن  
الحد، إنه موجود بالفعل، مطمئن إلى وجوده، يجد ذاته متكاملة في هذه  
العقيدة ويطمئن قلبه بذكر الله . . .

«من كتاب : منهج التربية الإسلامية»

اسلامی





# الكتاب والسنة

أثرهما ومطابقتها والضرورة إليهما في إقامة التعليم في مدارسنا

للدكتور زبيرع هاروي هزخلى

أستاذ مشارك بقسم الدراسات العليا بالجامعة

إن الحمد لله - نحمده ونتستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون . اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه .

وبعد : فإن الإسلام العظيم يحث على العلم ويشيد به ويمجد أهله ويرفع من شأنهم قال تعالى : ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ . (سورة الزمر: الآية ٩) وقال تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ . (سورة فاطر الآية ٢٨) .

وبين الرسول الكريم سيد العلماء وخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام أن طلب العلم نوع من أنواع الجهاد فقال :

«من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع» .

وأن البحث عنه وتطلبه يفضي بصاحبه إلى الجنة .

«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»<sup>(١)</sup> وللعلماء عند ربهم

درجات رفيعة عالية قال تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ .

(١) أخرجه البخارى ٣- كتاب العلم بدون إسناد، وأخرجه مسلم ٤٨ من كتاب الذكر والدعاء باب ١١- حديث ٢٧٠١

ضمن حديث طويل - وأبو داود ١٩٥ - العلم باب ١ - حديث ٣٦٤١ ضمن حديث طويل - والترمذى ١٩ كتاب العلم حديث ٢٦٨٢ - وأحمد في المسند ٢/٢٥٢ .

وبين تعالى الفرق الكبير بين العالم والجاهل فقال :

﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ .

وحكومتنا الرشيدة وفقها الله وثبت أركانها وسدد خطاها إدراكاً منها لمكانة العلم ومخاطره الجهل جندت إمكانيات هائلة ورصدت الميزانيات الضخمة ليشمل العلم والتعليم كل أفراد شعبها الكريم ذكوراً وإناثاً وصغاراً وكباراً تتدرج بهم في سلم العلم من المراحل الابتدائية إلى أعلى مراحل التعليم الجامعية وما بعد الجامعية (الدراسات العليا) في مختلف العلوم والفنون .

وهذه نعمة كبرى على هذا البلد العظيم مهبط الوحي ومنبع النور الذي أضاء العالم فبدد ظلمات الجهل والشرك والكفر فيجب على هذا البلد العظيم حكومة وشعباً أن يدرك قيمة هذه النعمة الكبرى ليبدل أقصى جهده في إرضاء ربه والقيام بواجب شكره حتى تدوم هذه النعمة الكبرى وتستمر قال تعالى .

﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولإن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ .

ويجب أن يدرك أنه لم يحتل هذه المكانة الرفيعة إلا بالعلم الذي أنزله على أفضل خلقه وأكرم رسله ألا وهو علم الكتاب والسنة والذي يحاول أعداء الإسلام بطرق خطيرة غاية الخطورة أن يحولوا بيننا وبينه فيضعون بيننا وبينه الحواجز والسدود الظاهرة والخفية حتى نعيش في ظلمات كثيفة من الجهل ونحيا حياة البهائم لا هم لنا إلا الأكل والشرب والمتاع الدنيوي .

إننا جميعاً حكومة وشعباً نعترز بالإسلام ونحبه ونجمله ونفتديه بأموالنا وأرواحنا وكل غال ونفيس ومع كل هذا- ونحن في غمرة السباق مع أعدائنا في ميادين العلوم الدنيوية السباق الذي لا يمكن أن ندرك شأوهم فيه لأنهم قوم لا هم لهم إلا الارتواء من متع الدنيا وشهواتها وملذاتها ولا يباليون بما وراء ذلك من جنة أو نار أو حساب أو عذاب بل هم بذلك كافرون ﴿بل هم في شك منها بل هم منها عمون﴾ .

إن أكثرنا اليوم : يقفون على حافة هوة خطيرة من الجهل بالقرآن والسنة ويوشك أن يصدق فينا قول الرسول الكريم :

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً .

فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) متفق عليه (١) .

(١) أخرجه البخارى ٣- العلم باب كيف يقبض العلم حديث ١٠٠ - ومسلم ٤٧ - كتاب العلم ١٤ حديث ٢٦٧٣ .



إن ما جاء به محمد ﷺ غيث مغدق لا بد أن ينهل منه أبناؤنا حتى التضلع كأسلافهم  
واتباعهم باحسان إلى يومنا هذا .

قال رسول الله ﷺ :

«مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة  
طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير .

وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب  
طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في دين الله  
ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم .

ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»<sup>(١)</sup> .

إننا نريد أن يكون أبناؤنا من الطائفتين الأوليين ونعيدهم بالله أن يكونوا من الطائفة  
الثالثة ولا يتم ما تطمح إليه إلا بالتركيز على دراسة الكتاب والسنة لأننا والحمد لله قد رضينا  
بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً فمن البدهي أن يكون أسمى أهداف حياتنا أن  
نعرف مصدر عزنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة ألا وهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من  
بين يديه ولا من خلفه وبيانه وشرحه وتفصيله سنة رسول الله ﷺ اللذين غيرا مجرى تاريخ  
البشرية على وجه الأرض بعد أن أحيا من رفاة الأمة العربية ولم من شتاتهم وأخرج منهم خير  
أمة اخرجت للناس . وما كانت الأمة الإسلامية والعربية إلا بهذا القرآن ولا كان لها دوله ولا  
صولة إلا به ولننظر إلى تأثير هذا القرآن .

## ١- تأثير القرآن الكريم في أنفس العرب :

لقد أحدث هذا القرآن المعجز أكثر تحول في حياة البشر فقلب طباع الكهول والشباب  
وأخلاقهم وتقاليدهم وعاداتهم وحوّلها إلى ضدها علماً وعملاً بما لم يعهد له نظير في تاريخ  
الإنسانية .

فكان القرآن آية خارقة للمعهود من سنن الاجتماع البشري في تأثيره بالتبع لكونه آية  
معجزة للبشر في لغته وأسلوبه .

وبعد أن قلب حياة العرب في الجزيرة العربية من جهل إلى علم ومن شرك إلى توحيد  
ومن فرقة وفوضى إلى اجتماع وتنظيم اندفعوا كالسيل الآتي على الأقطار من نواحي الجزيرة

(١) أخرجه البخاري ٣ - العلم . الحديث ٧٩ .

كلها فأطاحوا بعروش الأكاسرة والقياصرة أعظم ملوك الأرض واقتلعوا جذور الشرك والظلم ونشروا التوحيد والحق والعدل ودخل الناس في دين الله أفواجا مختارين الاهتداء بهذا القرآن . لاجرم أن سبب هذا كله هو تأثير القرآن العظيم بهذا الأسلوب الذي نراه في المصحف فقد كان النبي - ﷺ يجاهد به الكافرين كما أمره ﴿ فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾ ثم كان يربي المؤمنين ويزكيهم وهدايتهم والتأسي بمبليغهم ربوا الأمم وهذبوها وقلما يقرؤه أحد كما كانوا يقرؤون الا ويهتدى به كما كانوا يهتدون ثم حكموا الدنيا وساسوها بهذا القرآن إذالم يكن عندهم شىء من العلم بسياسة الأمم وإدارتها إلا هذا القرآن والأسوة الحسنة بمبليغهم ومنفذه الأول وبسنته المطهرة أقواله وافعاله وتقريراته ﷺ ولن يعود للمسلمين مجدهم وعزهم إلا إذا عادوا إلى هدايته لقد كان لهذا القرآن العظيم في حياة الناس مسلمهم وكافرهم تأثير بعيد الغور أما تأثيره في الكافرين فبنفوذ بلاغته ، وعظمة نظمه وأسلوبه الجاذب لفهم دعوته والإيمان به إذ لا يخفى حسنها على أحد فهمها وكانوا يتفاوتون في الفهم تفاوتاً عظيماً لاختلاف درجاتهم في بلاغة اللغة وفهم المعاني العالية فهذا التأثير هو الذي أنطق الوليد بن المغيرة المخزومي بكلمته العالية فيه لأبي جهل التي اعترف فيها بأنه الحق الذي يعلو ولا يعلى والذي يحطم ما تحته .

وهذا التأثير هو الذي كان يجنب رءوس أولئك الجاحدين المعاندين ليلاً لاستماع تلاوة رسول الله ﷺ في بيته على ما كان من نهيمهم عنه ونأيهم عنه وتواصيهم وتقاسمهم بالأسماع له ثم كانوا يتسللون فرادى مستخفين ويتلاقون في الطريق متلاومين . وهذا التأثير هو الذي حملهم على منع أبي بكر الصديق - رضي الله عنه . من الصلاة والتلاوة في المسجد الحرام ليلاً لما كان لتلاوته وبكائه في الصلاة من التأثير الجاذب الى الاسلام وعللوا ذلك بأنه يفتن نساءهم وأولادهم ، بل هذا التأثير هو الذي حملهم على صد النبي ﷺ بالقوة عن تلاوة القرآن في البيت الحرام وفي أسواق الموسم ومجامعهم ، وعلى نواصيهم بما حكاها الله عنهم في قوله : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ . (فصلت : ٢٦) .

## (٢) «تأثير القرآن في انفس المؤمنين»

أما تأثيره في المؤمنين فكان كل من يدخل في الإسلام قبل الهجرة يلقن منازل من القرآن ليعبد الله بتلاوته ويعلم الصلاة ولم يفرض في مكة من أركان الإسلام غيرها فيرتل ما

يحفظه في صلاته اقتداءً بالنبي ﷺ إذا فرض الله عليه التهجد بالليل من أول الإسلام قال تعالى في أول سورة «المزمل»: ﴿يأأيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقض منه قليلاً أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلاً﴾ .

ثم قال في آخرها : ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن﴾ . (المزمل : ٢٠) أي في صلاة الليل وغيرها .

وقد قال تعالى في وصفهم : ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ . (الفرقان : ٦٤) .

وقال تعالى : ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ولما رزقناهم ينفقون﴾ . (السجدة : ١٥-١٦) .

ولما ورد في وصفهم - رضي الله عنهم - أن الذين كان يمر بيوتهم ليلاً يسمع منها مثل دوي النحل من تلاوة القرآن .

وقد شدد بعضهم على أنفسهم فكان يقوم الليل كله حتى شكا منهم نساؤهم فنهاهم النبي ﷺ - عن ذلك فتزكية الصحابة وتربيتهم بهذا القرآن هي التي غيرت كل ما كان بأنفسهم من مفساد الجاهلية وزكته تزكية عالية وهي التي أحدثت أعظم تحول روحي واجتماعي في التاريخ هذا كله إنما كان بكثرة تلاوة القرآن في الصلاة وغير الصلاة وتدبره وربما كان أحدهم يقوم الليل بآية واحدة يكررها متدبراً لها وكانوا يقرأونه مستلقين ومضطجعين كما وصفهم الله .

﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ . (آل عمران : ١٩١) .  
وأعظم ذكر الله تلاوة كتابه المشتمل على ذكر أسماؤه وصفاته المقدسة وأحكامه وحكمه وسنته في خلقه وأفعاله في تدبير ملكه (١) .

«منزلة السنة من القرآن ومكانتها في نفوس المسلمين» .

السنة المطهرة هي ما صدر من النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير وهي وحي الهي قال تعالى : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ . وهي بيان القرآن وتفسيره فهي تبين جملة وتفيد مطلقه وتخصص عامة وهي واجبة اتباع بنص القرآن الكريم .

(١) راجع تفسير المنار ١١/٢٠١-٢٠٥ .

قال تعالى : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ . (الحشر: ٧) .  
وقال تعالى : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب  
أليم﴾ . (النور: ٩٣) .

وقال تعالى : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في  
أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ . (النساء: ٦٥) .  
وامر الله في كثير من آيات القرآن بطاعة هذا الرسول الكريم قال تعالى : ﴿يا أيها  
الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول﴾ . (النساء: ٥٩) .  
وأخبر تعالى أن طاعة الرسول إنما هي طاعة الله قال تعالى : ﴿من يطع الرسول فقد  
أطاع الله﴾ .

وقرر الله انه ليس للمؤمنين أي خيار أمام قضاء رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿وما كان  
لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ . (الأحزاب:  
٣٦) .

والحياة الحقيقية والصحيحة إنما هي في الاستجابة لهذا الرسول .  
قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا  
أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون﴾ . (الأنفال: ٢٤) .

من هذه التوجيهات القرآنية أدرك المؤمنون عظمة السنة ومكانتها وادركوا أنه يجب  
عليهم التزامها في كل شأن من الشؤون الإسلامية العقائدية والعبادية والسياسية  
والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية لا فرق بينها وبين القرآن من حيث وجوب الالتزام  
والطاعة والانقياد والتصديق إن توجيهات وتعاليم القرآن والسنة المطهرة متمازجة متساندة في  
كل المجالات التي خاضها القرآن لا يعد مؤمناً من يفرق بينها في النواحي العقائدية او  
العملية ذلك لأنه يستحيل تطبيق القرآن بفهم بدون هذه السنة المطهرة وكيف يفرق بينها من  
يؤمن بقول الله تعالى : ﴿بالبينات والزبر وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم  
ولعلمهم يتفكرون﴾ . (النحل: ٤٤) . وما جرى مجراها في بيان منزلة الرسول ﷺ وسنته .  
من أين نعرف أعداد ركعات الصلوات الخمس وأوقاتها وهيأتها واذكارها إذا كنا لا  
نعرف السنة .

وكيف نعرف شروط الزكاة ومقادير انصبتها إذا لم تكن لدينا سنة محمد ﷺ وبيانه .  
ومن أين نعرف حد شارب الخمر ورجم الزاني وقطع يد السارق إذا لم نرجع إلى السنة

المطهرة هذه وغيرها من الأمور الكثيرة التي يتوقف الإيـان بالقرآن وتطبيقه على الإيـان بالسنة ومعرفتها وتطبيقها والتزامها واتباعها. قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ .  
«مكانة السنة في نفوس الأمة» .

من هنا أدركت الأمة الإسلامية عظمة السنة ومكانتها فحفظوها كما حفظوا القرآن وسانوها كما صانوا القرآن ودونوا فيها الدواوين من الجوامع والمسانيد والمعاجم والأجزاء والمصنفات والقوا في رجالها وأسانيدها الكتب التي لا تحصى والقوا الصحاح والسنن وفي الموضوعات والعلل بعد أن ميزوا الصحيح من الضعيف في الموضوع والوف المحدثين جندو أنفسهم لخدمتها وكابدوا في سبيلها المشاق والسهر والرحلات الطويلة الى مختلف بلدان العالم الاسلامي من شرقه الى غربه ومن شماله الى جنوبه .

أما المؤلفات فهذه مكـبات الدنيا تزخر بها حتى مكـبات أوروبا وأمريكا والهند حيث استحوذت على إعجابهم وأدركوا أنه أعظم كنز يتباهون به في مكـباتهم .  
وأما الرحلات في سبيلها التي بذلها المسلمون في فجر تاريخهم فلا يحصيها إلا الله وكتب التاريخ والرجال حافلة بذلك .

إلا أننا نختار هنا أربعة نماذج للتدليل على تقدير الأمة الإسلامية لسنة نبيهم واهتمامهم بها ومكانتها في أنفسهم .

١- خرج أبو أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - من المدينة النبوية إلى عقبة بن عامر بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ فلما قدم الى منزل مسلمة بن مخلد الانصاري وهو أمير مصر فأخبر به فعجل فخرج اليه فعانقه وقال : ما جاء بك يا أبا أيوب؟ .  
فقال : «حديث سمعته من رسول الله ﷺ - لم يبق أحد سمعه غيري وغير عقبة بن عامر فابعث من يدلني على منزله قال : فبعث معه من يدلني على منزل عقبة فأخبر عقبة به فعجل اليه فعانقه وقال : ما جاء بك يا أبا أيوب» فقال حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن قال : نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من ستر مؤمنا في الدنيا على خزية ستره الله يوم القيامة» .

فقال له أبو أيوب صدقت «ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً الى المدينة فما ادركته جائزة مسلمة بن مخلد الا بعريش مصر(١)» .

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند مختصراً (٤/١٥٣) والرحلة للخطيب ص ١٢٠ .

٢ - قال جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم اسمعه منه قال : فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي فسرت إليه شهراً حتى أتيت الشام فإذا هو عبد الله بن انيس الأنصاري قال : فأرسلت إليه أن جابراً على الباب قال : فرجع إلي الرسول فقال ؛ جابر بن عبد الله فقلت : نعم .  
قال : فرجع الرسول إليه فخرج فاعتنقني واعتنقته قال : قلت : حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر الله العباد أو قال يحشر الله الناس قال : وأوماً يده إلى الشام عراة غرلاً بهما قلت : «وما بهما» قال : «ليس معهم شيء» الحديث .  
٣ - جاء رجل إلى الشعبي فقال : يا أبا عمرو إن ناساً عندنا يقولون :  
«إذا اعتق الرجل أمة ثم تزوجها فهو كالراكب بذلته» .

قال الشعبي : حدثني أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : الرجل من أهل الكتاب كان مؤمناً قبل أن يبعث النبي ﷺ فله أجران ورجل كانت له جارية فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم اعتقها وتزوجها فله أجران»<sup>(١)</sup> خذها بغير شيء فلقد كان الرجل يرحل في أدنى منها إلى المدينة .  
٤ - قال شعبة : حدثني أبو اسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر قال : كنا نتناوب رعية الإبل على عهد رسول الله ﷺ فجئت ذات يوم والنبي حوله أصحابه فسمعتهم يقول :

«من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين فاستغفر الله إلا غفر الله له» .  
قال : فقلت لأبي اسحاق : من عبد الله بن عطاء قال : فغضب ومسعر بن كدام حاضر قال : فقلت له لتصححن لي هذا الحديث أو لأحرقن ما كتبت عنك فقال لي مسعر : عبد الله بن عطاء بمكة . قال شعبة فرحلت إلى مكة لم أرد الحج أردت الحديث فلقيت عبد الله بن عطاء فسألته؟ فقال : «سعد بن ابراهيم حدثني» .  
فقال لي مالك بن انس : «سعد بن ابراهيم بالمدينة لم يحج العام» .  
قال شعبة : فرحلت إلى المدينة فلقيت سعد بن ابراهيم ، فسألته .  
فقال : الحديث من عندكم لزياد بن مخرق حدثني قال شعبة فلما ذكر زياداً . قلت :

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٩٥ والبخاري في الأدب المفرد ٢/ ٤٣٣ . وأخرجه في صحيحه تعليقاً بصيغة الحزم ٢٢/١ والحاكم في المستدرک وصححه ٢/ ٤٢٧ - ٤٢٨ . ووافقه الذهبي . والرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ص ١١١ .

أي شيء هذا الحديث بينما هو كوفي إذ صار مدنيا إذ صار بصريا قال : فرحلت الى البصرة فلقيت زياد بن مخرق فسألته؟ .

فقال : ليس هو من يأتيك قلت : حدثني به قال : لا ترده قلت : حدثني به قال : حدثني شهر بن حوسب عن ابي ربحانة عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ - قال شعبة : « فلما ذكر شهر بن حوسب قلت دمر علي هذا الحديث لو صح لي مثل هذا عن رسول الله ﷺ كان احب الي من اهلي ومالي والناس » أجمعين» (١) .

على أي شيء تدل مثل هذه الرحلات الطويلة الشاقة من أجل حديث واحد ألا تدل على إيمان صادق وحب صادق لرسول الله ﷺ وسنته وهديه ومعرفة بمكانتها وأنهم قوم يعرفون القيم الحقيقية للأشياء وأن حديثا واحداً عندهم خير من الدنيا وما عليها لهذا استحقوا أن يعزهم الله وأن يبوءهم سنام المجد والعز والتمكين .

سمعوا قول الله ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ . وسمعوا قول رسول الله «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى منها كافراً شربة ماء» .

وسمعوا قوله «لموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها» .

وسمعوا قوله «لغدوة أوروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها» .

فهانت الدنيا وصغرت في أعينهم وعظم أمر الاسلام والقرآن والرسول وسنته في أعينهم ونحن على النقيض صغرت هذه الأمور الكبيرة العظيمة في أعيننا وكبرت الدنيا وشهواتها وملاذها في أعيننا وصرنا نركض ونلهث لتخفيف أكبر متاع منها .

فهنأ على الله وسلط علينا الأعداء وحاق بنا في الذل والهوان ما لا ينزعه عنا إلا العودة

الجادة إلى الله والاعتزاز بهذا القرآن وهذه السنة كما اخبرنا بهذا المصير رسول الله ﷺ .

«إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع واتبعتم أذناب البقر سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» وديننا هو القرآن والسنة وأول خطوة في طريق العودة إلى الله يتمثل في أمور :

١ - إصلاح المناهج . ٢ - إختيار المدرس . ٣ - إختيار الطلاب الأذكياء .

٤ - تهيئة الجو لتربية الطلاب تربية إسلامية صالحة .

(١) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ص ١٥١ ، وأصل الحديث في صحيح مسلم ١/١٤٤ .

## أولاً- إصلاح المناهج .

لست بصدد وضع خطة شاملة أو وضع مناهج تفصيلية لكل المراحل العلمية فهذه لها من يقوم بها وهم المسؤولون عن هذه المناهج .

ولا شك أنهم حريصون على ما يسعد أمتهم ويرفع من شأنهم في الدنيا والآخرة . ولا شك أيضاً أنهم على استعداد لتقبل ما يقدم لهم من الاقتراحات النافعة .

وهم والحمد لله قد وضعوا مادة القرآن كمادة أساسية ضمن المناهج المقررة في المدارس في مختلف المراحل ظناً منهم أن هذا الأمر كان لتربية أبنائهم تربية إسلامية .

غير أن الأيام أثبتت والتجارب برهنت أن نصيب القرآن في هذه المناهج غير كاف ولا مؤثر في أبنائنا التأثير المطلوب .

إذن لابد من إعادة النظر ولا بد من العمل الجاد في وضع منهج يخرج شباباً محمدياً يفهم الإسلام ويحفظ القرآن ويعتز بمبادئه ومثله ويطبق شعائره ويجاهد من أجلها حتى آخر رمق من حياته .

إن واقع المناهج الحالية يعجز أن ينجب هذا النوع الذي نتطلع إليه وهذا شيء لا نريده جميعاً ولا نرضاه ولكنه وقع من حيث لا نشعر فمثلاً لو استعرضنا منهج المرحلة الابتدائية لوجدنا أننا كلفنا أبناءنا وبناتنا فوق طاقاتهم وهي مرحلة أساسية في بنائهم فلا بد أن نراعى مداركهم واستعدادهم وأن يقدم اليهم ما يرغبهم ويشجعهم إلى المضي قدماً في طريق الإسلام عن فهم وحب ورغبة في العلم .

وليكون الأمر واضحاً أضع أمامكم منهج سنتين من سنوات المرحلة الابتدائية :

أولاً : مقرر السنة الثالثة ابتدائي :

- ١ - مادة الرياضيات كتاب يقع في ١٨١ صفحة
- ٢ - مادة العلوم كتاب يقع في ١٠٤ صفحة
- ٣ - أناشيد كتاب يقع في ٨٤ صفحة
- ٤ - مادة المطالعة كتاب يقع في ١٤٠ صفحة
- ٥ - مادة القرآن يضاف إليها المجموع ٥٠٩ صفحة

ثانياً : مقرر السنة الخامسة ابتدائي للبنات :

- ١ - الرياضيات في ٢١١ صفحة
- ٢ - المطالعة في ١٦٧ صفحة
- ٣ - التربية النسوية في ١٦٥ صفحة



٦٧ صفحة	٤ - الجغرافيا في
١٤٥ صفحة	٥ - العلوم في
	٦ - الحديث والتوحيد والفقہ
١٨٦ صفحة	والتجويد في
١٥٨ صفحة	٧ - القواعد اللغوية في
٨٠ صفحة	٨ - التاريخ في
	المجموع
١١٧٩ صفحة	

### إلى جانب مادة القرآن والخط .

كيف يستطيع هؤلاء البراعم أن يهضموا أو يفهموا هذه المواد التي قد يعجز كثير من أساتذتهم أن يفهموها إياها وإذا واجه أحد الطلاب مشاكل لا يستطيع أهله ولا جيرانه أن يحلونها وربما الأمر أدهى فيما بعد المرحلة الابتدائية أما القرآن فحدث عنهم ولا حرج فإن الكثير أو الأكثر يتجاوزون المراحل كلها بما فيها الجامعية وهم لا يحسنون تلاوته من المصحف فضلا عن حفظه وفهمه هذا حقيقة والواقع أكبر شاهد وهذه خسارة فادحة لا تقدر بثمن ولا تعوز وإذن فما الحل وما هو الطريق الذي يجب أن نرسمه ونقيم حياتها عليه .

الحل الصحيح في نظري يتمثل فيما يأتي :

أولا : تكثيف مدارس تحفيظ القرآن تنصبُ العناية فيها على تحفيظ القرآن ثم يضاف إليه ما يساعدهم على إجادة قراءته كالخط والإملاء إلى السنة الرابعة ثم تضاف مادة الحساب الجمع الطرح الضرب الجمع في السنة الرابعة- الطرح في الخامسة الضرب في السادسة مع كتاب لطيف يشرح لهم العقيدة والصلاة .

وليكن التركيز في هذه المرحلة على حفظ نصف القرآن على الأقل .

ويشرف على اختبار الطلاب في نهاية كل سنة لجان من حفاظ القرآن الثقات بحيث لا ينتقل الطالب من صف الى آخر إلا بعد التأكد من حفظ مقرر القرآن في الصف الذي ينتقل . والطالب الذي يعجز عن حفظ المقرر .

يبقى في سنته تلك للقيام بواجب حفظه القرآن في سنته التي يبقى فيها ولا يجتاز هذه السنة إلا بعد التأكد من حفظه لمقررها .

ثم تستمر هذه المدارس في تحفيظ القرآن ودراسة علومه في المرحلة المتوسطة ولتكن هذه المرحلة خمس أو ست سنين .

ويكون التركيز في هذه المرحلة على حفظ النصف الباقي من القرآن مع مراجعة النصف الأول مراجعة جادة حتى لا ينساه الطلاب ثم يضاف إلى حفظ القرآن مادة التجويد ومادة التوحيد والفقه والحديث يختار لهم الأمور المهمة في العقيدة والفقه ويكلفون بحفظ أربعين حديثاً على الأقل في كل سنة .

ثم الجغرافيا في السنة الأولى والتاريخ في باقى السنوات .  
ثم تستمر هذه المدارس في العناية الجادة بحفظ القرآن في المرحلة الثانوية ولتكن هذه المرحلة أربع سنوات أيضاً .

يعتنى فيها بمراجعة حفظ القرآن عناية جادة مع دراسة علوم القرآن وعلوم الحديث والحديث والفقه والفرائض ويستمر اختبارهم في حفظ القرآن عن طريق اللجان المذكورة في كل سنة من السنوات على الوجه السابق .

ثم بعد اجتيازهم المرحلة الثانوية يوزعون على كليات الشريعة والحديث والقرآن الآتى ذكرها .

ثانيا : المدارس القائمة حالياً تكون المرحلة الابتدائية على غرار ما ذكرته في الابتدائية من مدارس تحفيظ القرآن في كل شيء .

ب - المرحلة المتوسطة : لتكن ست سنوات ويعنى فيها بحفظ النصف الباقي من القرآن ويجرى الامتحان في حفظ القرآن على غرار ما ذكرناه في مدارس تحفيظ القرآن والذي لا ينجح في مقرر السنة التى هو فيها يبقى فيها إلى أن يجتازها بنجاح ويقرر في هذه المرحلة مواد المرحلة الابتدائية الحالي مع استحسان تحفيظها باختصار بعض المواد الصعبة وتوضيحها وابعادها عن الرموز والتعقيد وتصفيتها من الشوائب مع ربطها بالعقيدة الإسلامية الحقة .

ج - المرحلة الثانوية : لتكن أربع سنوات وفي هذه المرحلة يحسن تقسيمهم على حسب ميولهم واستعدادهم للتخصصات المستقبلية فقسم للطب وقسم للهندسة وقسم للقرآن وعلومه وقسم للحديث وعلومه وقسم للشريعة وقسم للاقتصاد الإسلامي وهكذا مع العناية بمراجعة حفظ القرآن والاختبار فيه في نهاية كل سنة يتقدم الناجح ويبقى الراسب إلى ان يجتاز سنته بنجاح .

ومع دراسة قضايا مهمة في العقيدة والفقه وشيء من حفظ الحديث في كل سنة من سنوات قسم الطب والهندسة والاقتصاد .  
ثم يتخرج طلاب كل قسم الى الكلية التى فيها اختصاصه .

## المرحلة الجامعية :

ينبغي أن تقوم في كل جامعة من جامعات المملكة كليات .

(١) للقرآن (٢) للحديث (٣) للشريعة .

ثم يستمر في المرحلة الجامعية في كل الكليات كلية الطب كلية الهندسة . الخ .

في مراجعة حفظ القرآن وحفظ مقدار مناسب من الحديث .

في كل سنة من السنوات ويختبرون في الحفظ ولا يجتاز الطالب سنة إلى أخرى إلا بعد

النجاح فيما يقرر مراجعة حفظه في القرآن ومقرر الحفظ من الحديث . مع إضافة شيء من

علوم القرآن والحديث إلى المواد المقررة في كل كلية من الكليات .

وإضافة مادة للرد على شبهات المستشرقين وغيرهم من أعداء الإسلام .

الشبهات التي يوجهونها ضد الإسلام في كل سنة من سنوات جميع الكليات هذا مع

اشعار الطلاب جميعاً وفي كل المراحل أنهم أخوة في الله وأن غايتهم جميعاً واحدة وأنهم جميعاً

جند في سبيل الله وأنهم لبنات في صرح مجتمع إسلامي واحد يشد بعضهم بعضاً وأن تزال

كل أسباب التنافر الموجودة بينهم وأن يساوى بين خريجي مختلف الكليات في الرواتب

والمراتب وأن توجه كل طاقاتهم ضد أعداء الإسلام الذين تكالبوا على الإسلام والمسلمين

والذين تداعوا على المسلمين كما تداعى الأكلة على قصعتها .

أعداء الإسلام على اختلاف أديانهم وعقائدهم من استعماريين وشيوعيين وصهيونيين

ومبشرين الذين يجمعهم التعصب الأعمى والحقد المميت ضد الإسلام والمسلمين .

إن أعداء الإسلام الذين يدركون تمام الإدراك تأثير القرآن والسنة في حياة المسلمين

فيحاولون بدهاء وخبث أن يفصلوا بين المسلمين وبين كتابهم الخالد وسنة نبيهم المطهرة

الذين يبعثان في المسلمين بين الفينة والأخرى الحياة الصحيحة حياة الإيمان الصادق

ويبعثان فيهم روح الجهاد ويكسبناهم النصر على أعدائهم لأنهم حينما يعتصمون بكتاب

ربهم وسنة نبيهم يكون الله معهم فيؤيدهم وينصرهم على أعدائهم .

فتحت شعار البحث العلمي وحرية الفكر تناول المشرون والمستعمرون والصلبيون

والصهيونيون والشيوعيون القرآن شر تناول .

وباسم الحضارة والمدنية قضاوا على ما فيه من تشريع وعبادة .

وباسم حرية الفكر واطلاقه من أغلال العقيدة زعزعوا قواعد دين الاسلام في نفوس

المهزوزين .

وباسم البحث العلمي نزعوا عن القرآن قداسته من نفوس الضعفاء وهذا أشد وأنكى

على الإسلام والمسلمين من الحروب العسكرية .

ولا يرد هذا الكيد الخبيث والعمل الرهيب إلا أن نحصن أبناءنا بتعاليم الكتاب والسنة وأن نسلحهم بالحجج الدامغة المزهقة لباطل ومفتريات أعداء الإسلام وإلا أن نخرج الجندي المسلم والطبيب المسلم والمهندس المسلم والمحدث الواعي والفقير المتبصر . وكل هذا سيحققه إن شاء الله المنهج الذي رسمناه وتحدثنا عنه .

ثانياً : اختيار المدرس :

المدرس له اثره البالغ على التلميذ فهو أسوته ومثله فيجب اختيار المدرس الرباني

التقى .

قال تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ .

والعلماء هم ورثة الأنبياء في علمهم وأخلاقهم ودعوتهم إلى الله ، فلا بد للمدرس أن يتمتع بحظ وافر من هذه الوراثة .

في علمه أن يكون عالماً بدينه وفي أخلاقه من الأخلاص والصبر والحلم وصدق الحديث والفعل إلى جانب الذكاء والحرص على تنشئة تلاميذه على الإسلام الحق وأخلاقه وآدابه ومثله .

ولا ينبغي بحال من الأحوال أن يكون الاعتماد في اختيار المدرس على الشهادات بل يجب أن يراعي في الدرجة الأولى عقيدته وأخلاقه الإسلامية وتمسكه بدينه . وهذا أمر مهم جداً لا مناص من اعتباره .

فالمدرس الذي انجرف في عقيدته وفكره أو الضعيف الاخلاق والسلوك او المتهاون في العبادة والصلاة أخطر على أبنائنا من الأمراض الفتاكة وما نشاهده من انحراف في سلوك كثير من الطلاب أو تهاونهم في أداء الصلوات بل استئغالها وما نراه من زهدهم في القرآن وتلاوته وحفظه وفهمه يعود معظم وزره على كثير من المدرسين الذين أثروا بسلوكهم في أبنائنا وفلذات أكبادنا .

فعلينا أن نستمر عن ساعد الجد لعلاج المصابين منهم في أخلاقهم وسلوكهم وعلينا أن نبذل كل ما نستطيع من طاقات لحمايتهم ووقايتهم من الأمراض الفكرية والخلقية أشد مما نبذله لعلاج أجسادهم وحمايتهم .

فكها لا نثق بالطبيب الذي يقدم الإبر المسمومة والدواء الفاسد الذي قد يؤدي بحياتهم كذلك يجب أن نحميهم ممن يفتك بأخلاقهم وسلوكهم من المدرسين .

وكما يجب أن نختار الطبيب الأمين المخلص كذلك يجب أن نختار المدرس الأمين الصادق المخلص أكثر وأكثر وأهم وأهم .

### ثالثاً- إختيار الطلاب الأذكياء

الطلاب هم أبناء اليوم ورجال الغد فهم رجال المستقبل الذين سيكون منهم الأستاذ المسلم والقاضي المسلم والجندي المسلم والطبيب المسلم والمهندس المسلم .

وهذه أمور مهمة وعظيمة جداً فلا بد من دراسة مواهبهم واستعداداتهم ولا بد لكل ثغر من ثغور الإسلام أن يملأ برجاله وأهل الكفاءات فيه فمن المرحلة الثانوية يبدأ التقسيم، تقسيم الطلاب إلى الاختصاصات التي ذكرتها سابقاً لا بمجرد أن يختار كل طالب ما يريد .

بل لابد من الاستعانة برأى الأساتذة الأذكياء المخلصين الذين يعرفون المواهب والاستعدادات بفراساتهم وتوسمهم وخبرتهم وتجارتهم .

إن الأذكياء من أبنائنا اليوم ينصرفون عن العلوم الإسلامية من قرآن وحديث وتفسير وفقه لأشباب يعلمها الله .

والمعاهد العلمية والكلليات الشرعية لا يوجد فيها إلا النادر من الأذكياء لقد كان الأذكياء والعباقرة في عهود الإسلام الزاهية يتجهون إلى دراسة العلوم الإسلامية وتدريسها والتأليف فيها خصوصاً علوم الحديث فوصلوا بالعلوم الإسلامية وبالأمة الإسلامية إلى مستوى لا يوجد له نظير في تاريخ الإنسانية كله .

ونحن اليوم بأشد الحاجة والضرورة إلى هذا النوع من عباقرة الرجال ليعيدوا لنا مجد الإسلام .

وليسددوا الضربات القاتلة بفكرهم وأخلاقهم إلى أعداء الإسلام من مبشرين وغيرهم من منطلق الهجوم إلى ثغرات الأعداء التي لا تحصي في عقائدهم وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم .

إننا اليوم بخلو الميادين من أمثال هؤلاء في مركز دفاع هزيل عن الإسلام وأهله لا يحمي الأبناء ولا يصد هجوم الأعداء .

فلا بد إذن من ملء هذا المجال بالعباقرة والأذكياء بدل أن تضع كثير من طاقاتنا أو تذهب إلى مجالات أخرى لا تفيد منها بل قد تضر بأمته ودينها كما تحوّل كثير من أبناء الأمة الإسلامية إلى معاول بأيدي خصومنا وتوجههم لهدم كياننا وديننا .

رابعاً- تهيئة الجو لتربية الطلاب تربية إسلامية صالحة  
يجب أن يفهم الطلاب أن المدرسة معقل من معاقل الإسلام ومحضن يتربي فيه أبناء  
المسلمين ليؤدي كل واحد دوره في خدمة دينه وعقيدته .

وعلينا أن نفهمهم دينهم دين اخلاق عالية ومثل رفيعة وأن رسولهم خاتم الأنبياء وسيد  
ولد آدم عقال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقد قال الله في حقه : ﴿وإنك لعلى خلق  
عظيم﴾ .

ويجب أن يكون مديرو المدارس والأساتذة على مستوى عالٍ من الدين والخلق  
الرفيع .

كما يجب أن يجيبوا الصلاة الى نفوس الطلاب وأن يشعروهم أنها عماد الإسلام لن  
يقوم الدين إلا بها وأنها أهم شىء في حياتهم بعد الشهادتين فليقيموها جماعة في المسجد إن  
كان : بجوار المدرسة مسجد وإلا ففى المدرسة حتى يتم بناء مسجد يجاورها ومما يؤسف له مر  
الأسى أن بعض المدارس لا تقام فيها الصلاة وذلك يرجع فى الأغلب إلى سوء الإدارة  
وتهاون بعض المديرين فى أمر الصلاة كما يساهم إلى حد بعيد بعض المدرسين الذين لا  
يخافون الله فى أنفسهم ولا فى أمتهم ولا يدركون فداحة الجناية التى يرتكبونها فى حق الأمة  
ودينها .

هذه الصلاة تركها كفر قال رسول الله ﷺ : «إن العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة» من  
تركها فقد كفر<sup>(١)</sup> وكان الصحابة لا يرون شيئاً من العمل كفر سوى ترك الصلاة وقد افق  
العلماء أن من تركها جحداً فهو كافر ويقتل على هذا الكفر وإن تركها تكاسلاً وتهاونا  
فبعضهم يرى أنه كافر وهو مذهب قوى وله أدلته والآخرون يرون أنه يقتل حداً ومن يرى  
السجن دون القتل مذهبه ضعيف .

من المحتم علينا أن نشعر الطلاب باحترامها وأهميتها والذى تحدثه نفسه بالتهاون فيها  
فعلى المسؤولين أن يرغموه عليها إرغاماً كما قال رسول الله ﷺ (علموهم الصلاة لسبع  
واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم فى المضاجع) .

والذى لا تنجع فيه وساءل الترغيب والترهيب والعقوبة فالواجب ابعاده عن المدرسة  
لأنه جرثومة فاسدة قد يسرى بلاؤه فىمن حوله كما أن هذه الجدية والصرامة يجب أن  
تلاحقهم حتى فى خارج الدوام كالأندية الرياضية ومما يؤسف له أشد الأسف أن كثيراً من  
الأندية تمر بهم الصلاة وهم فى غمرة اللهو واللعب فلا يستحون من الله ولا ينجلون من الأمة

(١) أخرجه النسائى : باب الحكم فى تارك الصلاة ١١٧/١ . وأحمد فى المسند ٣٤٦/٥ .

وقد يكون فيهم بعض الأساتذة وقد يكون معهم بعض الشخصيات ان هؤلاء يجب أن تنالهم يد العدالة وان تنكل بهم تنكيلا شديداً يكون رادعا لأمثالهم ممن تسول له نفسه الاستخفاف بشيء من تعاليم الإسلام كالصلاة.

إن التهرب من الصلاة واستئغالها من سمات المنافقين الذين هم رسول الله باحراقهم والذين قال الله فيهم: .

﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ .  
ما يجري في الأندية الرياضية في العالم الإسلامي يجب على المسلمين أن يتخلصوا أو يخلصوا أبناءهم منه فإن له دوراً كبيراً في قتل الوقت وقتل الدين والخلق وينبغي ان يكون فقط في حدود الاطار الذي اباحه الاسلام دون ان يصتقدم بشيء من مبادئ الإسلام وأخلاقه ومثله .

كذلك وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة من واجبها أن تقدم النافع من البرامج للأمة وان تتعد عمالاً يتفق مع تعاليم الإسلام وعلى الأباء أن يراقبوا أبناءهم في متابعة البرامج حتى لا تضيع أوقاتهم في ملاحقتها فتصرفهم عن الدراسة الجادة وحفظ القرآن وينبغي أن يكون هناك توعية وتنبيه الأباء والأمهات في دعامة أولادهم والمحافظة على وقتهم فلا يسمحون لأبنائهم في متابعة البرامج إلا بوقت محدود وبالنافع منها فقط وإبعادهم عن الضار إن كان هناك ما يضر بدينهم أو خلقهم .

هذا ما بدا لي حول ربط اجيالنا بالقرآن والسنة كما كان أسلافهم في أزهى عصور الإسلام . وأرجو أن أكون قد وفقت كما أرجو أن يجد آذانا صاغية وامة واعية مستعدة للعودة إلى ربها والتمسك بكتاب ربها وسنة نبيها وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

## بَحْثٌ حَوْلَ :

# طَبِيعَةُ الْعُقُوبَةِ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمَبَالِغُهَا

لِلدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ الرَّجَّازِ  
كَلِيبَةِ الشَّرِيعَةِ

إن الأشياء التي تعتبر في نظر الشريعة جرائم إنما نهى عنها لأن في ارتكابها أضراراً جسيمة تلحق بنظام المجتمع وعقائده أو بأمنه وكرامته أو بحياة أفراده وأموالهم وأعراضهم ومشاعرهم .

وعمل العقوبة هو أن تشعر المذنب بذنبه وأن تنبهه إلى خطئه عسى أن يقوده هذا إلى التوبة والإصلاح وبذلك تصبح الجريمة كالملغاة .

وإذا أمكن الوصول إلى هذه الغاية بوسيلة أخرى أقل كلفة لم يكن من الحزم الإصرار على استخدام العقوبة في غير الحدود طبعاً لذا كان العفو أحياناً صورة من صور العقوبة بمعنى أنه قد يحقق غرضها من الإصلاح غير أنه له نفوس خاصة وظروف خاصة وذنوب خاصة .

وقد شرع العقاب لمنع الناس من ارتكاب المحظور وحملهم فعل المأمور حيث أن الأمر بفعل شيء والنهي عن فعل شيء لا يكفي في تنفيذه فالعقاب هو الذي يحمل على التنفيذ ويجعل للأمر والنهي معنى مفهوماً ونتيجة حقيقية وهو الذي يزرع ويردع الناس عن المعاصي ويقضي على الفساد في الأرض .

قال الماوردي : «والحدود زواجر وضعتها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع به ذا الجهالة حذراً من ألم العقوبة وخيفة من نكال الفضيحة ليكون ما حظر من محارمه ممنوعاً وما أمر به من فروضه متبوعاً فتكون المصلحة أعم والتكليف أتم»<sup>(١)</sup> .

إن تطبيق العقوبات في الشريعة يحقق ما تقدم إلى جانب أنه سوف يطارد الجريمة

(١) الأحكام السلطانية ص ٢٢١ طبعة مصطفى الحلبي (الطبعة الثالثة) .



وبحصرها في مجال ضيق بل يقضى عليها قضاء تاما فيعيش المجتمع ملتزماً إيجابياً بعيداً عن المخالفات وبذلك يتحقق صلاح حال البشر .

وإذا كان تطبيقها يحقق ما تقدم فإن تعطيلها يهدر ذلك كله ويسببه تتعطل أحكام الشرع من أمر ونهى لعدم وجود ضمان لها يحمل عليها من لا ينفذها طوعاً وتعود حياة المجتمع إلى مثل حياة الغاب يتسلط فيها القوى على الضعيف نهباً وسلباً وقتلاً واعتداء بل تعود الحياة إلى مثل قطعان البهائم لا شرف ولا كرامة ولا عرض مصان .

فتعطيل عقوبة الزنا مثلاً معناه إباحة الزنا الذي حرّمته جميع الأديان الإلهية لما فيه من المفساد العظيمة والمضار الشديدة .

وتعطيل عقوبة السرقة معناه إباحة لها كذلك فيؤدى ذلك إلى الإعتداء على ممتلكات الناس فيكون الإنسان غير آمن على طعامه وشرابه وكسائه ومسكنه وأداة عمله .

وتعطيل عقوبة الردة معناه إباحة الإعتداء على نظام المجتمع المسلم والخروج على مبادئه والتشكيك في صحة دينه ولا يمكن ان تستقيم الأمور في هذا المجتمع إذا وضع نظامه موضع التشكيك والظعن .

وتعطيل القصاص معناه إباحة الإعتداء على حياة الأفراد من ناحية واعتداء على نظام المجتمع من ناحية أخرى .

وتعطيل عقوبة القذف معناه إباحة الإعتداء على نظام الأسرة حيث أن القذف هنا قاصر على الأعراض والذي يمس الأعراض يشكك في صحة نظام الأسرة . . . كما يترتب على القذف إشاعة الفاحشة فما ترمى الناس بها لإشاع فعلها بينهم فإن القول يسهل الفعل . ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ . (النور: ١٩) .

وتعطيل عقوبة الخمر معناه إباحة للفساد في الأرض عموماً إذ هو يؤدى إلى فقدان الشعور وإذا فقد الشارب شعوره فقد أصبح على استعداد لإرتكاب جميع الجرائم فضلاً عن أن شربها يضيع المال ويفسد الصحة ويضعف النسل ويذهب العقل الذى هو ملاك التكليف .

وعلى العموم فإن تعطيل هذه العقوبات مدعاة إلى تعطيل أحكام الشرع وانتشار الفساد والفوضى في المجتمع ، وتطبيقها هو الضمان الوحيد لتنفيذ أحكام الشرع وقطع دابر الفساد والحفاظ على النظام والأمن والاطمئنان .

وما يرى الآن في بعض المجتمعات من مفاسد وفوضى واضطراب واختلال أمن وكثرة جرائم إنما هو بسبب تعطيل العقوبات في الشريعة الإسلامية التي شرعها وأنزلها العليم الخبير بهذا الكون وما يصلحه . ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ . (المائدة : ٥) .  
وتأديب الجاني ليس للانتقام والتشفى منه وإنما لإصلاحه ، والعقوبات على اختلاف أنواعها تتفق - كما يقول الفقهاء - في أنها «تأديب استصلاح وزجر يختلف بحسب اختلاف الذنب»<sup>(١)</sup> .

فهى إنما شرعت رحمة من الله تعالى بعباده فهى صادرة عن رحمة الخلق واردة الإحسان إليهم ولذا يجب على من يؤدب المذنبين أن يقصد بذلك الإحسان إليهم والرحمة لهم كما يقصد الوالد تأديب ولده وكما يقصد الطبيب معالجة المريض .

هذا وقد نشأت مذاهب مختلفة في العقوبة تعددت اتجاهاتها في الغرض منها .

فمذهب يقول : إن العقوبة يجب أن تكون انتقامية فلا بد أن ينال الجاني جزاء ما اقترفت يده حتى يشعر بأن النتائج الشريرة لجرائمه وبال عليه هو .

ومذهب يقول : يجب أن تكون العقوبة رادعة فالغاية منها ردع الجاني وزجره عن العودة للجناية .

ومذهب يقول : يجب أن تكون العقوبة واعظة للغير فالغاية منها زجر الناس عن ارتكاب جرائم تشبه جريمة الذى يعاقب المجرم من أجلها فهى تعظ قوما ليسوا مجرمين لكيلا يصبحوا يوماً مجرمين

ومذهب يقول : يجب أن تكون العقوبة مصلحة فمعاقبة الجاني الغاية منه أولاً وآخراً هو إصلاح الجاني لا الانتقام منه وإكتفاء شره ولا عظة غيره<sup>(٢)</sup> .

وبالنظر إلى هذه المذاهب نجد كل واحد منها نظر إلى العقوبة والغرض منها من زاوية واحدة ولو نظر إليها من جميع الجهات فقد يجد الأغراض الأخرى يمكن أن تأتي تبعاً للغرض الذى يراه هو المقصود، وكما تقدم أن العقوبات في الشريعة الإسلامية هى في الدرجة الأولى استصلاحية بيد أن هذا لا يمنع أن تردع العقوبة وأن تزجر في نفس الوقت كما لا يمنع أن تكون قصاصاً من الجاني فيه معنى الانتقام فتتحقق الأغراض جميعاً، وكل ما تقدم لا يمنع أن يكون هناك مسائل استثنائية مثل قتل المرتد وقتل القاتل قصاصاً إذ لا يتأتى إصلاح

(١) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٢٣٦ .

(٢) انظر فلسفة العقوبة لمحمد مهدي علام ص ٣٦ .

الشخص بعد إزهاق روحه ومثل هذا روعى فيه مصالح أخرى تتعلق بنظام المجتمع وأمنه يجب أن تراعى قبل مراعاة مصلحة الجاني .

ومما يؤيد القول بأن العقوبات في الشريعة الإسلامية استصلاحية نظرية العفوفى الشريعة الإسلامية في مجال التعازير والقصاص والديات . . . فلولى الأمر أن يعفو عن تعزير من استحق التعزير إذا رأى أن المصلحة في ذلك مثلما إذا تاب المذنب وندم على ذنبه واستقام وهكذا .

أما الحدود فلا مجال للعفو فيها إذا وصلت إلى الحاكم إنما شرع التستر على المسلم ومنع التجسس عليه ، والحدود تدرأ بالشبهات وكل ذلك يؤيد أن الاستصلاح مراعى فيها بالدرجة الأولى .

والعقوبات في الشريعة الإسلامية - وخاصة الحدود - أحيطت بضمانات كثيرة حتى تنحصر في أضيق دائرة ممكنة فالحدود تدرأ بالشبهات والإثبات فيها اقترن بضمانات قوية تمنع الكذب كما أن الإسلام في تطبيقه القضائي ما سوغ لأحد التتبع والتجسس على الناس ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا...﴾ (الحجرات: ١٢) .

وقال الرسول ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا...» (١) .

إن الإسلام يعاقب على الجرائم إذا أعلنها فاعلمها وكشف أمره فيها ولم يستتر عن الناس إذ في الإعلان تحريض عليها ودعوة إليها . «أيها الناس قد آن لكم تنتهوا عن حدود الله من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله فإنه من يبدى لنا صفحته نقم عليه كتاب الله» (٢) . إذاً فلا تجسس ولا تتبع للعوورات بل إن العقاب يكون حيث يتحقق الإثبات .

إن الإسلام حينما قرر هذه الحدود قررها أساساً للمحافظة على الأصول الخمسة التي جاءت الديانات السأوية بالمحافظة عليها وهى : النفس ، والدين ، والنسل ، والعقل ، والمال «فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول

(١) البخارى بشرح فتح البارى الطبعة السلفية ٤٨١/١٠ . حديث رقم ٦٠٦٤ ومسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ١٩٨٥/٤ حديث رقم ٢٨ من كتاب البر والصلة .

(٢) رواه مالك في الموطأ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى ٨٢٥/٢ ضمن حديث مرسل وقيد وصل ذلك الحاكم في المستدرک ٣٨٣/٤ والبيهقى في السنن ٣٣٠/٨ وهو حديث مشهور معروف العمل عليه .

فهو مفسدة ودفعتها مصلحة وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضرورات فهو أقوى المراتب في المصالح»<sup>(١)</sup>.

والحدود تقوم على دعامتين هما :

(١) حماية المجتمع من الشرور والآفات التي تفتك به وتروع أمنه وعلى مقدار ما في الجريمة من ضرر وفساد وترويع وإفزاز تكون غلظة العقوبة بقدر ذلك .

(٢) عموم العقاب في أحكام الشريعة الإسلامية فالحدود تطبق على الجميع ولا يعفى منها أحد لمركزه أو شخصه أو لغير ذلك من الاعتبارات .

الموازنة بين الضرب والسجن :

إن المشرعين في القوانين الوضعية يعيرون على الإسلام أن العقوبات فيه أكثرها بدني بالضرب المبرح وقالوا إن هذه العقوبات ليست إنسانية بل فيها استهانة وحط للكرامة الواجب توفيرها للإنسان .

ويرد على هذا بأن الإسلام لاحظ في العقوبات ما لاحظته في كل تشريعه وهو ملاحظة أكبر منفعة والموازنة بين الضرر الواقع والنفع المطلوب من حيث المقدار وتحمل أقل الضررين ولا شك أن العقاب كيفما كان ضرره لا بد منه لأنه يترتب عليه نفع أكبر من الضرر اللاحق بالمعاقب .

وقد لاحظ الإسلام في العقاب الرادع أن يكون ضرره غير وخيم العاقبة بحيث يكون عاجلاً غير معطل للقوى أو مفضياً إلى ما هو أشد ضرراً في عاقبته .

والناظر في عقوبة السجن التي تعتمد عليها القوانين الوضعية إلى حد بعيد يوازن بين ضرر السجن وضرر الضرب أيهما أوخم عاقبة وأيهما أحسم للداء ، إنه يلاحظ في السجن أضراراً كثيرة وبالغة الخطورة منها :

١ - إنقطاع الجاني عن أهله وأولاده مدة قد تطول لا يرعونه ولا يرعاهم .

٢ - أنه يعاشر في السجن المجرمين فتصل إليه عدواهم - وعدوى الجريمة كعدوى المرض يسر بالمجاورة والاختلاط - فيدخل مريضاً بجريمة واحدة ربما كان وقوعه فيها بسبب عارض وليس متمكناً من نفسه ولكنه يخرج وقد أصيب بعدة أمراض أخرى ربما حولته إلى إنسان شاذ في المجتمع .

(١) المستصفي للغزالي ص ٢٥١ تحقيق محمد مصطفى أبو العلا .

٣ - أن السجن تهان فيه الكرامة وحيث فقدت الكرامة واستمر السجين أمداً ذليلاً مهيناً فإن قلبه يفسد ويكون مستعداً لإرتكاب الكثير من الجرائم لأن الجريمة مهانة تسهل عند المهين وتصبح على الكريم .

٤ - أن السجناء وقت سجنهم قوة إنسانية معطلة وبذلك يوقع السجن ضرراً بالمجتمع .

٥ - أن السجن يعاقب أثناء السجن بعقوبات بدنية إذا ارتكب ما يخالف لوائح السجن وقليل من ينجم من هذه المخالفات وآثارها وبهذا يقعون فيما فروا منه . هذه بعض أضرار السجن فوق ما فيه من تقييد الحريات وعدم الردع الكافي عن ارتكاب الجرائم .

أما عقوبة الضرب فإنها وإن كانت لا تخلو من إمتهان لكنه لا يدوم وسرعان ما يسترد المعاقب بالضرب إعتباره إذا عمل بعد ذلك صالحاً ونفسه لم تتدن بدران يأكل الكرامة وإذا مازالت جراحه إستأنف نشاطه وإستئناف النشاط يرد إليه إعتباره ويستمر بين أهله يرعاهم ويرعونه ولا تصل إليه عدوى من أمراض أخرى كما لا يوقع الضرب ضرراً بالمجتمع كما هي الحال في السجن .

وقولهم إن في الضرب استهانة وخطاً للكرامة فكرة لا محل لها في العقاب ولا يصح أن يحتج بها لمن لا يوفر الإحترام لنفسه .

وبعد فإن العقوبات في الحدود وغيرها شرعت لمنع الكافة عن الجريمة وزجرهم عنها فهي ضمانات لتطبيق أحكام الشريعة وليس كما يتصورها الجاهلون بها وبحقيقتها وبطبيعة المجتمع المسلم حيث يتصورونه أو يصورونه مجتمعاً مقطوع الأيدي في كل زاوية رجل مصلوب وفي كل شارع رجل مجلود أو مرجوم ويكفينا لتقرير هذه الحقيقة ورد هذه التصورات الجاهلة أننا حينما ننظر في المجتمع الملتزم بأحكام الله وحدوده أن هذه الجرائم لا تقع إلا في حالات قليلة بل نادرة في بعض أنواعها، في حين أننا نلاحظ أزدیاد جرائم السرقة مثلاً في المجتمعات التي لا تطبق فيها الشريعة الإسلامية رغم أنها تعاقب عليها أحياناً بالاعدام .

آمن بالله وبشرعه فهو العليم الخبير أعلم بطبيعة خلقه وبما يصلحهم وما تستقيم به أحوالهم وشئون حياتهم .

﴿والله يعلم وأنت لا تعلمون﴾

بعض مراجع البحث غير ما ذكر في الهامش

- ١ - التشريع الجنائي في الإسلام لعبد القادر عودة
- ٢ - الجرائم في الفقه الإسلامي لأحمد فتحي بهنسي .
- ٣ - جرائم الحدود في التشريع الإسلامي لمحمد عطية راغب .
- ٤ - التعزير في الشريعة الإسلامية للدكتور عبد العزيز عامر .
- ٥ - الجريمة في الفقه الإسلامي للشيخ محمد أبو زهره .
- ٦ - العقوبة في الفقه الإسلامي له .

## غنى وملك

رأى زينون الحكيم رجلاً على شاطئ البحر مفكراً حزيناً على الدنيا فقال له :

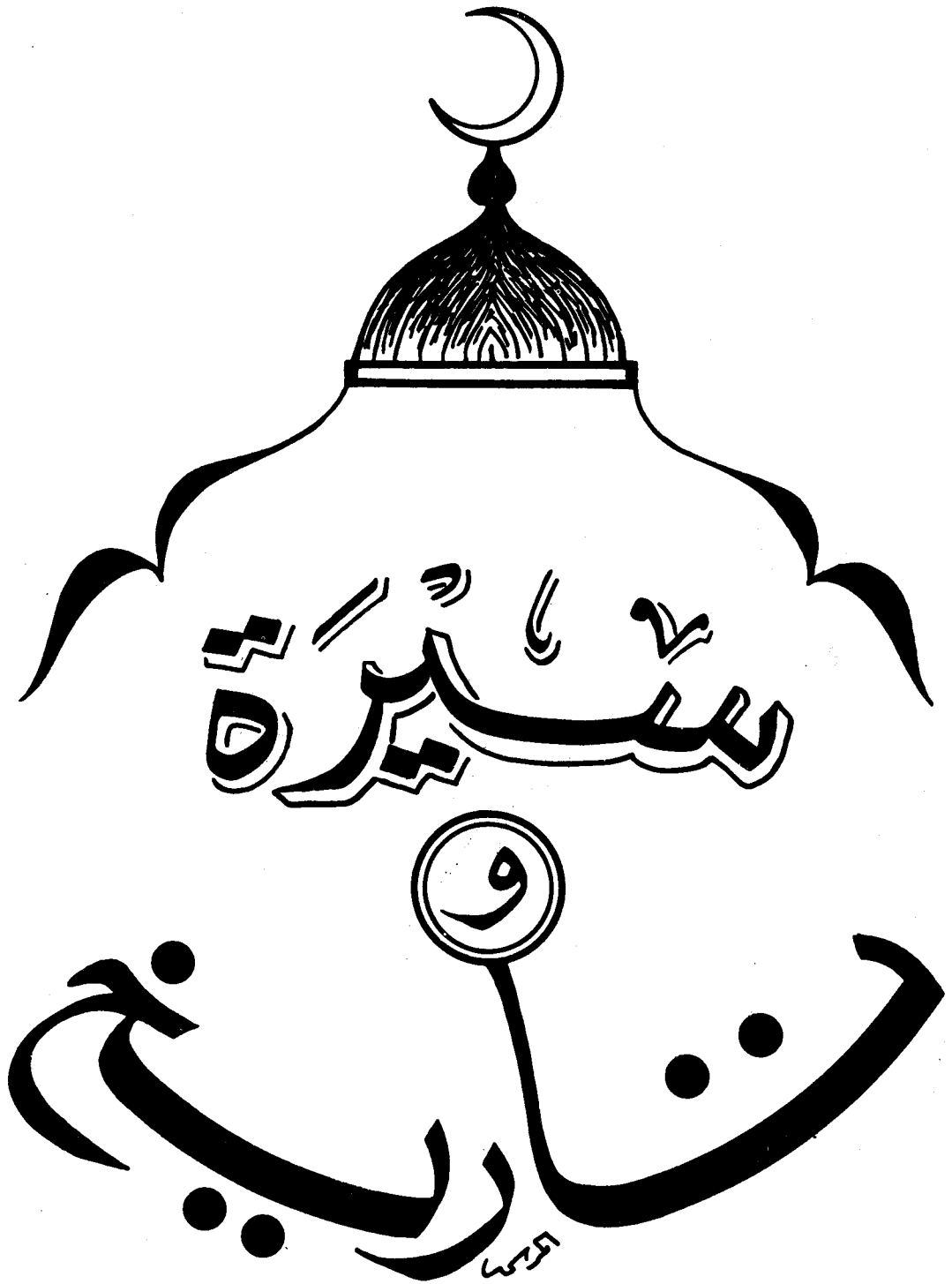
يافتى ما تلهفك على الدنيا . . . ؟ لو كنت في غاية الغنى وأنت راكب لجة البحر وقد انكسرت بك السفينة واشرفت على الغرق !! أما كانت غاية مطلوبك النجاة وأن يذهب كل ما بيدك .  
قال : نعم .

قال : ولو كنت ملكاً واحاط بك من يريد قتلك ، أما كان مرادك النجاة من يده ولو ذهب جميع ما تملك .

قال : نعم .

قال : فأنت ذلك الغنى الآن وأنت ذلك الملك ، فتسلى الرجل

بكلامه .







# الملك عبد العزيز آل سعود

بين

## نصره لله ونصر الله له

للشيخ إبراهيم محمد حسن الجمك

المدرس بالمعهد الثانوي التابع للجامعة

- ٢ -

لقد وفق الله الملك عبد العزيز آل سعود في كل ما قام به، والتوفيق أمر عظيم لا يهبه الله إلا لرجل عظيم، ومما لا شك فيه أن عبد العزيز كان عظيماً، وتظهر هذه العظمة واضحة جلية في توفيق الله له، ونصره إياه في وقعة الرياض وفتحها.

كان عبد العزيز في سن دون العشرين من عمره المبارك، وما تزال ترن في أذنه نصائح أبيه الرجل الصالح الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، الذي كان دائماً يقص عليه تاريخ الأباء والأجداد، ومواقف الضعف والقوة فيهم، ويذكر بالخير مواقف الصالحاء والأتقياء منهم، ويحرص كل الحرص على أن يبيت في نفس ابنه عبد العزيز الروح الدينية، ويغرس في قلبه حب الجهاد والتضحية في سبيل إعلاء كلمة الله، ويذكره بالعهد الذي تم بين جده محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله، الذي يقضى بالعمل على نشر العقيدة السلفية، وجذب الناس إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، وإقراره بالعبادة، ودحض حجج الأثمين والمشركين، وإقامة الأدلة والبراهين الناصعة على ثمره التمسك بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وما يجنيه الإنسان من وراء ذلك من سعادة في الدنيا والآخرة.

لقد رأى حوادث جساماً، وهو صغير، رأى الأعداء على أبواب عاصمة الأباء والأجداد، وشاهدتهم وهم يحاولون الاستيلاء على الرياض وما حولها، ثم استسلم للبيداء بقسوتها وبحرّها وبردها، حتى انتهى به المطاف إلى الكويت وفي الكويت عرف الكثير عن أمرائها وعلماؤها، كان يجلس صامتاً، ويسمع أكثر مما يتكلم، وكان ما يسمعه ويقرؤه ويتعلمه يلقي به في بئر آماله وأحلامه العريضة ويضطرب كل ذلك في بحر لجي تتدافقه الأمواج العالية، التي تصل به إلى قمة التفكير ألا وهو كيف يخلص بلاده الغالية من يد الغاصبين.

لقد ذهب إلى الرياض مسقط رأسه، ومحط آماله، وملعب طفولته غازياً، ومكث بها أربعة أشهر، لكنه تركها أمام مالا قبل له به، فوقعة الصريف<sup>(١)</sup> وانتصار الأعداء بها، والهزيمة التي لحقت بجيش الشيخ مبارك كان لها أكبر الأثر في التأثير على مجريات الأحداث في ذلك الوقت.

ولقد مرت الأيام، وبلغ عبد العزيز الواحدة والعشرين، وما تزال تراوده فكرة الرجوع إلى بلده، فإما أن يعيش فيها، وإما أن يستشهد في سبيلها، لقد اختمرت في ذهنه فكرة إسترداد الحق المغتصب، والمُلك الذي سلب، ونهب قسراً عن أهله، والذي لا يُستطاع بغيره أن يُمتلك الزمام، فتقام حدود الله، وتطبق أسس الدعوة التي كاد يقضى عليها، إلا من أنفس ما تزال تعض عليها بالنواجذ، ثم أقسم ليستردن مجد آبائه وأجداده، ولينشرن الدعوة لربه جل وعلا، كما قام بها أجداده الأوائل.

ثم كاشف بما جال في خاطره الأصفياء من ذويه، وأقاربه الشباب، فوافقوه على ما دعا إليه، وذهب إلى والده الإمام، واستأذنه في السفر، بعد أن بين له الدافع الشديد الذي دعاه إلى ذلك؛ فإيمانه القوى بنصر الله، وتوكله عليه، وإطمئنان قلبه إلى توفيقه تعالى، جعله متأكداً من عون الله، وشد أزره له.

وتنفس الصعداء الرجل العارف بأخبار العدو وقوته، وحرصه على ما اغتصبه، وقد أدرك أن عبد العزيز الذي رباه وعلمه لساعة آتية، قد أدرك الآن أنه أصاب الهدف، واعتمد على من عليه الاعتماد، وأوى إلى ركن حصين وسند عظيم، ولذلك لم يتردد في الإذن له بالعمل، ودعا له بالتوفيق والنجاح.<sup>(٢)</sup>

وإذا وجد الإيمان والتوفيق، والنصر والتوكل على العليم الخبير، فكل ما عده من الأسباب هين لتحقيق الرغبة القوية.

لقد تمكن عبد العزيز الشاب من الحصول على أربعين رجلاً، وثلاثين بندقية، وبعض الزاد، ومعه أربعون رجلاً من عائلة آل سعود الذين بالكويت، ومن المقربين إليه، ثم راح يغزو الأرض التي استولى عليها ابن الرشيد، والناس يجتمعون معه، ويتفرقون عنه، حتى وصلوا إلى الألفين، لم يبق منهم في آخر الأمر إلا عشرون ضمهم إلى الأربعين،

(١) وقعة الصريف كانت بين قرية الطرفية وماء الصريف بين الشيخ مبارك شيخ الكويت وابن الرشيد عام ١٣١٨ هـ، وبالرغم من أن الأمير عبد العزيز كان مستقلاً عن هذه الوقعة إذا إنجته بحملته إلى الرياض إلا أن هزيمة الشيخ مبارك في هذه الوقعة كان لها تأثير عليه ففضل الانسحاب هذه المرة.

(٢) الإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ح ١ ص ١٩.

فاصبح جيش عبد العزيز ستين رجلا، واتجه ببصره إلى الرياض، واستطاع القائد الشاب عبد العزيز بن عبد الرحمن بما وهبه الله من الذكاء أن يخطط للاستيلاء على الرياض .  
 ففي الخامس من شوال عام ١٣١٩ هـ كان الشاب عبد العزيز والستون شاباً على مسافة من الرياض . قالوا: إنها كانت على بُعد ساعتين، ترك فيها عشرين شاباً ممن معه، وتقدم بالأربعين الآخرين، فلما وصل إلى البساتين خارج سور المدينة، ترك أخاه محمداً، ومعه ثلاثون رجلاً، ومشى بالعشرة في الظلام الدامس، حتى تمكن من اقتحام الأسوار، والوصول إلى حاكم الرياض من قبل ابن الرشيد، وقتله في مغامرة مثيرة، رافقه فيها تأييد الله له، وتوفيقه واطلته العناية الإلهية التي شددت من أزر الشاب عبد العزيز، حتى تم له النصر، واستولى على الرياض . (١)

.....

أرسل من ينادى في الناس، في محل تجمعاتهم، وفي الأسواق، وكان الخبر قد سرى في كل مكان، والبشر والفرح يعلو الوجوه، وهم يشكرون الله الذي أرجع الحق إلى أصحابه، كان المنادى يقول بأعلى صوته:

«الله اكبر . . . الحكم لله ثم لعبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود» (٢)  
 هذا الفتح العظيم جدير بأن نسميه «فتح الفتوح في العصر الحديث» فلقد كان بداية لسلسلة من الانتصارات التي من الله بها لا على عبد العزيز وحده، بل على العالم الإسلامي، وهذا ما اثبتته مرور الأيام.

لقد تناول المؤرخون والكتاب والأدباء هذا الحدث العظيم بالدرس والتحليل والثناء والإكبار، واتفقوا على أن هناك توفيقاً إلهياً، سار في ركب تلك الفتية التي آمنت بربها، فظلت عناية الله تحرسهم وترعاهم فحققوا النصر على أول طريق الجهاد والكفاح حتى أتم الله نوره.

يقول نجيب نصار في كتابه (الرجل):

«إن ابن سعود الذي تعلم الصعود إلى مراقي العظمة، في مدرسة الإسلام، كما تعلمه فيها أبو بكر وعمر وعلي وخالد ومعاوية، وغيرهم من الصحابة الكرام، وتمرن على

(١) القصة الكاملة لفتح الرياض رواها بتواضع جم الملك عبد العزيز رحمه الله، نقلها عنه فؤاد حمزة في كتابه «البلاد العربية السعودية» ونقل جزءاً منها الكاتب خير الدين الزركلي في كتابه «شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز» وكذلك نقلها الكاتب أمين الريحاني في كتابه «تاريخ نجد وملحقاتها» بتصرف، وتناولها جميع الكتاب الذين كتبوا عن المغفور له عبد العزيز من عرب وأجانب بالشرح والتحليل .

(٢) المتوكل على الورود عبد العزيز آل سعود ص ٩٠ .

الخشونة، وشظف العيش، والشدة في مدرسة بنى مرة الساذجة، ارتقى أول درجة من سلم العظمة بالإستيلاء على الرياض»<sup>(١)</sup>  
وقال حافظ وهبة:

«إن هذه القصة تشبه قصص أبطال اليونان، وترينا عظم الأخطار التي أحاطت بابن سعود»<sup>(٢)</sup>

لقد جاء الناس من كل مكان، وتجمعوا في قصر الحكم، يرحبون بالأمر عبد العزيز، ويبايعونه زرافات ووحدانا، والفارس الشجاع يدعوهم إلى تناسي ما حدث في الماضي، وإلى المحبة والتعاون، والاستعداد للمستقبل.

لم يضع الأمير عبد العزيز لحظة من وقته؛ فقام بالبناء والتحصين والاستعداد لكل ما يطرأ من أحداث، وكتب للوالد الإمام عبد الرحمن أن يأذن لأخيه سعد بالقدوم إليه، ومعه نجدة من الرجال والعتاد، ثم أرسل إلى والده بالكويت، يطلب إليه العودة إلى الرياض؛ فسير الحوادث نفضى أن يكون بجواره، فودع الإمام والشيخ مبارك، وغادر الكويت تلبية لولده، وسلك طريقا غير معروف، فابن الرشيد ما يزال يسيطر على البلاد، وليس من الصواب أن يعرف طريقه في ذلك الوقت.

لم يمض زمن طويل بل أيام معدودات حتى وصل الإمام عبد الرحمن إلى الرياض بسلام، وأسرعت الوفود من كل مكان للتهنئة والتحية والسلام، وتجديد البيعة لآل سعود، ثم دعا الإمام شيوخ العاصمة وعلماءها إلى إجتماع طلب عقده في المسجد الكبير بالرياض بعد صلاة الجمعة، وبعد الصلاة وقف الإمام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ، وأعلن أمام الجميع تنازله عن جميع حقوقه في الإمارة والإمامة إلى ابنه عبد العزيز. ولكن الابن البار الذي تربى في رحاب الإسلام، ووعى قضاء الله للوالدين رد قائلا:  
«الإمارة لكم وأنا جندي في خدمتكم».

فجمع الإمام العلماء، وأرسل إلى عبد العزيز، وخاطبه قائلا:  
«إذا كان قصدك في استدعائي إلى الرياض، لأتولى الإمارة فيها، فهذا غير ممكن ولا أقبله مطلقا...»

وبعد مناقشات طويلة، قال الحاضرون من العلماء للقائد عبد العزيز: «على الابن أن يطيع أباه»

(٢٠١) شبه الجزيرة ح ١ ص ٨٧.

وقالوا للإمام: «أنت كوالد عبد العزيز رئيس عليه، وبالتالي على أهل نجد»

فقال الإمام رحمه الله:

«ولكن الإمارة له»

فقال عبد العزيز:

«إنى قابلها بشرط أن يكون والدى مشرفاً على أعمالى دائماً، فيرشدنى إلى ما فيه

خير البلاد، ويرد عنى عما يراه مضراً فى مصالحها»<sup>(١)</sup>

موقف فريد فى زمنه، زمن قتل الطامع أخوته فى سبيل الملك، وتنمر الابن فيه للأب، وضاعت فيه مثل الإسلام العليا إلا من فئة قليلة، ظلت محافظة على تعاليم الحنيفية السمحة، تمثلت فى أصل عبد الرحمن وفرعه وعين الله ترعاهم، وتوجههم إلى الطريق المستقيم.

تمت البيعة لعبد العزيز، وأصبح قريباً من الله، متحملاً مسئولية من تولى أمرهم، فليضعف النشاط، وليسهر على راحة رعيتيه، وليتجه إلى ربه، يطلب منه العون والمساعدة والتوفيق.

.....

لو أسرع ابن الرشيد إلى الرياض بجيوشه الجارة، وقوته الكبيرة لتغير وجه التاريخ، ولقضى على تلك العصابة التى أخذت على عاتقها نشر الدعوة، وإقامة حدود الله.

قال الإمام عبد العزيز:

«أما ابن الرشيد، فقد أشار عليه بعض رجاله بأن يسير من «ثادق» ويضبط الحفر، ولكنه رفض، والحقيقة لو أطاع رأى قومه، ورحل إلى الحفر، لكانت ضربة قوية علينا»<sup>(٢)</sup> ولكن الله شغل ابن الرشيد بآماله، وتطلعاته التى دار فى فلکها، وشغلته عما سواها، فهو يخطط ليستولى على الكويت، فقد طغى عليه التفكير فى امتلاكها، وأخذها من الشيخ مبارك، وحسبها هى الأصل، والرياض هى الفرع. وإذا امتلك الأصل، فإن الفرع يأتى إليه بأقل جهد.

لقد مناه الأتراك بالمساعدة، ورسوموا له كيفية الاستيلاء على الكويت، ولكنه ما كاد يقترب منها، حتى كان له الانجليز - حلفاء الشيخ مبارك - بالمرصاد، فقد قضوا على آماله وتطلعاته، وأخيراً وبعد فوات الوقت، عرف أنه أمام قوة لا قبل لها.

(١) نجد وملحقاتها ص ١٢٩ .

(٢) فتح الرياض كما بروىها الملك عبد العزيز آل سعود من كتاب «المتوكل على الرود عند العزيز آل سعود ص ٣٢٢ .

كان كلما ذكروا له عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، واستيلاءه على الرياض، أجاب بلا مبالة، وأظهر عدم الاهتمام بهذا الاستيلاء، وأن الأمر لا يستحق أقل مجهود، وحينما ألحوا عليه في الذهاب إليه، قال المثل المشهور وهو غير مكترث: «أرنبه محجرة وأهلها مقيمون» أى أنه يستطيع أى يوم شاء أن يخرج عبد العزيز من الرياض»<sup>(١)</sup>.

ومرت شهور، وأتى ابن الرشيد، وفي حسبانته أنه سوف يتسلم الرياض، وأن ساعة تخليصها له قد دنت، ولكنه ارتد على عقبه أمام قوة لم تخطر على باله، بل إنه كلما حاول الاقتراب منها لم يستطع، فنكص على عقبيه، ورجع غير موفق فصرف النظر عنها مؤقتا، لكن كانت له جولات، ومواقع في أماكن أخرى، لازم النصر فيها الإمام عبد العزيز آل سعود رحمه الله.

.....

ظلت الحرب سجلاً بين الإمام عبد العزيز وابن الرشيد، وربما كان ابن الرشيد قويا وذا بأس، وكان أكثر عدة وعتاداً، إلا أن الإمام كان أصلب عوداً وأكثر تحملاً، وأشد إيماناً؛ فهو يحارب من أجل حق اغتصب، وسُطِّيَ عليه، ومن أجل دعوة ودين خف الوازع إليه، وإن له لمبدأً عظيماً يستمد منه الحماسة والقوة.

كانت الجيوش تصول وتجول من قبيلة إلى قبيلة، ومن أرض إلى أرض، والناس قد قلّ تمسكهم بالدين، فتاهوا في البيداء الواسعة، يسعون لمغنم دنيوى، وقد يكونون معك بالنهار، فإذا ما أتى الليل تراهم قد انقلبوا عليك، وتعمدت الأمور بالتقارب الذى لم يكن يخطر على بال، هذا التقارب الذى تم بين الشيخ مبارك وابن الرشيد، وكان هذا مما يستبعد، والعداء ما يزال مستحكماً بين طر في الجزيرة، وبدأ النفاق في بعض القبائل ظاهراً جلياً، وبين رجال تنكبوا الطريق، فكانوا متذبذبين بين الطرفين فأخذ الإمام عبد العزيز الحذر والحيطه منهم، وظل ينتقل وهو فى أوج حماسه وقوته وتخطيطه، والمولى جل وعلا يدبر له الأمر، ويوفقه إلى الطريق الذى سيوصله بإذنه تعالى إلى النجاح الذى يريده.

لقد وصل ابن الرشيد إلى روضة مهنا، بعد سلسلة من التنقلات والمناوشات ولحق به الإمام عبد العزيز، وشرع يجمع رجاله، ثم بدأ هجوماً على خط الدفاع الأول ليلاً، على من تقدم من رجال ابن الرشيد، وتواقعا في ٨ صفر سنة ١٣٢٤، وتمكن جيش الإمام من أن يزيح جيش ابن الرشيد قليلاً، ويقهقره، ويحتل مكانه.

(١) نجد وملحقاتها لأمين الريحانى ص ١٢٧ .

وفجأة وبدون تدخل من البشر، والليل حالك الظلام، والنجوم ترسل شعاعا خافتا على الرمال، والبصر محدود الرؤيا، والحرس يضعون أيديهم على الزناد استعدادا لإخراج الطلقات، وعين الله الحارسة تتولى الأمور، وتصرفها كما يشاء لها رب الكون، وفجأة يحدث ما لم يكن في الحسبان، ولم يخطر على بال إنسان، وما أراه إلا من صنع الله العلي القدير. لقد ركب ابن الرشيد فرسه، وراح يدور في معسكره مستنهضاً همم القوم ممن معه، ومحرضاً للضرب والنزال، يجري هنا وهناك، حتى وصل إلى المكان الذي كان له فيه فرقة من جنوده، ظن أنها لا تزال هناك، وأنسى أنها تراجع، وتركت مكانها لجيش الإمام عبد العزيز.

صاح بحامل البيرق يحرضه على الهجوم، وما حسب أنه بين القوم الذين يحرض عليهم، ويدبر لهم الشر، ويتغى الغلبة عليهم. كان يصيح باسم حامل البيرق، وعرف رجال الإمام الصوت، وعرفوا أنه ابن الرشيد، فصوبت عليه البنادق، ونفذت إرادة الله!! وحمل سيفه وخاتمه إلى الإمام<sup>(١)</sup>

أما الإمام عبد العزيز آل سعود فكان حينما يبشر بنصر من الله سبحانه وتعالى يخر ساجداً، وبطيل التضرع والدعاء، حامداً شاكراً فضله سبحانه على ما أولاه من نصر وتأييد، وبهذا قضى على أكبر قوة كانت أمام الإمام رحمه الله.

.....

لقد شمل تأييد الله جل وعلا لعبده عبد العزيز رحمه الله في كل ما دخل من معارك، وإن كان قد خف أوارها في ملحقات الرياض، رغم تشعبها وكثرتها، إلا أنها كانت تنتهي دائماً بنصر من الله، وفي النهاية الاستقرار والهدوء.

وشاء الله أن ينتقل الصراع من نجد إلى الحجاز، وكان ما حدث ما هو إلا مقدمة لتنفيذ إرادة الله، حتى يوفي سبحانه وتعالى بوعده، فيستجيب دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام كلما اشتد البأس، وانعدم الأمن والطمأنينة بأرضه المقدسة.

﴿رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنى أن نعبد الأصنام﴾. (ابراهيم : ٣٥). وكان ذلك في أرض الحجاز حيث البيت العتيق. والحرم الأمن، وحيث يجب أن تقام

(١) نجد وملحقاتها ص ١٥٨.

شريعة الله ، وتنفذ حدوده ، والله أشد غيرة من أحدنا على حرماته ، ولكن الله يؤخر ، ويمهل ولا يهمل .

لقد ظلت حدود الله معطلة زمنا طويلا ، وشرائعه مستباحة ، والمكان الطاهر مسرحا للمساومة والمزايدة ، والنهب والسلب في كثير من الأوقات . تقام فيه البدع والمنكرات ، ويساق الناس ، وكأنهم قطعان ماشية ، وكأنها هذه الأرض الطاهرة ما هي إلا ضيعة لفئة من الناس بلا وازع ، فليس لهم - كما يقال - من الإسلام إلا اسمه ، ولا من الدين إلا رسمه . والدليل القوي على ذلك قانون (أبونمي) وهو الدستور الذي كانت تسير عليه الأمة في الحجاز في معاملتها مع السادة الأشراف ، فشرعت قوانينه لأشراف الحجاز ، وضعه (أبونمي) الذي تولى إمارة مكة سنة ٩٣٢ هـ ، وظل يعمل به إلى أن قضى عليه الإمام العادل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، حينما طهر الأرض المقدسة من الرجس والآثام . إن قانون (أبونمي) يمثل أفدح الظلم في أظلم بقعة على وجه البسيطة ، وهو بعيد كل البعد عن التشريع الساموي ، ولم يسمع بمثله إلا في العصور الوسطى ، ومحاكم التفتيش . يقول حسين محمد نصيف :

«وهذا القانون على ما أعتقد لم يوضع أقسى ولا أظلم منه . وإذا بحثنا عن معنى الظلم في أي قاموس ، فلا نجدناه وافياً بمعناه الحقيقي إلا في هذا القانون»<sup>(١)</sup>

.....

كانت انتصارات الإمام عبد العزيز في نجد وما يجاورها مثار إعجاب وإكبار من أبناء شبه الجزيرة ، وهو واحد من أبنائها ، وهذا ما أوغر صدر حكام الحجاز واقض مضجع الحاكم في ذلك الوقت ، وبخاصة أن الإمام كلما أخضع جهة ، أقام فيها حدود الله ، ونفذ حكم الشرع ، والناس قد استجابوا ، وسكنوا إلى أحكام الله ، وحرار الشريف فيما يفعل ، وقد أصبحت بلاد نجد قوة لا يستهان بها !!

ماذا يفعل؟ إنه كلما حاول مساعدة البقية الباقية من الخارجين ، أو معاونة واحد من أعداء نجد الذين يجارهم الإمام ، ارتدت إليه سهامه .

كان الشريف بين المد والجزر ، والبعد والقرب ، فهو يتقرب إلى الإمام أحيانا ، حتى يظن الإمام أن الصفاء والمودة ستمحو كل ما سبق من عدا ، وفجأة لا يلبث أن يقلب ظهر المعن ، فيظهر ما يضممر ، فإذا به عدا مستحکم ، لا يستقر به على حال ، والإمام عبد

(١) تاريخ الحجاز ص ١٧ .



العزیزینظر إلى تحركاته نظرة الواعی المستفید من كل هذه التحركات، إلى أن ظهرت نواياه أخيراً، وهی قوله: إن الجزيرة بما فيها من نجدٍ من رعاياه، وأن كل هذه البلاد من حق الشريف.

وتذرع الإمام بالصبر والأناة كعاداته، وتركه يقول كل ما يريد أن يقوله وكانت هناك عهود ومواثيق لحلفاء الشريف من الانجليز، احترامها الإمام، ولم يثر أى مشكلة لهؤلاء الحلفاء إبان الحرب العالمية الأولى، حتى كانت القشة التي قصمت ظهر البعير. وهی مسألة الخلاف على الحدود بين نجد والحجاز، وبالأخص تربة والخرمة: وهما قریتان على الحدود.

الشريف يرى أنها من قرى الحجاز، والإمام عبد العزیز يؤكد أنها من نجد وكلاهما يدلى بحججه.

لقد كان من المتعارف عليه أنها من نجد، وأن جبل «حَضَن» هو الفاصل بين نجد والحجاز وأنه يبعد عن القریتين بمسافة قدرت بسبعين كيلومتراً بالنسبة لتربة، وبخمسین كيلوبالنسبة للخرمة، وأن البلدين وعربانهم حنابلة المذهب من زمن بعيد، وأن كثيراً من تجار نجد يعيشون بين ظهرانيتهم، كذلك ما يزال ولاؤهم لآل سعود قائماً منذ زمن بعيد. ولما لم تنفع المكاتبات، ولم تغن الوساطات، ولم يجد الشريف ملاينة من الإمام عبد العزیز، وقد استقل الشريف بالحجاز، وطرد الأتراك، وأصبح يتمنى حكم الجزيرة كلها عزم على غزو نجد مبتدئاً بتربة والخرمة، وهو يعتقد أنه سيفتحهما، بعد أن تكتسح جيوشه كل من يقف أمامه: ومما تجدر الإشارة إليه، ما حصل بين خالد بن لؤى أمير الخرمة والذي يعتبر عاملاً من قبل الشريف على هذه الجهة وبين ابن الشريف الأمير عبد الله بن الحسين، وكان بالعيص قريباً من المدينة المنورة بعد أن إشتراك مع الأمير عبد الله في القضاء على الحكم التركي بالمدينة المنورة، فقد ضرب خالددا على وجهه أحد المقربين إلى الأمير عبد الله هو فاجر بن شليويح أحد شيوخ الرقة، فاشتكى خالد إلى الأمير، ولكن الأمير لم يهتم كثيراً لخالد، لحاجة في نفسه وكل ما فعله أنه حبس فاجراً ثم أطلق سراحه بعد أيام.

لم يرض خالد عن هذا الحكم، ولما خاطب الأمير في ذلك لم يأبه به، فغضب خالد، واستأذن على خلاف المعهود في الرحيل، فأذن له غير مكترث به، ولا بما سيتم عليه الأمر، ورجع خالد إلى الخرمة. (١)

(١) صقر الجزيرة ج ١ ص ٢٠٧.

إن آثار هذه الحادثة البسيطة كانت السبب في تغيير مجرى الحوادث، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إنها غيرت وجه التاريخ، فبمجرد أن وصل خالد إلى موطن إقامته، وثق علاقته مخلصاً بالإمام عبد العزيز، وقد كان على علاقة طيبة به، إذ كانت تجمعها وحدة المذهب ويرى أنه من رجاله. وربما كانت هذه من الأسباب التي أوغرت صدر الأمير عبد الله.

صار خالد من رجال الدعوة، وما عاد يخفى شيئاً، فقد أخلص لها، واستعد لأن يضحى في سبيلها بكل شيء، وكأنها رسمت المقادير لخالد دوراً، كان له أكبر الأثر في الاستيلاء على الحجاز.

قطع خالد كل صلته بحكام الحجاز، فكان كلما أرسل إليه الشريف بالحضور والمثول بين يديه، تخلص من هذا بحيلة من الحيل، وتكرر منه ذلك، وعلم الشريف أن خالد غير راغب في مقابلتها، ورأى أن القوة هي الفيصل بينه وبين خالد الذي هو واحد من رجاله، واعتبره خارجاً على طاعته، فأرسل إليه جيشاً تلوج جيش، فكان نصيبه الهزيمة، ففكر في أن يرسل إليه جيشاً قوياً بقيادة صهره، الشريف عبد الله بن محمد فلما وصل إلى جبل «حَضَن» كان القدر له بالمرصاد، فقد تفشت فيه الأمراض فأفتته<sup>(١)</sup> وكفى الله المؤمنين القتال.

ويقال: إن الشريف طلب من صهره ألا يباشر عملاً عسكرياً وأن يلتزم مكانه حتى يصل الأمير عبد الله قائد الجيوش<sup>(٢)</sup>

.....

عباً الشريف كل قوته استعداداً لإعلان الحرب على الخارجين على طاعته أولاً ثم على الإمام عبد العزيز، واستحث ابنه الأمير عبد الله الذي ولاه قيادة الجيوش الغازية أن يعجل بإخضاع القبائل في تربه والحزمة، وأن يقضى على من فيها من الولاة والخارجين، ثم يتجه إلى الرياض.

بدأ الأمير عبد الله في الإغارة والتأديب، واستمالة القبائل على حدود تربة، وقتل بعض التجار النجديين، واستكان له الأعراب المتفرقة في هذه الجهات، فأخذ الزهو، واستصغر شأن خصمه حينما نظر إلى جيشه وكان تعداده ١٢٠٠٠ مقاتل. على أن هناك من يقول إن تعداد الجيوش وصلت إلى ٢٥٠٠٠ مقاتل<sup>(٣)</sup> منهم خمسة آلاف من الجيش

(١) صقر الجزيرة ح ١ ص ٢١٠ .

(٢) المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود ص ١٨٩ .

(٣) تاريخ الحجاز ص ٦٤ .

النظامى ، والباقي من المتطوعة والأعراب ، ومعهم المعدات وآلات الحرب والقتال التى لا تعد ولا تحصى مما أخذ من الإنجليز، وغنما من الأتراك فنظر إلى كل هذا الأمير القائد، وأرسل إلى والده قائلاً:

«إنى فى ٣٠ يوماً سأطوى نجداً بأجمعها وأخاطبكم من البحرين»<sup>(١)</sup>

كان الإمام يراقب ما يجرى فى تربه ، وتأتيه الأخبار تحت جناح السرعة ، فأعد جيشاً قوامه ١٢,٠٠٠ مقاتل ، تحرك به من الرياض ، إلا أنه حينما وصل إليه أخبار جيش الشريف أرسل سريعاً إلى سلطان بن بجاد كبير هجرة العُطُوط ، أن يلتحق بسرعة وسرية مع جيشه بخالد بن لؤى بالخرمة لنجدته ، حتى يصل هو ومن معه ، وأسرع سلطان بن بجاد ، والتقى بخالد ، وجلسا يفكران فى كيفية الوصول إلى هذه الجيوش ، وكيف يدفعان هذه القوه العظيمة التى لا قبل لهما بها .

وراودهما التفكير أن ينتظرا ابن سعود ، ومدده الذى سيأتى به إليهما ، ولكن إيمان خالد بالله كان أقوى من كل شىء ، وأن من معه متعطشون إلى الجنة ، وهُدَى إلى خطة عجيبة ، راح يخطط لها : وهى مهاجمة جيش الأمير عبد الله ، واتفقا على كيفية الهجوم .

اتفقا على تقسيم القوة إلى ثلاثة أقسام :

الأول : يهاجم مخيم الأمير عبد الله .

الثانى : ينازل القوات النظامية .

الثالث : ينتشر على الخطوط لقطع خط الرجعة عليها .

وما إن سكن الليل ، وهدأ كل شىء ، واستسلم الجيش والأمير القائد للنوم ، وإذ بخطة خالد تبدأ فى التنفيذ وإذا بالأصوات تملأ عنان السماء تنادى الجنة الجنة الجنة ، ودارت معركة رهيبه ، استخدمت فيها مختلف الأسلحة ، وكان فى مقدمتها السلاح الأبيض ، واختلط الحابل بالنابل ، وصار جنود الأمير عبد الله يضرب بعضهم بعضاً فى وسط الظلام على غير هدى ، ووصل خالد بن لؤى إلى مخيم الأمير ، وأحاطوا به من كل جانب يريدون قتله ، فاستيقظ من نومه مذعوراً ، فشق له خادمه الخيمة ، وخرج منها ، وأقبل على فرس فامتطاه بملابس نومه ، وأطلق له العنان ، ولم يتوقف به العدو إلى أن بلغ الطائف ، وكانت نجاته من تلك المجزرة التى لم ينج منها إلا النزر القليل من رجاله أعجوبة الأعاجيب .

أما الذين نجوا من المعركة ، ومن المذبحة ، ولم يستطيعوا الفرار ، فقد التجأوا إلى

(١) نفس المصدر ص ٦٤ .

حصن من الحصون القريبة، فهجم عليهم جيش خالد وابن بجاد في اليوم التالي، فجعلوا خاتمة المذبحة كأولها.

تراكمت الجثث بعضها فوق بعض، ولم ينج إلا من سابق الريح، ومن انضم إلى جيش خالد، وكان أكثرهم من عتبية، وكان عدد القتلى خمسة آلاف، بينما خسر خالد وابن بجاد من جنودهما حوالي خمسمائة، أربعمائه من رجال العُطُط، ومائة من أهل تربة والخزمة.

.....

تمت هذه المعركة التي قضت على كل آمال الشريف، والتي قصمت الظهر، ليلة ٢٥ شعبان ١٣٣٧هـ على مقربة من تربة، واستولى خالد بن لؤى وسلطان بن بجاد ومن معها على معدات جيش الشريف وذخائره، وكان أكثرها لم يزل في صناديقه<sup>(١)</sup>.  
ثم وصل الإمام عبد العزيز على رأس جيشه، وكان تعداداه ١٢٠٠٠ اثني عشر ألف. مقاتل بقيادته إلى تربة بعد إنتهاء المعركة، ولم يعلم بها إلا وهو في الطريق. رأى ضحايا الواقعة، ولم يطق الإمام رؤية هذه المناظر الرهيبة، فقد جيفت الجثث، ولعبت برائحتها الريح، ونقلتها من مكان إلى مكان، فأطرق رحمه الله حزينا، وتساقطت الدموع من عينيه<sup>(٢)</sup> ثم أمر بدفن الجثث، وقد حمل الشريف نتيجة كل ما لها حدث.

.....

بعد هدوء الحالة في منطقة تربة والخزمة، واستقرار الوضع بها، اجتمع الإمام عبد العزيز بجيوشه وقواده، واستعرضوا موقف الشريف، وبينوا أنه هو الذي إعتدى، وعليه دارت الدائرة، وأن هذا النصر من الله وحده، فله الحمد في الأولى والآخرة.  
كان في قيادة الإمام من يرى أن ساعة الخلاص من حكام الحجاز قد قربت، وأنه ينبغي الزحف إلى مكة، وكان الجنود متحمسين لإنهاء الأمر، وتخليص الأراضي المقدسة من كل دنس إلا أن الإمام عبد العزيز رأى أن الأمر يقتضى التريث حتى يُسمع الصدى الذي ستأتى به هذه المعارك، وأن الاحتياط واجب، فليس المهم الآن ما عليه الشريف وإنما من هم وراء الشريف.

لقد كان الإمام رحمه الله يخاف من تدخل قوة خارجة عن المنطقة، ويرى أن ما أصاب الدعوة ورجالها من كوارث في الماضي كان بسبب تدخل هذه القوة، وأنه يسير بتؤدة وتأن وصبر، ليفوت على الجميع أمراً قد لا تحمد عقباه، ومن هنا نرى براعة الإمام في معرفته

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ح ١ ص ٣٢٣ .

(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٣٢٣ .

ووعيه للتاريخ، ودراسة أحداثه، والخوف كل الخوف أن يتجمع الصليبيون مرة أخرى مع المسلمين الجاهلين بأمور الدين وتشريعاته، ولكنهم والحمد لله كانوا مشغولين بأمورهم، ففرنسا منصرفه إلى حروبها وتناجها، وتركيا أصبحت وليس لها من الأمر شيء، أما الإنجليز الذين يهتمهم أمر المنطقة، والذين يعتقد الشريف أن لهم التأثير الكبير، ويزي أنهم يستطيعون أن يمدوا له يد العون والمساعدة، فإنهم يدورون في فلك مصلحتهم وحدها، وقد يكونون معك، ولكن حينها لا يرجون الخير منك، فإنهم سينصرفون عنك حتماً، ولقد كانوا في طريق الانصراف عن الشريف، حينما رأوا أن التوفيق تخلى عنه.

.....

لقد هال الشريف ما حدث في تلك المأساة المروعة، وحار فيما يفعل، وأخيراً استغاث. بحلفائه الإنجليز الذين أخذتهم الشفقة والرثاء لحاله، وأرادوا أن يفعلوا له شيئاً، فأرسلوا إلى الإمام هذا الكتاب.

«ترجوكم حكومة جلاله الملك - ملك الإنجليز- أن تعودوا إلى نجد عند وصول هذا الكتاب إلى أيديكم، وتتركوا تربة والخزرة منطقة حرة، وغير مملوكة لأحد، حتى عقد الصلح، وتحديد الحدود، وإذا لم تعودوا فإن حكومة بريطانيا تعد كل اتفاق بينكم وبينها ملغى، وتتخذ ما يلزم من التدابير ضد حركاتكم العدوانية، ونأسف كل الأسف لما حصل بين أصدقائنا، وكانت ترجوا ألا يقع» (١).

كانت الحكمة تقضى بأن يترث الإمام حتى تهدأ العاصفة فيتجه بجيشه إلى الرياض، وقد كان هذا ما قام به فعلاً، فأخذ طريقه إلى العاصمة، بعد أن حذر رجاله من عدم التحرك حتى تحين الفرصة وهي قريبة إن شاء الله.

حقيقة إن الذى كان يشغل الإمام الخوف من التدخل الأجنبي، ومن إثارة الرأى العام الإسلامى فى الخارج.

«إننى إذا أمنت من جانب تدخل بريطانيا فى الأمر من أجل الشريف، فما يدرينا لعلها تتدخل فيما بعد من أجل العالم الإسلامى إذا أنا بسطت نفوذى على الحرمين الشريفين، وحاولت إقامة الدين الحق، ولذلك فلا بد أن أنتظر، وأنتظر طويلاً حتى يأذن الله لى وهو خير الحاكمين» (٢)

(١) المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود .

(٢) الإمام العادل عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل آل سعود ج ١ ص ٧٩، ٨٠ .

ولكن الله مؤيده وناصره، ومن كان الله معه، فكل شىء يهون، وكل الأمور تحل بتوفيقه سبحانه وتعالى، وقد بدأ هذا التوفيق بأن أرسلت له جمعية الخلافة المعروفة بشدة تعصبها للدين، وللدولة العثمانية تطالبه بتحرير الحجاز من المظالم، وأن يعمل على عقد مؤتمر إسلامى يقرر فيه مصير البلاد.

وكان أول الغيث قطرة، استراح لها قلب الإمام، وهدأت نفسه قليلاً، وحمد الله سبحانه وتعالى، ولكنه مازال يفكر فى مخرج مما قد يحدث، وإذا بالبشير يجيئه ليقول له: «إن جيش خالد بن لؤى وسلطان بن بجاد قد دخلا مكة مليبا طائعا كما يريد من غير إراقة قطرة واحدة من الدماء، ودون أن يلحق بأحد من جيرة بيت الله أى أذى»<sup>(١)</sup>.

سجد الإمام لله شاكراً، معددا فضله عليه، وكرمه له، ثم شرع رحمه الله فى الإعداد ليتوجه إلى مكة فكتب إلى جميع ملوك المسلمين وأمرائهم يشعروهم بسفوره إلى مكة المكرمة غير باغ ولا آثم، وأنه عازم على عقد مؤتمر هناك، يفكر فيما يراه كفيلا بتوطيد الأمن، ونشر السلام.

وجمع كبار قومه ومعهم العلماء، وخطب فيهم خطبته التاريخية. بدأ الخطبة بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه . . . . . وكان مما قاله: «إنى مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم التى أرهقت كاهل عباد الله، إنى مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها؛ فلن يكون بعد اليوم سلطان إلا للشرع، الذى يجب أن تطأطأه جميع الرؤوس له. إن مكة للمسلمين كافة، فيجب أن يكون أمر إدارتها وتنظيمها طبق رغائب العالم الإسلامى.

إننا سنجتمع بوفود العالم الإسلامى هناك، وستبادل معهم الرأى فى كل الوسائل التى تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية، وتحفظ راحة قاصدى حرم الله»<sup>(٢)</sup>.

.....

غادر الإمام عبد العزيز آل سعود الرياض يوم ١٣ ربيع الثانى عام ١٣٤٣هـ فى موكب كبير فى طريقه إلى الحجاز، ومعه كبار القوم وعلماءها، وألوية من أهل الحضر، وسكان الهجر، والفرحة قد عمت الوجوه، وسار الموكب على بركة الله، وجاء البريد من مكة، وهو

(١) شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ح ١ ص ٣٣٣ .

(٢) صقر الجزيرة ح ٢ ص ٣١٥ .

على آبار المصلوم (المصلوق) مساء ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣٤٣هـ، فأمر بفتحه في الحال -  
على عادته - وعرض عليه، فإذا به كتاب موقع عليه من معتمدى قناصل الحكومات  
البريطانية، والإيطالية، والفرنسية، والهولندية والإيرانية، وهذا نصه: .

جده في ٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤م

إلى خالد بن لؤى، وسلطان بن بجاد.

بعد الاحترام

وصلنا كتابكما. ولا يخفا كما أن حكومتنا ملتزمة الحياد التام في الحرب بين نجد  
والحجاز، وعلى ذلك فنحن محايدون، ولا يمكننا التداخل بأى وجه كان في هذا الخصام،  
وقد أخذنا علماً بتصريحكما بأن ليس لكما نظر في رعايانا، ونؤيد مضمون كتابنا الأول  
المختص بهم والسلام.

.....

إمضاءات (١)

وعندما انتهى من قراءة الكتاب، خر الإمام عبد العزيز ساجداً لله، ورفع رأسه يشكر  
الله، ثم قال: «قد لزموا الحياد».

يقول الزركلى:

«فعرفنا أن سبب قلقه ترقبه ما سيكون عليه موقف بعض الحكومات الأجنبية، فلما  
اطلع على الرسالة زال ما كان يساوره»<sup>(٢)</sup>.

كانت جموع الله وعلى رأسها الإمام عبد العزيز قد وصلت إلى قرن المنازل، وهو  
ميقات أهل نجد، فأحرموا بالعمرة، وانحدر الجمع من فوق جبال الهدى حتى كانوا بأعلى  
مكة، بمكان يقال له «الأبطح».

ثم امتطى الإمام عبد العزيز فرساً، وسار وسط الحشود المتراصة، والتي أتت  
لاستقباله، ثم دخل المسجد الحرام خاضعاً خاشعاً لله مليياً، دخل من باب السلام، وطاف  
باليبيت. وصلى بمقام إبراهيم الخليل، ثم سعى بين الصفا والمروة، ولسانه لا يفتر عن ذكر  
الله وشكره، وبيان ما أولاه من فضله ونعمه. ثم جلس إلى الناس يتحدث معهم بصراحتة  
وصدقه الذى عرف به فكان مما قاله:

(١) جريدة أم القرى العدد ٢ السنة الأولى، وتاريخ الحجاز ص ١٥١.

(٢) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ح ١ ص ٣٤٠.

« . . . . . ولم يكن يخطر على بالي أن أحضر مكة على هذه الصورة، بل إننى لو رأيت فى المنام ما تم لى الآن ، لما عبرت رؤىاى لدى أحد المشايخ (العلماء) مخافة أن يسخروا منى ، لكن فضل الله لا يجد ، وهذا من محض إحسانه جل وعلا ، وإكرامه لى ، أسأله تعالى أن ينصر دينه ، ويعلى كلمته ، وأن يوفقنى للعمل بكتاب الله ، وإحياء سنة سيد المرسلين إنه سميع مجيب الدعوات»<sup>(١)</sup> .

ومما لا شك فيه أن هذا من فضل الله وكرمه وعطفه الذى أولاه لقائد المسيرة عبده وابن عبده الذى كان يستصغر نفسه أمام عطاء الله ، وتأييده له ، ولقد اثبتت الأحداث أن الله كان دائما معه موفقا وناصرا .

.....

كان حاكم الحجاز قد ترك مكة إلى جده ، يريد أن يلعب بآخر ورقة معه ، فراح يعد العده ، ويجمع جيوشا ، وحاول أن يعمل شيئا ، لكنه لم يستطع ، ولم يجد مالا يدفعه لجنده ، فثاروا عليه ، وهاج الناس بجده بسبب ما وقع عليهم من النهب والسلب ، وعمت جده فوضى عظيمة ، ولم يستطع الحاكم أن يسيطر عليها ، فيئس ، وقد ضاعت كل أمانيه<sup>(٢)</sup> ، فتقدم بموافقته على تسليم آخر البلاد .

أما الملك عبد العزيز فقد بقى خارج جده ، وكلما طالبه جنده بالسماح لهم بدخول جده ، دعاهم إلى الصبر والتؤده ، وطال الحصار لجده وعبد العزيز واثق من توفيق الله له ، ويؤكد خير الدين الزركلى هذا التوفيق ببعض ما حدث فى أثناء هذا الحصار فقال :

جهز الشريف على طائرة بمدفع رشاش ، وكلف الطيار بأن يغير على قيادة جيش الملك عبد العزيز ، ولم يكن عنده مدافع مضادة ولا مخابىء ، ووصل الخبر إلى الملك عبد العزيز فقال : «وقانا الله شرها» .

وقال الزركلى مكملًا :

«وحلقت الطائرة فوق الخيام ، ومن فى الخيام ينظرون ، وحامت حول أكبر سرادق فى المخيم ، حيث يجلس عبد العزيز وخاصته ، وكان الوقت قبيل الظهر ، ومن فى الطائرة يرى من فى الأرض بالعين المجردة ، وكان مع قائدها شاب أعرفه ، روى لى من تمنى له النجاح فى مطار جده قبل قيام الطائرة ، وأنه زاه يحمل قبيلتين من اللواتى تقذف باليد وسمعه يقول :

سألقيها على رأس عبد العزيز . . .

(١) الإمام العادل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ج ١ ص ٣ .

(٢) تاريخ الحجاز ص ١٩٩ .



ولم يكن بين الطائفة ورأس ابن سعود أكثر من مئات الأمتار، وقد أحكم القائد جعل السرادق هدفا له، وهبىء الرشاش واحدى القنبلتين .  
ولكن التوفيق يقظ، فإذا بالقنبلة تنفجر في الطائفة، وإذا بالنار تشتعل في الجو، وتهوى الطائفة، ثم تصبح ومن فيها كومة من الرماد أمام خيمة عبد العزيز». (١)  
وبينما رجال عبد العزيز يواصلون الحاحهم عليه بدخول جدة، وهويأمرهم بالتأني والصبر وردت رسالة الملك عَلِيٍّ بالتسليم، وأجابه عبد العزيز بالموافقة، ورحل عن جدة والبلاد، وتم الحكم لله ونودي بعبد العزيز في مكة المكرمة في ٢٢ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ الموافق ٨ يناير سنة ١٩٢٦ ملكا على البلاد(٢).

## كلمتان لأبي بكر وعلى

كان من دعاء خليفة رسول الله أبي بكر الصديق إذا مدحه الناس  
أن يقول :

«اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم  
أجعلني خيرا مما يحسبون، واغفر لي، واجعلني خيرا مما يعلمون، ولا  
تؤاخذني بما يقولون» . . .

وكان أمير المؤمنين على يقول لمن يتملقه مغاليا في مدحه :

«أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك» . . .

(١) شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز ح ٢ ص ٥٨٤ .

(٢) قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص ٣٩٤ .

# مِن مَرَاهِلِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَكَّةَ

الدكتور محمد جميل عبد الله المصري

أستاذ مساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

تحتاج الأمة أمة وهي تتلمس طريقها نحو النهضة إلى ما يسمى بالحس التاريخي تعى فيه ذاتها وتحقق أصالتها، وأي أمة خلت من هذا الحس التاريخي هي أمة تابعة مقلدة لاهثة، لا تعى ذاتها وبالتالي لا تملك ذاتها، ومصيرها يكون إلى زوال .

والأمة العربية والإسلامية لم تتميز ولم تعرف إلا بالإسلام وبدعوته، والكشف عن جذور هذه الدعوة وأصالتها يجعلها أمة متميزة شاهدة على الناس، فلا تبعية ولا تقليد ولا ذوبان في حضارة شرقية أو غربية، ويوم تعى هذه الأمة ذاتها تشمخ عملاقة تسير في دروب الخير والعطاء للإنسانية جمعاء، تمديدها لانقاذ الإنسانية من مهاوى الردى، تنير لها سبيل الخلاص، وتخرجها من الظلمات إلى النور فيصدق فيها قوله سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ . (سورة آل عمران: ١١٠) .

وتاريخ الإسلام هو تاريخ للدعوة الإسلامية، يتلازمان صعوداً وهبوطاً وطبيعة تاريخ الدعوة تنبع من طبيعة الدعوة الإسلامية ذاتها التي من اخص خصائصها الشمول والاتساع والعالمية - فهي لا تعترف بحدود جغرافية أو جنسية أو لغوية أو سياسية حتى في الوقت الذي تمزق فيه المسلمون إلى دول ودويلات وإمارات - لم يتأثر المسلمون بهذا التقسيم بل كانوا ينظرون إلى ذاتهم كأمة دون الناس يطلقون على عالمهم دار الإسلام، يستطيع كل مسلم أن يدخل أي قطر يقيم فيه ويتخذه وطناً هويته الإسلام وجنسيته دار الإسلام .

هكذا كان المسلمون يدركون ذاتهم ويتميزون عن غيرهم إلى أن عصفت بالمسلمين موجات الاستعمار الغربي التي حملت معها أفكار القومية والتغريب والعلمانية، فبهت حسهم التاريخي وتعثروا في تلمس انتمائهم بين يمين ويسار، ورجعية وتقدمية، وشعارات بعيدة عن ذاتهم وعن أصولهم .

ودراسة الدعوة الإسلامية في مراحلها الأولى طريق إلى إيجاد الحس التاريخي في هذه الأمة، وانعاشه وبلورته إلى عمل فعال في استشارة كواامن الطاقات الإسلامية وتجميعها وتوجيهها نحو الخير والعتاء . وسأتحدث عن ثلاث مراحل من مراحل الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة .

### المرحلة الأولى : الدعوة سراً :

بعءما نزل الوحي على الرسول ﷺ وكلفه حمل الرسالة وأمره بتبليغها بقوله : ﴿قم فأنذر﴾ . أخذ يدعو لدين الله فبدأت المرحلة السرية التي استمرت ثلاثة أعوام ، فكان فيها ﷺ يدعو من أنس فيه الاستعداد لقبول هذه الدعوة بغض النظر عن سنه ومكانته وبغض النظر عن جنسه وأصله ، فكان يدعو جميع من يتوسم فيهم القبول والتعقل ، فأسلم خلالها جماعة من ذوى العقل والرأي والنضج مثل خديجة بنت خويلد وزوجه ، وزيد بن حارثة مولاه ، وعلى بن أبى طالب وكان صبياً ، وأبوبكر وعبد الرحمن بن عوف والذبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة عامر بن الجراح وسعيد بن زيد وخالد بن سعيد بن العاص والأرقم بن أبى الأرقم وجميع هؤلاء من الأسر المنتفذة القوية ، كما كان من السابقين إلى الإسلام أغنياء وفقراء ، أقوياء وضعفاء ، احرار وموالى ، عرب وعجم ، تجار وعمال ، وبعض الكتائيين امثال صهيب الرومى ، والأرقاء أمثال بلال الحبشى وياسر وزوجته سمية وابنهأ عمار . فالإسلام من بدايته لم يكن لفئة دون فئة من الناس ولا لجنس دون جنس أو طبقة دون طبقة ، بل جاء للناس كافة ، وخلصاً للإنسانية جمعاء . قال تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ . (سورة الأنبياء : ١٠٧) .

أخذ الرسول ﷺ يعلم هؤلاء المؤمنين ما ينزل عليه من القرآن الكريم بعيداً عن أعين المشركين ، واتخذ دار الأرقم بن الأرقم مركزاً لبث الدعوة فكانت أول مدرسة في الإسلام ، كان يلتقى بالمؤمنين سراً في هذه المدرسة أوفى شعاب مكة أثناء الليل أوفى الهاجرة ، فيحفظهم القرآن الكريم ويثير فيهم الفكر بالتأمل في آيات الله والتدبر في مخلوقاته ، ويعودهم الصبر على الأذى ويرؤضهم على الطاعة والانقياد لأوامر الله حتى خلصوا لله العلى القدير ، وكان أثناء ذلك يتصل بالعرب سراً يبلغهم الرسالة (١) فاستجاب نفر غير قليل من قريش الظواهر التي كانت تتألف من بطون قريش المستضعفه وحلفائها (٢) وكان ﷺ يرسل

(١) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى : (ج ١ ص ٧٠) .

(٢) ابن هشام : السيرة : (ج ١ ص ٢١٨) .

لمن يدخل في الإسلام من يعلمه القرآن ممن أسلموا من قبل وفقهوا في الدين، فقد أرسل مثلاً خباب بن الأرت يعلم زينب بنت الخطاب (١).

### المرحلة الثانية : الدعوة جهراً :

نضج الصحابة السابقون في الإسلام وأصبحت عقليتهم عقلية إسلامية ونفسياتهم نفسية إسلامية، وأصبح إدراكهم لصلتهم بالله بارزة آثاره على أعمالهم، فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾. (سورة الشعراء: ١٤). فجمع ﷺ قومه من بنى عبد المطلب وكانوا يومئذ أربعين رجلاً، واتبع معهم ضروب الملاينة، وتحدث معهم في لطف وشرح لهم الدعوة في بساطة وعطف فقال لهم :  
«إني ما أعلم شاباً جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، فلقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة» (٢).

ثم نزل قوله سبحانه وتعالى : ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾. (سورة الحجر: ٩٤) فأظهر ﷺ الدعوة وخرج في أصحابه إلى الكعبة في نظام دقيق لم تعهده العرب من قبل، فطاف بهم حول الكعبة، ونادى قريشاً وابلغهم الدعوة فهتف به عمه أبو لهب: تَبَّاً لك ألهذا دعوتنا؟ فنزل قوله سبحانه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾. (سورة المسد: ١-٣). فانتقلت الدعوة من دور الاستخفاء إلى دور الإعلان، ومن دور الاتصال بمن يأنس فيهم الاستعداد إلى دور مخاطبة الناس جميعاً، فلقي المسلمون من عداوة مشركي قريش وعتهم الشيء الكثير، ولكن الدعوة سارت في سبيلها، ولم يرفع المسلمون سيفاً أو يشرعوا رحماً، إنما كانوا يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، يتفاعلون مع المجتمع، وتنزل الآيات تصارع عقائد المشركين وعاداتهم وتقاليدهم دون مهادنة لزعمائهم.

كان الرسول ﷺ يصارع بدعوة الإسلام عقائد الجاهلية جاهداً لإحلال العقيدة الإسلامية محل العقائد الزائفة ببيان زيف تلك المعتقدات وسخافة عقول معتنقيها، يتلو عليهم ما ورد في القرآن الكريم من قصص الأمم السابقة التي تشبههم في عبادة الأوثان ليوظ تلك العقول الجامدة لعل أصحابها يتعمقون في التفكير، وينذرهم بالعذاب الشديد لعكوفهم على عبادة الأوثان، فكان يتلو عليهم: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾. (سورة الأنبياء: ٩٨).

(١) تهذيب سيرة ابن هشام : (ج ١ ص ٧٨).

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٤.

وتعدى الأمر ذلك إلى مهاجمة نظمهم القبلية وعاداتهم وتقاليدهم البالية التي يستمدون منها نظام حياتهم كالربا وجواز استئجار الجوارى للزنا والميسر واستشارة الكهنة والعرافين، وواد البنات وقتل الأولاد والنساء، وتتنزل الآيات تحمل الردود العنيفة القاسية على زعماء قريش وساداتهم وكبرائهم واغنيائهم وطغاتهم - كقوله تعالى: ﴿كَلَّا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة، فليدع ناديه﴾. (سورة العلق: ١٥-١٧) (١). وقوله سبحانه: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين، هـامز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم، أن كان ذا مال وبنين، إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين، سنسمه على الخراطيم﴾. (سورة القلم: ١٠-١٦). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة، الذي جمع مالا وعدده، يحسب أن ماله أخذه، كلاً لينبذ في الحطمة﴾. (سورة الهمزة: ١-٤).

كان الرسول ﷺ يتلو عليهم هذه الآيات ومثلها غير مبالٍ بقوتهم وضعفه وكثرتهم وقلته، جرأة في الحق وعدم خشية أحد فيه، فكان المثل الأعلى لأصحابه الدعاة، فلم يهادنوا عظيماً ولم يراعوا في الحق جباراً، ولم يعضوا البصر عن جانب من جوانب الفساد، ولم يتركوا باباً لتبليغ دعوتهم إلا طرقوه، ولم يجدوا مسلماً إلا سلكوه.

#### مواقف قريش المضاد للدعوة الإسلامية في مكة :

واجهت الدعوة الإسلامية من اللحظة الأولى لظهورها الوثنية وتزعمتها قريش، وبشكل خاص بعد أن اعتنق الدعوة كثير من أهل الفضل منهم ووقفوا في سبيلها بمختلف الوسائل. ومن هذه الوسائل :

(١) اتهام الرسول ﷺ بمختلف التهم ليعبدو الناس عنه، فكانوا يقولون: «هذا أساطير الأولين» - قال تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾. (سورة الفرقان: ٥).

واتهموا الرسول ﷺ بالجنون، ولم يقصدوا نعته بالجنون المرضى بل قصدوا بيان دهشتهم بما كان يتلوه عليهم فقال تعالى: ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾. (سورة القلم: ٥١) وكان عمه أبو لهب يمشى وراءه، فكلما حدث النبي أحداً. قال له: لا تصدقه فإن فيه مساً أو جنوناً (٢).

(١) ناديه : تعنى مجلس قومه ، ولعلها دار الندوة .

(٢) البداية والنهاية : (ج ٣ ص ٤١) .

ونعتوا الرسول ﷺ بالكاهن حيناً والكاذب المفترى حيناً والمتعلم المقتبس من غيره حيناً وظلوا يكررون ذلك حتى آخر العهد المكّي . قال تعالى : ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ . (سورة ص : ٤) . وقال سبحانه : ﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وإعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلماً وزوراً﴾ . (سورة الفرقان : ٥) .

ووصفوا القرآن بالسحر . قال تعالى : ﴿وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ . (سورة سبأ : ٤٣) .

(٢) اتبعوا أسلوب الحجاج فكانوا يحاجون الرسول ﷺ وهو أسلوب أهل الكتاب ومن ذلك قصة النضر بن الحارث الذي حاول أن يخصم الرسول ﷺ فجاء بعظم بال يتفتت بين يديه ويقول : أتزعم يا محمد أن الله يبعث هذا؟ . فأجابه محمد ﷺ : نعم ويدخلك جهنم . ونزل قوله تعالى : ﴿وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم﴾ . (سورة يس : ٧٨-٧٩) .

ومن قوله سبحانه وتعالى يبين أسلوبهم فى الحجاج :-

﴿سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟ إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرصون﴾ . (سورة الأنعام : ١٤٨) . وقوله تعالى : ﴿وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ، وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآياتنا إن كنتم صادقين﴾ . (سورة الجاثية : ٢٤-٢٥) .

(٣) مطالبة الرسول بالمعجزات وتحديه : فقد طالبوه بالمعجزات والآيات برهاناً على صدق دعواه كما فعل الأنبياء السابقون ، قال تعالى على لسانهم : ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ . (سورة الأنبياء : ٥) . وقال سبحانه : ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ، قل سبحان ربه هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ . (سورة الأسراء : ٩٠-٩٣) .

(٤) محاولة استمالة الرسول ﷺ وإقناعه بالعدول عن الدعوة : فقد عرض عليه زعماء قريش الملك والمال والنساء ، ارسلوا إليه عتبة بن ربيعة سيد قومه ، فذهب إليه وهو يضلّى فى

المسجد فقال له : «يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت ، من خيارنا حسباً ونسباً ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم وعبت به أهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني . اعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها : إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من اموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً من الجن لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطبيب . وبذلنا فيه احوالنا حتى نبرئك منه» . فقال ﷺ : أفرغت يا أبا الوليد؟ . قال : نعم . قال : فاسمع مني : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ، حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون﴾ . (سورة فصلت : ١-٣٨) . حتى انتهى إلى آية السجدة فسجد ، ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد . فقام عتبة إلى أن جلس لقومه وقال : إنني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة . . . يامعشر قريش أطيعوني وأجعلوها لي ، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزّه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . فقالوا : قد سحرك يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأبي فأصنعوا ما بدالكم . فقال النضر بن الحارث : بماذا جاءنا محمد؟ . واللات ما محمد بأحسن حديثاً مني (١) .

هكذا كان زعماء قريش يحاولون اقناع محمد ﷺ بالعدول عن الدعوة أو التنازل عن شيء منها مقابل تنازلهم عن أشياء ، فكان قوله تعالى : ﴿ودّوا لو تدهن فيدهنون﴾ . (سورة القلم : ٩) . فثبت الرسول وأصحابه في الموقف الذي لا يحتمل مساومة ولا تعدداً .

#### (٥) أسلوب التعذيب :

لما رأى زعماء قريش اصرار الرسول ﷺ وانتشار الإسلام توجهوا إلى مقاومة الإسلام عن طريق تعذيب العبيد والضعفاء من المسلمين ليعودوا إلى الشرك وليحولوا دون إسلام المزيد ، فكان من صور هذا التعذيب أن يعرّى صدر المسلم وي طرح فوق الرمال والصخور المحرقة المتوهجة من شدة حرارة الشمس ويوضع على أجسادهم الصخور الثقيلة ويمنع عنهم الماء والطعام وتقيّد ايديهم وارجلهم بقيود الحديد ويجلدون بالسياط جلداً

(١) ابن هشام : السيرة : (ج ١ ص ٢٤٨) .

شديداً، فزهقت أرواح بعضهم ومن بين الذين تعرضوا لمثل هذا العذاب ياسر وزوجته سمية وابنها عمار، وبلال بن رباح وخباب بن الأرت، فكان المشركون يخرجون ياسراً وزوجه وابنه إلى الأبطح إذا حمت الرمضاء ويعذبونهم بحرّها فيمرّ الرسول ﷺ فيقول: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة»<sup>(١)</sup>. وقد مات ياسر وهو يعذب وأما زوجته فقد طعنها أبو جهل بحربة فقتلها<sup>(٢)</sup>. وكان بلال يخرج مولاه ويأمره أن يستلقى على الرمل المتقد تحت الشمس المحرقة في الصحراء ثم يضع قطعاً ثقيلة من الحجارة على صدره، ويبقى على هذه الحال إلى أن يُغشي عليه وهو يقول: «أحد. أحد» لا يزيد على كلمة التوحيد، وقد ضرب المسلمون مثلاً خالداً للتمسك بالعقيدة وتحمل أنواع الأذى والتضحية بالنفس، وكان بعض المسلمين الاغنياء وخاصة أبو بكر يشترون الأرقاء المضطهدين من مالكيهم وينقذونهم من الاضطهاد.

ثم خطا المشركون خطوة أخرى في التعذيب فأخذوا يعتدون على المسلمين جميعاً ودون تمييز حتى شمل الاعتداء ذوي الثراء والوجاهة والقوة كأبي بكر وعثمان والزيير وطلحة وأبي عبيدة وعثمان بن مظعون، فقد شدّ نوفل بن خويلد وكان يسمى (أسد قريش) أبا بكر وطلحة القرشيين بحبل واحد، فسميا - القرينين<sup>(٣)</sup>. وعذب أبو أحيحة ابنه خالد بن سعيد ابن العاص، فكان يضربه بقراعة في يده حتى يكسرها على رأسه ثم يأمر بحبسه ويضيق عليه ويجيعه ويعطشه حتى لقد مكث في حرّ مكة ثلاثاً ما ذاق ماء<sup>(٤)</sup>.

ونتيجة لتعرض المسلمين جميعاً للعذاب أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة في السنة الخامسة من بعثته، واختياره للحبشة يعود لشخصية النجاشي اصحمة بالذات لعدله، خلافاً لما يراه المستشرقون بأن الإذن بالهجرة كان لكون الحبشة على صلة ببيزنطة بانين ذلك على ما ورد في سورة الروم من تنبؤ بنصر الروم على الفرس، وخلافاً لما ذهب إليه الأستاذ الكبير الصعدي من أن الإسلام كان ناشئاً ولم تفسد السياسة بعد بينه وبين النصرانية فأثر المسلمون مصافاتها على مصافاة أعدائهم من مشركي قريش<sup>(٥)</sup>. والأمر واضح في قوله ﷺ لأصحابه:

(١) ابن الأثير : (ج ٣ ص ٣٠) .

(٢) انظر ابن هشام : السيرة : (ج ١ ص ١٧٢-٢٠٢) :

(٣) البداية والنهاية : (ج ٣ ص ٢٩) .

(٤) انظر تاريخ الطبري : (ج ٢ ص ٣٢٣-٣٢٦) .

(٥) السياسة الإسلامية في عهد النبوة : (ص ٥١) .



«لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجاً مما أنتم فيه»<sup>(١)</sup>. وقوله كما في اليعقوبي: «ارحلوا مهاجرين إلى أرض الحبشة إلى النجاشي فإنه يحسن الجوار»<sup>(٢)</sup>.

فتسلل بعض المسلمين مهاجرين، ومع الذين هاجروا جعفر بن أبي طالب، وقد يكون ندبه الرسول ﷺ ليكون وكيله في المهاجرين ورسوله إلى ملك النجاشي، وبنو هاشم كانوا ينصرون النبي ﷺ مع احتفاظ أكثرهم بدينه وكان رئيسهم في ذلك أبو طالب الذي تولى قيادة النصر والتعصب للنبي ﷺ وجعفر هو ابنه .

#### (٦) تهديد الرسول ﷺ بالكف عن دعواه والعدوان عليه :

حين باءت أساليب مقاومة كفار قريش بالفشل لجأوا إلى عمه أبي طالب وقال زعمائهم : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آهتنا وعاب ديننا وسفّه احلامنا، فإما أن تكفّه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه . فردّهم أبو طالب ردّاً جميلاً دون أن يتوقف ﷺ عن نشاطه أو يتهاون في الدعوة، فعادوا الكرة وخاطبوا أبا طالب بلهجة المتوعد المهدد وأنهم لن يصبروا على هذا الحال، وخيروه بين أن يمنعه عمّا يقول أو ينازلوه وإياه حتى يهلك أحد الطرفين، فعظم الأمر على أبي طالب فكلم محمداً ﷺ بما جاء به إليه قومه وقال له :

«يا ابن أخي، إن قومك جاءوني وقالوا لي كذا وكذا، فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق». فكان ردّ المبلّغ الداعية إلى الحقّ الذي يحمل نفساً أبيّة لا تعرف الذل ولا تنحني للوهن، ينظر إلى خصمه من علّ لأنه يستمد القوة من عزيز حكيم، ينظر إلى زخارف الدنيا وكأنها أوراق الخريف تتطاير في الهواء، ويحتقر أبهة المشرك وعظمته، يستعلى على الدنيا بإيمانه، فهو على الحق وان لقي العنت الشديد. قال ﷺ: «والله ياعم، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه»<sup>(٣)</sup>. فطمأنه أبو طالب ووعدته الاستمرار في حمايته. فعاد زعماء قريش إلى أبي طالب يعرضون عليه عمارة بن الوليد أو سم شباب قريش ليسلموه إليه على أن يسلمهم محمداً ﷺ فردهم ساخراً بقوله: «بئس ما تسومونني، اتعطوني ابنكم اغذوه لكم، واعطيكم ابني تقتلونه !!»<sup>(٤)</sup>. فاتجه بعضهم إلى انزال الأذى بالرسول ﷺ مباشرة، قال الهيثمي -

(١) ابن هشام : السيرة : (ج ١ ص ٣٤٣) - الكامل : (ج ٢ ص ٣٢٧) .

(٢) اليعقوبي : تاريخ : (ج ٢ ص ٢٩) .

(٣) ابن هشام : السيرة : (ج ١ ص ٢٧٨) .

(٤) ابن هشام : (ج ١ ص ٢٧٧-٢٧٩) الطبري : (ج ٢ ص ٣٢٧) طبقات ابن سعد : (ج ٤ ق ١ ص ٦٨) .

ورجاله ثقات - عن منبت الأزدى . قال : رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية وهو يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، فمنهم من تفل في وجهه ومنهم من حثا عليه التراب ومنهم من سبه حتى انتصف النهار ، فأقبلت جارية بعس من ماء ، فغسل وجهه ويديه وقال : «يابنية لا تحشى على أبيك غيلة ولا ذلة» (١) . ومن الذين اشتدوا في ايدائه ﷺ : أبو جهل عمرو بن هشام ، وأبو لهب عمه ، وأم جميل زوجة أبي لهب ، وعقبة بن أبي معيط ، ولكن إسلام حمزة ثم عمر بن الخطاب كف القرشيين عن بعض ما كانوا ينالون به الرسول ﷺ من أذى خوفاً منهما . وفي أثناء ذلك استمر القرآن الكريم يردّد مشاهد الشدة والعنف مع المشركين ينذّرهم وينذرهم بسوء المصير ، ويصبر الرسول ﷺ والمسلمين ويعدهم بالنصر والتأييد وحسن العاقبة .

### أسلوب المقاطعة :

ازداد حنق المشركين من قريش إزاء صبر الرسول ﷺ والمسلمين على الأذى والتعذيب واصرارهم في المضي بالدعوة وإزاء فشو الإسلام في القبائل ، فاجتمعوا واثمروا وقرروا مقاطعة المسلمين وبنى هاشم دون أبي لهب ، فلا يتزوجون منهم ولا يزوّجونهم ، ولا يبيعون لهم شيئاً ولا يشترون منهم ، وتعاهدوا وتوثقوا على ذلك ، وعلقوا صحيفة المقاطعة بالكعبة (٢) . فاضطر بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى النزوح إلى شعب أبي طالب شرقي مكة ، وقطعت عنهم قريش كل أنواع المؤن ، ولم يكن يتاح لهم الاختلاط بغيرهم من الناس إلا في الأشهر الحرم حين يفد العرب إلى مكة لزيارة البيت الحرام . وبلغ بهم الجهد حدّاً لا يطاق ، فذاقوا الجوع والحرمان حوالى ثلاث سنوات لا يصل إليهم القوت إلا خفية .

وأخيراً أخذت الحمية والرافة نفرّاً من القرشيين منهم : هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، والمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، وأبو البخترى ابن هشام ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد ، وتعاهدوا على نقض الصحيفة رغم اعتراض أبي جهل ، وخرجوا إلى بنى هاشم وبنى عبد المطلب وطلبوا منهم العودة إلى منازلهم وشقوا الصحيفة فوجدوا الأرضة قد أكلتها إلا ما كان من : بسمك اللهم ، وهي فاتحة ما كانت تكتب قريش (٣) .

(١) الكاندهلوى : حياة الصحابة : (ج ١ ص ٢٨٩) .

(٢) الطبرى : (ج ٢ ص ٧٤) ابن هشام : (ج ١ ص ٢٣١) .

(٣) الطبرى : (ج ٢ ص ٨٠) ابن هشام : (ج ١ ص ٢٣١) .

المرحلة الثالثة : عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل :

فقد الرسول ﷺ بعد المقاطعة بقليل عمه أبا طالب وزوجه خديجة فخر نصيرين كبيرين ، وتألم لفقدهما ، فسمي ذلك العام بعام الحزن (١) . وأدرك ﷺ أن مجتمع الشرك في مكة وصل مرحلة التحجر فلا تجدى الدعوة فيه ، فأخذ يتلمس النصرة من قبائل العرب ، فكان يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : يا بني فلان : إني رسول الله إليكم آمرمكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثنى به (٢) .

عرض الرسول ﷺ نفسه على بني عامر بن صعصعة وغسان وفزارة وبني مرة وبني حنيفة وبني سليم وبني عبس وبني نصر وكندة وكلب وبني الحارث بن كعب وبني عذرة ، دون مساومة .

فقد دعا بني شيبان بن ثعلبة فقال لهم : « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، وأن تؤووني وتمنعوني وتنصروني حتى أؤدى عن الله ما أمرني به » . فقال له المثني بن حارثة : ولعل هذا الأمر الذى تدعو إليه تكرهه الملوك ، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول ، وأما ما كان مما يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول ، فإن أردت أن ننصرك مما يلي بلاد العرب فعلينا . فأجابه رسول الله ﷺ بحزم لا يقبل المساومة : « ما أسأتم الرد إذا أفصحتم بالصدق . إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه » (٣) .

وقال له أحد بنى عامر بن صعصعة : أ رأيت إن نحن تابعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أ يكون لنا الأمر من بعدك ؟ . فقال ﷺ : « الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء » (٤) .

وذهب ﷺ إلى الطائف يتلمس نصرة ثقيف فاتصل بسادتها واشرافها ودعاهم إلى عبادة الله وإلى نصرته فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم أن يتأثروا بدعوته ، فأمره بالخروج من بلدهم ، واغروا به سفهاءهم يسبونونه ويصيحون به ، وقد اصطفوا على جانبى الطريق على مسافات طويلة فى داخل المدينة ، فلما مر من بينهم جعلوا يرشقونه بالحجارة حتى أدموا

(١) ابن هشام : (ج ١ ص ٤١٦) .

(٢) حياة الصحابة : (ج ١ ص ٧١) اليعقوبى : (ج ٢ ص ٣٦) .

(٣) حياة الصحابة : (ج ١ ص ٧٤-٧٥) .

(٤) الطبرى : (ج ٢ ص ٨٤) .

قدميه، حتى إذا وصل شجرة فاستظل بظلها اتجه إلى ربه سبحانه يستمدّ منه القوة والعون ودعاء قائلاً :

«اللهم إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي» (١) .

ورجع الرسول ﷺ إلى مكة فوجد قومه يقفون له بالمرصاد، ليمنعوه من دخول مكة، فاستجار بالمطعم بن عدي فأجاره، وتسليح هو وبنوه لحمايته حتى دخل مكة وطاف بالبيت ثم انصرف إلى منزله في حراسة المطعم وأولاده ليعود إلى الكفاح من جديد وليستأنف تبليغ الدعوة في ذلك الجو العاصف المليء بالأخطار والمخاوف . فامتدت له يد الرحمن بالرحمة والخير والحنان وأحتضنت العناية الإلهية محمداً ﷺ لترتفع به إلى اسمى مكان، فأسري به من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى في القدس، ثم عرج به من الصخرة المشرفة إلى سدره المنتهى بجسده وروحه حيث فرضت الصلوات الخمس، واطّلع على جوانب الإعجاز الإلهي في الكون الكبير . قال تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ . (الأسراء : ١) .

وبحادثة الأسراء والمعراج تأكد الرباط المتين الذي يشدّ البلدين مكة والقدس إلى بعضهما، حيث انطلق الأنبياء على مدار القرون يدعون إلى عبادة الله الواحد ورفض الأصنام والطواغيت، ففي مكة حيث أقام إبراهيم أبو الأنبياء وابنه إسماعيل - عليهما السلام - أول بيت وضع للناس لعبادة الله على الأرض، وفي القدس حيث انبعثت نبوات متتالية تكافح من أجل تعزيز دعوة إبراهيم، حيث اجتمع هؤلاء الأنبياء الكرام في صلاة جماعية أمّمهم فيها خاتمهم تعبيراً عن الدور الذي جاءوا إلى العالم لأدائه، واتجاهاً إلى الهدف الواحد الذي بعثوا لتحريك الناس إليه، وسجوداً لله الواحد الذي كرم الإنسان وشرفه بالدين .

لقد سرّت الحادثة عن رسول الله ﷺ وأيقن بنصر الله، وزادت من إيمان المؤمنين المخلصين من أصحابه، فاستمرّ يقدم نفسه إلى قبائل العرب في موسم الحج، ويدعوهم إلى الله والإسلام ويقول : «من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي» (٢) .

وكانت قد لاحت بشائر النصر حين التقى ﷺ بستة من الخزرج من عرب يثرب التي انهكتها المنازعات القبلية ودسائس اليهود، فحدّثهم ﷺ عن دعوته وبين لهم أسس الدين

(١) البداية والنهاية : (ج ٣ ص ١٣٦) .

(٢) المقرئزي : امتاع الاسماع : (ج ١ ص ٣٠) .

فاستجابوا له وقبلوا ما عرض عليهم من الإسلام ووعده أن يحدثوا قومهم ، وقالوا : إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فدعوههم إلى أمرك ، وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه ، فلا رجل أعز منك .» (١) .

وفي موسم الحج في السنة الحادية عشرة من بعثته ﷺ قدم اثنا عشر رجلاً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، قابلهم الرسول ﷺ عند العقبة بمنى وبايعوه على الإسلام بيعة العقبة الأولى ، وسميت بيعة النساء لأنها لم تكن بيعة على القتال وإنما أخذاً للعهد والميثاق على الشروط التي ورد ذكرها في سورة الممتحنة قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يَشْرَكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ ، فَبَايِعِهِنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . (سورة الممتحنة : ١٢) .

وأرسل ﷺ معهم مصعب بن عمير معلماً ومرشداً ، يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين ، فانتشر الإسلام في يثرب وغزا كل بيت (٢) . إما إيجاباً أو قبولاً أو رفضاً ومناهضة فتفاعلت الدعوة مع مجتمع يثرب تفاعلاً قوياً وتهايات يثرب لتكون نقطة ارتكاز للدعوة تمهيداً لانطلاقها إلى شبه الجزيرة ثم العالم .

وفي موسم الحج التالي وفد مصعب إلى مكة ومعه ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من المسلمين ، واعلمه أن يثرب أصبحت جاهزة لتتلقى رسول الله ﷺ وان الغرس نها واشتد وبدأ يعطى ثماره ، واجتمع الرسول ﷺ بمسلمي يثرب اجتماع العقبة الثانية ليلاً وسراً بعيداً عن عيون قريش وعرض عليهم شروطه التي رآها ضرورية للدعوة والضمانات الضرورية ليترك مكة وينتقل إلى يثرب ، فكانوا على استعداد أن يمنعه ما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم ونساءهم ، وأن يحاربوا معه الأسود والأحمر وأن ينصروه على القريب والبعيد وشرط لهم الوفاء بذلك والجنة (٣) . فقال له أحدهم : يارسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبلاً (يقصد عهودهم مع اليهود) وإننا قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ . فتبسم الرسول ﷺ ثم قال : «بل الدم الدم ، والهدم الهدم ،

(١) ابن هشام : السيرة : (ج ١ ص ٤٢٩) .

(٢) الطبري : (ج ٣ ص ٦٠) .

(٣) يعقوبى : تاريخ : (ج ٢ ص ٣٨) .

أنا منكم وأنتم مني ، احارب من حاربتهم وأسلم من سلمتم»<sup>(١)</sup> . وطلب منهم أن يخرجوا من بينهم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، وبايعوا الرسول ﷺ بيعة العقبة الثانية التي مهدت لهجرة المسلمين إلى يثرب .

كانت زعامات قريش المشركة تدرك أبعاد اتصال الرسول ﷺ بالقبائل وبخطر ذلك على كيائها وعقيدتها وزعامتها الدينية والسياسية فكانت تعمل للحيلولة دون هذه الاتصالات ، وكان الرسول ﷺ يدرك قوة قريش وتزعمها للعرب وقوة تأثيرها ، ولذلك احاط اتصالاته هذه بمنتهى السرية ، ورغم ذلك فقد تسللت الأخبار إلى قريش فجاء وفد منهم إلى اليثريين وتهددوهم ، فحلف لهم عبد الله بن أبي أنه لا علم له بذلك ، وكان لا يعلم بالفعل ، وتعقب بعض قريش مسلمي يثرب وقبضوا على بعضهم وضربوهم وعذبوهم<sup>(٢)</sup> .

بدأت بيعة العقبة الثانية مرحلة جديدة من مراحل الدعوة الإسلامية فأذن الرسول ﷺ لأتباعه بالهجرة قائلاً : «إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها»<sup>(٣)</sup> . فأخذ المسلمون يتجهزون بسرعة وفي ستر وخفية ، فخرجوا جماعة بعد جماعة وفرادى ، وأخذت مكة تقفر من المسلمين يوماً بعد يوم ، وزعماء قريش يلحظون ذلك والغيط يملأ قلوبهم وقد خرج الأمر من أيديهم ، حتى لم يبق في مكة من المسلمين غير الرسول ﷺ وأبي بكر الصديق وعلى بن أبي طالب ، فلجأوا إلى آخرسهم ليسددوه إلى الدعوة الإسلامية في قلبها وصميمها ، للقضاء على محمد ﷺ نفسه ، في الوقت الذي كان يعدّ للهجرة واللحاق بالمسلمين .

اجتمع مشركو قريش في دار الندوة فتشاوروا في أمر الدعوة الإسلامية ففكروا في ثلاث وسائل وهي : حبسه ﷺ أو اغتياله أو نفيه . قال تعالى : ﴿ وإذ يمكركم الذين كفروا ليشتكوا أو يقتلوك أو يخرجوك ﴾ . (سورة الأنفال : ٣٠) . واتفق رأيهم أخيراً على قتله شريطة اشتراك شبان من مختلف بيوتات قريش حتى يتوزع دمه فلا يستطيع آل المطالبة بدمه . علم الرسول ﷺ بذلك فخرج من داره ليلاً بعد أن ترك علياً ليقوم بتأدية الأمانات ، وشق طريقه مع صاحبه أبي بكر - رضي الله عنه - إلى المدينة المنورة لتتشرف باستقبال رسول الله ﷺ وتبدأ الدعوة مرحلة جديدة مليئة بالكفاح والنضال والجهاد .

(١) ابن هشام : (ج ٢ ص ٤١٢) .

(٢) ابن هشام : (ج ١ ص ٤٦٨) .

(٣) ابن هشام : (ج ٢ ص ٧٦) .

وقد يتساءل المرء عن استجابة يثرب لدعوة الإسلام وللإجابة على ذلك :

كان نشاط الأوس والخزرج الاقتصادي والسياسي قد اتسع ، فلجأ اليهود إلى الدس والوقية بينهما وأخذوا يحالفون القبيلة المهزومة على المنتصرة حتى تضعف شوكتها فيحتفظون بالسيادة واحتكار الموارد الاقتصادية ، وكانت يوم بعث آخر حرب عنيفة بين الأوس والخزرج فشعر الفريقان بالخطر فاتفقا على أن يضعا حداً لهذه المآسى ، وشعر اليهود بمقدار الخطر الذي يهدد مصالحهم من جراء هذا التقارب فاتبعوا أسلوب الدس الذي برعوا فيه وتمكنوا أن يرشحوا عميلهم عبد الله بن أبي ، ليكون ملكاً على الأوس والخزرج .

ولا ريب أن بعض المستنيرين من الأوس والخزرج أدركوا ما ينطوي عليه تتويج عبد الله من محافظة على مصالح اليهود حلفائه فأسرعوا لتصديق الرسول ﷺ لانقاذهم فبايعوه .

كما كان أهل يثرب قد ألفوا فكرة المسيح<sup>(١)</sup> . المخلص الذي ينتظر اليهود عودته فكان اليهود يستفتحون به على الأوس والخزرج بقولهم : إن نبياً الآن مبعوث قد أطل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم ، فسارع الأوس والخزرج لتصديق الرسول ﷺ ، فقد قال النفر الذين بايعوه بعضهم لبعض : تعلمن والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه<sup>(٢)</sup> .

وقد ارجع جورجى زيدان أسباب انتشار الإسلام في يثرب إلى كثرة من في المدينة من اليهود وهم أهل كتاب يعتقدون الوحي ويدركون معنى النبوة ، وليس فيهم من يخاف على تجارته إذ ابطلت عبادة الأصنام ، بل هم يفضلون إبطالها لتسقط مكة وتنهض مدينتهم وخصوصاً إذا هاجر إليها صاحب الدعوة نفسه وصارت مركزاً للدين الجديد<sup>(٣)</sup> . وكان جورجى يحاول أن يثبت ان الذين استجابوا لدعوة الإسلام كانوا من اليهود ، وواضح أن ذلك بعيد عن الحقيقة ومجاف لها فاليهود أول من وقف في وجه الدعوة الإسلامية ، كما أن نص الطبرى السابق يوضح أن استجابة الأوس والخزرج كانت بناءً على قناعتهم بصحة ما حدثهم به اليهود .

كما حاول جورجى أن يرجع الاستجابة إلى أثر العصبية الجاهلية فيقول : ناهيك بما

(١) ارنولد : الدعوة إلى الإسلام : (ص ٤٢) .

(٢) الطبرى : (ج ٢ ص ٣٥٤) .

(٣) التمدن الإسلامى : (ج ١ ص ٤٨) .

كان بين تينك المدينتين من المنافسة والمسابقة والتحاسد لتباعدهما في الانساب، لأن أهل مكة من العدنانيين وأهل المدينة من القحطانيين . . . (١)

ولسنا نريد تفنيد هذه المزاعم فهي واهية ويكفى أن نذكر من مظاهر العلاقة الحسنة بين المدينتين المصاهرات التي تمت بين قريش وأهل المدينة، ثم محاولات الأوس قبل بعث أن تستنجد بقريش ضد الخزرج فرفضت قريش حتى لا ترضى فريقاً دون آخر .

والحق ان استجابة الأوس والخزرج للإسلام كانت لحسن أدراك الزعماء فيها لدعوة الإسلام نكاية باليهود، ومحاولة للتخلص من استغلالهم الاقتصادي وللتخلص من فتنهم ودسائسهم ومن حليفهم الذي رشحوه لحكم المدينة، ثم لاننس أسلوب الرسول ﷺ في عرض دعوته عليهم واجتذابهم . وإذا أراد الله أمراً هياً أسبابه .



## رسول الله ﷺ يربى أصحابه

كان ﷺ في سفر فأمر بذبح شاة، فقال رجل : يا رسول الله عليّ ذبحها، وقال آخر : عليّ سلخها، وقال ثالث : عليّ طبخها، فقال ﷺ : «وعليّ جمع الحطب» .

قالوا : يا رسول الله نحن نكفيك ذلك . فقال : قد علمت، ولكنني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه، وقام ﷺ فجمع الحطب .

(١) نفسه : (ج ١ ص ٤٨) .



# العهد العُمري

الدكتور سيف الدين محمد المرحوم  
رئيس قسم التاريخ بالجامعة

مناقشة نص كتاب الصلح الذي قيل إن عمر بن الخطاب قد منحه لأهل القدس

كان من عادة المسلمين أن يمنحوا أهل الذمة، في المدن التي يفتحونها صلحاً، عهداً يتعهدون بموجبها، حمايتهم ومنحهم حرية العبادة وممارسة حياتهم المعتادة، مقابل دفعهم الجزية والدخول في طاعة المسلمين.

وقد تفاوتت هذه العهود في الشروط التي اشترطتها عليهم، والحقوق والامتيازات التي ضمنتها لهم. حتى أن نصوص العهد الواحد قد رويت بصيغ مختلفة. وقد كان التحريف أو التزوير يحدث من قبل أهل الذمة أنفسهم، طمعاً في اكتساب حقوق جديدة إضافة إلى الحقوق التي منحهم إياها المسلمون، أو تحفيفاً لبعض الشروط التي اشترطها المسلمون عليهم. وهم في هذا متأكدون بأن ذلك سينطلي على المسلمين، في الأغلب، ذلك أن المسلمين، في ذلك العهد المبكر، لم يكونوا يحتفظون بنسخ من هذه العهود، حتى أن بعض أهل الذمة قد وضعوا عهداً ليس لها أصول على الاطلاق، وفي بعض الأحيان كان النصارى خاصة يحرفون في عهودهم عندما يلمسون ضعفاً من المسلمين في بلادهم.

ومن العهود المشهورة التي شغلت المؤرخين والباحثين زمناً طويلاً (العهد العُمري) وهو الاسم الذي أطلق على العهد الذي قيل إن الخليفة العادل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قد منحه لأهل القدس حينما جاء لتسلمها من بطريقها صفرونيوس في العام الخامس عشر للهجرة!!؟.

ومن الغريب أن المصادر الإسلامية الأولى لم تشر إلى ذلك العهد، فأول مصدر إسلامي أشار إليه هو اليعقوبي، ثم أورده من بعده ابن البطريق وابن الجوزي، والطبري، ومجير الدين العليمي، وأورد فيما يلي مجموعة الروايات المختلفة التي وردت في هذه المصادر التاريخية لهذا العهد.

## ١ - نص اليعقوبي

أورد اليعقوبي المتوفى عام ٢٨٤هـ، نصاً مختصراً لهذا العهد جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتبه عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس إنكم آمنون على دماءكم وأموالكم وكنائسكم، لا تسكن ولا تحرب، إلا أن تحدثوا حدثاً عاماً. وأشهد شهداً»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - نص ابن البطريق

وقد أورد أفثيشيوس (ابن البطريق) المتوفى سنة ٣٢٨هـ، صيغة تشبه صيغة اليعقوبي جاء فيه: «بسم الله، من عمر بن الخطاب لأهل مدينة إيلياء، إنهم آمنون على دمائهم وأولادهم وأموالهم وكنائسهم، لا تهدم ولا تسكن.» وأشهد شهداً<sup>(٢)</sup>.

## ٣ - نص ابن عساكر

أورد ابن عساكر المتوفى عام ٥٧١هـ عهد عمر على صيغة شروط وضعها أهل الذمة على أنفسهم في كتاب وجهوه للخليفة عمر بن الخطاب عندما جاء إلى الشام وهذا نصه: - «عن عبد الله بن غنم أن عمر بن الخطاب كتب له النصارى حين صالحوه عهداً يقولون فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى أهل الشام إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وأهاليها وأموالنا وأهل ملتنا، على أن نؤدي الجزية عن يد ونحن صاغرون، وعلى ألا نمنع أحداً من المسلمين أن ينزل كنائسنا في ليل أو نهار، ونضيفهم فيها ثلاثاً، ونطعمهم الطعام ونوسع لهم أبوابها، ولا نضرب فيها بالنواقيس إلا ضرباً خفيفاً، ولا نرفع فيها أصواتنا بالقراءة، ولا نؤوي فيها ولا في شىء من منازلنا جاسوساً لعدولكم. ولا نحدث كنيسة ولا ديراً ولا صومعة ولا قلاية. ولا نجدد ما خرب منها، ولا نقصد الاجتماع فيما كان منها من خطط المسلمين وبين ظهرانيتهم، ولا نظهر شركاً ولا ندعوا إليه، ولا نظهر صليباً على كنائسنا، ولا في شىء من طرق المسلمين وأسواقهم، ولا نتعلم القرآن، ولا نعلمه أولادنا، ولا نمنع أحداً من ذوي قراباتنا الدخول في الإسلام إذا أراد ذلك، وأن نجزم مقادير رؤوسنا، ونشد الزنابير في أوساطنا، ونلزم ديننا، ولا نتشبه بالمسلمين في لباسهم ولا في هيئتهم، ولا في سروجهم، ولا في نقش خواتيمهم فننقشها نقشاً عربياً، ولا نتكنى بكناهم. وعلينا أن نعظمهم ونوقرهم، ونقوم لهم من مجالسنا، ونرشدهم في سبلهم وطرقاتهم، ولا نطلع في منازلهم، ولا نتخذ سلاحاً ولا سيفاً، ولا نحمله في حضر ولا سفر في أرض المسلمين، ولا نبيع خمراً ولا نظهرها، ولا نظهر ناراً مع موتانا في

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ح ٢، ص ٤٦.

(٢) ابن البطريق: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ح ٢، ص ١٤٧.

طريق المسلمين، ولا نرفع أصواتنا مع جنائزهم، ولا نجاور المسلمين بهم، ولا نضرب أحداً من المسلمين، ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهامهم. شرطنا ذلك كله على أنفسنا وأهل ملتنا. فإن خالفنا فلا ذمة لنا ولا عهد، وقد حل لكم منا ما يحل لكم من أهل الشقاق والمعاندة»<sup>(١)</sup>.

وذكر مجير الدين المتوفى سنة ٩٢٧هـ أن الخليفة عمر بن الخطاب عندما جيئ إليه بهذا الكتاب زاد فيه «ولا نضرب بأحد من المسلمين. شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان، فإن نحن خالفنا شيئاً مما شرطنا لكم وضمنناه على أنفسنا فلا ذمة لنا». وأضاف مجير الدين بأن هذا العهد قد رواه البيهقي أيضاً واعتمده أئمة المسلمين والخلفاء الراشدون وعملوا به<sup>(٢)</sup>.

#### ٤ — نص ابن الجوزي

أورد ابن الجوزي المتوفى في عام ٥٩٧هـ ما يلي: «كتب عمر (بن الخطاب) لأهل بيت المقدس إني قد أمنتكم على دماءكم وأموالكم وذرائعكم وصلاتكم، وبيعكم، لا تكلفون فوق طاقتكم. ومن أراد منكم أن يلحق بأمته فله الأمان. وأن عليكم الخراج كما على مدائن فلسطين»<sup>(٣)</sup>.

#### ٥ — نص الطبري ومجير الدين العليمي المقدسي

أورد مجير الدين العليمي المقدسي المتوفى سنة ٩٢٧هـ نصاً منقولاً عن نص الطبري، الذي أسنده لسيف عن أبي حازم وأبي عثمان عن خالد وعبادة، بأن عمر بن الخطاب صالح أهل ايلياء بالجابية وكتب لهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين عمر، أهل ايلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم ولصلبانهم ومقيمها وبريئها وسائر ملتها، انها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حدها ولا من صلبانهم، ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن (يقصد مدن فلسطين)، على أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله

(١) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ج ١، ص ١٧٩. انظر مجير الدين: ح ١، ص ٢٥٤. الطبري: ح ٣ ص ٦٠٩.

شذرات الذهب، ح ١، ص ٢٨ ذكر ان عقد الصلح كتب على جبل الطور بالقدس.

(٢) مجير الدين: الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ح ١، ص ٢٥٥. انظر جرجي زيدان، ح ٤ ص ١٠٩. تاريخ

العرب.

(٣) ابن الجوزي: فضائل القدس، ص ١٢٣-١٢٤.

حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايليا من الجزية ، ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلي بيعتهم وصلبيهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وصلبيهم حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان فيها من أهل الأرض ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على ايليا من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أرضه ، فإنه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصادهم . وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته ، وذمة رسول الله ﷺ ، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين ، إذا أعطوا الذي عليه من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان . كتب وحضر سنه خمس عشرة (١) .

## ٦- النص المعتمد حالياً

وآخر هذه النصوص ، النص المعتمد حالياً لدى كنيسة القدس الارثوذكسية والذي نشرته بطريركية الروم الارثوذكس عام ١٩٥٣ م ، وهو الأساس الذي ينظم العلاقة بين السلطات الاسلامية الحاكمه للقدس ، والنصارى فيها . وهذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي اعزنا بالإسلام ، واکرمنا بالإيمان ، ورحمنا بنبيه ﷺ ، وهدانا من الضلالة ، وجمعنا بعد الشتات والفرقة قلوبنا ، ونصرنا على الأعداء ، ومكن لنا من البلاد ، وجعلنا إخواناً متحابين ، واحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة .

هذا كتاب (٢) عمر بن الخطاب لعهد وميثاق اعطي إلى البطريرك المبرج المكرم وهو صفرونيوس بطريرك الملة الملكية في طورزيتا بمقام القدس الشريف في الاشتغال على الرعايا والقسوس والرهبان والراهبات حيث كانوا واين وجدوا ، وأن يكون عليهم الأمان ، وان الذمى إذا حفظ احكام الذمة وجب له الأمان والصون منا نحن المؤمنين وإلى من يتولى بعدنا وليقطع عنهم أسباب جوانحهم كحسب ما قد جرى منهم من الطاعة والخضوع ، وليكن الأمان عليهم وعلى كنائسهم وديارهم وكافة زياراتهم التي بيدهم داخلاً وخارجاً وهي القمامه وبيت لحم مولد عيسى عليه السلام كنيسة الكبراء ، والمغارة ذي الثلاثة أبواب ، قبلي وشالي وغربي ، وبقية أجناس النصارى الموجودين هناك ، وهم الكرج والحبش ، والذين

(١) مجير الدين : الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، ح ١ ص ٢٥٣ .

(٢) لديّ نسخة مطبوعه عام ١٩٥٣ نشرتها بطريركية الروم الارثوذكس بالقدس ، وفي اعلاها صورة للخليفة عمر بن الخطاب يقود جملاً يركبه خادمه امام اسوار القدس التي وقف عليها النصارى يشاهدون هذا النظر ، وصفرونيوس يتقدم لاستقبال الخليفة .

يأتون للزيارة من الافرنج والقبط والسريان والارمن والنساطره واليعاقبة والموارنة تابعين للبطرك المذكور. يكون متقدماً عليهم لانهم اعطوا من حضره النبي الكريم والحبيب المرسل من الله وشرفوا بختم يده الكريم، وامر بالنظر اليهم والأمان عليهم، كذلك نحن المؤمنون نحسن إليهم اكراماً لمن أحسن إليهم، ويكونوا معافاً (معافين) من الجزية والغفر (الخفر) والموجب، ومسلمين من كافة البلايا في البر والبحور وفي دخولهم للقمامة وبقية زياراتهم لا يؤخذ منهم شىء. واما الذين يقبلون إلى الزيارة إلى القمامه، يؤدى النصراني إلى البطرك درهم (درهما) وثلث من الفضة، وكل مؤمن ومؤمنة يحفظ ما أمرنا به سلطاناً كان أم حاكماً والياً يجرى حكمه في الأرض غني أم فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات. وقد أعطى لهم مرسومنا هذا بحضور جم الصحابه الكرام، عبد الله، وعثمان بن عفان وسعد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وبقية الأخوة الصحابه الكرام. فليعتمد على ما شرحنا في كتابنا هذا ويعمل به، وابقاه في يدهم، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد واله واصحابه، والحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل.

في العشرين من شهر ربيع الأول سنة خامس وعشر للهجرة النبوية. وكل من قرى (قرأ) مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه من الآن والى يوم الدين فليكن لعهد الله ناكثاً ولرسوله الحبيب باغضاً<sup>(١)</sup>.

### مناقشة هذه النصوص

من المرجح أن مكانة القدس لدى النصارى، من أهم أسباب تعدد الروايات للعهدية العمرية، واختلاف نصوص هذه الروايات، وقد كان هذا الاختلاف قليلاً، كما نراه بين روايات اليعقوبي وابن البطريق وابن الجوزي، أو جزئياً أحياناً أخرى كما هو الحال بين هذه النصوص ونص الطبرى ومجير الدين. أو كلياً، في الصيغة والاسلوب والمحتوى، كما هو بين الروايات المذكورة ورواية ابن عساكر. ورواية الوثيقة التي نشرتها بطيركية الروم الارثوذكس سنة ١٩٥٣ م.

ومكانة القدس لدى النصارى تعود إلى أنها تضم اقدس مقدساتهم، ومحجهم الذي يحجون إليه، ومقر بطيركية الروم الارثوذكس. فكان هذا التحريف تلبية لرغبتهم في الحصول على أكبر قسط من الامتيازات والتسهيلات لهم، وللحجاج من الطوائف الأخرى، وخاصة حجاج الافرنج، مستغلين في ذلك علمهم بأن المسلمين لا يحتفظون بنسخة من هذا العهد، وبعض فترات ضعف السلطة الإسلامية.

(١) انظر: احمد زكي صفوت، جبهة رسائل العرب، رسائل الخلفاء الراشدين.

إن المطلع على أسلوب الكتابه عامة، وكتابة العهود والمواثيق والمراسلات الرسمية خاصة في عصر صدر الإسلام، يدرك أنها كانت تعمد إلى الاختصار، وتبتعد عن المقدمات، والفاظ التفخيم، والمحسنات، وتعالج الموضوع المقصود مباشرة، بأوضح الالفاظ وأقل الكلمات. كما أن من غير المحتمل ولا المقبول عقلاً أن ترد في هذه الروايات شروط وعهود تنظم أحوالاً وأوضاعاً لم تكن قد وجدت بعد.

لذلك يتوقع المطلع والمؤرخ أن يكون هذا العهد مصوغاً بأسلوب ذلك العصر، وأن يتضمن نصاً يعطي لأهل الذمة أماناً على أنفسهم وأموالهم وذرياتهم وعبادتهم، مقابل دفع الجزية والدخول في طاعة المسلمين<sup>(١)</sup>.

وبناء على ذلك نستنتج أن اقرب النصوص توافقاً مع مثل هذه الصيغة المتوقعة، هو ما نقلناه عن اليعقوبي<sup>(٢)</sup>، وابن البطريق<sup>(٣)</sup>، وابن الجوزي<sup>(٤)</sup>. وذلك لأن هذه النصوص قد جاءت مختصرة، ومعانيها والفاظها أقرب ما تكون لما هو متوقع من عهد كتب في ذلك العصر، وإنها، وإن اختلفت بعض الكلمات فيما بينها، تشير إلى إنها قد اخذت عن مصدر واحد. والأرجح أن اليعقوبي قد روى عن مصدر أقدم منه قد يكون سيف وإن لم يشر إلى ذلك، كما يرجح أن ابن البطريق قد نقل عن اليعقوبي أو عن مصدر نصراني. أما ابن الجوزي فإنه قد نقل عن أحدهما، على الاغلب.

أما النص الذي أورده الطبري عن سيف، والنص الذي أورده مجير الدين عن سيف أيضاً وعن آخرين، فبالرغم من ورود بعض الاختلافات بينهما، إلا أنه من المرجح أنها أخذت عن مصدر واحد، وإن مجير الدين قد أخذ عن الطبري، مع بعض التصرف في النص. هذه واحده، أما الثانية فهي أن ما ورد فيهما من تحفظات وشروط قصد بها مصلحة النصارى، كالتعهد بعدم هدم الكنائس، وعدم اكراههم على دينهم، وعدم مساكنة اليهود لهم بالقدس، وغيرها<sup>(٥)</sup>، يدعو للشك فيهما، ومما يقوى هذا الشك أنها وردا مفصلين ومطولين، مع أن عهود المدن الأخرى جاءت مختصرة وبسيطة، بالغة البساطة كعهد حمص. ومما يؤكد أيضاً أن الطبري ومجير الدين الذي نقل عنه، أشارا إلى أنه اعطي لأهل القدس في الجابية، مع أن المشهور أنه اعطي لهم في القدس نفسها<sup>(٦)</sup>، كما أن التحفظات المذكورة

(١) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٩.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ح ٢ ص ١٦٧.

(٣) ابن البطريق: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ح ٢ ص ١٦.

(٤) ابن الجوزي: فضائل القدس، ص ١٢٥.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ح ١، ص ٢٤٠٥-٢٤٠٦.

(٦) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٣١.

تنافي الواقع ولم تذكر الروايات الأولى ما يؤيدها. ومن المحتمل أن هذا العهد قد وضع في فترة لاحقة حيث يذكر الدكتور عبد العزيز الدوري «أن الامر لم يخل من ادعاءات يهودية»<sup>(١)</sup>. كما تدعي رواية يهودية بأن اليهود طلبوا من عمر بن الخطاب السماح لهم باستقدام مائتي عائلة يهودية من مصر للسكن في القدس، ولكن البطريق صفرونيوس عارض ذلك، فسمح عمر بن الخطاب لسبعين عائلة بالحضور من مصر وأسكنهم جنوب الحرم<sup>(٢)</sup> القدسي. ويسهل كشف كذب هذا الادعاء ببساطه، فمصر قد فتحت بعد فتح القدس بأربع سنوات.

ومن المحتمل أن عبارة «الا يساكنهم فيها اليهود» المذكورة في النصين إنما تدل على أن القدس كما هو معلوم تاريخياً كانت خالية من اليهود، ولم يشأ النصارى أن يسكنها اليهود من جديد تحت حكم المسلمين. وليس كما فسرها اليهود من أن اليهود كانوا يسكنون في القدس، واشترط النصارى على المسلمين اخراجهم منها.

أما النص الذي أورده ابن عساكر، والذي أورد مجير الدين نصاً يشبهه بالاضافة للنص المذكور سابقاً، فمن المستبعد جداً أن يكون صحيحاً، بالاضافة إلى أنه يفيد بأنه وضع لأهل الشام عامه وليس لأهل القدس خاصة كما ذكر مجير الدين. كما أنه من المستغرب أن يضع المغلوبون الشروط التي يرتضونها لينعقد الامان لهم على يد الغالب، كما أنه من غير المنطقي أن يتعهد النصارى بعدم قراءة القرآن في الوقت الذي يستشهدون بأية منه في النص نفسه ﴿حتى يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون﴾. ويلفت النظر ايضاً اختلاف هذا النص المطول عن عهود المدن الأخرى التي كانت بالغة البساطة، وإنه نص يدل على وجود صلات قوية بين المسلمين والنصارى أقوى من الصلات الفعلية التي كانت في مستهل أيام الفتح. وأنه احتوى شروطاً لأمر لم تكن موجودة في ذلك الزمن، كجز المقادم وشد الزناير ونقش الخواتم والتكنى بكنى المسلمين. . . . ويبدو أن مثل هذا النموذج من العقود كانت تضعه المدارس الفقهية الإسلامية لتصور واجبات وحقوق لأهل الذمة كالنموذج الوارد في كتاب الأم للشافعي<sup>(٣)</sup>.

من هذا كله نرى أن هذه الروايات لنصوص العهود المسماة بالعهد العمرية قد وسعت وطورت على الزمن تبعاً لتطور أحوال أهل الذمة منذ عهد عمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد والمتوكل إلى عهود بعدها لأنها احتوت شروطاً لأمر لم تكن موجودة أو معروفة زمن الفتح، فطورت من نصوص مختصرة، أقرب ما تكون للحقيقة، كنصوص اليعقوبي، وابن البطريق وابن

(١) عبد العزيز الدوري: فكرة القدس في الإسلام، بحث اعده للمؤتمر التاريخي لبلاد الشام (فلسطين) المنعقد بالجامعة الأردنية سنة ١٩٨٠م.

(٢) EncycLobidia Judacia, Art Jerusalem (٣) الامام الشافعي: الام، ج ٤، ص ١١٨.

الجوزي، إلى نصوص مطولة تحتوي شروطاً مستهجنة كنص الطبري ومجير الدين<sup>(١)</sup> أو نص مختلف في الصيغة والشروط والمحتويات كنص ابن عساكر.<sup>(٢)</sup> أما النص الأخير الذي نشرته بطيركية الروم الارثوذكس بالقدس عام ١٩٥٣ ميلادية، فإن جميع الدلائل، من اسلوب، والفاظ، واحكام، ومعلومات تاريخية، تشير إلى أنه غير صحيح. وسوف أقوم بتفنيده في بحث آخر إن شاء الله.

ولعل من المفيد أن نعلم في نهاية البحث أن المؤرخ فيليب حتى ينكر وجود العهدة العمرية<sup>(٣)</sup> ذاتها، بدعوى أن مؤتمر الجابية الذي عقده الخليفة عمر بن الخطاب، لبحث الأمور الإدارية بالشام، لم يعرف بالضبط ما الذي دار فيه وما هي القرارات التي اتخذها<sup>(٤)</sup>، معتمداً في ذلك مع المؤرخ ترتون<sup>(٥)</sup>، وعلى اختلاف روايات تلك النصوص، واحتوائها على معلومات وأحكاماً وجدت في عصور تالية لعصر الفتح. وإنني لا أوافق على نفي وجود مثل هذا العهد أصلاً. والله اعلم.

## المراجع

- ١ - ابن البطريق، افشيشيوس الاسكندري، المتوفى عام ٣٢٨هـ؛ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت ١٩٠٤م.
- ٢ - ابن الجوزي، ابوالفرج عبد الرحمن على بن الجوزي: المتوفى ٥٩٧هـ فضائل القدس، تحقيق د. جبرائيل سليمان بيروت ١٩٨٠.
- ٣ - ابن عساكر، على بن الحسن بن هبة الله... دمشق دار المسيرة/ بيروت ١٣٢٩هـ.
- ٤ - أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب مصر ١٩١٧م.
- ٥ - البلاذري / أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (القرن الثالث الهجري): فوح البلدان، القاهرة ١٩٥٦م.
- ٦ - Tritton (A.s) the caliphs and their non-muslim subjects oxford 1930
- ٧ - حتى، تاريخ العرب، مطول بيروت.
- ٨ - الشافعي، محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المطليبي الشافعي الحجازي المكي ابو عبد الله (١٥٠-٢٠٤هـ)، الام، القاهرة ١٣٢٥هـ.
- ٩ - الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، طبعة طهران.
- ١٠ - عارف العارف: المسيحية في القدس، القدس ١٩٥١م.
- ١١ - د. عبد العزيز الدوري: (فكرة القدس في الاسلام) بحث أعده للمؤتمر التاريخي لبلاد الشام (فلسطين) المنعقد بالجامعة الأردنية سنة ١٩٨٠م.
- ١٢ - مجير الدين الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي، (٨١٠-٩٢٧هـ)، الانس الجليل بتاريخ القدس عمان ١٩٧٧.

(١) مجير الدين: الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل، ح ١ ص ٢٥٣-٢٥٤.  
(٢) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ح ١، ص ١٧٩.  
(٣) انظر عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، ص ٩١-٩٢. وعبد العزيز الدوري: بحث بعنوان (فكرة القدس في الاسلام، ص ١١: ٨ Tritton: The caliphe and their Non-muslim subjects, p.5  
(٤) حتى، فيليب: تاريخ العرب، ج ٣ ص ١٩-٢٠.  
(٥) انظر Tritton: The caliphe and their non-mosiem subjects. p. 12.









أختي العزيزة: «هل»

هذه هي الرسالة الثانية عشرة من رسائلي إليك ، سوف أحدثك فيها عن الصيغة الرابعة وما بعد الرابعة من هذه الصيغ التي تدخل فيها همزة الاستفهام على (لا) النافية للفعل المضارع ، وكنت قد حدثتك من قبل عن ثلاث صيغ من هذه الصيغ .  
أما الصيغة الرابعة فهي ﴿أولايرون﴾ وقد وردت في أربع آيات من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى قوله تعالى : ﴿أولايرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ . الآية (١٢٦) من سورة التوبة .

هذا الاستفهام ﴿أولايرون﴾ في هذه الآية الكريمة يفيد الإنكار والتوبيخ :  
فإنه سبحانه وتعالى ينكر على أولئك المنافقين زمن الرسول ﷺ ويوبخهم أن لا يتوبوا من نفاقهم المتن ، وأن لا يتعظوا بما يريهم الله من آيات وحجج ، مع أنهم يتلون في كل عام مرة أو مرتين بما هو حقيق أن يكون زاجرا يزر ، ورادعا يردع ، وواعظا يعظ .

وفعل (يرون) في هذه الصيغة يحتمل أن يكون بمعنى يبصرون فهو متعد إلى مفعول به واحد هو المصدر المؤول من (أنهم يفتنون) ، ويحتمل أن يكون بمعنى يعلمون فهو متعد إلى مفعولين ، والمصدر المؤول من (أنهم يفتنون) في محل نصب سدّ مسدّ هذين المفعولين ، وتقدير المصدر المؤول على كلا المعنيين : أولايرون فتن الله إياهم .

وإعراب (أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين) واضح ، و(مرة) منصوب على المصدرية فهو مفعول مطلق ، و(مرتين) معطوف بأو على (مرة) وهو مثله منصوب على المصدرية مفعول مطلق .

(ثم لا يتوبون) : جملة (لا يتوبون) معطوفة بثم على جملة (لا يرون) فهي داخلة في حيز الاستفهام ولا محل لها من الإعراب .

(ولا هم يذكرون): جملة (لاهم يذكرون) معطوفة بالواو على جملة (لايتوبون) فهي مثلها داخلة في حيز الاستفهام ولا محل لها من الإعراب .

وأصل (يَرُونَ)- عند علماء الصرف - (يَرَّيُونَ)- بسكون الراء وفتح الهمزة وضم الياء التي قبل واو الجماعة- : تحركت الياء التي قبل واو الجماعة وهي لام الكلمة وفتح ما قبلها فقلبت ألفا، فصارت الكلمة (يَرَّأُون) فالتقى ساكنان الألف وواو الجماعة فحذفت الألف لالتقاء الساكنين فصارت الكلمة بعد حذف الألف (يَرَّوُن)- براء ساكنة وهمزة مفتوحة وواو ساكنة - فنقلت فتحة الهمزة إلى الراء الساكنة قبلها فأصبحت الراء مفتوحة والهمزة ساكنة فالتقى ساكنان الهمزة وواو الجماعة فحذفت الهمزة لالتقاء الساكنين وصارت الكلمة بعد حذف الهمزة ((يَرَوُن)- بفتح الراء وتسكين الواو- على وزن (يَفُون)- بفتح الفاء وتسكين الواو- وقد حذفت لام الفعل وعينه وبقيت فائوه وحدها .

الآية الثانية: في قوله تعالى: ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون(٥٨) ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين﴾ (٥٩)- الآيتان (٥٨-٥٩) من سورة يوسف .

استفهام هذه الصيغة (ألا ترون) في آيتها الكريمة هنا يفيد التقرير والترغيب والإغراء والإيناس والاستمالة على معنى قد رأيتم أنى أوفى الكيل لكم ولغيركم، ولا أبخسه أحدا، وأنا خير من أنزل ضيفا علي نفسه في هذا البلد، فإنكم إن أتيتم بأخيكم - يعنى بنيامين أخاه لأبيه وأمه - وجدتم خير نزل وخير مضيف، وازددتم به كيل بغير .

(وترون) في هذه الصيغة هنا بمعنى تبصرون، والمصدر المؤول من أن وخبرها مضافا إلى اسمها في (أنى أوفى الكيل) في محل نصب مفعول به لفعل (ترون)، والتقدير: ألا ترون إيفائى الكيل . (وأنا خير المنزلين) هذه الجملة في محل نصب على الحال من فاعل الفعل المضارع (أوفى) وهو ضمير مستتر فيه تقديره (أنا)، ورابط جملة الحال بصاحبها الواو والضمير معا .

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا﴾ . الآية (٨٩) من سورة طه .

الضمير في (يرون) يعود على بنى إسرائيل عبدة العجل الذى أخرجه لهم السامري من حلي كانوا قد استعاروها من قوم فرعون وحملوها معهم حين خروجهم من مصر مع موسى عليه السلام، وفي أثناء غياب موسى لمناجاة ربه جل وعلا ألقوا ما حملوه من زينة القوم وكذلك ألقى السامري، فأخرج لهم من هذه الحلي عجلاً جسدا له خوار، فقال السامري

وأتباعه الذين افتتنوا به أول ما رأوه : هذا إلهكم وإله موسى ، وقد نسي أن ربه الذى ذهب يريد هو هذا العجل .

والضمير المستتر فى (يرجع) و(يملك) يعود على هذا العجل المعبود من دون الله .  
والاستفهام فى هذه الآية الكريمة ﴿أفلا يرون﴾ استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع : ينكر الله سبحانه وتعالى على عبدة العجل من بنى اسرائيل ويوبخهم ويسفه أحلامهم ويعيب عليهم أن يتخذوا العجل إلههم من دون الله ، وأن لا يروا أن هذا العجل المعبود لا يقدر أن يرد عليهم قولا إن كلموه ، ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا إن رجوا منه ضرا ونفعا . كيف يكون إله من كان على هذه الصفة أيها الجاهلون الأغبياء؟! .

و(يرون) فى هذه الصيغة هنا بمعنى يعلمون ، و(أن) مخففة من الثقيلة ، وليست الناصبة للفعل المضارع لأن الناصبة للفعل المضارع لا تحيىء بعدما يفيد العلم ، واسم (أن) المخففة من الثقيلة ضمير الشأن محذوف ، و(لا) نافية ، و(يرجع) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره ، والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو يعود على العجل ، و(قولا) مفعول به ليرجع . وبقية كلمات الآية واضحة الإعراب ، والمصدر المؤول من أن المخففة من الثقيلة وخبرها مضافا إلى اسمها فى محل نصب سدّ مسدّ مفعولي (يرون) والتقدير أفلا يرون عدم رجعه إليهم قولا .

الآية الرابعة : قوله تعالى : ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون﴾ الآية (٤٤) من سورة الأنبياء . يتضمن صدر هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قدمع هؤلاء المشركين من قريش وآباءهم من قبلهم بهذه الحياة الدنيا حتى طال عليهم العمر وهم مقيمون على عبادة الأصنام لا يأتيهم عذاب ولا ينزل بهم عقاب جزاء كفرهم هذا ، فسوا نعمه الله عليهم ، وضلوا طريق الشكر إليها .

والاستفهام الذى جاء بعد ذلك فى قوله تعالى ﴿أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها﴾ للإنكار والتوبيخ .

ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك المشركين أن لا يبصروا ما يحدثه الله جل وعلا فى الأرض من خراب بعد عمارة ومن موت بعد حياة ومن هلاك وعذاب وقهر وإذلال بعد حياة نعيم وعز ، فيعتبروا بذلك ويتعظوا به ، ويحذروا أن ينزل بهم من العذاب ما أنزله الله بالأمم التى كذبت الرسل من قبل .

أبعد هذا النقص الذى يحدثه الله - جلّت قدرته - فى أطراف الأرض بالهلاك والتدمير والقهر ، أبعده هذا يظن هؤلاء المشركون أنهم الغالبون؟! .

وأنتى لهم الغلبة؟! أمن هذه الآلهة التى لا تستطيع أن تنصر نفسها ولا تملك لهم ضرا ولا نفعاً؟! .

الله القاهر فوق عباده هو الغالب على أمره ولا معقب لحكمه وهو الذى ينصر رسوله والذين آمنوا معه .

(يرون) فى هذه الصيغة هنا بمعنى يبصرون ، فهو فعل متعد إلى مفعول به واحد ، هو المصدر المؤول من أن وخبرها مضافا إلى اسمها فى (أنا نأتى الأرض) والتقدير أفلا يرون إتياننا الأرض .

وجملة (ننقصها من أطرافها) - فيما يرى العكبرى - فى محل نصب حال من ضمير الفاعل فى نأتى أو من الأرض التى هى مفعول به لنأتى .

وأما الصيغة الخامسة : من هذه الصيغ التى تدخل فيها همزة الاستفهام على (لا) النافية للفعل المضارع فهى ﴿أفلا تبصرون﴾ وقد وردت فى أربع آيات من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون﴾ . الآية (٧٢) من سورة القصص يتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قال لرسوله محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك : أرأيتم يا هؤلاء إن جعل الله عليكم النهار دائما مستمرا إلى يوم القيامة من إله غير الله المعبود بحق يأتىكم بليل تستريحون فيه من عناء النهار ومتاعبه ، أفلا تبصرون هذه النعمة التى أنعم الله بها عليكم وهو اختلاف الليل والنهار ، فتعلموا أن العبادة لا تكون إلا لمن أنعم بها .

وهذا الاستفهام (أفلا تبصرون) الذى جاء فى ختام هذه الآية الكريمة يفيد الإنكار والتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على المشركين من قريش ويوبخهم أن لا يتبصروا فى هذه النعمة العظيمة التى أنعمها الله عليهم ، فقد جعل الليل والنهار خلفه ، جعل النهار ليكسبوا فيه ويتغوا من فضله ، وجعل الليل ليستريحوا فيه من عناء ويسكنوا من جهد ، ينكر الله عليهم أن لا يتبصروا فى ذلك فيعلموا أن المنعم بهذه النعمة وهو الله جل وعلا هو وحده الذى يستحق العبادة ويستحق الشكر ، فيعبدوه وحده لا شريك له ، ويتبعوا ما جاء به رسوله ﷺ .

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿أولم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ . الآية (٢٧) من سورة السجدة .

تضمنت هذه الآية الكريمة إقامة الحجة على الكافرين المنكرين للبعث ، وبيان بعض النعم التي ينعم الله بها على عباده ، فذكر جل وعلا في هذه الآية أنه يسوق الماء إلى الأرض اليابسة الجافة التي لا نبات فيها فيخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم ويأكلون ، وفي ختام هذه الآية قال تعالى : ﴿أفلا يبصرون﴾ . وهو استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر الله سبحانه وتعالى على المكذبين بالبعث أن لا يبصروا ذلك بأعينهم إصاراً يشوبه التدبر والتفكير فيعلموا أن القدرة العظيمة التي تسوق الماء إلى الأرض المجذبة المغيرة فتخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم لا يعجزها أن تبعث الأموات من قبورهم أحياء يوم القيامة كما كانوا من قبل في حياتهم الدنيا .

الآية الثالثة : في قوله تعالى : ﴿ونادى فرعون في قومه قال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون﴾ (٥١) أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين﴾ (٥٢) . الآيتان : (٥١-٥٢) من سورة الزخرف .

يخبر الله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين الكريمتين أن فرعون قد جمع قومه من القبط فنادى فيهم متبجحاً مفتخراً بملكه مصر وما هو فيه من خير ونعيم ، فقال أليس لي هذا الملك العظيم ملك مصر وهذه الجنان الناضرة الحسان وهذه الأنهار الجارية من بين يدي لا تقف ولا تجف؟! أين موسى الذي هو مهين ولا يكاد يبين من هذا كله؟! .

وقد جاء الاستفهام في قوله (أفلا تبصرون) للفخر وتعظيم نفسه .

الآية الرابعة : في قوله : ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ (٢٠) وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (٢١) . الآيتان : (٢٠-٢١) من سورة الذاريات .

تتضمن هاتان الآيتان الكريمتان أن الله سبحانه وتعالى قد جعل في هذه الأرض التي دحاها وفي هذه الأنفس التي سواها آيات كثيرة للموقنين الذين ينظرون إليها نظراً صحيحاً متدبراً معتبراً ، فيؤمنون بعظمة خالقها وقدرته الباهرة ، ويصدقون بما جاءت به الرسل دونها ريب .

وفي ختام هاتين الآيتين قال تعالى : ﴿أفلا تبصرون﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على الكافرين ويوبخهم أن لا ينظروا النظر الصحيح السليم المتأمل المتبصر إلى ما في هذه الأرض من آيات داله تثير التفكير ، وإلى ما في هذه الأنفس من

عجائب التركيب ودقائق الصنع التي تبعث على الاعتبار، فيعلموا وحدانية الذى خلقها وقدرته على أن يعيدهم إلى الحياة بعد الموت كما بدأهم أول مرة .

وأما الصيغة السادسة : فهي ما دخلت فيه همزة الاستفهام على (لا) النافية لمضارع (علم) . وقد جاءت هذه الصيغة فى ثلاث آيات من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى : فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٧٧) . الآيتان : (٧٦-٧٧) من البقرة تبين الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريميتين أن منافقى اليهود فى المدينة زمن الرسول ﷺ كانوا يقولون للذين آمنوا إذا لاقوهم قد آمنوا بما آمنتم به ، ويذكرون أن سبب إيمانهم ما وجدوه فى التوراة من نعت النبي ﷺ والتبشير به ، وإذا خلا اليهود بعضهم إلى بعض بعيدا عن المؤمنين أخذ الفريق الذى لم يؤمن ولم ينافق ينكر على الفريق الآخر المنافق أن يحدثوا المؤمنين بأن التوراة قد ذكرت صفة النبي ﷺ وبشرت به ، لأن عاقبة ذلك أن يكون للمؤمنين فى هذا الحديث حجة عليهم عند ربهم ، ثم يختمون إنكارهم قائلين (أفلا تعقلون) وهو استفهام إنكار وتوبيخ تقدم الحديث عنه فى الرسالة العاشرة .

وفى الآية الثانية من هاتين الآيتين الكريميتين قال تعالى : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ وهو استفهام يفيد التقرير على معنى أن أولئك اليهود المنافقين واليهود اللاتمين يعلمون أن الله تعالى يعلم ما يسرونه وما يعلنون .

ويفيد أيضا الإنكار والتوبيخ على معنى لا ينبغي لهم مع علمهم هذا أن يفعلوا ما فعلوا : فيأتى المنافقون منهم إلى المؤمنين قائلين لهم كذبا ونفاقا لقد آمنوا بما آمنتم به ، ويأتى الفريق الذى لم ينافق فيلوم فى الخفاء الفريق الذى آمن نفاقا على تظاهرهم بالإيمان وعلى تحديثهم المؤمنين بأن نعته عليه الصلاة والسلام قد ورد فى التوراة وأنها قد بشرت به . ألا ساء ما كانوا يفعلون !! وأقبح بما كانوا يزررون !! .

الآية الثانية : فى قوله تعالى : ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٤) . الآيتان : (١٣-١٤) من سورة الملك .

تتضمن الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريميتين أن السرو والجهريتساويان بالنسبة إلى علمه عز وجل ، فالله سبحانه وتعالى عليم بما تمس به الألسن وما تكنه الأنفوس وما تخفيه الصدور ، لا يخفى عليه شىء فى السماء ولا فى الأرض ولا فى أنفسكم أيها الناس .



وفي الآية الثانية من هاتين الآيتين الكريمتين قال تعالى : ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ .

ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك الذين يزعمون عدم إحاطة علمه عز وجل بالمظهر والمضمّر، ويوبخهم على ذلك ، كيف لا يعلم الله الذى خلق الأشياء من عدم وخلقكم أنتم أيضا أيها الناس ، كيف لا يعلم الخالق أحوال من خلقهم ما ظهر منها وما بطن وحاله أنه اللطيف الخبير المحيط علمه بخفيات الأمور وجلياتها؟! .

الآية الثالثة : فى قوله تعالى : ﴿إن الإنسان لربه لكنود(٦) وإنه على ذلك لشهيد(٧) وإنه لحب الخير لشديد(٨) أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور(٩) وحصل ما فى الصدور(١٠) إن ربهم بهم يؤمئذ لخبير﴾(١١) . الآيات : (٦-١١) من سورة العاديات .

هذه الآيات الكريمة جاءت فى سورة العاديات ، وتعنى الآية السادسة من آيات هذه السورة أن الإنسان لجحود لنعم ربه ، لا يذكرها ولا يشكرها . وتعنى الآية السابعة أن الانسان ليشهد بلسان حاله على جحوده هذا ولا يقدر أن ينكره لظهوره فى أقواله وأفعاله ، وتعنى الآية الثامنة أن الإنسان لشديد الحب للمال .

وفى الآية التاسعة جاء هذا الاستفهام : (أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور) وجاء بعده فى الآية العاشرة والآية الحادية عشرة ما يتصل بهذا الاستفهام ويتمم معناه .

وهو استفهام إنكار وتهديد ووعيد على معنى لا ينبغى لهذا الإنسان الجحود لنعم ربه ، لا ينبغى لهذا الإنسان الذى استولى على قلبه حب المال ، لا ينبغى له أن ينسى شكر الله تعالى على نعمه التى لا تعد ولا تحصى ، ولا أن ينسى العمل الصالح للدار الآخرة ، سوف يعلم هذا الإنسان مآله ويرى جزاءه يوم يبعث الأموات من قبورهم ، ويبرز ما فى صدورهم من خير وشر ، إن الله سبحانه وتعالى خبير بما عمل ، ومجازيه يؤمئذ على ما قدم ، ويل له يؤمئذ وثبور!! .

وإعراب ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور إن ربهم بهم يؤمئذ لخبير﴾ : (أفلا يعلم) : الهمزة حرف استفهام ، والفاء عاطفة على ما قبل الهمزة ، ولا نافية ، ويعلم مضارع مرفوع وهو متعد إلى مفعولين .

(إذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور) : إذا ظرف زمان مبنية على السكون فى محل نصب متعلقة بالفعل المضارع (يعلم) ومعمولة له ، وهي هنا لا تفيد الشرط فلا جواب لها ، وكون (إذا) متعلقة بالفعل المضارع يعلم ومعمولة له هورأى العكبرى والحوفى وجملة

(بعثر ما في القبور) في محل جر بإضافة إذا إليها . وجملة (حصل ما في الصدور) معطوفة بالواو على جملة (بعثر ما في القبور) فهي مثلها في محل جر .

وجملة (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) في محل نصب سدت مسدّ مفعولى يعلم ، والجار والمجرور (بهم) والظرف (يوم) المضاف إلى (إذ) يتعلقان بخبير إن وهو (خبير) .

وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط : إن الرأي القائل (إذا) ظرف معمول ليعلم غير متضح لأن المعنى أفلا يعلم الآن وليس إذا بعثر ما في القبور ، ومن رأيه أن إذا متعلقة بمحذوف تقديره مآله أو أنه مجازى ، وهذا المحذوف هو مفعول ليعلم المتعدية إلى مفعول به واحد ، ومن رأيه أيضا أن جملة (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) تكون استثنائية دالة على مفعول يعلم وعلى متعلق إذا .

والأرجح - فيما يبدو لى - هو إعراب العكبري والحوفي من أن العلم سيكون إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ، لأنه الظاهر المتبادر من الآية فلا تقدير ولا حذف ، ويؤيده في أن العلم سيكون في المستقبل وليس الآن قوله تعالى في سورة التكاثر ﴿كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾ فهو صريح في أن العلم سيكون في المستقبل ، وفي كلتا الآيتين تهديد ووعيد .

أما الصيغة السابعة : من هذه الصيغ التي تدخل فيها همزة الاستفهام على (لا) النافية للفعل المضارع فهي : ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ . وقد وردت في آيتين اثنتين من آيات القرآن الكريم .

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ . الآية (٨٢) من سورة النساء .

هذا الاستفهام في قوله تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ يفيد الإنكار والتوبيخ : الإنكار على أولئك الذين أعرضوا عن الإيمان برسول الله ﷺ ، ولم يصدقوا بأن هذا القرآن الذى يبلغهم إياه هو من عند الله تعالى ، وتوبيخهم على ذلك .

ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك ويوبخهم أن لا يتدبروا القرآن ويتأملوا ما فيه وينعموا النظر في إحكام آياته واتساق معانيه وصدق أخباره مع أنه نزل في أزمنة متقاربة ومتباعدة ، وفي أماكن متعددة ، وفي أمور شتى ، وأخبر عن الماضى والحاضر والمستقبل .

ينكر عليهم ويوبخهم أن لا يتدبروا القرآن وهو على هذه الصفات فيدركوا أنه لو كان من عند غير الله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، لوجدوا أن بعض آياته يخالف بعضها الآخر ، وأن معانيه يناقض بعضها بعضا ، وأن أخباره جاء بعضها غير مطابق للواقع .

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ . الآية (٢٤) من سورة محمد .

الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ للإنكار والتوبيخ .  
ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك الذين لم يؤمنوا بما أنزله الله تعالى على رسوله  
ﷺ ، ينكر عليهم ويوبخهم أن لا يتأملوا في القرآن ويتفهموا ما اشتملت عليه آياته من حجج  
وبراهين ومواعظ وعبر فيعلموا أن ما هم عليه هو الباطل ، وأن ما جاء به الرسول ﷺ هو  
الحق .

ولكن من أين لهم تدبر القرآن وتفهم ما جاء فيه وقلوبهم مقفلة ليس لها أبواب مفتوحة  
يدخل منها التدبر والتأمل فنور الهدى والايان؟! .

أما الصيغة الثامنة : فهي : ﴿ أفلا يشكرون ﴾ . وقد وردت في آيتين اثنتين من آيات  
القرآن الكريم .

الآية الأولى : في قوله تعالى : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه  
يأكلون ﴾ (٣٣) وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون (٣٤) ليأكلوا من  
ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴾ (٣٥) . الآيات (٣٣-٣٥) من سورة ياسين .

تتضمن هذ الآيات الكريمة الدلالة على قدرة الله تعالى على ما يشاء ، وعلى إعادة  
الحياة إلى الموتى كما كانوا عليه في الحياة الدنيا ، فإحياءه جل وعلا الأرض الميتة التي لا نبات  
فيها ، ينزل عليها من السماء ماء فيخرج به زراعا وحبا يأكل منه أولئك المشركون بالله  
المنكرون للبعث ، فإحياءه هذا آية لهم محسوسة لا ترد ولا تنكر .

وتتضمن أيضا أن الله سبحانه وتعالى قد جعل في هذه الأرض التي أحيها بعد موتها  
عيونا يتفجر منها الماء وبساتين نخيل وأعناب يأكلون منها ثمرا طيبا لم تعمله أيديهم ولا كان  
بكدهم ولا سعيهم ، وإنما هو فضل من عند الله ورحمة .

وفي ختام هذه الآيات قال تعالى : ﴿ أفلا تشكرون ﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ :  
ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك الذين يشركون به جل وعلا ويكذبون بالبعث ،  
ويوبخهم أن لا يشكروا له عز وجل تلك النعم العظيمة ذلك الشكر الذي ينبغي أن يتجلى  
في إفراده تعالى بالعبادة وفي الإيـان بقدرته على إحياء الموتى كما يحيى الأرض الميتة .

الآية الثانية : في قوله تعالى : ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها  
مالكون ﴾ (٧١) وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون (٧٢) ولهم فيها منافع ومشارب أفلا  
يشكرون ﴾ (٧٣) . الآيات : (٧١-٧٣) من سورة ياسين .

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قد خلق لبنى آدم ومنهم هؤلاء  
المشركون ، قد خلق لهم مما خلق هذه الأنعام من إبل وبقر وغنم ، وجعلهم يملكونها

ويضبطون أمورها، وجعلها مدللة لهم يتخذون منها ركائب يحملون عليها أنفسهم وأثقالهم في تنقلاتهم وأسفارهم، ويتخذون من لحومها طعاما يأكلون منه ويطعمون .  
وفوق هذا وذاك لهم فيها منافع شتى : فهم يتخذون من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها ملابس دافئة وأكنانا تقيهم الحر والقر، وأثانا فارها به يستمتعون ، ولهم فيها مشارب مختلفة كثيرة مريئة سائغة للشاربين .

وفي ختام هذه الآيات قال تعالى : ﴿ أفلا يشكرون ﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على هؤلاء المشركين ويوبخهم أن لا يشكروه تعالى على هذه الأنعام التي خلقها نعمة لهم وللناس جميعا ، وشكر الله تعالى إنما يكون بطاعته وإفراده بالعبادة ، وبالإيمان أنه الرازق الخالق لها ولكل شيء .

أما الصيغة التاسعة : فهي ﴿ ألا تأكلون ﴾ وقد وردت في آيتين اثنتين من آيات القرآن الكريم :

الآية الأولى : في قوله تعالى : ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون (٨٥) أنفكا آلهة دون الله تريدون (٨٦) فما ظنكم برب العالمين (٨٧) فنظر نظرة في النجوم (٨٨) فقال إني سقيم (٨٩) فتولوا عنه مدبرين (٩٠) فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون (٩١) مالكم لا تنطقون (٩٢) فراغ عليهم ضربا باليمين (٩٣) فأقبلوا عليه يرفون (٩٤) قال أتعبدون ما نتحتون (٩٥) والله خلقكم وما تعملون ﴾ (٩٦) . الآيات (٨٥-٩٦) من سورة الصافات .  
تتضمن هذه الآيات الكريمة أن إبراهيم عليه السلام قال لأبيه وقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام ، قال لهم منكم موبخا : ما هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله؟! إن عبادتكم لغير الله إفاك ، وإن الألهة التي تعبدونها من دون الله لباطل . ثم ما ظنكم أن يفعل بكم رب العالمين وقد عبدتم غيره؟! .

وحين أرادوه على أن يخرج معهم إلى عيد لهم ليشاركهم فيه نظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم ، فتولوا عنه مدبرين خائفين من أن تصيبهم عدوى مرضه ، وتركوه وحده في بيت أصنامهم ، وتركوا وراءهم في ذلك البيت الطعام الذي أتوا به ليأكلوه إذا رجعوا من عيدهم بعد أن تصيبه بركة الأصنام فيما يزعمون ، فأقبل إبراهيم على أصنامهم هذه يخاطبها مخاطبة من يعقل لأنهم أنزلوها تلك المنزلة ، فقال ساخرا مستهزئا : مالكم أيها الأصنام لا تأكلون؟! طعام كثير لذيد شهوي!! .

ولما كانت الأصنام لا تعقل ولا تنطق - ومن أين لها العقل والنطق؟! - عاد إبراهيم عليه السلام يقول ساخرا زاريا : مالكم لا تنطقون ، مالكم لا تجيبون؟! أي آلهة أنتم؟! إن

كنتم آلهة حقا وصدقا فادفعوا عن أنفسكم ما أنا فاعل بكم ، وراحت يده اليمنى تهوى على رءوسهم بفأسه القوية ضربا ملؤه الغيظ والكرهية لآلهة الباطل .

والاستفهام - كما رأيت - في قوله ﴿ألا تأكلون﴾ استفهام سخرية واستهزاء وزرارية .

الآية الثانية : في قوله تعالى : ﴿هل أتاك حديث إبراهيم المكرمين (٢٤) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون (٢٥) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه إليهم قال ألا تأكلون (٢٧) فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم﴾ (٢٨) . الآيات : (٢٤-٢٨) من سورة الذاريات .

تتضمن هذه الآيات الكريمة أن جماعة من الملائكة أرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى إبراهيم عليه السلام ، فجاءوه ضيوفا في صور بشرية جميلة ، فلما دخلوا عليه حيّوه وقالوا سلاما ، فردّ عليهم التحية قائلا لهم سلام أيها القوم الذين لم نعرفهم من قبل ، وما لبث أن ذهب إلى امرأته مسرعا لتعدّ لهم طعام الضيافة ، وعاد به إليهم مسرورا بإكرامهم يحمل عجلا سمينا مشويّا ، وقربه إليهم ، ولكنه رأى أيديهم لا تمتد إليه ، فأنكر ذلك منهم وقال مستغربا : مالكم لا تأكلون؟! ولكنهم ظلوا ممسكين عن تناول طعامه ، فأحس بالخوف منهم وبدت عليه علاماته ، فقالوا وقد رأوا ذلك منه لا تخف ، وبشروه بغلام سيكون على جانب عظيم من العلم .

وقد رأيت أن الاستفهام في قوله ﴿ألا تأكلون﴾ قد جاء للإنكار والاستغراب : أنكر إبراهيم عليه السلام على ضيوفه أن لا يأكلوا من طعامه ، واستغرب ذلك منهم ، وحق له أن ينكر ويستغرب ، فقد كان طعاما شهيا فيه سخاء وكرم ، وما كان يعرف حينئذ أنهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون .

أما الصيغة العاشرة : فهي ﴿أفلا تسمعون﴾ وقد وردت في آيتين اثنتين :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم

القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾ . الآية (٧١) من سورة القصص .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قال لرسوله محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل دائما مستمرا لا يعقبه نهار إلى يوم القيامة من إله غير الله المعبود بحق يأتيكم بالنهار فتقدرون في ضوء شمسه أن تبتغوا من رزقه الواسع وتذهبوا في وجوه المعاش كل مذهب .

أفلا تسمعون هذا الذي أقوله لكم سماع تفهم وتبصر فتدركوا أن الله هو وحده الذي جعل لكم الليل والنهار خلفه وجعل الليل سكنة وراحة ، وجعل النهار سعيا ومعاشا ، فتفردوه بالعبادة .

وقد أفاد هذا الاستفهام (أفلا تسمعون) الإنكار والتوبيخ : .  
أنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ووبخهم ألا يكون لديهم سمع يفهم ما يسمعه  
ويتدبره ، فيدرك أن الله الذى خلق الليل والنهار يتعاقبان قادر على أن يجعل الليل مستمرا  
دائما إلى يوم القيامة فيكون لهم فى ذلك شقاء وفناء .

لو كان لديهم سمع يدرك ويعتبر لأدركوا أن الله الذى أنعم عليهم بليل يعقبه نهار  
ونهار يعقبه ليل هو وحده الذى يستحق العبادة دون أن يكون له شريك .

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى  
مساكنهم إن فى ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾ الآية (٢٦) من سورة السجدة .

فى هذه الآية الكريمة ينكر الله سبحانه وتعالى على المشركين من أهل مكة وغيرهم  
أن لم يبين لهم وأن لم يعظهم كثرة من أهلكهم من الأمم بسبب كفرهم وتكذيبهم الرسل مع  
أنهم يمشون فى مساكن أولئك المهلكين وهم مسافرون إلى الشام وغيرها ، ويتقبلون فى  
بلادهم ويشاهدون آثار العذاب الذى نزل بهم .

وقد جاء الاستفهام (أفلا يسمعون) فى ختام هذه الآية مفيدا للإنكار والتوبيخ : ينكر  
الله سبحانه وتعالى على أولئك الذين لم يعظهم هلاك الأمم السابقة بسبب تكذيبهم الرسل  
وها هي ذى مساكنهم يمرون بها غدوا ورواحا تشهد وتذكر وتعظ ، ينكر الله سبحانه وتعالى  
على أولئك المشركين من أهل مكة ويوبخهم أن لا يسمعوا آيات الله وعظاته وتذكيره إياهم  
سماع تفهم وتدبر واعتبار .  
أختى العزيزة «هل» :

بقي من صيغ همزة الاستفهام الداخلة على (لا) النافية للفعل المضارع صيغ لم ترد فى  
القرآن الكريم إلا مرة واحدة ، وها أنا ذى أقدمها إليك (بحسب ورودها فى القرآن الكريم)  
فى الاستفهامات التالية :

الاستفهام الأول : ﴿ أفلا تتفكرون ﴾ وقد جاء فى قوله تعالى : ﴿ قل لا أقول لكم  
عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليّ قل هل  
يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ . الآية (٥٠) من سورة الأنعام .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء  
المشركين : لا أقول لكم عندى خزائن الله التى منها يرزق ويعطى ، فالرزق والعطاء بيد الله  
لا بيدى .

وهذا رد على ما كانوا يقولونه له وهو: إن كنت رسولا من عند الله فاطلب منه أن يهب لنا الغنى ويذهب عنا الفقر.  
وقل يا محمد لهم: لا أقول لكم إنى أعلم الغيب.  
وهذا رد على قولهم له إن كنت رسولا من عند الله فأخبرنا بما ينفعنا وما يضرنا فنعمل على تحصيل المصالح ودرء المضار.  
وقل يا محمد: لا أقول لكم إنى ملك.

وهذا رد على قولهم ما لهذا الرسول يأكل ويمشى فى الأسواق.  
وقل يا محمد لهم: لا أتبع إلا ما يوحىه الله إليّ، ولا يستوى الذى عمى عن آيات الله وما جاء به الوحي والذى أبصر آيات الله واتبع ما جاء به القرآن، أفلا تتفكرون.  
وهذا الاستفهام (أفلا تتفكرون) استفهام إنكار وتوبيخ: إنكار على هؤلاء المشركين وتوبيخ لهم أن لا يكون لديهم تفكر فى الأمور وتبصر فيدركوا أن ما جاء به الوحي هو الحق، وأن ما هم عليه من الشرك هو الباطل.

الاستفهام الثانى: (أفلا يتوبون) قد جاء فى قوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ (٧٣) أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴿٧٤﴾. الآيتان: (٧٣-٧٤) من سورة المائدة.

تتضمن الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين أن الذين يقولون إن الله أحد آلهة ثلاثة (يريدون بالثلاثة: الله سبحانه وتعالى، وعيسى، وأمه) إن الذين يقولون هذا قد كفروا كفرانا مبينا، فما من إله فى الوجود مستحق للعبادة إلا إله واحد أحد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له صاحبة ولا ولد، وما كان معه من إله، وهو الله سبحانه وتعالى.

وإن لم يرجع هؤلاء الذين كفروا وقالوا إن الله ثالث ثلاثة، إن لم يرجعوا عن مقاتلتهم ويتوبوا إلى الله تعالى ليصيبن الذين كفروا منهم عذاب أليم.

وفى الآية الثانية من هاتين الآيتين الكريمتين جاء هذا الاستفهام: (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه). وهو استفهام إنكار وتوبيخ وتعجب.

ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك الكافرين القائلين إن الله ثالث ثلاثة ويوبخهم أن لا يرجعوا عن مقاتلتهم هذه ويتوبوا إليه تعالى ويستغفروه، فقولهم هذا لا يقبله عقل سليم، ولا تقوم به حجة بيّنة.

وهو استفهام يدل أيضا على التعجب بمعنى كيف لا يتوبون إليه تعالى ويستغفرونه

من هذا الذنب الذى ليس بعده ذنب وقد تهيأت لهم أسباب التوبة والاستغفار، فالله سبحانه وتعالى غفور لذنوب التائبين الراجعين عن معاصيهم، رحيم بهم بقبوله توبتهم والعفو عما سلف من كفرهم.

أختى العزيزة:

جاء فى تفسير البحر المحيط لأبى حيان أن ابن عطية يرى أن استفهام (أفلا يتوبون) للتحضيض على التوبة وطلب المغفرة. وقد علق أبو حيان على رأي ابن عطية هذا فقال: «وما ذكره من الحث والتحضيض على التوبة من حيث المعنى لا من حيث مدلول اللفظ، لأن مدلول (أفلا) غير مدلول (ألا) التى للحض والحث» اهـ أبو حيان.

وإنما كانت (أفلا) لا تدل على الحث والحض نصا ومباشرة - أو كما قال أبو حيان من حيث اللفظ لأن الفاء الفاصلة بين الهمزة و(لا) تحتم أن تكون الهمزة للاستفهام، وأن تكون الفاء للعطف، و(لا) نافية.

وأفاد هذا الاستفهام الحث والتحضيض من حيث المعنى والسياق لا من حيث دلالة اللفظ النصية لأنه استفهام إنكار وتوبيخ، وإنكار عدم التوبة، والتوبيخ على تركها يفيد بطريق غير مباشر الحث على التوبة والتحضيض عليها.

وقدسها أبو حيان فقال فى صيغة (أفلا تتفكرون) ما قاله ابن عطية فى صيغة (أفلا يتوبون)، قال فى تفسير البحر المحيط: «(أفلا تتفكرون) هذا عرض وتحضيض معناه الأمر أى ففكروا» اهـ أبو حيان.

وليس لى هنا إلا أن أقول لأبى حيان ما قاله أبو حيان نفسه لابن عطية من أن دلالة (أفلا تتفكرون) على العرض والتحضيض إنما هو من حيث المعنى لا من حيث مدلول اللفظ، لأن مدلول (أفلا) غير مدلول (ألا) التى للحث والحض. وقد تقدم قبل قليل بيان ذلك وسببه.

الاستفهام الثالث: (أولا يذكر الإنسان) وقد جاء فى قوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان إذا مامت لسوف أخرج حيا﴾ (٦٦) أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ (٦٧). الأيتان: (٦٦-٦٧) من سورة مريم.

تتضمن الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريميتين أن الإنسان الكافر المنكر للبعث يقول لن أخرج حيا من القبر بعد أن أكون قد مت وأصبحت عظاما بالية، إن هذا لن يكون.

وقد تضمنت الآية الثانية الرد على هذا بأن الله سبحانه وتعالى قد خلقه وأنشأه فى هذه الحياة الدنيا ولم يك شيئا قبل ذلك، فكيف ينكر قدرة الله تعالى أن يعيد خلقه وأن يعيئه



من قبره . إن الإنسان الذى يذُكر ويتبصر ويفكر ليرى بلا ريب أن الذى قدر على خلق الإنسان وإبداعه فى هذه الدنيا قادر على أن يعيد خلقه يوم القيامة .

وقد جاء هذا الاستفهام فى قوله تعالى ﴿أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ جاء مفيداً الإنكار والتوبيخ والتعجب .

أنكر الله سبحانه وتعالى على هذا الإنسان الذى لا يؤمن بالبعث يوم القيامة ووبخه أن لا يذُكر ويتبصر ويتفكر أن خلق الله تعالى إياه أول مرة ولم يك شيئا من قبل يدل دلالة بينة على قدرة الله تعالى على خلقه مرة ثانية .

ويفيد هذا الاستفهام التعجب على معنى كيف يعجز الله سبحانه وتعالى عن إعادة خلقك أيها الإنسان بعد موتك ، وقد خلقك من قبل ذلك ولم تك شيئا .

وقد أعرب الزمخشري الواو فى (أولا يذكر) عاطفة عطفت (لا يذكر) على (يقول) الواردة فى الآية المتقدمة على هذه الآية ، وقد وسّطت همزة الاستفهام بين المعطوف وواو العطف .

وهذا من المواضع التى رجع فيها الزمخشري إلى مذهب سيبويه والجمهور ، وهو أن حرف العطف إذا تقدمته همزة الاستفهام فإنه يعطف ما بعدها على ما قبلها ، وكان مذهبه أن يقدر بين الهمزة وحرف العطف ما يصلح أن يعطف عليه وإعراب (ولم يك شيئا) : الواو حالية ، و(لم) نافية جازمة ، و(يك) مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف ، وهذا الفعل المضارع يأتى ناقصا كماضيه ، يرفع المبتدأ على أنه اسمه وينصب الخبر على أنه خبره ، فالضمير المستتر فيه العائد على الإنسان اسمه ، و(شيئا) منصوب على أنه خبره ، وجملة (ولم يك شيئا) فى محل نصب حال من الهاء فى (خلقناه) ، والرابط الواو والضمير المستتر فى (يك) معا .

الاستفهام الرابع : (أفلا يؤمنون) وقد جاء فى قوله تعالى : ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون﴾ . الآية (٣٠) من سورة الأنبياء .

اختلف العلماء فى تفسير قوله تعالى فى هذه الآية : ﴿أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾ .

فقال الطبري فى تفسيره : «يقول تعالى ذكره : أولم ينظر هؤلاء الذين كفروا بالله بأبصار قلوبهم فى رواها ويعلموا أن السموات والأرض كانتا رتقا : يقول ليس فيها ثقب بل كانتا ملتصقتين ، . . . وقوله (فتقناهما) يقول فصدعناهما وفرجناهما» اهـ وقال أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط : وقالت فرقة : السماء قبل المطر رتق ، والأرض قبل النبات رتق ،

ففتقناهما بالمطر والنبات . قال ابن عطية وهذا قول حسن ، ويناسب قوله ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ أي من الماء الذى أوجده الفتق اهـ .  
وعلى الرأي الأول الذى قاله الطبري تكون الرؤية في (أولم ير الذين كفروا) علمية ،  
وعلى الرأي الثانى الذى ذكره أبو حيان وحسنه ابن عطية تكون الرؤية بصرية .

أما تفسير قوله تعالى : (وجعلنا من الماء كل شيء حي) فقد أفاد أبو حيان أن (جعلنا)  
إن كانت بمعنى خلقنا فالمعنى وخلقنا من الماء كل حيوان ، وإن كانت بمعنى صيرنا فالمعنى  
وصيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه .

وأما الاستفهام (أفلا يؤمنون) الذى جاء في ختام هذه الآية فهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر  
الله سبحانه وتعالى على الذين كفروا ويوبخهم أن لا يؤمنوا بألوهية من قدر على ما تضمنته  
هذه الآية من فتق السموات والأرض وإنزال الغيث من السماء وإخراج النبات من الأرض  
وخلق كل حيوان من الماء ، فيفردوه بالعبادة ولا يشركون به شيئاً .

الاستفهام الخامس : (ألا تحبون) وقد جاء في قوله تعالى : ﴿ولا يأتل أولو الفضل  
منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا  
تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ الآية (٢٢) من سورة النور .

مما تضمنته هذه الآية الكريمة : لا يحلف الذين آتاهم الله فضلاً منه وسعة رزق لا  
يخلفوا بالله أن لا يعطوا ذوى قراباتهم والمساكين المهاجرين من ديارهم وأموالهم في سبيل الله ،  
وليعفوا عما كان منهم من جرم ، وليتركوا ما يعاقبونهم به من حرمانهم ما كانوا يعطونهم إياه من  
قبل .

ومما جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية : «وهذه الآية نزلت في الصديق رضى الله عنه  
حين حلف أن لا ينفق مسطح بن أثاثة بنافعة أبداً بعد ما قال في عائشة (رضى الله عنها) ما  
قال . . . فلما أنزل الله براءة عائشة أم المؤمنين في ذلك ، وأقيم الحد على من أقيم عليه -  
شرع تبارك وتعالى - وله المنة والفضل - يعطف الصديق على قريبه مسطح ، وكان ابن خالة  
الصديق ، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر رضى الله عنه ، وكان من  
المهاجرين في سبيل الله ، وقد زلق زلقة تاب الله عليه منها وضرب الحد عليها ، فلما نزلت هذه  
الآية إلى قوله ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ الآية . . . فعند ذلك قال الصديق : بلى والله  
إننا نحب أن تغفر لنا ياربنا ، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة وقال والله لا أنزعها  
منه أبداً . . . » اهـ تفسير ابن كثير مع حذف بعض الكلمات والجمل .

وهذا الاستفهام (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) يفيد التعطيف وتعطيف أبى بكر رضى

الله عنه على ابن خالته مسطع بعد أن تاب ونال العقاب ، ويفيد أيضا الترغيب ترغيب أبي بكر رضى الله عنه في مغفرة الله الغفور الرحيم يرجع ما كان يصل به مسطحا من نفقة .  
والآية تعم كل من كان متصفا بهذا الوصف الذى تضمنته هذه الآية الكريمة وإن كان سبب نزولها خاصا .

والذى دل على أن (ألا) فى (ألا تجبون أن يغفر الله لكم) ليست للتحضيض ، وإنما هى همزة الاستفهام دخلت على (لا) النافية ، الذى دل على ذلك هو جواب الصديق رضى الله عنه بقوله (بلى) و(بلى) لا يجاب بها إلا النفي .

الاستفهام السادس : (ألا تستمعون) وقد جاء فى قوله تعالى : ﴿ قال فرعون وما رب العالمين (٢٣) قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين (٢٤) قال لمن حوله ألا تستمعون (٢٥) الآيات : (٢٣-٢٥) من سورة الشعراء .

بعد أن قال موسى وهارون عليهما السلام لفرعون إنا رسول رب العالمين ، وبعد محاورة موسى لفرعون (قد سبق بيانها وتفصيلها فى الرسالة التاسعة من هذه الرسائل حين تحدثت عن استفهام (ألم نربك فىنا وليدا) بعد ذلك (قال فرعون وما رب العالمين) فأجابه موسى (قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) فلما سمع فرعون هذا الجواب التفت إلى من حوله من أشرف قومه ورؤساء دولته قائلا (ألا تستمعون) وهو استفهام تهكم واستهزاء بموسى عليه السلام وتكذيب له فيما قاله وتعجيب لمن حوله من جواب موسى عليه السلام الدال على أن لهم إله غير فرعون .

الاستفهام السابع : (ألا يظن) فى قوله تعالى : ﴿ ويل للمطففين (١) الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون (٢) وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون (٣) ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون (٤) ليوم عظيم (٥) يوم يقوم الناس لرب العالمين (٦) . الآيات : (١-٦) من سورة المطففين .

فى هذه الآيات الكريمة يتوعد الله سبحانه وتعالى بالعذاب الشديد المطففين الذين إذا استوفوا حقهم من الناس بالمكيال يستوفونه وأفرا تاما ، وإذا أدوا حق الناس الذى هو عليهم ، إذا أدوا بالمكيال أو الميزان أنقصوا فى الكيل والوزن ولم يعطوهم حقوقهم كاملة .

وبعد أن توعد الله سبحانه وتعالى المطففين بسوء العذاب قال : (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) وهذا الاستفهام (ألا يظن) استفهام إنكار وتوبيخ وتعجب : ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك المطففين ويوبخهم أن لا يظنوا ويوقنوا أنهم مبعوثون فمسؤولون عما يفعلون يوم القيامة العظيم الشأن والهول ، يوم يخضع الناس

ويقفون خشعا لله رب العالمين، ولو أنهم ظنوا وأيقنوا ما نقصوا في كيل ولا وزن، ولخشوا عاقبة ذلك، وأعطوا الناس حقهم موفورا.

وهذا الاستفهام يفيد أيضا التعجب على معنى كيف يجرون على ذلك كأنها لا يخطر لهم إثمة على بال، ولا يلّم بعقابه ظن؟!!! .

الاستفهام الثامن: ؟ أفلا ينظرون) وقد جاء في قوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ (١٧) وإلى السماء كيف رفعت (١٨) وإلى الجبال كيف نصبت (١٩) وإلى الأرض كيف سطحت ﴿ (٢٠). الآيات (١٧-٢٠) من سورة الغاشية

تضمنت الآيات الكريمة المتقدمة على استفهام (أفلا ينظرون) تضمنت ما يلاقيه الكافرون يوم القيامة من عذاب ونكال، وما يلاقيه المؤمنون من نعيم وتكريم، ثم جاء هذا الاستفهام (أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت) جاء منكرًا موبخًا كفار مكة الذين كذبوا بيوم القيامة وأنكروا قدرة الله سبحانه وتعالى على أن يبعث الأموات أحياء في ذلك اليوم العظيم.

أنكر عليهم ووبخهم أن لا ينظروا بعيونهم نظرا يصحبه التدبر والتفكر والاعتبار إلى هذه الإبل كيف خلقت خلقا بديعا فريدا لم يأت على سنن غيرها من الحيوان الداجن: ف لحمها يؤكل، ولبنها يشرب، وفي أوبارها وجلودها منافع كثيرة، ثم هي ركائب أسفار طويلة مضيئة، وحاملات أثقال إلى بلاد دانية ونائية، صبور على الجوع والعطش أياما وليالى، طعامها سهل المنال، وقيادها هين لين لا يعرف جماحا ولا نفورا.

وإلى السماء كيف رفعت من فوقهم عالية بعيدة في علاها، لا تقوم على عمد، وليس فيها من فطور، زانها القمر والشمس والنجوم، فما أجمل وما أروع وما أعظم!! .

وإلى الجبال كيف نصبت من فوق الأرض أشكالا عجيبة وأحجاما غريبة وألوانا مختلفة، منها ما يملأ النفس بهجة وسرورا. ومنها ما يملأ القلب هيبة وجلالا، ومنها ما هو جمال ومتاع، ومنها مورعب وخوف وفزع، بعضها أجرد أقرع عريان عابس، وبعضها مكسو بالشجر والزهر والنبات الأخضر، من قممها تتفجر الأنهار، وعلى سفوحها تسيل العيون.

وإلى الأرض كيف سطحت، فقطع خضر لا يمل منها بصر، وصحارى واسعة تحبو على وجهها الرمال، وتطير في أجوائها العواصف، وأنهار تدفق فيتدفق على ضفافها المدن العامرة والجنان الناضرة، وعيون جارية فتجرى الحياة في النبات والأنعام وبنى آدم، وبحيرات في جنبات الأرض صغيرة وكبيرة، وجزر كثيرة هنا وهناك مبعثرة، وأبحر ومحيطات يطول في أوصافها ومنافعها وألوان جمالها الحديث والبيان.

إن العين التي تنظر، والقلوب التي تبصر، والعقول التي تفكر وتعتبر، إنها لو نظرت بتأمل، وأبصرت بتدبر، وفكرت بدقة وعمق لأدركت أن القادر على خلق هذه الأشياء التي لا ينظر إليها كفار مكة بتدبر وتفكر قادر على إخراجهم وإخراج الناس جميعاً أحياء يوم القيامة وإدخال المنكرين منهم نار جهنم وبئس المصير .

وإعراب كلمات هذا الاستفهام سهل واضح ومع ذلك أعرب لك (كيف خلقت): (كيف) اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال، وصاحب الحال الضمير المستتر في خلقت العائد على الإبل وهو نائب الفاعل للفعل الماضي المبني للمجهول: (خلق). والتاء تاء التأنيت حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب. وجملة (كيف خلقت) في محل جر بدل اشتغال من الإبل، والمعنى أفلا ينظرون إلى الإبل كيفية خلقها. أختى العزيزة:

بهذا الذي قد مضى ينتهي حديثي إليك عن همزة الاستفهام الداخلة على (لا) النافية للفعل المضارع، على أنه قد بقي في هذه الرسالة أن أحدثك عن همزة الاستفهام الداخلة على (لن) النافية الناصبة لهذا الفعل، وهو حديث قصير، فإن همزة الاستفهام هذه لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وكان ذلك في قوله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون (١٢٣)﴾ إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين (١٢٤) بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ﴿ (١٢٥)﴾. الآيات (١٢٣-١٢٥) من آل عمران.

وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن نبيه محمد ﷺ أنه قال للمؤمنين الذين كانوا معه في يوم بدر (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين).

وكان هذا الاستفهام للتقرير ولطمأنة قلوب المؤمنين، ومعنى التقرير هنا طلب الاعتراف من المؤمنين بما تضمنه السؤال: إما بالإيجاب وإما بالسلب.

ولما كان من الواضح البين أن هذا العدد من الملائكة فيه الكفاية بادر السائل نفسه ﷺ إلى الإجابة بدلا من المؤمنين فقال: (بلى) أي إن هؤلاء الملائكة يكفون.

ويحسن هذا الأسلوب وهو أن يقوم السائل نفسه بالإجابة عن سؤاله، يحسن في الأمور البينة التي لا مجال لاختلاف الجواب فيها كهذا الذي ذكر وكما في قوله تعالى: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله﴾.

أختى العزيزة:

بهذا تنتهى رسالتى هذه إليك وينتهى حديثى عن همزة الاستفهام الداخلة على الأدوات النافية للفعل المضارع: على (لم) وعلى (لا) وعلى (لن).  
سوف أحدثك فى الرسالة القادمة إن شاء الله عن همزة الاستفهام الداخلة على أدوات الشرط، أسأله تعالى أن يعين وأن يسدد الخطأ.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أختك  
همزة الاستفهام



مراجع ما جاء فى هذه الرسالة:

- ١- المراجع على وجه الإجمال: .
- ١ - تفسير أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - الطبعة الثالثة- الناشر: الحلبي بمصر.
- ٢ - تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى - الناشر: مكتبة ومطبعة النصر الحديثة بالرياض .
- ٣ - تفسير أبى السعود - الناشر: دار المصحف - مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة .
- ٤ - الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين - الناشر: الحلبي بمصر.
- ٥ - تفسير ابن كثير- الناشر: الحلبي بمصر.
- ٦ - تفسير الكشاف للزمخشري - الناشر: الحلبي بمصر.
- ٧ - تفسير القرطبي - نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - الناشر: دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة.
- ٨ - تفسير الفخر الرازى - الطبعة الثانية - الناشر: دار الكتب العلمية بطهران .
- ٩ - إملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء العكبرى - الطبعة الأولى - الناشر: الحلبي بمصر.
- ١٠ - مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى - تحقيق الدكتور مازن المبارك وزميله - الطبعة الثانية الناشر: دار الفكر.

- ب : المراجع على وجه التفضيل :
- ١ - الآية : (١٢٦) التوبة : الطبري : (ج ١١ ص ٧٣) . أبو حيان : (ج ٥ ص ١١٦) . أبو السعود (ج ٤ ص ١١٣) . الفتوحات : (ج ٢ ص ٣٣٠) .
  - ٢ - الأيتان (٥٨-٥٩) يوسف : الطبري : (ج ١٣ ص ٨) . الفتوحات : (ج ٢ ص ٤٦٥) - أبو حيان (ج ٥ ص ٣٢١) - أبو السعود : (ج ٤ ص ٢٨٨) - ابن كثير : (ج ٢ ص ٤٨٣) .
  - ٣ - الآية (٨٩) طه : الطبري : (ج ١٦ ص ٢٠٢) - الفتوحات (ج ٣ ص ١٠٨) أبو السعود : (ج ٦ ص ٣٦) .
  - ٤ - الآية : (٤٤) الأنبياء : الطبري : (ج ١٧ ص ٣١) - الفتوحات : (ج ٦ ص ٣١٥) العكبري : (ج ٢ ص ٦٥) .
  - ٥ - الآية (٧٢) القصص : الطبري : (ج ٢٠ ص ١٠٣) - الزمخشري : (ج ٣ ص ١٨٩) .
  - ٦ - الآية (٢٧) السجدة : الطبري : (ج ٢١ ص ١١٤) - الفتوحات : (ج ٣ ص ٤٢٠) أبو حيان (ج ٧ ص ٢٠٥) - ابن كثير : (ج ٣ ص ٤٦٣) .
  - ٧ - الأيتان (٥١-٥٢) الزخرف : الطبري (ج ٢٥ ص ٨٠) - أبو السعود : (ج ٨ ص ٥٠) - ابن كثير (ج ٤ ص ١٢٩) .
  - ٨ - الأيتان (٢٠-٢١) الذاريات : الطبري : (ج ٢٦ ص ٢٠٤) - أبو حيان : (ج ٨ ص ١٣٦) ابن كثير (ج ٤ ص ٢٣٥) .
  - ٩ - الأيتان (٧٦-٧٧) البقرة : الطبري : (ج ١ ص ٣٦٩) - أبو حيان : (ج ١ ص ٢٧٤) أبو السعود : (ج ١ ص ١١٨) - الفتوحات : (ج ١ ص ٦٨) .
  - ١٠ - الأيتان : (١٣-١٤) الملك : الطبري (ج ٢٩ ص ٦) - أبو حيان : (ج ٨ ص ٣٠١) - أبو السعود (ج ٩ ص ٦) - الفتوحات (ج ٤ ص ٣٧٧) .
  - ١١ - الآيات : (٦-١١) العاديات : الطبري : (ج ٣٠ ص ٢٨٠) - أبو حيان (ج ٨ ص ٥٠٥) - الفتوحات : (ج ٤ ص ٥٧٧) - أبو السعود : (ج ٩ ص ١٩١) - ابن كثير : (ج ٤ ص ٥٤٢) العكبري : (ج ٢ ص ٢٩٢) .
  - ١٢ - الآية (٨٢) النساء : الطبري : (ج ٥ ص ١٧٩) - أبو حيان : (ج ٣ ص ٣٠٤) - أبو السعود : (ج ٢ ص ٢٠٧) .
  - ١٣ - الآية : (٢٤) محمد : الطبري : (ج ٢٦ ص ٥٧) - أبو حيان : (ج ٨ ص ٨٣) - أبو السعود (ج ٨ ص ٩٩) .
  - ١٤ - الآيات (٣٣-٣٥) ياسين : الطبري : (ج ٢٣ ص ٤) - أبو السعود (ج ٧ ص ١٦٦) ابن كثير (ج ٣ ص ٥٧٠) .
  - ١٥ - الآيات : (٧١-٧٣) ياسين : الطبري : (ج ٢٣ ص ٢٨) - ابن كثير : (ج ٣ ص ٥٨٠) .
  - ١٦ - الآيات : (٨٥-٩٦) الصافات : الطبري : (ج ٢٣ ص ٧٢) - أبو السعود : (ج ٧ ص ١٩٨) - القرطبي : (ج ١٥ ص ٩٤) .
  - ١٧ - الآيات (٢٤-٢٨) الذاريات : الطبري : (ج ٢٦ ص ٢٠٨) - أبو حيان : (ج ٨ ص ١٣٩) - أبو السعود : (ج ٨ ص ١٤٠) - الفتوحات (ج ٤ ص ٢٠٥) .

- ١٨ - الآية (٥٠) الأنعام: أبو حيان: (ج ٤ ص ١٣٣) - أبو السعود: (ج ٣ ص ١٣٧) - الرازي: (ج ١٢ ص ٢٣٠) - الفتوحات: (ج ٢ ص ٣٢).
- ١٩ - الأيتان: (٧٤-٧٣) المائدة: أبو حيان: (ج ٣ ص ٥٣٦) - أبو السعود (ج ٣ ص ٦٧).
- ٢٠ - الأيتان: (٦٦-٦٧) مريم: الطبري: (ج ١٦ ص ١٠٦) أبو حيان: (ج ٦ ص ٢٠٥) أبو السعود: (ج ٥ ص ٢٧٤) - الزمخشري (ج ٢ ص ٥٢٨).
- ٢١ - الآية (٣٠) الأنبياء: الطبري: (ج ١٧ ص ١٩) - أبو حيان: (ج ٦ ص ٣٠٧) - أبو السعود: (ج ٦ ص ٦٥).
- ٢٢ - الآية: (٢٢) النور: الطبري: (ج ١٨ ص ١٠١) - ابن كثير: (ج ٣ ص ٢٧٦) - أبو حيان: (ج ٦ ص ٤٤٠) - أبو السعود: (ج ٦ ص ١٦٥).
- ٢٣ - الآيات: (٢٣-٢٥) الشعراء: ابن كثير: (ج ٣ ص ٣٣٣) - أبو السعود: (ج ٦ ص ٢٣٩) - أبو حيان: (ج ٧ ص ١٢).
- ٢٤ - الآيات: (١-٦) المطففين: الطبري: (ج ٣ ص ٩٠) - أبو حيان: (ج ٨ ص ٤٣٨) أبو السعود: (ج ٩ ص ١٢٤) - الفتوحات: (ج ٤ ص ٥٠٢) القرطبي: (ج ١٩ ص ٢٥٤).
- ٢٥ - الآيات: (١٧-٢٠) الغاشية: الطبري: (ج ٣٠ ص ١٦٥) - أبو حيان: (ج ٨ ص ٤٦٤) أبو السعود: (ج ٩ ص ١٥٠) - الفتوحات: (ج ٤ ص ٥٢٧) - القرطبي: (ج ٢٠ ص ٣٤) الزمخشري: (ج ٤ ص ٢٤٧) - المغني لابن هشام: (ج ١ ص ٢٢٧).
- ٢٦ - الآيات: (١٢٣-١٢٥) آل عمران: أبو حيان: (ج ٣ ص ٥٠) - الزمخشري (ج ١ ص ٤٦١) الفتوحات: (ج ١ ص ٣١١).
- ٢٧ - الآية (٧١) القصص: الطبري (ج ٢٠ ص ١٠٣) - (أبو السعود (ج ٧ ص ٢٣) الفتوحات ج ٣ ص ٣٥٨).
- ٢٨ - الآية (٢٦) السجدة: الطبري (ج ٢١ ص ١١٣) أبو السعود (ج ٧ ص ٨٧).





# الأدب الإسلامي .. وعلاقته بالمجتمع والحياة

و. نجيب الكيلاني

عاجلت كتب الدراسات الأدبية ذلك الموضوع القديم والجديد معاً، ألا وهو علاقة الأدب (أو الأديب) بالحياة. وعندما نقرأ آراء النقاد البارزين ومؤرخي الأدب، ورواد المدارس الأدبية المختلفة، ندرك أنهم يقتربون كثيراً في مفاهيمهم العامة، وإن بدت الخلافات عميقة جداً في بعض الأحيان، كما يحدث بين الكلاسيكيين والرومانسيين مثلاً، أو كما يحدث بين الواقعيين والرمزيين، لكن يظل الأدب دائماً وأبداً وثيق الصلة بالحياة، سواء احتفى بالعقل كما هو عند الرومانسيين، أو ركز على العاطفة مثلما يحدث لدى الرومانسيين، وسواء ارتبط بالواقع المحسوس الملموس، أو اهتم بالمثاليات والغيبيات والسمو الروحي كالذي يفعله الرمزيون، فلكل أديب حياته الخاصة والعامة، وله معتقداته التي يؤمن بها. ما نريد أن نقوله أن الحياة واسعة وعميقة، وهي تشمل ما هو داخل «الذات» أو خارجها، وتنصهر في بوتقتها المظاهر العديدة، والثقافات المتنوعة، والتقاليد الراسخة، والمعتقدات المتباينة، والحياة في حركة مواره دائبة، تزدحم بالأحداث، وترتج بالصراعات، وتضطرم بالانفعالات والتفاعلات الصاخبة، ومما لا شك فيه أن كل عصريترك بصماته على البيئات، ويؤثر على الأفراد والجماعات وبايجاز كبير فإن مادة الحياة غنية، بحيث يجد الأديب أي أديب مهما كان منزعه، العناصر اللازمة لعمله الفني، وفقاً لمزاجه وتصوراته ومعتقداته وأهدافه.

الأديب إذن يستمد من الحياة، وينهض أدبه وينمو ويتحرك بها فيه من عناصر تلك الحياة، باعتبار الأديب كائناً حياً. ويؤثر ذلك الأدب تأثيراً متفاوتاً في الأفراد والجماعات، فلنكم سمعنا أوقرأنا عن أديب أو كتاب معين ساهم في دفع الحياة وتوجيهها، وكان سبباً في حركة تغيير كبيرة، وقد يتناول التغيير أو التأثير مستويات ثقافية بعينها، أو يتناول القاعدة الشعبية العريضة ككل ..

وإذا كان الأدب - كما يقال - تعبير عن الحياة وسيلته اللغوية، إلا أنه لا يقدم لنا صوراً فوتوغرافية، أو فعلاً حرفياً لتلك الحياة، «لكنه يعبر عنها أو يفسرها أو ينقدها، أو ينقل إلينا فهم الأديب للحياة»، فضلاً عن عملية التأثير في المتلقى، إذ أنها هدف أساسي وإيجابي للأديب الجاد .

من هنا نستطيع أن نقول إن الأديب الحق هو الأديب الذي يتخذ موقفاً عقائدياً أو فكرياً من المجتمع، ويؤثر في ذلك المجتمع، وهكذا نرى أن اختيار الأديب لموقفه الفكري أو لمضمون عمله الأدبي إنما يستند على دعامين، أساسيتين :

الأولى : المعتد الفكري للأديب :

الثانية : التشخيص الصحيح لمشاكل المجتمع وسلبياته واحتياجاته والأسلوب الأمثل لحركته الشاملة .

الارتباط بين الدعامين ارتباط عضوي، ومن ثم من الصعب الفصل بينهما، لما بين الدعامين من علاقة متبادلة، وتأثير متبادل أيضاً .

والأدب الإسلامي يتواءم مع هذه المفاهيم الاجتماعية للأدب، بل إن هذه العلاقة بين الأدب والحياة، أو الأدب والمجتمع، علاقة واضحة في فكر الأديب المسلم، الذي يدرك أبعاد رسالته، ويعي تجاربه الحضارية، ويفهم التلاحم الوثيق بين المبادئ الإسلامية وحركة الحياة على مدار العصور، ولقد حفل الفكر الإسلامي بعناصر القوة والتجديد والحركة والابتكار طوال حقب التاريخ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما كانت تلك الحركة العلمية، والتراث الفكري، واتصال عملية الاجتهاد والتجارب مع ما يجد من أحداث الحياة وصورها، ولما ساهمت هذه الأصول الحضارية في إثراء الفكر الغربي، وإثارة الحماسة لهضته الحديث، ولا ما فتحت الثقافة الإسلامية من قبل نوافذها وأبوابها أمام ترجمات التراث العالمي من اليونان والهند وفارس وغيرها، ولما قامت بحركة التقييم والتصحيح لما انحرف من هذا التراث القديم، أو ضل الطريق، ومن ثم أخرجت فكراً إسلامياً مؤثراً متميزاً مازال يتألق بروائه، في شتى الفروع، حتى عصرنا هذا . . .

والأدب الإسلامي، تحت مظلة العقيدة الإسلامية الشاملة، يهدف أول ما يهدف إلى تكوين الفرد المسلم، ثم المجتمع المسلم، ويهتم بكل صغيرة وكبيرة للأفراد والجماعات، ويتمثل أمراضهم الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، ويثير في النفوس الرغبة للعمل الجاد، والبناء الصامد، ويجعل من ذلك العمل قيمة لا تقل عن العبادة، بل

ويجعل من التفكير والتأمل أيضاً فرعاً من العبادة «لا عبادة كالتفكير»، ويبارس في الواقع فعل الخيرات والتمسك بالايثار والحب والعدل، ومحاربة الرذائل والمفاسد والمظالم، وصور الاستغلال والتحلل والإباحية، ويربط حياة الفرد، وحركة الجماعة بآداب ونظم وشرائع محكمة، هي مقياس الايمان الصحيح، والطريق إلى مرضاة الله .

ذلك هو المضمون الفكرى للأدب الإسلامى ، سواء أكان قصة أو رواية أو مسرحية أو قصيدة أو فيلماً سينمائياً أو تليفزيونياً، ويخطىء من يظن أن الأدب الإسلامى الصحيح يناقح المجتمع ، أو يهالىء السلطات الجائرة، أو يعتصم بالجمود والتخلف والرجعية الفاسدة، أو يعتسف حلولاً لقضايا الناس وعللهم لا تمت إلى الواقع بصلة، فالعلاقة بين المعتقدات وبين حركة الحياة كما قلنا علاقة فهم وتبادل، وليست علاقة جهل أو تعسف .

والمسلم الحق لا يعيش في برج عاجى ، أو يعتزل موكب الحياة الصاخب، فهو عامل وصانع ومفكر وعالم وطبيب ومهندس وفلاح وحرفى، وهو باحث اجتماعى، وقوة سياسية فاعلة، وباحث نفسى متعمق، والمجتمع المسلم هو المجتمع الذى يكون لبناته أفراد مسلمون، لكن هذا الذوبان الاجتماعى، لا يلغى شخصية الفرد المسلم، ولا يقضى على تميزه أو فرديته، ورحم الله الشاعر الفيلسوف محمد إقبال إذ يقول فى إحدى قصائده .

هو فى المجمع خالٍ : وهو فى الحشد طليق .

مثل شمع الحفل فى الحفل : فريد ورفيق

وإذا تعمقنا هذا التصور تعمقاً صحيحاً، نجد أن الأدب كقيمة اجتماعية، هو فى الواقع قيمة إسلامية، نعم قيمة إسلامية من ناحية المضمون الفكرى، ومن ناحية المجتمع الإسلامى المثالى الذى ينشده ذلك الأدب الإسلامى، ولا افتئات فى ذلك، أو مجافاة لواقع الحياة وحقيقتها، وعلى الرغم من نشوء تيارات وفلسفات فكرية مخالفة فى المجتمعات الاسلامية، وفى المجتمعات الشرقية أو الغربية، إلا أن التيار الإسلامى يبقى راسخاً صامداً، يواجه تلك النزعات المنحرفة، على ضوء التجارب التاريخية والمعاصرة، ومن خلال الممارسات التى أفرزت الكثير من الكوارث العالمية، على صعيد السياسة والأخلاق والاقتصاد، إن مجتمعا كالمجتمع الأمريكى تحدث فيه جريمة كل ثلاث ثوان، يعنى أن ذلك المجتمع والمجتمعات المشابهة له تقف على أبواب فاجعة كبرى، وهناك ملايين الأطفال الذين يموتون جوعاً، فى الوقت الذى تقذف فيه الدول الغنية بملايين الأطنان من المواد الغذائية فى البحار، للحفاظ على السعر المرتفع لتجاراتها، وهناك الحروب العنصرية، والمجازر الطائفية فى الهند وافغانستان والفلبين وآسيا وأمريكا اللاتينية وروسيا . . .

فليس بدعاً، أن يقف الأدب الإسلامي في هذا العصر، ويدين بقوة تلك المآسى المدمرة، ويحاول - عبر الاشكال الفنية المستحدثة - أن يفسر ويحلل وينقد ويؤثر، ويزرع الأمل في النفوس، موحياً إليهم بالحياة الفاضلة التي دعا إليها الإسلام، وإلى التجربة الحضارية الفذة لعصور الإسلام المزدهرة .

فهل إذا أدى الأدب الإسلامي هذه الرسالة يكون منافياً لروح العصر؟؟ .

أو يكون مجافياً لاحتياجات الواقع الاجتماعى؟؟ .

أو يكون متعسفاً وجائراً عندما يقدم الحل الإسلامى؟؟ .

إن صدق التعبير لا يعنى الرضا بالواقع المرير، وتكريس ما هو كائن، والسير في ركاب الانحراف بحجة العصرية والحرية؟؟ إن تجسيد تلك المأساة، على أسس ومقاييس إلهية موضوعية هو الصدق، وإن شفاء الأرواح والقلوب والعقول هدف أسمى، وبداية صحيحة، وإن إزالة الأنقاض والخرائب، تمهيداً لبناء صحى شامخ هو الحل، ولم يوظف الأدب الإسلامى الصحيح في تأديب العنصرية والطبقية والإباحية، لكنه دائماً وأبداً مشعل حق، ومبعث هداية وعامل بناء وسعادة ورفاهية وطاعة، وتآلف وتراحم .

إن الأوضاع الراهنة قد توحى بالحسرة بل واليأس أحياناً، فالفساد قد تسلح بمختلف الأسلحة الحديثة من فكر وإعلام وفيالق مدربة وقوى خفية تعمل من وراء ستار، وأنوار النيون البراقة قد غطت على سمات الفضيلة والحب والمغريات قد غزت عقول الناس وأرواحهم، فتحولت الأشواق العلوية، إلى مطالب مادية، وملذات جسديه، واحتفت الآداب العالمية بالغرائر وعنفيها واشتعالها، وركزت على اشباع الرغبات الرخيصة، وأنماط الحياة المترهلة الكسلى، والمتع الزائلة، وأصبح ذلك كله هدفاً في حد ذاته . وهذا ليس بجديد على تاريخ البشرية، فالناظر في صفحات الماضى، سوف يجد مثيلاً أو شبيهاً له فيما مضى من حضارات ومدنيات وأحداث، ولا يصح أن نخدع باختلاف العصر والأسماء والأزياء ووسائل الحرب والحياة الجديدة .

لكن يبقى أن يكون الأدب الإسلامى كما نقول دائماً، على وعى كامل بنشوء تلك الظواهر الشاذة، وأسباب تلك الأمراض الاجتماعية وأعراضها، وأن يكون لديه حصيلة كافية من الممارسات والتجارب ومختلف الثقافات، حتى يلعب دوره الاجتماعى - أعنى الدينى - عن وعى وبصيرة، وأن يكون نداً لحملة الأقلام في أى موقع، محلياً كان أم عالمياً، ولسوف يجد الأديب الإسلامى حافزاً قوياً، يحرك مشاعره، ويجلى موهبته، وينشط

فكره: وليترنم دائماً بذلك التعبير القرآني الإلهي، ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين﴾ .

إن أحد نقادنا الكبار - د. عز الدين اسماعيل - يقول «مؤلفات كبار الكتاب تهدي إلى السلوك بأوسع معانيه، لأنها تكشف عن النظام الدقيق، وعن الحكمة والتوافق بين العناصر المختلفة، وألا تبدد الحياة أجزاء لا معنى لها. والعمل الأدبي يرتاد بنا الحياة ويخلق بيننا وبينها علاقات جديدة من الفهم والمعرفة...» .

والآن هناك شك في أن التزام أدبنا المعاصر بالإسلام تشریف لهذا الأدب، وسمو بتلك المجتمعات التي عانت وتعانى مرارة القهر واليأس والحرمان منذ سنوات طويلة؟؟ .

## تعلموا العلم

روى عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - أنه قال :

تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة

وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين، والمصبر على البأساء والضراء .

يرفع الله به اقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم، أدلة في الخير، تقتضى آثارهم وترمق أفعالهم... .

يبلغ العبد به منازل الأبرار والدرجات العلاء، والتفكر فيه يُعدل بالصيام ومدارسته بالقيام... .

به يطاع الله عز وجل، وبه يعبد وبه يوحد ويمجد، وبه يتورع وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام... .

وهو امام والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء... .

# لَا تَقُلُّ .. وَقُلُّ :

للأستاذ الدكتور عبد الوهَّاب علي السناوي  
رئيس قسم اللغويات بالجامعة

● ملحوظة : قد يجوز في بعض اللهجات بعض ما منعناه ولكن النحويين أهملوا تلك اللهجات لأنها لم تأخذ مكانها في الأساليب العربية الفصيحة الوازدة عن جمهور العرب ●

وقل فتاة غيور

لا تقل : فتاة غيورة

وقل امرأة صبور

ولا تقل امرأة صبورة

وقل هي طموح

ولا تقل هي طموحة

وذلك لأن فعولا بمعنى فاعل لا يقبل التاء ولو كان وصفا لمؤنث .

قال ابن مالك : ولا تلي فارقة فعولا : أصلا .

أي أن التاء لا تلي فعولا فارقة بين المؤنث والمذكر : إن كان أصلا أي

بمعنى فاعل : فإن كان فعول بمعنى مفعول وجاء وصفا لمؤنث جاز دخول

التاء وعدم دخولها نحو ناقة ركوب وركوبة . وشاة حلوب وحلوبة .

وقس على ما ذكرنا فلا تقل معدة هضومة وقل معدة هضوم

وهكذا .

\*\*\*

وقل نحن فخر

لا تقل نحن فخورون

وقل نحن صبر

ولا تقل نحن صبورون

وقل نحن غير

ولا تقل نحن غيورون

وذلك لأنه يشترط في الصفة التي تجمع جمع مذكر سالما قبول التاء .  
وفعول بمعنى فاعل لا يقبل التاء - كما عرفت - فلا يجمع جمع مذكر سالما :  
وإنما يجمع جمع تكسير على فُعَل . كقول الصحابي : نحن صَبْرٌ عند اللقاء  
صُدِّقُ في المقال وقول الشاعر:

ثم زادوا أنهم في قومهم غُفِرَ ذنبهم غير فُخِرَ

\*\*\*

ولا تقل امرأة غضبانة	وقل امرأة غضبي
ولا تقل امرأة سكرانة	وقل امرأة سكري
ولا تقل امرأة عطشانة	وقل امرأة عطشي

وذلك لأن جمهور العرب لم يؤنث فعلان صفة بالتاء وإنما أنثه بالألف  
كما مثلنا .

\*\*\*

ولا تقل هم سكرانون	وقل هم سُكاري أو سكري
ولا تقل هم غضبانون	وقل هم غضابي أو غضبي أو غضاب
ولا تقل نحن عطشانون	وقل نحن عطاش

وذلك لأن هذه الصفة لا تقبل التاء فلا تجمع جمع مذكر سالما . وقد  
عرفت ذلك آنفا .

هذا وبالله التوفيق ، ، ،



# عزير بجمع شخيرات

لشيخ محمد بن عبد الله زربان الغايري

مدير المعهد الثانوي التابع للجامعة

والحب تطلبه النفوس وتقبل  
حيناً فتمسكها وحيناً ترسل  
يسعى إليها جاهداً ويهول  
ضل الطريق إلى الحبيب فيفشل  
يتلمس الأعوان فيه فيخذل  
هو في فؤادي ساكن متغلغل  
من نبعه الصافي دواماً أنهل  
كالأمس يدنو للمحب ويقبل  
أتراه يتركنا وعنا يرحل  
ونسير بين العالمين ونسأل  
فلعله فيها يقيم وينزل  
فلعلنا نجد الحبيب فندخل  
إن قيل من هو قل إمام عادل  
أو هل ترى القعقاع وهو يهلل  
كالأمس هاهي قد بدت تبدل  
ولكم تشد لها الرحال وتنقل  
أمروا إلى البلد الحرام تحولوا  
أيدي اليهود الغاصبين مكبل  
عن عالم الإسلام يوماً يعزل  
إنى لأذكره ودمعي يهطل

العشق يسكن في القلوب فيقتل  
وتصارع الأشواق في سكراتها  
كل يروم محبة لينالها  
يفنى الحياة لأجلهـل ولربما  
فيظل طول طريقه متعثراً  
أنالي حبيب حبه في مهجتي  
هو راحتي هو قوتي هو عزتي  
ياصاح ما بال الحبيب فلم يعد  
قد غاب عن عيني سوى أطيافه  
هيا بنا يا صاح نطلب إثره  
أرني بلاد العرب فهو يحبها  
واقصد بلاد الشام وأطرق بابها  
وادخل دمشق فربما عمر بها  
قف في ربا اليرموك هل ترى خالدا  
ماذا دها الشام الحبيبة لم تعد  
لاتنس أولى القبلتين نزورها  
صلى إليها المسلمون وحينما  
من يخبر الفاروق أن القدس في  
ما كان يخطر للقلوب بأنه  
واليوم في لبنان ينزف جرحنا



كم من رضيع يتموه وخوفوا  
عاثوا فساداً في البلاد وأهلها  
فإلى متى والذل فوق رقابنا  
هيا بنا نحو العراق فكان في  
من خاطب المزن الثقال بقوله  
فلسوف يأتيني خراجك إنه  
والقنادسية هل ترى سعدا ومن  
حتى تروا ماذا جرى من بعدكم  
وسألت أرض النيل هل عمروها  
يا صاحبي عوداً إلى الحرمين إن  
يارب هل أنا في بلاد العرب أم  
إرحل بنا يا صاح نطلب غيرها  
يا أهل أندلس أجيئوا من همو  
يا صاح عن أفريقيا رأيت من  
أو يترك الباغي يعيث بأهلها  
هيا إلى الأفغان إن جهادهم  
لكنه الإيمان أعظم قوة  
كيف الخلاص لأمتي مما بها  
الله ينصر من يجيب لأمره  
كثرت مصائب أمتي فتمزقت  
في كل أرض نشتكى ألم الجرا  
النور ننبذه وراء ظهورنا  
ياويل قوم ضيعوا قرآنهم  
ولسورة الأنعام فيها منهج  
ساد الشقاق مع التفريق بينهم  
ظنوا الكمال لدى العدل فتهافتوا  
وتلمسوا نظماً تصاغ وفيهم

من آمنين وكم نساء رملوا  
ساموهمو سوء العذاب ونكلوا  
يا أمة الإسلام أمر مخجل  
بغداده دار الرشيد ومنزل  
في أي أرض شئت قطرك ينزل  
بالعدل يأتينا ولو لم نسأل  
قد كان صحبتته أقول تمهلوا  
مما يشيب له الوليد ويذهل  
قالوا رويدك قد مضى أفتجهل  
لاقيت فيها من أحب وأقبل  
أنا لم أجدها بل إلى نخيل  
هيا لأندلس ودعني أسأل  
من ضيعوا الملك العظيم وأهملوا  
يدري حقيقتها فسارع يعمل  
ظلماً فمن لمصيرها يتحمل  
قد أعجز الإلحاد شعب أعزل  
للمسلمين به الصعاب تذلل  
فالجسم منها بالهزائم مثقل  
والمستجيب لما سواه سيخذل  
فالموت في أشلائها يتسلل  
ح وزهرنا في كل يوم يذبل  
لكننا نحو الظلام نهول  
والسنة الغرا كذاك وأغفلوا  
والنور والأحزاب والمزمل  
وهناك من يذكي الخلاف ويشعل  
في حضنهم وهدى المهيمن أكمل  
أقوى نظام للحياة وأشمل

من بأسه وبعضهم قد أشغلوا  
فالله يجزي بالجميل ويجزل  
فالباب مفتوح فهيا فادخلوا  
للحق والأعدا لها تنزل  
عن جسم أمتنا الجريح ونغسل  
بالنصر يأتىكم فلا تستعجلوا  
لله وجهتكم عليه توكلوا  
كم نكبة أسبابها المستعجل؟  
وأكاد من ألم الحقيقة أقتل  
الموت خير للجبان وأجمل  
إنى أنا الإسلام يامن تسأل

فى كل يوم والعدو يذيقهم  
يأمة الإسلام هل من توبة  
توبوا إلى الرحمن توبة صادق  
أين الشباب اليوم هل من يقظة  
ونزيل أدران الهزائم كلها  
فترسموا نهج الرسول وأيقنوا  
وعلى المحجة فاستقيموا ولتكن  
وسلوا الثبات من المهيمن واثبتوا  
وأقوؤها والحزن يعصر مهجتى  
كم من خبايا فى الزوايا إنما  
ياصاحبى وأراك تسأل من أنا



# من تراثنا الشعري

للشاعر أبي إسحاق إبراهيم الألبيري الأندلسي

من ليس بالباكي ولا المتباكي  
نادت بي الدنيا فقلتُ لها: أقصري  
ولما صفا عند الإله ولا دنا  
ما زلت خادعتي ببرق خُلب  
قالت: أغرّك من جناحك طوله  
تالله ما في الأرض موضع راحة  
طُرِّيف شئت فأنت فيها واقع  
من كان يصرع قرنه في معرك  
ما أعرف العضب الصقيل ولا القنا  
كم ضيغم عفرته بعرينه  
فأجبتها متعجباً من غدرها  
لأجلت عيني في بنيك فكلهم  
لوقارضوك على صنيعك فيهم  
طمست عقولهم ونور قلوبهم  
فكأنهم مثل الذباب تساقطت  
لا كنت من أم لنا أكالة

لقبيح ما يأتي فليس بزك  
ما عد في الأكياس من لبك<sup>(١)</sup>  
منه امرؤ صافك أو دانك  
ولو اهتديت لما انخدعت لذك  
وكأن به قد قصّ في أشراك<sup>(٢)</sup>  
إلا وقد نصبت عليه شباكي  
عان بها لا يرتجى لفكك  
فعلى صرعتة بغير عراك<sup>(٣)</sup>  
ولقد بطشت بذي السلاح الشاكي  
ولكم فتكت بأفتك الفتاك  
أجزيت بالبغضاء من يهواك  
أسراك أو جرحاك أو صرعاك  
قطعوا مدى أعمارهم بقلاك<sup>(٤)</sup>  
فتهافتوا حرصاً على حلواك<sup>(٥)</sup>  
في الأرى حتى استؤصلوا بهلاك<sup>(٦)</sup>  
بعد الولادة، ما أقل حياك!

(١) أقصر (بهمزة القطع) : انتهى ، وسهّلها الشاعر ضرورة .

(٢) ضببت الكاف من (أغرّك) و(جناحك) بالكسر في الأصل المخطوط . قلت : وانظر الخطاب بعد ذلك .

(٣) القرن بالكسر كفؤك في الشجاعة ، أو هو عام .

(٤) في الأساس : فلان يقارض الناس مقارضة : يلاحقهم ويواقعهم . وعن أبي الدرداء : إن قارضت الناس قارضوك وإن

تركتهم لم يتركوك .

(٥) في الأساس : طمس الأثر ، وطمسته الريح .

(٦) الأرى : العسل .

عطفاً عليه وأنت ما أقساک  
 إلا سيهشّم في ثفالِ رَحَاكِ (١)  
 بين الضلوع فما أعز دَوَاكِ!  
 لله ربي أن أشق عَصَاكِ (٢)  
 وعُقُوقَهُنَّ محرم إلاك!  
 سيان فقرك عندنا وغناكِ  
 قد باشروا بعد الحرير ثراك (٣)  
 فتعوضوا منها رداء ردَاكِ  
 فغدت مُسَجَّاةً بثوب دُجَاكِ  
 رب الجميع، وقاهر الأملاك (٤)  
 لزهدت فيك ولابتَغيتُ سِوَاكِ  
 وشددت إيماني بنقض عُرَاكِ  
 ولما رآني الله تحت لِوَاكِ  
 فترى بلا أرض ولا أفلاك  
 ليكون يرضى غير من أرضاك  
 إلا لبيب لم يزل يشنَاكِ  
 يضحكن حبا للولي البَاكِ  
 تبكى الهديل على غصون أراك  
 تصفو وتحمد عيشة النُّسَاكِ  
 عدد النجوم وعدة الأملاك (٥)

ولقد عهدنا الأم تلتطف بابنها  
 ما فوق ظهرك قِاطِنٌ أو ظَاغِنٌ  
 أنت السراب وأنت داء كامن  
 يُعصى الإله إذا أطعت وطاعتي  
 فرض علينا برنا أماتنا  
 ما إن يدوم الفقر فيك ولا الغنى  
 أين الجبابرة الألى ورياشُهُم  
 ولطالما رُدُّوا بأردية البها  
 كانت وجوههم كأقمار الدُّجا  
 وعننت لقيوم السماوات العلا  
 وجلال ربي لو تصح عزائمي  
 وأخذت زادي منك من عمل التقى  
 وحططت رحلي تحت ألوية الهدى  
 مهلا عليك فسوف يلحقك الفنا  
 ويعيدنا رب أمات جميعنا  
 والله ما المحبوب عند مليكه  
 هجر الغواني واصلاً لعقائل  
 إنى أرقّت لهن لا لحمائِم  
 لا عيش يصفو للملوك وإنما  
 ومن الإله على النبي صلته

(١) الثفال : الحجر الأسفل من الرحي .

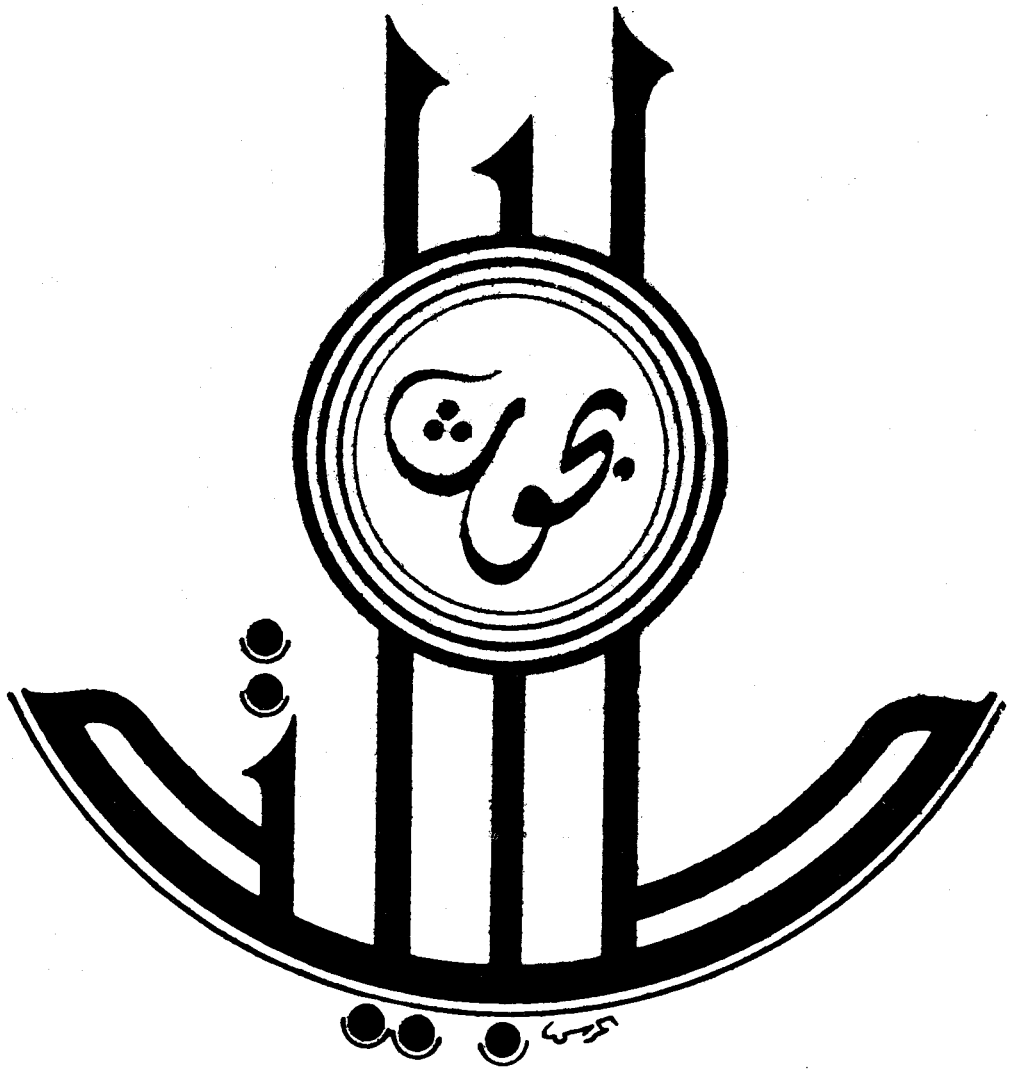
(٢) شق العصا . قال في القاموس : هي مخالفة جماعة الإسلام .

(٣) الرياش والريش (بمعنى) وهو اللباس الفاخر، ومنه قوله تعالى ﴿وريشاً ولباس التقوى﴾ .

(٤) في التنزيل الحكيم (طه ٢٠/١١١) ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حل ظلماً﴾ . والأملاك ج ملك .

(٥) قلت : الظاهر من البيت أن يريد بالأملاك : الملائكة .

وفي القاموس : الملك تجمع على ملائكة وملائك .





# الأقراص - الحبوب - الكبسول

CAPSULES PILLS TABLETS

صيدلى / حمدى إبراهيم على إبراهيم  
مستشفى الجامعة الإسلامية

يمكن تعاطى العقاقير بطرق عديدة .  
ويعتبر التعاطى عن طريق الفم هو أشهر هذه الطرق وأبسطها وأكثرها أمناً . بل وأفضلها من الناحية الاقتصادية .  
وهناك بعض الاستثناءات النادرة التى نضطر فيها إلى أخذ الدواء عن طريق آخر .  
فقد يتأثر العقار بإفرازات المعدة ويعتبر غير ذى فعالية كما فى الانسولين INSULIN والأدرينالين ADRENALINE . . . وبعض الأدوية بالرغم من عدم تأثرها بالعصارات المعدية ولكنها عديمة الامتصاص .  
ولذلك لا يعتمد عليها إلا فى التأثير الموضعى داخل المعدة والأمعاء كما فى حالات الإصابات المعوية أو لتقليل البكتريا الموجودة فى الأمعاء الغليظة قبل إجراء العمليات الجراحية فيها .  
ومن هذه الأدوية عديمة الامتصاص عقار النيومايسين NEOMYCIN والسلفات الشحيحة الذوبان كما فى السلفاجواندين والسلفاثيازول . أيضا هناك بعض الأدوية تؤثر تأثيرا مباشرا على جدران المعدة GASTRIC MUCOSA ويمكن تقليل التأثير المباشر لها إذا أعطيت بعد الطعام أو كسوة الأقراص والكبسولات بالكسوة المعوية . وتعتبر الأمزجة MIXTURES هى الأدوية السائلة التى يمكن تعاطيها عن طريق الفم بكميات مناسبة عند الحاجة أو يتناولها المريض دفعة واحدة ADRAUGHT وهذا حديث عن الأقراص والحبوب والكبسولات . . مركزاً الجانب الأكبر على الأقراص وأسأل الله التوفيق .

TABLETS

## الأقراص

الأقراص هى مستحضر صيدلى جامد يشتمل على مادة فعالة أو أكثر . . مخففه أو غير مخففه بمادة خاملة أو أكثر DILUENTS . ومقسمة إلى جرعات متفردة فى كتل صغيرة متماسكة ومعدة للتعاطى بالفم عن طريق البلع أو عن طريق المضغ كما فى عقار الفينولفثالين PHENOLPHTHALINE أو بوضعها تحت اللسان حيث تمتص منها المواد الفعالة مباشرة كما فى مادة الأيزوبرينالين ISOPRENALINE .  
ويمكن أن تكون الأقراص معدة للإستحلاب LOZENGES لتذوب ببطء فى الفم فضلا عن تفتتها إذا لزم الأمر .  
وهناك الأقراص الفوارة EFFERVESCENT -- TABLETS ليكون العقار أكثر إستساغاً . . كما فى أقراص البوتاسيوم .

ويوجد أيضا في بعض الأحيان مستحضرات طبية ليست للتعاطى عن طريق الفم . ولكنها تحضر على شكل أقراص سريعة الذوبان في الماء كما في محاليل غسول الفم .  
وأخيراً فإن الأقراص التى تحتوى على مواد سامة . . لا بد أن تكون على شكل خاص وألوان محددة .

## صناعة الأقراص

وصف الأقراص:

الأقراص المكسوة والغير مكسوة تكون على هيئة أجسام جامدة مستديرة بيضية أو مزواة مسطحة الأوجه أو محدبتها .

ولا يزيد وزن كل منها في المعتاد على - ١ جم .

وأسطحها ناعمة ملساء . وقد تكون مصقولة لامعة .

ومظهرها العام متجانس منتظم وحوافها تامه كاملة غير متآكلة وهى غير هشّة ولكنها صلبة بحيث تتحمل الصدمات فلا تتكسر إذا سقطت من إرتفاع متر على سطح خشبي .

ولا يحتوى القرص كله على المواد الفعالة فحسب . . وإنما يحتوى بجانب ذلك على سواغات ومواد مضافة إليها .

وهذه المواد بطبيعة الحال هى مواد غير ضارة وليس لها تأثير طبي على القيمة العلاجية للمواد الفعالة في الأقراص .

وهذه المواد المضافة هى :-

— مواد مخففة .

— مواد مبللة .

— مواد مفتتة .

— مواد مزلقة .

— مواد مساعدة على التماسك .

— مواد ملونة ومحسنة للطعم .

ومن المواد المخففة : فسفات الكالسيوم - السيليكا الرغوى - الدكستر وز المائي والغير مائي - سكر اللبن وملح الطعام .

والمواد المبللة : تفيدي في تحويل مسحوق المواد إلى حبيبات أكبر تخلو من فقائيع الهواء . ويتحدد نوعيتها وطريقة التعامل معها بالتجربة والخبرة في صناعة الأقراص .

المواد المفتتة :

وهذه المواد تساعد على تفتيت الأقراص وسهولة إختراق المحاليل لها لامتصاص الدواء .

وقد تكون أساساً للمادة الفوارة في الأقراص الفوارة . مثال حمض الليمون أو حمض الطرطريك مع

بيكربونات الصوديوم أو البوتاسيوم . ومن المواد التى تساعد على تفتيت الأقراص أيضاً :-

سليكات الألمونيوم والمغنسيوم - ميثيل السليولوز والنشا .



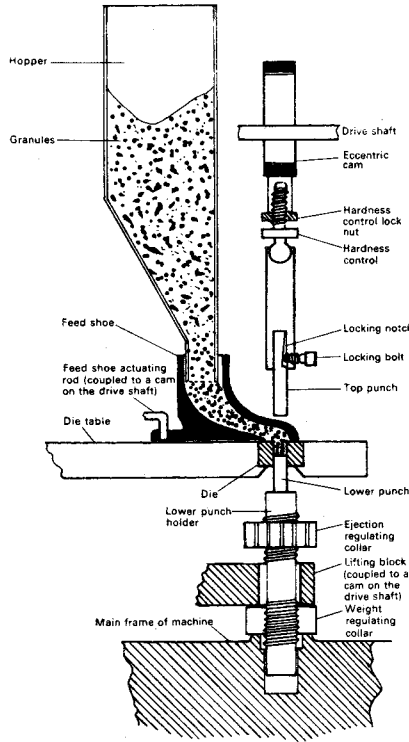
## المواد المزلقية :

وهذه لها أهمية خاصة في عملية تصنيع الأقراص . . فهي تساعد على إنزلاق الخليط . ومثال لها بودرة التلك .

وتقليل الاحتكاك مع الآلات .

ومنع إلتصاق حبيبات الخليط أثناء عملية الضغط .

ومثال لذلك مادة حمض الستياريك (الدهنيك) ، ستيارات المغنسيوم .



Main operating parts of the single punch tablet machine.

## المواد المساعدة على التماسك :

وهي التي تساعد على إحتفاظ الأقراص بشكلها النهائي بعد التصنيع . ويجب أن توضع بعناية وبكميات مناسبة لكي لا يتحول القرص إلى جسم صلب لا يتفتت في المعدة أو الأمعاء . وبالتالي لا يستفاد من مواده الفعالة . ومن المواد التي تستعمل لهذا الغرض :-

الصمغ العربي - الجيلاتين - صمغ الكتيرة - محلول الجلوكوز والنشا .

## كسوة الأقراص TABLET COATING :

قد تكسى الأقراص بطبقة أو بعدة طبقات من مادة خاصة أو أكثر للأسباب التالية :-

— إخفاء طعمها الغير مستساغ .

— حمايتها من تأثير تعرضها للجو والرطوبة .

- حمايتها من تأثير العصير المعدى الحمضى .
- تحسين مظهرها .
- قد يصقل سطح الأقراص بالشمع أو بهادة أخرى مناسبة ليصير أملس ناعما .

ومن المواد المستعملة لكسوة الأقراص :-

- إيثيل السليلوز .
- بولى فينيل بير وليدون .
- السكر .

ويجب أن تكون مادة التغليف من طبقة رقيقة حافظة . علاوة على عدم تأثيرها على حجم أو وزن القرص خاصة إذا كان حجمه أو وزنه قبل الكسوة كبير .

الكسوة المعوية ENTERIC COATING :

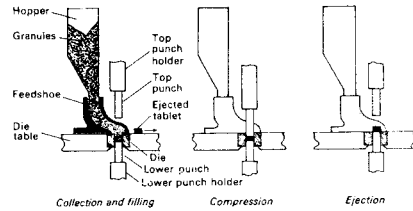
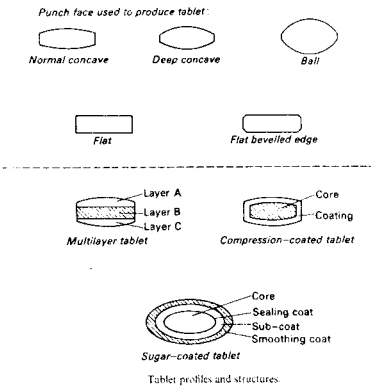
في هذا النوع تغطى الأقراص بطبقة من مادة خاملة أو أكثر لا تتأثر بالعصير المعدى . فتمر الأقراص من المعدة سليمة دون أن تتفتت ودون أن تؤثر محتوياتها في ظهارة المعدة . ولكنها تذوب في العصير المعوى القلوى حيث تمتص موادها الفعالة .

ومثال ذلك الأقراص التى تحتوى على أملاح البزموت، يوديد الإيميتين والإرثرومايسين .

BISMUTH- SALTS, EMETINE- IODIDE, ERYTHROMYCIN

ومن أمثلة المواد المستعملة فى الكسوة المعوية :-

- الجيلاتين المعامل بالفورمالين FORMLIZED- GELATIN .
- الكيراتين KERATIN .
- السالول SALOL .
- اللك المصفى SHELLAC .



## الأقراص طويلة المفعول SUSTAINED-ACTION :

في هذه الأنواع من الأقراص : يذوب جزء منها في المعدة ليعطى تأثيراً سريعاً . ثم يذوب باقى القرص في الأمعاء . . ليعطى تأثيراً متجدداً .  
ومن أمثلة ذلك الأقراص المحتوية على هالوجينات المعادن القلوية ALKALI METAL HALIDES والإرثرومايسين .

ومن هنا نجد أن مميزات تعاطى الدواء بواسطة الأقراص : أن التعاطى يتم بكمية ثابتة من العقار ذات خاصية طبيعية وكيميائية خاصة لمدة محدودة وله قوة علاجية .  
ولكن تبقى صعوبة البلع عند بعض الأفراد . . خاصة عند الأطفال .

## الحبوب PILLS

هى مستحضرات على هيئة كتل صغيرة كروية أو بيضاوية الشكل . تحتوى على جرعات معينة من الأدوية المعدة للإستعمال الباطنى .  
ترن الحبة ما بين (١-٣) جرام عدا الكسوة إذا ما وجدت .  
وتحضر الحبوب بخلط مادة دوائية أو أكثر خلطاً جيداً مع قاعدة التماسك (السواغ) المناسب . .  
بنسب تجعل الناتج عجينة شبه صلبة متماسكة متجانسة لدنة تحتفظ بقوامها وشكلها مع تخزينها .  
ويجب أن تتفتت الحبوب بعد تعاطيها في المعدة أو الأمعاء .  
والسواغ المستعمل في صناعة الحبوب يمكن أن يكون أحد المواد التالية :-  
الماء - الجلوسرين - الجلوكوز - الشراب البسيط - سكر اللين - النشا - الصمغ العربى - مسحوق الأجار - مسحوق العرقسوس .

## كسوة الحبوب :

وكما في الأقراص . . قد تكسى الحبوب لتحسين مظهرها أو لتغطية الطعم الغير مستساغ للمواد التى تحتويها . . ولحفظ محتوياتها من الفساد عند التخزين . . أو لحمايتها من العصير المعدى . . أو لمنع تأثيرها على جدار المعدة .  
والمواد المناسبة لذلك :-

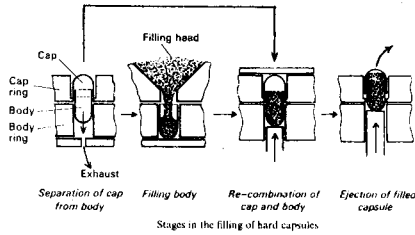
السكر - الشيكولاتة - زبدة الكاكاو - الجيلاتين - بلسم الطولو . . أيضا . . يمكن كسوة الحبوب بالكسوة المعوية بواسطة الكيراتين أو حمض الاستياريك أو بالسالول حينما يراد تفتيتها في الأمعاء وليس في المعدة كما في حالة الأقراص .  
ومن أمثلة الحبوب :- حبوب الكسكارا والبلادونا - حبوب الصبر والحديد - حبوب الكوديين - حبوب الحنظل والسكرات .

## الكبسولات CAPSULES

الكبسولات هى جرعات مفردة جامدة يكون الدواء فيها فى داخل محافظ صلبة أولدنة أو مرنة قابلة للذوبان .

وتكون كروية أو بيضاوية أو اسطوانية ذات أطراف مستديرة . وهي مختلفة الأحجام وتتكون المحافظ عادة من جزئين . . ينطبق أحدهما على الآخر .  
وتصنع من الجيلاتين GELATIN أو من ميثيل السليولوز METHYL CELLULOSE وقد تلدن بالجلسرين أو بالسوربتول أو بالسكر . . أو بأية مادة أخرى مناسبة وقد تضاف إليها أصباغ أو مواد ملونة .  
كما يلزم إضافة مادة حافظة لمنع التخمر الفطري وبخاصة في حالة المحافظ الجيلاتينية .  
وتستعمل المحافظ اللدنة SOFT CAPSULES للمواد السائلة أو شبه السائلة . ولا تستعمل الكبسولات للمحتويات التي تذيب مادة المحافظ . والمواد القوية المفعول . . والتي تكون جرعاتها صغيرة . . يجوز تخفيفها بمواد خاملة قبل توزيعها على المحافظ .  
أما المواد التي تتسيل مخالطها مثل مخلوط المنثول والكافور والكلورال هيدرات , MENTHOL , CAMPHER, CHLORAL HYDRATE فيمكن وضعها في محافظ صلبة . . على أن تخلط بإداة ماصة مثل :-  
كربونات المغنسيوم :

أما الخلاصات السائلة وكذلك المواد التي تحتوى على نسبة كبيرة من الماء فيجب تبخيرها وتركيزها أولا ثم مزجها بالبرافين السائل أو أى زيت مناسب . ثم وضعها في محافظ لدنة .  
وتمتاز الكبسولات على الأقراص بأنه يمكن التحكم فى كمية المفرد الدوائى أو المفردات الدوائية بحسب حاجة المريض .



وأمثلة على الكبسولات المستعملة :-

- كبسولات الأمسلين .
- كبسولات الكلورا مفينيكول .
- كبسولات أوكسى تراسيكلين .
- كبسولات تراسيكلين .
- كبسولات كلور تراسيكلين .

والحمد لله رب العالمين

\*\*\*\*\*

## المراجع

Text book of pharmaceuticals. E.A. RAWLINS

دستور الأدوية المصرى ١٩٧٢ م  
المعجم الطبى الصيدلى الحديث . دكتور على محمود عويضة .

# مختارات من





# تَنْبِيهَاتٌ هَامَّةٌ

عَلَى مَا كَتَبَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَلِيُّ الصَّابُونِي  
فِي صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

لِسَمَاتِحِ تَيْجِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ سَدِّ بْنِ بَارِزٍ  
الرَّئِيسِ الْعَامِلِ لِادَارَةِ الْجُمُوعِ الْعَلَمِيَّةِ وَالرِّفْقَانِ وَالرَّعِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن ولاة أما بعد :  
فقد اطلعت على المقابلة التي اجرتها مجلة «المجتمع» مع فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني ونشرت في العدد رقم ٦١٣ وتاريخ ١٤٠٣/٦/٧ هـ وعلى مقالاته الست المنشورة في اعداد المجتمع رقم ٦٣٧ وتاريخ ١٤٠٣/٩/١٧ هـ ورقم ٦٢٨ وتاريخ ١٤٠٣/٩/٢٤ هـ ورقم ٦٢٩ وتاريخ ١٤٠٣/١٠/٩ هـ ورقم ٦٣٠ وتاريخ ١٤٠٣/١٠/١٦ هـ ورقم ٦٣١ وتاريخ ١٤٠٣/١٠/٢٣ هـ ورقم ٦٤٦ وتاريخ ١٤٠٤/٢/١٧ هـ وقد اشتملت على أخطاء نبه على بعضها صاحب الفضيلة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان في مقاله المنشور بمجلة الدعوة في عدد ١٥ رقم ٩٠٤ وتاريخ ١٤٠٣/١٠/٢٩ هـ وفي مجلة المجتمع بعددها رقم ٦٤٦ وتاريخ ١٤٠٤/٢/١٧ هـ و٦٥٠ في ١٤٠٤/٢/٢٤ هـ وقد أجاد وأفاد وأحسن جزاه الله خيرا ونصر به الحق وقد رأيت التنبيه على ما وقع فيها من أخطاء تأكيدا لما ذكره الدكتور صالح ومشاركة في الخير ونشر الحق واستدراكا لأخطاء لم يتعرض لها فضيلة الدكتور صالح في مقالته المشار اليهما والله الموفق فاقول :

١ - قوله عن تقليد الأئمة الأربعة (انه من اوجب الواجبات) لاشك أن هذا الاطلاق خطأ إذ لا يجب تقليد احد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم مهما كان علمه لأن الحق في اتباع الكتاب والسنة لا في تقليد أحد من الناس وانما قصارى الأمر ان يكون التقليد سائغا عند الضرورة لمن عرف بالعلم والفضل واستقامة العقيدة كما فصل ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه اعلام الموقعين . ولذلك كان الأئمة رحمهم الله لا يرضون أن يؤخذ من كلامهم الا ما كان موافقا للكتاب والسنة قال الإمام مالك رحمه الله (كل يؤخذ من قوله ويرد الا

صاحب هذا القبر) يشير الى قبر رسول الله ﷺ . وهكذا قال اخوانه من الأئمة هذا المعنى . فالذي يتمكن من الاخذ بالكتاب والسنة يتعين عليه ألا يقلد احدا من الناس ويأخذ عند الخلاف بما هو أقرب الأقوال لإصابة الحق والذي لا يستطيع ذلك فالمشروع له أن يسأل اهل العلم كما قال الله عز وجل ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ .

٢ - قال (إذا كان ابن تيمية رحمه الله مع درجة علمه لم يصل الى مرتبة الاجتهاد وانما مذهبه حنبلي يتقيد به في كثير من الاحيان) وهذا القول فيه نظر بل هو خطأ ظاهر فان شيخ الإسلام رحمه الله من أعلم المجتهدين وقد توافرت فيه شروط الاجتهاد وانتسابه الى المذهب الحنبلي لا يخرج عن ذلك لأن المقصود من ذلك موافقته لأحمد في أصول مذهبه وقواعده وليس المقصود من ذلك أنه يقلده فيما قاله بغير حجة وانما كان يختار من الأقوال أقربها الى الدليل حسبما يظهر له رحمه الله .

٣ - ذكر أن الخلافات في العقيدة ضيقة وقال : (الذين يقولون بضلال مذهب الأشاعرة نقول لهم ارجعوا الى فتاوى ابن تيمية واقروا ماذا كتب ابن تيمية عن أبي الحسن الأشعري حتى نفهم أن هؤلاء جهلة) اهـ .

والجواب أن يقال : لاشك أنه ضل بسبب الخلاف في العقيدة فرق كثيرة كالمعتزلة والجهمية والرافضة والقدرية وغيرهم وأيضا الأشاعرة ضلوا فيما خالفوا فيه الكتاب والسنة وما عليه خيار هذه الأمة من أئمة الهدى كالصحابه رضى الله عنهم والتابعين لهم باحسان والأئمة المهتدين فيما تأولوه من أسماء الله وصفاته على غير تأويله وأبو الحسن الأشعري رحمه الله ليس من الأشاعرة وان انتسبوا اليه لكونه رجع عن مذهبهم واعتنق مذهب أهل السنة فمدح الأئمة له ليس مدحا لمذهب الأشاعرة .

ولا يصح أن يرمى من اعترض على الأشاعرة فيما خالفوا فيه عقيدة أهل السنة بالجهل لأن حقيقة الجهل هو القول على الله بغير علم أما من أخذ بالكتاب والسنة وقواعد الشرع المعتبرة وسار على طريق سلف الأمة وانكر على من تأول أسماء الله وصفاته أو شيئا منها على غير تأويلها فانه لا يرمى بالجهل .

٤ - قال (انما القوامة للرجل قوامة تكليف وليست قوامة تشریف) .

والجواب أن يقال : هذا خطأ والصواب أن يقال إن قوامة الرجال على النساء قوامة تكليف وتشریف لقول الله جل وعلا : ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا﴾ الآية . فأوضح سبحانه أنه جعل الرجال قوامين على النساء لأمرين أحدهما فضل جنس الرجال على جنس النساء والأمر الثاني قيام الرجال بالانفاق على النساء بما يدفعونه من المهور وغيرها من النفقات .



٥ - قال في مقاله الأول بعد المقدمة مانصه (ولا يجوز أن تجعلهم - يعني بتلك الأشاعرة والماتوريدية - في صف الروافض والمعتزلة والخوارج الذين انحرفوا عن أهل السنة والجماعة غاية ما في الأمر أن نقول إنهم مخطئون في التأويل ذلك لأن الأسلم أن نفوض الأمر في موضوع الصفات الى علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية) اهـ .

والجواب أن يقال: الفرق المخالفة لأهل السنة متفاوتون في أخطائهم فليس الأشاعرة في خطئهم كالخوارج والمعتزلة والجهمية بلاشك ولكن ذلك لا يمنع من بيان خطأ الأشاعرة فيما أخطأوا فيه ومخالفتهم لأهل السنة في ذلك كما قد بين خطأ غيرهم لاظهار الحق وبيان بطلان ما يخالفه تبليغا عن الله سبحانه وعن رسوله ﷺ وحذرا من الوعيد المذكور في قوله تعالى ﴿إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾ ثم يقال ليس الأسلم تفويض الأمر في الصفات الى علام الغيوب لأنه سبحانه بينها لعباده وأوضحها في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ ولم يبين كيفيتها فالواجب تفويض علم الكيفية لا علم المعاني وليس التفويض مذهب السلف بل هو مذهب مبتدع مخالف لما عليه السلف الصالح . وقد أنكر الإمام أحمد رحمه الله وغيره من أئمة السلف على أهل التفويض ، وبدعوهم لأن مقتضى مذهبهم أن الله سبحانه خاطب عباده بما لا يفهمون معناه ولا يعقلون مراده منه والله سبحانه وتعالى يتقدس عن ذلك وأهل السنة والجماعة يعرفون مراده سبحانه بكلامه ويصفونه بمقتضى أسمائه وصفاته وينزهونه عن كل مالا يليق به عز وجل . وقد علموا من كلامه سبحانه ومن كلام رسوله ﷺ أنه سبحانه موصوف بالكمال المطلق في جميع ما أخبر به عن نفسه أو أخبر به عنه رسوله ﷺ وأنا أذكر بعض النقول المهمة عن السلف الصالح في هذا الباب ليتضح للقارئ صحة ما ذكرنا .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالة الفتوى الحموية ما نصه (روى أبو بكر البيهقي في الأسماء والصفات باسناد صحيح عن الأوزاعي قال كنا - والتابعون متوافرون - نقول ان الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات . فقد حكى الأوزاعي وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابع التابعين الذين هم مالك إمام أهل الحجاز والأوزاعي إمام أهل الشام والليث إمام أهل مصر والثوري إمام أهل العراق - حكى شهرة القول في زمن التابعين بالايان بأن الله تعالى فوق العرش وبصفاته السمعية .

وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف هذا .

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الأوزاعي قال : سئل مكحول والزهري عن

تفسير الأحاديث فقالوا : امروها كما جاءت وروى أيضا عن الوليد بن مسلم قال سألت مالك ابن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا : امروها كما جاءت وفي رواية - قالوا امروها كما جاءت بلا كيف . وقولهم رضي الله عنهم : امروها كما جاءت رد على المعطلة وقولهم : بلا كيف رد على الممثلة .

والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم والأربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين ومن طبقاتهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهما .

وروى أبو القاسم الأزجي بإسناده عن مطرف بن عبد الله قال سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول : قال عمر بن عبد العزيز : سن رسول الله ﷺ وولاية الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد من خلق الله تغييرها ولا النظر في شيء خالفها من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا .

وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة قال سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى . قال : الاستواء غير مجهول . والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق . وهذا الكلام مروى عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبد الرحمن من غير وجه (ومنها) ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى فاطرق مالك برأسه حتى علاه الرخصاء ثم قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك الا مبتدعا فأمر به أن يخرج .

فقول ربيعة ومالك الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايان به واجب . موافق لقول الباقيين : امروها كما جاءت بلا كيف . فانما نفوا علم الكيفية ولم ينفوا حقيقة الصفة ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ولما قالوا امروها كما جاءت بلا كيف فان الاستواء حينئذ لا يكون معلوما بل يكون مجهولا بمنزلة حروف المعجم وأيضا فانه لا يحتاج الى نفي علم الكيفية اذا لم يفهم عن اللفظ معنى وإنما يحتاج الى نفي علم الكيفية إذا اثبتت الصفات .

وأیضا فان من ينفي الصفات الجزئية أو الصفات مطلقا لا يحتاج الى أن يقول بلا كيف فمن قال ان الله ليس على العرش لا يحتاج ان يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف

نفى الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف . وأيضا فقولهم : امرؤها كما جاءت يقتضى ابقاء دلالتها على ما هي عليه فانها جاءت ألفاظ دالة على معانى فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب ان يقال امروا لفظها مع اعتقاد ان المفهوم منها غير مراد أو امروا لفظها مع اعتقاد ان الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة وحينئذ تكون قد امرت كما جاءت ولا يقال حينئذ بلا كيف إذ نفى الكيف عما ليس بثابت لغو من القول اهـ) .

٦ - نقل في المقال المذكور عن الشيخ حسن البنا رحمه الله ما نصه ( نجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه) .

والجواب ان يقال نعم يجب ان نتعاون فيما اتفقنا عليه من نصر الحق والدعوة اليه والتحذير مما نهى الله عنه ورسوله أما عذر بعضنا لبعض فيما اختلفنا فيه فليس على اطلاقه بل هو محل تفصيل فما كان من مسائل الاجتهاد التي يخفى دليلها فالواجب عدم الانكار فيها من بعضنا على بعض أما ما خالف النص من الكتاب والسنة فالواجب الانكار على من خالف النص بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن عملا بقوله تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ وقوله سبحانه ﴿والمؤمنون المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ الآية .

وقوله عز وجل ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ وقول النبي ﷺ ( من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ) وقوله ﷺ ( من دل على خير فله مثل أجر فاعله ) اخرجها مسلم في صحيحه . والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

٧ - ثم نعى الكاتب الشيخ محمد علي الصابوني في مقاله الثاني على المسلمين تفرقهم الى سلفي وأشعري وصوفي وماتوريدي . . . الخ ولاشك ان هذا التفرق يؤلم كل مسلم ويجب على المسلمين أن يجتمعوا على الحق ويتعاونوا على البر والتقوى ولكن الله سبحانه قدر ذلك على الأمة لحكم عظيمة وغايات محمودة يحمد عليها سبحانه ولا يعلم تفاصيلها سواه ومن ذلك التمييز بين أوليائه وأعدائه والتمييز بين المجتهدين في طلب الحق والمعرضين عنه المتبعين لأهوائهم الى حكم أخرى وفي ذلك تصديق لنبيه ﷺ ودليل على انه رسول الله حقا لكونه ﷺ قد أخبر عن هذا التفرق قبل وقوعه فوق كما أخبر حيث قال ﷺ ( ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال هي الجماعة ) وفي رواية أخرى قال : ( ما أنا عليه وأصحابي ) وهذا يوجب على المسلمين ان يجتمعوا على الحق وان يردوا ما تنازعوا فيه الى الله والرسول لقول الله عز وجل : ﴿ فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن

تأويلاً ﴿ وقوله سبحانه : ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ﴾ الآية وهاتان الآيتان الكريمتان تدلان على ان الواجب على المسلمين رد ما تنازعا فيه في العقيدة وغيرها الى الله سبحانه وتعالى والى رسوله ﷺ وبذلك يتضح الحق لهم وتجتمع كلمتهم عليه ويتحد صفهم ضد أعدائهم أما بقاء كل طائفة على ما لديها من باطل وعدم التسليم للطائفة الأخرى فيما هي عليه من الحق فهذا هو المحذور والمنهى عنه وهو سبب تسليط الأعداء على المسلمين واللوم كل اللوم على من تمسك بالباطل وابى ان ينصاع الى الحق أما من تمسك بالحق ودعى اليه وأوضح بطلان ما خالفه فهذا لا لوم عليه بل هو مشكور وله أجران اجر اجتهاده واجر اصابته للحق .

٨ - ذكر الصابوني في مقاله الثاني ان أهل السنة اشتهروا بمذهبين اثنين أحدهما مذهب السلف والآخر مذهب الخلف . . . الخ .

وهذا غلط بين لم يسبقه اليه أحد فيما أعلم فان مذهب أهل السنة واحد فقط وهو ما درج عليه أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم بإحسان وهو اثبات أسماء الله وصفاته وامرارها كما جاءت والايان بانها حق وان الله سبحانه موصوف بها على الوجه الذي يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل لها عن ظاهرها ولا تفويض بل يؤمنون بأن معانيها معلومة وأنها حق لا ثقة بالله سبحانه وتعالى لا يشابه خلقه في شيء منها ومذهب الخلف بخلاف ذلك كما يعلم ذلك من قرأ كلام هؤلاء وكلام هؤلاء - ثم ذكر أن أهل السنة يفوضون علم معاني الصفات الى الله وكرر ذلك في غير موضع وقد أخطأ في ذلك ونسب اليهم ما هم براء منه كما تقدم بيان ذلك فيما نقلناه من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن جمع من أهل السنة رحمة الله عليهم وانما يفوض أهل السنة الى الله سبحانه علم الكيفية لا علم المعاني كما سبق إيضاح ذلك .

٩ - ثم ذكر الصابوني هداه الله تنزيه الله سبحانه عن الجسم والحدقة والصماخ واللسان والحنجرة وهذا ليس بمذهب أهل السنة بل هو من أقوال أهل الكلام المذموم وتكلفهم فان أهل السنة لا ينفون عن الله إلا ما نفاه عن نفسه أو نفاه رسوله ﷺ ولا يثبتون له إلا ما أثبت له نفسه أو أثبت له رسوله ﷺ ولم يرد في النصوص نفى هذه الأمور ولا اثباتها فالواجب الكف عنها وعدم التعرض لها بنفي ولا إثبات ويغني عن ذلك قول أهل السنة في إثبات صفات الله وأسمائه أنه لا يشابه فيها خلقه وأنه سبحانه لا ند له ولا كفو له - قال الإمام أحمد رحمه الله لا يوصف الله إلا بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث ( وهذا هو معنى كلام غيره من أئمة السنة وأما ما وقع في كلام البيهقي رحمه الله في

كتابه الاعتقاد من هذه الأمور فهو محل دخل عليه من كلام المتكلمين وتكلفهم فراج عليه واعتقد صحته والحق أنه من كلام أهل البدع لا من كلام أهل السنة .

١٠ - ثم قال الصابوني في مقاله الثاني ما نصه : (أما ما يتخيله بعض الجهلة من ادعاء العلم اليوم الذين يصورون الله بصورة غريبة عجيبة ويجعلون الله تعالى كأنه جسم مركب من أعضاء وحواس له وجه ويدان وعينان وله ساق وأصابع وهو يمشى وينزل ويهول ويقولون في تقرير هذه الصفات أن الله يجلس كما يجلس الواحد على السرير وينزل كما ينزل أحدنا على الدرج - يريد بزعمه أن يقرر مذهب السلف الصالح للتلاميذ ويثبت لهم حقيقة معنى الاستواء والنزول وأنه جلوس حس لا كما يتأوله المؤولون فهذا والعياذ بالله عين الضلالة لأنه شبهه وجسم وهو كمن فر من حفرة صغيرة ليقع في هوة عميقة يتحطم فيها ويهوى فيها إلى مكان سحيق) أ. ه .

وأقول أن الأخ الصابوني هداه الله قد جمع في هذا الكلام حقا وباطلا يعلمه كل صاحب سنة وإليك أيها القارئ المؤمن التفاصيل في ذلك :

أما الوجه واليدان والعينان والساق والأصابع فقد ثبتت في النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة وقال بها أهل السنة والجماعة وأثبتوها لله سبحانه على الوجه اللائق به سبحانه وهكذا النزول والهرولة جاءت بها الأحاديث الصحيحة ونطق بها الرسول ﷺ وأثبتها لربه عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه من غير مشابهة لخلقه ولا يعلم كيفية هذه الصفات إلا هو سبحانه فانكار الصابوني هذه الصفات انكار على النبي ﷺ بل انكار على الله عز وجل لأنه سبحانه ذكر بعضها في كتابه العزيز وأوحى البعض الآخر لنبيه ﷺ فإنه ﷺ لا ينطق عن الهوى وإنما يخبر عن الله سبحانه بما أوحى إليه فالصابوني هداه الله تارة يقول أنه يلتزم بمذهب أهل السنة وتارة ينقضه ويخالفه فإننا لله وإنا إليه راجعون ونسأل الله لنا وله الهداية والرجوع إلى الحق ، وأما قوله : ويقولون في تقرير هذه الصفات أن الله يجلس كما يجلس الواحد على السرير وينزل كما ينزل أحدنا على الدرج . الخ . فهذا أهل السنة براء منه بل هو من كلام المشبهة الذين كفرهم السلف الصالح وأنكروا مقالاتهم لكونها مصادمة لقول الله عز وجل ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وما جاء في معناها من الآيات فلا يجوز لأحد أن يخلط بين كلام أهل الحق من أهل السنة وكلام أهل الباطل من المشبهة وغيرهم ولا يميز بينهما بل الواجب التفصيل والتمييز .

١١ - ثم زعم الصابوني في مقاله الثالث أن أول من كتب في أصول الدين ورد شبهات أهل الزيغ والضلال أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتوريدي .

وهذا جزم غير صحيح فقد سبقهما في ذلك الامام أبو حنيفة رحمه الله والامام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون والامام مالك رحمه الله والامام أحمد بن حنبل

والامام محمد بن اسحاق بن خزيمة والامام عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على المريسي والامام عبد العزيز الكنانى صاحب الحيدة وغيرهم ممن لا يحصى .

١٢ - ثم كرر الصابونى هداه الله فى مقاله الثالث قوله (أن السلف لهم مذهبان مذهب أهل التفويض ومذهب أهل التأويل إلى آخر ما قال إلى أن قال (إن بعضهم يفضل مذهب السلف ويقول أنه أسلم والبعض الآخر يفضل مذهب الخلف ويقول هو أحكم) أ. ه .

والجواب : أن هذا التقسيم باطل كما تقدم وليس للسلف إلا مذهب واحد وهو مذهب أهل السنة والجماعة وهم الصحابة رضى الله عنهم . وأتباعهم بإحسان وهو الأسلم والأعلم والأحكم ، أما المذهب الثانى فهو مذهب الخلف المذموم . وهو مذهب أهل التأويل والتحريف والتكلف ولا يلزم من ذم مذهب الخلف والتحذير منه القول بتكفيرهم فإن التفكير له حكم آخرينى على معرفة قول الشخص وما لديه من الباطل ومدى مخالفته للحق فلا يجوز أن يقال أنه يلزم من ذم مذهب الخلف أو الانكار على الأشاعرة ما وقعوا فيه من تأويل الصفات وتحريفها إلا صفات قليلة استثناها القول بتكفيرهم وإنما المقصود بيان مخالفتهم لأهل السنة فى ذلك وبطلان ما ذهب إليه الخلف من التأويل وبيان أن الصواب هو مذهب السلف الصالح وهم أهل السنة والجماعة فى امرار آيات الصفات وأحاديثها واثبات ما دلت عليه من الأسماء والصفات على الوجه اللائق بالله سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تأويل ولا تكيف ولا تمثيل كما سبق ذكر ذلك غير مرة والله المستعان . ثم ذكر كلام البيهقى هنا وقد تقدم ما فيه وأنه رحمه الله دخلت عليه ألفاظ من ألفاظ أهل البدع فراجت عليه وظنها صوابا فأدخلها فى كتابه وهو من جملة الذين خاضوا فى الكلام وعلقوا باعتقاده بعض ما فيه من الشرساحه الله وعفى عنه . كما نبه على ما يدل على ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى الفتاوى ج ٦ ص ٥٣ .

١٣ - ثم قال الصابونى فى مقاله الثالث ما نصه (ولا يظن أحد أننا نفضل مذهب الخلف على مذهب السلف ولسنا على رأى الذى يقوله علماء الكلام (مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أحكم بل نقول عن ايمان ويقين أن مذهب السلف هو الأسلم وهو الأحكم فلا نحاول أن نؤل صفات الخالق جل وعلا بل نؤمن بها كما جاء ونقر بها كما وردت مع نفى التشبيه والتجسيم .

ثم استشهد بقول بعض الشعراء :

إن المفروض سالم مما تكلفه المؤل

إلى أن قال (وإذا كان من أول فى الصفات ضال فسنضل السلف الصالح جميعا لأنهم أولوا قوله تعالى ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾

قالوا معهم بعلمه لا بذاته وأولوا قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ قالوا معية علم لثلا تتعدد الذات . وسنحكم بضلال الحافظ بن كثير لأنه قال في قوله تعالى ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ ملائكتنا أقرب إليه منكم ولكن لا ترونهم كما أول قوله تعالى ﴿ونحن أقرب إليه من جبل الوريد﴾ قال المراد ملائكتنا أقرب إلى الانسان من جبل وريده إليه والحلول والاتحاد منفي بالاجماع تعالى الله وتقدس . وقال (بل نقول انه يتعين التأويل أحيانا كما في الحديث الصحيح (الحجر الأسود يمين الله في أرضه) وكما قال عن سفينة نوح (وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر) أ. ه .

والجواب أن يقال قد أحسنت في اختيار مذهب السلف الصالح واعتقاد انه الأسلم والأحكم ولكنك لم تثبت عليه بل تارة تحتار مذهب التأويل وتارة تحتار مذهب التفويض والواجب على المؤمن الثبات على الحق وعدم التحول عنه وما ذكرته عن السلف من تفسير قوله تعالى ﴿وهو معكم﴾ بالعلم ليس بالتأويل ولكنه هو معنى آيات المعية عند أهل السنة والجماعة . كما حكى الإمام أبو عمر بن عبد البر وأبو عمر الطلمنكي إجماع أهل السنة على ذلك وذلك لأن النصوص من الكتاب والسنة الدالة على علوه وفوقيته وتنزيهه سبحانه عن الحلول والاتحاد تقتضي ذلك ومن تأمل الآيات الواردة في ذلك علم انها تدل على ان المراد بالمعية العلم بأحوال عباده واطلاعه على شؤنهم مع دلالة المعية الخاصة على كلاءته ورعايته وحفظه ونصره لأنبيائه وأوليائه . مع علمه واطلاعه على أحوالهم والعرب الذين نزل الكتاب وجاءت السنة بلغتهم يعلمون ذلك ولا يشبهه عليهم ولهذا لم يسألوا النبي ﷺ عن معاني هذه الآيات لظهورها لهم أما النصوص الأخرى فلا تحتاج الى تأويل لان المعنى فيها ظاهر مثل قوله سبحانه ﴿تجري بأعيننا﴾ و ﴿لتصنع على عيني﴾ و ﴿واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا﴾ فلا يدور بخلد أحد ان السفينة بعين الله سبحانه ولا أن محمدا عليه الصلاة والسلام في عين الله وإنما المراد بذلك ان السفينة تجري برعاية الله وعنايته وتسخيرها لها وحفظه لها وان محمدا ﷺ تحت رعاية مولاه وعنايته وحفظه وكلاءته وهكذا قوله في حق موسى ﴿ولتصنع على عيني﴾ أي تحت رعايتي وحفظي وهكذا حديث (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصره) يفسره قوله في الرواية الأخرى (فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطن وبي يمشي) ولا يظن من له أدنى بصيرة ممن يعرف اللغة العربية ان المراد بذلك ان الله سبحانه هو سمع الإنسان وبصره وهو يده ورجله . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وإنما أراد من ذلك سبحانه بيان توفيقه لأوليائه وتسديده لهم في حواسهم وحركاتهم بسبب طاعتهم له وقيامهم بحقه وهكذا الأحاديث الأخرى كقوله (الحجر يمين الله) فانه حديث ضعيف

والصواب وقفه على ابن عباس ومعناه ظاهر سواء كان مرفوعاً أو موقوفاً وقد قال في نفس الحديث (فكانها صافح الله وقبل يمينه فدل على ان الحجر ليس هو يمين الله وإنما شبهه مستلمه ومقبله بمن صافح الله وقبل يمينه ترغيباً في استلامه وتقبيله وهكذا قول الله سبحانه في الحديث الصحيح لعبده (مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني) قد بين في هذا الحديث ما يدل على معناه حيث قال سبحانه اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده ولو اطعمته لوجدت ذلك عندي فعلم بذلك ان الله سبحانه لم يمرض ولم يجع وإنما أراد سبحانه من ذلك حث العباد على عيادة المريض واطعام الجائع واما قوله سبحانه (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقوله: ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ﴾ فقد فسره جماعة بقرب الملائكة لأن قربهم من العبد حين يتلقى المتلقيان وحين الموت كان بأمره سبحانه وتقديره ورعايته لعباده وفسره آخرون بأنه قربه سبحانه بعلمه وقدرته واحاطته بعباده كالمعية وكقربه من عابديه وسائليه مع علوه وفوقيته سبحانه وليس المراد الحلول ولا الاتحاد تعالى الله عن ذلك وتقدس لأن الأدلة القطعية من الكتاب والسنة تدل على أن الله سبحانه فوق العرش بائن من خلقه عال عليهم وعلمه في كل مكان فمن تدبر النصوص من الكتاب والسنة وفسر بعضها ببعض اتضح له المعنى ولم يحتاج الى التأويل وقد اختار أبو جعفر بن جرير رحمه الله في تفسيره القول الثاني في سورة (ق) والقول الأول في سورة الواقعة وقد أنكر أهل السنة على من تأول نصوص الصفات وبدعوه لما يترتب على تأويلها من أنواع الباطل وتحريف الكلم عن مواضعه وتجريد الرب سبحانه من صفات الكمال وسوء الظن به وأنه خاطب عباده بما ظاهره تشبيه وتمثيل وان المراد غيره . وهذا هو التأويل المذموم وهذا هو الذي سلكه أهل الكلام وأنكره عليهم أهل السنة وضللوهم في ذلك لكونهم تأولوا النصوص عن ظاهرها وصرفوها عن الحق الذي دلت عليه بلا حجة ولا برهان من كتاب ولا سنة بل بمقتضى عقولهم وآرائهم التي لم ينزل الله بها من حجة ولا قام عليها برهان . وقد الزمواهم فيما أثبتوا نظير ما فروا منه فيما تأولوه وهو لازم لهم بلا شك ولا يسلم من التناقض واللوازم الباطلة الا من أثبت ما أثبتته الله ورسوله ونفى ما نفاه الله ورسوله وهم أهل السنة والجماعة والله المستعان .

١٤ - ثم دعا في مقاله الرابع الى جمع الكلمة بين الفئات الاسلامية وتضافر الجهود ضد أعداء الاسلام وذكر أن الوقت ليس وقت مهاجمة لاتباع المذاهب ولا للأشاعرة ولا للاخوان حتى ولا للصوفيين) اهـ .

والجواب ان يقال :

لا ريب انه يجب على المسلمين توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم على الحق وتعاونهم على البر والتقوى ضد أعداء الاسلام كما أمرهم الله سبحانه بذلك بقوله عز وجل ﴿ اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ وحذرهم من التفرق بقوله سبحانه ﴿ ولا تكونوا



كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ﴿ الآية . ولكن لا يلزم من وجوب اتحاد المسلمين وجمع كلمتهم على الحق واعتصامهم بحبل الله الا ينكروا المنكر على من فعله أو اعتقده من الصوفية أو غيرهم بل مقتضى الأمر بالاعتصام بحبل الله أن يتآمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر ويبينوا الحق لمن ضل عنه أو ظن ضده صوابا بالأدلة الشرعية حتى يجتمعوا على الحق وينبذوا ما خالفه وهذا هو مقتضى قوله سبحانه ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ وقوله سبحانه ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ ومتى سكت أهل الحق عن بيان اخطاء المخطئين واغلاط الغالطين لم يحصل منهم ما أمرهم الله به من الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعلوم ما يترتب على ذلك من إثم الساكت عن انكار المنكر وبقاء الغالط على غلظه والمخالف للحق على خطأه وذلك خلاف ما شرعه الله سبحانه من النصيحة والتعاون على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله ولي التوفيق .

١٥ - ثم ذكر في مقاله الخامس ما نصه ( ليس مذهب السلف الصالح - الذي اسلفنا الحديث عنه في مقالاتنا السابقة في موضوع صفات البارئ جل وعلا هو ) التفويض المطلق ( كما يتوهم البعض من الناس بل هو مسلك آخر يدل على نظر ثاقب وفهم سليم مستقيم لنصوص الكتاب والسنة ويتلخص هذا المسلك والمنهج في الآتي :

أولا : تأويل ما لا بد من تأويله من آيات الصفات وأحاديث الصفات مما لا مندوحة عن تأويله لأسباب لغوية أو شرعية أو اعتقادية .

ثانيا : اثبات ما أثبتته القرآن الكريم أو السنة المطهرة من صفات الله جل وعلا ( السمع والبصر ) والكلام والمحبة . والرضى والاستواء والنزول والايان والمجيء وغيرها من الصفات والإيمان بها على مراد الله عز وجل بطريق التسليم والتفويض دون تشبيه أو تعطيل أو تجسيم أو تمثيل ( ا . هـ .

والجواب ان يقال :

ان هذه الدعوى على مذهب السلف دعوى لا أساس لها من الصحة فان السلف الصالح ليس مذهبهم التفويض لأسماء الله وصفاته لا تفويضا عاما ولا خاصا وإنما يفوضون علم الكيفية كما تقدم بيان ذلك وكما نص على ذلك مالك وأحمد وغيرهما وقبلهما أم سلمة رضى الله عنهما وربيعه بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك رضى الله عن الجميع وليس من مذهب السلف أيضا تأويل الصفات بل يمرونها كما جاءت ويؤمنون بمعانيها على الوجه اللائق بالله سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل كما سلف ذكر ذلك غير مرة .

وليس من مذهب السلف أيضا نفى التجسيم ولا اثباته لأن ذلك لم يرد في الكتاب ولا

في السنة ولا في كلام سلف الأمة كما نص على ذلك غير واحد من أئمة السنة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد نص على ذلك في كتابه التدمرية حيث قال في القاعدة السادسة ( ولهذا لما كان الرد على من وصف الله تعالى بالنقائص بهذا الطريق طريقا فاسدا لم يسلكه أحد من السلف أو الأئمة فلم ينطق أحد منهم في حق الله بالجسم لا نفيا ولا اثباتا ولا بالجواهر والتحيز ونحو ذلك لأنها عبارات مجملة لا تحقق حقا ولا تبطل باطلا . ولهذا لم يذكر الله في كتابه فيما انكره على اليهود وغيرهم من الكفار ما هو من هذا النوع بل هذا هو من الكلام المتدع الذي انكره السلف والأئمة ) ا هـ .

وقال الحافظ بن رجب الحنبلي رحمه الله في كتابه فضل علم السلف على علم الخلف بعد كلام سبق (والصواب ما عليه السلف الصالح من امرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل ولا يصح عن أحد منهم خلاف ذلك البتة خصوصا الإمام أحمد ولا خوض في معانيها ولا ضرب مثل من الأمثال لها (وان كان بعض من كان قريبا من زمن الإمام أحمد فيهم من فعل شيئا من ذلك اتباعا لطريقة مقاتل فلا يقتدى به في ذلك إنما الاقتداء بأئمة الإسلام كابن المبارك ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد واسحاق وأبي عبيد ونحوهم وكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلا عن كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلام من سلم من قدح وجرح وقد قال أبو زرعة الرازي كل من كان عنده علم فلم يضمن علمه احتاج في نشره الى شيء من الكلام فلستم منه ) اهـ .

وليس فيما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته ما يجب تأويله بل لا بد ان يوجد في النصوص ما يدل على المعنى المراد الذي يجب اثباته لله على الوجه اللائق به من غير حاجة الى تأويل يخالف الظاهر من كلام الله ومن كلام رسوله ﷺ مع تفويض علم الكيفية الى الرب عز وجل كما سبق بيان ذلك في كلام أئمة السنة .

١٦ - ثم قال الصابوني في مقاله الخامس . هداه الله وألهمه التوفيق ما نصه (ولكني اربأ بإخواني السلفيين ان يتحملوا في أعناقهم وزر تضليل الأمة وتكفير أئمة المسلمين من أهل الفقه والحديث والتفسير الذين هم على مذهب الأشاعرة فماذا سنجنى ان فرقنا صف المسلمين ونسبنا الى الضلال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني شارح البخاري . وذكر جماعة آخرين ثم قال (وكل هؤلاء الأئمة الأجلاء وغيرهم من مذهب الإمام الأشعري . . الخ) اهـ .

والجواب ان يقال : ليس من أهل العلم السلفيون من يكفر هؤلاء الذين ذكرتهم وإنما يوضحون اخطاءهم في تأويل الكثير من الصفات ويوضحون ان ذلك خلاف مذهب سلف الأمة وليس ذلك تكفيرا لهم ولا تمزيقا لشملة الأمة ولا تفريقا لصفهم وإنما في ذلك النصح لله

ولعباده وبيان الحق والرد على من خالفه بالأدلة النقلية والعقلية والقيام بما أوجب الله سبحانه على العلماء من بيان الحق وعدم كتمانهم بالدعوة الى الله والارشاد الى سبيله ولو سكت أهل الحق عن بيانه لاستمر المخطئون على أخطائهم وقلدهم غيرهم في ذلك وباء الساكتون باثم الكتمان الذي توعدهم الله عليه في قوله سبحانه ﴿ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا واصلحوا وبنوا فأولئك اتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾ وقد أخذ الله على علماء أهل الكتاب الميثاق لتبيينه للناس ولا يكتُمونه ودمهم على نبذه وراء ظهورهم وحذرنا من اتباعهم .

فإذا سكت أهل السنة عن بيان اخطاء من خالف الكتاب والسنة شابهوا بذلك أهل الكتاب المغضوب عليهم والضالين ثم يقال للأخ الصابوني ليس علماء الأشاعرة من اتباع أبي الحسن الأشعري لأنه رجع عن تأويل الصفات وقال بمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات وامرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل كما اوضح ذلك في كتابيه الابانة والمقالات فعلم مما ذكرنا أن من أول الصفات من المنتسبين للأشعري فليس على مذهبه الجديد بل هو على مذهبه القديم ومعلوم ان مذهب العالم هو ما مات عليه معتقدا له لا ما قاله سابقا ثم رجع عنه فيجب التنبه لذلك والحذر مما يلبس الأمور ويضعها في غير موضعها والله المستعان .

١٧ - ذكر الصابوني في مقاله السادس الذي بدأه بقوله (هذا بيان للناس . ان التأويل لبعض آيات وأحاديث الصفات لا يخرج المسلم عن جماعة أهل السنة فمنه ما هو خطأ ومنه ما هو صواب وهنا آيات صريحة في التأويل أولها الصحابة والتابعون وعلماء السلف وما يتجرأ أحد ان ينسبهم الى الضلال أو يخرجهم عن أهل السنة والجماعة ثم ضرب لذلك أمثلة منها قوله تعالى ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ ومنها ما ذكره سبحانه من استهزائه بالمستهزئين وسخريته من الساخرين بالمؤمنين ومكره بالماكرين وكذلك أيضا الحديث الصحيح عن قول الله عز وجل (مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني الى أن قال . . اذن ليس الأمر كما يظن البعض ان مذهب السلف ليس فيه تأويل مطلقا بل مذهب السلف هو تأويل ما لا بد من تأويله) ا . هـ .  
والجواب ان يقال : هذا الكلام فيه تفصيل وفيه حق وباطل فقوله (ان التأويل لبعض الصفات لا يخرج المسلم عن جماعة أهل السنة) صحيح في الجملة فالتأويل لبعض الصفات كالأشاعرة لا يخرج بذلك عن جماعة المسلمين ولا عن جماعة أهل السنة في غير الصفات ولكنه لا يدخل في جماعة أهل السنة عند ذكر اثباتهم للصفات وإنكارهم للتأويل فالأشاعرة وأشباههم لا يدخلون في أهل السنة في إثبات الصفات لكونهم قد خالفوه في ذلك وسلوكوا غير منهجهم وذلك يقتضى الانكار عليهم وبيان خطئهم في التأويل وان ذلك خلاف منهج أهل السنة والجماعة كما تقدم بيانه في أول هذه التنبيهات كما انه لا مانع ان يقال ان الأشاعرة

ليسوا من أهل السنة في باب الأسماء والصفات وان كانوا منهم في الأبواب الأخرى حتى يعلم الناظر في مذهبهم انهم قد اخطأوا في تأويل بعض الصفات وخالفوا أصحاب النبي ﷺ واتباعهم باحسان في هذه المسألة تحقيقا للحق وانكارا للباطل وانزالا لكل من أهل السنة والأشاعرة في منزلته التي هو عليها.

ولا يجوز ان ينسب التأويل الى أهل السنة مطلقا بل هو خلاف مذهبهم وإنما ينسب التأويل الى الأشاعرة وسائر أهل البدع الذين تأولوا النصوص على غير تأويلها.

أما الأمثلة التي مثل بها الأخ الصابوني للتأويل عند أهل السنة فلا حجة له فيها وليس كلامهم فيها من باب التأويل بل هو من باب ايضاح المعنى وازالة اللبس عن بعض الناس في معناها وهاك الجواب عنها: أما قوله تعالى ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ فليس المراد بالنسيان فيها النسيان في قوله تعالى ﴿وما كان ربك نسيا﴾ وفي قوله تعالى ﴿في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ بل ذلك له معنى والنسيان الميثب له معنى آخر فالنسيان الميثب في قوله تعالى ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ هو تركه إياهم في ضلالهم واعراضه عنهم سبحانه لتركهم أوامره واعراضهم عن دينه لنفاقهم وتكذيبهم. والنسيان المنفي عن الله سبحانه هو النسيان الذي بمعنى الذهول والغفلة فالله سبحانه منزّه عن ذلك لكمال علمه وكمال بصيرته بأحوال عباده واحاطته بكل شؤ ونهم فهو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ولا ينسى ولا يغفل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وبذلك يعلم ان تفسير النسيان بالترك في قوله تعالى ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم﴾ الآية، من سورة التوبة ليس من باب التأويل ولكنه من باب تفسير النسيان في هذا المقام بمعناه اللغوي لأن كلمة النسيان مشتركة يختلف معناها بحسب موارد كما بين ذلك علماء التفسير رحمهم الله قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في معنى الآية ما نصه (نسوا الله، أي نسوا ذكر الله (فنسيهم) أي عاملهم معاملة من نسيهم كقوله تعالى ﴿فاليوم نساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ ١. هـ

وهكذا ما ذكره الله سبحانه من استهزائه بالمستهزئين وسخريته بالساخرين ومكره بالماكرين وكيدته للكائدين لا يحتاج الى تأويل لكونه من باب الجزاء من جنس العمل لأن السخرية منه سبحانه بالساخرين كانت بحق وهكذا مكره بالماكرين واستهزأؤه بالمستهزئين وكيدته للكائدين كله بحق وما كان بحق فلا نقص فيه والله سبحانه يوصف بذلك لأن ذلك وقع منه على وجه يليق بجلاله وعظمته ولا يشابه ما يقع من الخلق لأن أعداءه سبحانه فعلوا هذه الأفعال معاندة للحق وكفرا به وانكارا له فعاملهم سبحانه بمثل ما فعلوا على وجه لا يشابه فيه أفعالهم ولا يعلم كيفيته الا هو سبحانه وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ومن كيدهم ومكرهم وسخريته بهم واستهزائه به امهالهم وانظارهم وعدم معاجلتهم

بالعقوبة ومن ذلك ما يظهره للمنافقين يوم القيامة من اظهاره لهم بعض النور ثم سلبهم إياه كما قال عز وجل في سورة الحديد ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغرکم بالله الغرور فالیوم لا یؤخذ منکم فدیة ولا من الذین کفروا مأواکم النار هی مولاکم وبئس المصیر﴾ . . .  
وهكذا قال علماء التفسير من أهل السنة في هذا المعنى :

قال الإمام ابن جرير رحمه الله بعد ان ذكر أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى ﴿الله يستهزىء بهم﴾ والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا ان معنى الاستهزاء في كلام العرب : اظهار المستهزىء للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ظاهرا وهو بذلك من قبله وفعله به مورثه مساءة باطنا وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر فإذا كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام بما اظهروا بألستهم من الاقرار بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله الذى أدخلهم في عداد من يشمله اسم الإسلام وان كانوا لغير ذلك مستبطنين أحكام المسلمين المصدقين اقرارهم بألستهم بذلك بضائر قلوبهم وصحائح عزائمهم وحميد أفعالهم المحققة لهم صحة إيمانهم مع علم الله عز وجل بكذبهم واطلاعه على خبث اعتقادهم وشكهم فيما ادعوا بألستهم انهم به مصدقون حتى ظنوا بالآخرة اذ حشروا في عداد من كانوا في عدادهم في الدنيا انهم واردون موردهم وداخلون مدخلهم والله جل جلاله مع اظهاره ما قد اظهر لهم من الأحكام الملحقهم في عاجل الدنيا وأجل الآخرة الى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه وتفريقه بينهم وبينهم معد لهم من أليم عقابه ونكال عذابه ما أعد منه لا عدى أعدائه وشر عباده حتى ميز بينهم وبين أوليائه فالحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الأسفل كان معلوما انه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم وان كان جزاء لهم على أفعالهم وعدلا ما فعل من ذلك بهم لاستحقاقهم إياه منه بعصيانهم له كان بهم بما اظهر لهم من الأمور التي اظهرها لهم من الحاقه أحكامهم في الدنيا بأحكام أوليائه وهم له أعداء وحشره إياهم في الآخرة مع المؤمنين وهم به من المكذبين الى أن يميز بينهم وبينه مستهزئا وبهم ساخرا ولهم خادعا وبهم ماكرا إذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخداعة ما وصفنا قبل دون أن يكون ذلك معناه في حال فيها المستهزىء بصاحبه له ظالم أو عليه فيها غير عادل بل ذلك معناه في كل أحواله إذا وجدت الصفات التي قدمنا ذكرها في معنى الاستهزاء وما اشبهه من نظائره) ١. هـ

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظرونا نقتبس من نوركم﴾ الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبده بن

سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو وحدثني سليم بن عامر قال خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو امامة الباهلي فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها قال أبو امامة: أيها الناس انكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات وتوشكون ان تظعنوا منه الى منزل آخر وهو بهذا يشير الى القبر بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق الا ما وسع الله ثم تنتقلون منه الى مواطن القيامة فانكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله فتبيض وجوه وتسود وجوه ثم تنتقلون منه الى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورا ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئا وهو المثل الذي ضربه الله تعالى في كتابه فقال ﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ﴿انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا﴾ وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ فيرجعون الى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب ﴿باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ الآية يقول سليم بن عامر فما يزال المنافق مغترا حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق والمؤمن ثم قال حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا ابن حيوة حدثنا ارضاه بن المنذر حدثنا يوسف بن الحجاج عن أبي امامة قال يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور الى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ وقال العوفي والضحاك وغيرهما عن ابن عباس بينما الناس في ظلمة اذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلا من الله الى الجنة فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فاظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ (انظرونا نقتبس من نوركم) فانا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون (ارجعوا وراءكم من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور) انتهى ما ذكره الحافظ ابن كثير .

وبما ذكرناه عن ابن جرير وابن كثير رحمة الله عليهما يتضح للقارىء ان المكر والسخرية بالكافرين والخذاع والاستهزاء بالمنافقين والكيد منه سبحانه لأعدائه كله على بابه ولا يحتاج الى تأويل بل هو حق من الله وعدل وجزاء لهم من جنس عملهم يليق به سبحانه وليس يماثل ما وقع من أعدائه لأن صفة الله سبحانه وأفعاله تليق به وكلها حق وعدل ولا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه وإنما يعلم العباد من ذلك ما أخبرهم به عز وجل في كتابه الكريم أو على لسان رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم .

١٨ - نقل الصابوني في مقاله السادس وفي بعض مقالاته السابقة: عن شيخ الإسلام

ابن تيمية رحمه الله ما نصه (والعلماء انصار علوم الدين والأشاعرة انصار أصول الدين)

وعزاه الى المجلد الرابع من الفتاوى وبمراجعة الفتاوى ص ١٦ من المجلد الرابع اتضح ان هذا الكلام من فتوى الفقيه أبي محمد لا من قول شيخ الإسلام وبذلك يعلم وهم الأخ الصابوني في النقل المذكور وهذا الكلام على فرض صحته لا يدل على أن الأشاعرة لا ينكر عليهم ما اخطأوا فيه فان القاعدة الشرعية كما نبه عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره ان العالم يمدح بما وافق فيه الكتاب والسنة ويذم على ما خالف فيه الكتاب والسنة وهذا الذى قاله رحمه الله هو الحق الذى عليه أهل السنة والجماعة فالأشاعرة وغيرهم يمدحون على ما قالوه وكتبوه في نصر الحق في أبواب أصول الدين وفي غيرها ويذمون على ما اخطأوا فيه احقاقاً للحق ورداً للباطل حتى لا يشتهب الأمر على من قل علمه والله المستعان .

١٩ - ذكر الصابوني في مقاله السادس ما نصه : (وفي الحديث الصحيح ثلاثة من أصول الايمان الكف عن قول (لا إله إلا الله ولا نكفر مسلماً يذنب والايان بالأقذار) أو كما قال ﷺ . أ. هـ .

وبمراجعتنا لهذا الحديث في الأصول المعتبرة اتضح أنه ضعيف جدا وقد رمز له السيوطي في الجامع بعلامة الضعف واخرجه أبو داود من طريق يزيد بن أبي نضرة عن أنس رضى الله عنه ويزيد هذا مجهول كما في التهذيب والتقريب . قال المناوي في فيض القدير (يزيد بن أبي نضرة بضم النون لم يخرج له أحد من الستة غير أبي داود وهو مجهول كما قال المزي وغيره) .

وبهذا يعلم ان جزم الأخ الصابوني بانه صحيح ليس في محله والأولى ان يقال في مثله هذا وروى عن النبي ﷺ فينقل بصيغة التمريض كما نص عليه أهل العلم في رواية الأحاديث الضعيفة ولم يسق الأخ الصابوني لفظه كما ورد . وإليك أيها القارىء نصه عند أبي داود لمزيد الفائدة (حدثنا سعيد بن منصور ثنا أبو معاوية ثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن أبي نضرة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : ثلاثة من أصل الايمان الكف عن قول لا إله إلا الله ولا تكفره بذنوب ولا تخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور الجائر ولا عدل عادل والايان بالأقذار) أ. هـ .

وهذا الذى دل عليه الحديث قد جاء في معناه أحاديث أخرى صحيحة والقول بمعناه هو قول أهل السنة والجماعة فان أهل السنة يعتقدون ان من شهد الا إله إلا الله وان محمداً رسول الله والتزم بمعناه ولم يأت بناقض من نواقض الإسلام فانه يجب الكف عنه وحسابه على الله عز وجل كما قال النبي ﷺ فيما رواه الشيخان من حديث ابن عمر رضى الله عنهما (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على

الله عز وجل) ومن عقيدة أهل السنة ان المسلم لا يكفر بذنوب من الذنوب التي دون الشرك ولا يخرج من الإسلام بعمل من الأعمال التي لا تلحقه بالمشركين خلافا للخوارج لقول الله عز وجل ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وكان الأخ الصابوني ذكر هذا الحديث ليستدل به على وجوب الكف عن الكلام في الأشاعرة وبيان ما اخطأوا فيه وهكذا ما اخطأ فيه غيرهم من الفرق الإسلامية وليس الأمر كما زعم فان الحديث المذكور لو صح لا يدل على شرعية الكف عن من خالف الحق كما انه لا يدل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ما أخطأ فيه المخطئون وغلط فيه الغالطون من الأشاعرة وغيرهم بل الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة كلها تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والانكار على من خالف الحق وارشاده الى طريق الصواب حتى يهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة كما بينا ذلك فيما سبق وإنما المقصود من الحديث لو صح الكف عن قتال من أظهر الإسلام وتكلم بكلمة التوحيد حتى ينظر في أمره بعد ذلك ويعامل بما يستحق حسب الأدلة الشرعية كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة التي اشرنا إليها آنفا والله سبحانه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وهذا آخر ما تيسر التنبيه عليه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وصفوته من خلقه إمام المجاهدين ورسول رب العالمين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله، واهتدى بهداه الى يوم الدين .

## المجتمع



# إخبار الجامعة

## إعداد إدارة العلاقات العامة بالجامعة

### (١) تعيينات لمناصب مختلفة في الجامعة

#### ● في عمادة شؤون الطلاب :

تم تعيين الدكتور أحمد سعد الغامدي عميداً لشؤون الطلاب بالجامعة خلفاً للشيخ عوض أحمد بن سلطان الشهري العميد السابق لعمادة شؤون الطلاب .  
والدكتور أحمد سعد الغامدي من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة في كلية الدعوة وأصول الدين .  
وقد وجه معالي رئيس الجامعة الدكتور عبد الله الصالح العبيد خطاب شكر للشيخ عوض الشهري بمناسبة انتهاء فترة تكليفه للقيام بعمل عمادة شؤون الطلاب .  
واسرة التحريم تشكر العميد السابق على ماقدم من خدمات جليلة . وتدعو الله أن يوفق العميد الجديد للنهوض بالمسئوليات الجسام في شؤون الطلاب .

#### ● في رئاسة الدراسات العليا وعمادات الكليات :

وافق المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في دورته الرابعة عشرة التي انعقدت يومي السبت والأحد ٢٧ ، ٢٨ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ على التعيينات الآتية :  
عين فضيلة الشيخ عبد الله محمد الغنيمان رئيساً لقسم الدراسات العليا خلفاً لفضيلة الدكتور محمد ابن حمود الوائلي الذي عين بقرار من مجلس الوزراء أميناً عاماً للجامعة .  
وعين الدكتور على سلطان الحكمي عميداً لشؤون المكتبات خلفاً للدكتور على ناصر فقيهي الذي منح اجازة تفرغ لإنهاء بحوث علمية .  
وكان الدكتور الحكمي وكيلاً لعميد شؤون المكتبات .  
وعين الدكتور عبد العزيز الصاعدي عميداً لكلية اللغة العربية .  
وعين الدكتور مرزوق بن هياس الزهراني عميداً لكلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية .  
وطبقاً للنظام الأساسي للجامعة فإن هذه التعيينات تكون لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد فترة أخرى بترشيح رئيس الجامعة وموافقة المجلس الأعلى .

● وكيل عميد كلية اللغة العربية :

أصدر معالي الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة قراراً بتعيين الدكتور محمد بن حمود الدعجاني الأستاذ المساعد بالجامعة وكيلاً لعميد كلية اللغة العربية اعتباراً من ١٧/٣/١٤٠٤ هـ لمدة سنتين . وتم هذا التعيين بناء على ترشيح فضيلة الدكتور عبد العزيز الصاعدي عميد الكلية . هذا ويشغل الدكتور الدعجاني إلى جانب عمله وكيلاً لعميد كلية اللغة العربية مدير تحرير مجلة الجامعة في هيئة تحريرها الجديدة .

● وكيل لعمادة شئون المكتبات :

كما أصدر معالي رئيس الجامعة الدكتور عبد الله العبيد قراراً بتعيين الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن صالح المحاضر بكلية الشريعة وكيلاً لعمادة شئون المكتبات . وذلك لمدة سنتين اعتباراً من ١/٥/١٤٠٤ هـ .

والشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن صالح أحد خريجي الجامعة الإسلامية من كلية الشريعة .

● مدير مكتب نائب رئيس الجامعة ، ومدير الإدارة المالية :

تم تكليف الشيخ صالح عوض الأحمدى بعمل مدير مكتب نائب رئيس الجامعة الإسلامية . وكان يقوم بعمل مدير الإدارة المالية بالجامعة ومن الجدير بالذكر أنه صدر قرار معالي رئيس الجامعة بتعيين الشيخ أحمد أحمد بابا مديراً للإدارة المالية بالجامعة .

● أستاذ مساعد بكلية الحديث :

تم تعيين الدكتور عبد الرحيم محمد أحمد القشقرى أستاذاً مساعداً بكلية الحديث والدراسات الإسلامية بالجامعة بعد حصوله على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الثانية ومن الجدير بالذكر أن فضيلته يرأس قسم المخطوطات بعمادة شئون المكتبات .

● مديراً للمعهد الثانوى ومستشاراً برئاسة الجامعة :

تم تعيين الشيخ محمد عبد الله الزربان مديراً للمعهد الثانوى بالجامعة كما صدر قرار معالي رئيس الجامعة بان يقوم بعمل مستشار بالمرتبة الحادية عشرة برئاسة الجامعة بالاضافة إلى عمله الأصلي .

● شغل وظائف إدارية عن طريق المسابقة :

أجرت الجامعة الإسلامية مسابقة لشغل عدد من الوظائف الإدارية من المرتبة العاشرة حتى المرتبة الأولى وذلك باشتراك مندوب من ديوان الخدمة المدنية . وفاز في المسابقة كل من :

الأستاذ عليان عيد الحربى : «إلى المرتبة العاشرة» في وظيفة مدير الاستقدام والترحيل .

الأستاذ أحمد أحمد بابا : «إلى المرتبة العاشرة» في وظيفة مدير إدارة الشؤون المالية .

الأستاذ عوض إبراهيم الأحمدى : «إلى المرتبة العاشرة» في وظيفة أخصائى مستودعات .

الأستاذ مبروك معوض حمدان : «إلى المرتبة التاسعة» في وظيفة أخصائى محفوظات ووثائق .

الأستاذ الشريف مدنى شاکر : «إلى المرتبة الثامنة» في وظيفة رئيس قسم التوظيف .

الأستاذ محمد إبراهيم التركى : «إلى المرتبة السابعة» في وظيفة فنى صيانة .

- الاستاذ غرم الله على الغامدى : «إلى المرتبة السابعة» فى وظيفة مشرف سكن .
- الاستاذ محمد ياسين محمد : «إلى المرتبة السادسة» فى وظيفة مشرف اجتماعى .
- الاستاذ فائز عواد عيد : «إلى المرتبة الرابعة» فى وظيفة كاتب .
- الاستاذ عبد الرحمن صالح حجرى الرحيلى : «إلى المرتبة الثالثة» فى وظيفة كاتب .
- الاستاذ عصام صالح العقيل : «إلى المرتبة الثانية» فى وظيفة مساعد نجار .
- الاستاذ مساعد غيث الردادى : «إلى المرتبة الأولى» فى وظيفة ناسخ آلة .

## (٢) مشاركة الجامعة الإسلامية فى اللجنة السعودية الأندونيسية

غادر المدينة المنورة فى أوائل شهر ربيع الأول ١٤٠٤هـ فضيلة الشيخ صالح عبد الله المحيسن نائب رئيس الجامعة الإسلامية متوجهاً إلى أندونيسيا للمشاركة فى اللجنة السعودية الأندونيسية المنوط بها تنفيذ الاتفاقية الثقافية للتعاون العلمى والتعليم الإسلامى .

وقد ترأس وفد المملكة العربية السعودية سعادة وكيل وزارة التعليم العالى الدكتور عبد الرحمن الشيبلى وضم ممثلين عن بعض الوزارات فى المملكة وممثلين عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وجامعة أم القرى بمكة المكرمة بالإضافة إلى ممثلين عن المركز الوطنى للعلوم والتكنولوجيا بالمملكة .

ومن الجدير بالذكر أن الاتفاقية الثقافية للتعاون العلمى والتعليم الإسلامى قد وقعت عام ١٤٠١هـ وصدر مرسوم ملكى بالمصادقة عليها عام ١٤٠٢هـ .

## (٣) الأمين العام للجامعة يتصل بالجامعات المصرية

غادر إلى القاهرة فضيلة الدكتور محمد بن حمود الوائلى الأمين العام للجامعة فى منتصف شهر ربيع الثانى حيث قضى فضيلته قرابة أسبوعين أجرى خلالها عدداً من الاتصالات مع المسؤولين فى الجامعات المصرية تمهيداً للتعاقد مع أعضاء هيئة التدريس اللازمين للجامعة الإسلامية فى العام الدراسى القادم ١٤٠٤/١٤٠٥هـ .

## (٤) المخيم التربوى لطلاب الجامعة فى عطلة الربيع

أقامت الجامعة المخيم التربوى فى عطلة نصف العام الدراسى بمنطقة ينبع البحر. بهدف تنمية قدرات الطلاب واكتشاف عناصر التفوق عندهم ولتأهيلهم للقيام بواجب الدعوة إلى الله . وذلك من خلال ما وضعه المشرفون على المخيم من برامج وأنشطة مختلفة فى الجوانب الثقافية والاجتماعية والرياضية . . .

وقد أدار المخيم فضيلة الدكتور أحمد عطية الغامدى عميد كلية الدعوة وأصول الدين ، وساعده فضيلة الدكتور عبد العزيز راجى الصاعدى عميد كلية اللغة العربية .

وقد اشتمل البرنامج الثقافي والتربوي للمخيم على العديد من المحاضرات واللقاءات الفكرية التي أسهم فيها كل من فضيلة الدكتور صالح بن سعد السحيمي والشيخ جبران بن أحمد صالح والشيخ عطية عتيق الزهراني أعضاء هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية والذين تولوا مشكورين مأجورين من الله مهمة توجيه الطلاب وإرشادهم وتثقيفهم والإجابة على استفساراتهم .

وقد استمر المخيم أسبوعين ابتداء من ١٥/٤/١٤٠٤ هـ حيث قسم الطلاب إلى فوجين كل فوج مائة طالب لمدة أسبوع وخصص الأسبوع الأول للطلاب الذين يدرسون في المعهد الثانوي والمعهد المتوسط ودارى الحديث المدنية والمكية، وخصص الأسبوع الثاني لمائة طالب من طلاب المرحلة الجامعية .

هذا وقد زار طلاب المخيم ميناء ينبع ومصنع الاسمنت وعملية تحلية مياه البحر إلى مياه عذبة . واشتمل برنامج المخيم على جولات حرة في مدينة ينبع تعرفوا فيها على أهم معالم المدينة . هذا وقد زار معالي رئيس الجامعة الدكتور عبد الله الصالح العبيد المخيم وقضى يوماً كاملاً مع طلابه وتعرف على أوجه نشاطهم .

#### (٥) لجان من الجامعة للتعرف على الطلاب المرشحين للدراسة للعام القادم

تم تشكيل ست لجان من بعض مسئولى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكلفت هذه اللجان لزيارة العديد من المدارس العربية والإسلامية التي تقبل الجامعة طلاباً منها على سبيل المنح، وتهدف هذه الزيارة إلى معرفة مناهجها الدراسية وخططها وسيرها الدراسي والاطلاع على أوجه نشاطها الاجتماعي وكذا مقابلة المعلمين في هذه المدارس، والالتقاء بالطلاب المرشحين للدراسة في الجامعة الإسلامية للعام الدراسي القادم ١٤٠٤/١٤٠٥ هـ وتشمل زيارة هذه اللجان كثيراً من بلدان العالم ومنها تايلاند والفلبين، وماليزيا وسنغافورة، وأندونيسيا، وجزر القمر، ومدغشقر، موزمبيق، وموريشيوس، وباكستان وكشمير، والهند ومالديف وكينيا، وأوغندا، وتنزانيا .

#### (٦) شخصيات ووفود إسلامية في زيارة الجامعة

● زار الدكتور فرحان أحمد فيظامى الأستاذ بجامعة أوكسفورد ببريطانيا الجامعة الإسلامية واجتمع خلال هذه الزيارة بمعالي الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة وقام بجولة للتعرف على معالم الجامعة شملت مطبعة الجامعة وقسم المخطوطات بالمكتبة المركزية .

● كما زار الجامعة وفد من طلاب المعهد العالى للدعوة الإسلامية بالرياض في ١٤/٥/١٤٠٤ هـ والتقى فضيلة الدكتور محمد حمود السوائللى بهذا الوفد في لقاء ودى وقام الوفد بزيارة لقسم المخطوطات بالمكتبة المركزية وكلية الدعوة وأصول الدين والتقى مع مدير مركز شئون الدعوة .

كما قام بزيارة الجامعة وفد من ولاية كلنتان بماليزيا ضم في عضويته السيد هاشم أحمد رئيس الهيئة التنفيذية لمجلس ولاية كلنتان والسيد منصور صالح مدير المؤسسة الإسلامية بكلنتان ونائبه السيد نعمان عبد اللطيف . والسيد عبد العزيز عمر نائب مدير دار التعليم بكلنتان، واجتمع بالوفد فضيلة الشيخ صالح عبد الله المحيسن نائب رئيس الجامعة وأدار حواراً مع الوفد حول شئون الدعوة الإسلامية والتعليم

الإسلامى وتدعيم سبل التعاون بين الجامعة والمؤسسات الإسلامية بولاية كلنتان . واجتمع الوفد بفضيلة الشيخ عمر محمد فلاتة رئيس مجلس شئون الدعوة . وبالشيخ حسن الصايغ مدير مركز شئون الدعوة في أثناء زيارة مركز شئون الدعوة .

● وزار الجامعة السيد أبو بكر ضاحى السكرتير الأول بسفارة جامبيا بالمملكة واجتمع به فضيلة الشيخ صالح عبد الله المحيسن نائب رئيس الجامعة حيث تعرف سعادته على أحوال طلبة جامبيا في الجامعة كما قام بزيارة لعميد شئون الطلاب الدكتور أحمد سعد الغامدى ومدير مركز شئون الدعوة الشيخ حسن الصايغ .

وزار الجامعة فضيلة الشيخ مصطفى الغزال أمين عام الكلية الزيتونية بتونس والتقى بكل من معالى رئيس الجامعة الدكتور عبد الله العبيد وفضيلة الشيخ عبد المحسن العباد رئيس المجلس العلمى بالجامعة وفضيلة الشيخ صالح عبد الله المحيسن نائب رئيس الجامعة .

ومن الجمهورية التونسية زار الجامعة وفد من المديرين العموميين من وزارة الشباب والرياضة ومنندوبين من الحزب الدستورى الحاكم ومديرى فروع رعاية الشباب ومديرى ومفتشى معاهد التربية الرياضية وجاءت هذه الزيارة تلبية للدعوة الموجهة من الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، وقد اجتمع فضيلة الدكتور محمد بن حمود الوائلى الأمين العام للجامعة بهذا الوفد، كما زار الوفد عميد شئون الطلاب وقسم المخطوطات بالمكتبة المركزية .

### (٧) رسائل جامعية

نوقشت رسالة الدكتوراه المقدمة من الطالب عبد الرحيم محمد أحمد القشقرى (السعودى الجنسية) وموضوعها: «كتاب المعتبر في تخريج أحاديث المنهاج والمختصر للزركشى . تحقيق ودراسة» وذلك مساء السبت الموافق ٢٧/٣/١٤٠٤هـ بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة . وتكونت لجنة المناقشة برئاسة فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصارى المشرف على الرسالة وعضوية كل من الدكتور أحمد نور سيف والدكتور ربيع بن هادى مدخلى .

كما نوقشت رسالة الدكتوراه المقدمة من الطالب عبد الرحيم صالح محمد يعقوب (أفغانى الجنسية) وموضوعها: «تحقيق لكتاب: تقويم أصول الفقه وتحديد أدلة الشرع لأبى زيد الدبوسى من أول باب القياس إلى نهاية الكتاب» وذلك مساء يوم الخميس ٨/٥/١٤٠٤هـ بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية، وكانت لجنة المناقشة مكونة برئاسة الدكتور عمر عبد العزيز محمد المشرف على الرسالة وعضوية كل من الدكتور حسين خلف الجبورى والدكتور عبد القادر شحاتة .

ونوقشت رسالة الماجستير المقدمة من الطالب جفرى أفندى وهاب وموضوعها «الشرك وأنواعه» وذلك بعد صلاة المغرب من يوم ٩/٤/١٤٠٤هـ بقاعة المحاضرات بالجامعة وتكونت لجنة المناقشة برئاسة فضيلة الشيخ عبد الله محمد الغنيمان المشرف على الرسالة وعضوية كل من فضيلة الشيخ حماد الأنصارى وفضيلة الشيخ محمد أمان .

# مؤتمر العالم الإسلامي الثاني

## لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة

بموافقة سامية من صاحب الجلالة الملك المعظم فهد بن عبد العزيز - حفظه الله - تم عقد المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في المدة من ٢٥ - ٣٠ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ الموافق الأحد (أول يناير إلى ٣ يناير ١٩٨٤ م) وكان موضوعه هو «سبيل الدعوة الإسلامية إلى تحقيق التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين» . وجاء هذا المؤتمر الثاني امتدادا للمؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة الذي عقد في رحاب الجامعة الإسلامية في المدة من ٢٤ - ٢٩ صفر ١٣٩٧ هـ الموافق (١٢ - ١٧ فبراير ١٩٧٧ م) .

وقد اتخذت الجامعة الإسلامية كافة الوسائل الكفيلة بانجاح المؤتمر وتحقيق أهدافه، وعقدت لجانا متعددة لخدمته، وأرسلت إلى العديد من المفكرين الإسلاميين والدعاة وإلى الكثير من الهيئات والمؤسسات الإسلامية العاملة في ميدان الدعوة، وتلقت العديد من البحوث، ووقع الاختيار على (٣٥) خمسة وثلاثين بحثا تغطي موضوع المؤتمر، ووجهت الدعوات لحضور المؤتمر إلى أصحاب المعالي والسعادة والفضيلة من الوزراء ومديري الجامعات والعلماء والمفكرين من داخل المملكة وكثير من الأقطار الإسلامية ومن رجال الفكر الإسلامي .

وتحت رعاية صاحب الجلالة الملك المعظم فهد بن عبد العزيز - حفظه الله افتتح صاحب السمو الملكي الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أعمال المؤتمر وألقى كلمة جلالة الملك المعظم نيابة عنه .

وعقد المؤتمر ثماني جلسات في قاعة المحاضرات تم فيها مناقشة البحوث، وختم المؤتمر بحفل ختامى أعلنت فيه التوصيات التي انتهى إليها المؤتمر .  
ويسرنا أن نسجل هذه التوصيات رصدا لهذا الحدث الإسلامي العظيم .

## توصيات المؤتمر العالمى الثانى لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة

مقدمة :

الحمد لله الذى جعلنا بالاسلام خير أمة . . والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول الهدى والرحمة ، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه . . وبعد :

فإن الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة انطلاقا من رسالتها وأهدافها فى تبليغ رسالة الاسلام إلى العالمين - قد دعت إلى عقد المؤتمر العالمى الثانى لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة لبحث وسائل التضامن والوحدة بين المسلمين : تحقيقا لما يجب أن يكون بينهم من تعاون على البر والتقوى ، وقياما بواجب الدعوة ، واستجابة لله وللرسول فيما أمروا به من الاعتصام بدينهم والاجتماع عليه وما نهوا عنه من التفرق والاختلاف من بعد ما جاءهم البينات . .

وقد تم بعون الله وتوفيقه عقد هذا المؤتمر فى مقر الجامعة الاسلامية فى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفترة من ٢٨ - ٣٠ من شهر ربيع الأول ١٤٠٤ هـ ، واشترك فيه علماء ودعاة من العالم الاسلامى .

وبعد دراسة البحوث المقدمة فى موضوع المؤتمر والنظر فى واقع المسلمين وما يجب أن يكونوا عليه من أخوة وتعاطف وترابط فإن المؤتمر يناشد المسلمين بعامة وحكامهم وأولياء أمورهم بخاصة أن يقدروا الظروف التى تمر بهم والأخطار المحدقة بأوطانهم ، وأن يعملوا جميعا على جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم باتباع دينهم وطرح الشعارات المنافية له ، وأن يخضعوا كل شىء من أمرهم لاعلاء كلمة الله عز وجل أداء لرسالتهم وتحقيقا لعزتهم ورحمة للعالمين ، كما يذكرهم أن يردوا أى شىء تنازعوا فيه إلى الله والرسول عملا بقول ربهم : ﴿فإن تنازعتهم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ .

وفى سبيل تحقيق ذلك :

يؤكد المؤتمر - فى مقدمة توصياته - العناية بتنفيذ جميع توصيات المؤتمر العالمى الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعوة - لشمولها وأهميتها البالغة على طريق الدعوة الاسلامية .

ويوصى بما يلى :

أولا : العقيدة والشريعة :

(١) أن يعمل المسلمون جميعا حكاما ومحكومين على ترسيخ العقيدة الاسلامية الخالصة الصافية ، وتعميق حقيقة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فى قلب كل مسلم ومسلمة بعلم ويقين ، حتى تكون العبادة خالصة لله وحده وموافقة لشرع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وحتى يظهر أثر ذلك : صفاء فى النفس ، واستقامة فى الخلق ، وصلاحا فى العمل ، واعتزازا بالإيمان ، وغيره على الاسلام ، ووحدة وأخوة وتعاوننا بين المسلمين .

(٢) دعوة ولاية الأمور في الأقطار الإسلامية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في كافة شؤون الحياة :  
قياماً بما أوجبه الله عز وجل عدلاً منه ورحمة ، وخروجاً من دائرة الاثم والتعرض للعقوبات العاجلة  
والأجلّة ، وتوحيداً لمسيرتهم في حياتهم على منهج الإسلام ، وتعزيزاً لسبل التعاون والتضامن فيما بينهم ،  
وتوفيراً للأمن والرخاء والاستقرار والنمو في مجتمعاتهم .  
وينوه المؤتمر بما تحقّق قريبا في الباكستان والسودان وموريتانيا من اتجاه إلى تطبيق الشريعة  
الإسلامية وبدء في تنفيذ ذلك .

(٣) أن تقوم هيئات الدعوة الإسلامية ومؤسساتها والجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي بجهود  
علمية نشطة في دراسة أوضاع المسلمين وتشخيص أسباب تفرقهم وتخلّفهم وولاء بعضهم لأعدائهم  
اتباعهم في مذاهبهم وسياساتهم ، وبيان سبل اصلاح هذه الأوضاع ودعوة المسلمين إليها شعوباً  
وحكومات للأخذ بها والعودة إلى ما يجب أن يكونوا عليه أمة مسلمة واحدة تقوم على التوحيد الخالص في  
العقيدة والعبادة ، والسير على نهج السلف الصالح خير القرون من الصحابة الكرام ومن تبعهم  
بإحسان .

(٤) يؤكّد المؤتمر ألاّ سبيل لهذه الأمة لاستعادة مجدها ومكانتها العزيزة القوية القيادية بين الأمم  
وانتصارها على أعداء الله وأعدائهم - إلاّ بالله ، ثم بتضامنها ووحدتها وتمسكها الكامل بعقيدتها ومنهج  
شريعته وجهادها في سبيل ذلك . . سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

#### ثانياً : الدعوة والدعاة :

(٥) أن يكون للمسجد - منبر الإسلام الأول ومنطلق دعوته وأساس دولته - دوره البارز والفعال في  
توجيه المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية وهدايتهم إلى سبيل ربهم ، ومنهج دينهم وديناهم على طريق  
تضامنهم ووحدتهم ، وتطهير مجتمعاتهم من عوامل التدابر والخلاف والفرقة ، وتقوية عناصر الأخي والتواد  
والتعاطف والتراحم والتعاون فيما بينهم مهما تباعدت أوطانهم . . وأن يشارك المجلس الأعلى  
للمساجد بمكة المكرمة بجهوده في توجيه هذا النشاط - وتعزيزه وتنسيقه .

(٦) تعميم مراكز الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي وغيره وتوثيق الاتصال بينها لتوحيد  
سياستها وتعزيز جهودها وتنسيق برامجها .

(٧) يؤكّد المؤتمر على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أوجبه الله عز وجل وجعله  
أساساً لخيرية هذه الأمة لما يستهدفه من إقامة حياة المسلمين على الحق والخير وتطهيرها من كل باطل  
وشر . . . ويوصي الأقطار الإسلامية جميعاً بتعميم إنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوفير  
كل ما يمكنها من أداء رسالتها أداء كاملاً : استجابة لقول الله عز وجل : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى  
الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾ ولقوله تعالى : ﴿ والمؤمنون  
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة  
ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .



(٨) أن تتحمل أجهزة الاعلام في جميع الأقطار الاسلامية مسئوليتها تجاه أمتها، وأن تؤدي دورها كاملا في ابراز معاني التضامن والوحدة ومزاياها وإظهار مساوىء الخلاف والفرقة، وتكوين رأى عام إسلامى يدرك خصائص أمتة التي جعلها الله بها خير أمة أخرجت للناس، ويعى حقيقة تضامنها ووحدتها ويتجاوب معها: وجدانا وعقلا وسلوكا في كل جوانب الحياة.

والاعلام قادر بإذن الله بقوة تأثيره واتساع دائرة جماهيره أن يخطو بجهود مخصصة خطوات جادة تؤدى إلى الهدف المنشود.

(٩) ألا تكون الخلافات المذهبية في الفروع سببا للتفرق والتباعد بين المسلمين وعلينا ان ننبذ التعصبات المذهبية التي يذمها الإسلام ويرفضها وأن نلتزم بالتحاكم إلى الكتاب والسنة تطبيقا لقول الله عز وجل: ﴿فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ وقوله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه إلى الله﴾.

(١٠) تكوين هيئات إسلامية للتضامن والوحدة في الاقطار الإسلامية توفر جهودها وتوجه نشاطها في هذا السبيل .

(١١) يوصى المؤتمر الهيئات والمؤسسات والجامعات ورجال الدعوة في البلاد الإسلامية :  
● بمكافحة الفرق الخارجة عن الإسلام والفرق المبتدعة والزائغة التي تهدد الإسلام وتفرق جماعته والعمل المشترك لدعوتهم إلى الحق والقضاء على شرهم .

● وبالوقوف في وجه الدعوات العنصرية والقومية التي تفتت الكيان الإسلامى الواحد إلى كيانات صغيرة تفقد قوتها ويسهل على أعدائها المتربصين بها قيادتها والسيطرة عليها .

(١٢) مقاومة الغزو الفكرى من قبل أعداء الإسلام والمسلمين ممثلا في : مؤلفاتهم وصحفهم وإذاعاتهم وجامعاتهم ومؤتمراتهم وغير ذلك من المجالات والوسائل التي تستهدف تضليل المسلمين وبخاصة الشباب في دينهم وتوهين عقيدتهم واتصالهم بشريعتهم، وتشيت أفكارهم وتفريق كلمتهم واضعاف ولائهم لدينهم ومبادئه السامية وقيمه العليا، وانتهائهم إلى أمتهم الإسلامية - مستغلين في ذلك تقدمهم المادى .

وهذه المقاومة هي واجب الجامعات وأجهزة الاعلام وهيئات الدعوة ومراكزها والعلماء والدعاة وقادة الفكر المسلمين في سائر الاقطار الإسلامية : حماية للمجتمع الإسلامى من آثار هذا الغزو واطهارا للفكر الإسلامى ومبادئ الإسلام ومناهجه وقيمه العليا المستمدة من : كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ .

(١٣) تيسيرا لقيام الدعوة بواجبهم وتذليلا لما يعترضهم من بعض العوائق يوصى المؤتمر :  
حكومات البلاد الإسلامية بتسهيل سرعة حصول الدعوة على الإقامة وعلى سمة الدخول في البلدان الإسلامية وغيرها واعطائهم بطاقات معترف بها من الجهات ذات الاختصاص .

(١٤) انطلاقا من أهمية الدعوة الإسلامية ومسئوليتها الكبرى في عالمنا المعاصر وضرورة العناية بالدعاة وتعزيز جهودهم وكفاءتهم لاداء رسالتهم يوصى المؤتمر بانشاء (مجلس عالمى للدعوة والدعاة) يعنى بشئون الدعوة الإسلامية والدعاة في العالم . . . ومن أهم أهدافه :

\* توجيه سياسة الدعوة الإسلامية في العالم .  
\* تنسيق جهود الدعاة والجهات المعنية بها وتعزيز تعاونهم لأداء رسالتهم الأداء المنشود .  
\* دراسة مناهج الدعوة وأساليبها ووسائلها، وتزويد الدعاة بنتائج هذه الدراسات للاستفادة منها وتطبيقها في مجال الدعوة .

\* تزويدهم بالمراجع المعتمدة والكتب التي تعينهم في أداء رسالتهم وتحقيق اغراض الدعوة .  
\* تنظيم البرامج التدريبية للدعاة .  
\* تمويل الدعوة عن طريق صندوق ينشأ لذلك يتبع المجلس .  
\* ويوصى المؤتمر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة أن تقوم بإنشاء هذا المجلس في أقرب وقت .

### ثالثا : الجهاد ، وحركات التحرر الاسلامى :

(١٥) يؤكد المؤتمر أن القضية الفلسطينية قضية إسلامية، وعلى المسلمين واجب الجهاد بكل قدراتهم لاسترداد فلسطين المسلمة والمسجد الأقصى المبارك القبلة الأولى من أيدي الصهاينة المعتدين المعتصبين، ورفع الظلم عن الشعب الفلسطيني المسلم المشرد المضطهد المذبذب . . . وعليهم أن يكونوا صفا واحدا ضد اليهود ومن وراءهم . . . ويناشد المؤتمر أبناء فلسطين أن يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفوفهم تحت راية الإسلام .

(١٦) إن جهاد الشعب الافغانى المسلم لدفع العدوان الشيوعى الهمجى على أرض أفغانستان لمحوالإسلام هو جهاد الأمة الإسلامية جمعاء . . . ويوصى المؤتمر أن يشارك المسلمون جميعا اخوانهم الافغانيين في جهادهم وأن يكونوا معهم ومن ورائهم بأموالهم وأنفسهم وألستهم حتى ينتصروا على عدو الله وعدوهم .

(١٧) يوصى المؤتمر جميع المنظمات التي قامت لمناهضة الاستعمار والاحتلال الأجنبى لأوطانها (كأثيريا) وغيرها أن تلتزم بتعاليم دينها وأن يكون جهادها تحت راية الإسلام حتى يتحقق لها التضامن فيما بينها والانتصار على أعدائها ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ . . . ويوصى المؤتمر بدعمها واعانتها .

### رابعا : التعليم ، والتربية ، والبحث العلمى :

(١٨) أن تعمل الحكومات الاسلامية على توحيد سياسة التعليم في جميع المراحل، والتقريب بين المناهج الدراسية وصبغها بالصبغة الاسلامية التي تحفظ للأمة خصائصها التربوية والتعليمية والعلمية المستمدة من الكتاب والسنة .

ويوصى المؤتمر المركز العالمى للتعليم الاسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة بالقيام بالدراسات التي تيسر للحكومات تحقيق ذلك .

(١٩) التوسع في انشاء الجامعات الاسلامية في جميع الأقطار الاسلامية في التخصصات الشرعية وفي التخصصات الأخرى التي يحتاج إليها المسلمون في نواحي المعرفة الانسانية من : طب، وهندسة،

وزراعة وغيرها، مع العناية بتربية الطلاب في جميع تخصصاتهم تربية إسلامية تجمع بين العلم والعمل حتى يتيسر لأبناء المسلمين - حيثما يوجدون - تحقيق رغباتهم في مواصلة تعليمهم الجامعي في جامعات تعنى بأعدادهم أعدادا إسلاميا متكاملًا، يمكنهم من حمل رسالة الإسلام الشاملة، وتطبيق أحكامه في كل مجالات الحياة.

(٢٠) دعوة الجامعات والهيئات والمؤسسات المتخصصة في جميع الأقطار الإسلامية إلى التعاون في مجالات البحوث والدراسات العلمية والتقنية المتطورة في كل فروع المعرفة الإنسانية ونواحي الحياة، والارتقاء بها إلى ما يحقق للأمة الإسلامية التقدم العالمي المنشود في هذا المضمار الذي تتسابق فيه الأمم بكل طاقاتها لتسبق غيرها. وإلى ما يمكن هذه الأمة من بناء قوتها وحضارتها دون اعتماد على غيرها.

(٢١) أن تعنى الجامعات في الأقطار الإسلامية بالتوسع في توفير المنح الدراسية للطلاب المسلمين في مختلف التخصصات لتنمية التآخي والتعاون بين المسلمين، وتعميم العلوم الإسلامية والمعارف الإنسانية بين الشباب المسلم.

(٢٢) التوسع في إنشاء المدارس والمعاهد التي تستوعب أولاد المسلمين حتى لا يتجهوا إلى الالتحاق بالمدارس غير الإسلامية التي تؤثر على عقيدتهم وأخلاقهم وولائهم لدينهم، وانتمائهم إلى أمتهم الإسلامية.

(٢٣) أن تكون اللغة العربية لغة أساسية في مناهج التعليم في جميع الأقطار الإسلامية بالقدر الذي يمكن من اجادتها اجادة اللغة المحلية. وأن يكون تحاطب الشعوب الإسلامية بها هدفًا أساسيًا يسعى الجميع إلى الوصول إليه بكل الجهود والوسائل.

وعلى أجهزة الاعلام أن تشارك بجهودها وبرامجها في هذا المجال.

وفي تحقيق ذلك توحيد للسان الأمة الواحدة بلغة كتابها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم . . .

وتقريب عقلي ووجداني بين شعوبها، فضلًا عن تيسير تفقهها في دينها، وتوسيع دائرة المعارف في مجالات علومه المتعددة.

(٢٤) أن يكون التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين ضمن ما يركز عليه في مناهج الثقافة الإسلامية في مختلف مراحل التعليم.

(٢٥) العناية في دراسة التاريخ والجغرافيا للأقطار الإسلامية باعتبارها أمة واحدة مترابط وتتفاعل أجزاءها وتتكامل ثرواتها وطاقاتها ويتحد مصيرها.

(٢٦) العناية خاصة في مراحل الطفولة والشباب - بالتربية الإسلامية المبنية على الإيمان وإخلاص العبادة لله عز وجل، وربطها بمبادئ الأخوة والمودة والتعاون والأخلاق والآداب الإسلامية الفردية والاجتماعية المستمدة من الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح . . . وأن تتعاون في ذلك جميع المؤسسات المعنية بالتربية من: الأسرة، والمدرسة، والمسجد، والجامعة، ومراكز الدعوة والثقافة، والمؤسسات الشبابية والاعلامية .

ويؤكد المؤتمر أهمية العناية برعاية الشباب وتنشئتهم نشئة إسلامية خالصة: عقيدة وخلقا وسلوكًا . . . وبناء حياتهم على الاستقامة والجد والحزم والقوة والصبر، وحب الطاعة والبر، وكرهية

المعصية والشر، والبعد عن مظاهر الترف ومجالات اللهو واللعب واضاعة الوقت فيما لا يعود عليهم بنفع يدعو إليه دينهم .

(٢٧) دعوة مراكز البحث العلمى ودور النشر إلى تشجيع تأليف الكتب وإعداد البحوث والدراسات لبيان حقيقة الاسلام وشرائعه والدعوة إليه وما يجب أن تكون عليه الأمة الاسلامية من تضامن ووحدة، ونشرها على أوسع نطاق باللغات المختلفة، وتيسير الحصول عليها.

(٢٨) يؤيد المؤتمر ما جاء في توصيات لجنة الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة فى المؤتمر الطبى السعودى الثامن من ضرورة العناية بابحاث الاعجاز العلمى التى تقوم على تحقيق الأدلة الشرعية والكونية لأهميته فى مجال الدعوة فى هذا العصر . ويوصى ان يتم ذلك بالتنسيق بين الجامعات المتخصصة فى الشريعة الإسلامية والعلوم الكونية .

### خامسا : المال ، والاقتصاد :

(٢٩) يؤكد المؤتمر أهمية الاستفادة من الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة فى تحقيق التضامن والتراحم والتنمية فى المجتمعات الإسلامية - ويوصى الحكومات فى الأقطار الإسلامية بالعمل على تشجيع وتنظيم جمع الزكاة وانشاء مؤسسات خاصة بها وانفاقها فى مصارفها الشرعية ، والعناية برعاية فقراء المسلمين وسد حاجاتهم وبخاصة اليتامى منهم ، وذلك على مستوى التكافل بين جميع الأقطار والاقليات الإسلامية .

(٣٠) يؤكد المؤتمر ضرورة التعاون الاقتصادى بين الاقطار الإسلامية على أساس إسلامى ، ويوصى باقامة المؤسسات الإسلامية المشتركة التى تنمى ثروة المسلمين وتعزز قوتهم وتحقق التكامل بين اقطارهم فى هذا المجال الحيوى .

ويوصى المؤتمر منظمة المؤتمر الإسلامى أن تعمل على تحقيق ذلك من خلال مؤسساتها ، وبالتوسع فى دعم المشروعات فى الاقطار الإسلامية ، وفى تقديم المساعدات المالية للمحتاجين إليها ، خاصة فى مجال توفير الخدمات التعليمية والصحية وغيرها ، مع العناية بمناطق الأقليات الإسلامية .

(٣١) أن تكون الأولوية للأقطار الإسلامية فى العمالة والتبادل التجارى والصناعى ، والمشروعات الاستثمارية وغيرها مما ينمى ثروة الأمة الإسلامية ويدعم قوتها .

(٣٢) يؤكد المؤتمر وجوب أن يكون ايداع أموال المسلمين فى مصارف إسلامية ، تلتزم فى معاملاتها المالية باحكام الشريعة الإسلامية . ويدعو إلى التوسع فى انشاء هذه المصارف غير الربوية لتشمل سائر الأقطار الإسلامية ، وإلى تعزيزها بالأموال لمساعدتها على بناء اقتصاد إسلامى ، يقضى على الاقتصاد الربوى القائم ومحله .

ويؤكد أيضا على تجنب ايداع أموال المسلمين فى المصارف غير الإسلامية إذ أن هذا الايداع - فضلا عن أنه محرم شرعا - فإن استثمار هذه الأموال فى تلك المصارف قوة لأعداء المسلمين .

(٣٣) يوصى المؤتمر بالحد من استيراد الكماليات ، ومنع استيراد وسائل الترف مطلقا ، وخاصة من البلاد الأجنبية التى تتخذ من بلاد المسلمين سوقا لبيع بضاعتها واستنزاف أموال المسلمين وثرواتهم .

## سادسا : الأليات الإسلامية :

(٣٤) يوصى المؤتمر بالعناية برعاية الاقليات الإسلامية ومساعدتهم في تفقيهم في دينهم وتوفير احتياجاتهم الضرورية وحل مشكلاتهم ، والحصول على حقوقهم العادلة مثل غيرهم من المواطنين دون تفرقة ، ومن ذلك حقهم في التحاكم إلى شريعتهم الإسلامية في شئونهم الخاصة وأدائهم لشعائهم الدينية دون مضايقة : حماية لهم ولعقيدتهم وحياتهم الإسلامية وتعزيزا لولائهم لدينهم والعمل به وانتمائهم إلى أمتهم الإسلامية الواحدة .

## سابعا : توصيات عامة :

(٣٥) دعوة الحكومات في جميع الأقطار الإسلامية إلى الاتفاق على (ميثاق إسلامي) مستمد من الكتاب والسنة ، يجمع كلمتها ويوحد سياستها ويعزز قوتها ، ويجعل ولاءها لدينها ، وفيها بينها ، وانتصارها برها ، لا بالتحالف مع أعدائها ، وأن تكون العلاقات الدولية خاضعة للسياسة الشرعية الإسلامية .

(٣٦) أن تتبنى منظمة المؤتمر الإسلامي إنشاء هيئة للتعاون الإسلامي تعنى بدراسة سبل التعاون والتكامل بين الأقطار الإسلامية في جميع مجالات الحياة : الصناعية ، والتجارية ، والاستثمارية ، والدفاعية ، والأمنية ، والزراعية ، والاجتماعية ، والصحية وغيرها ، والعمل على تحقيق ذلك .

(٣٧) يتابع أعضاء المؤتمر ما يقع لبعض البلاد الإسلامية من محاولات التنصير المدعوم بالقوى المادية و(الاستعمارية) ، ويرى ضرورة العمل من جانب الحكومات والمسلمين على التصدي لهذه المحاولات باعداد المسلم اعدادا يمكنه من الثبات على دينه والتأثير في غيره لا التأثير به ، والعمل كذلك على اقامة المؤسسات وتوفير الخدمات التي تعينه على السير في مجال التعليم ، والتمتع بالرعاية الصحية والاجتماعية .

(٣٨) يوصى المؤتمر الدول والهيئات الإسلامية وجميع المسلمين بالعناية بالذين يدخلون في الإسلام لحاجتهم الماسة إلى معاونتهم على زيادة معرفتهم بدينهم الحنيف وإلى الرعاية الاخوية والاجتماعية ومساعدتهم على التكيف مع حياتهم الإسلامية تكيفا يزيدهم إيمانا بدينهم وألفة ومودة بين اخوانهم المسلمين .

(٣٩) إن المؤتمر إذ يقدر الأهمية البالغة للعناية الكاملة بأطفال المسلمين جيل المستقبل للأمة الإسلامية (خاصة فاقدى العائل منهم) ليوصى الحكومات والجمعيات والمؤسسات وذوى القدرة من المسلمين بتوفير رعايتهم الرعاية الشاملة ووضع البرامج وإنشاء المؤسسات التعليمية في مراحلها المختلفة والايوائية وغيرها التي تحقق ذلك . . وعلى الدعاة أن يعنوا بهذا الجانب الإسلامي الانساني الاجتماعي في دعوتهم لتنشيط الجهود في هذا المجال .

(٤٠) محافظة على البيت المسلم والمجتمع المسلم ومبادئه وقيمه الإسلامية وسلوكه الإسلامي ودرءا للمفاسد المتوقعة يحذر المؤتمر من استخدام غير المسلمين وبخاصة في المنازل ، والقيام بتربية الأطفال ورعاية شئونهم : التزاما بواجب الوقاية لقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾ ومسئولية الرعاية لقول النبي صلى الله عليه وسلم (كلكم راع ومسئول عن رعيته) .

(٤١) يؤيد المؤتمر (قيام الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية) بالكويت التي تهدف إلى حماية المسلمين من الهجمات التنصيرية والاحادية عن طريق العمل الخيري والاجتماعي والثقافي والتنموي، ويدعو المسلمين كافة إلى مسانبتها بالدعم المادي والأدبي، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ .

والمؤتمر إذ يجتتم أعماله ويقدم توصياته يسجل خالص شكره وتقديره لجلالة الملك المعظم فهد بن عبد العزيز المعظم وولى عهده الأمير عبد الله بن عبد العزيز وحكومته الرشيدة وشعبه الكريم لاستضافة هذا المؤتمر الإسلامى العالمى ، وما لقيه أعضاؤه فى المملكة العربية السعودية والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من أخوة وحفاوة وتكريم . . ويتوجه إلى الله عز وجل بالدعاء أن يوفق جميع ولاة أمور المسلمين لما فيه عزة الإسلام واعلاء كلمته وخير المسلمين .  
والحمد لله رب العالمين . . وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والمهتدين بهديه الداعين بدعوته إلى يوم الدين .



# رسالة

## إلى رئيس التحرير

الدكتور أحمد عطية الغامدى المحترم . . .

بعد التحية والتقدير : إن الأدب الإسلامى مما شرفه الله بأن يكون ثوباً يلبس . . . وحلية يتحلى بها . . . وبالقرآن والشريعة الغراء كانت اللغة أدبا ومفردات باقية إلى يوم الدين لأن القرآن والشريعة باقية . . . ومن هنا كان لدولتنا - رفع الله منارها وأعز شعارها - شرف إعزاز الدين ونشره امتداداً للسلف الصالح . . . من الخلفاء الراشدين إلى هذا اليوم الذى أحيت فيه الدولة للعلم قيمته ونشرت إلى الملاء علمه وعلى الدنيا نوره بعد أن كان باهتاً فى كثير من العالم . . . وخاملاً فى جل أقطار الدنيا .

وما هذه الجامعة التى يدرس فيها عشرات الجنسيات من أسود وأبيض وأحمر وأصفر إلا لغة ناطقة بالحق وداعية إليه فى بلادها حيث نهلت من العلم الصحيح والدين السليم الخالى من كل بدعة ونحلة ضالة مضلة . . . ومن كل أفكار وآراء مُجَلَّة . . . من هنا أجد أن شباب جامعتنا - الجامعة الإسلامية - انتقلت من طور التعليم والتربية الإسلامية إلى طور الدعوة بهذه الموسوعات التى أجدها نهراً كالنسيم . . . يسيل منهماً ويتشرداً وإن فى العدد الخاص « ٦١ » من المجلة لعام ١٤٠٤ هـ من الدعوة إلى الله وعن الواقع المعاصر - ما منحنا فيه الدكتور عبد الله صالح العبيد من الأفكار عن الدعوة ومن الشرف بأحتضان المؤتمر العالمى الثانى لتوجيهها وأهميتها ودافعها وأسباب وظواهر الصحوة الإسلامية والحاجة لمراجعة هذا الواقع ومتطلباتها وما نحن فيه بين الواقع والمستقبل محتتماً حديثه وبحثه بالأمل والرجاء فى أن يلتقى العاملون فى مجال الدعوة فى رحاب الجامعة الإسلامية للاتفاق إلى الهدف والغاية المثلى .

ولقد كان للشيخ أبى بكر الجزائرى هو الآخر مُجَب (بضم التاء وفتح الحاء) أحاديثه لأن له المأماً عميقاً بالتوحيد وفهماً صحيحاً للعقيدة تدولى من خلال أحاديثه فجراً فى كثير من الأيام وحديثه عن « آية العدد » شرحاً واستنتاجاً وتعليقاً وتفسيراً ما يجعل من بحثه كترأً دقيقاً سال على الصفحات التسع . . .

وما بحث عميدنا الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدى - الجماعة فى ضوء الكتاب والسنة - بأقل فائدة ولا بأضال أهمية إنه حديث جم المنابع وفيه من الآداب والتربية ما يعطى القارئ المسلم نوراً وهدى . . . وإن ما فيه من الأدلة الواضحة والشواهد الجلية والاستنباطات الدقيقة ما يجعله يغنى عن كتب . . . وافاضته عن المساجد وأثرها فى تمتين الروابط وتقوية الأواصر ما يهب المسلم قوة معنوية تجعله يقبل على الصلوات الخمس جماعة التى هى الزم ما يكون بين المسلمين .

ولقد ثنى الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي بحديثه المتسلسل - ٢ - على ذلك حول صلاة الجماعة سائحا في فقه السنة جامعاً ومفسراً ذلك في ستة عشر صفحة تعتبر موسوعة في مجالها وهذه من مزايا الشريعة والتشريع الإسلامى الذى أبدع فيه الشيخ محمد بن ناصر السحيبانى فى حديث أنيق وبحث متأمل يحسن أن يكون «كتاب المجلة» .

ولقد كان الدكتور صالح سعد السحيمى موفقا فى مقاله عن - منهج السلف فى العقيدة وأثره فى وحدة المسلمين - إن العقيدة هى السياج الذى يحميهم ويلم شعئهم ويزيل العنصريات ويجعل من الجميع قوة واحدة متلاحمة والواقع أن ما تناوله حول الصفات واسماء الله وما قاله العلماء يعطى القارئ فكرة عن وعى شيخنا وعن اطلاعه الواسع ولاسيما نقده لأولئك الضلال الخارجين على الدين بأفكار شاطحة وآراء نادده . . . وإن الصوفيين هم أيضا من الشذوذ فى درجة استحقوا بها ما استشهد به من شعر فى من قال من زعماء الطرق :

قد خصنى بالفضل والتشريف      إن قلت كن يكن بلا تسويق  
وما أجمل آياتنا نقلها فى بحثه منها :

ألا قل لهم قول عبد نص      روح وحق النصيحة أن تستمع  
متى علم الناس فى ديننا      بأن الغنا سنة تتبع  
وان يأكل المرء أكل الحمار      ويرقص فى الجمع حتى يقع .

لقد رأيت حادثتين فى حياتى . . . فقد حضرت منذ ثلاثين سنة تقريبا فى حفل زاره أحد رؤساء الوزارات فى مصر لميلاد الرسول الذى سنوه لأنفسهم وما سنه أحد من المسلمين ورأيت امرأة ترقص حتى تعبت وسقطت من الاعياء . . . وحملوها إلى المستشفى والناس يكبرون ويحترمون شأنها . . . والثانية كنت فى دمشق منذ اكثر من عشرين عاماً ودعانى أحد الأخوان لزيارة - خلوة - فى هذه المدينة لجمعية اسلامية تدعى انها من السنة وزعيمها ورائدها . . . عندما صلينا العصر سألت لماذا لم تصل؟ قال لقد رفعت عنى التكاليف . . . ثم قال وقد كان فى مبدأ أمره فاسقاً يستعمل كل المحرمات ثم تاب وانا ب وصار يصلى طوال الأربع وعشرين ساعة فهتف به هاتف كما يقول !! وقال له غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فلا تصم ولا تصل . . . من هنا انفذ إلى كلمة - الدكتور السحيمى - التى ملأت حيزاً واسعا من المجلة انها لتنفذ إلى القلوب والأفكار لسدادها وصوابها وجودة بحثها وعمق معانيها .

وما أثر العقيدة الإسلامية . . . فى تضامن ووحدة الأمة الإسلامية للاستاذ الدكتور أحمد سعد الغامدى - إلا جزء متمم لحديث دكتورنا السحيمى إلا أنه فصل حديثه وقسمه اقساماً اربعة وجزأ الأحاديث لاثنى عشر موضوعاً وجعل له خاتمة ثم فصل وشرح هذه المواضيع شرحاً كافياً وشافياً . . .

ونتتابع الأحاديث والبحوث فيسعدنا الدكتور على عبد اللطيف ببحثه القيم عن العبادات فى الإسلام وأثرها فى - تضامن المسلمين مسهباً اسهاباً غير مملول عن الصلاة والصيام والزكاة وما لذلك من أثر وتأثير فى جمع المسلمين وتضامنهم وتوادهم وتعاوضهم وتعاونهم . . .



وبعد أن يملأ أذهاننا وأفكارنا شيخنا عبد العزيز بن عبد الله بن باز بفائدة التضامن الإسلامي يهدى إلينا الدكتور جمعه على الخولى بحديث شائق عن الإسلام الذى يسد منافذ الفرقة والاختلاف ويصون عوامل الوحدة والائتلاف . . .

ومن ينسى لا ينسى حديث شيخنا العلامة - عطية محمد سالم - عن مرتكزات التضامن والوحدة . . . كما أن أحاديثه المتواليه فجراً من - نداء الإسلام - جزء من فيض علمه وعسى أن يكون لحديثه الممتع وافاضته الجليلة وأفكاره الصالحة ولوج إلى أفكار شبابنا الذين هم في حاجة إلى مثل هذه البحوث التى يدبجها هؤلاء الأعلام . . .

وما حديث الدكتور محمد السيد الطنطاوى - عن كيفية اقامة النبى ﷺ أول دولة إسلامية على التضامن والوحدة وما سرده من الأحاديث والتعليقات عليها ينم عن سعة علم وفقه وإن - الفتح العمرى للقدس - من المكانة فى قلوب المسلمين والعالم أجمع الدليل قاطع على ما لهذا الدين من أمثلة وأنه دين البشرية إن المرء وهو يقرأ هذا الحديث الشائق ويسبح فى هذا الميدان الرحب ليذكر لعلمائنا الأمثال وأساتذتنا الأجلاء شرف العلم ونباهة التعلم واحاطة العارف .

وليس الدكتور محمد الجيوشى فى حديثه الثانى عن - الإسلام والمسلمين فى انجلترا ماضياً وحاضراً ومستقبلاً - امتداداً لحديثه السابق فى العدد الـ «٦٠» وأنه بهذا يعطينا عمقا فى بحثه وسلامة فى تنقيبه وسدادا فى مجهوده وبودى لوبحث عن مسجد - ليدى ستانلى هوب - وأين هو الآن؟ . . وهل من الممكن «وقد كان لدولتنا وجامعتنا الفتية مجهودها» أن تسعى وتجد فى السعى - لكى يكون هذا المسجد من مساجد المسلمين المصلّى فيها وخوفاً من أن يكون متجراً أو كنيسة . . . افلا تتولى الجامعة ذلك شراء وامتلاكاً يضم إلى ما عملته من خير عميم وتربية اسلامية صادقة . . . إننا لنتنظر فى العدد القادم بحثاً عنه . . . ولاسيما ودعاة الجامعة يوجدون فى انجلترا .

وشكراً للدكتور القادري على مسلسل أحاديثه فى المشارق والمغرب الذى ابدع فيه ممثلاً رحلة أوائلنا التجارية والداعية معاً . . . ورحلته هذه أطول من رحلته السابقة فى العدد «٦٠» . . .

ومن الرسائل - الرسالة الحادية عشرة . . . وإذا كانت هذه الرسالة مما لم يحملها البريد فقد حملتها المجلة هدية لقراءها . . . اشرفت بايضاح المعانى للآيات الكريمة تذكيراً ووعظاً وارشاداً . . . ولم تكن رسالة انشاء وصياغة كلام ولكنها من مشكاة القرآن والسنة أخذها من عشرات المراجع .

وإذا كان للبحوث جدواها . . . وللمقالات تأثيرها فإن للشعر صوتاً يغرد به - محمد بن عبد الله زربان الغامدى :

أيا بلبل الروض أين النغم      يفيض على القلب طيب النسم

فأين صقور الحمى هاجرت      ولم يبق من بعد إلا الرخم

آيا قادة العلم في أمة تحيط بها حالكات الظلم

ألا فاذكروا اليوم تفريطكم وما كان من زلة القدم  
ولكن :

إذا باطل قام في غفلة من الحق ثم انتشى وانتقم  
أفاق له الحق في عزة فعاد لادراجه وانهمزم

انه لشاعر... لو يستمر يدلى بدلوه في بثره... وسقى به سليم فكره... لأعطانا من شعره...  
ومن غالى دره ماهو ممتد إلى شعر حسان وكعب وغيرهما من سيوف المسلمين وأدباء المؤمنين. ولست  
بناس قصيدة محرم والحديث عن شعره الإسلامى الذى حُذِّثنا عنه في الجزء الـ «٦٠» بما يحلو ويغلو.  
وأجدنى أقف شاكرًا للدكتور إبراهيم زيد الكيلانى - عن الرأى العام في : المجتمع الإسلامى  
وبحثه الممتع وهو خلاصة خالصة لكتب وليس لكتاب واحد .

— وعن دور الإعلام في التضامن الإسلامى يتحفنا الدكتور ابراهيم إمام بحديث مفيد وافاضة عالم  
جدير بالتقدير عن الإعلام الإسلامى الذى يجدر بجامعتنا أن تعتربه بأن لديها دعاة هم الأعلام والعلماء  
معاً في مشارق الأرض ومغاربها... وبما أن كليات الإعلام في جامعاتنا وهى الآن أقسام فعليه أن يتلقوا  
هذا الحديث برغبة وقبول ليكون مادة من مواد علمهم...

وتستمر المجلة في أبوابها الجميلة وفصولها الممتعة وبحوثها الهادفة ثم تفيدها بالفتاوى الشرعية  
فينبرى لها شيخنا المفضل سماحة الشيخ الرئيس عبد العزيز بن باز- في حكم الصلاة على النبى ﷺ  
والاشارة إليها بالحروف وحكم ذلك إلى غير ذلك من الفتاوى مما هو موضع التساؤل كالسفر إلى بلاد  
الكفار...

وأقوال الصحف كما هو واجب فإن الاختيار فيها والمختار من أحسنها جدير بالنقل فقد فاضت في  
كلمات جلاله الملك الفهد عن الإسلام وتبرعه لكل مفيد يبنى الأفكار وعن نخوته نحو فلسطين وكل بلد  
اسلامى وموقفه العظيم في لبنان وأجاباته الجليلة وهو في رحاب الجامعة وعن جائزة الملك فيصل العالمية  
التي لها درجتها ومجاها - فرحم الله الملك فيصل - وبارك في ابنائه الذين كونوا هذه الجائزة ونموها ودفعوا بها  
العلماء إلى الانتاج والاختصاص الفكرى والدينى والأدبى والمرء وهو يقرأ المجلة يصل إلى قرارات  
وتوصيات مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الصائبة والتنويه والتحذير من كل ما يعمله الكيان  
الصهيونى والتحذير من القاديانية الكافرة التي هى احدى أفكار الأنجليز واليهود في افساد المسلمين ومن  
اجمل ما يكون نداء الملك فهد إلى الاخوة المتقاتلين في لبنان :

اما أخبار الجامعة فممتعة وفي التعيين عمادها... وتهنئة للشيخ صالح العبد الله المحيسن في نيابة  
الرئيس داعياً له بالتوفيق كما نرف التهنئة للدكتور محمد حمود الوائلى في وصوله إلى خدمة الجامعة حيث  
صار أميناً عاماً... جعله الله موفقاً مسدداً .

وحيا الله ضيوف الجامعة ووفودها . . . وتبركات المحب الودود لكل من حمل رسالة ونجح في «ماجستير أو دكتوراه» وبارك الله في نشاط الموسم الثقافي بالجامعة الذي اعتبره من اجمل ما عمله الجامعة .

هذا ولقد كان للمجلة في نفسى مكان . . . ولها عند من يحظى بها تقدير واكبار. وهي موسوعة مصغرة لعلوم الشريعة والأدب ومنطلق للبحث والتنقيب وأود أن يكون فيها بحوث لغوية وتصويبات في المستعمل في المجلات والصحف وتقويم للالسن يُختار من كتب اللغة والفقهاء اللغويين من قواميسنا المفيدة امثال القاموس وشرح القاموس وان لا يكون لقواميس النصارى كالمنجد وما ماثله مكان في البحث فإنها لا تعنى باللغة إلا للتضليل وتمكين الدخيل والكلمات الاعجمية وتحريف معانى الإسلام تحريفاً مخلاً يزرع في شبابنا الخطأ الذي لا يمحوه ماح . . .

لهذا أرجو أن تولوا ذلك عناية فائقة وتكليفاً ممن هو أهل لذلك لتحظى مجلتنا بذلك ولتكون سفراً متكاملًا . . . كما أود أن ترسل هذه المجلة للثانويات من المملكة ومكاتب الطلبة في سائر المدارس المتوسطة فإنها سفر جليل وكنز دفين . . .

هذا وقد اسهبت وخضت خوضاً اجدني فيه لست فارساً ولا ممارساً ولكنى ارغب اشعاركم بأن لها مكاناً في قلبي ومكاناً في مكتبتى . . . ولم أشأ بهذا الكتاب إلا الإعلام بأنها عندي ولي شىء مهم .

تحياتي للمحررين والكاتبين<sup>(١)</sup>

عثمان الصالح - الرياض

---

(١) شكر وتقدير :

وأ أسرة تحرير المجلة إذ تشكر لسعادة الأستاذ عثمان الناصر الصالح مشاعره الطيبة نحو مجلة الجامعة لئتمنى له مزيداً من التوفيق والسداد. ونرجو أن تكون مجلة الجامعة عند حسن ظن جميع القراء . . .

مجلة الجامعة الإسلامية

بركة البحوث والمقالات التي لم تنشر  
إلى كتابها ولا بإيداء أئمتنا عدم نشرها.



# محتويات العدد

الموضوع	الصفحة
— قبس من كتاب الله .....	
— من نور النبوة .....	
— حكمة العدد .....	
— كلمة التحرير	للدكتور صالح بن عبد الله العبود ١٣
<b>■ التفسير وأصوله ■</b>	
• القرآن يتحدى	د. محمد سيد طنطاوى ..... ١٩
<b>■ الحديث وأصوله ■</b>	
• القول الفصل في العمل بالحديث المرسل	للشيخ حسن رزق ..... ٢٩
<b>■ العقيدة ■</b>	
• أول واجب على المكلف عبادة الله تعالى	للشيخ عبد الله الغنيان ..... ٤٥
• منهج الأشاعرة في العقيدة	للشيخ سفر بن عبد الرحمن ... ٦٥
• اضطراب الناس في مسألة الكلام	للشيخ عبد الكريم مراد ..... ١٠٥
<b>■ الفقه وأصوله ■</b>	
• نظام الاثبات في الفقه الإسلامى	د. عوض أبوبكر ..... ١١٩
• الإمداد بأحكام الحداد	د. فيحان المطيرى ..... ١٤٥
<b>■ ثقافة إسلامية ■</b>	
• الكتاب والسنة : أثرهما ومكانتهما والضرورة	
إليهما في إقامة التعليم في مدارسنا	د. ربيع هادى ..... ١٧٥
• طبيعة العقوبة في الشريعة الإسلامية ومثاليته	د. حمد الحماد ..... ١٩٢

# محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

## ■ سيرة وتاريخ ■

- الملك عبد العزيز آل سعود .. بين نُصْره لله  
ونُصْرِ الله له
- من مراحل الدعوة الإسلامية في مكة
- العهدة العمرية
- للشيخ إبراهيم الجمل ..... ٢٠١
- د. جميل المصري ..... ٢١٨
- د. شفيق جاسر أحمد ..... ٢٣٣

## ■ لغة وأدب ■

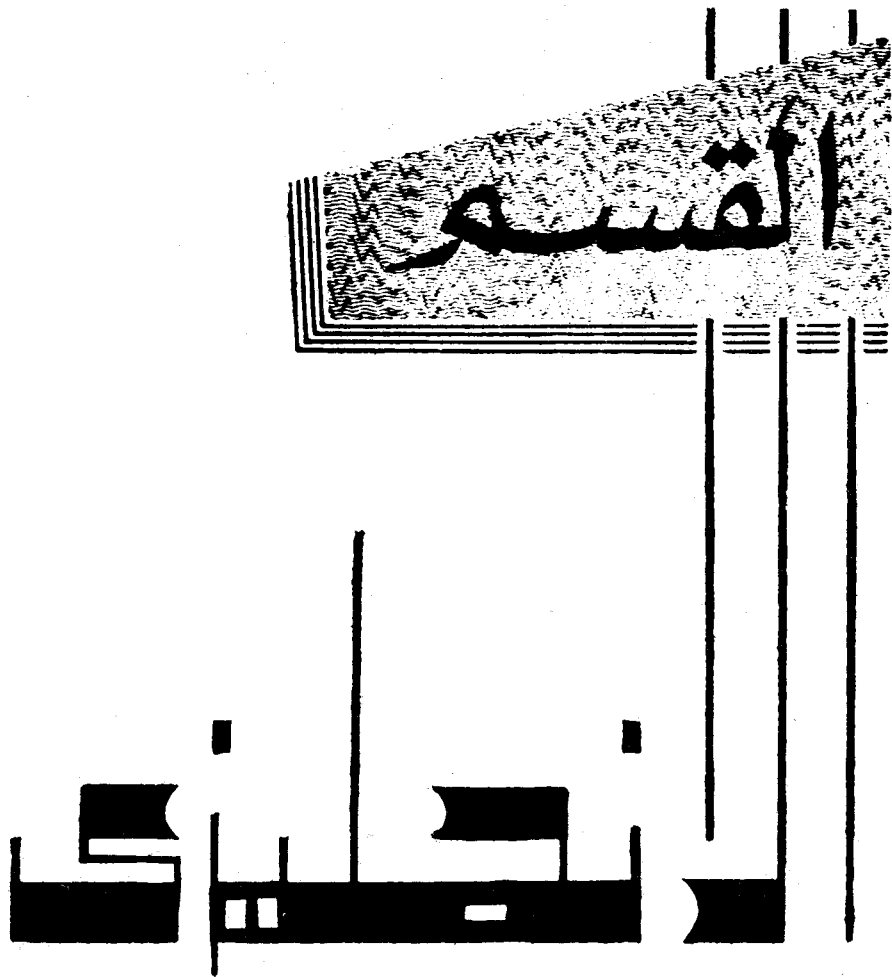
- رسائل لم يحملها البريد
- الأدب الإسلامي وعلاقته بالمجتمع والحياة
- لا تقل .. وقل
- غريب يبحث عن غريب (شعر)
- من تراثنا الشعري
- للشيخ عبد الرؤوف اللبدي ... ٢٤٣
- د. نجيب الكيلاني ..... ٢٦٥
- د. عبد العظيم الشناوي ..... ٢٧٠
- للشيخ محمد عبد الله زربان ... ٢٧٢
- للشاعر أبي إسحاق إبراهيم الأندلسي ٢٧٥

## ■ بحوث طبية ■

- الأقراص - الحبوب - الكبسول
- للصيدلي حمدي إبراهيم ..... ٢٧٩

## ■ مختارات من الصحف ■

- تنبيهات هامة على ماكتبه الشيخ محمد علي  
الصابوني في صفات الله عز وجل
- أخبار الجامعة
- رسالة إلى رئيس التحرير
- محتويات العدد
- القسم الإنجليزي
- لساحة الشيخ عبد العزيز بن باز ٢٨٧
- ٣٠٥
- ٣١٩
- ٣٢٧







In fact polyandry is one kind of perversion, that Islam has done away with. The efficacious remedy for polyandry and promiscuity is polygamy and not monogamy. Hence, the true teachings of Islam is the real remedy.

The shallow- minded people while commenting on this issue compare “four wives in Islam” with one wife in the west. Why? Can they not see what is happening around them? Why do they not compare “four wives in Islam ‘with’ one wife along with forty keeps” in the west? Are they ignorant of the established and well known statistics about the illegitimate issues in their society? The mother country of this Encyclopaedia Britannica, legalized sodomy and sexual anarchy in mid sixties. The contributors to this Encyclopaedia have ignored the sexual anarchy be-seiging them, and brought their malignant and groundless charges against Islam in an attempt to tarnish its pristine purity, thus betraying their own ignorance .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين



“Polyandry and promiscuity was quite largely practised and had wide forms of perversion in old Greece, Rome and some parts of France, for quite a long time, a period of 3 to 6 centuries. We note that this was a part of their social framework”. (Prof. Lecki, History of European Morals, Vol. 2, p.220).

Where is Polyandry found? Let us see in different Encyclopaedias also:-

“The taking of more than one husband is common among primitive groups. It was permitted among the Todas of India and the Eskimos. Some groups in Tibet still practise it”. (The World Book Ency. Vol. 15 p.575 USA,1979).

“Polyandry was or is found among the people of Tibet, the Todas of Southern India, the Gilyakhs of Russian Siberia, some African societies, Indians of South America, the Aleut and the Kaniagmiut of the Alaskan coast, the Canary Islands, Madagascar, the Malay Archipelago, certain South Sea Islands, and the Marshall Islands. Thus polyandry was or is very widely practised”. (Page No. 326, Vol.22, Ency. Americana, USA. 1958).

“Polyandry... occurs in Ceylon, parts of India and Tibet... An unusual version was reported from the Lele of the Belgian Congo, where certain women are regarded as common wife of all the men in the village. The child of such a woman is a “child of the village”, and has a special exalted status... the woman has only one legal husband and her children have only one legal father, but her lovers have a recognized and respectable status. Institutions of this kind have occurred sporadically throughout history; Caesar is a witness for the ancient Britons; Herman Melville for the Marquesas islanders; about 1716 it was fashionable at the court of Vienna”. (Page No. 180, Ency. Britannica, ed. 1965, Vol. 18.).

This can very clearly show that:-

- 1 — Polyandry is not found in any part of Muslim World.
- 2 — It is found in the areas where the light of Islam has not reached at all.
- 3 — The last quotation (from Ency. Britannica) shows that its traces are found in Roman Empire, Europe, North America, South America, Christian Africa, Buddhist areas, South East Asia, Hindu Todas in India.

4 — Polyandry and Promiscuity is found now- a-days in the permissive societies of Europe, America, Japan, Phillipines and specially in the Scandana- vian countries i.e. Norway and Denmark.

5 — It is no-where to be found in any part of the Muslim World. Will the au- thor pin-point even a smallest village in the remotest area in the Muslim world where polyandry or promiscuity has been or is prevalent in any form?.

Islam puts an end to polyandry and promiscuity. Promiscuity is never to be found in Arabia and the entire Muslim World. It has never crept in any part of the Muslim society due to the stern legal framework.

Arabs could take pride in women and get their descent, status and inheritance traced through the mother's side.

Moreover, we can always trace in their history the line of their descents (Ansab). These can easily show that they never traced their descent, etc. through their mothers. They would always recite these lines of descents (Ansab) tracing them through paternal side and take pride in their fore-fathers.

How dishonest is the author that he bases one white lie on another.

Based on this speculation, he comes out with the most heinous charge against Islam, which had never been uttered before. He says that the habit of tracing descent etc. through mother's side in Arabia and Muslim society "led to the neglect of paternity and permitted forms of polyandry (having many husbands at once) sometimes verging on promiscuity".

I postpone my detailed account on this subject to some other occasion. At the moment, I pose a few pertinent questions which would clarify the whole position:-

Q. No.1. What is the origin and history of polyandry and promiscuity and where is it found now -a- days?

Q. No.2. What is the actual situation prevailing in the Muslim world?. Is it polyandrous and promiscuous?.

Q. No.3. What is the contribution of Islam towards this problem?.

Q. No.4. What is the origin and history of Polyandry and Promiscuity and where is it found today?.

Let us see what do the Western scholars say about it:-

"All forms of sexual anarchy and sexual liberation was found in Roman Empire, but what is more delighting is that complete sexual freedom is governed today by women in all parts of the West. The old forms of sexual relations are practised today with new forms and new meanings". (The Meaning of Sex, by Dr. H. Robinson, A.Heartfield, New York 1974. p.69).

"Women having so many husbands are also found in Argentina and some parts of Latin America".

(The Slave Trade, by Oliver Reinsford, 1971, Thom Murray).

"The Modern Permissive Society claims of Women's Liberation. Whereas polyandry, in a very advanced form is practised in Sweden and Denmark". (Sex and Dehumanization, by Prof. Holbrooke, p.149 'London').

"Polyandry is found in Australian Aboriginies. Widely still in Australia there are some forms of polyandry". (Woman's Liberation, by A.Alfred Smith, Hans Publications, p.134, Toronto. 1968).

“Ye are never able to be fair and just as between women, even if it is your ardent desire; but turn not away (from a woman) altogether, so as to leave her (as it were) hanging (in the air). If ye come to a friendly understanding, and practise self - restraint, God is Oft - forgiving, Most Merciful.” (129). (Verses No. 128 - 129, Chapter “Women” (An-Nisa); Translation by Abdullah Yusuf Ali).

Abdullah Yusuf Ali explains the meanings of these two verses as follows:-

“In this material world there are two principal causes of division between man and wife, money and” the other woman or the other man”. Money was dealt with in the last verse. Here is the case of “the other woman” Legally more than one wife (upto four) are permissible on the condition that the man can be perfectly fair and just to all. But this is a condition almost impossible to fulfil. If, in the hope that he might be able to fulfil it, a man puts himself in that impossible position, it is only right to insist that he should not discard one wife but at least fulfil all the outward duties that are incumbent on him in respect of her”.

Sheikh-al Islam Shabbir Ahmad Usmani explains this verse (129) in a footnote:-

“If you have more than one wife, it shall not be completely possible for you to maintain equality and justice among them in each and every affair and in love and sentiments; so do not be cruel so as to bend towards one of them completely while keeping the other one hanging in air, rendering her unable to be in comfort with you, nor to be able to get married somewhere else”.

### **Did Islam lead to Polyandry and Promiscuity?**

The author of the article “Muhammad” writes:-

“The background of Muhammad’s marital arrangements is the prevalence in Arabia of a matrilineal kinship system (in which descent, status, and inheritance are traced through the mother’s side), which led to the neglect of paternity and permitted forms of polyandry (having many husbands at once) sometimes verging on promiscuity”. (Ency. Britannica, ed, 1978, vol.,12, p. 609).

This is downright lie and sheer nonsense. It is absolutely wrong to say that even during the age of paganism in Arabia, descent, status and inheritance were traced through the mother’s side, not to say of the post Islamic era. The pre- Islamic Arabs would be ashamed of women. They would bury the daughters alive due to this sense of shame. They would always take pride in their fathers and forefathers. The women were not treated as human beings. It is only Islam which provided them human rights. It can not be conceived even for a moment that the

On this part of the Quranic verse which is completely cut off from its second half and the whole of its context, the orientalist have built the infrastructure of their heinous charges against Islam and the Prophet Muhammad (P.B.U.H.) .

They have repeatedly mentioned that Islam is a religion of sexual lust and has given polygamy priority over the concept of justice .

The deplorable fact is that they intentionally separate this part of the verse from its second part and its context. They also cleverly neglect the meanings of justice as mentioned by the Quran here .

In reality, the Quran has used the word ‘justice’ in two senses:-

1 — Justice in material and economic terms, meaning thereby that one must be treating all of his wives equally and judicially so far as the economic needs are concerned. This is not an impossibility; rather this is a must. Right above this quoted part of the verse No. 129, we can see verse No.128, wherein the Quran has emphasized economic justice. “Even though men’s souls are swayed by greed”:

2 — Justice in terms of sentiments of love and hatred, meaning thereby that one may love all of his wives equally, and may have the same kind of sentiments for all of his wives. This is, of course, neither possible nor practical. The Quran has allowed some concession here.

But let us look at the second half of the quoted verse. It exhorts man not to turn away from a woman altogether. What the Holy Quran is stressing here is to be completely just in economic matters and not to be attached to one woman completely while leaving the other even if he loves one woman more than the other. Granted, that it is not possible for a man to love two or three or four women equally and to have same kind of sentiments for all because he is a human being but it never means that he should be swayed by his sentiments of love and hatred and start disregarding the sentiments of others.

The Quran admits that absolute justice and equality in terms of sentiments is not humanly possible but it emphasized that one must have some sort of self-restraint and try to be just, loving and friendly as much as possible .

The whole superstructure of heinous charges based on this part of the verse is exploded when we go through the context of the complete verse No.129. One can only pity the attitude of the author at this juncture. I quote the verses No. 128 and 129:-

“If a wife fears cruelty or desertion on her husband’s part, there is no blame on them if they arrange an amicable settlement between themselves; And such settlement is best; even though men’s souls are swayed by greed. But if ye do good and practise self-restraint, God is well acquainted with all that ye do. (128) .

# **Polygamous Marriages of the Prophet (P.B.U.H.)**

**by Dr. Malik Ghulam Murtaza  
Asstt. Prof. and Head of the Translation Deptt.**

**There are two heinous charges against Islam concerning the polygamous marriages of the Prophet (P.B.U.H.):-**

**1 — Doing justice between the wives is an impossibility according to the Quran. It may mean either of the following:-**

**a — The Quran banned polygamy; or**

**b — The Quran exhorts people to sexual debauchery without caring for justice and equality between different wives.**

**2 — The Polygamous marriages of the Prophet have resulted in polyandry and Promiscuity in the Arab and Muslim society.**

**Now, let us deal with this subject .**

**Justice and Polygamy: Is Justice an Impossibility according to the Quran ?**

The author of the article “Islam” writes:-

“The Quran even suggests that “You shall never be able to do justice among women, no matter how much you desire” [Encyclopaedia Britannica,1979 Vol.9].

This is a typical dishonesty of the Orientalists. The author has quoted the first half of the verse No. 129 of the Chapter, “Women” (An-Nisa) from the Holy Quran and left the other half .

He has criminally tried to thrust particular meanings in the Quran i.e. it suggests that you may have polygamy without paying heed to justice because “You shall never be able to do justice among women no matter how much you desire”. The author has in fact charged the Holy Quran with the concept that “to do justice among women” is an impossibility; so why to bother about it? One should feel free and enjoy without having any pangs of conscience .

We can take note of the author’s words, “The Quran even suggests”. He wants to bring out that the Quran exhorts people to yield to their sexual desires without paying heed to the concept of justice because justice is an impossibility .



**Journal of**

**THE**  
**ISLAMIC**  
**UNIVERSITY**

**OF**  
**MADINAH MONAWWARAH**

**RABI' E THANI — JUMADA ULA — JUMADA THANI**  
**1404 A. H.**

**62**

**16 th Year**



الجامعة الإسلامية  
بالتنوير  
بمَجْلَدٍ دَوْرِيَّةٍ تَصْدُرُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي الْعَامِ

السَّنَةُ ١٦

الْعَدَدَانِ

٦٤ و ٦٣

رَجَبُ - ذُو الْجَمَادِ ١٤٠٥ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

الأعضاء

رئيس التحرير

د. صلاح بن محمد بن عبد الله العنود

د. أحمد بن عطية الغاندي

د. علي سلطان الشامي

د. بزوف بن هياك الزهري

مدير التحرير

د. محمد بن عوي الراجحي

الرسالة: ترسل أيام مدير التحرير - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



قَبَسٌ  
مِنْ

# كِتَابِ اللَّهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

وَكَلَّا نَقْصُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ  
مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ  
وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ  
لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٤١﴾  
وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٤٢﴾ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ  
وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٣﴾





# حِكْمَةُ الْعَدْلِ

أَشْتَرِ نَفْسَكَ الْيَوْمَ فَإِنَّ السُّوقَ  
قَائِمَةٌ وَالثَّمَنَ مَوْجُودٌ، وَالْبَضَائِعَ  
رَخِيصَةً، وَسَيَأْتِي عَلَى تِلْكَ السُّوقِ  
وَالْبَضَائِعِ يَوْمٌ لَا تَصِلُ فِيهَا إِلَى قَلِيلٍ  
وَلَا كَثِيرٍ، ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ  
يَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ..

الفوائد لابن القيم.



# كَلِمَةُ التَّحْرِيرِ

لِلدُّكْتُورِ صَبَّاحِ بْنِ حَبِيبٍ (رَبِّ الْعَبُودِ)  
رئيس قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأصلى وأسلم على محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد : فإن هذا العدد من مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة هو بداية تحديد اتجاه المجلة إلى الاقتصاد على نشر الأبحاث العلمية التي يسهم فيها أساتذة الجامعة ، ولذا جاء عدداً هذا حافلاً ببحوث علمية في العلوم الإسلامية والعربية لعدد من الأساتذة الفضلاء .

وما من شك أن البحث والنظر والاستدلال والتوثيق يفيد العلم وهو من خصائص الإسلام التي اقتبسها رواد الكشوفات العلمية فاستضاء بها العالم كله . وهذا المنهج من طرق التماس العلم . فسلكه سلوكاً يلتزم بالإسلام وينبثق منه ويستند في دقته ونتائجه على عقيدته الحية كما يستمد منهاجه وخططه من شريعته هو سلوك راشد مشروع يرجى لصاحبه أن يسهل الله له به طريقاً إلى الجنة .

ذلك أن العقيدة الإسلامية هي التي جمعت الصدق والصلاح وسلمت من الضلال والفساد وتضمنت جميع الحكمة والعلم النافع والعمل الصالح وهذا هو سر السيادة وسبب العز والظهور والنصر والغلبة والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة .

إن العقيدة الإسلامية هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى تصديقاً وإقراراً وتسليماً وانقياداً بالقلب واللسان والجوارح وأعلى ذلك شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً ، وعموماً فالإيمان هو طاعة الله تعالى وتحقيق امتثال أمره وأمر رسوله ﷺ ابتداءً من أعلى شعب الإيمان وهي شهادة أن لا إله إلا الله إلى أدناها وهي إمطة الأذى عن الطريق كما شرع الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ والتعبد لله تعالى

بهذه الطاعة حبا ورجاء وخوفاً لله ومنه سبحانه وتعالى تعبدا يصل إلى درجة المراقبة والاحسان وهي أن يعبد الإنسان ربه بذلك كأنه يراه فإن لم يكن يراه استشعر أن الله يراه شعوراً لا يغيب عن باله في جميع أحواله التعبديّة أو غالبها فيثمر تقوى الله في السر والعلن .

إن عقيدة هذه ماهيتها ثمر الأمن والهداية في الدنيا والآخرة وبقدر اعتقادها يتحقق ثمرها من الأمن والهداية فمن اعتقدتها اعتقاداً تاماً كان له الأمن التام والهداية التامة ومن كان اعتقاده دون التمام حصل له من الأمن والاهتداء بقدر اعتقاده . قال الله تعالى :

﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ (الأنعام: ٨٢) .

وان من يتأمل الواقع الذي نعيشه في المملكة العربية السعودية يدرك أن ما نحن فيه من أمن يفوق ما فيه أهل عصرنا من الدول وغيرها هو من أثر العقيدة الإسلامية التي دعا إليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وناصره آل سعود عليها ووازره على إعلاء كلمة الله تعالى فاقبلوا على معرفة ما عند الشيخ من العلم والارادة حتى إذا عرفوا صدق موافقته للحق نفذوا ذلك بالسلطان والإدارة والسيف والعزيمة يريدون ما عند الله تعالى ، فصنع لهم الله من عظيم صنعه ، وأظهر لهم من الدولة ما ظهروا به على سائر العرب ، وكلما كان الأمر على ذلك العهد المبارك كلما كان في بحبوحة العز والنصر والظهور ، ولا نزال والله الحمد ، ننعم بوارف ظلال عقيدة السلف الصالح المبنية على صحة العلم وصلاح العمل تحت دوحتي أهل العلم وأهل العمل من علماء الدعوة وأنصارها .

هذا وإن اقتصار المجلة على نشر البحوث العلمية الموثقة من الأساتذة الجامعيين ليرجى منه أن يجمع قوتها ويركزها على التخصص العلمي النافع فما ذلك إلا استجابة لمتطلبات المسيرة العلمية التي تسيرها الجامعة الإسلامية لتفي بسد بعض حاجات المجتمع الإسلامي العالمي للتخصص العلمي حسبما يمليه وجودها إذ هي مؤسسة إسلامية عالمية من حيث الغاية ، وعربية سعودية من حيث التبعية ، ذات شخصية اعتبارية مستقلة ، ومن أهدافها إعداد البحوث العلمية وترجمتها ونشرها وتشجيعها في مجالات العلوم الإسلامية والعربية خاصة ، وسائر العلوم وفروع المعرفة الإنسانية التي يحتاج إليها المجتمع الإسلامي عامة ، وتجميع التراث الإسلامي والعناية بحفظه وتحقيقه ونشره .

ونسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه وأن يسلك بنا سبيل أتباع رسوله ﷺ أهل البصيرة والصدق والاخلاص في العلم والعمل وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه .

# آيَةُ الْعُدُدِ

لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ  
مُسَمِّيهِ تَسْمِيَةَ التَّفْسِيرِ بِالْجَامِعَةِ

قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

الآية ( ١ ) من سورة الفاتحة

بسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله . محمد وآله وصحبه ومن آمن به واهتدى بهداه . . .

وبعد : فإن قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ هو الآية الأولى من كتاب الله تعالى ( القرآن الكريم ) هذا على ما رجحناه ، وإلا فعند الشافعي رحمه الله أن الآية الأولى هي بسم الله الرحمن الرحيم . وحينئذ فالحمد لله رب العالمين هي الآية الثانية . وعلى كلا المذهبين فآيات الفاتحة سبع لا غير ؛ لقوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾ . ( الحجر ) . وقوله ﷺ : « هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت » . ( الصحيح ) .

وبناءً على أن البسمة آية من الفاتحة فالآية السابعة هي : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ . وإلا فالآية السابعة هي : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ .

وفائدة هذا الخلاف أن مَنْ رَأَى البسمة آية من الفاتحة وجب عليه أن يقرأها كلما قرأ الفاتحة في الصلاة ، وإلا بطلت صلاته . وَمَنْ لم يَر أنها آية قرأها أو لم يقرأها فصلاته صحيحة إلا أن قراءتها سرّاً في الصلاة الجهرية أحوط وأكثر أجراً .

ومنشأ هذا الخلاف : أن الفاتحة نزلت مرتين مرةً بالبسمة ومرة بدونها والمقصود من البسمة هو التبرك بذكر اسم الله تعالى والاستعانة به على التلاوة والصلاة فلذا قراءتها أرجح من عدمها ، وإنما نظراً لحديث أنس في الموطأ والصحيحين : « أنه صلى وراء رسول

الله ﷻ ووراء أبي بكر وعمر فكانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين»، فإن الاختيار أن تقرأ البسملة سراً، ثم يجهر بالقراءة في الصلاة الجهرية .  
بعد هذه المقدمة نشرح الآية الكريمة فنقول :

### شرح الكلمات في الآية :

**الحمد :** «ال» فيها لاستغراق الجنس أى أن عامة ألفاظ الحمد وسائر كلمات الثناء والمحامد التى عرفها الناس، وما لم يعرفوا منها هى لله تعالى ، والله مستحق لها جميعها .  
وفي الحديث : «اللهم لك الحمد كما أنت أهله» .

**والحمد :** هو الوصف بالجميل الاختيارى والمدح مثله إلا أنه يفارقه فيكون بالجميل غير الاختيارى كأن نحمد زيدا فنقول : زيد ذو خلق فاضل، ونمدحه فنقول : زيد جميل الوجه معتدل القامة . فكان قولنا : زيد ذو خلق فاضل حمداً؛ لأنه على الجميل الاختيارى، وكان قولنا : زيد جميل الوجه معتدل القامة مدحاً؛ لأن جمال وجهه واعتدال قامته حصل له بالاضطرار لا بالاختيار، أى لم يكن هو الذى جعل وجهه وعدل قامته بل الفاعل لذلك هو الله تعالى بخلاف حسن خلقه فإنه حصل له بكسبه واختياره . وصفات الجمال فى الله تعالى كلها اختيارية . لذا يحسن أن نقول حمدنا الله تعالى ونحمده، ولا نقول مدحنا الله تعالى ونمدحه، كما يحسن أن نقول : مدحنا زيدا نمدحه، ولا نقول : حمدنا زيدا نحمده لما علمنا من أن الحمد هو الوصف بالجميل الاختيارى، والمدح هو الوصف بالجميل الاختيارى أو الاضطرارى .

والشكر كالحمد، وفي الحديث الشكر رأس الحمد . إلا أن الشكر هو المدح بالفواضل وهى النعم المتعدية . والحمد هو المدح بالفضائل . وقد يجمع بينها فيقال زيد جميل كريم تصدق بألف . ولذا فالحمد يكون باللسان فقط والشكر يكون باللسان والقلب والجوارح كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة      يدى ولسانى والضمير المحجبا  
والشكر بالقلب معناه اعتراف القلب بنعمة المنعم فيحمده عليها بلسانه ويشنى بها عليه بتكراره .

لله : اللام فى لله هى لام الاستحقاق والملك كقولنا الجائزة أو الدار لعمر وأى أن الجائزة مستحقة لعمر والدار ملك له . وجميع المحامد مستحقة لله تعالى ملك له، فليس

لغيره من سائر خلقه حق فيها ولا استحقاق ولا ملك . وسنين ذلك فيما بعد إن شاء الله .

**الله** : اسم الربّ تبارك وتعالى وهو عَلَّمَ على ذاته عز وجل ، والله تعالى مائة اسم إلا اسماً واحداً للحديث الصحيح . وأعظم تلك الأسماء الحسنی هو اسم ﴿الله﴾ وإذا نودى به تعالى قد يحذف حرف النداء «يا» ويُعوض عنه ميم مشددة تلحق آخره فيقال : اللّهُم . وقد ينادى بدون إلحاق حرف الميم في آخره ، فتقطع همزة الوصل فيه فيقال : يا الله . وهو واسم الرحمان لا يسمى بهما غير الرب تبارك وتعالى . وأما لفظ الربّ فقد يطلق على غير الله تعالى مضافاً نحو : قولنا رب الدار ، ورب السلعة بمعنى مالكها ، ويقال : فلان ربّ ، أو الربّ بلا إضافة . ومن خصائص اسم الجلالة ﴿الله﴾ أنه يوصف ولا يوصف به فيقال : الله الرحمن الرحيم ، أو العزيز الحكيم . ولا يقال الرحمن الله ، أو العزيز الله ، ولذا رجح بعض أهل العلم أن يكون الاسم الأعظم لله تعالى هو ﴿الله﴾ أو مع الحيّ القيوم . ﴿الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم﴾ . وذلك للخبر . . .

ومعنى ﴿الله﴾ : المعبود بحق ، إذ الأصل في تركيبه : إله فحذفت الهمزة منه وعرف بال فصار ﴿الله﴾ وجعل علماً على ذات الرب الواجب الوجود سبحانه وتعالى . وعلى القول بأنه مشتق غير مرتجل فإنه مأخوذ من أله يأله إلهة وألوهية : إذا عبده محباً له غاية الحب معظماً له غاية التعظيم خاشياً إياه غاية الخشية .

ومادة أله جاءت في لغة العرب لمعان كثيرة منها إله إذا عبد ، وأله إذا تحير ، وإله إذا فزع ، وإله إذا سكن . وكل هذه المعاني صالحة لاسم الله إذ هو تعالى المعبود بحق . قال تعالى : ﴿وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله﴾ أى معبود فيهما معاً . والله تعالى تتحير العقول في معرفة كنه ذاته وتضطرب وتقر بالعجز ؛ إذ ليس كمثل شىء وهو السميع البصير ، وتفزع إليه الخلائق إذا نزل بها أمر تدعوه وتتضرع إليه ليكشف عنها ما نزل بها ، وتسكن إليه القلوب المؤمنة وتطمئن بذكره قال تعالى : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ فلذا كان أفضل أنواع الذكر لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

**رَبّ** : الربّ اسم من أسماء الله تعالى ، لا يصح إطلاقه على غير الله تعالى إلا مضافاً كما تقدم بيانه . ولفظ يطلق ويراد به معان كثيرة فيكون بمعنى الخالق ، الرازق ، المدبر ، المصلح ، المربى ، المعبود ، ويكون بمعنى السيد والمالك . وكل هذه المعاني مستحقة لله تعالى فلا تطلق على الحقيقة إلا عليه عز وجل وتطلق دون الخالق والمعبود على غير الله

تعالى إطلاقاً إضافياً غير حقيقى ، فيقال فلان مصلح أو مرب أو سيد أو مالك . نحو فلان مصلح السيارات ، ومربى الأولاد ، وسيد البلد ، ومالك الدار ، وما إلى ذلك . ومن شواهد اللغة على إطلاق لفظ الرب على المعبود قول الأعرابى ، وقد وجد ثعلبا شاغراً رجله يبول على صنم كان يعبده :

أربُّ يبول الثعلبان برأسه      لقد ذل من بالث عليه الثعالب  
وتركه كافراً به فلم يرجع إليه أبداً . . .

وللأستغاثة باسم الرب تعالى أترطيب إذا كانت بلسان صادق وقلب سليم من الشرك إذ قال رسول الله ﷺ : «إذا قال العبد يارب يارب ثلاثاً ، قال الله تعالى عبدى سل تعط» . رواه ابن أبي الدنيا فى الدعاء عن عائشة رضى الله عنها .

**العالمين :** العالمين جمع واحدُه عالم ، والعالم كل ما سوى الله تعالى ، وسمى كل شىء من المخلوقات عالماً كعالم الملائكة وعالم الجن وعالم الإنسان ، وعالم الدواب وعالم الطير وعالم النبات ، وعالم السموات ، لأنه علامة على خالقه ومدبره ومصلحه وحافظه عز وجل . ومن هنا كان رب العالمين معناه : خالق الخلائق ومالكهم ، ومدبر وجودهم وحياتهم ، ومعبودهم الحق الذى لا معبود لهم على الحقيقة غيره سبحانه وتعالى .

كان ذلك شرح مفردات الآية الكريمة تفصيلاً . وأما تفسير الآية إجمالاً فإنه :

( يخبر تعالى عباده بأن له الحمد كله ، استحقه بخلقه العوالم كلها ، وبملكها كلها ، وتدبيرها كلها ، والقائم على إصلاحها وتربيتها كلها فلا رب لها غيره ، ولا معبود حق لها سواه . وضمن هذا الإخبار الأمر بحمده تعالى والثناء عليه بلفظ الحمد لله . وأنه تعالى يجب أن يحمد على آلائه ، كأنها قال : قولوا الحمد لله رب العالمين ) . . .

هذا معنى الآية وأما ما فيها من هداية وأحكام فإلى القارىء الكريم ذلك إزاء الأرقام

التالية :

(١) فضل «الحمد لله» حيث قالها الله تعالى لنفسه وأمر بها عباده أن يقولوها له ، وفى الحديث (١) الصحيح الحمد رأس الشكر ، وأن الله تعالى يجب من العبد إذا أكل الأكلة أو شرب الشربة أن يحمده عليها . وما من عبد أنعم الله عليه بنعمة فقال فيها : الحمد

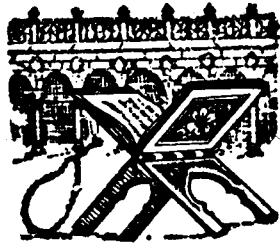
(١) أورد هذه الأحاديث ابن كثير فى تفسير سورة الفاتحة فليراجعها من شاء .



لله ، إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ . وما من أحد أحب إليه الحمد من الله تعالى ، ولذا حمد نفسه بنفسه فقال الحمد لله .

(٢) أن الحمد لا يكون إلا لمن له فضائل أو فواضل اقتضت حمده فلا يحل حمد أو مدح من لا فواضل له ولا فضائل ؛ إذ مدح البخيل بالكرم زور ، ومدح السخيف بالكمال كذب . ومدح الجبان بالشجاعة باطل ، ومدح الظالم بالعدل حرام . ودليل هذه الحقيقة أننا بالاستقراء والتتبع ما وجدنا الله تعالى حمد نفسه إلا وذكر موجب الحمد ومقتضاه مثل الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب . . .

(٣) وجوب قول الحمد لله في الصلاة ومشرعيته بالندب عند حصول كل نعمة وتجدها ، ومن ذلك عند لبس الثوب والفراغ من الأكل أو الشرب ، وعند دخول المسجد والخروج منه « بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله » وعند افتتاح الخطبة ، وختم الدعاء . « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » وعند ركوب الدابة أو السيارة والطائرة والسفينة للآية . ﴿ لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ﴾ . ولازم ذكر النعمة شكرها والحمد لله رأس الشكر . اللهم أجعلنا من الحامدين لك الشاكرين لإنعامك وإفضالك بطاعتك وطاعة رسولك ﷺ . . .



# أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْمُطَّافِ .. عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى

وَصُوحٌ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَدَعَوَاتِ الرَّسُلِ

لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْغَنَمَاتِ

٢

رئيس قسم الدراسات العليا

القسم الثانى : توحيد التوجه والقصد بالنفس واللسان والقلب رغبة ورهبة بالعبادة لله وحده والخلوص من الشرك جليله ودقيقه ، فإذا نوى المرأ بماأتى وما يترك التقرب إلى الله تعالى وطلب ما لديه صار موحداً له وبصرفه شيئاً من ذلك لغير الله يكون مشركاً علم أنه شرك أو لم يعلم إذ أساس العبادة سواء كانت لله أو لغيره هو توجه القلب بالذل والخضوع التام المستولى على الخاضع من القوى الغيبية والأمور الخفية التى يرهبها ممن يذل له أو يطمع فيها على غير الأسباب التى يجرى عليها نظام الكون على الدوام سواء كانت تلك القوى الخفية وهمية أو حقيقية ، هذا هو باعث العبادة فى الغالب ، والذى يحمل العابد عليها بالتوجه إلى معبوده بالدعاء وما يتبعه من الأعمال والأقوال ، فرع عن وجودها ودليل على عبودية من صدرت منه ، لأن التوجه إليه شاهد على اتخاذه إلهاً ، والأعمال هى شواهد لله ولعباده على الخلق ، ودليل على صدق ما ادعى أو كذبه مع أن الله لا يخفى عليه خافية .

وما كان من هذا الذل والخضوع خال عن المحبة والتعظيم ، وبدافع الأمور الظاهرة التى تجرى عليها السنن الكونية والأسباب التى ربطها الله بمسبباتها ونتائجها مما يدخل تحت مقدور من يخافه العباد ، أو من يرجونه من الخلق فهو من تنمة العبادة غير أن ما كان جارٍ منها على الطبائع لا يقدر على إخلاص من داخله شىء منه ، لأن الأنبياء فمن دونهم كانوا يخافون من عدوهم ، ومن يقدر على أذاهم ، ويرجون من يملك أن ينفعهم ويعاونهم من اتباعهم وغيرهم ، مع اعتمادهم على الله فى حصول مطلوبهم وهذه من الأسباب التى جعلها الله مقتضية وجود مسبباتها .

ولم يسجل التاريخ نبأ كائن ينكر وجود إله على قدير ، حتى العقائد الوثنية التى كانت ومازالت تؤمن بألهة متعددة ، حتى هذه تدين بالتقديس لإله واحد من آلهتها وتؤمن بأنه فوق الكل عزة وعظمة وقدرة ، وهو مالك الملك رب السماوات والأرض وأنه رب الأرباب ، ومالك كل شىء ، إلا أنهم أشركوا بعض عباده معه فى الدعاء والتوجه إليهم بصفتهم مقربين إليه

ملكهم ما يطلب منهم ، بزعمهم ولكن الذى وقف في وجه دعوة الرسل أمم كانت تعبد مع الله آلهة أخرى .

ولهذا لم تكن رسالة الرسل في دعوة الناس إلى الإيمان بوجود الله أوروبيته ، إذ كان هذا مستقراً في القلوب وإنما كانت دعوة الرسل إلى توحيد الله في إلهيته بأن يعبد وحده لا شريك له والتخلي عما اتخذوه معبوداً من دون الله تعالى ، وأولياء يلجأون إليهم وشفعاء يعبدونهم بالحب والدعاء والخوف والرهبنة والرجاء قال الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبد الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ . والطاغوت كل من أضلك عن سبيل الله ، أو صرفك عن طريق الحق ، أو احتكمت إليه في دينك بحكم يحكم فيه بالهوى أو عبده من دون الله ، قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ لم يقل لا رب سواي لأن الناس جميعاً يوحدون الله في ربوبيته ولم يقل إني إله لأنهم جميعاً يؤمنون بذلك ولكنه قال : ﴿ لا إله إلا أنا ﴾ وأمر بعد ذلك بعبادته ليوحده الناس في الألوهية ويعبدوه وحده وهذه رسالة الرسل وهي توحيد الله في إلهيته بأن يعبدوه وحده لا شريك له ، وفي يوم النداء من الطور ، في تجلي النور ، كان أول ما أمر به موسى أن يسمعه ويطيعه ، ويبلغه ﴿ إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ (سورة طه : ١٤) . وملاك ذلك أن لا يعبد إلا الله ، وأن لا يعبد إلا بما شرع ، فمن ابتغى بعمل غير وجه الله ، فهو مشرك ، ومن عبَدَ الله وحده ، بما لم يأذن به الله ولم يشرعه فهو مبتدع ضال ، ولا يكون الدين لله خالصاً إلا إذا كان كل ما نعمله ونقوله هو لله خالصاً وسواء كان من شئون الدين أو من شئون الحياة مادمننا نرجو الثواب من الله تعالى عليه ، قال ﷺ يقول الله عز وجل : « من عمل عملاً أشرك معي فيه غيرى تركته وشركه » (١) فذكر العمل مطلقاً غير مقيد بكونه عمل ديني أو دنيوي ، ليكون وجود العبد كله في الحياة والاتجاه وغيره لله وحده ، وقال ﷺ : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح الدجال قالوا بلى يا رسول الله ؟ . قال : الشرك الخفى يقوم الرجل فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » (٢) فمجرد تزين الصلاة لأجل ملاحظة عيون الناس بالاعجاب شرك بالله ، فتوحيد الله لا يتحقق إلا أن يكون ظاهر الإنسان وباطنه سره وعلانته عمله وقوله دينه ودينه كله لله وحده ، فيجب أن يكون هوى قلبك وباعث عملك وغاية جهادك في الحياة لله وحده ، وقد يكفر الإنسان بمعبود في لسانه وقلبه مستكين له ومملوك عليه ، وتشهد عليه أعماله بأنه عبد الدينار وعبد الدرهم ، أو عبد الشيطان ، ألم تر إلى قول إبراهيم عليه السلام : « ياأبت لا تعبد الشيطان » وما كان آزر

(١) رواه مسلم في صحيحه أنظر مسلم بشرح النووي ج٨ ص ١١٥ ، وابن ماجه في سننه ج٢ ص ١٤٠٥ .

(٢) أحمد . أنظر المسند ج٣ ص ٣٠ وسنده صحيح .

يسمى معبوده شيطاناً ولا يؤمن بأنه شيطان، ولكن الذى يصده عن عبادة الله هو الشيطان، أو ولى الشيطان، فهو عونهُ وأخوه قال الله تعالى : ﴿ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان...﴾ (يس : ٦٠) .

وأنواع العبادة كثيرة متعددة : «وهى اسم لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»<sup>(١)</sup> وتكون فى القلب كالإخلاص فى الأعمال، واليقين بالأمور الغيبية، والخوف والرجاء، والتوبة، والندم على ما صدر من سىء الأعمال، ومنها ما يدفعه قلب العبد على اللسان من الدعاء، والنداء والاستغاثة ممن يرجو ويتوكل عليه لقضاء حاجة، أو تفريج كربة، ومنها ما يكون باللسان والقلب والجوارح، كالمحبة، فمن أشرك فى الحب الذى لا يصلح إلا لله، مع الله غيره، فقد جانب التوحيد، وأتى بما يضاده، قال تعالى : ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾، (سورة البقرة: ١٦٥). ومنها الصلاة والركوع والسجود والذبح قال تعالى : ﴿فصل لربك وأنحر﴾. (سورة الكوثر: ٢). وقال جل وعلا : ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا وأسجدوا وأعبدوا ربكم﴾، (سورة الحج: ٧٧)، ومنها الطواف، فلا يطاف إلا فى بيت الله، والله وحده، قال تعالى : ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾، (سورة الحج: ٢٩)، وأنواعها كثيرة يصعب حصرها جداً .

و ضد التوحيد الشرك وهو أقسام ثلاثة شرك أكبر بأن يجعل شيئاً من العبادة لله وغيره وهذا فاعله إذا مات ولم يتب منه يخلد فى النار، كما قال تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾. (سورة النساء: ٤٨)

والثانى شرك أصغر مثل يسير الرياء وقوله لرجل ما شاء الله وشئت والحلف بغير الله وما شابه ذلك، ولو كان المحلوف به خاتم النبيين، وأشرفهم ﷺ .

الثالث الشرك الخفى وهذا قد يكون أكبر وقد يكون أصغر، حسب الباعث عليه ولا ترسال معه، ومن أنواع الشرك أن يتوجه الإنسان بالدعاء إلى الله تارة وإلى غيره أخرى سواء قصد ذلك على سبيل الوساطة، أو طلب منه أى من غير الله - غرضه، بالنداء والاستغاثة واللجوء إليه والتمسكن له، فمن فعل ذلك فقد جعل لله عديلاً، ومساوياً، سواء سمي ذلك توسلاً أو شفاعة، وسواء كان المتوسل به نبياً، أو ولياً، أو عدواً طريداً، فكل ذلك شرك ينافى التوحيد، ومن الأعمال القبيحة سؤال الله بجاه مخلوق، أو بحقه وعمله لأن من سأل الله بذلك فقد اعتقد أنه يؤثر على الله، كالشفاعة على الرؤساء، ولهذا لا يتوسلون ويسألون الله إلا بجاه من يعتقدون له الجاه العريض، والمكانة الحاملة لله على أن يعطيهم

(١) قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . أنظر الرسالة المعروفة بالعبودية فاتحتها .

حاجتهم بزعمهم والجاه والمنزلة أصبحت في عرف الناس ولغتهم هي النفوذ والقوة المؤثرة، على من يتوجه إليه لتحصيل خيره، أو دفع شره، فعلى هذا ما يسميه توسلا وزورا معيدوا الوثنية، من منتحلي الإسلام، وهو على لغة القرآن والعرب، العبادة بعينها، فإذا التوسل الذي يعنونه هو الشرك الأعظم وهو يشمل عندهم .

أولاً : الطواف عند قبور من يقدسونهم، وتقبيلها وأخذ تراها للاستشفاء به والتبرك بها، وذبح الذبائح لهم، لأنهم يرجون بذلك أن يعطوهم، أضعاف ما قدموا لهم .

الثاني : ما ينفقونه في هذا السبيل، من الحرث والأنعام، طمعا أن يبارك لهم بدعواتهم، وأسرارهم ونفحاتهم الإلهية في أموالهم وأنفسهم وذرياتهم .

الثالث : عمارتهم قبورهم، بالبناء العالى، والقباب المزخرفة، والستائر الفاخرة، والإضاءة عليها وبذل المال في هذا السبيل، وتحمل مشقات السفر إليها .

الرابع : الحلف بهم، والخوف منهم، والتخويف بهم، وتحذير بعضهم بعضا من عقابهم، لاعتقادهم أنهم يقدرون على ذلك، كما يعتقدون فيهم النفع لمن يحبهم، ويفى لهم بالنذور، ويزور أوثانهم .

الخامس : توجههم إليهم بالدعاء والنداء والاستغاثة والاستعانة بهم إذا نزل بهم ضرر، أو مسهم كرب .

السادس : سؤالهم الله بحقهم، وتوسلهم إليه بجاههم ومنزلتهم، وما لهم عنده من الدرجات .

السابع : تعبدهم وصلاتهم عند قبورهم، وتفضيل البقاع التي يوجدون فيها، اعتقادا منهم أن الدعاء عندهم مقبول، ومستجاب لما لهم من القداسة . وهذا كله شرك بالله وخروج عن دينه الذي جاءت به رسل الله كلهم .

الثامن : السفر إلى مشاهدهم، قصدا للعبادة عندهم، لاعتقادهم أنها في تلك الأماكن أفضل منها في المساجد، وهذا كله مناقضة لشرع الله، الذي جاء به خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه، وإعادة لدين الوثنية، ومن المؤسف أن تصدر مثل هذه الأفعال من خريجي الجامعات، والمتصدرين للفتوى والتوجيه .

وما يتعلق به المشركون قديما وحديثا الشفاعة :

الشفاعة : لقد كانت الشفاعة في قديم الزمان وحديثه طريقا إلى الشرك، ثم أصبحت تطلق على الشرك بعينه كما قال الله تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم

ومالا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿﴾ ، والشفاعة مأخوذة من الشفع ، وهى ضم طلب الشافع إلى طلب المشفوع له ، وما عبد المشركون فى كل عصر صالحهم إلا بحجة أنهم يشفعون لهم عند الله ، وعملهم لهذه الغاية صادر بلا ريب عن اعتقادهم فى أوليائهم أنهم يملكون الشفاعة ، ولو كان عندهم عقل لأخلصوا العبادة لله وحده ، لأن الشفاعة وغيرها ملكه لا يشاركه فى ذلك أحد ، وهو الرحمن الرحيم الغفور الودود ، وهؤلاء يدعون العبيد الأموات ، أن يمنحهم ما يملكه الله وحده ، ولا يسألون مالك الملك بدل إذلالهم أنفسهم لأصنامهم وطواغيتهم ، وإذا كانوا لا يؤمنون بالقرآن ، يجوز فى عقل الإنسان أن يطلب الشيء ممن لا يملكه ، ان عقل المشركين هو الذى أباح للعبيد أن يسألوا الصخرة الصماء رحيق الجنة والميت امداد البركات ، فى الحياة ، والعاجز الضعيف الفقير أن يهب لهم القدرة ، والقوة والغنى ، وزين الشيطان لهم ، أن رحمة القبور ، أقرب إليهم من رحمة الخلاق الرحيم ، فاستجاروا بمن لا يجير نفسه ، من دود الأرض ، واسترحموا من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

إن الشفاعة ملك خاص لله وحده ، فمن الشرك القول : «نستلك الشفاعة يارسول الله» لأن السائل ذلك يسأله ما يملكه الله وحده ، فيحجب أن يقول : اللهم أجعلنا ممن يستحق شفاعة نبيك . بيد أن الشيطان زين لعباده أنه لا فرق بين الأمرين ، وأن التفريق بينهما تزمت وتنطع ، فى الدين قال الله تعالى : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ . نفى الله عن سواه كل ما يتعلق به المشركون ، نفى أن يكون لغيره ملك أو قسط من الملك ، أو يكون عوناً لله ، فلم يبق إلا الشفاعة ، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال : ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ فالشفاعة التى يظنها المشركون ، منفية ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه﴾ . وأخبر النبى ﷺ أنه لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، بل يسجد لله ويحمده ثم يأذن له فى الشفاعة بقول الله له اشفع . وقال أبوهريرة : من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله ؟ قال من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» (١) فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص وهى محرمة على المشرك ، وحقيقتها تفضل الله سبحانه على أهل الاخلاص بمغفرته بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه ، وينال المقام المحمود ، فالشفاعة التى نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، والتى اثبتها هى ما كانت بإذنه ، ولمن رضى عنه ، وقد بين النبى ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والاخلاص .

(١) فتح البارى ج١ ص ١٩٣ وج١١ ص ٤١٨ .

# مَنْهَجُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الدُّسُخُورِ إِلَى اللَّهِ

## فِي الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ

لِلدُّكْتُورِ رَبِيعِ بْنِ هَارُونَ مَرْخَلِي  
رئيس قسم التنصُّ بالدراسات العليا بالجامعة

①

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والدين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

وبعد : فإن الدافع لاختيار هذا الموضوع عدة أمور من أهمها :

أولاً : أن الأمة الإسلامية اختلفت في مناح شتى عقدية وغيرها وتفرقت بها السبل ، فنزل بها من الويلات - نتيجة لهذا التفرق ولعدم الاحتكام في قضايا الخلاف إلى كتاب الله وسنة نبيهم - ما لا يعلم مداه وفداحته إلا الله من تمزق صفوفهم وتأجج نيران الخلاف والخصومات فيما بينهم ، ثم تغلب أعداء الإسلام على أوطانهم واستباحتهم لبيضتهم واستعبادهم واستذلالهم .

ثانياً : حدوث تيارات فكرية برزت في الساحة الإسلامية بطرق ومناهج ، لإصلاح حال الأمة وانقاذها :

- منها السياسي .

ومنها الفكري .

ومنها الروحي .

وكل واحد من هذه التيارات يدعى ممثلوه أنه المنهج الإسلامي الحق الذي يجب اتباعه والذي لا ينقذ الأمة سواه .

هذان السببان مع أسباب أخر دفعتني إلى القيام بواجب من أعظم الواجبات وأهمها

ألا وهو بيان منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة وبيان مزاياه التي لا يشارك فيها وبيان ضرورة اتباعه وحده لأنه الطريق الأوحيد الذي يوصل إلى الله ويكسب رضاه وهو السبيل الأوحيد لانتقاد الأمة والموصل إلى السيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة .

## نص المحاضرة مع اضافات واسعة ومهمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فإن الله تعالى الخالق البارئ المصور العليم الحكيم قد خلق هذا الكون العظيم ودبره ونظمه بعلمه المحيط وحكمته العالية وقدرته الشاملة ، لحكم جليلة وغايات نبيلة بعيدة كل البعد عن العبث والباطل واللعب .

قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما إلا بالحق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ﴿ الدخان : الآيتان ٣٨ ، ٣٩ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾ (الاحقاف : ٣-١) .

وخلق الجن والإنس وبين الحكمة العظيمة والغاية الكريمة التي خلقهم من أجلها . قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ . (الذاريات : ٥٦-٥٨) .

وقال تعالى : ﴿ أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هورب العرش الكريم ﴾ . (المؤمنون : ١١٥-١١٦) .

وقال تعالى : ﴿ أيجسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ (القيامة : ٣٦) . أى لا يؤمر ولا ينهى .

وقال تعالى : ﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير الذى خلق الموت والحياة ، ليلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ﴾ . (الملك : ٢-١) . فأخبر تعالى أنه ما خلقهم إلا للابتلاء ، والاختبار ليتبين أيهم أحسن عملاً بانقياده لمنهج الله واتباعه لرسول الله .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً ، وأنزل من السماء ماءً ، فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ . (البقرة : ٢١-٢٢) . فأمرهم أن



يقوموا بالغاية التي خلقهم من أجلها، وبين لهم أنه قد وفر وهياً لهم كل الأسباب التي تساعدكم على القيام بمهمتهم العظيمة، وحذركم من الانحراف عن هذه الغاية، والتنكر لهذه النعم الجليلة، ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ .

وقال تعالى : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ . (الاسراء : ٧٠)، وما أكرم الله الإنسان هذا الاكرام وأحله هذه المنزلة الرفيعة إلا لعظم الغاية التي خلق من أجلها، ألا وهي عبادة الله وحده وتعظيمه وتنزيهه، عن كل النقائص وعن اتخاذ الشركاء والأنداد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وكثيراً ما نوه الله بكرامة الإنسان ومنزلته في هذا الكون، وأن هذا الكون، قد سخر لراحته وسعادته، حتى يؤدي وظيفته ويقوم بغايته التي خلق من أجلها على اتم الوجوه وأكملها .

قال تعالى : ﴿قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة، وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال، الله الذى خلق السماوات والأرض، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره، وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ . (ابراهيم : ٣١-٣٣) .

## اكرام الإنسان بالعقل والفطره

وإلى جانب هذه النعم العظيمة والاكرام الفائق لهذا الإنسان فقد منحه نعمة العقل الذى يرفعه إلى مستوى التكاليف الإلهية ويؤهله لإدراكها وفهمها، وزوده بالفطرة التى توائم ماياتى به رسل الله عليهم الصلاة والسلام من الوحي الكريم ومن الدين الحق الذى يشرعه الله وينهجه لهذا الإنسان على السنة الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

قال تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم : ٣٠) .

(١) الفطر: الابتداء والاختراع، والفطرة: الحالة، كالجلسة والركبة .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه : ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها...﴾ الآية (١)

وعن عياض بن حمار، المجاشعي رضى الله عنه أن النبي ﷺ خطب ذات يوم، فقال في خطبته : «إن ربي عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني في يومى هذا كل مال نحلته (٢) عبادى حلال، وإنى خلقت عبادى حنفاء (٣) كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم (٤) عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم، أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا...» (٥) الحديث.

## اكرام البشر بارسال الرسل إليهم وأنزال الكتب عليهم

ثم لم يكلهم الله إلى ما آتاهم من فطرة وعقل، بل أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتب لتبين لهم الحق من الباطل ولتكون مرجعاً لهم، فيما يختلفون فيه، حتى لا يبقى للناس أى عذر، ولتقوم عليهم الحجة، فلا يبقى لهم حجة على الله بعد الرسل.

وكلف جميع الأمم بطاعة هؤلاء المصطفين الأخيار واتباعهم والإنياد لهم وأنزل أشد

= والمعنى : أنه يولد على نوع من الجيلة، والطبع المتهيء لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، وإنما يعدل عنه من يعدل بالآفة من آفات البشر والتقليد «النهاية لابن الأثير (٤٥٧/٣).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : في الفتح (٢٤٨/٣).

«اختلف الناس في المراد بالفطرة، وأشهر الأقوال، أن المراد بالفطرة : الإسلام قال ابن عبد البر : هو المعروف عند عامة السلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ الإسلام.

(١) أخرجه البخاري ٢٣ - كتاب الجنائز ٧٩ - باب إذا أسلم الصبى فمات يصلى عليه، حديث ١٣٥٨، ١٣٥٩، ٩٢ - باب ما قيل في أولاد المشركين حديث ١٣٨٥، ٦٥ - كتاب التفسير، حديث ٤٧٧٥. ومسلم، ٤٦ - كتاب القدر، حديث ٢٢، ٢٣، وأبو داود، ٣٤ - كتاب السنن ١٨ - باب في ذراري المشركين، حديث ٤٧١٤، وأحمد في المسند (٢/٣١٥، ٣٤٦، ٣٩٣)، (٢/٢٣٣، ٢٧٥)، ومالك في الموطأ (١/٢٤١ : ١٦، كتاب الجنائز. حديث (٥٢)، والترمذي في السنن (١/٤٤٧)، ٣٣ - كتاب القدر ٥ - باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة، حديث (٢١٣٨)، وفي لفظ في البخاري ومسند أحمد والموطأ والترمذي «كل مولود يولد على الفطرة».

(٢) نحلته أعطيته، والمراد : كل مال أعطيته عبداً من عبادى فهو له حلال، والمراد : إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصلة والبحيرة والحامي وغير ذلك، وإنما لم تصر حراماً بتحريمهم وكل مال ملكه العبد فهو له حلال حتى يتعلق به حق.

(٣) أي مسلمين.

(٤) أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم، عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل.

(٥) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٧)، ٥١ - كتاب الجنة ٢٦ - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار،

حديث ٦٣.

العقاب بمن كذبهم وعاندتهم في الدنيا، وسوف ينزل بهم العذاب الأنكى والأشد، العذاب  
السرمدى الخالد في دار الجزاء العادل .

ما هي رسالة هذه الصفوة المختارة من البشر صلوات الله وسلامه عليهم وما الذى  
قدموه لأمتهم ؟

إن رسالتهم تشمل كل خير وتبعد من كل شر، فقدموا للإنسانية كل ما يسعدها في  
الدنيا والآخرة، فما من خير إلا دلوا الناس عليه، ولا شر إلا حذروا الناس منه .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : كنا في سفر، فنزلنا منزلاً فمنا  
من يصلح خبائه، ومنا من ينتضل<sup>(١)</sup>، ومنا من هو في جشره<sup>(٢)</sup> إذ نادى نادى رسول الله ﷺ  
الصلاة جامعة<sup>(٣)</sup> فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ، فقال : «إنه لم يكن نبي قبلى إلا وكان حقاً  
عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل  
عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء، وأمور ينكرونها . وتجيء فتن فيرقق<sup>(٤)</sup> بعضها بعضاً،  
وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن : هذه مهلكتى ثم تنكشف . وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن :  
هذه هذه فمن أحب أن يرحل عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله، واليوم  
الآخر، وليأت إلى الناس الذى يجب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً، فاعطاه صفقة يده  
وثمره قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» .

هذه رسالة كل الأنبياء تدل على كل خير وتحذر من كل شر، لكن من أين تنطلق  
وبماذا تبدأ وعلى أى شىء تركز ؟

إن هناك دعائم وقواعد وأصولاً تركز عليها دعواتهم وتكون أول منطلقاتهم في دعوة  
الناس إلى الله .

تلك الأسس والقواعد هي : (١) التوحيد ، (٢) النبوات ، (٣) المعاد . (٥)  
هذه الأسس الثلاثة هي ملتقى دعواتهم وأصولها وقد أهتم بها القرآن غاية الاهتمام  
وبينها غاية البيان وهي أهم مقاصده التي يدور عليها ويكررها، ويورد الأدلة العقلية

(١) من المناضلة، وهي : المرامات بالنشاب .

(٢) الجشتر: هي الدواب التي ترعى، وتبيت مكانها .

(٣) الصلاة جامعة، هي : بنصب الصلاة على الإغراء، ونصب جامعة على الحال .

(٤) أي يصير بعضها رقيقاً أي حفيفاً لعظم ما بعده .

(٥) ألف في بيان هذه الأسس الثلاثة الإمام الشوكاني كتاباً سماه : «إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد، والمعاد  
والنبوات» طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان، وقد ساق أدلته من القرآن والتوراة والأنجيل .

والحسية عليها في جميع سورة وفي غالب قصصه وأمثاله، يعرف ذلك من له كمال فهم وحسن تدبر وجودة تصور. وقد عنيت بها كتب الله بأجمعها واتفقت عليها الشرائع السأوية بأسرها .  
وأهم هذه الأسس الثلاثة وأجلها وأصل أصولها هو توحيد الله تبارك وتعالى الذي تضمنته غالب سور القرآن، بأنواعه الثلاثة المشهورة بل تضمنته كل سورة من سور القرآن، فإن القرآن :

- (١) إما خبر عن الله واسمائه وصفاته، وهو التوحيد الخبرى .
  - (٢) وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادى الطلبي .
  - (٣) وإما أمر ونهى والزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد، ومكملاته .
  - (٤) وإما خبر عن اكرامه لأهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء التوحيد .
  - (٥) وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبي من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد .
- فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم<sup>(١)</sup>.

## توحيد الألوهية وأهميته

وسوف أتناول توحيد الألوهية وأهميته لسببين :

أولاً : أنه الجانب الأهم من دعوات الرسل الذي عرضه علينا القرآن ولأنه موضوع الصراع الدائر بينهم وبين خصومهم من المستكبرين والمعاندين من كل الأمم، ولا يزال موضوع الصراع إلى اليوم، ولعله يستمر إلى يوم القيامة ابتلاء واختباراً لورثة الرسل ورفعاً لمنزلتهم .

ثانياً : ان أخطر وأشد وأصعب انحراف مني به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في هذا الجانب في أكثر جهال المسلمين وفي كثير من مثقفهم والمتسبين إلى العلم منهم .  
فلنبداً بعرض دعوات الأنبياء بصفة عامة ثم نعرض دعوات بعضهم بصفة خاصة .

(١) شرح الطحاوية ص ٨٨ الطبعة الأولى ١٣٩٢ نشر المكتب الاسلامي وأصله من كلام الامام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم -

رحمها الله .-

قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة، فسيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (النحل: ٣٦)، وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ . (الأنبياء: ٢٥)، وقال تعالى بعد أن ذكر قصص عدد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون ﴾ . (الأنبياء: ٩٢)، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الرسل، كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ (المؤمنون: ٥١-٥٢).

قال الحافظ ابن كثير : قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾ . يقول : دينكم واحد<sup>(١)</sup>. وفي معنى الآيتين من السنة، قوله ﷺ : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات<sup>(٢)</sup> أمهاتهم شتى ودينهم واحد<sup>(٣)</sup> ».

وقال تعالى عن أولى العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً، والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾ (الشورى: ١٣). تلك دعوة الانبياء جميعاً وعلى رأسهم أولوا العزم منهم الأنبياء الذين يبلغ تعدادهم أربعة وعشرين الفا ومائة ألف<sup>(٤)</sup> يسرون في دعوتهم في منهج واحد، وينطلقون من منطلق واحد، هو التوحيد، اعظم القضايا والمبادئ التي حملوها

(١) التفسير (٣٦٥/٥).

(٢) العلات - بفتح المهملة : الضرائر، وأصله من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى، كأنه علّ منها، والعلل : الشرب بعد الشرب وأولاد العلات : الإخوة من الأب، وأمهاتهم شتى «فتح الباري (٩/٦) وفي النهاية (٢٩١/٣)، الأنبياء أولاد علات «أولاد علات الذين أمهاتهم مختلفة، وأبوهم واحد، أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة».

(٣) أخرجه البخاري ٦٠ - الأنبياء حديث (٣٤٤٣)، ومسلم (٤/١٨٣٧) ٤٣ - كتاب الفضائل، ٤٠ - باب فضل عيسى عليه السلام، حديث (١٤٥) وأحمد في المسند (٢/٣١٩، ٤٠٦، ٤٨٢).

(٤) إشارة إلى حديث أبي ذر أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥/٤٤٧) وأحمد في المسند (٥/١٧٨) (٥/١٧٩) من طريق المسعودي عن أبي عمر الدمشقي عن عبيد بن الحسحاس عن أبي ذر.

وابن حبان كما في الموارد رقم ٩٤ وأبونعيم في الحلية (١/١٦٦-١٦٨) وأشار إلى طرق أخرى إلى أبي ذر، وأحمد (٥/٢٦٥) وابن أبي حاتم في تفسيره نقلا عن ابن كثير (٢/٤٢٣) والطبراني (٨/٢٥٨).

وهناك طرق أخرى عن أبي إمامه في عدد الرسل وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أخرجه الطبراني (٨/١٣٩) وابن حبان كما في الموارد رقم (٢٠٨٥).

قال ابن كثير وهذا على شرط مسلم وقال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليد الحلبي وهو ثقة.

إلى الإنسانية جميعاً في جميع أجيالهم ومختلف بيئاتهم وبلدانهم وأزمانهم .  
مما يدل على أن هذا هو الطريق الوحيد الذى يجب أن يسلك في دعوة الناس إلى  
الله، وسنة من سننه التى رسمها لأنبيائه واتباعهم الصادقين، لا يجوز تبديلها ولا العدول  
عنها .

## نماذج لدعوات بعض الرسل

ثم إن الله تعالى أخبر عن بعض أفراد الأنبياء العظام كيف واجهوا أقوامهم وإذا بهم  
يسIRON في الخط العام الذى رسمه الله لهم وإذا بهم في المنهج الذى قرره الله لجميعهم لا تند  
عنه دعوة أحد منهم :

قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنى لكم نذير مبين ، أن لا تعبدوا إلا الله  
إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ، فقال الملأ الذين كفروا من قومه ، ما نراك إلا بشراً  
مثلنا ، وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل  
نظنكم كاذبين ﴾ (هود : ٢٥-٢٧)

﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، أفلا تتقون ، قال  
الملأ الذين كفروا من قومه إننا لترك في سفاهة ، وانا لنظنك من الكاذبين ، قال يا قوم ليس بى  
سفاهة ، ولكنى رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي ، وأنا لكم ناصح أمين ،  
أوعجبتكم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ، لينذركم ، واذكروا إذ جعلكم خلفاء  
من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة ، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا أجبتنا  
لنعبد الله وحده ، ونذر ما كان يعبد آباؤنا ، فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ، قال قد وقع  
عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلوننى في اسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها  
من سلطان ، فانظروا إنى معكم من المنتظرين فأنجيناهم والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر  
الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ﴾ (الأعراف : ٦٥-٧٢) .

وهكذا دعوات كل الأنبياء ، كلهم ساروا في هذا المنهج في الدعوة إلى توحيد الله  
وعبادته وحده أولاً وواجههم أقوامهم - إلا من هدى الله - بالسخرية والتكذيب والاستهزاء ،  
كما قال تعالى : ﴿ وكم أرسلنا من نبى في الأولين ، وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به  
يستهزءون ﴾ (الزخرف : ٦-٧) .

وما أشد التكذيب والاستهزاء والسخرية على النفوس المؤمنة الأبية ، إنها أشد عليهم  
من وقع السيوف ومن السجون والتعذيب ولقد عبر عن هذا المعنى الشاعر العربى بقوله :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند  
ولقد سألت عائشة رضى الله عنها النبي ﷺ فقالت له : «هل أتى عليك يوم كان  
أشد من يوم أحد؟ فقال : لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم  
العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت،  
فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا  
أنا بسحابة، قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال : إن الله قد سمع قول  
قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره، بما شئت فيهم،  
فناداني ملك الجبال، فسلم على، ثم قال : يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا  
ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن اطبق عليهم  
الأخشاب<sup>(١)</sup>، فقال له رسول الله ﷺ : بل ارجو الله أن يخرج من اصلاهم، من يعبد الله  
وحده لا يشرك به شيئاً<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكرت كتب السيرة بعض اجوبة هؤلاء الساخرة ومواقفهم المزرية، وأن رسول  
الله ﷺ - عمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافهم وهم أخوة ثلاثة، عبد ياليل  
ومسعود، وحبيب... فجلس إليهم، فدعاهم إلى الله وكلمهم لما جاءهم له من نصرة  
الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة، إن  
كان الله أرسلك، وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرك، وقال الثالث : والله لا  
أكلمك أبداً، لأن كنت رسولا من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك  
الكلام، ولأن كنت تكذب على الله، ما كان ينبغي لى أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ،  
وقد يئس من خير ثقيف<sup>(٣)</sup> .

والشاهد من الحديث، والقصة أن ما يلقيه الأنبياء من السخرية والاستهزاء ومن أذى  
المشركين السفهاء أشد على أنفسهم من كل بلاء حتى من المعارك الطاحنة التي تهزق فيها  
الأرواح وتراق فيها دماء أصحابهم الزكية. فلقد قتل يوم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ

(١) الاخشابان : جبلان بمكة، هما أبو قبيس والجبل الذي تقابله.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩ - كتاب بدء الخلق، حديث (٣٢٣١) ومسلم (١٤٢١/٣)، ٢٩ - باب ما لقي النبي ﷺ من أذى

المشركين والمنافقين، حديث (١١١).

وفي الحديث بيان دعوة رسول الله وصره في سبيلها وحلمه على قومه وانظر كيف استأنى بهم واستبقاهم من الهلاك الماحق الذي  
اشفوا عليه املاً في الله ورجاء أن يخرج من اصلاهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً وياها من غاية نبيلة لا يعرفها إلا من ذاق نعمة  
التوحيد وعرف مكانته.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١٣٥/٣)، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ط دار الكتب العلمية بيروت

(ص ١٠٥).

أكثر من سبعين شهيداً<sup>(١)</sup>، فيهم مصعب بن عمير<sup>(٢)</sup> وحمزة بن عبد المطلب<sup>(٣)</sup> عم رسول الله ﷺ، وشج رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته<sup>(٤)</sup>، ولقي مالقي هو وأصحابه من أذى المنافقين، ولقي مالقي قبل ذلك وهو بمكة وفي يوم بدر وغيرها من المشاهد، ومع كل ذلك يرى أن أشد ما لقيه هو يوم الطائف، لأنه لقي من السخرية والاحتقار ما لا تحتمله النفوس الأبية .

ومن هنا يقول رسول الله ﷺ : «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل»<sup>(٥)</sup> فالأمثل ثم الأمثل هم الصالحون السائرون في مناهجهم في الدعوة إلى الله والداعون إلى ما دعوا إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده، ونبد الشرك بما سواه، وينالهم من الأذى والبلاء مثل ما أصاب أسوتهم الأنبياء .

ومن أجل هذا ترى كثيراً من الدعاة يجيدون عن هذا المنهج الصعب، والطريق الوعر، لأن الداعي الذي يسلكه سيواجه أمه وأباه وأخاه وأحبابه وأصدقاءه وسيواجه المجتمع وعداوته وسخرياته وأذاه، يجيدون إلى جوانب من الإسلام لها مكائنها ولا يتنكر لها من يؤمن بالله لكن هذه الجوانب ليس فيها تلك الصعوبة والشدة والسخرية والأذى خصوصاً في

(١) قال البخاري - رحمه الله في ٦٤ - : المغازي ٢٦ - باب من قتل من المسلمين يوم احد، حديث ٤٠٧٨ حدثنا عمرو بن علي، حدثنا معاذ بن هشام، قال : حدثني أبي عن قتادة، قال : «ما تعلم حيا من أحيا . العرب أكثر شهيداً أغر يوم القيامة من الأنصار قال : قتادة : وحدثنا أنس بن مالك، أنه قتل منهم يوم أحد سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون» .  
(٢) عن خباب - رضى الله عنه - قال : هاجرنا مع النبي ﷺ، ونحن نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله، فمنا من مضى - أو ذهب - لم يأكل من أجره شيئاً وكان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم يترك إلا نمرة، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطيت رجلاه خرج رأسه فقال النبي (ص) غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله إلا ذخر . . . ، أخرجه البخاري ٦٤ - كتاب المغازي ٢٦ - باب من قتل يوم أحد حديث (٤٠٨٢) ومسلم كتاب الجنائز . (٢/٧) مع شرح النووي . وأحمد في المسند (١٠٩/٥) . والنسائي (٣٢/٤) .

(٣) قصة استشهاده في البخاري ٦٤ - كتاب المغازي ٣٢ - باب قتل حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه - حديث (٤٠٧٢) ومسلم أحمد (٥٠١، ٥٠٠/٣) .

(٤) عن أنس - رضى الله عنه - قال : شج النبي ﷺ يوم أحد فقال : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، فنزلت : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ (آل عمران ١٢٩) . أخرجه البخاري ٦٤ - كتاب المغازي ٢١ - باب ليس لك من الأمر شيء، بدون رقم ومسلم (١٤١٦/٣)، ٣٢ - كتاب الجهاد والسير ٣٧ - باب غزوة أحد، حديث ١٠٤ . وفيه حديث سهل بن سعد برقم ١٠١ بلفظ جرح وجه رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه .

(٥) أخرجه الترمذي (٦٠٢/٤)، ٥٦ - باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث (٢٣٩٨) وابن ماجه (١٣٣٤/٢) ١٣ - باب الصبر على البلاء حديث (٤٠٢٣)، والدارمي (٢٢٨/٢) حديث ٢٧٨٦ وأحمد في المسند (١٧٢/١)، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥) كلهم من طريق عاصم بن أبي النجود وهو صدوق له أوهام عن مصعب بن سعد قال : الترمذي حديث حسن صحيح . وفي تصحيح الترمذي له نظر وكأنه لاحظ في الحكم شواهدة فإن له شواهد :

١ - عن أبي سعيد الخدري أخرجه ابن ماجه (٢/٢٣٣٤) ٣٢ - باب الصبر على البلاء حديث (٤٠٢٤) قال في الزوائد أسنده صحيح نقلا عن محمد فؤاد . ٢ - من حديث فاطمة بنت اليان أخرجه أحمد (٣٢٩/٦) .

٣ - من حديث أبي هريرة أشار إليه الترمذي بقوله وفي الباب عن أبي هريرة وأخت حديثه بعد إخراج حديث سعد .



المجتمعات الإسلامية فإن سواد الأمة الإسلامية يلتفون حول هذا اللون من الدعاة ويحيطونهم بهالة من التبجيل والتكريم لا سخرية ولا أذى اللهم إلا إذا تعرضوا للحكام وهددوا كراسيهم فإنهم حينئذ يقيمونهم بكل شدة كاحزاب سياسية تناوى الحكام وتهدد عروشهم، والحكام في هذا الباب لا يحابون قريباً ولا حميماً ولا مسلماً ولا كافراً .

وعلى كل حال نقول لهؤلاء الدعاة مهما شنشنوا وطنظنوا ومهما رفعوا أصواتهم باسم الإسلام أربعوا على أنفسهم فإنكم خرجتم عن منهج الله وصراطه المستقيم اللاحب الذي مرت به مواكب الأنبياء واتباعهم في الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص الدين له ومهما تفلسفتهم ورفعتهم عقيرتكم باسم الإسلام فإنكم عن منهج الأنبياء الذي سنه الله لناكبون .

ومهما بذلتهم من الجهود وجسمتهم دعوتكم ومنهجتكم فإنكم تشاغلون بالوسائل قبل الغاية وما أقل جدوى الوسيلة إذا أضرت بالغاية وضخمت على حسابها بل ياويل هؤلاء الدعاة ان أصرروا على المضي فيما ابتدعوه من مناهج وحراروا بمنهج الأنبياء في الدعوة إلى توحيد الله تحت شعارات براقة تحلب ألباب البلهاء والجهلاء بمنهج الأنبياء .

إن الحديث عن دعوات الأنبياء إلى توحيد الله ومنهجهم وما لاقوا في سبيل ذلك من الأهوال والبلايا والمحن أمر لا يتسع له مجال كهذا .

ولسوف اقتصر على عرض دعوات خمسة منهم صلوات الله وسلامه عليهم وذلك سيجعلنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك :

١ — فأولهم نوح، أبو البشر الثاني، وأول رسول إلى أهل الأرض عاش هذا النبي العظيم عمراً مديداً ودهراً طويلاً ألف سنة إلا خمسين عاماً لبثها في دعوة قومه إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، لا يكل ولا يمل، ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً قال تعالى : ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه، أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم، قال: يا قوم إنى لكم نذير مبين، أن اعبدوا الله واتقوه، وأطيعون، يغفر لكم من ذنوبكم، ويؤخركم إلى أجل مسمى، إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، لو كنتم تعلمون قال رب إنى دعوت قومي ليلاً ونهاراً، فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً، وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم، جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكباراً، ثم إنى دعوتهم جهاراً، ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً، فقلت: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً، ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً، ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً، وجعل

القمر فيهن نوراً، وجعل الشمس سراجاً، والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم أخرجاً والله جعل لكم الأرض بساطاً، لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً، قال نوح: رب إنهم عصوني، واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خساراً، ومكروا مكراً كبيراً، وقالوا: لا تذرنا آلهتنا، ولا تذرنا وداً ولا سواعاً، ولا يغوث ويعوق ونسراً، وقد أضلوا كثيراً، ولا تزد الظالمين، إلا ضلالاً مما خطيئاتهم أغرقوا، فادخلوا ناراً، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ﴿نوح: ٢٥-١﴾ .

ماذا في دعوة هذا الرسول الكريم، وقد قص الله علينا خلاصة دعوته الكريمة التي استغرقت ألف سنة إلا خمسين عاماً .

إنها دعوة جادة إلى توحيد الله وعبادته وحده، في جهد دائم ما ترك وسيلة تمكنه إلا استخدمها لاقناعهم بدعوته سرا وجهاراً وترغيباً وترهيباً ووعداً ووعداً، واحتجاجاً واستدلالاً بالأدلة العقلية والحسية، من واقع أنفسهم وحياتهم ومما بين أيديهم من السماء والأرض، وما فيها من آيات وعبر وكل ذلك لم يجد فيهم نفعا ولا دفعهم إلى استجابة بل أصروا على كفرهم وضلالهم، واستكبروا واستكباراً .

أصروا على التشبث بأصنامهم ومعبوداتهم الباطلة، فكانت النتيجة لهذا الأصرار والاستكبار، الهلاك والدمار، وفي الآخرة الخلود في عذاب النار .

وهنا نساءل لماذا يستمر هذا النبي العظيم كل هذه الأماد الطويلة، ويبذل هذه الجهود الكبيرة، دون كلل أو ملل يدعو إلى مبدء التوحيد؟

ولماذا يمدحه الله ويشئى عليه الشناء العاطر، ويخلد ذكره ويجعله في عداد الرسل أولى العزم؟

هل دعوة التوحيد تستحق كل هذه العناية والاكبار؟، هل هذا المنهج وتحديد هذا المنطلق لهذا النبي الكريم مجانب للمنطق والحكمة والعقل؟ أو أنه عين الحكمة ومقتضى المنطق الصحيح، والعقل الواعي الرجيح لماذا يقره الله على سلوك هذا المنهج في الدعوة طوال ألف سنة إلا خمسين عاماً ويشيد به ويخلد اسمه وقصصه، ويكلف أعظم الرسل وأعقل البشر أن يجعل منه أسوة في دعوته وصبره؟

الجواب المنصف القائم على العقل والحكمة، ومعرفة مكانة النبوة والثقة العظيمة فيها وتقديرها حق قدرها، أن دعوة التوحيد ومحاولة القضاء على الشرك وتطهير أرض الله منه تستحق كل هذا وأنه عين الحكمة ومقتضى الفطرة والعقل .

وأن الواجب على كل الدعاة إلى الله أن يفهموا هذا المنهج، وهذه الدعوة الإلهية العظيمة، والمطلب الكبير، فيكرسوا كل جهودهم وطاقاتهم لتحقيقه ونشره في أرض الله كلها، وأن يتعاونوا ويتكاتفوا ويتحدوا، ويصدق بعضهم بعضاً، كما كان الرسل دعاة التوحيد يبشر سابقهم بلحاقهم ويصدق لاحقهم سابقه ويؤيد دعوته ويسير في مضماره .  
يجب أن نعتقد أنه لو كان هناك منهج أفضل وأقوم من هذا المنهج لاختاره الله لرسله وآثرهم به، فهل يليق بمؤمن أن يرغب عنه ويختار لنفسه منهجاً سواه ويتناول على هذا المنهج الرباني وعلى دعائه .

**وثانيهم :** أبو الأنبياء وإمام الموحدين الحنفاء - إبراهيم خليل الله - الذي أمر الله سيد المرسلين، وخاتم النبيين وأمته باتباعه والائتساء بدعوته والاهتداء بهديه ومنهجه<sup>(١)</sup> .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين، فلما جن عليه الليل رأى كوكباً، قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغاً، قال هذا ربي، فلما أفل قال لأن لم يهدني ربي، لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة، قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون، إنى وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين ﴿ (الأنعام : ٧٤-٧٩) . دعوة حارة قوية متدفقة إلى توحيد الله، وإخلاص الدين له ونبذ الشرك ورفضه، تبدأ بالأسرة وتمتد إلى الأمة تحارب الشرك بالأصنام، وتزلزل الشرك بالكواكب .

ويسلك خليل الله أقوم الطرق في المناظرة والمحاجة، لإقامة حجة الله ودحض الشرك وباطله وشبهه .

فالتعبير بالأصنام تحقير لآلهتهم المزعومة المصطنعة، وتسفيه لأحلامهم، ورسده للكواكب المذكورة-واحدًا تلو الآخر وهي تغيب وتأفل عنهم ليأخذ من حالها البرهان الواضح على بطلان ما يزعمون من ألوهيتها فمن يرعاهم ويحفظهم ويدبر شؤونهم وشؤون هذا الكون حين غيابها وأفولها، وإذن فعليهم أن يرفضوا هذه الآلهة المزعومة الباطلة ويكفروا بها،

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ «سورة النحل،

الآية(١٢٢) .

وإلى قوله تعالى : ﴿ قل : صدق الله، فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ سورة آل عمران الآية ٩٥ .

وينفضوا أيديهم منها، ويتجهوا إلى إلههم الحق، الذى فطر السماوات والأرض، والذى لا يغيب ولا يحول يعلم جميع أحوالهم ومطلع على حركاتهم وسكناتهم، ويرعاهم ويحفظهم ويدبر شؤونهم حجج قوية يستمدّها من الواقع الملموس والكون المنظور .

قال تعالى : ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً، إذ قال لأبيه يأبى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً يأبى إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً يأبى لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً، يأبى إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً، قال أرأغب أنت عن آهتى يا إبراهيم، لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى ملياً، قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيواً واعتزلكم وما تدعون من دون الله، وأدعوا ربى، عسى ألا أكون بدعاء ربى شقياً، فلما اعتزلهم، وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب، وكلا جعلنا نبياً، ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً﴾ (مريم : ٤١-٥٠). دعوة حارة إلى التوحيد، قائمة على العلم والمنطق والعقل وعلى الخلق القويم، وتهدى الضال إلى الصراط المستقيم يقابلها تعصب أعمى يقوم على الهوى والجهل والعناد والمكابرة وإلا فكيف يعبد ويخضع لمن لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنه شيئاً .

إن علم التوحيد أيها القارىء، هو العلم الذى يعتز به جميع الأنبياء وبه يصلون على الباطل والجهل والشرك، فالجهل بهذا العلم - علم الأنبياء الهادى إلى الحق والمنقذ من الضلال والشرك - هو الجهل المميت والسّم القاتل الذى يقتل العقل والفكر. ﴿يأبى إنى قد جاءنى من العلم فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً﴾ .

وبعد هذه الجولات القوية الواعية يقوم بها إبراهيم ﷺ فى ميدان الدعوة إلى الله دعوة الأسرة والأمة التى أقام فيها على أبية وقومه الحجج الدامغة واجه بهذه الدعوة العظيمة ذلك الحاكم الجبار الطاغية المتأله بكل قوة وشجاعة . قال تعالى : ﴿ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه، أن آتاه الله الملك، إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت، قال أنا أحيى وأميت، قال إبراهيم، فإن الله يأتى بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر، والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ (البقرة : ٢٥٨) .

لقد دعا إبراهيم ﷺ هذا الطاغية المتأله إلى توحيد الله والإيمان بربوبيته وألوهيته، فطغى واستكبر عن الاجابة إلى توحيد الله والتنازل عن دعوى الربوبية . فحاجه إبراهيم وناظره هذه المناظرة النيرة البرهان الواضحة المعالم قال إبراهيم : ﴿ربى الذى يحيى ويميت﴾ أى هو المنفرد بالخلق والتدبير والإحياء والإماتة . فقال الغبى المتجبر : ﴿أنا أحيى

وأमित ﴿ أى أقتل من أردت قتله وأستبقى من أردت استبقائه . وهذا الجواب فيه تمويه وتضليل للأغبياء وحيدة عن الجواب ، لأن قصد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن ربه ينشئ الحياة فى الإنسان والحيوان والنبات من العدم ، ويردها إلى الأموات بقدرته وأنه هو الذى يميت الناس والحيوانات بأجلها بأسباب ربطها وبغير أسباب ، فلما رآه إبراهيم يموه ويدجل تدجيلا ربما انطلى على الأغبياء والهمج ، قال ملزما له بتصديق قوله إن كان كما يزعم : ﴿ فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذى كفر ﴾ أى وقف متحيراً مشدوهاً ، منقطع الحجة قد أقم حجراً وأخرس لسانه وزهق باطله ، ﴿ إن الباطل كان زهوقاً ﴾ .

وفى هذا درس لمن ألقى السمع وهو شهيد ، إنها دعوة إلى التوحيد تمثل قمة الإخلاص والحكمة ، والعقل ، وتأتى البيوت من أبوابها وتنطلق من حيث أراد الله ، لا مصارعة على الملك ، ولا منافسة على الحكم ، ولو كان هدف إبراهيم عليه الصلاة والسلام الوصول إلى الحكم لسلك منهجا غير هذا المنهج ولوجد من يلتف حوله ويصفق له ولكن يأبى الله وأنبياءه وصالحو الدعوة من اتباع الأنبياء حقاً فى كل زمان ومكان إلا سلوك طريق الهداية والرشاد وبيان الحق وإقامة الحجة على المكابر والمعاندين .

وقد قام إبراهيم عليه السلام بهذا الواجب العظيم على أكمل الوجوه وأتمها أقام الحجة على أبيه وقومه حكومة وشعباً ، فلما رأى منهم الأصرار على الشرك والكفر والإقامة على الباطل والضلال لجأ إلى الإنكار والتغيير باليد والقوة .

فمن أين يبدأ بالتغيير وما هو الأسلوب الرشيد لتغيير هذا الواقع المظلم الجاثم على أمته أيشور على الدولة لأنها منبع الشرور والفساد ومصدر الشرك والضلال كيف لا والحاكم يدعى الربوبية ويصر عليها . لماذا لا يدبر انقلاباً يطيح فيه بهذه الحكومة الكافرة وعلى رأسها جبار متآله وبذلك يقضى على كل الوان الفساد والشرك وتقوم على انقاضه الدولة الإلهية بقيادة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والجواب حاشا الأنبياء وحاشا نزاھتهم من سلوك هذه الطرق أو التفكير فيها فإنها طرق الظلمة والجهلة والسفهاء وطلاب الدنيا والملك .

إن الأنبياء دعاة توحيد ورواد هداية إلى الحق وأنقاذ من الباطل والشرك فإذا امتدت أيديهم إلى التغيير وهم أعلم الناس وأعقلهم فلا بد أن تبدأ بالقضاء على منابع الشرك والضلال الحقيقية وكذلك فعل إبراهيم الحليم الحكيم الرشيد البطل الشجاع .

قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم

وأبأؤكم في ضلال مبين . قالوا أجتئنا بالحق أم أنت من اللاعنين . قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلمهم إليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بأهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وأنصروا آهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين ﴿ (الأنبياء : ٥١-٧٠) . أتى الله إبراهيم رشده على علم بأنه أهل لذلك هذا النبى الحكيم الرشيد واجه فساداً فى العقيدة وفساداً فى الحكم . أمة انحط تفكيرها وضلت عقولها ، فعبدت الأصنام من الأخشاب والاحجار والكواكب وتحكمها حكومة فاسدة يقودها جبار متآله فأسلسلوا له القياد .

فمن أين يبدأ بالإصلاح ياترى ؟

أبيدأ بمصاولة الحاكم لأنه قطعاً يحكم بغير شريعة الله ويحكم بقوانين وتشريعات جاهلية ، لاشك فى ذلك ، ويدعى الربوبية جهاراً وحق التشريع أويبدأ بإصلاح العقيدة عقيدة الأمة وعقيدة الحكومة الجاهلية .

القرآن يحدثنا عن هذا النبى الرشيد إمام الأنبياء أنه بدأ بإصلاح العقيدة أى الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده ومحاربة الشرك والقضاء عليه وعلى أسبابه واقتلاعه من جذوره فدعاهم فعلاً إلى توحيد الله ونبذ عبادة ما سواه ، وجادلهم فى هذا المجال وجادلوه ، فدمغهم بالحجج القاهرة والبراهين الظاهرة وجردهم من كل سلاح من أسلحة الحجة حتى الجأهم إلى الاعتراف بالظلم والضلال والتعصب الأعمى والجمود القاتل على تقليد الآباء ﴿ قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ .

فلما رأى إبراهيم أهواء جامحة وعقولا متحجرة ، دبر لهم مكيده ورسم لهم خطة حكيمة شجاعة لتحطيم آهتهم وتم تنفيذ هذه الخطة بكل قوة وشجاعة وجرأة وأثار هذا العمل البطولى (١) الحكومة والشعب ضده واستدعوه للمحاكمة العلنية ، ووجهوا إليه الإتهام

(١) هذا العمل البطولى العظيم وما سبقه من دعوة حكيمة إلى التوحيد ونبذ الشرك فى ميزان كثير من دعاة الإصلاح اليوم =

﴿أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم﴾ فأجابهم بأسلوب تهكمى ساخر ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ فكان هذا الجواب التهكمى المفحم كالصاعقة العنيفة هوت على رؤوسهم المخبولة ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ ثم لما اعوزهم سلاح الحجة لجأوا إلى القوة سلاح كل عاجز عن الحجة في كل زمان ومكان، ﴿قالوا حرقوه وانصروا آهتكم إن كنتم فاعلين﴾ ونجى الله خليله إبراهيم ورد الله كيد الكافرين الخاسرين في نحورهم ﴿قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ .

وكان في نجاة إبراهيم من تلك النار العظيمة بعد أن حولها الله برداً وسلاماً على إبراهيم آية عظيمة من أعظم آيات الله على نبوته وصدقه وصدق ما جاء به من التوحيد وبطلان ما هم عليه من الشرك والضلال، وكافأ الله إبراهيم عليه السلام على هذه الدعوة الحكيمة وعلى هذا الجهاد والتضحية الرائعة ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا، وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ (الأنبياء: ٧١-٧٣) .

(ثالثهم) : يوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم<sup>(١)</sup> الذى أنزل الله فى شأنه سورة طويلة تقص لنا حياته الكريمة ومراحلها من طفولته إلى موته وكيف تقلبت به الأحوال، وما واجه من صعاب، فتلقاها بقوة النبوة وصبرها وحكمتها وحلمها .

رأى يوسف عليه السلام، فساد قصور الفراعنة فى مصر وظلمها وعرف عقائد الأمة التى عاش فيها عرف ما فيها من فساد ووثنية تتخذ الأصنام والابقار آلهة مع الله . قصة هذا النبى الكريم عليه السلام - طويلة نأخذ منها الإشارة إلى سجنه ودعوته .

= يعتبر من الاتهامات بالقشور والتوافه فلا حول ولا قوة إلا بالله إنها لا تعمى الأبصار، ولكنها تعمى القلوب التى فى الصدور .

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : «الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام» . أخرجه البخارى ٦٠ كتاب الأنبياء باب ١٨ (٣٣٨٢، ٣٣٩٠) وأحمد فى المسند (٩٦/٢) . وإلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : سئل رسول الله ﷺ : «من أكرم الناس ؟ فقال اتقاهم الله، قالوا : ليس عن هذا نسألك، قال : فإكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله، قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : فعن معادن العرب تسألونى ؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» . أخرجه البخارى ٦٠ الأنبياء، حديث (٣٣٨٣)، والترمذى (٢٩٣/٥) التفسير، باب ١٣، حديث (٣١١٦)، وأحمد فى المسند (٣٣٢/٢، ٤١٦) كلاهما عن طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة بلفظ : «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» .

قال تعالى : ﴿ ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً . وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين . قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (يوسف : ٣٦-٤٠) .

عاش هذا النبي الكريم عليه السلام فى القصور وعرف مفاصد الحكم والحكام عن كذب ، وذاق من ويلاتهم كيداً وظلماً واضطهاداً وسجناً وعاش بين ظهرانى أمة وثنية تعبد الأصنام والأبقار والكواكب ، فمن أين ينطلق للإصلاح ومن أين تكون نقطة البدء ؟ . هل يبدأ فى الدعوة إلى الله وهو مسجون ظلماً ويشاركه فى السجن مظلومون مثله من أثارتهم وتمييجهم على الحكام الظلمة المستبدين ، وهذا منطلق سياسى لاشك فيه والفرصة متاحة أمامه أو يبدأ بالدعوة من حيث انطلق آباؤه الكرام وعلى رأسهم إبراهيم خليل الله وإمام الدعاة إلى توحيد الله ومن حيث انطلق جميع رسل الله لاشك أن طريق الإصلاح الوحيد فى كل زمان ومكان هو طريق الدعوة إلى العقيدة والتوحيد وإخلاص العبادة لله وحده .

إذن فليبدأ يوسف من هذا المنطلق مقتدياً بآبائه الكرام ومعتزاً بعقيدتهم ومحقراً ومنندداً بسخف المشركين واتخاذهم أرباباً من دون الله من الأصنام والابقار والكواكب .

وبعد هذا البيان الواضح والدعوة الصارخة إلى التوحيد ونبد الشرك يؤكد دعوته وحقته بقوله : ﴿ أن الحكم إلا لله ﴾ (١) ثم يفسر هذه الحاكمة بتوحيد الله وعبادته وحده ﴿ أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ﴾ ، ويقول عن التوحيد ﴿ ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

(١) هذه الآية قاعدة أساسية من قواعد التوحيد كما بين الله ذلك على لسان يوسف عليه السلام ومن المؤسف جداً أن ترى كثيراً من دعاة الإصلاح السياسيين قد ابتعدوا بتفسيرها جداً عن مدلولها الأساسى إخلاص العبادة لله وحده إلى مدلول سياسى هو إقامة الدولة التى يزعمون أنها ستطبق شريعة الله فى الأرض بالنيابة عنه وبالغوا فى هذا الاتجاه حتى انسوا الناس المعنى الأصيل للآية ولا يفهمون عنها إلا المعنى الجديد فلا حول ولا قوة إلا بالله وهكذا عاملوا كل أو معظم آيات التوحيد وارتكبوا كل هذا تحت شعار الحاكمة وهذا شىء لم يسبقوا إليه فإلى الله المشتكى .



ويصل يوسف عليه الصلاة والسلام إلى أعلى منصب في هذه الدولة<sup>(١)</sup> وهو يدعو إلى توحيد الله وقيم على دعوته ونبوته البيئات . قال تعالى في بيان هذه الأمور : ﴿وقال الملك أئتوني به استخلصه لنفسى فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم﴾ (يوسف : ٥٤-٥٥) .

وقال شاكراً لمولاه : ﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفنى مسلماً والحقنى بالصالحين﴾ (يوسف : ١٠١) .

وقال الله في بيان دعوته : ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتهم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن نبعث الله من بعده رسولا . كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب﴾ (غافر : ٣٤) .

من فقه سيرة يوسف عليه السلام التى عرضتها علينا هذه الآيات الكريمة أن الدعوة إلى التوحيد أمر لا بد منه ، وأن الشرك لا هوادة ولا مدهانة في محاربتة فلا يجوز السكوت عنه مهما كانت ظروف الداعية إلى الله بل لا يجوز لمسلم اطلاقاً أن يجابى ويدهن في أمره وهذا يبين مكانة العقيدة وعظم شأنها عند الله وعند أنبيائه ورسله وأن الفرق والبون شاسع جدا بينها وبين فروع الإسلام فلا يجوز أن يكون المسلم خصوصاً الداعية أن يكون كاهناً من كهنة المشركين أو سادناً لأصنامهم ، فإن فعل ذلك كان من المشركين الضالين .

أما الجانب التشريعى ، فإن قامت دولة الإسلام فلا بد من تطبيق شريعة الله ، والا ﴿فمن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ والكفر حينئذ على ما فصله علماء الإسلام من الصحابة وغيرهم قد يكون كفوفاً أكبر إذا كان يحتقر شرع الله ويستحل الحكم بغيره ، وقد يكون كفوفاً أصغر إذا كان يعظم شريعة الله ولا يستحل الحكم بغيرها لكن غلبه هواه فحكم بغير ما أنزل الله .

أما إذا كانت دولة الإسلام غير قائمة ، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها وللمسلم أن يتبوا منصباً في دولة غير مسلمة شريطة أن يقوم بالعدل وأن لا يطيعهم في معصية الله ولا يحكم بغير ما أنزل كما فعل نبي الله يوسف . تبوا منصب النيابة عن ملك كافر وما كان يحكم

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في الحسبة (ص ٧) .

«وكذلك يوسف الصديق كان نائباً لفرعون مصر وهو وقومه مشركون وفعل من العدل والخير ما قدر عليه ، ودعاهم إلى الإيثار بحسب الامكان» .

بشريعته ﴿... ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ (يوسف : ٧٦)، وكان يقوم بالعدل بين الرعية ويدعوهم إلى توحيد الله .

وفي هذا رد حاسم على من يهون من أمر عقيدة التوحيد وبجامل ويداجي في قضية الشرك الذي ملأ الدنيا وينظر إلى دعاة التوحيد وأعداء الشرك بعين الاحتقار والإزدراء ويربأ بنفسه ويشمخ بأنفه أن يهبط إلى مستوى دعاة التوحيد - وهو من دهاة السياسة وما اثقل على سمعه وقلبه أن يسمع أو يقول كلمة توحيد أو شرك . لقد أوقع هذا النوع من الدعاة أنفسهم في هوة سحيقة في حين يظنون أنهم في أعلى القمم الشاخحة . وهل يفلح قوم هذا موقفهم من دعوة الأنبياء إلا أن يتوبوا عما هم فيه إلى الله توبة نصوحاً .

(رابعهم) : موسى كلیم الله ، القوي الأمين ، نرى دعوته تتجه إلى التوحيد وتحمل في طياتها أنوار الهداية والحكمة .

لقد تربى موسى ودرج في قصور أعظم طاغية متأله وعرف من ألوان الفساد والكفر والطغيان والظلم والاستبداد في قصور الحكم عن مشاهدة واطلاع ما يصعب تصوره واحتماله ورأى ما نزل بقومه بنى إسرائيل من استعباد واستذلال واستحياء النساء وقتل الابناء ما فاق كل ظلم عرفته البشرية .

قال تعالى : ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستعطف طائفة منهم تذبح ابناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ (القصص : ٤) وكان قوم فرعون أهل وثنية دون شك .

فكيف كان بدء دعوة موسى هل اتجهت إلى إصلاح عقيدة هذه الأمة الوثنية أو بدأت بالمطالبة بحقوق بنى إسرائيل والمصارعة على الحكم والسعى الجاد في اقامة الدولة الإسلامية وانتزاع السلطة من أيدي الطغاة وعلى رأسهم فرعون المتأله .

لقد كانت دعوة موسى كغيرها من دعوات آبائه واخوته من الأنبياء لقد لقنه ربه أصل التوحيد واصطفاه لحمل رسالته والقيام بعبادته . قال تعالى : ﴿وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلی آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فلما أتاه نودى يا موسى . إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري . إن الساعة آتية أكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ . (طه : ٩-١٥) . هكذا في مفتتح

رسالته تملئ عليه عقيدة التوحيد ويكلف شخصياً أن يقوم بها في واقع نفسه ويتمثلها في حياته .

ثم يكلفه بالدعوة لهذا المبدء العظيم فيرسله إلى فرعون ويبين له طريق الدعوة وأسلوبها الحكيم الذي يواجهه به فرعون . قال تعالى : ﴿ اذهب إلى فرعون أنه طغى فقل هل لك إلى ان تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾ (النازعات : ١٧-١٩) .

ويشد عضده بأخيه هارون مبالغة في اقامة الحجة ويعلمها الرفق واللين في الدعوة فإن ذلك أقرب الطرق إلى هداية من يريد الله هدايته ﴿ اذهب إلى فرعون انه طغى . فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ (طه : ٤٣-٤٤) . فنفاذا أمر ربها ودعواه إلى الله قاصدين هدايته وتزكياته ليكون ممن يخشى الله ويتقى عواقب الشرك والظلم ، فلم يستجب لهذه الدعوة الهادئة الحكيمة فبرهن موسى على نبوته وصدق رسالته بآيات كبرى لكن الطاغية فرعون زاد طغيانا وتكذيباً ﴿ فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذ الله نكال الآخرة والأولى ﴾ .

ازدياد طغيان فرعون وعسفه وظلمه ومواجهة موسى وقومه هذا الطغيان بالصبر الجميل والتحمل :

﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآهتك . قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون ﴾ (الاعراف : ١٢٧) .

ما ذنب موسى وقومه في نظر هؤلاء المجرمين ، لا ذنب لهم إلا الدعوة إلى توحيد الله والثبات عليها والكفر بفرعون ومعبوداته ، ثم ما موقف موسى من هذه الانتهاكات البشعة والتي تجاوزت حدود الوحشية والهمجية . إنه الثبات على العقيدة والصبر الجميل والاستعانة بالله في مواجهة هذه الشدائد ثم انتظار العاقبة الطيبة والنصر نتيجة وثمرة حميدة لهذا الثبات والصبر ﴿ قال موسى استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ . (الاعراف : ١٢٨) .

ولما لم يبق أى أمل في إيمان فرعون وقومه واشتد البلاء على بنى إسرائيل كان مطلب موسى الوحيد من فرعون أن يترك لبنى إسرائيل حرية الخروج والهجرة إلى حيث يريد الله لهم انقاذاً لهم من التعذيب والتنكيل ﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ﴾ . (طه : ٤٧) . إنها لدعوة سامية إلى توحيد الله فيها النور والحكمة وفيها الحرص على هداية المدعوين وتزكيتهم ،

وفيها أقوى أنواع الصبر في تحمل الأذى وفي مواجهة الطغيان والكبرياء وفيها معالجة المواقف الصعبة بالحكمة والصبر مع قوة الأمل في الله في نصر المؤمنين وإهلاك الظالمين وفيها دروس وعظات لمن يريد بدعوته وجه الله ويريد إصلاح البشر وربطهم بالله وهدايتهم إلى صراطه المستقيم .

(والخامس) : سيد الأنبياء وخاتمهم محمد بن عبد الله صاحب أعظم رسالة وأكملها وأشملها، الذي أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ما ترك خيراً إلا دل أمته عليه ولا شراً إلا حذرهما منه .

بماذا بدأ هذا النبي العظيم من مبادئ الإسلام ؟ ومن أين انطلقت دعوته ؟

إنه عليه الصلاة والسلام بدأ بما بدأ به كل الأنبياء وانطلق من حيث انطلقوا بدعواتهم من عقيدة التوحيد والدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده، من لا إله إلا الله محمد رسول الله وهل يتصور منه أو من أحد من الأنبياء أن يبدأ بغير هذا الأصل العظيم أصل أصول الرسالات كلها . لقد بدأ رسول الله ﷺ بهذا الأصل فأول شيء طرق مسامع قومه قولوا لا إله إلا الله . فقال المستكبرون منهم ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا على آهتكم إن هذا لشيء يراد﴾ . (ص : 5-6) ، واستمر داعياً إلى هذا المبدأ الأسمى والمطلب الأعلى طيلة العهد المكي من رسالته ثلاثة عشر عاماً لا يكمل ولا يمل صابراً على كل ألوان الأذى في سبيل نشر هذا المبدأ فلم يفرض عليه من التشريعات وأركان الإسلام إلا الصلاة في السنة العاشرة من البعثة اللهم إلا ما كان يأمر به قومه من معالي الأخلاق كصلة الرحم والصدق والعفاف ولكن محور الدعوة وموضوع الصراع والخصومة إنما هو ذلك الأصل العظيم .

لقد كلف الله هذا النبي الكريم ﷺ تكليفاً خاصاً أن يقوم بهذا الأصل العظيم . قال تعالى : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ، ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون﴾ . (الزمر : 2-3) .

وقال تعالى : ﴿قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ، وأمرت لأن أكون أول المسلمين ، قل إنى اخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾ . (الزمر : 11-14) . ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ . (الأنعام : 162-163) .

كما أمره أن يقوم بدعوة الناس جميعاً إلى تحقيق هذا المبدأ والنهوض به . قال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . (البقرة : ٢١-٢٢) ، وقال تعالى : ﴿وَالْهَلْكَامِ إِلَهُ وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ . (البقرة : ١٦٣) ، وقال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ . (الاعراف : ١٥٨) . والآيات في هذا كثيرة والذي قدمناه إنما هو نموذج لمنهج رسول الله في الدعوة إلى التوحيد .

أما السنة ففيها الشيء الكثير الدال على افتتاح رسول الله ﷺ دعوته بالتوحيد واختتامها بذلك واستمراره فيها بين ذلك طوال حياته ﷺ :

١ - فعن عمرو بن عبسة السلمي رضى الله عنه قال : «كنت وأنا في الجاهلية ، أظن أن الناس على ضلالة ، وأنهم ليسوا على شيء ، وهم يعبدون الأوثان ، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً ، فقعدت على راحلتي ، فقدمت عليه ، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جراءً عليه قومه فتلطفت ، حتى دخلت عليه ، بمكة ، فقلت له : ما أنت ؟ فقال : أنا نبي . فقلت : وما نبي ؟ قال : أرسلني الله . فقلت : وبأى شيء أرسلك . قال : أرسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء . فقلت : ومن معك على هذا . قال : «حروعبد» . قال : ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به . . . (١) (الحديث) .

٢ - ولما وفد عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة المخزومي كلما النجاشي ملك الحبشة فقالا له يغريانه بالمسلمين المهاجرين إلى الحبشة : «أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنت . . . فسألهم النجاشي فقال : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الأمم ؟ . . . فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له : أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسئ الجوار ، يأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا

(١) أخرجه مسلم (٥٦٩/١) ، ٦ - كتاب صلاة المسافرين . ٥٢ - باب اسلام عمرو بن عبسة ، حديث (٢٩٤) . وأحمد في

المسند (١١٢/٤) .

نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفاه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة، والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصللة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش، وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، قال فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وأمانا به واتبعناه، على ما جاء به فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك. . . . (١) الحديث .

وفي أسئلة هرقل لأبي سفيان في مدة صلح الحديبية عن حال رسول الله ﷺ قال لأبي سفيان : ماذا يأمركم ؟ قال أبو سفيان قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمر بالصلاة، والصدق والعفاف، والصلة (٢).

فهذه الأحاديث توضح لنا دعوة رسول الله ﷺ في العهد المكي والمدني .

تعذيب أصحابه من أجل لا إله إلا الله عقيدة التوحيد :

لقد عذب أصحاب رسول الله ﷺ اشد ألوان التعذيب من أجل تمسكهم بالعقيدة وإخلاص العبادة لله وحده ونبذ الشرك والكفر. عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . قال : « أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله ﷺ ، وأبوبكر وعمار، وأمه سمية، وصهيب وبلال، والمقداد . فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله تعالى بعمه أبي طالب، وأما أبوبكر، فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم، فأخذهم المشركون، وألبسوهم أذراع الحديد، صهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وآتاهم على ما أرادوا، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول : أحد أحد» (٣) .

(١) أخرجه الامام أحمد (٢٠٢/١)، (٢٩٠/٥) قال أحمد: ثنا يعقوب (يعنى ابن ابراهيم ابن سعد الزهرى) ثقة ثنا أبي عن محمد بن اسحاق حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة بنت أبي اميه (يعنى أم المؤمنين رضى الله عنها) وهو اسناد صحيح إلا محمد بن اسحاق وقد صرح بالتحديث فحديثه حسن .

(٢) أخرجه البخاري ١ - كتاب بدء الوحي باب ٧ - حديث ٦ وهو حديث طويل .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢٨٤/٣)، وصححه، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٤٨/١) وقال وله اسناد

صحيح، وانظر في الاستيعاب (١٤٥-١٤٦) والخلية لأبي نعيم (١٤٩/١) .

وفي السيرة لابن هشام «وكان أمية بن خلف يخرج (يعنى بلالا) إذا حميت الظهر، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره، ثم يقول : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى. فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد(١).

وقال ابن إسحاق : وحدثني حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، قال : قلت لابن عباس أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم . والله إن كانوا ليضربون أحدهم ، ويجيعونه ويعطشونه ، حتى ما يقدر أن يستوى جالساً ، من شدة الضرب الذى نزل به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم . حتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون له أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم افتداء مما يبلغون من جهده»(٢)، وهذا اسناد حسن صرح فيه ابن إسحاق بالتحديد فأمن تدليسه .

وتعذب سمية حتى الموت من أجل عقيدة التوحيد، لا لأنها كانت زعيمة سياسية . فعن مجاهد قال : «أول شهيدة في الإسلام سمية والدة عمار أتى أبو جهل فطعنها بحربة في قبلها»(٣)، وقال ابن سعد : «اسلمت قديماً بمكة، وكانت ممن يعذب في الله لترجع عن دينها، وصبرت ، حتى مر بها أبو جهل يوماً، فطعنها بحربة في قبلها، فماتت»(٤).

#### الاهتمام بعقيدة التوحيد في العهد المدني :

وبعد أن هاجر رسول الله وأصحابه إلى المدينة، وقامت دولة الإسلام على كواهل المهاجرين والأنصار، وعلى أساس التوحيد ظل الاهتمام بالتوحيد على أشده والآيات القرآنية تنزل به والتوجيهات النبوية تدور حوله ولم يكتف رسول الله ﷺ بكل هذا .  
على التوحيد (١) فكان يبايع عليها عظماء الصحابة فضلاً عن غيرهم بين الفينة والفينة وكلما تسنح له فرصة للبيعة عليها . قال تعالى : ﴿يَأْيُمُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا

(١) (٣١٨/١).

(٢) السيرة لابن هشام (١/٣٢٠).

(٣) الطبقات لابن سعد (٨/٢٦٤-٢٦٥) قال أخبرنا اسماعيل بن عمر أبو المنذر، حدثنا سفيان الثوري، عن منصور عن

مجاهد قال : ذكره وهو اسناد صحيح إلى مجاهد .

(٤) الطبقات لابن سعد (٨/٢٦٤).

يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفرهن الله إن الله غفور رحيم ﴿المتحنة: ١٢﴾، وهذه الآية وإن كانت في بيعة النساء فإن رسول الله ﷺ كان يبايع على مضمونها الرجال .

فعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ في مجلس ، فقال : تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم - قرأ الآية التي أخذت على النساء ﴿إذا جاءك المؤمنات﴾ - فمن وفى منكم ، فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ، فعوقب به فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه» (١) .

وساق ابن كثير عدداً من الأحاديث التي فيها أن رسول الله كان يبايع النساء بمضمون هذه الآية (٢) منها حديث عائشة ، وحديث اميمة بنت رقيقة ، وحديث أم عطية (٣) ، وحديث سلمى بنت قيس إحدى خالات الرسول (٤) وحديث رائطه بنت سفيان الخزاعية (٥) . ثم قال : « وكان رسول الله ﷺ يتعاهد النساء بهذه البيعة . ثم ساق حديث ابن عباس (٦) وأحاديث أخر .

أقول : وكذلك كان يتعاهد الرجال ، فمما يدل على ذلك حديث عبادة بن الصامت السابق ، ومن ذلك حديث عوف بن مالك الأشجعي رضى الله عنه قال : « كنا عند رسول الله ﷺ ، تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال : ألا تبايعون رسول الله ؟ وكنا حديث

(١) رواه البخاري ٢ - كتاب الايمان باب ١١ - حديث ١٨ ، ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ٤٣ - باب وفود الأنصار ، حديث (٣٨٩٢) ، ومسلم ٢٩ - كتاب الحدود ١٠ - باب الحدود كفارات لأهلها ، حديث (٤١-٤٤) ، والنسائي (١٢٨/٧) .

(٢) البخاري ٦٥ - كتاب التفسير تفسير سورة المتحنة ٢ - باب إذا جاءك المؤمنات مهاجرات حديث (٤٨٩١) وابن ماجه (٢/٩٥٩) ٢٤ - كتاب الجهاد ٤٣ - باب بيعة النساء حديث (٢٨٧٤) ٢ - مسند أحمد (٣٥٧/٦) والنسائي كتاب البيعة باب بيعة النساء (١٣٤/٧) .

(٣) أخرجه البخاري ٦٥ - كتاب التفسير تفسير سورة المتحنة ٣ - باب إذا جاءك المؤمنات يبايعنك حديث (٤٨٩٢) ومسلم كتاب الجنائز (٢٣٨/٦) بشرح النووي .

(٤) مسند أحمد (٦/٣٧٩-٣٨٠ ، ٤٢٢-٤٢٣) وفي إسناده سليل بن أيوب قال الحافظ : مقبول وقال الذهبي في الكاشف (٣٨٨/١) وثق فهو حسن لشواهد .

(٥) مسند أحمد (٦/٣٦٥) .

(٦) في البخاري ٦٥ - كتاب التفسير ٣ - باب إذا جاءك المؤمنات يبايعنك حديث (٤٨٩٥) ومسلم ٨ - كتاب صلاة العيدين ٨ - باب صلاة العيدين حديث (١) والحديث طويل وفيه «فقال : يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً فتلا هذه الآية حتى فرغ منها ثم قال حين فرغ منها «انترن على ذلك ، فقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها منهن : نعم يابى الله . . .» .



عهد بيعة فقلنا : بايعناك يا رسول الله ، ثم قال : ألا تبايعون رسول الله . فقلنا : بايعناك يا رسول الله ، ثم قال : ألا تبايعون رسول الله ؟ قال : فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك ؟ قال : على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات الخمس وتطيعوا - وأسر كلمة خفية - ولا تسألوا الناس شيئاً فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه» (١) .

٢ - وكان يرسل دعواته ومعلميه وقضاته وامراءه إلى الملوك والجبابة في الأقطار المختلفة بدعوة التوحيد . فعن أنس رضى الله عنه - خادم رسول الله ﷺ - أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى (٢) وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله ، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ» (٣) .

يوضح ذلك نص كتابه إلى قيصر وأن هدفه الدعوة إلى التوحيد ونصه : «بسم الله الرحمن الرحيم . . . من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد - فإنى ادعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت ، فإن عليك إثم الأريسيين (٤) - ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا ، فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون» (٥) .

(١) أخرجه مسلم ١٢ - كتاب الزكاة ٣٥ - باب المسألة للناس حديث ١٨ ، وأبو داود ٣ - كتاب الزكاة ، ٧٢ - باب كراهية المسألة حديث (١٦٤٢) ، وأحمد (٢٧/٦) ، والنسائي (١٨٦/١) . وابن ماجه ٢٤ - كتاب الجهاد ، ٤١ - باب البيعة ، حديث (٢٨٦٧) .

(٢) وانظر كتابه إلى كسرى ملك الفرس في البداية والنهاية (٣٦٩/٤) بقريب من كتابه إلى قيصر .

(٣) أخرجه مسلم ٣٢ - كتاب الجهاد ٢٧ - باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل حديث ٧٥ (١٣٩٧/٣) ، والترمذي ، ٤٣ - كتاب الاستئذان ٢٣ - باب في مكاتبة المشركين ، حديث (٢٧١٦) من حديث أنس . وأحمد (٣٣٦/٣) من حديث جابر ، بلفظ «وكتب رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس إلى كسرى وقيصر ، وإلى كل جبار» .

(٤) الأريسيون : الفلاحون ، ويقال لهم : الأكارون ، والمراد : اتباعه من الضعفاء وغيرهم ، لأنه صار سبباً في استمرارهم على الشرك ، وهذا عدل الله وستته في الزعماء أنهم يحملون أوزارهم ، وأوزار من يتبعوهم في الانحراف عن التوحيد والحق ومخاربه ، قال تعالى : ﴿وليحملن أوزارهم ، وأوزار الذين يضلونهم﴾ ، وقال ﷺ : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة ، لا ينقص من أوزارهم شيئاً» .

(٥) أخرجه البخاري ١ - كتاب بدء الوحي ٧ - حديث ٦ ، وهو حديث طويل اختصرناه وأحمد (٢٦٢/١) .

وعندما وصل الكتاب النبوي إلى قيصر، أرسل إلى أبي سفيان بن حرب في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي ماد فيها رسول الله ﷺ أبا سفيان، وكفار قريش، فأتوه وهم بابلياء فوجه أسئلة إلى أبي سفيان من جملتها، قال قيصر: «ماذا يأمركم، قال أبو سفيان، قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمر بالصلاة، والصدق والعفاف والصلة»<sup>(١)</sup>

(٢) وكان رسول الله ﷺ يجهز جيوشه للجهاد في سبيل الله لأعلاء كلمة التوحيد: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، ويرشد قواده وجنوده إلى البدء قبل القتال بدعوة الناس إلى التوحيد. فعن بريدة بن الحصيب رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش، أوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه، وبمن معه من المسلمين خيراً، وقال: «إذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال، فإن أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين . . . فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن، فارادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم، فإنكم لا تدرؤن ما يحكم الله فيهم ولكن انزلوهم على حكمكم، ثم اقضوا فيهم بعد ما شئتم»<sup>(٢)</sup>.

ومثل حديث بريدة حديث النعمان بن مقرن المزني رضى الله عنه أشار إليه كل من مسلم وأبي داود وابن ماجه، بقولهم قال علقمة فحدثت به مقاتل بن حيان، فقال: حدثني مسلم بن هيصم، عن النعمان بن مقرن، عن النبي ﷺ مثل ذلك.

(٤) وبعث معاذاً إلى اليمن أميراً وقاضياً ومعلماً فقال له رسول الله ﷺ في وصيته: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله. وفي

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه مسلم ٣٣ - كتاب الجهاد ٢ - باب تأمير الإمام الأمراء على البعث حديث (٣)، (٣/١٣٥٦-١٣٥٧). وأبو داود، ٩ - كتاب الجهاد ٩ - باب في دعاء المشركين، حديث (١٦١٢) (٣/٨٣)، والترمذي، ٢٢ - كتاب السير، ٤٨ - باب وصية النبي ﷺ في القتال، حديث (١٦١٧) (٤/١٨٢). وابن ماجه ٢٤ - كتاب الجهاد، ٣٨ - باب وصية الإمام، حديث (٢٨٥٨).

رواية إلى أن يوحدوا الله وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فاخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك ، فاخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فيأبك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»<sup>(١)</sup> ، ولا يشك أنه كان يوصى كل دعائه وأمرائه وقضاته بمثل هذه الوصية .

(٥) وشرع الجهاد من أجل التوحيد وتطهير الأرض من فتنة الشرك . قال تعالى :

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ .

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> رحمه الله : يقول تعالى ذكره لنبية ﷺ : (وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم ، حتى لا تكون فتنة يعنى حتى لا يكون شرك بالله ، وحتى لا يعبد دونه أحد ، وتضمحل عبادة الأوثان والآلهة والانداد ، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان . . . ) ، قال قتادة : حتى لا يكون شرك . وساق اسانيد هذا التفسير إلى قتادة ومجاهد والسدى وابن عباس ، وقال المراد بالدين الذى ذكره الله فى هذا الموضع : العبادة والطاعة لله فى أمره ونهيه . قال ومن ذلك قول الأعشى :

هودان الرباب إذ كرهوا الدين دراكاً بغزوة وحيال

ثم ساق إسناده إلى الربيع (ويكون الدين لله) يقول : حتى لا يعبد إلا الله ، وذلك لا إله إلا الله عليه قاتل رسول الله ﷺ وإليه دعا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله»<sup>(٣)</sup> .

وقال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه لأبى بكر الصديق خليفة رسول الله حين عزم على قتال المرتدين بما فيهم مانعى الزكاة فقال له الفاروق رضى الله عنه : «كيف تقاتل

(١) أخرجه البخارى ٦٤ - كتاب المغازى ٦٠ - باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، حديث (٤٣٤٧) ،

٩٧ - كتاب التوحيد ١ - باب ما جاء فى دعاء النبي ﷺ إلى توحيد الله تبارك وتعالى حديث ٧٣٧٢ ، ولفظ البخاري هنا «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله ، فإذا عرفوا ذلك . . . الحديث ، ومسلم ١ - كتاب الايمان ٧٥ - باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، حديث ٢٩ ، ٣٠ ولفظ الأخير ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل فإذا عرفوا ذلك . . . الحديث .

(٢) التفسير (٢/١٩٤-١٩٥) .

(٣) البخارى ، ٥٦ - الجهاد ، ١٠٢ - باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة ، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون

الله ، حديث (٢٩٤٦) . ومسلم - كتاب الإيمان ، ٨ - حديث (٣٣) ، وأبو داود ٩ - الجهاد ١٠٤ - باب على ما يقاتل المشركون ، حديث (٢٦٤٠) وابن ماجه ٣٦ - كتاب الفتن ، باب الكف عن من قال : لا إله إلا الله ، حديث (٣٩٢٧) .

الناس ، وقد قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله . فقال أبو بكر رضي الله عنه : والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها» (١) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا منى دماءهم ، وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله» ثم قرأ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ . (٢) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله» (٣) .

ويلاحظ أن حديث عمر وأبي بكر وأبي هريرة وجابر قد اقتضت على قضية التوحيد ، ولم تتعرض لغيرها . ولعل السبب في ذلك شدة اهتمام الرسول ﷺ بهذه القضية بحيث أنه يحدثهم بها المرة تلو المرة مقتصراً عليها تنبيهاً منه لهم على عظمتها وأهميتها وإدراكا منه صلوات الله وسلامه عليه أنهم يفهمون أن كل أمور الإسلام من مقتضياتها ومستلزماتها وحقوقها خصوصا أركان الإسلام والإيمان .

أقول : وبسبب اقتصار الرسول ﷺ على ما يتعلق بالعقيدة كان استدلال عمر بهذا القدر وكان جواب أبي بكر في تأييد موقفه بقياس الزكاة على الصلاة «والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . . .» ولو كان يحفظ ما رواه ابن عمر لاستدل به رأسا ، ولو كان عمر يحفظ ما رواه ابنه لما اعترض على أبي بكر ولو كان الحاضرون وفيهم أبو هريرة يحفظون ما رواه ابن عمر لذكروا الشيخين به ، ولعل السر هو ما أشرنا إليه شدة اهتمام الرسول بالعقيدة واشادته بها وكثرة حديثه عنها .

(١) أخرجه البخارى ، ٢٤ - كتاب الزكاة ١ - باب وجوب الزكاة ، حديث (١٣٩٩) ومسلم - كتاب الايمان ٨ - باب حديث (٣٣) .

(٢) أخرجه مسلم ١ - كتاب الايمان ٨ ، حديث ٣٥ والترمذي ، ٤٨ - كتاب التفسير ، تفسير سورة الغاشية ، حديث (٣٣٤١) (٤٣٩/٥) ، وابن ماجه ٣٦ - كتاب الفتن ، باب (١) ، حديث (٣٩٢٨) .

(٣) أخرجه البخاري ٢ - كتاب الايمان ١٧ - باب ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم حديث (٢٥) ، ومسلم ، ١ - كتاب الايمان باب ٨ حديث (٣٦) .

ولما كان ابرز جانب وأهمه فيما جاء به الأنبياء من تعاليم ربانية هو توحيد الإلهية ، وكان هو في الواقع اعظم قضايا الصراع مع كل أعداء الأنبياء .

وكان ابرز جانب من جوانب الباطل والضلال مما اعلن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عليه الحرب من جهة واستمات المشركون المكذبون من كل الأمم في الدفاع عنه من جهة أخرى هو عبادة الأصنام والأوثان ، وقبور الصالحين والأنبياء وتقديسها وتقديم القرابين لها وتعلق قلوب البشر حكاما ومحكومين بها حبا ورجاء وخوفا وطمعاً وأملاً في شفاعتها لهم عند الله في قضاء مطالبهم ، وكان هذا اللون هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر كان لا بد - إلى جانب ما قدمناه من الحديث عن منهج الأنبياء خصوصاً في الحديث عن ابراهيم إمام الخفاء ومحطم أصنام السخفاء - من ذكر طرف من حرب رسول الله ﷺ - الشعواء لهذا الشرك الأكبر ممثلة في سحق هذه الأوثان فعلاً وفي سد كل ذريعة يستدرج بها الشيطان أوليائه من البشر إلى عبادتها واتخاذها أنداداً من دون الله باسم الآلهة أو الأولياء أو تحت أى شعار مضل .

فمن تلك الحرب التي شنها القرآن ورسول منزل القرآن ﷺ قول الله تعالى : ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى الكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ (النجم : ١٩-٢٣) . فهذا تحقير لمعبوداتهم وأى تحقير وحرب عليها أي حرب ، وقول الله تعالى : ﴿... فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله . فكأنها خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق﴾ (الحج : ٣٠-٣١) ، وقول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (المائدة : ٩٠) .

وعن عمرو بن عبسة رضى الله عنه وقد تقدم حديثه وفيه : «قلت : آله أرسلك ، قال : نعم ، قلت : بأى شىء أرسلك ، قال : بأن يوحد الله ، ولا يشرك به شىء ، وكسر الأوثان وصلة الرحم»<sup>(١)</sup> .

وفي حديث جعفر بن أبى طالب : «... حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة ، والأوثان...»<sup>(٢)</sup> الحديث .

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٥) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٤٦) .

وفي حديث أبي سفيان مع هرقل ملك الروم : « يقول - يعنى رسول الله ﷺ - اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم » (١) .

وفي حديث أبي امامة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إن الله بعثنى رحمة للعالمين . وأمرنى ربي عز وجل بمحق المعازف والمزامير ، والأوثان والصلب ، وأمر الجاهلية . . . » الحديث .

ولقد طاشت ألباب زعماء قريش وضائق ذرعا بهجوم رسول الله ﷺ على أوثانها سواء فيما أنزل عليه من القرآن أو في دعوته السرية والعلنية لأن هذا أمر لا هوادة فيه ، ودعوته الصادقة تقتضيه .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لما مرض أبو طالب ، دخل عليه رهط من قريش ، فيهم أبو جهل ، فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ، ويفعل ويفعل ، ويقول ويقول : فلو بعثت إليه ، فنهيته ، فبعث إليه ، فجاء النبي ﷺ فدخل البيت . . . فقال له أبو طالب : أى ابن أخى ، ما بال قومك يشكونك ، يزعمون أنك تشتم آلهتهم ، وتقول وتقول . قال : وأكثروا عليه من القول ، وتكلم رسول الله ﷺ فقال : يا عم إنى أريدهم على كلمة واحدة ، يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى إليهم بها العجم الجزية ، ففزعوا لكلمته ، ولقوله وقالوا : كلمة واحدة ! نعم وأبيك عشراً ، فقالوا : ما هى ؟ وقال أبو طالب : وأى كلمة هى يا ابن أخى ، فقال : لا إله إلا الله . فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : اجعل الألهة الهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب » (٢) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : « اجتمعت قريش يوماً فقالوا : انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعريات هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة ، فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٦) .

(٢) مسند الامام أحمد (٣٦٢/١) والترمذى ٤٨ - كتب التفسير ، تفسير سورة (ص) حديث (٣٢٣٢) وفي اسناده يحيى عمارة ويقال ابن عباد ذكره ابن حبان في الثقات تهذيب التهذيب (٢٥٩/١١) وقال الحافظ مقبول . . . تقريب (٣٥٤/٢) وقال الذهبي : وثق الكاشف (٢٢٤/٣) ورواه ابن جرير (١٦٥/٢٣) باسناده إلى الأعمش ثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه من طرق إلى الأعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولم أقف لعباد على ترجمة وفي الاسناد ضعف وقد يحتمل التحسين . ملاحظة في مسند أحمد عباد بن جعفر ولم أقف له على ترجمة وقد نص ابن كثير أن أحمد رواه عن عباد غير منسوب انظر تفسير ابن كثير (٤٦/٧) .

فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ فقال : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلم ، حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا ، وعبت ديننا وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً ، والله ما ننظر إلا مثل صيحة الجبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل إن كان إنهابك الحاجة جمعنا لك حتى تكون اغنى قريش رجلاً ، وإن كان إنهابك الباءة فاختر أى نساء قريش فلنزوجك عشراً ، فقال رسول الله ﷺ : فرغت ؟ قال : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم . . . حتى بلغ - . . . فإن أعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فقال عتبة : حسبك ! حسبك ! ما عندك غير هذا ؟ قال : لا . فرجع إلى قريش ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته ، قالوا : فهل أجابك ؟ قال : لا ، والذي نصبها بنية ، ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويملك أيكلمك الرجل بالعربية ما تدرى ما قال ؟ قال : لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة»<sup>(١)</sup> .

تلك الحرب كانت حرباً كلامية ونفسية بالنقد اللاذع والتحقير والسخرية ودمغ المشركين بالضلال والجهل مع اقامة الحججة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، وكان من آثار تلك الحرب ومن آثار تلك الدعوة والبيان أن هدى الله كثيراً من العرب من قريش وغيرهم ومن الأوس والخزرج وفتح الله بصائرهم وعرفوا حقيقة التوحيد ومكانته وعرفوا حقارة الشرك بالأوثان وغيرها وخطورته في الوقت نفسه على المشركين في الدنيا والآخرة .

وهذه ثمار طيبة عظيمة كانت نتيجة لجهاد رسول الله ﷺ وأصحابه وصبرهم في ميدان الدعوة الحقبة إلى الله وحملتهم المكثفة على الطواغيت والأوثان والأنصاب .

(١) المنتخب في مسند عبد بن حميد (ص ٢٠٨) رقم (١١٢١) ومسند أبي يعلى الموصلى (ل ١٠١) كلاهما عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن محمد عن الأجلح عن الذيبال بن حرملة الأسدي عن جابر - رضى الله عنه - مرفوعاً قال ابن كثير في تفسيره (١٥١/٧) بعد أن ساق الحديث باسناده عن عبد بن حميد وأبي يعلى : «وقد ساقه البغوى في تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندي وقد ضعف بعض الشيء عن الذيبال . . . » لكن الحافظ قال فيه «صدوق شيعى من السابعة» تقريب (٤٦/١) وقال الذهبي : وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائى وهو شيعى «الكاشف (٩٩/١) وشيخه الذيبال قال الحافظ : عن جابر وابن عمر والقاسم بن مخيمرة وعنه فطر بن خليفة وحسين والأجلح وحجاج بن أرطاة وثقه ابن حبان تعجيل المنفعة (٨٤) وبقيّة رجال الاسناد ثقات .

ثم لما أصبح للمسلمين شوكة ودولة انتقل رسول التوحيد ﷺ إلى خطوة عملية جديدة هي سحق الأصنام وتحطيمها وإبادتها وتطهير الأرض منها ادراكاً منه لخطورتها فهي المصدر الأساسى والخطير على الأجيال البشرية من فجر تاريخها وإلى أن ينتهى تاريخها كما قال إمام الحنفاء : ﴿واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام رب انهن اضلنن كثيراً من الناس﴾ (ابراهيم : ٣٥-٣٦). فمن هنا قرر الرسول الأعظم محمد ﷺ القيام بتطهير الأرض من الأوثان وتسوية القبور لأنها قرينة الأصنام في اضلال البشرية .

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبا، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : «جاء الحق وزهق الباطل»، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد»<sup>(١)</sup>.

وجهاز رسول الله ﷺ جيشاً لذي الخلصة من المدينة إلى خثعم فغزاهما . عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال : كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخلصة، والكعبة اليمانية، والكعبة الشامية، فقال لى النبي ﷺ : ألا تريحنى من ذى الخلصة ؟ فنفرت في خمسين ومائة فارس من أحمس ، فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده فأتيت النبي ﷺ فاخبرته ، فدعانا ولأحمس ، وفي لفظ للبخارى : وكان ذو الخلصة بيتا باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة<sup>(٢)</sup> . ولفظه في البخارى ومسلم وأحمد : «ألا تريحنى من ذى الخلصة» . انظر إلى هذا التعبير النبوى فكان وجود الأوثان يقض مضجعه ويقلقه عليه الصلاة السلام فلا يقر له قرار ولا يجد راحة واعجب من واقع كثير من الدعاة اليوم يرون أمام اعينهم مظاهر الشرك فلا تحرك فيهم ساكنا ولا يحسبون لهذا الواقع المرحسابا بل الأدهى والأمرانهم يتدمرون ممن ينكرو ويتألم لهذا الواقع الجاهلى السىء .

وعن أبى الطفيل عامر بن وائلة، قال : «لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات، وهدم

(١) أخرجه البخاري ٤٦ - باب المظالم حديث (٢٤٧٧)، و٦٤ - كتاب المغازى ٤٨ - باب أين ركز النبي ﷺ رايته يوم الفتح، حديث (٤٢٨٧) و٦٥ - تفسير سورة الاسراء ١٢ - باب «وقل جاء الحق وزهق الباطل، حديث (٤٧٢٠) ومسلم ٣٢ - كتاب الجهاد ٣٢ - باب ازالة الأصنام من حول الكعبة، حديث (٨٧) والترمذي ٤٨ - كتاب التفسير ١٨ - تفسير سورة الاسراء حديث (٣١٣٨) . والإمام أحمد في المسند (٣٧٧/١) .

(٢) البخارى ٦٤ - كتاب المغازى ٦٢ - باب غزوة ذى الخلصة، أحاديث (٤٣٥٥، ٤٣٥٦، ٤٣٥٧)، ومسلم ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة، ٢٩ - باب من فضائل جرير بن عبد الله - رضى الله عنه -، حديث (١٣٦، ١٣٧) . وأبو داود ٩ - كتاب الجهاد، ١٧٢ - باب بعثة البشراء (٢٧٧٢) (٢١٥/٣) والامام أحمد في المسند (٣٦٢، ٣٦٠/٤) .



البيت، الذى كان عليها ثم اتى النبي ﷺ فاخبره فقال : ارجع فإنك لم تصنع شيئاً فرجع خالد فلما ابصرته السدنة وهم حجبته امعنوا فى الجبل، وهم يقولون : يا عزي، يا عزي فأتاها خالد، فإذا هى امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها فغمسها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ، فاخبره فقال : تلك العزى»<sup>(١)</sup>.

وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب، فبعث رسول الله ﷺ أبا سفيان ليهدمها وقيل على بن أبى طالب<sup>(٢)</sup>.

وسألت ثقيف رسول الله ﷺ أن يدع الطاغية وهى اللات، لا يهدمها، ثلاث سنين فأبى رسول الله ﷺ، فما برحوا يسألونه سنة سنة، ويأبى عليهم، حتى سألوه شهراً واحداً بعد قدومهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى . وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذرياتهم . . . فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها<sup>(٣)</sup>، وعن عثمان بن أبى العاص أن رسول الله ﷺ أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كان طاغيتهم<sup>(٤)</sup>.

قال ابن جرير<sup>(٥)</sup> : وكانوا قد استقوا إسمها من اسم الله فقالوا : اللات يعنون مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . وروى بأسانيد إلى قتادة، وابن عباس ومجاهد وابن زيد، إن اللات بتشديد التاء رجل كان يلت السويق للحجاج فهات فعكفوا على قبره فعبدوه .

وقال الإمام البخارى : حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا أبو الأشهب، حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله : اللات والعزى . كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج<sup>(٦)</sup> .

---

(١) أخرجه النسائى فى التفسير فى الكبرى كما فى تحفة الاشراف (٢٣٥/٤) أخبرنا على بن المنذر، أخبرنا ابن فضيل، حدثنا الوليد بن جميع، عن أبى الطفيل، لما فتح رسول الله ﷺ مكة . . . الحديث، وهو اسناد حسن . وانظر تفسير ابن كثير (٤٢٩/٧-٤٣٠).

(٢) السيرة لابن هشام (١/٨٥-٨٦).

(٣) السيرة لابن هشام (٢/٥٤٠-٥٤١). وابن جرير (٣/١٤٠)، والبداية والنهاية (٥/٣٢) ط مكتبة المعارف وعيون الأثر لابن سيد الناس (٢/٢٢٨) وزاد المعاد (٣/٤٩٩-٥٠٠).

(٤) ابن ماجه ٤ - كتاب المساجد، حديث (٧٤٣)، وأبوداود ٢ - الصلاة، حديث (٤٥٠) ورجال ثقاة إلا محمد بن عبد الله ابن عياض «مقبول» .

(٥) فى التفسير (٢٧/٥٨، ٥٩)، والسيرة لابن هشام (٧٨-٨٩) وقد أطلال النفس فى الحديث عن أصنام العرب ومعبوداتها وبيان عبادتها .

(٦) فى الصحيح ٦٥ - كتاب التفسير، تفسير سورة النجم ٢ - باب «أفرأيتم اللات والعزى» .

ولما كانت فتنة القبور والأوثان من باب واحد، والرباط بينها وثيق جداً حيث إن الأوثان والأنصاب إنما نحتت وصورت وعبدت حبا وغلوا في الصالحين كما فعل قوم نوح بود وسواع ويعوث ويعوق ونسر لأنهم رجال صالحون كذلك إنما شيدت القبور وشدت إليها الرحال وقدمت لها القرايين حبا وغلوا في رجال صالحين وفي أقوام الله أعلم باحوالهم وبآلهم .

وعلى كل حال فلما كان النوعان من باب واحد لم يدخر رسول الله ﷺ وسعا في الأمر بهدم القبور ونهى أن يبنى عليها أو يزداد عليها ونهى عن تخصيصها ونهى عن الصلاة عليها وإليها وحذر التحذير الشديد من شرها ولعن من يتخذون المساجد عليها، عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي علي بن أبي طالب : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ، ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته<sup>(١)</sup> .

ألا ترى أن رسول الله ﷺ كان يبعث علياً لتسوية القبور كما يبعثه لطمس التماثيل ولا تستبعد أن رسول الله ﷺ كان يجند رجالاً هنا وهناك للقيام بهدم الأصنام والقبور كما مر بنا سابقاً .

وعن ثمامة بن شفي قال : كنا مع فضالة بن عبيد، بأرض الروم برودس، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره، فسوى ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها<sup>(٢)</sup>، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ أن يخصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه<sup>(٣)</sup>، وعن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها»<sup>(٤)</sup> .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «اللهم لا تجعل قبري وثناً

---

(١) أخرجه مسلم ١١ - كتاب الجنائز، ٣١ - باب الأمر بتسوية القبر، حديث (٩٣)، وأبو داود ١٥ - كتاب الجنائز، ٧٢ - باب في تسوية القبر، حديث (٣٢١٨)، والترمذي ٨ - كتاب الجنائز. ٥٦ - باب ما جاء في تسوية القبور، حديث (١٠٤٩) والنسائي (٧٣/٤). وأحمد في المسند (١/١٢٩، ٩٦).

(٢) أخرجه مسلم ١ - كتاب ٣١ - باب الأمر بتسوية القبر حديث (٩٢) وأبو داود ١٥ - كتاب الجنائز. ٧٢ - باب في تسوية القبور، حديث (٣٢١٩)، والنسائي (٧٣-٧٢/٤).

(٣) أخرجه مسلم ١١ - كتاب الجنائز، ٣٢ - باب النهي عن تخصيص القبور والبناء عليها حديث (٩٤) وأبو داود ١٥ - كتاب الجنائز، ٧٦ - باب في البناء على القبر حديث (٣٢٢٥)، والنسائي (٧٢/٤).

(٤) أخرجه مسلم ١١ - كتاب الجنائز ٣٣ - باب النهي عن الجلوس على القبر حديث (٩٨، ٩٧) وأبو داود، ١٥ - كتاب الجنائز، ٧٧ - باب كراهية القعود على القبر، حديث (٣٢٢٩).

يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(١)</sup>.

وتستمر هذه العناية النبوية الواعية، لأخطار الأوثان والقبور إلى آخر لحظة من لحظات حياة الرسول الناصح الأمين صلوات الله وسلامه عليه. فعن جندب بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل، فإن الله قد اتخذنى خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتى خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وعند احتضاره وبعد اختياره للرفيق الأعلى كان شغله الشاغل خطر فتنة القبور على هذه الأمة التي جهل أكثرها قدر هذه الاهتمامات النبوية وجهلت خطر هذه الفتنة الماحقة.

فعن عائشة أم المؤمنين وابن عباس رضى الله عنهم قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خيصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال: وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر مثل ما صنعوا<sup>(٣)</sup>.

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذى مات فيه: «ادخلوا على أصحابى، فدخلوا عليه وهو مقنع ببردة معافرى<sup>(٤)</sup> فكشف القناع، فقال: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(٥)</sup>.

---

(١) مالك فى الموطأ ٩ - كتاب قصر الصلاة فى السفر ٢٤ - باب جامع الصلاة حديث ٨٥ مرسل وأحمد (٢/٢٤٦) ثنا سفيان عن حمزة بن المغيرة عن سهيل بن أبى صالح عن أبىه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعا وابن سعد فى الطبقات (٢/٢٤٠-٢٤١) من طريق مالك به، (٢/٢٤١-٢٤٢) من طريق سفيان عن حمزة به وأبو نعيم فى الحلية (٧/٣١٧) من طريق سفيان عن حمزة به.

(٢) أخرجه مسلم ٥ - كتاب المساجد ٣ - باب النهى عن بناء المساجد على القبور حديث (٢٣)، والنسائى فى الكبرى، كما فى تحفة الأشراف (٢/٤٤٣) وأبو عوانه (١/٤٠١) والطبرانى (٢/١٨٠) حديث (١٦٨٦). وابن سعد فى الطبقات (٢/٢٤٠) مختصراً.

(٣) أخرجه البخارى ٢٣ - كتاب الجنائز. ٦١ - باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، حديث (١٣٣٠) وباب ٩٦ - حديث (١٣٨٩) ومسلم، ٥ - كتاب المساجد باب النهى عن بناء المساجد على القبور حديث (١٩) عن عائشة، وحديث (٢٢) عن عائشة وابن عباس - رضى الله عنهم - والنسائى (٢/٣٣)، والامام أحمد فى المسند (١/٢١٨)، (٦/٣٤) والدارمى (١/٢٦٧).

(٤) برود باليمن منسوبة إلى معافرو وهى قبيلة باليمن «النهاية لابن الأثير».

(٥) رواه أحمد فى مسنده (٥/٢٠٤) والطبرانى فى الكبير (١/١٢٧) حديث (٣٩٣)، (١/١٣١) حديث (٤١١) والطيالسى فى مسنده (ص ٨٨) حديث (٦٣٤) وفى اسناده قيس بن الرميح الأسدى قال الحافظ: «صدوق تغير لما كبر وادخل عليه ابنة ما ليس من حديثه، وفيه كثوم الخزاعى قال فيه الحافظ «مقبول» لكنه مع ذلك يصلح فى الشواهد.

وعن أبي عبيدة رضى الله عنه قال : كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ : « اخرجوا يهود الحجاز من جزيرة العرب ، واعلموا أن شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد»<sup>(١)</sup> .  
سرح طرفك في مشارق بلاد المسلمين ومغاربها تر العجب العجاب تر واقعاً يتحدى هذه النصوص النبوية ، وإذا قرأت عليهم هذه النصوص وبينت لهم مصادرها وتمسك الصحابة واعيان الأمة بها واجهوك بتأويلات اسخف من تأويل من قالوا : «إنما البيع مثل الربا» . واتهموك بعداء الأولياء .

والآن نتساءل إذا كانت دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تحمل في طياتها كل خير ، وتحذر من كل شر ، فما بالناس نرى فيما قص الله علينا في كتابه وفي دراستنا لسنة وسيرة نبينا محمد ﷺ أن دعواتهم إلى التوحيد ومحاربة الشرك ومظاهره وأسبابه ووسائله قد أخذت مساحة كبيرة جداً من دعواتهم واستغرقت زمناً طويلاً من حياتهم حتى لكأنها كان هذا الجانب هو شغلهم الشاغل . فأين مواقفهم من الحكام الطغاة المستبدين ؟ .  
والجواب إن ما انتهجه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو عين الحكمة والصواب ومقتضى العقل السليم .

فليس في مشاكل البشر سياسيتها واقتصاديتها واجتماعيتها من الخطر ما يساوى مشكلة الشرك ومضاره ولا يقاربها ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ، ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ ، ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق﴾ .

فالعقل والحكمة والفطرة تقتضى إذاً أن يبدأ بمحاربة خطر الشرك وأن تستمر دعوات الأنبياء واتباعهم على محاربتهم ما بقيت منه بقية أو بقى له شكل أو مظهر . فإذا أحاطت بأمة مشاكل عقائدية شرك يدمر عقيدتها ومشاكل اقتصادية ومشاكل سياسية فبأيها تبدأ المعالجة الحكيمة .

أما الأنبياء فلم يبدو إلا بمعالجة مشكلة العقيدة بكل قوة والبدء بمعالجة الأمر الأخطر أمر يتفق عليه كل عقلاء البشر . فمثلاً لورأى عاقل ثعباناً ونملة يدبان إلى إنسان لأملى عليه عقله أن يبادر إلى دفع الثعبان أو قتله لشدة خطره على هذا الإنسان ولا يمكن

(١) أخرجه الامام أحمد (١٩٥/١) ثنا أبو أحمد الزبيرى ، ثنا إبراهيم بن ميمون عن سعد بن سمرة عن سمرة بن جندب عن أبي عبيدة بن الجراح أبو أحمد الزبيرى ثقة ثبت / ع وإبراهيم بن ميمون مولى آل سمرة وثقه ابن معين وقال أبو حاتم محله الصدق «تعجيل المنفعة» (ص ٢٠) وسعد بن سمرة وثقة النسائي وابن حبان تعجيل (ص ١٠١) ، فهو اسناد صحيح إن شاء الله .

أن يلقى بالاً للنملة ولا لألف نملة .

ولورأى عقلاء أسداً هجوماً وجماعة من الفئران تهجم عليهم حملوا حملة واحدة لصد هجوم الأسد وتناسوا الفئران ولو كان معها جماعة أخرى من الضفادع .

ولو أن مسافرين انتهى بهم السير إلى طريقين لا خيار لهم من سلوك أحدهما . أحدهما فيه براكين تقذف بلهبها ونيران تلتهم أشجارها واحجارها ، وثانيهما فيه الأشواك والرمضاء واشعة الشمس اللاهبة لما اختار عقلاؤهم إلا سلوك الطريق الثانى .

لنأخذ الآن أشد المفسد أعنى المفسد السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأشدّها فساد الحكم لنوازنها بفساد العقيدة فهل هما فى ميزان الله وميزان الأنبياء سواء . أو أن أحدهما أشد خطراً وأدهى وأمر عاقبة .

ففى ميزان الله وميزان أنبيائه أن أشدهما خطراً وأجدر بالتركيز عليه على مر الدهور والعصور وفى كل الرسالات إنما هو الشرك ومظاهرة الذى لا يضاويه فساد مهما عظم شأن هذا الفساد ، وبناء على هذا نعود فنقول : إنّ بدأ جميع الأنبياء بإصلاح الجانب العقائدى ومحاربة الشرك ومظاهرة هو مقتضى الحكمة والعقل وذلك للأمر الآتية :

أولاً : أن المفسد المتعلقة بعقائد الناس من الشرك والخرافات وأنواع الضلال أخطر آلاف المرات من المفسد المترتبة على فساد الحكم وغيره ، فإن لم نقل هذا ونعتقد سفهنا من حيث لا نشعر جميع الأنبياء . ونعوذ بالله من الضلال . إن هذه المفسد تشمل الحاكم والمحكوم فالحكام أنفسهم فى كل زمان ومكان إلا المؤمنين منهم - يخضعون للأصنام والأوثان والقبور ويقومون بتشييدها وحمايتها وعبادتها وتقديم القرابين لها ، ويعتقدون أن لها سلطة غيبية قاهرة فوق سلطانهم المادى ، فهى تضرهم وتنفعهم بذلك السلطان الغيبى فى زعمهم وبتلك القوة القاهرة الخفية أو على أقل تشفع لهم عند الله فى تحقيق مآربهم .

وأوضح مثال لخضوع الحكام للأوثان ذلك الطاغية المتأله فرعون الذى قال متبجحاً : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ، فقد حكى الله مقالة قومه له وهم يستثرون فيه الحمية والغيرة لأهته ومعبوداته فقال : ﴿وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآهتك﴾ . (الاعراف : ١٢٧) ألا ترى أكبر طاغية عرفته الأرض مع دعواه الربوبية يخضع للأوثان ويتخذها ألهة .

وهذا النمروذ ملك الكلدانيين الذى ادعى الربوبية يأمر باحراق إبراهيم عليه السلام عندما حطم الأصنام أخذاً بثأر هذه الأصنام لأنها آهته .

وهؤلاء ملوك الهند والفرس يعبدون الأوثان والنيران وملوك الرومان في الماضي وحكام أوروبا وأمريكا في الحاضر يعبدون الصلبان والصور، وكم من حكام المسلمين في الماضي والحاضر من فتنَ بالأموات وشاد عليهم القبور وتعلق بها قلبه حبا ورجاء وخوفا وارتكبوا ما خشيه رسول الله على هذه الأمة وحذر منه .

ومن هنا يتضح لك جدية مناجاة الأنبياء وأحقيته ، ويتضح لك أهمية مواقف الرسول الحاسمة من الأوثان والقبور كما يتضح لك حكمة إبراهيم وعمق فكره وبعد نظره حينما أطلقها صيحة مدوية تتجلجل في الافاق والأجيال ﴿واجنبنى وبني أن نعبد الأصنام، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم﴾ (إبراهيم ٣٥، ٣٦) .

فترى إبراهيم وهو على غاية من الحق والصواب - يجأر إلى الله من مخاطر الأصنام ولا يجأر إليه من مخاطر الحكام على جسامه فسادهم وخطرهم .

ثانياً : ان الله ما ارسل الرسل إلا ليعلموا الناس الخير وينذروهم بطش الله والشرقال تعالى : ﴿كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾ (البقرة : ٢١٣)، وقال تعالى : ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (الأنعام : ٤٨)، وقال تعالى : ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ (الكهف : ٥٦)، وقال تعالى : ﴿... رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ (النساء : ١٦٥) .

وقال رسول الله ﷺ : «ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين»<sup>(١)</sup>، وقال تعالى : ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾ (النحل : ٣٥)، وقال تعالى : ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ (النور : ٥٤)، وقال تعالى : ﴿وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ وهذه مهمة الانذار والتبشير والإبلاغ مهمة جليلة وعظيمة نبيلة يكفيها عظمة ونبلا أنها مهمة الأنبياء وتتناسب مع مكانتهم الرفيعة فإنها أشق وأعظم ما يتحملة البشر أو يتحملة ورثتهم

(١) أخرجه البخارى ٩٧ - كتاب التوحيد ٢ - باب قول النبي ﷺ لا شخص اغير من الله، حديث (٧٤١٦)، ومسلم ١٩ - كتاب اللعان حديث (١٧) (١١٣٦/٢)، وأحمد في المسند (٢٤٨/٤). والدارمي (٧٣/٢)، حديث (٢٢٣٣).

من الدعاة الصادقين المخلصين السائرين في مناهجهم ولهذا قال رسول الله ﷺ : «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل». وقد ذكرنا سلفا مدى ما يواجهه الداعية إلى التوحيد من المشقة وكيف لا يستطيع غيرهم أن يجول في هذا الميدان .

ثالثاً : أن الله سبحانه وتعالى ، لم يكلفهم بإقامة دول وإسقاط أخرى وذلك في غاية الحكمة ، لأن الدعوة إلى إقامة دولة تلوح فيها المطامع لطلاب الدنيا وطلاب الجاه والمناصب وأصحاب الأغراض والأحقاد وأصحاب التطلعات والطموحات فما أسرع ما تستجيب هذه الأصناف للدعوة إلى قيام دولة يرون فيها تحقيق مآربهم وشهواتهم ومطامعهم .

لمثل هذه الاعتبارات - والله أعلم - وغيرها مما يعلمه الله الخلاق العليم الحكيم ابتعدت دعوات الأنبياء ومناهجهم عن استخدام هذا الشعار البراق الملوّح أو المصرح بالأطماع والشهوات العاجلة وسلكت منهجاً حكيماً نزيهاً شريفاً ينطوى على الابتلاء والاختبار فيتبعهم ويؤمن بهم كل صادق مخلص متجرد من كل المطامع والأغراض الشخصية ، لا يريد بإيانه وتوحيده وطاعة رسل الله عليهم الصلاة والسلام إلا الجنة ومرضاة ربه ، ولا يخاف إلا من غضبه وأليم عقابه . ولهذا لا يتبعهم في الغالب إلا الفقراء والمساكين والضعفاء . قال تعالى - حكاية عن قوم نوح : ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ (الشعراء : ١١١) ، وقال عن قوم صالح : ﴿ وقال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه . قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ، قال الذين استكبروا إنا بالذي آمتتم به كافرون ﴾ (الاعراف : ٧٥-٧٦) . وجاء في أسئلة هرقل لأبي سفيان ، « فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ . قال أبو سفيان ، فقلت : بل ضعفاؤهم . ثم قال هرقل : وسألتك أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم اتباع الرسل » .

فالدعوة إلى إقامة دولة أسهل بكثير وكثير ، والاستجابة لها أسرع ، لأن أكثر الناس طلاب دنيا وأصحاب شهوات ولما ذكرنا من الأسباب والعقبات والصعاب في طريق دعوات الرسل نجد أنه لا يتبعهم إلا القليل فنوح ، لبث ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو إلى الله ومع ذلك ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾ (هود : ٤٠) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عرضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق

فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لى هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ﴿١﴾.

وهذا إبراهيم الخليل قامع المشركين بالحجج الدامغة والبراهين قال الله تعالى فى شأنه وشأن من آمن له ﴿فأمن له لوط وقال إنى مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم﴾ (العنكبوت : ٢٦)، وهذا لوط يقول الله فى نجاته من معه من العذاب ولعلهن بناته فقط ﴿فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ (الذاريات : ٣٥-٣٦).

ولا يغض ذلك من منازل الأنبياء مثقال ذرة بل هم فى أعلى المنازل وهم أنبل الناس وأجل الناس وأكرمهم وفوقهم فى كل شأن فى الرجولة والشجاعة والفصاحة والبلاغة والبيان والنصح والتضحية وقد قاموا بواجبهم على أكمل الوجوه من الدعوة إلى التوحيد والتبليغ والتبشير والانداز فإذا قل اتباعهم أو لم يتبع بعضهم أحد فالعيب كل العيب على الأمم التى رفضت الاستجابة لدعوتهم لأنها فى نظرهم - لا تحقق لهم اغراضهم الدنيئة ومع ذلك ما كانوا طلاب ملك بل كانوا دعاة هداية وتوحيد ولا كانوا يعدون اتباعهم للشورات والانقلابات السياسية .

وقد يهدى الله قوم نبي من الأنبياء فيستجيبون له أو كثير منهم فتكون لهم دولة، ثمرة طيبة، لإيمانهم وتصديقهم وأعمالهم الصالحة، فيقومون بواجبهم من الجهاد لإعلان كلمة الله وتطبيق التشريعات والحدود وغيرها من الأمور التى شرعها الله لهم كما حصل لنبينا محمد ﷺ وأصحابه الكرام توج الله إيمانهم وعملهم الصالح وصبرهم الجميل على بغى المشركين وتطاوهم بأن نصرهم، وأظهر دينهم، وممكن لهم فى الأرض كما قال تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدوننى، لا يشركون بى شيئاً﴾ ولقد عرض على رسول الله الملك بمكة فرفض إلا المضى فى الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك والأوثان أرسلت قريش - لما اقلقها أمر رسول الله ﷺ - عتبة بن ربيعة فأتى رسول الله ﷺ، فقال : «يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة، والمكان فى النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت بهم

(١) أخرجه البخارى ٧٦ - كتاب الطب ١٧ - باب من اكتوى أو كوى غيره حديث (٥٧٠٥)، ومسلم ١ - كتاب الايمان ٩٤ - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث (٣٧٤). وأحمد فى المسند (٢٧١/١).



أحلامهم وعبت به آلهتهم، ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني اعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها، فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع. قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا أموالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك حتى لا نستطيع دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال - حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاستمع مني. قال: أفعل. قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ... حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون، بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم، فهم لا يسمعون﴾. ثم مضى رسول الله ﷺ يقرأها عليه. فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك... فذهب عتبة إلى قريش فلما جلس إليهم. قالوا ما وراءك يا أبا الوليد. قال: ورائي إني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة. يامعشر قريش: أطيعوني واجعلوها لي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدالكم»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن إسحاق بإسناده إلى ابن عباس أنه اجتمع نفر من قريش وعرضوا على رسول الله ﷺ - عرضاً قريباً من عرض عتبة ومقالاته لرسول الله ﷺ - بقوله: «ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم فإن قبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن

(١) أورده ابن إسحاق في السيرة، قال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وساق القصة. السيرة لابن هشام (١/٢٩٣-٢٩٤) ولها شاهد من حديث جابر أخرجه عبد بن حميد وأبو يعلى تقدم ترجمته وبه تقوى القصة وتعضد.

تردوه على أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم . . .»<sup>(١)</sup>. ومن هنا رفض رسول الله ﷺ طلب بعض القبائل أن يكون الأمر لهم بعد موته إن صح هذا الخبر .

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري أنه أتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم، يقال له بيحرة بن فراس : والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش، لأكلت به العرب. ثم قال : رأيت ان نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله، يضعه حيث يشاء، فقال له : أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله، كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه»<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة هذا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما جاؤ الا سقاط دول وإقامة أخرى، ولا يطلبون ملكا ولا ينظمون لذلك أحزابا وإنما جاؤ الهداية البشر وانقاذهم من الضلال والشرك واخراجهم من الظلمات إلى النور وتذكيرهم بأيام الله ولوعرض عليهم الملك لرفضوه، ومضوا في سبيل دعوتهم، وعرضت قريش الملك على رسول الله فرفضه وقد عرض عليه أن يكون ملكا نبيا أو عبداً رسولاً فاختار أن يكون عبداً رسولاً. عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : «جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل، قال : يا محمد ! أرسلنى إليك ربك قال : أفملكنا نبيا يجعلك أو عبداً رسولاً. قال جبريل : تواضع لربك يا محمد، قال : بل عبداً رسولاً»<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا ما كان يبايع الأنصار وغيرهم إلا على اللجنة وكانت بيعة الأنصار في أحلك الظروف وأشدّها فما كان فيها وعد بالمناصب لا الملك ولا الامارات ولا بالمال وبغير ذلك من حظوظ العاجلة. عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : «إنى من النقباء الذين بايعهم

(١) السيرة لابن هشام (٢٩٥-٢٩٦) قال ابن اسحاق حدثنى بعض أهل العلم عن سعيد بن جبیر وعن عكرمة مولى ابن عباس، عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنها - قال : اجتمع نفر من قريش عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان . . . وهذا يقوى ما قبله ويشد كل منها الآخر.

(٢) السيرة لابن هشام (٤٢٤-٤٢٥) والسيرة النبوية للذهبي (ص ١٨٩-١٩٠).

(٣) مسند أحمد (٢٣١/٢) وابن حبان كفا في الموارد (ص ٥٢٥) رقم (٢١٣٧) كلاهما من طريق محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال الالباني وهذا اسناد صحيح على شرط مسلم - الصحيحه (٤/٣) - وله شاهد من حديث ابن عباس قال الالباني أخرجه البغوى في شرح السنة (٤٧٣/٣) وسنده ضعيف «لكنى لم أجده في الموضع المشار إليه» .

رسول الله ﷺ وقال : بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل النفس التي حرم الله ، إلا بالحق ، ولا ننتهب ، ولا نعصي - بالجنة» .

وعن أبي مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال : انطلق رسول الله ﷺ ومعه العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة فإن عليكم من المشركين عيناً ، وإن تعلموا بكم يفضحوكم ، فقال قائلهم - وهو أبو أمامة : سل يا محمد لربك ما شئت ثم سل لنفسك ولأصحابك ما شئت ، ثم أخبرنا مالنا من الثواب على الله عز وجل ، وعليكم إذا فعلنا ذلك . فقال : أسألكم لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأسألكم لي ولأصحابي أن تؤونا وتنصرونا ، وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم . قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : لكم الجنة . قالوا : فلك ذلك» (١) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : «مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة ، وفي المواسم بمنى ، يقول : من يؤينى ، من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر كذا) فيأتيه قومه ، فيقولون : احذر غلام قريش ، لا يفتنك ، ويمشى بين رجالهم ، وهم يشيرون إليه بالأصابع ، حتى بعثنا الله إليه من يثرب ، فاويناه ، وصدقناه فيخرج الرجل منا ، فيؤمن به ويقرئه القرآن ، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه ، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا فيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ، ثم ائتمروا جميعاً ، فقلنا حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ، ويخاف ، فرحل إليه منا سبعون رجلاً ، حتى قدموا عليه في الموسم ، فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين ، حتى توافينا ، فقلنا : يارسول الله نباعك . قال : تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى الله لا تخافون فى الله

---

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند (٤/١١٩-١٢٠) قال : ثنا يحيى بن أبى زكريا بن أبى زائدة ، حدثنى أبى عن عامر يعنى الشعبى . ثم رواه بهذا الاسناد عن مجالد عامر الشعبى عن أبى مسعود الأنصارى ثم رواه بهذا الاسناد عن اسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى يقول : ما سمع الشيب ولا الشبان خطبة مثلها .

وقد تابع أبى الزبير الإمام الشعبى رحمه الله قال البزار رحمه الله «حدثنا محمد بن معمر ، ثنا قبصة ثنا سفيان عن جابر وداود (هو ابن أبى هند القشيرى ، ثقة متقن ، كان يهيم فى آخر حياته تقريب) عن الشعبى عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ للنبياء من الأنصار : «تؤونى وتمنعونى قالوا : نعم ، فما لنا . قال الجنة» ، قال البزار لا نعلمه يروى عن الشعبى إلا بهذا الاسناد انظر كشف الاسناد (٣٠٧/٢) .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذه الأحاديث وحكى تصحيح بعضها وحسن بعضها وقوى بعضها أنظر فتح البارى (٧/٢٢٢-٢٢٣) .

لومة لائم، وعلى أن تنصروني، فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم، ولكم الجنة. قال: فقمنا إليه فبايعناه وأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغرهم فقال: رويداً يا أهل يثرب، فإننا لم نضرب أكباد الإبل الا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ وأن اخراجه اليوم مفارقة العرب، كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك، وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبينة، فبينوا ذلك، فهو عذرکم عند الله، قالوا: أمط عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً ولا نسلبها أبداً، قال: فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة» (١).

ومن هنا أيضاً كان يربى أصحابه على القرآن والسنة وعلى الإيمان والصدق والإخلاص لله في كل عمل بعيداً عن الأساليب السياسية والاغراء بالمناصب العالية. فما كان يمني أحداً منهم قبل دخوله في الإسلام أو بعده بمنصب في الدولة هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أحد عظماء الصحابة وأقواهم شخصية ما كان يعده رسول الله ﷺ بالمناصب ولا تتطلع نفسه إليها حتى جاء يوم خيبر أى بعد عشرين سنة من البعثة فاجأهم رسول الله ﷺ بقوله: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات هو والصحابة يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها» وقال عمر رضى الله عنه ما أحببت الإمارة إلا يومئذ (١).

لأى شىء تطلع هؤلاء الصحابة الكرام للإمارة نفسها أم لنيل هذه المنزلة العظيمة حب الله ورسوله؟ ولماذا كان عمر بن الخطاب لا يحب الإمارة لو كان رسول الله ﷺ يحبها إليهم

(١) أخرجه الامام أحمد (٣/٣٢٢): ثنا عبد الرزاق، أنا معمر عن ابن خثيم عن أبي الزبير عن جابر، (٣/٣٣٩): ثنا اسحاق بن عيسى، ثنا يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير أنه حدثه عن جابر أن رسول الله ﷺ وذكر الحديث.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كما في موارد الظمان (ص ٤٠٨) والحاكم (٢/٦٢٤) وصححه ووافقه الذهبي.  
(٢) أخرجه مسلم ٤٤ - كتاب الفضائل ٤ - باب فضائل على رضى الله عنه حديث (٣٣) عن أبي هريرة وحديث (٣٤) عن سهل بن سعد وفيه: فباتوا يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها وفيه رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله.  
وحديث (٣٢) عن سعد بن أبي وقاص وفيه: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله قال: فتناولنا لها.  
والسبب هو ما ذكرناه حرصهم على هذه المنزلة الرفيعة عند الله لا على الإمارة نفسها.  
وأخرجه البخارى ٥٦ - كتاب الجهاد ١٤٣ - باب فضل من اسلم على يديه رجل حديث (٣٠٩)، ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة. ٩ - باب مناقب على رضى الله عنه حديث (٣٧٠١).  
والترمذى ٥٠ - كتاب المناقب باب ٢١ - حديث (٣٧٣٤). (٤٣٨/٥) وابن ماجه في المقدمة ١١ - حديث (١١٧) اسناده ضعيف فيه محمد بن أبى ليلى وهو ضعيف.

ويريهم عليها ويمنيهم بها . بل كان ينفرهم منها ويحذرهم من الحرص عليها، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : «انكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعم المرزعة وبئست الفاطمة»<sup>(١)</sup>، وينهى عن طلبها والحرص عليها، عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : «قال لى رسول الله ﷺ : يا عبد الرحمن ! لا تسأل الإمارة . فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»<sup>(٢)</sup> .

بل فوق كل هذه الأساليب يرسى قاعدة إسلامية تحرم المناصب على من يتعشقها ويحرص عليها، عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال : «دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بنى عمى فقال أحد الرجلين : يارسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل . وقال الآخر مثل ذلك، فقال : إنا لا نولي على هذا العمل أحداً سألته ولا أحداً حرص عليه»<sup>(٣)</sup> . وفى لفظ عند مسلم : «ما تقول ياأبا موسى أو يا عبد الله بن قيس قال : فقلت : والذى بعثك بالحق ما أطلعانى على ما فى أنفسهما وما شعرت أنهما يطلبان العمل ، قال : وكأنى انظر إلى سواكه تحت شفته وقد قلعت، فقال : لن أولاً نستعمل على عملنا من اراده، ولكن أذهب أنت ياأبا موسى ، فبعثه إلى اليمن ثم اتبعه معاذاً» ، وفى النسائى : «إنا لا نستعين فى عملنا بمن سألنا» .

قال الحافظ . قال المهلب : «الحرص على الولاية هو السبب فى اقتتال الناس عليها حتى سفكت الدماء واستبيحت الأموال والفروج وعظم الفساد فى الأرض بذلك ووجه الندم أنه قد يقتل أو يعزل أو يموت فيندم على الدخول فيها لأنه يطالب بالتبعات التى ارتكبتها، وقد فاته ما حرص عليه بمفارقتة . قال : ويستثنى من ذلك من تعنى عليه كأن يموت الوالى

(١) أخرجه البخارى ٩٣ - كتاب الأحكام ، ٧ - باب ما يكره من الحرص على الامارة حديث (٧١٤٨) والامام أحمد فى المسند (٤٤٨/٢) والنسائى فى كتاب آداب القاضى (١٩٩/٨) .

«نعم المرزعة لما فيها من حصول الجاه والمال ونفاذ الكلمة، وتحصيل اللذات الحسية والوهمية حال حصولها وبنيت الفاطمة عند الانفصال عنها بموت أو غيره وما يترتب عليها من التبعات فى الآخرة فتح البارى (١٣/١٢٦) .

(٢) البخارى ٩٣ - باب من سأل الامارة وكل اليها حديث (٧١٤٧) ومسلم ٣٣ - كتاب الإمارة ٣ - باب النهى عن طلب الامارة والحرص عليها حديث ١٣ - والنسائى (١٩٨/٨) .

(٣) البخارى ٩٣ - كتاب الأحكام ٧ - باب ما يكره من الحرص على الإمارة (٧١٤٩) ومسلم ٣٣ - كتاب الامارة باب النهى عن طلب الامارة، حديث ١٤، ١٥ (١٤٥٦/٣) والنسائى (١٩٨/٨) .

ولا يوجد بعده من يقوم بالأمر غيره، وإذا لم يدخل في ذلك يحصل الفساد بضياع الأحوال» (١).

وعلى كل حال فالإمارة والقضاء من الأمور التي لا بد منها ولا تقوم حياة المسلمين إلا بها وبها تعصم الدماء والأموال. ولكن يجب أن نسلك في اختيار الأمراء والقضاة منهاج رسول الله ﷺ فلا تعطى هذه المناصب لمن يسألها أو يحرص عليها أو يرشح نفسه لها عن طريق الانتخابات مثلا فإن هذا من الحرص عليها، وإنما يختار لها الأكفاء علما وزهداً فيها وتقوى. ثم ينبغي أن نستفيد من هذا المنهج النبوي في التربية، فلا ينبغي أن ننشئ الشباب على حب القيادة والرئاسة والسيادة والإمارة فلونشأنهم على حب هذه الأشياء خالفنا هدى رسول الله ﷺ وأوقعنا الشباب في المهالك وأي فلاح ننتظره في الدنيا والآخرة ان خالفنا منهج رسول الله ﷺ.

﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون﴾.  
(النور: ٤٧-٤٨).

قال رسول الله ﷺ :

« إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم .

ويكره لكم : قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة

المال » . . . .

(١) فتح الباري (١٣/١٢٦).

# دفاع عن العقوبات الإسلامية

للسيد محمد بن ناصر السعدي

عميد كلية الشريعة بالجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين . . .

أما بعد :

فقد سبق أن وعدت في مقالة سابقة تكلمت فيها عن مزايا التشريع الإسلامي، وأشارت إلى ما تتعرض له الشريعة الإسلامية من استنقاص وازدراء من قبل أعدائها، ومن قبل من يتظاهرون بأنهم من أبنائها، وقد وعدت في تلك المقالة أن أخص العقوبات الإسلامية بكلمة مختصرة موجزة، أبين فيها ما تبين من وجوه الحكمة فيها، وما تمتاز به عن العقوبات التي وضعها الإنسان وضعاً ارتجالياً متأثراً بأهوائه ورغباته، مسترشداً بنظره القاصر، وتفكيره المحدود، وقبل أن أدخل في موضوع العقوبات، أقدم بكلمة قصيرة عن الجريمة ونظرة الإسلام إليها، فأقول مستعيناً بالله :

**أولاً : تعريف الجريمة :**

الجريمة عند أهل اللغة تأتي بمعنى الجناية وبمعنى الذنب. قال في اللسان :  
وجرم إليهم وعليهم جريمة وأجرم : جنى جناية<sup>(١)</sup>.

وفي تاج العروس، والجرم بالضم الذنب كالجريمة. وقال : والمجرمون في قوله تعالى : ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾ الكافرون لأن الذي ذكر من قصتهم التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها قاله الزجاج<sup>(٢)</sup>، والذي يلفت النظر، أن لفظة الاجرام وردت في كثير من الآيات الكريمة، وكلها والله أعلم يقصد بها الكافرون أو المشركون ونحوهم من المكذبين والمنافقين. كما نقله صاحب التاج عن الزجاج، كما ورد في قوله تعالى : ﴿سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾ الأنعام : ١٢٤ .

(١) لسان العرب لابن منظور ج/١٢ ص ٩١ .

(٢) تاج العروس للزبيدي ج- ٨/ ص ٢٢٤ .

وقوله تعالى : ﴿انه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ .  
(طه : ٧٤) (١) .

أما عند الفقهاء فقد عرفها الماوروى بقوله : الجرائم محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها بحد أو تعزير (٢) .

وقوله تعالى : ﴿يود المجرم لو يفتدى من عذاب يؤمئذ ببنيه﴾ ، (المعارج : ١١) ، وقوله تعالى :

﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ (القلم : ٣٥) ، وهى تصل إلى أكثر من خمسين آية (٣) ، بينما فى السنة لم ترد هذه الكلمة على لسان رسول الله ﷺ إلا فى حالات قليلة جداً ، كما فى حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : «إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شىء لم يحرم فحرم من أجل مسألته» . أخرجه البخارى (٤) .

وحديث عائشة رضى الله عنها قالت : قيل لها إن ابن عمر يرفع إلى النبى ﷺ إن الميت يعذب ببكاء الحي ، قالت : وهل أبو عبد الرحمن ، إنما قال إن أهل الميت يبكون عليه ، وأنه ليعذب بجرمه (٥) .

ولم تستعمل هذه الكلمة من قبل الفقهاء فى الصدر الأول بمعنى الجناية إلا فى حالات قليلة ، فقد بوب البخارى رحمه الله فى كتابه على حديث كعب بن مالك رضى الله عنه فى قصته المشهورة لما تخلف هو ومن معه عن غزوة تبوك ، بوب بقوله : باب هل للإمام أن يمنع المجرمين وأهل المعصية من الكلام معه والزيارة ونحوه (٦) مع أن الحديث كما هو معروف لم يتضمن هذه الكلمة ، وقد ذكر الحافظ رحمه الله أن رواية ابن التين الاسماعيلى والجرجاني ، لم تكن بلفظ المجرمين ، وإنما بلفظ المحبوس بدل المجرمين . كما بوب فى الدييات بقوله : باب إثم من قتل ذمياً بغير جرم ، وساق حديث عبد الله بن عمرو بهذا الصدد (٧) ، مع أنه لم يتضمن هذه الكلمة ، ومثل ذلك فعل فى كتاب الجزية فعنون بهذا العنوان وساق الحديث .

فقد يكون السلف رضى الله عنهم يتخرجون من اطلاق هذه الكلمة فى حق العصاة من المسلمين لما لاحظوه من ورودها فى القرآن الكريم فى حق الكفار فى أكثر المواضع ، وإن

(١) أنظر تفسير النسفى ج/٣ ، ج/٤ ص ٦٠ ، ٣٤١ ، ص ٢٨٢ .

(٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٢١٩ .

(٣) وانظر القرطبى ج/١٩ ص ٢٦٧ ، ج/١٨ ص ٢٨٦ ، ٢٤٦ .

(٤) أنظر فتح البارى ج/١٣ ص ٢٦٤ .

(٥) المسند ج/٦ ص ٥٧ ، الفتح الربانى ج/٧ ص ١١٦ .

(٦) انظر فتح البارى ج/١٣ ص ٢١٦ .

(٧) انظر فتح البارى ج/١٢ ص ٢٥٩ ، ج/٦ ص ٢٦٩ .



كان لا يمتنع استعمالها لغة في هذا الموضع، أعنى موضع الجناية . . . والله أعلم .

## ثانياً : نظرة الإسلام إلى الجريمة :

إنه باستقراء النصوص من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة نلاحظ أن نظرة الإسلام إلى الجريمة - الجناية - نظرتة إلى الظاهرة العادية فهو يعتبر الجريمة جزءاً من المجتمع الإنساني لا تنفك عنه . فكما أن النقص والتقصير لا ينفك عن الإنسان، وبالتالي عن المجتمع الإنساني، فإن الجريمة كذلك، فهي ليست إلا صورة من صور النقص والتقصير الذي يعتبر صفة ملازمة لبني آدم في هذه الحياة يقول سبحانه وتعالى عن الإنسان : ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ . (عبس : آية ١٧) ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ﴾ (العلق : ٦) . ﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾ . (الاسراء : ١١) . ﴿ وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ . (الأحزاب : ٧٢) وفي الحديث عن أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه أنه قال حين حضرته الوفاة : قد كنت كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول : «لولا أنكم تذنبون لخلق الله تبارك وتعالى قوماً يذنبون فيغفر لهم» . رواه أحمد<sup>(١)</sup>، وفي الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»<sup>(٢)</sup> . أخرجه الترمذى . وقال هذا حديث غريب، والحديث وإن اختلف في صحته فمعناه صحيح .

إذن فالجريمة بحد ذاتها كظاهرة اجتماعية، تعتبر في نظر الإسلام أمراً مسلماً به، ولا بد منه لأن الكمال لله سبحانه، والعصمة لله وحده . ولكن كون الجريمة ظاهرة لا بد منها، لا يعنى هذا أنه يسلم بوجودها وتترك في المجتمع لتنمو وتنتشر وتكاثرون أن تستنكر وتحارب، بل إن الإسلام وضع لها الحل السليم والعلاج الشافي والحكم العادل، فالإسلام يحارب تكاثر الجريمة وتصاعدها، إلا أنه من الأمور المسلم بها أنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يخلو مجتمع من جريمة، ولو كان ذلك ممكناً، لكان المجتمع النبوي في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين، لكان هذا المجتمع أولى المجتمعات وأقربها إلى الخلو من الجريمة واحراها بالقضاء عليها، إلا أنه من المعروف أن هذا المجتمع الطاهر النظيف قد وجدت فيه الجرائم على اختلاف أنواعها، فالإسلام لا ينظر إلى المجتمع الإنساني نظرة مثالية خيالية، تهدف إلى إنهاء الجريمة من المجتمع والقضاء عليها قضاء مبرماً، لأن من المبادئ الرئيسية أن الانسان مبتلى بالخير والشر - والله سبحانه قد سلط عليه

(١) المسند ج/٥ ص ٤١٤ وهو صحيح وقد أخرجه مسلم والترمذى أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ج/٤ ص ٣٤٥ .

(٢) جامع الأصول ج/٢ ص ٥١٥، سنن الترمذى ج/٧ ص ١٩١ وراجع كشف الحفاء ج/٢ ص ١٧٦ واسنى المطالب

للحوت البيروتي ص ١٦٧ .

الشیطان، ابتلاءً وامتحاناً، فإدام الشیطان موجوداً، فالجريمة موجودة لأنه هو الذى یوسوس بها فى نفس الإنسان، وهو الذى يدعوہ إلى ارتكابها ویحسنها له ﴿یعدہم ویمنیہم وما یعدہم الشیطان إلا غروراً﴾ (النساء : ۱۲۰) ﴿قال رب بما أغویتنى لأزینن لهم فى الأرض ولأغوینہم أجمعین إلا عبادك منهم المخلصین﴾ (الحجر : ۳۹-۴۰).

والآیات بهذا الشأن كثيرة جدا والمسألة واضحة. إلا أن الإسلام وهو یسلم بوجود الجريمة لا یتركها هكذا كما أسلفت بل یسعى إلى تقلیلها، ووضعها فى حجم معین ویسعى إلى حصر آثارها والتخفيف من نتائجها، ومن ناحية أخرى فالإسلام بهذه النظرة لا یقطع خط الرجعة على المجرمین، بل یدعوهم ویطالبهم بالعودة إلى المجتمع، ویعيد لهم اعتبارهم، ولا یجعل من مقارفتهم للجريمة أياً كانت سبباً فى نبذهم وطردهم إلا بقدر محدود، عندما یصرون على ارتكاب الجريمة ویرتكسون فى الاجرام حیث لا تجدى فیهم الموعظة<sup>(۱)</sup>، فإنه فى هذه الحالة ینتقل إلى العقوبة ومع العقوبة كذلك لا یعتبرهم منبوذین، بل یعتبرهم جزء من المجتمع، ویترك لهم الفرصة لیعيدوا الاعتبار إلى أنفسهم إذا كانوا أحياء، وإذا كانوا فى عداد الأموات - فى حالة العقوبة المثلثة - فهو یعتبرهم مسلمین، لهم ما للمسلمین من حقوق واحترام، فى الحدیث أن خالد بن الولید رضی الله عنه سب المرأة التى رجمت من الزنا، فقال رسول الله ﷺ : «مهلاً یاخالد، فوالذى نفسى بیده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له، ثم أمر بها فصلى علیها ودفنت». رواه أحمد ومسلم وأبو داود .

وقال لعمر رضی الله عنه عندما قال : تصلى علیها وقد زنت. «لقد تابت توبة لو قسمت بین سبعین من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله». رواه مسلم وغيره، وفى بعض روايات قصة ماعز بن مالك الاسلمى فیما رواه أبو هريرة رضی الله عنه، أن رسول الله ﷺ سمع رجلین من أصحابه یقول أحدهما لصاحبه : انظر إلى هذا الذى ستر الله علیه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسكت عنهما، وسار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائلاً رجله. فقال : أين فلان وفلان؟ فقالا : نحن ذان یارسول الله. قال : كلا من جيفة هذا الحمار فقالا : یانبی الله من یأكل من هذا؟ قال : فما نلتما من عرض أخیکما أنفاً أشد من أكل منه، والذى نفسى بیده إنه الآن لفى أنهار الجنة ینغمس فیها». رواه أبو داود .

ولما جاءوا بالسارق بعد قطعه قال رسول الله ﷺ : «قل استغفر الله وأتوب إليه فقال :

(۱) لا ینبغى أن یفهم من ذلك أن العقوبة لا توقع علیهم إلا فى حالة الاصرار بل أن العقوبة توقع على المجرم بمجرد ارتكابه للجريمة ولو لم یصر أو تتكرر منه، إلا فى التعازیر فالأمر فیها یختلف .

استغفر الله وأتوب إليه، فقال رسول الله ﷺ: اللهم تب عليه». رواه أحمد وأبو داود .  
ولما أتى بشارب خمر وأمر الناس بضربه، فقال بعض القوم أخزاك الله، فقال ﷺ: «لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان». رواه أحمد والبخاري .

فهذه النصوص وأمثالها تؤكد ما أشير إليه من أن المسلم إذا ارتكب جرماً مهما كان لا يبرر نبذه وطرده، ولكن تقام عليه العقوبة المقررة شرعاً، وفق الأحكام الشرعية في الإثبات والحكم والتنفيذ، ويعاد له اعتباره بعد ذلك حياً كان أو ميتاً إذا تاب وصلحت توبته .

### العقوبة ضرورة اجتماعية: (1)

تعتبر العقوبة من الأمور الضرورية للمجتمعات، ولا يمكن أن يعيش مجتمع دون أن تفرض فيه عقوبة، فكما أن الجريمة جزء من المجتمع ملازمة له ولا يتصور وجود مجتمع بدون جريمة، فكذلك لا يتصور وجود مجتمع بدون عقوبة، فالعقوبة تعتبر رد فعل للجريمة، ولذلك نجد حتى في المجتمعات الحيوانية ومجتمع الطيور والحشرات نجد العقوبة فيما بينها يوقعها بعضها على بعض .

والمجتمعات الإنسانية وإن كانت العقوبة موجودة فيها، إلا أن هناك تفاوتاً كبيراً بين مجتمع وآخر في مدى تأثير هذه العقوبة، ونتائجها في المجتمع وذلك من حيث تناسب العقوبة مع الجريمة باعتبارها رد فعل، فما لم يكن رد الفعل متناسباً مع الفعل بل مساوياً له، فإن العقوبة تكون في هذه الحالة فاشلة في علاج الاجرام .

والذي يحصل أن كثيراً من المجتمعات في العقوبة تفرق بين الافراط والتفريط فبعضها يتشدد في العقوبة ويقسوح حتى تكون العقوبة أكبر من الجريمة، مما يدفع بالمجرم أو عائلته أو عصابته أن يسعوا في استعادة الفرق، وقد تكون العقوبة أقل من الجريمة بحيث تغري المجرم بالعودة إلى الجريمة أو تدفع المعتدى عليه إلى الأخذ ببقية حقه بنفسه، أما بالنسبة للمجتمعات المفرطة في العقوبة المتساهلة فيها فأمثلتها كثيرة ونستطيع أن نقول إن أكثر الدول الغربية في الوقت الحاضر ومن سار في ركابها من الدول الإسلامية على هذه الشاكلة، من تدليل المجرم وعدم معاملته بحزم .

#### (1) تعريف العقوبة :

يقول صاحب اللسان : العقاب والمعاقبة ان تجزى الرجل بها فعل سوء، والاسم العقوبة وعاقبه بذنبه معاقبة وعقابا : أخذه به . هذا عند أهل اللغة . (لسان العرب لابن منظور 1/619).

وعرفها بعض الفقهاء بأنها الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشارع . (أورده عبد القادر عودة في التشريع الجنائي 1/609).

أما المجتمعات المفرطة المتشددة فمنها بعض المجتمعات الغربية إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، فقد عرفت بريطانيا في القرن التاسع عشر التشهير بمرتكبي جنایات الغش في مواد التموين، فكان الخباز الذي يبيع خبزاً يقل وزناً عن الوزن القانوني، يربط إلى إطار خشبي ويتدلى عنقه من فتحة الإطار، وقد علق بعنقه رغيفاً، وربما عوقب بوضع أصابع اليدين في آلة ضاغطة أو بالضغط على الساقين، وعرفت الصين حتى تاريخ حديث ألوانا من العقوبات القاسية، كوضع الواح من الخشب حول أعناق المتهمين ليتمكن الناس من معرفتهم عندما يمرون بهم وقد وقفوا خارج جدار السجن<sup>(١)</sup>. وفي الهند أشد وأبشع فقد نشرت جريدة الرياض في أحد أعدادها أن وكالات الأنباء الهندية أعلنت أن إحدى النساء أرغمت خادمتها البالغة من العمر خمسة عشر عاماً على غمس يديها في زيت حار لإثبات برائتها من تهمة سرقة ساعة وقعت في الأسبوع الماضي في مدينة راجكوت غربي الهند. وقالت الوكالة أن الضحية مانجولا ديفي نفت التهمة التي وجهتها لها سيدتها بسرقة ساعة، وعندها قامت السيدة التي لم يعلن عن اسمها بارغام الخادمة على غمس يديها في زيت كان يغلي على النار لإثبات أنها لا تكذب والجدير بالذكر أن مثل طرق التعذيب هذه مألوفة في الريف الهندي، ومن أمثلتها قيام الشرطة الهندية بفقاً عيون عشرين متها في جرائم السرقة في ولاية بيهار الهندية الشرقية مؤخراً<sup>(٢)</sup> وكل هذه المجتمعات المفرطة منها والمفرطة فشل في محاربة الجريمة، ولا يرجع فشل هذه المجتمعات في محاربة الجريمة لمجرد أن العقوبات لا تتناسب مع الجرائم، بل هناك أمر مهم وهو أن هذه المجتمعات المفرطة والمفرطة لا تؤمن بشرع الله ولا تحكم بحكم الله بل تتبع الهوى في أحكامها وأنظمتها وتتخبط في اجتهادها ولذلك لا يمكن أن تصل إلى نتيجة مرضية وحالة مسعدة والله تعالى يقول : ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ . (المؤمنون : ٧١).

أما الشريعة الإسلامية فإنها في عقوباتها متوسطة لا افراط ولا تفريط خاصة عندما تطبق بأمانة وعدالة، فإنها تؤثر تأثيراً بالغاً في التقليل من الاجرام والحد منه .

### الحكمة من العقوبة :

إن الحكمة من العقوبة بصفة عامة هي معالجة الأمراض الاجتماعية فإذا نظرنا إلى المجتمع كوحدة واحدة وجسم واحد، ونظرنا إلى الأفراد وهم يمثلون خلايا الجسم وأعضائه

(١) الجريمة والعقاب في المجتمع القبلي الافريقي : محمد عبد الفتاح ابراهيم (ص ١٤٠-١٤١).

(٢) جريدة الرياض العدد ٤٧٢٣ الصادر بتاريخ ١٤٠١/٣/١هـ.

وأطرافه، أمكننا أن نتصور كيف أن إيقاع العقوبات على بعض الأفراد يعتبر علاجاً للمجتمع، تماماً كما يعالج جسم الإنسان، إما بأدوية مرة، أو بالمضاد، أو بالشق والجراحة، وقد يصل الأمر إلى بتر العضو وإزالته حتى لا يكون سبباً في تلف الجسم كله، وهذا ما يحصل لخلايا وأعضاء هذا الجسم الكبير المجتمع، فقد يعالج بعض أفرادها بالجلد، أو الهجر أو الحبس أو القطع أو القتل إذا لزم الأمر .

وللعقوبة من ناحية أخرى أهداف ترجع إلى الجاني وأهداف ترجع إلى عموم الناس، فبالنسبة للجاني تهدف العقوبة إلى استصلاحه وزجره إذا لم تكن العقوبة متلفه (قتلا)، وبالنسبة لسائر الناس فإن العقوبة تهدف من ناحية إلى حماية مصالحهم الضرورية في الأعراض والأموال والأبدان، والعقول، وغير ذلك من المصالح، ومن ناحية أخرى تهدف إلى ردع المجرمين وتخويفهم وتحذيرهم من الوقوع فيما وقع فيه المتهم فيحل بهم مثل ما حل به من العقوبة .

### هل العقوبات الإسلامية قاسية :

تعرضت العقوبات التي شرعها الله سبحانه وتعالى، وشرعها رسوله ﷺ، لتأديب المجرمين وزجرهم وردعهم، من جلد وهجر أو قطع أو رجم أو قتل، لقد تعرضت للهجوم والسخرية والاستهزاء من قبل كثير من الكتاب، فتارة توصف بأنها وحشية وتارة توصف بأنها عقوبات قاسية قديمة ولا تليق بالعصر الحديث، ومن المؤسف أن نجد مثل هذا الانتقاد عند بعض الكتاب المسلمين، فهذا أحد الكتاب وهو يتحدث عن العقوبات وتطورها يقول : والتعويض المدني يمتاز عن الدية بأنه مرن يزيد وينقص حسب مقدار الضرر الناتج عن الجريمة، كما أنه يمتاز عن القصاص في أنه لا يقصد به مجرد الانتقام من الجاني وإنما يقصد به إزالة الضرر الواقع على المجنى عليه إذا أمكن، أو تعويضه عن هذا الضرر ليخفف أثره إذا لم تكن الإزالة ممكنة، كما أن التعويض المدني يمتاز عن الدية والقصاص في أنه حق مدني منفصل عن العقوبة فيمكن للمجنى عليه أن يتنازل عنه، ولكن ذلك لا يعفى الجاني من العقوبة التي هي حق للمجتمع<sup>(١)</sup> وهذا كلام جاهل بالشريعة، وإلا فأى مرونة أكثر من المرونة في تقادير الديات في التشريع الإسلامي وتقديرها بحسب الضرر الذي يصيب المجنى عليه، ولم تبلغ شريعة من الشرائع ولا نظام من الأنظمة ما بلغت هذه الشريعة في تقدير الديات بحسب الأصابة، حتى قدروا للظفر ديته، وللشعر ديته، ولكل جرح

(١) العقوبات الجنائية في التشريعات العربية : د. توفيق الشاوي الصفحات ٢٤، ٧٣-٧٥.

بحسب غوره في البدن ديته التي تناسبه ، فأى مرونة أكثر من هذه المرونة ، ومن ذا الذي يجهل أن للمجنى عليه أن يتنازل عن الدية ، بل هو مدعو إلى ذلك ومرغب فيه ، كما أن التنازل عن الدية لا يعنى الاعفاء من المسؤولية مطلقاً ، بل لولى الأمر أن يعزر الجانى تعزيراً مناسباً ، كل هذه المعلومات يدركها أقل المسلمين اطلاعاً ، ولكنه الجهل أو التجاهل .

وفي موضع آخر يقول : ومنذ بدأت حركة إصلاح النظم الجنائية في العصور الحديثة أصبحت العقوبات البدنية محل هجوم شديد من ناحية الفلاسفة والمصلحين ، باعتبار أنها تتضمن امتهاناً لكرامة الإنسانية الواجب رعايتها حتى بالنسبة للمجرمين . . . إلى أن قال : ولم تشذ التشريعات العربية عن تأثير المذاهب الإصلاحية بل نرى أن التطور التشريعى في بلادنا يأخذ نفس الاتجاه . . . ثم يمضى فى كلامه . . . ورغم أن الاتجاه الحديث يرمى إلى الغاء هذه - العقوبات الجسائية ، لما يترتب عليها من مهانة واذلال للآدمى بمعاملته معاملة الحيوان ، فإن بعض المؤلفين يرى ضرورة بقائها فى أحوال معينة ، ولكن الاتجاه الغالب فى العالم المتحضر يدعو إلى الغائها باعتبارها لا تتناسب مع المدنية الحاضرة<sup>(١)</sup> أما عقوبة القتل فهى بزعمهم أصبحت محل نقد كثير من الفلاسفة والباحثين ، لأنهم يرون أن القتل اجراء وحشى لا يجوز أن يرتكبه المجتمع ضد أحد الأفراد لأى سبب كان مادام يمكن الاستعاضة عنه بالسجن المؤبد<sup>(٢)</sup> .

وعن عقوبة الجلد : لقد تأثرت التشريعات المعاصرة بالنقد الموجه إلى عقوبة الجلد أو الضرب ذلك النقد الذى يستند إلى منافاتها لكرامة البشرية إذ أن استعمال الضرب فى تأديب الإنسان تشبيه له بالحيوان ونزول به إلى مرتبة الدواب مما يتعارض مع الاحترام الذى تقتضيه الصفة الإنسانية التى لا يمكن نزعها عن الشخص لمجرد ارتكابه جريمة<sup>(٣)</sup> . هذا نموذج من النماذج الكثيرة . ونحن نرد على هؤلاء المتهمجين بردين رد مجمل ورد مفصل - مع الاختصار الذى يقتضيه المقام .

### فأما الرد المجمع :

فإن هؤلاء المتهمجين على العقوبات الإسلامية أحد رجلين ، أما كافر بالإسلام لا يؤمن بالله ولا برسوله ﷺ ، وأما مسلم ، فبالنسبة للكافر فإن القضية مع الكفار أكبر وأعظم من أن تقف عند فرع من فروع الدين فهم أصلاً لا يؤمنون بالله سبحانه ومن يزعم منهم أنه

(٢، ١) العقوبات الجنائية فى التشريعات العربية . د . توفيق الشاوى الصفحات ٢٤ ، ٧٣-٧٥ .

(٣) العقوبات الجنائية فى التشريعات العربية . د . توفيق الشاوى ٢٤ ، ٧٣-٧٥ .

يؤمن بالله فهو لا يؤمن به الإيمان الصحيح الكامل ، ولا ينطلق في إيمانه من تصور صحيح . فهم لا يؤمنون بالرسول ولا يقرون برسالته ولا يؤمنون بالقرآن ولا بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء . وهذه القضايا أخطر وأكبر من قضية العقوبات . فإدام هؤلاء لا يسلمون بأصول الدين ولا يسلمون لله سبحانه بالحكمة والعدالة والرحمة ، بل إنهم ليتهجمون على الشريعة الإسلامية ويسخرون منها فممن باب أولى ألا يسلموا بما دون ذلك . وأما المسلم الذى يتهجم على العقوبات الإسلامية فيما أن يكون متظاهرا بالإسلام مجرد تظاهر وهو يطن الكفر والالحاد والنفاق ، فهذا شأنه شأن الفريق الأول ، وإما أن يكون مسلما ضعيفا جاهلا ، فهذا ينبغي أن يعرف أنه لا يصح إيمانه حتى يسلم بكل ما شرعه الله وشرعه رسوله ﷺ ، فالله سبحانه وتعالى عليم حكيم خبير ، متصف بكل صفات الكمال منزّه عن كل صفات النقص فأحكامه وشرائعه تبدو فيها صفاته من الحكمة والرحمة وقد ندرك ذلك وقد لا ندركه ولكن مقتضى الإيمان أن نسلم لله سبحانه بكل ما شرعه لنا ، وإن كان هذا لا يمنع أن نتحرى الحكمة ونبحث عن أسرار التشريع بأدب مع الله سبحانه ومع رسوله ﷺ ، هذا هو الرد المجمل باختصار .

### أما الرد المفصل فإنه :

يحتاج منا إلى وقفات وهى وقفات سريعة حيث أن المقام لا يتحمل الاطالة .  
الوقفة الأولى :

مقارنة العقوبات الإسلامية بالعقوبات فى المجتمعات الأخرى لنرى مدى القسوة والشدة فيهما ، ولقد تطرق الأستاذ عبد القادر عوده رحمه الله فى كتابه التشريع الجنائى الإسلامى إلى شىء من ذلك فقال : فإذا قدرنا أن الجرائم التعزيرية التى يمكن العقاب عليها بالقتل تصل إلى خمس جرائم ، كانت كل الجرائم المعاقب عليها بالقتل فى الشريعة لا تزيد على عشر جرائم عند من يجيزون القتل تعزيرا ، وكان عددها لا يزيد على خمس جرائم عند من لا يجيزون القتل تعزيرا ، وتلك ميزة انفردت بها الشريعة الإسلامية من يوم نزولها ، فهى لا تسرف فى عقوبة القتل ولا تفرضها دون مقتضى ، ونستطيع أن نحيط بمدى تفوق الشريعة فى هذه الوجهة ، إذا علمنا أن القوانين الوضعية كانت إلى أواخر القرن الثامن عشر تسرف فى عقوبة القتل إلى حد بعيد ، بحيث كان القانون الانجليزى مثلا يعاقب على مائتى جريمة بالإعدام ، والقانون الفرنسى يعاقب على مائة وخمس عشرة جريمة بالإعدام<sup>(١)</sup> .

(١) التشريع الجنائى الإسلامى ج ١ ص ٦٨٩ .

ويقول في موضع آخر وهو بصدد الحديث عن أساس المسؤولية الجنائية، «كانت القوانين الوضعية في العصور الوسطى وإلى ما قبل الثورة الفرنسية تجعل الإنسان والحيوان بل والجماد محلاً للمسئولية الجنائية، وكان الجماد يعاقب كالحيوان على ما نسب إليه من أفعال ضارة، كما يعاقب الإنسان على ما ينسب إليه من أفعال محرمة، وكانت العقوبة تصيب الأموات كما تصيب الأحياء، ولم يكن الموت من الأسباب التي تعفى الميت من المحاكمة والعقاب. ولم يكن الإنسان مسئولاً جنائياً عن أفعاله فقط وإنما كان يسأل عن عمل غيره ولو لم يكن عالماً بعمل هذا الغير، ولو لم يكن له سلطان على هذا الغير، فكانت العقوبة تتعدى المجرم إلى أهله وأصدقائه وتصيبهم كما تصيبه، وهو وحده الجانى وهم البرءاء من جنايته. وكان الإنسان يعتبر مسئولاً جنائياً عن عمله، سواء كان رجلاً أو طفلاً مميزاً أو غير مميز وسواء كان مختاراً أو غير مختار، مدركاً أو فاقد الإدراك وكانت الأفعال المحرمة لا تعين قبل تحريمها، ولا يعلم بها الناس قبل مؤاخذتهم عليها، وكانت العقوبات التي توقع غير معينة في الغالب... الخ<sup>(١)</sup>

وكان من الممكن في بعض الشرائع القديمة بل وفي العصور الوسطى في أوروبا نفسها أن توقع العقوبات الجنائية على حيوان، أو على جثة الجانى بعد موته أو على من به مس من الجنون<sup>(٢)</sup>.

ولقد المحت في الفقرة السابقة إلى بعض العقوبات القاسية التي تمارس في بعض المجتمعات كما في الهند والصين - فالعقوبات الإسلامية كما نلاحظ من هذا العرض المختصر المقارن أشد ما تكون قتلاً أو قطعاً ومع ذلك فعدد الجرائم التي يعاقب عليها بالقتل لا يجاوز العشر أو الخمس، والجرائم التي يعاقب عليها بالقطع جريمتان فقط. وسوف نلاحظ فيما بعد الحكمة الدقيقة في سن هذه العقوبات للجرائم الخاصة بها.

والقوانين الوضعية وإن كان أغلبها في العصر الحاضر قد استبدل عقوبة الحبس المؤبد بعقوبة الأعدام وصارت تركز على عقوبة السجن مؤقتاً أو مؤبداً فإن السجن المؤبد أو الطويل الأجل ليس إلا قتلاً بالتفسيط للمجرم، وقتلاً لأسرته معه، فلا هو بالميت الذي استراح من عناء السجن ورهبته وافضى إلى ما قدم من خير أو شر، ولا هو بالمطلق سراحه ليعمل ويكدح، وكم تعاني أسرة السجين من الشقاء والضياع، وكم تفقد من العناية والرعاية.

(١) التشريع الجنائي ج ١ ص ٣٨١.

(٢) محاضرات عن المسؤولية الجنائية في التشريعات العربية. د. توفيق الشاوي ص ٣٢.



ولقد لخص «عودة» رحمه الله عيوب عقوبة الحبس بعدة نقاط مؤيدة بالأرقام الاحصائية فذكر منها<sup>(١)</sup> :

أولاً : ارهاق خزانة الدولة وتعطيل الإنتاج فلاشك أن الدولة سوف تتحمل نفقات كبيرة لإعداد السجون وصيانتها والعناية بها، ومع ذلك فلا يزال السجناء يعانون في كثير من الدول من قلة العناية والرعاية .

ثانياً : افساد المسجونين ويقول بهذا الصدد وكان من الممكن أن تتحمل الجماعة هذه الخسارة الكبيرة سنوياً - أى نفقات هذا السجن والسجناء لو كانت عقوبة الحبس تؤدي إلى إصلاح المسجونين، ولكنها في الواقع تؤدي بالصالح إلى الفساد وتزيد الفساد فساداً على فساد، فالسجن يجمع بين المجرم الذي ألف الاجرام وتمرس بأساليبه، وبين المجرم المتخصص في نوع من الاجرام وبين المجرم العادي، كما يضم السجن أشخاصاً ليسوا بمجرمين حقيقيين، وإنما جعلهم القانون مجرمين اعتباراً كالمحكوم عليهم في حمل الأسلحة أو لعدم زراعة نسبة معينة من القمح والشعير، وكالمحكوم عليهم في جرائم الخطأ والاهمال، إلى آخر ما ذكره رحمه الله . فحاصل ما ذكر أن السجن أصبح مدرسة اجرامية يلقن فيها المجرمون العتاة والمعتادون المبتدئين من المجرمين .

إلى أن قال : ولقد دلت المشاهدات على أن الرجل يدخل السجن لأمر لا يعتبره العرف جريمة كضبط قطعة سلاح معه، وكان المعروف عنه قبل دخوله السجن أنه يكره المجرمين ويأنف أن يكون منهم، فإذا خرج من السجن حبب إليه الاجرام واحترافه بل صار يتباهى به إلى آخر ما ذكر، وهو كلام جيد مدعم بالإحصائيات فيحسن الرجوع إليه .

ثالثاً : قتل الشعور بالمسئولية : وعقوبة الحبس فوق أنها غير رادعة فإنها تؤدي إلى قتل الشعور بالمسئولية في نفوس المجرمين، وتحبب إليهم التعطل، خاصة من يقضى منهم مدة طويلة في السجن .

رابعاً : انعدام قوة الردع : ان عقوبة الحبس قد فرضت على أساس أنها عقوبة رادعة ولكن الواقع قد أثبت أنها لا فائدة منها ولا أثر لها في نفوس المجرمين، فالذين يعاقبون بالاشغال الشاقة وهي أقصى أنواع الحبس لا يكادون يخرجون من السجن حتى يعودوا لارتكاب الجرائم، ولو كانت العقوبة رادعة لما عادوا، لما عوقبوا عليه بهذه السرعة ثم ذكر إحصائيات تدعم ذلك .

(١) نقلتها من التشريع الجنائي ج ١ من الصفحة ٧٣٢-٧٤٠ . ملخصة بشيء من التصرف .

ومن الطريف ما ذكره بعض الكتاب أنهم في أمريكا قاموا بعرض أفلام على السجناء عن بعض المجرمين وكيف كانت نهايتهم المحزنة، وأن الجريمة لم تجرهم إلا إلى الخيبة والفشل، ثم استطلعوا آراء السجناء ليعرفوا مدى تأثيرهم بهذه الأفلام وتأثيرها في سلوكهم، وكان الباحثون يتوقعون أن يعتبر السجناء بمصير المجرمين ويتعظوا، ولكن الذي حصل هو أن السجناء كانوا يركزون على البحث في نقاط الضعف في الخطط التي سلكها المجرمون، ويركزون على الأخطاء التي صدرت عنهم، وكانت سببا في القبض عليهم، فكانوا يقولون لو أن المجرم عمل كذا لنجا، ولو أنه لم يعمل كذا لما قبض عليه وهكذا، مما يدل على تأصل الروح الاجرامية في هؤلاء، وأن السجن لم يزددهم إلا اعتوا وتمردا، مصادقا لما ذكره عودة رحمه الله .

خامسا : ازدياد سلطان المجرمين بعد خروجهم من السجن وتمردهم على المجتمع .

سادسا : انخفاض المستوى الصحي والأخلاقي نظرا لأن السجون ثابتة المساحة .

بينما السجناء يزداد عددهم يوما بعد يوم، وبالتالي ينخفض مستوى الخدمات التي تقدم لهم .

سابعا : ازدياد الجرائم : وقد وضعت عقوبة الحبس على اختلاف أنواعها لمحاربة الجريمة ولكن الإحصائيات التي لا تكذب تدل على أن الجرائم تزداد عاما بعد عام زيادة تسترعى النظر وتبعث على التفكير الطويل ثم أورد الإحصائيات الرسمية التي تؤيد ذلك .

ثامنا : وأمرهم أغفله «عودة» رحمه الله ألا وهو وضع عوائل المسجونين . من ينفق عليها، ومن يقوم بشأنها، ومن يتولى تصريف شئونها وتدير أمورها، من يغمر صغارهم بالعطف والمودة، لاشك أن أسرة السجين سوف تتعرض للضياع، وربما لحقت بوليها في ركاب الاجرام نتيجة الانحراف الذي ينجرف بها إلى الاجرام، وبسبب الحاجة الماسة وانعدام الشفقة والعطف، وربما قيل إن المجرم وجوده كعدمه في الأسرة . بل قد يكون وجوده وبالا عليها وسببا في ضلالها وانحرافها إن كان وليا لها أو مجرد فرد من أفرادها ربما قيل ذلك .

ولكننا نقول أولا إن أكثر المسجونين والعدد الأكبر منهم ليسوا مجرمين بمعنى الكلمة كما ذكر «عودة» رحمه الله، وليست قضاياهم بالقضايا الاجرامية الخطيرة، بل قد لا تكون جريمة على الاطلاق، ولكنها مخالفة بسيطة وبالتالي فلا خوف على السجين لأنه ليس مجرما .

ثانيا : إن المجرم مهما كان متهاديا في الأجرام فإنه أولى برعاية أسرته وهو أشفق عليها

وأرحم بها من غيره، كما أن الحيوانات المتوحشة تعطف على أبنائها وتربيتهم رغم ما فيها من القسوة والوحشية، وكذلك هذا الإنسان المجرم اللهم إلا في الجرائم الخطيرة جداً وهي قليلة نادرة فقد تقتضى المصلحة عزل المجرم وابعاده عن أسرته لئلا يفسدها وهذا نادر .

فمن هذه الوقفة يتبين لنا كيف أن العقوبات الإسلامية هي أفضل بكثير من العقوبات الوضعية التي تتمثل أكثر مما تتمثل بالسجن المؤقت أو المؤبد والذي ذكرنا شيئاً من مساؤه وعيوبه فالعقوبات الإسلامية أفضل في حق المجرم وفي حق المجتمع .

### الوقفة الثانية :

هؤلاء الذين يزعمون أن العقوبات الإسلامية قاسية هل درسوها حقيقة وعرفوا الجرائم الشنيعة التي فرضت من أجلها هذه العقوبات، وهل أدركوا مدى تأثير هذه الجرائم على المجتمع وخطورتها عليه، ولو أنهم لاحظوا ذلك لما نسوا ببنت شفه . ومن ناحية أخرى هل درسوا أدلة الإثبات في هذه الجرائم وكيف أن أدلة الإثبات متناسبة مع العقوبة ومع الجريمة فكما أن العقوبة مشددة فإن أدلة الإثبات كذلك مشددة فيها، وهناك شروط متعددة ودقيقة ولا بد من توافرها في المجرم والجريمة كي توقع العقوبة على المتهم .

إن أغلب الظن أن هؤلاء المتهجمين على العقوبات الشرعية يسمعون بها مجرد سماع دون أن يدرسوها دراسة متأنية منصفة متجردة، والا لو فعلوا ذلك لما وسعهم إلا الأكابر لهذه الشريعة في أحكامها العادلة .

### الوقفة الثالثة :

لماذا هؤلاء دائماً في صف المجرم، ولا يرد في تصورهم إلا المجرم وهو تحت العقوبة جلدأً أو قطعاً أو قتلاً، ولا يرد في تصورهم مطلقاً ذلك الضحية المسكين، الذي اعتدى عليه بغير حق، فجرح أو فقتت عينه أو قتل ظلماً وعدواناً، أليس المعتدى عليه أولى بالعطف والشفقة والرحمة من ذلك المجرم .

### الوقفة الرابعة :

إن العقوبات الشرعية التي تبدوا شديدة لا تخرج عن حالتين :

الحالة الأولى : القصاص حيث يجرح من جرح قصاصاً، وتفقأ عينه قصاصاً إذا فقأ عين غيره عمداً أو جرحه عمداً . ويقتل من قتل قصاصاً، إذا قتل على وجه العمد، ولا يمكن أن يعترض حكيم أو عاقل منصف على هذه النظرية، نظرية القصاص حيث يعاقب

المجرم بنفس الطريقة التي ارتكبها مع الضحية ما أمكن ذلك، إلا في الحالات التي لا يمكن تنفيذ القصاص فيها، أو أن القصاص يؤدي إلى مفسدة. فيما عدا ذلك فالقصاص هو الأصل ولا يعترض عليه أو ينتقده إلا مغفل أو مغرض. هذه حاله.

**الحالة الثانية :** أن تكون العقوبة التي تبدو شديدة حداً، والعقوبات الحديه التي قد تكون شديدة لا تزيد عن ثلاث : عقوبة الزاني المحصن رجماً، والمحارب قاطع الطريق، بقطعه من خلاف، يده اليمنى، ورجله اليسرى والسارق بقطع يده اليمنى، وهذه الجرائم لا يمكن بحال من الأحوال أن تعالج إلا بهذه العقوبات، هذا أمر، والأمر الثاني أن من ينظر في هذه الحدود الثلاثة وطرق إثباتها يلاحظ أنها لا تثبت إلا عن طريقين فقط.

**الطريق الأولى :** طريقة الاعتراف الصحيح، الخالي من الموانع، الصادر من عاقل بالغ، وفي حالة معتبرة شرعاً، دون اكراه أو ضرورة، وأن يثبت على إقراره حتى يتم تنفيذ العقوبة فيه، وله الحق أن يرجع عن إقراره ولو بعد الشروع في معاقبته.

فأي شدة أو قسوة في ذلك؟ إذا كان إنسان عاقل بالغ مدرك يختار عقوبته بنفسه ويعلم أنه سوف يرحم أو تقطع يده أو يجلد إذا أصر على إقراره واستمر فيه، فما ذنب الحاكم في ذلك، إذا كان هذا المتهم مؤمن ومعتقد بأنه سوف يقدم على ربه، ويعتبر تحمل هذه العقوبة من باب التوبة الصادقة مع العلم بأنه لا يجوز التحايل لأخذ الإقرار في الحدود، بل القاعدة على العكس حيث يستحب تلقين المتهم ما يصرفه عن الاعتراف الصريح.

**الطريقة الثانية :** أن تثبت هذه الحدود عن طريق الشهادة، وانها الطريق صعبة، ومسلك وعمر، فقد وضعت شروط دقيقة عديدة، قل أن تتوفر، خاصة بالنسبة للزنا، فهناك شروط في الشاهد، وهناك شروط في الشهادة وشروط في الاحصان، وشروط في الزنا، ومن النادر جداً أن تتوفر هذه الشروط في قضية من القضايا<sup>(١)</sup>.

ولقد سألنا من نعرف من العلماء والباحثين عما إذا كانوا يعرفون واقعة زنا ثبتت في عصر من العصور بالشهادة، فلم نجد عندهم جواباً، مما يدل على أن هذا الأمر نادر جداً، فهذه العقوبات والله أعلم هي للتهويل والتخويف، والتهيب للمجرمين، أكثر مما يراد بها ايقاعها بهم. فالمجرم لاشك أنه إذا علم بهذه العقوبة الشديدة، سوف يتصور أنها ربما أوقعت به، ولا يزال في ذهنه شيء من الاحتمال مهما كان قليلاً، وهذا التصور وهذا الاحتمال له دور كبير في صرف المجرم عن جريمته، ولفت نظره لاعادة الحساب. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) ذكر صاحب المغنى أنه حصل في عهد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله واقعة زنا ثبتت بالشهادة وذلك في الجزء السابع ص ١٦٣ في كتاب الفرائض.

## الوقفة الخامسة :

لننظر في نتائج وآثار العقوبات الإسلامية في المجتمع الإسلامي ، وآثار العقوبات الوضعية في المجتمعات الأخرى .

لقد كانت آثار هذه العقوبات التي يزعمون أنها قاسية ، لقد كانت آثارها الاستقرار والأمن الذي لا يتصور ، فلا تكاد تحدث جريمة ، فاطمأن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وانصرفوا إلى العمل والإنتاج والإصلاح حتى إن الرجل ليرك متاعه في الطريق دون أن يتعرض له أحد بسوء ، وينقل لنا الأستاذ أبو الحسن الندوي انطباعات الأستاذ محمد أسد ، وهو من النمسا عندما زار دمشق في أول القرن العشرين الميلادي ، ويوم كانت دمشق تعيش تحت ظل الخلافة العثمانية ، على ما كان فيها من تقصير واهمال يقول : (وقفت على ذلك الاستقرار الروحي في حياة سكانها ، إن أمنهم الباطني كان يمكن أن يرى في الطريقة التي كان أحدهم يتصرف بها نحو الآخر ، ثم يسترسل فيقول : وفي الطريقة التي كان أصحاب الدكاكين يعاملون بعضهم بعضا ، أولئك التجار في الحوانيت الصغيرة الذين كانوا يبدوون وكأنها ليس فيهم أيما قدر من الخوف أو الحسد ، حتى إن صاحب دكان فيهم ليرك دكانه في عهدة جاره ومزاحمه ، كل ما دعت حاجته إلى التغييب بعض الوقت ، وما أكثر ما رأيت زبوناً يقف أمام دكان غاب صاحبه عنه ، يتساءل فيما بينه وبين نفسه ، ما إذا كان ينتظر عودة البائع أو ينتقل إلى الدكان المجاور ، فيتقدم التاجر المجاور دائماً «التاجر المزاحم» ، ويسأل الزبون عن حاجته ويبيعه ما يطلب من البضاعة ، لا بضاعته هو بل بضاعة جاره الغائب ، ويترك له الثمن على مقعده ، أين في أوروبا يستطيع المرء أن يشاهد مثل هذه الصفة . هذه صورة (١) .

أما الصورة الثانية : فينقلها لنا الأستاذ عبد القادر عودة رحمه الله ، وهو يشير إلى ازدياد الجرائم في المجتمع المصري ، بسبب عدم تطبيق التشريعات الإسلامية ، مقارنة بين المجتمع المصري والمجتمع السعودي في ظل الإسلام ، فيقول إن الحالة الاقتصادية مهما قيل فيها لا تكون سبباً في ازدياد الجرائم ، مادامت العقوبة رادعة ، وليس أدل على صحة هذا القول من الحالة في الحجاز ، فلا شك أن الحالة الاقتصادية والاجتماعية في مصر أفضل منها في الحجاز ، ومع ذلك فقد قلت الجرائم في الحجاز وازدادت في مصر وانتشر الأمن هناك واختل هنا . ولقد كان الحجاز في يوم ما مضرب الأمثال في اختلال الامن والنظام ، والجرأة على

(١) من نهر كابل إلى نهر اليرموك أبو الحسن الندوي ص ١٥٥ .

ارتكاب الجرائم وترويع الأمنيين، والحجاج المسافرين، وقطع الطريق عليهم لنهب مالهم ومتاعهم، ولعل الحالة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز الآن ليست خيراً منها يوم كان الفساد مستشرياً في الحجاز، والفرق بين الحجاز قديماً وحديثاً، هونفس الفرق بين مصر والحجاز اليوم، هو وجود العقوبة الرادعة في الحجاز الآن، وانعدامها قديماً، وهو كذلك انعدام هذه العقوبة في مصر اليوم، فهذه العقوبة الرادعة في ظل الشريعة الإسلامية هي التي وطدت الأمن في الحجاز، وقضت على السلب والنهب وقطع الطريق، وجعلت الأمن فيه مضرب الأمثال، فلا يسقط من مسافر شيء إلا وجده في دار الشرطة، ولا يضيع لأحد شيء إلا رد إليه حيث كان، ولولم يبلغ بضياعه مادام مع المال ما يدل على اسم صاحبه<sup>(١)</sup> وهذا ما نعيشه الآن في هذه البلاد والحمد لله حيث أن الإنسان دائماً - إلا في حالات نادرة - مطمئن على متاعه وعلى أمواله يتركها غالباً دون ما حراسة تذكر ودون اهتمام بها فيوفر المجتمع بذلك طاقات كبيرة وجهوداً كثيرة بينها الدول الأخرى كما هو معروف، حيث نقرأ يومياً عن الجرائم البشعة التي لا تتصور، حيث تدهم البيوت والمؤسسات المالية ويهجم على المصارف ويختطف التجار والسياسيون، أو أبناءؤهم ولا يطلقون إلا مقابل فدية مالية كبيرة، وتختطف الطائرات أما لأغراض سياسية أو لأغراض إجرامية بحتة، وأصبح الناس في كثير من الدول التي تزعم أنها متطورة ومتقدمة وفي قمة الحضارة، أصبح الناس يحذرون من التجول بعد غروب الشمس، وهذا الأستاذ محمد قطب يذكر في إحدى محاضراته أنه في سان فرانسيسكو حدثه أكثر من شخص وأنه قرأ في الصحف كذلك، أن الإنسان لا يملك أن يخرج وحده في هذه المدينة بعد غروب الشمس، ويقول: كنت في زيارة قصيرة لمدينة صغيرة في فلاديفيا مدينة أشبه بالمدن الريفية وهي بالنسبة لمدننا كبيرة ولكنها بالنسبة للمدن الأمريكية صغيرة جداً، وجاء الغروب فحدثتنا أنفسنا أن نخرج قليلاً للتنزه، فقال لنا المقيمون هناك، احذروا، لا تستطيعون أن تخرجوا، قلنا لماذا، قالوا بسبب العصابات، حيث إنها تبدأ عملها بعد غروب الشمس، قتلاً وخطفاً وسرقة<sup>(٢)</sup>.

وهذه دولة من الدول الحديثة، المتقدمة صناعياً، وهي المانيا، تقول عنها إحدى الجرائد اليومية، أنه في تقرير نشر عنها أظهر أن لصوص المانيا الغربية يحافظون على سمعة مواطنيهم، بوصفهم شعباً عرف بتفانيه في العمل، فقد أوضح التقرير أن هؤلاء اللصوص يرتكبون حادث سرقة كل دقيقة في شتى أنحاء البلاد، وتقدر لجنة غير حكومية قيمة

(١) التشريع الجنائي ج ١ ص ٧٤٠.

(٢) من محاضرة ألقاها الأستاذ محمد قطب في كلية الشريعة بجامعة قطر في أول عام ١٤٠١هـ.

الممتلكات التي تتعرض للفقء أو الاللاف نلئءة للسرقات بلاللة آالف مليون مارك فى العام الواحد، وقد طالبل اللءئة الموالئن الالئن يقضون علالهم ءارء مساكنهم بلأمن منازلهم بواسطة الأفقال والسلاسل، أو أءهزة الانذار<sup>(١)</sup>.

ولم يزل الاءرام يفللك بالءول الغربفة وءرفها ءلى أصفء المءرمون لهم مراكز ءطرفة، وكلمة نافذة، بل أصفء لهم مؤسسال رسمفة أو شبه رسمفة، ءءمفهم وءءافع عنهم، ءلى صاروا كما يقال ءكومات ءاأل الءكومات. وبقول الأستاذ عوءة رحمة الله فى هذا الصءء، وهو بلءءء عن سلطان المءرمفن، ومن المءرمفن من يفاءر السءن لفعفش عالة على الءماعة، فسئل ءرفمته السابقة لاءافة الناس وارهابلهم، وابلراز أموالهم، وفعفش على هذا السلطان الموهوم وهذا المال المءرم، ءون أن يفءرف فى ءفاة العمل الشرفف والءسب الءلال، وقد أصفء سلطان هؤلاء المءرمفن على السكان الآمنفن، فزاعم سلطان الءكومات، بل أصفء المءرمون فى الواقع أصفاب الكلمفة النافذة، والأمر الملاء، ومن الوقائع اللى اعرفها وفعرفها ءفرى أن رجال الإءارة فسفعفنون بالمءرمفن أيام الالئءابال العامة، لىوءهوا النالءفن الملمسكن بءزبللهم، وءهال معفنة بعء أن فعءزوا هم عن هذا اللوءفه.

وقء أءى هذا المركز الءطفر، إلى فزاة المءرمفن الشباب الالئن فطلعون بعءاف من طموءهم إلى نوال كل مركز ملاءز كما أءى إلى قلب الموازن والأوضاع، فبعء أن كانت الءرفمة عارا وءلا فى القءفم، أصفء اللىوم مءعاة لللباهى واللفاءر، وبعء أن كان المءرم فطرء ذلفلا مهانا، أصفء اللىوم عزفز الءانب مسموع الكلمفة نافء السلطان<sup>(٢)</sup>.

فهذه هم بعض آثار العقوبال الوضففة فى المءلعمال الغربفة لفسل إلا ءوفا واضطرابا وربعبا و فزاة مضطرءة فى عءء الءرائم وأسالبها وأنواعها.

وذلك بعض آثار العقوبال الشرفة وئالءءها فى المءلعم الإسلامى قءفما وءءفا، أمن واسلقرار واطمئنان وانءفاض فى نسبة الءرائم، فأى الفرفقفن أءق بالأمن، وأى الفرفقفن أءق بالفءر والاعلراز، فلفصفوا العقوبال الشرفة بما شاؤا من الأقاول، ولبللءموا ماءامل تلك آثارها وهذه نلأءءها.

والءمء لله رب العالمفن والصلاة والسلام على أشرف الأنبفاء والمرسلفن نبفنا مءمء وآله وأصفابه أءمفعن.

(١) ءرفءة الرفاض العءء ١٣٣٣ الصاءر بللارفء ١٣٩٦/٥/٦ هـ.

(٢) اللشرفع الءنائى ٧٣٧/١.

# الإمداد بأحكام الحداد

- ٢ -  
لدى كتبه في مجاله شأني للطب  
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

## الفصل الخامس في زمن الإحداد

عرفت آنفاً أقسام الإحداد من حيث الجملة وأنها قسمان جائز وغير جائز وأن كل منهما ينقسم إلى قسمين إذا تقرر هذا فأعلم أن كلامنا هنا خاص بزمن الإحداد والجائز في شريعتنا إذ أننا مطالبون بما فيها من أحكام فنقول : الحداد الجائز على ضربين . على ما بينا قريباً ، حداد على القريب الميت غير الزوج وحداد على الزوج وطبقاً لهذا التقسيم يكون الكلام في المدة الزمنية اللازمة للإحداد .

وقد رأيت أن أجعل هذا الفصل مبنياً على مبحثين . المبحث الأول زمن الإحداد على القريب الميت غير الزوج ، المبحث الثاني زمن الحداد على الزوج الميت .

### المبحث الأول : زمن الحداد على القريب الميت :

إعلم أن الحداد على القريب الميت هو ابتعاد المرأة عن كل مظاهر الزينة التي يدعو فعلها إلى الفرح والسرور ويتنافى مع مظاهر الحزن من المرأة على ذلك الميت . ومن المعلوم أن الشريعة الإسلامية قد رسمت الطريق الذي ينبغي أن تسلكه المرأة عند فقد قريبها وبينت المدة اللازمة للإحداد والتي لا ينبغي تجاوزها وقد رعت الشريعة في ذلك حق المرأة وحق القريب على حد قوله « لا ضرر ولا ضرار » ومقدار هذه المدة ثلاثة أيام بلياليها يوضحه قوله ﷺ : « لا يحل لامرأة أن تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » .

فقوله : « فوق ثلاث » يفيد جواز الثلاث فما دونها وعدم جواز الزيادة عليها إلا فيما دل عليه الاستثناء . قال ابن حجر في الفتوح بعد ما ذكر الحديث : ( واستدل به على جواز الإحداد على غير الزوج من قريب ونحوه ثلاث ليال فما دونها وتحريمه فيما زاد عليه وكأن هذا



القدر أبيض لأجل حظ النفس ومراعاتها وغلبة الطباع البشرية ولهذا تناولت أم حبيبة وزينب بنت جحش رضى الله عنهما الطيب لتخرجا عن عهدة الإحداد وصرحت كل منهما بأنها لم تطيب لحاجة إشارة إلى أن آثار الحزن باقية عندهما، لكنهما لا يسعهما إلا إمتثال الأمر<sup>(١)</sup>.

وهذا الذى ذكره ابن حجر رحمه الله وما دلت عليه الأحاديث الصحيحة الصريحة الثابتة عن رسول الله ﷺ والتي تفيد بمنطوقها ومفهومها أن الحد الأعلى فى حق المرأة للإحداد على قريبها الميت هو ثلاثة أيام بلياليها .

وقد ذكر أبو داود فى المراسيل باسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده حديثا يعارض ظاهره هذه الأحاديث ونصه : ( أن النبى ﷺ رخص للمرأة أن تحد على أبيها سبعة أيام وعلى من سواه ثلاثة أيام)<sup>(٢)</sup>. والجواب عن الاستدلال بهذا الحديث من وجهين :

( أ ) إنه ضعيف لا تقوم به حجة لكونه مرسل قال فإن عمرو بن شعيب لم يكن من الصحابة بل ولا من التابعين، والمرسل فى ضعف الاحتجاج به إنما يكون من التابعين فإذا كان الأمر كذلك فلا تعارض به الأحاديث الصحيحة .

(ب) لو سلمنا بصحته وسلامة الاستدلال به لم نسلم بمعارضته للأحاديث الصحيحة بل نقول هو مخصص للأب من عمومها فتحده ابنته عليه سبعة أيام بلياليها على ما هو مبين فى الحديث ويبقى ما عداه من الأقارب على العموم الوارد فى الأحاديث والذى يتعين اتباعه والمصير إليه هو ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة التى تم ثبوتها قريبا أكثر من مرة .

## المبحث الثانى : زمن الإحداد على الزوج الميت

زمن الإحداد على الزوج الميت هو زمن العدة ولهذا نستعرض بشىء من التفصيل لعدة المتوفى عنها زوجها لما بين الأمرين من العلاقة ليتضح المراد وبالتالى نخلص لمعرفة زمن الإحداد .

والمعتدة من الوفاة لا يخلو إما أن تكون حائلا أو حاملا .

والحائل لا يخلو إما أن تكون ممن تحيض أو يئست من الحيض أو صغيرة لم يأتها الحيض بعد وطبقا لهذا التقسيم فقد ضمنت هذا المبحث المطالب التالية :

(١) فتح البارى ج ٩ ص ٤٨٧ .

(٢) نيل الأوطار ج ٦ ص ٣٣١ .

## المطلب الأول : عدة غير ذات الحمل :

غير ذات الحمل وهى الحائض التى عرفت براءة رحمها أما بالحيض أو لكونها آتسة أو صغيرة لم تحض وقد أجمع أهل العلم من عصر الصحابة رضى الله عنهم إلى يومنا هذا على أن عدة المرأة المتوفى عنها زوجها غير ذات الحمل أربعة أشهر وعشرا سواء كانت صغيرة أو كبيرة . مدخولا بها أو غير مدخول بها وهذا هو الزمن اللازم للإحداد فإذا انقضت عدتها بتمام هذه المدة انقضى الإحداد بانقضائها وإنما أجمع أهل العلم على ذلك لما جاء فى الكتاب والسنة . فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا﴾ . ومن السنة قوله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا» . متفق عليه<sup>(١)</sup> . فهذا الكتاب والسنة قد اتفقا على بيان الظرف الزمنى الذى يجب أن تتربصه المعتدة من الوفاة ولا تحل قبله للأزواج وهو الظرف الزمنى للإحداد إذ أن العدة والإحداد شقيقان فى هذا الباب فإن قيل هذا النص عام شامل لكل معتدة من الوفاة فتكون عدتها أربعة أشهر وعشرا من غير تخصيص قيل ليس الأمر كذلك لأننا نقول إن هذا النص فى المعتدات من الوفاة غير الحوامل والشرع شاهد بذلك فإن الله تعالى أخرج من عموم هذا النص الحامل المعتدة من الوفاة فإن عدتها تنقضى بوضع حملها وبالتالي يزول عنها حكم الإحداد .

## تنبيهان :

**التنبيه الأول :** لو قيل هذا الحكم خاص بالمدخول بها بمعنى أن المدخول بها هى التى تتربص أربعة أشهر وعشرا بدليل أن الله تعالى خصها من عموم قوله تعالى : ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه :

( أ ) أن الله تعالى خص المطلقة قبل الدخول من عموم آية البقرة فلم يوجب عليها عدة وذلك بآية الأحزاب وهى قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾<sup>(٢)</sup> .

وليس الأمر كذلك فى المتوفى عنها قبل الدخول فهى داخلة فى العموم وليس ثمة ما يخرجها ولا يجوز اخراجها إلا بدليل ولا دليل .

(ب) قد ورد فى السنة ما يفيد صراحة وجوب العدة على غير المدخول بها المتوفى عنها

(١) المغنى ج ٧ ص ٤٧٠ .

(٢) سورة الأحزاب «٤٩» .

زوجها وذلك أن عبد الله بن مسعود (أتى بامرأة تزوجها رجل ثم مات عنها ولم يفرض لها صداقا) ولم يكن دخل بها قال فاختلفوا إليه فقال : أرى لها مثل مهر نسائها ولها الميراث وعليها العدة فشهد معقل بن سنان الاشجعي أن النبي ﷺ قضى في برّوع ابنة واشق بمثل ما قضى). رواه الأربعة وصححه الترمذى (١).

فهذا الحديث نص على إيجاب العدة على غير المدخول بها وبهذا لا يكون للاعتراض حظ من النظر .

(ج) لو سلمنا بعدم النص وأن المعتدة من الوفاة غير المدخول بها مخصصة من عموم آية البقرة وذلك بالقياس على المطلقة قبل المدخول لم نسلم بهذا التخصيص وذلك لأمرين : أحدهما : أن النكاح عقد عمر فإذا مات أحد الزوجين انتهى والشيء إذا انتهى تقرر أحكامه كتقرر أحكام الصيام بدخول الليل وأحكام الاجارة بانقضائها والعدة من أحكامه . ثانيهما : أن المطلقة إذا أتت بولد يمكن للزوج تكذيبها ونفيه باللعان وهذا ممتنع في حق الميت فلا يؤمن أن تأتي بولد فيلحق الميت نسبه وما له من ينفيه فاحتطنا بإيجاب العدة عليها لحفظها عن التصرف والميت في غير منزلها حفظا لها (٢).

**التنبيه الثاني :** فإن قيل قد ورد في الأثر عند أحمد وابن حبان والطحاوي من حديث اسماء بنت عميس قالت : (دخل على رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر بن أبي طالب . فقال لا تحدى بعد يومك) هذا لفظ أحمد . وفي رواية له ولا بن حبان والطحاوي لما أصيب جعفر أتانا النبي ﷺ تسلى ثلاثا ثم اصنعي ما شئت (٣).

قال العراقي في شرح جامع الترمذى : (ظاهره أنه لا يجب الإحداد على المتوفى عنها بعد اليوم الثالث لأن اسماء بنت عميس كانت زوج جعفر بن أبي طالب بالاتفاق وهي والدة أولاده عبد الله ومحمد وعوف وغيرهم قال بل ظاهر النهي أن الإحداد لا يجوز (٤).

قيل الجواب عن هذا الاعتراض من وجوه :

**الوجه الأول :** ما ذكره العراقي نفسه بأن هذا الحديث شاذ ومخالف للأحاديث الصحيحة وقد اجمعوا على خلافه . قال ويحتمل أن يقال إن جعفر قتل شهيدا والشهداء

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ٥٨٨ . جامع الترمذى ج ٥ ص ١١٤ . سنن النسائي ج ٦ ص ١٢١ . سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٨٩ .

(٢) المغنى ج ٧ ص ٤٧٠ وما بعدها .

(٣) فتح البارى ج ٩ ص ٤٨٧ .

(٤) فتح البارى ج ٩ ص ٤٨٧ .

أحياء عند ربهم . قال وهذا ضعيف لأنه لم يرد في غير جعفر من الشهداء ممن قطع بأنهم شهداء كما قطع بجعفر كحمزه بن عبد المطلب وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر<sup>(١)</sup> .

فأنت ترى أنه حكم على الحديث بالشذوذ وحديث الشاذ ضعيف لا تقوم به حجة .

**الوجه الثاني :** ما ذكره الطحاوى من أن هذا الحديث منسوخ وأن الإحداذ كان على المعتدة كذلك في وقت ثم أمرت بالإحداذ أربعة أشهر وعشرا<sup>(٢)</sup> .

وان كانت هذه دعوى بلا دليل إذ أن النسخ لا يكون إلا بمعرفة التاريخ وهو تقدم المنسوخ وتأخر الناسخ إلا أن احتمال النسخ وارد هنا لأن حديث اسماء هذا متقدم في الغالب على أحاديث الإحداذ الأخرى . فإن حديث اسماء هذا في غزوة موته وهى في السنة الثامنة من الهجرة والنبي الكريم توفى في السنة الحادية عشرة لكن دعوى النسخ لا تثبت بالاحتمال .

**الوجه الثالث :** هو أن المراد بالإحداذ والمقيد بالثلاث قدرا زائدا على الإحداذ المعروف فعلته اسماء مبالغة في حزنها على جعفر فنهاها عن ذلك بعد الثلاث .

**الوجه الرابع :** هو أن اسماء كانت حاملا فوضعت بعد ثلاث فانقضت العدة فنهاها بعدها عن الإحداذ ولا يمنع ذلك قوله في الرواية الأخرى .

**الوجه الخامس :** يحتمل أنه ﷺ علم أن عدتها تنقضى عند الثلاث فأمرها بهذا الأمر .

**الوجه السادس :** يحتمل أن جعفر قد أبانها بالطلاق قبل استشهاده فلم يكن عليها إحداذ .

**الوجه السابع :** ما ذكره البيهقى من أن هذا الحديث منقطع وقال لم يثبت سماع عبد الله بن شداد من اسماء بنت عميس<sup>(٣)</sup> .

وَرَدَّ هذا بأنه تعليل مدفوع فقد صححه أحمد ومجيب منه بأن أحمد قال أنه (أى حديث اسماء) مخالف للأحاديث الصحيحة في الإحداذ قال ابن حجر في الفتح (وهو مصير منه إلى أنه يعله بالشذوذ وذكر الأشرم أن أحمد سئل عن حديث حنظلة عن سالم عن ابن عمر رفعه لا إحداذ فوق ثلاث فقال هذا منكراً والمعروف عن ابن عمر من رأيه<sup>(٤)</sup> .

(١) فتح البارى ج ٩ ص ٤٨٤ .

(٢) شرح معانى الآثار للطحاوى ج ٣ ص ٧٥ .

(٣) (٤٠٣) تعليق بياض السنن الكبرى للبيهقى ج ٧ ص ٤٣٨ .

قال ابن حجر تعقيباً على كلام أحمد وهذا يحتمل أن يكون لغير المرأة المعتدة فلا نكارة فيه بخلاف حديث أسماء والله أعلم (١).

هذا وبعد عرض ما تقدم تعلم أن الأوجه التي ذكرناها كلها محتملة اللهم إلا ما ذكره العراقي من اعلال الحديث بالشذوذ والذي ينبغي أن يعلم هو أن هذا الحديث على فرض صحته معارض لما هو أصح منه وأكثر شهرة ومن المعلوم أن الحديث الصحيح إذا تعارض مع ما هو أصح منه وتعدر الجمع قدم الأصح فإذا كان الحديث في الصحيحين ويعارضه حديث آخر في أحدهما قدم ما كان في الصحيحين والأمر كذلك فيما كان في صحيح البخاري ويعارضه حديث آخر في صحيح مسلم فإن ما كان في صحيح البخاري يقدم على ما كان في صحيح مسلم عند التعارض وعدم إمكان الجمع وما كان فيهما أو في أحدهما يقدم على غيره عند التعارض وعدم إمكان الجمع وهذا الحديث الذي نحن بصدد الكلام عنه على فرض صحته لم يكن في الصحيحين ولا في أحدهما بخلاف الأحاديث التي تعارضه فإنها صحيحة لا مطعن لأحد في صحتها لكونها في الصحيحين .

هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن المدة المعتبرة للعدة والإحداد في حق الحائض من النساء هي أربعة أشهر وعشراً ولا يشترط وجود الحيض في هذه المدة وإنما تنقضي عدة المعتدة المشار إليها وإتمام أربعة أشهر وعشراً لأن الأدلة التي تفيد هذا المعنى من الكتاب والسنة لم تجعل انقضاء عدتها منوطاً بشرط حيض ولا غيره وإنما الزمن الوحيد لانقضاء هذه المدة هو أربعة أشهر وعشراً ولأنه لو اعتبر الحيض في حقها لاعتبر ثلاثة قروء كالمطلقة (٢).

والحاصل هو أن زمن الإحداد في حق المتوفى عنها زوجها غير الحبلى هو زمن العدة وزمن العدة في حقها أربعة أشهر وعشراً وإنما هو لكون الجنين يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم أربعين يوماً علقه ثم أربعين يوماً مضغاً فتلك مائة وعشرون يوماً وهي أربعة أشهر. وهذا منصوص عليه في حديث ابن مسعود الصحيح ولفظه (حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغاً مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى وسعيد . . . الحديث) (٣).

(١) أنظر الفتح ج ٩ ص ٤٨٧ .

(٢) المغنى ج ٧ ص ٤٧١ .

(٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٣٦ .

فالحديث دليل على أن النفخ يكون بعد المدة المذكورة في الحديث وهي العشرة التي لم نذكرها هنا فأمرت المعتدة إلى تربص هذه المدة ليستبين الحبل إن كان ثمة حبل هذا ما يمكن أن يقال في هذا المقام وقبل أن نترك هذا المطلب يحسن أن نشير إلى مسألتين لهما علاقة بما نحن فيه .

**المسألة الأولى :** متى يبدأ الإحداد ؟ ، المسألة الثانية هل المعتبر لخروج المعتدة المتوفى عنها زوجها من عدتها الليالي أو الأيام في قوله عشرًا ؟ .

فنقول المسألة الأولى متى يبدأ الإحداد اختلف الفقهاء في تحديد الزمن الذي تبدأ فيه المعتدة عدتها وبالتالي إحدادها أهو من وقت موت الزوج أو من وقت علمها ؟ على قولين :  
**القول الأول للجمهور :** وهو أن عدة المتوفى عنها تبدأ من حين موت الزوج وهو زمن وجوب الإحداد عليها سواء علمت بذلك حين الوفاة أو لم تعلم إلا بعد ذلك ما لم تنقضى أربعة أشهر وعشرًا . فإذا انقضت قبل علمها فلا عدة عليها ولا إحداد وذلك لأن المقصود من العدة هو عدم التزوج وقد وجدوا أيضاً العاملة بالوفاة لومرت عليها أربعة أشهر ولم تحد خرجت من العدة اتفاقاً فكذا هنا<sup>(١)</sup> . فالعدة هي مضي المدة وذلك يتحقق بدون علمها فهي وعدة الطلاق سواء . غاية ما في الأمر أنها لم تفعل الإحداد ولكن ذلك لا يمنع من انقضاء العدة كما لو كانت عاملة بموت زوجها .

**القول الثاني :** عن على رضى الله عنه وهو أن العدة تبدأ من وقت علمها بالوفاة فعلى هذا لا تجب عليها العدة وكذلك الإحداد إلا إذا علمت بوفاة زوجها حتى ولو مرت على وفاته أربعة أشهر وعشرًا قبل علمها لم تنقضى عدتها لأن عليها الإحداد ولا يمكنها إقامته إلا بالعلم بموته<sup>(٢)</sup> . ولأن هذه العدة تجب بطريق العبادة فلا بد من علمها بالسبب لتكون مؤدية للعبادة .

ورد هذا بان العبادة تبع لا مقصود بدليل أن العدة تجب على الكتابية إذا كانت تحت مسلم وهي لا تخاطب بالعبادات .

وعندى أن العدة تجب عليها من وقت الوفاة لما بينا ولأن المقصود براءة الرحم وقد وجدت فلا مجال لايجاب العدة عليها بعد مرور المدة المنصوص عليها .

**المسألة الثانية :** هل المعتبر لخروج المعتدة المتوفى عنها زوجها من عدتها الليالي أو

(١) مواهب الجليل ج ٤ ص ١١٥٣ ، المهذب ج ٢ ص ١٨٦ ، المغنى ج ٧ ص ٤٧١ .

(٢) فتح القدير ج ٤ ص ٣١٣ .

الأيام في قوله عشراً؟ المدة المنصوص عليها التي تخرج بها المعتدة من عدتها والحال أنها متوفى عنها هي أربعة أشهر وعشراً وهذا لا خلاف فيه لأنه منصوص عليه وإنما اختلف الفقهاء في أمر واحد وهو الاحتمال الوارد في قوله عشراً فإنه يحتمل أن يكون المراد بذلك الأيام وأن يكون المراد بذلك الليالي ولهذا اختلف الفقهاء في ذلك على قولين :

**القول الأول للجمهور :** وهو أن المعتبر في ذلك الأيام مع الليالي لأن الاستعمال في مثل هذا من ذكر عدة الليالي يدخل ما بإزائها من الأيام على ما عرف بالتاريخ حيث يكتب بالليالي فيقال لسبع خلون مثلاً ويراد كون عدة الأيام كذلك<sup>(١)</sup>.

**القول الثاني :** للأوزاعي وعبد الله بن عمرو بن العاص وهو أن المعتبر في ذلك الليالي دون الأيام فلو تزوجت في يوم العاشر جاز وذلك أخذاً من التذكير<sup>(٢)</sup>. فإن جمع المؤنث يذكر وجمع المذكر يؤنث فيقال عشرة أيام وعشر ليالٍ والعدد المختلف هنا هو قوله عشراً فتذكيره دليل على أن المراد بذلك الليالي دون الأيام وهذا واضح من الكتاب والسنة . فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ .<sup>(٣)</sup> ومن السنة قوله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » . كون المعدود الليالي وإلا لأنته .

والراجح عندي هو القول الأول صحيح أن العدد يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر إلا أن العرب تغلب اسم التأنيث في العدد خاصة على المذكر فتطلق لفظ الليالي وتريد الليالي بأيامها كما قال الله تعالى لذكرياً ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سوياً﴾<sup>(٤)</sup> يريد بأيامها بدليل أنه قال في موضع آخر ﴿آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً﴾ يريد بلياليها ولهذا لو قرر أحد اعتكاف العشر الأخير من رمضان لزمه الليالي والأيام معاً . ويقول القائل سرنا عشراً يريد الليالي بأيامها فلم يجوز نقلها عن العدد إلى الإباحة بالشك<sup>(٥)</sup> هذا إذا كانت عالمة بوفاته يقينا أما إذا شككت في وقت وفاته فإنها تعتد من الوقت الذي تستيقن فيه بموته لأن العدة يؤخذ فيها بالاحتياط والاحتياط هو الأخذ باليقين وفي الوقت المشكوك فيه لا يقين فلهذا لا تعتد إلا من الوقت المتيقن<sup>(٦)</sup>.

(١) فتح القدير ج ٤ ص ٣١٣ ، المغنى ج ٧ ص ٤٧١ .

(٢) فتح القدير ج ٤ ص ٣١٣ ، المغنى ج ٧ ص ٤٧١ ، المبسوط ج ٦ ص ٣١ .

(٣) سورة البقرة «٢٣٤» .

(٤) سورة آل عمران «٤١» .

(٥) المغنى ج ٧ ص ٤٧١ .

(٦) المبسوط ج ٦ ص ٣٩ .

## المطلب الثاني : في سبب وجوب الإحداد :

عرفت قريباً أن الفقهاء مختلفون في وجوب الإحداد على من يجب واختلافهم في الجملة راجع إلى أمرين : المعتدة من الوفاة، والمعتدة من طلاق بائن . فالحنفية يتوسعون في الإيجاب فيوجبون الحداد في الأمرين معاً أعنى المعتدة من الوفاة والمعتدة من الطلاق البائن بينونة الكبرى، والجمهور يضيقون دائرة الإيجاب فيجعلونه خاصاً بالوفاة وتبعاً لهذا الاختلاف يكون سبب الإيجاب .

فعند الحنفية ومن قال بقولهم يكون سببه الوفاة والبينونة الكبرى، وعند الجمهور يكون سببه الوفاة لا غير وإنما كان سبب الوفاة لما يأتي . في قوله تعالى ﴿والذين يتوفون ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ فالآية دليل على إيجاب العدة على المتوفى عنها زوجها ووجوب العدة عليها يستلزم إيجاب الإحداد وعدم إيجابه على غيرها بدليل قوله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله وباليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » هذا من جهة ومن جهة أخرى فالعدة والإحداد يجبان اظهاراً للحزن بفوت النعمة وتعريفاً بقدرها والمراد بالنعمة هنا هي نعمة النكاح . إذ النكاح كان نعمة عظيمة في حقها فإن الزوج كان سبب صيانتها وعفائها وايفائها بالنفقة والكسوة والمسكن<sup>(١)</sup> . ولهذا كان لفراق الزوج أثر في نفسها فما كان من أمر الشارع إلا أن أوجب عليها للزوج حقوقاً اظهاراً للمصيبة بموته ومن تلك الحقوق العدة والإحداد هذا في المعتدة من الوفاة . وقد عرفت ما استدل به فقهاء الحنفية لإيجاب الحداد على البائن وهو سبب وجوب عندهم .

## المطلب الثالث : في شرط وجوب عدة المتوفى عنها :

شرط وجوب العدة هو النكاح الصحيح فلا تجب على المنكوحة نكاحاً فاسداً ولا الموطوءة بالشبهة ولا الموطوءة بالزنا وإنما تجب على المتوفى عنها زوجها سواء كانت مدخولاً بها أو غير مدخولٍ بها وسواء كانت ممن تحيض أو ممن لا تحيض لعموم قوله عز وجل ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ ولما تقدم من أن

(١) بدائع الصنائع ج ٣ ص ١٩٢ .



العدة تجب اظهارا للحزن بفوت نعمة النكاح وقد وجد وأنها شرطنا النكاح الصحيح لأن الله تعالى أوجبها على الأزواج ولا يصير زوجاً حقيقة إلا بالنكاح الصحيح وسواء كانت مسلمة أو كتابية تحت مسلم لعموم النص ولوجود المعنى الذى وجبت من أجله وسواء كانت حرة أو أمة أو مدبرة أو مكاتبه فإنه لا يختلف أصل الحكم لأن ما وجبت له لا يختلف (١). ولم أجد فى هذا كله خلافاً عند أهل العلم إلا ما كان من أمر الحنابلة من تفصيل فى ذلك يحسن ذكره وهو أن الرجل لومات عن امرأة نكاحها فاسد أن عليها عدة الوفاة وهو ما ذهب إليه القاضى من فقهاء الحنابلة وقد نص على ذلك أحمد فى رواية جعفر بن محمد واختارها أبو بكر وقدامها الأكثر لأنه نكاح يلحق بالنسب فوجبت به العدة كالصحيح وقال ابن حامد من الحنابلة لا عدة عليها للوفاة فى ذلك لأنه لا يثبت الحمل فلم يوجب العدة كالباطل (٢).

ومن المعلوم أن المنكوحه بنكاح باطل مجمع على بطلانه كنكاح القريبة من النسب ونكاح المحرمة بالمصاهرة أو الرضاع ونحو ذلك لا تجب عليها عدة الوفاة اجماعاً (٣). لأن الفقهاء مختلفون فى وجوب عدة الوفاة على الموطوءة بشبهة وأكثرهم على عدم وجوبها فإذا كان الأمر كذلك فعدم الوجوب فى النكاح الباطل أولى هذا ويشكل على قول الفقهاء القائلين بعدم وجوب العدة على الموطوءة بنكاح فاسد الحكم بوجوب عدة الطلاق على المدخول بها إذ أنه لا فرق بينها وبين المطلقة فى هذا المعنى فالمطلقة إذا كانت ممن تحيض فعدتها ثلاثة قروء وإذا لم تكن كذلك فعدتها ثلاثة أشهر وهذه مثلها إذا حصلت الخلوة والاصابة وإن كان بعدها قبل الاصابة فالمنصوص عند الحنابلة أن عليها العدة أيضاً لأنه اجرى مجرى الصحيح فى حقوق النسب فكذا فى العدة (٤). لكن يزول الاشكال إذا عرفنا أن عدة الوفاة إنما تجب على الزوجة دون غيرها وهو منصوص عليه فى الكتاب والسنة والمنكوحه بنكاح فاسد ليست بزوجة فى الحقيقة فلا تجب عليها عدة الوفاة وإنما وجبت عليها عدة الطلاق لما بينا من الدليل هذا فى العدة والأمر كذلك فى الإحداد والحنفية يستثنون الصغيرة والمجنونة والكتابية من ذلك فى حين أنهم يرون إيجاب العدة على الجميع وقد اسلفنا ما يتعلق بذلك قريباً .

(١) بدائع الصنائع ج ٣ ص ١٩٢، نهاية المحتاج ج ٧ ص ١٢٦، شرح الخرشى ج ٤ ص ١٤٣ .

(٢) المبدع ج ٨ ص ١١٥ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

## المطلب الرابع : في وجوب الحداد على المطلقة إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها من الطلاق :

المطلقة لا تحل من أحد أمرين أما أن تكون رجعية أو بائنا والبائن لا تحل من أن يكون طلاقها في صحة الزوج وإما أن يكون في حالة مرضه وطبقا لهذا التقسيم يكون الكلام في هذا المطلب ولهذا فقد رأيت أن يكون البحث في جانبين . أحدهما متفق عليه والآخر مختلف فيه .

فأما المتفق عليه فهو قسمان :

( أ ) الطلاق الرجعي .

(ب) البينونة في حالة الصحة .

وأما المختلف فيه فهو البينونة في حالة المرض وإليك تحرير المقام والله المستعان .

القسم الأول : من الجانب الأول عدة الرجعية إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها لا خلاف بين أئمة الفتوى في أن الرجعية إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها من الطلاق تنتقل من عدة الطلاق إلى عدة الوفاة فيكون ابتداء عدتها من حين وفاة زوجها ولا تعتد بالزمن الذي مضى قبل وفاته والحكم في الإحداد هو نفسه لأنه لا يوجد بوجود العدة وينعدم بعدمها وإنما قلنا بذلك لما يأتي :

(١) أن النكاح قائم بينهما بعد الطلاق الرجعي فكان منتهيا بالموت وبانتهاء النكاح بالموت يلزمها عدة الوفاة .

(٢) أن العدة بعد الطلاق الرجعي تكون بالحيض وهي لا يزول الملك بها إلا بعد تمامها وقد زال بالموت فعليها العدة التي هي من حقوق النكاح وهي عدة الوفاة<sup>(١)</sup> .

(٣) أن الرجعية زوجة يلحقها طلاقه وينالها ميراثه فتعتد للوفاة كغير المطلقة إذ الطلاق الرجعي لا يوجب زوال الزوجية وإنما تزول بالموت أو بالبينونة أو بخروج الرجعية من عدتها ومن المعلوم أن موت الزوج يوجب على زوجته عدة الوفاة لما بينا أكثر من مرة فوجب عدة الوفاة على الزوجة بعد الطلاق الرجعي لا يختلف عنه قبله ولهذا كله قال ابن المنذر أجمع كل من تحفظ عنه من أهل العلم على ذلك<sup>(٢)</sup> . وهو كما قال فإنني لم أجد خلافا بين أهل

(١) المبسوط ج ٦ ص ٣٩ ، مغنى المحتاج ج ٣ ص ٣٩٦ ، نهاية المحتاج ج ٧ ص ١٤٦ ، شرح الخرشى ج ٤ ص ١٤٦ .

(٢) المغنى ج ٧ ص ٤٧٢ .

العلم في أن المعتدة الرجعية تستأنف عدة الوفاة إذا مات زوجها في عدتها وتكون عدتها أربعة أشهر وعشراً .

**القسم الثاني :** من الجانب الأول في عدة المبتوتة إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها وكان الفراق بينهما في حالة الصحة إذا أبان الرجل زوجته في صحته ثم مات عنها قبل انقضاء عدتها لم تنتقل إلى عدة الوفاة وإنما تعدد عدة الطلاق لا أعلم في ذلك بين أهل العلم خلافاً وذلك لأن النكاح لم ينتهي بالوفاة هنا وإنما زال الملك بالطلاق والسبب الموجب لعدة الوفاة هو الموت لأن الله تعالى قال ﴿ويذرون أزواجاً﴾ وهذه ليست بزوجة له عند وفاته حتى لا ترث منه بالرجعية شيئاً ولا يلزمها عدة الوفاة أيضاً<sup>(١)</sup> فهي أجنبية منه في نكاحه وميراثه وتحل له أختها فلم تعدد لوفاته كما لو انقضت عدتها<sup>(٢)</sup> هذا ما يمكن أن نقوله في هذا الجانب وهو كما ترى متفق عليه بقسميه على ما بينا .

وأما الجانب المختلف فيه وهو في حكم عدة المبتوتة في حالة المرض إذا مات زوجها قبل عدتها فقد اختلف الفقهاء في هذا الجانب على قولين ونحن نذكر آراءهم وما استدل به كل فريق ونخلص إلى القول الراجح حسب الإمكان .

**القول الأول :** لأبي حنيفة وأحمد ومحمد بن الحسن وسفيان الثوري وهو أن زوج المبتوتة إذا طلقها في مرض موته ثم مات عنها قبل انقضاء عدتها تعدد أطول الأجلين من عدة الوفاة أو ثلاثة قروء<sup>(٣)</sup> . وعلى هذا القول يلزمها الإحداد لأنه تبع لعدة الوفاة وقد وجدت هاهنا وقد استدل أصحاب هذا القول بدليل عقلي وهو أن المبتوتة في مرض الموت ترث زوجها بعد وفاته وميراثها له بعد موته إنما كان بسبب الزوجية وكونه أبانها في مرض موته فهو متهم بحرمانها من الميراث فيلزمها عدة الوفاة كما لو طلقها طلاقاً رجعياً وهذا لأننا أعطيناها الميراث باعتبار أن النكاح بمنزلة القائم بينهما حكماً إلى وقت موته أو باعتبار إقامة العدة مقام أصل النكاح حكماً إذ لا بد من قيام السبب عند الموت لاستحقاق الميراث والميراث لا يثبت بالشك والعدة تجب بالشك وإذا جعل في حكم الميراث النكاح كالمتهى بالموت حكماً ففي حكم العدة أولى وسبب وجوب العدة عليها بالحيض متقرر حكماً فالزمنها الجمع بينهما<sup>(٤)</sup> .

**القول الثاني :** للمالك والشافعية وأبي يوسف من الحنفية وأبي ثور وأبي عبيد وابن

(١) المبسوط ج ٦ ص ٣٩، المغنى ج ٧ ص ٤٧٢، شرح الخرشى ج ٤ ص ١٤٦، نهاية المحتاج ج ٧ ص ١٤٦ .

(٢) البدع ج ٨ ص ١١٤ .

(٣) المغنى ج ٧ ص ٤٧٢، المبسوط ج ٦ ص ٤٣ .

(٤) المبسوط ج ٦ ص ٤٤ .

المنذروهوأن المبتوتة في مرض الموت تبقى على عدة الطلاق إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها ولا تستأنف عدة الوفاة<sup>(١)</sup>، وذلك لأن حكم النكاح انقطع بينهما بالطلاق وسبب وجوب عدة الوفاة انتهاء النكاح بالموت فإذا لم يوجد لا يلزمها عدة الوفاة كما لو كان الطلاق في صحته وإنما أخذت الميراث بحكم الفرار وذلك لا يلزمها عدة الوفاة بدليل المرتد إذا مات أو قتل على رده ترثه زوجته المسلمة وليس عليها عدة الوفاة لأن زوال النكاح كان برده لا بموته<sup>(٢)</sup>، ورد هذا بأن النكاح لما بقى في حق الأثر فبقائه في حق وجوب العدة أولى لأن العدة محتاط في إيجابها فكان قيام النكاح من وجه كافيا لوجوب العدة احتياطاً فيجب عليها الإعتداد أربعة أشهر وعشراً<sup>(٣)</sup>.

ولهذا نقول أن الراجح عندنا هو القول الأول لما بينا ولأن الزوج لما أبانها في مرض موته كان متهما بحرمانها من الميراث فيعاقب بنقيض قصده وهو توريثها من ماله بعد موته فدل على أن علاقة الزوجية لم تنقطع تماماً إذ لو كان الأمر كذلك لما كان لها حق في الميراث وانقطاع الزوجية بالموت لا خلاف فيه بين أئمة الفتوى فتجب عليها عدة الوفاة لهذا المعنى ويجب عليها الإحداد وكذلك لأن الإحداد تابع للعدة وإنما قال من قال بأن البائن تعتد في هذه الصورة بأطول الأجلين لأن البائن وارثة هنا على ما قلنا فيجب عليها أن تعتد للوفاة ومن حيث أنها مطلقة يجب عليها أن تعتد للطلاق فيجب أن تعتد بأطولهما ضرورة فإنها لا تخرج عن العهدة بيقين إلا بذلك<sup>(٤)</sup>. هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن الزوج المريض المطلق لومات عن زوجته بعد انقضاء عدتها بالحيض أو بالشهور أو بوضع الحمل أو كان طلاقه قبل الدخول لم تجب عليها العدة لموته وبالتالي لا يجب عليها الإحداد لأن الله تعالى قال ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾<sup>(٥)</sup>، قال تعالى : ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾<sup>(٦)</sup>، وقال تعالى : ﴿واللأئي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللأئي لم يحضن﴾<sup>(٧)</sup> فهذه الآيات كلها تبين عدة المطلقة بيانا شافيا وهي كما ورد في الآيات على ثلاثة أقسام : أما أن تكون مطلقة قبل الدخول وهذه لا عدة عليها، أما أن

(١) نهاية المحتاج جـ ٧ ص ١٤٦، مغنى المحتاج جـ ٣ ص ٣٩٦، شرح الخرشي جـ ٤ ص ١٤٦، والمغنى جـ ٧ ص ٤٧٢، المبسوط جـ ٦ ص ٤٣.

(٢) المبسوط جـ ٦ ص ٤٣.

(٣) بدائع الصنائع جـ ٣ ص ٢٠٠.

(٤) المبدع جـ ٨ ص ١١٤.

(٥) سبق تحريجها.

(٦) سورة البقرة «٢٢٨».

(٧) سورة الطلاق «٤».

تكون مطلقة بعد الدخول وهي ممن تحيض فعدتها ثلاثة قروء أو تكون آتسة أو صغيرة وهذه عدتها ثلاثة أشهر وقد أنقضت عدة طلاقها قبل وفاة زوجها فليس ثمة ما يدعو إلى إيجاب عدة الوفاة عليها لأنها أجنبية تحل للأزواج ويحل للمطلق نكاح أختها وأربع سواها فلم تجب عليها عدة موته كما لو تزوجت ولا يرد عليه ما قررناه قريبا وجوب عدة الوفاة على المطلقة إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها إذا لم يكن الطلاق في حالة الصحة لأنها لا تحل لغير مطلقها مادامت في عدتها وهذه بخلافها فإنها قد خرجت من عدتها وحل نكاحها لغير زوجها<sup>(١)</sup>.

### المطلب الخامس : في إحداد المتوفى عنها الحامل

عرفت قريبا أن الإحداد يجب على المتوفى عنها زوجها من وقت وفاة زوجها وهذا قول الجمهور وهو ينقضى في حق الحائل بمرور أربعة أشهر وعشراً كما تم ثبته آنفاً .

والأمر كذلك في الحامل فإن الحامل المتوفى عنها تحتسب لها مدة الإحداد من وقت وفاة زوجها وعلى هذا لا يكون فرقا بين الحائل والحامل في هذا المعنى إذ أن الإحداد تابع للعدة والعدة تبدأ من وقت الوفاة بيد أن الحامل تختلف عن الحائل في انقضاء العدة والإحداد فالحائل تحل للأزواج بعد مرور أربعة أشهر وعشرا على وفاة زوجها وليس الأمر كذلك في الحامل ، وعلى هذا نقول متى تنقضى عدة الحامل المتوفى عنها ؟ سؤال اختلفت في جوابه كلمة الفقهاء على قولين :

القول الأول : ذهب الجمهور ومنهم الأئمة الأربعة إلى أن عدة الحامل المتوفى عنها تنقضى بوضع حملها ولو كان ذلك بعد وفاة زوجها بمدة يسيرة وبالتالي لا يجب عليها الإحداد بعد وضع حملها لكون وجوب الإحداد تابعا لوجود العدة<sup>(٢)</sup> ، الاستدلال بهذا القول من أربعة طرق :

(١) طريق الكتاب . (٢) طريق السنة .

(٣) الآثار المروية عن بعض الصحابة . (٤) المعقول .

وإليك تحرير المقام في ذلك :

(١) الاستدلال بالكتاب : استدلال أصحاب هذا القول بقوله تعالى : ﴿وَأُولَاتُ

(١) المغنى ج ٧ ص ٤٧٢ .

(٢) تبيين الحقائق ج ٣ ص ٢٨ ، بدائع الصنائع ج ٣ ص ١٩٢ ، المغنى ج ٧ ص ٤٨٣ ، الخرشى ج ٤ ص ١٤٣ ، مغنى

المحتاج ج ٣ ص ٣٨٨ .

الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴿١﴾ . فالآية دليل على أن الحامل تنقضى عدتها بوضع حملها لأن الأجل المذكور في الآية هو العدة وهو معلق بغاية وهي وضع الحمل والآية شاملة بعمومها لكل حامل سواء كانت متوفى عنها أو مطلقة وفي هذا يسر بديع فإن الله تعالى حينما جعل الظرف الزمنى لعدة المتوفى عنها أربعة أشهر وعشراً أخرج من هذا العموم بدليل آخر عدة الحامل فتكون عدتها بوضع حملها وهو ما يعرف في علم الأصول بتخصيص العام والقول بقصرها على عدة الحامل المطلقة دعوى بلا دليل كما سيأتى .

(٢) وأما استدلالهم من السنة فقد استدلوا منها بما يأتى :

( أ ) ما روى الجماعة إلا أبا داود وابن ماجه عن أم سلمة : ( أن امرأة من اسلم يقال لها سبيعة كانت تحت زوجها فتوفى عنها وهي حبلى فخطبها أبو السنابل بن بعكك فأبت أن تنكحه . فقال والله ما يصلح أن تنكحى حتى تعتدى آخر الأجلين . فمكثت قريبا من عشر ليال ثم نفست ثم جاءت النبي ﷺ فقال إنكحى ) (٢) .

وللجماعة إلا الترمذى فى قصة سبيعة قالت : ( فأفتانى بأنى قد حللت حين وضعت حملى وأمرنى بالتزويج أن بدالى ) (٣) .

فهذا الحديث دليل على أن عدة الحامل المتوفى عنها تنقضى بوضع حملها وهو حديث صحيح لا كلام لأحد فى صحته وبانقضاء عدتها بوضع حملها يجوز نكاحها وهو ما صرح به فى الحديث فجواز نكاحها دليل على انقضاء عدتها وانقضاء عدتها دليل على عدم وجوب الإحداد عليها بعد وضع حملها فإن قيل الاستدلال بالحديث على محل النزاع فيه نظر وذلك لأمرين :

الأمر الأول : ما ورد فى قصة سبيعة نفسها من مخالفة ظاهرة لهذا الحديث وهى رواية صحيحة لا مطعن فى صحتها ولفظها عند البخارى كما ورد فى رواية يونس عن الزهري وهو ان عمر بن عبد الله بن الأرقم كتب إلى عبد الله بن عتبة يجبره أن سبيعة بنت الحرث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خوله فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب أن وضعت حملها فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من

(١) سورة الطلاق «٤» .

(٢) صحيح البخارى ج٧ ص٧٢ ، صحيح مسلم ج٤ ص١٤٨ ، سنن النسائى ج٦ ص١٩٦ ، جامع الترمذى ج٢ ص٣٣٢ ، وسنن ابن ماجه ج٧ ص٢٠٢ مسند أحمد ج٦ ص٤٣٢ .

(٣) المصادر السابقة وسنن أبى داود ج٢ ص٧٢٨ .

بنى عبد الدار فقال مالى أراك تجملت للخطاب ؟ فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشراً . قالت سبيعة : فلما قال لى ذلك جمعت علي ثيابى حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتانى بأنى قد حللت حين وضعت حملى وأمرنى بالتزويج(١) .

فظاهر هذه الرواية يخالف ما قبلها وذلك أن ما قبلها يفيد أنها مكثت قريباً من عشر ليال ثم جاءت النبى ﷺ وظاهر هذه الرواية يفيد أنها توجهت إلى النبى ﷺ فى اليوم الذى قال لها فيه أبو السنابل ما قال فإنها قالت جمعت علي ثيابى حين أمسيت وهذا يدل على أنها توجهت إلى النبى ﷺ فى اليوم نفسه فإذا كان الأمر كذلك فالحديث لا يكون دليلاً على محل النزاع وإنما يصر إلى الأدلة التى تخالفه كما سيأتى :

والجواب عن هذا الاعتراض بأن الجمع ممكن هنا وهو أولى لأن فيه أخذاً بالأدلة جميعاً وبيان ذلك هو أن نحمل هذه الرواية (وهى قولها حين أمسيت) على إرادة توجهها ولا يلزم منه أن يكون فى ذلك اليوم الذى قال لها فيه ما قال(٢) . بذلك تجتمع الأدلة ويحصل الأخذ بها جميعاً .

وما كان فى الصحيحين مقدم على غيره عند التعارض وعدم إمكان الجمع .

**الأمر الثانى :** اختلاف روايات هذا الحديث مما يجعل الناظر فيه يشك فى دلالة ذلك وأنه ورد بروايات مختلفة فى المبنى والمعنى . وفى رواية أنها ولدت قريباً من عشر ليال وفى رواية لأحمد فلم أمكث إلا شهرين حتى وضعت ، وفى رواية للبخارى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة ، وفى أخرى للنسائى بعشرين ليلة أو خمس عشرة ، وفى رواية للترمذى والنسائى فوضعت بعد وفاة زوجها بثلاثة وعشرين يوماً أو خمسة وعشرين يوماً ولا بن ماجه ببضع وعشرين ، وفى ذلك روايات أخر مختلفة(٣) .

والجواب عن ذلك ما ذكره ابن حجر فى الفتح بعد ذكر هذه الروايات حيث قال (والجمع بين هذه الروايات متعذر لاتحاد القصة ولعل هذا هو السر فى إبهام من إبهام المدة إذ محل الخلاف أن تضع لدون أربعة أشهر وعشراً وهو هنا كذلك فأقل ما قيل فى هذه الروايات نصف شهر وأما ما وقع فى بعض الشروح أن فى البخارى رواية عشر ليال وفى رواية الطبرى

(١) سبق تخريجه .

(٢) نيل الأوطار ج ٦ ص ٣٢٣ ، فتح البارى ج ٩ ص ٤٧٣ .

(٣) المصدرين السابقين .

ثمان أو سبع فهو في مدة إقامتها بعد الوضع إلى أن استفتت النبي ﷺ لا في مدة بقية الحمل وأكثر ما قيل فيه بالتصريح شهرين وبغيره دون أربعة أشهر<sup>(١)</sup>.

(٢) ما رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : (كنت أنا وابن العباس وأبو هريرة فجاء رجل فقال : افتنى فى امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة . فقال ابن عباس : تعتد آخر الأجلين . وقلت أنا : وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن . قال ابن عباس : ذلك فى الطلاق . وقال أبو سلمة أرايت لو أن امرأة تأخر حملها سنة فما عدتها . قال ابن عباس : آخر الأجلين . قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخى يعنى أبا سلمة فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة يسألها هل مضت فى ذلك سنة ؟ فذكرت أن سبعة الأسلمية وضعت بعد موت زوجها بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> .

(٣) كما أخرجه ابن أبى شيبه وعبد بن حميد وابن مردويه من حديث أبى السنابل أن سبعة وضعت بعد موت زوجها بثلاث وعشرين يوما فقال ﷺ : «قد حل أجلها»<sup>(٣)</sup> .

(٤) ما روى البخارى أن عبد الله بن عبد الله أخبره عن أبيه أنه (كتب إلى ابن الأرقم أن يسأل سبعة الأسلمية كيف أفتاها النبي ﷺ فقالت إذا وضعت أن انكح)<sup>(٤)</sup> .

(٥) روى البخارى عن المسور بن مخرمة (أن سبعة الأسلمية نفست بعد وفاة زوجها بليل فجاءت النبي ﷺ فاستأذنته أن تنكح فأذن لها فنكحت)<sup>(٥)</sup> .

فهذه الأحاديث قاضية بأن عدة الحامل المتوفى عنها لها غاية وهى وضع حملها فهل لأحد أن يقول بخلاف ما دلت عليه هذه النصوص الصحيحة الصريحة التى تفيد بمنطوقها ومفهومها ما يفيد ظاهر الكتاب وهو انقضاء عدة الحامل المتوفى عنها بوضع حملها .

### (٣) الآثار :

وأما الآثار المروية عن بعض الصحابة التى تفيد هذا المعنى فنورد منها ماأتى :

(١) ما روى عن ابن مسعود (أنه بلغه أن عليا يقول تعتد آخر الأجلين فقال من شاء لاعتته أن الآية التى فى سورة النساء الصغرى نزلت بعد سورة البقرة بكذا وكذا شهر .

(١) فتح البارى ج ٩ ص ٤٧٣ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) نيل الأوطار ج ٦ ص ٣٢٥ .

(٤) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٩ ص ٤٦٩ .

(٥) المصدر السابق .



(٢) أخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود أيضا (أن سورة النساء الصغرى نسخت ما في البقرة) .

(٣) أخرج ابن مردويه عنه أن سورة النساء الصغرى نسخت كل عدة .

(٤) أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري . قال : (نزلت سورة النساء الصغرى بعد التي في البقرة بسبع سنين)<sup>(١)</sup> .

فهذه الآثار مصرحة بأن قوله تعالى ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ عامة في جميع العِدَدِ وأن عموم آية البقرة مخصص بها وهو المراد بالنسخ المذكور في الآثار المذكورة وليس المراد النسخ الإصطلاحى وهو إزالة الحكم الأول وتبديله بحكم آخر بل المراد التخصيص على ما بينا .

(٤) وأما استدلالهم بالمعقول فمن وجهين :

الوجه الأول : أن المعتدة المطلقة تنقضى عدتها بوضع حملها إذا كانت حاملا إجماعاً فكذا المتوفى عنها قياسا عليها لأن العدة إنما شرعت في الأصل لمعرفة براءة رحمها من الحمل ووضعه أدل الأشياء على البراءة منه فوجب أن تنقضى العدة .

الوجه الثانى : أنه لا خلاف بين (أهل العلم في بقاء العدة والمرأة حاملا فإذا كان الأمر كذلك فينبغى أن تنقضى العدة بوضعه كما لو كانت الحامل المطلقة)<sup>(٢)</sup> .

القول الثانى مروى عن على وابن عباس وابن مسعود وأبى السنابل وعبد الرحمن بن أبى ليلى وسحنون من المالكية أن المتوفى عنها الحامل لا تنقضى عدتها بوضع حملها وإنما تعتد أطول الأجلين ومعناه أنها إن وضعت قبل مضى أربعة أشهر وعشر تربصت إلى انقضائها ولا تحل بمجرد الوضع وإن انقضت المدة قبل الوضع تربصت إلى الوضع على اختلاف في نسبة هذا القول إلى هؤلاء وأئمة الاعلام .

وتحرير المقام في ذلك ما ذكره ابن حجر في الفتح وهو أن هذا القول ثابت عن على رضى الله عنه باسناد صحيح كما أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وليس كما ذكر بعض الفقهاء من أنه مروى عن على باسناد منقطع .

(١) أنظر هذه الآثار في نيل الأوطار ج ٦ ص ٣٢٥ .

(٢) أنظر المغنى ج ٧ ص ٤٧٤ .

أما ابن عباس فالذى يظهر أنه رجع عن هذا القول بحققة أن المنقول عن تلاميذه وفاق الجماعة في ذلك .

كذلك عبد الله ابن مسعود رجع عن قوله أولاً إلى قول الجماعة كما تم ثبته قريباً فإنه قال من شاء باهله (أى لاعتته) في أن سورة النساء الصغرى نزلت بعد سورة البقرة .  
والأمر كذلك عن أبى السنابل فإنه يظهر من مجموع الطرق في قصة سبيعة أنه رجع عن فتواه أولاً<sup>(١)</sup> .

ولو فرض أن هؤلاء قالوا كلهم بهذا القول ولم يرجع منهم أحد فلا حجة إلا فيما نقل عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير .

وأما ما روى عن سحنون من فقهاء المالكية فقد رده ابن حجر في الفتح بأنه شذوذ مردود لأنه أحداث خلاف بعد استقرار الاجماع<sup>(٢)</sup> .

وحجة من قال بأن الحامل المتوفى عنها زوجها تعتد أطول الأجلين هو الحِرْصُ على العمل بالآيتين اللتين تعارض عمومهما فقوله تعالى ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ عام في كل من مات عنها زوجها يشمل الحامل وغيرها - وقوله تعالى ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ عام أيضاً يشمل المطلقة والمتوفى عنها - فجمع أولئك بين العمومين بقصر الثانية على المطلقة بقريظة ذكر عدد المطلقات كالأيسة والصغيرة قبلها ثم لم يهملوا ما تناولته الآية الثانية من العموم لكن قصره على من مضت عليها المدة ولم تضع فكان تخصيص بعض العموم أولى وأقرب إلى العمل بمقتضى الآيتين من الغاء أحدهما في حق بعض من شمله العموم<sup>(٣)</sup> .

والجواب عن هذا الاستدلال من وجوه :

**الوجه الأول :** ما ذكره القرطبي بعد ما ذكر ما في المسألة من خلاف حيث قال بعد إيراد دليل المخالفين للجمهور (والجمع أولى من الترجيح باتفاق أهل الأصول وهذا نظر حسن لولا ما يُعكر عليه من حديث سبيعة الأسلمية وأنها نِفست بعد وفاة زوجها بليال وأنها ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأمرها أن تتزوج فيين بالحديث أن قوله تعالى ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ محمول على عمومته في المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن فتكون

(١) أنظر فتح الباري ج ٩ ص ٤٧٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) فتح الباري المصدر السابق .

عدتهن بوضع الحمل ويعتقد هذا بقول ابن مسعود من شاء باهله أن آية النساء الصغرى نزلت بعد آية عدة الوفاة وليس الأمر كما زعم بعض من زعم من أن كلام ابن مسعود يفيد أن آية الطلاق ناسخة لآية البقرة وإنما يعنى كلام ابن مسعود أن آية الطلاق مخصصة لآية البقرة فإنها أخرجت منها بعض ما تناولتها وكذلك حديث سبيعة متأخر عن عدة الوفاة لأن قصة سبيعة كانت بعد حجة الوداع وزوجها هو سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وهو ممن شهد بدرًا وتوفى بمكة حينئذ وهى حامل وهو الذى رثى له رسول الله ﷺ من أن توفى بمكة<sup>(١)</sup>.

فكلامه يفيد أن عموم آية البقرة مخصوص بقوله تعالى ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ لا منسوخا بدليل قصة سبيعة المتفق على صحتها وتخصيص العام وتقييد المطلق أمر شائع عند الأصوليين ولا ضرورة هنا للجمع وهو ما اعتمده أصحاب القول الثانى لأنه تعارض بين النصوص فهذا عام وهذا مخصص فيحمل العام على الخاص ويخرج من عمومه ما دل عليه هذا الخاص .

أضف إلى هذا ما قاله أبو عمر بن عبد البر تعقيبا على هذه المسألة (لولا حديث سبيعة لكان القول ما قال على وابن عباس لأنهما عدتان مجتمعتان بصفيتين وقد اجتمعتا فى الحامل والمتوفى عنها زوجها فلا تخرج من عدتها إلا بيقين واليقين آخر الأجلين<sup>(٢)</sup>).

الوجه الثانى : لو سلمنا بوجود التعارض وعدم التخصيص لم نسلم بأن آية البقرة عامة لأنه تقرر فى الأصول أن الجموع المنكرة لا عموم فيها وآية البقرة من ذلك القبيل فلا اشكال .

الوجه الثالث : لو سلمنا بالعموم وسلمنا بالتعارض وعدم التخصيص لم نسلم بأن عدة الحامل المتوفى عنها لا تنقضى بوضع حملها بدليل آخر وهو ما تفيدته الأحاديث الصحيحة الصريحة فإنه لا يمكن التخلص منها بوجه من الوجوه<sup>(٣)</sup> .

هذا ما يمكن أن يجاب به عن هذا الاستدلال والحق صراح لا غبار عليه وإن اشتبه أحيانا فى بعض المسائل الفرعية لتكافؤ الأدلة إلا أن هذا المعنى لا يوجد هنا ولهذا فإن الراجع عندنا هو القول الأول لما ذكرنا من الكتاب والسنة والأثار المروية عن بعض الصحابة

(١) أنظر الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ١٧٥ .

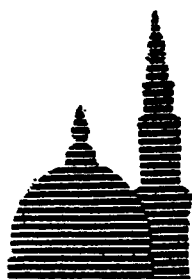
(٢) فتح البارى ج ٩ ص ٤٧٤ .

(٣) نيل الأوطار ج ٦ ص ٣٢٥ .

والمعقول وقصة سبيعة نص في هذا المعنى وهي قصة صحيحة ثابتة في الصحيحين وغيرهما وهي كافية في الاستدلال لو لم يوجد غيرها زد على هذا أن أئمة الفتوى أجمعوا على أن المطلقة الحامل تنقضى عدتها بوضع حملها فأى فرق بين هذه وتلك ؟ . وأيضا مما يرجح مذهب الجمهور أن الآيتين وإن كانتا عامتين من وجه خاصتين من وجه فكان الإحتياط أن لا تنقضى العدة إلا بآخر الأجلين لكن لما كان المعنى المقصود الأصلي من العدة براءة الرحم ولا سيما فيمن تحيض فإنه يحصل المطلوب بالوضع وهو ما دل عليه حديث سبيعة ويقويه قول ابن مسعود في تأخر نزول آية الطلاق عن آية البقرة (١).

وكذلك يترجح مذهب الجمهور بما روى عن أبي بن كعب قال قلت يارسول الله وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن للمطلقة ثلاثا وللمتوفى عنها زوجها فقال هي للمطلقة وللمتوفى عنها زوجها رواه أحمد والدارقطنى .

فهذا الحديث نص في محل النزاع وهو موافق لما تم ثبته قريبا من الأحاديث القاضية بأن عدة الحامل على المتوفى عنها تنقضى بوضع حملها بل هو أدل على محل النزاع لأنه جواب عن سؤال السائل فالمقام مقام بيان وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز .



(١) فتح البارى ج ٩ ص ٤٧٤ .

# نظام الإثبات في الفقه الإسلامي

للدكتور عوض عبد الله أبو بكر  
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

دراسة مقارنة

- ٥ -

الإثبات بالكتابة :

تأتي أهمية الكتابة لكونها وسيلة كبرى من وسائل المعرفة، وأداة هامة لتبليغ المعاني، وتقدم بما تقدم به الألفاظ في بيان المقاصد والأهداف. ولعله لا يخفى على عاقل أهمية الكتابة واعتماد الأمة عليها في دينها ودنياها .

فقد اعتمد خيار هذه الأمة وسلفها من الصحابة الكرام على الكتابة، فوافقوا مجتمعين على تدوين كتاب الله عز وجل الذي هو شرع هذه الأمة ودستورها. كما أن المصدر الثاني من التشريع وهو سنة رسول الله ﷺ قد نقل إلينا مكتوبا حفظته كتب السنن. وصدق الإمام ابن القيم - رحمه الله حين قال : (ولولم يعتمد على ذلك - أى الكتابة - لضاع الإسلام اليوم، وسنة رسول الله ﷺ، فليس بأيدي الناس - بعد كتاب الله - إلا هذه النسخ الموجودة من السنن، وكذلك كتب الفقه الاعتماد فيها على النسخ)<sup>(١)</sup>.

ومن عناية الشارع الكريم بالكتابة جعلها وسيلة لإثبات الحقوق، حيث أرشد المولى عز وجل إلى كتابة الحقوق في أطول آية في القرآن وهي آية الدين، فقال : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ، وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ، وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، فَلْيَكْتُبْ وَلِيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيهِ بِالْعَدْلِ . . . الآية﴾ (البقرة: ٢٨٢).

فإذا كانت هذه الأمة قد أرشدت إلى كتابة الدين وأمرت بتوثيقه، لكون ذلك أحفظ

(١) الطرق الحكمية ص ٣٠٠ .

للمال، وقاطعا لطريق انكاره، فلننظر إلى أى مدى أخذ الفقهاء بهذا الأمر، فهل حملوه على الوجوب بحيث لا يصح إثبات الدين إلا بالكتابة والأشهاد عليه، أم هذه للندب والإرشاد فيجوز ترك الكتابة عند أئتمان المدين والثوق بصدقه؟

(١) ذهب فريق من الفقهاء إلى أن كتابة الديون الآجلة والأشهاد عليها قد كانا واجبين بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ فَأَكْتَبُوهُ﴾ ولكن قد نسخ الله هذا الوجوب بقوله تعالى في الآية التي تليها: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ... الآية﴾ (البقرة: ٢٨٣). روى هذا القول عن الشعبي والحسن<sup>(١)</sup>.

(٢) قال آخرون: هذه الآية محكمة ولم ينسخ منها شيء، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «لا والله آية الدين محكمة، وما فيها نسخ». وعن أبي بردة عن أبي موسى قال: «ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم، رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل أعطى ماله سفيها وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ (النساء: ٥)، ورجل له على رجل دين فلم يشهد عليه». قال الجصاص: قال أبو بكر: وقد روى هذا الحديث مرفوعا إلى النبي ﷺ.

وروى عن الضحاك عن الذي لم يكتب دينه الآجل ولم يشهد عليه: إن ذهب حقه لم يؤجر وأن دعا لم يجب لأنه ترك حق الله وأمره.

وقال سعيد بن جبير: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾. (البقرة: ٢٨٢). يعنى أشهدوا على حقوقكم إذا كان فيها أجل أو لم يكن أجل، فأشهد على حقك على كل حال<sup>(٢)</sup>.

فعلى قول هؤلاء فإن الأمر هنا محمول على الوجوب ولا بد للدائن من إثبات دينه كتابة إذا كان الدين مؤجلا، فإن لم يكتبه فقد خالف أمر الله الوارد في الآية، وضيع حقه بتفريطه في التوثيق لماله. ولا وجه لمطالبته عند إنكار مدينه للدين لأنه ما أعد عدته لهذا الإنكار.

(٣) وهذا هو قول الجمهور: إن الأمر بالكتابة في قوله تعالى: ﴿فَأَكْتَبُوهُ﴾ والأمر بالأشهاد في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ وفي ﴿وَاسْتَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ لا يخلو من أن يكون موجبا لكتابة الديون الآجلة والأشهاد عليها حال نزولها، وكان

(١) أحكام القرآن للجصاص ٤٨١/١.

(٢) تفسير القرطبي ٣٨٣/٣، أحكام القرآن للجصاص ٤٨١/١.

هذا حكما مستقرا ثابتا إلى أن نسخ إيجابه بقوله تعالى : ﴿فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته﴾ ، أو يكون نزول الجميع معا ، فإن كان كذلك فليس جائزا أن يكون المراد بالكتابة والأشهاد الايجاب لامتناع ورود النسخ والمنسوخ معا في شيء واحد ، إذ غير جائز نسخ الحكم قبل استقراره .

ولما لم يثبت تاريخ نزول هذين الحكمين - الأمر بالكتابة والأشهاد - وقوله تعالى : ﴿فإن أمن بعضكم بعضا﴾ وجب الحكم بورودهما معا ، فلم يرد الأمر بالكتابة والأشهاد إلا مقرونا بقوله تعالى : ﴿فإن أمن بعضكم بعضا﴾ فثبت بذلك أن الأمر بالكتابة ليس للوجوب إنما هو للندب أى تندب الكتابة .

أما قول ابن عباس رضى الله عنهما : (أن الآية محكمة ولم ينسخ منها شيء) ، فلا دلالة فيه على أنه يرى وجوب الكتابة والأشهاد إنما يريد أن الجميع قد ورد معا ونسق التلاوة يقتضى أن يكون ذلك مندوبا وهو ورود قوله تعالى : ﴿فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته﴾ .

وكذلك ما روى عن أبي موسى : ثلاثة لا يستجاب لهم من له على رجل دين فلم يشهد عليه ، فلا دلالة فيه أيضا على وجوب الكتابة والأشهاد لأنه قد ذكر معه من له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ولا خلاف في أن ذلك ليس بواجب ، بل يقال أنه تارك للأحتياط والتوصل إلى ما جعل الله له فيه المخرج والخلاص .

ويؤيد صحة مذهب الجمهور في ندب الكتابة وعدم الوجوب أنه لم تنقل إلينا كتابة الصحابة والتابعين وسلف الأمة لديونهم أو بيوعهم أو عقودهم مع حاجتهم لها ، لم ينقل نكيرهم أو اعتراضهم على من ترك الكتابة ، فلو كانت الكتابة واجبة لنقل ذلك نقلا مستفيضا ولتواتر إنكارهم على تاركها . فدل عدم النقل وعدم إظهار النكير على آية الكتابة ليست واجبة إنما ورد الأمر في هذه الآية للندب والاحتياط حتى لا يقع جحود أو نسيان<sup>(١)</sup> .

### حجية الكتابة في الإثبات :

إذا كنا قد تناولنا آراء الفقهاء في كتابة الديون من حيث الوجوب وعدمه ، ورأينا أن البعض يرى الوجوب والبعض الآخر يرى نسخ الوجوب ، والجمهور يرى ندب الكتابة من غير نسخ ، فهل تكفى الكتابة دليلا في الإثبات ، وما قيمة السند المكتوب وما مدى حجيته

(١) أحكام القرآن للجصاص ٤٨٢/١ ، تفسير القرطبي ٣/٣٨٣ .

على ما دون فيه ؟ وهل يحكم القاضى بما هو مسطور فى السند متى ما رفع إليه سند يتضمن  
حقا من الحقوق وليس عليه أن يقبل أى طعن فى صحته وصحة ما حمله السند ؟ .

لاشك أن الكتابة المشار إليها فى الآية الكريمة أصبحت مستندا خطيا لأن المكتوب  
يحوى إقرارا بما تضمنه السند موقعا عليه من المدين المقر وبشهادة كاتب السند أو الشهود  
الذي وقعوا على صحة إقرار المدين بالسند وعليه فإن حجية السند هنا تأتى من توقيع المقر  
والاشهاد فقويت دلالة على الحق ، ولاشك أن الفقهاء عاملوا الإقرار بالكتابة معاملة الإقرار  
باللسان سواء بسواء .

غير أننا نلاحظ خلافا بين الفقهاء فى قبول الكتابة كدليل إثبات للحقوق ، والذي  
يبدولى من أغلب عباراتهم أنهم يقصدون المكتوب الذى لم يشهد عليه كإقراره بدين أو بحق  
لآخر بخط يده ، أو كتابته لهبة لم يشهد عليها ، وكذلك الأوراق التى لا تصدر من جهة  
رسمية ، فإن بعض الفقهاء يرون أن مثل هذه المكاتيب لا يثبت القاضى بها ما تضمنته من  
حقوق لعدم تيقن صدورها من المنسوبة إليه ولإمكان تزوير الخطوط .

وقد أبرز ابن القيم رحمه الله هذا الخلاف فى كتابه الطرق الحكيمية فى فصل (الطريق  
الثالث والعشرون - الحكم بالخط المجرد) ومن أقواله فى ذلك :

(أن يرى القاضى حجة فيها حكمه لإنسان ، فيطلب منه امضاء والعمل به فقد  
اختلف فى ذلك ، فعن أحمد ثلاث روايات ، أحدها : أنه إذا تيقن أنه خطه نفذه وإن لم  
يذكره ، والثانية : أنه لا ينفذه حتى يذكره ، والثالثة : أنه إذا كان فى حرزه وحفظه نفذه والا  
فلا .)

(والمشهور من مذهب الشافعى أنه لا يعتمد على الخط لا فى الحكم ولا فى الشهادة ،  
وفى مذهبه وجه آخر أنه يجوز الاعتماد عليه إذا كان محفوظا عنده كالرواية الثالثة عن أحمد .)  
(وأما مذهب أبى حنيفة ، فقال الخفاف ، قال أبو حنيفة : إذا وجد القاضى فى ديوانه  
شيئا لا يحفظه - كإقرار الرجل بحق من الحقوق - وهو لا يذكر ذلك ولا يحفظه ، فإنه لا يحكم  
بذلك ولا ينفذه حتى يذكره .)

(وأما مذهب مالك فقال فى الجواهر : لا يعتمد على الخط إذا لم يذكره لإمكان التزوير  
عليه .)

(وقال إسحاق بن إبراهيم : قلت لأحمد : الرجل يموت وتوجد له وصية تحت رأسه  
من غير أن يكون أشهد عليها أو أعلم بها أحدا ، هل يجوز إنفاذ ما فيها ؟ قال : إن كان قد



عرف خطه وكان مشهور الخط فإنه ينفذ ما فيها .)

(قال القاضي : وثبوت الخط في الوصية يتوقف على معاينة البينة أو الحاكم لفعل الكتابة لأنها عمل ، والشهادة على العمل طريقها الرؤية .)

(وأجاز مالك الشهادة على الخطوط . . . . . وذكر ابن شعبان عن ابن وهب أنه قال : لا آخذ بقول مالك في الشهادة على الخط ، وقال الطحاوي خالف مالك جميع الفقهاء في ذلك وعدوا قوله شذوذاً<sup>(١)</sup> .

يظهر من هذا النقل أن بعض الفقهاء يتخرجون من الإثبات بالكتابة ويرون أنها لا تصلح دليلاً يعتمد عليه ، وكما قدمت أن الشبهة التي يعتمد عليها هذا الفريق من الفقهاء في رد الدليل الكتابي هي تشابه الخطوط وإمكان محاكاتها وتزويرها ، ولذا يجب على القاضي ألا يبنى حكمه على مجرد الخط . ولعل هؤلاء يدور بخلداهم قصة عثمان رضى الله عنه والفتنة التي أدت إلى مقتله ، فإن المتسببين في قتله - كما يحكى لنا التاريخ الإسلامى - قد صنعوا مثل خاتمه وكتبوا مثل كتابه فكان ما كان .

غير أن أدلة هؤلاء المانعين للإثبات بالكتابة تضعف تماماً أمام الحجج الواضحة التي أوردها المجيزون للإثبات بالكتابة والتي تقوم - زيادة على ما قدمنا من نذب الله عز وجل لكتابة الديون بسبب القرض أو بسبب عقد مالى - على :

أولاً : ان النبي ﷺ كان يبعث بكتبه ورسائله إلى الملوك وغيرهم وتقوم بها حجته ، وفي الجامع للبخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قالوا : انهم لا يقرأون كتاباً إلا محتوماً ، فاتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة كأنى أنظر إلى وبيصه ونقشه محمد رسول الله<sup>(٢)</sup> .

ثانياً : عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ما حق أمرىء مسلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده »<sup>(٣)</sup> .

قال ابن القيم : ولولم يجز الاعتماد على الخط لم تكن لكتابة وصيته فائدة<sup>(٤)</sup> .

(١) الطرق الحكمية ص ٢٩٩-٣٠٥ .

(٢) صحيح البخاري ٢٣٧/٤ (كتاب الأحكام - باب الشهادة على الخط) .

(٣) صحيح البخاري ١٢٤/٣ (كتاب الوصايا) .

(٤) الطرق الحكمية ص ٣٠١ .

ثالثا : كتب النبي ﷺ إلى أهل خيبر، إما أن يدوا صاحبكم وإما أن تؤذنوا بحرب<sup>(١)</sup>.

رابعا : اجماع أهل الحديث على اعتماد الراوى على الخط المحفوظ عنده وجواز التحديث به، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الشذوذ<sup>(٢)</sup>.

خامسا : اعتماد فقهاء هذه الأمة وأئمتها على الكتابة في حفظ السنة والفقهاء، وقد تقدم قول ابن القيم في ذلك .

وفي نظري أن هذا القول هو الصواب وهو الأرفق بالناس في معاملاتهم واقضيتهم ولأن الكتابة تدل على المقصود كدلالة الألفاظ، ولأن هذا القول هو الذى اختاره حذاق الأئمة كما هو ظاهر من النقول .

### كيفية الإثبات بالكتابة :

إن كنا قد انتهينا إلى جواز الإثبات بالكتابة بناء على القول الغالب عند الفقهاء وتسهيلا على الناس، فإن هذا الجواز لم يجعل من الكتابة دليلا يمنع أو يحد من قوة غيرها من الأدلة كما ذهب بعض القانونيين . فرجال القانون الوضعى قد انتهوا إلى وجوب الإثبات بالكتابة في بعض الحقوق، ولا يجوز الإثبات إلا عن طريقها، ومنعوا الإثبات بشهادة الشهود في هذه الحقوق، مقيدين بذلك طريق الإثبات بالشهادة، وجعلوا حجية الكتابة أقوى من حجية الشهادة . ورجال القانون إن كانوا قد عذروا أنفسهم في هذا المسلك بدعوى انتشار شهادة الزور مما أدى إلى الفوضى في ساحات العدالة، فإن الفقه الإسلامى لم يكن بحاجة لمثل هذا التصرف وهذا التقييد مادام منهجه تربية الفرد، وغرس روح الأمانة والمراقبة لله عز وجل بحيث تدرج هذه المراقبة على أفعاله كلها فيكون بذلك بعيدا عن تهمة التزوير . ثم إن هذا المحذور الذى أدى تقييد الشهادة عند القانونيين لا يؤمن دخوله في الكتابة والمستندات الخطية، وما كان إنكار المانعين للإثبات بالكتابة إلا لتخوفهم من الغش والتزوير .

بقى لنا الآن أن نرى كيف يكون اعتداد الفقهاء بالمستندات المكتوبة في الإثبات . فإذا نظرنا إلى كتابات الفقهاء - المتقدمين منهم والمعاصرين - في الأدلة الكتابية نجدهم يقسمونها إلى قسمين رئيسيين :

(١) صحيح البخاري ٢٣٧/٤ (كتاب الأحكام - باب الشهادة على الخط) .

(٢) الطرق الحكمية ص ٣٠١، وأنظر المستصفي للغزالي ١٦٦/١ .

## القسم الأول : المستندات الصادرة من دائرة رسمية :

وهي تلك التي يثبت بها موظف عام أو شخص مكلف بخدمة عامة ما تم على يديه أو ما تلقاه من ذوى الشأن وذلك طبقاً للقواعد المرعية وفي حدود سلطته أو ولايته أو اختصاصه . ولذلك فإن أهم ما يشترط للسند الرسمى مايلي :

(١) أن يكون تحريره بمعرفة موظف عمومي أو جهة رسمية .

(٢) أن يكون ذلك الموظف أو تلك الجهة الرسمية مختصة بتحرير مثل هذا السند وفي حدود سلطتها أو ولايتها .

(٣) أن يكون تحرير هذا السند قد تم بحسب القواعد الموضوعة له<sup>(١)</sup> .

ومثال المستندات الرسمية : صور الأحكام التي تستخرجها المحكمة ممهورة بامضاء القاضى وختم المحكمة، وثائق الزواج والطلاق، شهادات الميلاد، صكوك الأراضى وعقودها المستخرجة من سجلات مصلحة الأراضى، مخالصات مصلحة الضرائب وصندوق الزكاة وغير ذلك من المستندات التي تستخرج من الجهات المختصة معتمدة بختمها وامضاءها .

والورقة الرسمية حجة على ما تضمنته من حقوق وبيانات مادامت قد استوفت الشروط المتقدمة، ولذلك لا يقبل إنكار ما جاء فيها إذ أن الجهة الرسمية لا تستخرج هذا السند إلا إذا توثقت من صحة بياناته بالتحرى الدقيق أو بشهادة الشهود أو بالرجوع إلى سجلاتها .

ونستدل لهذا القول من كتب السابقين ما ورد عنهم في كلامهم عن كتاب القاضى إلى القاضى أو الحاكم إلى عماله فإنه يكون حجة وكذلك يكون حجة ما يصدره القضاة من أوراق للخصوم تتضمن الحكم الذى أصدره في قضاياهم وغير ذلك . ومن هذه الأقوال : يقول البخاري في صحيحه «باب الشهادة على الخط المختوم وما يجوز من ذلك وما يضيق منه وكتاب الحاكم إلى عامله والقاضى إلى القاضى . وقال بعض الناس : كتاب الحاكم جائز إلا فى الحدود، قال : وإن كان القتل، فالخطأ والعمد واحد، لأنه مال بزعمه وإنما صار مالا بعد أن ثبت القتل، فالخطأ والعمد واحد . وقد كتب عمر إلى عامله فى الحدود، وكتب عمر بن عبد العزيز فى سن كسرت .

(١) أصول المرافعات الشرعية : أنور العمروسى فقهه ٣١٨، علم القضاء : أحمد الحصرى ٤٨/١ .

وقال إبراهيم كتاب القاضى إلى القاضى جائز إذا عرف الكتاب والخاتم . وكان الشعبى يجيز الكتاب المختوم بما فيه من القاضى ، ويروى عن ابن عمر نحوه . وقال معاوية بن عبد الكريم الثقفى شهدت عبد الملك بن يعلى قاضى البصرة وإياس بن معاوية والحسن وثامة بن عبد الله بن أنس وبلال بن أبى بردة وعبد الله بن بريدة الأسلمى وعامر بن عبيدة وعباد بن منصور يجيزون كتب القضاة بغير محضر الشهود ، فإن قال الذى جىء عليه بالكتاب أنه زور قيل له أذهب فالتمس المخرج من ذلك . (١)

ويقول ابن القيم : (وقال أبو يوسف / محمد : ما وجد القاضى فى ديوانه من شهادة شهود شهدوا عنده لرجل على رجل بحق ، أو إقرار رجل لرجل بحق ، والقاضى لا يحفظ ذلك ولا يذكره فإنه ينفذ ذلك ويقضى به إذا كانت تحت خاتمه محفوظا ، ليس كل ما فى ديوان القاضى يحفظه) (٢) .

هذا ، وقد عقد صاحب جامع الفضولين فصلا فى حجية المحاضر الرسمية للقضاة والصور المستخرجة منها إذا كانت موقعة بختم القاضى وامضائه ، وبين أن محاضر القضاة وما دون فيها من أقوال الخصوم وسماع الشهود ومنطوق الحكم تكون حجة ، وكذلك الصورة التى يستخرجها القاضى من سجلات المحكمة تتضمن حكم قاض آخر فى دعوى من الدعوى (٣) .

يظهر من كلام الفقهاء أن إنكار الورقة الرسمية لا يقبل ، غير أنه إذا طعن فى الورقة الرسمية بالتزوير ، وقال إنهم قد زوروا توقيعه أو توقيع القاضى أو ختم جهة الاختصاص ، فللقاضى أن يحيل الأوراق إلى جهة الاختصاص أو أهل الخبرة للمضاهاة والافادة بصحة الورقة أو التزوير . وهل يحكم القاضى بقول أهل الخبرة أن المستند صحيح ؟ قيل لا يحكم لكون شهادتهم ليست شهادة على الحق ، وقيل يحكم بذلك (٤) . وعندى أن السير فى الدعوى يتوقف على مدى اقتناع القاضى بصحة السند استثناسا بقول أهل الخبرة ، ومدى قوة السند وأثره على الدعوى .

### القسم الثانى : المستندات العرفية :

والمستندات العرفية هى الأوراق والمستندات التى لم تصدر من دائرة رسمية أو موظف

(١) صحيح البخارى ٤/٢٣٧ . (كتاب الأحكام) .

(٢) الطرق الحكيمية ص ٢٩٩ .

(٣) جامع الفضولين ١/٣٢٥ وما بعدها .

(٤) علم القضاء : أحمد الحصرى ١/٤٨ وما بعدها .

مختص ، وهى ككتابة المقر بخط يده أن لفلان عليه كذا ، أو كتابة الوصية بخط الموصى من غير أن يشهد على وصيته ، وكذلك هبته لأخر من غير أن يقوم بتسجيل الهبة ، ومن ذلك أيضا أن يجد الوارث فى دفتر مورثه أن له عند فلان كذا ، ومنه أيضا دفاتر التجار التى تبين تعاملهم ودائنيهم ومدينيهم .

والورقة العرفية حجة فيما تضمنته ، ويجوز للقاضى أن يحكم بمقتضاها ، فهى كالإقرار بالكتابة ، والإقرار بالكتابة كالإقرار باللسان عند الفقهاء . فمتى ما أقر الشخص بتوقيعه أو بخطه ، أو أقر الوارث بأن هذا خط مورثه أو توقيعه أو كان ذلك الخط أو التوقيع معروفا ومشهورا فعلى القاضى أن يعمل بمقتضى هذا السند .

يقول ابن القيم : (والحديث المتقدم - أى حديث الوصية - كالنص فى جواز الاعتماد على خط الموصى ، وكتبه ﷺ إلى عماله وإلى الملوك وغيرهم تدل على ذلك ولأن الكتابة تدل على المقصود فهى كاللفظ ولهذا يقع بها الطلاق .

قال القاضى : وثبوت الخط فى الوصية يتوقف على معاينة البينة أو الحاكم لفعل الكتابة ، لأنها عمل ، والشهادة على العمل طريقها الرؤية .

وقول الإمام أحمد وإن كان قد عرف خطه وكان مشهور الخط ، ينفذ ما فيها ، يرد على ما قاله القاضى ، فإن أحمد علق الحكم بالمعرفة والشهرة من غير اعتبار لمعاينة الفعل ، وهذا هو الصحيح ، فإن القصد حصول العلم بنسبة الخط إلى كاتبه ، فإذا عرف ذلك وتيقن كان كالعلم بنسبة اللفظ إليه ، فإن الخط دال على اللفظ واللفظ دال على القصد والإرادة .<sup>(١)</sup>

ويقول فى موضع آخر «وقد صرح أصحاب أحمد والشافعى بأن الوارث إذا وجد فى دفتر مورثه أن لى عند فلان كذا ، جاز له أن يحلف على استحقاقه وأظنه منصوبا عليها ، وكذلك لو وجد فى دفتره : إنى أديت إلى فلان ماله على جاز له أن يحلف على ذلك إذا وثق بخط مورثه وأمانته .»<sup>(٢)</sup>

غير أننا نلاحظ اختلاف معاملة الفقهاء للورقة العرفية عن معاملة المستند الرسمى ، إذ أنهم لم يقبلوا إنكار من كان السند الرسمى حجة عليه أما الورقة العرفية فقد جعلوا كتابته

(١) الطرق الحكمية ص ٣٠٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٣ .

وتوقيعه كالإقرار، ولذا فإنه إذا أنكر إقراره أو قال إنه لم يوقع وليس هذا توقيعه فوجب على المدعى اثبات الإقرار بطريق آخر غير الورقة العرفية .

نخلص من هذا أنه يجوز الإثبات بالكتابة عموماً، فإن كان المستند صادراً من جهة رسمية فهو حجة، وعلى مدعى خلاف ما في السند إثبات بطلان هذا السند بالتزوير. أما إن كان السند عرفياً، فهو دليل على الحق غير أنه يجوز لمن كان السند حجة عليه أن ينكر دلالة هذا السند العرفي على الحق لكون الفقهاء عاملوا الورقة العرفية معاملة الإقرار، والإقرار يجوز الرجوع فيه، ولذا يمكن الطعن في هذه الورقة العرفية بإنكارها أو تزويرها .

### شهادة الخبراء :

ومن الوسائل التي تعين على أظهار الحق وكشف وجه الدعوى قول الخبراء . والخبراء هم الذين لهم المعرفة والخبرة بالمسائل الفنية إذا كان موضوع النزاع فيه مسألة فنية أو علمية تغيب على القاضى، ومن ذلك قول الطبيب الشرعى فى سبب الوفاة، وغير ذلك مما يختص بمعرفة الطبيب . وكذلك قول المهندسين والفاحصين والمختصين بمعرفة الخطوط والبصمات، كل فيما يتعلق ويتصل بمجال تخصصه، وكذلك قول البيطار فى عيوب الحيوان ودائه .

ويمكن القول بأن الشريعة الإسلامية قد اعتدت بقول أهل الخبرة، فقد قبل النبي ﷺ قول القائف وسر عليه الصلاة والسلام حينما أثبت نسب أسامة - رضى الله عنه - من زيد - رضى الله عنه - بمقارنة الشبه فى أقدمهما . (١) .

وقد أشارت الآية الكريمة فى قوله تعالى : ﴿بلى قادرين على أن نسوى بنانه﴾ . (القيامة : ٤) . إلى اختلاف بصمات الأصابع من شخص لآخر . فلا حرج إذن إذا استدلت القاضى على المتهم بقول الخبراء الذين قارنوا بصمات المتهم مع البصمات التى وجدت فى مكان الجريمة واتضح المطابقة . ولما كان قول الخبير ليس شهادة مباشرة فى موضوع النزاع إنما هو تقرير فنى يتعلق فقط بالمسألة الفنية القائمة فى الدعوى جاز للقاضى أن يحكم بمقتضاه إذا وافق الأدلة الأخرى القائمة فى الدعوى، كما يجوز له تركه أو ترك بعضه إذا رأى عدم سلامته أو عدم سلامة بعضه لكونه يخالف أدلة أخرى مقنعة وواضحة فى الدعوى، ذلك لأن القاضى لا يحكم إلا بما تطمئن إليه نفسه حسب الأدلة المقدمة فى الدعوى . وليس هذا إنكاراً للفائدة العلمية لتقرير الخبير ولكن قد توجد أدلة أخرى أكثر دلالة ووضوحاً فى

(١) صحيح البخاري ٣/١٣٩ . (كتاب الفرائض - باب القائف) .

محل النزاع، فوجود بصمة الشخص في محل الجريمة مثلا لا تعنى دائما أن صاحب البصمة هو الجانى لاحتمال أن يكون القاتل غيره كما إذا وجدته مقتولا فأراد أن يتبين فصار لامسا للقتيل أو كان حاملا له بقصد اسعافه، أو كان مدافعا عن نفسه وغير هذا من الاحتمالات .  
ثم إنه لما كان قول الخبير شهادة يستعين به القاضى فى الدعوى القائمة كما اسلفت، وجب أن يراعى فى هذا المقال الشبه التى ترد الشهادة فيجب ألا يكون الخبير الذى قدم تقريره فى الدعوى قريبا لأحد الخصوم أو قريبا لزوجته أو صهرا لأحد الخصوم أو وكيلا له أو لزوجته فى أعماله أو وصيا أو قريبا أو مظنونا وراثته بعد موته، كما يجب ألا تكون بينه وبين أحد الخصوم عداوة أو خصومة ما لم تكن هذه الخصومة قد اقيمت بعد الدعوى يقصد منعه من الأدلاء بقوله أو تقريره<sup>(١)</sup>.

وبانتهاء الكلام عن شهادة أهل الخبرة نكون قد فرغنا من عرض أهم وسائل الإثبات فى الفقه الإسلامى، وقد رأينا أن هناك قسما قد اتفق الفقهاء على حجتيه وهو الإقرار والشهادة، وقسما اختلفوا فيه وعرضنا فيه اليمين النكول عنه، وعلم القاضى، والقرائن والفراسة، والكتابة وشهادة الخبراء، وقبل أن أختتم هذا البحث أرى أن أقرر بعض الحقائق المهمة :

**الأولى :** إن هذه الأدلة التى سقناها تدل على الحق غالبا، ولا يخلو دليل منها - متفق عليه أو مختلف فيه - من احتمال، ولكن هذا الاحتمال لا يمنع غالب دلالتها على الحق، ولذا جعلها الشارع وسائل للإثبات لأن الحكم للكثير الغالب لا للقليل النادر .

**الثانية :** إنه لا يجوز التوصل إلى هذه الوسائل بطريق غير مشروع، ولا بد للقاضى من التأكد من سلامة اجراءات حصوله على أى من هذه الأدلة ويظهر تقرير الفقه الإسلامى لقواعد سلامة اجراءات الوصول إلى الأدلة فى أمرين :

( أ ) عدم جواز تعذيب المتهمين للحصول على إقرارهم :

يرى ابن حزم أن الامتحان فى الحدود وغيرها من الجرائم بالضرب وبالسجن أو التهديد لا يحل شرعا لأنه لم يرد بذلك قرآن ولا سنة ولا اجماع، بل قد منع الله تعالى من ذلك على لسان رسول الله ﷺ بقوله : «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم

(١) أصول المرافعات الشرعية : أنور العمروسى فقرة ٣٦٥ .

حرام»<sup>(١)</sup>. ولا يجوز ضرب المسلم إلا إذا ثبت عليه حق فمنعه فيكون ظالماً في هذه الحالة فوجب ضربه لأخراج الحق منه .

ويرى ابن حزم تأسيساً على ذلك أنه لو ضرب المتهم حتى أقر فإن إقراره لا يعمل به ، لأنه قد أخذ بصفة لم يوجبها قرآن ولا سنة ولا إجماع<sup>(٢)</sup> .

بيد أننا نجد الجمهور من الفقهاء قد قسموا الناس في الدعوى على طوائف ثلاث . طائفة لا يجوز حبسهم ولا ضربهم ولا يضيق عليهم بشيء بل ذهب بعض الفقهاء إلى تعزير من اتهمهم لأن التهمة لا تليق بأمثالهم لكونهم من أهل الورع والتقوى ومعروفين بالدين والصلاح ، وطائفة مجهول حالها لم تعرف بصلاح أو فسق ، فهذه قالوا لا يضرب المتهم منها ولكن يجبس حتى ينكشف أمره ، وطائفة المشتهرين بالفساد والفجور ونقب الدور والسرقات ، فهذا لا مانع من ضربه لمناسبة التهمة له ولكونه لو ترك لضاعت الحقوق وعمت الفوضى<sup>(٣)</sup> .

(ب) ألا يكون في الحصول على الدليل اعتداء على الحرية الشخصية :

وفي نظري أن الحصول على الدليل إذا كان باعتداء على الحرية الشخصية للفرد فإن ذلك سبب كاف في منع الاحتجاج به ، إذ أن الشريعة الإسلامية تمنع التجسس على الناس في حياتها الخاصة ، فيقول تعالى : ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ . (الحجرات : ١٢) . كما توجب الستر وعدم مضايقة الناس في بيوتهم ، ولذا فإن الدليل المأخوذ بأحد هذه الطرق يجب عدم الالتفات إليه .

ونستدل لذلك بما رواه البيهقي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فذكر البيهقي أن عبد الرحمن بن عوف حرس مع عمر ليلة بالمدينة ، فبينما هم يمشون شب لهب سراج في بيت ، فانطلقوا يؤمونه حتى إذا دنوا منه إذ باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقام عمر رضى الله عنه وأخذ بيد عبد الرحمن فقال : أتدرى بيت من هذا ؟ قلت : لا . قال : هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى ؟ قال عبد

(١) صحيح البخاري (كتاب الحدود) ١٠٥/٤ .

(٢) المحلى ١٣٥/١١ .

(٣) الفتاوى الكبرى ابن تيمية ١٩٠/٤ وما بعدها ، معين الحكام للطرابلسي ص ٢١٧ ، الطرق الحكمية ص ١١٧ ، والحبس

في التهمة والامتحان على طلب الإقرار مؤلفه سعد الدين بن الديرى الحنفى ص ١٦ .



الرحمن أرى قد أتينا ما نهى الله عنه ﴿ولا تجسسوا﴾ فقد تجسسنا فانصرف عنهم عمر رضى الله عنه وتركهم (١).

وفي رواية أن عمر رضى الله عنه كان يمر ليلة في المدينة فسمع صوتا في بيت فارتاب في أن صاحب الدار يرتكب محرما، فتسلق المنزل وتسور الحائط ورأى رجلا وامرأة ومعهما زق خمر فقال : يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصية، وأراد أن يقيم عليه الحد فقال الرجل : لا تعجل يا أمير المؤمنين إن كنت قد عصيت الله في واحدة فقد عصيته أنت في ثلاث فقال تعالى : ﴿ولا تجسسوا﴾ وأنت تجسسست . وقال : ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ (البقرة: ١٨٩) . وأنت تسورت وصعدت الجدار ونزلت . وقال تعالى : ﴿لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ . (النور: ٢٧) . وأنت لم تسلم . فخجل عمر وبكى وقال للرجل : هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم . فقال : أذهب فقد عفوت عنك (٢).

معنى ذلك أن صاحب الدار دفع بعدم مشروعية الدليل . فقد ضبط بالفعل متلبسا بجريمة شرب الخمر ولكن هذا الضبط كان وليد اجراءات غير مشروعة ، وهو التجسس وتسور الحائط وعدم السلام ، وقد أخذ عمر وافتتن بصحة الدفع وترك الرجل ، وليست المسألة أن عمر أراد أن يجرى مقاصة بين ما ارتكبه صاحب الدار وما ارتكبه هو وعفا عنه لذلك ، لأنه لا يملك العفو عن الحد ، بل إنه اسقط الدليل المستمد من الواقعة بعد تبينه أنه وليد اجراءات غير مشروعة .

الثالثة : (الأصل في الذمة البراءة) (٣) معنى ذلك أنه ما لم يثبت بطريق من طرق الإثبات أن الشخص معتد أو غاصب فالأصل براءته ، فهذه قاعدة وأصل مقرر في الفقه الإسلامي .

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد حتى يرضى . . .

(١) السنن الكبرى ٣٣٣/٨ ، ورواه الحاكم في المستدرک ٣٧٧/٤ . قال الذهبي في تلخيص المستدرک صحيح .

(٢) تاريخ الطبري ٢٠/٥ المطبعة الحسينية . مصر .

(٣) الأشباه والنظائر لابن نجيم وشرح الحمدي على الأشباه ٨٩/١ . والمادة «٨» من مجلة الأحكام العدلية ، والمدخل الفقهي

العام للأستاذ مصطفى الزرقاء ٦٤٨/١ .

## أهم مراجع البحث

أولاً : كتب تفسير القرآن الكريم :

(١) أحكام القرآن : أبوبكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (٣٧٠هـ) ط . الأوقاف القسطنطينية ١٣٣٨هـ .

(٢) الكشف : محمود بن عمر الزمخشري (٥٢٨) ط . مصطفى محمد بمصر ١٣٥٤هـ .

(٣) أحكام القرآن : أبوبكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (٥٤٢) ط . دار احياء الكتب العربية ١٣٥٧هـ .

(٤) التفسير الكبير : محمد فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) ط . الأميرية بولاق ١٢٨٩هـ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ) ط . دار الكتب المصرية ١٣٥١هـ .

(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن محمد الخازن (٧٢٥هـ) ط . الأزهرية ١٣١٣هـ .

(٧) روح المعاني : شهاب الدين الألوسي (١٢٧٠هـ) إدارة الطبعة المنيرية بيروت .

ثانياً : كتب الحديث النبوي وشروحه :

(٨) الموطأ - مطبوع مع شرح الزرقاني : مالك بن أنس الأصبحي (١٧٩هـ) ط . الخيرية .

(٩) سنن الدارمي : محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (٢٥٥هـ) ط . الفنية . مصر ١٣٨٦هـ .

(١٠) صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) ط . العامرة . مصر ١٢٨٦هـ .

(١١) صحيح مسلم : مطبوع مع شرح النووي : مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ) ط . المصرية ومكتبتها ١٣٤٩هـ .

- (١٢) سنن الترمذى : محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (٢٧٥هـ) ط . الصاوى . مصر ١٣٥٣هـ .
- (١٣) سنن أبى داود : أبوداود سليمان بن الأشعث السجستانى (٢٧٥هـ) ط . هندية حديثة .
- (١٤) نواذر الأصول : محمد بن على بن الحسين الحكيم الترمذى (٢٨٥هـ) ط . العثمانية .
- (١٥) سنن الدارقطنى : على بن عمر الدارقطنى (٣٨٥هـ) ط . دار المحاسن . مصر (١٣٨٦هـ) .
- (١٦) السنن الكبرى : أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقى (٤٨٥هـ) ط . دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٤هـ .
- (١٧) النهاية فى غريب الحديث والأثر : المبارك بن محمد بن الأثير (٦٠٦هـ) ط . العثمانية ١٣١١هـ .
- (١٨) شرح النووي على صحيح مسلم : يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) ط . المصرية ومكتبتها .
- (١٩) فتح الباري شرح صحيح البخارى : أحمد بن حجر العسقلانى (٨٥٢هـ) ط . البهية . مصر ١٣٤٨هـ .
- (٢٠) نيل الأوطار : محمد بن على الشوكانى (١٢٥٥هـ) ط . العثمانية .
- (٢١) حاشية عون المعبود : أبو الطيب شمس الحق العظيم ابادى (١٣٢٠هـ) ط . هندية حديثة .
- (٢٢) التعليق المغنى على سنن الدارقطنى : أبو الطيب شمس الحق العظيم ابادى (١٣٢٠هـ) دار المحاسن .
- ثالثا : كتب الفقه الإسلامى :
- (أ) الفقه الحنفى :
- (٢٣) المبسوط : محمد بن أحمد بن سهل السرخسى (٤٣٨هـ) ط . السعادة . مصر ١٣٢٤هـ .
- (٢٤) بدائع الصنائع : علاء الدين بن مسعود الكاسانى (٥٨٧هـ) ط . المطبوعات العلمية . مصر ١٣٢٧هـ .

- (٢٥) الاختيار لتعليق المختار : أبو الفضل عبد الله بن محمود الموصلى (٦٨٣هـ) ط . السعادة . مصر ١٣٧٦هـ .
- (٢٦) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق : فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي (٧٤٢هـ) ط . الأميرية ١٣٧٦هـ .
- (٢٧) الفوائد الطرسوسية : نجم الدين ابراهيم بن علي الطرسوسى (٧٥٨هـ) ط . الشرق . مصر ١٣٤٤هـ .
- (٢٨) جامع الفضولين : أبوبكر علي المعروف بالحدادي (٨٠٠هـ) ط . الخيرية . مصر ١٣٢٢هـ .
- (٢٩) معين الحكام : علاء الدين الطرابلسى (٨٤٤هـ) ط . الأميرية بولاق . ١٣٠٠هـ .
- (٣٠) فتح القدير : كمال الدين بن الهمام (٨٦١هـ) ط . الأميرية ١٣١٥هـ .
- (٣١) البحر الرائق : ابراهيم بن نجيم المصرى (٩٧٠هـ) ط . دار المعرفة . بيروت .
- (٣٢) الأشباه والنظائر : ابراهيم بن نجيم المصرى (٩٧٠هـ) ط . العامرة . مصر . ١٢٩٠هـ .
- (٣٣) حاشية ابن عابدين : محمد أمين الشهير بابن عابدين (١٢٥٢هـ) ط . العثمانية ١٣٢٥هـ .
- (٣٤) رسائل ابن عابدين : محمد أمين ابن عابدين (١٢٥٢هـ) ط . العثمانية .
- (٣٥) مجلة الأحكام العدلية : لجنة من العلماء (١٢٩٨هـ) ط . العثمانية .
- (ب) الفقه المالكي :
- (٣٦) بداية المجتهد ونهاية المقتصد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (٥٩٥هـ) ط . البابى الحلبي ١٣٧٩هـ .
- (٣٧) الفروق : أحمد بن أدريس القرافى (٦٨٤هـ) دار احياء الكتب العربية . ١٣٤٦هـ .
- (٣٨) قوانين الأحكام الشرعية : أبو القاسم محمد بن جزي (٧٤١هـ) دار العلم للملايين . بيروت .
- (٣٩) مختصر خليل : خليل بن إسحاق بن موسى (٧٧٩هـ) مع الشرح الكبير للدردير .

- (٤٠) تبصرة الحكام : ابراهيم بن فرحون (٧٩٩هـ) ط . البهية . مصر ١٣٠٢هـ .  
 (٤١) مواهب الجليل : محمد بن عبد الرحمن الخطاب (٩٥٤هـ) ط . السعادة مصر  
 ١٣٢٩هـ .  
 (٤٢) شرح مختصر خليل : أبو عبد الله الخرشبي (١١٠١هـ) ط . الأميرية  
 ١٣١٧هـ .  
 (٤٣) الشرح الكبير - هامش حاشية الدسوقي - أحمد بن محمد الدردير (١٢٠١هـ) .  
 (٤٤) حاشية الدسوقي : محمد بن عرفة الدسوقي (١٢٣٠هـ) ط . السعادة . مصر  
 ١٣٢٩هـ .

### ( ج ) الفقه الشافعي :

- (٤٥) الأم : أبو عبد الله محمد بن أدريس الشافعي (٢٠٤هـ) ط . الفنية .  
 (٤٦) مختصر المزني - هامش الأم : إسماعيل بن يحيى المزني (٢٦٤هـ) .  
 (٤٧) المهدي : إبراهيم بن علي الشيرازي (٤٧٦هـ) ط . البابي الحلبي  
 ١٣٤٣هـ .  
 (٤٨) مغني المحتاج : محمد الشربيني الخطيب (٩٧٧هـ) ط . البابي الحلبي  
 ١٣٧٧هـ .  
 (٤٩) نهاية المحتاج : محمد بن أبي العباس الرملي (١٠٠٤هـ) .

### ( د ) الفقه الحنبلي :

- (٥٠) المغني : عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) ط . دار المنار  
 ١٣٦٧هـ .  
 (٥١) السياسة الشرعية تقى الدين أبو العباس بن تيمية (٧٢٨هـ) دار الكتاب  
 العربي .

- (٥٢) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) ط . كردستان .  
 (٥٣) اعلام الموقعين محمد بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ط . الجليل . بيروت .  
 (٥٤) الطرق الحكمية : محمد بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ط . مصر .  
 (٥٥) كشف القناع : منصور بن يونس البهوثي (١٠٥١هـ) ط . أنصار السنة .

### الفقه الظاهري :

- (٥٦) المحلى : أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (٤٥٦هـ) ط . الامام . مصر .

رابعا : كتب أصول الفقه الإسلامي :

(٥٧) المستصفي من علم الأصول : أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) ط . الأميرية  
١٣٢٢هـ .

(٥٨) كشف الأسرار : عبد العزيز البخاري (٧٣٠هـ) ط . العثمانية .

(٥٩) الموافقات : إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ) ط . السلفية ١٣٤١هـ .

(٦٠) علم أصول الفقه : عبد الوهاب خلاف . ط . النصر .

خامسا : اللغة والتراجم :

(٦١) لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ) ط . الأميرية ١٣٠٠هـ .

(٦٢) التعريفات : علي بن محمد السيد الجرجاني (٨١٦هـ) ط . البابي الحلبي

١٣٥٧هـ .

(٦٣) تاج العروس شرح القاموس : محمد بن محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)

ط . الخيرية ١٣٠٦هـ .

(٦٤) الاعلام : خير الدين الزركلي ط . بيروت .

سادسا : مؤلفات حديثة :

(٦٥) طرق القضاء في الشريعة الإسلامية : أحمد إبراهيم ط . السلفية مصر

١٣٤٧هـ .

(٦٦) التعليق على نصوص قانون الإثبات : أحمد أبو الوفا ط . منشأة المعارف .

(٦٧) علم القضاء : أحمد الحصري .

(٦٨) أصول المرافعات الشرعية : أنور العمروسي .

(٦٩) دروس في قانون الإثبات : عبد الودود يحيى ط . دار النهضة العربية .

(٧٠) مباحث في المرافعات الشرعية : محمد زيد الابياني ط . عبد الله الكتيبي .

مصر .

(٧١) من طرق الإثبات في الشريعة والقانون : محمد البهي . ط . دار الفكر

العربي .

\*\*\*

# تَحْقِيقُ جُزْءِ الصُّعْفَاءِ وَالْمُتْرُوكِينَ

«لِلرَّيْطَانِ الدَّارِقَطْنِيِّ»

د. عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدٍ الْفَيْسِقَرِيِّ

٣

أستاذ مساعد بكلية التربية السريفة بالجامعة

## حرف الغين

- (٤٢٥) غياث بن ابراهيم كوفي عن العالم<sup>(١)</sup>.  
(٤٢٦) غياث بن كلوب له نسخة عن مطرف بن سمره بن جندب لا يعرف إلا به  
ويروى عن شريك .  
(٤٢٧) غالب بن عبيد الله الجزري عن عطاء والزهرى وأبى إسحاق .  
(٤٢٨) غانم بن الأحوص حجازى عن أبى صالح السمان .  
(٤٢٩) غطيف<sup>(٢)</sup> بن أعين كوفي عن مصعب بن سعد .  
(٤٣٠) غطيف الجزرى ويقال الطائفى روى عنه أسد بن عمرو البجلي ويروى عنه  
القاسم بن مالك فيقول روح بن غطيف . هو . هو .

## حرف الفاء

- (٤٣١) فايد بن عبد الرحمن أبو الوراق كوفي عن ابن أبى أوفى ومحمد بن المنكدر<sup>(٣)</sup>.  
(٤٣٢) فرات بن السائب جزرى عن ميمون بن مهران وأبى إسحاق<sup>(٤)</sup>.  
(٤٣٣) فرقد بن يعقوب السبخى أبو يعقوب بصرى عن مرة الطيب والنخعي<sup>(٥)</sup>.

(١) قال الذهبى : تركوه ديوان ٢٤٥ .

(٢) قال الحافظ : ويقال بالضاد المعجمة . تقريب التهذيب ٢٧٤ .

(٣) قال ابن حجر : متروك اتموه من صغار الخامسة - ت ق - تقريب التهذيب ٢٧٤ .

(٤) قال البخارى : تركوه منكر الحديث . التاريخ الكبير ١٣٠/١/٤ .

(٥) قال الذهبى : وثقه ابن معين وقال أحمد ليس بقوى وقال الدارقطنى ضعيف ، ديوان ٢٤٧ .

- (٤٣٤) فهد بن حيان بصرى عن شعبه وأبى عوانه<sup>(١)</sup> .  
 (٤٣٥) فهد بن عوف أبوريبيعه ويقال زيد . بصرى . عن حماد بن زيد<sup>(٢)</sup> .  
 (٤٣٦) فطر بن محمد العطار الأحذب . حدثوا عنه . كذاب .

## حرف القاف

- (٤٣٧) قاسم بن عبد الله بن عمر العمرى عن أبيه وعمه وعبد الله بن دينار .  
 (٤٣٨) قاسم بن ابراهيم الملقب عن مالك يكذب<sup>(٣)</sup> .  
 (٤٣٩) قاسم بن أبى شيبه عن البصريين والكوفيين<sup>(٤)</sup> .  
 (٤٤٠) قاسم بن محمد بن حماد الدلال كوفى .  
 (٤٤١) قزعة بن سويد البصرى يغلب عليه الوهم .

## حرف الكاف

- (٤٤٢) كثير بن سليم بصرى عن أنس .  
 (٤٤٣) كثير بن عبد الله الأبلق أبوهاشم عن أنس<sup>(٥)</sup> .  
 (٤٤٤) كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى عن أبيه عن جده .  
 (٤٤٥) كثير بن مروان المقدسى عن إبراهيم بن أبى عبلة .  
 (٤٤٦) كوثر بن حكيم الحلبي عن نافع .

## حرف اللام

- (٤٤٧) لوط بن يحيى الكوفى أبو مخنف إخبارى . ضعيف .

---

(١) قال الذهبى : ضعفه . ديوان ٢٥٠ .  
 (٢) قال ابن المدينى كذاب . ديوان ٢٥٠ .  
 (٣) فى أصل المخطوط قاسم بن ابراهيم الملقب والتصويب من ميزان الاعتدال ٣/٣٦٧ .  
 (٤) قال الذهبى : القاسم بن محمد بن أبى شيبه أخو أبى بكر . ديوان ٢٥٢ .  
 (٥) قال الذهبى : ذهب ابن حبان إلى أن هذا وكثير بن سليم واحد . وليس هذا بشيء . ميزان الاعتدال ٣/٤٠٦ .



## حرف الميم

- (٤٤٨) محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير مكي<sup>(١)</sup> .
- (٤٤٩) محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه . وزيد بن اسلم . وعطاء ، والحكم ، وعبيد الله هذا . ليس بصاحب علي . ذاك عبيد الله بن علي بن أبي رافع .
- (٤٥٠) محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان العزمي . وهو ابن أخي عبد الملك بن أبي سليمان .
- (٤٥١) محمد بن عبد الرحمن . أبو جابر البياضي عن ابن المسيب .
- (٤٥٢) محمد بن عبد الرحمن بن البيهقي . يمانى . عن أبيه وأبوه يعتبر به .
- (٤٥٣) محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي القرشي الجدعاني عن جعفر بن محمد ، وعبيد الله بن عمر ، وأبن أبي مليكة<sup>(٢)</sup> .
- (٤٥٤) محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة . مراسيل . عن سعد وابن عمر<sup>(٣)</sup> .
- (٤٥٥) محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن . أبي الزناد ، والزهرى .
- (٤٥٦) محمد بن عبد الملك الأنصارى . مدنى . عن نافع والزهرى وابن المنكدر .
- (٤٥٧) محمد بن حجاج المصفر بغدادى . عن شعبة ومالك .
- (٤٥٨) محمد بن حجاج اللخمي . الواسطى . يكذب . عن عبد الملك بن عمير ومجالد .
- (٤٥٩) محمد بن حجاج بن سويد البرجمي كوفي عن هشام بن عروة . من الشيعة .
- (٤٦٠) محمد بن سعيد بن أبي قيس المصلوب شامى عن عبادة بن أنسى ، والزهرى ، واسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر<sup>(٤)</sup> .
- (٤٦١) محمد بن سالم أبو سهل كوفي عن الشعبي والحكم .
- (٤٦٢) محمد بن كريب مدنى عن أبيه .

---

(١) قال الذهبي : تركوه واجمعوا على ضعفه وهو محمد المحرم ديوان ٢٧٦ .

(٢) في أصل المخطوط محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر المكي والتصويب من كتب الرجال . أنظر ميزان الاعتدال ٦١٩/٣ ، ديوان ٢٧٩ .

(٣) قال ابن حجر : محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة بفتح اللام وكسر الموحده وسكون التحتانية وفتح الموحدة الأخرى . ويقال ابن أبي لبيبة . تهذيب التهذيب ٣٠١/٩ ، تقريب التهذيب ٣٠٨ .

(٤) قال الذهبي : كذاب صلب في الزندقة اخرج البخارى في أماكن من تاريخه لاختلافهم في اسمه ونسبه وتقلب اسمه على وجوه . ديوان ٢٧٣ .

- (٤٦٣) محمد بن عثيم أبوذر عن ابن البيهاني .
- (٤٦٤) محمد بن عون الخراساني سكن الكوفة عن نافع وسعيد بن جبير .
- (٤٦٥) محمد بن زياد الميموني<sup>(١)</sup> .
- (٤٦٦) محمد بن مهران يكذب<sup>(٢)</sup> .
- (٤٦٧) محمد بن السائب الكلبي .
- (٤٦٨) محمد بن زاذان شامي . عن محمد بن المنكدر وأم سعد الأنصارية . هي لا تُعرف إلا به .
- (٤٦٩) محمد بن زيد العبدي بالبصرة عن أبي الأعين وسعيد بن جبير .
- (٤٧٠) محمد بن مروان السدي أبو عبد الرحمن كوفي . مصنف . عن عبيد الله بن عمر ويزيد بن أبي زياد .
- (٤٧١) محمد بن معاوية النيسابوري حدث ببغداد ثم بمكة وليس هو ابن مالح ، ابن صالح ثقة<sup>(٣)</sup> .
- (٤٧٢) محمد بن كثير القصاب السلمى بصرى . وقال يحيى بن معين ثقة عن يونس ابن عبيد .
- (٤٧٣) محمد بن الحسن بن زباله . مدني . عن مالك ، وسليمان بن بلال .
- (٤٧٤) محمد بن الحسن بن آتش صنعاني .
- (٤٧٥) محمد بن الفضاء المعبر بصرى عن أبيه عن علقمه بن عبد الله عن أبيه . لا يعرفون إلا به<sup>(٤)</sup> .
- (٤٧٦) محمد بن فرات كوفي عن أبي إسحاق وعبد الله بن الحسن .
- (٤٧٧) محمد بن عمر الواقدي مختلف فيه . فيه ضعف بين في حديثه<sup>(٥)</sup> .
- (٤٧٨) محمد بن القاسم الأسدي . أبو إبراهيم . كوفي يكذب . عن الثوري ، والأوزاعي .

(١) هو محمد بن زياد اليشكري الميموني الطحان . ميزان الاعتدال ٥٥٢/٣ .

(٢) قال الذهبي : محمد بن مسلم ويقال محمد بن مهران بن مسلم بن المنثى ، ميزان الاعتدال ٣٦/٤ .

(٣) قال الذهبي محمد بن معاوية النيسابوري وهو محمد بن معاوية ابن أعين الهلالي يكنى أبا علي . وقال ابن حجر . ابن مالح بميم وجيم وأسم جده يزيد الأنباطي . وأبو جعفر البغدادي صدوق ربا وهم . أنظر ميزان الاعتدال ٤٤/٣ ، تقريب التهذيب ٣١٩ .

(٤) محمد بن فضال بفتح الفاء والمعجمة مع المد . تقريب التهذيب ٣١٥ .

(٥) في أصل المخطوط محمد بن عبد الله والصواب ما هو مثبت قال ابن حجر : متروك مع سعة علمه من التاسعة - ق - تقريب التهذيب ٣١٢ .

(٤٧٩) محمد بن ذكوان بصرى . خال ولد حماد بن زيد ، يروى عن عمرو بن دينار وابن المنكدر ومجالد .

(٤٨٠) محمد بن أبى حميد ويقال حماد . مدنى ، عن ابن المنكدر ، ونافع ، وزيد بن أسلم .

(٤٨١) محمد بن يحيى الزهرى . أبو غزّيه مدنى عن عبد الوهاب بن موسى يضع .

(٤٨٢) محمد بن الفضل بن عطية الخراسانى ضعيف عن أبى إسحاق ومنصور من

المتأخرين .

(٤٨٣) محمد بن زكريا الغلابى بصرى يضع .

(٤٨٤) محمد بن عيسى بن حيان المدائنى<sup>(١)</sup> . عن ابن عيينه ومحمد بن الفضل بن

عطية .

(٤٨٥) محمد بن عبد بن عامر . طواف . فى البلدان يكذب ويضع<sup>(٢)</sup> .

(٤٨٦) محمد بن يونس بن موسى الشامى الكديمى<sup>(٣)</sup> .

(٤٨٧) محمد بن ابراهيم بن زياد الرازى .

(٤٨٨) محمد بن عكاشة الكرمانى . بصرى يضع الحديث .

(٤٨٩) محمد بن عكاشة . كوفى . ضعيف .

(٤٩٠) محمد بن عبد الرحمن بن غزوان . هو ابن زيد ، متروك بغدادى .

(٤٩١) محمد بن أيوب بن سويد الرملى . ضعيف .

(٤٩٢) محمد بن عبد الله بن نمران . ضعيف .

(٤٩٣) محمد بن عيسى الهذلى . ضعيف . يروى عن محمد بن المنكدر يكنى أبا

يحيى .

(٤٩٤) محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن ثابت الأشنانى كذاب دجال<sup>(٤)</sup> ( )

يضع الأحاديث .

(٤٩٥) محمد بن هارون بن عيسى بن برّيه . الهاشمى .

(٤٩٦) معبد الجهنى . قدرى . عن حمران .

(١) هنا عبارة لم أتبينها ولم أجدها فى كتب الرجال .

(٢) أنظر ميزان الاعتدال ٦٣٣/٣ .

(٣) قال الذهبى : سئل عنه الدارقطنى فقال : يهتم بوضع الحديث . وما أحسن فيه القول إلا من لم يخبر حاله . ميزان

الاعتدال ٧٥/٤ .

(٤) هنا عبارة غير واضحة . وأنظر تاريخ بغداد ٤٣٩/٥ .

(٤٩٧) محرر بن هارون بن عبد الله التيمي . الهديري . مدني عن الأعرج عن أبيه لا يعرف إلا به (١).

(٤٩٨) مبارك بن سحيم أبو سحيم بصرى . مولى عبد العزيز بن صهيب (٢) .

(٤٩٩) مبشر بن عبيد الحمصي . يكذب . عن الزهري ، وزيد بن أسلم وحجاج ابن أرتأه .

(٥٠٠) مهدي بن هلال . يضع عن هشام بن عروه . وجعفر .

(٥٠١) مينا . مولى عبد الرحمن بن عوف عن ابن مسعود .

(٥٠٢) مطير بن خالد . وقيل ، مطر الاسكاف عن أنس .

(٥٠٣) معلى بن عرفان . كوفي . عن أبي وائل .

(٥٠٤) معلى بن هلال بن سويد الطحان . كوفي يكذب . عن أبي إسحاق وعبيد

الله بن عمر . يروى عنه الحسناني فيقول على بن سويد . ويروى فروة بن أبي المغراء فيقول عبد الله بن عبد الرحمن ويروى عنه غيرهما فيقول أبو عبد الله الطحان (٣) .

(٥٠٥) معلى بن عبد الرحمن . واسطى . عن شريك ، وعبد الحميد بن جعفر (٤) .

(٥٠٦) مسعده بن اليسع باهلي ، بصرى . عن جعفر بن محمد ، وابن جريج ومحمد ابن عمرو .

(٥٠٧) مسيب بن شريك . كوفي . أبو سعيد عن الأعمش وعبيد الله بن عمرو وهشام

ابن عروه . روى عنه إسحاق بن بهلول فقال أبو سعيد الشقري . وروى عنه على بن الجعد فقال أبو سعيد . ضعيف (٥) .

(٥٠٨) مسور بن الصلت . مدني عن نافع وابن المنكدر وزيد بن أسلم .

(٥٠٩) ميسره بن عبد ربه بغدادى . عن زيد بن أسلم كتاب العقل لداود بن المحبر

تصنيفه (٦) .

(٥١٠) معاوية بن يحيى الصدفي يكتب ما روى الهقل عنه ويتجنب ما سواه خاصة ما

روى عنه إسحاق بن سليمان الرازي .

(١) قال ابن حجر : محرر برأين وزن محمد على الصحيح . تقريب التهذيب ٣٢٩ .

(٢) مبارك بن سحيم بمهملتين مصغرا . تقريب التهذيب ٣٢٧ .

(٣) أنظر تهذيب التهذيب ٢٤٠/١٠ .

(٤) قال الذهبي : قال الدارقطني كذاب ديوان ٣٠٤ .

(٥) أنظر لسان الميزان ٣٨/٦ .

(٦) قال الخطيب البغدادي : روى عنه شعيب بن حرب المدائني خطبة الوداع . وداود بن المحبر بن قحزم أحاديث باطلة في

كتاب العقل . تاريخ بغداد ٢٢٢/١٣ .

- (٥١١) معاوية بن عمر أبو مطيع الاطرابلسي . روى عنه الوليد بن مسلم وشعبة وهشام بن عروة وعلى بن عياش .
- (٥١٢) موسى بن مطير كوفي . عن أبيه ، وعاصم بن بهدله . وموسى بن طلحة . ومطير أبوه لا يعرف إلا به .
- (٥١٣) موسى بن عمير أبوهارون الجعدي المخزومي . مولى بنى جعده بن هبيرة عن الحكم وأبي إسحاق .
- (٥١٤) موسى بن سعد أبو علي الحنفي . حديث منكر عن الحكم فقال حدثنا أبو هارون الشامي (١) .
- (٥١٥) موسى بن عمير العنبري . ثقة عن علقمة بن وائل بن حجر (٢) .
- (٥١٦) موسى بن عبيدة الربذي . لا يتابع على حديثه . وأخوه عبد الله صالح .
- (٥١٧) موسى بن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي . عن أبيه والزهرى ، ومجاهد .
- (٥١٨) موسى بن دينار مكي عن هشام .
- (٥١٩) موسى بن طريف كوفي . عن عباية بن ربعي . متروك .
- (٥٢٠) موسى بن عمير العنبري عن عبد الجبار وأبي وائل بن حجر (٣) .
- (٥٢١) موسى بن سهل ألوشاء عن اسماعيل بن عليه حدثنا عنه هو غير موسى بن سهل بن عبد الحميد الجوني . والجوني صالح الحديث .
- (٥٢٢) موسى بن دهقان حدثنا عنه بصري عن ابن كعب بن مالك .
- (٥٢٣) موسى بن محمد بن عطاء المقدسي أبو طاهر عن مالك والموقري .
- (٥٢٤) مغيرة بن سعيد الكوفي . دجال . أحرق بالنار زمن النخعي أدعى النبوة (٤) .
- (٥٢٥) مسلمة بن علي الحشني عن الأوزاعي ، وهشام بن عروة وعبيد الله بن عمر .
- (٥٢٦) مقاتل بن سليمان . خراساني . يكذب .
- (٥٢٧) ميمون أبو حمزة القصاب الأعور . كوفي عن النخعي والحسن .

(١) أنظر لسان الميزان ١١٦/٧ .

(٢) وثقه ابن معين وأبو حاتم والعجلي . تهذيب التهذيب ٣٦٤/١٠ .

(٣) أنظر الترجمة السابقة . ولعل هذا التكرار سبق قلم من الناسخ .

(٤) قال الجوزجاني قتل المغيرة على ادعاء النبوة كان اشعل النيران بالكوفة على التمويه والشعبه حتى اجابه خلق . ميزان

الاعتدال ١٦١/٤ .

- (٥٢٨) مروان بن سالم الجزرى . قرقسانى . عن عبد الملك بن أبى سليمان  
والزهري . (قال البرقانى استدركت من هنا إلى آخره من كتاب غيري) .
- (٥٢٩) مطرب بن ميمون المحاربى .
- (٥٣٠) مطرح بن يزيد . شامى .
- (٥٣١) مجالد بن سعيد . كوفى . ليس بقوى .
- (٥٣٢) المثنى بن الصباح مكى .
- (٥٣٣) مجاشع بن عمرو .
- (٥٣٤) منذر بن زياد الطائى .
- (٥٣٥) معارك بن عباد عن عبد الله بن سعيد المقبرى .

### حرف النون

- (٥٣٦) ناصح بن عبد الله أبو عبد الله كوفى . عن سماك بن حرب .
- (٥٣٧) ناصح بن العلاء أبو العلاء بصرى . عن عمار بن أبى عمار .
- (٥٣٨) نوح بن أبى مريم أبو عصمه .
- (٥٣٩) نوح بن دراج . كوفى .
- (٥٤٠) النضر بن عبد الرحمن الخزاز . كوفى . عن عكرمه .
- (٥٤١) النضر بن سلمه . شاذان .
- (٥٤٢) النضر بن مطرق كوفى أبا لينة .
- (٥٤٣) نصر بن طريف أبو جزى .
- (٥٤٤) نصر بن باب . خراسانى .
- (٥٤٥) نصر بن حماد . أبو الحارث الوراق . عن شعبه .
- (٥٤٦) نصر بن مزاحم المنقرى . كوفى .
- (٥٤٧) نفيح بن الحارث أبو داود الأعمى . كوفى .
- (٥٤٨) نافع . أبو هرمز بصرى عن أنس وعطاء<sup>(١)</sup> .
- (٥٤٩) نجيح . أبو معشر<sup>(٢)</sup> .
- (٥٥٠) نهشل بن سعيد ، خراسانى .

(١) قال الذهبى : نافع بن هرمز أبو هرمز وسماه العقيلى نافع بن عبد الواحد . ميزان الاعتدال ٢٤٣/٤ .

(٢) قال الذهبى : نجيح أبو معشر السندى الهاشمى مولا هم المدنى صاحب المغازى . ميزان الاعتدال ٢٤٦/٤ .

- (٥٥١) نعيم بن المورع بن توبه . عن الأعمش ، وهشام بن عروه .  
 (٥٥٢) نوفل بن سليمان الهنائي . حجازى .

## حرف الواو

- (٥٥٣) واقد بن سلامه مدنى . وقيل وافد بالفاء عن يزيد الرقاشى (١) .  
 (٥٥٤) واصل بن السائب الرقاشى . كوفى .  
 (٥٥٥) وازع بن نافع العقيلى . جزرى .  
 (٥٥٦) وهب بن وهب أبو البخترى . بغدادى . كذاب .  
 (٥٥٧) وليد بن محمد الموقرى . شامى (٢) .  
 (٥٥٨) وليد بن العباس بن مسافر . الخولانى . مصرى .  
 (٥٥٩) وليد بن وليد الدمشقى عن ابن ثوبان . وسعيد بن بشير .

## حرف الهاء

- (٥٦٠) هشام بن زياد أبو المقدام بصرى عن محمد بن كعب . وهشام بن عروه وأخوه  
 الوليد ثقة .  
 (٥٦١) هشام بن محمد بن السائب الكلبنى عن أبى مخنف ومجاهد (٣) .  
 (٥٦٢) هيثم بن جمار البكاء بصرى .  
 (٥٦٣) هيثم بن عدى الطائى .  
 (٥٦٤) هيثم بن عبد الغفار بصرى .  
 (٥٦٥) هذيل بن بلال المدائنى يكنى أبا البهلول .  
 (٥٦٦) هارون بن هارون مدنى (٤) .  
 (٥٦٧) هارون بن حيان الرقى عن ابن المنكدر وليث بن أبى سليم .  
 (٥٦٨) هارون بن دينار (٥) .

(١) قال الذهبى : وافد بالفاء أو بقاف . ضعفه . ميزان الاعتدال ٣٣٠/٤ .

(٢) قال الذهبى : الوليد بن محمد الموقرى صاحب الزهرى يكنى أبا بشير البلقاوى مولى بنى أمية . والموقر حصن بالبقاء .

ميزان الاعتدال ٣٤٦/٤ .

(٣) قال الذهبى : النسابة العلامة وقيل أن تصانيفه أزيد من مائة وخمسين مصنفا . ميزان الاعتدال ٣٠٤/٤ .

(٤) هارون بن هارون بن عبد الله بن محرز بن الهدير أخو محرز ابن هارون . ميزان الاعتدال ٢٨٧/٤ .

(٥) قال الذهبى : شيخ بصرى . ضعفه الدارقطنى وغيره . ميزان الاعتدال ٢٨٣/٤ .

## حرف الياء

- (٥٦٩) يحيى بن عبيد الله بن موهب عن أبيه .  
(٥٧٠) يحيى بن أبي أنيسه الجزرى .  
(٥٧١) يحيى بن مسلم البكاء بصرى . عن ابن عمر .  
(٥٧٢) يحيى بن سلمة بن كهيل .  
(٥٧٣) يحيى بن عقبة بن أبى العيزار .  
(٥٧٤) يحيى بن أبى حيه . أبو جناب الكلبي (١) .  
(٥٧٥) يحيى بن سعيد المدينى . التميمى وهو الفارسي قاضى شيراز عن الزهرى وهشام بن عروة .  
(٥٧٦) يحيى بن كثير أبو النضر . بصرى ضعيف . عن أيوب ، وسليمان التيمى وعامر الأحول ، وعطاء بن السائب ، وداود بن أبى هند .  
(٥٧٧) يحيى بن العلاء الرازى البجلي .  
(٥٧٨) يحيى بن ميمون بن عطاء أبو أيوب التمار بصرى .  
(٥٧٩) يحيى بن بسطام بن حريث بصرى .  
(٥٨٠) يحيى بن هاشم السمسار . أبوزكريا . كان ببغداد .  
(٥٨١) يحيى بن عمرو بن مالك . بصرى .  
(٥٨٢) يحيى بن راشد . بصرى .  
(٥٨٣) يحيى بن سالم . كوفى .  
(٥٨٤) يحيى بن ثعلبه أبو المقوم (٢) .  
(٥٨٥) يحيى بن عنبسه بغدادى كذاب .  
(٥٨٦) يزيد بن عياض بن جعدبه . مكى (٣) .  
(٥٨٧) يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوى .  
(٥٨٨) يزيد بن ربيعة أبو كامل الرحبى . من صنعاء دمشق .  
(٥٨٩) يزيد بن سفيان أبو المهزم بصرى ضعفه شعبه (٤) .

(١) يحيى بن أبى حيه بمهمله وتحتانية أبو جناب بجيم ونون خفيفتين . تقريب التهذيب ٣٧٤ .

(٢) أنظر ميزان الاعتدال ٤/٢٦٧ .

(٣) يزيد بن عياض بن جعدبه بضم الجيم والمهمله بينها مهملة ساكنة . تقريب التهذيب ٣٨٤ .

(٤) أبو المهزم بتشديد الزاى المكسورة اسمه يزيد وقيل عبد الرحمن . تقريب التهذيب ٤٢٨ .



- (٥٩٠) يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل مدني .  
 (٥٩١) يزيد بن إبان الرقاشي عن أنس .  
 (٥٩٢) يزيد بن بيان المعلم .  
 (٥٩٣) يزيد بن يوسف الشامي .  
 (٥٩٤) يزيد بن عطاء مولى أبي عوانه واسطي .  
 (٥٩٥) يعقوب بن الوليد مدني .  
 (٥٩٦) يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه .  
 (٥٩٧) يوسف بن السفر أبو الفيض عن الأوزاعي روى عنه عبد الله بن عمران  
 العابدی فقال يوسف بن الفيض شامي (١) .  
 (٥٩٨) يوسف بن خالد السمطي بصرى .  
 (٥٩٩) يوسف بن عطية الصفار أبو سهل بصرى .  
 (٦٠٠) يوسف بن عطية الوراق كوفي أبو المنذر .  
 (٦٠١) يوسف بن ميمون الصباغ كوفي . عن عطاء .  
 (٦٠٢) يونس بن خباب كوفي سىء المذهب (٢) .  
 (٦٠٣) يعلى بن الأشدق .  
 (٦٠٤) ياسين بن معاذ أبو خلف الزيات كوفي .  
 (٦٠٥) يمان بن المغيرة أبو حذيفة العنزى بصرى (٣) .  
 (٦٠٦) يمان أبو حذيفة . وقيل ابن حذيفة . بصرى .  
 (٦٠٧) يمان بن سعيد . أبو رضوان شامي .  
 (٥٠٨) يمان بن عدى أبو عدى الحضرمي ضعيف .  
 (٦٠٩) يمان بن رثاب خراساني يرى رأى الخوارج .

## الكنى

(٦١٠) أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبره مديني (٤) .

(١) أنظر ميزان الاعتدال ٤/٤٦٦ .

(٢) ما بين القوسين كلمة غير واضحة وقد وجدت ترجمة هذا الرجل في ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب وعثرت فيها على قول الدارقطني ونصه : «كان رجل سوء فيه شيعية مفرطه كان يسب عثمان» أنظر ميزان الاعتدال ٤/٤٧٩ ، تهذيب التهذيب ٤٣٨/١١ .

(٣) جعل الذهبي هذه الترجمة وما بعدها لرجل واحد . ميزان الاعتدال ٤/٤٦٠ .

(٤) قيل اسمه عبد الله وقيل محمد . تقريب التهذيب ٣٩٦ .

- (٦١١) أبو حامد الحنفى مجهول .
- (٦١٢) أبو داود النخعي كذاب رماه أحمد بن حنبل بالكذب .
- (٦١٣) أبو كرز القرشى مجهول<sup>(١)</sup> .
- (٦١٤) أبو ناشرة مجهول .
- (٦١٥) أبو سورة مجهول يروى عن أبي أيوب الأنصارى<sup>(٢)</sup> .
- (٦١٦) أبو ادم كوفي سليمان بن زيد المحاربى عن ابن أبى أوفى ضعيف .
- (٦١٧) أبو همدان . القاسم بن بهرام قاضى هيت متروك .
- (٦١٨) أبو توبة القاص بصرى ضعيف .
- (٦١٩) أبو سفيان الصوفى . ويقال العوفى . قال الدارقطنى ليس أعرفه .
- (٦٢٠) أبو حماد الكوفى الحنفى المفضل بن صدقه ليس بالقوى .
- (٦٢١) أبو حفص العبدى عمر بن حفص ضعيف .
- (٦٢٢) أبو أمية بن يعلى الثقفى ضعيف<sup>(٣)</sup> .
- (٦٢٣) أبو سفيان السعدى طريف ضعيف .
- (٦٢٤) أبو عبد السلام مجهول<sup>(٤)</sup> .
- (٦٢٥) أبو صفوان عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان من الثقات عن يونس ابن مالك .
- (٦٢٦) سعيد بن مسلمه بن هشام بن عبد الملك ضعيف يعتبر به .
- (٦٢٧) ومسلمه بن سعيد بن عبد الملك يعتبر به ضعيف .
- (٦٢٨) بقيه يروى عن قوم متروكين مثل .
- (٦٢٩) مجاشع بن عمرو<sup>(٥)</sup> .
- (٦٣٠) وعبيد الله بن يحيى لا أعرفه ولا أعلم روى عنه غير بقيه .

(١) عبد الله بن كرز القرشى لسان الميزان ٩٨/٧ .

(٢) قال الذهبى : يقال أنه ابن أخى أبى أيوب . ميزان الاعتدال ٥٣٥/٤ .

(٣) قال الذهبى : هو اسماعيل . ميزان الاعتدال ٤٩٣/٤ .

(٤) قال الذهبى : قيل اسمه الزبير وقيل أيوب . ميزان الاعتدال ٥٤٨/٤ .

(٥) انظر ميزان الاعتدال ٤٣٦/٣ .

(٦٣١) وعبد الحميد بن السرى الغنوى يروى عن عبيد الله بن عمر يقال له أبو اليسر ضعيف<sup>(١)</sup>.

(٦٣٢) الوليد بن مسلم يرسل، يروى عن الأوزاعى أحاديث الأوزاعى عن شيوخ ضعفاء عن شيوخ قد أدركهم الأوزاعى مثل نافع وعطاء والزهرى فيسقط أسماء الضعفاء ويجعلها عن الأوزاعى عن عطاء يعنى مثل عبد الله بن عامر الأسلمى واسماعيل بن مسلم<sup>(٢)</sup>.

(آخر الكتاب والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً) . . . وهو حسبنا ونعم الوكيل . بلغ العرض .

كان الحسن البصرى رحمه الله يقول :

لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس  
بعيب هو فيه ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يبدأ بإصلاح ذلك  
من نفسه فإنه إذا فعل ذلك لم يصلح عيباً إلا وجد في نفسه  
عيباً آخر ينبغى له أن يصلحه فإذا فعل ذلك شغل نفسه  
بخاصة نفسه من عيب غيره . . .

وإنك ناظر إلى عملك يوزن خيره وشره، فلا تحقرن  
شيئاً من الخير وإن صغر، فإنك إذا رأيت سريراً مكانه، ولا  
تحقرن شيئاً من الشر وإن صغر، فإنك إذا رأيت ساءك  
مكانه . . .

(١) قال الذهبى : من المجاهيل . ضعفه الدارقطنى . ميزان الاعتدال ٥٤١/٢ .

(٢) قال الذهبى : إذا قال الوليد بن مسلم عن ابن جريج أو عن الأوزاعى فليس بمعتمد لأنه يدل على كذاين فإذا قال حدثنا فهو حجة . ميزان الاعتدال ٣٤٨/٤ .

# الملك عبد العزيز آل سعود

بين

## نصره لله ونصر الله له

لشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن

المرضى بالعهد الثاني التابع للجماعة

(٣)

كان الملك عبد العزيز دائم الشكر لله سبحانه وتعالى على تأييده له في كل موقفه، وكان دائماً يفيض في الحديث بنعمة الله عليه، وبتوفيقه في جميع أموره، قال رحمه الله :

«التوفيق . . . والتوفيق لا يكون إلا بالله . . . ﴿وما توفيقى إلا بالله﴾ . (هود : ٨٨) .  
والإنسان بلا توفيق لا يستطيع أن يعمل شيئاً . . . نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير لهذا الوطن العزيز . . . إن توفيق الله هو المقدم والنافذ . . . وأمره بين الكاف والنون ﴿كن فيكون﴾ .  
(يس : ٨٢) والقدرة وحدها لا تنفع ما لم تكن مؤيدة من الله سبحانه وتعالى . . . نسأل الله التوفيق، وأن ينصر دينه، ويعلى كلمته، ويعز الإسلام والمسلمين .  
ونسأله تعالى العناية والتوفيق وإصلاح النية، وأن يوفقنا إلى ما فيه الخير والفلاح»<sup>(١)</sup> .

ولقد قالوا :

«التوفيق قوة من عالم الغيب، يؤمن بها من تتبع أمثال سيرة عبد العزيز . خطط الحرب فن، والتغلب أو بسط السيطرة فن، والسياسة والإدارة وما إليها من شئون المجتمع، كل منها فن له قواعده ومدارسه . ومن المدارس التجارب والمران وطول الممارسة . أما «التوفيق» فأمر فوق ذلك كله . لا فائدة له، ولا مدرسة، ولا سابقة ينسج على منوالها .  
وفي الناس من يُسعف بالحظ مرة أو مرات، فيقال : قد وُفق، ولكنه لا يكون «موفقاً»

(١) مختارة من كلمات وخطب الملك عبد العزيز (أنظر المصحف والسيف .

مادام يتأرجح أحيانا بين التوفيق ونقيضه . أما الموفق - حقا - فذلك الذى تجرى الأحداث ،  
أو تكاد تجري متتابعة متجانسة ، على وفق غرضه ، وعلى مدى مصلحته»<sup>(١)</sup> .

وإن جليل توفيق الله على الملك عبد العزيز ، أن أيده فى كل ما قام به من عمل ؛ فهو  
سبحانه وتعالى موفقه ومؤيده ، ومؤازره فى كل خطوة خطاها ، فقد فتح الرياض ، وضم  
الخرج ، والمحمل ، والشعيب ، والوشم ، وأنتصر على الأعداء فخلّص القصيم ، وفتح  
الأحساء ، وضم عسير ، وفتح حائلا ، والجوف ، وكان توفيق الله فى أسمى صورة حينما ضم  
الحجاز ، ووجه كل اهتمامه وعنايته إلى الحرمين الشريفين .

وهكذا فقد خلّص - رحمه الله - البلاد والعباد مما دهاهم مئات السنين ، واجتمع  
الناس عليه ، فأصبح مسئولا عنهم أمام الله سبحانه وتعالى ، فعليه أن يرعى الله فيهم ،  
فيسلك بهم طريق النجاة للدنيا والآخرة .

كان الملك عبد العزيز آل سعود صادقا مع نفسه ، وما عاهد الله عليه من التمسك  
بالمنهج الإلهى ، والدستور السهاوى القرآن الكريم ، وسنة رسول الله ﷺ ، وطريق السلف  
الصالح من الصحابة والتابعين بلا تأويل ، أو ابتداع ، أو تغيير .

كان أول ما نادى به ، إخلاص التوحيد لله ، ومما علق به من كل شائبه ، وجعله لله  
وحده ، فلا يشرك به ، منفردا بالعبادة والقصد .

وهذا هو الأساس المتين الذى يجتمع عليه المسلمون ، حتى يثبت الإيمان ، ويرسخ فى  
الصدور ، وبعده يهون كل شىء .

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ . (النساء : ٦١) .

وما ترك - رحمه الله - مناسبة ولا اجتماعا ، دون أن يذكر الناس بالتوحيد الخالص لله ،  
فهو يعرف أن التوحيد إذا علق به شىء ضعفت النفوس ، وأصبح من السهل أن تنقاد لغير  
الله ، قال رحمه الله :

«هذه هى العقيدة التى قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها ، وهذه هى  
عقيدتنا ، وهى عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل خالصة من كل شائبة ، منزهة من كل  
بدعة ، فعقيدة التوحيد هذه ، هى التى ندعو إليها ، وهى التى تنجينا مما نحن فيه من محن  
وأوصاب»<sup>(٢)</sup> .

(١) شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز . ج ٢ ص ٥٨١ .

(٢) من خطبة ألقاها جلالتة بمكة فى ذى الحجة ١٣٤٧هـ (المصحف والسيف ص ٨٥-٨٦) .

«إن المسلمين في خير ماداموا على كتاب الله، وسنة رسوله، وما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة»<sup>(١)</sup>.

«وقد نصرنا الله بقوة التوحيد الذي في القلوب، والإيمان الذي في الصدور، ويعلم الله أن التوحيد لم يملك علينا عظامنا وأجسامنا فحسب، بل ملك علينا قلوبنا وجوارحنا، ولم نتخذ التوحيد آلة لقضاء مآرب شخصية، أو لجر مغنم، وإنما تمسكنا به عن عقيدة وإيمان قوى، ولنجعل كلمة الله هي العليا»<sup>(٢)</sup>.

ثم ينطلق الملك عبد العزيز بالدعوة إلى التوحيد من محيط الجزيرة العربية، فيتخذ موقف الداعى إلى الله، ليلبغ ما يجب عليه تجاه نشر الدعوة، فيدعو المسلمين جميعا في أنحاء الأرض إلى التوحيد الصحيح، وينطلق بهم إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وحينها يرى المسلمين قد نفذوا ذلك، واتحدوا على العمل بما يدعو إليه، سيجدون أنه واحد من المسلمين يسعى لخيرهم، ويسهر على راحتهم، لا بصفته ملكا أو زعيما أو أميرا، بل فردا من عامة المسلمين، وليس هو وحده فحسب بل ومعه أولاده وجيشه وقومه، ثم يشهد الله على قوله وتبليغه للمسلمين فيقول :

«إن المسلمين بخير إذا اتفقوا، وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله . . . ليتقدم المسلمون للعمل بذلك، فيتفقوا فيما بينهم على العمل بكتاب الله وسنة نبيه، وبما جاء فيهما، والدعوة إلى التوحيد الخالص فإننى - حينذاك - أتقدم إليهم فأسير وإياهم جنبا إلى جنب في كل عمل يعملونه، وفي كل حركة يقومون بها . . . والله إنى لا أحب الملك وأبته، ولا أبغى إلا مرضاة الله، والدعوة إلى التوحيد . . . ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك، وليتفقوا، فإننى أسير وقتئذ معهم لا بصفة ملك أو زعيم أو أمير، بل بصفة خادم . . . أسير معهم أنا وأسرتى وجيشى وبنو قومي؛ والله على ما أقول شهيد، وهو خير الشاهدين»<sup>(٣)</sup>.

ثم يذهب رحمه الله إلى أبعد من ذلك، فيرى أن كلمة التوحيد الصحيحة ونشرها، والعمل بها بين المسلمين، لو تمت على يد أعدائه، لكان فرحا بذلك، ولا تحمد معهم، وسار في طريقهم، وإن تمت على يده اعتبر ذلك منة، وفضلا من الله سبحانه وتعالى .

(١) من خطبة ألقاها جلالته بمكة في ذى الحجة ١٣٤٧ هـ (المصحف والسيف ص ٨٥-٨٦).

(٢) من خطبة ألقاها جلالته بمكة بمناسبة سفره إلى المنطقة الوسطى من المملكة في محرم ١٣٤٨ هـ (المصحف والسيف

ص ٨٩).

(٣) المصحف والسيف ص ٨٧ .

«وإني أجاهد لإعلاء كلمة التوحيد، والحرص عليها، وأحب أن أراها قائمة ولو على يد أعدائي، وإن تمت على يدي فذلك من فضل الله»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

كان رحمه الله في كل اجتماعاته الخاصة والعامة، بين أهله وخاصته، أو بين أهل البلاد، حينما يلتقى بهم في كل مناسبة، أو في اجتماعاته الدولية بين عامة المسلمين، يوصى بالتمسك بالكتاب والسنة، وأن يجتمع الناس عليهما وأن يعملوا بما فيهما، فليس في الحياة أمر إلا وتعرض له القرآن الكريم ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ والسنة الشريفة، وليس هناك خصلة مفيدة ونافعة إلا يدعوان إليها. خطب يوماً أهل مكة فكان مما قاله :

«ولكن هناك نعمة حقيقية لا تزول، وخزينة لا ينضب معينها، هي الاعتقاد بأن لا إله إلا الله، وهذه النعمة مشروعة في كل مكان، ولكنها هذه البقعة المباركة ألزم، لأن الحسنات والسيئات تتضاعف فيها، ولأن الله أختارها لتكون مهبطاً للوحى، وجعل زيارة حرمها من أركان الإسلام».

وقال رحمه الله حينما جاء إلى المدينة المنورة، وسلم على رسول ﷺ، وصلى بالمسجد النبوي، ثم خطب الناس فكان مما قاله :

«وإن خطتى التي سرت، ولا أزال أسير عليها، هي إقامة الشريعة السمحاء، كما أننى أرى من واجبى ترقية جزيرة العرب، والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة، مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامى الحنيف».

وخطب يوماً في حجاج بيت الله الحرام فقال في خطبة طويلة :

«والمقصود من هذا الاجتماع هو أن نحدد اسم الإسلام، ونعمل بمعناه، والإسلام معناه : الاستسلام لله تعالى، والطاعة له، والإيمان بكتابه ورسوله، وقواعد الإسلام قائمة على كتاب الله، وسنة رسوله، وأعمال الخلفاء الراشدين، وما اتفق عليه الصحابة الكرام، وما جاء به فيما بعد الأئمة الأربعة فهو حق لا نعيد عن ذلك قط»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*\*

ولقد ظهر جماعة من المتفرنجين من المسلمين، يدعون إلى ما يسمونه بالتجديد، وإلى الأخذ بكل ما فى الغرب، ونادوا بالخروج على تقاليد الدين الإسلامى الحنيف، ودعوا

(١) الإمام العادل ج ٢ ص ١٣٢ .

(٢) المصحف والسيف ص ٩٣ .

الشرق بأن يسير وراء الغرب، وكانوا مغرضين في ذلك، فانبرى لهم الإمام رحمه الله، ففند مزاعمهم، وسفه أحلامهم، ورد عليهم بالحجة والدليل والمنطق في كثير مما قاله في خطبه ومجالسه ومنتداه .

قال رحمه الله :

«يقول كثير من المسلمين : يجب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة، وإن تأخرنا ناشىء من عدم سيرنا في هذا الطريق، وهذا إدعاء باطل، فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا ويقويننا على شرط أن لا يفسد علينا عقائدنا وشيئتنا، فإذا أردنا التقدم يجب أن نتبع الإسلام، وإلا كان الشر كل الشر في اتباع غيره»<sup>(١)</sup>.

« يقولون : (الحرية) ويدعى البعض أنها من أوضاع الأوربيين، والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكافلة لحقوق الناس جميعا، وجاء بالإخاء والمساواة المطلقة التي لم تحلم بها أمة من الأمم، فأخى بين الصغير والكبير، والقوى والضعيف، والغنى والفقير، وساوى بينهم»<sup>(٢)</sup>.

ويقولون التمدن والمدنية الأوربية هي الغاية القصوى، وهذا وهم باطل، فإن الله جعل من كل شيء أفضله مباحا لنا، وأحب شيء إلينا هو العمل الخالص، والنية الحسنة»<sup>(٣)</sup>.

«إننا لا نبغى التجديد» الذي يفقدنا ديننا وعقيدتنا . . . إننا نبغى مرضاة الله عز وجل، ومن عمل ابتغاء مرضاة الله، فهو حسبه، وهو ناصره، فالمسلمون لا يعوزهم التجديد، وإنما تعوزهم العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح»<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*\*\*

ولقد بدأ رحمه الله بالدور العملى في تنفيذ حدود الله في جميع مناحى الحياة، وعلى الجميع، لا فرق بين غنى وفقير، وأمير وغير أمير، وأصبح الناس كلهم سواء أمام القانون السماوى، وهدد أولئك الذين قد تحدثهم أنفسهم بالفوضى، والمضاربة بالأقوال، والتلاعب بالكلمات والألفاظ، ويظهرون الأمور على ما ليست عليه، لقد حذرهم فكان مما قاله :

«إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون، لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا

(١) المصحف والسيف ص ١٢٣ .

(٢) المصحف والسيف ص ٩٣ .

(٤) المصحف والسيف ص ٨٦ .



للراحة والطمأنينة، وإني أحذر الجميع من نزعات الشيطان، والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذه الديار، فإنني لا أراعى في هذا الباب صغيراً أو كبيراً، وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

لقد شغل بال الملك عبد العزيز الأمن والسكينة في هذه البلاد المترامية الأطراف، الواسعة المساحة، وللبادية وسكانها خطرهم، فهم منتشرون في مساحات شاسعة بين الخليج العربي والبحر الأحمر، وما بين خليج عدن، وما يقابله في الشمال.

هذه المساحة الكبيرة لم تر الأمن والسكينة من زمن بعيد، فقد رجعت عناصر الشر إلى عاداتها وطبائعها، إذا استثنينا فترات قصيرة، كانت بمثابة هدنة. وفي العهد التركي وعهد الشريف أصبحت أشد خطراً، وأعظم فتكاً، فليس هناك ما يردعهم، أو يقلم أظافرهم؛ ولأن البلاد ممزقة بسبب الثارات بين القبائل، فكانت الإغارة والسلب والنهب والقتل من المهن المعترف بها، وكان أهل البادية دائماً يتربصون بالقوافل وقطعان الماشية الدوائر.

ولكى يأمن التاجر على نفسه وما معه إذا كان يجتاز الصحراء، عليه أن يدفع الإتاوات على طول الطريق الذي يمر به، فالتاجر الذي يجيء من البحرين مثلاً يدفع قبل أن تطأ رجله العقير إتاوة للعجمان، ومن العقير إلى النخل خمسة أميال، إتاوة للمناصير، وكذلك أم الذروبني هاجر...

وإذا فاز التاجر بحياته وبقى شيء في كيسه فمن المؤكد أن أحماله لا تصل كلها إلى المكان الذي يريده. وكان في عهد الترك إذا خرج العسكر لتأديب جماعة من هؤلاء البدو، يطاردهم البدو، فيغلبونهم، ويأخذون خيلهم وثيابهم، ويرجعونهم إلى مكان إقامتهم حفاة عراة.

والأدهى والأمر ما كان يصنع بحجاج بيت الله الحرام، كانوا عرضة للسلب والنهب والقتل، وكان الحجاج يخرجون من بلادهم، ولا أمل لهم في العودة، وقد حملوا معهم أكفانهم، فكانوا في جهاد وقتال مع أهل البادية الذين يأخذون منهم ما يطلبون، ولم يكونوا يكتفون بما أخذوا بل كانوا يغيرون على مؤخرات القوافل يسلبون ويقتلون، ولا أحد يستطيع أن يغير شيئاً مما كان يحدث.

(١) المصحف والسيف ص ٢١٧.

حتى أرض الحجاز لم تسلم من بطش أهل البادية في معظم جهاتها، والعلة في ذلك أن حكام الحجاز لم يكونوا على كثير من الحكمة والسياسة التي تلائم العرف عند القبائل، أو لم يكونوا متفرغين للأمن، ولم يكن يجدى ما يدفعون من أموال، فقد كانت القبائل تأخذ الأموال، ولا تمتنع عن السلب والنهب، ولم يخطر على بال أحد منهم أن يحكم الشريعة الإسلامية، لذلك فإن الفوضى الأمنية قد عمت جل البلاد، فمثلا طرق المدينة المنورة لم يكن في الاستطاعة أن يقام فيها الأمن وأن يستتب، فكانت مسرحا لحوادث جسام، فالقبائل تعتدى على الحجاج، وتسلب ما معهم، وقد تفرض عليهم إتاوات كبيرة .

يقول الصحفى المصرى محمود أبو الفتح - رحمه الله - في صحيفة الأهرام عام

١٩٣٠ م :

« كان بعض الأعراب يذبحون الحاج وإن كان فقيراً لإستلاب ما معه، وكانوا يذبحون الحاج في رابعة النهار، ولم يسلم من أذاهم أحد، ولم يجدوا من يردعهم، فعاثوا فساداً، حتى كان المسلم يخرج وهو لا يدرى أيعود إلى وطنه أم يقتله السفاحون»<sup>(١)</sup>.

وحتى أهل البادية، لم يكونوا في صفاء مع أنفسهم، كانوا متفرقين مختلفين، تزداد العداوة والبغضاء بينهم نموا يوماً بعد يوم، يقتل بعضهم بعضاً لأتفه الأسباب، ويأكل القوى منهم الضعيف، تنشب المعارك الضاربة، فيقتل منهم العشرات، لا ينامون على خير، بل يعدون للشر والإنتقام، ويندفعون للتخريب لذلك لم يهدأوا ولم يأمنوا، وكانوا يسرون في جماعات حاملين السلاح، وكأنها رجعت الجاهلية الأولى فاشتعلت نار الفتن، وتقطعت الأرحام وتواثبوا في الأسواق، وعلى حدود القبائل، وخاف بعضهم بعضاً، فحملوا السلاح ليلاً ونهاراً .

يقول صاحب كتاب « عنوان المجد » :

« كانت الفتن مستمرة، والغارات دائمة بين القبائل ففي ١٢٣٩ هـ وقعت فتن وقتل رجال، وأخذت أموال من كل بلد وناحية من القصيم والعارض والخرج والجنوب وغير ذلك .

وكان بعض القبائل يغير على القرى والمدن ففي ١٢٣٧ هـ مثلاً أغارت بوادى سبيع على - قرية - منفوحة، وأخذوها عنوة ونهبوا وسلبوا النساء، وقطعوا الشار واستولوا على البلد... وعم القتل في هذه السنة في القصيم وسدير والوشم والعارض والخرج والجنوب»<sup>(٢)</sup>.

(٢) عنوان المجد لعثمان بشرح ١ ص ٢٧٧ .

(١) صحيفة الأهرام في ١٦/١١/١٩٣٠ م .

وهكذا فقد ساد الجزيرة فوضى، رجع الناس بسببها إلى ما كان قبل بعثة الرسول ﷺ .

\*\*\*\*\*

استرشد الملك عبد العزيز برأى الدين في معالجة كل أمره، وبما هداه الله إليه من عمل، ووهبه من ذكاء وخبرة، لم يلجأ رحمه الله في أول الأمر إلى القوة واستخدام السيف للخارجين على الدين، والعاثين في الأرض فسادا، وكان الخطر الداهم على البلاد من البادية، لأن أهلها جبلوا على عادات وطباع خاصة، هم في حاجة إلى علاج ناجع يحسم الداء، ويجعل منهم مجتمعا صالحا للحياتين .

لقد رأى أن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، وأن لهذا الدين سحراً عجيباً في قيادة الناس على اختلاف مشاربهم وحياتهم، وأنه هو الذي صنع من أهل البادية أعظم أمة عرفها التاريخ، وأن الناس حينما تخلوا عن مبادئ هذا الدين الحنيف، تخلى الله عنهم فتأهوا في الظلمات سنين طويلة، أما وقد وفق الله لإقامة شعائر هذا الدين، فقد رأى الإمام والملك المصلح - رحمه الله - تبصير أهل البادية بأمر دينهم، وجمع كلمتهم على هدى الإسلام .

لقد أرسل إليهم من يبصرهم بأمر دينهم، ويرشدهم إلى الطاعات، فكان في كل قبيلة من قبائل البدو الرحالة والمستقرة من يعلم الناس أصول هذا الدين القويم، ويوجههم إلى ما ينفعهم في حياتهم، ويحجب عما يسألون عنه في أمور الدنيا والآخرة، فالتفوا حوله، وشغلوا بالعمل الصالح، وأصبح له مكانة كبيرة في نفوسهم، وصار يخاطبهم يوم الجمعة وكل المناسبات الدينية كالعيدين والاستسقاء وغيرهما، ويصلى بهم، ويعلم أبناءهم، ويفتي كبارهم، ويعقد الزواج، ويقسم الموارث، ويتوسط في حل المشاكل .

ورأى الملك عبد العزيز - رحمه الله - أن عامل الحالة الاجتماعية يساعد كثيرا على الاستقرار ويقوى الناحية الدينية، ويسد الطريق على من تحدثه نفسه بأن يسلك طريقا غير مشروع لجلب الرزق، فأراد أن ينتقل بالبدو من حياة البادية المتنقلة، إلى حياة الهجر، ليتركوا حياة السفر والتنقل من مكان إلى آخر قد يجدون فيه ما يسد رمقهم، وقد لا يجدون، فيميلون إلى السطو والنهب أراد أن ينتقل بهم إلى حياة السكون والاستقرار، وليتركوا حياة الرعي إلى حياة الزراعة والرعي . وانشئت الهجرة الأولى على آبار الأرتاوية على طريق بين الزلفى والكويت عام ١٣٣٠هـ، وأصبحت خلال بضع سنوات مدنا فيها من السكان ما يزيد على العشرين ألفاً، ثم تلى الأرتاوية حركة عامة بين البدو لترك حياتهم البدوية والسكنى في قرى جديدة، كانوا ينشئونها بمعونة من بيت مال المسلمين، تحفر البئر ويبني

المسجد الذى هو مجتمع القرية ومدرستها، وكانت السرعة هى الرائد فى كل ما يقومون به من أعمال .

وهكذا فقد أصبحت المساجد غاصة بأهلها ممن تركوا الخرافات والبدع وعادات الجاهلية، وواظبوا على الصلاة فى أوقاتها، وتواصوا بالأخلاق الإسلامية الصحيحة التى تحث على الفضيلة والإيمان .

وأصبحت الزراعة هى موردهم الذى منه يأكلون ويتاجرون ويربحون، فتكونت عندهم الثروات والمال الكثير، وفى نفس الوقت فقد انتشرت المعسكرات، ليكونوا من الشباب أمة مسلمة تدافع عن مبادئها، وترد كيد كل من يحاول أن ينال من دولتهم الفتية بقيادة قائدهم الأعظم عبد العزيز آل سعود، وهم على استعداد للقتال معه فى أى وقت .

\*\*\*\*\*

لقد كانت خطة الإمام عبد العزيز منذ تولى إمارة الرياض، أن ينفذ حكم الله فى كل من خرج على حدوده، فكان يتتبع الجرائم الكبيرة بنفسه، ويتعقبها، ويحث جهات الاختصاص على رفع نتائج الحوادث وتطورها إليه أولاً فأولاً، ويصدر أوامره بشأنها، ويشفع كل ذلك بالحزم والدقة حتى تنكشف الجناية، وكان إذا عرضت عليه قضية درسها من جميع الوجوه بما له من علم ومعرفة وخبرة وذكاء مبينا ما جاء فى الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ثم يصدر حكمه .

وكان كثيراً ما يقرأ ظروف وملابسات كل قضية يطلب منه التصديق عليها، وقد يعيد الحكم فيها، من ذلك ما رفع إليه من قضية طلب منه التصديق على حكم أصدرته إحدى المحاكم الشرعية، بإعدام جندي قتل زوجته وجندياً آخر، وكان تنفيذ الحكم معلقاً على موافقة الإمام .

درس - رحمه الله - القضية، فظهر له أن الزوجة كانت قد غابت عن بيتها أياماً، وبحث عنها زوجها فوجدها عند أحد الجنود، فأطلق عليها الرصاص وسألته المحكمة، فأقر بالقتل، ولم يحسن الدفاع عن نفسه فحكمت المحكمة بإعدامه .

ولم يكذب ينتهى من القضية، حتى دعا رئيس المحكمة إليه فقال له :

«ألم تقرأ الحديث الذى فيه إننى أغيركم، والله أغير منى»<sup>(١)</sup>.

ثم أطلق القاتل لأنه كان يدافع عن عرضه. وهذا من توفيق الله<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*\*

ولما اتسعت البلاد، جعل لكل ناحية أميراً، وكان على كل أمير أن يجمع رؤساء القبائل والعشائر، ويؤمنهم على أنفسهم ومعيشتهم، ويشترط عليهم أن يكونوا قادرين على حفظ الأمن فى حدود أراضي قبيلتهم، وكل حادثة تحدث فى منطقة أحدهم يكون مسئولاً عنها هو وقبيلته، سواء أكانت بين بعضهم أو حوادث لأجانب من التجار أو الحجاج أو غيرهم.

علم أمير الطائف فى أوائل ضم الحجاز أن البدو اختطفوا اثنين من حجاج الهند وقتلوهما، وأخذوا أمتعتهما، فأمر باحضار كبار القبيلة التى حصل فى حدودها الحادث، وحدد لهم ثلاثة أيام لاحضار المسروقات، والإرشاد عن جثث القتلى، وأقسم أنه إذا انقضى الميعاد المضروب دون نفاذ المطلوب، لبيدن القبيلة بأكملها، وقبل مضى الميعاد، أحضر رجال القبيلة المسروقات، وأرشدوا إلى جثث القتيلين، وأخيراً أرشدوا إلى اثنين اعترفا بالقتل، فأمر بقطع رقبتهم.

وفى هذه المرة اعتداء على السعوديين فقد جاء إلى القصر فى الرياض بضعة رجال من إحدى القبائل، يطلبون عيشاً وكسوة، فكان لهم ما ابتغوه، ثم ارتحلوا، فمروا فى طريقهم ببعض الجمال والنوق، فساقوها أمامهم، فشكاهم أصحابها إلى السلطان عبد العزيز، فبعث السلطان من يحمل الخبر إلى أمير الاحساء، فما وصل إليه الخبر، حتى تحرك رجال الدولة يبحثون عن اللصوص، وما هى إلا أربع وعشرون ساعة حتى جىء بهم وبالمسروقات ولقوا جزاءهم.

﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾. (المائدة : ٣٣).

\*\*\*\*\*

لقد ألقى الله فى قلب كل من تسول له نفسه السير فى طريق العدوان والفساد وسادت

(١) عن أبى هريرة قال : قال سعد بن عباد يارسول الله لو وجدت مع أهلى رجلاً لم أمسه حتى أتى بأربعة شهداء . قال ﷺ : نعم . قال : كلا الذى بعثك بالحق إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك . قال رسول الله ﷺ : اسمعوا إلى ما يقول سيدكم إنه لغيور وأنا أغير منه والله أغير منى - صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ١٣١ . باب اللعان . المطبعة المصرية .  
(٢) شبه الجزيرة ج ٢ ص ٤٥٢ .

الرغبة في الحفاظ على حقوق الله وحقوق العباد، فكان يُردّد في كل مكان : «الحكم للشرع»، «السارق تقطع يده»، «القاتل يقتل» «عدل عبد العزيز»، «التمسك بشريعة الإسلام»، «الصلاة الصلاة» .

كلمات تسمع في البادية، وفي القرى والمدن، وفي البر والبحر، وفي الأماكن المقدسة، يرددها الناس فتزلزل القلوب، وتخيف النفوس المريضة، وتزيد المؤمنين إيماناً وطمأنينة . بل لقد انتقلت هذه الكلمات إلى عامة المسلمين في جميع البلاد الإسلامية، في الصحراء وفي المدن والديساكر، في أعماق بلاد المسلمين، يهنيء بعضهم بعضاً، بسبب ما وصل إليه الأمن والأمان في البلاد المقدسة، وبنجاح التجربة الإسلامية، وعودة بلد من بلاد المسلمين إلى الحكم بكتاب الله، ويتمنى أن تنال هذه التجربة الناجحة بلاد المسلمين فيرجعوا إلى كتاب الله .

لقد شجع بعضهم بعضاً على أداء الحج والعمرة، وغاب عامل الخوف والرعب، فكانوا يقولون :

هيا إلى الحج، هيا إلى العمرة، إلى الأماكن المقدسة، إلى مكة وإلى المدينة، الطريق آمن، ابن سعود يحكم بالشرع، عبد العزيز قضى على القتلة والسفاحين، سنرجع بسلامة الله .

كلمات لا يزال يحكيها المعمرون في أقاصي البلاد الإسلامية، الذين رأوا بأعينهم الأعمال العظيمة التي قام بها عاهل الجزيرة الملك عبد العزيز آل سعود، فكانت خير شاهد على توفيق الله له .

ولقد جاء في الحديث الصحفي الذي نشره محمود أبو الفتح - رحمه الله - وقد زار البلاد، ورأى بعينه ما وصلت إليه البلاد منذ أكثر من خمسين سنة ما يأتي :

«وجاء ابن سعود، فضرب أمثلة . . . كان يأمر بالسارق فتقطع يميناه، وبالقاتل فيجز رأسه في السوق العامة . . . تلك أمثلة . . . ولكنها كانت درسا نافعا، فقد قطع ابن سعود عشرات من رؤوس اللصوص والقتلة، وأنقذ بذلك رؤوس الألوف من حجاج بيت الله الحرام» .

ثم يكمل حديثه فيقول :

والآن تسير الفتاة من طرف الجزيرة الغربي إلى طرفها الشرقي، تحمل الذهب، فلا

يتطلع إليها أحد، بل يرى الناس قطعة الذهب أو الفضة ملقاة على الأرض، تسقط من بعض المارة، فلا يقربونها، وإنما يبلغون عنها الشرطة .

ويحدثني المعتمد البريطاني في جدة عن حالة الأمن فقال :

«إنها إن دامت سنوات بلغت البلاد درجة عظيمة من الرقى . إن الأمن في الحجاز، لا مثل له في أى بلد من بلاد العالم الآن»<sup>(١)</sup> .

وقال محمد بن عبد الله الأنصارى الاحسائى :

«والمملكة العربية السعودية تتقدم من حسن إلى أحسن، قد عمها الأمن، وشملها العدل، واتسع الرزق، وكثرت موارده، وعم اليسار معظم طبقات الشعب بما أجرى الله في جهات الاحساء من ينابيع الزيت بحكمة هذا الملك المصلح فقد طبق في مملكته الأحكام الشرعية التي جاء بها القرآن ونطقت به سنة النبي الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، فقتل القاتل، وقطع يد السارق، وجلد شارب الخمر، ورجم الزانى المحصن، وشدد العقاب على المعتدين والعاثين بالأمن، فنعمت البلاد بأمن لم تكن تحلم به، ولم يحصل لغيرها من رعايا الدول الكبيرة المتمدينة، وأقام الدليل الواضح على أن شريعة الإسلام هى الشريعة الكفيلة لسيادة البشر في كل زمان ومكان، فجزاه الله عن المسلمين خيرا»<sup>(٢)</sup> .

والحمد لله ، لقد أصبحت حدود الله ، والمحافضة عليها قائمة إلى وقتنا هذا، وستظل دائما إن شاء الله ، بفضل الله ، ثم بفضل أولئك الذين وفقهم الله ، لإقامة حدود الله ، وإن شريعة الله تتفق مع فطرة الله التي فطر الناس عليها، ففيها الأمن والأمان والهدوء والأطمئنان .

لقد أرسى أساسا متينا للإصلاح الاجتماعى الذى هو الغاية العظيمة من جهاد تلك السنين الطويلة الشاقة، والمتاعب الجسام . التى وفقه الله فتغلب عليها، فلم يهن، ولم يضعف، بل ظل على حيويته ونشاطه، وابتساماته العريضة التى يقابل بها جميع الناس، وصدره الذى شرحه الله دائما فهو الهاش الباش لجميع الذين يلقاهم ويلقونه، فإذا رأته لحظات غاضبا، فإنما غضبه الله وفى الله .

والحمد لله لقد تحطى عقبتين كؤدتين ومشكلتين عظيمتين هما الهجر والأمن والأطمئنان، فاستحق عن جدارة أن يلقب بالمصلح والرائد الاجتماعى فى العصر الحديث .

(١) صحيفة الأهرام فى ١٦/١١/١٩٣٠م .

(٢) تحفة المستفيد فى القديم والجديد ص ١٢٤-١٢٥ .

ولقد واصل الإصلاح بتفكيره المنطلق، وعقله الواعي، وإيمانه الأكيد، وآماله العريضة، لجلب كل ما يدخل السعادة على هذه الأمة التي قاست مئات السنين، فكانت ريادته للنهضة الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية والثقافية .

كان - رحمه الله - في أول الأمر يفكر من أين يبدأ؟ وما الطريق الذي يسلكه؟ ومن أين له بالمال الكثير الذي به يبنى وعليه يقيم ما يرجو ويتمنى .

لقد أدى ما وجب عليه تجاه الله سبحانه وتعالى، وأن الله لن ينساه أبداً، فقد كان دائم التوكل عليه، وسيظل مادام فيه عرق ينبض، وأنه مازال يذكر فضله ونعمته عليه، ولا ينسى حينما كان في مكة، وهو مخيم في محلة «الشهداء» وقد فقد ما أدرج من مؤن وأقوات، ولاح شبح الجوع أو كاد، وأحس من معه بما عليه الحال، فضاقت صدور الرجال، حين قلّ المال، أما عبد العزيز فكان مطمئناً إلى أن الله لن ينساه، وسيرزقه من حيث لا يعرف ولا يفكر، فكان حينما يسأل عن هذا، يقول :

المؤن متوفرة في نجد، غير أن الجمال مشيها وثيد . . . من شاء الرحيل فليرحل أما أنا فمقيم . والفرج من عند الله .

لقد كانت ثقته بالله عظيمة، وتوكله عليه أقوى وأشد، فلم يأت المساء، حتى وصلت قافلة يتقدمها اسماعيل بن مبيريك أمير رابع . وكان الشريف حسين قد قتل أخاه، فلما علم بما صارت إليه الأمور في مكة، وإقامة عبد العزيز بها، جاءه بفروض الطاعة، ومعه عشرون جملاً تحمل التمر والسمن والبر وكان هذا رزقاً ساقه الله إليه<sup>(١)</sup>.

إن الله لا ينسى عباده المخلصين، وقد كان عبد العزيز من أخلص الخلق لله تعالى، فهو يتوكل عليه حق توكله، ولا بد أن الله سيرزقه من حيث لا يعلم، وسوف تفتح له أبواب من الرزق ليس عليها بواب .

وقد كان، فقد فتحت له كنوز الأرض، على حين كان يشغله أمر البلاد والعباد .

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ . (الطلاق : ٢-٣) .

﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً . ذلك أمر الله أنزله إليكم . ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً﴾ . (الطلاق : ٤-٥) .

(١) شبه الجزيرة العربية ج ٢ ص ٥٨٤ .



﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ . (الطلاق : ٧) .

فكانت سعادته الفائقة في أن يصرف كل ما يصل إليه على هذه الأمة، فقد زاد المال ونما، وأدخل الله الخير على هذه البلاد، وقد يكون كل هذا بسبب دعاء رجل واحد .  
ولكن الملك عبد العزيز لم يغير شيئا من عاداته، ولا من مأكله ومشربه وملبسه حتى آخر نفس من حياته المباركة .

قال طيبه أمين رويحة : «لقد اشتدت عليه أزمة المرض في أواخر أيامه - رحمه الله - ورضى عنه : طلبنا إلى جلالته أن يستلقى في سريره للاستراحة، لأن بقاءه مستويا على الكرسي لا يؤمن له الراحة الضرورية للقلب .

أجاب ابن سعود على طلبنا بقوله : ما يخالف هاتوا السرير .

فتوجه الخادمان اللذان يتوليان خدمته الخاصة . . . فجلبا السرير . . . سرير الملك العظيم، فنصباه في الغرفة، وبالعظمة ما رأيت!! إنه سرير من خشب عادى متواضع، وفراش محشوب بالقش صلب قاسى، وفوقه غطاء صوفى، ووسادة من النوع ذاته .

ذلك هو مضع ذلك البطل الكبير الذى لا يكتسى إلا بثوب بسيط من القطن، وقد كان يستطيع بما وهبه الله من جاه ومال ومنزلة في القلوب ألا يكتفى بتوسد الفراش الوثير فحسب، بل حبات القلوب أيضا، وأن يحوط نفسه بالخدم والحشم والممرضات ليلا ونهارا، ولكنه عبد العزيز المتقشف الذى لا تأخذه بها رج الحياة<sup>(١)</sup> .

\* \* \* \* \*

راح - رحمه الله - يبحث عن وسائل الرقى والنهوض بهذه الأمة، فما عرف شيئا فيه مصلحة إلا دعا إليه، ولا عرض عليه أحد رجالته موضوعا صالحا إلا ناقشه ونفذه، ولم يكن متعجلا في طريقة الإصلاح، بل كان كعادته يفضل التؤدة والتأني وتعرف استعداد الشعب لما يريد من الإصلاح .

كان يعتقد أنه بهذه الطريقة سيأتى اليوم الذى تبلغ به الجزيرة أسمى آيات التقدم والرقى في ظل عقيدة التوحيد، وقد كان . . . فما نرى شيئا من النهضة العظيمة في جميع المجالات إلا وهو يدين بالفضل لبانيها ومؤسسها المصلح العظيم - رحمه الله - . إن النهضة

(١) عبد العزيز للمؤرخ الألماني الكبير (اكوبرت فون ميكوس). ترجمة أمين رويحة ص ٢٨٢ .

الإصلاحية التي قام بها هذا الرجل الكبير تحتاج إلى مجلدات ضخمة ولكن نورد بعضاً منها لنستدل به على العقلية الموهوبة، والمتفتحة على كل معالم الحياة بلا حدود، والضاربة بعمقها في كل المجالات، والمحوطة بالرعاية والتوفيق من الله .

كانت البلاد مترامية الأطراف، بعيدة الأماكن والبلاد، ووسائل الاتصال بها بطيئة، فأمر رحمه الله بربط أجزاء البلاد بعضها ببعض بشبكة من المحطات اللاسلكية فكانت وحدة متقاربة الأطراف والثغور، يستطيع أن يتصل بها في أي وقت بالليل أو النهار، وفي دقائق معدودة .

وقد سمح - وهو راض مسرور - للرعية بأن يستعملوا السيارات، وأن يقتنوها ويسيروا بها في طول البلاد وعرضها ولقد كانت من قبل ذلك محرمة، فلم يسمح لأحد من أفراد الرعية باقتنائها أو الاستفادة منها .

وكان - رحمه الله - قد ركب السيارة لأول مرة عام ١٣٤٤ هـ . ورأى فوائدها في تقريب المسافات، فلم يستقل بها، بل سمح لجميع أفراد الشعب باستخدامها، فدخل في البلاد السيارات بأنواعها وأحجامها .

ولقد أنشئت في عهده إدارات عامة للصحة والشرطة والأوقاف والبريد والبرق واللاسلكي، وأنشئت كذلك مديرية للشئون العسكرية، ومديرية للشئون الخارجية، والمديرية العامة للزراعة، وشكلت المحاكم الشرعية، وبيوت المال، وكتاب العدل، والمجالس التجارية وكذلك مؤسسة للنقد العربي السعودي .

أعفى جميع المواد الغذائية، ومواد البناء وغيرهما من الرسوم الجمركية، وقام بشراء الآلات الزراعية الحديثة، ووزعها على الفلاحين للنهوض بالزراعة، ولقد أهتم بالتعليم، ففتح كثيراً من المدارس المتنوعة، واهتم بالمعاهد الدينية، والمكتبات العامة، وأرسل البعثات العلمية إلى الخارج، للاسهام في النهضة التعليمية، وأنشأ - رحمه الله - المستشفيات والمستوصفات في المدن الكبيرة، وأنشأ المراكز الصحية في طريق الحجاج، وأدخل نظام التطعيم، وصرف الدواء بالمجان<sup>(١)</sup> .

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية للدكتور حسن سليمان محمود وسيد محمد ابراهيم ص ٨٤-٨٥، وكتاب التوكل على الودود عبد العزيز آل سعود لمحمد منير البديوي ص ٢٤٨-٢٤٩ .

هذا قليل من كثير في داخل البلاد، فقد عاش لخدمة شعبه ورعايته، ولم يمر يوم إلا وفيه جديد، مما يعود على البلاد بالخير العميم .

ولقد نادى الملك عبد العزيز بتأليف لجنة عام ١٩٣٧م تضم عدة شخصيات عربية مخلصه، تعمل على وضع الأسس لتوحيد الجهود لما فيه خير الأمة العربية، وطالب بإنقاذ فلسطين، وله في ذلك مواقف حاسمة، وآراء ناضجة، ووسائل سليمة .

ولقد أسهم في تأسيس جامعة الدول العربية، ونادى بالتضامن الإسلامي، واشترك في منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م، وعاون كذلك في حل كثير من المشكلات في الشرق الأوسط .

\*\*\*\*\*

هذه لمحات من حياة رجل من رجال الإسلام، ضرب الله لنا به مثلاً أعلى في عصرنا الحاضر، وبعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان على رسالة سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، ضرب به المولى سبحانه وتعالى مثلاً على دوام صحة التمسك بشريعته الغراء، وعلى إمكان تنفيذ حق الله وحق العباد كما جاء به إمام المرسلين ﷺ، والله خلق عباده وهو أعلم بما ينفعهم، ويعود عليهم بالخير العميم، فكان ذلك خير شاهد، وانصع دليل على أن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان .

وما زال - ولا يزال - إن شاء الله - ما وضع أساسه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود واستمده من كتاب الله وسنة رسوله شامخ البنيان، واضح المعالم، جزل العطاء، مضاعف الثمرات، من الراحة والأطمئنان والهدوء النفسي والرزق الرغد، والتقدم في جميع المجالات، وفوق كل هذا، إخلاص العبادة لله ومضاعفة الشكر والحمد لله المنعم الوهاب .

فهلا قرأ حكام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تلك السيرة العطرة، ووعوا ما قام به صاحبها رحمه الله، وهلا تدبروا إخلاصه وحبه لله، فاقتدوا به في أقواله وأفعاله، وسلكوا طريقه، واهتدوا بما اهتدى به مما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة رسوله ﷺ، وعمل به الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين .

هلا عرفوا ذلك ؟ وفعلوا مثل ما فعل هو ومن سبقه على هذا الدرب !!  
لوعرفوا ذلك، لكان فيه قوة للمسلمين في هذا الزمان المملوء بالكيء للإسلام،  
ولأصبحنا قوة يقدرها الناس حق قدرها .

فبدل أن يشرق بعضنا، ويغرب آخرون . ونجرب وراء السراب ونتوه في دروب التبعية  
والاستغلال، الأمر الذي جر علينا الوبال، وبؤنا فيه بالخسران، وأصبحنا قنطرة يعبر فوقها  
أعداء الإسلام إلى ما يريدون تحقيقه، وهذا ضد أهدافنا وآمالنا وديننا ودياننا، بدل كل هذا  
الضياع أمامنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيها كل ما نريد، ولا فائدة أن نخترع كتباً تستمد  
من الأفكار المجردة، البعيدة عن الكتاب والسنة، وليست إلا سراباً بقية يحسبه الظمان ماء  
حتى إذا جاء لم يجده شيئاً .

لقد كان الملك عبد العزيز رحمه الله عنواناً لهذا الدين بما علم وعمل وقدم، فجزاه الله  
خير الجزاء، ورفع منزلته مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً .

\*\*\*\*\*

## المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - مع عاهل الجزيرة لعباس محمود العقاد .
- ٣ - حياة محمد . لمحمد حسين هيكل دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة عشر .
- ٤ - سيرة الرسول ﷺ للإمام محمد بن عبد الوهاب .
- ٥ - شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز آل سعود لخير الدين الزركلى .
- ٦ - كتاب آل سعود لأحمد على . دار العباد بيروت ١٩٥٧ م :
- ٧ - صقر الجزيرة لأحمد عبد الغفور عطار .
- ٨ - المصحف والسيف جمع وإعداد محي الدين القابسي - الرياض المطابع الأهلية .
- ٩ - المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود . لمحمد منير البديوى . الرياض  
١٣٩٧هـ .
- ١٠ - الإصلاح الاجتماعى في عهد الملك عبد العزيز . د . عبد الفتاح حسن أبو  
عيلة . مطبوعات دار الملك عبد العزيز ١٣٩٦هـ .

- ١١ - الإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - السيد عبد الحميد الخطيب . مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩٥١م .
- ١٢ - نجد وملحقاتها . لأمين الريحاني .
- ١٣ - تاريخ الحجاز . لحسين محمد نصيف . القاهرة . مطبعة خضير .
- ١٤ - عنوان المجد في تاريخ نجد . لعثمان بن بشر . مطابع القصيم بالرياض .
- ١٥ - تحفة المستفيد في القديم والجديد . مطابع الرياض ١٣٧٩هـ .
- ١٦ - عبد العزيز للمؤرخ ا . افون ميكوس . ترجمة أمين رويحة .
- ١٧ - الأمن في المملكة العربية السعودية . لواء يحيى عبد الله المعلمي . ١٣٩٨هـ .
- ١٨ - تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها . ج ٢ بيروت مكتبة الحياة .
- ١٩ - المملكة العربية السعودية بقلم خالد السديري دار الكتاب العربي . بيروت ١٩٠٧م .
- ٢٠ - تاريخ ملوك آل سعود . . . سعود بن هذلول .
- ٢١ - تاريخ المملكة العربية السعودية للدكتور حسن سليمان محمود . دار الثناء للطباعة . مصر .

عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال :

كنا نسير مع رسول الله ﷺ في سفر فكنا إذا اشرفنا على واد هللنا وكبرنا وارتفعت أصواتنا .

فقال النبي ﷺ :

« يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنه معكم إنه سميع قريب » . . .

# ظاهرة التقاص في النحو العربي

للكاتب الدكتور محمد أبو السعود  
أستاذ مشارك بكلية اللغة العربية بالجامعة

التقاص أسلوب من أساليب العرب، وطرفة من طرفهم، وملحة من ملح كلامهم، فهو يكسب التراكيب طلاوة، والقواعد دقة، والقياس شمولاً، واتساعاً، واللغة مرونة وتداخلاً، والكلام إحالة وتبادلاً، وقد أشار إليه بعض النحاة<sup>(١)</sup> في مصنفاتهم، ولم يتناولوه تناول شمول وإحاطة، ولكن تعرضوا له تعرض إيماء وإشارة.

لذلك رأيت أن أعرض هذه الظاهرة عرضاً يوقفنا عليها، ويجليها ويطلعنا على دورها في الأساليب، ويجدر بنا أن نعرفها لغة واصطلاحاً ونستعين بالله تعالى فنقول:

**التقاص لغة:** مأخوذ من القص، والقصاص لغة فيه، وهو القتل بالقتل، أو الجرح بالجرح، أو القطع بالقطع. وفي القاموس<sup>(٢)</sup> قاصصته مقاصة وقصاصاً إذا كان لك عليه دين مثل ما له عليك، فجعلت الدين في مقابلة الدين، مأخوذ من اقتصاص الأثر، ومثل ذلك المعنى في المصباح والمختار.

وفي اللسان والتاج والمحكم<sup>(٣)</sup>: التقاص: هو التناصف في القصاص.

قال الشاعر:

فرمنا القصاص وكان التقا ص حكاماً وعدلاً على المسلمينا

فالمادة تدور حول معنى القطع والتتبع.

(١) ابن جنى في سر الصناعة ص ٥٠، وابن الأنباري في مشور الفوائد ص ٧٥. والسيوطي في الأشباه ١/ ١٣٤ وغيرهم.

(٢) القاموس (قصص)، والمصباح ٥٠٥ والمختار ٥٣٨.

(٣) اللسان والتاج (قصص) والمحكم ٦/ ٦٦.

**واصطلاحاً :** هو أن تأخذ الكلمة حكماً من أخرى أخذت مثله منها تلك الكلمة الأخرى .

وبعبارة أخرى : أن تتبادل الكلمتان حكماً خاصاً بهما . بمعنى أن تعطى كل منهما الأخرى حكماً مساوياً لما أخذته منها .

وقد تتأتى هذه الظاهرة بين ألقاب الإعراب ، وفي إبدال بعض الحروف من بعض ، وفي زيادة بعض الحروف .

### **أولاً : تحقيقها بين ألقاب الإعراب :**

أما ورودها بين ألقاب الإعراب فقد تحقق بين الجر والنصب حيث جاء الجر محمولاً على النصب فيما لا ينصرف لشبهه بالفعل في وجود العلتين الفرعيتين أو علة تقوم مقامهما .

كما حمل النصب على الجرفي جمع المؤنث السالم ، وفي التثنية ، وجمع المذكر السالم طلباً للمقابلة (١) .

أما نصب جمع المؤنث بالكسرة فهو تابع للجر إجراء للفرع على وتيرة الأصل الذي هو جمع المذكر السالم ، فإن النصب فيه تابع للجر ، لأنه لو لم يحمل نصبه على جره للزم مزية الفرع على الأصل (٢) .

وأما نصب المثني فقد جاء بالياء حملاً على الجر ، لأنه يجز بالياء .

وأما حمل النصب على الجرفي جمع المذكر السالم كما في التثنية فلأنك لو قلبت الواو ألفاً في النصب لأفضى ذلك إلى الالتباس بالمثني المرفوع (٣) .

وإنما حمل النصب على الجر دون الرفع ، لوجود مناسبة بينهما في وقوع كل منهما فضلة في الكلام (٤) ، ولأنه يشبهه في الافتقار إلى العامل اللفظي (٥) ، ولأن الفتحة إلى الكسرة أقرب من الضمة إليها فحمل على الأقرب منه (٦) .

وقد علل أبو علي الفارسي هذه الظاهرة في هذا المقام تعليلاً حسناً حيث بين أن

(١) الأشباه والنظائر ١/١٣٥ .

(٢) حاشية الصبان ١/١٠٣ .

(٣) شرح الألفية لابن الناظم ص ١٥ .

(٤) المسائل العسكرية للفارسي ١٥٣ وابن الناظم ١٣ ، والتصريح ١/٧٩ والجامي على الكافية ١٨ .

(٥) التوطئة للشلوبيني ١٣٠ .

(٦) التصريح ١/٨٤ .

موافقة الجر نصب فيما لا ينصرف ، كموافقة نصب الجر في التثنية والجمع فليس الاتفاق للبناء ، وإنما هو لاجتماع النصب والجر في كونها فضلتين ، وفي كونها كاملتين بعد استعمال الجملة المتضمنة للفعل ، أو معنى الفعل بجزئها اللذين هما الحدث والمحدث عنه ، ومن ثم اتفقا أيضا في باب الضمير (١) .

ومما يقوى هذه الظاهرة ويؤكد تحقيقها في هذا الموضوع وجود شبه بين علامة كل من النصب والجر . فالفتحة تشبه الكسرة وإن اختلف موضعها . كما أن الياء لا يتغير وضعها سواء أكانت علامة للجر ، أم علامة للنصب ، وإن اختلفت حركة ما قبلها وما بعدها في التثنية والجمع .

## ثانيا : في إبدال بعض الحروف من بعض :

### ١ - إبدال الهمزة من الهاء :

من حروف الإبدال القياسى الهمزة والهاء ، لأنهما من حروف (هدأت موطيا) وهما يتبادلان الإبدال ، بمعنى أن الهاء قد تبدل همزة ، كما أن الهمزة قد تبدل هاء .

فإبدال الهمزة من الهاء يكون في الاسم والحرف .

فإبدالها من الهاء في الاسم جاء في قولهم : ماء وشاء (٢) . والأصل موه وشوه . قلبت الواو ألفا ، وأبدلت الهمزة هاء .

وكذلك جاء في الجمع . قالوا في جمع ماء : أمواء ، والأصل أمواه ، وإذا ثبت أن أصلها هاء ، ثبت أن الهمزة مبدلة عنها قال الشاعر :

وبلدة قالصة أمواؤها ما صحة رأد الضحى أفيأؤها (٣)

والدليل على أن هذه الهمزة مبدلة من الهاء ، رجوعها في التصغير والتكثير ، قالوا في تصغير ماء مؤيه ، وفي جمعه مياه وأمواه . والتصغير والتكثير يردان الأشياء إلى أصولها .

وقد أكد ابن عصفور إبدال الهمزة من الهاء بقوله : «وإنما جعلت الهاء هي الأصل ،

(١) العسكريات ١٥٣ .

(٢) انظر سر الصناعة ١١٣/١ . والتبصرة ٨١٥ وشرح المفصل لابن الحاجب ٣٩٦/٢ . والمتع ٣٤٨/١ وابن يعيش ١٥/١٠ والأشباه والنظائر ١٣٥/١ والأشمنوني والصبان ٢١٣/٤ ، ٢٢٣ .

(٣) سر الصناعة ١١٣/١ وشرح الشافية ١٠٨/٣ والمتع ٣٤٨/١ وابن يعيش ٣٩٦/٢ .



لأن أكثر تصاريف الكلمة عليها، قالوا : أمواه ومياه وماهت الركبية<sup>(١)</sup>. إلى غير ذلك من تصاريفها<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ورد إبدال الهمزة من الهاء في قولك : (آل)<sup>(٣)</sup>، وأصل آل : أهل فأبدلت الهاء همزة فقييل : آل، ثم أبدلت الثانية ألفا لسكونها إثر فتح فقييل : آل، كما قالوا آدم وآخر في الاسم، وآمن وآثر في الفعل، والأصل : آدم والآخر، وآمن وآثر .

والدليل على أن أصل آل : أهل قول الجماعة في التصغير : أهيل، ولو كانت الألف منقلبة عن غير هاء - أى عن واو - لقييل في تصغيره (أويل). وقد اختار هذا الرأي يونس<sup>(٤)</sup>.

ومما يؤكد أن الهمزة في (آل) أصلها هاء الإضافة إلى الضمير، فقد قالوا أهلك وأهله كثيرا، لأن الضمير يرد الأشياء إلى أصولها. ولا يقال : آلك وآله إلا قليلا، وذلك مثل قول عبد المطلب جد النبي ﷺ :

وانصر على دين الصلي ب وعابديه اليوم آلك<sup>(٥)</sup>  
وقول الآخر :

أنا الرجل الحامي حقيقة والدى وآلى كما تحمى حقيقة آلكا<sup>(٦)</sup>  
ونحو قول الكنانى : «رجل من آلك وليس منك»<sup>(٧)</sup>.

وجاء إبدال الهمزة من الهاء - أيضا - في اسم الإشارة حيث إنهم قالوا في هذا آذا . وجاء على ذلك قول الشاعر :

فقال فريق : آ آذا إذ نحوتهم نعم وفريق لا يئمن الله ما ندرى<sup>(٨)</sup>  
أراد : أهذا، فقلبت الهاء همزة، ثم فصل بين الهمزتين بألف، وأبدلت كذلك في غير اسم الإشارة، مثل قولهم : الأزل والهزل، وهو مأزول ومهزول<sup>(٩)</sup>.

وأما إبدالها في الحرف فقد ورد في : هل وهلا . فقالوا : أل فعلت كذا؟ يريدون هل

(١) ماهت : ظهر ماؤها وكثر .

(٢) الممتع ٣٤٨/١ .

(٣) انظر التصريف الملوكي ٣٩ . وسر الصناعة ١١٤/١ والإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي ٢٩ والممتع ٣٤٨/١ .

(٤) التصريف الملوكي ٣٩ .

(٥) الممتع ٣٤٩/١ والدرر اللوامع ٦٢/٢ وتاج العروس (أهل) .

(٦) الممتع ٣٤٩/١ .

(٧) المصدر السابق ٣٥٠/١ .

(٨) الكتاب ١٤٧/٢ وسر الصناعة ١٣٠/١ والممتع ٣٥١/١ والإنصاف ٤٠٧ والإبدال والمعاقبة ص ٣٠ والمغنى ١٠١ .

(٩) الإبدال والمعاقبة ص ٣٠ .

فعلت كذا؟ حكى ذلك قطرب<sup>(١)</sup> عن أبي عبيدة . وقالوا : ألا فعلت يريدون هلاً فعلت .  
والإبقاء على الأصل في (هل) هو الأكثر، بيد أن الهمزة والهاء في ألا وهلا سواء .

وقد عدّهما بعض النحويين<sup>(٢)</sup> من حروف التحضيض ، كما ذهب غيرهما إلى أنهما مادتان مستقلتان<sup>(٣)</sup> . فالهمزة أصلية في (ألا) كما أن الهاء أصلية في (هلاً) بخلاف (هل وأل) فإن الاستفهام بهما ليس على درجة واحدة ، لكثرة الاستفهام ووضوحه بهل ، وندرته بأل .  
وجاء إبدال الهمزة من الهاء - في غير ما تقدم - على قلة في اسم الفعل<sup>(٤)</sup> . قالوا في هيهات : أيها .

فإبدال الهمزة من الهاء إبدال قياسي ، وهما من مخرج واحد . وكونهما من مخرج واحد جدير بأن يقوى هذا الإبدال ويؤكد .

قال الصيمري : «قلبت الهاء همزة ، لأنها من مخرج الهاء ، وهي أقوى منها في الصوت»<sup>(٥)</sup> .

ولكن ابن يعيش<sup>(٦)</sup> ذهب إلى أن هذا الإبدال إنما تم لضرب من التقاص . وذلك لكثرة إبدال الهاء من الهمزة على العكس .

وذلك أمر يقتضينا الإشارة إلى إبدال الهاء من الهمزة - عكس ما تقدم - حتى نلم بأطراف المسألة . ونؤكد الظاهرة التي ارتضاها ابن يعيش .

## ٢ - إبدال الهاء من الهمزة :

ذهب ابن الأنباري وابن عصفور وابن يعيش إلى أن الهاء تبدل من الهمزة في مواضع كثيرة من كلام العرب<sup>(٧)</sup> . وهذا الإبدال وارد في الاسم والفعل والحرف .

(أ) إبدالها في الاسم :

أما إبدالها في الاسم فقد ورد في : إياك . قالوا : هياك . قال الشاعر :

فهيالك والأمر الذي إن توسعت      موارده ضاقت عليك مصادره<sup>(٨)</sup>

(١) الممتع ٣٥١/١ .

(٢) ابن النحويين في شرحه للمفصل ٣٩٦/٢ .

(٣) انظر حاشية الصبان ٢٢٣/٤ .

(٤) أمالي ثعلب ٥٤٧ وابن يعيش ١٥/١٠ والمزهر ٤٧٣/٢ والأشباه والنظائر ٣٩٧/١ .

(٥) التبصرة والتذكرة ص ٨١٥ .

(٦) شرح المفصل ١٥/١٠ .

(٧) انظر الإنصاف ١٣١ . والممتع ٣٩٧/١ وشرح المفصل ١١٨/٨ والأشباه والنظائر ١٣٥/١ .

(٨) التصريف المملوكي ٤٤ . والوجيز ٥٤ والإنصاف ١٣١ وشرح المفصل ١١٨/٨ والممتع ٣٩٧/١ .

وقال الآخر: (١)

يا خال هلا قلت إذ أعطيتنى هياك هياك وحنواء العنق (٢)  
كما ورد قولهم : هِبْرِيَّة، والأصل فيه : إِبْرِيَّة، وهو الحزاز في الرأس .  
وقالوا في مهيمن، أصله : مؤيمن فأبدلت الهمزة هاء (٣).

(ب) إبدالها في الفعل :

وأما إبدالها في الفعل فقد ورد في قولهم : أنرت الثوب، وأرحت الماشية وأرقت الماء،  
وأردت الشيء، فأبدلوا في الجميع الهاء من الهمزة فقالوا : هنرت الثوب، وهرحت الماشية،  
وهرقت الماء، وهردت الشيء. وذلك لاتفاقها مخرجا لأنها من أقصى الحلق (٤).

(ج) إبدالها في الحرف :

وأما إبدالها في الحرف فقد ورد في همزة إن المؤكدة، وإن الشرطية، وأيا في النداء، وفي  
همزة الاستفهام، وإليك بيان ذلك .

جاء إبدال الهاء من همزة إن المشددة المكسورة مع اللام. وذلك على طريق اللزوم  
حيث قالوا : يهَنَّك قائم، قال الشاعر :

ألياسنا برق على قُلِّلِ الحُمَى لَهْنِكَ من برق عَلَى كريم (٥)

وكذلك أبدلت من همزة (إن) الشرطية (٦) مثل قولهم : هِنُ فعلت. تريد : إن فعلت.  
وهي لغة طيء (٧).

وأما إبدالها من همزة (أيا) في النداء ففي قولهم : هيا وأيا، وإن كان أيا أكثر من هيا.  
قال الشاعر :

وانصرقت وهي حَصَان مُغْضَبَه ورفعت بصوتها هَيَا أبه (٨)

(١) انظر الإبدال السكيت ٢٥ والوجيز ٥٣ والإنصاف ١٣١.

(٢) حنواء العنق : التي تميل عنقها من الإبل والغنم.

(٣) التصريح ٣٦٨/٢.

(٤) الإنصاف ١٣٢.

(٥) انظر مجالس ثعلب ١١٣ والخصائص ٣١٥/١ والمتع ٣٩٨/١ وابن يعيش ٤٢/١٠ واللسان (لهن).

(٦) أنظر شرح الشافية ٢٢٢/٣ والمتع ٣٩٧/١.

(٧) الفصل للزحشري ص ٣٧٠.

(٨) المتع ٣٩٩/١.

وإبدالها من همزة الاستفهام في مثل قولهم : هَزِيدُ منطلقٌ . يريدون : أزيد منطلق .  
وأنشد الفراء :

وأتى صواحبها فقلن : هذا الذى منح المودة غيرنا وجفانا<sup>(١)</sup>  
يريدون : إذا الذى . بإبدال الهاء من الهمزة . فإبدال الهاء من الهمزة مقصور على  
السمع - كما بينا - غير أن ابن يعيش<sup>(٢)</sup> جعله كثيراً ، وقاس عليه إبدال الهمزة من الهاء ،  
وجعله ضرباً من التقاص . أى أن كل واحد منها أخذ حكماً أخذه منه الآخر . فإبدال الهمزة  
من الهاء ، تم لأن الهاء أبدلت من الهمزة . فكل منها فعل بالآخر مثل ما فعل الآخر به ، وهذا  
الضرب هو الذى عرف لدى النحاة بالتقاص ، وارتضوه سمة لهذه الظاهرة ، ومصطلحاً لهذه  
القاعدة .

### ٣ - قلب الهمزة واواً :

تبين لنا مما تقدم أن ظاهرة التقاص تتأتى في إبدال الهمزة من الهاء ، وإبدال الهاء من  
الهمزة . ونبين الآن ورودها بين الواو والهمزة ، ويتحقق ذلك في إبدال كل منهما من الآخر .  
فالهمزة تقلب واواً ، كما أن الواو تقلب همزة ، ويتضح ذلك على النحو التالي :

( أ ) قلب الهمزة واواً :

تبدل الهمزة واواً في عدة مواضع هي (٣) :

١ - أن تكون الهمزة للتأنيث ، فإنها تبدل واواً باطراد على سبيل اللزوم في التثنية  
والجمع بالألف والتاء والنسب . فتقول في صحراء وعشراء ونفساء : صحراويين وعشراويين  
ونفساويين ، وصحراوات وعشراوات ونفساوات ، وصحراويّ وعشراويّ ونفساويّ .

٢ - أن تكون الهمزة قبل الألف في الجمع الذى لا نظير له في الأحاد ، بشرط أن  
يكتنف ألف الجمع همزتان ، وذلك نحو : ذوائب في جمع ذؤابة . أصله ذائب ، فأبدلت  
الهمزة واواً هروباً من ثقل اجتماع الهمزتين والألف ، وهذا الإبدال اطرادى لازم .

٣ - أن تقع الهمزة لأمّاً لجمع على مفاعل وقد سلمت في المفرد ، وذلك مثل : هراوة ،  
قالوا في جمعه هراوى ، بإبدال الهمزة واواً ليشاكل الجمع مفرده .

٤ - أن تلتقى همزتان في كلمة وتسكن الثانية بعد ضم . فإنها يجب إبدالها واواً . وذلك

(١) انظر ابن يعيش ٤٣/١٠ وشرح الشافية ٢٢٤/٣ والممتع ٣٩٩/١ .

(٢) ابن يعيش ٤٣/١٠ .

(٣) انظر سر الصناعة ١٠٤ وما بعدها والتصريف الملوكى ٣٨ والتبصرة ٨١٤ والإنصاف ٤٧٧ والممتع ٣٦٣/١ والتصريح

٣٧٢/٢ والأشباه والنظائر ١٣٥/١ والأشمونى ٢١٤/٤ .

نحو: أوْمَنَ وأوْثَرَ. والأصل: أوْمَنَ وأوْثَرَ. إلا أنه رفض الأصل هروبا<sup>(١)</sup> من اجتماع همزتين .

٥ - أن تكون الثانية مضمومة مطلقاً. أى سواء انضم ما قبلها أو انفتح أو انكسر، أو تكون مفتوحة بعد فتح أو ضم. وذلك مثل: أوْمٌ، وأوْمٌ وإوْمٌ. والأصل: أوْمٌ، وأوْمٌ، وإوْمٌ. ومثل أوَيْدِمَ تصغير آدم. وأوادم جمع آدم. والأصل: أوَيْدِمَ وأوادم. فأبدلت الثانية في الجميع واواً. وهذا الإبدال قياسى مطرد لازم .

(ب) قلب الواو همزة :

تقدمت مواضع قبل الهمزة واواً، وأمر هذه المسألة يحتم علينا ذكر المواضع التى تبدل فيها الواو همزة حتى ينكشف وجه هذه الظاهرة، ونصل إلى النتيجة التى نرجوها .

ومن المقرر فى هذا الباب<sup>(٢)</sup> أن الواو تقلب همزة فى خمسة مواضع :

١ - أن تتطرف إثر ألف زائدة مثل: كساء وسماء ودعاء. والأصل: كساو وسماو ودعاو .

٢ - أن تقع عيناً لاسم فاعل فعل ثلاثى أعلنت عين فعله نحو: صائم وقائم، والأصل: صاووم وقاووم .

٣ - أن تقع مدة ثلاثية زائدة فى المفرد إذا كان جمعه على مثال مفاعل . نحو: عجائر ورعائف جمعى عجوز ورعوفة، والأصل عجاوز ورعاوف .

٤ - أن تقع ثانى لينين اكتنفها ألف مفاعل مثل: أوائل وسيائد. والأصل: أواول وسياوود فى جمع أول وسيد .

٥ - أن تتصدر فى الكلمة واوان . فإن الأولى منها تقلب همزة بشرط أن لا تكون الثانية منها مدة غير أصلية، أى: أن تكون الثانية غير مدة وذلك نحو قولك فى جمع الأولى أنثى الأول أوّل. والأصل: وُوّل ونحو ذلك فى جمع واصلة وواقية تقول: أواصل وأواق، والأصل: وواصل، ووواق .

أو تكون الثانية مدة أصلية نحو: الأولى أنثى الأول. أصلها وولى بواوين أولاهها فاء، والثانية عين ساكنة .

(١) ينظر الممتع ١/ ٣٦٦ .

(٢) أى باب الإبدال والإعلال .

هذه هي مواضع قلب الواو همزة، وقد تقدمت مواضع قلب الهمزة واواً .  
وقد تم هذا القلب المتبادل بين الواو والهمزة على طريق المقاصة . لأن الهمزة وإن لم تكن من حروف العلة، فهي شبيهة بالألف، ولهذا عدها بعض الصرفيين (١) من حروف العلة .

وأيا ما كان فإن الألف أخف حروف العلة، وكذلك ما أشبهها وهو الهمزة بخلاف الواو فإنها أثقلها .

فاللجوء - حينئذ - إلى قلب الواو همزة لجوء إلى التخفيف، لأنه انتقال من الثقل إلى الخفة . بخلاف العكس، وهو قلب الهمزة واواً . لأنه انتقال من الخفيف إلى الثقيل .

لهذا كان قلب الهمزة واواً في نحو صحراء وعشراء ونفساء في التثنية والجمع بالألف والتاء، والنسب (٢)، انتقال من الخفة إلى الثقل، لأن الهمزة أخف من الواو - كما علمنا - ولكن ذلك تم على سبيل التقاص .

فكما أن الواو قلبت همزة . كذلك أبدلت الهمزة واواً على طريق المبادلة والمقاصة، نظراً لتحقيق الشبه بينهما، بسبب أن الهمزة شبيهة بالألف وهي حرف علة .

بيد أن ابن «فلاح» جعل هذه الظاهرة (٣) متحققة بإبدال الهمزة واواً في الجمع بالألف والتاء فقط . في مثل صحراء وصحراوات . أى أنه قصر المقاصة على جمع المؤنث السالم، اقتصاصاً من قلب الواو همزة .

ونحن إذ نقدر لابن فلاح جهده في الإشارة إلى هذه الظاهرة، وفيما ذهب إليه . نرى أنه لا ضير من جعل المقاصة شاملة لكل المسائل التي تقلب فيها الهمزة واواً، اطراداً للقاعدة، وشمولاً للظاهرة، وتثبيتاً للقياس، وتعميماً للمصطلح، وتوسعاً في أساليب اللغة، لأنها - بلاشك - تقبل ذلك ولا تضيق به .

(١) رضي الدين الإستراباذي في شرحه للشافية أول باب الإعلال ٣ / ٧٩ .

(٢) المتع ٣٦٣ / ١ .

(٣) الأشباه والنظائر ١ / ١٣٥ .

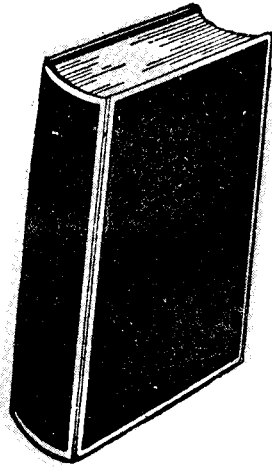
### ثالثاً : في زيادة بعض الحروف :

من المقرر أن - اللام ألف - أصلها الألف التي هي مَدَّة ساكنة ، ولكنها دُعِمت باللام قبلها متحركة ليتمكن الابتداء<sup>(١)</sup> بها ، وليصح النطق كما صح بسائر الحروف غيرها . لأن الساكن لا يمكن الابتداء به .

وإنما دُعِمت باللام قبلها ولم تُدعم بهمزة الوصل التي يؤتى بها توصلاً إلى النطق بالساكن ، لأنه لا يمكن الإتيان بها قبل الألف ، ولأن ذلك يؤدي إلى نقض الغرض الذي قصدوا له ، لأن همزة الوصل قد تأتي مكسورة ، ولو كسرت لانقلبت الألف ياءً مكسورة لانكسار ما قبلها .

فيقال : (أى) فلا تصل إلى الألف التي اعتمدت<sup>(٢)</sup> عليها ، فلما لم يجز ذلك ، عدلوا إلى اللام دون غيرها ، لأن العرب توصلوا إلى النطق بلام التعريف بزيادة الألف قبلها ، توصلاً إلى النطق بها ، فحركوا الألف فصارت همزة ، وجعلوها همزة<sup>(٣)</sup> وصل نحو : الغلام والفرس والجارية . فلما افتقرت الألف إلى حرف جىء باللام قبلها في (لا) توصلاً إلى النطق بالألف الساكنة ليكون ذلك ضرباً من التقاص والتعويض بين الحرفين فصار لا .

وبالله التوفيق . . .



(١) سر صناعة الإعراب ٤٨ / ١ ومنتور الفوائد لابن الأنباري ص ٧٥ .

(٢) سر الصناعة ٤٩ / ١ .

(٣) منتور الفوائد ٧٥ .

عُقُودُ الرَّبِّ جَدَّ عَلِيٍّ مُسْتَدْرَأً لِمَا أَمَدَّ

فِي إِعْرَابِ الْحَدِيثِ

تأليف:

تحقيق:

الدكتور حسن موسى الشاعري

جلال الدين السيوطي

أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية بالجامعة

(١)

تمهيد :

أولاً : جلال الدين السيوطي (١) :

لقد أعاننا السيوطي في معرفة سيرة حياته وشيوخه ومؤلفاته ؛ إذ ترجم لنفسه في كتابه حُسن المحاضرة، عند الكلام على من كان بمصر من الأئمة المجتهدين . قال : « وإنها ذكرت ترجمتي في هذا الكتاب اقتداء بالمحدثين قبلي ، فقل أن ألف أحد منهم تاريخاً إلا ذكر ترجمته فيه . . . » .

(١) انظر ترجمة السيوطي ومؤلفاته : حسن المحاضرة للسيوطي ١/٣٣٥-٣٤٤ .

ترجمة جلال الدين السيوطي لتلميذه الداودي / مخطوطة بمكتبة عارف حكمت رقم ١٧٣ مجاميع .

البدر الطالع للشوكاني ١/٣٢٨ .

الضوء اللامع للسخاوي ٤/٦٥ .

الكواكب السائرة للغزالي ١/٢٢٦ .

شذرات الذهب لابن العماد ٨/٥١ .

السيوطي وجهوده في الدراسات اللغوية- رسالة ماجستير أعدها الأستاذ محمد يعقوب تركستاني بجامعة أم القرى .

فهرست مؤلفات السيوطي / مخطوطة بمكتبة عارف حكمت رقم ١٧٣ مجاميع .

مكتبة الجلال السيوطي - تأليف أحمد الشرفاوي جلال الدين السيوطي - بحوث أقيمت في الندوة التي أقامها المجلس الأعلى

لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية / الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٧٨ م .

الأعلام للزركلي ٤/٧١ .

معجم المؤلفين - عمر كحالة ٥/١٢٨ .

تدريب الراوي للسيوطي / المقدمة .



## حياته وشيوخه :

هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين . . . الخضيرى الأسيوطى الشافعى .

نسب إلى أسيوط، مدينة معروفة بمصر. وأما نسبة «الخضيرى» فيرجح السيوطى أنها نسبة إلى محلة ببغداد، وقد قيل إن جدّه الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق .

ولد السيوطى بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة ٨٤٩هـ وتوفي والده سنة ٨٥٥هـ وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر، وكان قد وصل في حفظ القرآن الكريم إلى سورة التحريم، فنشأ يتيماً، وأسندت وصايته إلى جماعة منهم كمال الدين بن الهمام . حفظ القرآن الكريم وله دون ثمانى سنين، ثم حفظ العمدة، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية ابن مالك .

وشرع يشتغل بالعلم من مستهل سنة ٨٦٤هـ فلزم كثيراً من شيوخ عصره، وأجيز بتدريس العربية فى مستهل سنة ٨٦٦هـ وبدأ بالتأليف فى هذه السنة، فكان أول شىء ألفه شرح الاستعاذة والبسملة، وأوقف عليه شيخه علم الدين البلقيني فكتب عليه تقريراً، ولزمه فى الفقه إلى أن مات سنة ٨٦٨هـ ولزم فى الفقه أيضاً شيخ الإسلام شرف الدين المناوى آخر علماء الشافعية المتوفى سنة ٨٧١هـ وقرأ على الشمس السيرامى صحيح مسلم إلا قليلاً منه، والشفا، وألفية ابن مالك، وقطعة من التسهيل وأجازه بالعربية وغيرها .

ولزم فى الحديث والعربية شيخه تقى الدين الشمنى الحنفى المتوفى سنة ٨٧٢هـ فواظبه أربع سنين وكتب له تقريراً على شرح ألفية ابن مالك «البهجة المرضية» وعلى تأليفه «جمع الجوامع فى العربية» .

ولزم شيخه العلامة محيى الدين الكافيجى أربع عشرة سنة حتى مات وذلك من سنة ٨٦٥-٨٧٩هـ وأخذ عنه التفسير والأصول والعربية والمعانى .

وقد سافر السيوطى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب، ولما حج شرب من ماء زمزم لأمر : منها أن يصل فى الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني وفى الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر .

ولما بلغ السيوطى أربعين سنة ترك التدريس والإفتاء وتجرد للعبادة، وشرع فى تحرير مؤلفاته، ثم قطع صلته بالحياة العامة واعتكف بمنزله فى جزيرة الروضة بالمنيل، ولم يتحول

عنها إلى أن مات في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ رحمه الله تعالى .

### مصنفاته :

قضى السيوطى حياته في تحصيل العلم والدرس والتصنيف ، وتنوعت ألوان ثقافته حتى صار إماماً في كثير من العلوم .

قال في كتاب حسن المحاضرة<sup>(١)</sup> : «ورزقت التبهر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع ، على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة ، والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها ، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي ، فضلاً عن دونهم . وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه ، بل شيخي أوسع نظراً وأطول باعاً . ودون هذه السبعة في المعرفة : أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها الإنشاء والترسل والفرائض ، ودونها القراءات - ولم أخذها عن شيخ - ودونها الطب . وأما علم الحساب فهو أعسر شيء عليّ وأبعده عن ذهني ، وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنها أحاول جبلاً أحمله .

«وقد كملت عندي آلات الجهاد بحمد الله تعالى ، أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى لا فخراً ، وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيله بالفخر ، وقد أزعج الرحيل ، وبدأ المشيب ، وذهب أطيب العمر . ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرتُ على ذلك من فضل الله ، لا بحولي ولا بقوتي فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله .

«وقد كنت في مبادئ الطلب قرأت شيئاً في علم المنطق ، ثم ألقى الله كراهته في قلبي ، وسمعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك ، فعوضني الله تعالى عنه علم الحديث الذي هو أشرف العلوم» .

وقد ترك السيوطى عدداً ضخماً من المصنفات في أكثر الفنون ما بين مجلدات ورسائل صغيرة وقد ذكر في كتابه حسن المحاضرة أن مؤلفاته إلى ذلك الوقت بلغت ثلاثمائة كتاب سوى ما غسله ورجع عنه<sup>(٢)</sup> .

(١) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٨ .

(٢) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٨ .

وللسيوطي رسالة خاصة فهرس فيها مؤلفاته ورتبها على الفنون<sup>(١)</sup>. وقد أحصيت مؤلفاته فيها فبلغت ٥٥٢ مؤلفاً .

وقد عمل الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال كتاباً ضخماً لمؤلفات السيوطي رتبه على حروف المعجم وسماه «مكتبة الجلال السيوطي» قال في مقدمته : أحصيت في هذا الفهرست التأليف السيوطية، فكانت ٧٢٥ عدداً، أخرجت منها الطباعة نيفاً ومائتين . . .

**ثانياً : الكتب المصنفة في إعراب الحديث :**

**النحاة والحديث :**

الحديث النبوي أصل من أصول النحو، ومصدر من مصادره السماعية، ولكن الناظر في كتب النحو يملكه العجب وهو يرى قلة احتجاج النحاة بالحديث وكثرة استشهادهم بالشعر. وقد غلب هذا الاتجاه على النحاة الأوائل، وقلدهم من جاء بعدهم. ثم اختلف موقف النحاة بعد؛ فمنهم من قويت عنايته بالحديث والاحتجاج به كابن الطراوة (٥٢٨ هـ) والزخشي (٥٣٨ هـ) والسهيلي (٥٨١ هـ) وابن خروف (٦١٠ هـ) وابن يعيش (٦٤٣ هـ)، وبلغ الأهتمام بالحديث أوجه عند ابن مالك الأندلسي (٦٧٢ هـ) الذي يعدّ إمام الاحتجاج بالحديث النبوي .

وقد لخص السيوطي مذهب ابن مالك في الاحتجاج فقال : «كان أمة في الاطلاع على الحديث، فكان أكثر ما يستشهد بالقرآن، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى أشعار العرب»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا مهّد ابن مالك السبيل لمن جاء بعده، فسار على دربه ابن هشام (٧٦١ هـ) والدماميني (٨٢٧ هـ) والأشموني (٩٢٩ هـ) وغيرهم .

ومن النحاة من تزعم منع الاحتجاج بالحديث، وأشهرهم اثنان : ابن الضائع (٦٨٠ هـ) وأبو حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ)، وذلك لأمرين : أحدهما أن الرواة جوّزوا نقل

(١) فهرست مؤلفات السيوطي / مخطوط بمكتبة عارف حكمت رقم ١٧٣ مجاميع .

(٢) بغية الوعاة بتحقيق محمد أبو الفضل ١٣٤/١ .

الحديث بالمعنى ، والثانى أن كثيراً من رواية الحديث كانوا غير عرب بالطبع فوقع اللحن في نقلهم<sup>(١)</sup> .

وقد رجح معظم المتأخرين مذهب ابن مالك في الاحتجاج بالحديث ، وذلك لشدة عناية المحدثين برواية الحديث وورعهم في نقله ، وتمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها ، بعد الجهد العظيم الذي بذله علماء الحديث .

ومن العجيب أن الإمام السيوطى ، وهو صاحب المصنفات الكثيرة في الحديث ، ذهب إلى عدم الاحتجاج بالحديث فيما خالف القواعد النحوية ، وصحح مذهب ابن الضائع وأبى حيان . فقال في كتابه الاقتراح : وأما كلامه ﷺ فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي ، وذلك نادر جداً ، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضاً فإن غالب الأحاديث مروى بالمعنى ، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها ، فرووها بما أدت إليه عباراتهم ، فزادوا ونقصوا ، وقدموا وأخروا ، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ . ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مروياً على أوجه شتى بعبارات مختلفة ، ومن ثم أنكرك على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث<sup>(٢)</sup> .

وكرر السيوطى هذا الرأي في كتابه همع الهوامع فقال :

« . . . وقد بينت في كتاب أصول النحو من كلام ابن الضائع وأبى حيان أنه لا يستدل بالحديث على ما خالف القواعد النحوية ، لأنه مروى بالمعنى لا بلفظ الرسول ، والأحاديث رواها العجم والمولدون لا من يحسن العربية ، فأدوها على قدر ألسنتهم<sup>(٣)</sup> .

كما ذكر السيوطى هذا الرأي أيضاً في كتابه عقود الزبرجد حيث قال :

« اعلم أن كثيراً من الأحاديث روتها الرواة بالمعنى ، فزادوا فيها ونقصوا ، ولحنوا وأبدلوا الفصيح بغيره ، ولهذا تجد الحديث الواحد يروى بألفاظ متعددة ، منها ما يوافق الإعراب والفصيح ، ومنها ما يخالف ذلك » .

ثم ينقل السيوطى كلام ابن الضائع وأبى حيان في هذا المجال .

(١) راجع موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث - في الفصل الثاني من كتابنا النحاة والحديث النبوي .

(٢) الاقتراح ص ١٦ .

(٣) همع الهوامع ٤٢/٢ بتحقيق د. عبد العال سالم .

## التصنيف في إعراب الحديث :

لقد كان لهذه المواقف المتضاربة من النحاة أن قلّ التصنيف في إعراب الحديث، فلا نجد كتباً متخصصة في إعراب الحديث غير ثلاثة كتب : الأول للعكبري، والثاني لابن مالك، والثالث للسيوطي .

قال السيوطي في مقدمة كتابه «عقود الزبرجد» :

« . . . وبعد فقد أكثر العلماء قديماً وحديثاً من التصنيف في إعراب القرآن ولم يتعرضوا للتصنيف في إعراب الحديث سوى إمامين : أحدهما الإمام أبو البقاء العكبري . . . والثاني الإمام جمال الدين بن مالك . . . وقد استخرت الله تعالى في تأليف كتاب في إعراب الحديث مستوعب جامع . . . »

## وفيما يلي وصف لهذه المصنفات :

(١) إعراب الحديث النبوي - للإمام العكبري (٥٣٨-٦١٦ هـ) :

أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين العكبري الأصل، البغدادي المولد والدار، الفقيه الحنبلي الحاسب الفرضي النحوي الضرير<sup>(١)</sup>.

برع أبو البقاء في فنون كثيرة وله مصنفات عديدة منها : إعراب القرآن واللباب في علل البناء والإعراب، وشرح الإيضاح والتكملة لأبي علي الفارسي، وشرح المفصل للزمخشري وغيرها .

وقد صنف أبو البقاء العكبري أول كتاب في إعراب الحديث<sup>(٢)</sup>، وأعتمد في أخذ الأحاديث على كتاب جامع المسانيد لابن الجوزي (٥٩٧ هـ) الذي جمع فيه مصنفه غالب مسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم والترمذي .

قال أبو البقاء في مقدمته :

« أما بعد فإن جماعة من طلبة الحديث التمسوا مني أن أملي مختصراً في إعراب ما يشكل من الألفاظ الواقعة في الأحاديث، وأن بعض الرواة قد يخطيء فيها، والنبوي ﷺ

(١) أنظر ترجمته في : الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١٠٩/٢، نكت الهميان للصفدي ١٧٨، الذيل على الروضتين لأبي شامة ١٩٩، انباه الرواة للقفطي ١١٦/٢، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٠٠/٣، بغية الوعاة ٣٨/٢، شذرات الذهب ٦٧/٥ معجم الأدباء ٤٦/٦، البداية والنهاية ٨٥/١٣، الأعلام ٢٠٨/٤ .

(٢) حققت هذا الكتاب مع دراسة بعنوان «النحاة والحديث النبوي» وحصلت بهما على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر بإشراف أستاذنا الدكتور أحمد كحيل . وقد طبعت الكتابين في عمان .

وأصحابه بريئون من اللحن، فأجبتهم إلى ذلك، واعتمدت على أتمّ المسانيد وأقرها إلى الاستعياب وهو جامع المسانيد للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، رحمه الله، مرتبة على حروف المعجم، والله الموفق للصواب .

ومجموع الأحاديث التي تعرّض العكبري لإعرابها نحو ٤٣٠ حديثاً، كان يستشهد عليها بالقرآن والشعر، وقد يتعرض للخلافات النحوية، وقد يذكر العكبري للرواية أكثر من إعراب. وإذا خرجت الرواية عن المؤلف في كلام العرب ولم يجد لها وجهاً في قواعد النحاة حكم العكبري عليها باللحن .

(٢) إعراب الحديث - للإمام ابن مالك الأندلسي (٦٠٠-٦٧٢هـ):

أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبلي النحوي اللغوي المقرئ المحدث الفقيه الشافعي<sup>(١)</sup>. من أشهر مصنفاته: الكافية الشافية وشرحها، التسهيل وشرحه - لم يتم، الخلاصة الألفية في النحو والصرف، شرح عمدة الحافظ وعمدة الالفاظ .

وقد صنف ابن مالك كتاباً في إعراب الحديث سماه: «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح»<sup>(٢)</sup>. وهو يقوم على إعراب مشكلات وقعت في صحيح البخاري. ويتضح فيه منهج ابن مالك في الاحتجاج بالحديث النبوي، واستنباط القواعد النحوية منه، ويستدل للأحاديث بالقرآن والشعر، ويخطئ النحويين في عدد من المسائل. وهو بذلك يتميز عن منهج العكبري الذي كان يلحن الرواية أحياناً لمخالفتها قواعد النحاة .

(٣) إعراب الحديث - للإمام السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ):

صنف السيوطي كتاباً ضخماً في إعراب الحديث سماه: «عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد» اعتمد فيه غالباً على مسند الإمام أحمد، وضم إليه كثيراً من كتب الحديث. قال في مقدمته:

«... وقد استخرت الله تعالى في تأليف كتاب في إعراب الحديث، مستوعب جامع... وأجعله على مسند أحمد مع ما أضمه إليه من الأحاديث المزیدة، وأرتبه على حروف المعجم في مسانيد الصحابة، وأنشئ له من بحار كتب العربية كل سحابة...»

(١) أنظر ترجمته في: بغية الوعاة ١/١٣٠، البداية والنهاية ١٣/٢٦٧، نفع الطيب بتحقيق محمد محي الدين ٢/٤٢١، طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة ١٣٣، التسهيل / التمهيد.

(٢) حققه محمد فؤاد عبد الباقي، وطبع في القاهرة ١٣٧٦هـ ١٩٧٧م.

وهكذا رتب السيوطي كتابه على الطريقة التي رتب فيها العكبري كتابه . والسيوطي مطلع على إعراب الحديث للعكبري وإعراب الحديث لابن مالك فينقل أقوالهما في إعراب الحديث ويزيد عليها بما يعن له وما يراه من الأقوال الأخرى . فيقول :

«قد أوردت جميع كلام أبي البقاء معزواً إليه ، ليعرف قدر ما زده عليه ، وتتبع ما ذكره أئمة النحو في كتبهم المبسوطة من الأعراب للأحاديث فأوردتها بنصها معزوة إلى قائلها» .

والسيوطي - كعادته - جماعة للآراء لا يكاد يغفل عن نقل رأي منها له قيمته في إعراب الحديث ، ولا نكاد نجد له دوراً في الإعراب إلا نادراً .

وأهم المصادر التي اعتمد عليها السيوطي في إعراب الحديث :

١ - إعراب الحديث للعكبري ، وقد صرح بنقله جميع كلامه .

٢ - إعراب الحديث لابن مالك .

٣ - شرح الطيبي على مشكاة المصابيح للتبريزي .

٤ - شروح صحيح البخاري للكرمانى ، والزرکشي ، والخطابي ، وابن حجر .

٥ - شروح صحيح مسلم للقاضي عياض ، والقرطبي ، والنووي .

٦ - شرح الكافية الشافية لابن مالك .

٧ - أقوال النحاة واللغويين في مصنفاتهم كالزنجشيري في المفصل ، والرضي في شرح الكافية ، والأندلسي في شرح المفصل ، وابن يعيش في شرح المفصل ، والجوهري في الصحاح ، والزنجشيري في الفائق ، وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث .

وقد اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على ثلاث نسخ خطية ، الأولى في دار الكتب المصرية ، والثانية في أيا صوفيا ، والنسخة الثالثة في الخزانة العامة بالرباط . وقد بذلت جهداً كبيراً في تقويم النص والتعليق عليه ، وتوثيق الآراء والنقول ، وتخريج الأحاديث .

وقد آثرت تقديم مادة الكتاب على طريقة النص المختار ، واستبعدت الفروق بين النسخ ، لعدم حاجة القارئ إليها ، إلى أن يأذن الله بإتمام الكتاب ، وإعادة طبعه كاملاً .  
ومن الله العون وبالله التوفيق . . .

\*\*\*

# كتاب

## عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد

### في إعراب الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

[ مقدمة الكتاب ]

رَبِّ يَسَّرْ وَأَتَمِّمْ بِخَيْرٍ فَأَنْتَ كَرِيمٌ . . .

الحمد لله الذي خصَّ هذه الأمة بالإسناد والإعراب، وصلى الله على سيدنا محمد

والآل والأصحاب .

وبعد :

فقد أكثر العلماء قديماً وحديثاً من التصنيف في إعراب القرآن، ولم يتعرضوا للتصنيف في إعراب الحديث سوى إمامين : أحدهما الإمام أبو البقاء العكبري، فإنه لما أَلَّفَ إعراب القرآن المشهور<sup>(١)</sup> أَرَدَفه بتأليف لطيف في إعراب الحديث، أورد فيه أحاديث كثيرة من مسند أحمد وأعرابها، إلا أنه لاختصاره، ونزرة ما أورد فيه من النزر القليل، لا يروى الغليل، ولا يشفى العليل .

والثاني الإمام جمال الدين بن مالك، فإنه أَلَّفَ في ذلك تأليفاً خاصاً بصحيح البخاري، يسمى «التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح» .

وقد استخرت الله تعالى في تأليف كتاب في إعراب الحديث، مستوعب جامع، وغيث على رياض كتب المسانيد والجامع هامع<sup>(٢)</sup>، شامل للفوائد البدائع شافٍ . كافلٍ بالنقول والنصوص كاف، أنظم فيه كلَّ فريدة، وأسفر فيه النقاب عن وجه كل خريدة<sup>(٣)</sup> وأجعله على مسند أحمد مع ما أضَمَّه إليه من الأحاديث المزيِّدة، وأرتبته على حروف المعجم في مسانيد الصحابة، وأنشئ له من بحار كتب العربية كلَّ سحابة .

واعلم أن لي على كلِّ كتاب من الكتب المشهورة في الحديث تعليقة؛ وهي الموطأ<sup>(٤)</sup>،

(١) مطبوع باسم «إملاء ما منَّ به الرحمن» . وقد حققه على الجاوى وطبعه باسم «التبيان في إعراب القرآن» .

(٢) هامع أي ماطر .

(٣) الخريدة : البكر التي لم تُمَسَّسَ . (القاموس) .

(٤) للسيوطي «تنوير الحوالك على موطأ الإمام مالك» مطبوع .



ومسند الشافعي (١)، ومسند أبي حنيفة (٢)، والكتب الستة (٣) ولم يبق إلا مسند أحمد. ولم يمنعني من الكتابة عليه إلا كبر حجمه جداً، وعدم تداوله بين الطلبة كتداول الكتب المذكورة، وقدّرت التعليقة عليه تجيء في عدة مجلّدات، والتعاليق التي كتبتها لا تزيد التعليقة منها على مجلد.

فلما شرح الله صدرى لتصنيف هذا الكتاب، عرّفته بمسند أحمد، عوضاً مما كنت أرومه عليه من التعليقة، ولكونه جامعاً لغالب الحديث المتكلم على إعرابه. فإن شئت فسّمه «عقود الزبرجد على مسند أحمد» وإن شئت فقل «عقود الزبرجد في إعراب الحديث» ولا تتقيّد.

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، موجباً للفوز بجنات النعيم، إنه البرّ الرحيم . . .

## مقدمة

### [ في الاستشهاد بالحديث ]

اعلم أن كثيراً من الأحاديث روتها الرواة بالمعنى، فزادوا فيها ونقصوا، ولحنوا، وأبدلوا الفصيح بغيره، ولهذا تجد الحديث الواحد يروى بألفاظ متعددة، منها ما يوافق الإعراب والفصيح، ومنها ما يخالف ذلك (٤).

وقد قال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس (٥): إذا ورد الحديث على وجهين ما يوافق الفصيح وما يخالفه، فالموافق للفصيح هو لفظ النبي ﷺ لأنه لم يكن ينطق إلا بالفصيح.

(١) للسيوطي «الشافعي على مسند الشافعي».

(٢) للسيوطي «التعليقة المنيفة على مسند أبي حنيفة».

(٣) للسيوطي عليها: التوشيح على الجامع الصحيح، والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، ومرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، وقوت المغتذي على جامع الترمذي، وزهر الربى على المجتبى، ومصباح الزجاجية على سنن ابن ماجه.

(٤) ذكر السيوطي رأيه هذا في كتابه الاقتراح، ثم نقل فيه كلام ابن الضائع وأبي حيان. أنظر الاقتراح ص ١٦-١٩. وراجع هذه المسألة بالتفصيل في كتابنا «النحاء والحديث النبوي».

(٥) فتح الدين بن سيد الناس: الإمام العلامة فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الأندلسي المصري الشافعي، ولد سنة ٦٧١ هـ لازم ابن دقيق العيد وتخرج عليه وأخذ العربية عن البهاء النحاس. صنف السيرة الكبرى والصغرى. مات فجأة سنة

وقد نقل هذا الكلام عن المزمى (١).

قال أبو عاصم العبادي (٢) - من متقدمى أصحابنا - فى طبقاته : قال المزمى : لا يروى فى الحديث خطأ ، فإن النبى ﷺ أفصح العرب ، فلا يجوز أن يروى خطأ .

وقال أبو الحسن بن الضائع (٣) - بالضاد المعجمة - فى شرح الجمل (٤) :

« تجوز الرواية بالمعنى هو السبب عندى فى ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصریح النقل عن العرب . ولولا تصریح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الأولى فى إثبات فصیح اللغة كلام النبى ﷺ ، لأنه أفصح العرب » .

قال : « وابن خروف (٥) يستشهد بالحديث كثيراً فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمرورى فحسن ، وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئاً وجب عليه استدراكه فليس كما رأى . »

وقال أبو حيان (٦) فى شرح التسهيل (٧) :

« قد أكثر ابن مالك من الاستدلال بما وقع فى الأحاديث على إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب ، وما رأيت أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره . على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن

---

(١) أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزمى المصرى (١٧٥-٢٦٤هـ) كان إماماً ورعاً زاهداً ، معظمها بين أصحاب الشافعى ، حدث عن الشافعى ونعيم بن حماد وغيرهما . من مصنفاته : المبسوط ، الجامع الكبير ، الجامع الصغير ، المختصر . أنظر : طبقات الشافعية للسبكي ٩٣/٢ ، طبقات الشافعي للأسنوي ٣٤/١ .

(٢) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عباد (٣٧٥-٤٥٨هـ) كان إماماً مفنناً مناظراً . من تصانيفه : المبسوط ، طبقات الفقهاء . أنظر : طبقات الشافعية للسبكي ١٠٤/٤ ، طبقات الشافعية للأسنوي ١٩٠/٢ .

(٣) أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن الضائع ، بلغ الغاية فى النحو ولازم الشلوين ، وفاق أصحابه بأسرهم . ومن مصنفاته : شرح جهل الزجاجي . توفى سنة ٦٨٠هـ . أنظر بغية الوعاة ٢٠٤/٢ .

(٤) أنظر شرح الجمل لابن الضائع / مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٩ نحو ج ٢ ورقة ٧٢ .

(٥) أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن خروف الأندلسي ، أخذ النحو عن ابن طاهر المعروف بالحدب . أقرأ النحو بعدة بلاد . من مصنفاته : شرح كتاب سيبويه ، شرح الجمل توفى سنة ٦٠٩هـ . أنظر بغية الوعاة ٢٠٣/٢ .

(٦) محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطى ، نحوى عصره ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه . من مصنفاته : البحر المحيط ، التذييل والتكميل فى شرح التسهيل ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، توفى سنة ٧٤٥هـ . أنظر بغية الوعاة ٢٨٠-٢٨٥/١

(٧) أنظر التذييل والتكميل / مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦٢ نحو ج ٥ ورقة : ١٦٨-١٧٠ .

العلاء<sup>(١)</sup>، وعيسى بن عمر<sup>(٢)</sup>، والخليل، وسيبويه من أئمة البصريين، والكسائي<sup>(٣)</sup>، والفراء<sup>(٤)</sup>، وعلى بن المبارك الأحمر<sup>(٥)</sup>، وهشام الضرير<sup>(٦)</sup> من أئمة الكوفيين، لم يفعلوا ذلك. وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم، كنحاة بغداد وأهل الأندلس. وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء فقال: إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول ﷺ، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد الكلية. وإنما كان ذلك لأمرين:

أحدهما: أن الرواة جوّزوا النقل بالمعنى فتجد قصة واحدة قد جرت في زمانه ﷺ لم تقل بتلك الألفاظ جميعها. نحو ما روى من قوله «زوجتكها بما معك من القرآن» «ملككتها بما معك» «خذها بما معك» وغير ذلك من الألفاظ الواردة في هذه القصة، فعلم يقيناً أنه ﷺ لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ، بل لا نجزم أنه قال بعضها. إذ يحتمل أنه قال لفظاً مرادفاً لهذه الألفاظ غيرها، فأنت الرواة بالمرادف، ولم تأت بلفظه ﷺ، إذ المعنى هو المطلوب، ولا سيما مع تقادم السماع، وعدم ضبطه بالكتابة، والاتكال على الحفظ، والضابط منهم من ضبط المعنى، وأما ضبط اللفظ فبعيد جداً، لا سيما في الأحاديث الطوال. وقد قال سفيان الثوري: إن قلت لكم إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني، إنما هو المعنى. ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين أنهم إنما يروون بالمعنى.

الأمر الثاني: أنه وقع اللحن كثيراً فيما روى من الحديث، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم، وهم لا يعلمون ذلك. وقد وقع في كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب، ونعلم قطعاً غير شك أن رسول الله ﷺ كان أفصح الناس، فلم يكن ليتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن

(١) أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة المشهورين، كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة مات سنة ١٥٤هـ. أنظر بغية الوعاة ٢/٢٣١.

(٢) عيسى بن عمر الثقفي مولى خالد بن الوليد إمام في النحو والعربية والقراءة، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق. وصنف في النحو الإكمال والجامع، توفي سنة ١٤٩هـ. أنظر بغية الوعاة ٢/٢٣٧.

(٣) علي بن حمزة الكسائي، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة المشهورين توفي سنة ١٨٢هـ أنظر بغية الوعاة ١٦٣/٢.

(٤) يحيى بن زياد أبوزكريا الفراء، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، أخذ عنه وعن يونس. من مصنفاته: معاني القرآن، المقصور والممدود، المذكر والمؤنث. مات سنة ٢٠٧هـ. بغية الوعاة ٢/٣٣٣.

(٥) علي بن المبارك الأحمر صاحب الكسائي، كان متقدماً في النحو، واسع الحفظ. مات سنة ١٩٤هـ. بغية الوعاة ٢/١٥٨.

(٦) هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي أحد أصحاب الكسائي. صنف مختصر النحو، الحدود، القياس. توفي ٢٠٩هـ. بغية الوعاة ٢/٣٢٨.

التركيب وأشهرها وأجزؤها، وإذا تكلم بلغة غير لغته فإنها يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز، وتعليم الله ذلك له من غير معلم.

وابن مالك قد أكثر من الاستدلال بما ورد في الأثر، متعقباً بزعمه على النحويين، وما أمعن النظر في ذلك .

(وابن المصنف رحمه الله كأنه موافق لأبيه في استدلاله بما روي في الحديث، فإنه يذكره على طريقة التسليم) .

وقد قال لنا قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة . وكان ممن أخذ عن ابن مالك - قلت له : ياسيدي هذا الحديث رواية الأعاجم، ووقع فيه من روايتهم ما يعلم أنه ليس من لفظ الرسول . فلم يجب بشيء .

قال أبو حيان : وإنما أمعنت الكلام في هذه المسألة لثلاثي يقول مبتدئ : ما بال النحويين يستدلون بقول العرب وفيهم المسلم والكافر، ولا يستدلون بما روي في الحديث بنقل العدول كالبخاري ومسلم وأصراهما . فمن طالع ما ذكرناه أدرك السبب الذي لأجله لم يستدل النحاة بالحديث . انتهى كلام أبي حيان .

وقال القاضي عياض<sup>(١)</sup> في شرح مسلم : قال الشعبي<sup>(٢)</sup> : إذا وقع في الحديث اللحن البين يعرب . وقاله أحمد بن حنبل . قال : لأنهم لم يكونوا يلحنون . وقال النسائي<sup>(٣)</sup> إن كان شيئاً تقوله العرب فلا يغير، وإن لم يكن من لغة قريش، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يكلم الناس بألسنتهم، وإن كان لا يوجد في كلام العرب فرسول الله ﷺ لا يلحن .

---

(١) القاضي عياض بن موسى اليحصبي عالم المغرب ولد بسنة ٤٧٦هـ . قال ابن خلكان : إمام الحديث في وقته وأعرف الناس بعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم . ومن تصانيفه : «إكمال في شرح مسلم»، مشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار من الموطأ والصحيحين توفي سنة ٥٤٤هـ . أنظر تذكرة الحفاظ للذهبي ص ١٣٠٤-١٣٠٧ .

(٢) الشعبي علامة التابعين، عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي، مولده في أثناء خلافة عمر، كان إماماً حافظاً فقيهاً متقناً . . . أنظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٧٩/١ .

(٣) الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب الخراساني صاحب السنن، ولد سنة ٢١٥هـ وتوفي سنة ٣٠٣هـ . برع في الحديث وتفرد بالانتقان وعلو الاسناد . سكن مصر، وكان أفقه مشايخ مصر في عصره وأعلمهم بالحديث والرجال . . . أنظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٦٩٨/٢ .

## فصل [ في عزو الأقوال إلى أصحابها ]

قد أوردت جميع كلام أبي البقاء معزواً إليه، ليُعرف قدر ما زدته عليه، وتتبع ما ذكره أئمة النحو في كتبهم المبسوطة من الأعراب للأحاديث، فأوردتها بنصها معزوةً إلى قائلها، لأن بركة العلم عزو الأقوال إلى قائلها، ولأن ذلك من أداء الأمانة، وتجنب الخيانة، ومن أكبر أسباب الانتفاع بالتصنيف، لا كالسارق الذي خرج في هذه الأيام فأغار على عدة كتب من تصانيفي، وهي المعجزات الكبرى، والخصائص الصغرى، ومسالك الحنفاء، وكتاب الطيلسان وغير ذلك، وضم إليها أشياء من كتب العصرين، ونسب ذلك لنفسه من غير تنبيه على هذه الكتب التي استمد منها، فدخل في زمرة السارقين، وانطوى تحت ربة المارقين، فنسأل الله تعالى حسن الإخلاص والخلاص، والنجاة يوم يقال للمعتدين لات حين مناص .

وقد رمزت على كل حديث رمز من أخرجه من أصحاب الكتب الستة المشتهرة، وإن لم يكن فيها ولا في المسند صرحت بذكر من أخرجه من أصحاب الكتب المعتمدة .

### فائدة

#### [ هل يتعدى «سمع» إلى مفعولين؟ ]

يتكرر كثيراً في الحديث قول الراوى «سمعت رسول الله ﷺ يقول» وقد اختلف هل يتعدى «سمعت»<sup>(١)</sup> إلى مفعولين؟

فجوزه الفارسي<sup>(٢)</sup>، لكن لا بد أن يكون الثانى مما يُسمَع، نحو: سمعت زيدا قال كذا. فلو قلت: سمعت زيدا أخاك، لم يجز .

(١) فصل البغدادى القول في استعمالات سمع في خزنة الأدب ج٩ ص ١٦٧-١٧٣ بتحقيق هارون .

(٢) أبوعلي الفارسي : الحسن بن أحمد عالم مشهور أخذ عن الزجاج وابن السراج، وعنه أخذ ابن جنى، له مصنفات كثيرة منها: الإيضاح والتكملة، والحجة، والبغداديات والتذكرة. توفي سنة ٣٧٧ هـ. أنظر بغية الوعاة ١/٤٩٦-٤٩٧ .

والصحيح تعديّه إلى مفعول واحد، وما وقع بعده منصوباً فعلى الحال، والأول على تقدير مضاف، أي سمعت قول رسول ﷺ، لأن السمع لا يقع على الذوات، ثم بين هذا المحذوف بالحال المذكور، وهي يقول، وهي حال مبيّنة، ولا يجوز حذفها .

وقال الزمخشري<sup>(١)</sup> في قوله تعالى : ﴿سَمِعْنَا مَنَادًا﴾<sup>(٢)</sup> : تقول سمعت رجلاً يتكلم، فتوقع الفعل على الرجل، وتحذف المسموع، لأنك وصفته بما يسمع، أو جعلته حالاً منه، فأغناك عن ذكره. ولولا الوصف أو الحال لم يكن منه بدّ وأن يقال : سمعت كلامه .

وقال الطيبي<sup>(٣)</sup> : الأصل في «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول» : سمعتُ قول رسول الله، فأخر القول وجعل حالاً ليفيد الإبهام والتبيين. وهو أوقع في النفس من الأصل .

## فائدة

### [ في قولنا «رضى الله عنه» و «رضوان الله عليه» ]

سئل الإمام أبو محمد بن السيد البليوسي<sup>(٤)</sup> عن قولنا : «رضى الله عنه ورضوان الله عليه» هل (عليه) هنا مبدلة من (عنه) كما يتبدل بعض الحروف من بعض، فيسوغ فيها على وعن، أم ليست مبدلة ؟

فأجاب : ليست (على) هاهنا ببدل من (عن) التي حكم (رضى) أن يتعدى بها، بدليل أن (عليه) قد صارت خبراً عن المبتدأ، ولو كانت بدلاً من (عن) لكانت من صلة الرضوان، ولم يصح أن يكون خبراً عنه، وعن مضمّن في الكلام، كأنه قال : رضوان الله عنه سابق عليه، أو واقع عليه، ونحو ذلك .

(١) محمود بن عمر أبو القاسم جار الله وفخر خوارزم ولد سنة ٤٩٧هـ . وجاور بمكة، من مصنفاته : الكشاف في التفسير، المفصل في النحو، الفائق في غريب الحديث، أساس البلاغة . توفي سنة ٥٣٨هـ . أنظر بغية الوعاة ٢/٢٧٩-٢٨٠ .

(٢) آل عمران آية ١٩٣ . أنظر تفسير الكشاف ١/٤٨٩ .

(٣) الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي : كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلاً على نشر العلم . من مصنفاته : شرح الكشاف، شرح مشكاة المصابيح . توفي سنة ٧٤٣هـ . أنظر بغية الوعاة ١/٥٢٢ .

(٤) عبد الله بن محمد بن السيد عالم باللغة والنحو والأدب . ومن مصنفاته : شرح أدب الكاتب، شرح الموطأ، شرح ديوان المتنبي، إصلاح الخلل الواقع في الجمل . مات سنة ٥٢١هـ . بغية الوعاة ٢/٥٥ .

## فائدة

### [ في إعراب غير ]

سئل ابن الحاجب<sup>(١)</sup> عن إعراب (غير) في قولهم: هذا الحديث لا نعلم أحداً رواه عن فلان غير فلان؛ أينصب غير أم يرفع؟.

فأجاب بما نصّه: إن جعلت (نعلم) متعدياً إلى مفعولين أحدهما (أحداً) والثاني (رواه)، كما نقول: ما أظن أحداً رواه غير فلان، وهو الظاهر، فالفصيح الرفع على البدل من الضمير المرفوع المستتر في (رواه) العائد على أحد، لأنه المنفى في لا نعلم.

ويجوز نصبه على الاستثناء، وهي قراءة ابن عامر<sup>(٢)</sup>، ولا يجوز أن يرفع على أن يكون فاعلاً برواه، لأن في (رواه) ضمير فاعل عائد على أحد، فلا يستقيم أن يرفع به فاعل آخر.

فإن جعلت (نعلم) بمعنى نعرف المتعدي إلى واحد، كان (رواه) صفة له، كأنك قلت: لا نعرف راوياً غير فلان؛ تعين النصب، جعلته بدلاً أو استثناءً، كقولك: ما أكرمت أحداً راوياً غير زيد. فلا يجوز في (غير) إلا النصب.

نقلته من خط ابن الضائع في تذكرته، وهو نقله من خط ابن الحاجب.



(١) العلامة عثمان بن عمر المقرئ النحوي المالكي الأصولي الفقيه، من مصنفاته النحوية: الكافية وشرحها ونظمها، وفي التصريف الشافية وشرحها، وله الإيضاح في شرح المفصل، والأمال في النحو. توفي سنة ٦٤٦ هـ. أنظر بغية الوعاة ٢/١٣٤.

(٢) في قوله تعالى ﴿ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ (سورة النساء ٦٦). قرأ السبعة غير ابن عامر بالرفع، وقرأ ابن عامر بالنصب «قليلًا»... أنظر التصريح ١/٣٥٠، تفسير القرطبي ٥/٢٧٠.



أختي العزيزة : « هل » :

هذه هي الرسالة الثالثة عشرة، وسوف أحدثك فيها عن همزة الاستفهام الداخلة على أداة الشرط «إن» في القرآن الكريم، لقد وردت هذه الهمزة في ثلاث آيات :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾ . (الآية ١٤٤ من سورة آل عمران).

تتضمن هذه الآية الكريمة أن محمداً ﷺ ما هو إلا رسول كغيره من الرسل الذين أرسلهم الله عز وجل إلى خلقه دعاة إليه وإلى طاعته ثم ماتوا وقبضهم الله إليه حين انقضت آجالهم، وبقي أتباعهم من بعدهم يلتزمون بما دعوا إليه، ومحمد مثله مثل أولئك الرسل جاء مبلغاً عن الله تعالى داعياً إليه وإلى طاعته، وسوف يموت ويقبضه الله إليه حين ينتهي أجله، وعلى أتباعه أن يلتزموا بما دعا إليه الجهاد في سبيل الله تعالى، والصبر على طاعته، فلا ينبغي لأولئك الذين آمنوا به وبصدق ما دعاهم إليه، لا ينبغي لهم أن يصيبهم الفزع والهلع فينكصوا على أعقابهم فراراً من المعركة حين قيل في معركة أحد إن محمداً قتل .

والله سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة من أطاع، ولا تضره معصية من عصى، فالله جلّ وعلا غني عن العالمين، فمن عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها، وسيجزى الله الشاكرين الذين شكروا الله على نعمته عليهم بالإسلام، فجاهدوا في سبيله، وصبروا على طاعته، وصدقوا الله في الدفاع عن دينه، فثبتوا حتى انتهت المعركة أو استشهدوا فيها .

والشاكرون لفظ عام يندرج فيه كل شاكر فعلاً وقولاً وإن فُسر هنا بالمجاهدين الثابتين في معركة أحد .



وجاء الاستفهام في قوله تعالى : ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ جاء مفيدا العتب والإنكار : فقد عتب الله سبحانه وتعالى على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ أن يصيبهم الفزع والهلع وأن يفروا من المعركة حين قيل لهم في معركة أحد إن محمدا قتل ، عتب عليهم ذلك وأنكره ، فما كان ينبغي لهم أن يفعلوا ما فعلوا ، كان يجب عليهم أن يثبتوا في المعركة وأن يدافعوا عن هذا الدين الذي آمنوا به وبرسوله ، سواء أكان حيا أم ميتا ، فشرية الله لا تموت بموت الرسول الذي بلغها عن ربه ، ودعا الناس إليها ، فهي باقية إلى يوم القيامة يدافع عنها أتباعها الذين يؤمنون بها صادقين ، ويجاهدون في سبيلها حتى النصر أو الشهادة .

وإعراب هذا الاستفهام : ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ سهل واضح : فالفاء عاطفة ، عطفت الجملة الشرطية التي بعدها على الجملة الخبرية التي قبل الهمزة (مات) فعل الشرط فهوفي محل جزم بـ (إن) و(انقلب) جواب الشرط فهوفي محل جزم أيضا ، والجار والمجرور (على أعقابكم) في محل نصب حال من فاعل انقلبتم ، والتقدير انقلبتم راجعين .

وهذا الذي تقدم من أن همزة الاستفهام قد دخلت على «إن» الشرطية وقد استوفت شرطها وجزاءها هو مذهب سيبويه .

وذهب يونس إلى أن فعل (انقلبتم) ليس جواب الشرط ، وإنما هو الفعل المستفهم عنه ، فهو مدخول الهمزة فينوي به التقديم ، وتقدير الكلام عند يونس : أتقلبون إن مات أو قتل ، وجواب الشرط عنده محذوف دلّ عليه مدخول الهمزة المتأخر لفظا المتقدم تقديرا ، وعلى مذهبه تكون (إن) مع شرطها معترضة بين الهمزة ومدخولها ، ويرأي يونس أخذ كثير من المفسرين في هذه الآية .

ولكن أبا البقاء العكبري ذكر في كتابه «إملاء ما من به الرحمن» عند إعرابه هذه الآية أن مذهب سيبويه هو الحق لوجهين :

أحدهما : أنك لو قدمت الجواب لم يكن للفاء وجه ، إذ لا يصح أن تقول أتزورني فإن زرتك ، ومنه قوله تعالى : ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ .

والثاني : أن الهمزة لها صدر الكلام ، وإن لها صدر الكلام ، وقد وقعا في موضعها ، والمعنى يتم بدخول الهمزة على جملة الشرط والجواب لأنها كالشيء الواحد اهـ .

وقال الزركشي في كتابه البرهان : «وقد ردّ النحويون على يونس بقوله : (أفإن مت

فهم الخالدون)، ولا يجوز في (فَهُمْ) أن ينوى به التقديم لأنه يصير التقدير : «أفهم الخالدون فإن مت»، وذلك لا يجوز لئلا يبقى الشرط بلا جواب، إذ لا يتصور أن يكون الجواب يدل عليه ما قبله، لأن الفاء المتصلة بأن تمنعه من ذلك، ولهذا يقولون : «أنت ظالم إن فعلت»، ولا يقولون : «أنت ظالم فإن فعلت» فدل ذلك على أن أدوات الاستفهام إنما دخلت لفظاً وتقديراً على جملة الشرط والجواب». اهـ.

وجاء في شرح الرضي لكافية ابن الحاجب في النحو ما يؤيد قول العكبري وقول الزركشي .

وبناء على رأي سيبويه ومن ذهب مذهبه يكون مصبّ الاستفهام ومورده هو جملة الشرط والجواب معاً، وعلى رأي يونس يكون مصبّ الاستفهام ومورده هو جواب الشرط وإن لم يسمه يونس جواباً .

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون﴾ . الآية (٣٤) من سورة الأنبياء .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه محمد ﷺ : لم نخلد أحداً من بني آدم قبلك يا محمد فنخلك أنت، فلا بدّ من أن تموت كما مات من كان قبلك، ولن يخلد الله أحداً في هذه الدنيا، فكل نفس ذائقة الموت، وهؤلاء المشركون الذين يتمنون موتك ليشتمتوا به هم ميتون على كل حال، فلا شهادة في الإمامة .

وهذا الاستفهام : ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ يفيد النفي والاحتقار : النفي على معنى لن يخلد الله تعالى هؤلاء المشركين في هذه الحياة الدنيا، فكل نفس ذائقة الموت . ويفيد الاحتقار على معنى إذا كنت أنت يا محمد على علو منزلتك وعظيم قدرك عند الله تعالى سوف تموت، أفيخلد الله تعالى هؤلاء المشركين وليس لهم من الفضل ما يزن مثقال ذرة!!

وإعراب هذا الاستفهام : ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ سهل واضح . فالفاء عاطفة عطفت الجملة الشرطية التي بعدها على الجملة الخبرية التي قبلها، و(مت) مؤلفة من (مات) وهو فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، ومن التاء ضمير المخاطب المبني على الفتح في محل رفع على الفاعلية، وجملة (فهم الخالدون) المؤلفة من الفاء الواقعة في جواب الشرط ومن المبتدأ أو الخبر في محل جزم جواب الشرط وقد قرئ فعل الشرط السابق (مت)

بضم الميم وكسرهما : فعلى قراءة الضم يكون الفعل على لغة مات يموت مثل صام يصوم وقام يقوم، وأصله : مَوْتٌ يَمُوتُ (بفتح الواو في الماضي وضمها في المضارع) من باب نصر ينصر.

وحيث أسند الفعل الماضي (مات) على هذه اللغة إلى ضمير الرفع المتحرك سُكِنَ آخره وحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وُضِّمَتِ الميم للدلالة على أن الألف المحذوفة من هذا الفعل الماضي منقلبة عن واو .

وعلى قراءة كسر الميم (مِت) يكون الفعل على لغة مات يمات مثل خاف يخاف ونام ينام، والأصل : مَوْتٌ يَمُوتُ (بكسر الواو في الماضي وفتحها في المضارع) من باب علم يعلم، وحيث أسند هذا الفعل الماضي على هذه اللغة إلى ضمير الرفع المتحرك سُكِنَ آخره وحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وكسرت الميم للدلالة على أن حركة الحرف الأصلي الذي انقلبت عنه الألف في الماضي كانت كسرة .

الآية الثالثة : في قوله تعالى : ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون(١٣) إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون(١٤) قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون(١٥) قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون(١٦) وما علينا إلا البلاغ المبين(١٧) قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم(١٨) قالوا طائركم معكم أين ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون(١٩)﴾ . (الآيات : ١٣-١٩) من سورة يس .

تتضمن هذه الآيات الكريمة حواراً بين رسل أرسلهم الله تبارك وتعالى إلى أهل قرية لم يسمها كانوا يعبدون غيره، وبين أهل تلك القرية، وفي آخر هذا الحوار قال أهلها لأولئك الرسل : لقد كنتم شؤماً علينا ولأن لم تنتهوا عما تدعوننا إليه لترجمنكم بالحجارة وليصينكم منا عذاب أليم، فقال لهم الرسل شؤمكم معكم وفيكم، فهذا الضلال الذي أنتم فيه هو شؤمكم، إن دعوناكم إلى الهدى ونهيناكم عن الضلال وبينا لكم فساد ما أنتم عليه، تشاءتمم بنا وتوعدتم وتهددتم؟! بل أنتم قوم مسرفون في الضلالة معنون في الغي .

وهذا الاستفهام : ﴿أإن ذكرتم﴾ يفيد الإنكار والتوبيخ : فقد أنكر الرسل على أهل القرية أن يتشاءموا منهم وأن يجعلوا من دعوتهم إلى عبادة الله وحده ونهيمهم عن عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، أن يجعلوا من ذلك طيرة وشؤماً، وكان ينبغي بدلاً من ذلك أن يفرحوا بقدومهم وأن يستجيبوا إلى ما دعواهم إليه، وأن يشكروا الله تعالى أن هداهم للإيمان .

لقد أنكر الرسل على أهل القرية ذلك ووبخوهم عليه ، وقالوا لهم في نهاية إنكار والتوبيخ : بل أنتم قوم مسرفون قد تجاوزتم الحد في الضلال والظلم والعدوان ، ومن هنا جاءكم الشؤم وأنزل الله بكم المصائب .

وإعراب هذا الاستفهام : ﴿أَنَّ ذُكِّرْتُمْ﴾ سهل واضح : ف (ذُكِّرَ) من ذُكِّرْتُمْ فعل ماض مبني للمجهول ، ولك أن تقول في إعرابه مبني على فتح مقدر منع من ظهوره السكون العارض لأجل اتصاله بضمير رفع متحرك ، ولك أن تقول مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك ، والفعل على الإعرابين في محل جزم بإن الشرطية و (تم) ضمير في محل رفع نائب فاعل ، وجواب الشرط محذوف دل عليه الكلام السابق ، وقد قدره العكبري : كفرتم ، فيكون تقدير الكلام عنده : إن ذُكِّرْتُمْ كفرتم . وقدّره أبو السعود في تفسيره : إن ذُكِّرْتُمْ تطيرتُم وتوعدتُم بالرجم والتعذيب .

أختى العزيزة « هل » :

بهذا تنتهى رسالتى إليك عن همزة الاستفهام الداخلة على (إن) الشرطية ، وسوف أحدثك فى الرسالة القادمة إن شاء الله تعالى عن همزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ، وأسأله تعالى أن يعين ويسدد ويوفق .  
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، ، ،

أختك  
همزة الاستفهام

## مراجع هذه الرسالة

- ( أ ) المراجع على وجه الإجمال :
- ١ - تفسير أبى جعفر بن جرير الطبرى / الطبعة الثالثة / الناشر : شركة الحلبي بمصر .
- ٢ - تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى / الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض .
- ٣ - تفسير أبى السعود / الناشر : مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة .
- ٤ - الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين / الناشر : الحلبي بمصر .

- ٥ - تفسير ابن كثير / الناشر : الحلبي بمصر .  
 ٦ - تفسير القرطبي / الطبعة الثالثة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .  
 ٧ - الكشاف للزمخشري / الناشر : الحلبي بمصر .  
 ٨ - إملأ ما منَّ به الرحمن للعكبري / الطبعة الأولى / الناشر : الحلبي بمصر .  
 ٩ - شرح الرضي على الكافية في النحو / طبعة مصورة / الناشر : دار الكتب العلمية بيروت .  
 ١٠ - البرهان في علوم القرآن للزركشي / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة الثانية / الناشر : عيسى الحلبي وشركاه بمصر .

(ب) المراجع على وجه التفصيل :

- ١ - الآية الأولى : (١٤٤) من سورة الأنعام :  
 الطبري : (ج٤ ص ١١٠) - البحر المحيط : (ج٣ ص ٦٨) - أبو السعود :  
 (ج٢ ص ٩٢) - الفتوحات : (ج١ ص ٣١٩) - ابن كثير : (ج١ ص ٨٨) - الزمخشري :  
 (ج١ ص ٤٦٨) - القرطبي : (ج٤ ص ٢٢٦) - العكبري : (ج١ ص ١٥١) -  
 الزركشي : (ج٢ ص ٣٦٦) - شرح الكافية : (ج٢ ص ٣٩٤) .  
 ٢ - الآية الثانية : (٣٤) من سورة الأنبياء :  
 الطبري : (ج١٧ ص ٢٤) - البحر المحيط : (ج٦ ص ٣١٠) - أبو السعود :  
 (ج٦ ص ٦٦) - الفتوحات : (ج٣ ص ١٢٧) - ابن كثير : (ج٣ ص ١٧٨) - الزمخشري :  
 (ج٢ ص ٥٧٢) .  
 ٣ - الآية الثالثة : (١٩) من سورة يس :  
 البحر المحيط : (ج٧ ص ٣٢٧) - ابن كثير : (ج٣ ص ٥٦٧) - العكبري :  
 (ج٢ ص ٢٠٢) - أبو السعود : (ج٧ ص ١٦٣) - تفسير الجلالين : (هامش  
 الفتوحات) : (ج٣ ص ٥٠٧) .



# محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

.....	— قبس من كتاب الله
.....	— حكمة العدد
١١ .....	— كلمة العدد
١٣ .....	— آية العدد
.....	— أول واجب على المكلف عبادة الله تعالى ...
١٨ .....	وضوح ذلك من كتاب الله ودعوات الرسل
٢٣ .....	— منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل
٧١ ..	— دفاع عن العقوبات الإسلامية
٨٨ .....	— الإمداد بأحكام الحداد
١٠٩ .....	— نظام الإثبات في الفقه الإسلامي
١٢٧ .....	— تحقيق جزء الضعفاء والمتروكين
١٤٠ .....	— الملك عبدالعزيز آل سعود بين نصره الله ونصر الله له
١٥٨ .....	— ظاهرة التقاص في النحو العربي
.....	— عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد في اعراب الحديث
١٦٨ .....	— رسائل لم يحملها البريد
١٨٤ .....	.....



مطابع الجامعة الإسلامية  
بالمدينة المنورة

**Journal of**

**THE  
ISLAMIC  
UNIVERSITY**

**OF  
MADINAH MONAWWARAH  
RAJAB — DHU AL-HEJJAH  
1404 H.**

**[ QUARTERLY ]**

**16<sup>th</sup> Year**

**63 - 64**



الجامعة الإسلامية  
بالتنوير  
بمَجْلَدٍ دَوْرِيَّةٍ تَصْدُرُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي الْعَامِ

السَّنَةُ ١٦

الْعَدَدَانِ

٦٤ و ٦٣

رَجَبُ - ذُو الْجَمَادِ ١٤٠٤ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# هَيْئَةُ التَّحْرِيرِ

الأعضاء

رئيس التحرير

د. صلاح بن عبد الله العبود

د. محمد بن عطية الغاندي

د. علي سلطان الشامي

د. بزوفه بن هياك الزهري

مدير التحرير

د. محمد بن عوي الراجحي

الرسالة: ترسل أيام مدير التحرير - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



قَبَسٌ  
مِنْ

# كِتَابِ اللَّهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

وَكَلَّا نَقْصُصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ  
مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ  
وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ  
لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٤١﴾  
وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٤٢﴾ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ  
وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٣﴾





# حِكْمَةُ الْعَدْلِ

أَشْتَرِ نَفْسَكَ الْيَوْمَ فَإِنَّ السُّوقَ  
قَائِمَةٌ وَالثَّمَنَ مَوْجُودٌ، وَالْبَضَائِعَ  
رَخِيصَةً، وَسَيَأْتِي عَلَى تِلْكَ السُّوقِ  
وَالْبَضَائِعِ يَوْمٌ لَا تَصِلُ فِيهَا إِلَى قَلِيلٍ  
وَلَا كَثِيرٍ، ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ  
يَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ..

الفوائد للدين القيم.



# كَلِمَةُ التَّحْرِيرِ

لِلدُّكْتُورِ صَبَّاحِ بْنِ حَبِيبٍ (رَبِّ الْعَبُودِ)  
رئيس قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأصلى وأسلم على محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد : فإن هذا العدد من مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة هو بداية تحديد اتجاه المجلة إلى الاقتصاد على نشر الأبحاث العلمية التي يسهم فيها أساتذة الجامعة ، ولذا جاء عددنا هذا حافلاً ببحوث علمية في العلوم الإسلامية والعربية لعدد من الأساتذة الفضلاء .

وما من شك أن البحث والنظر والاستدلال والتوثيق يفيد العلم وهو من خصائص الإسلام التي اقتبسها رواد الكشوفات العلمية فاستضاء بها العالم كله . وهذا المنهج من طرق التماس العلم . فسلكه سلوكاً يلتزم بالإسلام وينبثق منه ويستند في دقته ونتائجه على عقيدته الحية كما يستمد مناهجه وخططه من شريعته هو سلوك راشد مشروع يرجى لصاحبه أن يسهل الله له به طريقاً إلى الجنة .

ذلك أن العقيدة الإسلامية هي التي جمعت الصدق والصلاح وسلمت من الضلال والفساد وتضمنت جميع الحكمة والعلم النافع والعمل الصالح وهذا هو سر السيادة وسبب العز والظهور والنصر والغلبة والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة .

إن العقيدة الإسلامية هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى تصديقاً وإقراراً وتسليماً وانقياداً بالقلب واللسان والجوارح وأعلى ذلك شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً ، وعموماً فالإيمان هو طاعة الله تعالى وتحقيق امتثال أمره وأمر رسوله ﷺ ابتداءً من أعلى شعب الإيمان وهي شهادة أن لا إله إلا الله إلى أدناها وهي إمطة الأذى عن الطريق كما شرع الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ والتعبد لله تعالى

بهذه الطاعة حبا ورجاء وخوفاً لله ومنه سبحانه وتعالى تعبدا يصل إلى درجة المراقبة والاحسان وهي أن يعبد الإنسان ربه بذلك كأنه يراه فإن لم يكن يراه استشعر أن الله يراه شعوراً لا يغيب عن باله في جميع أحواله التعبديّة أو غالبها فيثمر تقوى الله في السر والعلن .

إن عقيدة هذه ماهيتها ثمر الأمن والهداية في الدنيا والآخرة وبقدر اعتقادها يتحقق ثمرها من الأمن والهداية فمن اعتقدتها اعتقاداً تاماً كان له الأمن التام والهداية التامة ومن كان اعتقاده دون التمام حصل له من الأمن والاهتداء بقدر اعتقاده . قال الله تعالى :

﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ (الأنعام: ٨٢) .

وان من يتأمل الواقع الذي نعيشه في المملكة العربية السعودية يدرك أن ما نحن فيه من أمن يفوق ما فيه أهل عصرنا من الدول وغيرها هو من أثر العقيدة الإسلامية التي دعا إليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وناصره آل سعود عليها ووازره على إعلاء كلمة الله تعالى فاقبلوا على معرفة ما عند الشيخ من العلم والارادة حتى إذا عرفوا صدق موافقته للحق نفذوا ذلك بالسلطان والإدارة والسيف والعزيمة يريدون ما عند الله تعالى ، فصنع لهم الله من عظيم صنعه ، وأظهر لهم من الدولة ما ظهروا به على سائر العرب ، وكلما كان الأمر على ذلك العهد المبارك كلما كان في بحبوحة العز والنصر والظهور ، ولا نزال والله الحمد ، ننعم بوارف ظلال عقيدة السلف الصالح المبنية على صحة العلم وصلاح العمل تحت دوحتي أهل العلم وأهل العمل من علماء الدعوة وأنصارها .

هذا وإن اقتصار المجلة على نشر البحوث العلمية الموثقة من الأساتذة الجامعيين ليرجى منه أن يجمع قوتها ويركزها على التخصص العلمي النافع فما ذلك إلا استجابة لمتطلبات المسيرة العلمية التي تسيرها الجامعة الإسلامية لتفنى بسد بعض حاجات المجتمع الإسلامي العالمي للتخصص العلمي حسبما يمليه وجودها إذ هي مؤسسة إسلامية عالمية من حيث الغاية ، وعربية سعودية من حيث التبعية ، ذات شخصية اعتبارية مستقلة ، ومن أهدافها إعداد البحوث العلمية وترجمتها ونشرها وتشجيعها في مجالات العلوم الإسلامية والعربية خاصة ، وسائر العلوم وفروع المعرفة الإنسانية التي يحتاج إليها المجتمع الإسلامي عامة ، وتجميع التراث الإسلامي والعناية بحفظه وتحقيقه ونشره .

ونسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه وأن يسلك بنا سبيل أتباع رسوله ﷺ أهل البصيرة والصدق والاخلاص في العلم والعمل وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه .

# آيَةُ الْعُدُدِ

لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ  
مُسَمِّيهِ تَسْمِيَةَ التَّفْسِيرِ بِالْجَامِعَةِ

قوله تعالى : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾

الآية (١) من سورة الفاتحة

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله . محمد وآله وصحبه ومن آمن به واهتدى بهداه . . .

وبعد : فإن قوله تعالى : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هو الآية الأولى من كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) هذا على ما رجحناه، وإلا فعند الشافعي رحمه الله أن الآية الأولى هي بسم الله الرحمن الرحيم . وحينئذ فالحمد لله رب العالمين هي الآية الثانية . وعلى كلا المذهبين فآيات الفاتحة سبع لا غير ؛ لقوله تعالى : ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ . (الحجر) . وقوله ﷺ : « هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت » . (الصحيح) .

وبناءً على أن البسمة آية من الفاتحة فالآية السابعة هي : ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ . وإلا فالآية السابعة هي : ﴿صراط الذين أنعمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ .

وفائدة هذا الخلاف أن مَنْ رَأَى البسمة آية من الفاتحة وجب عليه أن يقرأها كلما قرأ الفاتحة في الصلاة، وإلا بطلت صلاته . وَمَنْ لَمْ يَرَ أنها آية قرأها أو لم يقرأها فصلاته صحيحة إلا أن قراءتها سرّاً في الصلاة الجهرية أحوط وأكثر أجراً .

ومنشأ هذا الخلاف : أن الفاتحة نزلت مرتين مرةً بالبسمة ومرة بدونها والمقصود من البسمة هو التبرك بذكر اسم الله تعالى والاستعانة به على التلاوة والصلاة فلذا قراءتها أرجح من عدمها، وإنما نظراً لحديث أنس في الموطأ والصحيحين : «أنه صلى وراء رسول

الله ﷻ ووراء أبي بكر وعمر فكانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين»، فإن الاختيار أن تقرأ البسملة سراً، ثم يجهر بالقراءة في الصلاة الجهرية .  
بعد هذه المقدمة نشرح الآية الكريمة فنقول :

### شرح الكلمات في الآية :

**الحمد :** «ال» فيها لاستغراق الجنس أى أن عامة ألفاظ الحمد وسائر كلمات الثناء والمحامد التى عرفها الناس، وما لم يعرفوا منها هى لله تعالى ، والله مستحق لها جميعها .  
وفي الحديث : «اللهم لك الحمد كما أنت أهله» .

**والحمد :** هو الوصف بالجميل الاختيارى والمدح مثله إلا أنه يفارقه فيكون بالجميل غير الاختيارى كأن نحمد زيدا فنقول : زيد ذو خلق فاضل، ونمدحه فنقول : زيد جميل الوجه معتدل القامة . فكان قولنا : زيد ذو خلق فاضل حمداً؛ لأنه على الجميل الاختيارى، وكان قولنا : زيد جميل الوجه معتدل القامة مدحاً؛ لأن جمال وجهه واعتدال قامته حصل له بالاضطرار لا بالاختيار، أى لم يكن هو الذى جعل وجهه وعدل قامته بل الفاعل لذلك هو الله تعالى بخلاف حسن خلقه فإنه حصل له بكسبه واختياره . وصفات الجمال فى الله تعالى كلها اختيارية . لذا يحسن أن نقول حمدنا الله تعالى ونحمده، ولا نقول مدحنا الله تعالى ونمدحه، كما يحسن أن نقول : مدحنا زيدا نمدحه، ولا نقول : حمدنا زيدا نحمده لما علمنا من أن الحمد هو الوصف بالجميل الاختيارى، والمدح هو الوصف بالجميل الاختيارى أو الاضطرارى .

والشكر كالحمد، وفي الحديث الشكر رأس الحمد . إلا أن الشكر هو المدح بالفواضل وهى النعم المتعدية . والحمد هو المدح بالفضائل . وقد يجمع بينها فيقال زيد جميل كريم تصدق بألف . ولذا فالحمد يكون باللسان فقط والشكر يكون باللسان والقلب والجوارح كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة      يدى ولسانى والضمير المحجبا  
والشكر بالقلب معناه اعتراف القلب بنعمة المنعم فيحمده عليها بلسانه ويشنى بها عليه بتكراره .

لله : اللام فى لله هى لام الاستحقاق والملك كقولنا الجائزة أو الدار لعمر وأى أن الجائزة مستحقة لعمر والدار ملك له . وجميع المحامد مستحقة لله تعالى ملك له، فليس

لغيره من سائر خلقه حق فيها ولا استحقاق ولا ملك . وسنين ذلك فيما بعد إن شاء الله .

**الله** : اسم الربّ تبارك وتعالى وهو عَلَمٌ على ذاته عز وجل ، والله تعالى مائة اسم إلا اسماً واحداً للحديث الصحيح . وأعظم تلك الأسماء الحسنی هو اسم ﴿الله﴾ وإذا نودى به تعالى قد يحذف حرف النداء «يا» ويُعوض عنه ميم مشددة تلحق آخره فيقال : اللّهُم . وقد ينادى بدون إلحاق حرف الميم في آخره ، فتقطع همزة الوصل فيه فيقال : يا الله . وهو واسم الرحمان لا يسمى بهما غير الرب تبارك وتعالى . وأما لفظ الربّ فقد يطلق على غير الله تعالى مضافاً نحو : قولنا رب الدار ، ورب السلعة بمعنى مالكها ، ويقال : فلان ربّ ، أو الربّ بلا إضافة . ومن خصائص اسم الجلالة ﴿الله﴾ أنه يوصف ولا يوصف به فيقال : الله الرحمن الرحيم ، أو العزيز الحكيم . ولا يقال الرحمن الله ، أو العزيز الله ، ولذا رجح بعض أهل العلم أن يكون الاسم الأعظم لله تعالى هو ﴿الله﴾ أو مع الحيّ القيوم . ﴿الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم﴾ . وذلك للخبر . . .

ومعنى ﴿الله﴾ : المعبود بحق ، إذ الأصل في تركيبه : إله فحذفت الهمزة منه وعرف بال فصار ﴿الله﴾ وجعل عَلَمًا على ذات الرب الواجب الوجود سبحانه وتعالى . وعلى القول بأنه مشتق غير مرتجل فإنه مأخوذ من أله يأله إلهة وألوهية : إذا عبده محباً له غاية الحب معظماً له غاية التعظيم خاشياً إياه غاية الخشية .

ومادة أله جاءت في لغة العرب لمعان كثيرة منها إله إذا عبد ، وأله إذا تحير ، وإله إذا فزع ، وإله إذا سكن . وكل هذه المعاني صالحة لاسم الله إذ هو تعالى المعبود بحق . قال تعالى : ﴿وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله﴾ أى معبود فيهما معاً . والله تعالى تتحير العقول في معرفة كنه ذاته وتضطرب وتقر بالعجز ؛ إذ ليس كمثل شىء وهو السميع البصير ، وتفزع إليه الخلائق إذا نزل بها أمر تدعوه وتتضرع إليه ليكشف عنها ما نزل بها ، وتسكن إليه القلوب المؤمنة وتطمئن بذكره قال تعالى : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ فلذا كان أفضل أنواع الذكر لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

**رَبّ** : الربّ اسم من أسماء الله تعالى ، لا يصح إطلاقه على غير الله تعالى إلا مضافاً كما تقدم بيانه . ولفظٌ يطلق ويراد به معان كثيرة فيكون بمعنى الخالق ، الرازق ، المدبر ، المصلح ، المربى ، المعبود ، ويكون بمعنى السيد والمالك . وكل هذه المعاني مستحقة لله تعالى فلا تطلق على الحقيقة إلا عليه عز وجل وتطلق دون الخالق والمعبود على غير الله

تعالى إطلاقاً إضافياً غير حقيقى ، فيقال فلان مصلح أو مرب أو سيد أو مالك . نحو فلان مصلح السيارات ، ومربى الأولاد ، وسيد البلد ، ومالك الدار ، وما إلى ذلك . ومن شواهد اللغة على اطلاق لفظ الربّ على المعبود قول الأعرابى ، وقد وجد ثعلبا شاغراً رجله يبول على صنم كان يعبده :

أربُّ يبول الثعلبان برأسه      لقد ذل من بالث عليه الثعالب  
وتركه كافراً به فلم يرجع إليه أبداً . . .

وللأستغاثة باسم الرب تعالى أترطيب إذا كانت بلسان صادق وقلب سليم من الشرك إذ قال رسول الله ﷺ : «إذا قال العبد يارب يارب ثلاثا، قال الله تعالى عبدى سل تعط». رواه ابن أبي الدنيا فى الدعاء عن عائشة رضى الله عنها .

**العالمين :** العالمين جمع واحده عالم ، والعالم كل ما سوى الله تعالى ، وسمى كل شىء من المخلوقات عالماً كعالم الملائكة وعالم الجن وعالم الإنسان ، وعالم الدواب وعالم الطير وعالم النبات ، وعالم السموات ، لأنه علامة على خالقه ومدبره ومصلحه وحافظه عز وجل . ومن هنا كان ربّ العالمين معناه : خالق الخلائق ومالكهم ، ومدبر وجودهم وحياتهم ، ومعبودهم الحق الذى لا معبود لهم على الحقيقة غيره سبحانه وتعالى .

كان ذلك شرح مفردات الآية الكريمة تفصيلاً . وأما تفسير الآية إجمالاً فإنه :

( يجبر تعالى عباده بأن له الحمد كله ، استحققه بخلقه العوالم كلها ، وبملكها كلها ، وتدبيرها كلها ، والقائم على إصلاحها وتربيتها كلها فلا ربّ لها غيره ، ولا معبود حق لها سواه . وضمن هذا الإخبار الأمر بحمده تعالى والثناء عليه بلفظ الحمد لله . وأنه تعالى يجب أن يحمد على آلائه ، كأنها قال : قولوا الحمد لله ربّ العالمين ) . . .

هذا معنى الآية وأما ما فيها من هداية وأحكام فإلى القارىء الكريم ذلك إزاء الأرقام

التالية :

(١) فضل «الحمد لله» حيث قالها الله تعالى لنفسه وأمر بها عباده أن يقولوها له ، وفى الحديث (١) الصحيح الحمد رأس الشكر ، وأن الله تعالى يجب من العبد إذا أكل الأكلة أو شرب الشربة أن يحمده عليها . وما من عبد أنعم الله عليه بنعمة فقال فيها : الحمد

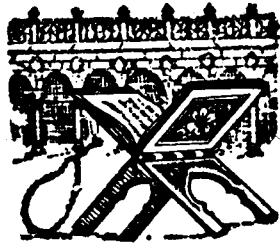
(١) أورد هذه الأحاديث ابن كثير فى تفسير سورة الفاتحة فليراجعها من شاء .



لله ، إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ . وما من أحد أحب إليه الحمد من الله تعالى ، ولذا حمد نفسه بنفسه فقال الحمد لله .

(٢) أن الحمد لا يكون إلا لمن له فضائل أو فواضل اقتضت حمده فلا يحل حمد أو مدح من لا فواضل له ولا فضائل ؛ إذ مدح البخيل بالكرم زور ، ومدح السخيف بالكمال كذب . ومدح الجبان بالشجاعة باطل ، ومدح الظالم بالعدل حرام . ودليل هذه الحقيقة أننا بالاستقراء والتتبع ما وجدنا الله تعالى حمد نفسه إلا وذكر موجب الحمد ومقتضاه مثل الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب . . .

(٣) وجوب قول الحمد لله في الصلاة ومشرعيته بالندب عند حصول كل نعمة وتجدها ، ومن ذلك عند لبس الثوب والفراغ من الأكل أو الشرب ، وعند دخول المسجد والخروج منه « بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله » وعند افتتاح الخطبة ، وختم الدعاء . « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » وعند ركوب الدابة أو السيارة والطائرة والسفينة للآية . ﴿ لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ﴾ . ولازم ذكر النعمة شكرها والحمد لله رأس الشكر . اللهم أجعلنا من الحامدين لك الشاكرين لإنعامك وإفضالك بطاعتك وطاعة رسولك ﷺ . . .



# أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْمُطَّافِ .. عِبَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى

وَصُوحٌ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَدَعَوَاتِ الرَّسُلِ

لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْغَنَمَاتِ

٢

رئيس قسم الدراسات العليا

القسم الثانى : توحيد التوجه والقصد بالنفس واللسان والقلب رغبة ورهبة بالعبادة لله وحده والخلوص من الشرك جليله ودقيقه ، فإذا نوى المرأ بماأتى وما يترك التقرب إلى الله تعالى وطلب ما لديه صار موحداً له وبصرفه شيئاً من ذلك لغير الله يكون مشركاً علم أنه شرك أو لم يعلم إذ أساس العبادة سواء كانت لله أو لغيره هو توجه القلب بالذل والخضوع التام المستولى على الخاضع من القوى الغيبية والأمور الخفية التى يرهبها ممن يذل له أو يطمع فيها على غير الأسباب التى يجرى عليها نظام الكون على الدوام سواء كانت تلك القوى الخفية وهمية أو حقيقية ، هذا هو باعث العبادة فى الغالب ، والذى يحمل العابد عليها بالتوجه إلى معبوده بالدعاء وما يتبعه من الأعمال والأقوال ، فرع عن وجودها ودليل على عبودية من صدرت منه ، لأن التوجه إليه شاهد على اتخاذه إلهاً ، والأعمال هى شواهد لله ولعباده على الخلق ، ودليل على صدق ما ادعى أو كذبه مع أن الله لا يخفى عليه خافية .

وما كان من هذا الذل والخضوع خال عن المحبة والتعظيم ، وبدافع الأمور الظاهرة التى تجرى عليها السنن الكونية والأسباب التى ربطها الله بمسبباتها ونتائجها مما يدخل تحت مقدور من يخافه العباد ، أو من يرجونه من الخلق فهو من تنمة العبادة غير أن ما كان جارٍ منها على الطباع لا يقدر على إخلاص من داخله شىء منه ، لأن الأنبياء فمن دونهم كانوا يخافون من عدوهم ، ومن يقدر على أذاهم ، ويرجون من يملك أن ينفعهم ويعاونهم من اتباعهم وغيرهم ، مع اعتمادهم على الله فى حصول مطلوبهم وهذه من الأسباب التى جعلها الله مقتضية وجود مسبباتها .

ولم يسجل التاريخ نبأ كائن ينكر وجود إله على قدير ، حتى العقائد الوثنية التى كانت ومازالت تؤمن بألهة متعددة ، حتى هذه تدين بالتقديس لإله واحد من آلهتها وتؤمن بأنه فوق الكل عزة وعظمة وقدرة ، وهو مالك الملك رب السماوات والأرض وأنه رب الأرباب ، ومالك كل شىء ، إلا أنهم أشركوا بعض عباده معه فى الدعاء والتوجه إليهم بصفتهم مقربين إليه

ملكهم ما يطلب منهم ، بزعمهم ولكن الذى وقف في وجه دعوة الرسل أمم كانت تعبد مع الله آلهة أخرى .

ولهذا لم تكن رسالة الرسل في دعوة الناس إلى الإيمان بوجود الله أوروبيته ، إذ كان هذا مستقراً في القلوب وإنما كانت دعوة الرسل إلى توحيد الله في إلهيته بأن يعبد وحده لا شريك له والتخلي عما اتخذوه معبوداً من دون الله تعالى ، وأولياء يلجأون إليهم وشفعاء يعبدونهم بالحب والدعاء والخوف والرهبنة والرجاء قال الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبد الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ . والطاغوت كل من أضلك عن سبيل الله ، أو صرفك عن طريق الحق ، أو احتكمت إليه في دينك بحكم يحكم فيه بالهوى أو عبده من دون الله ، قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ لم يقل لا رب سواي لأن الناس جميعاً يوحدون الله في ربوبيته ولم يقل إني إله لأنهم جميعاً يؤمنون بذلك ولكنه قال : ﴿ لا إله إلا أنا ﴾ وأمر بعد ذلك بعبادته ليوحده الناس في الألوهية ويعبدوه وحده وهذه رسالة الرسل وهي توحيد الله في إلهيته بأن يعبدوه وحده لا شريك له ، وفي يوم النداء من الطور ، في تجلي النور ، كان أول ما أمر به موسى أن يسمعه ويطيعه ، ويبلغه ﴿ إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ (سورة طه : ١٤) . وملاك ذلك أن لا يعبد إلا الله ، وأن لا يعبد إلا بما شرع ، فمن ابتغى بعمل غير وجه الله ، فهو مشرك ، ومن عبَدَ الله وحده ، بما لم يأذن به الله ولم يشرعه فهو مبتدع ضال ، ولا يكون الدين لله خالصاً إلا إذا كان كل ما نعمله ونقوله هو لله خالصاً وسواء كان من شئون الدين أو من شئون الحياة مادمننا نرجو الثواب من الله تعالى عليه ، قال ﷺ يقول الله عز وجل : « من عمل عملاً أشرك معي فيه غيرى تركته وشركه » (١) فذكر العمل مطلقاً غير مقيد بكونه عمل ديني أو دنيوي ، ليكون وجود العبد كله في الحياة والاتجاه وغيره لله وحده ، وقال ﷺ : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح الدجال قالوا بلى يا رسول الله ؟ . قال : الشرك الخفى يقوم الرجل فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » (٢) فمجرد تزين الصلاة لأجل ملاحظة عيون الناس بالاعجاب شرك بالله ، فتوحيد الله لا يتحقق إلا أن يكون ظاهر الإنسان وباطنه سره وعلانته عمله وقوله دينه ودينه كله لله وحده ، فيجب أن يكون هوى قلبك وباعث عملك وغاية جهادك في الحياة لله وحده ، وقد يكفر الإنسان بمعبود في لسانه وقلبه مستكين له ومملوك عليه ، وتشهد عليه أعماله بأنه عبد الدينار وعبد الدرهم ، أو عبد الشيطان ، ألم تر إلى قول إبراهيم عليه السلام : « ياأبت لا تعبد الشيطان » وما كان آزر

(١) رواه مسلم في صحيحه أنظر مسلم بشرح النووي ج٨ ص ١١٥ ، وابن ماجه في سننه ج٢ ص ١٤٠٥ .

(٢) أحمد . أنظر المسند ج٣ ص ٣٠ وسنده صحيح .

يسمى معبوده شيطاناً ولا يؤمن بأنه شيطان، ولكن الذى يصده عن عبادة الله هو الشيطان، أو ولى الشيطان، فهو عونهُ وأخوه قال الله تعالى : ﴿ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان...﴾ (يس : ٦٠) .

وأنواع العبادة كثيرة متعددة : «وهى اسم لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»<sup>(١)</sup> وتكون فى القلب كالإخلاص فى الأعمال، واليقين بالأمور الغيبية، والخوف والرجاء، والتوبة، والندم على ما صدر من سىء الأعمال، ومنها ما يدفعه قلب العبد على اللسان من الدعاء، والنداء والاستغاثة ممن يرجو ويتوكل عليه لقضاء حاجة، أو تفريج كربة، ومنها ما يكون باللسان والقلب والجوارح، كالمحبة، فمن أشرك فى الحب الذى لا يصلح إلا لله، مع الله غيره، فقد جانب التوحيد، وأتى بما يضاده، قال تعالى : ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾، (سورة البقرة: ١٦٥). ومنها الصلاة والركوع والسجود والذبح قال تعالى : ﴿فصل لربك وأنحر﴾. (سورة الكوثر: ٢). وقال جل وعلا : ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا وأسجدوا وأعبدوا ربكم﴾، (سورة الحج: ٧٧)، ومنها الطواف، فلا يطاف إلا فى بيت الله، والله وحده، قال تعالى : ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾، (سورة الحج: ٢٩)، وأنواعها كثيرة يصعب حصرها جدا .

و ضد التوحيد الشرك وهو أقسام ثلاثة شرك أكبر بأن يجعل شيئاً من العبادة لله وغيره وهذا فاعله إذا مات ولم يتب منه يخلد فى النار، كما قال تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾. (سورة النساء: ٤٨)

والثانى شرك أصغر مثل يسير الرياء وقوله لرجل ما شاء الله وشئت والحلف بغير الله وما شابه ذلك، ولو كان المحلوف به خاتم النبيين، وأشرفهم ﷺ .

الثالث الشرك الخفى وهذا قد يكون أكبر وقد يكون أصغر، حسب الباعث عليه ولا ترسال معه، ومن أنواع الشرك أن يتوجه الإنسان بالدعاء إلى الله تارة وإلى غيره أخرى سواء قصد ذلك على سبيل الوساطة، أو طلب منه أي من غير الله - غرضه، بالنداء والاستغاثة واللجوء إليه والتمسكن له، فمن فعل ذلك فقد جعل لله عديلاً، ومساوياً، سواء سمي ذلك توسلاً أو شفاعة، وسواء كان المتوسل به نبياً، أو ولياً، أو عدواً طريداً، فكل ذلك شرك ينافى التوحيد، ومن الأعمال القبيحة سؤال الله بجاه مخلوق، أو بحقه وعمله لأن من سأل الله بذلك فقد اعتقد أنه يؤثر على الله، كالشفاعة على الرؤساء، ولهذا لا يتوسلون ويسألون الله إلا بجاه من يعتقدون له الجاه العريض، والمكانة الحاملة لله على أن يعطيهم

(١) قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله . أنظر الرسالة المعروفة بالعبودية فاتحتها .

حاجتهم بزعمهم والجاه والمنزلة أصبحت في عرف الناس ولغتهم هي النفوذ والقوة المؤثرة، على من يتوجه إليه لتحصيل خيره، أو دفع شره، فعلى هذا ما يسميه توسلا وزورا معيدوا الوثنية، من منتحلي الإسلام، وهو على لغة القرآن والعرب، العبادة بعينها، فإذا التوسل الذي يعنونه هو الشرك الأعظم وهو يشمل عندهم .

أولاً : الطواف عند قبور من يقدسونهم، وتقبيلها وأخذ تراها للاستشفاء به والتبرك بها، وذبح الذبائح لهم، لأنهم يرجون بذلك أن يعطوهم، أضعاف ما قدموا لهم .

الثاني : ما ينفقونه في هذا السبيل، من الحرث والأنعام، طمعا أن يبارك لهم بدعواتهم، وأسرارهم ونفحاتهم الإلهية في أموالهم وأنفسهم وذرياتهم .

الثالث : عمارتهم قبورهم، بالبناء العالي، والقباب المزخرفة، والستائر الفاخرة، والإضاءة عليها وبذل المال في هذا السبيل، وتحمل مشقات السفر إليها .

الرابع : الحلف بهم، والخوف منهم، والتخويف بهم، وتحذير بعضهم بعضا من عقابهم، لاعتقادهم أنهم يقدرون على ذلك، كما يعتقدون فيهم النفع لمن يحبهم، ويفى لهم بالنذور، ويزور أوثانهم .

الخامس : توجههم إليهم بالدعاء والنداء والاستغاثة والاستعانة بهم إذا نزل بهم ضرر، أو مسهم كرب .

السادس : سؤالهم الله بحقهم، وتوسلهم إليه بجاههم ومنزلتهم، وما لهم عنده من الدرجات .

السابع : تعبدهم وصلاتهم عند قبورهم، وتفضيل البقاع التي يوجدون فيها، اعتقادا منهم أن الدعاء عندهم مقبول، ومستجاب لما لهم من القداسة . وهذا كله شرك بالله وخروج عن دينه الذي جاءت به رسل الله كلهم .

الثامن : السفر إلى مشاهدهم، قصدا للعبادة عندهم، لاعتقادهم أنها في تلك الأماكن أفضل منها في المساجد، وهذا كله مناقضة لشرع الله، الذي جاء به خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه، وإعادة لدين الوثنية، ومن المؤسف أن تصدر مثل هذه الأفعال من خريجي الجامعات، والمتصدرين للفتوى والتوجيه .

وما يتعلق به المشركون قديما وحديثا الشفاعة :

الشفاعة : لقد كانت الشفاعة في قديم الزمان وحديثه طريقا إلى الشرك، ثم أصبحت تطلق على الشرك بعينه كما قال الله تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم

ومالا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿﴾ ، والشفاعة مأخوذة من الشفع ، وهى ضم طلب الشافع إلى طلب المشفوع له ، وما عبد المشركون فى كل عصر صالحهم إلا بحجة أنهم يشفعون لهم عند الله ، وعملهم لهذه الغاية صادر بلا ريب عن اعتقادهم فى أوليائهم أنهم يملكون الشفاعة ، ولو كان عندهم عقل لأخلصوا العبادة لله وحده ، لأن الشفاعة وغيرها ملكه لا يشاركه فى ذلك أحد ، وهو الرحمن الرحيم الغفور الودود ، وهؤلاء يدعون العبيد الأموات ، أن يمنحهم ما يملكه الله وحده ، ولا يسألون مالك الملك بدل إذلالهم أنفسهم لأصنامهم وطواغيتهم ، وإذا كانوا لا يؤمنون بالقرآن ، يجوز فى عقل الإنسان أن يطلب الشيء ممن لا يملكه ، ان عقل المشركين هو الذى أباح للعبيد أن يسألوا الصخرة الصماء رحيق الجنة والميت امداد البركات ، فى الحياة ، والعاجز الضعيف الفقير أن يهب لهم القدرة ، والقوة والغنى ، وزين الشيطان لهم ، أن رحمة القبور ، أقرب إليهم من رحمة الخلاق الرحيم ، فاستجاروا بمن لا يجير نفسه ، من دود الأرض ، واسترحموا من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا .

إن الشفاعة ملك خاص لله وحده ، فمن الشرك القول : «نستلك الشفاعة يارسول الله» لأن السائل ذلك يسأله ما يملكه الله وحده ، فيحجب أن يقول : اللهم أجعلنا ممن يستحق شفاعة نبيك . بيد أن الشيطان زين لعباده أنه لا فرق بين الأمرين ، وأن التفريق بينهما تزمت وتنطع ، فى الدين قال الله تعالى : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ . نفى الله عن سواه كل ما يتعلق به المشركون ، نفى أن يكون لغيره ملك أو قسط من الملك ، أو يكون عوناً لله ، فلم يبق إلا الشفاعة ، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال : ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ فالشفاعة التى يظنها المشركون ، منفية ﴿من ذا الذى يشفع عنده إلا بأذنه﴾ . وأخبر النبى ﷺ أنه لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، بل يسجد لله ويحمده ثم يأذن له فى الشفاعة بقول الله له اشفع . وقال أبوهريرة : من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله ؟ قال من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» (١) فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص وهى محرمة على المشرك ، وحقيقتها تفضل الله سبحانه على أهل الاخلاص بمغفرته بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه ، وينال المقام المحمود ، فالشفاعة التى نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، والتى اثبتها هى ما كانت بإذنه ، ولمن رضى عنه ، وقد بين النبى ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والاخلاص .

(١) فتح البارى ج١ ص ١٩٣ وج١١ ص ٤١٨ .

# مَنْهَجُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الدُّعْوَى إِلَى اللَّهِ

## فِي الْحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ

لِلدُّكْتُورِ رَبِيعِ بْنِ هَارُونَ مَرْخَلِي  
رئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة

①

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والبرهان ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

وبعد : فإن الدافع لاختيار هذا الموضوع عدة أمور من أهمها :

أولاً : أن الأمة الإسلامية اختلفت في مناح شتى عقدية وغيرها وتفرقت بها السبل ، فنزل بها من الويلات - نتيجة لهذا التفرق ولعدم الاحتكام في قضايا الخلاف إلى كتاب الله وسنة نبيهم - ما لا يعلم مداه وفداحته إلا الله من تمزق صفوفهم وتأجج نيران الخلاف والخصومات فيما بينهم ، ثم تغلب أعداء الإسلام على أوطانهم واستباحتهم لبيضتهم واستعبادهم واستذلالهم .

ثانياً : حدوث تيارات فكرية برزت في الساحة الإسلامية بطرق ومناهج ، لإصلاح حال الأمة وانقاذها :

- منها السياسي .

ومنها الفكري .

ومنها الروحي .

وكل واحد من هذه التيارات يدعى ممثلوه أنه المنهج الإسلامي الحق الذي يجب اتباعه والذي لا ينقذ الأمة سواه .

هذان السببان مع أسباب أخر دفعتني إلى القيام بواجب من أعظم الواجبات وأهمها

ألا وهو بيان منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة وبيان مزاياه التي لا يشارك فيها وبيان ضرورة اتباعه وحده لأنه الطريق الأوحيد الذي يوصل إلى الله ويكسب رضاه وهو السبيل الأوحيد لانتقاد الأمة والموصل إلى السيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة .

## نص المحاضرة مع اضافات واسعة ومهمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فإن الله تعالى الخالق البارئ المصور العليم الحكيم قد خلق هذا الكون العظيم ودبره ونظمه بعلمه المحيط وحكمته العالية وقدرته الشاملة ، لحكم جليلة وغايات نبيلة بعيدة كل البعد عن العبث والباطل واللعب .

قال تعالى : ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما إلا بالحق ، ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ﴿الدخان : الآيتان ٣٨ ، ٣٩﴾ .

وقال تعالى : ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ (الاحقاف : ٣-١) .

وخلق الجن والإنس وبين الحكمة العظيمة والغاية الكريمة التي خلقهم من أجلها . قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ . (الذاريات : ٥٦-٥٨) .

وقال تعالى : ﴿أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هورب العرش الكريم﴾ . (المؤمنون : ١١٥-١١٦) .

وقال تعالى : ﴿أيجسب الإنسان أن يترك سدى﴾ (القيامة : ٣٦) . أى لا يؤمر ولا ينهى .

وقال تعالى : ﴿تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير الذى خلق الموت والحياة ، ليلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾ . (الملك : ٢-١) . فأخبر تعالى أنه ما خلقهم إلا للابتلاء ، والاختبار ليتبين أيهم أحسن عملاً بانقياده لمنهج الله واتباعه لرسول الله .

وقال تعالى : ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً ، وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ . (البقرة : ٢١-٢٢) . فأمرهم أن



يقوموا بالغاية التي خلقهم من أجلها، وبين لهم أنه قد وفر وهياً لهم كل الأسباب التي تساعدكم على القيام بمهمتهم العظيمة، وحذرهم من الانحراف عن هذه الغاية، والتنكر لهذه النعم الجليلة، ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ .

وقال تعالى : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ . (الاسراء : ٧٠)، وما أكرم الله الإنسان هذا الاكرام وأحله هذه المنزلة الرفيعة إلا لعظم الغاية التي خلق من أجلها، ألا وهي عبادة الله وحده وتعظيمه وتنزيهه، عن كل النقائص وعن اتخاذ الشركاء والأنداد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وكثيراً ما نوه الله بكرامة الإنسان ومنزلته في هذا الكون، وأن هذا الكون، قد سخر لراحته وسعادته، حتى يؤدي وظيفته ويقوم بغايته التي خلق من أجلها على اتم الوجوه وأكملها .

قال تعالى : ﴿قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة، وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال، الله الذى خلق السماوات والأرض، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره، وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين، وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ . (ابراهيم : ٣١-٣٣) .

## اكرام الإنسان بالعقل والفطره

وإلى جانب هذه النعم العظيمة والاكرام الفائق لهذا الإنسان فقد منحه نعمة العقل الذى يرفعه إلى مستوى التكاليف الإلهية ويؤهله لإدراكها وفهمها، وزوده بالفطرة التى توائم ماياتى به رسل الله عليهم الصلاة والسلام من الوحي الكريم ومن الدين الحق الذى يشرعه الله وينهجه لهذا الإنسان على السنة الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

قال تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (الروم : ٣٠) .

(١) الفطر: الابتداء والاختراع، والفطرة: الحالة، كالجلسة والركبة .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول أبو هريرة رضى الله عنه : ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها...﴾ الآية (١)

وعن عياض بن حمار، المجاشعي رضى الله عنه أن النبي ﷺ خطب ذات يوم، فقال في خطبته : «إن ربي عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني في يومى هذا كل مال نحلته (٢) عبادى حلال، وإنى خلقت عبادى حنفاء (٣) كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم (٤) عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم، أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا...» (٥) الحديث.

## اكرام البشر بارسال الرسل إليهم وأنزال الكتب عليهم

ثم لم يكلهم الله إلى ما آتاهم من فطرة وعقل، بل أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتب لتبين لهم الحق من الباطل ولتكون مرجعاً لهم، فيما يختلفون فيه، حتى لا يبقى للناس أى عذر، ولتقوم عليهم الحجة، فلا يبقى لهم حجة على الله بعد الرسل.

وكلف جميع الأمم بطاعة هؤلاء المصطفين الأخيار واتباعهم والإنياد لهم وأنزل أشد

= والمعنى : أنه يولد على نوع من الجيلة، والطبع المنهية لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، وإنما يعدل عنه من يعدل بالآفة من آفات البشر والتقليد «النهاية لابن الأثير (٤٥٧/٣).

وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : في الفتح (٢٤٨/٣).

«اختلف الناس في المراد بالفطرة، وأشهر الأقوال، أن المراد بالفطرة : الإسلام قال ابن عبد البر : هو المعروف عند عامة السلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ الإسلام.

(١) أخرجه البخاري ٢٣ - كتاب الجنائز ٧٩ - باب إذا أسلم الصبى فمات يصلى عليه، حديث ١٣٥٨، ١٣٥٩، ٩٢ - باب ما قيل في أولاد المشركين حديث ١٣٨٥، ٦٥ - كتاب التفسير، حديث ٤٧٧٥. ومسلم، ٤٦ - كتاب القدر، حديث ٢٢، ٢٣، وأبو داود، ٣٤ - كتاب السنن ١٨ - باب في ذراري المشركين، حديث ٤٧١٤، وأحمد في المسند (٢/٣١٥، ٣٤٦، ٣٩٣)، (٢/٢٣٣، ٢٧٥)، ومالك في الموطأ (١/٢٤١ : ١٦، كتاب الجنائز. حديث (٥٢)، والترمذي في السنن (١/٤٤٧)، ٣٣ - كتاب القدر ٥ - باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة، حديث (٢١٣٨)، وفي لفظ في البخاري ومسند أحمد والموطأ والترمذي «كل مولود يولد على الفطرة».

(٢) نحلته أعطيته، والمراد : كل مال أعطيته عبداً من عبادى فهو له حلال، والمراد : إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصلة والبحيرة والحامي وغير ذلك، وإنما لم تصر حراماً بتحريمهم وكل مال ملكه العبد فهو له حلال حتى يتعلق به حق.

(٣) أي مسلمين.

(٤) أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم، عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل.

(٥) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٧)، ٥١ - كتاب الجنة ٢٦ - باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار،

حديث ٦٣.

العقاب بمن كذبهم وعاندتهم في الدنيا، وسوف ينزل بهم العذاب الأنكى والأشد، العذاب السرمدى الخالد فى دار الجزاء العادل .

ما هى رسالة هذه الصفوة المختارة من البشر صلوات الله وسلامه عليهم وما الذى قدموه لأمتهم ؟

إن رسالتهم تشمل كل خير وتبعد من كل شر، فقدموا للإنسانية كل ما يسعدها فى الدنيا والآخرة، فما من خير إلا دلوا الناس عليه، ولا شر إلا حذروا الناس منه .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : كنا فى سفر، فنزلنا منزلاً فمنا من يصلح خبائه، ومنا من ينتضل<sup>(١)</sup>، ومنا من هو فى جشره<sup>(٢)</sup> إذ نادى نادى رسول الله ﷺ الصلاة جامعة<sup>(٣)</sup> فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ، فقال : «إنه لم يكن نبي قبلى إلا وكان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها وسيصيب آخرها بلاء، وأمور ينكرونها. وتجيء فتن فيرقق<sup>(٤)</sup> بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن : هذه مهلكتى ثم تنكشف. وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن : هذه هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله، واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذى يجب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً، فاعطاه صفقة يده وثمره قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» .

هذه رسالة كل الأنبياء تدل على كل خير وتحذر من كل شر، لكن من أين تنطلق وبماذا تبدأ وعلى أى شىء تركز ؟

إن هناك دعائم وقواعد وأصولاً تركز عليها دعواتهم وتكون أول منطلقاتهم فى دعوة الناس إلى الله .

تلك الأسس والقواعد هى : (١) التوحيد ، (٢) النبوات ، (٣) المعاد . (٥)  
هذه الأسس الثلاثة هى ملتقى دعواتهم وأصولها وقد أهتم بها القرآن غاية الاهتمام وبينها غاية البيان وهى أهم مقاصده التى يدور عليها ويكررها، ويورد الأدلة العقلية

(١) من المناضلة، وهى : المرامات بالنشاب .

(٢) الجشتر: هى الدواب التى ترعى، وتبيت مكانها .

(٣) الصلاة جامعة، هى : بنصب الصلاة على الإغراء، ونصب جامعة على الحال .

(٤) أى يصير بعضها رقيقاً أى حفيفاً لعظم ما بعده .

(٥) ألف فى بيان هذه الأسس الثلاثة الإمام الشوكانى كتاباً سماه : «إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد، والمعاد والنبوات» طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان، وقد ساق أدلته من القرآن والتوراة والأنجيل .

والحسنة عليها في جميع سورة وفي غالب قصصه وأمثاله، يعرف ذلك من له كمال فهم وحسن تدبر وجودة تصور. وقد عنيت بها كتب الله بأجمعها واتفقت عليها الشرائع السأوية بأسرها . وأهم هذه الأسس الثلاثة وأجلها وأصل أصولها هو توحيد الله تبارك وتعالى الذي تضمنته غالب سور القرآن، بأنواعه الثلاثة المشهورة بل تضمنته كل سورة من سور القرآن، فإن القرآن :

- (١) إما خبر عن الله واسمائه وصفاته، وهو التوحيد الخبرى .
  - (٢) وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادى الطلبي .
  - (٣) وإما أمر ونهى والزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد، ومكملاته .
  - (٤) وإما خبر عن اكرامه لأهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء التوحيد .
  - (٥) وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبي من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد .
- فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم<sup>(١)</sup>.

## توحيد الألوهية وأهميته

وسوف أتناول توحيد الألوهية وأهميته لسببين :

أولاً : أنه الجانب الأهم من دعوات الرسل الذي عرضه علينا القرآن ولأنه موضوع الصراع الدائر بينهم وبين خصومهم من المستكبرين والمعاندين من كل الأمم، ولا يزال موضوع الصراع إلى اليوم، ولعله يستمر إلى يوم القيامة ابتلاء واختباراً لورثة الرسل ورفعاً لمنزلتهم .

ثانياً : ان أخطر وأشد وأصعب انحراف مني به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها في هذا الجانب في أكثر جهال المسلمين وفي كثير من مثقفهم والمتسبين إلى العلم منهم . فلنبداً بعرض دعوات الأنبياء بصفة عامة ثم نعرض دعوات بعضهم بصفة خاصة .

(١) شرح الطحاوية ص ٨٨ الطبعة الأولى ١٣٩٢ نشر المكتب الاسلامي وأصله من كلام الامام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم -

رحمها الله .-

قال تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة، فسيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (النحل: ٣٦)، وقال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ . (الأنبياء: ٢٥)، وقال تعالى بعد أن ذكر قصص عدد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون﴾ . (الأنبياء: ٩٢)، وقال تعالى : ﴿يا أيها الرسل، كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ (المؤمنون: ٥١-٥٢).

قال الحافظ ابن كثير : قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ . يقول : دينكم واحد<sup>(١)</sup>. وفي معنى الآيتين من السنة، قوله ﷺ : «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات<sup>(٢)</sup> أمهاتهم شتى ودينهم واحد»<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى عن أولى العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام : ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً، والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى، أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ (الشورى: ١٣). تلك دعوة الانبياء جميعاً وعلى رأسهم أولوا العزم منهم الأنبياء الذين يبلغ تعدادهم أربعة وعشرين الفا ومائة ألف<sup>(٤)</sup> يسرون في دعوتهم في منهج واحد، وينطلقون من منطلق واحد، هو التوحيد، اعظم القضايا والمبادئ التي حملوها

(١) التفسير (٣٦٥/٥).

(٢) العلات - بفتح المهملة : الضرائر، وأصله من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى، كأنه علّ منها، والعلل : الشرب بعد الشرب وأولاد العلات : الإخوة من الأب، وأمهاتهم شتى «فتح الباري (٩/٦) وفي النهاية (٢٩١/٣)، الأنبياء أولاد علات «أولاد علات الذين أمهاتهم مختلفة، وأبوهم واحد، أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة».

(٣) أخرجه البخاري ٦٠ - الأنبياء حديث (٣٤٤٣)، ومسلم (٤/١٨٣٧) ٤٣ - كتاب الفضائل، ٤٠ - باب فضل عيسى عليه السلام، حديث (١٤٥) وأحمد في المسند (٢/٣١٩، ٤٠٦، ٤٨٢).

(٤) إشارة إلى حديث أبي ذر أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥/٤٤٧) وأحمد في المسند (٥/١٧٨) (٥/١٧٩) من طريق المسعودي عن أبي عمر الدمشقي عن عبيد بن الحسحاس عن أبي ذر.

وابن حبان كما في الموارد رقم ٩٤ وأبونعيم في الحلية (١/١٦٦-١٦٨) وأشار إلى طرق أخرى إلى أبي ذر، وأحمد (٥/٢٦٥) وابن أبي حاتم في تفسيره نقلا عن ابن كثير (٢/٤٢٣) والطبراني (٨/٢٥٨).

وهناك طرق أخرى عن أبي إمامه في عدد الرسل وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أخرجه الطبراني (٨/١٣٩) وابن حبان كما في الموارد رقم (٢٠٨٥).

قال ابن كثير وهذا على شرط مسلم وقال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليد الحلبي وهو ثقة.

إلى الإنسانية جميعاً في جميع أجيالهم ومختلف بيئاتهم وبلدانهم وأزمانهم .  
مما يدل على أن هذا هو الطريق الوحيد الذى يجب أن يسلك في دعوة الناس إلى  
الله، وسنة من سننه التى رسمها لأنبيائه واتباعهم الصادقين، لا يجوز تبديلها ولا العدول  
عنها .

## نماذج لدعوات بعض الرسل

ثم إن الله تعالى أخبر عن بعض أفراد الأنبياء العظام كيف واجهوا أقوامهم وإذا بهم  
يسIRON في الخط العام الذى رسمه الله لهم وإذا بهم في المنهج الذى قرره الله لجميعهم لا تند  
عنه دعوة أحد منهم :

قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنى لكم نذير مبين ، أن لا تعبدوا إلا الله  
إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ، فقال الملأ الذين كفروا من قومه ، ما نراك إلا بشراً  
مثلنا ، وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل  
نظنكم كاذبين ﴾ (هود : ٢٥-٢٧)

﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، أفلا تتقون ، قال  
الملأ الذين كفروا من قومه إننا لترك في سفاهة ، وانا لنظنك من الكاذبين ، قال يا قوم ليس بى  
سفاهة ، ولكنى رسول من رب العالمين ، أبلغكم رسالات ربي ، وأنا لكم ناصح أمين ،  
أوعجبتكم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم ، لينذركم ، واذكروا إذ جعلكم خلفاء  
من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة ، فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا أجتئنا  
لنعبد الله وحده ، ونذر ما كان يعبد آباؤنا ، فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ، قال قد وقع  
عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلوننى في اسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها  
من سلطان ، فانظروا إنى معكم من المنتظرين فأنجيناهم والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر  
الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ﴾ (الأعراف : ٦٥-٧٢) .

وهكذا دعوات كل الأنبياء ، كلهم ساروا في هذا المنهج في الدعوة إلى توحيد الله  
وعبادته وحده أولاً وواجههم أقوامهم - إلا من هدى الله - بالسخرية والتكذيب والاستهزاء ،  
كما قال تعالى : ﴿ وكم أرسلنا من نبى في الأولين ، وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به  
يستهزون ﴾ (الزخرف : ٦-٧) .

وما أشد التكذيب والاستهزاء والسخرية على النفوس المؤمنة الأبية ، إنها أشد عليهم  
من وقع السيوف ومن السجون والتعذيب ولقد عبر عن هذا المعنى الشاعر العربى بقوله :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند  
ولقد سألت عائشة رضی الله عنها النبي ﷺ فقالت له : «هل أتى عليك يوم كان  
أشد من يوم أحد؟ فقال : لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم  
العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت،  
فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا  
أنا بسحابة، قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال : إن الله قد سمع قول  
قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال، لتأمره، بما شئت فيهم،  
فناداني ملك الجبال، فسلم على، ثم قال : يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا  
ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن اطبق عليهم  
الأخشاب<sup>(١)</sup>، فقال له رسول الله ﷺ : بل ارجو الله أن يخرج من اصلاهم، من يعبد الله  
وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(٢)</sup> .

وقد ذكرت كتب السيرة بعض اجوبة هؤلاء الساخرة ومواقفهم المزرية، وأن رسول  
الله ﷺ - عمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف وأشرافهم وهم أخوة ثلاثة، عبد ياليل  
ومسعود، وحبيب... فجلس إليهم، فدعاهم إلى الله وكلمهم لما جاءهم له من نصرة  
الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة، إن  
كان الله أرسلك، وقال الآخر : أما وجد الله أحداً أرسله غيرك، وقال الثالث : والله لا  
أكلمك أبداً، لأن كنت رسولا من الله كما تقول، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك  
الكلام، ولأن كنت تكذب على الله، ما كان ينبغي لى أن أكلمك. فقام رسول الله ﷺ،  
وقد يئس من خير ثقيف<sup>(٣)</sup> .

والشاهد من الحديث، والقصة أن ما يلقاه الأنبياء من السخرية والاستهزاء ومن أذى  
المشركين السفهاء أشد على أنفسهم من كل بلاء حتى من المعارك الطاحنة التي تهزق فيها  
الأرواح وتراق فيها دماء أصحابهم الزكية. فلقد قتل يوم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ

(١) الاخشابان : جبلان بمكة، هما أبو قبيس والجبل الذي تقابله.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩ - كتاب بدء الخلق، حديث (٣٢٣١) ومسلم (١٤٢١/٣)، ٢٩ - باب ما لقي النبي ﷺ من أذى

المشركين والمنافقين، حديث (١١١).

وفي الحديث بيان دعوة رسول الله وصره في سبيلها وحلمه على قومه وانظر كيف استأنى بهم واستبقاهم من الهلاك الماحق الذي  
اشفوا عليه املاً في الله ورجاء أن يخرج من اصلاهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً وياها من غاية نبيلة لا يعرفها إلا من ذاق نعمة  
التوحيد وعرف مكانته.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١٣٥/٣)، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ط دار الكتب العلمية بيروت

(ص ١٠٥).

أكثر من سبعين شهيداً<sup>(١)</sup>، فيهم مصعب بن عمير<sup>(٢)</sup> وحمزة بن عبد المطلب<sup>(٣)</sup> عم رسول الله ﷺ، وشج رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته<sup>(٤)</sup>، ولقي مالقي هو وأصحابه من أذى المنافقين، ولقي مالقي قبل ذلك وهو بمكة وفي يوم بدر وغيرها من المشاهد، ومع كل ذلك يرى أن أشد ما لقيه هو يوم الطائف، لأنه لقي من السخرية والاحتقار ما لا تحتمله النفوس الأبية .

ومن هنا يقول رسول الله ﷺ : «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل»<sup>(٥)</sup> فالأمثل ثم الأمثل هم الصالحون السائرون في مناهجهم في الدعوة إلى الله والداعون إلى ما دعوا إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده، ونبد الشرك بما سواه، وينالهم من الأذى والبلاء مثل ما أصاب أسوتهم الأنبياء .

ومن أجل هذا ترى كثيراً من الدعاة يجيدون عن هذا المنهج الصعب، والطريق الوعر، لأن الداعي الذي يسلكه سيواجه أمه وأباه وأخاه وأحبابه وأصدقاءه وسيواجه المجتمع وعداوته وسخرياته وأذاه، يجيدون إلى جوانب من الإسلام لها مكائنها ولا يتنكر لها من يؤمن بالله لكن هذه الجوانب ليس فيها تلك الصعوبة والشدة والسخرية والأذى خصوصاً في

(١) قال البخاري - رحمه الله في ٦٤ - : المغازي ٢٦ - باب من قتل من المسلمين يوم احد، حديث ٤٠٧٨ حدثنا عمرو بن علي، حدثنا معاذ بن هشام، قال : حدثني أبي عن قتادة، قال : «ما تعلم حيا من أحيا . العرب أكثر شهيداً أغر يوم القيامة من الأنصار قال : قتادة : وحدثنا أنس بن مالك، أنه قتل منهم يوم أحد سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون» .  
(٢) عن خباب - رضى الله عنه - قال : هاجرنا مع النبي ﷺ، ونحن نبتغي وجه الله فوجب أجرنا على الله، فمنا من مضى - أو ذهب - لم يأكل من أجره شيئاً وكان منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم يترك إلا نمرة، كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطيت رجلاه خرج رأسه فقال النبي (ص) غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله إلا ذخر . . . . . أخرجه البخاري ٦٤ - كتاب المغازي ٢٦ - باب من قتل يوم أحد حديث (٤٠٨٢) ومسلم كتاب الجنائز . (٢/٧) مع شرح النووي . وأحمد في المسند (١٠٩/٥) . والنسائي (٣٢/٤) .

(٣) قصة استشهاده في البخاري ٦٤ - كتاب المغازي ٣٢ - باب قتل حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه - حديث (٤٠٧٢) ومسلم أحمد (٥٠١، ٥٠٠/٣) .

(٤) عن أنس - رضى الله عنه - قال : شج النبي ﷺ يوم أحد فقال : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، فنزلت : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ (آل عمران ١٢٩) . أخرجه البخاري ٦٤ - كتاب المغازي ٢١ - باب ليس لك من الأمر شيء، بدون رقم ومسلم (١٤١٦/٣)، ٣٢ - كتاب الجهاد والسير ٣٧ - باب غزوة أحد، حديث ١٠٤ . وفيه حديث سهل بن سعد برقم ١٠١ بلفظ جرح وجه رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه .

(٥) أخرجه الترمذي (٦٠٢/٤)، ٥٦ - باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث (٢٣٩٨) وابن ماجه (١٣٣٤/٢) ١٣ - باب الصبر على البلاء حديث (٤٠٢٣)، والدارمي (٢٢٨/٢) حديث ٢٧٨٦ وأحمد في المسند (١٧٢/١)، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥) كلهم من طريق عاصم بن أبي النجود وهو صدوق له أوهام عن مصعب بن سعد قال : الترمذي حديث حسن صحيح . وفي تصحيح الترمذي له نظر وكأنه لاحظ في الحكم شواهدة فإن له شواهد :

١ - عن أبي سعيد الخدري أخرجه ابن ماجه (٢/٢) ٣٢٢ - باب الصبر على البلاء حديث (٤٠٢٤) قال في الزوائد اسناده صحيح نقلا عن محمد فؤاد . ٢ - من حديث فاطمة بنت اليان أخرجه أحمد (٣٢٩/٦) .

٣ - من حديث أبي هريرة أشار إليه الترمذي بقوله وفي الباب عن أبي هريرة وأخت حديثه بعد إخراج حديث سعد .



المجتمعات الإسلامية فإن سواد الأمة الإسلامية يلتفون حول هذا اللون من الدعاة ويحيطونهم بهالة من التبجيل والتكريم لا سخرية ولا أذى اللهم إلا إذا تعرضوا للحكام وهددوا كراسيهم فإنهم حينئذ يقيمونهم بكل شدة كاحزاب سياسية تناوى الحكام وتهدد عروشهم، والحكام في هذا الباب لا يحابون قريباً ولا حميماً ولا مسلماً ولا كافراً .

وعلى كل حال نقول لهؤلاء الدعاة مهما شنشنوا وطنظنوا ومهما رفعوا أصواتهم باسم الإسلام أربعوا على أنفسهم فإنكم خرجتم عن منهج الله وصراطه المستقيم اللاحب الذي مرت به مواكب الأنبياء واتباعهم في الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص الدين له ومهما تفلستم ورفعتم عقيرتكم باسم الإسلام فإنكم عن منهج الأنبياء الذي سنه الله لناكبون .

ومهما بذلت من الجهود وجستم دعوتكم ومنهجمكم فإنكم تشاغلون بالوسائل قبل الغاية وما اقل جدوى الوسيلة إذا أضرت بالغاية وضخمت على حسابها بل ياويل هؤلاء الدعاة ان أصرروا على المضي فيما ابتدعوه من مناهج وحرابوا منهج الأنبياء في الدعوة إلى توحيد الله تحت شعارات براقة تحلب ألباب البلهاء والجهلاء بمنهج الأنبياء .

إن الحديث عن دعوات الأنبياء إلى توحيد الله ومنهجهم وما لا قوا في سبيل ذلك من الأهوال والبلايا والمحن أمر لا يتسع له مجال كهذا .

ولسوف اقتصر على عرض دعوات خمسة منهم صلوات الله وسلامه عليهم وذلك سيجعلنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك :

١ — فأولهم نوح، أبو البشر الثاني، وأول رسول إلى أهل الأرض عاش هذا النبي العظيم عمراً مديداً ودهراً طويلاً ألف سنة إلا خمسين عاماً لبثها في دعوة قومه إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، لا يكل ولا يمل، ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً قال تعالى : ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه، أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم، قال: يا قوم إنى لكم نذير مبين، أن اعبدوا الله واتقوه، وأطيعون، يغفر لكم من ذنوبكم، ويؤخركم إلى أجل مسمى، إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر، لو كنتم تعلمون قال رب إنى دعوت قومي ليلاً ونهاراً، فلم يزدهم دعاءي إلا فراراً، وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم، جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكباراً، ثم إنى دعوتهم جهاراً، ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً، فقلت: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً، ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً، ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً، وجعل

القمر فيهن نوراً، وجعل الشمس سراجاً، والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً والله جعل لكم الأرض بساطاً، لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً، قال نوح: رب إنهم عصوني، واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خساراً، ومكروا مكراً كباراً، وقالوا: لا تذرنا آلهتنا، ولا تذرنا وداً ولا سواعاً، ولا يغوث ويعوق ونسراً، وقد أضلوا كثيراً، ولا تزد الظالمين، إلا ضلالاً مما خطيئاتهم أغرقوا، فادخلوا ناراً، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ﴿نوح: ٢٥-١﴾ .

ماذا في دعوة هذا الرسول الكريم، وقد قص الله علينا خلاصة دعوته الكريمة التي استغرقت ألف سنة إلا خمسين عاماً .

إنها دعوة جادة إلى توحيد الله وعبادته وحده، في جهد دائم ما ترك وسيلة تمكنه إلا استخدمها لاقناعهم بدعوته سرا وجهاراً وترغيباً وترهيباً ووعداً ووعداً، واحتجاجاً واستدلالاً بالأدلة العقلية والحسية، من واقع أنفسهم وحياتهم ومما بين أيديهم من السماء والأرض، وما فيها من آيات وعبر وكل ذلك لم يجد فيهم نفعا ولا دفعهم إلى استجابة بل أصروا على كفرهم وضلالهم، واستكبروا واستكباراً .

أصروا على التشبث بأصنامهم ومعبوداتهم الباطلة، فكانت النتيجة لهذا الأصرار والاستكبار، الهلاك والدمار، وفي الآخرة الخلود في عذاب النار .

وهنا نساءل لماذا يستمر هذا النبي العظيم كل هذه الأماد الطويلة، ويبذل هذه الجهود الكبيرة، دون كلل أو ملل يدعو إلى مبدء التوحيد؟

ولماذا يمدحه الله ويشي عليه الشناء العاطر، ويخلد ذكره ويجعله في عداد الرسل أولى العزم؟

هل دعوة التوحيد تستحق كل هذه العناية والاكبار؟، هل هذا المنهج وتحديد هذا المنطلق لهذا النبي الكريم مجانب للمنطق والحكمة والعقل؟ أو أنه عين الحكمة ومقتضى المنطق الصحيح، والعقل الواعي الرجيح لماذا يقره الله على سلوك هذا المنهج في الدعوة طوال ألف سنة إلا خمسين عاماً ويشيد به ويخلد اسمه وقصصه، ويكلف أعظم الرسل وأعقل البشر أن يجعل منه أسوة في دعوته وصبره؟

الجواب المنصف القائم على العقل والحكمة، ومعرفة مكانة النبوة والثقة العظيمة فيها وتقديرها حق قدرها، أن دعوة التوحيد ومحاولة القضاء على الشرك وتطهير أرض الله منه تستحق كل هذا وأنه عين الحكمة ومقتضى الفطرة والعقل .

وأن الواجب على كل الدعاة إلى الله أن يفهموا هذا المنهج، وهذه الدعوة الإلهية العظيمة، والمطلب الكبير، فيكرسوا كل جهودهم وطاقاتهم لتحقيقه ونشره في أرض الله كلها، وأن يتعاونوا ويتكاتفوا ويتحدوا، ويصدق بعضهم بعضاً، كما كان الرسل دعاة التوحيد يبشر سابقهم بلحاقهم ويصدق لاحقهم سابقه ويؤيد دعوته ويسير في مضماره .  
يجب أن نعتقد أنه لو كان هناك منهج أفضل وأقوم من هذا المنهج لاختاره الله لرسله وآثرهم به، فهل يليق بمؤمن أن يرغب عنه ويختار لنفسه منهجاً سواه ويتناول على هذا المنهج الرباني وعلى دعائه .

**وثانيهم :** أبو الأنبياء وإمام الموحدين الحنفاء - إبراهيم خليل الله - الذي أمر الله سيد المرسلين، وخاتم النبيين وأمته باتباعه والائتساء بدعوته والاهتداء بهديه ومنهجه<sup>(١)</sup> .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين، فلما جن عليه الليل رأى كوكباً، قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغاً، قال هذا ربي، فلما أفل قال لأن لم يهدني ربي، لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة، قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون، إنى وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً، وما أنا من المشركين ﴿ (الأنعام : ٧٤-٧٩) . دعوة حارة قوية متدفقة إلى توحيد الله، وإخلاص الدين له ونبذ الشرك ورفضه، تبدأ بالأسرة وتمتد إلى الأمة تحارب الشرك بالأصنام، وتزلزل الشرك بالكواكب .

ويسلك خليل الله أقوم الطرق في المناظرة والمحاجة، لإقامة حجة الله ودحض الشرك وباطله وشبهه .

فالتعبير بالأصنام تحقير لألهتهم المزعومة المصطنعة، وتسفيه لأحلامهم، ورسده للكواكب المذكورة-واحدًا تلو الآخر وهي تغيب وتأفل عنهم ليأخذ من حالها البرهان الواضح على بطلان ما يزعمون من ألوهيتها فمن يرعاهم ويحفظهم ويدبر شؤونهم وشؤون هذا الكون حين غيابها وأفولها، وإذن فعليهم أن يرفضوا هذه الآلهة المزعومة الباطلة ويكفروا بها،

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ «سورة النحل،

الآية(١٢٢) .

وإلى قوله تعالى : ﴿ قل : صدق الله، فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾ سورة آل عمران الآية ٩٥ .

وينفضوا أيديهم منها، ويتجهوا إلى إلههم الحق، الذى فطر السماوات والأرض، والذى لا يغيب ولا يحول يعلم جميع أحوالهم ومطلع على حركاتهم وسكناتهم، ويرعاهم ويحفظهم ويدبر شؤونهم حجج قوية يستمدّها من الواقع الملموس والكون المنظور .

قال تعالى : ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً، إذ قال لأبيه يأبى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً يأبى إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً يأبى لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً، يأبى إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً، قال أرأغب أنت عن آهتى يا إبراهيم، لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى ملياً، قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيواً واعتزلكم وما تدعون من دون الله، وأدعوا ربى، عسى ألا أكون بدعاء ربى شقياً، فلما اعتزلهم، وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب، وكلا جعلنا نبياً، ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق علياً﴾ (مريم : ٤١-٥٠). دعوة حارة إلى التوحيد، قائمة على العلم والمنطق والعقل وعلى الخلق القويم، وتهدى الضال إلى الصراط المستقيم يقابلها تعصب أعمى يقوم على الهوى والجهل والعناد والمكابرة وإلا فكيف يعبد ويخضع لمن لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنه شيئاً .

إن علم التوحيد أيها القارىء، هو العلم الذى يعتز به جميع الأنبياء وبه يصلون على الباطل والجهل والشرك، فالجهل بهذا العلم - علم الأنبياء الهادى إلى الحق والمنقذ من الضلال والشرك - هو الجهل المميت والسّم القاتل الذى يقتل العقل والفكر. ﴿يأبى إنى قد جاءنى من العلم فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً﴾ .

وبعد هذه الجولات القوية الواعية يقوم بها إبراهيم ﷺ فى ميدان الدعوة إلى الله دعوة الأسرة والأمة التى أقام فيها على أبية وقومه الحجج الدامغة واجه بهذه الدعوة العظيمة ذلك الحاكم الجبار الطاغية المتأله بكل قوة وشجاعة . قال تعالى : ﴿ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه، أن آتاه الله الملك، إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت، قال أنا أحيى وأميت، قال إبراهيم، فإن الله يأتى بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر، والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ (البقرة : ٢٥٨) .

لقد دعا إبراهيم ﷺ هذا الطاغية المتأله إلى توحيد الله والإيمان بربوبيته وألوهيته، فطغى واستكبر عن الاجابة إلى توحيد الله والتنازل عن دعوى الربوبية . فحاجه إبراهيم وناظره هذه المناظرة النيرة البرهان الواضحة المعالم قال إبراهيم : ﴿ربى الذى يحيى ويميت﴾ أى هو المنفرد بالخلق والتدبير والإحياء والإماتة . فقال الغبى المتجبر : ﴿أنا أحيى

وأमित ﴿ أى أقتل من أردت قتله وأستبقى من أردت استبقائه . وهذا الجواب فيه تمويه وتضليل للأغبياء وحيدة عن الجواب ، لأن قصد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن ربه ينشئ الحياة فى الإنسان والحيوان والنبات من العدم ، ويردها إلى الأموات بقدرته وأنه هو الذى يميت الناس والحيوانات بأجلها بأسباب ربطها وبغير أسباب ، فلما رآه إبراهيم يموه ويدجل تدجيلا ربما انطلى على الأغبياء والهمج ، قال ملزما له بتصديق قوله إن كان كما يزعم : ﴿ فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذى كفر ﴾ أى وقف متحيراً مشدوهاً ، منقطع الحجة قد أقم حجراً وأخرس لسانه وزهق باطله ، ﴿ إن الباطل كان زهوقاً ﴾ .

وفى هذا درس لمن ألقى السمع وهو شهيد ، إنها دعوة إلى التوحيد تمثل قمة الإخلاص والحكمة ، والعقل ، وتأتى البيوت من أبوابها وتنطلق من حيث أراد الله ، لا مصارعة على الملك ، ولا منافسة على الحكم ، ولو كان هدف إبراهيم عليه الصلاة والسلام الوصول إلى الحكم لسلك منهجا غير هذا المنهج ولوجد من يلتف حوله ويصفق له ولكن يأبى الله وأنبياءه وصالحو الدعوة من اتباع الأنبياء حقاً فى كل زمان ومكان إلا سلوك طريق الهداية والرشاد وبيان الحق وإقامة الحجة على المكابر والمعاندين .

وقد قام إبراهيم عليه السلام بهذا الواجب العظيم على أكمل الوجوه وأتمها أقام الحجة على أبيه وقومه حكومة وشعباً ، فلما رأى منهم الأصرار على الشرك والكفر والإقامة على الباطل والضلال لجأ إلى الإنكار والتغيير باليد والقوة .

فمن أين يبدأ بالتغيير وما هو الأسلوب الرشيد لتغيير هذا الواقع المظلم الجاثم على أمته أيشور على الدولة لأنها منبع الشرور والفساد ومصدر الشرك والضلال كيف لا والحاكم يدعى الربوبية ويصر عليها . لماذا لا يدبر انقلاباً يطيح فيه بهذه الحكومة الكافرة وعلى رأسها جبار متأله وبذلك يقضى على كل الوان الفساد والشرك وتقوم على انقاضه الدولة الإلهية بقيادة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والجواب حاشا الأنبياء وحاشا نزاھتهم من سلوك هذه الطرق أو التفكير فيها فإنها طرق الظلمة والجهلة والسفهاء وطلاب الدنيا والملك .

إن الأنبياء دعاة توحيد ورواد هداية إلى الحق وأنقاذ من الباطل والشرك فإذا امتدت أيديهم إلى التغيير وهم أعلم الناس وأعقلهم فلا بد أن تبدأ بالقضاء على منابع الشرك والضلال الحقيقية وكذلك فعل إبراهيم الحليم الحكيم الرشيد البطل الشجاع .

قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . قال لقد كنتم أنتم

وأبأؤكم في ضلال مبين . قالوا أجتئنا بالحق أم أنت من اللاعنين . قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين . فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلمهم إليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بأهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون . قالوا أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون . قالوا حرقوه وأنصروا أهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخرسين ﴿ (الأنبياء : ٥١-٧٠) . أتى الله إبراهيم رشده على علم بأنه أهل لذلك هذا النبى الحكيم الرشيد واجه فساداً فى العقيدة وفساداً فى الحكم . أمة انحط تفكيرها وضلت عقولها ، فعبدت الأصنام من الأخشاب والاحجار والكواكب وتحكمها حكومة فاسدة يقودها جبار متآله فأسلسلوا له القياد .

فمن أين يبدأ بالإصلاح ياترى ؟

أبيدأ بمصاولة الحاكم لأنه قطعاً يحكم بغير شريعة الله ويحكم بقوانين وتشريعات جاهلية ، لاشك فى ذلك ، ويدعى الربوبية جهاراً وحق التشريع أويبدأ بإصلاح العقيدة عقيدة الأمة وعقيدة الحكومة الجاهلية .

القرآن يحدثنا عن هذا النبى الرشيد إمام الأنبياء أنه بدأ بإصلاح العقيدة أى الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده ومحاربة الشرك والقضاء عليه وعلى أسبابه واقتلاعه من جذوره فدعاهم فعلاً إلى توحيد الله ونبذ عبادة ما سواه ، وجادلهم فى هذا المجال وجادلوه ، فدمغهم بالحجج القاهرة والبراهين الظاهرة وجردهم من كل سلاح من أسلحة الحجة حتى الجأهم إلى الاعتراف بالظلم والضلال والتعصب الأعمى والجمود القاتل على تقليد الآباء ﴿ قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ .

فلما رأى إبراهيم أهواء جامحة وعقولا متحجرة ، دبر لهم مكيده ورسم لهم خطة حكيمة شجاعة لتحطيم آهتهم وتم تنفيذ هذه الخطة بكل قوة وشجاعة وجرأة وأثار هذا العمل البطولى (١) الحكومة والشعب ضده واستدعوه للمحاكمة العلنية ، ووجهوا إليه الإتهام

(١) هذا العمل البطولى العظيم وما سبقه من دعوة حكيمة إلى التوحيد ونبذ الشرك فى ميزان كثير من دعاة الإصلاح اليوم =

﴿أنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم﴾ فأجابهم بأسلوب تهكمى ساخر ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ فكان هذا الجواب التهكمى المفحم كالصاعقة العنيفة هوت على رؤوسهم المخبولة ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ ثم لما اعوزهم سلاح الحجة لجأوا إلى القوة سلاح كل عاجز عن الحجة في كل زمان ومكان، ﴿قالوا حرقوه وانصروا آهتكم إن كنتم فاعلين﴾ ونجى الله خليله إبراهيم ورد الله كيد الكافرين الخاسرين في نحورهم ﴿قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم . وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين﴾ .

وكان في نجاة إبراهيم من تلك النار العظيمة بعد أن حولها الله برداً وسلاماً على إبراهيم آية عظيمة من أعظم آيات الله على نبوته وصدقه وصدق ما جاء به من التوحيد وبطلان ما هم عليه من الشرك والضلال، وكافأ الله إبراهيم عليه السلام على هذه الدعوة الحكيمة وعلى هذا الجهاد والتضحية الرائعة ﴿ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا، وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ (الأنبياء: ٧١-٧٣) .

(ثالثهم) : يوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم<sup>(١)</sup> الذى أنزل الله فى شأنه سورة طويلة تقص لنا حياته الكريمة ومراحلها من طفولته إلى موته وكيف تقلبت به الأحوال، وما واجه من صعاب، فتلقاها بقوة النبوة وصبرها وحكمتها وحلمها .

رأى يوسف عليه السلام، فساد قصور الفراعنة فى مصر وظلمها وعرف عقائد الأمة التى عاش فيها عرف ما فيها من فساد ووثنية تتخذ الأصنام والابقار آلهة مع الله . قصة هذا النبى الكريم عليه السلام - طويلة نأخذ منها الإشارة إلى سجنه ودعوته .

= يعتبر من الاتهامات بالقشور والتوافه فلا حول ولا قوة إلا بالله إنها لا تعمى الأبصار، ولكنها تعمى القلوب التى فى الصدور .

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : «الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام» . أخرجه البخارى ٦٠ كتاب الأنبياء باب ١٨ (٣٣٨٢، ٣٣٩٠) وأحمد فى المسند (٩٦/٢) . وإلى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : سئل رسول الله ﷺ : «من أكرم الناس ؟ فقال اتقاهم الله، قالوا : ليس عن هذا نسألك، قال : فإكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله، قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : فعن معادن العرب تسألونى ؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» . أخرجه البخارى ٦٠ الأنبياء، حديث (٣٣٨٣)، والترمذى (٢٩٣/٥) التفسير، باب ١٣، حديث (٣١١٦)، وأحمد فى المسند (٣٣٢/٢، ٤١٦) كلاهما عن طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة بلفظ : «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم» .

قال تعالى : ﴿ ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً . وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين . قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (يوسف : ٣٦-٤٠) .

عاش هذا النبي الكريم عليه السلام فى القصور وعرف مفاصد الحكم والحكام عن كذب ، وذاق من ويلاتهم كيداً وظلماً واضطهاداً وسجناً وعاش بين ظهرانى أمة وثنية تعبد الأصنام والأبقار والكواكب ، فمن أين ينطلق للإصلاح ومن أين تكون نقطة البدء ؟ . هل يبدأ فى الدعوة إلى الله وهو مسجون ظلماً ويشاركه فى السجن مظلومون مثله من أثارتهم وتمييجهم على الحكام الظلمة المستبدين ، وهذا منطلق سياسى لاشك فيه والفرصة متاحة أمامه أو يبدأ بالدعوة من حيث انطلق آباؤه الكرام وعلى رأسهم إبراهيم خليل الله وإمام الدعاة إلى توحيد الله ومن حيث انطلق جميع رسل الله لاشك أن طريق الإصلاح الوحيد فى كل زمان ومكان هو طريق الدعوة إلى العقيدة والتوحيد وإخلاص العبادة لله وحده .

إذن فليبدأ يوسف من هذا المنطلق مقتدياً بآبائه الكرام ومعتزاً بعقيدتهم ومحقراً ومنندداً بسخف المشركين واتخاذهم أرباباً من دون الله من الأصنام والابقار والكواكب .

وبعد هذا البيان الواضح والدعوة الصارخة إلى التوحيد ونبد الشرك يؤكد دعوته وحقته بقوله : ﴿ أن الحكم إلا لله ﴾ (١) ثم يفسر هذه الحاكمة بتوحيد الله وعبادته وحده ﴿ أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ﴾ ، ويقول عن التوحيد ﴿ ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

(١) هذه الآية قاعدة أساسية من قواعد التوحيد كما بين الله ذلك على لسان يوسف عليه السلام ومن المؤسف جداً أن ترى كثيراً من دعاة الإصلاح السياسيين قد ابتعدوا بتفسيرها جداً عن مدلولها الأساسى إخلاص العبادة لله وحده إلى مدلول سياسى هو إقامة الدولة التى يزعمون أنها ستطبق شريعة الله فى الأرض بالنيابة عنه وبالغوا فى هذا الاتجاه حتى انسوا الناس المعنى الأصيل للآية ولا يفهمون عنها إلا المعنى الجديد فلا حول ولا قوة إلا بالله وهكذا عاملوا كل أو معظم آيات التوحيد وارتكبوا كل هذا تحت شعار الحاكمة وهذا شىء لم يسبقوا إليه فإلى الله المشتكى .



ويصل يوسف عليه الصلاة والسلام إلى أعلى منصب في هذه الدولة<sup>(١)</sup> وهو يدعو إلى توحيد الله وقيم على دعوته ونبوته البيئات . قال تعالى في بيان هذه الأمور : ﴿وقال الملك أئتوني به استخلصه لنفسى فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ (يوسف : ٥٤-٥٥) .

وقال شاكراً لمولاه : ﴿رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفنى مسلماً والحقنى بالصالحين﴾ (يوسف : ١٠١) .

وقال الله في بيان دعوته : ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتهم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن نبعث الله من بعده رسولا . كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب﴾ (غافر : ٣٤) .

من فقه سيرة يوسف عليه السلام التي عرضتها علينا هذه الآيات الكريمة أن الدعوة إلى التوحيد أمر لا بد منه ، وأن الشرك لا هوادة ولا مدهانة في محاربتة فلا يجوز السكوت عنه مهما كانت ظروف الداعية إلى الله بل لا يجوز لمسلم إطلاقاً أن يجابى ويدهن في أمره وهذا يبين مكانة العقيدة وعظم شأنها عند الله وعند أنبيائه ورسله وأن الفرق والبون شاسع جدا بينها وبين فروع الإسلام فلا يجوز أن يكون المسلم خصوصاً الداعية أن يكون كاهناً من كهنة المشركين أو سادناً لأصنامهم ، فإن فعل ذلك كان من المشركين الضالين .

أما الجانب التشريعي ، فإن قامت دولة الإسلام فلا بد من تطبيق شريعة الله ، والا ﴿فمن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ والكفر حينئذ على ما فصله علماء الإسلام من الصحابة وغيرهم قد يكون كفوفاً أكبر إذا كان يحتقر شرع الله ويستحل الحكم بغيره ، وقد يكون كفوفاً أصغر إذا كان يعظم شريعة الله ولا يستحل الحكم بغيرها لكن غلبه هواه فحكم بغير ما أنزل الله .

أما إذا كانت دولة الإسلام غير قائمة ، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها وللمسلم أن يتبوا منصباً في دولة غير مسلمة شريطة أن يقوم بالعدل وأن لا يطيعهم في معصية الله ولا يحكم بغير ما أنزل كما فعل نبي الله يوسف . تبوا منصب النيابة عن ملك كافر وما كان يحكم

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في الحسبة (ص ٧) .

«وكذلك يوسف الصديق كان نائباً لفرعون مصر وهو وقومه مشركون وفعل من العدل والخير ما قدر عليه ، ودعاهم إلى الإيثار بحسب الامكان» .

بشريعته ﴿... ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ (يوسف : ٧٦)، وكان يقوم بالعدل بين الرعية ويدعوهم إلى توحيد الله .

وفي هذا رد حاسم على من يهون من أمر عقيدة التوحيد وبجامل ويداجي في قضية الشرك الذي ملأ الدنيا وينظر إلى دعاة التوحيد وأعداء الشرك بعين الاحتقار والإزدراء ويربأ بنفسه ويشمخ بأنفه أن يهبط إلى مستوى دعاة التوحيد - وهو من دهاة السياسة وما اثقل على سمعه وقلبه أن يسمع أو يقول كلمة توحيد أو شرك . لقد أوقع هذا النوع من الدعاة أنفسهم في هوة سحيقة في حين يظنون أنهم في أعلى القمم الشاخحة . وهل يفلح قوم هذا موقفهم من دعوة الأنبياء إلا أن يتوبوا عما هم فيه إلى الله توبة نصوحاً .

(رابعهم) : موسى كلیم الله ، القوي الأمين ، نرى دعوته تتجه إلى التوحيد وتحمل في طياتها أنوار الهداية والحكمة .

لقد تربى موسى ودرج في قصور أعظم طاغية متأله وعرف من ألوان الفساد والكفر والطغيان والظلم والاستبداد في قصور الحكم عن مشاهدة واطلاع ما يصعب تصوره واحتماله ورأى ما نزل بقومه بنى إسرائيل من استعباد واستذلال واستحياء النساء وقتل الابناء ما فاق كل ظلم عرفته البشرية .

قال تعالى : ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستعطف طائفة منهم تذبح ابناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ (القصص : ٤) وكان قوم فرعون أهل وثنية دون شك .

فكيف كان بدء دعوة موسى هل اتجهت إلى إصلاح عقيدة هذه الأمة الوثنية أو بدأت بالمطالبة بحقوق بنى إسرائيل والمصارعة على الحكم والسعى الجاد في اقامة الدولة الإسلامية وانتزاع السلطة من أيدي الطغاة وعلى رأسهم فرعون المتأله .

لقد كانت دعوة موسى كغيرها من دعوات آبائه واخوته من الأنبياء لقد لقنه ربه أصل التوحيد واصطفاه لحمل رسالته والقيام بعبادته . قال تعالى : ﴿وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلی آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فلما أتاه نودى ياموسى . إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري . إن الساعة آتية أكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ . (طه : ٩-١٥) . هكذا في مفتتح

رسالته تملئ عليه عقيدة التوحيد ويكلف شخصياً أن يقوم بها في واقع نفسه ويتمثلها في حياته .

ثم يكلفه بالدعوة لهذا المبدء العظيم فيرسله إلى فرعون ويبين له طريق الدعوة وأسلوبها الحكيم الذي يواجهه به فرعون . قال تعالى : ﴿ اذهب إلى فرعون أنه طغى فقل هل لك إلى ان تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى ﴾ (النازعات : ١٧-١٩) .

ويشد عضده بأخيه هارون مبالغاً في اقامة الحجة ويعلمها الرفق واللين في الدعوة فإن ذلك أقرب الطرق إلى هداية من يريد الله هدايته ﴿ اذهب إلى فرعون انه طغى . فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ (طه : ٤٣-٤٤) . فنفاذا أمر ربها ودعواه إلى الله قاصدين هدايته وتزكياته ليكون ممن يخشى الله ويتقى عواقب الشرك والظلم ، فلم يستجب لهذه الدعوة الهادئة الحكيمة فبرهن موسى على نبوته وصدق رسالته بآيات كبرى لكن الطاغية فرعون زاد طغيانا وتكذيباً ﴿ فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذ الله نكال الآخرة والأولى ﴾ .

ازدياد طغيان فرعون وعسفه وظلمه ومواجهة موسى وقومه هذا الطغيان بالصبر الجميل والتحمل :

﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآهتك . قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون ﴾ (الاعراف : ١٢٧) .

ما ذنب موسى وقومه في نظر هؤلاء المجرمين ، لا ذنب لهم إلا الدعوة إلى توحيد الله والثبات عليها والكفر بفرعون ومعبوداته ، ثم ما موقف موسى من هذه الانتهاكات البشعة والتي تجاوزت حدود الوحشية والهمجية . إنه الثبات على العقيدة والصبر الجميل والاستعانة بالله في مواجهة هذه الشدائد ثم انتظار العاقبة الطيبة والنصر نتيجة وثمرة حميدة لهذا الثبات والصبر ﴿ قال موسى استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ . (الاعراف : ١٢٨) .

ولما لم يبق أى أمل في إيمان فرعون وقومه واشتد البلاء على بنى اسرائيل كان مطلب موسى الوحيد من فرعون أن يترك لبنى اسرائيل حرية الخروج والهجرة إلى حيث يريد الله لهم انقاذاً لهم من التعذيب والتنكيل ﴿ فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى ﴾ . (طه : ٤٧) . إنها لدعوة سامية إلى توحيد الله فيها النور والحكمة وفيها الحرص على هداية المدعوين وتزكيتهم ،

وفيها أقوى أنواع الصبر في تحمل الأذى وفي مواجهة الطغيان والكبرياء وفيها معالجة المواقف الصعبة بالحكمة والصبر مع قوة الأمل في الله في نصر المؤمنين وإهلاك الظالمين وفيها دروس وعظات لمن يريد بدعوته وجه الله ويريد إصلاح البشر وربطهم بالله وهدايتهم إلى صراطه المستقيم .

(والخامس) : سيد الأنبياء وخاتمهم محمد بن عبد الله صاحب أعظم رسالة وأكملها وأشملها، الذي أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ما ترك خيراً إلا دل أمته عليه ولا شراً إلا حذرهما منه .

بماذا بدأ هذا النبي العظيم من مبادئ الإسلام ؟ ومن أين انطلقت دعوته ؟

إنه عليه الصلاة والسلام بدأ بما بدأ به كل الأنبياء وانطلق من حيث انطلقوا بدعواتهم من عقيدة التوحيد والدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده، من لا إله إلا الله محمد رسول الله وهل يتصور منه أو من أحد من الأنبياء أن يبدأ بغير هذا الأصل العظيم أصل أصول الرسالات كلها . لقد بدأ رسول الله ﷺ بهذا الأصل فأول شيء طرق مسامع قومه قولوا لا إله إلا الله . فقال المستكبرون منهم ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا على آهتكم إن هذا لشيء يراد﴾ . (ص : 5-6) ، واستمر داعياً إلى هذا المبدأ الأسمى والمطلب الأعلى طيلة العهد المكي من رسالته ثلاثة عشر عاماً لا يكمل ولا يمل صابراً على كل ألوان الأذى في سبيل نشر هذا المبدأ فلم يفرض عليه من التشريعات وأركان الإسلام إلا الصلاة في السنة العاشرة من البعثة اللهم إلا ما كان يأمر به قومه من معالي الأخلاق كصلة الرحم والصدق والعفاف ولكن محور الدعوة وموضوع الصراع والخصومة إنما هو ذلك الأصل العظيم .

لقد كلف الله هذا النبي الكريم ﷺ تكليفاً خاصاً أن يقوم بهذا الأصل العظيم . قال تعالى : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ، ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون﴾ . (الزمر : 2-3) .

وقال تعالى : ﴿قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ، وأمرت لأن أكون أول المسلمين ، قل إنى اخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾ . (الزمر : 11-14) . ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ . (الأنعام : 162-163) .

كما أمره أن يقوم بدعوة الناس جميعاً إلى تحقيق هذا المبدأ والنهوض به . قال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . (البقرة : ٢١-٢٢) ، وقال تعالى : ﴿وَالْهَكْمَ إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ . (البقرة : ١٦٣) ، وقال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ . (الاعراف : ١٥٨) . والآيات في هذا كثيرة والذي قدمناه إنما هو نموذج لمنهج رسول الله في الدعوة إلى التوحيد .

أما السنة ففيها الشيء الكثير الدال على افتتاح رسول الله ﷺ دعوته بالتوحيد واختتامها بذلك واستمراره فيها بين ذلك طوال حياته ﷺ :

١ - فعن عمرو بن عبسة السلمي رضى الله عنه قال : «كنت وأنا في الجاهلية ، أظن أن الناس على ضلالة ، وأنهم ليسوا على شيء ، وهم يعبدون الأوثان ، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً ، فقعدت على راحلتي ، فقدمت عليه ، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جراءً عليه قومه فتلطفت ، حتى دخلت عليه ، بمكة ، فقلت له : ما أنت ؟ فقال : أنا نبي . فقلت : وما نبي ؟ قال : أرسلني الله . فقلت : وبأى شيء أرسلك . قال : أرسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء . فقلت : ومن معك على هذا . قال : «حروعبد» . قال : ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به . . . (١) (الحديث) .

٢ - ولما وفد عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة المخزومي كلما النجاشي ملك الحبشة فقالا له يغريانه بالمسلمين المهاجرين إلى الحبشة : «أيها الملك إنه قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنت . . . فسألهم النجاشي فقال : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الأمم ؟ . . . فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له : أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسئ الجوار ، يأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا

(١) أخرجه مسلم (٥٦٩/١) ، ٦ - كتاب صلاة المسافرين . ٥٢ - باب اسلام عمرو بن عبسة ، حديث (٢٩٤) . وأحمد في

المسند (١١٢/٤) .

نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفاه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة، والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصللة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش، وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، قال فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وأمانا به واتبعناه، على ما جاء به فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك. . . . (١) الحديث.

وفي أسئلة هرقل لأبي سفيان في مدة صلح الحديبية عن حال رسول الله ﷺ قال لأبي سفيان : ماذا يأمركم ؟ قال أبو سفيان قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمر بالصلاة، والصدق والعفاف، والصلة (٢).

فهذه الأحاديث توضح لنا دعوة رسول الله ﷺ في العهد المكي والمدني .

تعذيب أصحابه من أجل لا إله إلا الله عقيدة التوحيد :

لقد عذب أصحاب رسول الله ﷺ أشد ألوان التعذيب من أجل تمسكهم بالعقيدة وإخلاص العبادة لله وحده ونبذ الشرك والكفر. عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . قال : « أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله ﷺ ، وأبوبكر وعمار، وأمه سمية، وصهيب وبلال، والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله تعالى بعمه أبي طالب، وأما أبوبكر، فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم، فأخذهم المشركون، وألبسوهم أذراع الحديد، صهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وآتاهم على ما أرادوا، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول : أحد أحد» (٣) .

(١) أخرجه الامام أحمد (٢٠٢/١)، (٢٩٠/٥) قال أحمد: ثنا يعقوب (يعنى ابن ابراهيم ابن سعد الزهرى) ثقة ثنا أبي عن محمد بن اسحاق حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة بنت أبي اميه (يعنى أم المؤمنين رضى الله عنها) وهو اسناد صحيح إلا محمد بن اسحاق وقد صرح بالتحديث فحديثه حسن .

(٢) أخرجه البخاري ١ - كتاب بدء الوحي باب ٧ - حديث ٦ وهو حديث طويل .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢٨٤/٣)، وصححه، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٤٨/١) وقال وله اسناد

صحيح، وانظر في الاستيعاب (١٤٥-١٤٦) والخلية لأبي نعيم (١٤٩/١) .

وفي السيرة لابن هشام «وكان أمية بن خلف يخرج (يعنى بلالا) إذا حميت الظهره، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره، ثم يقول : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى. فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد(١).

وقال ابن إسحاق : وحدثني حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم . والله إن كانوا ليضربون أحدهم ، ويجيعونه ويعطشونه ، حتى ما يقدر أن يستوى جالساً ، من شدة الضرب الذى نزل به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم . حتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون له أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم افتداء مما يبلغون من جهده»(٢) ، وهذا اسناد حسن صرح فيه ابن إسحاق بالتحديد فأمن تدليسه .

وتعذب سمية حتى الموت من أجل عقيدة التوحيد ، لأنها كانت زعيمة سياسية . فعن مجاهد قال : «أول شهيدة في الإسلام سمية والدة عمار أتى أبو جهل فطعنها بحربة في قبلها»(٣) ، وقال ابن سعد : «اسلمت قديماً بمكة ، وكانت ممن يعذب في الله لترجع عن دينها ، وصبرت ، حتى مر بها أبو جهل يوماً ، فطعنها بحربة في قبلها ، فماتت»(٤) .

#### الاهتمام بعقيدة التوحيد في العهد المدني :

وبعد أن هاجر رسول الله وأصحابه إلى المدينة ، وقامت دولة الإسلام على كواهل المهاجرين والأنصار ، وعلى أساس التوحيد ظل الاهتمام بالتوحيد على أشده والآيات القرآنية تنزل به والتوجيهات النبوية تدور حوله ولم يكتف رسول الله ﷺ بكل هذا .  
على التوحيد (١) فكان يبايع عليها عظماء الصحابة فضلاً عن غيرهم بين الفينة والفينة وكلما تسنح له فرصة للبيعة عليها . قال تعالى : ﴿يَأْيُمُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا

(١) (٣١٨/١) .

(٢) السيرة لابن هشام (١/٣٢٠) .

(٣) الطبقات لابن سعد (٨/٢٦٤-٢٦٥) قال أخبرنا اسماعيل بن عمر أبو المنذر ، حدثنا سفيان الثوري ، عن منصور عن

مجاهد قال : ذكره وهو اسناد صحيح إلى مجاهد .

(٤) الطبقات لابن سعد (٨/٢٦٤) .

يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفرهن الله إن الله غفور رحيم ﴿المتحنة: ١٢﴾، وهذه الآية وإن كانت في بيعة النساء فإن رسول الله ﷺ كان يبايع على مضمونها الرجال .

فعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ في مجلس ، فقال : تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم - قرأ الآية التي أخذت على النساء ﴿إذا جاءك المؤمنات﴾ - فمن وفى منكم ، فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ، فعوقب به فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه» (١) .

وساق ابن كثير عدداً من الأحاديث التي فيها أن رسول الله كان يبايع النساء بمضمون هذه الآية (٢) منها حديث عائشة ، وحديث اميمة بنت رقيقة ، وحديث أم عطية (٣) ، وحديث سلمى بنت قيس إحدى خالات الرسول (٤) وحديث رائطه بنت سفيان الخزاعية (٥) . ثم قال : « وكان رسول الله ﷺ يتعاهد النساء بهذه البيعة . ثم ساق حديث ابن عباس (٦) وأحاديث أخر .

أقول : وكذلك كان يتعاهد الرجال ، فمما يدل على ذلك حديث عبادة بن الصامت السابق ، ومن ذلك حديث عوف بن مالك الأشجعي رضى الله عنه قال : « كنا عند رسول الله ﷺ ، تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال : ألا تبايعون رسول الله ؟ وكنا حديث

(١) رواه البخاري ٢ - كتاب الايمان باب ١١ - حديث ١٨ ، ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار ٤٣ - باب وفود الأنصار ، حديث (٣٨٩٢) ، ومسلم ٢٩ - كتاب الحدود ١٠ - باب الحدود كفارات لأهلها ، حديث (٤١-٤٤) ، والنسائي (١٢٨/٧) .

(٢) البخاري ٦٥ - كتاب التفسير تفسير سورة المتحنة ٢ - باب إذا جاءك المؤمنات مهاجرات حديث (٤٨٩١) وابن ماجه (٢/٩٥٩) ٢٤ - كتاب الجهاد ٤٣ - باب بيعة النساء حديث (٢٨٧٤) ٢ - مسند أحمد (٣٥٧/٦) والنسائي كتاب البيعة باب بيعة النساء (١٣٤/٧) .

(٣) أخرجه البخاري ٦٥ - كتاب التفسير تفسير سورة المتحنة ٣ - باب إذا جاءك المؤمنات يبايعنك حديث (٤٨٩٢) ومسلم كتاب الجنائز (٢٣٨/٦) بشرح النووي .

(٤) مسند أحمد (٦/٣٧٩-٣٨٠ ، ٤٢٢-٤٢٣) وفي إسناده سليل بن أيوب قال الحافظ : مقبول وقال الذهبي في الكاشف (١/٣٨٨) وثق فهو حسن لشواهد .

(٥) مسند أحمد (٦/٣٦٥) .

(٦) في البخاري ٦٥ - كتاب التفسير ٣ - باب إذا جاءك المؤمنات يبايعنك حديث (٤٨٩٥) ومسلم ٨ - كتاب صلاة العيدين ٨ - باب صلاة العيدين حديث (١) والحديث طويل وفيه «فقال : يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً فتلا هذه الآية حتى فرغ منها ثم قال حين فرغ منها «انترن على ذلك ، فقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها منهن : نعم يابى الله . . .» .



عهد بيعة فقلنا : بايعناك يا رسول الله ، ثم قال : ألا تبايعون رسول الله . فقلنا : بايعناك يا رسول الله ، ثم قال : ألا تبايعون رسول الله ؟ قال : فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك ؟ قال : على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات الخمس وتطيعوا - وأسر كلمة خفية - ولا تسألوا الناس شيئاً فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه» (١) .

٢ - وكان يرسل دعواته ومعلميه وقضاته وامراءه إلى الملوك والجبابة في الأقطار المختلفة بدعوة التوحيد . فعن أنس رضى الله عنه - خادم رسول الله ﷺ - أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى (٢) وقيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله ، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ» (٣) .

يوضح ذلك نص كتابه إلى قيصر وأن هدفه الدعوة إلى التوحيد ونصه : «بسم الله الرحمن الرحيم . . . من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد - فإنى ادعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت ، فإن عليك إثم الأريسيين (٤) - ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا ، فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون» (٥) .

(١) أخرجه مسلم ١٢ - كتاب الزكاة ٣٥ - باب المسألة للناس حديث ١٨ ، وأبو داود ٣ - كتاب الزكاة ، ٧٢ - باب كراهية المسألة حديث (١٦٤٢) ، وأحمد (٢٧/٦) ، والنسائي (١٨٦/١) . وابن ماجه ٢٤ - كتاب الجهاد ، ٤١ - باب البيعة ، حديث (٢٨٦٧) .

(٢) وانظر كتابه إلى كسرى ملك الفرس في البداية والنهاية (٣٦٩/٤) بقريب من كتابه إلى قيصر .

(٣) أخرجه مسلم ٣٢ - كتاب الجهاد ٢٧ - باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل حديث ٧٥ (١٣٩٧/٣) ، والترمذي ، ٤٣ - كتاب الاستئذان ٢٣ - باب في مكاتبة المشركين ، حديث (٢٧١٦) من حديث أنس . وأحمد (٣٣٦/٣) من حديث جابر ، بلفظ «وكتب رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس إلى كسرى وقيصر ، وإلى كل جبار» .

(٤) الأريسيون : الفلاحون ، ويقال لهم : الأكارون ، والمراد : اتباعه من الضعفاء وغيرهم ، لأنه صار سبباً في استمرارهم على الشرك ، وهذا عدل الله وستته في الزعماء أنهم يحملون أوزارهم ، وأوزار من يتبعوهم في الانحراف عن التوحيد والحق ومخاربه ، قال تعالى : ﴿وليحملن أوزارهم ، وأوزار الذين يضلونهم﴾ ، وقال ﷺ : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة ، لا ينقص من أوزارهم شيئاً» .

(٥) أخرجه البخاري ١ - كتاب بدء الوحي ٧ - حديث ٦ ، وهو حديث طويل اختصرناه وأحمد (٢٦٢/١) .

وعندما وصل الكتاب النبوي إلى قيصر، أرسل إلى أبي سفيان بن حرب في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي ماد فيها رسول الله ﷺ أبا سفيان، وكفار قريش، فأتوه وهم بابلياء فوجه أسئلة إلى أبي سفيان من جملتها، قال قيصر: «ماذا يأمركم، قال أبو سفيان، قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمر بالصلاة، والصدق والعفاف والصلة»<sup>(١)</sup>

(٢) وكان رسول الله ﷺ يجهز جيوشه للجهاد في سبيل الله لأعلاء كلمة التوحيد: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، ويرشد قواده وجنوده إلى البدء قبل القتال بدعوة الناس إلى التوحيد. فعن بريدة بن الحصيب رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش، أوصاه بتقوى الله في خاصة نفسه، وبمن معه من المسلمين خيراً، وقال: «إذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال، فإن أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين . . . فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن، فارادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم، فإنكم لا تدرؤن ما يحكم الله فيهم ولكن انزلوهم على حكمكم، ثم اقضوا فيهم بعد ما شئتم»<sup>(٢)</sup>.

ومثل حديث بريدة حديث النعمان بن مقرن المزني رضى الله عنه أشار إليه كل من مسلم وأبي داود وابن ماجه، بقولهم قال علقمة فحدثت به مقاتل بن حيان، فقال: حدثني مسلم بن هيصم، عن النعمان بن مقرن، عن النبي ﷺ مثل ذلك.

(٤) وبعث معاذاً إلى اليمن أميراً وقاضياً ومعلماً فقال له رسول الله ﷺ في وصيته: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله. وفي

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه مسلم ٣٣ - كتاب الجهاد ٢ - باب تأمير الإمام الأمراء على البعث حديث (٣)، (٣/١٣٥٦-١٣٥٧). وأبو داود، ٩ - كتاب الجهاد ٩ - باب في دعاء المشركين، حديث (١٦١٢) (٣/٨٣)، والترمذي، ٢٢ - كتاب السير، ٤٨ - باب وصية النبي ﷺ في القتال، حديث (١٦١٧) (٤/١٨٢). وابن ماجه ٢٤ - كتاب الجهاد، ٣٨ - باب وصية الإمام، حديث (٢٨٥٨).

رواية إلى أن يوحدوا الله وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فاخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك ، فاخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فيأبك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»<sup>(١)</sup> ، ولا يشك أنه كان يوصى كل دعائه وأمرائه وقضاته بمثل هذه الوصية .

(٥) وشرع الجهاد من أجل التوحيد وتطهير الأرض من فتنة الشرك . قال تعالى :

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ .

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> رحمه الله : يقول تعالى ذكره لنبى ﷺ : (وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم ، حتى لا تكون فتنة يعنى حتى لا يكون شرك بالله ، وحتى لا يعبد دونه أحد ، وتضمحل عبادة الأوثان والآلهة والانداد ، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان . . . ) ، قال قتادة : حتى لا يكون شرك . وساق اسانيده بهذا التفسير إلى قتادة ومجاهد والسدى وابن عباس ، وقال المراد بالدين الذى ذكره الله فى هذا الموضع : العبادة والطاعة لله فى أمره ونهيه . قال ومن ذلك قول الأعشى :

هودان الرباب إذ كرهوا الدين دراكاً بغزوة وحيال

ثم ساق إسناده إلى الربيع (ويكون الدين لله) يقول : حتى لا يعبد إلا الله ، وذلك لا إله إلا الله عليه قاتل رسول الله ﷺ وإليه دعا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله»<sup>(٣)</sup> .

وقال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه لأبى بكر الصديق خليفة رسول الله حين عزم على قتال المرتدين بما فيهم مانعى الزكاة فقال له الفاروق رضى الله عنه : «كيف تقاتل

(١) أخرجه البخارى ٦٤ - كتاب المغازى ٦٠ - باب بعث أبى موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ، حديث (٤٣٤٧) ، ٩٧ - كتاب التوحيد ١ - باب ما جاء فى دعاء النبى ﷺ إلى توحيد الله تبارك وتعالى حديث ٧٣٧٢ ، ولفظ البخارى هنا «فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله ، فإذا عرفوا ذلك . . . الحديث ، ومسلم ١ - كتاب الايمان ٧٥ - باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، حديث ٢٩ ، ٣٠ ولفظ الأخير ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل فإذا عرفوا ذلك . . . الحديث .

(٢) التفسير (٢/١٩٤-١٩٥) .

(٣) البخارى ، ٥٦ - الجهاد ، ١٠٢ - باب دعاء النبى ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة ، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، حديث (٢٩٤٦) . ومسلم - كتاب الايمان ، ٨ - حديث (٣٣) ، وأبو داود ٩ - الجهاد ١٠٤ - باب على ما يقاتل المشركون ، حديث (٢٦٤٠) وابن ماجه ٣٦ - كتاب الفتن ، باب الكف عن من قال : لا إله إلا الله ، حديث (٣٩٢٧) .

الناس ، وقد قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله . فقال أبو بكر رضى الله عنه : والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها» (١) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا منى دماءهم ، وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله» ثم قرأ ﴿إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر﴾ . (٢) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله» (٣) .

ويلاحظ أن حديث عمر وأبى بكر وأبى هريرة وجابر قد اقتضت على قضية التوحيد ، ولم تتعرض لغيرها . ولعل السبب في ذلك شدة اهتمام الرسول ﷺ بهذه القضية بحيث أنه يحدثهم بها المرة تلو المرة مقتصراً عليها تنبيهاً منه لهم على عظمتها وأهميتها وإدراكا منه صلوات الله وسلامه عليه أنهم يفهمون أن كل أمور الإسلام من مقتضياتها ومستلزماتها وحقوقها خصوصا أركان الإسلام والإيمان .

أقول : وبسبب اقتصار الرسول ﷺ على ما يتعلق بالعبادة كان استدلال عمر بهذا القدر وكان جواب أبى بكر في تأييد موقفه بقياس الزكاة على الصلاة «والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . . .» ولو كان يحفظ ما رواه ابن عمر لاستدل به رأسا ، ولو كان عمر يحفظ ما رواه ابنه لما اعترض على أبى بكر ولو كان الحاضرون وفيهم أبو هريرة يحفظون ما رواه ابن عمر لذكروا الشيخين به ، ولعل السر هو ما أشرنا إليه شدة اهتمام الرسول بالعبادة واشادته بها وكثرة حديثه عنها .

(١) أخرجه البخارى ، ٢٤ - كتاب الزكاة ١ - باب وجوب الزكاة ، حديث (١٣٩٩) ومسلم - كتاب الايمان ٨ - باب حديث

(٣٣) .

(٢) أخرجه مسلم ١ - كتاب الايمان ٨ ، حديث ٣٥ والترمذي ، ٤٨ - كتاب التفسير ، تفسير سورة الغاشية ، حديث

(٣٣٤١) (٤٣٩/٥) ، وابن ماجه ٣٦ - كتاب الفتن ، باب (١) ، حديث (٣٩٢٨) .

(٣) أخرجه البخاري ٢ - كتاب الايمان ١٧ - باب ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم حديث (٢٥) ،

ومسلم ، ١ - كتاب الايمان باب ٨ حديث (٣٦) .

ولما كان ابرز جانب وأهمه فيما جاء به الأنبياء من تعاليم ربانية هو توحيد الإلهية ، وكان هو في الواقع اعظم قضايا الصراع مع كل أعداء الأنبياء .

وكان ابرز جانب من جوانب الباطل والضلال مما اعلن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عليه الحرب من جهة واستمات المشركون المكذبون من كل الأمم في الدفاع عنه من جهة أخرى هو عبادة الأصنام والأوثان ، وقبور الصالحين والأنبياء وتقديسها وتقديم القرابين لها وتعلق قلوب البشر حكاما ومحكومين بها حبا ورجاء وخوفا وطمعاً وأملاً في شفاعتها لهم عند الله في قضاء مطالبهم ، وكان هذا اللون هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر كان لا بد - إلى جانب ما قدمناه من الحديث عن منهج الأنبياء خصوصاً في الحديث عن ابراهيم إمام الخفاء ومحطم أصنام السخفاء - من ذكر طرف من حرب رسول الله ﷺ - الشعواء لهذا الشرك الأكبر ممثلة في سحق هذه الأوثان فعلاً وفي سد كل ذريعة يستدرج بها الشيطان أوليائه من البشر إلى عبادتها واتخاذها أنداداً من دون الله باسم الآلهة أو الأولياء أو تحت أى شعار مضل .

فمن تلك الحرب التي شنها القرآن ورسول منزل القرآن ﷺ قول الله تعالى : ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى الكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ (النجم : ١٩-٢٣) . فهذا تحقير لمعبوداتهم وأى تحقير وحرب عليها أي حرب ، وقول الله تعالى : ﴿... فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله . فكأنها خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق﴾ (الحج : ٣٠-٣١) ، وقول الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (المائدة : ٩٠) .

وعن عمرو بن عبسة رضى الله عنه وقد تقدم حديثه وفيه : «قلت : آله أرسلك ، قال : نعم ، قلت : بأى شىء أرسلك ، قال : بأن يوحد الله ، ولا يشرك به شىء ، وكسر الأوثان وصلة الرحم»<sup>(١)</sup> .

وفي حديث جعفر بن أبى طالب : «... حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة ، والأوثان...»<sup>(٢)</sup> الحديث .

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٥) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٤٦) .

وفي حديث أبي سفيان مع هرقل ملك الروم : « يقول - يعنى رسول الله ﷺ - اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم » (١) .

وفي حديث أبي امامة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إن الله بعثنى رحمة للعالمين . وأمرنى ربى عز وجل بمحق المعازف والمزامير ، والأوثان والصلب ، وأمر الجاهلية . . . » الحديث .

ولقد طاشت ألباب زعماء قريش وضائق ذرعا بهجوم رسول الله ﷺ على أوثانها سواء فيما أنزل عليه من القرآن أو فى دعوته السرية والعلنية لأن هذا أمر لا هوادة فيه ، ودعوته الصادقة تقتضيه .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لما مرض أبو طالب ، دخل عليه رهط من قريش ، فيهم أبو جهل ، فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ، ويفعل ويفعل ، ويقول ويقول : فلو بعثت إليه ، فنهيته ، فبعث إليه ، فجاء النبى ﷺ فدخل البيت . . . فقال له أبو طالب : أى ابن أخى ، ما بال قومك يشكونك ، يزعمون أنك تشتم آلهتهم ، وتقول وتقول . قال : وأكثروا عليه من القول ، وتكلم رسول الله ﷺ فقال : يا عم إنى أريدهم على كلمة واحدة ، يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى إليهم بها العجم الجزية ، ففزعوا لكلمته ، ولقوله وقالوا : كلمة واحدة ! نعم وأبيك عشراً ، فقالوا : ما هى ؟ وقال أبو طالب : وأى كلمة هى يا ابن أخى ، فقال : لا إله إلا الله . فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : اجعل الألهة الهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب » (٢) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : « اجتمعت قريش يوماً فقالوا : انظروا اعلمكم بالسحر والكهانة والشعرفيات هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا ، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة . فقالوا : أنت يا أبا الوليد ، فأتاه عتبة ، فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٦) .

(٢) مسند الامام أحمد (٣٦٢/١) والترمذى ٤٨ - كتب التفسير ، تفسير سورة (ص) حديث (٣٢٣٢) وفى اسناده يحيى عمارة ويقال ابن عباد ذكره ابن حبان فى الثقات تهذيب التهذيب (٢٥٩/١١) وقال الحافظ مقبول . . . تقريب (٣٥٤/٢) وقال الذهبى : وثق الكاشف (٢٢٤/٣) ورواه ابن جرير (١٦٥/٢٣) باسناده إلى الأعمش ثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه من طرق إلى الأعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولم أقف لعباد على ترجمة وفى الاسناد ضعف وقد يحتمل التحسين . ملاحظة فى مسند أحمد عباد بن جعفر ولم أقف له على ترجمة وقد نص ابن كثير أن أحمد رواه عن عباد غير منسوب انظر تفسير ابن كثير (٤٦/٧) .

فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ فقال : إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم ، فتكلم ، حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا ، وعبت ديننا وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً ، وأن في قريش كاهناً ، والله ما ننظر إلا مثل صيحة الجبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى ، أيها الرجل إن كان إنهابك الحاجة جمعنا لك حتى تكون اغنى قريش رجلاً ، وإن كان إنهابك الباءة فاختر أى نساء قريش فلنزوجك عشراً ، فقال رسول الله ﷺ : فرغت ؟ قال : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم . . . . حتى بلغ - . . . فإن أعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فقال عتبة : حسبك ! حسبك ! ما عندك غير هذا ؟ قال : لا . فرجع إلى قريش ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته ، قالوا : فهل أجابك ؟ قال : لا ، والذي نصبها بنية ، ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . قالوا : ويملك أيكلمك الرجل بالعربية ما تدرى ما قال ؟ قال : لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة»<sup>(١)</sup> .

تلك الحرب كانت حرباً كلامية ونفسية بالنقد اللاذع والتحقير والسخرية ودمغ المشركين بالضلال والجهل مع اقامة الحججة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، وكان من آثار تلك الحرب ومن آثار تلك الدعوة والبيان أن هدى الله كثيراً من العرب من قريش وغيرهم ومن الأوس والخزرج وفتح الله بصائرهم وعرفوا حقيقة التوحيد ومكانته وعرفوا حقارة الشرك بالأوثان وغيرها وخطورته في الوقت نفسه على المشركين في الدنيا والآخرة .

وهذه ثمار طيبة عظيمة كانت نتيجة لجهاد رسول الله ﷺ وأصحابه وصبرهم في ميدان الدعوة الحقبة إلى الله وحملتهم المكثفة على الطواغيت والأوثان والأنصاب .

(١) المنتخب في مسند عبد بن حميد (ص ٢٠٨) رقم (١١٢١) ومسند أبي يعلى الموصلى (ل ١٠١) كلاهما عن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن محمد عن الأجلح عن الذيبال بن حرملة الأسدي عن جابر - رضى الله عنه - مرفوعاً قال ابن كثير في تفسيره (١٥١/٧) بعد أن ساق الحديث باسناده عن عبد بن حميد وأبي يعلى : «وقد ساقه البغوي في تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندي وقد ضعف بعض الشيء عن الذيبال . . . » لكن الحافظ قال فيه «صدوق شيعي من السابعة» تقريب (٤٦/١) وقال الذهبي : وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وهو شيعي «الكاشف (٩٩/١) وشيخه الذيبال قال الحافظ : عن جابر وابن عمر والقاسم بن مخيمرة وعنه فطر بن خليفة وحسين والأجلح وحجاج بن أرطاة وثقه ابن حبان تعجيل المنفعة (٨٤) وبقيّة رجال الاسناد ثقات .

ثم لما أصبح للمسلمين شوكة ودولة انتقل رسول التوحيد ﷺ إلى خطوة عملية جديدة هي سحق الأصنام وتحطيمها وإبادتها وتطهير الأرض منها ادراكاً منه لخطورتها فهي المصدر الأساسى والخطير على الأجيال البشرية من فجر تاريخها وإلى أن ينتهى تاريخها كما قال إمام الحنفاء : ﴿واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام رب انهن اضلنن كثيراً من الناس﴾ (ابراهيم : ٣٥-٣٦). فمن هنا قرر الرسول الأعظم محمد ﷺ القيام بتطهير الأرض من الأوثان وتسوية القبور لأنها قرينة الأصنام في اضلال البشرية .

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : دخل النبي ﷺ مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبا، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : «جاء الحق وزهق الباطل»، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد»<sup>(١)</sup>.

وجهاز رسول الله ﷺ جيشاً لذي الخلصة من المدينة إلى خثعم فغزاهما . عن جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال : كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخلصة، والكعبة اليمانية، والكعبة الشامية، فقال لى النبي ﷺ : ألا تريحنى من ذى الخلصة ؟ فنفرت في خمسين ومائة فارس من أحمس ، فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده فأتيت النبي ﷺ فاخبرته ، فدعانا ولأحمس ، وفي لفظ للبخارى : وكان ذو الخلصة بيتا باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد يقال له الكعبة<sup>(٢)</sup> . ولفظه في البخارى ومسلم وأحمد : «ألا تريحنى من ذى الخلصة» . انظر إلى هذا التعبير النبوى فكان وجود الأوثان يقض مضجعه ويقلقه عليه الصلاة السلام فلا يقر له قرار ولا يجد راحة واعجب من واقع كثير من الدعاة اليوم يرون أمام اعينهم مظاهر الشرك فلا تحرك فيهم ساكنا ولا يحسبون لهذا الواقع المرحسابا بل الأدهى والأمرانهم يتدمرون ممن ينكرو ويتألم لهذا الواقع الجاهلى السىء .

وعن أبى الطفيل عامر بن وائلة، قال : «لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العزى، وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات، وهدم

(١) أخرجه البخاري ٤٦ - باب المظالم حديث (٢٤٧٧)، و٦٤ - كتاب المغازى ٤٨ - باب أين ركز النبي ﷺ رايته يوم الفتح، حديث (٤٢٨٧) و٦٥ - تفسير سورة الاسراء ١٢ - باب «وقل جاء الحق وزهق الباطل، حديث (٤٧٢٠) ومسلم ٣٢ - كتاب الجهاد ٣٢ - باب ازالة الأصنام من حول الكعبة، حديث (٨٧) والترمذي ٤٨ - كتاب التفسير ١٨ - تفسير سورة الاسراء حديث (٣١٣٨) . والإمام أحمد في المسند (٣٧٧/١) .

(٢) البخارى ٦٤ - كتاب المغازى ٦٢ - باب غزوة ذى الخلصة، أحاديث (٤٣٥٥، ٤٣٥٦، ٤٣٥٧)، ومسلم ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة، ٢٩ - باب من فضائل جرير بن عبد الله - رضى الله عنه -، حديث (١٣٦، ١٣٧) . وأبو داود ٩ - كتاب الجهاد، ١٧٢ - باب بعثة البشراء (٢٧٧٢) (٢١٥/٣) والامام أحمد في المسند (٣٦٢، ٣٦٠/٤) .



البيت، الذى كان عليها ثم اتى النبي ﷺ فاخبره فقال : ارجع فإنك لم تصنع شيئاً فرجع خالد فلما ابصرته السدنة وهم حجبته امعنوا فى الجبل، وهم يقولون : يا عزى، يا عزى فأتاها خالد، فإذا هى امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها فغمسها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ، فاخبره فقال : تلك العزى»<sup>(١)</sup>.

وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب، فبعث رسول الله ﷺ أبا سفيان ليهدمها وقيل على بن أبى طالب<sup>(٢)</sup>.

وسألت ثقيف رسول الله ﷺ أن يدع الطاغية وهى اللات، لا يهدمها، ثلاث سنين فأبى رسول الله ﷺ، فما برحوا يسألونه سنة سنة، ويأبى عليهم، حتى سألوه شهراً واحداً بعد قدومهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى . وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذرياتهم . . . فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانها<sup>(٣)</sup>، وعن عثمان بن أبى العاص أن رسول الله ﷺ أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كان طاغيتهم<sup>(٤)</sup>.

قال ابن جرير<sup>(٥)</sup> : وكانوا قد استقوا إسمها من اسم الله فقالوا : اللات يعنون مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . وروى بأسانيد إلى قتادة، وابن عباس ومجاهد وابن زيد، إن اللات بتشديد التاء رجل كان يلت السويق للحجاج فهات فعكفوا على قبره فعبدوه .

وقال الإمام البخارى : حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا أبو الأشهب، حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله : اللات والعزى . كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج<sup>(٦)</sup> .

---

(١) أخرجه النسائى فى التفسير فى الكبرى كما فى تحفة الاشراف (٢٣٥/٤) أخبرنا على بن المنذر، أخبرنا ابن فضيل، حدثنا الوليد بن جميع، عن أبى الطفيل، لما فتح رسول الله ﷺ مكة . . . الحديث، وهو اسناد حسن . وانظر تفسير ابن كثير (٤٢٩/٧-٤٣٠).

(٢) السيرة لابن هشام (١/٨٥-٨٦).

(٣) السيرة لابن هشام (٢/٥٤٠-٥٤١). وابن جرير (٣/١٤٠)، والبداية والنهاية (٥/٣٢) ط مكتبة المعارف وعيون الأثر لابن سيد الناس (٢/٢٢٨) وزاد المعاد (٣/٤٩٩-٥٠٠).

(٤) ابن ماجه ٤ - كتاب المساجد، حديث (٧٤٣)، وأبوداود ٢ - الصلاة، حديث (٤٥٠) ورجال ثقاة إلا محمد بن عبد الله ابن عياض «مقبول» .

(٥) فى التفسير (٢٧/٥٨، ٥٩)، والسيرة لابن هشام (٧٨-٨٩) وقد أطلال النفس فى الحديث عن أصنام العرب ومعبوداتها وبيان عبادتها .

(٦) فى الصحيح ٦٥ - كتاب التفسير، تفسير سورة النجم ٢ - باب «أفرأيتم اللات والعزى» .

ولما كانت فتنة القبور والأوثان من باب واحد، والرباط بينها وثيق جداً حيث إن الأوثان والأنصاب إنما نحتت وصورت وعبدت حبا وغلوا في الصالحين كما فعل قوم نوح بود وسواع ويعوث ويعوق ونسر لأنهم رجال صالحون كذلك إنما شيدت القبور وشدت إليها الرحال وقدمت لها القرايين حبا وغلوا في رجال صالحين وفي أقوام الله أعلم باحوالهم وبآلهم .

وعلى كل حال فلما كان النوعان من باب واحد لم يدخر رسول الله ﷺ وسعا في الأمر بهدم القبور ونهى أن يبنى عليها أو يزداد عليها ونهى عن تخصيصها ونهى عن الصلاة عليها وإليها وحذر التحذير الشديد من شرها ولعن من يتخذون المساجد عليها، عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لى على بن أبي طالب : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ ، ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته<sup>(١)</sup> .

ألا ترى أن رسول الله ﷺ كان يبعث عليا لتسوية القبور كما يبعثه لطمس التماثيل ولا تستبعد أن رسول الله ﷺ كان يجند رجالا هنا وهناك للقيام بهدم الأصنام والقبور كما مر بنا سابقا .

وعن ثمامة بن شفي قال : كنا مع فضالة بن عبيد، بأرض الروم برودس، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره، فسوى ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها<sup>(٢)</sup>، وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ أن يخصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه<sup>(٣)</sup>، وعن أبي مرثد الغنوي رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها»<sup>(٤)</sup> .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «اللهم لا تجعل قبري وثنا

---

(١) أخرجه مسلم ١١ - كتاب الجنائز، ٣١ - باب الأمر بتسوية القبر، حديث (٩٣)، وأبو داود ١٥ - كتاب الجنائز، ٧٢ - باب في تسوية القبر، حديث (٣٢١٨)، والترمذي ٨ - كتاب الجنائز. ٥٦ - باب ما جاء في تسوية القبور، حديث (١٠٤٩) والنسائي (٧٣/٤). وأحمد في المسند (١/١٢٩، ٩٦).

(٢) أخرجه مسلم ١ - كتاب ٣١ - باب الأمر بتسوية القبر حديث (٩٢) وأبو داود ١٥ - كتاب الجنائز. ٧٢ - باب في تسوية القبور، حديث (٣٢١٩)، والنسائي (٧٣-٧٢/٤).

(٣) أخرجه مسلم ١١ - كتاب الجنائز، ٣٢ - باب النهي عن تخصيص القبور والبناء عليها حديث (٩٤) وأبو داود ١٥ - كتاب الجنائز، ٧٦ - باب في البناء على القبر حديث (٣٢٢٥)، والنسائي (٧٢/٤).

(٤) أخرجه مسلم ١١ - كتاب الجنائز ٣٣ - باب النهي عن الجلوس على القبر حديث (٩٨، ٩٧) وأبو داود، ١٥ - كتاب الجنائز، ٧٧ - باب كراهية القعود على القبر، حديث (٣٢٢٩).

يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(١)</sup>.

وتستمر هذه العناية النبوية الواعية، لأخطار الأوثان والقبور إلى آخر لحظة من لحظات حياة الرسول الناصح الأمين صلوات الله وسلامه عليه. فعن جندب بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل، فإن الله قد اتخذنى خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتى خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وعند احتضاره وبعد اختياره للرفيق الأعلى كان شغله الشاغل خطر فتنة القبور على هذه الأمة التي جهل أكثرها قدر هذه الاهتمامات النبوية وجهلت خطر هذه الفتنة الماحقة.

فعن عائشة أم المؤمنين وابن عباس رضى الله عنهم قالا: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خيصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال: وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر مثل ما صنعوا<sup>(٣)</sup>.

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال في مرضه الذى مات فيه: «ادخلوا على أصحابى، فدخلوا عليه وهو مقنع ببردة معافرى<sup>(٤)</sup> فكشف القناع، فقال: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(٥)</sup>.

---

(١) مالك فى الموطأ ٩ - كتاب قصر الصلاة فى السفر ٢٤ - باب جامع الصلاة حديث ٨٥ مرسل وأحمد (٢/٢٤٦) ثنا سفيان عن حمزة بن المغيرة عن سهيل بن أبى صالح عن أبىه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - مرفوعا وابن سعد فى الطبقات (٢/٢٤٠-٢٤١) من طريق مالك به، (٢/٢٤١-٢٤٢) من طريق سفيان عن حمزة به وأبو نعيم فى الحلية (٧/٣١٧) من طريق سفيان عن حمزة به.

(٢) أخرجه مسلم ٥ - كتاب المساجد ٣ - باب النهى عن بناء المساجد على القبور حديث (٢٣)، والنسائى فى الكبرى، كما فى تحفة الأشراف (٢/٤٤٣) وأبو عوانه (١/٤٠١) والطبرانى (٢/١٨٠) حديث (١٦٨٦). وابن سعد فى الطبقات (٢/٢٤٠) مختصراً.

(٣) أخرجه البخارى ٢٣ - كتاب الجنائز. ٦١ - باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، حديث (١٣٣٠) وباب ٩٦ - حديث (١٣٨٩) ومسلم، ٥ - كتاب المساجد باب النهى عن بناء المساجد على القبور حديث (١٩) عن عائشة، وحديث (٢٢) عن عائشة وابن عباس - رضى الله عنهم - والنسائى (٢/٣٣)، والامام أحمد فى المسند (١/٢١٨)، (٦/٣٤) والدارمى (١/٢٦٧).

(٤) برود باليمن منسوبة إلى معافرو وهى قبيلة باليمن «النهاية لابن الأثير».

(٥) رواه أحمد فى مسنده (٥/٢٠٤) والطبرانى فى الكبير (١/١٢٧) حديث (٣٩٣)، (١/١٣١) حديث (٤١١) والطيالسى فى مسنده (ص ٨٨) حديث (٦٣٤) وفى اسناده قيس بن الرميح الأسدى قال الحافظ: «صدوق تغير لما كبر وادخل عليه ابنة ما ليس من حديثه، وفيه كثوم الخزاعى قال فيه الحافظ «مقبول» لكنه مع ذلك يصلح فى الشواهد.

وعن أبي عبيدة رضى الله عنه قال : كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ : « اخرجوا يهود الحجاز من جزيرة العرب ، واعلموا أن شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد»<sup>(١)</sup> .  
سرح طرفك في مشارق بلاد المسلمين ومغاربها تر العجب العجاب تر واقعاً يتحدى هذه النصوص النبوية ، وإذا قرأت عليهم هذه النصوص وبينت لهم مصادرها وتمسك الصحابة واعيان الأمة بها واجهوك بتأويلات اسخف من تأويل من قالوا : «إنما البيع مثل الربا» . واتهموك بعداء الأولياء .

والآن نتساءل إذا كانت دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تحمل في طياتها كل خير ، وتحذر من كل شر ، فما بالناس نرى فيما قص الله علينا في كتابه وفي دراستنا لسنة وسيرة نبينا محمد ﷺ أن دعواتهم إلى التوحيد ومحاربة الشرك ومظاهره وأسبابه ووسائله قد أخذت مساحة كبيرة جداً من دعواتهم واستغرقت زمناً طويلاً من حياتهم حتى لكأنها كان هذا الجانب هو شغلهم الشاغل . فأين مواقفهم من الحكام الطغاة المستبدين ؟ .  
والجواب إن ما انتهجه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو عين الحكمة والصواب ومقتضى العقل السليم .

فليس في مشاكل البشر سياسيتها واقتصاديتها واجتماعيتها من الخطر ما يساوى مشكلة الشرك ومضاره ولا يقاربها ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ، ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ ، ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق﴾ .

فالعقل والحكمة والفطرة تقتضى إذاً أن يبدأ بمحاربة خطر الشرك وأن تستمر دعوات الأنبياء واتباعهم على محاربتهم ما بقيت منه بقية أو بقى له شكل أو مظهر . فإذا أحاطت بأمة مشاكل عقائدية شرك يدمر عقيدتها ومشاكل اقتصادية ومشاكل سياسية فبأيها تبدأ المعالجة الحكيمة .

أما الأنبياء فلم يبدو إلا بمعالجة مشكلة العقيدة بكل قوة والبدء بمعالجة الأمر الأخطر أمر يتفق عليه كل عقلاء البشر . فمثلاً لورأى عاقل ثعباناً ونملة يدبان إلى إنسان لأملى عليه عقله أن يبادر إلى دفع الثعبان أو قتله لشدة خطره على هذا الإنسان ولا يمكن

(١) أخرجه الامام أحمد (١٩٥/١) ثنا أبو أحمد الزبيرى ، ثنا إبراهيم بن ميمون عن سعد بن سمرة عن سمرة بن جندب عن أبي عبيدة بن الجراح أبو أحمد الزبيرى ثقة ثبت / ع وإبراهيم بن ميمون مولى آل سمرة وثقه ابن معين وقال أبو حاتم محله الصدق «تعجيل المنفعة» (ص ٢٠) وسعد بن سمرة وثقه النسائى وابن حبان تعجيل (ص ١٠١) ، فهو اسناد صحيح إن شاء الله .

أن يلقى بالاً للنملة ولا لألف نملة .

ولورأى عقلاء أسداً هجوماً وجماعة من الفئران تهجم عليهم حملوا حملة واحدة لصد هجوم الأسد وتناسوا الفئران ولو كان معها جماعة أخرى من الضفادع .

ولو أن مسافرين انتهى بهم السير إلى طريقين لا خيار لهم من سلوك أحدهما . أحدهما فيه براكين تقذف بلهبها ونيران تلتهم أشجارها واحجارها، وثانيهما فيه الأشواك والرمضاء واشعة الشمس اللاهبة لما اختار عقلاؤهم إلا سلوك الطريق الثانى .

لنأخذ الآن أشد المفسد أعنى المفسد السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأشدّها فساد الحكم لنوازنها بفساد العقيدة فهل هما فى ميزان الله وميزان الأنبياء سواء . أو أن أحدهما أشد خطراً وأدهى وأمر عاقبة .

ففى ميزان الله وميزان أنبيائه أن أشدهما خطراً وأجدر بالتركيز عليه على مر الدهور والعصور وفى كل الرسالات إنما هو الشرك ومظاهرة الذى لا يضاويه فساد مهما عظم شأن هذا الفساد، وبناء على هذا نعود فنقول : إنَّ بدأ جميع الأنبياء بإصلاح الجانب العقائدى ومحاربة الشرك ومظاهرة هو مقتضى الحكمة والعقل وذلك للأمر الآتية :

أولاً : أن المفسد المتعلقة بعقائد الناس من الشرك والخرافات وأنواع الضلال أخطر آلاف المرات من المفسد المترتبة على فساد الحكم وغيره، فإن لم نقل هذا ونعتقد سفهنا من حيث لا نشعر جميع الأنبياء . ونعوذ بالله من الضلال . إن هذه المفسد تشمل الحاكم والمحكوم فالحكام أنفسهم فى كل زمان ومكان إلا المؤمنين منهم - يخضعون للأصنام والأوثان والقبور ويقومون بتشييدها وحمايتها وعبادتها وتقديم القرابين لها، ويعتقدون أن لها سلطة غيبية قاهرة فوق سلطانهم المادى، فهى تضرهم وتنفعهم بذلك السلطان الغيبى فى زعمهم وبتلك القوة القاهرة الخفية أو على أقل تشفع لهم عند الله فى تحقيق مآربهم .

وأوضح مثال لخضوع الحكام للأوثان ذلك الطاغية المتأله فرعون الذى قال متبجحاً : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ ، فقد حكى الله مقالة قومه له وهم يستثرون فيه الحمية والغيرة لأهته ومعبوداته فقال : ﴿وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآهتك﴾ . (الاعراف : ١٢٧) ألا ترى أكبر طاغية عرفته الأرض مع دعواه الربوبية يخضع للأوثان ويتخذها ألهة .

وهذا النمروذ ملك الكلدانيين الذى ادعى الربوبية يأمر باحراق إبراهيم عليه السلام عندما حطم الأصنام أخذاً بثأر هذه الأصنام لأنها آهته .

وهؤلاء ملوك الهند والفرس يعبدون الأوثان والنيران وملوك الرومان في الماضي وحكام أوروبا وأمريكا في الحاضر يعبدون الصلبان والصور، وكم من حكام المسلمين في الماضي والحاضر من فتنَ بالأموات وشاد عليهم القبور وتعلق بها قلبه حبا ورجاء وخوفا وارتكبوا ما خشيه رسول الله على هذه الأمة وحذر منه .

ومن هنا يتضح لك جدية منهج الأنبياء وأحقيته ، ويتضح لك أهمية مواقف الرسول الحاسمة من الأوثان والقبور كما يتضح لك حكمة إبراهيم وعمق فكره وبعد نظره حينما أطلقها صحيحة مدوية تتجلجل في الافاق والأجيال ﴿ واجنبنى وبني أن نعبد الأصنام ، رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم ﴾ (إبراهيم ٣٥، ٣٦) .

فترى إبراهيم وهو على غاية من الحق والصواب - يجأر إلى الله من مخاطر الأصنام ولا يجأر إليه من مخاطر الحكام على جسامه فسادهم وخطرهم .

ثانياً : ان الله ما ارسل الرسل إلا ليعلموا الناس الخير وينذروهم بطش الله والشرقال تعالى : ﴿ كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ﴾ (البقرة : ٢١٣) ، وقال تعالى : ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (الأنعام : ٤٨) ، وقال تعالى : ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾ (الكهف : ٥٦) ، وقال تعالى : ﴿ . . . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ (النساء : ١٦٥) .

وقال رسول الله ﷺ : «ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين»<sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ (النحل : ٣٥) ، وقال تعالى : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ (النور : ٥٤) ، وقال تعالى : ﴿ وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ وهذه مهمة الانذار والتبشير والإبلاغ مهمة جليلة وعظيمة نبيلة يكفيها عظمة ونبلا أنها مهمة الأنبياء وتناسب مع مكائبتهم الرفيعة فإنها أشق وأعظم ما يتحملة البشر أو يتحملة ورثتهم

(١) أخرجه البخارى ٩٧ - كتاب التوحيد ٢ - باب قول النبي ﷺ لا شخص اغير من الله ، حديث (٧٤١٦) ، ومسلم ١٩ - كتاب اللعان حديث (١٧) (١١٣٦/٢) ، وأحمد في المسند (٢٤٨/٤) . والدارمي (٧٣/٢) ، حديث (٢٢٣٣) .

من الدعاة الصادقين المخلصين السائرين في مناهجهم ولهذا قال رسول الله ﷺ : «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل». وقد ذكرنا سلفا مدى ما يواجهه الداعية إلى التوحيد من المشقة وكيف لا يستطيع غيرهم أن يجول في هذا الميدان .

ثالثاً : أن الله سبحانه وتعالى ، لم يكلفهم بإقامة دول وإسقاط أخرى وذلك في غاية الحكمة ، لأن الدعوة إلى إقامة دولة تلوح فيها المطامع لطلاب الدنيا وطلاب الجاه والمناصب وأصحاب الأغراض والأحقاد وأصحاب التطلعات والطموحات فما أسرع ما تستجيب هذه الأصناف للدعوة إلى قيام دولة يرون فيها تحقيق مآربهم وشهواتهم ومطامعهم .

لمثل هذه الاعتبارات - والله أعلم - وغيرها مما يعلمه الله الخلاق العليم الحكيم ابتعدت دعوات الأنبياء ومناهجهم عن استخدام هذا الشعار البراق الملوّح أو المصرح بالأطماع والشهوات العاجلة وسلكت منهجاً حكيماً نزيهاً شريفاً ينطوى على الابتلاء والاختبار فيتبعهم ويؤمن بهم كل صادق مخلص متجرد من كل المطامع والأغراض الشخصية ، لا يريد بإيوانه وتوحيده وطاعة رسل الله عليهم الصلاة والسلام إلا الجنة ومرضاة ربه ، ولا يخاف إلا من غضبه وأليم عقابه . ولهذا لا يتبعهم في الغالب إلا الفقراء والمساكين والضعفاء . قال تعالى - حكاية عن قوم نوح : ﴿ قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ (الشعراء : ١١١) ، وقال عن قوم صالح : ﴿ وقال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه . قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون ، قال الذين استكبروا إنا بالذي آمتتم به كافرون ﴾ (الاعراف : ٧٥-٧٦) . وجاء في أسئلة هرقل لأبي سفيان ، « فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ . قال أبو سفيان ، فقلت : بل ضعفاؤهم . ثم قال هرقل : وسألتك أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه ، وهم اتباع الرسل » .

فالدعوة إلى إقامة دولة أسهل بكثير وكثير ، والاستجابة لها أسرع ، لأن أكثر الناس طلاب دنيا وأصحاب شهوات ولما ذكرنا من الأسباب والعقبات والصعاب في طريق دعوات الرسل نجد أنه لا يتبعهم إلا القليل فنوح ، لبث ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو إلى الله ومع ذلك ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾ (هود : ٤٠) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عرضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد ، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق

فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لى هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ﴿١﴾.

وهذا إبراهيم الخليل قامع المشركين بالحجج الدامغة والبراهين قال الله تعالى فى شأنه وشأن من آمن له ﴿فأمن له لوط وقال إنى مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم﴾ (العنكبوت : ٢٦)، وهذا لوط يقول الله فى نجاته من معه من العذاب ولعلهن بناته فقط ﴿فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ (الذاريات : ٣٥-٣٦).

ولا يغض ذلك من منازل الأنبياء مثقال ذرة بل هم فى أعلى المنازل وهم أنبل الناس وأجل الناس وأكرمهم وفوقهم فى كل شأن فى الرجولة والشجاعة والفصاحة والبلاغة والبيان والنصح والتضحية وقد قاموا بواجبهم على أكمل الوجوه من الدعوة إلى التوحيد والتبليغ والتبشير والانداز فإذا قل اتباعهم أو لم يتبع بعضهم أحد فالعيب كل العيب على الأمم التى رفضت الاستجابة لدعوتهم لأنها فى نظرهم - لا تحقق لهم اغراضهم الدنيئة ومع ذلك ما كانوا طلاب ملك بل كانوا دعاة هداية وتوحيد ولا كانوا يعدون اتباعهم للثورات والانقلابات السياسية .

وقد يهدى الله قوم نبي من الأنبياء فيستجيبون له أو كثير منهم فتكون لهم دولة، ثمرة طيبة، لإيمانهم وتصديقهم وأعمالهم الصالحة، فيقومون بواجبهم من الجهاد لإعلان كلمة الله وتطبيق التشريعات والحدود وغيرها من الأمور التى شرعها الله لهم كما حصل لنبينا محمد ﷺ وأصحابه الكرام توج الله إيمانهم وعملهم الصالح وصبرهم الجميل على بغى المشركين وتطاولهم بأن نصرهم، وأظهر دينهم، وممكن لهم فى الأرض كما قال تعالى : ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدوننى، لا يشركون بى شيئاً﴾ ولقد عرض على رسول الله الملك بمكة فرفض إلا المضى فى الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك والأوثان أرسلت قريش - لما اقلقها أمر رسول الله ﷺ - عتبة بن ربيعة فأتى رسول الله ﷺ، فقال : «يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من السطة فى العشيرة، والمكان فى النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت بهم

(١) أخرجه البخارى ٧٦ - كتاب الطب ١٧ - باب من اكتوى أو كوى غيره حديث (٥٧٠٥)، ومسلم ١ - كتاب الايمان ٩٤ - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث (٣٧٤). وأحمد فى المسند (٢٧١/١).



أحلامهم وعبت به آلهتهم، ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني اعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها، فقال له رسول الله ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع. قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا أموالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك حتى لا نستطيع دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال - حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاستمع مني. قال: أفعل. قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ...﴾ حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون، بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم، فهم لا يسمعون ﴿﴾. ثم مضى رسول الله ﷺ يقرأها عليه. فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك... فذهب عتبة إلى قريش فلما جلس إليهم. قالوا ما وراءك يا أبا الوليد. قال: ورائي إني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة. يامعشر قريش: أطيعوني واجعلوها لي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه. قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدالكم»<sup>(١)</sup>.

وروى ابن إسحاق بإسناده إلى ابن عباس أنه اجتمع نفر من قريش وعرضوا على رسول الله ﷺ - عرضاً قريباً من عرض عتبة ومقالاته لرسول الله ﷺ - بقوله: «ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم فإن قبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن

(١) أورده ابن إسحاق في السيرة، قال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وساق القصة. السيرة لابن هشام (١/٢٩٣-٢٩٤) ولها شاهد من حديث جابر أخرجه عبد بن حميد وأبو يعلى تقدم ترجمته وبه تقوى القصة وتعضد.

تردوه على أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم . . .» (١). ومن هنا رفض رسول الله ﷺ طلب بعض القبائل أن يكون الأمر لهم بعد موته إن صح هذا الخبر .

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري أنه أتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم، يقال له بيحرة بن فراس : والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش، لأكلت به العرب. ثم قال : رأيت ان نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمر إلى الله، يضعه حيث يشاء، فقال له : أفتهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله، كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه» (٢).

وخلاصة هذا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما جاؤ الا سقاط دول وإقامة أخرى، ولا يطلبون ملكا ولا ينظمون لذلك أحزابا وإنما جاؤ الهداية البشر وانقاذهم من الضلال والشرك واخراجهم من الظلمات إلى النور وتذكيرهم بأيام الله ولوعرض عليهم الملك لرفضوه، ومضوا في سبيل دعوتهم، وعرضت قريش الملك على رسول الله فرفضه وقد عرض عليه أن يكون ملكا نبيا أو عبداً رسولاً فاختار أن يكون عبداً رسولاً. عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : «جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل، قال : يا محمد ! أرسلنى إليك ربك قال : أفملكنا نبيا يجعلك أو عبداً رسولاً. قال جبريل : تواضع لربك يا محمد، قال : بل عبداً رسولاً» (٣).

ومن هنا ما كان يبايع الأنصار وغيرهم إلا على اللجنة وكانت بيعة الأنصار في أحلك الظروف وأشدّها فما كان فيها وعد بالمناصب لا الملك ولا الامارات ولا بالمال وبغير ذلك من حظوظ العاجلة. عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : «إنى من النقباء الذين بايعهم

(١) السيرة لابن هشام (٢٩٥-٢٩٦) قال ابن اسحاق حدثنى بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعن عكرمة مولى ابن عباس، عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنها - قال : اجتمع نفر من قريش عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان . . . وهذا يقوى ما قبله ويشد كل منها الآخر.

(٢) السيرة لابن هشام (٤٢٤-٤٢٥) والسيرة النبوية للذهبي (ص ١٨٩-١٩٠).

(٣) مسند أحمد (٢/٢٣١) وابن حبان كفا في الموارد (ص ٥٢٥) رقم (٢١٣٧) كلاهما من طريق محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال الالباني وهذا اسناد صحيح على شرط مسلم - الصحيحه (٤/٣) - وله شاهد من حديث ابن عباس قال الالباني أخرجه البغوى في شرح السنة (٣/٤٧٣) وسنده ضعيف «لكنى لم أجده في الموضع المشار إليه» .

رسول الله ﷺ وقال : بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل النفس التي حرم الله ، إلا بالحق ، ولا ننتهب ، ولا نعصي - بالجنة» .

وعن أبي مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال : انطلق رسول الله ﷺ ومعه العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة ، فقال : ليتكلم متكلمكم ولا يطيل الخطبة فإن عليكم من المشركين عيناً ، وإن تعلموا بكم يفضحوكم ، فقال قائلهم - وهو أبو أمامة : سل يا محمد لربك ما شئت ثم سل لنفسك ولأصحابك ما شئت ، ثم أخبرنا مالنا من الثواب على الله عز وجل ، وعليكم إذا فعلنا ذلك . فقال : أسألكم لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأسألكم لي ولأصحابي أن تؤونا وتنصرونا ، وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم . قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : لكم الجنة . قالوا : فلك ذلك» (١) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : «مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة ، وفي المواسم بمنى ، يقول : من يؤينى ، من ينصرنى حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر كذا) فيأتيه قومه ، فيقولون : احذر غلام قريش ، لا يفتنك ، ويمشى بين رجالهم ، وهم يشيرون إليه بالأصابع ، حتى بعثنا الله إليه من يثرب ، فاويناه ، وصدقناه فيخرج الرجل منا ، فيؤمن به ويقرئه القرآن ، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه ، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا فيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ، ثم ائتمروا جميعاً ، فقلنا حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ، ويخاف ، فرحل إليه منا سبعون رجلاً ، حتى قدموا عليه في الموسم ، فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين ، حتى توافينا ، فقلنا : يارسول الله نباعك . قال : تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى الله لا تخافون فى الله

---

(١) رواه الإمام أحمد فى المسند (٤/١١٩-١٢٠) قال : ثنا يحيى بن أبى زكريا بن أبى زائدة ، حدثنى أبى عن عامر يعنى الشعبى . ثم رواه بهذا الاسناد عن مجالد عامر الشعبى عن أبى مسعود الأنصارى ثم رواه بهذا الاسناد عن اسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى يقول : ما سمع الشيب ولا الشبان خطبة مثلها .

وقد تابع أبى الزبير الإمام الشعبى رحمه الله قال البزار رحمه الله «حدثنا محمد بن معمر ، ثنا قبصة ثنا سفيان عن جابر وداود (هو ابن أبى هند القشيرى ، ثقة متقن ، كان بهم فى آخر حياته تقريب) عن الشعبى عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ للنبياء من الأنصار : «تؤونى وتمنعونى قالوا : نعم ، فما لنا . قال الجنة» ، قال البزار لا نعلمه يروى عن الشعبى إلا بهذا الاسناد انظر كشف الاسناد (٣٠٧/٢) .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر هذه الأحاديث وحكى تصحيح بعضها وحسن بعضها وقوى بعضها أنظر فتح البارى (٢٢٢/٧-٢٢٣) .

لومة لائم، وعلى أن تنصروني، فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم، ولكم الجنة. قال: فقمنا إليه فبايعناه وأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغرهم فقال: رويداً يا أهل يثرب، فإننا لم نضرب أكباد الإبل الا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ وأن اخراجه اليوم مفارقة العرب، كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك، وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم جبينة، فبينوا ذلك، فهو عذرکم عند الله، قالوا: أمط عنا يا أسعد فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً ولا نسلبها أبداً، قال: فقمنا إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة» (١).

ومن هنا أيضاً كان يربى أصحابه على القرآن والسنة وعلى الإيمان والصدق والإخلاص لله في كل عمل بعيداً عن الأساليب السياسية والاغراء بالمناصب العالية. فما كان يمني أحداً منهم قبل دخوله في الإسلام أو بعده بمنصب في الدولة هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أحد عظماء الصحابة وأقواهم شخصية ما كان يعده رسول الله ﷺ بالمناصب ولا تتطلع نفسه إليها حتى جاء يوم خيبر أى بعد عشرين سنة من البعثة فاجأهم رسول الله ﷺ بقوله: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات هو والصحابة يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها» وقال عمر رضى الله عنه ما أحببت الإمارة إلا يومئذ (١).

لأى شىء تطلع هؤلاء الصحابة الكرام للإمارة نفسها أم لنيل هذه المنزلة العظيمة حب الله ورسوله؟ ولماذا كان عمر بن الخطاب لا يحب الإمارة لو كان رسول الله ﷺ يحبها إليهم

(١) أخرجه الامام أحمد (٣/٣٢٢): ثنا عبد الرزاق، أنا معمر عن ابن خثيم عن أبي الزبير عن جابر، (٣/٣٣٩): ثنا اسحاق بن عيسى، ثنا يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير أنه حدثه عن جابر أن رسول الله ﷺ وذكر الحديث.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كما في موارد الظمان (ص ٤٠٨) والحاكم (٢/٦٢٤) وصححه ووافقه الذهبي.  
(٢) أخرجه مسلم ٤٤ - كتاب الفضائل ٤ - باب فضائل على رضى الله عنه حديث (٣٣) عن أبي هريرة وحديث (٣٤) عن سهل بن سعد وفيه: فباتوا يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها وفيه رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله.  
وحديث (٣٢) عن سعد بن أبي وقاص وفيه: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله قال: فتناولنا لها.  
والسبب هو ما ذكرناه حرصهم على هذه المنزلة الرفيعة عند الله لا على الإمارة نفسها.  
وأخرجه البخارى ٥٦ - كتاب الجهاد ١٤٣ - باب فضل من اسلم على يديه رجل حديث (٣٠٩)، ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة. ٩ - باب مناقب على رضى الله عنه حديث (٣٧٠١).  
والترمذى ٥٠ - كتاب المناقب باب ٢١ - حديث (٣٧٣٤). (٤٣٨/٥) وابن ماجه في المقدمة ١١ - حديث (١١٧) اسناده ضعيف فيه محمد بن أبى ليلى وهو ضعيف.

ويريهم عليها ويمنيهم بها . بل كان ينفرهم منها ويحذرهم من الحرص عليها، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : «انكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعم المرزعة وبئست الفاطمة»<sup>(١)</sup>، وينهى عن طلبها والحرص عليها، عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : «قال لى رسول الله ﷺ : يا عبد الرحمن ! لا تسأل الإمارة . فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»<sup>(٢)</sup> .

بل فوق كل هذه الأساليب يرسى قاعدة إسلامية تحرم المناصب على من يتعشقها ويحرص عليها، عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال : «دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بنى عمى فقال أحد الرجلين : يارسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل . وقال الآخر مثل ذلك، فقال : إنا لا نولي على هذا العمل أحداً سألته ولا أحداً حرص عليه»<sup>(٣)</sup> . وفى لفظ عند مسلم : «ما تقول ياأبا موسى أو يا عبد الله بن قيس قال : فقلت : والذى بعثك بالحق ما أطلعانى على ما فى أنفسهما وما شعرت أنهما يطلبان العمل ، قال : وكأنى انظر إلى سواكه تحت شفته وقد قلعت، فقال : لن أولاً نستعمل على عملنا من اراده، ولكن أذهب أنت ياأبا موسى ، فبعثه إلى اليمن ثم اتبعه معاذاً» ، وفى النسائي : «إنا لا نستعين فى عملنا بمن سألنا» .

قال الحافظ . قال المهلب : «الحرص على الولاية هو السبب فى اقتتال الناس عليها حتى سفكت الدماء واستبيحت الأموال والفروج وعظم الفساد فى الأرض بذلك ووجه الندم أنه قد يقتل أو يعزل أو يموت فيندم على الدخول فيها لأنه يطالب بالتبعات التى ارتكبتها، وقد فاته ما حرص عليه بمفارقتة . قال : ويستثنى من ذلك من تعنى عليه كأن يموت الوالى

---

(١) أخرجه البخارى ٩٣ - كتاب الأحكام ، ٧ - باب ما يكره من الحرص على الامارة حديث (٧١٤٨) والامام أحمد فى المسند (٤٤٨/٢) والنسائي فى كتاب آداب القاضى (١٩٩/٨) .

«نعم المرزعة لما فيها من حصول الجاه والمال ونفاذ الكلمة، وتحصيل اللذات الحسية والوهمية حال حصولها وبنيت الفاطمة عند الانفصال عنها بموت أو غيره وما يترتب عليها من التبعات فى الآخرة فتح البارى (١٣/١٢٦) .

(٢) البخارى ٩٣ - باب من سأل الامارة وكل اليها حديث (٧١٤٧) ومسلم ٣٣ - كتاب الإمارة ٣ - باب النهى عن طلب الامارة والحرص عليها حديث ١٣ - والنسائي (١٩٨/٨) .

(٣) البخارى ٩٣ - كتاب الأحكام ٧ - باب ما يكره من الحرص على الإمارة (٧١٤٩) ومسلم ٣٣ - كتاب الامارة باب النهى عن طلب الامارة، حديث ١٤، ١٥ (١٤٥٦/٣) والنسائي (١٩٨/٨) .

ولا يوجد بعده من يقوم بالأمر غيره، وإذا لم يدخل في ذلك يحصل الفساد بضياع الأحوال» (١).

وعلى كل حال فالإمارة والقضاء من الأمور التي لا بد منها ولا تقوم حياة المسلمين إلا بها وبها تعصم الدماء والأموال. ولكن يجب أن نسلك في اختيار الأمراء والقضاة منهاج رسول الله ﷺ فلا تعطى هذه المناصب لمن يسألها أو يحرص عليها أو يرشح نفسه لها عن طريق الانتخابات مثلا فإن هذا من الحرص عليها، وإنما يختار لها الأكفاء علما وزهداً فيها وتقوى. ثم ينبغي أن نستفيد من هذا المنهج النبوي في التربية، فلا ينبغي أن ننشئ الشباب على حب القيادة والرئاسة والسيادة والإمارة فلونشأنهم على حب هذه الأشياء خالفنا هدى رسول الله ﷺ وأوقعنا الشباب في المهالك وأي فلاح ننتظره في الدنيا والآخرة ان خالفنا منهج رسول الله ﷺ.

﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون﴾.  
(النور: ٤٧-٤٨).

قال رسول الله ﷺ :

« إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم .

ويكره لكم : قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة

المال » . . . .

(١) فتح الباري (١٣/١٢٦).

# دفاع عن العقوبات الإسلامية

للسيد محمد بن ناصر السعدي

عميد كلية الشريعة بالجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين . . .  
أما بعد :

فقد سبق أن وعدت في مقالة سابقة تكلمت فيها عن مزايا التشريع الإسلامي، وأشارت إلى ما تتعرض له الشريعة الإسلامية من استنقاص وازدراء من قبل أعدائها، ومن قبل من يتظاهرون بأنهم من أبنائها، وقد وعدت في تلك المقالة أن أخص العقوبات الإسلامية بكلمة مختصرة موجزة، أبين فيها ما تبين من وجوه الحكمة فيها، وما تمازبه عن العقوبات التي وضعها الإنسان وضعاً ارتجالياً متأثراً بأهوائه ورغباته، مسترشداً بنظره القاصر، وتفكيره المحدود، وقبل أن أدخل في موضوع العقوبات، أقدم بكلمة قصيرة عن الجريمة ونظرة الإسلام إليها، فأقول مستعيناً بالله :

## أولاً : تعريف الجريمة :

الجريمة عند أهل اللغة تأتي بمعنى الجناية وبمعنى الذنب. قال في اللسان :  
وجرم إليهم وعليهم جريمة وأجرم : جنى جناية<sup>(١)</sup>.

وفي تاج العروس، والجرم بالضم الذنب كالجريمة. وقال : والمجرمون في قوله تعالى : ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾ الكافرون لأن الذي ذكر من قصتهم التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها قاله الزجاج<sup>(٢)</sup>، والذي يلفت النظر، أن لفظة الاجرام وردت في كثير من الآيات الكريمة، وكلها والله أعلم يقصد بها الكافرون أو المشركون ونحوهم من المكذبين والمنافقين. كما نقله صاحب التاج عن الزجاج، كما ورد في قوله تعالى : ﴿سيعيب الذين أجرموا صفاراً عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾ الأنعام : ١٢٤ .

(١) لسان العرب لابن منظور ج/١٢ ص ٩١ .

(٢) تاج العروس للزبيدي ج- ٨/ ص ٢٢٤ .

وقوله تعالى : ﴿ انه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾ .  
(طه : ٧٤) (١) .

أما عند الفقهاء فقد عرفها الماوروى بقوله : الجرائم محظورات شرعية زجر الله تعالى عنها بحد أو تعزير (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ يود المجرم لو يفتدى من عذاب يؤمئذ ببنيه ﴾ ، (المعارج : ١١) ، وقوله تعالى :

﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ (القلم : ٣٥) ، وهى تصل إلى أكثر من خمسين آية (٣) ، بينما فى السنة لم ترد هذه الكلمة على لسان رسول الله ﷺ إلا فى حالات قليلة جداً ، كما فى حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شىء لم يحرم فحرم من أجل مسألته » . أخرجه البخارى (٤) .

وحديث عائشة رضى الله عنها قالت : قيل لها إن ابن عمر يرفع إلى النبى ﷺ إن الميت يعذب ببكاء الحي ، قالت : وهل أبو عبد الرحمن ، إنما قال إن أهل الميت يبكون عليه ، وأنه ليعذب بجرمه (٥) .

ولم تستعمل هذه الكلمة من قبل الفقهاء فى الصدر الأول بمعنى الجناية إلا فى حالات قليلة ، فقد بوب البخارى رحمه الله فى كتابه على حديث كعب بن مالك رضى الله عنه فى قصته المشهورة لما تخلف هو ومن معه عن غزوة تبوك ، بوب بقوله : باب هل للإمام أن يمنع المجرمين وأهل المعصية من الكلام معه والزيارة ونحوه (٦) مع أن الحديث كما هو معروف لم يتضمن هذه الكلمة ، وقد ذكر الحافظ رحمه الله أن رواية ابن التين الاسماعيلى والجرجاني ، لم تكن بلفظ المجرمين ، وإنما بلفظ المحبوس بدل المجرمين . كما بوب فى الدييات بقوله : باب إثم من قتل ذمياً بغير جرم ، وساق حديث عبد الله بن عمرو بهذا الصدد (٧) ، مع أنه لم يتضمن هذه الكلمة ، ومثل ذلك فعل فى كتاب الجزية فعنون بهذا العنوان وساق الحديث .

فقد يكون السلف رضى الله عنهم يتخرجون من اطلاق هذه الكلمة فى حق العصاة من المسلمين لما لاحظوه من ورودها فى القرآن الكريم فى حق الكفار فى أكثر المواضع ، وإن

(١) أنظر تفسير النسفى ج/٣ ، ج/٤ ص ٦٠ ، ٣٤١ ، ص ٢٨٢ .

(٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٢١٩ .

(٣) وانظر القرطبى ج/١٩ ص ٢٦٧ ، ج/١٨ ص ٢٨٦ ، ٢٤٦ .

(٤) أنظر فتح البارى ج/١٣ ص ٢٦٤ .

(٥) المسند ج/٦ ص ٥٧ ، الفتح الربانى ج/٧ ص ١١٦ .

(٦) انظر فتح البارى ج/١٣ ص ٢١٦ .

(٧) انظر فتح البارى ج/١٢ ص ٢٥٩ ، ج/٦ ص ٢٦٩ .



كان لا يمتنع استعمالها لغة في هذا الموضع، أعنى موضع الجناية . . . والله أعلم .

## ثانياً : نظرة الإسلام إلى الجريمة :

إنه باستقراء النصوص من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة نلاحظ أن نظرة الإسلام إلى الجريمة - الجناية - نظرتة إلى الظاهرة العادية فهو يعتبر الجريمة جزءاً من المجتمع الإنساني لا تنفك عنه . فكما أن النقص والتقصير لا ينفك عن الإنسان، وبالتالي عن المجتمع الإنساني، فإن الجريمة كذلك، فهي ليست إلا صورة من صور النقص والتقصير الذي يعتبر صفة ملازمة لبني آدم في هذه الحياة يقول سبحانه وتعالى عن الإنسان : ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾ . (عبس : آية ١٧) ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ﴾ (العلق : ٦) . ﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾ . (الاسراء : ١١) . ﴿ وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ . (الأحزاب : ٧٢) وفي الحديث عن أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه أنه قال حين حضرته الوفاة : قد كنت كتمت عنكم شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ يقول : «لولا أنكم تذبون لخلق الله تبارك وتعالى قوماً يذنبون فيغفر لهم» . رواه أحمد<sup>(١)</sup>، وفي الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»<sup>(٢)</sup> . أخرجه الترمذى . وقال هذا حديث غريب، والحديث وإن اختلف في صحته فمعناه صحيح .

إذن فالجريمة بحد ذاتها كظاهرة اجتماعية، تعتبر في نظر الإسلام أمراً مسلماً به، ولا بد منه لأن الكمال لله سبحانه، والعصمة لله وحده . ولكن كون الجريمة ظاهرة لا بد منها، لا يعنى هذا أنه يسلم بوجودها وتترك في المجتمع لتنمو وتنتشر وتكاثرون أن تستنكر وتحارب، بل إن الإسلام وضع لها الحل السليم والعلاج الشافي والحكم العادل، فالإسلام يحارب تكاثر الجريمة وتصاعدها، إلا أنه من الأمور المسلم بها أنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يخلو مجتمع من جريمة، ولو كان ذلك ممكناً، لكان المجتمع النبوي في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين، لكان هذا المجتمع أولى المجتمعات وأقربها إلى الخلو من الجريمة واحراها بالقضاء عليها، إلا أنه من المعروف أن هذا المجتمع الطاهر النظيف قد وجدت فيه الجرائم على اختلاف أنواعها، فالإسلام لا ينظر إلى المجتمع الإنساني نظرة مثالية خيالية، تهدف إلى إنهاء الجريمة من المجتمع والقضاء عليها قضاء مبرماً، لأن من المبادئ الرئيسية أن الانسان مبتلى بالخير والشر - والله سبحانه قد سلط عليه

(١) المسند ج/٥ ص ٤١٤ وهو صحيح وقد أخرجه مسلم والترمذى أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ج/٤ ص ٣٤٥ .

(٢) جامع الأصول ج/٢ ص ٥١٥، سنن الترمذى ج/٧ ص ١٩١ وراجع كشف الحفاء ج/٢ ص ١٧٦ واسنى المطالب

للحوت البيروتي ص ١٦٧ .

الشیطان، ابتلاءً وامتحاناً، فإدام الشیطان موجوداً، فالجريمة موجودة لأنه هو الذى یوسوس بها فى نفس الإنسان، وهو الذى يدعوہ إلى ارتكابها ویحسنها له ﴿یعدہم ویمنیہم وما یعدہم الشیطان إلا غروراً﴾ (النساء : ۱۲۰) ﴿قال رب بما أغویتنى لأزینن لهم فى الأرض ولأغوینہم أجمعین إلا عبادك منهم المخلصین﴾ (الحجر : ۳۹-۴۰).

والآیات بهذا الشأن كثيرة جدا والمسألة واضحة. إلا أن الإسلام وهو یسلم بوجود الجريمة لا یتركها هكذا كما أسلفت بل یسعى إلى تقلیلها، ووضعها فى حجم معین ویسعى إلى حصر آثارها والتخفيف من نتائجها، ومن ناحية أخرى فالإسلام بهذه النظرة لا یقطع خط الرجعة على المجرمین، بل یدعوهم ویطالبهم بالعودة إلى المجتمع، ویعيد لهم اعتبارهم، ولا یجعل من مقارفتهم للجريمة أياً كانت سبباً فى نبذهم وطردهم إلا بقدر محدود، عندما یصرون على ارتكاب الجريمة ویرتكسون فى الاجرام حیث لا تجدى فیهم الموعظة<sup>(۱)</sup>، فإنه فى هذه الحالة ینتقل إلى العقوبة ومع العقوبة كذلك لا یعتبرهم منبوذین، بل یعتبرهم جزء من المجتمع، ویترك لهم الفرصة لیعيدوا الاعتبار إلى أنفسهم إذا كانوا أحياء، وإذا كانوا فى عداد الأموات - فى حالة العقوبة المثلثة - فهو یعتبرهم مسلمین، لهم ما للمسلمین من حقوق واحترام، فى الحدیث أن خالد بن الولید رضی الله عنه سب المرأة التى رجمت من الزنا، فقال رسول الله ﷺ : «مهلاً یاخالد، فوالذى نفسى بیده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له، ثم أمر بها فصلى علیها ودفنت». رواه أحمد ومسلم وأبو داود .

وقال لعمر رضی الله عنه عندما قال : تصلى علیها وقد زنت. «لقد تابت توبة لو قسمت بین سبعین من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله». رواه مسلم وغيره، وفى بعض روايات قصة ماعز بن مالك الأسلمى فیما رواه أبو هريرة رضی الله عنه، أن رسول الله ﷺ سمع رجلین من أصحابه یقول أحدهما لصاحبه : انظر إلى هذا الذى ستر الله علیه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسكت عنهما، وسار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائلاً رجله. فقال : أين فلان وفلان؟ فقالا : نحن ذان یارسول الله. قال : كلا من جيفة هذا الحمار فقالا : یانبی الله من یأكل من هذا؟ قال : فما نلتما من عرض أخیکما أنفأ أشد من أكل منه، والذى نفسى بیده إنه الآن لفى أنهار الجنة ینغمس فیها». رواه أبو داود .

ولما جاءوا بالسارق بعد قطعه قال رسول الله ﷺ : «قل استغفر الله وأتوب إليه فقال :

(۱) لا ینبغى أن یفهم من ذلك أن العقوبة لا توقع علیهم إلا فى حالة الاصرار بل أن العقوبة توقع على المجرم بمجرد ارتكابه للجريمة ولو لم یصر أو تتكرر منه، إلا فى التعازیر فالأمر فیها یختلف .

استغفر الله وأتوب إليه، فقال رسول الله ﷺ : اللهم تب عليه». رواه أحمد وأبو داود .  
ولما أتى بشارب خمر وأمر الناس بضربه، فقال بعض القوم أخزاك الله، فقال ﷺ :  
«لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان». رواه أحمد والبخاري .

فهذه النصوص وأمثالها تؤكد ما أشير إليه من أن المسلم إذا ارتكب جرماً مهما كان لا  
يبرر نبذه وطرده، ولكن تقام عليه العقوبة المقررة شرعاً، وفق الأحكام الشرعية في الإثبات  
والحكم والتنفيذ، ويعاد له اعتباره بعد ذلك حياً كان أو ميتاً إذا تاب وصلحت توبته .

### العقوبة ضرورة اجتماعية : (1)

تعتبر العقوبة من الأمور الضرورية للمجتمعات، ولا يمكن أن يعيش مجتمع دون أن  
تفرض فيه عقوبة، فكما أن الجريمة جزء من المجتمع ملازمة له ولا يتصور وجود مجتمع بدون  
جريمة، فكذلك لا يتصور وجود مجتمع بدون عقوبة، فالعقوبة تعتبر رد فعل للجريمة،  
ولذلك نجد حتى في المجتمعات الحيوانية ومجتمع الطيور والحشرات نجد العقوبة فيما بينها  
يوقعها بعضها على بعض .

والمجتمعات الإنسانية وإن كانت العقوبة موجودة فيها، إلا أن هناك تفاوتاً كبيراً بين  
مجتمع وآخر في مدى تأثير هذه العقوبة، ونتائجها في المجتمع وذلك من حيث تناسب العقوبة  
مع الجريمة باعتبارها رد فعل، فما لم يكن رد الفعل متناسباً مع الفعل بل مساوياً له، فإن  
العقوبة تكون في هذه الحالة فاشلة في علاج الاجرام .

والذي يحصل أن كثيراً من المجتمعات في العقوبة تفرق بين الافراط والتفريط فبعضها  
يتشدد في العقوبة ويقسوح حتى تكون العقوبة أكبر من الجريمة، مما يدفع بالمجرم أو عائلته أو  
عصابته أن يسعوا في استعادة الفرق، وقد تكون العقوبة أقل من الجريمة بحيث تغري  
المجرم بالعودة إلى الجريمة أو تدفع المعتدى عليه إلى الأخذ ببقية حقه بنفسه، أما بالنسبة  
للمجتمعات المفرطة في العقوبة المتساهلة فيها فأمثلتها كثيرة ونستطيع أن نقول إن أكثر  
الدول الغربية في الوقت الحاضر ومن سار في ركابها من الدول الإسلامية على هذه الشاكلة،  
من تدليل المجرم وعدم معاملته بحزم .

#### (1) تعريف العقوبة :

يقول صاحب اللسان : العقاب والمعاقبة ان تجزى الرجل بها فعل سوء، والاسم العقوبة وعاقبه بذنبه معاقبة وعقابا : أخذه  
به . هذا عند أهل اللغة . (لسان العرب لابن منظور 1/619).

وعرفها بعض الفقهاء بأنها الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشارع . (أورده عبد القادر عودة في التشريع الجنائي  
1/609).

أما المجتمعات المفرطة المتشددة فمنها بعض المجتمعات الغربية إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، فقد عرفت بريطانيا في القرن التاسع عشر التشهير بمرتكبي جنایات الغش في مواد التموين، فكان الخباز الذي يبيع خبزاً يقل وزناً عن الوزن القانوني، يربط إلى إطار خشبي ويتدلى عنقه من فتحة الإطار، وقد علق بعنقه رغيفاً، وربما عوقب بوضع أصابع اليدين في آلة ضاغطة أو بالضغط على الساقين، وعرفت الصين حتى تاريخ حديث ألوانا من العقوبات القاسية، كوضع الواح من الخشب حول أعناق المتهمين ليتمكن الناس من معرفتهم عندما يمرون بهم وقد وقفوا خارج جدار السجن<sup>(١)</sup>. وفي الهند أشد وأبشع فقد نشرت جريدة الرياض في أحد أعدادها أن وكالات الأنباء الهندية أعلنت أن إحدى النساء أرغمت خادمتها البالغة من العمر خمسة عشر عاماً على غمس يديها في زيت حار لإثبات براءتها من تهمة سرقة ساعة وقعت في الأسبوع الماضي في مدينة راجكوت غربي الهند. وقالت الوكالة أن الضحية مانجولا ديفي نفت التهمة التي وجهتها لها سيدتها بسرقة ساعة، وعندها قامت السيدة التي لم يعلن عن اسمها بارغام الخادمة على غمس يديها في زيت كان يغلي على النار لإثبات أنها لا تكذب والجدير بالذكر أن مثل طرق التعذيب هذه مألوفة في الريف الهندي، ومن أمثلتها قيام الشرطة الهندية بفقاً عيون عشرين متها في جرائم السرقة في ولاية بيهار الهندية الشرقية مؤخراً<sup>(٢)</sup> وكل هذه المجتمعات المفرطة منها والمفرطة فشل في محاربة الجريمة، ولا يرجع فشل هذه المجتمعات في محاربة الجريمة لمجرد أن العقوبات لا تتناسب مع الجرائم، بل هناك أمر مهم وهو أن هذه المجتمعات المفرطة والمفرطة لا تؤمن بشرع الله ولا تحكم بحكم الله بل تتبع الهوى في أحكامها وأنظمتها وتتخبط في اجتهادها ولذلك لا يمكن أن تصل إلى نتيجة مرضية وحالة مسعدة والله تعالى يقول : ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ . (المؤمنون : ٧١).

أما الشريعة الإسلامية فإنها في عقوباتها متوسطة لا افراط ولا تفريط خاصة عندما تطبق بأمانة وعدالة، فإنها تؤثر تأثيراً بالغاً في التقليل من الاجرام والحد منه .

### الحكمة من العقوبة :

إن الحكمة من العقوبة بصفة عامة هي معالجة الأمراض الاجتماعية فإذا نظرنا إلى المجتمع كوحدة واحدة وجسم واحد، ونظرنا إلى الأفراد وهم يمثلون خلايا الجسم وأعضائه

(١) الجريمة والعقاب في المجتمع القبلي الافريقي : محمد عبد الفتاح ابراهيم (ص ١٤٠-١٤١).

(٢) جريدة الرياض العدد ٤٧٢٣ الصادر بتاريخ ١٤٠١/٣/١هـ.

وأطرافه، أمكننا أن نتصور كيف أن إيقاع العقوبات على بعض الأفراد يعتبر علاجاً للمجتمع، تماماً كما يعالج جسم الإنسان، إما بأدوية مرة، أو بالمضاد، أو بالشق والجراحة، وقد يصل الأمر إلى بتر العضو وإزالته حتى لا يكون سبباً في تلف الجسم كله، وهذا ما يحصل لخلايا وأعضاء هذا الجسم الكبير المجتمع، فقد يعالج بعض أفرادها بالجلد، أو المهجر أو الحبس أو القطع أو القتل إذا لزم الأمر .

وللعقوبة من ناحية أخرى أهداف ترجع إلى الجاني وأهداف ترجع إلى عموم الناس، فبالنسبة للجاني تهدف العقوبة إلى استصلاحه وزجره إذا لم تكن العقوبة متلفه (قتلا)، وبالنسبة لسائر الناس فإن العقوبة تهدف من ناحية إلى حماية مصالحهم الضرورية في الأعراض والأموال والأبدان، والعقول، وغير ذلك من المصالح، ومن ناحية أخرى تهدف إلى ردع المجرمين وتخويفهم وتحذيرهم من الوقوع فيما وقع فيه المتهم فيحل بهم مثل ما حل به من العقوبة .

### هل العقوبات الإسلامية قاسية :

تعرضت العقوبات التي شرعها الله سبحانه وتعالى، وشرعها رسوله ﷺ، لتأديب المجرمين وزجرهم وردعهم، من جلد وهجر أو قطع أو رجم أو قتل، لقد تعرضت للهجوم والسخرية والاستهزاء من قبل كثير من الكتاب، فتارة توصف بأنها وحشية وتارة توصف بأنها عقوبات قاسية قديمة ولا تليق بالعصر الحديث، ومن المؤسف أن نجد مثل هذا الانتقاد عند بعض الكتاب المسلمين، فهذا أحد الكتاب وهو يتحدث عن العقوبات وتطورها يقول : والتعويض المدني يمتاز عن الدية بأنه مرن يزيد وينقص حسب مقدار الضرر الناتج عن الجريمة، كما أنه يمتاز عن القصاص في أنه لا يقصد به مجرد الانتقام من الجاني وإنما يقصد به إزالة الضرر الواقع على المجنى عليه إذا أمكن، أو تعويضه عن هذا الضرر ليخفف أثره إذا لم تكن الإزالة ممكنة، كما أن التعويض المدني يمتاز عن الدية والقصاص في أنه حق مدني منفصل عن العقوبة فيمكن للمجنى عليه أن يتنازل عنه، ولكن ذلك لا يعفى الجاني من العقوبة التي هي حق للمجتمع<sup>(١)</sup> وهذا كلام جاهل بالشريعة، وإلا فأى مرونة أكثر من المرونة في تقادير الديات في التشريع الإسلامي وتقديرها بحسب الضرر الذي يصيب المجنى عليه، ولم تبلغ شريعة من الشرائع ولا نظام من الأنظمة ما بلغت هذه الشريعة في تقدير الديات بحسب الأصابة، حتى قدروا للظفر ديته، وللشعر ديته، ولكل جرح

(١) العقوبات الجنائية في التشريعات العربية : د. توفيق الشاوي الصفحات ٢٤، ٧٣-٧٥.

بحسب غوره في البدن ديته التي تناسبه ، فأى مرونة أكثر من هذه المرونة ، ومن ذا الذي يجهل أن للمجنى عليه أن يتنازل عن الدية ، بل هو مدعو إلى ذلك ومرغب فيه ، كما أن التنازل عن الدية لا يعنى الاعفاء من المسئولية مطلقاً ، بل لولى الأمر أن يعزر الجانى تعزيراً مناسباً ، كل هذه المعلومات يدركها أقل المسلمين اطلاعاً ، ولكنه الجهل أو التجاهل .

وفي موضع آخر يقول : ومنذ بدأت حركة إصلاح النظم الجنائية في العصور الحديثة أصبحت العقوبات البدنية محل هجوم شديد من ناحية الفلاسفة والمصلحين ، باعتبار أنها تتضمن امتهاً لكرامة الإنسانية الواجب رعايتها حتى بالنسبة للمجرمين . . . إلى أن قال : ولم تشذ التشريعات العربية عن تأثير المذاهب الإصلاحية بل نرى أن التطور التشريعى في بلادنا يأخذ نفس الاتجاه . . . ثم يمضى فى كلامه . . . ورغم أن الاتجاه الحديث يرمى إلى الغاء هذه - العقوبات الجسائية ، لما يترتب عليها من مهانة واذلال للآدمى بمعاملته معاملة الحيوان ، فإن بعض المؤلفين يرى ضرورة بقائها فى أحوال معينة ، ولكن الاتجاه الغالب فى العالم المتحضر يدعو إلى الغائها باعتبارها لا تتناسب مع المدنية الحاضرة<sup>(١)</sup> أما عقوبة القتل فهى بزعمهم أصبحت محل نقد كثير من الفلاسفة والباحثين ، لأنهم يرون أن القتل اجراء وحشى لا يجوز أن يرتكبه المجتمع ضد أحد الأفراد لأى سبب كان مادام يمكن الاستعاضة عنه بالسجن المؤبد<sup>(٢)</sup> .

وعن عقوبة الجلد : لقد تأثرت التشريعات المعاصرة بالنقد الموجه إلى عقوبة الجلد أو الضرب ذلك النقد الذى يستند إلى منافاتها لكرامة البشرية إذ أن استعمال الضرب فى تأديب الإنسان تشبيه له بالحيوان ونزول به إلى مرتبة الدواب مما يتعارض مع الاحترام الذى تقتضيه الصفة الإنسانية التى لا يمكن نزعها عن الشخص لمجرد ارتكابه جريمة<sup>(٣)</sup> . هذا نموذج من النماذج الكثيرة . ونحن نرد على هؤلاء المتهمجين بردين رد مجمل ورد مفصل - مع الاختصار الذى يقتضيه المقام .

### فأما الرد المجمع :

فإن هؤلاء المتهمجين على العقوبات الإسلامية أحد رجلين ، أما كافر بالإسلام لا يؤمن بالله ولا برسوله ﷺ ، وأما مسلم ، فبالنسبة للكافر فإن القضية مع الكفار أكبر وأعظم من أن تقف عند فرع من فروع الدين فهم أصلاً لا يؤمنون بالله سبحانه ومن يزعم منهم أنه

(٢٠١) العقوبات الجنائية فى التشريعات العربية . د . توفيق الشاوى الصفحات ٢٤ ، ٧٣-٧٥ .

(٣) العقوبات الجنائية فى التشريعات العربية . د . توفيق الشاوى ٢٤ ، ٧٣-٧٥ .

يؤمن بالله فهو لا يؤمن به الإيمان الصحيح الكامل ، ولا ينطلق في إيمانه من تصور صحيح . فهم لا يؤمنون بالرسول ولا يقرون برسالته ولا يؤمنون بالقرآن ولا بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء . وهذه القضايا أخطر وأكبر من قضية العقوبات . فإدام هؤلاء لا يسلمون بأصول الدين ولا يسلمون لله سبحانه بالحكمة والعدالة والرحمة ، بل إنهم ليتهجمون على الشريعة الإسلامية ويسخرون منها فممن باب أولى ألا يسلموا بما دون ذلك . وأما المسلم الذى يتهجم على العقوبات الإسلامية فيما أن يكون متظاهرا بالإسلام مجرد تظاهر وهو يطن الكفر والالحاد والنفاق ، فهذا شأنه شأن الفريق الأول ، وإما أن يكون مسلما ضعيفا جاهلا ، فهذا ينبغي أن يعرف أنه لا يصح إيمانه حتى يسلم بكل ما شرعه الله وشرعه رسوله ﷺ ، فالله سبحانه وتعالى عليم حكيم خبير ، متصف بكل صفات الكمال منزّه عن كل صفات النقص فأحكامه وشرائعه تبدو فيها صفاته من الحكمة والرحمة وقد ندرك ذلك وقد لا ندركه ولكن مقتضى الإيمان أن نسلم لله سبحانه بكل ما شرعه لنا ، وإن كان هذا لا يمنع أن نتحرى الحكمة ونبحث عن أسرار التشريع بأدب مع الله سبحانه ومع رسوله ﷺ ، هذا هو الرد المجمل باختصار .

### أما الرد المفصل فإنه :

يحتاج منا إلى وقفات وهى وقفات سريعة حيث أن المقام لا يتحمل الاطالة .

### الوقفة الأولى :

مقارنة العقوبات الإسلامية بالعقوبات فى المجتمعات الأخرى لنرى مدى القسوة والشدة فيهما ، ولقد تطرق الأستاذ عبد القادر عوده رحمه الله فى كتابه التشريع الجنائى الإسلامى إلى شىء من ذلك فقال : فإذا قدرنا أن الجرائم التعزيرية التى يمكن العقاب عليها بالقتل تصل إلى خمس جرائم ، كانت كل الجرائم المعاقب عليها بالقتل فى الشريعة لا تزيد على عشر جرائم عند من يجيزون القتل تعزيرا ، وكان عددها لا يزيد على خمس جرائم عند من لا يجيزون القتل تعزيرا ، وتلك ميزة انفردت بها الشريعة الإسلامية من يوم نزولها ، فهى لا تسرف فى عقوبة القتل ولا تفرضها دون مقتضى ، ونستطيع أن نحيط بمدى تفوق الشريعة فى هذه الوجهة ، إذا علمنا أن القوانين الوضعية كانت إلى أواخر القرن الثامن عشر تسرف فى عقوبة القتل إلى حد بعيد ، بحيث كان القانون الانجليزى مثلا يعاقب على مائتى جريمة بالإعدام ، والقانون الفرنسى يعاقب على مائة وخمس عشرة جريمة بالإعدام<sup>(١)</sup> .

(١) التشريع الجنائى الإسلامى ج ١ ص ٦٨٩ .

ويقول في موضع آخر وهو بصدد الحديث عن أساس المسؤولية الجنائية، «كانت القوانين الوضعية في العصور الوسطى وإلى ما قبل الثورة الفرنسية تجعل الإنسان والحيوان بل والجماد محلاً للمسئولية الجنائية، وكان الجماد يعاقب كالحيوان على ما نسب إليه من أفعال ضارة، كما يعاقب الإنسان على ما ينسب إليه من أفعال محرمة، وكانت العقوبة تصيب الأموات كما تصيب الأحياء، ولم يكن الموت من الأسباب التي تعفى الميت من المحاكمة والعقاب. ولم يكن الإنسان مسئولاً جنائياً عن أفعاله فقط وإنما كان يسأل عن عمل غيره ولو لم يكن عالماً بعمل هذا الغير، ولو لم يكن له سلطان على هذا الغير، فكانت العقوبة تتعدى المجرم إلى أهله وأصدقائه وتصيبهم كما تصيبه، وهو وحده الجانى وهم البرءاء من جنايته. وكان الإنسان يعتبر مسئولاً جنائياً عن عمله، سواء كان رجلاً أو طفلاً مميزاً أو غير مميز وسواء كان مختاراً أو غير مختار، مدركاً أو فاقد الإدراك وكانت الأفعال المحرمة لا تعين قبل تحريمها، ولا يعلم بها الناس قبل مؤاخذتهم عليها، وكانت العقوبات التي توقع غير معينة في الغالب... الخ<sup>(١)</sup>

وكان من الممكن في بعض الشرائع القديمة بل وفي العصور الوسطى في أوروبا نفسها أن توقع العقوبات الجنائية على حيوان، أو على جثة الجانى بعد موته أو على من به مس من الجنون<sup>(٢)</sup>.

ولقد المحت في الفقرة السابقة إلى بعض العقوبات القاسية التي تمارس في بعض المجتمعات كما في الهند والصين - فالعقوبات الإسلامية كما نلاحظ من هذا العرض المختصر المقارن أشد ما تكون قتلاً أو قطعاً ومع ذلك فعدد الجرائم التي يعاقب عليها بالقتل لا يجاوز العشر أو الخمس، والجرائم التي يعاقب عليها بالقطع جريمتان فقط. وسوف نلاحظ فيما بعد الحكمة الدقيقة في سن هذه العقوبات للجرائم الخاصة بها.

والقوانين الوضعية وإن كان أغلبها في العصر الحاضر قد استبدل عقوبة الحبس المؤبد بعقوبة الأعدام وصارت تركز على عقوبة السجن مؤقتاً أو مؤبداً فإن السجن المؤبد أو الطويل الأجل ليس إلا قتلاً بالتفسيط للمجرم، وقتلاً لأسرته معه، فلا هو بالميت الذي استراح من عناء السجن ورهبته وافضى إلى ما قدم من خير أو شر، ولا هو بالمطلق سراحه ليعمل ويكدح، وكم تعاني أسرة السجين من الشقاء والضياع، وكم تفقد من العناية والرعاية.

(١) التشريع الجنائي ج ١ ص ٣٨١.

(٢) محاضرات عن المسؤولية الجنائية في التشريعات العربية. د. توفيق الشاوي ص ٣٢.



ولقد لخص «عودة» رحمه الله عيوب عقوبة الحبس بعدة نقاط مؤيدة بالأرقام الاحصائية فذكر منها<sup>(١)</sup> :

أولاً : ارهاق خزانة الدولة وتعطيل الإنتاج فلاشك أن الدولة سوف تتحمل نفقات كبيرة لإعداد السجون وصيانتها والعناية بها، ومع ذلك فلا يزال السجناء يعانون في كثير من الدول من قلة العناية والرعاية .

ثانياً : افساد المسجونين ويقول بهذا الصدد وكان من الممكن أن تتحمل الجماعة هذه الخسارة الكبيرة سنوياً - أى نفقات هذا السجن والسجناء لو كانت عقوبة الحبس تؤدي إلى إصلاح المسجونين، ولكنها في الواقع تؤدي بالصالح إلى الفساد وتزيد الفساد فساداً على فساد، فالسجن يجمع بين المجرم الذي ألف الاجرام وتمرس بأساليبه، وبين المجرم المتخصص في نوع من الاجرام وبين المجرم العادي، كما يضم السجن أشخاصاً ليسوا بمجرمين حقيقيين، وإنما جعلهم القانون مجرمين اعتباراً كالمحكوم عليهم في حمل الأسلحة أو لعدم زراعة نسبة معينة من القمح والشعير، وكالمحكوم عليهم في جرائم الخطأ والاهمال، إلى آخر ما ذكره رحمه الله . فحاصل ما ذكر أن السجن أصبح مدرسة اجرامية يلقن فيها المجرمون العتاة والمعتادون المبتدئين من المجرمين .

إلى أن قال : ولقد دلت المشاهدات على أن الرجل يدخل السجن لأمر لا يعتبره العرف جريمة كضبط قطعة سلاح معه، وكان المعروف عنه قبل دخوله السجن أنه يكره المجرمين ويأنف أن يكون منهم، فإذا خرج من السجن حُبب إليه الاجرام واحترافه بل صار يتباهى به إلى آخر ما ذكر، وهو كلام جيد مدعم بالإحصائيات فيحسن الرجوع إليه .

ثالثاً : قتل الشعور بالمسئولية : وعقوبة الحبس فوق أنها غير رادعة فإنها تؤدي إلى قتل الشعور بالمسئولية في نفوس المجرمين، وتحبب إليهم التعطل، خاصة من يقضى منهم مدة طويلة في السجن .

رابعاً : انعدام قوة الردع : ان عقوبة الحبس قد فرضت على أساس أنها عقوبة رادعة ولكن الواقع قد أثبت أنها لا فائدة منها ولا أثر لها في نفوس المجرمين، فالذين يعاقبون بالاشغال الشاقة وهي أقصى أنواع الحبس لا يكادون يخرجون من السجن حتى يعودوا لارتكاب الجرائم، ولو كانت العقوبة رادعة لما عادوا، لما عوقبوا عليه بهذه السرعة ثم ذكر إحصائيات تدعم ذلك .

(١) نقلتها من التشريع الجنائي ج ١ من الصفحة ٧٣٢-٧٤٠. ملخصة بشيء من التصرف.

ومن الطريف ما ذكره بعض الكتاب أنهم في أمريكا قاموا بعرض أفلام على السجناء عن بعض المجرمين وكيف كانت نهايتهم المحزنة، وأن الجريمة لم تجرهم إلا إلى الخيبة والفشل، ثم استطلعوا آراء السجناء ليعرفوا مدى تأثيرهم بهذه الأفلام وتأثيرها في سلوكهم، وكان الباحثون يتوقعون أن يعتبر السجناء بمصير المجرمين ويتعظوا، ولكن الذي حصل هو أن السجناء كانوا يركزون على البحث في نقاط الضعف في الخطط التي سلكها المجرمون، ويركزون على الأخطاء التي صدرت عنهم، وكانت سببا في القبض عليهم، فكانوا يقولون لو أن المجرم عمل كذا لنجا، ولو أنه لم يعمل كذا لما قبض عليه وهكذا، مما يدل على تأصل الروح الاجرامية في هؤلاء، وأن السجن لم يزددهم إلا اعتوا وتمردا، مصادقا لما ذكره عودة رحمه الله .

خامسا : ازدياد سلطان المجرمين بعد خروجهم من السجن وتمردهم على المجتمع .

سادسا : انخفاض المستوى الصحي والأخلاقي نظرا لأن السجن ثابتة المساحة .

بينما السجناء يزداد عددهم يوما بعد يوم، وبالتالي ينخفض مستوى الخدمات التي تقدم لهم .

سابعا : ازدياد الجرائم : وقد وضعت عقوبة الحبس على اختلاف أنواعها لمحاربة الجريمة ولكن الإحصائيات التي لا تكذب تدل على أن الجرائم تزداد عاما بعد عام زيادة تسترعى النظر وتبعث على التفكير الطويل ثم أورد الإحصائيات الرسمية التي تؤيد ذلك .

ثامنا : وأمرهم أغفله «عودة» رحمه الله ألا وهو وضع عوائل المسجونين . من ينفق عليها، ومن يقوم بشأنها، ومن يتولى تصريف شئونها وتدير أمورها، من يغمر صغارهم بالعطف والمودة، لاشك أن أسرة السجين سوف تتعرض للضياع، وربما لحقت بوليها في ركاب الاجرام نتيجة الانحراف الذي ينجرف بها إلى الاجرام، وبسبب الحاجة الماسة وانعدام الشفقة والعطف، وربما قيل إن المجرم وجوده كعدمه في الأسرة . بل قد يكون وجوده وبالا عليها وسببا في ضلالها وانحرافها إن كان وليا لها أو مجرد فرد من أفرادها ربما قيل ذلك .

ولكننا نقول أولا إن أكثر المسجونين والعدد الأكبر منهم ليسوا مجرمين بمعنى الكلمة كما ذكر «عودة» رحمه الله، وليست قضاياهم بالقضايا الاجرامية الخطيرة، بل قد لا تكون جريمة على الاطلاق، ولكنها مخالفة بسيطة وبالتالي فلا خوف على السجين لأنه ليس مجرما .

ثانيا : إن المجرم مهما كان متهاديا في الأجرام فإنه أولى برعاية أسرته وهو أشفق عليها

وأرحم بها من غيره، كما أن الحيوانات المتوحشة تعطف على أبنائها وتربيتهم رغم ما فيها من القسوة والوحشية، وكذلك هذا الإنسان المجرم اللهم إلا في الجرائم الخطيرة جداً وهي قليلة نادرة فقد تقتضى المصلحة عزل المجرم وابعاده عن أسرته لألا يفسدها وهذا نادر .

فمن هذه الوقفة يتبين لنا كيف أن العقوبات الإسلامية هي أفضل بكثير من العقوبات الوضعية التي تتمثل أكثر مما تتمثل بالسجن المؤقت أو المؤبد والذي ذكرنا شيئاً من مساؤه وعيوبه فالعقوبات الإسلامية أفضل في حق المجرم وفي حق المجتمع .

### الوقفة الثانية :

هؤلاء الذين يزعمون أن العقوبات الإسلامية قاسية هل درسوها حقيقة وعرفوا الجرائم الشنيعة التي فرضت من أجلها هذه العقوبات، وهل أدركوا مدى تأثير هذه الجرائم على المجتمع وخطورتها عليه، ولو أنهم لاحظوا ذلك لما نسوا ببنت شفه . ومن ناحية أخرى هل درسوا أدلة الإثبات في هذه الجرائم وكيف أن أدلة الإثبات متناسبة مع العقوبة ومع الجريمة فكما أن العقوبة مشددة فإن أدلة الإثبات كذلك مشددة فيها، وهناك شروط متعددة ودقيقة ولا بد من توافرها في المجرم والجريمة كي توقع العقوبة على المتهم .

إن أغلب الظن أن هؤلاء المتهجمين على العقوبات الشرعية يسمعون بها مجرد سماع دون أن يدرسوها دراسة متأنية منصفة متجردة، والا لو فعلوا ذلك لما وسعهم إلا الأكابر لهذه الشريعة في أحكامها العادلة .

### الوقفة الثالثة :

لماذا هؤلاء دائماً في صف المجرم، ولا يرد في تصورهم إلا المجرم وهو تحت العقوبة جلدأً أو قطعاً أو قتلاً، ولا يرد في تصورهم مطلقاً ذلك الضحية المسكين، الذي اعتدى عليه بغير حق، فجرح أو فقتت عينه أو قتل ظلماً وعدواناً، أليس المعتدى عليه أولى بالعطف والشفقة والرحمة من ذلك المجرم .

### الوقفة الرابعة :

إن العقوبات الشرعية التي تبدوا شديدة لا تخرج عن حالتين :

الحالة الأولى : القصاص حيث يجرح من جرح قصاصاً، وتفقأ عينه قصاصاً إذا فقأ عين غيره عمداً أو جرحه عمداً . ويقتل من قتل قصاصاً، إذا قتل على وجه العمد، ولا يمكن أن يعترض حكيم أو عاقل منصف على هذه النظرية، نظرية القصاص حيث يعاقب

المجرم بنفس الطريقة التي ارتكبها مع الضحية ما أمكن ذلك، إلا في الحالات التي لا يمكن تنفيذ القصاص فيها، أو أن القصاص يؤدي إلى مفسدة. فيما عدا ذلك فالقصاص هو الأصل ولا يعترض عليه أو ينتقده إلا مغفل أو مغرض. هذه حاله.

**الحالة الثانية :** أن تكون العقوبة التي تبدو شديدة حداً، والعقوبات الحديه التي قد تكون شديدة لا تزيد عن ثلاث : عقوبة الزاني المحصن رجماً، والمحارب قاطع الطريق، بقطعه من خلاف، يده اليمنى، ورجله اليسرى والسارق بقطع يده اليمنى، وهذه الجرائم لا يمكن بحال من الأحوال أن تعالج إلا بهذه العقوبات، هذا أمر، والأمر الثاني أن من ينظر في هذه الحدود الثلاثة وطرق إثباتها يلاحظ أنها لا تثبت إلا عن طريقين فقط.

**الطريق الأولى :** طريقة الاعتراف الصحيح، الخالي من الموانع، الصادر من عاقل بالغ، وفي حالة معتبرة شرعاً، دون اكراه أو ضرورة، وأن يثبت على إقراره حتى يتم تنفيذ العقوبة فيه، وله الحق أن يرجع عن إقراره ولو بعد الشروع في معاقبته.

فأي شدة أو قسوة في ذلك؟ إذا كان إنسان عاقل بالغ مدرك يختار عقوبته بنفسه ويعلم أنه سوف يرحم أو تقطع يده أو يجلد إذا أصر على إقراره واستمر فيه، فما ذنب الحاكم في ذلك، إذا كان هذا المتهم مؤمن ومعتقد بأنه سوف يقدم على ربه، ويعتبر تحمل هذه العقوبة من باب التوبة الصادقة مع العلم بأنه لا يجوز التحايل لأخذ الإقرار في الحدود، بل القاعدة على العكس حيث يستحب تلقين المتهم ما يصرفه عن الاعتراف الصريح.

**الطريقة الثانية :** أن تثبت هذه الحدود عن طريق الشهادة، وانها الطريق صعبة، ومسلك وعمر، فقد وضعت شروط دقيقة عديدة، قل أن تتوفر، خاصة بالنسبة للزنا، فهناك شروط في الشاهد، وهناك شروط في الشهادة وشروط في الاحصان، وشروط في الزنا، ومن النادر جداً أن تتوفر هذه الشروط في قضية من القضايا<sup>(١)</sup>.

ولقد سألنا من نعرف من العلماء والباحثين عما إذا كانوا يعرفون واقعة زنا ثبتت في عصر من العصور بالشهادة، فلم نجد عندهم جواباً، مما يدل على أن هذا الأمر نادر جداً، فهذه العقوبات والله أعلم هي للتهويل والتخويف، والتهيب للمجرمين، أكثر مما يراد بها ايقاعها بهم. فالمجرم لاشك أنه إذا علم بهذه العقوبة الشديدة، سوف يتصور أنها ربما أوقعت به، ولا يزال في ذهنه شيء من الاحتمال مهما كان قليلاً، وهذا التصور وهذا الاحتمال له دور كبير في صرف المجرم عن جريمته، ولفت نظره لاعادة الحساب. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) ذكر صاحب المغنى أنه حصل في عهد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله واقعة زنا ثبتت بالشهادة وذلك في الجزء السابع ص ١٦٣ في كتاب الفرائض.

## الوقفة الخامسة :

لننظر في نتائج وآثار العقوبات الإسلامية في المجتمع الإسلامي ، وآثار العقوبات الوضعية في المجتمعات الأخرى .

لقد كانت آثار هذه العقوبات التي يزعمون أنها قاسية ، لقد كانت آثارها الاستقرار والأمن الذي لا يتصور، فلا تكاد تحدث جريمة ، فاطمأن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وانصرفوا إلى العمل والإنتاج والإصلاح حتى إن الرجل ليرك متاعه في الطريق دون أن يتعرض له أحد بسوء، وينقل لنا الأستاذ أبو الحسن الندوي انطباعات الأستاذ محمد أسد، وهو من النمسا عندما زار دمشق في أول القرن العشرين الميلادي ، ويوم كانت دمشق تعيش تحت ظل الخلافة العثمانية، على ما كان فيها من تقصير واهمال يقول : (وقفت على ذلك الاستقرار الروحي في حياة سكانها، إن أمنهم الباطني كان يمكن أن يرى في الطريقة التي كان أحدهم يتصرف بها نحو الآخر، ثم يسترسل فيقول : وفي الطريقة التي كان أصحاب الدكاكين يعاملون بعضهم بعضا، أولئك التجار في الحوانيت الصغيرة الذين كانوا يبدوون وكأنهم ليس فيهم أيما قدر من الخوف أو الحسد، حتى إن صاحب دكان فيهم ليرك دكانه في عهدة جاره ومزاحمه، كل ما دعت حاجته إلى التغييب بعض الوقت، وما أكثر ما رأيت زبوناً يقف أمام دكان غاب صاحبه عنه، يتساءل فيما بينه وبين نفسه، ما إذا كان ينتظر عودة البائع أو ينتقل إلى الدكان المجاور، فيتقدم التاجر المجاور دائماً «التاجر المزاحم»، ويسأل الزبون عن حاجته ويبيعه ما يطلب من البضاعة، لا بضاعته هو بل بضاعة جاره الغائب، ويترك له الثمن على مقعده، أين في أوروبا يستطيع المرء أن يشاهد مثل هذه الصفة. هذه صورة<sup>(١)</sup> .

أما الصورة الثانية : فينقلها لنا الأستاذ عبد القادر عودة رحمه الله ، وهو يشير إلى ازدياد الجرائم في المجتمع المصري ، بسبب عدم تطبيق التشريعات الإسلامية، مقارنة بين المجتمع المصري والمجتمع السعودي في ظل الإسلام، فيقول إن الحالة الاقتصادية مهما قيل فيها لا تكون سبباً في ازدياد الجرائم، مادامت العقوبة رادعة، وليس أدل على صحة هذا القول من الحالة في الحجاز، فلا شك أن الحالة الاقتصادية والاجتماعية في مصر أفضل منها في الحجاز، ومع ذلك فقد قلت الجرائم في الحجاز وازدادت في مصر وانتشر الأمن هناك واختل هنا . ولقد كان الحجاز في يوم ما مضرب الأمثال في اختلال الامن والنظام، والجرأة على

(١) من نهر كابل إلى نهر اليرموك أبو الحسن الندوي ص ١٥٥ .

ارتكاب الجرائم وترويع الأمنيين، والحجاج المسافرين، وقطع الطريق عليهم لنهب مالهم ومتاعهم، ولعل الحالة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز الآن ليست خيراً منها يوم كان الفساد مستشرياً في الحجاز، والفرق بين الحجاز قديماً وحديثاً، هونفس الفرق بين مصر والحجاز اليوم، هو وجود العقوبة الرادعة في الحجاز الآن، وانعدامها قديماً، وهو كذلك انعدام هذه العقوبة في مصر اليوم، فهذه العقوبة الرادعة في ظل الشريعة الإسلامية هي التي وطدت الأمن في الحجاز، وقضت على السلب والنهب وقطع الطريق، وجعلت الأمن فيه مضرب الأمثال، فلا يسقط من مسافر شيء إلا وجده في دار الشرطة، ولا يضيع لأحد شيء إلا رد إليه حيث كان، ولولم يبلغ بضياعه مادام مع المال ما يدل على اسم صاحبه<sup>(١)</sup> وهذا ما نعيشه الآن في هذه البلاد والحمد لله حيث أن الإنسان دائماً - إلا في حالات نادرة - مطمئن على متاعه وعلى أمواله يتركها غالباً دون ما حراسة تذكر ودون اهتمام بها فيوفر المجتمع بذلك طاقات كبيرة وجهوداً كثيرة بينها الدول الأخرى كما هو معروف، حيث نقرأ يومياً عن الجرائم البشعة التي لا تتصور، حيث تدهم البيوت والمؤسسات المالية ويهجم على المصارف ويختطف التجار والسياسيون، أو أبناءؤهم ولا يطلقون إلا مقابل فدية مالية كبيرة، وتختطف الطائرات أما لأغراض سياسية أو لأغراض إجرامية بحتة، وأصبح الناس في كثير من الدول التي تزعم أنها متطورة ومتقدمة وفي قمة الحضارة، أصبح الناس يجذرون من التجول بعد غروب الشمس، وهذا الأستاذ محمد قطب يذكر في إحدى محاضراته أنه في سان فرنسيسكو حدثه أكثر من شخص وأنه قرأ في الصحف كذلك، أن الإنسان لا يملك أن يخرج وحده في هذه المدينة بعد غروب الشمس، ويقول : كنت في زيارة قصيرة لمدينة صغيرة في فلاديفيا مدينة أشبه بالمدن الريفية وهي بالنسبة لمدننا كبيرة ولكنها بالنسبة للمدن الأمريكية صغيرة جداً، وجاء الغروب فحدثتنا أنفسنا أن نخرج قليلاً للتنزه، فقال لنا المقيمون هناك، احذروا، لا تستطيعون أن تخرجوا، قلنا لماذا، قالوا بسبب العصابات، حيث إنها تبدأ عملها بعد غروب الشمس، قتلاً وخطفاً وسرقة<sup>(٢)</sup>.

وهذه دولة من الدول الحديثة، المتقدمة صناعياً، وهي المانيا، تقول عنها إحدى الجرائد اليومية، أنه في تقرير نشر عنها أظهر أن لصوص المانيا الغربية يحافظون على سمعة مواطنيهم، بوصفهم شعباً عرف بتفانيه في العمل، فقد أوضح التقرير أن هؤلاء اللصوص يرتكبون حادث سرقة كل دقيقة في شتى أنحاء البلاد، وتقدر لجنة غير حكومية قيمة

(١) التشريع الجنائي ج ١ ص ٧٤٠.

(٢) من محاضرة ألقاها الأستاذ محمد قطب في كلية الشريعة بجامعة قطر في أول عام ١٤٠١هـ.

الممتلكات التي تتعرض للفقء أو الاتلاف نتيجة للسرقاء بثلاثة آلاف مليون مارك فى العام الواحد، وقد طالبت اللجنة المواطنين الذين يقضون عطلاتهم خارج مساكنهم بتأمين منازلهم بواسطة الأقفال والسلاسل، أو أجهزة الانذار<sup>(١)</sup>.

ولم يزل الاجرام يفتك بالدول الغربية وغيرها حتى أصبح المجرمون لهم مراكز خطيرة، وكلمة نافذة، بل أصبح لهم مؤسسات رسمية أو شبه رسمية، تحميهم وتدافع عنهم، حتى صاروا كما يقال حكومات داخل الحكومات. ويقول الأستاذ عودة رحمه الله فى هذا الصدد، وهو يتحدث عن سلطان المجرمين، ومن المجرمين من يغادر السجن ليعيش عالية على الجماعة، يستغل جريمته السابقة لآخافة الناس وارهابهم، وابتزاز أموالهم، ويعيش على هذا السلطان الموهوم وهذا المال المحرم، دون أن يفكر فى حياة العمل الشريف والكسب الحلال، وقد أصبح سلطان هؤلاء المجرمين على السكان الأمنين، يزاحم سلطان الحكومات، بل أصبح المجرمون فى الواقع أصحاب الكلمة النافذة، والأمر المطاع، ومن الوقائع التى اعرفها ويعرفها غيرى أن رجال الإدارة يستعينون بالمجرمين أيام الانتخابات العامة، ليوجهوا الناخبين المتمسكين بحزبيتهم، وجهات معينة بعد أن يعجزوا هم عن هذا التوجيه.

وقد أدى هذا المركز الخطير، إلى زيادة المجرمين الشباب الذين يتطلعون بدافع من طموحهم إلى نوال كل مركز ممتاز كما أدى إلى قلب الموازين والأوضاع، فبعد أن كانت الجريمة عارا وذلا فى القديم، أصبحت اليوم مدعاة للتباهى والتفاخر، وبعد أن كان المجرم يطرد ذليلا مهانا، أصبح اليوم عزيز الجانب مسموع الكلمة نافذ السلطان<sup>(٢)</sup>.

فهذه هى بعض آثار العقوبات الوضعية فى المجتمعات الغربية ليست إلا خوفا واضطرابا ورعبا وزيادة مضطردة فى عدد الجرائم وأساليبها وأنواعها.

وتلك بعض آثار العقوبات الشرعية ونتائجها فى المجتمع الإسلامى قديما وحديثا، أمن واستقرار واطمئنان وانخفاض فى نسبة الجرائم، فأى الفريقين أحق بالأمن، وأى الفريقين أحق بالفخر والاعتزاز، فليصفوا العقوبات الشرعية بما شأوا من الأقاويل، وليتهجموا مادامت تلك آثارها وهذه نتائجها.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

(١) جريدة الرياض العدد ١٣٣٣ الصادر بتاريخ ١٣٩٦/٥/٦ هـ.

(٢) التشريع الجنائى ٧٣٧/١.

# الإمدادُ بأحكامِ الحدادِ

- ٢ -  
لِلدُّكْتُورِ فَيْحَاهُ سَيَّالِي الطَّبْرِي  
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

## الفصل الخامس في زمن الإحداد

عرفت آنفاً أقسام الإحداد من حيث الجملة وأنها قسمان جائز وغير جائز وأن كل منهما ينقسم إلى قسمين إذا تقرر هذا فأعلم أن كلامنا هنا خاصُّ بزمن الإحداد والجائز في شريعتنا إذ أننا مطالبون بما فيها من أحكام فنقول : الحداد الجائز على ضربين . على ما بينا قريباً ، حداد على القريب الميت غير الزوج وحداد على الزوج وطبقاً لهذا التقسيم يكون الكلام في المدة الزمنية اللازمة للإحداد .

وقد رأيت أن أجعل هذا الفصل مبنياً على مبحثين . المبحث الأول زمن الإحداد على القريب الميت غير الزوج ، المبحث الثاني زمن الحداد على الزوج الميت .

### المبحث الأول : زمن الحداد على القريب الميت :

إعلم أن الحداد على القريب الميت هو ابتعاد المرأة عن كل مظاهر الزينة التي يدعو فعلها إلى الفرح والسرور ويتنافى مع مظاهر الحزن من المرأة على ذلك الميت . ومن المعلوم أن الشريعة الإسلامية قد رسمت الطريق الذي ينبغي أن تسلكه المرأة عند فقد قريبها وبينت المدة اللازمة للإحداد والتي لا ينبغي تجاوزها وقد رعت الشريعة في ذلك حق المرأة وحق القريب على حد قوله « لا ضرر ولا ضرار » ومقدار هذه المدة ثلاثة أيام بلياليها يوضحه قوله ﷺ : « لا يحل لامرأة أن تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » .

فقوله : « فوق ثلاث » يفيد جواز الثلاث فما دونها وعدم جواز الزيادة عليها إلا فيما دل عليه الاستثناء . قال ابن حجر في الفتح بعد ما ذكر الحديث : ( واستدل به على جواز الإحداد على غير الزوج من قريب ونحوه ثلاث ليال فما دونها وتحريمه فيما زاد عليه وكأن هذا



القدر أبيض لأجل حظ النفس ومراعاتها وغلبة الطباع البشرية ولهذا تناولت أم حبيبة وزينب بنت جحش رضى الله عنهما الطيب لتخرجا عن عهدة الإحداد وصرحت كل منهما بأنها لم تطيب لحاجة إشارة إلى أن آثار الحزن باقية عندهما، لكنهما لا يسعهما إلا إمتثال الأمر<sup>(١)</sup>.

وهذا الذى ذكره ابن حجر رحمه الله وما دلت عليه الأحاديث الصحيحة الصريحة الثابتة عن رسول الله ﷺ والتي تفيد بمنطوقها ومفهومها أن الحد الأعلى فى حق المرأة للإحداد على قريبها الميت هو ثلاثة أيام بلياليها .

وقد ذكر أبو داود فى المراسيل باسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده حديثا يعارض ظاهره هذه الأحاديث ونصه : ( أن النبى ﷺ رخص للمرأة أن تحد على أبيها سبعة أيام وعلى من سواه ثلاثة أيام)<sup>(٢)</sup>. والجواب عن الاستدلال بهذا الحديث من وجهين :

( أ ) إنه ضعيف لا تقوم به حجة لكونه مرسل قال فإن عمرو بن شعيب لم يكن من الصحابة بل ولا من التابعين، والمرسل فى ضعف الاحتجاج به إنما يكون من التابعين فإذا كان الأمر كذلك فلا تعارض به الأحاديث الصحيحة .

(ب) لو سلمنا بصحته وسلامة الاستدلال به لم نسلم بمعارضته للأحاديث الصحيحة بل نقول هو مخصص للأب من عمومها فتحده ابنته عليه سبعة أيام بلياليها على ما هو مبين فى الحديث ويبقى ما عداه من الأقارب على العموم الوارد فى الأحاديث والذى يتعين اتباعه والمصير إليه هو ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة التى تم ثبوتها قريبا أكثر من مرة .

## المبحث الثانى : زمن الإحداد على الزوج الميت

زمن الإحداد على الزوج الميت هو زمن العدة ولهذا نستعرض بشىء من التفصيل لعدة المتوفى عنها زوجها لما بين الأمرين من العلاقة ليتضح المراد وبالتالى نخلص لمعرفة زمن الإحداد .

والمعتدة من الوفاة لا يخلو إما أن تكون حائلا أو حاملا .

والحائلا لا يخلو إما أن تكون ممن تحيض أو يئست من الحيض أو صغيرة لم يأتها الحيض بعد وطبقا لهذا التقسيم فقد ضمنت هذا المبحث المطالب التالية :

(١) فتح البارى ج ٩ ص ٤٨٧ .

(٢) نيل الأوطار ج ٦ ص ٣٣١ .

## المطلب الأول : عدة غير ذات الحمل :

غير ذات الحمل وهي الحائض التي عرفت براءة رحمها أما بالحيض أو لكونها آتسة أو صغيرة لم تحض وقد أجمع أهل العلم من عصر الصحابة رضى الله عنهم إلى يومنا هذا على أن عدة المرأة المتوفى عنها زوجها غير ذات الحمل أربعة أشهر وعشرا سواء كانت صغيرة أو كبيرة . مدخولا بها أو غير مدخول بها وهذا هو الزمن اللازم للإحداد فإذا انقضت عدتها بتمام هذه المدة انقضى الإحداد بانقضائها وإنما أجمع أهل العلم على ذلك لما جاء في الكتاب والسنة . فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا﴾ . ومن السنة قوله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا» . متفق عليه<sup>(١)</sup> . فهذا الكتاب والسنة قد اتفقا على بيان الظرف الزمنى الذى يجب أن تتربصه المعتدة من الوفاة ولا تحل قبله للأزواج وهو الظرف الزمنى للإحداد إذ أن العدة والإحداد شقيقان فى هذا الباب فإن قيل هذا النص عام شامل لكل معتدة من الوفاة فتكون عدتها أربعة أشهر وعشرا من غير تخصيص قيل ليس الأمر كذلك لأننا نقول إن هذا النص فى المعتدات من الوفاة غير الحوامل والشرع شاهد بذلك فإن الله تعالى أخرج من عموم هذا النص الحامل المعتدة من الوفاة فإن عدتها تنقضى بوضع حملها وبالتالي يزول عنها حكم الإحداد .

## تنبيهان :

**التنبيه الأول :** لو قيل هذا الحكم خاص بالمدخول بها بمعنى أن المدخول بها هي التى تتربص أربعة أشهر وعشرا بدليل أن الله تعالى خصها من عموم قوله تعالى : ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه :

( أ ) أن الله تعالى خص المطلقة قبل الدخول من عموم آية البقرة فلم يوجب عليها عدة وذلك بآية الأحزاب وهي قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾<sup>(٢)</sup> .

وليس الأمر كذلك فى المتوفى عنها قبل الدخول فهي داخلة فى العموم وليس ثمة ما يخرجها ولا يجوز اخراجها إلا بدليل ولا دليل .

(ب) قد ورد فى السنة ما يفيد صراحة وجوب العدة على غير المدخول بها المتوفى عنها

(١) المغنى ج ٧ ص ٤٧٠ .

(٢) سورة الأحزاب «٤٩» .

زوجها وذلك أن عبد الله بن مسعود (أتى بامرأة تزوجها رجل ثم مات عنها ولم يفرض لها صداقا) ولم يكن دخل بها قال فاختلفوا إليه فقال : أرى لها مثل مهر نسائها ولها الميراث وعليها العدة فشهد معقل بن سنان الاشجعي أن النبي ﷺ قضى في برّوع ابنة واشق بمثل ما قضى). رواه الأربعة وصححه الترمذى (١).

فهذا الحديث نص على إيجاب العدة على غير المدخول بها وبهذا لا يكون للاعتراض حظّ من النظر .

(ج) لو سلمنا بعدم النص وأن المعتدة من الوفاة غير المدخول بها مخصصة من عموم آية البقرة وذلك بالقياس على المطلقة قبل المدخول لم نسلم بهذا التخصيص وذلك لأمرين : أحدهما : أن النكاح عقد عمر فإذا مات أحد الزوجين انتهى والشىء إذا انتهى تقرر أحكامه كتقرر أحكام الصيام بدخول الليل وأحكام الاجارة بانقضائها والعدة من أحكامه . ثانيهما : أن المطلقة إذا أتت بولد يمكن للزوج تكذيبها ونفيه باللعان وهذا ممتنع في حق الميت فلا يؤمن أن تأتي بولد فيلحق الميت نسبه وما له من ينفيه فاحتطنا بإيجاب العدة عليها لحفظها عن التصرف والميت في غير منزلها حفظا لها (٢).

**التنبية الثانى :** فإن قيل قد ورد في الأثر عند أحمد وابن حبان والطحاوى من حديث اسماء بنت عميس قالت : (دخل على رسول الله ﷺ اليوم الثالث من قتل جعفر بن أبى طالب . فقال لا تحدى بعد يومك) هذا لفظ أحمد . وفي رواية له ولا بن حبان والطحاوى لما أصيب جعفر أتانا النبي ﷺ تسلى ثلاثا ثم اصنعي ما شئت (٣).

قال العراقى فى شرح جامع الترمذى : (ظاهره أنه لا يجب الإحداد على المتوفى عنها بعد اليوم الثالث لأن اسماء بنت عميس كانت زوج جعفر بن أبى طالب بالاتفاق وهى والدة أولاده عبد الله ومحمد وعوف وغيرهم قال بل ظاهر النهى أن الإحداد لا يجوز (٤).

قيل الجواب عن هذا الاعتراض من وجوه :

**الوجه الأول :** ما ذكره العراقى نفسه بأن هذا الحديث شاذ ومخالف للأحاديث الصحيحة وقد اجمعوا على خلافه . قال ويحتمل أن يقال إن جعفر قتل شهيدا والشهداء

(١) سنن أبى داود ج٢ ص ٥٨٨ . جامع الترمذى ج٥ ص ١١٤ . سنن النسائى ج٦ ص ١٢١ . سنن ابن ماجه ج١ ص ١٨٩ .

(٢) المغنى ج٧ ص ٤٧٠ وما بعدها .

(٣) فتح البارى ج٩ ص ٤٨٧ .

(٤) فتح البارى ج٩ ص ٤٨٧ .

أحياء عند ربهم . قال وهذا ضعيف لأنه لم يرد في غير جعفر من الشهداء ممن قطع بأنهم شهداء كما قطع بجعفر كحمزه بن عبد المطلب وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر<sup>(١)</sup> .

فأنت ترى أنه حكم على الحديث بالشذوذ وحديث الشاذ ضعيف لا تقوم به حجة .

**الوجه الثاني :** ما ذكره الطحاوى من أن هذا الحديث منسوخ وأن الإحداد كان على المعتدة كذلك في وقت ثم أمرت بالإحداد أربعة أشهر وعشرا<sup>(٢)</sup> .

وان كانت هذه دعوى بلا دليل إذ أن النسخ لا يكون إلا بمعرفة التاريخ وهو تقدم المنسوخ وتأخر الناسخ إلا أن احتمال النسخ وارد هنا لأن حديث اسماء هذا متقدم في الغالب على أحاديث الإحداد الأخرى . فإن حديث اسماء هذا في غزوة موته وهى في السنة الثامنة من الهجرة والنبي الكريم توفى في السنة الحادية عشرة لكن دعوى النسخ لا تثبت بالاحتمال .

**الوجه الثالث :** هو أن المراد بالإحداد والمقيد بالثلاث قدرا زائدا على الإحداد المعروف فعلته اسماء مبالغة في حزنها على جعفر فنهاها عن ذلك بعد الثلاث .

**الوجه الرابع :** هو أن اسماء كانت حاملا فوضعت بعد ثلاث فانقضت العدة فنهاها بعدها عن الإحداد ولا يمنع ذلك قوله في الرواية الأخرى .

**الوجه الخامس :** يحتمل أنه ﷺ علم أن عدتها تنقضى عند الثلاث فأمرها بهذا الأمر .

**الوجه السادس :** يحتمل أن جعفر قد أبانها بالطلاق قبل استشهاده فلم يكن عليها إحداد .

**الوجه السابع :** ما ذكره البيهقى من أن هذا الحديث منقطع وقال لم يثبت سماع عبد الله بن شداد من اسماء بنت عميس<sup>(٣)</sup> .

وَرَدَّ هذا بأنه تعليل مدفوع فقد صححه أحمد ومجابه منه بأن أحمد قال أنه (أى حديث اسماء) مخالف للأحاديث الصحيحة في الإحداد قال ابن حجر في الفتح (وهو مصير منه إلى أنه يعله بالشذوذ وذكر الأشرم أن أحمد سئل عن حديث حنظلة عن سالم عن ابن عمر رفعه لا إحداد فوق ثلاث فقال هذا منكراً والمعروف عن ابن عمر من رأيه<sup>(٤)</sup> .

(١) فتح البارى ج ٩ ص ٤٨٤ .

(٢) شرح معانى الآثار للطحاوى ج ٣ ص ٧٥ .

(٣) (٤٠٣) تعليق بياض السنن الكبرى للبيهقى ج ٧ ص ٤٣٨ .

قال ابن حجر تعقيباً على كلام أحمد وهذا يحتمل أن يكون لغير المرأة المعتدة فلا نكارة فيه بخلاف حديث أسماء والله أعلم<sup>(١)</sup>.

هذا وبعد عرض ما تقدم تعلم أن الأوجه التي ذكرناها كلها محتملة اللهم إلا ما ذكره العراقي من اعلال الحديث بالشذوذ والذي ينبغي أن يعلم هو أن هذا الحديث على فرض صحته معارض لما هو أصح منه وأكثر شهرة ومن المعلوم أن الحديث الصحيح إذا تعارض مع ما هو أصح منه وتعدر الجمع قدم الأصح فإذا كان الحديث في الصحيحين ويعارضه حديث آخر في أحدهما قدم ما كان في الصحيحين والأمر كذلك فيما كان في صحيح البخاري ويعارضه حديث آخر في صحيح مسلم فإن ما كان في صحيح البخاري يقدم على ما كان في صحيح مسلم عند التعارض وعدم إمكان الجمع وما كان فيهما أو في أحدهما يقدم على غيره عند التعارض وعدم إمكان الجمع وهذا الحديث الذي نحن بصدد الكلام عنه على فرض صحته لم يكن في الصحيحين ولا في أحدهما بخلاف الأحاديث التي تعارضه فإنها صحيحة لا مطعن لأحد في صحتها لكونها في الصحيحين .

هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن المدة المعتبرة للعدة والإحداد في حق الحائض من النساء هي أربعة أشهر وعشراً ولا يشترط وجود الحيض في هذه المدة وإنما تنقضي عدة المعتدة المشار إليها وإتمام أربعة أشهر وعشراً لأن الأدلة التي تفيد هذا المعنى من الكتاب والسنة لم تجعل انقضاء عدتها منوطاً بشرط حيض ولا غيره وإنما الزمن الوحيد لانقضاء هذه المدة هو أربعة أشهر وعشراً ولأنه لو اعتبر الحيض في حقها لاعتبر ثلاثة قروء كالمطلقة<sup>(٢)</sup>.

والحاصل هو أن زمن الإحداد في حق المتوفى عنها زوجها غير الحبلى هو زمن العدة وزمن العدة في حقها أربعة أشهر وعشراً وإنما هو لكون الجنين يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم أربعين يوماً علقه ثم أربعين يوماً مضغاً فتلك مائة وعشرون يوماً وهي أربعة أشهر. وهذا منصوص عليه في حديث ابن مسعود الصحيح ولفظه (حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغاً مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى وسعيد... الحديث)<sup>(٣)</sup>.

(١) أنظر الفتح ج ٩ ص ٤٨٧ .

(٢) المغنى ج ٧ ص ٤٧١ .

(٣) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٠٣٦ .

فالحديث دليل على أن النفخ يكون بعد المدة المذكورة في الحديث وهي العشرة التي لم نذكرها هنا فأمرت المعتدة إلى تربص هذه المدة ليستبين الحبل إن كان ثمة حبل هذا ما يمكن أن يقال في هذا المقام وقبل أن نترك هذا المطلب يحسن أن نشير إلى مسألتين لهما علاقة بما نحن فيه .

**المسألة الأولى :** متى يبدأ الإحداد ؟ ، المسألة الثانية هل المعتبر لخروج المعتدة المتوفى عنها زوجها من عدتها الليالي أو الأيام في قوله عشرًا ؟ .

فنقول **المسألة الأولى** متى يبدأ الإحداد اختلف الفقهاء في تحديد الزمن الذي تبدأ فيه المعتدة عدتها وبالتالي إحدادها أهو من وقت موت الزوج أو من وقت علمها ؟ على قولين : **القول الأول للجمهور :** وهو أن عدة المتوفى عنها تبدأ من حين موت الزوج وهو زمن وجوب الإحداد عليها سواء علمت بذلك حين الوفاة أو لم تعلم إلا بعد ذلك ما لم تنقضى أربعة أشهر وعشرًا . فإذا انقضت قبل علمها فلا عدة عليها ولا إحداد وذلك لأن المقصود من العدة هو عدم التزوج وقد وجدوا أيضاً العاملة بالوفاة لومرت عليها أربعة أشهر ولم تحد خرجت من العدة اتفاقاً فكذا هنا<sup>(١)</sup> . فالعدة هي مضي المدة وذلك يتحقق بدون علمها فهي وعدة الطلاق سواء . غاية ما في الأمر أنها لم تفعل الإحداد ولكن ذلك لا يمنع من انقضاء العدة كما لو كانت عاملة بموت زوجها .

**القول الثاني :** عن على رضى الله عنه وهو أن العدة تبدأ من وقت علمها بالوفاة فعلى هذا لا تجب عليها العدة وكذلك الإحداد إلا إذا علمت بوفاة زوجها حتى ولو مرت على وفاته أربعة أشهر وعشرًا قبل علمها لم تنقضى عدتها لأن عليها الإحداد ولا يمكنها إقامته إلا بالعلم بموته<sup>(٢)</sup> . ولأن هذه العدة تجب بطريق العبادة فلا بد من علمها بالسبب لتكون مؤدية للعبادة .

ورد هذا بان العبادة تبع لا مقصود بدليل أن العدة تجب على الكتابية إذا كانت تحت مسلم وهي لا تخاطب بالعبادات .

وعندى أن العدة تجب عليها من وقت الوفاة لما بينا ولأن المقصود براءة الرحم وقد وجدت فلا مجال لايجاب العدة عليها بعد مرور المدة المنصوص عليها .

**المسألة الثانية :** هل المعتبر لخروج المعتدة المتوفى عنها زوجها من عدتها الليالي أو

(١) مواهب الجليل ج ٤ ص ١١٥٣ ، المهذب ج ٢ ص ١٨٦ ، المغنى ج ٧ ص ٤٧١ .

(٢) فتح القدير ج ٤ ص ٣١٣ .

الأيام في قوله عشراً؟ المدة المنصوص عليها التي تخرج بها المعتدة من عدتها والحال أنها متوفى عنها هي أربعة أشهر وعشراً وهذا لا خلاف فيه لأنه منصوص عليه وإنما اختلف الفقهاء في أمر واحد وهو الاحتمال الوارد في قوله عشراً فإنه يحتمل أن يكون المراد بذلك الأيام وأن يكون المراد بذلك الليالي ولهذا اختلف الفقهاء في ذلك على قولين :

**القول الأول للجمهور :** وهو أن المعتبر في ذلك الأيام مع الليالي لأن الاستعمال في مثل هذا من ذكر عدة الليالي يدخل ما بإزائها من الأيام على ما عرف بالتاريخ حيث يكتب بالليالي فيقال لسبع خلون مثلاً ويراد كون عدة الأيام كذلك<sup>(١)</sup>.

**القول الثاني :** للأوزاعي وعبد الله بن عمرو بن العاص وهو أن المعتبر في ذلك الليالي دون الأيام فلو تزوجت في يوم العاشر جاز وذلك أخذاً من التذكير<sup>(٢)</sup>. فإن جمع المؤنث يذكر وجمع المذكر يؤنث فيقال عشرة أيام وعشر ليالٍ والعدد المختلف هنا هو قوله عشراً فتذكيره دليل على أن المراد بذلك الليالي دون الأيام وهذا واضح من الكتاب والسنة . فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ .<sup>(٣)</sup> ومن السنة قوله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً» . كون المعدود الليالي وإلا لأنته .

والراجح عندي هو القول الأول صحيح أن العدد يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر إلا أن العرب تغلب اسم التأنيث في العدد خاصة على المذكر فتطلق لفظ الليالي وتريد الليالي بأيامها كما قال الله تعالى لذكرياً ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سوياً﴾<sup>(٤)</sup> يريد بأيامها بدليل أنه قال في موضع آخر ﴿آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً﴾ يريد بلياليها ولهذا لو قرر أحد اعتكاف العشر الأخير من رمضان لزمه الليالي والأيام معاً . ويقول القائل سرنا عشراً يريد الليالي بأيامها فلم يجوز نقلها عن العدد إلى الإباحة بالشك<sup>(٥)</sup> هذا إذا كانت عالمة بوفاته يقينا أما إذا شككت في وقت وفاته فإنها تعتد من الوقت الذي تستيقن فيه بموته لأن العدة يؤخذ فيها بالاحتياط والاحتياط هو الأخذ باليقين وفي الوقت المشكوك فيه لا يقين فلهذا لا تعتد إلا من الوقت المتيقن<sup>(٦)</sup>.

(١) فتح القدير ج ٤ ص ٣١٣ ، المغنى ج ٧ ص ٤٧١ .

(٢) فتح القدير ج ٤ ص ٣١٣ ، المغنى ج ٧ ص ٤٧١ ، المبسوط ج ٦ ص ٣١ .

(٣) سورة البقرة «٢٣٤» .

(٤) سورة آل عمران «٤١» .

(٥) المغنى ج ٧ ص ٤٧١ .

(٦) المبسوط ج ٦ ص ٣٩ .

## المطلب الثاني : في سبب وجوب الإحداد :

عرفت قريباً أن الفقهاء مختلفون في وجوب الإحداد على من يجب واختلافهم في الجملة راجع إلى أمرين : المعتدة من الوفاة، والمعتدة من طلاق بائن . فالحنفية يتوسعون في الإيجاب فيوجبون الحداد في الأمرين معاً أعنى المعتدة من الوفاة والمعتدة من الطلاق البائن بينونة الكبرى، والجمهور يضيقون دائرة الإيجاب فيجعلونه خاصاً بالوفاة وتبعاً لهذا الاختلاف يكون سبب الإيجاب .

فعند الحنفية ومن قال بقولهم يكون سببه الوفاة والبينونة الكبرى، وعند الجمهور يكون سببه الوفاة لا غير وإنما كان سبب الوفاة لما يأتي . في قوله تعالى ﴿والذين يتوفون ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ فالآية دليل على إيجاب العدة على المتوفى عنها زوجها ووجوب العدة عليها يستلزم إيجاب الإحداد وعدم إيجابه على غيرها بدليل قوله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله وباليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً » هذا من جهة ومن جهة أخرى فالعدة والإحداد يجبان اظهاراً للحزن بفوت النعمة وتعريفاً بقدرها والمراد بالنعمة هنا هي نعمة النكاح . إذ النكاح كان نعمة عظيمة في حقها فإن الزوج كان سبب صيانتها وعفافها وايفائها بالنفقة والكسوة والمسكن<sup>(١)</sup> . ولهذا كان لفراق الزوج أثر في نفسها فما كان من أمر الشارع إلا أن أوجب عليها للزوج حقوقاً اظهاراً للمصيبة بموته ومن تلك الحقوق العدة والإحداد هذا في المعتدة من الوفاة . وقد عرفت ما استدلل به فقهاء الحنفية لإيجاب الحداد على البائن وهو سبب وجوب عندهم .

## المطلب الثالث : في شرط وجوب عدة المتوفى عنها :

شرط وجوب العدة هو النكاح الصحيح فلا تجب على المنكوحة نكاحاً فاسداً ولا الموطوءة بالشبهة ولا الموطوءة بالزنا وإنما تجب على المتوفى عنها زوجها سواء كانت مدخولاً بها أو غير مدخولٍ بها وسواء كانت ممن تحيض أو ممن لا تحيض لعموم قوله عز وجل ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ ولما تقدم من أن

(١) بدائع الصنائع ج ٣ ص ١٩٢ .



العدة تجب اظهارا للحزن بفوت نعمة النكاح وقد وجد وأنها شرطنا النكاح الصحيح لأن الله تعالى أوجبها على الأزواج ولا يصير زوجاً حقيقة إلا بالنكاح الصحيح وسواء كانت مسلمة أو كتابية تحت مسلم لعموم النص ولوجود المعنى الذى وجبت من أجله وسواء كانت حرة أو أمة أو مدبرة أو مكاتبه فإنه لا يختلف أصل الحكم لأن ما وجبت له لا يختلف<sup>(١)</sup>. ولم أجد فى هذا كله خلافاً عند أهل العلم إلا ما كان من أمر الحنابلة من تفصيل فى ذلك يحسن ذكره وهو أن الرجل لومات عن امرأة نكاحها فاسد أن عليها عدة الوفاة وهو ما ذهب إليه القاضى من فقهاء الحنابلة وقد نص على ذلك أحمد فى رواية جعفر بن محمد واختارها أبو بكر وقد مها الأكثر لأنه نكاح يلحق بالنسب فوجبت به العدة كالصحيح وقال ابن حامد من الحنابلة لا عدة عليها للوفاة فى ذلك لأنه لا يثبت الحمل فلم يوجب العدة كالباطل<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم أن المنكوحه بنكاح باطل مجمع على بطلانه كنكاح القريبة من النسب ونكاح المحرمة بالمصاهرة أو الرضاع ونحو ذلك لا تجب عليها عدة الوفاة اجماعاً<sup>(٣)</sup>. لأن الفقهاء مختلفون فى وجوب عدة الوفاة على الموطوءة بشبهة وأكثرهم على عدم وجوبها فإذا كان الأمر كذلك فعدم الوجوب فى النكاح الباطل أولى هذا ويشكل على قول الفقهاء القائلين بعدم وجوب العدة على الموطوءة بنكاح فاسد الحكم بوجوب عدة الطلاق على المدخول بها إذ أنه لا فرق بينها وبين المطلقة فى هذا المعنى فالمطلقة إذا كانت ممن تحيض فعدتها ثلاثة قروء وإذا لم تكن كذلك فعدتها ثلاثة أشهر وهذه مثلها إذا حصلت الخلوة والاصابة وإن كان بعدها قبل الاصابة فالمنصوص عند الحنابلة أن عليها العدة أيضاً لأنه اجرى مجرى الصحيح فى حقوق النسب فكذا فى العدة<sup>(٤)</sup>. لكن يزول الاشكال إذا عرفنا أن عدة الوفاة إنما تجب على الزوجة دون غيرها وهو منصوص عليه فى الكتاب والسنة والمنكوحه بنكاح فاسد ليست بزوجة فى الحقيقة فلا تجب عليها عدة الوفاة وإنما وجبت عليها عدة الطلاق لما بينا من الدليل هذا فى العدة والأمر كذلك فى الإحداد والحنفية يستثنون الصغيرة والمجنونة والكتابية من ذلك فى حين أنهم يرون إيجاب العدة على الجميع وقد اسلفنا ما يتعلق بذلك قريباً .

(١) بدائع الصنائع ج ٣ ص ١٩٢، نهاية المحتاج ج ٧ ص ١٢٦، شرح الخرشى ج ٤ ص ١٤٣ .

(٢) المبدع ج ٨ ص ١١٥ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

## المطلب الرابع : في وجوب الحداد على المطلقة إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها من الطلاق :

المطلقة لا تخلو من أحد أمرين أما أن تكون رجعية أو بائنا والبائن لا تخلو من أن يكون طلاقها في صحة الزوج وإما أن يكون في حالة مرضه وطبقا لهذا التقسيم يكون الكلام في هذا المطلب ولهذا فقد رأيت أن يكون البحث في جانبين . أحدهما متفق عليه والآخر مختلف فيه .

فأما المتفق عليه فهو قسمان :

( أ ) الطلاق الرجعي .

(ب) البينونة في حالة الصحة .

وأما المختلف فيه فهو البينونة في حالة المرض وإليك تحرير المقام والله المستعان .

القسم الأول : من الجانب الأول عدة الرجعية إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها لا خلاف بين أئمة الفتوى في أن الرجعية إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها من الطلاق تنتقل من عدة الطلاق إلى عدة الوفاة فيكون ابتداء عدتها من حين وفاة زوجها ولا تعتد بالزمن الذي مضى قبل وفاته والحكم في الإحداد هو نفسه لأنه لا يوجد بوجود العدة وينعدم بعدمها وإنما قلنا بذلك لما يأتي :

(١) أن النكاح قائم بينهما بعد الطلاق الرجعي فكان منتهيا بالموت وبانتهاء النكاح بالموت يلزمها عدة الوفاة .

(٢) أن العدة بعد الطلاق الرجعي تكون بالحيض وهي لا يزول الملك بها إلا بعد تمامها وقد زال بالموت فعليها العدة التي هي من حقوق النكاح وهي عدة الوفاة<sup>(١)</sup> .

(٣) أن الرجعية زوجة يلحقها طلاقه وينالها ميراثه فتعتد للوفاة كغير المطلقة إذ الطلاق الرجعي لا يوجب زوال الزوجية وإنما تزول بالموت أو بالبينونة أو بخروج الرجعية من عدتها ومن المعلوم أن موت الزوج يوجب على زوجته عدة الوفاة لما بينا أكثر من مرة فوجب عدة الوفاة على الزوجة بعد الطلاق الرجعي لا يختلف عنه قبله ولهذا كله قال ابن المنذر أجمع كل من تحفظ عنه من أهل العلم على ذلك<sup>(٢)</sup> . وهو كما قال فإنني لم أجد خلافا بين أهل

(١) المبسوط ج ٦ ص ٣٩ ، مغنى المحتاج ج ٣ ص ٣٩٦ ، نهاية المحتاج ج ٧ ص ١٤٦ ، شرح الخرشى ج ٤ ص ١٤٦ .

(٢) المغنى ج ٧ ص ٤٧٢ .

العلم في أن المعتدة الرجعية تستأنف عدة الوفاة إذا مات زوجها في عدتها وتكون عدتها أربعة أشهر وعشراً .

**القسم الثاني :** من الجانب الأول في عدة المبتوتة إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها وكان الفراق بينهما في حالة الصحة إذا أبان الرجل زوجته في صحته ثم مات عنها قبل انقضاء عدتها لم تنتقل إلى عدة الوفاة وإنما تعدد عدة الطلاق لا أعلم في ذلك بين أهل العلم خلافاً وذلك لأن النكاح لم ينتهي بالوفاة هنا وإنما زال الملك بالطلاق والسبب الموجب لعدة الوفاة هو الموت لأن الله تعالى قال ﴿ويذرون أزواجاً﴾ وهذه ليست بزوجة له عند وفاته حتى لا ترث منه بالرجعية شيئاً ولا يلزمها عدة الوفاة أيضاً<sup>(١)</sup> فهي أجنبية منه في نكاحه وميراثه وتحل له أختها فلم تعدد لوفاته كما لو انقضت عدتها<sup>(٢)</sup> هذا ما يمكن أن نقوله في هذا الجانب وهو كما ترى متفق عليه بقسميه على ما بينا .

وأما الجانب المختلف فيه وهو في حكم عدة المبتوتة في حالة المرض إذا مات زوجها قبل عدتها فقد اختلف الفقهاء في هذا الجانب على قولين ونحن نذكر آراءهم وما استدل به كل فريق ونخلص إلى القول الراجح حسب الإمكان .

**القول الأول :** لأبي حنيفة وأحمد ومحمد بن الحسن وسفيان الثوري وهو أن زوج المبتوتة إذا طلقها في مرض موته ثم مات عنها قبل انقضاء عدتها تعدد أطول الأجلين من عدة الوفاة أو ثلاثة قروء<sup>(٣)</sup> . وعلى هذا القول يلزمها الإحداد لأنه تبع لعدة الوفاة وقد وجدت هاهنا وقد استدل أصحاب هذا القول بدليل عقلي وهو أن المبتوتة في مرض الموت ترث زوجها بعد وفاته وميراثها له بعد موته إنما كان بسبب الزوجية وكونه أبانها في مرض موته فهو متهم بحرمانها من الميراث فيلزمها عدة الوفاة كما لو طلقها طلاقاً رجعياً وهذا لأننا أعطيناها الميراث باعتبار أن النكاح بمنزلة القائم بينهما حكماً إلى وقت موته أو باعتبار إقامة العدة مقام أصل النكاح حكماً إذ لا بد من قيام السبب عند الموت لاستحقاق الميراث والميراث لا يثبت بالشك والعدة تجب بالشك وإذا جعل في حكم الميراث النكاح كالمنتهي بالموت حكماً ففي حكم العدة أولى وسبب وجوب العدة عليها بالحيض متقرر حكماً فالزمنها الجمع بينهما<sup>(٤)</sup> .

**القول الثاني :** للمالكية والشافعية وأبي يوسف من الحنفية وأبي ثور وأبي عبيد وابن

(١) المبسوط ج ٦ ص ٣٩، المغنى ج ٧ ص ٤٧٢، شرح الخرشى ج ٤ ص ١٤٦، نهاية المحتاج ج ٧ ص ١٤٦ .

(٢) البدع ج ٨ ص ١١٤ .

(٣) المغنى ج ٧ ص ٤٧٢، المبسوط ج ٦ ص ٤٣ .

(٤) المبسوط ج ٦ ص ٤٤ .

المنذروهوأن المتوتة فى مرض الموت تبقى على عدة الطلاق إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها ولا تستأنف عدة الوفاة<sup>(١)</sup>، وذلك لأن حكم النكاح انقطع بينهما بالطلاق وسبب وجوب عدة الوفاة انتهاء النكاح بالموت فإذا لم يوجد لا يلزمها عدة الوفاة كما لو كان الطلاق فى صحته وإنما أخذت الميراث بحكم الفرار وذلك لا يلزمها عدة الوفاة بدليل المرتد إذا مات أو قتل على رده ترثه زوجته المسلمة وليس عليها عدة الوفاة لأن زوال النكاح كان برده لا بموته<sup>(٢)</sup>، ورد هذا بأن النكاح لما بقى فى حق الأثر فبقائه فى حق وجوب العدة أولى لأن العدة محتاطة فى إيجابها فكان قيام النكاح من وجه كافياً لوجوب العدة احتياطاً فيجب عليها الإعتداد أربعة أشهر وعشراً<sup>(٣)</sup>.

ولهذا نقول أن الراجح عندنا هو القول الأول لما بينا ولأن الزوج لما أبانها فى مرض موته كان متهماً بحرمانها من الميراث فيعاقب بنقيض قصده وهو توريثها من ماله بعد موته فدل على أن علاقة الزوجية لم تنقطع تماماً إذ لو كان الأمر كذلك لما كان لها حق فى الميراث وانقطاع الزوجية بالموت لا خلاف فيه بين أئمة الفتوى فتجب عليها عدة الوفاة لهذا المعنى ويجب عليها الإحداد وكذلك لأن الإحداد تابع للعدة وإنما قال من قال بأن البائن تعتد فى هذه الصورة بأطول الأجلين لأن البائن وارثة هنا على ما قلنا فيجب عليها أن تعتد للوفاة ومن حيث أنها مطلقة يجب عليها أن تعتد للطلاق فيجب أن تعتد بأطولهما ضرورة فإنها لا تخرج عن العهدة بيقين إلا بذلك<sup>(٤)</sup>. هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن الزوج المريض المطلق لومات عن زوجته بعد انقضاء عدتها بالحيض أو بالشهور أو بوضع الحمل أو كان طلاقه قبل الدخول لم تجب عليها العدة لموته وبالتالي لا يجب عليها الإحداد لأن الله تعالى قال ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾<sup>(٥)</sup>، قال تعالى : ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾<sup>(٦)</sup>، وقال تعالى : ﴿واللأئى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللأئى لم يحضن﴾<sup>(٧)</sup> فهذه الآيات كلها تبين عدة المطلقة بيانا شافيا وهى كما ورد فى الآيات على ثلاثة أقسام : أما أن تكون مطلقة قبل الدخول وهذه لا عدة عليها، أما أن

(١) نهاية المحتاج جـ ٧ ص ١٤٦، مغنى المحتاج جـ ٣ ص ٣٩٦، شرح الخرشي جـ ٤ ص ١٤٦، والمغنى جـ ٧ ص ٤٧٢، المبسوط جـ ٦ ص ٤٣.

(٢) المبسوط جـ ٦ ص ٤٣.

(٣) بدائع الصنائع جـ ٣ ص ٢٠٠.

(٤) المبدع جـ ٨ ص ١١٤.

(٥) سبق تخريجها.

(٦) سورة البقرة «٢٢٨».

(٧) سورة الطلاق «٤».

تكون مطلقة بعد الدخول وهي ممن تحيض فعدتها ثلاثة قروء أو تكون آتسة أو صغيرة وهذه عدتها ثلاثة أشهر وقد أنقضت عدة طلاقها قبل وفاة زوجها فليس ثمة ما يدعو إلى إيجاب عدة الوفاة عليها لأنها أجنبية تحل للأزواج ويحل للمطلق نكاح أختها وأربع سواها فلم تجب عليها عدة موته كما لو تزوجت ولا يرد عليه ما قررناه قريبا وجوب عدة الوفاة على المطلقة إذا مات زوجها قبل انقضاء عدتها إذا لم يكن الطلاق في حالة الصحة لأنها لا تحل لغير مطلقها مادامت في عدتها وهذه بخلافها فإنها قد خرجت من عدتها وحل نكاحها لغير زوجها<sup>(١)</sup>.

### المطلب الخامس : في إحداد المتوفى عنها الحامل

عرفت قريبا أن الإحداد يجب على المتوفى عنها زوجها من وقت وفاة زوجها وهذا قول الجمهور وهو ينقضى في حق الحائل بمرور أربعة أشهر وعشرا كما تم ثبته آنفا.

والأمر كذلك في الحامل فإن الحامل المتوفى عنها تحتسب لها مدة الإحداد من وقت وفاة زوجها وعلى هذا لا يكون فرقا بين الحائل والحامل في هذا المعنى إذ أن الإحداد تابع للعدة والعدة تبدأ من وقت الوفاة بيد أن الحامل تختلف عن الحائل في انقضاء العدة والإحداد فالحائل تحل للأزواج بعد مرور أربعة أشهر وعشرا على وفاة زوجها وليس الأمر كذلك في الحامل، وعلى هذا نقول متى تنقضى عدة الحامل المتوفى عنها؟ سؤال اختلفت في جوابه كلمة الفقهاء على قولين :

القول الأول : ذهب الجمهور ومنهم الأئمة الأربعة إلى أن عدة الحامل المتوفى عنها تنقضى بوضع حملها ولو كان ذلك بعد وفاة زوجها بمدة يسيرة وبالتالي لا يجب عليها الإحداد بعد وضع حملها لكون وجوب الإحداد تابعا لوجود العدة<sup>(٢)</sup>، الاستدلال بهذا القول من أربعة طرق :

(١) طريق الكتاب . (٢) طريق السنة .

(٣) الآثار المروية عن بعض الصحابة . (٤) المعقول .

وإليك تحرير المقام في ذلك :

(١) الاستدلال بالكتاب : استدلال أصحاب هذا القول بقوله تعالى : ﴿وَأُولَاتُ

(١) المغنى ج ٧ ص ٤٧٢ .

(٢) تبيين الحقائق ج ٣ ص ٢٨ ، بدائع الصنائع ج ٣ ص ١٩٢ ، المغنى ج ٧ ص ٤٨٣ ، الخرشى ج ٤ ص ١٤٣ ، مغنى

المحتاج ج ٣ ص ٣٨٨ .

الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴿١﴾ . فالآية دليل على أن الحامل تنقضى عدتها بوضع حملها لأن الأجل المذكور في الآية هو العدة وهو معلق بغاية وهي وضع الحمل والآية شاملة بعمومها لكل حامل سواء كانت متوفى عنها أو مطلقة وفي هذا يسر بديع فإن الله تعالى حينما جعل الظرف الزمنى لعدة المتوفى عنها أربعة أشهر وعشراً أخرج من هذا العموم بدليل آخر عدة الحامل فتكون عدتها بوضع حملها وهو ما يعرف في علم الأصول بتخصيص العام والقول بقصرها على عدة الحامل المطلقة دعوى بلا دليل كما سيأتى .

(٢) وأما استدلالهم من السنة فقد استدلوا منها بما يأتى :

(أ) ما روى الجماعة إلا أبا داود وابن ماجه عن أم سلمة : (أن امرأة من اسلم يقال لها سبيعة كانت تحت زوجها فتوفى عنها وهي حبلى فخطبها أبو السنابل بن بعكك فأبت أن تنكحه . فقال والله ما يصلح أن تنكحى حتى تعتدى آخر الأجلين . فمكثت قريبا من عشر ليال ثم نفست ثم جاءت النبي ﷺ فقال إنكحى) (٢) .

وللجماعة إلا الترمذى فى قصة سبيعة قالت : (فأفتانى بأنى قد حللت حين وضعت حملى وأمرنى بالتزويج أن بدالى) (٣) .

فهذا الحديث دليل على أن عدة الحامل المتوفى عنها تنقضى بوضع حملها وهو حديث صحيح لا كلام لأحد فى صحته وبانقضاء عدتها بوضع حملها يجوز نكاحها وهو ما صرح به فى الحديث فجواز نكاحها دليل على انقضاء عدتها وانقضاء عدتها دليل على عدم وجوب الإحداد عليها بعد وضع حملها فإن قيل الاستدلال بالحديث على محل النزاع فيه نظر وذلك لأمرين :

الأمر الأول : ما ورد فى قصة سبيعة نفسها من مخالفة ظاهرة لهذا الحديث وهى رواية صحيحة لا مطعن فى صحتها ولفظها عند البخارى كما ورد فى رواية يونس عن الزهري وهو ان عمر بن عبد الله بن الأرقم كتب إلى عبد الله بن عتبة يجبره أن سبيعة بنت الحرث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خوله فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب أن وضعت حملها فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك رجل من

(١) سورة الطلاق «٤» .

(٢) صحيح البخارى ج٧ ص٧٢ ، صحيح مسلم ج٤ ص١٤٨ ، سنن النسائى ج٦ ص١٩٦ ، جامع الترمذى ج٢ ص٣٣٢ ، وسنن ابن ماجه ج٧ ص٢٠٢ مسند أحمد ج٦ ص٤٣٢ .

(٣) المصادر السابقة وسنن أبى داود ج٢ ص٧٢٨ .

بنى عبد الدار فقال مالى أراك تجملت للخطاب ؟ فإنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشراً . قالت سبيعة : فلما قال لى ذلك جمعت علي ثيابى حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتانى بأنى قد حللت حين وضعت حملى وأمرنى بالتزويج(١) .

فظاهر هذه الرواية يخالف ما قبلها وذلك أن ما قبلها يفيد أنها مكثت قريباً من عشر ليال ثم جاءت النبى ﷺ وظاهر هذه الرواية يفيد أنها توجهت إلى النبى ﷺ فى اليوم الذى قال لها فيه أبو السنابل ما قال فإنها قالت جمعت علي ثيابى حين أمسيت وهذا يدل على أنها توجهت إلى النبى ﷺ فى اليوم نفسه فإذا كان الأمر كذلك فالحديث لا يكون دليلاً على محل النزاع وإنما يصر إلى الأدلة التى تخالفه كما سيأتى :

والجواب عن هذا الاعتراض بأن الجمع ممكن هنا وهو أولى لأن فيه أخذاً بالأدلة جميعاً وبيان ذلك هو أن نحمل هذه الرواية (وهى قولها حين أمسيت) على إرادة توجهها ولا يلزم منه أن يكون فى ذلك اليوم الذى قال لها فيه ما قال(٢) . بذلك تجتمع الأدلة ويحصل الأخذ بها جميعاً .

وما كان فى الصحيحين مقدم على غيره عند التعارض وعدم إمكان الجمع .

**الأمر الثانى :** اختلاف روايات هذا الحديث مما يجعل الناظر فيه يشك فى دلالة ذلك وأنه ورد بروايات مختلفة فى المبنى والمعنى . ففى رواية أنها ولدت قريباً من عشر ليال وفى رواية لأحمد فلم أمكث إلا شهرين حتى وضعت ، وفى رواية للبخارى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة ، وفى أخرى للنسائى بعشرين ليلة أو خمس عشرة ، وفى رواية للترمذى والنسائى فوضعت بعد وفاة زوجها بثلاثة وعشرين يوماً أو خمسة وعشرين يوماً ولا بن ماجه ببضع وعشرين ، وفى ذلك روايات أخر مختلفة(٣) .

والجواب عن ذلك ما ذكره ابن حجر فى الفتح بعد ذكر هذه الروايات حيث قال (والجمع بين هذه الروايات متعذر لاتحاد القصة ولعل هذا هو السر فى إبهام من إبهام المدة إذ محل الخلاف أن تضع لدون أربعة أشهر وعشراً وهو هنا كذلك فأقل ما قيل فى هذه الروايات نصف شهر وأما ما وقع فى بعض الشروح أن فى البخارى رواية عشر ليال وفى رواية الطبرى

(١) سبق تخريجه .

(٢) نيل الأوطار ج ٦ ص ٣٢٣ ، فتح البارى ج ٩ ص ٤٧٣ .

(٣) المصدرين السابقين .

ثمان أو سبع فهو في مدة إقامتها بعد الوضع إلى أن استفتت النبي ﷺ لا في مدة بقية الحمل وأكثر ما قيل فيه بالتصريح شهرين وبغيره دون أربعة أشهر<sup>(١)</sup>.

(٢) ما رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : (كنت أنا وابن العباس وأبو هريرة فجاء رجل فقال : افتنى فى امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة . فقال ابن عباس : تعتد آخر الأجلين . وقلت أنا : وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن . قال ابن عباس : ذلك فى الطلاق . وقال أبو سلمة أرايت لو أن امرأة تأخر حملها سنة فما عدتها . قال ابن عباس : آخر الأجلين . قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخى يعنى أبا سلمة فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة يسألها هل مضت فى ذلك سنة ؟ فذكرت أن سبيعة الأسلمية وضعت بعد موت زوجها بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup> .

(٣) كما أخرجه ابن أبى شيبه وعبد بن حميد وابن مردويه من حديث أبى السنابل أن سبيعة وضعت بعد موت زوجها بثلاث وعشرين يوما فقال ﷺ : «قد حل أجلها»<sup>(٣)</sup> .

(٤) ما روى البخارى أن عبد الله بن عبد الله أخبره عن أبيه أنه (كتب إلى ابن الأرقم أن يسأل سبيعة الأسلمية كيف أفتاها النبي ﷺ فقالت إذا وضعت أن انكح)<sup>(٤)</sup> .

(٥) روى البخارى عن المسور بن مخرمة (أن سبيعة الأسلمية نفست بعد وفاة زوجها بليل فجاءت النبي ﷺ فأستأذنته أن تنكح فأذن لها فنكحت)<sup>(٥)</sup> .

فهذه الأحاديث قاضية بأن عدة الحامل المتوفى عنها لها غاية وهى وضع حملها فهل لأحد أن يقول بخلاف ما دلت عليه هذه النصوص الصحيحة الصريحة التى تفيد بمنطوقها ومفهومها ما يفيد ظاهر الكتاب وهو انقضاء عدة الحامل المتوفى عنها بوضع حملها .

### (٣) الآثار :

وأما الآثار المروية عن بعض الصحابة التى تفيد هذا المعنى فنورد منها ماأتى :

(١) ما روى عن ابن مسعود (أنه بلغه أن عليا يقول تعتد آخر الأجلين فقال من شاء لاعتته أن الآية التى فى سورة النساء الصغرى نزلت بعد سورة البقرة بكذا وكذا شهر .

(١) فتح البارى ج ٩ ص ٤٧٣ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) نيل الأوطار ج ٦ ص ٣٢٥ .

(٤) صحيح البخارى مع فتح البارى ج ٩ ص ٤٦٩ .

(٥) المصدر السابق .



(٢) أخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود أيضا (أن سورة النساء الصغرى نسخت ما في البقرة) .

(٣) أخرج ابن مردويه عنه أن سورة النساء الصغرى نسخت كل عدة .

(٤) أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدرى . قال : (نزلت سورة النساء الصغرى بعد التى فى البقرة بسبع سنين)<sup>(١)</sup> .

فهذه الآثار مصرحة بأن قوله تعالى ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ عامة فى جميع العِدَدِ وأن عموم آية البقرة مخصص بها وهو المراد بالنسخ المذكور فى الآثار المذكورة وليس المراد النسخ الإصطلاحى وهو إزالة الحكم الأول وتبديله بحكم آخر بل المراد التخصيص على ما بينا .

(٤) وأما استدلالهم بالمعقول فمن وجهين :

الوجه الأول : أن المعتدة المطلقة تنقضى عدتها بوضع حملها إذا كانت حاملا إجماعاً فكذا المتوفى عنها قياسا عليها لأن العدة إنما شرعت فى الأصل لمعرفة براءة رحمها من الحمل ووضعه أدل الأشياء على البراءة منه فوجب أن تنقضى العدة .

الوجه الثانى : أنه لا خلاف بين (أهل العلم فى بقاء العدة والمرأة حاملا فإذا كان الأمر كذلك فينبغى أن تنقضى العدة بوضعه كما لو كانت الحامل المطلقة)<sup>(٢)</sup> .

القول الثانى مروى عن على وابن عباس وابن مسعود وأبى السنابل وعبد الرحمن بن أبى ليلى وسحنون من المالكية أن المتوفى عنها الحامل لا تنقضى عدتها بوضع حملها وإنما تعتد أطول الأجلين ومعناه أنها إن وضعت قبل مضى أربعة أشهر وعشر تربصت إلى انقضائها ولا تحل بمجرد الوضع وإن انقضت المدة قبل الوضع تربصت إلى الوضع على اختلاف فى نسبة هذا القول إلى هؤلاء وأئمة الاعلام .

وتحرير المقام فى ذلك ما ذكره ابن حجر فى الفتح وهو أن هذا القول ثابت عن على رضى الله عنه باسناد صحيح كما أخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد وليس كما ذكر بعض الفقهاء من أنه مروى عن على باسناد منقطع .

(١) أنظر هذه الآثار فى نيل الأوطار ج ٦ ص ٣٢٥ .

(٢) أنظر المغنى ج ٧ ص ٤٧٤ .

أما ابن عباس فالذى يظهر أنه رجع عن هذا القول بحققة أن المنقول عن تلاميذه وفاق الجماعة في ذلك .

كذلك عبد الله ابن مسعود رجع عن قوله أولاً إلى قول الجماعة كما تم ثبته قريباً فإنه قال من شاء باهله (أى لاعتته) في أن سورة النساء الصغرى نزلت بعد سورة البقرة .  
والأمر كذلك عن أبى السنابل فإنه يظهر من مجموع الطرق في قصة سبيعة أنه رجع عن فتواه أولاً<sup>(١)</sup> .

ولو فرض أن هؤلاء قالوا كلهم بهذا القول ولم يرجع منهم أحد فلا حجة إلا فيما نقل عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير .

وأما ما روى عن سحنون من فقهاء المالكية فقد رده ابن حجر في الفتح بأنه شذوذ مردود لأنه احداث خلاف بعد استقرار الاجماع<sup>(٢)</sup> .

وحجة من قال بأن الحامل المتوفى عنها زوجها تعتد أطول الأجلين هو الحِرْصُ على العمل بالآيتين اللتين تعارض عمومهما فقوله تعالى ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ عام في كل من مات عنها زوجها يشمل الحامل وغيرها - وقوله تعالى ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ عام أيضاً يشمل المطلقة والمتوفى عنها - فجمع أولئك بين العمومين بقصر الثانية على المطلقة بقريظة ذكر عدد المطلقات كالأيسة والصغيرة قبلها ثم لم يهملوا ما تناولته الآية الثانية من العموم لكن قصره على من مضت عليها المدة ولم تضع فكان تخصيص بعض العموم أولى وأقرب إلى العمل بمقتضى الآيتين من الغاء أحدهما في حق بعض من شمله العموم<sup>(٣)</sup> .

والجواب عن هذا الاستدلال من وجوه :

**الوجه الأول :** ما ذكره القرطبي بعد ما ذكر ما في المسألة من خلاف حيث قال بعد إيراد دليل المخالفين للجمهور (والجمع أولى من الترجيح باتفاق أهل الأصول وهذا نظر حسن لولا ما يُعكر عليه من حديث سبيعة الأسلمية وأنها نَفِست بعد وفاة زوجها بليال وأنها ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأمرها أن تتزوج فبين بالحديث أن قوله تعالى ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ محمول على عمومته في المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن فتكون

(١) أنظر فتح الباري ج ٩ ص ٤٧٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) فتح الباري المصدر السابق .

عدتهن بوضع الحمل ويعتقد هذا بقول ابن مسعود من شاء باهله أن آية النساء الصغرى نزلت بعد آية عدة الوفاة وليس الأمر كما زعم بعض من زعم من أن كلام ابن مسعود يفيد أن آية الطلاق ناسخة لآية البقرة وإنما يعنى كلام ابن مسعود أن آية الطلاق مخصصة لآية البقرة فإنها أخرجت منها بعض ما تناولتها وكذلك حديث سبيعة متأخر عن عدة الوفاة لأن قصة سبيعة كانت بعد حجة الوداع وزوجها هو سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وهو ممن شهد بدرًا وتوفى بمكة حينئذ وهى حامل وهو الذى رثى له رسول الله ﷺ من أن توفى بمكة<sup>(١)</sup>.

فكلامه يفيد أن عموم آية البقرة مخصوص بقوله تعالى ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ لا منسوخا بدليل قصة سبيعة المتفق على صحتها وتخصيص العام وتقييد المطلق أمر شائع عند الأصوليين ولا ضرورة هنا للجمع وهو ما اعتمده أصحاب القول الثانى لأنه تعارض بين النصوص فهذا عام وهذا مخصص فيحمل العام على الخاص ويخرج من عمومه ما دل عليه هذا الخاص .

أضف إلى هذا ما قاله أبو عمر بن عبد البر تعقيبا على هذه المسألة (لولا حديث سبيعة لكان القول ما قال على وابن عباس لأنهما عدتان مجتمعتان بصفيتين وقد اجتمعتا فى الحامل والمتوفى عنها زوجها فلا تخرج من عدتها إلا بيقين واليقين آخر الأجلين<sup>(٢)</sup>).

الوجه الثانى : لو سلمنا بوجود التعارض وعدم التخصيص لم نسلم بأن آية البقرة عامة لأنه تقرر فى الأصول أن الجموع المنكرة لا عموم فيها وآية البقرة من ذلك القبيل فلا اشكال .

الوجه الثالث : لو سلمنا بالعموم وسلمنا بالتعارض وعدم التخصيص لم نسلم بأن عدة الحامل المتوفى عنها لا تنقضى بوضع حملها بدليل آخر وهو ما تفيدته الأحاديث الصحيحة الصريحة فإنه لا يمكن التخلص منها بوجه من الوجوه<sup>(٣)</sup> .

هذا ما يمكن أن يجاب به عن هذا الاستدلال والحق صراح لا غبار عليه وإن اشتبه أحيانا فى بعض المسائل الفرعية لتكافؤ الأدلة إلا أن هذا المعنى لا يوجد هنا ولهذا فإن الراجح عندنا هو القول الأول لما ذكرنا من الكتاب والسنة والأثار المروية عن بعض الصحابة

(١) أنظر الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ١٧٥ .

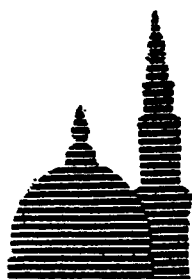
(٢) فتح البارى ج ٩ ص ٤٧٤ .

(٣) نيل الأوطار ج ٦ ص ٣٢٥ .

والمعقول وقصة سبيعة نص في هذا المعنى وهي قصة صحيحة ثابتة في الصحيحين وغيرهما وهي كافية في الاستدلال لو لم يوجد غيرها زد على هذا أن أئمة الفتوى أجمعوا على أن المطلقة الحامل تنقضى عدتها بوضع حملها فأى فرق بين هذه وتلك ؟ . وأيضا مما يرجح مذهب الجمهور أن الآيتين وإن كانتا عامتين من وجه خاصتين من وجه فكان الإحتياط أن لا تنقضى العدة إلا بآخر الأجلين لكن لما كان المعنى المقصود الأصلي من العدة براءة الرحم ولا سيما فيمن تحيض فإنه يحصل المطلوب بالوضع وهو ما دل عليه حديث سبيعة ويقويه قول ابن مسعود في تأخر نزول آية الطلاق عن آية البقرة (١).

وكذلك يترجح مذهب الجمهور بما روى عن أبي بن كعب قال قلت يارسول الله وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن للمطلقة ثلاثا وللمتوفى عنها زوجها فقال هي للمطلقة وللمتوفى عنها زوجها رواه أحمد والدارقطنى .

فهذا الحديث نص في محل النزاع وهو موافق لما تم ثبته قريبا من الأحاديث القاضية بأن عدة الحامل على المتوفى عنها تنقضى بوضع حملها بل هو أدل على محل النزاع لأنه جواب عن سؤال السائل فالمقام مقام بيان وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز .



---

(١) فتح البارى ج ٩ ص ٤٧٤ .

# نظام الإثبات في الفقه الإسلامي

للدكتور عوض عبد الله أبو بكر  
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

دراسة مقارنة

- ٥ -

الإثبات بالكتابة :

تأتي أهمية الكتابة لكونها وسيلة كبرى من وسائل المعرفة، وأداة هامة لتبليغ المعاني، وتقدم بما تقدم به الألفاظ في بيان المقاصد والأهداف. ولعله لا يخفى على عاقل أهمية الكتابة واعتماد الأمة عليها في دينها ودنياها .

فقد اعتمد خيار هذه الأمة وسلفها من الصحابة الكرام على الكتابة، فوافقوا مجتمعين على تدوين كتاب الله عز وجل الذي هو شرع هذه الأمة ودستورها. كما أن المصدر الثاني من التشريع وهو سنة رسول الله ﷺ قد نقل إلينا مكتوبا حفظته كتب السنن. وصدق الإمام ابن القيم - رحمه الله حين قال : (ولولم يعتمد على ذلك - أى الكتابة - لضاع الإسلام اليوم، وسنة رسول الله ﷺ، فليس بأيدي الناس - بعد كتاب الله - إلا هذه النسخ الموجودة من السنن، وكذلك كتب الفقه الاعتماد فيها على النسخ)<sup>(١)</sup>.

ومن عناية الشارع الكريم بالكتابة جعلها وسيلة لإثبات الحقوق، حيث أرشد المولى عز وجل إلى كتابة الحقوق في أطول آية في القرآن وهي آية الدين، فقال : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ، وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ، وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ، فَلْيَكْتُبْ وَلِيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيهِ بِالْعَدْلِ . . . الآية﴾ (البقرة: ٢٨٢).

فإذا كانت هذه الأمة قد أرشدت إلى كتابة الدين وأمرت بتوثيقه، لكون ذلك أحفظ

(١) الطرق الحكمية ص ٣٠٠ .

للمال، وقاطعا لطريق انكاره، فلننظر إلى أى مدى أخذ الفقهاء بهذا الأمر، فهل حملوه على الوجوب بحيث لا يصح إثبات الدين إلا بالكتابة والأشهاد عليه، أم هذه للندب والإرشاد فيجوز ترك الكتابة عند أئتمان المدين والثوق بصدقه؟

(١) ذهب فريق من الفقهاء إلى أن كتابة الديون الآجلة والأشهاد عليها قد كانا واجبين بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ فَأَكْتَبُوهُ﴾ ولكن قد نسخ الله هذا الوجوب بقوله تعالى في الآية التي تليها: ﴿فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ... الآية﴾ (البقرة: ٢٨٣). روى هذا القول عن الشعبي والحسن<sup>(١)</sup>.

(٢) قال آخرون: هذه الآية محكمة ولم ينسخ منها شيء، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «لا والله آية الدين محكمة، وما فيها نسخ». وعن أبي بردة عن أبي موسى قال: «ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم، رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل أعطى ماله سفيها وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ (النساء: ٥)، ورجل له على رجل دين فلم يشهد عليه». قال الجصاص: قال أبو بكر: وقد روى هذا الحديث مرفوعا إلى النبي ﷺ.

وروى عن الضحاك عن الذي لم يكتب دينه الآجل ولم يشهد عليه: إن ذهب حقه لم يؤجر وأن دعا لم يجب لأنه ترك حق الله وأمره.

وقال سعيد بن جبیر: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾. (البقرة: ٢٨٢). يعنى أشهدوا على حقوقكم إذا كان فيها أجل أو لم يكن أجل، فأشهد على حقك على كل حال<sup>(٢)</sup>.

فعلى قول هؤلاء فإن الأمر هنا محمول على الوجوب ولا بد للدائن من إثبات دينه كتابة إذا كان الدين مؤجلا، فإن لم يكتبه فقد خالف أمر الله الوارد في الآية، وضيع حقه بتفريطه في التوثيق لماله. ولا وجه لمطالبته عند إنكار مدينه للدين لأنه ما أعد عدته لهذا الإنكار.

(٣) وهذا هو قول الجمهور: إن الأمر بالكتابة في قوله تعالى: ﴿فَأَكْتَبُوهُ﴾ والأمر بالأشهاد في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ وفي ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ لا يخلو من أن يكون موجبا لكتابة الديون الآجلة والأشهاد عليها حال نزولها، وكان

(١) أحكام القرآن للجصاص ٤٨١/١.

(٢) تفسير القرطبي ٣٨٣/٣، أحكام القرآن للجصاص ٤٨١/١.

هذا حكما مستقرا ثابتا إلى أن نسخ إيجابه بقوله تعالى : ﴿فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته﴾ ، أو يكون نزول الجميع معا ، فإن كان كذلك فليس جائزا أن يكون المراد بالكتابة والأشهاد الايجاب لامتناع ورود النسخ والمنسوخ معا في شيء واحد ، إذ غير جائز نسخ الحكم قبل استقراره .

ولما لم يثبت تاريخ نزول هذين الحكمين - الأمر بالكتابة والأشهاد - وقوله تعالى : ﴿فإن أمن بعضكم بعضا﴾ وجب الحكم بورودهما معا ، فلم يرد الأمر بالكتابة والأشهاد إلا مقرونا بقوله تعالى : ﴿فإن أمن بعضكم بعضا﴾ فثبت بذلك أن الأمر بالكتابة ليس للوجوب إنما هو للندب أى تندب الكتابة .

أما قول ابن عباس رضى الله عنهما : (أن الآية محكمة ولم ينسخ منها شيء) ، فلا دلالة فيه على أنه يرى وجوب الكتابة والأشهاد إنما يريد أن الجميع قد ورد معا ونسق التلاوة يقتضى أن يكون ذلك مندوبا وهو ورود قوله تعالى : ﴿فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته﴾ .

وكذلك ما روى عن أبي موسى : ثلاثة لا يستجاب لهم من له على رجل دين فلم يشهد عليه ، فلا دلالة فيه أيضا على وجوب الكتابة والأشهاد لأنه قد ذكر معه من له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ولا خلاف في أن ذلك ليس بواجب ، بل يقال أنه تارك للأحتياط والتوصل إلى ما جعل الله له فيه المخرج والخلاص .

ويؤيد صحة مذهب الجمهور في ندب الكتابة وعدم الوجوب أنه لم تنقل إلينا كتابة الصحابة والتابعين وسلف الأمة لديونهم أو بيوعهم أو عقودهم مع حاجتهم لها ، لم ينقل نكيرهم أو اعتراضهم على من ترك الكتابة ، فلو كانت الكتابة واجبة لنقل ذلك نقلا مستفيضا ولتواتر إنكارهم على تاركها . فدل عدم النقل وعدم إظهار النكير على آية الكتابة ليست واجبة إنما ورد الأمر في هذه الآية للندب والاحتياط حتى لا يقع جحود أو نسيان<sup>(١)</sup> .

### حجية الكتابة في الإثبات :

إذا كنا قد تناولنا آراء الفقهاء في كتابة الديون من حيث الوجوب وعدمه ، ورأينا أن البعض يرى الوجوب والبعض الآخر يرى نسخ الوجوب ، والجمهور يرى ندب الكتابة من غير نسخ ، فهل تكفى الكتابة دليلا في الإثبات ، وما قيمة السند المكتوب وما مدى حجيته

(١) أحكام القرآن للجصاص ٤٨٢/١ ، تفسير القرطبي ٣/٣٨٣ .

على ما دون فيه ؟ وهل يحكم القاضى بما هو مسطور فى السند متى ما رفع إليه سند يتضمن  
حقا من الحقوق وليس عليه أن يقبل أى طعن فى صحته وصحة ما حمله السند ؟ .

لاشك أن الكتابة المشار إليها فى الآية الكريمة أصبحت مستندا خطيا لأن المكتوب  
يحوى إقرارا بما تضمنه السند موقعا عليه من المدين المقر وبشهادة كاتب السند أو الشهود  
الذي وقعوا على صحة إقرار المدين بالسند وعليه فإن حجية السند هنا تأتى من توقيع المقر  
والاشهاد فقويت دلالة على الحق ، ولاشك أن الفقهاء عاملوا الإقرار بالكتابة معاملة الإقرار  
باللسان سواء بسواء .

غير أننا نلاحظ خلافا بين الفقهاء فى قبول الكتابة كدليل إثبات للحقوق ، والذي  
يبدولى من أغلب عباراتهم أنهم يقصدون المكتوب الذى لم يشهد عليه كإقراره بدين أو بحق  
لآخر بخط يده ، أو كتابته لهبة لم يشهد عليها ، وكذلك الأوراق التى لا تصدر من جهة  
رسمية ، فإن بعض الفقهاء يرون أن مثل هذه المكاتيب لا يثبت القاضى بها ما تضمنته من  
حقوق لعدم تيقن صدورهما من المنسوبة إليه ولإمكان تزوير الخطوط .

وقد أبرز ابن القيم رحمه الله هذا الخلاف فى كتابه الطرق الحكمية فى فصل (الطريق  
الثالث والعشرون - الحكم بالخط المجرد) ومن أقواله فى ذلك :

(أن يرى القاضى حجة فيها حكمه لإنسان ، فيطلب منه امضاء والعمل به فقد  
اختلف فى ذلك ، فعن أحمد ثلاث روايات ، أحدها : أنه إذا تيقن أنه خطه نفذه وإن لم  
يذكره ، والثانية : أنه لا ينفذه حتى يذكره ، والثالثة : أنه إذا كان فى حرزه وحفظه نفذه والا  
فلا .)

(والمشهور من مذهب الشافعى أنه لا يعتمد على الخط لا فى الحكم ولا فى الشهادة ،  
وفى مذهبه وجه آخر أنه يجوز الاعتماد عليه إذا كان محفوظا عنده كالرواية الثالثة عن أحمد .)  
(وأما مذهب أبى حنيفة ، فقال الخفاف ، قال أبو حنيفة : إذا وجد القاضى فى ديوانه  
شيئا لا يحفظه - كإقرار الرجل بحق من الحقوق - وهو لا يذكر ذلك ولا يحفظه ، فإنه لا يحكم  
بذلك ولا ينفذه حتى يذكره .)

(وأما مذهب مالك فقال فى الجواهر : لا يعتمد على الخط إذا لم يذكره لإمكان التزوير  
عليه .)

(وقال إسحاق بن إبراهيم : قلت لأحمد : الرجل يموت وتوجد له وصية تحت رأسه  
من غير أن يكون أشهد عليها أو أعلم بها أحدا ، هل يجوز إنفاذ ما فيها ؟ قال : إن كان قد



عرف خطه وكان مشهور الخط فإنه ينفذ ما فيها . )

(قال القاضي : وثبت الخط في الوصية يتوقف على معاينة البينة أو الحاكم لفعل الكتابة لأنها عمل ، والشهادة على العمل طريقها الرؤية . )

(وأجاز مالك الشهادة على الخطوط . . . . . وذكر ابن شعبان عن ابن وهب أنه قال : لا آخذ بقول مالك في الشهادة على الخط ، وقال الطحاوي خالف مالك جميع الفقهاء في ذلك وعدوا قوله شذوذاً<sup>(١)</sup> .

يظهر من هذا النقل أن بعض الفقهاء يتخرجون من الإثبات بالكتابة ويرون أنها لا تصلح دليلاً يعتمد عليه ، وكما قدمت أن الشبهة التي يعتمد عليها هذا الفريق من الفقهاء في رد الدليل الكتابي هي تشابه الخطوط وإمكان محاكاتها وتزويرها ، ولذا يجب على القاضي ألا يبنى حكمه على مجرد الخط . ولعل هؤلاء يدور بخلداهم قصة عثمان رضى الله عنه والفتنة التي أدت إلى مقتله ، فإن المتسببين في قتله - كما يحكى لنا التاريخ الإسلامى - قد صنعوا مثل خاتمه وكتبوا مثل كتابه فكان ما كان .

غير أن أدلة هؤلاء المانعين للإثبات بالكتابة تضعف تماماً أمام الحجج الواضحة التي أوردها المجيزون للإثبات بالكتابة والتي تقوم - زيادة على ما قدمنا من نذب الله عز وجل لكتابة الديون بسبب القرض أو بسبب عقد مالى - على :

أولاً : ان النبي ﷺ كان يبعث بكتبه ورسائله إلى الملوك وغيرهم وتقوم بها حجته ، وفي الجامع للبخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قالوا : انهم لا يقرأون كتاباً إلا محتوماً ، فاتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة كأنى أنظر إلى وبيصه ونقشه محمد رسول الله<sup>(٢)</sup> .

ثانياً : عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ما حق أمرىء مسلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده »<sup>(٣)</sup> .

قال ابن القيم : ولولم يجز الاعتماد على الخط لم تكن لكتابة وصيته فائدة<sup>(٤)</sup> .

(١) الطرق الحكمية ص ٢٩٩-٣٠٥ .

(٢) صحيح البخاري ٢٣٧/٤ (كتاب الأحكام - باب الشهادة على الخط) .

(٣) صحيح البخاري ١٢٤/٣ (كتاب الوصايا) .

(٤) الطرق الحكمية ص ٣٠١ .

ثالثا : كتب النبي ﷺ إلى أهل خيبر، إما أن يدوا صاحبكم وإما أن تؤذنوا بحرب<sup>(١)</sup>.

رابعا : اجماع أهل الحديث على اعتماد الراوى على الخط المحفوظ عنده وجواز التحديث به، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الشذوذ<sup>(٢)</sup>.

خامسا : اعتماد فقهاء هذه الأمة وأئمتها على الكتابة في حفظ السنة والفقهاء، وقد تقدم قول ابن القيم في ذلك .

وفي نظري أن هذا القول هو الصواب وهو الأرفق بالناس في معاملاتهم واقضيتهم ولأن الكتابة تدل على المقصود كدلالة الألفاظ، ولأن هذا القول هو الذى اختاره حذاق الأئمة كما هو ظاهر من النقول .

### كيفية الإثبات بالكتابة :

إن كنا قد انتهينا إلى جواز الإثبات بالكتابة بناء على القول الغالب عند الفقهاء وتسهيلا على الناس، فإن هذا الجواز لم يجعل من الكتابة دليلا يمنع أو يحد من قوة غيرها من الأدلة كما ذهب بعض القانونيين . فرجال القانون الوضعى قد انتهوا إلى وجوب الإثبات بالكتابة في بعض الحقوق، ولا يجوز الإثبات إلا عن طريقها، ومنعوا الإثبات بشهادة الشهود في هذه الحقوق، مقيدين بذلك طريق الإثبات بالشهادة، وجعلوا حجية الكتابة أقوى من حجية الشهادة . ورجال القانون إن كانوا قد عذروا أنفسهم في هذا المسلك بدعوى انتشار شهادة الزور مما أدى إلى الفوضى في ساحات العدالة، فإن الفقه الإسلامى لم يكن بحاجة لمثل هذا التصرف وهذا التقييد مادام منهجه تربية الفرد، وغرس روح الأمانة والمراقبة لله عز وجل بحيث تدرج هذه المراقبة على أفعاله كلها فيكون بذلك بعيدا عن تهمة التزوير . ثم إن هذا المحذور الذى أدى تقييد الشهادة عند القانونيين لا يؤمن دخوله في الكتابة والمستندات الخطية، وما كان إنكار المانعين للإثبات بالكتابة إلا لتخوفهم من الغش والتزوير .

بقى لنا الآن أن نرى كيف يكون اعتداد الفقهاء بالمستندات المكتوبة في الإثبات . فإذا نظرنا إلى كتابات الفقهاء - المتقدمين منهم والمعاصرين - في الأدلة الكتابية نجدهم يقسمونها إلى قسمين رئيسيين :

(١) صحيح البخاري ٢٣٧/٤ (كتاب الأحكام - باب الشهادة على الخط) .

(٢) الطرق الحكمية ص ٣٠١، وأنظر المستصطفى للغزالي ١٦٦/١ .

## القسم الأول : المستندات الصادرة من دائرة رسمية :

وهي تلك التي يثبت بها موظف عام أو شخص مكلف بخدمة عامة ما تم على يديه أو ما تلقاه من ذوى الشأن وذلك طبقاً للقواعد المرعية وفي حدود سلطته أو ولايته أو اختصاصه . ولذلك فإن أهم ما يشترط للسند الرسمى مايلي :

(١) أن يكون تحريره بمعرفة موظف عمومي أو جهة رسمية .

(٢) أن يكون ذلك الموظف أو تلك الجهة الرسمية مختصة بتحرير مثل هذا السند وفي حدود سلطتها أو ولايتها .

(٣) أن يكون تحرير هذا السند قد تم بحسب القواعد الموضوعة له<sup>(١)</sup> .

ومثال المستندات الرسمية : صور الأحكام التي تستخرجها المحكمة ممهورة بامضاء القاضى وختم المحكمة، وثائق الزواج والطلاق، شهادات الميلاد، صكوك الأراضى وعقودها المستخرجة من سجلات مصلحة الأراضى، مخالفات مصلحة الضرائب وصندوق الزكاة وغير ذلك من المستندات التي تستخرج من الجهات المختصة معتمدة بختمها وامضاءها .

والورقة الرسمية حجة على ما تضمنته من حقوق وبيانات مادامت قد استوفت الشروط المتقدمة، ولذلك لا يقبل إنكار ما جاء فيها إذ أن الجهة الرسمية لا تستخرج هذا السند إلا إذا توثقت من صحة بياناته بالتحرى الدقيق أو بشهادة الشهود أو بالرجوع إلى سجلاتها .

ونستدل لهذا القول من كتب السابقين ما ورد عنهم في كلامهم عن كتاب القاضى إلى القاضى أو الحاكم إلى عماله فإنه يكون حجة وكذلك يكون حجة ما يصدره القضاة من أوراق للخصوم تتضمن الحكم الذى أصدره في قضاياهم وغير ذلك . ومن هذه الأقوال : يقول البخاري في صحيحه «باب الشهادة على الخط المختوم وما يجوز من ذلك وما يضيق منه وكتاب الحاكم إلى عامله والقاضى إلى القاضى . وقال بعض الناس : كتاب الحاكم جائز إلا فى الحدود، قال : وإن كان القتل، فالخطأ والعمد واحد، لأنه مال بزعمه وإنما صار مالا بعد أن ثبت القتل، فالخطأ والعمد واحد . وقد كتب عمر إلى عامله فى الحدود، وكتب عمر بن عبد العزيز فى سن كسرت .

(١) أصول المرافعات الشرعية : أنور العمروسى فقهه ٣١٨، علم القضاء : أحمد الحصرى ٤٨/١ .

وقال إبراهيم كتاب القاضى إلى القاضى جائز إذا عرف الكتاب والخاتم . وكان الشعبى يجيز الكتاب المختوم بما فيه من القاضى ، ويروى عن ابن عمر نحوه . وقال معاوية بن عبد الكريم الثقفى شهدت عبد الملك بن يعلى قاضى البصرة وإياس بن معاوية والحسن وثامة بن عبد الله بن أنس وبلال بن أبى بردة وعبد الله بن بريدة الأسلمى وعامر بن عبيدة وعباد بن منصور يجيزون كتب القضاة بغير محضر الشهود ، فإن قال الذى جىء عليه بالكتاب أنه زور قيل له أذهب فالتمس المخرج من ذلك . (١)

ويقول ابن القيم : (وقال أبو يوسف / محمد : ما وجد القاضى فى ديوانه من شهادة شهود شهدوا عنده لرجل على رجل بحق ، أو إقرار رجل لرجل بحق ، والقاضى لا يحفظ ذلك ولا يذكره فإنه ينفذ ذلك ويقضى به إذا كانت تحت خاتمه محفوظا ، ليس كل ما فى ديوان القاضى يحفظه) (٢) .

هذا ، وقد عقد صاحب جامع الفضولين فصلا فى حجية المحاضر الرسمية للقضاة والصور المستخرجة منها إذا كانت موقعة بختم القاضى وامضائه ، وبين أن محاضر القضاة وما دون فيها من أقوال الخصوم وسماع الشهود ومنطوق الحكم تكون حجة ، وكذلك الصورة التى يستخرجها القاضى من سجلات المحكمة تتضمن حكم قاض آخر فى دعوى من الدعوى (٣) .

يظهر من كلام الفقهاء أن إنكار الورقة الرسمية لا يقبل ، غير أنه إذا طعن فى الورقة الرسمية بالتزوير ، وقال إنهم قد زورا توقيع القاضى أو ختم جهة الاختصاص ، فللقاضى أن يحيل الأوراق إلى جهة الاختصاص أو أهل الخبرة للمضاهاة والافادة بصحة الورقة أو التزوير . وهل يحكم القاضى بقول أهل الخبرة أن المستند صحيح ؟ قيل لا يحكم لكون شهادتهم ليست شهادة على الحق ، وقيل يحكم بذلك (٤) . وعندى أن السير فى الدعوى يتوقف على مدى اقتناع القاضى بصحة السند استثناسا بقول أهل الخبرة ، ومدى قوة السند وأثره على الدعوى .

### القسم الثانى : المستندات العرفية :

والمستندات العرفية هى الأوراق والمستندات التى لم تصدر من دائرة رسمية أو موظف

(١) صحيح البخارى ٤/٢٣٧ . (كتاب الأحكام) .

(٢) الطرق الحكمة ص ٢٩٩ .

(٣) جامع الفضولين ١/٣٢٥ وما بعدها .

(٤) علم القضاء : أحمد الحصرى ١/٤٨ وما بعدها .

مختص ، وهى ككتابة المقر بخط يده أن لفلان عليه كذا ، أو كتابة الوصية بخط الموصى من غير أن يشهد على وصيته ، وكذلك هبته لأخر من غير أن يقوم بتسجيل الهبة ، ومن ذلك أيضا أن يجد الوارث فى دفتر مورثه أن له عند فلان كذا ، ومنه أيضا دفاتر التجار التى تبين تعاملهم ودائنيهم ومدينيهم .

والورقة العرفية حجة فيما تضمنته ، ويجوز للقاضى أن يحكم بمقتضاها ، فهى كالإقرار بالكتابة ، والإقرار بالكتابة كالإقرار باللسان عند الفقهاء . فمتى ما أقر الشخص بتوقيعه أو بخطه ، أو أقر الوارث بأن هذا خط مورثه أو توقيعه أو كان ذلك الخط أو التوقيع معروفا ومشهورا فعلى القاضى أن يعمل بمقتضى هذا السند .

يقول ابن القيم : (والحديث المتقدم - أى حديث الوصية - كالنص فى جواز الاعتماد على خط الموصى ، وكتبه ﷺ إلى عماله وإلى الملوك وغيرهم تدل على ذلك ولأن الكتابة تدل على المقصود فهى كاللفظ ولهذا يقع بها الطلاق .

قال القاضى : وثبوت الخط فى الوصية يتوقف على معاينة البينة أو الحاكم لفعل الكتابة ، لأنها عمل ، والشهادة على العمل طريقها الرؤية .

وقول الإمام أحمد وإن كان قد عرف خطه وكان مشهور الخط ، ينفذ ما فيها ، يرد على ما قاله القاضى ، فإن أحمد علق الحكم بالمعرفة والشهرة من غير اعتبار لمعاينة الفعل ، وهذا هو الصحيح ، فإن القصد حصول العلم بنسبة الخط إلى كاتبه ، فإذا عرف ذلك وتيقن كان كالعلم بنسبة اللفظ إليه ، فإن الخط دال على اللفظ واللفظ دال على القصد والإرادة . (١)

ويقول فى موضع آخر «وقد صرح أصحاب أحمد والشافعى بأن الوارث إذا وجد فى دفتر مورثه أن لى عند فلان كذا ، جاز له أن يحلف على استحقاقه وأظنه منصوبا عليها ، وكذلك لو وجد فى دفتره : إني أديت إلى فلان ماله عليّ جاز له أن يحلف على ذلك إذا وثق بخط مورثه وأمانته .» (٢) .

غير أننا نلاحظ اختلاف معاملة الفقهاء للورقة العرفية عن معاملة المستند الرسمى ، إذ أنهم لم يقبلوا إنكار من كان السند الرسمى حجة عليه أما الورقة العرفية فقد جعلوا كتابته

(١) الطرق الحكمية ص ٣٠٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٣ .

وتوقيعه كالإقرار، ولذا فإنه إذا أنكر إقراره أو قال إنه لم يوقع وليس هذا توقيعه فوجب على المدعى اثبات الإقرار بطريق آخر غير الورقة العرفية .

نخلص من هذا أنه يجوز الإثبات بالكتابة عموماً، فإن كان المستند صادراً من جهة رسمية فهو حجة، وعلى مدعى خلاف ما في السند إثبات بطلان هذا السند بالتزوير. أما إن كان السند عرفياً، فهو دليل على الحق غير أنه يجوز لمن كان السند حجة عليه أن ينكر دلالة هذا السند العرفي على الحق لكون الفقهاء عاملوا الورقة العرفية معاملة الإقرار، والإقرار يجوز الرجوع فيه، ولذا يمكن الطعن في هذه الورقة العرفية بإنكارها أو تزويرها .

### شهادة الخبراء :

ومن الوسائل التي تعين على أظهار الحق وكشف وجه الدعوى قول الخبراء . والخبراء هم الذين لهم المعرفة والخبرة بالمسائل الفنية إذا كان موضوع النزاع فيه مسألة فنية أو علمية تغيب على القاضى، ومن ذلك قول الطبيب الشرعى فى سبب الوفاة، وغير ذلك مما يختص بمعرفة الطبيب . وكذلك قول المهندسين والفاحصين والمختصين بمعرفة الخطوط والبصمات، كل فيما يتعلق ويتصل بمجال تخصصه، وكذلك قول البيطار فى عيوب الحيوان ودائه .

ويمكن القول بأن الشريعة الإسلامية قد اعتدت بقول أهل الخبرة، فقد قبل النبي ﷺ قول القائف وسر عليه الصلاة والسلام حينما أثبت نسب أسامة - رضى الله عنه - من زيد - رضى الله عنه - بمقارنة الشبه فى أقدمهما . (١) .

وقد أشارت الآية الكريمة فى قوله تعالى : ﴿بلى قادرين على أن نسوى بنانه﴾ . (القيامة : ٤) . إلى اختلاف بصمات الأصابع من شخص لآخر . فلا حرج إذن إذا استدلت القاضى على المتهم بقول الخبراء الذين قارنوا بصمات المتهم مع البصمات التى وجدت فى مكان الجريمة واتضح المطابقة . ولما كان قول الخبير ليس شهادة مباشرة فى موضوع النزاع إنما هو تقرير فنى يتعلق فقط بالمسألة الفنية القائمة فى الدعوى جاز للقاضى أن يحكم بمقتضاه إذا وافق الأدلة الأخرى القائمة فى الدعوى، كما يجوز له تركه أو ترك بعضه إذا رأى عدم سلامته أو عدم سلامة بعضه لكونه يخالف أدلة أخرى مقنعة وواضحة فى الدعوى، ذلك لأن القاضى لا يحكم إلا بما تطمئن إليه نفسه حسب الأدلة المقدمة فى الدعوى . وليس هذا إنكاراً للفائدة العلمية لتقرير الخبير ولكن قد توجد أدلة أخرى أكثر دلالة ووضوحاً فى

(١) صحيح البخاري ٣/١٣٩ . (كتاب الفرائض - باب القائف) .

محل النزاع، فوجود بصمة الشخص في محل الجريمة مثلا لا تعنى دائما أن صاحب البصمة هو الجانى لاحتمال أن يكون القاتل غيره كما إذا وجدته مقتولا فأراد أن يتبين فصار لامسا للقتيل أو كان حاملا له بقصد اسعافه، أو كان مدافعا عن نفسه وغير هذا من الاحتمالات . ثم إنه لما كان قول الخبير شهادة يستعين به القاضى فى الدعوى القائمة كما اسلفت، وجب أن يراعى فى هذا المقال الشبه التى ترد الشهادة فيجب ألا يكون الخبير الذى قدم تقريره فى الدعوى قريبا لأحد الخصوم أو قريبا لزوجته أو صهرا لأحد الخصوم أو وكيلا له أو لزوجته فى أعماله أو وصيا أو قريبا أو مظنونا وراثته بعد موته، كما يجب ألا تكون بينه وبين أحد الخصوم عداوة أو خصومة ما لم تكن هذه الخصومة قد اقيمت بعد الدعوى يقصد منعه من الأدلاء بقوله أو تقريره<sup>(١)</sup>.

وبانتهاى الكلام عن شهادة أهل الخبرة نكون قد فرغنا من عرض أهم وسائل الإثبات فى الفقه الإسلامى، وقد رأينا أن هناك قسما قد اتفق الفقهاء على حجتيه وهو الإقرار والشهادة، وقسما اختلفوا فيه وعرضنا فيه اليمين النكول عنه، وعلم القاضى، والقرائن والفراسة، والكتابة وشهادة الخبراء، وقبل أن أختتم هذا البحث أرى أن أقرر بعض الحقائق المهمة :

**الأولى :** إن هذه الأدلة التى سقناها تدل على الحق غالبا، ولا يخلو دليل منها - متفق عليه أو مختلف فيه - من احتمال، ولكن هذا الاحتمال لا يمنع غالب دلالتها على الحق، ولذا جعلها الشارع وسائل للإثبات لأن الحكم للكثير الغالب لا للقليل النادر .

**الثانية :** إنه لا يجوز التوصل إلى هذه الوسائل بطريق غير مشروع، ولا بد للقاضى من التأكد من سلامة اجراءات حصوله على أى من هذه الأدلة ويظهر تقرير الفقه الإسلامى لقواعد سلامة اجراءات الوصول إلى الأدلة فى أمرين :

( أ ) عدم جواز تعذيب المتهمين للحصول على إقرارهم :

يرى ابن حزم أن الامتحان فى الحدود وغيرها من الجرائم بالضرب وبالسجن أو التهديد لا يحل شرعا لأنه لم يرد بذلك قرآن ولا سنة ولا اجماع، بل قد منع الله تعالى من ذلك على لسان رسول الله ﷺ بقوله : «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم

(١) أصول المرافعات الشرعية : أنور العمروسى فقرة ٣٦٥ .

حرام»<sup>(١)</sup>. ولا يجوز ضرب المسلم إلا إذا ثبت عليه حق فمنعه فيكون ظالماً في هذه الحالة فوجب ضربه لأخراج الحق منه .

ويرى ابن حزم تأسيساً على ذلك أنه لو ضرب المتهم حتى أقر فإن إقراره لا يعمل به ، لأنه قد أخذ بصفة لم يوجبها قرآن ولا سنة ولا إجماع<sup>(٢)</sup> .

بيد أننا نجد الجمهور من الفقهاء قد قسموا الناس في الدعوى على طوائف ثلاث . طائفة لا يجوز حبسهم ولا ضربهم ولا يضيق عليهم بشيء بل ذهب بعض الفقهاء إلى تعزير من اتهمهم لأن التهمة لا تليق بأمثالهم لكونهم من أهل الورع والتقوى ومعروفين بالدين والصلاح ، وطائفة مجهول حالها لم تعرف بصلاح أو فسق ، فهذه قالوا لا يضرب المتهم منها ولكن يجبس حتى ينكشف أمره ، وطائفة المشتهرين بالفساد والفجور ونقب الدور والسرقات ، فهذا لا مانع من ضربه لمناسبة التهمة له ولكونه لو ترك لضاعت الحقوق وعمت الفوضى<sup>(٣)</sup> .

(ب) ألا يكون في الحصول على الدليل اعتداء على الحرية الشخصية :

وفي نظري أن الحصول على الدليل إذا كان باعتداء على الحرية الشخصية للفرد فإن ذلك سبب كاف في منع الاحتجاج به ، إذ أن الشريعة الإسلامية تمنع التجسس على الناس في حياتها الخاصة ، فيقول تعالى : ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ . (الحجرات : ١٢) . كما توجب الستر وعدم مضايقة الناس في بيوتهم ، ولذا فإن الدليل المأخوذ بأحد هذه الطرق يجب عدم الالتفات إليه .

ونستدل لذلك بما رواه البيهقي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فذكر البيهقي أن عبد الرحمن بن عوف حرس مع عمر ليلة بالمدينة ، فبينما هم يمشون شب لهب سراج في بيت ، فانطلقوا يؤمونه حتى إذا دنوا منه إذ باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقام عمر رضى الله عنه وأخذ بيد عبد الرحمن فقال : أتدرى بيت من هذا ؟ قلت : لا . قال : هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى ؟ قال عبد

(١) صحيح البخاري (كتاب الحدود) ١٠٥/٤ .

(٢) المحلى ١٣٥/١١ .

(٣) الفتاوى الكبرى ابن تيمية ١٩٠/٤ وما بعدها ، معين الحكام للطرابلسي ص ٢١٧ ، الطرق الحكمية ص ١١٧ ، والحبس

في التهمة والامتحان على طلب الإقرار مؤلفه سعد الدين بن الديرى الحنفى ص ١٦ .



الرحمن أرى قد أتينا ما نهى الله عنه ﴿ولا تجسسوا﴾ فقد تجسسنا فانصرف عنهم عمر رضى الله عنه وتركهم<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أن عمر رضى الله عنه كان يمر ليلة في المدينة فسمع صوتا في بيت فارتاب في أن صاحب الدار يرتكب محرما، فتسلق المنزل وتسور الحائط ورأى رجلا وامرأة ومعهما زق خمر فقال : يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصية، وأراد أن يقيم عليه الحد فقال الرجل : لا تعجل يا أمير المؤمنين إن كنت قد عصيت الله في واحدة فقد عصيته أنت في ثلاث فقال تعالى : ﴿ولا تجسسوا﴾ وأنت تجسسست . وقال : ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ (البقرة: ١٨٩) . وأنت تسورت وصعدت الجدار ونزلت . وقال تعالى : ﴿لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ . (النور: ٢٧) . وأنت لم تسلم . فخجل عمر وبكى وقال للرجل : هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم . فقال : أذهب فقد عفوت عنك<sup>(٢)</sup>.

معنى ذلك أن صاحب الدار دفع بعدم مشروعية الدليل . فقد ضبط بالفعل متلبسا بجريمة شرب الخمر ولكن هذا الضبط كان وليد اجراءات غير مشروعة ، وهو التجسس وتسور الحائط وعدم السلام ، وقد أخذ عمر وافتتن بصحة الدفع وترك الرجل ، وليست المسألة أن عمر أراد أن يجرى مقاصة بين ما ارتكبه صاحب الدار وما ارتكبه هو وعفا عنه لذلك ، لأنه لا يملك العفو عن الحد ، بل إنه اسقط الدليل المستمد من الواقعة بعد تبينه أنه وليد اجراءات غير مشروعة .

الثالثة : (الأصل في الذمة البراءة)<sup>(٣)</sup> معنى ذلك أنه ما لم يثبت بطريق من طرق الإثبات أن الشخص معتد أو غاصب فالأصل براءته ، فهذه قاعدة وأصل مقرر في الفقه الإسلامي .

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد حتى يرضى . . .

(١) السنن الكبرى ٣٣٣/٨ ، ورواه الحاكم في المستدرک ٣٧٧/٤ . قال الذهبي في تلخيص المستدرک صحيح .

(٢) تاريخ الطبری ٢٠/٥ المطبعة الحسينية . مصر .

(٣) الأشباه والنظائر لابن نجيم وشرح الحمدي على الأشباه ٨٩/١ . والمادة «٨» من مجلة الأحكام العدلية ، والمدخل الفقهي

العام للأستاذ مصطفى الزرقاء ٦٤٨/١ .

## أهم مراجع البحث

أولاً : كتب تفسير القرآن الكريم :

(١) أحكام القرآن : أبوبكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (٣٧٠هـ) ط . الأوقاف القسطنطينية ١٣٣٨هـ .

(٢) الكشف : محمود بن عمر الزمخشري (٥٢٨) ط . مصطفى محمد بمصر ١٣٥٤هـ .

(٣) أحكام القرآن : أبوبكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (٥٤٢) ط . دار احياء الكتب العربية ١٣٥٧هـ .

(٤) التفسير الكبير : محمد فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) ط . الأميرية بولاق ١٢٨٩هـ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ) ط . دار الكتب المصرية ١٣٥١هـ .

(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن محمد الخازن (٧٢٥هـ) ط . الأزهرية ١٣١٣هـ .

(٧) روح المعاني : شهاب الدين الألوسي (١٢٧٠هـ) إدارة الطبعة المنيرية بيروت .

ثانياً : كتب الحديث النبوي وشروحه :

(٨) الموطأ - مطبوع مع شرح الزرقاني : مالك بن أنس الأصبحي (١٧٩هـ) ط . الخيرية .

(٩) سنن الدارمي : محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (٢٥٥هـ) ط . الفنية . مصر ١٣٨٦هـ .

(١٠) صحيح البخاري : أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) ط . العامرة . مصر ١٢٨٦هـ .

(١١) صحيح مسلم : مطبوع مع شرح النووي : مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ) ط . المصرية ومكتبتها ١٣٤٩هـ .

- (١٢) سنن الترمذى : محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (٢٧٥هـ) ط . الصاوى . مصر ١٣٥٣هـ .
- (١٣) سنن أبى داود : أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ) ط . هندية حديثة .
- (١٤) نواذر الأصول : محمد بن على بن الحسين الحكيم الترمذى (٢٨٥هـ) ط . العثمانية .
- (١٥) سنن الدارقطنى : على بن عمر الدارقطنى (٣٨٥هـ) ط . دار المحاسن . مصر (١٣٨٦هـ) .
- (١٦) السنن الكبرى : أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقى (٤٨٥هـ) ط . دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٤هـ .
- (١٧) النهاية فى غريب الحديث والأثر : المبارك بن محمد بن الأثير (٦٠٦هـ) ط . العثمانية ١٣١١هـ .
- (١٨) شرح النووي على صحيح مسلم : يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ) ط . المصرية ومكتبتها .
- (١٩) فتح الباري شرح صحيح البخارى : أحمد بن حجر العسقلانى (٨٥٢هـ) ط . البهية . مصر ١٣٤٨هـ .
- (٢٠) نيل الأوطار : محمد بن على الشوكانى (١٢٥٥هـ) ط . العثمانية .
- (٢١) حاشية عون المعبود : أبو الطيب شمس الحق العظيم ابادى (١٣٢٠هـ) ط . هندية حديثة .
- (٢٢) التعليق المغنى على سنن الدارقطنى : أبو الطيب شمس الحق العظيم ابادى (١٣٢٠هـ) دار المحاسن .
- ثالثا : كتب الفقه الإسلامى :
- (أ) الفقه الحنفى :
- (٢٣) المبسوط : محمد بن أحمد بن سهل السرخسى (٤٣٨هـ) ط . السعادة . مصر ١٣٢٤هـ .
- (٢٤) بدائع الصنائع : علاء الدين بن مسعود الكاسانى (٥٨٧هـ) ط . المطبوعات العلمية . مصر ١٣٢٧هـ .

- (٢٥) الاختيار لتعليق المختار : أبو الفضل عبد الله بن محمود الموصلى (٦٨٣هـ) ط . السعادة . مصر ١٣٧٦هـ .
- (٢٦) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق : فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي (٧٤٢هـ) ط . الأميرية ١٣٧٦هـ .
- (٢٧) الفوائد الطرسوسية : نجم الدين ابراهيم بن علي الطرسوسي (٧٥٨هـ) ط . الشرق . مصر ١٣٤٤هـ .
- (٢٨) جامع الفضولين : أبوبكر علي المعروف بالحدادي (٨٠٠هـ) ط . الخيرية . مصر ١٣٢٢هـ .
- (٢٩) معين الحكام : علاء الدين الطرابلسي (٨٤٤هـ) ط . الأميرية بولاق ١٣٠٠هـ .
- (٣٠) فتح القدير : كمال الدين بن الهمام (٨٦١هـ) ط . الأميرية ١٣١٥هـ .
- (٣١) البحر الرائق : ابراهيم بن نجيم المصري (٩٧٠هـ) ط . دار المعرفة . بيروت .
- (٣٢) الأشباه والنظائر : ابراهيم بن نجيم المصري (٩٧٠هـ) ط . العامرة . مصر ١٢٩٠هـ .
- (٣٣) حاشية ابن عابدين : محمد أمين الشهير بابن عابدين (١٢٥٢هـ) ط . العثمانية ١٣٢٥هـ .
- (٣٤) رسائل ابن عابدين : محمد أمين ابن عابدين (١٢٥٢هـ) ط . العثمانية .
- (٣٥) مجلة الأحكام العدلية : لجنة من العلماء (١٢٩٨هـ) ط . العثمانية .
- (ب) الفقه المالكي :
- (٣٦) بداية المجتهد ونهاية المقتصد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (٥٩٥هـ) ط . البابي الحلبي ١٣٧٩هـ .
- (٣٧) الفروق : أحمد بن أدريس القرافي (٦٨٤هـ) دار احياء الكتب العربية ١٣٤٦هـ .
- (٣٨) قوانين الأحكام الشرعية : أبو القاسم محمد بن جزي (٧٤١هـ) دار العلم للملايين . بيروت .
- (٣٩) مختصر خليل : خليل بن إسحاق بن موسى (٧٧٩هـ) مع الشرح الكبير للدردير .

- (٤٠) تبصرة الحكام : ابراهيم بن فرحون (٧٩٩هـ) ط . البهية . مصر ١٣٠٢هـ .  
 (٤١) مواهب الجليل : محمد بن عبد الرحمن الخطاب (٩٥٤هـ) ط . السعادة مصر  
 ١٣٢٩هـ .  
 (٤٢) شرح مختصر خليل : أبو عبد الله الخرشبي (١١٠١هـ) ط . الأميرية  
 ١٣١٧هـ .  
 (٤٣) الشرح الكبير - هامش حاشية الدسوقي - أحمد بن محمد الدردير (١٢٠١هـ) .  
 (٤٤) حاشية الدسوقي : محمد بن عرفة الدسوقي (١٢٣٠هـ) ط . السعادة . مصر  
 ١٣٢٩هـ .

### ( ج ) الفقه الشافعي :

- (٤٥) الأم : أبو عبد الله محمد بن أدريس الشافعي (٢٠٤هـ) ط . الفنية .  
 (٤٦) مختصر المزني - هامش الأم : إسماعيل بن يحيى المزني (٢٦٤هـ) .  
 (٤٧) المهدي : إبراهيم بن علي الشيرازي (٤٧٦هـ) ط . البابي الحلبي  
 ١٣٤٣هـ .  
 (٤٨) مغني المحتاج : محمد الشربيني الخطيب (٩٧٧هـ) ط . البابي الحلبي  
 ١٣٧٧هـ .  
 (٤٩) نهاية المحتاج : محمد بن أبي العباس الرملي (١٠٠٤هـ) .

### ( د ) الفقه الحنبلي :

- (٥٠) المغني : عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (٦٢٠هـ) ط . دار المنار  
 ١٣٦٧هـ .  
 (٥١) السياسة الشرعية تقى الدين أبو العباس بن تيمية (٧٢٨هـ) دار الكتاب  
 العربي .

- (٥٢) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) ط . كردستان .  
 (٥٣) اعلام الموقعين محمد بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ط . الجليل . بيروت .  
 (٥٤) الطرق الحكمية : محمد بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ط . مصر .  
 (٥٥) كشف القناع : منصور بن يونس البهوثي (١٠٥١هـ) ط . أنصار السنة .

### الفقه الظاهري :

- (٥٦) المحلى : أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (٤٥٦هـ) ط . الامام . مصر .

رابعا : كتب أصول الفقه الإسلامي :

(٥٧) المستصفي من علم الأصول : أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) ط . الأميرية  
١٣٢٢هـ .

(٥٨) كشف الأسرار : عبد العزيز البخاري (٧٣٠هـ) ط . العثمانية .

(٥٩) الموافقات : إبراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠هـ) ط . السلفية ١٣٤١هـ .

(٦٠) علم أصول الفقه : عبد الوهاب خلاف . ط . النصر .

خامسا : اللغة والتراجم :

(٦١) لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ) ط . الأميرية ١٣٠٠هـ .

(٦٢) التعريفات : علي بن محمد السيد الجرجاني (٨١٦هـ) ط . البابي الحلبي

١٣٥٧هـ .

(٦٣) تاج العروس شرح القاموس : محمد بن محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ)

ط . الخيرية ١٣٠٦هـ .

(٦٤) الاعلام : خير الدين الزركلي ط . بيروت .

سادسا : مؤلفات حديثة :

(٦٥) طرق القضاء في الشريعة الإسلامية : أحمد إبراهيم ط . السلفية مصر

١٣٤٧هـ .

(٦٦) التعليق على نصوص قانون الإثبات : أحمد أبو الوفا ط . منشأة المعارف .

(٦٧) علم القضاء : أحمد الحصري .

(٦٨) أصول المرافعات الشرعية : أنور العمروسي .

(٦٩) دروس في قانون الإثبات : عبد الودود يحيى ط . دار النهضة العربية .

(٧٠) مباحث في المرافعات الشرعية : محمد زيد الابياني ط . عبد الله الكتيبي .

مصر .

(٧١) من طرق الإثبات في الشريعة والقانون : محمد البهي . ط . دار الفكر

العربي .

\*\*\*

# تَحْقِيقُ جُزْءِ الصُّعْفَاءِ وَالْمُتْرُوكِينَ

«لِلرَّيْطَانِ الدَّارِقَطْنِيِّ»

د. عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدٍ الْفَيْسِقَرِيِّ

٣

أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف بالجامعة

## حرف الغين

- (٤٢٥) غياث بن ابراهيم كوفي عن العالم<sup>(١)</sup>.  
(٤٢٦) غياث بن كلوب له نسخة عن مطرف بن سمره بن جندب لا يعرف إلا به  
ويروى عن شريك .  
(٤٢٧) غالب بن عبيد الله الجزري عن عطاء والزهرى وأبى إسحاق .  
(٤٢٨) غانم بن الأحوص حجازى عن أبى صالح السمان .  
(٤٢٩) غطيف<sup>(٢)</sup> بن أعين كوفي عن مصعب بن سعد .  
(٤٣٠) غطيف الجزرى ويقال الطائفى روى عنه أسد بن عمرو البجلي ويروى عنه  
القاسم بن مالك فيقول روح بن غطيف . هو . هو .

## حرف الفاء

- (٤٣١) فايد بن عبد الرحمن أبو الورقاء كوفي عن ابن أبى أوفى ومحمد بن المنكدر<sup>(٣)</sup>.  
(٤٣٢) فرات بن السائب جزرى عن ميمون بن مهران وأبى إسحاق<sup>(٤)</sup>.  
(٤٣٣) فرقد بن يعقوب السبخى أبو يعقوب بصرى عن مرة الطيب والنخعي<sup>(٥)</sup>.

(١) قال الذهبى : تركوه ديوان ٢٤٥ .

(٢) قال الحافظ : ويقال بالضاد المعجمة . تقريب التهذيب ٢٧٤ .

(٣) قال ابن حجر : متروك اتموه من صغار الخامسة - ت ق - تقريب التهذيب ٢٧٤ .

(٤) قال البخارى : تركوه منكر الحديث . التاريخ الكبير ١٣٠/١/٤ .

(٥) قال الذهبى : وثقه ابن معين وقال أحمد ليس بقوى وقال الدارقطنى ضعيف ، ديوان ٢٤٧ .

- (٤٣٤) فهد بن حيان بصرى عن شعبه وأبى عوانه<sup>(١)</sup> .  
 (٤٣٥) فهد بن عوف أبوريبيعه ويقال زيد . بصرى . عن حماد بن زيد<sup>(٢)</sup> .  
 (٤٣٦) فطر بن محمد العطار الأحذب . حدثوا عنه . كذاب .

## حرف القاف

- (٤٣٧) قاسم بن عبد الله بن عمر العمرى عن أبيه وعمه وعبد الله بن دينار .  
 (٤٣٨) قاسم بن ابراهيم الملقب عن مالك يكذب<sup>(٣)</sup> .  
 (٤٣٩) قاسم بن أبى شيبه عن البصريين والكوفيين<sup>(٤)</sup> .  
 (٤٤٠) قاسم بن محمد بن حماد الدلال كوفى .  
 (٤٤١) قزعة بن سويد البصرى يغلب عليه الوهم .

## حرف الكاف

- (٤٤٢) كثير بن سليم بصرى عن أنس .  
 (٤٤٣) كثير بن عبد الله الأبلق أبوهاشم عن أنس<sup>(٥)</sup> .  
 (٤٤٤) كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى عن أبيه عن جده .  
 (٤٤٥) كثير بن مروان المقدسى عن إبراهيم بن أبى عبلة .  
 (٤٤٦) كوثر بن حكيم الحلبي عن نافع .

## حرف اللام

- (٤٤٧) لوط بن يحيى الكوفى أبو مخنف إخبارى . ضعيف .

---

(١) قال الذهبى : ضعفه . ديوان ٢٥٠ .  
 (٢) قال ابن المدينى كذاب . ديوان ٢٥٠ .  
 (٣) فى أصل المخطوط قاسم بن ابراهيم الملقب والتصويب من ميزان الاعتدال ٣/٣٦٧ .  
 (٤) قال الذهبى : القاسم بن محمد بن أبى شيبه أخو أبى بكر . ديوان ٢٥٢ .  
 (٥) قال الذهبى : ذهب ابن حبان إلى أن هذا وكثير بن سليم واحد . وليس هذا بشيء . ميزان الاعتدال ٣/٤٠٦ .



## حرف الميم

- (٤٤٨) محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير مكى (١).  
(٤٤٩) محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه . وزيد بن اسلم . وعطاء ، والحكم ،  
وعبيد الله هذا . ليس بصاحب على . ذاك عبيد الله بن على بن أبي رافع .  
(٤٥٠) محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان العزرمى . وهو ابن أخى عبد الملك بن أبي  
سليمان .  
(٤٥١) محمد بن عبد الرحمن . أبو جابر البياضى عن ابن المسيب .  
(٤٥٢) محمد بن عبد الرحمن بن البيهقي . يمانى . عن أبيه وأبوه يعتبر به .  
(٤٥٣) محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر المليكى القرشى الجدعانى عن جعفر بن  
محمد ، وعبيد الله بن عمر ، وأبن أبي مليكة (٢).  
(٤٥٤) محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة . مراسيل . عن سعد وابن عمر (٣).  
(٤٥٥) محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن . أبى الزناد ،  
والزهري .  
(٤٥٦) محمد بن عبد الملك الأنصارى . مدنى . عن نافع والزهري وابن المنكدر .  
(٤٥٧) محمد بن حجاج المصفر بغدادى . عن شعبة ومالك .  
(٤٥٨) محمد بن حجاج اللخمي . الواسطى . يكذب . عن عبد الملك بن عمير  
ومجالد .  
(٤٥٩) محمد بن حجاج بن سويد البرجمي كوفى عن هشام بن عروة . من الشيعة .  
(٤٦٠) محمد بن سعيد بن أبى قيس المصلوب شامى عن عبادة بن أنسى ،  
والزهري ، واسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر (٤).  
(٤٦١) محمد بن سالم أبوسهل كوفى عن الشعبى والحكم .  
(٤٦٢) محمد بن كريب مدنى عن أبيه .

---

(١) قال الذهبى : تركوه واجمعوا على ضعفه وهو محمد المحرم ديوان ٢٧٦ .  
(٢) فى أصل المخطوط محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر المكى والتصويب من كتب الرجال . أنظر ميزان الاعتدال ٦١٩/٣ ،  
ديوان ٢٧٩ .  
(٣) قال ابن حجر : محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة بفتح اللام وكسر الموحده وسكون التحتانية وفتح الموحده الأخرى . ويقال  
ابن أبى لبيبة . تهذيب التهذيب ٣٠١/٩ ، تقريب التهذيب ٣٠٨ .  
(٤) قال الذهبى : كذاب صلب فى الزندقة اخرجته البخارى فى أماكن من تاريخه لاختلافهم فى اسمه ونسبه وتقلب اسمه على  
وجوه . ديوان ٢٧٣ .

- (٤٦٣) محمد بن عثيم أبوذر عن ابن البيهاني .
- (٤٦٤) محمد بن عون الخراساني سكن الكوفة عن نافع وسعيد بن جبير .
- (٤٦٥) محمد بن زياد الميموني<sup>(١)</sup> .
- (٤٦٦) محمد بن مهران يكذب<sup>(٢)</sup> .
- (٤٦٧) محمد بن السائب الكلبي .
- (٤٦٨) محمد بن زاذان شامي . عن محمد بن المنكدر وأم سعد الأنصارية . هي لا تُعرف إلا به .
- (٤٦٩) محمد بن زيد العبدي بالبصرة عن أبي الأعين وسعيد بن جبير .
- (٤٧٠) محمد بن مروان السدي أبو عبد الرحمن كوفي . مصنف . عن عبيد الله بن عمر ويزيد بن أبي زياد .
- (٤٧١) محمد بن معاوية النيسابوري حدث ببغداد ثم بمكة وليس هو ابن مالح ، ابن صالح ثقة<sup>(٣)</sup> .
- (٤٧٢) محمد بن كثير القصاب السلمى بصرى . وقال يحيى بن معين ثقة عن يونس ابن عبيد .
- (٤٧٣) محمد بن الحسن بن زباله . مدني . عن مالك ، وسليمان بن بلال .
- (٤٧٤) محمد بن الحسن بن آتش صنعاني .
- (٤٧٥) محمد بن الفضاء المعبر بصرى عن أبيه عن علقمه بن عبد الله عن أبيه . لا يعرفون إلا به<sup>(٤)</sup> .
- (٤٧٦) محمد بن فرات كوفي عن أبي إسحاق وعبد الله بن الحسن .
- (٤٧٧) محمد بن عمر الواقدي مختلف فيه . فيه ضعف بين في حديثه<sup>(٥)</sup> .
- (٤٧٨) محمد بن القاسم الأسدي . أبو إبراهيم . كوفي يكذب . عن الثوري ، والأوزاعي .

(١) هو محمد بن زياد اليشكري الميموني الطحان . ميزان الاعتدال ٥٥٢/٣ .

(٢) قال الذهبي : محمد بن مسلم ويقال محمد بن مهران بن مسلم بن المثنى ، ميزان الاعتدال ٣٦/٤ .

(٣) قال الذهبي محمد بن معاوية النيسابوري وهو محمد بن معاوية ابن أعين الهلالي يكنى أبا علي . وقال ابن حجر . ابن مالح بميم وجيم وأسم جده يزيد الأنباطي . وأبو جعفر البغدادي صدوق ربا وهم . أنظر ميزان الاعتدال ٤٤/٣ ، تقريب التهذيب ٣١٩ .

(٤) محمد بن فضال بفتح الفاء والمعجمة مع المد . تقريب التهذيب ٣١٥ .

(٥) في أصل المخطوط محمد بن عبد الله والصواب ما هو مثبت قال ابن حجر : متروك مع سعة علمه من التاسعة - ق - تقريب التهذيب ٣١٢ .

(٤٧٩) محمد بن ذكوان بصرى . خال ولد حماد بن زيد ، يروى عن عمرو بن دينار وابن المنكدر ومجالد .

(٤٨٠) محمد بن أبى حميد ويقال حماد . مدنى ، عن ابن المنكدر ، ونافع ، وزيد بن أسلم .

(٤٨١) محمد بن يحيى الزهرى . أبو غزّيه مدنى عن عبد الوهاب بن موسى يضع .

(٤٨٢) محمد بن الفضل بن عطية الخراسانى ضعيف عن أبى إسحاق ومنصور من

المتأخرين .

(٤٨٣) محمد بن زكريا الغلابى بصرى يضع .

(٤٨٤) محمد بن عيسى بن حيان المدائنى<sup>(١)</sup> . عن ابن عيينه ومحمد بن الفضل بن

عطية .

(٤٨٥) محمد بن عبد بن عامر . طواف . فى البلدان يكذب ويضع<sup>(٢)</sup> .

(٤٨٦) محمد بن يونس بن موسى الشامى الكديمى<sup>(٣)</sup> .

(٤٨٧) محمد بن ابراهيم بن زياد الرازى .

(٤٨٨) محمد بن عكاشة الكرمانى . بصرى يضع الحديث .

(٤٨٩) محمد بن عكاشة . كوفى . ضعيف .

(٤٩٠) محمد بن عبد الرحمن بن غزوان . هو ابن زيد ، متروك بغدادى .

(٤٩١) محمد بن أيوب بن سويد الرملى . ضعيف .

(٤٩٢) محمد بن عبد الله بن نمران . ضعيف .

(٤٩٣) محمد بن عيسى الهذلى . ضعيف . يروى عن محمد بن المنكدر يكنى أبا

يحيى .

(٤٩٤) محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن ثابت الأشنانى كذاب دجال<sup>(٤)</sup> ( )

يضع الأحاديث .

(٤٩٥) محمد بن هارون بن عيسى بن برّيه . الهاشمى .

(٤٩٦) معبد الجهنى . قدرى . عن حمران .

(١) هنا عبارة لم أتبينها ولم أجدها فى كتب الرجال .

(٢) أنظر ميزان الاعتدال ٦٣٣/٣ .

(٣) قال الذهبى : سئل عنه الدارقطنى فقال : يهتم بوضع الحديث . وما أحسن فيه القول إلا من لم يخبر حاله . ميزان

الاعتدال ٧٥/٤ .

(٤) هنا عبارة غير واضحة . وأنظر تاريخ بغداد ٤٣٩/٥ .

(٤٩٧) محرر بن هارون بن عبد الله التيمي . الهديري . مدني عن الأعرج عن أبيه لا يعرف إلا به (١).

(٤٩٨) مبارك بن سحيم أبو سحيم بصرى . مولى عبد العزيز بن صهيب (٢) .

(٤٩٩) مبشر بن عبيد الحمصي . يكذب . عن الزهري ، وزيد بن أسلم وحجاج ابن أرقطاه .

(٥٠٠) مهدي بن هلال . يضع عن هشام بن عروه . وجعفر .

(٥٠١) مينا . مولى عبد الرحمن بن عوف عن ابن مسعود .

(٥٠٢) مطير بن خالد . وقيل ، مطر الاسكاف عن أنس .

(٥٠٣) معلى بن عرفان . كوفي . عن أبي وائل .

(٥٠٤) معلى بن هلال بن سويد الطحان . كوفي يكذب . عن أبي إسحاق وعبيد

الله بن عمر . يروى عنه الحسناني فيقول على بن سويد . ويروى فروة بن أبي المغراء فيقول عبد الله بن عبد الرحمن ويروى عنه غيرهما فيقول أبو عبد الله الطحان (٣) .

(٥٠٥) معلى بن عبد الرحمن . واسطى . عن شريك ، وعبد الحميد بن جعفر (٤) .

(٥٠٦) مسعده بن اليسع باهلي ، بصرى . عن جعفر بن محمد ، وابن جريج ومحمد ابن عمرو .

(٥٠٧) مسيب بن شريك . كوفي . أبو سعيد عن الأعمش وعبيد الله بن عمرو وهشام

ابن عروه . روى عنه إسحاق بن بهلول فقال أبو سعيد الشقري . وروى عنه على بن الجعد فقال أبو سعيد . ضعيف (٥) .

(٥٠٨) مسور بن الصلت . مدني عن نافع وابن المنكدر وزيد بن أسلم .

(٥٠٩) ميسره بن عبد ربه بغدادى . عن زيد بن أسلم كتاب العقل لداود بن المحبر

تصنيفه (٦) .

(٥١٠) معاوية بن يحيى الصدفي يكتب ما روى الهقل عنه ويتجنب ما سواه خاصة ما

روى عنه إسحاق بن سليمان الرازي .

(١) قال ابن حجر : محرر برأين وزن محمد على الصحيح . تقريب التهذيب ٣٢٩ .

(٢) مبارك بن سحيم بمهملتين مصغرا . تقريب التهذيب ٣٢٧ .

(٣) أنظر تهذيب التهذيب ٢٤٠/١٠ .

(٤) قال الذهبي : قال الدارقطني كذاب ديوان ٣٠٤ .

(٥) أنظر لسان الميزان ٣٨/٦ .

(٦) قال الخطيب البغدادي : روى عنه شعيب بن حرب المدائني خطبة الوداع . وداود بن المحبر بن قحزم أحاديث باطلة في

كتاب العقل . تاريخ بغداد ٢٢٢/١٣ .

- (٥١١) معاوية بن عمر أبو مطيع الاطرابلسي . روى عنه الوليد بن مسلم وشعبة وهشام بن عروة وعلى بن عياش .
- (٥١٢) موسى بن مطير كوفي . عن أبيه ، وعاصم بن بهدله . وموسى بن طلحة . ومطير أبوه لا يعرف إلا به .
- (٥١٣) موسى بن عمير أبوهارون الجعدي المخزومي . مولى بنى جعده بن هبيرة عن الحكم وأبي إسحاق .
- (٥١٤) موسى بن سعد أبو علي الحنفي . حديث منكر عن الحكم فقال حدثنا أبو هارون الشامي (١) .
- (٥١٥) موسى بن عمير العنبري . ثقة عن علقمة بن وائل بن حجر (٢) .
- (٥١٦) موسى بن عبيدة الربذي . لا يتابع على حديثه . وأخوه عبد الله صالح .
- (٥١٧) موسى بن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي . عن أبيه والزهرى ، ومجاهد .
- (٥١٨) موسى بن دينار مكي عن هشام .
- (٥١٩) موسى بن طريف كوفي . عن عباية بن ربعي . متروك .
- (٥٢٠) موسى بن عمير العنبري عن عبد الجبار وأبي وائل بن حجر (٣) .
- (٥٢١) موسى بن سهل ألوشاء عن اسماعيل بن عليه حدثنا عنه هو غير موسى بن سهل بن عبد الحميد الجوني . والجوني صالح الحديث .
- (٥٢٢) موسى بن دهقان حدثنا عنه بصري عن ابن كعب بن مالك .
- (٥٢٣) موسى بن محمد بن عطاء المقدسي أبو طاهر عن مالك والموقري .
- (٥٢٤) مغيرة بن سعيد الكوفي . دجال . أحرق بالنار زمن النخعي أدعى النبوة (٤) .
- (٥٢٥) مسلمة بن علي الحشني عن الأوزاعي ، وهشام بن عروة وعبيد الله بن عمر .
- (٥٢٦) مقاتل بن سليمان . خراساني . يكذب .
- (٥٢٧) ميمون أبو حمزة القصاب الأعور . كوفي عن النخعي والحسن .

(١) أنظر لسان الميزان ١١٦/٧ .

(٢) وثقه ابن معين وأبو حاتم والعجلي . تهذيب التهذيب ٣٦٤/١٠ .

(٣) أنظر الترجمة السابقة . ولعل هذا التكرار سبق قلم من الناسخ .

(٤) قال الجوزجاني قتل المغيرة على ادعاء النبوة كان اشعل النيران بالكوفة على التمويه والشعبه حتى اجابه خلق . ميزان

الاعتدال ١٦١/٤ .

- (٥٢٨) مروان بن سالم الجزرى . قرقسانى . عن عبد الملك بن أبى سليمان  
والزهري . (قال البرقانى استدركت من هنا إلى آخره من كتاب غيري) .
- (٥٢٩) مطرب بن ميمون المحاربى .
- (٥٣٠) مطرح بن يزيد . شامى .
- (٥٣١) مجالد بن سعيد . كوفى . ليس بقوى .
- (٥٣٢) المثنى بن الصباح مكى .
- (٥٣٣) مجاشع بن عمرو .
- (٥٣٤) منذر بن زياد الطائى .
- (٥٣٥) معارك بن عباد عن عبد الله بن سعيد المقبرى .

### حرف النون

- (٥٣٦) ناصح بن عبد الله أبو عبد الله كوفى . عن سماك بن حرب .
- (٥٣٧) ناصح بن العلاء أبو العلاء بصرى . عن عمار بن أبى عمار .
- (٥٣٨) نوح بن أبى مريم أبو عصمه .
- (٥٣٩) نوح بن دراج . كوفى .
- (٥٤٠) النضر بن عبد الرحمن الخزاز . كوفى . عن عكرمه .
- (٥٤١) النضر بن سلمه . شاذان .
- (٥٤٢) النضر بن مطرق كوفى أبا لينة .
- (٥٤٣) نصر بن طريف أبو جزى .
- (٥٤٤) نصر بن باب . خراسانى .
- (٥٤٥) نصر بن حماد . أبو الحارث الوراق . عن شعبه .
- (٥٤٦) نصر بن مزاحم المنقرى . كوفى .
- (٥٤٧) نفيح بن الحارث أبو داود الأعمى . كوفى .
- (٥٤٨) نافع . أبو هرمز بصرى عن أنس وعطاء<sup>(١)</sup> .
- (٥٤٩) نجيح . أبو معشر<sup>(٢)</sup> .
- (٥٥٠) نهشل بن سعيد ، خراسانى .

(١) قال الذهبى : نافع بن هرمز أبو هرمز وسماه العقيلى نافع بن عبد الواحد . ميزان الاعتدال ٢٤٣/٤ .

(٢) قال الذهبى : نجيح أبو معشر السندى الهاشمى مولا هم المدنى صاحب المغازى . ميزان الاعتدال ٢٤٦/٤ .

- (٥٥١) نعيم بن المورع بن توبه . عن الأعمش ، وهشام بن عروه .  
 (٥٥٢) نوفل بن سليمان الهنائي . حجازى .

## حرف الواو

- (٥٥٣) واقد بن سلامه مدنى . وقيل وافد بالفاء عن يزيد الرقاشى (١) .  
 (٥٥٤) واصل بن السائب الرقاشى . كوفى .  
 (٥٥٥) وازع بن نافع العقيلى . جزرى .  
 (٥٥٦) وهب بن وهب أبو البخترى . بغدادى . كذاب .  
 (٥٥٧) وليد بن محمد الموقرى . شامى (٢) .  
 (٥٥٨) وليد بن العباس بن مسافر . الخولانى . مصرى .  
 (٥٥٩) وليد بن وليد الدمشقى عن ابن ثوبان . وسعيد بن بشير .

## حرف الهاء

- (٥٦٠) هشام بن زياد أبو المقدام بصرى عن محمد بن كعب . وهشام بن عروه وأخوه  
 الوليد ثقة .  
 (٥٦١) هشام بن محمد بن السائب الكلبنى عن أبى مخنف ومجاهد (٣) .  
 (٥٦٢) هيثم بن جمار البكاء بصرى .  
 (٥٦٣) هيثم بن عدى الطائى .  
 (٥٦٤) هيثم بن عبد الغفار بصرى .  
 (٥٦٥) هذيل بن بلال المدائنى يكنى أبا البهلول .  
 (٥٦٦) هارون بن هارون مدنى (٤) .  
 (٥٦٧) هارون بن حيان الرقى عن ابن المنكدر وليث بن أبى سليم .  
 (٥٦٨) هارون بن دينار (٥) .

(١) قال الذهبى : وافد بالفاء أو بقاف . ضعفه . ميزان الاعتدال ٣٣٠/٤ .

(٢) قال الذهبى : الوليد بن محمد الموقرى صاحب الزهرى يكنى أبا بشير البلقاوى مولى بنى أمية . والموقر حصن بالبقاء .

ميزان الاعتدال ٣٤٦/٤ .

(٣) قال الذهبى : النسابة العلامة وقيل أن تصانيفه أزيد من مائة وخمسين مصنفا . ميزان الاعتدال ٣٠٤/٤ .

(٤) هارون بن هارون بن عبد الله بن محرز بن الهدير أخو محرز ابن هارون . ميزان الاعتدال ٢٨٧/٤ .

(٥) قال الذهبى : شيخ بصرى . ضعفه الدارقطنى وغيره . ميزان الاعتدال ٢٨٣/٤ .

## حرف الياء

- (٥٦٩) يحيى بن عبيد الله بن موهب عن أبيه .  
(٥٧٠) يحيى بن أبي أنيسه الجزرى .  
(٥٧١) يحيى بن مسلم البكاء بصرى . عن ابن عمر .  
(٥٧٢) يحيى بن سلمة بن كهيل .  
(٥٧٣) يحيى بن عقبة بن أبى العيزار .  
(٥٧٤) يحيى بن أبى حيه . أبو جناب الكلبي (١) .  
(٥٧٥) يحيى بن سعيد المدينى . التميمى وهو الفارسى قاضى شيراز عن الزهرى وهشام بن عروة .  
(٥٧٦) يحيى بن كثير أبو النضر . بصرى ضعيف . عن أيوب ، وسليمان التيمى وعامر الأحول ، وعطاء بن السائب ، وداود بن أبى هند .  
(٥٧٧) يحيى بن العلاء الرازى البجلي .  
(٥٧٨) يحيى بن ميمون بن عطاء أبو أيوب التمار بصرى .  
(٥٧٩) يحيى بن بسطام بن حريث بصرى .  
(٥٨٠) يحيى بن هاشم السمسار . أبوزكريا . كان ببغداد .  
(٥٨١) يحيى بن عمرو بن مالك . بصرى .  
(٥٨٢) يحيى بن راشد . بصرى .  
(٥٨٣) يحيى بن سالم . كوفى .  
(٥٨٤) يحيى بن ثعلبه أبو المقوم (٢) .  
(٥٨٥) يحيى بن عنبسه بغدادى كذاب .  
(٥٨٦) يزيد بن عياض بن جعدبه . مكى (٣) .  
(٥٨٧) يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوى .  
(٥٨٨) يزيد بن ربيعة أبو كامل الرحبى . من صنعاء دمشق .  
(٥٨٩) يزيد بن سفيان أبو المهزم بصرى ضعفه شعبه (٤) .

(١) يحيى بن أبى حيه بمهمله وتحتانية أبو جناب بجيم ونون خفيفتين . تقريب التهذيب ٣٧٤ .

(٢) أنظر ميزان الاعتدال ٤/٢٦٧ .

(٣) يزيد بن عياض بن جعدبه بضم الجيم والمهمله بينها مهملة ساكنة . تقريب التهذيب ٣٨٤ .

(٤) أبو المهزم بتشديد الزاى المكسورة اسمه يزيد وقيل عبد الرحمن . تقريب التهذيب ٤٢٨ .



- (٥٩٠) يزيد بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل مدني .  
 (٥٩١) يزيد بن إبان الرقاشي عن أنس .  
 (٥٩٢) يزيد بن بيان المعلم .  
 (٥٩٣) يزيد بن يوسف الشامي .  
 (٥٩٤) يزيد بن عطاء مولى أبي عوانه واسطي .  
 (٥٩٥) يعقوب بن الوليد مدني .  
 (٥٩٦) يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه .  
 (٥٩٧) يوسف بن السفر أبو الفيض عن الأوزاعي روى عنه عبد الله بن عمران العابدی فقال يوسف بن الفيض شامي (١) .  
 (٥٩٨) يوسف بن خالد السمطي بصرى .  
 (٥٩٩) يوسف بن عطية الصفار أبو سهل بصرى .  
 (٦٠٠) يوسف بن عطية الوراق كوفي أبو المنذر .  
 (٦٠١) يوسف بن ميمون الصباغ كوفي . عن عطاء .  
 (٦٠٢) يونس بن خباب كوفي سىء المذهب (٢) .  
 (٦٠٣) يعلى بن الأشدق .  
 (٦٠٤) ياسين بن معاذ أبو خلف الزيات كوفي .  
 (٦٠٥) يمان بن المغيرة أبو حذيفة العنزي بصرى (٣) .  
 (٦٠٦) يمان أبو حذيفة . وقيل ابن حذيفة . بصرى .  
 (٦٠٧) يمان بن سعيد . أبو رضوان شامي .  
 (٥٠٨) يمان بن عدى أبو عدى الحضرمي ضعيف .  
 (٦٠٩) يمان بن رئاب خراساني يرى رأى الخوارج .

## الكنى

(٦١٠) أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبره مديني (٤) .

(١) أنظر ميزان الاعتدال ٤/٤٦٦ .

(٢) ما بين القوسين كلمة غير واضحة وقد وجدت ترجمة هذا الرجل في ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب وعثرت فيها على قول الدارقطني ونصه : «كان رجل سوء فيه شيعية مفرطه كان يسب عثمان» أنظر ميزان الاعتدال ٤/٤٧٩ ، تهذيب التهذيب ٤٣٨/١١ .

(٣) جعل الذهبي هذه الترجمة وما بعدها لرجل واحد . ميزان الاعتدال ٤/٤٦٠ .

(٤) قيل اسمه عبد الله وقيل محمد . تقريب التهذيب ٣٩٦ .

- (٦١١) أبو حامد الحنفى مجهول .
- (٦١٢) أبو داود النخعي كذاب رماه أحمد بن حنبل بالكذب .
- (٦١٣) أبو كرز القرشى مجهول<sup>(١)</sup> .
- (٦١٤) أبو ناشرة مجهول .
- (٦١٥) أبو سورة مجهول يروى عن أبي أيوب الأنصارى<sup>(٢)</sup> .
- (٦١٦) أبو ادم كوفي سليمان بن زيد المحاربى عن ابن أبى أوفى ضعيف .
- (٦١٧) أبو همدان . القاسم بن بهرام قاضى هيت متروك .
- (٦١٨) أبو توبة القاص بصرى ضعيف .
- (٦١٩) أبو سفيان الصوفى . ويقال العوفى . قال الدارقطنى ليس أعرفه .
- (٦٢٠) أبو حماد الكوفى الحنفى المفضل بن صدقه ليس بالقوى .
- (٦٢١) أبو حفص العبدى عمر بن حفص ضعيف .
- (٦٢٢) أبو أمية بن يعلى الثقفى ضعيف<sup>(٣)</sup> .
- (٦٢٣) أبو سفيان السعدى طريف ضعيف .
- (٦٢٤) أبو عبد السلام مجهول<sup>(٤)</sup> .
- (٦٢٥) أبو صفوان عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان من الثقات عن يونس ابن مالك .
- (٦٢٦) سعيد بن مسلمه بن هشام بن عبد الملك ضعيف يعتبر به .
- (٦٢٧) ومسلمه بن سعيد بن عبد الملك يعتبر به ضعيف .
- (٦٢٨) بقيه يروى عن قوم متروكين مثل .
- (٦٢٩) مجاشع بن عمرو<sup>(٥)</sup> .
- (٦٣٠) وعبيد الله بن يحيى لا أعرفه ولا أعلم روى عنه غير بقيه .

(١) عبد الله بن كرز القرشى لسان الميزان ٩٨/٧ .  
(٢) قال الذهبى : يقال أنه ابن أخى أبى أيوب . ميزان الاعتدال ٥٣٥/٤ .  
(٣) قال الذهبى : هو اسماعيل . ميزان الاعتدال ٤٩٣/٤ .  
(٤) قال الذهبى : قيل اسمه الزبير وقيل أيوب . ميزان الاعتدال ٥٤٨/٤ .  
(٥) انظر ميزان الاعتدال ٤٣٦/٣ .

(٦٣١) وعبد الحميد بن السرى الغنوى يروى عن عبيد الله بن عمر يقال له أبو اليسر ضعيف<sup>(١)</sup>.

(٦٣٢) الوليد بن مسلم يرسل، يروى عن الأوزاعى أحاديث الأوزاعى عن شيوخ ضعفاء عن شيوخ قد أدركهم الأوزاعى مثل نافع وعطاء والزهرى فيسقط أسماء الضعفاء ويجعلها عن الأوزاعى عن عطاء يعنى مثل عبد الله بن عامر الأسلمى واسماعيل بن مسلم<sup>(٢)</sup>.

(آخر الكتاب والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً) . . . وهو حسبنا ونعم الوكيل . بلغ العرض .

كان الحسن البصرى رحمه الله يقول :

لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس  
بعيب هو فيه ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يبدأ بإصلاح ذلك  
من نفسه فإنه إذا فعل ذلك لم يصلح عيباً إلا وجد في نفسه  
عيباً آخر ينبغى له أن يصلحه فإذا فعل ذلك شغل نفسه  
بخاصة نفسه من عيب غيره . . .

وإنك ناظر إلى عملك يوزن خيره وشره، فلا تحقرن  
شيئاً من الخير وإن صغر، فإنك إذا رأيت سريراً مكانه، ولا  
تحقرن شيئاً من الشر وإن صغر، فإنك إذا رأيت ساءك  
مكانه . . .

(١) قال الذهبى : من المجاهيل . ضعفه الدارقطنى . ميزان الاعتدال ٥٤١/٢ .

(٢) قال الذهبى : إذا قال الوليد بن مسلم عن ابن جريج أو عن الأوزاعى فليس بمعتمد لأنه يدل على كذاين فإذا قال حدثنا فهو حجة . ميزان الاعتدال ٣٤٨/٤ .

# الملك عبد العزيز آل سعود

بين

## نصره لله ونصر الله له

لشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن

المرضى بالعهد الثاني التابع للجماعة

(٣)

كان الملك عبد العزيز دائم الشكر لله سبحانه وتعالى على تأييده له في كل موقفه، وكان دائما يفيض في الحديث بنعمة الله عليه، وبتوفيقه في جميع أموره، قال رحمه الله :

«التوفيق . . . والتوفيق لا يكون إلا بالله . . . ﴿وما توفيقى إلا بالله﴾ . (هود : ٨٨) .  
والإنسان بلا توفيق لا يستطيع أن يعمل شيئا . . . نسأل الله أن يوفقنا لما فيه الخير لهذا الوطن العزيز . . . إن توفيق الله هو المقدم والنافذ . . . وأمره بين الكاف والنون ﴿كن فيكون﴾ .  
(يس : ٨٢) والقدرة وحدها لا تنفع ما لم تكن مؤيدة من الله سبحانه وتعالى . . . نسأل الله التوفيق، وأن ينصر دينه، ويعلى كلمته، ويعز الإسلام والمسلمين .  
ونسأله تعالى العناية والتوفيق وإصلاح النية، وأن يوفقنا إلى ما فيه الخير والفلاح»<sup>(١)</sup> .

ولقد قالوا :

«التوفيق قوة من عالم الغيب، يؤمن بها من تتبع أمثال سيرة عبد العزيز . خطط الحرب فن، والتغلب أو بسط السيطرة فن، والسياسة والإدارة وما إليها من شئون المجتمع، كل منها فن له قواعده ومدارسه . ومن المدارس التجارب والمران وطول الممارسة . أما «التوفيق» فأمر فوق ذلك كله . لا فائدة له، ولا مدرسة، ولا سابقة ينسج على منوالها .  
وفي الناس من يُسعف بالحظ مرة أو مرات، فيقال : قد وُفق، ولكنه لا يكون «موفقا»

(١) مختارة من كلمات وخطب الملك عبد العزيز (أنظر المصحف والسيف .

مادام يتأرجح أحيانا بين التوفيق ونقيضه . أما الموفق - حقا - فذلك الذى تجرى الأحداث ،  
أو تكاد تجري متتابعة متجانسة ، على وفق غرضه ، وعلى مدى مصلحته» (١) .

وإن جليل توفيق الله على الملك عبد العزيز ، أن أيده فى كل ما قام به من عمل ؛ فهو  
سبحانه وتعالى موفقه ومؤيده ، ومؤازره فى كل خطوة خطاها ، فقد فتح الرياض ، وضم  
الخرج ، والمحمل ، والشعيب ، والوشم ، وأنتصر على الأعداء فخلّص القصيم ، وفتح  
الأحساء ، وضم عسير ، وفتح حائلا ، والجوف ، وكان توفيق الله فى أسمى صورة حينما ضم  
الحجاز ، ووجه كل اهتمامه وعنايته إلى الحرمين الشريفين .

وهكذا فقد خلّص - رحمه الله - البلاد والعباد مما دهاهم مئات السنين ، واجتمع  
الناس عليه ، فأصبح مسئولا عنهم أمام الله سبحانه وتعالى ، فعليه أن يرمى الله فيهم ،  
فيسلك بهم طريق النجاة للدنيا والآخرة .

كان الملك عبد العزيز آل سعود صادقا مع نفسه ، وما عاهد الله عليه من التمسك  
بالمنهج الإلهى ، والدستور السهاوى القرآن الكريم ، وسنة رسول الله ﷺ ، وطريق السلف  
الصالح من الصحابة والتابعين بلا تأويل ، أو ابتداع ، أو تغيير .

كان أول ما نادى به ، إخلاص التوحيد لله ، ومما علق به من كل شائبه ، وجعله لله  
وحده ، فلا يشرك به ، منفردا بالعبادة والقصد .

وهذا هو الأساس المتين الذى يجتمع عليه المسلمون ، حتى يثبت الإيمان ، ويرسخ فى  
الصدور ، وبعده يهون كل شىء .

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ . (النساء : ٦١) .

وما ترك - رحمه الله - مناسبة ولا اجتماعا ، دون أن يذكر الناس بالتوحيد الخالص لله ،  
فهو يعرف أن التوحيد إذا علق به شىء ضعفت النفوس ، وأصبح من السهل أن تنقاد لغير  
الله ، قال رحمه الله :

«هذه هى العقيدة التى قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها ، وهذه هى  
عقيدتنا ، وهى عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل خالصة من كل شائبة ، منزهة من كل  
بدعة ، فعقيدة التوحيد هذه ، هى التى ندعو إليها ، وهى التى تنجينا مما نحن فيه من محن  
وأوصاب» (٢) .

(١) شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز . ج ٢ ص ٥٨١ .

(٢) من خطبة ألقاها جلالتة بمكة فى ذى الحجة ١٣٤٧ هـ (المصحف والسيف ص ٨٥-٨٦) .

«إن المسلمين في خير ماداموا على كتاب الله، وسنة رسوله، وما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة»<sup>(١)</sup>.

«وقد نصرنا الله بقوة التوحيد الذي في القلوب، والإيمان الذي في الصدور، ويعلم الله أن التوحيد لم يملك علينا عظامنا وأجسامنا فحسب، بل ملك علينا قلوبنا وجوارحنا، ولم نتخذ التوحيد آلة لقضاء مآرب شخصية، أو لجر مغنم، وإنما تمسكنا به عن عقيدة وإيمان قوى، ولنجعل كلمة الله هي العليا»<sup>(٢)</sup>.

ثم ينطلق الملك عبد العزيز بالدعوة إلى التوحيد من محيط الجزيرة العربية، فيتخذ موقف الداعى إلى الله، ليلبغ ما يجب عليه تجاه نشر الدعوة، فيدعو المسلمين جميعا في أنحاء الأرض إلى التوحيد الصحيح، وينطلق بهم إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وحينها يرى المسلمين قد نفذوا ذلك، واتحدوا على العمل بما يدعو إليه، سيجدون أنه واحد من المسلمين يسعى لخيرهم، ويسهر على راحتهم، لا بصفته ملكا أو زعيما أو أميرا، بل فردا من عامة المسلمين، وليس هو وحده فحسب بل ومعه أولاده وجيشه وقومه، ثم يشهد الله على قوله وتبليغه للمسلمين فيقول :

«إن المسلمين بخير إذا اتفقوا، وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله . . . ليتقدم المسلمون للعمل بذلك، فيتفقوا فيما بينهم على العمل بكتاب الله وسنة نبيه، وبما جاء فيهما، والدعوة إلى التوحيد الخالص فإننى - حينذاك - أتقدم إليهم فأسير وإياهم جنبا إلى جنب في كل عمل يعملونه، وفي كل حركة يقومون بها . . . والله إنى لا أحب الملك وأبته، ولا أبغى إلا مرضاة الله، والدعوة إلى التوحيد . . . ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك، وليتفقوا، فإننى أسير وقتئذ معهم لا بصفة ملك أو زعيم أو أمير، بل بصفة خادم . . . أسير معهم أنا وأسرتى وجيشى وبنو قومي؛ والله على ما أقول شهيد، وهو خير الشاهدين»<sup>(٣)</sup>.

ثم يذهب رحمه الله إلى أبعد من ذلك، فيرى أن كلمة التوحيد الصحيحة ونشرها، والعمل بها بين المسلمين، لو تمت على يد أعدائه، لكان فرحا بذلك، ولا تحد معهم، وسار في طريقهم، وإن تمت على يده اعتبر ذلك منة، وفضلا من الله سبحانه وتعالى .

(١) من خطبة ألقاها جلالته بمكة في ذى الحجة ١٣٤٧ هـ (المصحف والسيف ص ٨٥-٨٦).

(٢) من خطبة ألقاها جلالته بمكة بمناسبة سفره إلى المنطقة الوسطى من المملكة في محرم ١٣٤٨ هـ (المصحف والسيف

ص ٨٩).

(٣) المصحف والسيف ص ٨٧ .

«وإني أجاهد لإعلاء كلمة التوحيد، والحرص عليها، وأحب أن أراها قائمة ولو على يد أعدائي، وإن تمت على يدي فذلك من فضل الله»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

كان رحمه الله في كل اجتماعاته الخاصة والعامة، بين أهله وخاصته، أو بين أهل البلاد، حينما يلتقى بهم في كل مناسبة، أو في اجتماعاته الدولية بين عامة المسلمين، يوصى بالتمسك بالكتاب والسنة، وأن يجتمع الناس عليهما وأن يعملوا بما فيهما، فليس في الحياة أمر إلا وتعرض له القرآن الكريم ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ والسنة الشريفة، وليس هناك خصلة مفيدة ونافعة إلا يدعوان إليها. خطب يوماً أهل مكة فكان مما قاله :

«ولكن هناك نعمة حقيقية لا تزول، وخزينة لا ينضب معينها، هي الاعتقاد بأن لا إله إلا الله، وهذه النعمة مشروعة في كل مكان، ولكنها هذه البقعة المباركة ألزم، لأن الحسنات والسيئات تتضاعف فيها، ولأن الله أختارها لتكون مهبطاً للوحى، وجعل زيارة حرمها من أركان الإسلام».

وقال رحمه الله حينما جاء إلى المدينة المنورة، وسلم على رسول ﷺ، وصلى بالمسجد النبوي، ثم خطب الناس فكان مما قاله :

«وإن خطتى التي سرت، ولا أزال أسير عليها، هي إقامة الشريعة السمحاء، كما أننى أرى من واجبي ترقية جزيرة العرب، والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة، مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامى الحنيف».

وخطب يوماً في حجاج بيت الله الحرام فقال في خطبة طويلة :

«والمقصود من هذا الاجتماع هو أن نحدد اسم الإسلام، ونعمل بمعناه، والإسلام معناه : الاستسلام لله تعالى، والطاعة له، والإيمان بكتابه ورسوله، وقواعد الإسلام قائمة على كتاب الله، وسنة رسوله، وأعمال الخلفاء الراشدين، وما اتفق عليه الصحابة الكرام، وما جاء به فيما بعد الأئمة الأربعة فهو حق لا نعيد عن ذلك قط»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*\*

ولقد ظهر جماعة من المتفرنجين من المسلمين، يدعون إلى ما يسمونه بالتجديد، وإلى الأخذ بكل ما فى الغرب، ونادوا بالخروج على تقاليد الدين الإسلامى الحنيف، ودعوا

(١) الإمام العادل ج ٢ ص ١٣٢ .

(٢) المصحف والسيف ص ٩٣ .

الشرق بأن يسير وراء الغرب، وكانوا مغرضين في ذلك، فانبرى لهم الإمام رحمه الله، ففند مزاعمهم، وسفه أحلامهم، ورد عليهم بالحجة والدليل والمنطق في كثير مما قاله في خطبه ومجالسه ومنتداه .

قال رحمه الله :

«يقول كثير من المسلمين : يجب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة، وإن تأخرنا ناشىء من عدم سيرنا في هذا الطريق، وهذا إدعاء باطل، فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا ويقويننا على شرط أن لا يفسد علينا عقائدنا وشيئتنا، فإذا أردنا التقدم يجب أن نتبع الإسلام، وإلا كان الشر كل الشر في اتباع غيره»<sup>(١)</sup>.

« يقولون : (الحرية) ويدعى البعض أنها من أوضاع الأوربيين، والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة الكافلة لحقوق الناس جميعا، وجاء بالإخاء والمساواة المطلقة التي لم تحلم بها أمة من الأمم، فأخى بين الصغير والكبير، والقوى والضعيف، والغنى والفقير، وسأوى بينهم»<sup>(٢)</sup>.

ويقولون التمدن والمدنية الأوربية هي الغاية القصوى، وهذا وهم باطل، فإن الله جعل من كل شيء أفضله مباحا لنا، وأحب شيء إلينا هو العمل الخالص، والنية الحسنة»<sup>(٣)</sup>.

«إننا لا نبغى التجديد» الذي يفقدنا ديننا وعقيدتنا . . . إننا نبغى مرضاة الله عز وجل، ومن عمل ابتغاء مرضاة الله، فهو حسبه، وهو ناصره، فالمسلمون لا يعوزهم التجديد، وإنما تعوزهم العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح»<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*\*\*

ولقد بدأ رحمه الله بالدور العملى في تنفيذ حدود الله في جميع مناحى الحياة، وعلى الجميع، لا فرق بين غنى وفقير، وأمير وغير أمير، وأصبح الناس كلهم سواء أمام القانون السماوى، وهدد أولئك الذين قد تحدثهم أنفسهم بالفوضى، والمضاربة بالأقوال، والتلاعب بالكلمات والألفاظ، ويظهرون الأمور على ما ليست عليه، لقد حذرهم فكان مما قاله :

«إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون، لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا

(١) المصحف والسيف ص ١٢٣ .

(٢) (٣، ٢) المصحف والسيف ص ٩٣ .

(٤) المصحف والسيف ص ٨٦ .



للراحة والطمأنينة، وإني أحذر الجميع من نزعات الشيطان، والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذه الديار، فإنني لا أراعى في هذا الباب صغيراً أو كبيراً، وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*\*\*

لقد شغل بال الملك عبد العزيز الأمن والسكينة في هذه البلاد المترامية الأطراف، الواسعة المساحة، وللبادية وسكانها خطرهم، فهم منتشرون في مساحات شاسعة بين الخليج العربي والبحر الأحمر، وما بين خليج عدن، وما يقابله في الشمال.

هذه المساحة الكبيرة لم تر الأمن والسكينة من زمن بعيد، فقد رجعت عناصر الشر إلى عاداتها وطبائعها، إذا استثنينا فترات قصيرة، كانت بمثابة هدنة. وفي العهد التركي وعهد الشريف أصبحت أشد خطراً، وأعظم فتكاً، فليس هناك ما يردعهم، أو يقلم أظافرهم؛ ولأن البلاد ممزقة بسبب الثارات بين القبائل، فكانت الإغارة والسلب والنهب والقتل من المهن المعترف بها، وكان أهل البادية دائماً يتربصون بالقوافل وقطعان الماشية الدوائر.

ولكى يأمن التاجر على نفسه وما معه إذا كان يجتاز الصحراء، عليه أن يدفع الإتاوات على طول الطريق الذي يمر به، فالتاجر الذي يجيء من البحرين مثلاً يدفع قبل أن تطأ رجله العقير إتاوة للعجمان، ومن العقير إلى النخل خمسة أميال، إتاوة للمناصير، وكذلك أم الذروبني هاجر...

وإذا فاز التاجر بحياته وبقى شيء في كيسه فمن المؤكد أن أحماله لا تصل كلها إلى المكان الذي يريده. وكان في عهد الترك إذا خرج العسكر لتأديب جماعة من هؤلاء البدو، يطاردهم البدو، فيغلبونهم، ويأخذون خيلهم وثيابهم، ويرجعونهم إلى مكان إقامتهم حفاة عراة.

والأدهى والأمر ما كان يصنع بحجاج بيت الله الحرام، كانوا عرضة للسلب والنهب والقتل، وكان الحجاج يخرجون من بلادهم، ولا أمل لهم في العودة، وقد حملوا معهم أكفانهم، فكانوا في جهاد وقتال مع أهل البادية الذين يأخذون منهم ما يطلبون، ولم يكونوا يكتفون بما أخذوا بل كانوا يغيرون على مؤخرات القوافل يسلبون ويقتلون، ولا أحد يستطيع أن يغير شيئاً مما كان يحدث.

(١) المصحف والسيف ص ٢١٧.

حتى أرض الحجاز لم تسلم من بطش أهل البادية في معظم جهاتها، والعلة في ذلك أن حكام الحجاز لم يكونوا على كثير من الحكمة والسياسة التي تلائم العرف عند القبائل، أو لم يكونوا متفرغين للأمن، ولم يكن يجدى ما يدفعون من أموال، فقد كانت القبائل تأخذ الأموال، ولا تمتنع عن السلب والنهب، ولم يخطر على بال أحد منهم أن يحكم الشريعة الإسلامية، لذلك فإن الفوضى الأمنية قد عمت جل البلاد، فمثلا طرق المدينة المنورة لم يكن في الاستطاعة أن يقام فيها الأمن وأن يستتب، فكانت مسرحا لحوادث جسام، فالقبائل تعتدى على الحجاج، وتسلب ما معهم، وقد تفرض عليهم إتاوات كبيرة .

يقول الصحفى المصرى محمود أبو الفتح - رحمه الله - في صحيفة الأهرام عام

١٩٣٠ م :

« كان بعض الأعراب يذبحون الحاج وإن كان فقيراً لإستلاب ما معه، وكانوا يذبحون الحاج في رابعة النهار، ولم يسلم من أذاهم أحد، ولم يجدوا من يردعهم، فعاثوا فساداً، حتى كان المسلم يخرج وهو لا يدرى أيعود إلى وطنه أم يقتله السفاحون»<sup>(١)</sup>.

وحتى أهل البادية، لم يكونوا في صفاء مع أنفسهم، كانوا متفرقين مختلفين، تزداد العداوة والبغضاء بينهم نموا يوماً بعد يوم، يقتل بعضهم بعضاً لأتفه الأسباب، ويأكل القوى منهم الضعيف، تنشب المعارك الضاربة، فيقتل منهم العشرات، لا ينامون على خير، بل يعدون للشر والإنتقام، ويندفعون للتخريب لذلك لم يهدأوا ولم يأمنوا، وكانوا يسرون في جماعات حاملين السلاح، وكأنها رجعت الجاهلية الأولى فاشتعلت نار الفتنة، وتقطعت الأرحام وتواثبوا في الأسواق، وعلى حدود القبائل، وخاف بعضهم بعضاً، فحملوا السلاح ليلاً ونهاراً .

يقول صاحب كتاب « عنوان المجد » :

« كانت الفتنة مستمرة، والغارات دائمة بين القبائل ففي ١٢٣٩ هـ وقعت فتنة وقتل رجال، وأخذت أموال من كل بلد وناحية من القصيم والعارض والخرج والجنوب وغير ذلك .

وكان بعض القبائل يغير على القرى والمدن ففي ١٢٣٧ هـ مثلاً أغارت بوادى سبيع على - قرية - منفوحة، وأخذوها عنوة ونهبوا وسلبوا النساء، وقطعوا الشار واستولوا على البلد... وعم القتل في هذه السنة في القصيم وسدير والوشم والعارض والخرج والجنوب»<sup>(٢)</sup>.

(٢) عنوان المجد لعثمان بشرح ١ ص ٢٧٧ .

(١) صحيفة الأهرام في ١٦/١١/١٩٣٠ م .

وهكذا فقد ساد الجزيرة فوضى، رجع الناس بسببها إلى ما كان قبل بعثة الرسول ﷺ .

\*\*\*\*\*

استرشد الملك عبد العزيز برأى الدين في معالجة كل أمره، وبما هداه الله إليه من عمل، ووهبه من ذكاء وخبرة، لم يلجأ رحمه الله في أول الأمر إلى القوة واستخدام السيف للخارجين على الدين، والعاثين في الأرض فسادا، وكان الخطر الداهم على البلاد من البادية، لأن أهلها جبلوا على عادات وطباع خاصة، هم في حاجة إلى علاج ناجع يحسم الداء، ويجعل منهم مجتمعا صالحا للحياتين .

لقد رأى أن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، وأن لهذا الدين سحراً عجيباً في قيادة الناس على اختلاف مشاربهم وحياتهم، وأنه هو الذي صنع من أهل البادية أعظم أمة عرفها التاريخ، وأن الناس حينما تخلوا عن مبادئ هذا الدين الحنيف، تخلى الله عنهم فتأهوا في الظلمات سنين طويلة، أما وقد وفق الله لإقامة شعائر هذا الدين، فقد رأى الإمام والملك المصلح - رحمه الله - تبصير أهل البادية بأمر دينهم، وجمع كلمتهم على هدى الإسلام .

لقد أرسل إليهم من يبصرهم بأمر دينهم، ويرشدهم إلى الطاعات، فكان في كل قبيلة من قبائل البدو الرحالة والمستقرة من يعلم الناس أصول هذا الدين القويم، ويوجههم إلى ما ينفعهم في حياتهم، ويحجب عما يسألون عنه في أمور الدنيا والآخرة، فالتفوا حوله، وشغلوا بالعمل الصالح، وأصبح له مكانة كبيرة في نفوسهم، وصار يخاطبهم يوم الجمعة وكل المناسبات الدينية كالعيدين والاستسقاء وغيرهما، ويصلى بهم، ويعلم أبناءهم، ويفتي كبارهم، ويعقد الزواج، ويقسم الموارث، ويتوسط في حل المشاكل .

ورأى الملك عبد العزيز - رحمه الله - أن عامل الحالة الاجتماعية يساعد كثيرا على الاستقرار ويقوى الناحية الدينية، ويسد الطريق على من تحدثه نفسه بأن يسلك طريقا غير مشروع لجلب الرزق، فأراد أن ينتقل بالبدو من حياة البادية المتنقلة، إلى حياة الهجر، ليتركوا حياة السفر والتنقل من مكان إلى آخر قد يجدون فيه ما يسد رمقهم، وقد لا يجدون، فيميلون إلى السطو والنهب أراد أن ينتقل بهم إلى حياة السكون والاستقرار، وليتركوا حياة الرعي إلى حياة الزراعة والرعي . وانشئت الهجرة الأولى على آبار الأرتاوية على طريق بين الزلفى والكويت عام ١٣٣٠هـ، وأصبحت خلال بضع سنوات مدنا فيها من السكان ما يزيد على العشرين ألفاً، ثم تلى الأرتاوية حركة عامة بين البدو لترك حياتهم البدوية والسكنى في قرى جديدة، كانوا ينشئونها بمعونة من بيت مال المسلمين، تحفر البئر ويبني

المسجد الذى هو مجتمع القرية ومدرستها، وكانت السرعة هى الرائد فى كل ما يقومون به من أعمال .

وهكذا فقد أصبحت المساجد غاصة بأهلها ممن تركوا الخرافات والبدع وعادات الجاهلية، وواظبوا على الصلاة فى أوقاتها، وتواصوا بالأخلاق الإسلامية الصحيحة التى تحث على الفضيلة والإيمان .

وأصبحت الزراعة هى موردهم الذى منه يأكلون ويتاجرون ويربحون، فتكونت عندهم الثروات والمال الكثير، وفى نفس الوقت فقد انتشرت المعسكرات، ليكونوا من الشباب أمة مسلمة تدافع عن مبادئها، وترد كيد كل من يحاول أن ينال من دولتهم الفتية بقيادة قائدهم الأعظم عبد العزيز آل سعود، وهم على استعداد للقتال معه فى أى وقت .

\*\*\*\*\*

لقد كانت خطة الإمام عبد العزيز منذ تولى إمارة الرياض، أن ينفذ حكم الله فى كل من خرج على حدوده، فكان يتتبع الجرائم الكبيرة بنفسه، ويتعقبها، ويحث جهات الاختصاص على رفع نتائج الحوادث وتطورها إليه أولاً فأولاً، ويصدر أوامره بشأنها، ويشفع كل ذلك بالحزم والدقة حتى تنكشف الجناية، وكان إذا عرضت عليه قضية درسها من جميع الوجوه بما له من علم ومعرفة وخبرة وذكاء مبينا ما جاء فى الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ثم يصدر حكمه .

وكان كثيرا ما يقرأ ظروف وملابسات كل قضية يطلب منه التصديق عليها، وقد يعيد الحكم فيها، من ذلك ما رفع إليه من قضية طلب منه التصديق على حكم أصدرته إحدى المحاكم الشرعية، بإعدام جندي قتل زوجته وجنديا آخر، وكان تنفيذ الحكم معلقاً على موافقة الإمام .

درس - رحمه الله - القضية، فظهر له أن الزوجة كانت قد غابت عن بيتها أياما، وبحث عنها زوجها فوجدها عند أحد الجنود، فأطلق عليها الرصاص وسألته المحكمة، فأقر بالقتل، ولم يحسن الدفاع عن نفسه فحكمت المحكمة بإعدامه .

ولم يكذب ينتهى من القضية، حتى دعا رئيس المحكمة إليه فقال له :

«ألم تقرأ الحديث الذى فيه إننى أغيركم، والله أغير منى»<sup>(١)</sup>.  
ثم أطلق القاتل لأنه كان يدافع عن عرضه. وهذا من توفيق الله<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*\*\*

ولما اتسعت البلاد، جعل لكل ناحية أميراً، وكان على كل أمير أن يجمع رؤساء القبائل والعشائر، ويؤمنهم على أنفسهم ومعيشتهم، ويشترط عليهم أن يكونوا قادرين على حفظ الأمن فى حدود أراضي قبيلتهم، وكل حادثة تحدث فى منطقة أحدهم يكون مسئولاً عنها هو وقبيلته، سواء أكانت بين بعضهم أو حوادث لأجانب من التجار أو الحجاج أو غيرهم.

علم أمير الطائف فى أوائل ضم الحجاز أن البدو اختطفوا اثنين من حجاج الهند وقتلوهما، وأخذوا أمتعتهما، فأمر باحضار كبار القبيلة التى حصل فى حدودها الحادث، وحدد لهم ثلاثة أيام لاحضار المسروقات، والإرشاد عن جثث القتلى، وأقسم أنه إذا انقضى الميعاد المضروب دون نفاذ المطلوب، لبيدن القبيلة بأكملها، وقبل مضى الميعاد، أحضر رجال القبيلة المسروقات، وأرشدوا إلى جثث القتيلين، وأخيراً أرشدوا إلى اثنين اعترفا بالقتل، فأمر بقطع رقبتهم.

وفى هذه المرة اعتداء على السعوديين فقد جاء إلى القصر فى الرياض بضعة رجال من إحدى القبائل، يطلبون عيشاً وكسوة، فكان لهم ما ابتغوه، ثم ارتحلوا، فمروا فى طريقهم ببعض الجمال والنوق، فساقوها أمامهم، فشكاهم أصحابها إلى السلطان عبد العزيز، فبعث السلطان من يحمل الخبر إلى أمير الاحساء، فما وصل إليه الخبر، حتى تحرك رجال الدولة يبحثون عن اللصوص، وما هى إلا أربع وعشرون ساعة حتى جىء بهم وبالمسروقات ولقوا جزاءهم.

﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾. (المائدة : ٣٣).

\*\*\*\*\*

لقد ألقى الله فى قلب كل من تسول له نفسه السير فى طريق العدوان والفساد وسادت

(١) عن أبى هريرة قال : قال سعد بن عباد يارسل الله لو وجدت مع أهلى رجلاً لم أمسه حتى أتى بأربعة شهداء . قال ﷺ : نعم . قال : كلا الذى بعثك بالحق إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك . قال رسول الله ﷺ : اسمعوا إلى ما يقول سيدكم إنه لغيور وأنا أغير منه والله أغير منى - صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ١٣١ . باب اللعان . المطبعة المصرية .  
(٢) شبه الجزيرة ج ٢ ص ٤٥٢ .

الرغبة في الحفاظ على حقوق الله وحقوق العباد، فكان يُردّد في كل مكان : «الحكم للشرع»، «السارق تقطع يده»، «القاتل يقتل» «عدل عبد العزيز»، «التمسك بشريعة الإسلام»، «الصلاة الصلاة» .

كلمات تسمع في البادية، وفي القرى والمدن، وفي البر والبحر، وفي الأماكن المقدسة، يرددها الناس فتزلزل القلوب، وتخيف النفوس المريضة، وتزيد المؤمنين إيماناً وطمأنينة . بل لقد انتقلت هذه الكلمات إلى عامة المسلمين في جميع البلاد الإسلامية، في الصحراء وفي المدن والداكر، في أعماق بلاد المسلمين، يهنيء بعضهم بعضاً، بسبب ما وصل إليه الأمن والأمان في البلاد المقدسة، وبنجاح التجربة الإسلامية، وعودة بلد من بلاد المسلمين إلى الحكم بكتاب الله، ويتمنى أن تنال هذه التجربة الناجحة بلاد المسلمين فيرجعوا إلى كتاب الله .

لقد شجع بعضهم بعضاً على أداء الحج والعمرة، وغاب عامل الخوف والرعب، فكانوا يقولون :

هيا إلى الحج، هيا إلى العمرة، إلى الأماكن المقدسة، إلى مكة وإلى المدينة، الطريق آمن، ابن سعود يحكم بالشرع، عبد العزيز قضى على القتلة والسفاحين، سنرجع بسلامة الله .

كلمات لا يزال يحكيها المعمرون في أقاصى البلاد الإسلامية، الذين رأوا بأعينهم الأعمال العظيمة التي قام بها عاهل الجزيرة الملك عبد العزيز آل سعود، فكانت خير شاهد على توفيق الله له .

ولقد جاء في الحديث الصحفي الذي نشره محمود أبو الفتح - رحمه الله - وقد زار البلاد، ورأى بعينه ما وصلت إليه البلاد منذ أكثر من خمسين سنة ما يأتي :

«وجاء ابن سعود، فضرب أمثلة . . . كان يأمر بالسارق فتقطع يميناه، وبالقاتل فيجز رأسه في السوق العامة . . . تلك أمثلة . . . ولكنها كانت درسا نافعا، فقد قطع ابن سعود عشرات من رؤوس اللصوص والقتلة، وأنقذ بذلك رؤوس الألوف من حجاج بيت الله الحرام» .

ثم يكمل حديثه فيقول :

والآن تسير الفتاة من طرف الجزيرة الغربي إلى طرفها الشرقي، تحمل الذهب، فلا

يتطلع إليها أحد، بل يرى الناس قطعة الذهب أو الفضة ملقاة على الأرض، تسقط من بعض المارة، فلا يقربونها، وإنما يبلغون عنها الشرطة .

ويحدثني المعتمد البريطاني في جدة عن حالة الأمن فقال :

«إنها إن دامت سنوات بلغت البلاد درجة عظيمة من الرقى . إن الأمن في الحجاز، لا مثل له في أى بلد من بلاد العالم الآن»<sup>(١)</sup> .

وقال محمد بن عبد الله الأنصارى الاحسائى :

«والمملكة العربية السعودية تتقدم من حسن إلى أحسن، قد عمها الأمن، وشملها العدل، واتسع الرزق، وكثرت موارده، وعم اليسار معظم طبقات الشعب بما أجرى الله في جهات الاحساء من ينابيع الزيت بحكمة هذا الملك المصلح فقد طبق في مملكته الأحكام الشرعية التي جاء بها القرآن ونطقت به سنة النبي الكريم محمد بن عبد الله ﷺ، فقتل القاتل، وقطع يد السارق، وجلد شارب الخمر، ورجم الزانى المحصن، وشدد العقاب على المعتدين والعاثين بالأمن، فنعمت البلاد بأمن لم تكن تحلم به، ولم يحصل لغيرها من رعايا الدول الكبيرة المتمدينة، وأقام الدليل الواضح على أن شريعة الإسلام هى الشريعة الكفيلة لسيادة البشر في كل زمان ومكان، فجزاه الله عن المسلمين خيرا»<sup>(٢)</sup> .

والحمد لله ، لقد أصبحت حدود الله ، والمحافضة عليها قائمة إلى وقتنا هذا، وستظل دائما إن شاء الله ، بفضل الله ، ثم بفضل أولئك الذين وفقهم الله ، لإقامة حدود الله ، وإن شريعة الله تتفق مع فطرة الله التي فطر الناس عليها، ففيها الأمن والأمان والهدوء والأطمئنان .

لقد أرسى أساسا متينا للإصلاح الاجتماعى الذى هو الغاية العظيمة من جهاد تلك السنين الطويلة الشاقة، والمتاعب الجسام . التى وفقه الله فتغلب عليها، فلم يهن، ولم يضعف، بل ظل على حيويته ونشاطه، وابتساماته العريضة التى يقابل بها جميع الناس، وصدره الذى شرحه الله دائما فهو الهاش الباش لجميع الذين يلقاهم ويلقونه، فإذا رأيت له لحظات غاضبا، فإنما غضبه الله وفى الله .

والحمد لله لقد تحطى عقبتين كؤدتين ومشكلتين عظيمتين هما الهجر والأمن والأطمئنان، فاستحق عن جدارة أن يلقب بالمصلح والرائد الاجتماعى فى العصر الحديث .

(١) صحيفة الأهرام فى ١٦/١١/١٩٣٠م .

(٢) تحفة المستفيد فى القديم والجديد ص ١٢٤-١٢٥ .

ولقد واصل الإصلاح بتفكيره المنطلق، وعقله الواعي، وإيمانه الأكيد، وآماله العريضة، لجلب كل ما يدخل السعادة على هذه الأمة التي قاست مئات السنين، فكانت ريادته للنهضة الاجتماعية والعمرائية والاقتصادية والثقافية .

كان - رحمه الله - في أول الأمر يفكر من أين يبدأ؟ وما الطريق الذي يسلكه؟ ومن أين له بالمال الكثير الذي به يبني وعليه يقيم ما يرجو ويتمنى .

لقد أدى ما وجب عليه تجاه الله سبحانه وتعالى، وأن الله لن ينساه أبداً، فقد كان دائم التوكل عليه، وسيظل مادام فيه عرق ينبض، وأنه مازال يذكر فضله ونعمته عليه، ولا ينسى حينما كان في مكة، وهو مخيم في محلة «الشهداء» وقد فقد ما أدرج من مؤن وأقوات، ولاح شبح الجوع أو كاد، وأحس من معه بما عليه الحال، فضاقت صدور الرجال، حين قلّ المال، أما عبد العزيز فكان مطمئناً إلى أن الله لن ينساه، وسيرزقه من حيث لا يعرف ولا يفكر، فكان حينما يسأل عن هذا، يقول :

المؤن متوفرة في نجد، غير أن الجمال مشيها وثيد . . . من شاء الرحيل فليرحل أما أنا فمقيم . والفرج من عند الله .

لقد كانت ثقته بالله عظيمة، وتوكله عليه أقوى وأشد، فلم يأت المساء، حتى وصلت قافلة يتقدمها اسماعيل بن مبيريك أمير رابع . وكان الشريف حسين قد قتل أخاه، فلما علم بما صارت إليه الأمور في مكة، وإقامة عبد العزيز بها، جاءه بفروض الطاعة، ومعه عشرون جملاً تحمل التمر والسمن والبر وكان هذا رزقاً ساقه الله إليه<sup>(١)</sup>.

إن الله لا ينسى عباده المخلصين، وقد كان عبد العزيز من أخلص الخلق لله تعالى، فهو يتوكل عليه حق توكله، ولا بد أن الله سيرزقه من حيث لا يعلم، وسوف تفتح له أبواب من الرزق ليس عليها بواب .

وقد كان، فقد فتحت له كنوز الأرض، على حين كان يشغله أمر البلاد والعباد .

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ . (الطلاق : ٢-٣) .

﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً . ذلك أمر الله أنزله إليكم . ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً﴾ . (الطلاق : ٤-٥) .

(١) شبه الجزيرة العربية ج ٢ ص ٥٨٤ .



﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ . (الطلاق : ٧) .

فكانت سعادته الفائقة في أن يصرف كل ما يصل إليه على هذه الأمة، فقد زاد المال ونما، وأدخل الله الخير على هذه البلاد، وقد يكون كل هذا بسبب دعاء رجل واحد .  
ولكن الملك عبد العزيز لم يغير شيئا من عاداته، ولا من مأكله ومشربه وملبسه حتى آخر نفس من حياته المباركة .

قال طيبه أمين رويحة : «لقد اشتدت عليه أزمة المرض في أواخر أيامه - رحمه الله - ورضى عنه : طلبنا إلى جلالته أن يستلقى في سريره للاستراحة، لأن بقاءه مستويا على الكرسي لا يؤمن له الراحة الضرورية للقلب .

أجاب ابن سعود على طلبنا بقوله : ما يخالف هاتوا السرير .

فتوجه الخادمان اللذان يتوليان خدمته الخاصة . . . فجلبا السرير . . . سرير الملك العظيم، فنصباه في الغرفة، وبالعظمة ما رأيت!! إنه سرير من خشب عادى متواضع، وفراش محشوب بالقش صلب قاسى، وفوقه غطاء صوفى، ووسادة من النوع ذاته .

ذلك هو مضجع ذلك البطل الكبير الذى لا يكتسى إلا بثوب بسيط من القطن، وقد كان يستطيع بما وهبه الله من جاه ومال ومنزلة في القلوب ألا يكتفى بتوسد الفراش الوثير فحسب، بل حبات القلوب أيضا، وأن يحوط نفسه بالخدم والحشم والممرضات ليلا ونهارا، ولكنه عبد العزيز المتقشف الذى لا تأخذه بها رج الحياة<sup>(١)</sup> .

\* \* \* \* \*

راح - رحمه الله - يبحث عن وسائل الرقى والنهوض بهذه الأمة، فما عرف شيئا فيه مصلحة إلا دعا إليه، ولا عرض عليه أحد رجالته موضوعا صالحا إلا ناقشه ونفذه، ولم يكن متعجلا في طريقة الإصلاح، بل كان كعادته يفضل التؤدة والتأني وتعرف استعداد الشعب لما يريد من الإصلاح .

كان يعتقد أنه بهذه الطريقة سيأتى اليوم الذى تبلغ به الجزيرة أسمى آيات التقدم والرقى في ظل عقيدة التوحيد، وقد كان . . . فما نرى شيئا من النهضة العظيمة في جميع المجالات إلا وهو يدين بالفضل لبانيها ومؤسسها المصلح العظيم - رحمه الله - . إن النهضة

(١) عبد العزيز للمؤرخ الألماني الكبير (اكوبرت فون ميكوس). ترجمة أمين رويحة ص ٢٨٢ .

الإصلاحية التي قام بها هذا الرجل الكبير تحتاج إلى مجلدات ضخمة ولكن نورد بعضاً منها لنستدل به على العقلية الموهوبة، والمتفتحة على كل معالم الحياة بلا حدود، والضاربة بعمقها في كل المجالات، والمحوطة بالرعاية والتوفيق من الله .

كانت البلاد مترامية الأطراف، بعيدة الأماكن والبلاد، ووسائل الاتصال بها بطيئة، فأمر رحمه الله بربط أجزاء البلاد بعضها ببعض بشبكة من المحطات اللاسلكية فكانت وحدة متقاربة الأطراف والثغور، يستطيع أن يتصل بها في أي وقت بالليل أو النهار، وفي دقائق معدودة .

وقد سمح - وهو راض مسرور - للرعية بأن يستعملوا السيارات، وأن يقتنوها ويسيروا بها في طول البلاد وعرضها ولقد كانت من قبل ذلك محرمة، فلم يسمح لأحد من أفراد الرعية باقتنائها أو الاستفادة منها .

وكان - رحمه الله - قد ركب السيارة لأول مرة عام ١٣٤٤ هـ . ورأى فوائدها في تقريب المسافات، فلم يستقل بها، بل سمح لجميع أفراد الشعب باستخدامها، فدخل في البلاد السيارات بأنواعها وأحجامها .

ولقد أنشئت في عهده إدارات عامة للصحة والشرطة والأوقاف والبريد والبرق واللاسلكي، وأنشئت كذلك مديرية للشئون العسكرية، ومديرية للشئون الخارجية، والمديرية العامة للزراعة، وشكلت المحاكم الشرعية، وبيوت المال، وكتاب العدل، والمجالس التجارية وكذلك مؤسسة للنقد العربي السعودي .

أعفى جميع المواد الغذائية، ومواد البناء وغيرهما من الرسوم الجمركية، وقام بشراء الآلات الزراعية الحديثة، ووزعها على الفلاحين للنهوض بالزراعة، ولقد أهتم بالتعليم، ففتح كثيراً من المدارس المتنوعة، واهتم بالمعاهد الدينية، والمكتبات العامة، وأرسل البعثات العلمية إلى الخارج، للاسهام في النهضة التعليمية، وأنشأ - رحمه الله - المستشفيات والمستوصفات في المدن الكبيرة، وأنشأ المراكز الصحية في طريق الحجاج، وأدخل نظام التطعيم، وصرف الدواء بالمجان<sup>(١)</sup> .

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية للدكتور حسن سليمان محمود وسيد محمد ابراهيم ص ٨٤-٨٥، وكتاب التوكل على الودود عبد العزيز آل سعود لمحمد منير البديوي ص ٢٤٨-٢٤٩ .

هذا قليل من كثير في داخل البلاد، فقد عاش لخدمة شعبه ورعايته، ولم يمر يوم إلا وفيه جديد، مما يعود على البلاد بالخير العميم .

ولقد نادى الملك عبد العزيز بتأليف لجنة عام ١٩٣٧م تضم عدة شخصيات عربية مخلصه، تعمل على وضع الأسس لتوحيد الجهود لما فيه خير الأمة العربية، وطالب بإنقاذ فلسطين، وله في ذلك مواقف حاسمة، وآراء ناضجة، ووسائل سليمة .

ولقد أسهم في تأسيس جامعة الدول العربية، ونادى بالتضامن الإسلامي، واشترك في منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م، وعاون كذلك في حل كثير من المشكلات في الشرق الأوسط .

\*\*\*\*\*

هذه لمحات من حياة رجل من رجال الإسلام، ضرب الله لنا به مثلاً أعلى في عصرنا الحاضر، وبعد مضي أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان على رسالة سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، ضرب به المولى سبحانه وتعالى مثلاً أعلى دوام صحة التمسك بشريعته الغراء، وعلى إمكان تنفيذ حق الله وحق العباد كما جاء به إمام المرسلين ﷺ، والله خلق عباده وهو أعلم بما ينفعهم، ويعود عليهم بالخير العميم، فكان ذلك خير شاهد، وانصع دليل على أن هذا الدين صالح لكل زمان ومكان .

وما زال - ولا يزال - إن شاء الله - ما وضع أساسه الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود واستمده من كتاب الله وسنة رسوله شامخ البنيان، واضح المعالم، جزل العطاء، مضاعف الثمرات، من الراحة والأطمئنان والهدوء النفسي والرزق الرغد، والتقدم في جميع المجالات، وفوق كل هذا، إخلاص العبادة لله ومضاعفة الشكر والحمد لله المنعم الوهاب .

فهلا قرأ حكام المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تلك السيرة العطرة، ووعوا ما قام به صاحبها رحمه الله، وهلا تدبروا إخلاصه وحبه لله، فاقتدوا به في أقواله وأفعاله، وسلكوا طريقه، واهتدوا بما اهتدى به مما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة رسوله ﷺ، وعمل به الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين .

هلا عرفوا ذلك ؟ وفعلوا مثل ما فعل هو ومن سبقه على هذا الدرب !!  
لوعرفوا ذلك، لكان فيه قوة للمسلمين في هذا الزمان المملوء بالكيء للإسلام،  
ولأصبحنا قوة يقدرها الناس حق قدرها .

فبدل أن يشرق بعضنا، ويغرب آخرون . ونجرب وراء السراب ونتوه في دروب التبعية  
والاستغلال، الأمر الذى جر علينا الوبال، وبؤنا فيه بالخسران، وأصبحنا قنطرة يعبر فوقها  
أعداء الإسلام إلى ما يريدون تحقيقه، وهذا ضد أهدافنا وآمالنا وديننا ودياننا، بدل كل هذا  
الضياع أمامنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيها كل ما نريد، ولا فائدة أن نخترع كتباً تستمد  
من الأفكار المجردة، البعيدة عن الكتاب والسنة، وليست إلا سراباً بقية يحسبه الظمان ماء  
حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

لقد كان الملك عبد العزيز رحمه الله عنواناً لهذا الدين بما علم وعمل وقدم، فجزاه الله  
خير الجزاء، ورفع منزلته مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً .

\*\*\*\*\*

## المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - مع عاهل الجزيرة لعباس محمود العقاد .
- ٣ - حياة محمد . لمحمد حسين هيكل دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة عشر .
- ٤ - سيرة الرسول ﷺ للإمام محمد بن عبد الوهاب .
- ٥ - شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز آل سعود لخير الدين الزركلى .
- ٦ - كتاب آل سعود لأحمد على . دار العباد بيروت ١٩٥٧ م :
- ٧ - صقر الجزيرة لأحمد عبد الغفور عطار .
- ٨ - المصحف والسيف جمع وإعداد محي الدين القابسى - الرياض المطابع الأهلية .
- ٩ - المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود . لمحمد منير البديوى . الرياض ١٣٩٧هـ .
- ١٠ - الإصلاح الاجتماعى في عهد الملك عبد العزيز . د . عبد الفتاح حسن أبو عيلة . مطبوعات دار الملك عبد العزيز ١٣٩٦هـ .

- ١١ - الإمام العادل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - السيد عبد الحميد الخطيب . مصطفى البابي الحلبي مصر ١٩٥١م .
- ١٢ - نجد وملحقاتها . لأمين الريحاني .
- ١٣ - تاريخ الحجاز . لحسين محمد نصيف . القاهرة . مطبعة خضير .
- ١٤ - عنوان المجد في تاريخ نجد . لعثمان بن بشر . مطابع القصيم بالرياض .
- ١٥ - تحفة المستفيد في القديم والجديد . مطابع الرياض ١٣٧٩هـ .
- ١٦ - عبد العزيز للمؤرخ ا . افون ميكوس . ترجمة أمين رويحة .
- ١٧ - الأمن في المملكة العربية السعودية . لواء يحيى عبد الله المعلمي . ١٣٩٨هـ .
- ١٨ - تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها . ج ٢ بيروت مكتبة الحياة .
- ١٩ - المملكة العربية السعودية بقلم خالد السديري دار الكتاب العربي . بيروت ١٩٠٧م .
- ٢٠ - تاريخ ملوك آل سعود . . . سعود بن هذلول .
- ٢١ - تاريخ المملكة العربية السعودية للدكتور حسن سليمان محمود . دار الثناء للطباعة . مصر .

عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال :

كنا نسير مع رسول الله ﷺ في سفر فكنا إذا اشرفنا على واد هللنا وكبرنا وارتفعت أصواتنا .

فقال النبي ﷺ :

« يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنه معكم إنه سميع قريب » . . .

# ظاهرة التقاص في النحو العربي

للكاتب الدكتور محمد أبو السعود  
أستاذ مشارك بكلية اللغة العربية بالجامعة

التقاص أسلوب من أساليب العرب، وطرفة من طرفهم، وملحة من ملح كلامهم، فهو يكسب التراكيب طلاوة، والقواعد دقة، والقياس شمولا، واتساعا، واللغة مرونة وتداخلا، والكلام إحالة وتبادلا، وقد أشار إليه بعض النحاة<sup>(١)</sup> في مصنفاتهم، ولم يتناولوه تناول شمول وإحاطة، ولكن تعرضوا له تعرض إيماء وإشارة.

لذلك رأيت أن أعرض هذه الظاهرة عرضاً يوقفنا عليها، ويجليها ويطلعنا على دورها في الأساليب، ويجدر بنا أن نعرفها لغة واصطلاحاً ونستعين بالله تعالى فنقول:

**التقاص لغة:** مأخوذ من القص، والقصاص لغة فيه، وهو القتل بالقتل، أو الجرح بالجرح، أو القطع بالقطع. وفي القاموس<sup>(٢)</sup> قاصصته مقاصة وقصاصا إذا كان لك عليه دين مثل ما له عليك، فجعلت الدين في مقابلة الدين، مأخوذ من اقتصاص الأثر، ومثل ذلك المعنى في المصباح والمختار.

وفي اللسان والتاج والمحكم<sup>(٣)</sup>: التقاص: هو التناصف في القصاص.

قال الشاعر:

فرمنا القصاص وكان التقا ص حكما وعدلا على المسلمينا

فالمادة تدور حول معنى القطع والتتبع.

(١) ابن جنى في سر الصناعة ص ٥٠، وابن الأنباري في مشور الفوائد ص ٧٥. والسيوطي في الأشباه ١/ ١٣٤ وغيرهم.

(٢) القاموس (قصص)، والمصباح ٥٠٥ والمختار ٥٣٨.

(٣) اللسان والتاج (قصص) والمحكم ٦/ ٦٦.

**واصطلاحاً :** هو أن تأخذ الكلمة حكماً من أخرى أخذت مثله منها تلك الكلمة الأخرى .

وبعبارة أخرى : أن تتبادل الكلمتان حكماً خاصاً بهما . بمعنى أن تعطى كل منهما الأخرى حكماً مساوياً لما أخذته منها .

وقد تتأتى هذه الظاهرة بين ألقاب الإعراب ، وفي إبدال بعض الحروف من بعض ، وفي زيادة بعض الحروف .

### **أولاً : تحقيقها بين ألقاب الإعراب :**

أما ورودها بين ألقاب الإعراب فقد تحقق بين الجر والنصب حيث جاء الجر محمولاً على النصب فيما لا ينصرف لشبهه بالفعل في وجود العلتين الفرعيتين أو علة تقوم مقامهما .

كما حمل النصب على الجرفي جمع المؤنث السالم ، وفي التثنية ، وجمع المذكر السالم طلباً للمقاصة<sup>(١)</sup> .

أما نصب جمع المؤنث بالكسرة فهو تابع للجر إجراء للفرع على وتيرة الأصل الذي هو جمع المذكر السالم ، فإن النصب فيه تابع للجر ، لأنه لو لم يحمل نصبه على جره للزم مزية الفرع على الأصل<sup>(٢)</sup> .

وأما نصب المثني فقد جاء بالياء حملاً على الجر ، لأنه يجر بالياء .

وأما حمل النصب على الجرفي جمع المذكر السالم كما في التثنية فلأنك لو قلبت الواو ألفاً في النصب لأفضى ذلك إلى الالتباس بالمثني المرفوع<sup>(٣)</sup> .

وإنما حمل النصب على الجر دون الرفع ، لوجود مناسبة بينهما في وقوع كل منهما فضلة في الكلام<sup>(٤)</sup> ، ولأنه يشبهه في الافتقار إلى العامل اللفظي<sup>(٥)</sup> ، ولأن الفتحة إلى الكسرة أقرب من الضمة إليها فحمل على الأقرب منه<sup>(٦)</sup> .

وقد علل أبو علي الفارسي هذه الظاهرة في هذا المقام تعليلاً حسناً حيث بين أن

(١) الأشباه والنظائر ١/١٣٥ .

(٢) حاشية الصبان ١/١٠٣ .

(٣) شرح الألفية لابن الناظم ص ١٥ .

(٤) المسائل العسكرية للفارسي ١٥٣ وابن الناظم ١٣ ، والتصريح ١/٧٩ والجامي على الكافية ١٨ .

(٥) التوطئة للشلوبيني ١٣٠ .

(٦) التصريح ١/٨٤ .

موافقة الجر نصب فيما لا ينصرف ، كموافقة نصب الجر في التثنية والجمع فليس الاتفاق للبناء ، وإنما هو لاجتماع النصب والجر في كونها فضلتين ، وفي كونها كاملتين بعد استعمال الجملة المتضمنة للفعل ، أو معنى الفعل بجزئها اللذين هما الحدث والمحدث عنه ، ومن ثم اتفقا أيضا في باب الضمير (١) .

ومما يقوى هذه الظاهرة ويؤكد تحقيقها في هذا الموضوع وجود شبه بين علامة كل من النصب والجر . فالفتحة تشبه الكسرة وإن اختلف موضعها . كما أن الياء لا يتغير وضعها سواء أكانت علامة للجر ، أم علامة للنصب ، وإن اختلفت حركة ما قبلها وما بعدها في التثنية والجمع .

## ثانيا : في إبدال بعض الحروف من بعض :

### ١ - إبدال الهمزة من الهاء :

من حروف الإبدال القياسى الهمزة والهاء ، لأنهما من حروف (هدأت موطيا) وهما يتبادلان الإبدال ، بمعنى أن الهاء قد تبدل همزة ، كما أن الهمزة قد تبدل هاء .

فإبدال الهمزة من الهاء يكون في الاسم والحرف .

فإبدالها من الهاء في الاسم جاء في قولهم : ماء وشاء (٢) . والأصل موه وشوه . قلبت الواو ألفا ، وأبدلت الهمزة هاء .

وكذلك جاء في الجمع . قالوا في جمع ماء : أمواء ، والأصل أمواه ، وإذا ثبت أن أصلها هاء ، ثبت أن الهمزة مبدلة عنها قال الشاعر :

وبلدة قالصة أمواؤها ما صحة رأد الضحى أفيأؤها (٣)

والدليل على أن هذه الهمزة مبدلة من الهاء ، رجوعها في التصغير والتكثير ، قالوا في تصغير ماء مؤيه ، وفي جمعه مياه وأمواه . والتصغير والتكثير يردان الأشياء إلى أصولها .

وقد أكد ابن عصفور إبدال الهمزة من الهاء بقوله : «وإنما جعلت الهاء هي الأصل ،

(١) العسكريات ١٥٣ .

(٢) انظر سر الصناعة ١١٣/١ . والتبصرة ٨١٥ وشرح المفصل لابن الحاجب ٣٩٦/٢ . والمتع ٣٤٨/١ وابن يعيش ١٥/١٠ والأشباه والنظائر ١٣٥/١ والأشمنوني والصبان ٢١٣/٤ ، ٢٢٣ .

(٣) سر الصناعة ١١٣/١ وشرح الشافية ١٠٨/٣ والمتع ٣٤٨/١ وابن يعيش ٣٩٦/٢ .



لأن أكثر تصاريف الكلمة عليها، قالوا : أمواه ومياه وماهت الركبية<sup>(١)</sup>. إلى غير ذلك من تصاريفها<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ورد إبدال الهمزة من الهاء في قولك : (آل)<sup>(٣)</sup>، وأصل آل : أهل فأبدلت الهاء همزة فقييل : آل، ثم أبدلت الثانية ألفا لسكونها إثر فتح فقييل : آل، كما قالوا آدم وآخر في الاسم، وآمن وآثر في الفعل، والأصل : آدم والآخر، وآمن وآثر .

والدليل على أن أصل آل : أهل قول الجماعة في التصغير : أهيل، ولو كانت الألف منقلبة عن غير هاء - أى عن واو - لقييل في تصغيره (أويل). وقد اختار هذا الرأي يونس<sup>(٤)</sup>.

ومما يؤكد أن الهمزة في (آل) أصلها هاء الإضافة إلى الضمير، فقد قالوا أهلك وأهله كثيرا، لأن الضمير يرد الأشياء إلى أصولها. ولا يقال : آلك وآله إلا قليلا، وذلك مثل قول عبد المطلب جد النبي ﷺ :

وانصر على دين الصلي ب وعابديه اليوم آلك<sup>(٥)</sup>  
وقول الآخر :

أنا الرجل الحامي حقيقة والدى وآلى كما تحمى حقيقة آلكا<sup>(٦)</sup>  
ونحو قول الكنانى : «رجل من آلك وليس منك»<sup>(٧)</sup>.

وجاء إبدال الهمزة من الهاء - أيضا - في اسم الإشارة حيث إنهم قالوا في هذا آذا . وجاء على ذلك قول الشاعر :

فقال فريق : آ آذا إذ نحوتهم نعم وفريق لا يئمن الله ما ندرى<sup>(٨)</sup>  
أراد : أهذا، فقلبت الهاء همزة، ثم فصل بين الهمزتين بألف، وأبدلت كذلك في غير اسم الإشارة، مثل قولهم : الأزل والهزل، وهو مأزول ومهزول<sup>(٩)</sup>.

وأما إبدالها في الحرف فقد ورد في : هل وهلا . فقالوا : أل فعلت كذا؟ يريدون هل

(١) ماهت : ظهر ماؤها وكثر .

(٢) الممتع ٣٤٨/١ .

(٣) انظر التصريف الملوكي ٣٩ . وسر الصناعة ١١٤/١ والإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي ٢٩ والممتع ٣٤٨/١ .

(٤) التصريف الملوكي ٣٩ .

(٥) الممتع ٣٤٩/١ والدرر اللوامع ٦٢/٢ وتاج العروس (أهل) .

(٦) الممتع ٣٤٩/١ .

(٧) المصدر السابق ٣٥٠/١ .

(٨) الكتاب ١٤٧/٢ وسر الصناعة ١٣٠/١ والممتع ٣٥١/١ والإنصاف ٤٠٧ والإبدال والمعاقبة ص ٣٠ والمغنى ١٠١ .

(٩) الإبدال والمعاقبة ص ٣٠ .

فعلت كذا؟ حكى ذلك قطرب<sup>(١)</sup> عن أبي عبيدة . وقالوا : ألا فعلت يريدون هلاً فعلت .  
والإبقاء على الأصل في (هل) هو الأكثر، بيد أن الهمزة والهاء في ألا وهلا سواء .

وقد عدّهما بعض النحويين<sup>(٢)</sup> من حروف التحضيض ، كما ذهب غيرهما إلى أنهما مادتان مستقلتان<sup>(٣)</sup> . فالهمزة أصلية في (ألا) كما أن الهاء أصلية في (هلاً) بخلاف (هل وأل) فإن الاستفهام بهما ليس على درجة واحدة ، لكثرة الاستفهام ووضوحه بهل ، وندرته بأل .  
وجاء إبدال الهمزة من الهاء - في غير ما تقدم - على قلة في اسم الفعل<sup>(٤)</sup> . قالوا في هيهات : أيها .

فإبدال الهمزة من الهاء إبدال قياسي ، وهما من مخرج واحد . وكونهما من مخرج واحد جدير بأن يقوى هذا الإبدال ويؤكد .

قال الصيمري : «قلبت الهاء همزة ، لأنها من مخرج الهاء ، وهي أقوى منها في الصوت»<sup>(٥)</sup> .

ولكن ابن يعيش<sup>(٦)</sup> ذهب إلى أن هذا الإبدال إنما تم لضرب من التقاص . وذلك لكثرة إبدال الهاء من الهمزة على العكس .

وذلك أمر يقتضينا الإشارة إلى إبدال الهاء من الهمزة - عكس ما تقدم - حتى نلّم بأطراف المسألة . ونؤكد الظاهرة التي ارتضاها ابن يعيش .

## ٢ - إبدال الهاء من الهمزة :

ذهب ابن الأنباري وابن عصفور وابن يعيش إلى أن الهاء تبدل من الهمزة في مواضع كثيرة من كلام العرب<sup>(٧)</sup> . وهذا الإبدال وارد في الاسم والفعل والحرف .

(أ) إبدالها في الاسم :

أما إبدالها في الاسم فقد ورد في : إياك . قالوا : هياك . قال الشاعر :

فهيالك والأمر الذي إن توسعت      موارده ضاقت عليك مصادره<sup>(٨)</sup>

(١) الممتع ٣٥١/١ .

(٢) ابن النحويين في شرحه للمفصل ٣٩٦/٢ .

(٣) انظر حاشية الصبان ٢٢٣/٤ .

(٤) أمالي ثعلب ٥٤٧ وابن يعيش ١٥/١٠ والمزهر ٤٧٣/٢ والأشباه والنظائر ٣٩٧/١ .

(٥) التبصرة والتذكرة ص ٨١٥ .

(٦) شرح المفصل ١٥/١٠ .

(٧) انظر الإنصاف ١٣١ . والممتع ٣٩٧/١ وشرح المفصل ١١٨/٨ والأشباه والنظائر ١٣٥/١ .

(٨) التصريف المملوكي ٤٤ . والوجيز ٥٤ والإنصاف ١٣١ وشرح المفصل ١١٨/٨ والممتع ٣٩٧/١ .

وقال الآخر: (١)

يا خال هلا قلت إذ أعطيتنى هياك هياك وحنواء العنق (٢)  
كما ورد قولهم : هِبْرِيَّة، والأصل فيه : إِبْرِيَّة، وهو الحزاز في الرأس .  
وقالوا في مهيمن، أصله : مؤيمن فأبدلت الهمزة هاء (٣).

(ب) إبدالها في الفعل :

وأما إبدالها في الفعل فقد ورد في قولهم : أنرت الثوب، وأرحت الماشية وأرقت الماء،  
وأردت الشيء، فأبدلوا في الجميع الهاء من الهمزة فقالوا : هنرت الثوب، وهرحت الماشية،  
وهرقت الماء، وهردت الشيء. وذلك لاتفاقها مخرجا لأنها من أقصى الحلق (٤).

(ج) إبدالها في الحرف :

وأما إبدالها في الحرف فقد ورد في همزة إن المؤكدة، وإن الشرطية، وأيا في النداء، وفي  
همزة الاستفهام، وإليك بيان ذلك .

جاء إبدال الهاء من همزة إن المشددة المكسورة مع اللام. وذلك على طريق اللزوم  
حيث قالوا : يهَنَّك قائم، قال الشاعر :

ألياسنا برق على قُلِّلِ الحُمَى لَهْنِكَ من برق عَلَيَّ كريم (٥)

وكذلك أبدلت من همزة (إن) الشرطية (٦) مثل قولهم : هِنُ فعلت. تريد : إن فعلت.  
وهي لغة طيء (٧).

وأما إبدالها من همزة (أيا) في النداء ففي قولهم : هيا وأيا، وإن كان أيا أكثر من هيا.  
قال الشاعر :

وانصرقت وهي حَصَانٌ مُغْضَبَةٌ ورفعت بصوتها هَيَا أبه (٨)

(١) انظر الإبدال السكيت ٢٥ والوجيز ٥٣ والإنصاف ١٣١.

(٢) حنواء العنق : التي تميل عنقها من الإبل والغنم.

(٣) التصريح ٣٦٨/٢.

(٤) الإنصاف ١٣٢.

(٥) انظر مجالس ثعلب ١١٣ والخصائص ٣١٥/١ والمتع ٣٩٨/١ وابن يعيش ٤٢/١٠ واللسان (لهن).

(٦) أنظر شرح الشافية ٢٢٢/٣ والمتع ٣٩٧/١.

(٧) الفصل للزحشري ص ٣٧٠.

(٨) المتع ٣٩٩/١.

وإبدالها من همزة الاستفهام في مثل قولهم : هَزَيْدٌ منطلقٌ . يريدون : أزيد منطلق .  
وأنشد الفراء :

وأتى صواحبها فقلن : هذا الذى منح المودة غيرنا وجفانا<sup>(١)</sup>  
يريدون : إذا الذى . بإبدال الهاء من الهمزة . فإبدال الهاء من الهمزة مقصور على  
السمع - كما بينا - غير أن ابن يعيش<sup>(٢)</sup> جعله كثيراً ، وقاس عليه إبدال الهمزة من الهاء ،  
وجعله ضرباً من التقاص . أى أن كل واحد منها أخذ حكماً أخذه منه الآخر . فإبدال الهمزة  
من الهاء ، تم لأن الهاء أبدلت من الهمزة . فكل منهما فعل بالآخر مثل ما فعل الآخر به ، وهذا  
الضرب هو الذى عرف لدى النحاة بالتقاص ، وارتضوه سمة لهذه الظاهرة ، ومصطلحاً لهذه  
القاعدة .

### ٣ - قلب الهمزة واواً :

تبين لنا مما تقدم أن ظاهرة التقاص تتأتى في إبدال الهمزة من الهاء ، وإبدال الهاء من  
الهمزة . ونبين الآن ورودها بين الواو والهمزة ، ويتحقق ذلك في إبدال كل منهما من الآخر .  
فالهمزة تقلب واواً ، كما أن الواو تقلب همزة ، ويتضح ذلك على النحو التالي :

( أ ) قلب الهمزة واواً :

تبدل الهمزة واواً في عدة مواضع هي (٣) :

١ - أن تكون الهمزة للتأنيث ، فإنها تبدل واواً باطراد على سبيل اللزوم في التثنية  
والجمع بالألف والتاء والنسب . فتقول في صحراء وعشراء ونفساء : صحراويين وعشراويين  
ونفساويين ، وصحراوات وعشراوات ونفساوات ، وصحراويّ وعشراويّ ونفساويّ .

٢ - أن تكون الهمزة قبل الألف في الجمع الذى لا نظير له في الأحاد ، بشرط أن  
يكتنف ألف الجمع همزتان ، وذلك نحو : ذوائب في جمع ذؤابة . أصله ذائب ، فأبدلت  
الهمزة واواً هروياً من ثقل اجتماع الهمزتين والألف ، وهذا الإبدال اطرادى لازم .

٣ - أن تقع الهمزة لأمّاً لجمع على مفاعل وقد سلمت في المفرد ، وذلك مثل : هراوة ،  
قالوا في جمعه هراوى ، بإبدال الهمزة واواً ليشاكل الجمع مفرده .

٤ - أن تلتقى همزتان في كلمة وتسكن الثانية بعد ضم . فإنها يجب إبدالها واواً . وذلك

(١) انظر ابن يعيش ٤٣/١٠ وشرح الشافية ٢٢٤/٣ والممتع ٣٩٩/١ .

(٢) ابن يعيش ٤٣/١٠ .

(٣) انظر سر الصناعة ١٠٤ وما بعدها والتصريف الملوكى ٣٨ والتبصرة ٨١٤ والإنصاف ٤٧٧ والممتع ٣٦٣/١ والتصريح

٣٧٢/٢ والأشباه والنظائر ١٣٥/١ والأشمونى ٢١٤/٤ .

نحو: أو من وأوثر. والأصل: أو من وأوثر. إلا أنه رفض الأصل هروبا<sup>(١)</sup> من اجتماع همزتين .

٥ - أن تكون الثانية مضمومة مطلقا. أى سواء انضم ما قبلها أو انفتح أو انكسر، أو تكون مفتوحة بعد فتح أو ضم. وذلك مثل: أوْمٌ، وأوْمٌ وإوْمٌ. والأصل: أوْمٌ، وأوْمٌ، وإوْمٌ. ومثل أوَيْدِم تصغير آدم. وأوادم جمع آدم. والأصل: أوَيْدِم وأوادم. فأبدلت الثانية في الجميع واواً. وهذا الإبدال قياسى مطرد لازم .

(ب) قلب الواو همزة :

تقدمت مواضع قبل الهمزة واواً، وأمر هذه المسألة يحتم علينا ذكر المواضع التى تبدل فيها الواو همزة حتى ينكشف وجه هذه الظاهرة، ونصل إلى النتيجة التى نرجوها .

ومن المقرر فى هذا الباب<sup>(٢)</sup> أن الواو تقلب همزة فى خمسة مواضع :

١ - أن تتطرف إثر ألف زائدة مثل: كساء وسساء ودعاء. والأصل: كساو وسماو ودعاو .

٢ - أن تقع عينا لاسم فاعل فعل ثلاثى أعلنت عين فعله نحو: صائم وقائم، والأصل: صاووم وقاووم .

٣ - أن تقع مدة ثلاثية زائدة فى المفرد إذا كان جمعه على مثال مفاعل . نحو: عجائر ورعائف جمعى عجوز ورعوفة، والأصل عجاوز ورعاوف .

٤ - أن تقع ثانى لينين اكتنفها ألف مفاعل مثل: أوائل وسيائد. والأصل: أواول وسياوود فى جمع أول وسيد .

٥ - أن تتصدر فى الكلمة واوان. فإن الأولى منها تقلب همزة بشرط أن لا تكون الثانية منها مدة غير أصلية، أى: أن تكون الثانية غير مدة وذلك نحو قولك فى جمع الأولى أنثى الأول أوّل. والأصل: وُوّل ونحو ذلك فى جمع واصلة وواقية تقول: أواصل وأواق، والأصل: وواصل، ووواق .

أو تكون الثانية مدة أصلية نحو: الأولى أنثى الأول. أصلها وولى بوواين أولاهها فاء، والثانية عين ساكنة .

(١) ينظر الممتع ١/ ٣٦٦ .

(٢) أى باب الإبدال والإعلال .

هذه هي مواضع قلب الواو همزة، وقد تقدمت مواضع قلب الهمزة واواً .  
وقد تم هذا القلب المتبادل بين الواو والهمزة على طريق المقاصة . لأن الهمزة وإن لم تكن من حروف العلة، فهي شبيهة بالألف، ولهذا عدها بعض الصرفيين (١) من حروف العلة .

وأيا ما كان فإن الألف أخف حروف العلة، وكذلك ما أشبهها وهو الهمزة بخلاف الواو فإنها أثقلها .

فاللجوء - حينئذ - إلى قلب الواو همزة لجوء إلى التخفيف، لأنه انتقال من الثقل إلى الخفة . بخلاف العكس، وهو قلب الهمزة واواً . لأنه انتقال من الخفيف إلى الثقيل .

لهذا كان قلب الهمزة واواً في نحو صحراء وعشراء ونفساء في التثنية والجمع بالألف والتاء، والنسب (٢)، انتقال من الخفة إلى الثقل، لأن الهمزة أخف من الواو - كما علمنا - ولكن ذلك تم على سبيل التقاص .

فكما أن الواو قلبت همزة . كذلك أبدلت الهمزة واواً على طريق المبادلة والمقاصة، نظراً لتحقيق الشبه بينهما، بسبب أن الهمزة شبيهة بالألف وهي حرف علة .

بيد أن ابن «فلاح» جعل هذه الظاهرة (٣) متحققة بإبدال الهمزة واواً في الجمع بالألف والتاء فقط . في مثل صحراء وصحراوات . أى أنه قصر المقاصة على جمع المؤنث السالم، اقتصاصاً من قلب الواو همزة .

ونحن إذ نقدر لابن فلاح جهده في الإشارة إلى هذه الظاهرة، وفيما ذهب إليه . نرى أنه لا ضير من جعل المقاصة شاملة لكل المسائل التي تقلب فيها الهمزة واواً، اطراداً للقاعدة، وشمولاً للظاهرة، وتثبيتاً للقياس، وتعميماً للمصطلح، وتوسعاً في أساليب اللغة، لأنها - بلاشك - تقبل ذلك ولا تضيق به .

(١) رضي الدين الإستراباذي في شرحه للشافية أول باب الإعلال ٣ / ٧٩ .

(٢) المتع ٣٦٣ / ١ .

(٣) الأشباه والنظائر ١ / ١٣٥ .

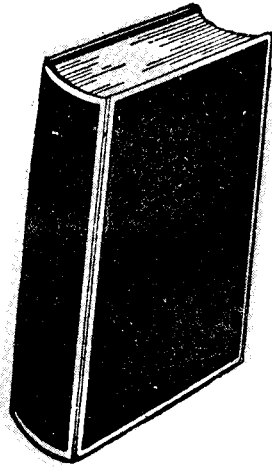
### ثالثاً : في زيادة بعض الحروف :

من المقرر أن - اللام ألف - أصلها الألف التي هي مَدَّة ساكنة ، ولكنها دُعِمت باللام قبلها متحركة ليتمكن الابتداء<sup>(١)</sup> بها ، وليصح النطق كما صح بسائر الحروف غيرها . لأن الساكن لا يمكن الابتداء به .

وإنما دُعِمت باللام قبلها ولم تُدعَم بهمزة الوصل التي يؤتى بها توصلاً إلى النطق بالساكن ، لأنه لا يمكن الإتيان بها قبل الألف ، ولأن ذلك يؤدي إلى نقض الغرض الذي قصدوا له ، لأن همزة الوصل قد تأتي مكسورة ، ولو كسرت لانقلبت الألف ياءً مكسورة لانكسار ما قبلها .

فيقال : (أى) فلا تصل إلى الألف التي اعتمدت<sup>(٢)</sup> عليها ، فلما لم يجز ذلك ، عدلوا إلى اللام دون غيرها ، لأن العرب توصلوا إلى النطق بلام التعريف بزيادة الألف قبلها ، توصلوا إلى النطق بها ، فحركوا الألف فصارت همزة ، وجعلوها همزة<sup>(٣)</sup> وصل نحو : الغلام والفرس والجارية . فلما افتقرت الألف إلى حرف جىء باللام قبلها في (لا) توصلوا إلى النطق بالألف الساكنة ليكون ذلك ضرباً من التقاص والتعويض بين الحرفين فصار لا .

وبالله التوفيق . . .



(١) سر صناعة الإعراب ٤٨ / ١ ومنتور الفوائد لابن الأنباري ص ٧٥ .

(٢) سر الصناعة ٤٩ / ١ .

(٣) منتور الفوائد ٧٥ .

عُقُودُ الرَّبِّ جَدَّ عَلِيٍّ مُسْتَدْرَأَةً أَمَامَ أَحْمَدَ

فِي إِعْرَابِ الْحَدِيثِ

تأليف:

تحقيق:

الدكتور حسن موسى الساعدي

جلال الدين السيوطي

أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية بالجامعة

(١)

تمهيد :

أولاً : جلال الدين السيوطي (١) :

لقد أعاننا السيوطي في معرفة سيرة حياته وشيوخه ومؤلفاته ؛ إذ ترجم لنفسه في كتابه حُسن المحاضرة، عند الكلام على من كان بمصر من الأئمة المجتهدين . قال : « وإنها ذكرت ترجمتي في هذا الكتاب اقتداء بالمحدثين قبلي ، فقل أن ألف أحد منهم تاريخاً إلا ذكر ترجمته فيه . . . » .

(١) انظر ترجمة السيوطي ومؤلفاته : حسن المحاضرة للسيوطي ١/٣٣٥-٣٤٤ .

ترجمة جلال الدين السيوطي لتلميذه الداودي / مخطوطة بمكتبة عارف حكمت رقم ١٧٣ مجاميع .

البدر الطالع للشوكاني ١/٣٢٨ .

الضوء اللامع للسخاوي ٤/٦٥ .

الكواكب السائرة للغزالي ١/٢٢٦ .

شذرات الذهب لابن العماد ٨/٥١ .

السيوطي وجهوده في الدراسات اللغوية- رسالة ماجستير أعدها الأستاذ محمد يعقوب تركستاني بجامعة أم القرى .

فهرست مؤلفات السيوطي / مخطوطة بمكتبة عارف حكمت رقم ١٧٣ مجاميع .

مكتبة الجلال السيوطي - تأليف أحمد الشرفاوي جلال الدين السيوطي - بحوث ألقى في الندوة التي أقامها المجلس الأعلى

لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية / الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٧٨ م .

الأعلام للزركلي ٤/٧١ .

معجم المؤلفين - عمر كحالة ٥/١٢٨ .

تدريب الراوي للسيوطي / المقدمة .



## حياته وشيوخه :

هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين . . . الخضيرى الأسيوطى الشافعى .

نسب إلى أسيوط، مدينة معروفة بمصر. وأما نسبة «الخضيرى» فيرجح السيوطى أنها نسبة إلى محلة ببغداد، وقد قيل إن جدّه الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق .

ولد السيوطى بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة ٨٤٩هـ وتوفي والده سنة ٨٥٥هـ وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر، وكان قد وصل في حفظ القرآن الكريم إلى سورة التحريم، فنشأ يتيماً، وأسندت وصايته إلى جماعة منهم كمال الدين بن الهمام . حفظ القرآن الكريم وله دون ثمانى سنين، ثم حفظ العمدة، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية ابن مالك .

وشرع يشتغل بالعلم من مستهل سنة ٨٦٤هـ فلزم كثيراً من شيوخ عصره، وأجيز بتدريس العربية في مستهل سنة ٨٦٦هـ وبدأ بالتأليف في هذه السنة، فكان أول شيء ألفه شرح الاستعاذة والبسملة، وأوقف عليه شيخه علم الدين البلقيني فكتب عليه تقریظاً، ولزمه في الفقه إلى أن مات سنة ٨٦٨هـ ولزم في الفقه أيضاً شيخ الإسلام شرف الدين المناوى آخر علماء الشافعية المتوفى سنة ٨٧١هـ وقرأ على الشمس السيرامى صحيح مسلم إلا قليلاً منه، والشفا، وألفية ابن مالك، وقطعة من التسهيل وأجازه بالعربية وغيرها .

ولزم في الحديث والعربية شيخه تقى الدين الشمنى الحنفى المتوفى سنة ٨٧٢هـ فواظبه أربع سنين وكتب له تقریظاً على شرح ألفية ابن مالك «البهجة المرضية» وعلى تأليفه «جمع الجوامع في العربية» .

ولزم شيخه العلامة محيي الدين الكافيجى أربع عشرة سنة حتى مات وذلك من سنة ٨٦٥-٨٧٩هـ وأخذ عنه التفسير والأصول والعربية والمعاني .

وقد سافر السيوطى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب، ولما حج شرب من ماء زمزم لأمر : منها أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر .

ولما بلغ السيوطى أربعين سنة ترك التدريس والإفتاء وتجرّد للعبادة، وشرع في تحرير مؤلفاته، ثم قطع صلته بالحياة العامة واعتكف بمنزله في جزيرة الروضة بالمنيل، ولم يتحول

عنها إلى أن مات في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ رحمه الله تعالى .

### مصنفاته :

قضى السيوطى حياته في تحصيل العلم والدرس والتصنيف ، وتنوعت ألوان ثقافته حتى صار إماماً في كثير من العلوم .

قال في كتاب حسن المحاضرة<sup>(١)</sup> : «ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع ، على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة ، والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنقول التي اطلعت عليها فيها ، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي ، فضلاً عمّن دونهم . وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه ، بل شيخي أوسع نظراً وأطول باعاً . ودون هذه السبعة في المعرفة : أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها الإنشاء والترسل والفرائض ، ودونها القراءات - ولم أخذها عن شيخ - ودونها الطب . وأما علم الحساب فهو أعسر شيء عليّ وأبعده عن ذهني ، وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنها أحاول جبلاً أحمله .

«وقد كملت عندي آلات الجهاد بحمد الله تعالى ، أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى لا فخراً ، وأي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيله بالفخر ، وقد أزف الرحيل ، وبدأ المشيب ، وذهب أطيب العمر . ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرتُ على ذلك من فضل الله ، لا بحولي ولا بقوتي فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله .

«وقد كنت في مبادئ الطلب قرأت شيئاً في علم المنطق ، ثم ألقى الله كراهته في قلبي ، وسمعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك ، فعوّضني الله تعالى عنه علم الحديث الذي هو أشرف العلوم» .

وقد ترك السيوطى عدداً ضخماً من المصنفات في أكثر الفنون ما بين مجلدات ورسائل صغيرة وقد ذكر في كتابه حسن المحاضرة أن مؤلفاته إلى ذلك الوقت بلغت ثلاثمائة كتاب سوى ما غسله ورجع عنه<sup>(٢)</sup> .

(١) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٨ .

(٢) حسن المحاضرة ١/ ٣٣٨ .

وللسيوطي رسالة خاصة فهرس فيها مؤلفاته ورتبها على الفنون<sup>(١)</sup>. وقد أحصيت مؤلفاته فيها فبلغت ٥٥٢ مؤلفاً .

وقد عمل الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال كتاباً ضخماً لمؤلفات السيوطي رتبه على حروف المعجم وسماه «مكتبة الجلال السيوطي» قال في مقدمته : أحصيت في هذا الفهرست التأليف السيوطية، فكانت ٧٢٥ عدداً، أخرجت منها الطباعة نيفاً ومائتين . . .

**ثانياً : الكتب المصنفة في إعراب الحديث :**

**النحاة والحديث :**

الحديث النبوي أصل من أصول النحو، ومصدر من مصادره السماعية، ولكن الناظر في كتب النحو يمتلكه العجب وهو يرى قلة احتجاج النحاة بالحديث وكثرة استشهادهم بالشعر. وقد غلب هذا الاتجاه على النحاة الأوائل، وقلدهم من جاء بعدهم. ثم اختلف موقف النحاة بعد؛ فمنهم من قويت عنايته بالحديث والاحتجاج به كابن الطراوة (٥٢٨ هـ) والزخشي (٥٣٨ هـ) والسهيلي (٥٨١ هـ) وابن خروف (٦١٠ هـ) وابن يعيش (٦٤٣ هـ)، وبلغ الأهتمام بالحديث أوجه عند ابن مالك الأندلسي (٦٧٢ هـ) الذي يعدّ إمام الاحتجاج بالحديث النبوي .

وقد لخص السيوطي مذهب ابن مالك في الاحتجاج فقال : «كان أمة في الاطلاع على الحديث، فكان أكثر ما يستشهد بالقرآن، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى أشعار العرب»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا مهّد ابن مالك السبيل لمن جاء بعده، فسار على دربه ابن هشام (٧٦١ هـ) والدماميني (٨٢٧ هـ) والأشموني (٩٢٩ هـ) وغيرهم .

ومن النحاة من تزعم منع الاحتجاج بالحديث، وأشهرهم اثنان : ابن الضائع (٦٨٠ هـ) وأبو حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ)، وذلك لأمرين : أحدهما أن الرواة جوّزوا نقل

(١) فهرست مؤلفات السيوطي / مخطوط بمكتبة عارف حكمت رقم ١٧٣ مجاميع .

(٢) بغية الوعاة بتحقيق محمد أبو الفضل / ١٣٤/١ .

الحديث بالمعنى ، والثانى أن كثيراً من رواة الحديث كانوا غير عرب بالطبع فوقع اللحن في نقلهم<sup>(١)</sup> .

وقد رجح معظم المتأخرين مذهب ابن مالك في الاحتجاج بالحديث ، وذلك لشدة عناية المحدثين برواية الحديث وورعهم في نقله ، وتمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها ، بعد الجهد العظيم الذي بذله علماء الحديث .

ومن العجيب أن الإمام السيوطى ، وهو صاحب المصنفات الكثيرة في الحديث ، ذهب إلى عدم الاحتجاج بالحديث فيما خالف القواعد النحوية ، وصحح مذهب ابن الضائع وأبى حيان . فقال في كتابه الاقتراح : وأما كلامه ﷺ فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي ، وذلك نادر جداً ، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضاً فإن غالب الأحاديث مروى بالمعنى ، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها ، فرووها بما أدت إليه عباراتهم ، فزادوا ونقصوا ، وقدموا وأخروا ، وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ . ولهذا ترى الحديث الواحد في القصة الواحدة مروياً على أوجه شتى بعبارات مختلفة ، ومن ثم أنكروا على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة في الحديث<sup>(٢)</sup> .

وكرر السيوطى هذا الرأي في كتابه همع الهوامع فقال :

« . . . وقد بينت في كتاب أصول النحو من كلام ابن الضائع وأبى حيان أنه لا يستدل بالحديث على ما خالف القواعد النحوية ، لأنه مروى بالمعنى لا بلفظ الرسول ، والأحاديث رواها العجم والمولدون لا من يحسن العربية ، فأدوها على قدر ألسنتهم<sup>(٣)</sup> .

كما ذكر السيوطى هذا الرأي أيضاً في كتابه عقود الزبرجد حيث قال :

« اعلم أن كثيراً من الأحاديث روتها الرواة بالمعنى ، فزادوا فيها ونقصوا ، ولحنوا وأبدلوا الفصيح بغيره ، ولهذا تجد الحديث الواحد يروى بألفاظ متعددة ، منها ما يوافق الإعراب والفصيح ، ومنها ما يخالف ذلك » .

ثم ينقل السيوطى كلام ابن الضائع وأبى حيان في هذا المجال .

(١) راجع موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث - في الفصل الثاني من كتابنا النحاة والحديث النبوي .

(٢) الاقتراح ص ١٦ .

(٣) همع الهوامع ٤٢/٢ بتحقيق د. عبد العال سالم .

## التصنيف في إعراب الحديث :

لقد كان لهذه المواقف المتضاربة من النحاة أن قلّ التصنيف في إعراب الحديث، فلا نجد كتباً متخصصة في إعراب الحديث غير ثلاثة كتب : الأول للعكبري، والثاني لابن مالك، والثالث للسيوطي .

قال السيوطي في مقدمة كتابه «عقود الزبرجد» :

« . . . وبعد فقد أكثر العلماء قديماً وحديثاً من التصنيف في إعراب القرآن ولم يتعرضوا للتصنيف في إعراب الحديث سوى إمامين : أحدهما الإمام أبو البقاء العكبري . . . والثاني الإمام جمال الدين بن مالك . . . وقد استخرت الله تعالى في تأليف كتاب في إعراب الحديث مستوعب جامع . . . »

## وفيما يلي وصف لهذه المصنفات :

(١) إعراب الحديث النبوي - للإمام العكبري (٥٣٨-٦١٦ هـ) :

أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين العكبري الأصل، البغدادي المولد والدار، الفقيه الحنبلي الحاسب الفرضي النحوي الضرير<sup>(١)</sup>.

برع أبو البقاء في فنون كثيرة وله مصنفات عديدة منها : إعراب القرآن واللباب في علل البناء والإعراب، وشرح الإيضاح والتكملة لأبي علي الفارسي، وشرح المفصل للزمخشري وغيرها .

وقد صنف أبو البقاء العكبري أول كتاب في إعراب الحديث<sup>(٢)</sup>، وأعتمد في أخذ الأحاديث على كتاب جامع المسانيد لابن الجوزي (٥٩٧ هـ) الذي جمع فيه مصنفه غالب مسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم والترمذي .

قال أبو البقاء في مقدمته :

« أما بعد فإن جماعة من طلبة الحديث التمسوا مني أن أملي مختصراً في إعراب ما يشكل من الألفاظ الواقعة في الأحاديث، وأن بعض الرواة قد يخطيء فيها، والنبوي ﷺ

(١) أنظر ترجمته في : الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ١٠٩/٢، نكت الهميان للصفدي ١٧٨، الذيل على الروضتين لأبي شامة ١٩٩، انباه الرواة للقفطي ١١٦/٢، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٠٠/٣، بغية الوعاة ٣٨/٢، شذرات الذهب ٦٧/٥ معجم الأدباء ٤٦/٦، البداية والنهاية ٨٥/١٣، الأعلام ٢٠٨/٤ .

(٢) حققت هذا الكتاب مع دراسة بعنوان «النحاة والحديث النبوي» وحصلت بهما على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر بإشراف أستاذنا الدكتور أحمد كحيل . وقد طبعت الكتابين في عمان .

وأصحابه بريئون من اللحن، فأجبتهم إلى ذلك، واعتمدت على أتمّ المسانيد وأقرها إلى الاستعياب وهو جامع المسانيد للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، رحمه الله، مرتبة على حروف المعجم، والله الموفق للصواب .

ومجموع الأحاديث التي تعرّض العكبري لإعرابها نحو ٤٣٠ حديثاً، كان يستشهد عليها بالقرآن والشعر، وقد يتعرض للخلافات النحوية، وقد يذكر العكبري للرواية أكثر من إعراب. وإذا خرجت الرواية عن المؤلف في كلام العرب ولم يجد لها وجهاً في قواعد النحاة حكم العكبري عليها باللحن .

(٢) إعراب الحديث - للإمام ابن مالك الأندلسي (٦٠٠-٦٧٢هـ):

أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبلي النحوي اللغوي المقرئ المحدث الفقيه الشافعي<sup>(١)</sup>. من أشهر مصنفاته: الكافية الشافية وشرحها، التسهيل وشرحه - لم يتم، الخلاصة الألفية في النحو والصرف، شرح عمدة الحافظ وعمدة الالفاظ .

وقد صنف ابن مالك كتاباً في إعراب الحديث سماه: «شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح»<sup>(٢)</sup>. وهو يقوم على إعراب مشكلات وقعت في صحيح البخاري. ويتضح فيه منهج ابن مالك في الاحتجاج بالحديث النبوي، واستنباط القواعد النحوية منه، ويستدل للأحاديث بالقرآن والشعر، ويخطئ النحويين في عدد من المسائل. وهو بذلك يتميز عن منهج العكبري الذي كان يلحن الرواية أحياناً لمخالفتها قواعد النحاة .

(٣) إعراب الحديث - للإمام السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ):

صنف السيوطي كتاباً ضخماً في إعراب الحديث سماه: «عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد» اعتمد فيه غالباً على مسند الإمام أحمد، وضم إليه كثيراً من كتب الحديث. قال في مقدمته:

«... وقد استخرت الله تعالى في تأليف كتاب في إعراب الحديث، مستوعب جامع... وأجعله على مسند أحمد مع ما أضمه إليه من الأحاديث المزیدة، وأرتبه على حروف المعجم في مسانيد الصحابة، وأنشئ له من بحار كتب العربية كل سحابة...»

(١) أنظر ترجمته في: بغية الوعاة ١/١٣٠، البداية والنهاية ١٣/٢٦٧، نفع الطيب بتحقيق محمد محي الدين ٢/٤٢١، طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة ١٣٣، التسهيل / التمهيد.

(٢) حققه محمد فؤاد عبد الباقي، وطبع في القاهرة ١٣٧٦هـ ١٩٧٧م.

وهكذا رتب السيوطي كتابه على الطريقة التي رتب فيها العكبري كتابه . والسيوطي مطلع على إعراب الحديث للعكبري وإعراب الحديث لابن مالك فينقل أقوالهما في إعراب الحديث ويزيد عليها بما يعن له وما يراه من الأقوال الأخرى . فيقول :

«قد أوردت جميع كلام أبي البقاء معزواً إليه ، ليعرف قدر ما زدته عليه ، وتتبع ما ذكره أئمة النحو في كتبهم المبسوطة من الأعراب للأحاديث فأوردتها بنصها معزوة إلى قائلها» .

والسيوطي - كعادته - جماعة للآراء لا يكاد يغفل عن نقل رأي منها له قيمته في إعراب الحديث ، ولا نكاد نجد له دوراً في الإعراب إلا نادراً .

وأهم المصادر التي اعتمد عليها السيوطي في إعراب الحديث :

١ - إعراب الحديث للعكبري ، وقد صرح بنقله جميع كلامه .

٢ - إعراب الحديث لابن مالك .

٣ - شرح الطيبي على مشكاة المصابيح للتبريزي .

٤ - شروح صحيح البخاري للكرماني ، والزرکشي ، والخطابي ، وابن حجر .

٥ - شروح صحيح مسلم للقاضي عياض ، والقرطبي ، والنووي .

٦ - شرح الكافية الشافية لابن مالك .

٧ - أقوال النحاة واللغويين في مصنفاتهم كالزنجشيري في المفصل ، والرضي في شرح الكافية ، والأندلسي في شرح المفصل ، وابن يعيش في شرح المفصل ، والجوهري في الصحاح ، والزنجشيري في الفائق ، وابن الأثير في النهاية في غريب الحديث .

وقد اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على ثلاث نسخ خطية ، الأولى في دار الكتب المصرية ، والثانية في أيا صوفيا ، والنسخة الثالثة في الخزانة العامة بالرباط . وقد بذلت جهداً كبيراً في تقويم النص والتعليق عليه ، وتوثيق الآراء والنقول ، وتخريج الأحاديث .

وقد آثرت تقديم مادة الكتاب على طريقة النص المختار ، واستبعدت الفروق بين النسخ ، لعدم حاجة القارئ إليها ، إلى أن يأذن الله بإتمام الكتاب ، وإعادة طبعه كاملاً .  
ومن الله العون وبالله التوفيق . . .

\*\*\*

# كتاب

## عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد

### في إعراب الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

[ مقدمة الكتاب ]

رَبِّ يَسَّرْ وَأَتَمِّمْ بِخَيْرٍ فَأَنْتَ كَرِيمٌ . . .

الحمد لله الذي خصَّ هذه الأمة بالإسناد والإعراب، وصلى الله على سيدنا محمد  
والآل والأصحاب .

وبعد :

فقد أكثر العلماء قديماً وحديثاً من التصنيف في إعراب القرآن، ولم يتعرضوا للتصنيف  
في إعراب الحديث سوى إمامين : أحدهما الإمام أبو البقاء العكبري، فإنه لما أَلَّفَ إعراب  
القرآن المشهور<sup>(١)</sup> أَرَدَفَهُ بتأليف لطيف في إعراب الحديث، أورد فيه أحاديث كثيرة من مسند  
أحمد وأعرابها، إلا أنه لاختصاره، ونزرة ما أوردته فيه من النزر القليل، لا يروى الغليل، ولا  
يشفى العليل .

والثاني الإمام جمال الدين بن مالك، فإنه أَلَّفَ في ذلك تأليفاً خاصاً بصحيح  
البخاري، يسمى «التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح» .

وقد استخرت الله تعالى في تأليف كتاب في إعراب الحديث، مستوعب جامع،  
وغيث على رياض كتب المسانيد والجامع هامع<sup>(٢)</sup>، شامل للفوائد البدائع شافٍ . كافلٍ  
بالنقول والنصوص كاف، أنظم فيه كلَّ فريدة، وأسفر فيه النقاب عن وجه كل خريدة<sup>(٣)</sup>  
وأجعله على مسند أحمد مع ما أضَمَّه إليه من الأحاديث المزيِّدة، وأرتبته على حروف المعجم  
في مسانيد الصحابة، وأنشئ له من بحار كتب العربية كلَّ سحابة .

واعلم أن لي على كلِّ كتاب من الكتب المشهورة في الحديث تعليقة؛ وهي الموطأ<sup>(٤)</sup>،

(١) مطبوع باسم «إملاء ما من به الرحمن» . وقد حققه على الجاوي وطبعه باسم «التبيان في إعراب القرآن» .

(٢) هامع أي ماطر .

(٣) الخريدة : البكر التي لم تُمَسَّسَ . (القاموس) .

(٤) للسيوطي «تنوير الحوالك على موطأ الإمام مالك» مطبوع .



ومسند الشافعي (١)، ومسند أبي حنيفة (٢)، والكتب الستة (٣) ولم يبق إلا مسند أحمد. ولم يمنعني من الكتابة عليه إلا كبر حجمه جداً، وعدم تداوله بين الطلبة كتداول الكتب المذكورة، وقدّرت التعليقة عليه تجيء في عدة مجلّدات، والتعاليق التي كتبتها لا تزيد التعليقة منها على مجلد.

فلما شرح الله صدرى لتصنيف هذا الكتاب، عرّفته بمسند أحمد، عوضاً مما كنت أرومه عليه من التعليقة، ولكونه جامعاً لغالب الحديث المتكلم على إعرابه. فإن شئت فسّمه «عقود الزبرجد على مسند أحمد» وإن شئت فقل «عقود الزبرجد في إعراب الحديث» ولا تتقيّد.

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، موجباً للفوز بجنات النعيم، إنه البرّ الرحيم . . .

## مقدمة

### [ في الاستشهاد بالحديث ]

اعلم أن كثيراً من الأحاديث روتها الرواة بالمعنى، فزادوا فيها ونقصوا، ولحنوا، وأبدلوا الفصيح بغيره، ولهذا تجد الحديث الواحد يروى بألفاظ متعددة، منها ما يوافق الإعراب والفصيح، ومنها ما يخالف ذلك (٤).

وقد قال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس (٥): إذا ورد الحديث على وجهين ما يوافق الفصيح وما يخالفه، فالموافق للفصيح هو لفظ النبي ﷺ لأنه لم يكن ينطق إلا بالفصيح.

(١) للسيوطي «الشافعي على مسند الشافعي».

(٢) للسيوطي «التعليقة المنيفة على مسند أبي حنيفة».

(٣) للسيوطي عليها: التوشيح على الجامع الصحيح، والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، ومرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، وقوت المغتذي على جامع الترمذي، وزهر الربى على المجتبى، ومصباح الزجاجية على سنن ابن ماجه.

(٤) ذكر السيوطي رأيه هذا في كتابه الاقتراح، ثم نقل فيه كلام ابن الضائع وأبي حيان. أنظر الاقتراح ص ١٦-١٩. وراجع هذه المسألة بالتفصيل في كتابنا «النحاء والحديث النبوي».

(٥) فتح الدين بن سيد الناس: الإمام العلامة فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الأندلسي المصري الشافعي، ولد سنة ٦٧١هـ لازم ابن دقيق العيد وتخرج عليه وأخذ العربية عن البهاء النحاس. صنف السيرة الكبرى والصغرى. مات فجأة سنة

وقد نقل هذا الكلام عن المزمى (١).

قال أبو عاصم العبادي (٢) - من متقدمى أصحابنا - فى طبقاته : قال المزمى : لا يروى فى الحديث خطأ ، فإن النبى ﷺ أفصح العرب ، فلا يجوز أن يروى خطأ .

وقال أبو الحسن بن الضائع (٣) - بالضاد المعجمة - فى شرح الجمل (٤) :

«تجوز الرواية بالمعنى هو السبب عندى فى ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث ، واعتمدوا فى ذلك على القرآن وصریح النقل عن العرب . ولولا تصریح العلماء بجواز النقل بالمعنى فى الحديث لكان الأولى فى إثبات فصیح اللغة كلام النبى ﷺ ، لأنه أفصح العرب» .

قال : «وابن خروف (٥) يستشهد بالحديث كثيراً فإن كان على وجه الاستظهار والتبرك بالمروى فحسن ، وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئاً وجب عليه استدراكه فليس كما رأى .»

وقال أبو حيان (٦) فى شرح التسهيل (٧) :

«قد أكثر ابن مالك من الاستدلال بما وقع فى الأحاديث على إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب ، وما رأيت أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره . على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن

---

(١) أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزمى المصرى (١٧٥-٢٦٤هـ) كان إماماً ورعاً زاهداً ، معظمها بين أصحاب الشافعى ، حدث عن الشافعى ونعيم بن حماد وغيرهما . من مصنفاته : المبسوط ، الجامع الكبير ، الجامع الصغير ، المختصر . أنظر : طبقات الشافعية للسبكي ٩٣/٢ ، طبقات الشافعي للأسنوي ٣٤/١ .

(٢) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عباد (٣٧٥-٤٥٨هـ) كان إماماً مفنناً مناظراً . من تصانيفه : المبسوط ، طبقات الفقهاء . أنظر : طبقات الشافعية للسبكي ١٠٤/٤ ، طبقات الشافعية للأسنوي ١٩٠/٢ .

(٣) أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن الضائع ، بلغ الغاية فى النحو ولازم الشلوين ، وفاق أصحابه بأسرهم . ومن مصنفاته : شرح جهل الزجاجي . توفى سنة ٦٨٠هـ . أنظر بغية الوعاة ٢٠٤/٢ .

(٤) أنظر شرح الجمل لابن الضائع / مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٩ نحو جـ ٢ ورقة ٧٢ .

(٥) أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن خروف الأندلسي ، أخذ النحو عن ابن طاهر المعروف بالحدب . أقرأ النحو بعدة بلاد . من مصنفاته : شرح كتاب سيبويه ، شرح الجمل توفى سنة ٦٠٩هـ . أنظر بغية الوعاة ٢٠٣/٢ .

(٦) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطى ، نحوى عصره ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه . من مصنفاته : البحر المحيط ، التذييل والتكميل فى شرح التسهيل ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، توفى سنة ٧٤٥هـ . أنظر بغية الوعاة ٢٨٠-٢٨٥/١

(٧) أنظر التذييل والتكميل / مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٦٢ نحو جـ ٥ ورقة : ١٦٨-١٧٠ .

العلاء<sup>(١)</sup>، وعيسى بن عمر<sup>(٢)</sup>، والخليل، وسيبويه من أئمة البصريين، والكسائي<sup>(٣)</sup>، والفراء<sup>(٤)</sup>، وعلى بن المبارك الأحمر<sup>(٥)</sup>، وهشام الضرير<sup>(٦)</sup> من أئمة الكوفيين، لم يفعلوا ذلك. وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم، كنحاة بغداد وأهل الأندلس. وقد جرى الكلام في ذلك مع بعض المتأخرين الأذكياء فقال: إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول ﷺ، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد الكلية. وإنما كان ذلك لأمرين:

أحدهما: أن الرواة جوّزوا النقل بالمعنى فتجد قصة واحدة قد جرت في زمانه ﷺ لم تقل بتلك الألفاظ جميعها. نحو ما روى من قوله «زوجتكها بما معك من القرآن» «ملككتها بما معك» «خذها بما معك» وغير ذلك من الألفاظ الواردة في هذه القصة، فعلم يقيناً أنه ﷺ لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ، بل لا نجزم أنه قال بعضها. إذ يحتمل أنه قال لفظاً مرادفاً لهذه الألفاظ غيرها، فأنت الرواة بالمرادف، ولم تأت بلفظه ﷺ، إذ المعنى هو المطلوب، ولا سيما مع تقادم السماع، وعدم ضبطه بالكتابة، والاتكال على الحفظ، والضابط منهم من ضبط المعنى، وأما ضبط اللفظ فبعيد جداً، لا سيما في الأحاديث الطوال. وقد قال سفيان الثوري: إن قلت لكم إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني، إنما هو المعنى. ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين أنهم إنما يروون بالمعنى.

الأمر الثاني: أنه وقع اللحن كثيراً فيما روى من الحديث، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم، وهم لا يعلمون ذلك. وقد وقع في كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب، ونعلم قطعاً غير شك أن رسول الله ﷺ كان أفصح الناس، فلم يكن ليتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن

(١) أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة المشهورين، كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة مات سنة ١٥٤هـ. أنظر بغية الوعاة ٢/٢٣١.

(٢) عيسى بن عمر الثقفي مولى خالد بن الوليد إمام في النحو والعربية والقراءة، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق. وصنف في النحو الإكمال والجامع، توفي سنة ١٤٩هـ. أنظر بغية الوعاة ٢/٢٣٧.

(٣) علي بن حمزة الكسائي، إمام الكوفيين في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة المشهورين توفي سنة ١٨٢هـ أنظر بغية الوعاة ٢/١٦٣.

(٤) يحيى بن زياد أبوزكريا الفراء، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، أخذ عنه وعن يونس. من مصنفاته: معاني القرآن، المقصور والممدود، المذكر والمؤنث. مات سنة ٢٠٧هـ. بغية الوعاة ٢/٣٣٣.

(٥) علي بن المبارك الأحمر صاحب الكسائي، كان متقدماً في النحو، واسع الحفظ. مات سنة ١٩٤هـ. بغية الوعاة ٢/١٥٨.

(٦) هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي أحد أصحاب الكسائي. صنف مختصر النحو، الحدود، القياس. توفي ٢٠٩هـ. بغية الوعاة ٢/٣٢٨.

التركيب وأشهرها وأجزؤها، وإذا تكلم بلغة غير لغته فإنها يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز، وتعليم الله ذلك له من غير معلم.

وابن مالك قد أكثر من الاستدلال بما ورد في الأثر، متعقباً بزعمه على النحويين، وما أمعن النظر في ذلك.

(وابن المصنف رحمه الله كأنه موافق لأبيه في استدلاله بما روي في الحديث، فإنه يذكره على طريقة التسليم).

وقد قال لنا قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة. وكان ممن أخذ عن ابن مالك - قلت له : ياسيدي هذا الحديث رواية الأعاجم، ووقع فيه من روايتهم ما يعلم أنه ليس من لفظ الرسول. فلم يجب بشيء.

قال أبو حيان : وإنما أمعنت الكلام في هذه المسألة لثلاثي يقول مبتدئ : ما بال النحويين يستدلون بقول العرب وفيهم المسلم والكافر، ولا يستدلون بما روي في الحديث بنقل العدول كالبخاري ومسلم وأصراهما. فمن طالع ما ذكرناه أدرك السبب الذي لأجله لم يستدل النحاة بالحديث». انتهى كلام أبي حيان.

وقال القاضي عياض<sup>(١)</sup> في شرح مسلم : قال الشعبي<sup>(٢)</sup> : إذا وقع في الحديث اللحن البين يعرب. وقاله أحمد بن حنبل. قال : لأنهم لم يكونوا يلحنون. وقال النسائي<sup>(٣)</sup> إن كان شيئاً تقوله العرب فلا يغير، وإن لم يكن من لغة قريش، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يكلم الناس بألسنتهم، وإن كان لا يوجد في كلام العرب فرسول الله ﷺ لا يلحن.

---

(١) القاضي عياض بن موسى اليحصبي عالم المغرب ولد بسنة ٤٧٦هـ. قال ابن خلكان : إمام الحديث في وقته وأعرف الناس بعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم. ومن تصانيفه : «إكمال في شرح مسلم»، مشارق الأنوار في اقتفاء صحيح الآثار من الموطأ والصحيحين توفي سنة ٥٤٤هـ. أنظر تذكرة الحفاظ للذهبي ص ١٣٠٤-١٣٠٧.

(٢) الشعبي علامة التابعين، عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي، مولده في أثناء خلافة عمر، كان إماماً حافظاً فقيهاً متقناً. . . أنظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٧٩/١.

(٣) الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب الخراساني صاحب السنن، ولد سنة ٢١٥هـ وتوفي سنة ٣٠٣هـ. برع في الحديث وتفرد بالانتقان وعلو الاسناد. سكن مصر، وكان أفقه مشايخ مصر في عصره وأعلمهم بالحديث والرجال. . . أنظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٦٩٨/٢.

## فصل [ في عزو الأقوال إلى أصحابها ]

قد أوردت جميع كلام أبي البقاء معزوًا إليه، ليُعرف قدر ما زدته عليه، وتتبع ما ذكره أئمة النحو في كتبهم المبسوطة من الأعراب للأحاديث، فأوردتها بنصها معزوةً إلى قائلها، لأن بركة العلم عزو الأقوال إلى قائلها، ولأن ذلك من أداء الأمانة، وتجنب الخيانة، ومن أكبر أسباب الانتفاع بالتصنيف، لا كالسارق الذي خرج في هذه الأيام فأغار على عدة كتب من تصانيفي، وهي المعجزات الكبرى، والخصائص الصغرى، ومسالك الحنفاء، وكتاب الطيلسان وغير ذلك، وضم إليها أشياء من كتب العصرين، ونسب ذلك لنفسه من غير تنبيه على هذه الكتب التي استمد منها، فدخل في زمرة السارقين، وانطوى تحت ربة المارقين، فنسأل الله تعالى حسن الإخلاص والخلاص، والنجاة يوم يقال للمعتدين لات حين مناص .

وقد رمزت على كل حديث رمز من أخرجه من أصحاب الكتب الستة المشتهرة، وإن لم يكن فيها ولا في المسند صرحت بذكر من أخرجه من أصحاب الكتب المعتمدة .

### فائدة

#### [ هل يتعدى «سمع» إلى مفعولين؟ ]

يتكرر كثيراً في الحديث قول الراوى «سمعت رسول الله ﷺ يقول» وقد اختلف هل يتعدى «سمعت»<sup>(١)</sup> إلى مفعولين؟

فجوزه الفارسي<sup>(٢)</sup>، لكن لا بد أن يكون الثانى مما يُسمَع، نحو: سمعت زيدا قال كذا. فلو قلت: سمعت زيدا أخاك، لم يجز .

(١) فصل البغدادى القول في استعمالات سمع في خزنة الأدب ج٩ ص ١٦٧-١٧٣ بتحقيق هارون .

(٢) أبوعلي الفارسي : الحسن بن أحمد عالم مشهور أخذ عن الزجاج وابن السراج، وعنه أخذ ابن جني، له مصنفات كثيرة منها: الإيضاح والتكملة، والحجة، والبغداديات والتذكرة. توفي سنة ٣٧٧ هـ. أنظر بغية الوعاة ١/٤٩٦-٤٩٧ .

والصحيح تعديّه إلى مفعول واحد، وما وقع بعده منصوباً فعلى الحال، والأول على تقدير مضاف، أي سمعت قول رسول ﷺ، لأن السمع لا يقع على الذوات، ثم بين هذا المحذوف بالحال المذكور، وهي يقول، وهي حال مبيّنة، ولا يجوز حذفها .

وقال الزمخشري<sup>(١)</sup> في قوله تعالى : ﴿سَمِعْنَا مَنَادًا﴾<sup>(٢)</sup> : تقول سمعت رجلاً يتكلم، فتوقع الفعل على الرجل، وتحذف المسموع، لأنك وصفته بما يسمع، أو جعلته حالاً منه، فأغناك عن ذكره. ولولا الوصف أو الحال لم يكن منه بدّ وأن يقال : سمعت كلامه .

وقال الطيبي<sup>(٣)</sup> : الأصل في «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول» : سمعتُ قول رسول الله، فأخر القول وجعل حالاً ليفيد الإبهام والتبيين. وهو أوقع في النفس من الأصل .

## فائدة

### [ في قولنا «رضى الله عنه» و «رضوان الله عليه» ]

سئل الإمام أبو محمد بن السيد البليوسي<sup>(٤)</sup> عن قولنا : «رضى الله عنه ورضوان الله عليه» هل (عليه) هنا مبدلة من (عنه) كما يتبدل بعض الحروف من بعض، فيسوغ فيها على وعن، أم ليست مبدلة ؟

فأجاب : ليست (على) هاهنا ببدل من (عن) التي حكم (رضى) أن يتعدى بها، بدليل أن (عليه) قد صارت خبراً عن المبتدأ، ولو كانت بدلاً من (عن) لكانت من صلة الرضوان، ولم يصح أن يكون خبراً عنه، وعن مضمّنه في الكلام، كأنه قال : رضوان الله عنه سابغ عليه، أو واقع عليه، ونحو ذلك .

(١) محمود بن عمر أبو القاسم جار الله وفخر خوارزم ولد سنة ٤٩٧هـ . وجاور بمكة، من مصنفاته : الكشاف في التفسير، المفصل في النحو، الفائق في غريب الحديث، أساس البلاغة . توفي سنة ٥٣٨هـ . أنظر بغية الوعاة ٢/٢٧٩-٢٨٠ .

(٢) آل عمران آية ١٩٣ . أنظر تفسير الكشاف ١/٤٨٩ .

(٣) الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي : كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلاً على نشر العلم . من

مصنفاته : شرح الكشاف، شرح مشكاة المصابيح . توفي سنة ٧٤٣هـ . أنظر بغية الوعاة ١/٥٢٢ .

(٤) عبد الله بن محمد بن السيد عالم باللغة والنحو والأدب . ومن مصنفاته : شرح أدب الكاتب، شرح الموطأ، شرح ديوان

المتنبي، إصلاح الخلل الواقع في الجمل . مات سنة ٥٢١هـ . بغية الوعاة ٢/٥٥ .

## فائدة

### [ في إعراب غير ]

سئل ابن الحاجب<sup>(١)</sup> عن إعراب (غير) في قولهم: هذا الحديث لا نعلم أحداً رواه عن فلان غير فلان؛ أينصب غير أم يرفع؟.

فأجاب بما نصّه: إن جعلت (نعلم) متعدياً إلى مفعولين أحدهما (أحداً) والثاني (رواه)، كما نقول: ما أظن أحداً رواه غير فلان، وهو الظاهر، فالفصيح الرفع على البدل من الضمير المرفوع المستتر في (رواه) العائد على أحد، لأنه المنفى في لا نعلم.

ويجوز نصبه على الاستثناء، وهي قراءة ابن عامر<sup>(٢)</sup>، ولا يجوز أن يرفع على أن يكون فاعلاً برواه، لأن في (رواه) ضمير فاعل عائد على أحد، فلا يستقيم أن يرفع به فاعل آخر.

فإن جعلت (نعلم) بمعنى نعرف المتعدي إلى واحد، كان (رواه) صفة له، كأنك قلت: لا نعرف راوياً غير فلان؛ تعين النصب، جعلته بدلاً أو استثناءً، كقولك: ما أكرمت أحداً راوياً غير زيد. فلا يجوز في (غير) إلا النصب.

نقلته من خط ابن الضائع في تذكرته، وهو نقله من خط ابن الحاجب.



(١) العلامة عثمان بن عمر المقرئ النحوي المالكي الأصولي الفقيه، من مصنفاته النحوية: الكافية وشرحها ونظمها، وفي التصريف الشافية وشرحها، وله الإيضاح في شرح المفصل، والأمال في النحو. توفي سنة ٦٤٦ هـ. أنظر بغية الوعاة ١٣٤/٢.

(٢) في قوله تعالى ﴿ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ (سورة النساء ٦٦). قرأ السبعة غير ابن عامر بالرفع، وقرأ ابن عامر بالنصب «قليلًا»... أنظر التصريح ٣٥٠/١، تفسير القرطبي ٢٧٠/٥.



أختي العزيزة : « هل » :

هذه هي الرسالة الثالثة عشرة، وسوف أحدثك فيها عن همزة الاستفهام الداخلة على أداة الشرط «إن» في القرآن الكريم، لقد وردت هذه الهمزة في ثلاث آيات :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾ . (الآية ١٤٤ من سورة آل عمران) .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن محمداً ﷺ ما هو إلا رسول كغيره من الرسل الذين أرسلهم الله عز وجل إلى خلقه دعاة إليه وإلى طاعته ثم ماتوا وقبضهم الله إليه حين انقضت آجالهم، وبقي أتباعهم من بعدهم يلتزمون بما دعوا إليه، ومحمد مثله مثل أولئك الرسل جاء مبلغاً عن الله تعالى داعياً إليه وإلى طاعته، وسوف يموت ويقبضه الله إليه حين ينتهي أجله، وعلى أتباعه أن يلتزموا بما دعا إليه الجهاد في سبيل الله تعالى، والصبر على طاعته، فلا ينبغي لأولئك الذين آمنوا به وبصدق ما دعاهم إليه، لا ينبغي لهم أن يصيبهم الفرع والهلع فينكصوا على أعقابهم فراراً من المعركة حين قيل في معركة أحد إن محمداً قتل .

والله سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة من أطاع، ولا تضره معصية من عصى، فالله جلّ وعلا غني عن العالمين، فمن عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها، وسيجزى الله الشاكرين الذين شكروا الله على نعمته عليهم بالإسلام، فجاهدوا في سبيله، وصبروا على طاعته، وصدقوا الله في الدفاع عن دينه، فثبتوا حتى انتهت المعركة أو استشهدوا فيها .

والشاكرون لفظ عام يندرج فيه كل شاكر فعلاً وقولاً وإن فُسرنا بالمجاهدين الثابتين في معركة أحد .



وجاء الاستفهام في قوله تعالى : ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ جاء مفيدا العتب والإنكار : فقد عتب الله سبحانه وتعالى على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ أن يصيبهم الفزع والهلع وأن يفروا من المعركة حين قيل لهم في معركة أحد إن محمدا قتل ، عتب عليهم ذلك وأنكره ، فما كان ينبغي لهم أن يفعلوا ما فعلوا ، كان يجب عليهم أن يثبتوا في المعركة وأن يدافعوا عن هذا الدين الذي آمنوا به وبرسوله ، سواء أكان حيا أم ميتا ، فشرية الله لا تموت بموت الرسول الذي بلغها عن ربه ، ودعا الناس إليها ، فهي باقية إلى يوم القيامة يدافع عنها أتباعها الذين يؤمنون بها صادقين ، ويجاهدون في سبيلها حتى النصر أو الشهادة .

وإعراب هذا الاستفهام : ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ سهل واضح : فالفاء عاطفة ، عطفت الجملة الشرطية التي بعدها على الجملة الخبرية التي قبل الهمزة (مات) فعل الشرط فهو في محل جزم بـ (إن) و(انقلب) جواب الشرط فهو في محل جزم أيضا ، والجار والمجرور (على أعقابكم) في محل نصب حال من فاعل انقلبتم ، والتقدير انقلبتم راجعين .

وهذا الذي تقدم من أن همزة الاستفهام قد دخلت على «إن» الشرطية وقد استوفت شرطها وجزاءها هو مذهب سيبويه .

وذهب يونس إلى أن فعل (انقلبتم) ليس جواب الشرط ، وإنما هو الفعل المستفهم عنه ، فهو مدخول الهمزة فينوي به التقديم ، وتقدير الكلام عند يونس : أتقلبون إن مات أو قتل ، وجواب الشرط عنده محذوف دلّ عليه مدخول الهمزة المتأخر لفظا المتقدم تقديرا ، وعلى مذهبه تكون (إن) مع شرطها معترضة بين الهمزة ومدخولها ، ويرأي يونس أخذ كثير من المفسرين في هذه الآية .

ولكن أبا البقاء العكبري ذكر في كتابه «إملاء ما من به الرحمن» عند إعرابه هذه الآية أن مذهب سيبويه هو الحق لوجهين :

أحدهما : أنك لو قدمت الجواب لم يكن للفاء وجه ، إذ لا يصح أن تقول أتزورني فإن زرتك ، ومنه قوله تعالى : ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ .

والثاني : أن الهمزة لها صدر الكلام ، وإن لها صدر الكلام ، وقد وقعا في موضعها ، والمعنى يتم بدخول الهمزة على جملة الشرط والجواب لأنها كالشيء الواحد اهـ .

وقال الزركشي في كتابه البرهان : «وقد ردّ النحويون على يونس بقوله : (أفإن مت

فهم الخالدون)، ولا يجوز في (فَهُمْ) أن ينوى به التقديم لأنه يصير التقدير : «أفهم الخالدون فإن مت»، وذلك لا يجوز لئلا يبقى الشرط بلا جواب، إذ لا يتصور أن يكون الجواب يدل عليه ما قبله، لأن الفاء المتصلة بأن تمنعه من ذلك، ولهذا يقولون : «أنت ظالم إن فعلت»، ولا يقولون : «أنت ظالم فإن فعلت» فدل ذلك على أن أدوات الاستفهام إنما دخلت لفظاً وتقديراً على جملة الشرط والجواب». اهـ.

وجاء في شرح الرضي لكافية ابن الحاجب في النحو ما يؤيد قول العكبري وقول الزركشي .

وبناء على رأي سيبويه ومن ذهب مذهبه يكون مصبّ الاستفهام ومورده هو جملة الشرط والجواب معاً، وعلى رأي يونس يكون مصبّ الاستفهام ومورده هو جواب الشرط وإن لم يسمه يونس جواباً .

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون﴾ . الآية (٣٤) من سورة الأنبياء .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه محمد ﷺ : لم نخلد أحداً من بني آدم قبلك يا محمد فنخلك أنت، فلا بدّ من أن تموت كما مات من كان قبلك، ولن يخلد الله أحداً في هذه الدنيا، فكل نفس ذائقة الموت، وهؤلاء المشركون الذين يتمنون موتك ليشتمتوا به هم ميتون على كل حال، فلا شهادة في الإمامة .

وهذا الاستفهام : ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ يفيد النفي والاحتقار : النفي على معنى لن يخلد الله تعالى هؤلاء المشركين في هذه الحياة الدنيا، فكل نفس ذائقة الموت . ويفيد الاحتقار على معنى إذا كنت أنت يا محمد على علو منزلتك وعظيم قدرك عند الله تعالى سوف تموت، أفيخلد الله تعالى هؤلاء المشركين وليس لهم من الفضل ما يزن مثقال ذرة!!

وإعراب هذا الاستفهام : ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ سهل واضح . فالفاء عاطفة عطفت الجملة الشرطية التي بعدها على الجملة الخبرية التي قبلها، و(مت) مؤلفة من (مات) وهو فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، ومن التاء ضمير المخاطب المبني على الفتح في محل رفع على الفاعلية، وجملة (فهم الخالدون) المؤلفة من الفاء الواقعة في جواب الشرط ومن المبتدأ أو الخبر في محل جزم جواب الشرط وقد قرئ فعل الشرط السابق (مت)

بضم الميم وكسرهما : فعلى قراءة الضم يكون الفعل على لغة مات يموت مثل صام يصوم وقام يقوم، وأصله : مَوْتٌ يَمُوتُ (بفتح الواو في الماضي وضمها في المضارع) من باب نصر ينصر.

وحيث أسند الفعل الماضي (مات) على هذه اللغة إلى ضمير الرفع المتحرك سُكِنَ آخره وحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وُضِّمَت الميم للدلالة على أن الألف المحذوفة من هذا الفعل الماضي منقلبة عن واو .

وعلى قراءة كسر الميم (مِت) يكون الفعل على لغة مات يمات مثل خاف يخاف ونام ينام، والأصل : مَوْتٌ يَمُوتُ (بكسر الواو في الماضي وفتحها في المضارع) من باب علم يعلم، وحيث أسند هذا الفعل الماضي على هذه اللغة إلى ضمير الرفع المتحرك سُكِنَ آخره وحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وكسرت الميم للدلالة على أن حركة الحرف الأصلي الذي انقلبت عنه الألف في الماضي كانت كسرة .

الآية الثالثة : في قوله تعالى : ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون(١٣) إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون(١٤) قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون(١٥) قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون(١٦) وما علينا إلا البلاغ المبين(١٧) قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم(١٨) قالوا طائركم معكم أين ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون(١٩)﴾ . (الآيات : ١٣-١٩) من سورة يس .

تتضمن هذه الآيات الكريمة حواراً بين رسل أرسلهم الله تبارك وتعالى إلى أهل قرية لم يسمها كانوا يعبدون غيره، وبين أهل تلك القرية، وفي آخر هذا الحوار قال أهلها لأولئك الرسل : لقد كنتم شؤماً علينا ولأن لم تنتهوا عما تدعوننا إليه لترجمنكم بالحجارة وليصينكم منا عذاب أليم، فقال لهم الرسل شؤمكم معكم وفيكم، فهذا الضلال الذي أنتم فيه هو شؤمكم، إن دعوناكم إلى الهدى ونهيناكم عن الضلال وبينا لكم فساد ما أنتم عليه، تشاءتم بنا وتوعدتم وتهددتم؟! بل أنتم قوم مسرفون في الضلالة معنون في الغي .

وهذا الاستفهام : ﴿إن ذكرتم﴾ يفيد الإنكار والتوبيخ : فقد أنكر الرسل على أهل القرية أن يتشاءموا منهم وأن يجعلوا من دعوتهم إلى عبادة الله وحده ونهيمهم عن عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، أن يجعلوا من ذلك طيرة وشؤماً، وكان ينبغي بدلاً من ذلك أن يفرحوا بقدومهم وأن يستجيبوا إلى ما دعواهم إليه، وأن يشكروا الله تعالى أن هداهم للإيمان .

لقد أنكر الرسل على أهل القرية ذلك ووبخوهم عليه ، وقالوا لهم في نهاية إنكار والتوبيخ : بل أنتم قوم مسرفون قد تجاوزتم الحد في الضلال والظلم والعدوان ، ومن هنا جاءكم الشؤم وأنزل الله بكم المصائب .

وإعراب هذا الاستفهام : ﴿أَنَّ ذُكِرْتُمْ﴾ سهل واضح : ف (ذُكِرَ) من ذُكِرْتُمْ فعل ماض مبني للمجهول ، ولك أن تقول في إعرابه مبني على فتح مقدر منع من ظهوره السكون العارض لأجل اتصاله بضمير رفع متحرك ، ولك أن تقول مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك ، والفعل على الإعرابين في محل جزم بإن الشرطية و (تم) ضمير في محل رفع نائب فاعل ، وجواب الشرط محذوف دل عليه الكلام السابق ، وقد قدره العكبري : كفرتم ، فيكون تقدير الكلام عنده : إن ذُكِرْتُمْ كفرتم . وقدّره أبو السعود في تفسيره : إن ذُكِرْتُمْ تطيرت وتوعدت بالرجم والتعذيب .

أختى العزيزة « هل » :

بهذا تنتهى رسالتى إليك عن همزة الاستفهام الداخلة على (إن) الشرطية ، وسوف أحدثك فى الرسالة القادمة إن شاء الله تعالى عن همزة الاستفهام الداخلة على (إذا) الشرطية ، وأسأله تعالى أن يعين ويسدد ويوفق .  
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، ، ،

أختك  
همزة الاستفهام

## مراجع هذه الرسالة

( أ ) المراجع على وجه الإجمال :

- ١ - تفسير أبى جعفر بن جرير الطبرى / الطبعة الثالثة / الناشر : شركة الحلبي بمصر .
- ٢ - تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى / الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض .
- ٣ - تفسير أبى السعود / الناشر : مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة .
- ٤ - الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين / الناشر : الحلبي بمصر .

- ٥ - تفسير ابن كثير / الناشر : الحلبي بمصر .  
 ٦ - تفسير القرطبي / الطبعة الثالثة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .  
 ٧ - الكشاف للزمخشري / الناشر : الحلبي بمصر .  
 ٨ - إملأ ما منَّ به الرحمن للعكبري / الطبعة الأولى / الناشر : الحلبي بمصر .  
 ٩ - شرح الرضي على الكافية في النحو / طبعة مصورة / الناشر : دار الكتب العلمية بيروت .  
 ١٠ - البرهان في علوم القرآن للزركشي / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / الطبعة الثانية / الناشر : عيسى الحلبي وشركاه بمصر .

(ب) المراجع على وجه التفصيل :

- ١ - الآية الأولى : (١٤٤) من سورة الأنعام :  
 الطبري : (ج٤ ص ١١٠) - البحر المحيط : (ج٣ ص ٦٨) - أبو السعود :  
 (ج٢ ص ٩٢) - الفتوحات : (ج١ ص ٣١٩) - ابن كثير : (ج١ ص ٨٨) - الزمخشري :  
 (ج١ ص ٤٦٨) - القرطبي : (ج٤ ص ٢٢٦) - العكبري : (ج١ ص ١٥١) -  
 الزركشي : (ج٢ ص ٣٦٦) - شرح الكافية : (ج٢ ص ٣٩٤) .  
 ٢ - الآية الثانية : (٣٤) من سورة الأنبياء :  
 الطبري : (ج١٧ ص ٢٤) - البحر المحيط : (ج٦ ص ٣١٠) - أبو السعود :  
 (ج٦ ص ٦٦) - الفتوحات : (ج٣ ص ١٢٧) - ابن كثير : (ج٣ ص ١٧٨) - الزمخشري :  
 (ج٢ ص ٥٧٢) .  
 ٣ - الآية الثالثة : (١٩) من سورة يس :  
 البحر المحيط : (ج٧ ص ٣٢٧) - ابن كثير : (ج٣ ص ٥٦٧) - العكبري :  
 (ج٢ ص ٢٠٢) - أبو السعود : (ج٧ ص ١٦٣) - تفسير الجلالين : (هامش  
 الفتوحات) : (ج٣ ص ٥٠٧) .



# محتويات العدد

الصفحة

الموضوع

.....	— قبس من كتاب الله
.....	— حكمة العدد
١١ .....	— كلمة العدد
١٣ .....	— آية العدد
.....	— أول واجب على المكلف عبادة الله تعالى ...
١٨ .....	وضوح ذلك من كتاب الله ودعوات الرسل
٢٣ .....	— منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل
٧١ ..	— دفاع عن العقوبات الإسلامية
٨٨ .....	— الإمداد بأحكام الحداد
١٠٩ .....	— نظام الإثبات في الفقه الإسلامي
١٢٧ .....	— تحقيق جزء الضعفاء والمتروكين
١٤٠ .....	— الملك عبدالعزيز آل سعود بين نصره الله ونصر الله له
١٥٨ .....	— ظاهرة التقاص في النحو العربي
.....	— عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد في اعراب الحديث
١٦٨ .....	— رسائل لم يحملها البريد
١٨٤ .....	.....



مطابع الجامعة الإسلامية  
بالمدينة المنورة

**Journal of**

**THE  
ISLAMIC  
UNIVERSITY**

**OF  
MADINAH MONAWWARAH  
RAJAB — DHU AL-HEJJAH  
1404 H.**

**[ QUARTERLY ]**

**16<sup>th</sup> Year**

**63 - 64**